

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

الهجرة فواتح خير

والهجرة من فواتح الخير على المسلمين ، وزوَّخ بفوحْ بعزبهم - على ما هم عليه - إلى يوم الدين .

لقد وجبت الهجرة - يوم وجبت - ووجب معها أمران : جهاد لمن حارب الدين ، ونية الخير في كل عمل .

وجبت الهجرة على مسلمي مكة صوناً لدينهم من عبث المستهزئين ، وحفظاً لذواتهم من غشم المتكبرين ، واستجماعاً لقوة تصد عدوان المعتدين .

كانت الهجرة - حين وجبت - تعني مفارقة دار الكفر إذ ذاك ، وقد اختار المولى - سبحانه وتعالى - لها بحكمته وعلمه - صفوة خلقه ، وأوجب عليهم أحكاماً خصهم بها ، عرفت باسم : « أحكام المهاجرين » .



منها : وجوب أن تتجه هجرتهم إلى المدينة بذاتها حتى يتم لهم استجماع قوتهم لنصرة الدين ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومواساته .

ومنها : حُرْمة استيطانهم مكة ، فصارت مكة حراماً على من هاجر منها أن يستوطنها ، ذلك أنهم قد تركوها لله ـ رب العالمين ، ولولا أن بها البيت الحرام لمنعوا ـ أيضاً ـ من دخولها ، لذا لم يسمح لهم ـ إذا هم دخلوها لحج أو عمرة ـ أن يقيموا بها أكثر من ثلاثة أيام ، وللعلاء الحضرمي الصحابي الجليل حديث واحد رواه الإمام البخاري ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ثلاثٌ للمهاجر بعد الصَّدَر » .

أي بعد أن يقضي نسكه .. إلخ ما هنالك من أحكام .

حتى إذا فتحت مكة في العام الثامن ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » رواه البخاري .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله :

« كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً فسقط فرضُ الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد ، والنية على من قام به ، أو نزل به عدو » اهـ فتح البارى ٢٨/٦ ، ٢٩ .

وليس يعني أنه « لا هجرة بعد الفتح » أن ثواب الله ـ عز وجل ـ محظور على من آمن من بعد الفتح ، كلا ؛ فلا زال لهذا الدين خُلَّص من أتباعه ، يدعون إليه ، ويذودون عنه ، ويثابون ـ بنياتهم ـ على ما يفعلون ؛



أسلم صفوان بن أمية بن خلف عام الفتح ، فقيل له : هلك مَنْ لم يهاجر !!! ، قال : « فقلت : لا أصل إلى أهلي حتى آتيَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فركبت راحلتي ، فأتيتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يا رسول الله ، زعموا أنه هلك من لم يهاجر !!! ، قال :

كلا ، أبا وَهْب ، فارجع إلى أباطح مكة » مسند أحمد ٤٠١/٣ ـ ٤٦٥/٦ .

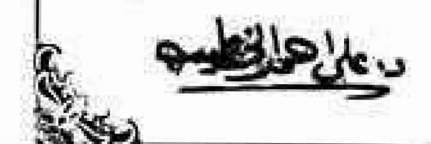
إن الذين هاجروا حملوا أعباء ثقالاً رضُوا بها وأدّوْا أماناتها ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ولقد تشوَّق إلى الهجرة رجال شاء الله ـ تعالى ـ أن يخفف عنهم فلم تلزمهم :

« روى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه :

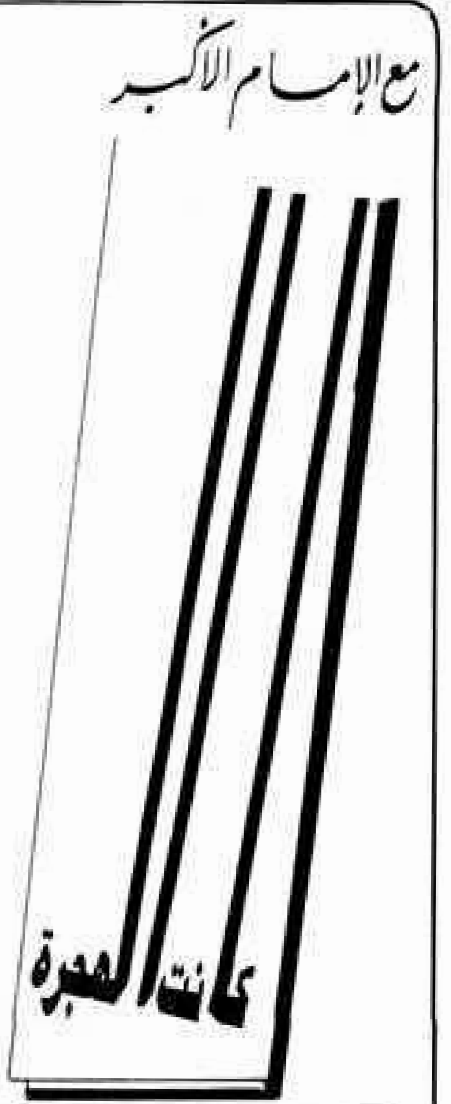
أن أعرابياً سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الهجرة ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : وَيْحك ، إن شأنها شديد ، فهل لك من إبل .. ؟ قال : نعم ، قال : فتعطي صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فهل تمنح منها ؟ قال : نعم ، قال : فتحلبها يوم ورودها .. ؟ قال : نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار ، فإن الله لن يَتِرَكَ من عملك شيئاً » رواه البخاري .

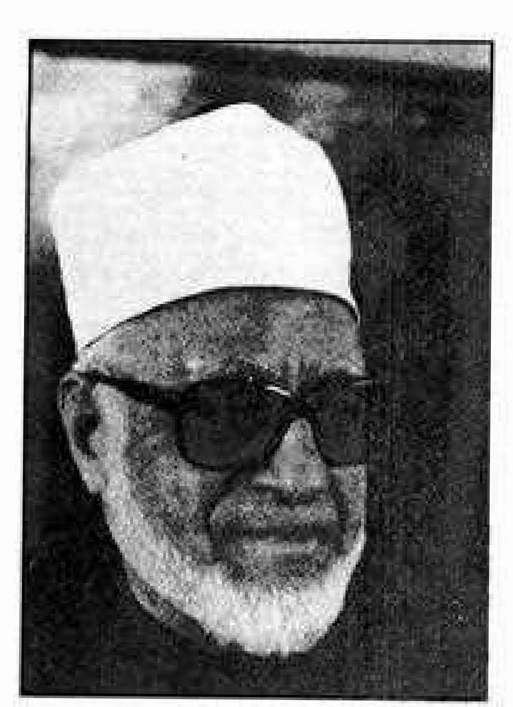
لقد استبان لنا مما تقدم كيف أن شأن الهجرة شديد وواجباتها ثقال .

وفي هذا الحديث بيان دال على أن استقرار المسلم بوطنه ملتزماً أداء حق الله ـ تعالى ـ فيما أولاه من مال .. كُلُّ ذلك يعادل ثواب الهجرة ، ولمثلها فليعمل العاملون .. والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم .



مع الإمام الأكبر





تخطيا للعقبات وتخطيطا للنصر

بقلم فضيلة الشيخ

جـاد الحق علي جادالحق شيخ الأزهـر

هؤلاء أهل مكة يتوعدون رسول الله ﷺ ويتواعدون على الغدر به ، دبروا أمرهم بليل ، وأجمعوا على أن يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يثأر له قومه ، إذ لا طاقة لهم بحرب كل قريش . عقبات ومطاردات من رعيل استبدت به الوثنية ، درجوا على الجهالة والعصبية ، وفشت بينهم الأنانية ، وقسـت قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، لاتلين لذكر أو تبصير .

كانت الهجرة

استبدت بهم الأهواء وتنازعتهم الموبقات ، فانغلقت أفئدتهم على الظلام ، فلم تنفتح مغاليقها لنور الإيمان الذى انبعث بينهم ، يذكرهم بأيام الله ، وحكمه وفضله وأنعمه عليهم ، ولكنهم أصموا آذانهم واستكبروا استكبارا ، وقالوا من أشد منا قوة ، وغاب عنهم أن الله الذى خلقهم أقوى وأعز .

تلك عقبات وصد عن سبيل الله قامت فى سبيل إبلاغ الرسالة واستشرت بأساليبها فى الكيد والصد والإيذاء ، لكن الرسول لم ييأس حين صد عنه قومه وآذوه فيمن اتبعه ، فعذبوهم ، واضطروهم إلى شعاب مكة ، وإلى الهجرة إلى الحبشة ، فما وهنوا لما أصابهم وماضعفوا وما استكانوا ولكن صبروا وصابروا ، فقد اطمأنت قلوبهم بالإيمان ، فما أحسوا وجعا من إيذاء وما ابتأسوا من حرمان ، بل كان شعارهم عند الشدائد « إن رحمة الله قريب من المحسنين » فأحسنوا الثقة بالله والإقبال على ماعنده .

وعندما استبد بأولئك القوم ضلالهم ، وأحكموا تدبيرهم كان أمر الله لرسوله بالهجرة إلى القوم الذين آمنوا به ، وصدقوا ماعاهدوا الله عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ بمكة فامر بالهجرة إلى المدينة وأنزل الله عليه : وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا .

لقد كان النبى ﷺ يعلم أنه لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل الله — كما علمه — سلطانا نصيرا فأعطاه إياه .

وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرسول الله ، أيده الله فيها بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة ، ووحد كلمتهم بعد الفرقة ، وجعلهم أمناء على الوحى الكريم ، يبلغونه للناس ، فكانوا أوفياء لدينهم ، أمناء على أحكامه ، قائمين بالعدل الذى ارتضاه الله حكما بين الناس .

كانت الهجرة تحولا بالدعوة من أرض أجدبت إلى أرض أخصبت وأثمرت وأفرخت ، ولم تكن الهجرة فكرة عابرة ، وإنما .. ومن حين أمر بها — فكر لها رسول الله وقدّر فهى هجرة إلى النصر ، وللنصر عدته وعتاده وسره وأسراره ، ولابد للوصول إلى النصر من تخطيط وتنفيذ وبهذا لم تكن الهجرة مغامرة ومقامرة أو مخاطرة ، ولكنها فى التخطيط البشرى مرتبة ، وبعون الله وبعنايته محفوظة وميسرة .

أطلع الله نبيه على كيد أعدائه ، وعلى أنهم قد دبروا أمرا إذاً فهؤلاء فتية قد أعدوهم وأمدوهم ، وقفوا على باب دار الرسول مجمعين أمرهم على قتله ، انصياعا لرغبة كبرائهم ، فكانت الخطة أن يظلوا على غيهم ، مطمئنين إلى أن أسيرهم أو قتيلهم بين أيديهم وتحت أعينهم وبأيمانهم .

وكان التخطيط الذى أفسد الله به خططهم ، فأعمى أبصارهم ، كما عميت قلوبهم ، حيث

كانت الهجرة

أقدم على بن أبى طالب على المبيت فى فراش الرسول تحت أبصارهم ، حتى يلهوا به عن متابعة الرسول عند خروجه بادئا رحلته التى أمره الله بها ، وخرج على القوم والسيوف مشرعة ولكن عناية الله ونصره وعصمته لرسوله كانت تحوطه وترعاه : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

كان الخروج من دار الرسول إلى غار ثور ، تحرسه عناية من الله ورحمة من أولئك الذين فحثوا لخروجه من داره سالما ، وهم له رصدٌ فهرولوا متوعدين ، باذلين الجوائز لمن يلحق به . يطلبونه بأى ثمن والرسول يتابع تنفيذ خطة الهجرة ، ويبوء أعداؤه بالخسران المبين .

ها هو ذا علىٌّ فى مرقده حفيظ على ما اؤتمن عليه من سر ، مؤدٍ لما كان فى دار الرسول من أمانات إلى أهلها ، غير ناكث ولا خائن للأمانة ، وها هو ذا صاحبه وأول الرجال إسلاما — أبو بكر — يرافقه فى هجرته لم يقعده مال ولا ولد ، بل إن ولديه عبدالله وأسماء كان لهما فى خطة الهجرة دور أى دور . ينبغى أن نعلمه لأولادنا ، ونتدارسه معهم ليكونوا على ذكر به حين يكلفون بمهام ذات خطر لحماية الدين والوطن .

فماذا كانت مهمة عبدالله بن أبى بكر فى الخطة ؟ وكيف أداها بإيمان وحرص وإخلاص ، لم يفصح بلسانه ولا بفعاله عما وقر فى قلبه من أسرار بالرغم من رؤيته لفرسان قريش مقبلين ومدبرين ، كانت مهمته أن يجمع أنباء تحركات القوم ومكرهم وعبثهم ، ويفد بها على رسول الله وصاحبه حتى يكونا على علم بما يبيت لهما من مكر وسوء تدبير .

وماذا كانت مهمة عامر بن فهيرة الذى كان يرعى غنم أبى بكر ؟ حتى إذا جن الليل ، وهدأ السير ، واحتسب القوم بيوتهم ومغانيهم ، وربما بعصاؤهم ، وانحسرت أصواتهم عن بطحاء مكة وشعابها ، حتى إذا كان ذلك أتى عامر بغنمه على رسول الله وصاحبه فى غار ثور ، فاحتلب لهما وذبح لطعامهما ثم أدبر فأذهب مسيرها آثار أقدام عبدالله بن أبى بكر ، حتى لا يستدل القوم على مسيرته فيسترشدوا بها إلى مقر الرسول وصاحبه .

وها هى أسماء بنت أبى بكر تأتيهما كل يوم من الطعام إذا أمست بما يصلحهما — حتى إذا مضت الليالى الثلاث أتتهما بسفرتهما . وحين أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر .

ثم ذلك الذى قاد الرحلة — عبدالله بن أريقط — وهو بعدُ لم يدخل فى الإسلام ، وكيف أخفى فى صدره نبأها وتخطيطها .

لقد أوسعت كتب السيرة من صحفها لأنباء الهجرة وسيرها ، وعلينا نحن أن نستفيد ونستخلص من أحداثها الدروس التى تفيدنا فى حاضرنا الذى تعثرت خطواته ، وتوالت علينا — والعياذ بالله — ظلماته ولا نجاة لنا إلا بالعودة إلى قرآن ربنا ففيه الهدى والرشاد ، وإلى سنة رسولنا ﷺ ففيها كل ما يصلح أحوالنا إلى يوم التناد .

خذوا أيها المسلمون من هجرة الرسول ﷺ الصبر والمصابرة والمثابرة حتى تصلوا إلى نتائج

كانت الهجرة

ما حفظتم من إصلاح تنعمون به صلاح أمتكم ، ولا تهنوا ، ولا تتعجلوا ثمرا لمّا تزرعوا شجره .

خذوا من الهجرة درسا في تحديد أدواتكم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فما كانت الهجرة مجرد ارتحال من بلد إلى آخر ، وإنما مواجهة مدروسة ذات خط وخطط وأهداف محددة ، نجحت ووصلت إلى غايتها بالإعداد والاستعداد .

اشترك فيها الرجال والصبيان والبنات ، وحمل كل منهم مسئولية دوره ، فما أرجفوا بقول ، وما أفصحوا بإشارة ، وما رضخوا لتهديد أو وعيد بالرغم من حداثة أعمار أكثر المشتركين في الخطة وتعرضهم لمحن الاختبار من أعـــداء الـــرسول ، ولكـــن هذه المحن كانت جلاء لأنفسهم ، وتثبيتا لإيمانهم ومضاء لعزائمهم فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .

هذه ذكرى الهجرة ، فهل لنا أن نخطط كما خطط رسول الله فنهاجر إلى ما هو خير ، أليست الفرقة والمنازعات التي عمت الوطن الإسلامي منكرا يجب هجره ؟ أليست الحروب المستعرة هنا وهناك بين المسلمين ، وضد المسلمين أمرا منهيا عنه يجب على أولي الأمر في الأمة هجره بالعمل على وقفها حقنا لدماء المسلمين وصونـــا لأموالهم ؟

أليست الظروف الاقتصادية التي تمر بالمسلمين في كل مكان من أرض الإسلام داعية لأن نخطط للتغلب عليها ، لا بالاستدانة والقروض ، وإنما بالاستغناء بعض الوقت عمّا ليس من ضرورات الحياة ؟

إن الهجرة النبوية أقامت مجتمعا رشيدا أشاع العدل وواجه الشرور بالحسم والحزم ، مجتمعا قام على الدين واستمسك به ، فعز شأنه وعلا قدره ، إن الأمة إذا ضعف فيها الدين ، اختل بناؤها الاجتماعي ؛ ذلك أن الدين هو استقامة الخلق والآداب والسلوك .

في ذكرى الهجرة التي مجدها الله في القرآن أهنيء المسلمين بدخول عام هجري جديد .

أسأل الله أن يجعل هلاله ضوء هداية للأمة ، فتجتمع كلمتها وتتوحد صفوفها .

تهنئة لشعوب الأمة الإسلامية عامة ، ولملوكها ورؤسائها وسائر قادتها ، مذكرا لهم بمسئوليتهم أمام الله وفي سجل التاريخ عما آلت إليه الحال مما يضيق به المقال .

اللهم إن الملأ يأتمرون بهذه الأمة ، وهي حافظة لكتابك ، متابعة لرسولك وسنته ، فاحفظ عليها دينها واهدها إلى رشدها ، واربط على قلوب شعوبها برباطك حتى يكونوا مسلمين عاملين بكتابك ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا إلى أمرك وينزلوا عند قولك :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

سورة آل عمران

فتوى للإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى بيـــــان

واجبات الآباء والأمهات المقيمين بأولادهم فى لندن أو غيرها نحو حمايتهم ووقايتهم من تعلم ديانة أخرى غير الإسلام فى المدارس

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب باللغة الإنجليزية من السيد / يوسف إسلام وعنوانه ٢ شارع دبخزويل ـ لندن ـ وفيه يقول ما ترجمته إلى اللغة العربية : بعد التحية نحن فى أمس الحاجة للفتوى حول الموضوعات الآتية :

---

١ ـ هل من المسموح والمقبول لأطفال المسلمين حضور الدراسة في مدارس الدولة الرسمية عندما تتغير المناهج وتفرض عليهم ، حيث سيتم إجبار كل الأطفال على تعلم ٥٠٪ من التعاليم المسيحية في دروسهم الدينية ؟ وحتى الآن فقد تعلم الأطفال بعض المعلومات حول المعتقدات الإيمانية المختلفة متضمناً ذلك المسيحية والإسلام .

٢ ـ هل من المسموح والمقبول لهؤلاء الأطفال والأبناء أن يستمروا في حضورهم الدروس الدينية ، عندما يصبح معروفاً أن هذه الدروس ستعلمهم أشياء حول المعتقدات الأخرى بعيداً عن التوحيد الخالص لله ـ مثل الشرك ؟

هناك ترخيص وسماح لأولياء الأمور أن يسحبوا أولادهم من حضور أية دروس دينية . ولكن المشكلة أن كثيرين منهم لايفقهم أهمية استخدام هذا السماح .

إن هذا الموضوع ملح للغاية ومن هنا يطلب من فضيلتكم سرعة الرد إن شاء الله .

والسلام عليكم ..

توقيع
يوسف إسلام

الجـــواب

إن الأولاد ـ ذكوراً وإناثاً منحة من الله عز وجل ـ للآباء وللأمهات ، وهم أمانة لديهم ويجب عليهم رعايتهم وحفظهم مما يضرهم في أبدانهم وعقيدتهم .

ومسئولية الآباء والأمهات أن ينشئوا أولادهم على الدين الصحيح والفطرة السليمة وحمايتهم من كل أسباب الانحراف والابتعاد عن مقاصد الإسلام ومطالب الشريعة .

ففي الحديث الشريف قول النبي ﷺ :

« **أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** »[1] وقوله : « **كلكم راع ، ومسئول عن رعيته : الإمام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته** »[2] .

ولقد بين النبي ﷺ أن المولود حين يستقبل الحياة يكون على فطرة الإسلام النقية الصافية ، هذه الفطرة التي تتمثل في الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأن تلك الفطرة لايلحقها تغيير أو تشويه أو فساد ذاتي ، بل من الوالدين أو غيرهم ممن لهم ولاية عليهم ، إذا أهملوا الأولاد وعرضوا فطرتهم النقية الموحدة إلى تنصير أو تهويد أو تمجيس ، وفي هذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ـ الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٣ ص ٧٢ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

الشأن قال النبى ﷺ(٣) : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ،فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ..... »** .

ولقد جاء القرآن صريحاً بوجوب وقاية النفس والأهل من الانحراف عن أوامر الله وعن ارتكاب المحرمات فقال الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

سورة التحريم

ولا شك أن صيانة الفطرة النقية للأولاد بتعويدهم الصلاة والصيام وتعليمهم القدر المناسب من العقيدة والشريعة هو وقاية لهم وداخل فى مضمون هذه الآية .

وإذ كان ذلك :

كان السماح لأطفال المسلمين أو إجبارهم على حضور الدراسة فى مدارس (لندن) وتعليمهم ضمن الدراسة معتقدات مسيحية أو ديانات أخرى مختلفة يعتبر هذا التلقين اعتداء على فطرتهم وتشويها لنقاء عقيدة الإسلام التى ينبغى أن تستقر فى نفوسهم ، ويجب أن يباعد بينهم وبين تلقينهم معتقدات الشرك ، فتزيغ قلوبهم عن التوحيد الخالص لله .

وهذا فى حكم الإسلام جناية على هؤلاء الأطفال المسلمين الأطهار وجريمة يسأل الله عنها آباءهم وأمهاتهم .

لما كان ذلك :

كان حضور أولاد المسلمين هذه الدروس الخاصة بالمعتقدات التى تخالف دين الإسلام عقيدة وشريعة خطأ وكبيرة من الكبائر يرتكبها الآباء والأمهات ، وكان من الحقوق الواجبة على أولياء الأطفال المسلمين سحب أطفالهم عن حضور دروس الدين غير الإسلامى أيا كان هذا الدين ، وخاصة أن نظام المدارس فى (لندن) كما جاء فى نص السؤال يسمح ويرخص لأولياء الأمور فى سحب أبنائهم من حضور أية دروس دينية تخالف دين الإسلام .

هذا : ويجب توعية الآباء والأمهات المسلمين بضرورة صيانة أطفالهم والمباعدة بينهم وبين حضور دروس الدين المسيحى وغيره من الأديان الأخرى وأن يبلغوا المدارس عرضهم على هذه المباعدة ، وألا يتركوا أطفالهم نهباً لأية عقائد تناقض عقيدة الإسلام وتهدم كيان الإنسان .

والأمل كبير فى المراكز والمدارس الإسلامية بلندن أن تقوم بالتوعية والتوضيح وتوجيه المسلمين الذين يقيمون بعيداً عن ديار الإسلام بهذا الواجب ، ليتحقق أمل المسلمين فى أبنائهم بالحفاظ على عقيدتهم وتنشئتهم على مبادىء الإسلام وفضائله .

وبهذا يتضح الجواب عن السؤال متى كان الحال كما ورد به .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) من حديث رواه الإمام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ .





بشأن البوسنه والهرسك

يتابع مجمع البحوث الإسلامية بقلق وألم شديدين ما يجرى فى دولة البوسنه والهرسك من حرب مدمرة ، وعدوان على السكان المسلمين ، وانتهاك لأرضهم وعدوان على أعراضهم ، وتقتيل لشيوخهم ونسائهم وأطفالهم مما يتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ، وأوليات مبادىء الأخلاق والصلات الإنسانية التى تربط شعوب الأرض بعضهم ببعض .

وقد كانت هناك آمال في نفس كل منصف بأن تنطفيء نيران هذه الحرب ويحل السلام محل الخصام ، ولكن الذى حدث هو أن ازدادت الحرب اشتعالاً ، ولم تجد من يطفئها ، وأن من الأمر ما هو معروف الآن من دماء تسيل ، وأرواح تزهق ، ومساكن تدمر ، وأسر تشرد ، وانتهاك لأرض دولة هى عضو فى الأمم المتحدة وهى دولة (البوسنه والهرسك) .

ومن المؤسف أن يكون هذا العدوان غير المبرر واقعاً على المسلمين دون غيرهم ـ الذين من حقهم أن يحيوا وفق عقائدهم وشرائعهم التى تعترف بحقوق الآخرين فى أن يحيوا وفق تعاليم أديانهم ، لأن شريعة الإسلام تقرر أنه (لا إكراه فى الدين) . وتحترم حقوق الإنسان ـ كل الإنسان ـ فى أن يعيش آمناً فى سربه سعيداً فى وطنه ، مستقراً فى أسرته .

وإن ذلك الذى يحدث من حرب وتقتيل وتدمير فى أرض دولة البوسنه والهرسك المسلمة قد أثار نفوس الأحرار فى كل بلاد الدنيا ، ولعل أقرب مظهر لذلك ما نشر عن الرئيس الأمريكي الراحل (ريتشارد نيكسون) فى آخر كتاب له مستنكراً ما يحدث فى البوسنه والهرسك بقوله : (إن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها هى أنه لو كان سكان سراييفو مسيحيين أو يهوداً فإن العالم المتحضر ما كان ليترك الأمر ليصل إلى وضعه الراهن) .

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يهيب بالأمم المتحدة أن تتخذ من القرارات ما يعيد الحق إلى نصابه ، ويوقف المجزرة التى يمارسها الصرب ضد مواطنى دولة البوسنه الهرسك المسلمين ، ويمنع أن يستفيد المعتدى من عدوانه .

وإن المجمع يوصى المسلمين ـ حكومات وشعوباً ـ أن يوحدوا كلمتهم ، وأن يساندوا المسعى الذى تقوم به حكومة مصر وبعض الحكومات الإسلامية فى الأمم المتحدة لردع العدوان الغادر ، وإعادة الأرض التى اغتصبها الصرب إلى أصحابها المسلمين ، ورفع حظر السلاح ؛ ليتمكن شعب البوسنه والهرسك من الدفاع عن نفسه أمام عدو مزود بأحدث أسلحة الدمار من ترسانة يوغوسلافيا السابقة وبعض الحكومات الأخرى .

نسأل الله أن يصلح شأن الإنسانية جمعاء ، وأن يحفظ للمسلمين دماءهم وأرضهم وأرواحهم فى البوسنه والهرسك ، وفى كل مكان فى العالم ، إنه سميع مجيب .

شيخ الأزهـر
رئيس مجمع البحوث الإسلامية
(جاد الحق على جاد الحق)

بيان ونداء

من الأزهر الشريف بشأن ما يحدث فى اليمن

لقد اهتزت قلوب الأمة الإسلامية لما حدث ويحدث على أرض اليمن بين الأشقاء الفرقاء من اختلاف فى الرأى انتهى إلى امتشاق الحسام ، بل ما هو أشد منه من أسلحة الدمار والاقتتال التى صنعها الإنسان لهدم حضارته ونسف إنسانيته ، وقتل أخيه الإنسان وإهدار دمه ، وتدمير مواريثه من العلم والحكمة ، بل وعصيان الله فيما أمر به فى القرآن من الحفاظ على السلم والسلام بين الناس جميعاً وفيما بين المسلمين بوجه خاص .

وها هو القرآن الكريم يضع الموازين العادلة لإنهاء الخلافات أيا كانت أسبابها ومواقعها ، فهلا قرأ المتقاتلون فى اليمن وغيرها من بلاد المسلمين قول الله ــ سبحانه ــ فى سورة الحجرات :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ ﴾

هلا تنادى الإخوة فى اليمن إلى الاحتكام إلى كتاب الله ، وهلا تنادى قادة الأمة الإسلامية من الملوك والرؤساء والأمراء إلى تنفيذ أمر الله فى هذه الآيات . وفى سورة النساء فى قول الله سبحانه :
﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾
الآية ١٢٨ .

وهلا تذكر المتقاتلون من المسلمين قول الله سبحانه فى سورة الأنفال :
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية ١ .

وهلا تنبهوا أنهم قد اجترأوا على الأشهر الحرم التى حرم الله فيها القتال بنص القرآن الكريم فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة التوبة :
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية ٣٦ .

وقد بين النبى ﷺ هذه الأشهر الحرم فى حديثه الذى ورد فى الصحيحين وفيه يقول : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة : اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم. ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان** » .

ونهى عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع عن قتل المسلم حيث قال : « **أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ـ إلى أن تلقوا ربكم ـ كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت** ... » .

كما بين رسول الله ﷺ أن حرمة الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم بغير حق فقال فيما رواه عبدالله بن عمرو قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك ، وما أطيب ريحك ، وما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك : ماله ودمه » رواه ابن ماجه .

ودعا إلى المسارعة والمبادرة إلى وقف الخصام والاقتتال بين المسلمين .

وإن الأزهر الشريف ليتطلع إلى أن يبادر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء وحكومات الأمة العربية والإسلامية إلى استنهاض الحكمة وصلات الأخوة الإسلامية لدى الأشقاء الفرقاء فى اليمن ، طلباً لوقف القتال فيما بينهم وأن يعتصموا بحبل الله ويتحاكموا فيما اختلفوا عليه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يُحكّموا بينهم فى خلافاتهم أولى البصر من الأمة الإسلامية رغبة فيما عند الله من ثواب ورحمة ونزولاً عند أمره وحكمه فى كتابه القرآن الكريم :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران ١٠٣ .

لا سيما وقد كان بين فرقاء اليوم فى اليمن عهد وميثاق اجتمعوا عليه ووقعوه فأين هم من هذا العهد الذى أمر الله بالوفاء به فقال فى سورة النحل :

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ الآية ٩١ / ٩٢

وأين هم من قول الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾

ومن قول الله فى سورة الأحزاب :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إنه تقدير من الله لأولئك المؤمنين الموفين بالعهد وبالوعد وبالميثاق وأنهم من ذوى الألباب .

قال ـ تعالى ـ فى سورة الرعد :

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ... ﴾ الآية ٢٠

ولقد حذر الله فى ذات سورة الرعد من نقض العهد فقال ـ تعالى :

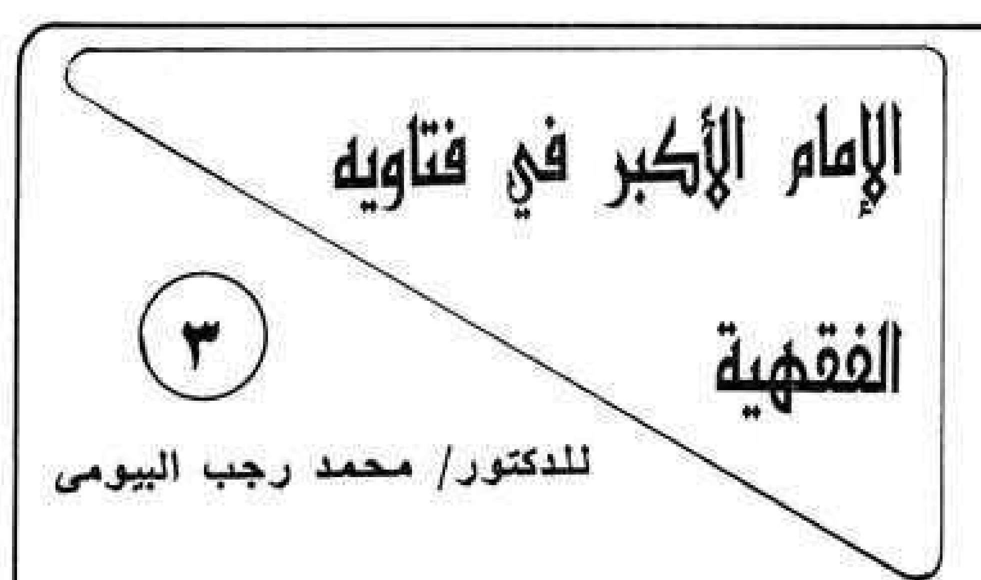
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾

وإن الأزهر الشريف ليهيب بالفرقاء المسلمين فى اليمن ، بل وفى غير اليمن أن يظلوا على عصيان ربهم وأن يستمروا فى القتل والقتال والتخريب خروجاً على أوامر الله ، ويذكرهم بأن رحمة الله قريب من المحسنين .

ويتوجه فى ختام هذا النداء إلى الأمة الإسلامية بالالحاح على وقف القتال فوراً ، ويستنهض قادة الأمة الإسلامية : الملوك والرؤساء والعلماء إلى تسجيل موقف تاريخى . فليسارعوا إلى إعمال حكم الله بإجراء التحكيم والصلح بين الأشقاء الفرقاء ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)



الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

٣

للدكتور/ محمد رجب البيومى

منذ خضعت مصر للاستعمار البريطانى فى أواخر القرن الماضى ، ومعاملاتها المالية تتم فى البنوك الأوربية وفق الفائدة المحرمة فى الإسلام ؛ لذلك أصبح حديث الربا موضوع مجاذبة جادة بين العلماء ، وأذكر أن مؤتمراً خاصاً بمسألة الربا عُقد فى مدرسة عبدالعزيز فى ١٢ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، وألقى فيه(١) الشيخ عبدالعزيز جاويش كلمة فقهية تنتهى إلى أن الربح المحرم هو الذى يكون أضعافا مضاعفة ، وليس ذا الفائدة القليلة ، كما ألقى السيد محمد رشيد رضا كلمة أخرى تتحدث عن الواقع الفعلى للبلاد الإسلامية المضطرة إلى التعامل بالبنوك ، وتنتهى إلى حكم الضرورة بإباحة الفائدة القليلة ، وإذا كان المؤتمر قد انعقد فى مطلع هذا القرن فإن صداه الفقهى أخذ يتردد على ألسنة كثير من الباحثين ، وقد حاول الأستاذ الإمام محمود شلتوت ، والأستاذ عبدالوهاب خلاف السير فى اتجاهه ، ونحن ـ علم الله ـ لا ننكر جهد هؤلاء المخلصين فكلهم خيار من خيار ، وقد صدرُوا عن إخلاص لا يتطرق إليه الشك ، ولكننا نرى أن معارضيهم من المتشددين أقوى حجة ، وأوضح طريقاً ، والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق فى طليعة هؤلاء الملتزمين بالنصوص الصريحة ، وقد ثبت بآرائه فى وجوه العواصف العاتية . ولكنه ـ فى فتاويه الاقتصادية ـ أبان وجهة نظره بما لا يحتمل اللبس ، وفى المجلد التاسع من الفتاوى الإسلامية التى صدرت عن دار الإفتاء ثلاث عشرة فتوى صريحة تحت عنوان : (من أحكام التعامل مع البنوك) تتجه اتجاها صريحا نحو تحريم الفوائد المصرفية ، وأرباح شهادات الاستثمار ، وقد استغرقت ما بين ص ٣٣١١ وحتى ٣٣٥٨ . ولابد من اختيار ما يدل على فحواها من إفتاء الفقيه الكبير .

(١) تراجع مجلة الأزهر ، الجزء الثامن شعبان ١٣٨٠هـ ففيها بحث عن المؤتمر ، وتلخيص لرأيى جاويش والشيخ رشيد ابتداء من ص ٨٣٩ .

ففى الفتوى الخاصة باستثمار المال فى أذون الخزانة ، وسندات التنمية ، عرض المفتى الأكبر لتوضيح وجهة نظر المستفتين وانتهى إلى قوله[2] :

« ولما كانت أذون الخزانة وسندات التنمية التى تصدرها الدولة بمعدل فائدة ثابت من باب القروض بفائدة ، وقد حرمت الشريعة الإسلامية القروض ذات الفائدة المحددة أيا كان المقرض والمقترض ؛ لأنها من باب الربا المحرم شرعا ، بالكتاب والسنة والإجماع ، فإن تحقيق رغبة المستثمرين وحرصهم على الكسب الشرعى الذى أحله الله يستلزم ألا تستغل أموالهم على غير رغبتهم فى هذه الأذون والسندات ، وإنما تستغل فى المشروعات غير الربوية كالمينة بكتاب البنك ، وحتى لا يخرج البنك عن حدود وكالته لهؤلاء يتعين الالتزام بما رغبوا فيه » .

وفى الفتوى الخاصة بما تقوم به المنظمات التعاونية من مدخرات للأعضاء فى قروض ذات فائدة ، بسط المفتى الأكبر قضية هذه المدخرات على الوجه الفقهى الصريح ليقول فى نتيجة بحثه :

« إن الفائدة المحرمة فى الإسلام هى تلك التى سماها (الربا) ، وهو كل زيادة مالية فى معاوضة مال بمال ، بدون مقابل حقيقى ، وتحريم الربا بهذا المعنى أمر مجمع عليه فى كل الأديان السماوية كما أخبرنا القرآن الكريم ، والفتوى مستفيضة سابقة ملأت ثلاث عشرة صفحة فلا سبيل إلى تلخيصها ، وتكفى الإشارة إليها »[3] .

أما موقف الإمام من عائد شهادات الاستثمار فذائع مشتهر ، وقد تناوله بالنقد من لا يعرف حرمة البحث الفقهى ، ويقدر وجهة النظر المخالف ، وبخاصة إذا كان صاحب هذه الوجهة أكبر فقيه ملتزم يتبوأ أكبر مركز علمى فى العالم الإسلامى ، وقد أحس الإمام الأكبر أن الجمهور فى حاجة إلى الإيضاح الموجز ؛ كيلا يضيع تفكيره فى عجاج النصوص ، وتناطح النقول فسرد هذا القول الصريح الناطق بفحواه دون التباس :[4]

« إن الإسلام حرم الربا بنوعيه ، ربا الزيادة وربا النسيئة ، وهذا التحريم ثابت قطعا بنص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وبإجماع أئمة المسلمين منذ صدر الإسلام حتى الآن ، ولما كان الوصف القانونى لشهادات الاستثمار أنها قرض بفائدة ، وكانت نصوص الشريعة فى القرآن والسنة تقضى بأن الفائدة المحددة مقدما ، من باب ربا الزيادة المحرم ، فإن فوائد تلك الشهادات ، وكذلك فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة ، تدخل فى نطاق ربا الزيادة ولا يحل الانتفاع بها ، أما ما يقال بأن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولى الأمر . فإن هذا النظر غير وارد ، بالنسبة للشهادات ذات العائد المحدد مقدما ، لاسيما وقد وصف بأنه فائدة بواقع كذا فى المائة ، وقد يجرى هذا النظر فى الشهادات ذات الجوائز دون الفوائد ، وتدخل فى نطاق الوعد بجائزة ، الذى أجازه بعض الفقهاء ، والله أعلم » .

(٢) الفتاوى الإسلامية ـ الجزء التاسع ص ٣٣١٣ .

(٣) المجلد التاسع من الفتاوى ص ٣٣٢١ وما بعدها .

(٤) المجلد التاسع من الفتاوى ص ٣٣٣٦ .

وهكذا مضى الإمام فى بقية الفتاوى المدونة تحت عنوان (من أحكام التعامل مع البنوك) .

وفى غير هذا العنوان من مجلدات الفتاوى الإسلامية ، أفتى الإمام الأكبر فى شئون اقتصادية تشغل الذهن المعاصر ، وأتى فيها بما يراه الحق فى ضوء ما اهتدى إليه من مقررات ، ومنها فتواه فى التأمين ضد الحرائق ، حيث عرض وجهة نظر القانون المدنى التى ترى مسئولية المؤمن عن كافة الأضرار الناشئة عن حريق أو بداية حريق يمكن أن تصبح حريقا كاملا ، والتأمين على ذلك يكون مقصودا به تعويض المؤمن عليه من خسارة تلحق ذمته المالية بسبب الحريق .

هذه وجهة نظر القانون المدنى ، وقد عارضها الإمام[٥] بأن المعروف فى الشريعة الغراء أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة ، إلا إذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق ، أو أضاعه على صاحبه أو أفسد عليه الانتفاع به بحرقه أو تمزيقه أو هدمه ، ولا شىء من ذلك يتحقق فى التأمين ضد الحريق ، وغيره من أنواع التأمين التجارى ، حيث يقضى التعاقد أن تضمن الشركة لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بحرق أو غرق أو بفعل اللصوص أو قطاع الطريق ، كما أن المؤمن لا يعد كفيلا بمعنى الكفالة الشرعية ، وتضمين الأموال بالصورة التى يحملها عقد التأمين محفوف بالغبن والحيف والغرر ولا تقر الشريعة كسب المال بأى من هذه الطرق وأشباهها؛ لأنها لا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

أما الفتوى الصارخة فى وجه الظلم الصريح الذى عمّ وباؤه مصر ، بشأن التعويض الجائر عن إخلاء الأراضى الزراعية إذ يرى المستأجر أنه شريك المالك فى أرضه ، وبذلك يستحق نصف الثمن فى سبيل الإخلاء ، هذه الفتوى قد حسمت الموقف حسما صريحا حيث قررت[٦] أن عقد الإجارة لا يستتبع ملكية العين المؤجرة ، وأخذ نصف الثمن أمر محرم ، ويصبح - إذا تم - من أكل أموال الناس بالباطل المنهىّ عنه بقول الله - عز وجل - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾

من الآية ٢٩ من سورة النساء

ويكون إثمه على المستأجر ، إن لم يرض المالك رضاء تاما بهذا التصرف ! وأنا أقول : وهيهات أن يرضى !

وأختم ما يدور فى فلك المسائل الاقتصادية بالفتوى الخاصة بالعربون حين لا تتم الصفقة ، إذ دأب بعض المالكين على اعتبار ما قدم من المال عربونا لا سبيل إلى رده إذا لم يتم البيع ، وهذا غصب دون حق ، وفى سبيل توضيح الفتوى الحاسمة بسط الإمام الأكبر أقوال جمهور العلماء من أئمة السلف فى هذه المسألة بعد أن نقل الأحاديث الناهية من السنة المطهرة وشفعها بأقوال مالك وأبى حنيفة وابن حنبل والشافعى بما لا يدع مجالا

(٥) المجلد العاشر من الفتاوى ص ٣٤٤٧ .

(٦) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٦٤ .

للتوقف . وانتهى المفتى الأكبر إلى قوله[7] : « ولما كان ذلك يكون مبلغ العربون الذى دفعه المشترى إلى البائع ولم تتم الصفقة محرما على البائع ، ويتعين عليه رده إلى المشترى إذا كان معروفا لديه وعلى قيد الحياة ، وإلى ورثته إن كان قد توفى ، فإن لم يعلم بذلك ولا بورثته ، فعلى البائع التصدق بمبلغ العربون فى المصالح العامة للمسلمين كبناء المساجد أو المستشفيات لأن عليه التخلص مما حازه من مال محرم ، ولا يحل الانتفاع به لنفسه » .

وإذا كنت قدمت نماذج من الفتوى تصور النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فقد بقى ما يصور الناحية التاريخية ، وأمثلتها واضحة فيما نقرؤه من هذا الفيض الزاخر .

فحين تحدث الإمام الأكبر عن التعزير بالحبس أكد أنه موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين ، وأنه يكون فى قضاء الديون كما يكون فى الجرائم بشرط أن يكون الدين حالا ؛ إذ لا حبس فى الدين المؤجل ، ولن يكون الحبس فى الدين إلا إذا طلبه الدائن ، أما فى الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة ، وبعد أن أكد المفتى الأكبر ما يتصل بهذه الأحكام فى تصوّع بيّن انتقل إلى الناحية التاريخية فقال :[8] .

« لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام ، وإنما ترك تحديد معالمه ، وفقا لتطور الإنسان واتساع العمران ، وانحسار الإيمان من القلوب ، وانعدام مراقبة الله جريا وراء المادة والمادية ، ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد ، فقد حبس رسول الله ﷺ رجلا فى تهمة ، فربطه فى سارية المسجد ، وكان هذا الفعل كافيا فى امتثال هذا الرجل واحتباسه أنفاسه وجسده حيث وضعه الرسول ـ صلوات الله عليه ـ ، فلا يمكن أن يخطر بباله الخروج على حكم الرسول ، فلم إذن السجن والسجان وقتئذ ؟ وجرى هذا أيضا فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ . ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن ، كانت جبا يحفر فى الأرض يستقر فيه المسجون ، ولم تكن مدة السجن موضوع تحديد ؛ لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة ، وكان لأولئك سجن ، ولهؤلاء سجن . وكما هو مشهور فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام أبى حنيفة وكالإمام أحمد ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ، وهذا فى العصر العباسى » .

ومما يجدر ذكره أن حديث المفتى الأكبر عن تاريخ السجون ، جاء فى بحث شامل فيّاح عن مرونة الشريعة الإسلامية ، تصلح عناصره أن تكون مجلدا كبيرا يصور هذه المرونة فقد تحدث الفقيه المؤرخ عن ثبات الأصول التشريعية فى القرآن والسنة بإفاضة ، كما ألمح إلى أهم خصائص التشريع الإسلامى منتقلا إلى الأدلة على هذه المرونة الطيّعة فى إصدار الأحكام وتنفيذها

(٧) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٧٣ .

(٨) الأزهر فى ندوة الفقه الإسلامى بعمان (ملحق مجلة الأزهر) شوال ١٤٠٨ ص ٥٦ .

فذكر طرفا من النواحي الدستورية والنواحي التجارية مما تمس إليه الحاجة في هذا العصر ، كما أفرد حديثا هاما عن الشريعة الإسلامية باعتبارها مصدرا أساسيا للقواعد القانونية بما فيها قواعد القانون التجارى ، والقانون الجنائى ، وضرب الأمثلة الشافية تطبيقا على ما يقرر من أحكام ، وجعل خاتمة بحثه عن تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ، باعتبار ذلك من أوضح خصائص هذه المرونة الطيّعة ، والبحث دقيق مستوعب على إيجازه .

ومثال آخر على الاهتمام بالناحية التاريخية نجده فيما كتب المفتى الأكبر عن تاريخ الإفتاء المعاصر ، ومهام دار الإفتاء بالقاهرة ، إذ لو استطعنا أن نجد دلائل على نظام الفتوى فى الزمن الغابر ، فإن تاريخ الإفتاء المعاصر لم يجد من يؤرخه على وجهه المتصل الحلقات ، وقد قال المفتى الأكبر بصدد ذلك[9] : « لم أعثر — بالرغم مما بذل من جهد فى البحث والرجوع إلى المصادر التاريخية ، وسؤال بعض المؤرخين الإسلاميين المعاصرين — على بدء إنشاء دار الإفتاء بوضعها الحالى . فيما قبل شهر جمادى الآخرة ١٣١٣ هـ ونوفمبر ١٨٩٥ م ، فقد تردد لقب المفتى . أو مفتى الديار المصرية ، فى بعض اللوائح والقوانين الصادرة فيما قبل هذا التاريخ ، على نحو ما سنبيّنه بعد ، ثم سرد ما استطاع جمعه من أخبار الإفتاء قبل هذا التاريخ ، وهذا جديد كل الجدة على الباحثين ، إذ لم أقرأ مثل هذا التسلسل الخاص بالإفتاء منذ ولاية محمد على إلى نوفمبر ١٨٩٥ م ، وقد استغرق هذا التسلسل عدة صفحات متوالية كلها جديد ، وأذكر أن القاضى الكبير الأستاذ محمود محمد عرنوس مؤلف كتاب القضاء فى الإسلام قد شكا فى بعض مقالاته ما يجده من الغموض المدلهمّ فى محاولة تاريخ هذه الفترة ، وظلت شكواه عالقة بذهنى حتى قرأت ما كتبه المفتى الأكبر ، فرأيت بريقا يسطع فى ظلمات ، أليس هذا تاريخا جديدا فى فتوى تاريخية ؟

كما استرعى انتباهى هذه الصيحة الرنانة التى أوقف بها المفتى الأكبر عملا بغيضا ما كان يجب أن يخطر فى بال مسلم يعيش فى أرض الإسلام والعروبة والأزهر ، حين نشرت جريدة الأهرام تحت عنوان : (مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل) ، فقالت ما ملخصه : إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء فى مصر ، ويلبسونها أفخر الثياب ، ويلقونها فى النيل ، وعندما جاء العرب استبدلوا العروسة بتمثال لعروس النيل ، وفى هذا العام يتخذ الاحتفال مظهراً أكثر حيوية ، ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥ إلى ٢٥ للاشتراك فى مسابقة ملكة جمال النيل أمام لجنة التحكيم التى ستنعقد لاختيارها ، وإن العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس الجارى من أمام الميرديان فى موكب داخل مركب فرعونى ، ثم مركب بها ٤٠٠ مدعو من مختلف الهيئات

---

(٩) الفتاوى الإسلامية (المجلد العاشر) من ص ٣٦٥٠ إلى ص ٣٦٦٧ .

الدبلوماسية ، ومن ورائهم خمسون مركبا شراعيا حيث يسير هذا الموكب من فندق الميرديان إلى كوبرى قصر النيل ، وتبدأ المراسم المتبعة فى ذلك ، ويلقى محافظ القاهرة الوثيقة ، وتطلق الصواريخ ، وتقفز العروس إلى النيل » .

ما كاد هذا النزق السفيه ينشر فى الأهرام حتى علت صيحة المفتى الأكبر فى مقال رنان تحت عنوان (أوقفوا فورا هذا العبث باسم وفاء النيل) ، ولا يتسع المجال لنشر ما دفع به[10] المفتى الكبير أصحاب هذا النزق الطائش ، وقد سجل صريحا ما يراه من أن فى هذا الطيش عودة إلى سوق النخاسة والرقيق الأبيض ، وأن دعوة مصر بلد الإسلام والأزهر التى جعلها الله قائدة للعرب والإسلام لهذا البغى المنكر ردة إلى جاهلية عمياء ، لا تفرق فيها بين الحلال والحرام ، فأى وثيقة هذه التى يلقيها المسئول الكبير فى النيل مع العروس التى اشترط أن تجيد السباحة ، وأن تلتقطها فرق الإنقاذ ، أى إهانة للأنثى ! وأى وثيقة يمكن أن تكتب وقد كان هذا الرأى الحاسم كافيا للقضاء على هذا البغى الصريح ! فاضطر أصحاب العبث إلى النكول عنه ! والغريب بعد هذا كله أن أسطورة عروس النيل هذه ، لم تحدث أصلا ، وإنما هى أكذوبة اخترعها ذو الخيال المشطط ، وقد فندها الكاتب الكبير الأستاذ عبدالقادر حمزة فى كتابه الرائع ، (على هامش التاريخ المصرى القديم ، بما ينتزعها من الأوهام ، ولكن القوم لا يقرءون .

هذه خطوط ميدانيـــة تشير إلى أنماط من الاتجاهات الفقهية لدى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، ولا أظن أنى وفيت الموضوع حقه . ولكنى أرجو أن ينهض من الدارسين الذين يسطرون رسائل الدكتوراه فى الفقه الإسلامى من يدور موضوع رسالته حول هذا النتاج الفقهى الكبير الذى سطره الإمام الأكبر . ليستطيع أن يعطى الموضوع حقه فى رسالته المبسوطة ، مع أستاذ مشرف يعلم غور البحث . ويدرك أبعاده فيسير بالباحث إلى نهجه السليم ، لا أقول ذلك خاصا بالإمام الأكبر وحْده بل بأعلام الفتيا فى هذا العصر ، ومن الحظ السعيد لهؤلاء الباحثين أن مجموعات الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء قد سجلت فى مجلدات مستقلة ، إذ عمل الأستاذ جاد الحق على بعثها من الأضابير المجفوة ، وقام على نشرها فى جدّ راصد ، حتى أصبحت ذخيرة حية فى المكتبة الإسلامية ! وفى المجلات الإسلامية فيض زاخر من هذه الفتاوى الصائبة لكبار الفقهاء .. وفى ذلك كله مجال للدرس والشرح والموازنة والترجيح .. فأين المستجيب ؟

---

(10) الفتاوى الإسلامية (المجلد العاشر) ص ٣٥٨٣ وما بعدها .



فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾

حزن أسارى بدر لما قدموه للمسلمين من الفدية ، وقال العباس لرسول الله ﷺ : ما تركت لى شيئاً ، وقد عزاهم الله واستمالهم للإسلام بهذه الآية ... إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » .

والخطاب لرسول الله ﷺ طبقاً للنص « يأيها النبى » ويجوز أن يكون خطاباً للمسلمين جميعاً ، فقد تستفتح الآية بتوجيه النداء إلى النبى ثم يكون الخطاب للأمة كلها . كما فى قوله تعالى : « يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » والأقرب هنا أن يكون الخطاب للنبى لإفراد الأمر « قل » — ولأن الذين تحت أيديهم أسرى لا يتصرفون إلا بأمره . وقد كان الأسرى تحت أيدى عدد من المسلمين ، وكان العباس بن عبدالمطلب أسيراً عند أبى اليسر — كعب بن عمر من بنى سلمة ، وكان رجلا قصيراً وكان العباس طوالا ضخماً ، فلما جاء به أبو اليسر إلى رسول الله ﷺ قال له : « لقد أعانك عليه ملك » .

ومعنى فى أيديكم تحت سيطرتكم — فهم لا يتحركون ولا يستطيعون الفرار كمن فى قبضتكم . والأسرى جمع أسير ، ويقال أسرى وأسارى .

قيل الآية نزلت فى شأن العباس وأصحابه . ويعزى هذا القول إلى ابن عباس — قالوا للنبى ﷺ : آمنا بما جئت به . ونشهد انك لرسول الله ، والله لننصحن لك على قومك فنزلت هذه الآية .

والواضح الظاهر من النص أن الآية فى شأن الأسرى جميعاً ، بدليل الجمع فى أيديكم — والأسرى — ويؤتكم .. الخ » وكلمة الأسرى عامة ، والحكم الشرعى للجميع لا لفئة معينة .

ويختلف المفسرون فى مقدار الفدية التى أخذت من أسرى بدر والأكثرون على أنها أربعمائة ، ولعلها اختلفت بين شخص وآخر — قال القرطبى فى تفسيره : « بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ فى فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا » وقال بعض الأنصار لرسول الله ﷺ : دع للعباس فداءه ، لأنه ابن أختنا — لأن جدة العباس — أم عبدالمطلب — كانت من بنى النجار ، فأرادوا إكرامه ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل ، بل زاد عليه فى الفداء ، لأنه مؤمن ، وكما ذكرنا من قبل — كان المسلمون فى حاجة إلى المال — ولم يقبل النبى مجاملة عمه ، ولعله لو قبل هذه المجاملة وأعفاه من الفدية لكان للناس فى هذا لغط واتهام لرسول الله ﷺ .

قال العباس : يا رسول الله — إنى كنت مسلما ، ولكنى أكرهت على الخروج للحرب .

فقال له رسول الله ﷺ : الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك وابنى أخويك — نوفل بن الحرث ، وعقيل بن أبى طالب ، وحليفك عتبة بن عمرو ، أخا بنى الحرث بن فهر ، وكان مع العباس حين أسر عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم المحاربين من مكة منها . وكان المطعمون من قريش عشرة — أولهم أبو جهل نحر لهم عشر جزائر بمر الظهران . ونحر لهم سفيان ابن أمية بعسفان تسع جزائر ، ونحر لهم سهيل بن عمرو عشرا بقديد ، ووقع العباس فى الأسر قبل

أن يعمل لهم شيئا ، وبقيت معه أواق الذهب العشرون فأخذها المسلمون غنيمة ، وكلم العباس رسول الله ﷺ فى هذا الذهب ليرده عليه فقال له : أما شىء خرجت لتستعين به علينا فلا . واستقل العباس هذا الفداء فقال : تركتنى يا محمد أتكفف قريشاً ، فقال له : أين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة ، فقلت لها : إن أصِبْت فى سفرى هذا فهذا المال لبنى الفضل وعبدالله وقثم ؟ قال من أنباك هذا ؟ قال النبى ﷺ الله ، قال العباس : أشهد أنك رسول الله حقاً ، والله ما علم بهذا المال غيرى وغير أم الفضل ولقد أعطيتها إياه ليلا .

وجاء فى حديث عن ابن عباس : كان فداء الأسير أربعين أوقية ذهبا . وجعل رسول الله ﷺ على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين ، فقال له العباس : أللقرابة صنعت هذا ؟ فنزلت الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

وقال العباس بعد ذلك : وددت لو كنت قد أخذ منى أضعافها ، لقوله تعالى : « يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ » .

ويقال إن العباس أسلم من يومئذ ورجع إلى مكة فظل يكتم إسلامه من قومه ، وصار يكاتب رسول الله ﷺ بالأخبار ثم هاجر قبل الفتح بقليل ..ولكن هذا القول لا يخلو من مبالغة خصوصاً فى مسألة الهجرة . لأننا فى يوم الفتح نجده مع أبى سفيان يتنطسان الأخبار ، ويجوز أنه أسلم منذ إذن ولكن لا مساغ للقول بهجرته .

الخير الذى يعلمه الله فى قلوبهم هو الإيمان والتصديق برسالة الإسلام . وأما كلمة خير فى قوله تعالى : « يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ » فهى اسم تفضيل ، بمعنى أفضل وأكثر . وهذا الخير الموعود يشمل خيرى الدنيا والآخرة . وهذا ترغيب للأسرى فى الإسلام وإعلام لهم بما ينالونه من الخير إن أسلموا . أما خير الآخرة فأمره ظاهر ، وأما خير الدنيا فهو الكسب المادى الذى يمن الله عليهم به .

وقـدم على رسول الله ﷺ مرة مال من البحرين ، وكان قد توضأ ليصلى الظهر ، فقسم هذا المال كله قبل أن يصلى ، وقال له العباس : إنى فاديت نفسى وفاديت عقيلا . فقال له ﷺ : خذ فبسط ثوبه وأخذ ما استطاع أن يحمله ، وقال : هذا خير مما أخذ منى ، وأنا بعد أرجو المغفرة .. يشير إلى قوله تعالى : « ويغفر لكم » قال : وأعطانى زمزم وما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة .

وختمت الآية بجملة « وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » تأكيداً للثقة بالمغفرة لأن الله سبحانه من صفاته الغفران والرحمة .

وقرئت الآية ــ أيضاً ــ : « **ويؤتكم خيراً مما أخذ منكم** » ببناء الفعل للفاعل ، إشارة إلى أن الفداء الذين قدموه إنما هو لله ، وثوابهم عليه منه سبحانه ، والآية متسقة مع ويغفر لكم .

وجاء فى بعض كتب التفسير فى هذا الصدد رواية مسنده للسيدة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ خلاصتها أن زينب بنت رسول الله ﷺ كانت حتى غزوة بدر فى مكة ولما أرسل المكيون فداء أسراهم بعثت هى ـ أيضا ـ تفتدى زوجها أبا العاص بن الربيع فأرسلت قلادة لها كانت أمها السيدة خديجة قد أهدتها لها يوم زفافها فعرفها رسول الله ﷺ وردها لها .. الخ .

وهذا قصص معروف لا أطيل بذكره . ولكن أبا العاص كان قد وقع أسيراً بعد ذلك ، وكانت زوجه بالمدينة فحملها الوفاء له أن تفتديه ، وعفا عنه رسول الله ﷺ وكان أبو العاص وفياً كريماً ، ذهب إلى مكة فأعطى كل ذى مال ماله . ثم نادى بينهم : هل أديت أماناتكم ؟ هل لأحد منكم لدى حق أو مال ؟ قالوا : لا لقد أديت ووفيت فجزاك الله خيراً ، قال : إذن فاعلموا أننى مسلم وجهر بشهادة الإسلام بينهم ، ثم هاجر إلى المدينة فرد النبى عليه زوجته ـ فهو إذن من المسلمين المهاجرين ، ولكن زينب كبرى بنات الرسول ما لبثت أن ماتت .

إنى أميل إلى الرواية التى تذكر أن أسره وفداءه والمن عليه كانت يوم عودته من الشام بعد ذلك ، وقد كان إسلامه بعدها ، ولا مانع من تعدد الواقعة .

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾

هذا مقابل لما فى الآية السابقة : « إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا » والخيانة فى هذا عدم الاخلاص للرسول ﷺ وللإسلام والمسلمين بأن يتظاهروا بالإسلام والولاء لدعوته ، ثم هم يضمرون عداءه وحربه ـ وتقدير الكلام إن يريدوا خيانتك ونقض عهدك فلا تخف ولا تعجب لسوء تصرفهم ، فهذه الخيانة من طباعهم لأنهم خانوا الله ـ تعالى ـ ونقضوا عهده ـ فعبدوا الأوثان وجعلوا لله أنداداً ـ فلا عجب ولا غرابة أن يريدوا ويعزموا على خيانتك .

وعهد الله وميثاقه الذى خانوه هو ما أخذه على البشر بما ركّب فيهم من العقل ونصب أمامهم من الأدلة على وجوده ووجوب إخلاص العبادة له : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ـ «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» . فالعدول عن التأمل فى ملكوت السموات والأرض وعما فى أنفس البشر والحيوان من الدلائل العقلية والكونية عدول عن عهد الله . وقد أمكن الله منهم باذلالهم وهزيمتهم أمامك على كثرة عددهم واكتمال عددهم بينما المسلمون الذى غلبوا لم يكن لهم من ذلك شىء ! فذلك نصر الله أولياءه وحث لأنهم أعداءه .

ويبدو فى هذا الكلام تبشير المؤمنين وتحذير الكفار . وقد تم ذلك كله بهزيمة المشركين ونصر المسلمين بفتح مكة . ثم باستمرار نداء الإسلام والاستجابة له بعد ذلك .

فى الآية إذن تبشير بنصر دعاة الإسلام تبشير لهم بحسن الأجر والمثوبة ، وتهديد وتحذير لأعداء الإسلام .

والله سبحانه عليم بكل شىء عليم بأسرار القلوب ، عليم بالمخلصين .



عنايـة الإسـلام باليـتيـم والمرأة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى الإمام ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنى أحَرِّج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » .

قال النووى فى معنى أحَرِّج : ألحق الحرج ـ وهو الإثم ـ بمن يضيّع حقهما ، وأحذّر من ذلك تحذيراً بليغاً ، وأزجر عنه زجرا أكيدا . وبعد :

فإن الرحمة خلق الإسلام ، وصفة من صفات الرحمن الرحيم ، وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معانيها ، وسور القرآن مفتتحة (باسم الله الرحمن الرحيم) الذى وسعت رحمته كل شىء ، وأرسل الله رسوله ﷺ بالخير والسلام والبر والرحمة بالناس أجمعين ، حيث قال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧

اتصف بها الرسول الأكرم ، وأرشد إلى أنها سبيل الإيمان الكامل ، وفى ذلك يقول ﷺ « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » رواه الطبرانى .

وقال .. عليه الصلاة والسلام : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، وأنزل فى الأرض جزءا واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » ـ البخارى ـ و « لا تنزع إلا من شقى » رواه أبو داود .

وحين أمر الإسلام بالرحمة والتراحم بين البشر ـ بل الطير والحيوان ـ نبه الإسلام إلى أن هناك صنفين مخصوصين ينبغى أن يحظيا بالنصيب الأوفر من الرحمة والرعاية ـ بعد الوالدين وذوى الأرحام ـ وهما كما جاء فى حديثنا : اليتيم والمرأة .

اليتيم : من فقد أباه الذى كان يرعاه بنفسه وماله قبل أن يصل إلى سن البلوغ . ومن الحيوان ما فقد أمه . واليتم مظهر من مظاهر الضعف والحاجة ، واليتيم فى أشد الحاجة إلى الراعى الأمين الذى يخاف رب العالمين : واليتيم جعله الله اختباراً وامتحاناً للضمائر والذمم تظهر فيه المعادن النفسية من الخبيثة ، والأمانة من الخيانة ، ومن هنا أوصى الله ـ عز وجل ـ باليتيم فى آيات كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ليشب إنسانا كريما مهذبا عزيز النفس ، وذلك إنما يكون بالرفق به ، والإحسان إليه ، وحسن التصرف معه ، والمحافظة على ماله والعناية بتربيته ، وتهذيب نفسه ، وتوفير الطمأنينة له حتى ينشأ إنساناً كريماً وعضواً نافعاً لنفسه ولدينه ولوطنه .

ومن أجل هذا يوجه القرآن الكريم كل عاقل يحب أن تعامل ذريته من بعده معاملة طيبة فعليه أن يعامل ذرية الناس معاملة طيبة حيث يأمر الله الناس بتقواه ومراقبته فى الأيتام وأولاد غيره . فيقول ـ عز من قائل :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٩

ويخبر القرآن الكريم أن آكل مال اليتيم بدون حق إنما يملأ جوفه من نار جهنم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٠

قال السدى : يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه بآكل مال اليتيم .

بل إن من أمارات المكـــذب بالجزاء والحساب فى الآخرة من يدع اليتيم أى : يدفع اليتيم عن حقه ، ويزجره ويقهره ويعامله بخشونة وقسوة ، تكبرا عليـــه واحتقارا لشأنه ، ولفقده النصير قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ ﴾ سورة الماعون .

ومما جاء عن رسول الله ﷺ : فيما رواه ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » .

ولقد بين رسول الله ﷺ مكانة كافل اليتيم فى الجنة صاحبا وقريباً . فقال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وقال ـ أى أشار ـ بأصبعيه السبابة والوسطـــى » البخارى وغيره ، وفى حديث عوف بن مالك ، أن النبى ﷺ : قال : « أنا وسفعاء الخدين ـ أى التى شحب لونها من قيامها على خدمة ولدها ـ كهاتين يوم القيامة ، وفى رواية أخرى مدح ﷺ » إمرأة ذات

منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا » أبو داود .

فطوبى لأصحاب القلوب الرحيمة الذين يبسطون رعايتهم على اليتامى ويساعدونهم فى خضم الحياة ويرفقون بهم ، ويعملون على توفير سُبل الحياة الكريمة لهم .

● ● ●

اما الضعيف الآخر الذى حرم رسول الله ﷺ ضياع حقه فهو المرأة وهى إما بنت ، أو أخت ، أو زوجة ، أو أم . وفى كل الأحوال دعانا ديننا إلى رعايتها والعناية بها . وإننا لنجد فى كتاب الله فى أكثر من عشر سور من سور القرآن ما يصور للناس عناية الإسلام بالمرأة ، وحظوتها عنده فهى شريكة الرجل فى الأصل الذى تكوّن منه الإنسان وتكاثر ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .. ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١

وهى شريكة للرجل فى بناء حياة الأسرة ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً .. ﴾

سورة النحل ـ الآية : ٧٢

والحفيد هو ولد الإبن ذكرا كان أو أنثى .

وهى قبل ذلك جعلها الله من تمام رحمته بنى آدم حيث جعلها زوجة له من جنسه كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

سورة الروم ـ الآية : ٢١

ولقد ساوى الإسلام بينها وبين الرجل فى الجزاء ـ قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة النحل

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٢٤

ولم يجعل الإسلام عقد الزوجية كعقد التمليك والبيع ، وإنما جعله ميثاقا غليظا فى معرض تحذير الرجل أن يأخذ شيئاً مما دفعه للمرأة ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٢١

وحين جعل الإسلام أساس الحياة الاجتماعية بناء الأسرة على أسس سليمة ، وأمر الرجال أن يعاشروا نساءهم بالمعروف ، وألا يتابعوا أهواءهم وعواطفهم الجامحة ، قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٩

وإذا حدث منها نشوز وإعراض عنه وعدم استجابة لأمره ، فقد يكون هو السبب فإن لم يكن فإن الإسلام يدعو الرجل وهو رب الأسرة والأكثر صبرا والأقوى على مغالبة الصعاب ، أن يتحمل أذاها ، وأن يقابل غضبها بالحلم والوقار ، وأن يعظها ويخوفها عقاب الله الذى حرم عليها معصية زوجها ، وأوجب عليها طاعته ، فإن لم تتعظ هجرها فى المضجع تأديباً لها حتى ترجع . كما قال تعالى : ﴿ وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

سورة النساء

روى أبو داود عن معاوية بن حيده – رضى الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » .

ولقد أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيرا فقال ﷺ : فيما رواه ابن ماجه ، عن ابن عباس – رضى الله عنهما : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

قال العلماء : المطلوب أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه ، وكف الأذى ، والإحسان إليها ، والصبر على أذاها ، وحفظها عن موقع الريبة » .

ولنسمع إلى الهدى النبوى فى حجة الوداع ، حيث يقول : بعد أن حمد الله – تعالى – وأثنى عليه وذكر ووعظ : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوانٌ عندكم (أى كالأسيرات) ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك – إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ؛ فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إلا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ، إلا يوطئن فُرُشَكم من تكرهون ، ولا يأذَنّ فى بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم . أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه ابن ماجة والترمذى .

قال أنس – رضى الله عنه – كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان ﷺ يطيب قلوبهن ، ويمزح معهن . كما أكد الوصية بهن فى آخر حياته فقال : الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم : لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء ؛ فإنهن عوان فى أيديكم – يعنى مثل الأسرى – أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

إن خير المسلمين من كان مع أهله طيب العشرة ، حسن المعاملة دائم البشر ، يتلطف بهم ، يدخل السرور عليهم بالكلمة الطيبة ، والرفق بهم عند الجفوة ولا يهجر إلا فى البيت .

إن الإسلام يرى أن المرأة خلقت لتقوم بدور خطير فى المجتمع ، وهو أن تكون شريكة للرجل فى حفظ أمانة الحياة ورعاية الأجيال ، حيث تصنع الطفولة ، وتتعهد الرجولة وتشيع فى بيتها الحب والأمن والحنان ، ورسالتها فى الحياة أن تكون زوجا مسعدة وأما حانية ، وهى بذلك تحقق الطمأنينة بحسن تعهدها لزوجها وأبنائها . وهذا مساوٍ تماما لمرتبة الجهاد فى سبيل الله .

محمد صلى الله عليه وسلم بين التحامل والإنصاف

أ.د. محمود محمد رسلان

ما من نبي أرسل إلى قومه إلا كان له معارضون ، ومؤيدون ، وقد نال نبينا محمد ﷺ من هذا الأمر القسط الأوفر منذ بعثته وحتى اليوم ! ولما كان ما جاء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق من الحق الأعلى ـ تبارك وتعالى ؛ فقد حالفه النجاح ، كما كان صموده مدعاة للقلوب أن تتفكر وتتدبر ، لقد تحدى الإسلام معانديه ، ولا يزال توفيقه قائماً يتحدى معانديه إلى يوم الدين .

ومن عظمة الإسلام أنه لا يضيق ذرعاً بالمعاندين ، بل يقوى ويشتد إذا أُثير ، أو اعْتُدِيَ عليه ، إنه جاء ليعايش حركة الإنسان ، ولا ينعزل عنها ، بل يوجهها الوجهة الصحيحة لتصل إلى هدفها الأعلى ، على هذا الهدف الذى يعنى عزة الإنسان وأمته : دنيا وأخرى ، ورسول الإسلام محمد ﷺ جاء مبلغاً عن الله ـ سبحانه ـ بهذا الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة : ٣ .

إن من يعرف محمداً ﷺ عن علم بريء من سوء القصد ، ووعي مُتدَبِّر يحب محمداً عليه الصلاة والسلام ، ومن لا يعرفه يجهل قدره ، والإنسان عدو ما يجهل . إن الذين تحدوا رسول الله ﷺ إبان دعوته نظراؤهم اليوم كثير ، ومنهم من هو أكثر مكراً ، وأشد افتراء :

ففى مكة علقوا إيمانهم به ﷺ على أمور عدة القصد منها : التحدى والتعنت والتعجيز ، لخصها القرآن الكريم فى هذه الآيات :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

سورة الإسراء

ويأتى نظراؤهم اليوم ليصرفوا الناس عن دعوته ﷺ وما جاء به من وحى ، ويتربصوا به وبالمسلمين الدوائر ظناً منهم أنهم يستطيعون بذلك القضاء على الإسلام .

تعصب بغيض :

وإليك جانباً من الوجه المظلم لهؤلاء المتعصبين ضد الإسلام منذ القدم ، فعندما انتشر الإسلام وارتفعت ألويته خفاقة فى ربوع الدنيا ، انبرى له رجال الدين فى الغرب - منذ عصر القرون الوسطى - لمدافعته ، يملأ صدورهم الخوف منه والحقد عليه ، فإذا بهم يدعون رهبانهم وأحبارهم لدراسته بغية العثور على ثغرة ينفذون منها إليه ، سعياً إلى تشكيك المسلمين بدينهم وزعزعته فى قلوبهم .

ومن جهة أخرى كان تعاون حكام أوروبا مع رجال الكنيسة على تذليل السبيل أمامهم من أجل تدمير الإسلام وإنهاء وجوده ، ومن ثم احتدم الصراع بين مذهبهم والإسلام منذ ذلك التاريخ ،

لكن النصر حالف المسلمين ، واستطاع الإسلام أن يبسط سلطانه على أوروبا طوال العصور الوسطى ، إلى ان دارت دورة التاريخ وتناسى المسلمون حق الإسلام عليهم فانتصرت أوروبا وزحزحتهم عن خير مكان لهم فيها .

وبنجاح أوروبا فى هذه الزحزحة بدأت تفكر فى ضرب المسلمين فى عقر دارهم ، واتخذت لذلك سياستين ، تمخضت إحداهما عن ثالثة .

وأولى تلك السياستين شن حرب صليبية بغية الاستيلاء على أراضيهم ، والمقدسة منها على وجه الخصوص .

وثانيتها : إطلاق سلاح الاستشراق بتوجيه لخدمة السياسة الأولى ، ومن عجب أن هذا السلاح الأخير بدأ بداية غريبة حتى على العلم نفسه ، وذلك باختراع كليات نظرية مصاغة صياغة خاصة فى إطار فكرى جذاب مقصود من وراء إطارها هذا جذب الناس إلى التسليم بمضمونها المناهض - أساساً - للإسلام ، ثم طرحه على الإسلام ليبدو للناس شيئاً غريباً عليهم وعلى حياتهم وتطورهم ، وليس مانع يمنع - مع ذلك - من نبذ الحق ، وغمطه حتى أحرقت نسخة القرآن العربية فى البندقية سنة ١٥٣٠ ، وهكذا ، ظلت شخصيت محمد ﷺ هدفاً لحملات عنيفة غير منصفة كجزء من المخطط المرسوم لمهاجمة القرآن بمهاجمة من أنزل عليه ﷺ ، وأوقف كثير من الكتاب الغربيين أنفسهم على هذه المهمة ، ومع هذا فقد استطاعت سيرة محمد ﷺ أن تنفذ إلى نفوس كثير من الباحثين

المنصفين الذيـــن اعترفـــوا بمكانتـــه ﷺ العظيمة »[1] .

هل هناك منصفون ؟!

إن المنصف يذعن للحق .

إننا لا نشك فى أن هناك منصفين ، لكن الإنصاف الحق إذا وجد يقتضى الانصيـــاع لنتيجته ، وهنا يتبادر — إلى أذهاننا — السؤال التالى :

إذا كانوا منصفين فلِمَ لم يُسلموا .. ؟

وهنا نجيب — بوضوح فنقول : إن كثيراً من هؤلاء المنصفين أسلم فعلاً ، وقامت قيامة قومهم عليهم فتحملوها راضين .

وتبقى — بعد ذلك — كتابات — يغتر بها كثير من السذج ، فإن فى سطورها إنصافاً حقاً ، ولكنها لا تخلو من دس مقصود كأن تجعل الإسلام ديناً قومياً للعرب وليس عالمياً لكل فرد ممن خلق الله — تعالى — فى هذا العالم — منذ بعثته — ﷺ إلى يوم الدين .

فأما المنصفون بحق ، فنحن نعرفهم ، وأسماؤهم لامعة ، من آخرهم : « مراد ويلفريد هوفمان » سفير ألمانيا فى الغرب .

ولنأخذ مثالاً من كتابات أخرى — كتب فارس الخورى — يقول :

« إن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية ، وتشريعية ولم يسع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الشريعة التى دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، ومطابقة لأرق النظم ، إن محمداً .... أعظم عظماء الأرض سابقيهـــم ولاحقيهم .. » ثم يقول عقب ذلك :

« فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة واحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس من أرق الدساتير فى العالم وأكملها »[1] .

وفى العبارة ما فيها برغم ما يتسم به ظاهرها من مدح .

ولقد تتغير العبارات المعسولة من كاتب لآخر ، ولكننا — فى النهاية — ينبغى أن نكون أشد حذراً إزاءها ، لا سيما — والإسلام ، والحمد لله — ليس فى حاجة إليها ؛ فعندنا كتاب الله — تعالى ، وسنة رسوله ﷺ فيهما الكفاية وزيادة .

فى ضوء حديثنا هذا نقدم شيئاً من نماذج القول فى الإسلام ، وقد أهدينا للقارىء إشارة الضوء الذى يجعله يتناول طريقه فى حذر .

وهذه كلمة دائرة المعارف البريطانية :

ففى دائرة المعارف البريطانية « مادة محمد » ﷺ ما ترجمته :

« محمـــد بن عبـــد الله مؤسس الديـــن الإسلامى ، ولد فى مكة عام ٥٧٠ م ، ومات

(١) انظر أنور الجندى : الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الإنسانى ص ١٤٣ المجلس الأعلى القاهرة : ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

عام ٦٣٢ م وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم ، الذي أحدثه محمد ، لقد أحدث أثراً دينياً عميقاً لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحق والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم » .

وتكمل دائرة المعارف البريطانية حديثها قائلة :

« على أن أثره التاريخي يبدو بالأكثر عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة منذ بدأ دعوته ، قوض دعائم أكبر امبراطوريتين عتيدتين هما الامبراطوريـــة البيزنطيـــة ، والامبراطوريـــة الفارسية ، مؤسساً على أنقاضهما حضارة جديدة ولقد أرسى منذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة ، قواعد بناء المجتمع السياسية ، والاجتماعية ، وعقب موته سجل خلفاؤه الأحاديث التي رويت عنه ، وأدق التصرفات والأفعال التي قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراساً ومثلاً أعلى يحتذونه في حياتهم اليومية جيلاً بعد جيل » .

هذا ما قالته دائرة المعارف البريطانية عن محمد ﷺ وأثره الديني والاجتماعي فلمَ عزّ عليها أن تقول : محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جاء بالإسلام ... إلخ .

وقل – مثل ذلك – فيما كتبه (ول. ديوارانت) في (قصة الحضارة) حيث يقول :

« وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا : إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي ، والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانيه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، قل أن تجد إنساناً غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع في جيل واحد أن ينشيء دولة عظيمة ، وأن تبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم » .

في تلك الكلمة لـ (ديورانت) :

محمد من أعظم عظماء التاريخ . وأنه (مصلح) !!!

أليس نابليون ، ونلسون وغيرهما من عظماء التاريخ ؟!

أليس سقراط وأفلاطون من المصلحين .. ؟!

أيقف رسول الله ﷺ الذي تميز بالرسالة في صف واحد مع هؤلاء وهؤلاء .

إن محمداً – عليه الصلاة والسلام – تميز بالرسالة ... رسول من الله – سبحانه – وهذا ما عزّ على القوم أن يعترفوا به .. أن يقولوا : (محمد رسول الله) عليه الصلاة والسلام .

وذاك الذي وددت قومي أن يعرفوه ... اللهم فاشهد .

الكلمة الطيبة سمة المؤمن

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان *

يقول الله جل جلاله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩)

(آل عمران)

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤٥)

(سورة العنكبوت)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢٧)

(من سورة ابراهيم)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

(الآية ١٠ — من سورة فاطر)

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥)

(سورة فصلت)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩)

(سورة التوبة)

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك : كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » (رواه مسلم) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة

* مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر سابقاً

واحدة » (رواه البخارى ومسلم) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) (رواه الترمذى) .

البيـــــان

لقد وصف الله رسوله الكريم ﷺ بأنه على خلق عظيم . وأمرنا بالاقتداء فقال :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١)

(سورة الأحزاب)

وقد بعث الله رسوله محمداً صلوات وسلامه عليه ليتم مكارم الأخلاق ، وليعلم الناس السّمُوّ والصدق فى القول والفعل وهو القائل فيما رُوى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال : «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة » . (رواه ابن ماجه (الترغيب والترهيب) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (أنا زعيم ببيت وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا)

(رواه البيهقى والترمذى)

وذلك لأن الصدق مع الله ومع الناس ومع النفس من أعظم القربات عند الله تعالى . لأن الكذب يهوى بصاحبه إلى أحط درجات الإثم . ومما لا ريب فيه أن أمانة الكلمة سمة المرء المستقيم وصفة الخلق القويم ؛ لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ومن منطق الإيمان تتحتم طهارة اللسان وتجب مراعاة مشاعر الناس وأحاسيس الآخرين ، فليس من الإسلام أن ينطق المرء بخبيث القول ورديء اللغو ، ولذا أمرنا ديننا بأن نذكر الله ذكرا كثيرا وأن نسبحه بكرة وأصيلا ليكون اللسان رَطْبًا بذكر الله ، وفرض علينا الصلاة وهى تضرع ودعاء وتبتل وخشوع وذكر وسجود لله وركوع . وجعل الله الزكاة تزكية للنفس وتربية للوجدان وتطهيرا للمال وتنمية له وجعل الصوم جُنَّةً من الذنوب وحصنا من العيوب ، وجعل الحج هجرة إلى الله وقصدا إلى بيته العتيق العريق المبارك الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، ولكنه امتثال لأمر الله ، ثم إن كل لفظ مسجل ومكتوب :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨)

(اسورة ق)

والعبادات كلها تدريب عملى على مراقبة الله وطاعته ليكون السلوك مستقيما والخلق كريما : وذلك لأن أخلاق الإسلام هبة من الله لعباده الأبرار الذين كرمهم الرحمن وعلمهم البيان ، وتلكم الأخلاق قد جاء بها سيدنا محمد بن عبدالله من عند الله ؛ لذلك فهى ليست من صنع البشر :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم)

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ينتصر للحق ، فلا تغضبه الدنيا . فما كان جهاده إلا انتصارا للإسلام والسلام ، وكان دائم البشر ، سهل الخُلُق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب أى (ليس بكثير الصياح) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ثم هو كما وصفه ربه :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

(سورة الأحزاب)

والمسلم يطالبه ربه بأن يتجنب معاشرة المكذبين فيقول عز وجل :

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

فليتق الله شبابنا وشيبنا وليصونوا ألسنتهم ويزنوا كلمتهم ، فقد جمع الله كلمة المسلمين على التقوى ، ومن التقوى التعاون على فعل البر وعمل الخير واتباع الحق ، والحق أحق أن يتبع لأن الحق لا يخاصم نفسه : فهو شيء واحد ، والأباطيل كثيرة والله يقول :

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(الآية ٣ - من سورة آل عمران)

والله جل جلاله يقول :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

(سورة الفتح)



الإسلام فى الكتب المدرسية فى أوربا الغربية

(١)

بقلم : أ.د. عبدالجواد فلاطورى (*)

إن هناك صورة مشوهة عن الإسلام تسود كل الدوائر الحضارية والعامة فى الغرب ، مما لا يخفى على أى مسلم لديه القدر الكافى من المعرفة عن دينه ، وتقوم وسائل الإعلام الغربية بدورها النشط فى هذا التشويه ، الأمر الذى يؤدى إلى اتساع رقعة الشقاق وفجوة الخلاف بين المسيحيين والمسلمين .

ولا يقتصر الأمر على التصوير الخاطىء والزائف لبعض الظواهر الإسلامية فحسب ، بل يتعداه ليشمل الإسلام فى مجمله ، وتنبع هذه الصورة المشوهة من العديد من الظواهر الدينية والحضارية والتاريخية والاجتماعية ، والتى يفهمها الغرب بطريقة خاطئة مغرضة تعمل على خلق صورة سلبية للإسلام بصفة عامة .

وهناك من غير شك أهداف معينة وراء إظهار العقيدة الإسلامية فى الفهم الغربى بصورة تدل على التخلف والجمود فى مقابل العقائد الغربية التى يراد إظهارها فى صورة مشرقة مضيئة . وتبدو هذه المقارنة عند مناقشة قضايا مثل : الألوهية ، والقرآن الكريم ، والنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والأمة وغيرها .

وحتى لا يكون كلامنا يدور فى دائرة المجردات والعموميات أود هنا أن أوضح هذا الأمر بمثال حى ملموس .

فقبل حوالى عام تقريبا قامت معلمة فى إحدى المدارس الابتدائية الألمانية بعمل اختبار هام لتلاميذ المدرسة الذين تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والعاشرة لمعرفة رأيهم فى الإسلام ، وقد استقت هذه المعلمة شرحا وتفسيرا لأسماء الله الحسنى من أحد الكتب التى كنت قد ألفتها فى هذا الصدد ، وكتبت المدرسة هذه الأسماء على ورقة بطريقة عشوائية دونما أى ذكر لمصدر أو أصل إسلامى ، ثم قامت بنسخ تلك الورقة وتوزيعها على التلاميذ . وقالت لهم :

« على هذه الصفحة أسماء مختلفة من أسماء الله . ضعوا خطا بأحد الألوان تحت الأسماء التى

(*) الكاتب : أستاذ بجامعة كولونيا ، ومدير الأكاديمية العلمية الإسلامية .

تعتبرونها أسماء لله فى المسيحية ، وخطا بلون آخر تحت تلك التى ترونها أسماء لله فى الإسلام .. » فالمعلمة : إذن ـ وعن قصد ـ لم تقل للأطفال : إن هذه الأسماء كلها إسلامية .

فماذا فعل هؤلاء الأطفال ؟ . إن غالبية الأطفال ـ كما هو متوقع ـ فسروا الأسماء الدالة على الرحمة والمغفرة والسلام والحب على أنها مسيحية ، والأسماء التى توحى بالشدة والغلظة على أنها إسلامية .

وهذه التجربة المفزعة توضح مدى التحيز ضد الإسلام ، وكيف أن الأحكام السيئة المغرضة تحاك ضده بكل دقة وفى وقت مبكر فى مراحل التعليم الأولى . وقد اكتشفت الأكاديمية الإسلامية العلمية (ومقرها مدينة كولونيا الألمانية) منذ الثمانينات أن التعليم المدرسى وخاصة الكتب المدرسية هى المنبع الأصلى لنشأة وتثبيت تلك الصورة المشوهة والزائفة عن الإسلام ، وعليه فقد قامت الأكاديمية بعمل مشروع على مستوى ألمانيا ثم بعد ذلك على مستوى أوربا ليبحث المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية فى ألمانيا وفى كل أنحاء أوربا . وسوف أشير فى الحلقات التالية إلى بعض النماذج لهذا التحيز والتى تشيع فى الكتب المدرسية الأوربية .

• • •

قلت : إنّ التحيز والأحكام المسبقة ضد الإسلام والتى تشتمل عليها الكتب المدرسية فى أوربا الغربية تؤدى فى النهاية إلى خلق صورة سلبية عن الإسلام بوجه عام ، تترسخ فى أذهان التلاميذ ، وتظل عالقة بعقولهم طوال حياتهم .

ينطلق مؤلفو الكتب المدرسية الأوربية غالبا من منطلق أن المسيحية والإسلام ـ كديانتين موحدتين ـ متفقتان فيما يتعلق بقضية الله ـ تعالى ـ . ونحن إذ نختار هذه القضية كمثال نريد أن نكشف الخبث والزيف الذى يبدو فى نهاية الأمر أن يظهر ـ وبصورة غير مباشرة ـ كيف أن إله المسلمين يتصف بالغلظة والشدة ـ كما سبق فى اختبار تلاميذ إحدى المدارس الألمانية الذى أشرنا إليه فى الحلقة السابقة . فالكتب المدرسية الأوربية لا تعالج قضية الله ـ سبحانه وتعالى ـ من حيث البرهنة على وجوده ـ جل علاه ـ ووحدانيته ، بل إنها تعالج هذه القضية من حيث وظيفة الله وعلى وجه الخصوص من حيث علاقته ـ تعالى ـ بالإنسان .

ففى نظام العقيدة الأوربية ، تلعب قضية الإنسان الدور الأكبر فى فكرهم ، وعليه فإن كل شىء فى رأيهم هو فى خدمة الإنسان .

ومن هذا الاعتقاد السائد ينتقل المرء إلى بيان معنى الإسلام ويصل إلى النتيجة التالية ـ كما ورد ذلك فى بعض الكتب المدرسية ـ :

« الإسلام لا يعنى دين السلام أو حالة السلام أو ما شابه ذلك » ، « الإسلام يعنى : الاستسلام لإرادة الله ، والمسلمون فى الإسلام هم أولئك الذين يستسلمون لإرادة الله » .

وعليه فإن مسألة الله والألوهية هى السمة المميزة للدين الإسلامى ، فكل شىء متعلق

بالله ، وكل شيء وخاصة الإنسان ، هو في خدمة الله .

وقد يبدو هذا التعريف تفسيرا للإسلام لا تحوم حوله الشبهات ، حيث يبين أن الإسلام يعني العلاقة المتبادلة بين الله والإنسان ، لدرجة أن بعض المسلمين في أوربا أخذوا بهذا الرأى واعتنقوه .

وإذا ما أخذنا في الاعتبار النتائج التي يستخلصها واضعو هذه الكتب المدرسية من مثل هذه الأحكام الزائفة عن الإسلام ، تقول : إذا ما أخذنا كل هذا في الاعتبار فإننا ندرك في التو مدى الخبث الذى ينطوى عليه ذلك . فهذا التفسير للإسلام مثلا يوحي بأن هناك هوة سحيقة لا يمكن تخطيها بحال بين الله ــ تعالى ــ والإنسان . فهناك ــ من ناحية ــ رب حاكم جبار ، وفي الناحية الأخرى ، وعلى بُعْدٍ كبير منه ، يقف الإنسان الذى يسلِّط عليه هذا الربُّ جبروته ، وعلى هذا الإنسان أن يستسلم ويتصاع لإرادة الرب ويطيعه طاعة عمياء . وأن ما يربط كلا الجانبين بعضهما البعض ، هو الرغبة في السيطرة والتسلط من الناحية الإلهية ، والخوف والاستسلام من ناحية الإنسان .

ولكن كيف نشأت مثل هذه الأفكار والتصورات الخاطئة المغرضة عن علاقة الله تعالى بالإنسان ؟ بل عن قضية الإسلام بوجه عام ؟ .

من الواضح أن واضعي تلك الكتب المدرسية قد استندوا في تصورهم هذا على المادة اللغوية « أسلم » والتي تعد تعبيرا عن العلاقة بين المنتصر والمنهزم ، وعلى المنهزم أن يتصاع ويستسلم طبعا لإرداة المنتصر ويطيعه طاعة عمياء ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى نتيجة غاية في الخطورة ، ألا وهي تمييز المسلم ــ كل مسلم ــ عند مقارنته بالأوربي ، حيث إنه يتضح مما سبق أن المسلم إنسان ليست لديه إرادة ، وبالتالي ليست لديه المعرفة بذاته .. فهو كالدمية في أيدى إله متجبر يحركها كيف يشاء ومتى يشاء .. وعليه فالمسلم هو في زعم هؤلاء : إنسان مقهور على أمره عليه أن يصبر ، وأن يتحمل ما يحدده له وعليه قدره ونصيبه ..

ومما يزيد الطين بلة أن بعض واضعي تلك الكتب المدرسية قد انطلقوا في سرد آرائهم من هذا الاعتقاد الخاطيء ، بل والمغرض في فهمهم للإسلام ، واعتبروا ذلك دليلا على تأخر وتخلف المسلمين في العالم كله ؛ فقد ورد في أحد كتب الجغرافيا ما نصه : « إن الإسلام بمعنى الاستسلام والخضوع من جانب الإنسان لإرداة الله هو السبب في أن المسلمين اليوم ينتمون إلى شعوب العالم المتخلف » .

وهذا التحيز الواضح ضد الإسلام والمسلمين من شأنه أن يصور الله ــ سبحانه وتعالى جل في علاه ــ على أنه إله جبار ظالم (والعياذ بالله تعالى) ، وأن الإنسان هو الذى يقع عليه هذا الظلم والجبروت ..

وفي الحلقة التالية نتابع الحديث عن بعض الأمثلة التي تشتمل عليها الكتب المدرسية الأوربية فيما يتعلق بالإسلام .

الشباب بين التدين والتطرف

فضيلة الشيخ/عبد المنصف محمود عبد الفتاح(*)

إن الشباب عبر التاريخ ، ومسيرة الأجيال : هم الذين يحمون الذمار ، ويدافعون عن الديار .. والحق يقال : هم القوة الدافعة ، والدرع الواق لصيانة الأمم ، وسلامة الشعوب ، فمن القواعد المقررة : أن شباب الأمة يمثل حاضرها ، ويعبر عن حضارتها .. وبقدر ما يبذل فى تربيتهم وتثقيفهم ، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم ، بقدر ما تنال الأمة من عزة وكرامة ، ومجد وسؤدد ، كيف لا : وهم اللبنات التى يشاد عليها بناء المجتمع ، وبقدر تهاونها فى اعدادهم ، وإهمالها فى تقويمهم ، بقدر ما يكون ذلك من العوامل التى تهدد أمن الدولة وتدمر حضارتها !!

والشباب : اذا زكت نفوسهم وصلحت قلوبهم ، وطهرت جوارحهم وعلت هممهم كانوا دعائم قوية لبناء صرح الوطن ودروعا حصينة تحمى حمى الأمة ، بل كانوا بفضل سبقهم إلى اعتناق المبادىء القويمة ، والمفاهيم الصحيحة ، والمثل العليا : دعاة خير وبر وسلام ،

وقد سطر فى سجل الخلود بمداد الفخر والثناء : أن الدين الإسلامى الحنيف : لم يقم إلا على أكتاف الشباب ، وبفضل ثباتهم ، ورباطة جأشهم وقوة عزائمهم وسمو اخلاقهم عز الإسلام وانتصر ، قال رسول الله ﷺ : « أوصيكم بالشباب خيراً ، فانهم أرق أفئدة ، أن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فحالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ ثم قرأ :

﴿فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (١٦)

وقد ذكر رسول الله ﷺ : أن من بين السبعة الذين سيظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله :

* مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر سابقاً وعضو لجنة الفتوى بالأزهر .

« شاب نشأ فى عبادة ربه » رواه البخارى إذ هو تحت تأثير الشباب ، والشباب شعبة من الجنون وخصوصا أنه يضم بين جنبيه نفسا أمارة بالسوء نزاعة للهوى ، فتغلب دينه فى هذه الحالة الشديدة على مقتضيات الفساد : دليل على قوة إيمانه ، وأرجحية عقلـه ، قال رسول الله ﷺ : « الشباب التائب حبيب الرحمن » ، وفى الحديث القدسى يقول رب العزة : « أحب التائبين ، وحبى للشباب التائب أشد » .. وكفى بذلك شرفاً وفضلاً .

ولهذا أمر الإسلام : بالاهتمام برعاية الشباب : الذين هم عدة الحاضر وذخيرة المستقبل والعمل على إعدادهم إعدادا سليماً متكاملاً : بدنياً بالرياضة ، وروحياً بالعبادة ، وعقلياً بالثقافة وعسكرياً بالخشونة ، واجتماعياً بالخدمة العامة .

وإن مما يؤسف له أشد الأسف : أن توجد فى بعض الدول الإسلامية : جماعات من الشباب المسلم المتعصب : الذين يستمدون ثقافتهم من غير منابع الدين الإسلامى الأصيلة والتى فى مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والذين تشبعوا بمذهب الخوارج والتى عرف عنهم أنهم أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن اعتقادهم وتحمساً لآرائهم وقد دفعهم التعصب الشديد إلى استهداف المخاطر وقسوة القلب على غيرهم والرغبة فى الموت إخلاصاً لعقيدتهم : وهم كما يقول الشهرستانى : فى كتابه الملل والنحل : « كل من خرج على الإمام الحق : الذى اتفقت الجماعة عليه سواء أكان الخروج فى أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين : أم كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان .

والخوارج بعبارة أخرى : كل من خرج على الإمام على رضى الله عنه ، بعد قبول التحكيم ، معتقدا كفره ، وكفر من رضى بالتحكيم مع بعض المعتقدات : التى خرجوا بها على المسلمين وعرفوا بها ، مثل : قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة ، وأنه بمنزلة بين المنزلتين والحكم عليه بأنه مخلد فى النار ، وأدهى من ذلك وأمرُّ أنهم يكفرون عليا ومعاوية وطلحة والزبير بن العوام وأم المؤمنين : الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم أجمعين ..

وقد امتد شذوذهم فى فكرهم بدافع من التعصب البغيض : إلى شذوذهم فى السلوك فدبروا المؤامرات التى راح ضحيتها : الإمام على ـ رضى الله عنه ـ حيث طعنه عبد الرحمن بن ملجم وهو يصلى الصبح .

فهل يليق بشبابنا المسلم أن ينهج نهجهم ، فيدفعهم التعصب الشديد إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء ظلما وعدوانا ، بحجة أن الدار التى يعيشون فيها : دار كفر وليست دار إسلام ، فهم بذلك كفار ، لا حرج فى قتلهم !!

ولقد دفعهم « التشدد » إلى الحكم على بلاد المسلمين ، بأنها بلاد كفر فكيف يسوغون ذلك لأنفسهم ، والحال : أنه يؤذن فيها لجميع الأوقات ، وتقام فيها الصلوات الخمس ، وجميع الشعائر الدينية .. وقد روى : أن النبى ﷺ أرسل « الوليد بن عقبة » إلى بنى المصطلق لجمع الصدقات (أى زكاة أموالهم) فتلقوه بالصدقة ، فرجع فقال إن بنى المصطلق : قد جمعت لك لتقاتلك ، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث

رسول الله ﷺ « خالد بن الوليد » ـ رضى الله عنه ـ وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونه (أى جواسيسه لاستجلاء الحقيقة) فلما جاءوا أخبروا « خالداً » : أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم « خالد » ـ رضى الله عنه ـ ، فرأى منهم الذى يعجبه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فأنزل الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ سورة الحجرات

إنما ينبغى العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ فى غير تشدد ولا تعصب ولا تطرف فهو دين الوسطية والاعتدال ودين اليسر والسماحة ، قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » رواه البخارى ومسلم ، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إنى بعثت بحنيفية سمحة » والتطرف الدينى إنما ينشأ عن سوء الفهم للنصوص مما يؤدى إلى التشدد وهذا أمر لا يقره الإسلام .

فان الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها أو سوء الفهم لها : قد يصل بالإنسان إلى درجة الغلو الذى لا يرضاه الدين ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « جاء ثلاثة رهط (أى ثلاثة أفراد) إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ؟

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ! والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » رواه البخارى ومسلم .

والتدين كما يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : « بمعنى الالتزام بأحكام الدين ، والسير على مناهجه أمر مطلوب ومرغوب فيه ومحمود عند الله ، وعند الناس : يعود بالخير والفلاح على أصحابه وعلى المجتمع ، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيمانية طالما ظل فى إطار من الفهم الصحيح السديد والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية مما يستوجب أن يؤيد ويدعم ، ولا يناهض ولا يطارد » **ولعل خير علاج للتطرف والتعصب ان يراعى مايأتى بيانه :**

١ ـ تطهير جميع وسائل الإعلام من العناصر المنحرفة : التى تكيد للإسلام عن قصد أو عن غير قصد وأن تصبغ كلها بالصبغة الإسلامية ولا مانع من أن تكون هناك برامج ترفيهية معتدلة ..

٢ ـ العمل الجاد : على نشر الآداب والتعاليم الإسلامية العريقة التى لا تسمح بظهور الكاسيات العاريات وتطهير المجتمع من وسائل

الإغراء ، ودواعي الاثارة وأسباب التحريض على الفتنة .

٣ ـ تنويع العلم ، بحيث يشمل كافة المجالات : النظرية والعملية والدينية والثقافية والتكنولوجية .

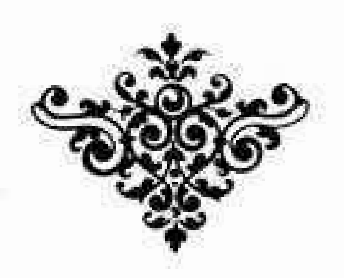
٤ ـ أن تكون مادة الدين أساسية فى جميع مراحل التعليم مع إعادة النظر فى جميع المناهج الدراسية ، بحيث تنقى من الأفكار : التى تتعارض مع الإسلام .

٥ ـ إعداد معلمين صالحين قادرين على تحويل المنهج الصالح والكتاب الملائم : إلى واقع ملموس ، وذلك بما يكون لديهم من كفاءة ومقدرة علمية وفنية ، وما يحملونه فى صدورهم من ضمائر حية مؤمنة ، فهم فى الحقيقة معلمون مربون ، وهداة مصلحون فى الوقت نفسه .

٦ ـ إحياء رسالة المسجد ، حتى يعود إلى سالف عهده ، مصدر هداية وإشعاع وإصلاح جامعا للعبادة ، ومعهدا للثقافة ومدرسة للتربية ومنتدى للتعارف .

٧ ـ اختيار أفضل العلماء وأقدرهم : للوعظ والخطابة والتدريس فى المساجد ولاسيما الكبيرة منها وإلقاء المحاضرات فى الأندية والمصانع والقاعات المخصصة لذلك وإعطاؤهم الحرية المطلقة عن حقائق الإسلام ومفاهيمه والتصدى لأباطيل خصومه ومكائد أعدائه .

هذا وبالله التوفيق .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .



الأسرة والمجتمع

لفضيلة الشيخ محمد فتحى عبد الصادق

١ ـ قوة المجتمع وضعفه :

يتكون المجتمع من مجموعة من الأسر ، وتبدأ الأسرة بالزوج وزوجته ، ومنهما يكون الأبناء والبنات ، قال ـ سبحانه ـ : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾(١) ، وقال ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾(٢) .

وكلما كانت الأسرة قوية مترابطة ، يعرف كل فرد فيها واجبه نحو ربه ونحو وطنه فيؤديه بأمانة وإتقان كلما كان المجتمع قويا ناهضا ، يعتز به أبناؤه ويضحون فى سبيله بكل عزيز ونفيس ، لا تؤثر فيه العواصف ، ولا ينال من شأنه حاقد .

٢ ـ عوامل قوة الأسرة :

(أ) أن يكون الأساس فى اختيار كل من الزوجين صاحبه التمسك بأهداب الدين ، والتحلى بالخلق الفاضل ، والتخلى عن الشرور والآثام ، وعدم الحرص على اشتراط الغنى واليسار ، أو الجمال الفاتن ؛ فإن الزواج للمال يطغى ، وللجمال يردى : « فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

(ب) أن يكون الوالدان قدوة طيبة لأبنائهما ، لا يسمعون منهما إلا كل قول حميد ، ولا يرون منهما إلا كل فعل جميل ، ولا يثيران أمامهم خلافاً ولا ألفاظاً بذيئة ؛ فالطفل فى هذه السنّ المبكرة كالعجينة يصوغها الإنسان كما يحب .

(جـ) أن يحرص الوالدان على مراقبتهم ، وتتبع أحوالهم وتصرفاتهم ، فإن شاهدا منهم انحرافاً أو

---

(١) الآية الأولى من سورة النساء .

(٢) آية ٧٢ من سورة النحل .

بعداً عن الصواب أو اختلاطاً بإخوان السوء أسرعا إلى إرشادهم فى حكمة وكياسة بلا عنف ولا لين ، وأن يكونا فى ذلك كالطبيب الحاذق يعالج كل داء بما يناسبه .

(د) أن يهتم الوالدان بتنشئة أبنائهما على محبة الدين والإخلاص للوطن ، ومراقبة الله فى السر والعلن ، ومحاسبة النفس حسابا عسيرا ، ويستعينان فى ذلك بكتب السنة والسيرة .

٣ ـ ولقد غرس هذه الصفات الكريمة إمام المعلمين والمصلحين ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نفوس أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فأثمرت وأينعت وآتت أكلها ، وعرف ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانتهم ومنزلتهم ، فأسند إليهم بعض الأمور الخطيرة التى تتوقف عليها حياة المسلمين والإسلام ، فأسند قيادة الجيش لحرب الروم إلى أسامة بن زيد وفى القوم أكابر الصحابة وأجلاؤهم كأبى بكر وعمر ، ولما توفى رسول الله ﷺ قبل أن يقوم الجيش بمهمته أنفذه الخليفة أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ، فيمشى على رجليه وأسامة ـ رضى الله عنه ـ راكب يودعه وينصحه ، فيقول له : يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلنّ ، فيرد عليه الخليفة : لا ركبت ولا نزلت .

ولم تكن المرأة أقل شأناً فى أداء واجبها من الرجل ، ولكنها وقفت إلى جانبه فى أشد المواقف . وفى جميع الميادين .

(أ) ففى الناحية العلمية ـ نجد أن المرأة كانت متفقهة فى أمور دينها ، حتى تتلمذ عليها كثير من الرجال الذين ذاع صيتهم ، وطارت شهرتهم فيما بعد ، حتى وجدنا الشافعى ـ رحمه الله ـ ، وقد طبقت شهرته الآفاق كان يرجع فى بعض المسائل إلى السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ

وهذا سعيد بن المسيب وهو من كبار التابعين يزوج ابنته من أحد تلامذته على دراهم معدودة ، وفى صباح يوم زفافها إليه أراد أن يخرج كعادته إلى حلقة أبيها ، قالت له : إلى أين ؟ قال : إلى حلقة أبيك سعيد ، قالت له : اجلس ، وأنا أعلمك علم سعيد ، قال أبو وداعة : فإذا هى من أعلم الناس بكتاب الله وأحفظهم لسنة رسول الله ﷺ[٣] .

(ب) وفى مراقبتها لله وخوفها منه ـ سبحانه ـ نجد أنه فى عهد الخليفة عمر وبينما كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً ، ومعه حارسه سمع حواراً بين فتاة وأمها ، فالأم تطلب منها أن تخلط اللبن بالماء ، ولكن الفتاة ـ وقد عمر الإيمان قلبها ـ تذكرها بأن الخليفة قد نهى عن ذلك ، فتقول لها : وأين عمر منا الآن ونحن ليلا وفى بيتنا ؟ فتقول لها الفتاة : وإذا كان عمر لم يرنا فإن الله يرانا ، ويسمعنا ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٤] ، وفى الصباح أرسل الخليفة فى طلب المرأة وابنتها ثم زوج ابنه عاصماً من هذه الفتاة ، فصارت جدة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين .

---

(٣) من كتاب أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان .

(٤) سورة العلق آية ١٤ .

(جـ) وفى قناعتها ورضاها بما قسم لها : قرأنا أن أحد الصحابة كان يواظب على الصلاة خلف رسول الله ﷺ ، ثم يسرع بعد انتهائها إلى بيته ، ولما لاحظ عليه ذلك رسول الله سأله عن سبب خروجه مسرعا عقب الصلاة ، فقال له الرجل : لأن امرأتى فى انتظارى حتى أنزع ثوبى الذى ألبسه ، حتى ترتديه فتؤدى فيه الصلاة ؛ لأن البيت ليس به ثوب يصلح للصلاة سوى هذا ، وكان هذا الحوار سبباً فى تأخره عن العودة إلى بيته .. فسألته زوجته عن سبب ذلك فأخبرها بما دار بينه وبين رسول الله ، وهنا صرخت المرأة متألمة ، وقالت له : أتشكو رب محمد إليه ؟! ما هكذا يكون الإيمان !!!

(د) أما إسهامها فى الجهاد فى سبيل الله ، فقد كانت تقوم بدور هام فى المعارك بما يناسبها ، بل قرأنا أنها حملت السلاح فى أشد المعارك وأعنفها ، ففى غزوة حنين وحينما تراجع المسلمون ، نتيجة اغترارهم بكثرتهم ، لم يبق مع رسول الله ﷺ سوى نفر قليل ، وكان من بينهم فارس ملثم ساءه فرارهم وتركهم رسول الله فأبلى بلاء حسنا غير هياب ولا وجل ، مما أثار إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء ، وحين سأل عنه رسول الله ﷺ لم يعرفه أحد ، وبعد أن انتهت المعركة بفوز المسلمين أقبل هذا الفارس الملثم على رسول الله ، وكشف عن وجهه ، وإذا به أم سليم ــ رضى الله عنها ــ ، ويقول زوجها : والله يا رسول الله لقد تركتها فى بيتى ، وهى تحمل جنينا بين أحشائها .

هذه أم سليم ، وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ، وأم أخيه البراء بن مالك الذى قامت أمه بتربيته وإعداده إعدادا يتفق مع دين الله ، وغرست فيه صفات الشجاعة والبطولة والتضحية فى سبيل الله ، واشترك فى حرب مسيلمة الكذاب تحت قيادة خالد بن الوليد ، ومما كاد أتباع مسيلمة يشعرون بقدوم خالد حتى تحصنوا فى بستان لهم ، وحوله سور له باب ضخم لم يستطع المسلمون اقتحامه ، فطلب منهم البراء أن يحملوه على أكتافهم ويلقوا به من فوق السور داخل البستان ، ولكنهم رفضوا خوفا على حياته ، فما كان منه إلا أن قفز فوق السور وألقى بنفسه داخله ، وفتح لهم الباب ، وكان ذلك سببا فى هزيمة مسيلمة ، وجرح البراء فى أجزاء من جسمه .

أما موقفها عند نزول المحن والكوارث فهو موقف المسلمة التى آمنت بربها ورضيت بقضائه وقدره ، وبما قسم لها فى حياتها ، هذه أم سليم ــ رضى الله عنها ــ ، أسلمت فى أول الدعوة ، وطلبت من زوجها مالك أن يسلم فتردد ، ثم خرج وتركها بعد أن أنجب منها أنس بن مالك ، وأخاه البراء ، أما أنس فقد ذهبت به إلى رسول الله وقالت له : هذا خويدمك أنس ، وادع الله له ، وأما البراء فقد تعهدته بالتربية والرعاية وغرست فيه محبة الله ــ تعالى ــ ومحبة رسوله ﷺ ، وطلب الزواج منها كثير من الناس ، ولكنها كانت ترفض حتى يكبر ابنها مالك ، وكان من بينهم أبو طلحة الأنصارى ، وقدم لها كثيرا

من ذهب ، فلم يُثنها عن عزمها بريقه ، ولما رأت إلحاحه ، قالت له : إنك مشرك ، ولن أقبلك زوجا حتى تسلم ، وعندئذ يكون إسلامك هو صداقي ، فذهب إلى رسول الله ونطق بالشهادتين أمامه ، وقال له : هذا صداق لأم سليم ـ فزوجهما ، وأنجب منها طفلا أسماه « أبا عُمير » ، وكان رسول الله يزورهما في بيتهما ويلاعب أبا عمير هذا ، لكن شاء الله ومرض الطفل ، وحينا يعود أبو طلحة من عمله ليلا إلى منزله يسأل أمه عنه حتى يطمئن عليه ، إلى أن توفي الطفل ، فغسلته أمه وكفنته ووضعته في جانب من البيت ، ولما جاء أبو طلحة سألها عنه كعادته ، فقالت : (لقد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح) عبارة تحتمل معنيين : أن تكون نفسه قد هدأت من المرض بالموت ، وهذا ما تقصده ، وإن كان ظاهر العبارة أن مرضه قد زال عنه واستراح وعاد إلى صحته ـ ثم لم تكتف بهذا وإنما تزينت لزوجها وتعطرت ونامت معه ،

وقبيل الفجر استيقظ الرجل لصلاة الفجر مع رسول الله فقالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا أهل بيت عارية ثم طلبوها ألهم أن يمنعوها ؟ قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ، فإن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى ، فلم يزد الرجل على أن قال :

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، وذهب إلى رسول الله ، وأخبره بما كان من امرأته ، فقال له : بارك الله لكما في ليلتكما . قال رجل من الأنصار : فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن (هذا معنى حديث البخاري) فانظر ـ هداك الله ـ إلى موقف أم سليم من هذه الكارثة ، والله أعلم ما الذي كان يحدث لو أنها فاجأت زوجها بالندب والنياحة ، ولكنها بفعلها هذا هوّنت عليه من أمر المصيبة بما لا يستطيعه إلا من ملأ الله قلبه بالإيمان والرضا .

وكانت نتيجة التمسك بدين الله وتنفيذ شرعه أن أعز الله بهم الإسلام ، وأسسوا حضارة وبنوا مجداً فأمنوا بعد خوف ، وتقدموا بعد تخلف، وعزوا بعد ذلة ، وحقق الله لهم بذلك وعده :

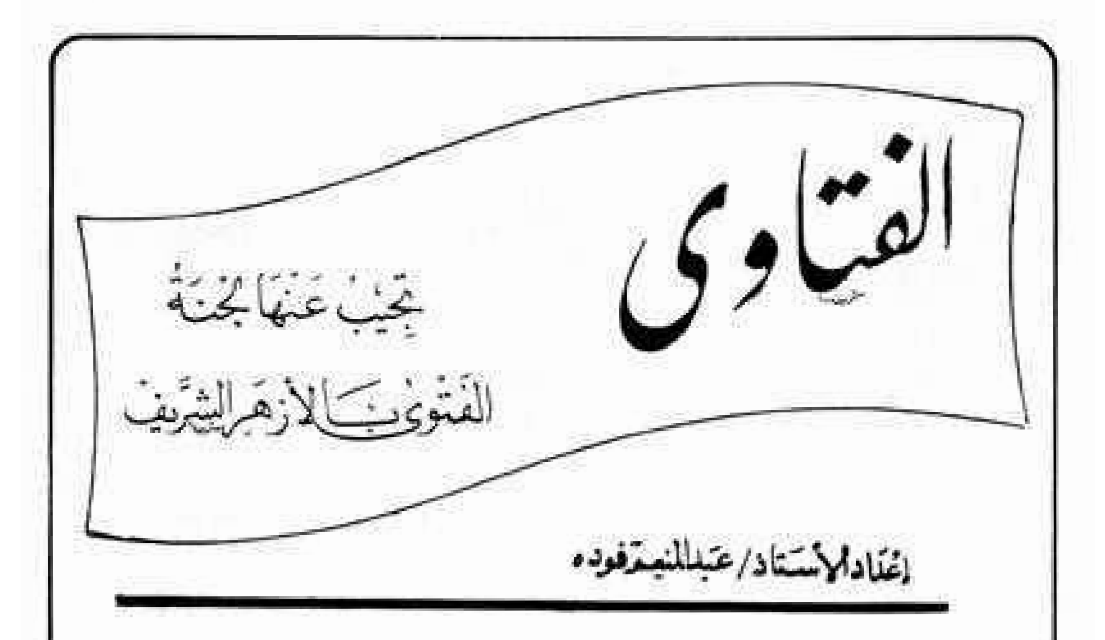
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾

سورة النور آية ٥٥ .

وامتنّ الله عليهم بأنهم لما ضحّوا بكل عزيز في سبيله ، ورحّبوا بالاستشهاد من أجله كان معهم بنصره وتأييده :

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٦ ﴾ الأنفال

تلك بعض آثار التربية القويمة التي اعتدت بالإسلام . فكانت ثمراتها هذه قطوفاً بالخير دانية : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .



إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد / و.ع.ع من العريش شمال سيناء :

ما حكم الدين فى شخص ينشىء مسجداً كبيراً ويسميه باسمه مكان زاوية صغيرة أقامها أحد الصالحين للصلاة قبل أن تتحول إلى مسجد كبير بعشرات السنين ؟

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؛ فخير ما يعمله المسلم فى حياته بناء مسجد لله تعالى ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ وجاء فى الحديث القدسى عن الله ـ عز وجل ـ قوله : خير بيوتى فى الأرض المساجد وخير عبادى عمارها فطوبى لرجل تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور إكرام زائره ، وروى البخارى وأصحاب السنن عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة** » وفى رواية ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر ـ أى كعش عصفورة ـ بنى الله له بيتاً فى الجنة** » فهذا الشخص الذى أنشأ مسجداً كبيراً مكان زاوية أقامها أحد الصالحين هو فعل طيب يثاب عليه من الله تعالى .

أما كتابة الاسم على المسجد فمكروهة لما فيها من المباهاة والافتخار وعدم خلوص النية لله تعالى ، وهذا يتنافى مع قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ

﴿ ... أَلسُّجُودِ تَقْوَىٰ ... ﴾ فليتق الله هذا الخير ولا يجعل لعمله رياء ولا سمعة وليمنح اسمه من واجهة المسجد حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله ، تقبل الله منا ومنه . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة / م.ع.ف من سوهاج :

أنا رجل فلاح من سوهاج جاء إليّ صديق يطلب السفر إلى إحدى دول الخليج وعرض على رهن قطعة أرض زراعية قدرها ٨ قراريط أو أكثر من ذلك بقليل مقابل ٥٠٠٠ جنيه (خمسة آلاف جنيه) على أن أقوم أنا بزراعة الأرض المذكورة لحين سداد المبلغ المذكور فى أى وقت شاء ، واتفقنا على ذلك راضين على أن أقوم أنا بسداد الأموال الأميرية المستحقة على قطعة الأرض .

فهل هذا جائز أم أدفع له قيمة الإيجار على حسب الضريبة ؟

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الرهن إنما جعل لضمان الحق لا ليستفيد منه آخذ الرهن لقول الله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وقد رهن النبى ﷺ وهو غير مسافر حيث اقترض من يهودى ثلاثين صاعاً من شعير لنفقة عياله ثم رهن عند اليهودى درعه وخرج من الدنيا صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودى ليضرب لنا المثل فى زهده فى الدنيا .

وما فعلته من أخذ هذه الأرض رهناً لضمان سداد ما اقترضه منك صاحبك جائز ومشروع ، ولكن المحرم هو زرعك الأرض بدون مقابل لأن هذا يكون سلفاً جر نفعاً وكل سلف جر نفعاً فهو ربا ، فاتق الله وادفع إليه قيمة الإيجار سنوياً أو اخصم قيمة الإيجار من مبلغ الدين حتى تسلم من أكل الربا وتثاب من الله فى إقراضك لصاحبك لأن النبى ﷺ رأى ليلة المعراج مكتوباً على باب الجنة : الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر . قيل له : فما بال القرض من الصدقة : قال : لأن السائل يسأل وعنده شىء أما المقترض فلا يقترض إلا من ضرورة . فامتثل شرع الله ولا تؤثر الدنيا على الآخرة حتى يبارك الله لك فى مالك . والله تعالى أعلم .

السؤال من هـ.د.ط :

توفى رجل عنده خمسة أبناء . علماً بأن أحدهم توفى قبل الوالد وترك بنتاً . فما نصيب كل والد ، وهل البنت للابن ترث أم لا ، ومقدار نصيبها ؟

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد . فنفيد بأنه إذا كان المورث متوفى بعد عام ١٩٤٦م فإن فى تركته وصية واجبة لبنت الإبن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦م وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاها شيئاً حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلها فتقسم التركة خمسة أجزاء جزء منها وصية واجبة لبنت الإبن دون أن يشاركها أحد ، والباقى للأبناء الأربعة الأحياء تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى . والله تعالى أعلم .



الشيخ عبد الجليل عيسى



فضـيلة الشـيخ

عبدالجليل عيسى أبوالنصر

للأستاذ /
خيرى عبدالجليل

تاريخ حياته والوظائف التى تقلدها :

ولد فضيلته بعزبة الرملة بكفر الشيخ سنة ١٨٨٨ ميلادية ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم اشتغل بطلب العلم من أوائل سنة ١٩٠٣ م ، وتنقل فى طلبه بين الجامع الأحمدى بطنطا والأزهر الشريف حسب نظام الأزهر القديم إلى سنة ١٩٠٨ م ، ثم درس على النظام الحديث من سنة ١٩٠٩ م ، ونال العالمية سنة ١٩١٤ م ، وعين مدرسا بمعهد طنطا فى سبتمبر سنة ١٩١٤ م ، ثم نقل إلى الأزهر مدرسا بالقسم الثانوى ، ثم بالقسم العالى به ، ثم فى قسم التخصص ، إلى أن عين مفتشا بالأزهر فى ٢٣ مايو ١٩٣٥ م .

ثم صدر أمر ملكي بتعيينه شيخا لمعهد دسوق فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٧ م ، ثم تلاه أمر آخر بتعيينه شيخا لمعهد شبين الكوم فى ٢٢ أغسطس

سنة ١٩٣٨ م ، فأمر بتعيينه عميدا لكلية أصول الدين فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٦ م ، ومع تعيينه بالكلية عين عضوا بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ثم صدر أمر آخر بتعيينه عميدا لكلية اللغة العربية فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم صدر قرار جمهورى فى سنة ١٩٧١ م بتعيينه عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ونال جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٩ م .

كتب عنه الأستاذ السمان يقول : هذا العالم الجليل ـ رحمه الله ـ يذكرنا بعلماء السلف : عمق إيمان ، وصحة عقيدة ، وسعة أفق ، وقوة حجة ، وسلامة رأى والتزام بالمبدأ ، واعتزاز برسالة العلماء ووراثة الأنبياء ، إنه الشيخ عبدالجليل عيسى ، الذى تدرج فى المناصب الأزهرية . حتى أصبح عميدا لكلية اللغة العربية ، ثم اختير عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية وعضوا فى مجمع اللغة العربية ، وعضواً فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان فى

كل هذه المجالات برغم سنه التى أربت على التسعين نشيطا نشاط الشباب فيما بين العشرين والثلاثين . لم تكن العضوية فى نظره وساما يتحلى به أو ركازا يعتمد عليه .. بل كانت رسالة يجب أن يفى بها ويعمل لها .

عرفت الشيخ عن كثب ، وتتلمذت له ، عقلا وفكرا ، وعلما ومعرفة ، كان من أبرز صفاته صفتان : الصفة الأولى هى الوفاء لإخوانه وأصدقائه وتلاميذه ومعارفه .. وأكثر ما يكون وفاء فى أيام المحن والشدائد ، كانت له صلات بعلية القوم فى مصر .. صلات ود وتقدير متبادل ، كان يتردد كثيرا فى لقاءاتهم وهم فى مناصبهم ، ولا يتردد أبدا حين ينتهون إلى منازلهم بعد أن تتخلى عنهم مناصبهم ، أو يتخلون هم عنها ، أما الصفة الثانية فهى شجاعة الرأى وشجاعة الرأى عند الشيخ لا تبدأ من فراغ وليست مجرد استعراض عضلات ، إنما كانت من منطلق عقلية راجحة ، وفكر ثاقب ، واجتهاد فى الرأى .

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يتمتع بشفافية الروح وملاحة الدعابة ، وسلامة العبارة .

حين يتصدى للحديث ويتصدر المجلس ، لا تحس أنك أمام شيخ فى يده عصا ، كان يقبل المناقشة بصدر رحب ويرد على المعترض بابتسامة العالم المتمكن وأناة الحكيم المتأمل ، كان يتمثل دائما كلمات الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لا تسل من قال ؟ ولكن سل ماذا يقول ؟ .

مواقف فى حياته :

من أبرز المواقف لفضيلته ما حدث فى أوائل الثلاثينات فى مشيخة الإمام الأكبر الشيخ الأحمدى الظواهرى ، وذلك أن فظائع الطليان قد اشتدت على اخواننا مواطنى طرابلس الغرب بليبيا ، أولئك الذين أخذهم الطليان بالبأساء والضراء فلم يرحموا صبيا ولا امرأة ولا شيخا وبلغت ذروتها بمأساة المجاهد « عمر المختار » الذى تجاوز السبعين من عمره إذ أسروه ثم شنقوه وتركوه معلقا فى المشنقة لأيام عدة .

هذا الحادث الأليم المفجع قد هز الأمة العربية والإسلامية هزاً عنيفاً ، وكان للعلماء المسلمين نصيبهم الموفور من هذا الحزن العميق ، وقد تمثل الحزن والأسى فى طائفة من كبار علماء مصر منهم فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى فما كان منهم إلا أن قاموا بإرسال احتجاج صارخ إلى كل دول العالم من فظائع الطليان وشراستهم الحيوانية فى معاملة الأسرى .

تألم ملك إيطاليا من هذا الاحتجاج الذى بعثه العلماء إلى دول العالم وفضحوا فيه مآسى الطليان التى أنزلوها بالشعب الليبى الشقيق ؛ فبعث إلى الملك فؤاد ملك مصر فى ذلك الحين مذكرة بأفضاله على والده إسماعيل أيام منفاه فى إيطاليا ، ولم ينس أن يذكره بأفضاله عليه هو نفسه عندما كان ينشأ ويربى فى إيطاليا !!!

فماذا كان موقف الملك فؤاد إزاء هؤلاء المصريين الذين لم يرعوا ما بين ملكهم وملك إيطاليا من صلات المودة !!!؟

استجاب الملك فؤاد استجلابا لمرضاة ملك إيطاليا ورد لمعروفه عليه وعلى والده ؛ فادعى أن علماء الأزهر العاملين به يزيدون عن الحاجة ، وأن الحالة تستدعى الاستغناء عن بعضهم وفرا للميزانية . فأحال هؤلاء العلماء إلى المعاش فى عام ١٩٣١ مع جملة من العلماء كبار السن حتى لا يظهر أن هؤلاء العلماء هم المقصودون بالإحالة للمعاش ، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون إجراء اقتضاه حال الأزهر وظروفه المالية وأن ما قام به هؤلاء العلماء من احتجاج على الطليان لم يكن منظوراً إليه من قريب أو من بعيد ، فمكث فضيلته خارج الأزهر من سنة ١٩٣١ حتى ١٩٣٥ حيث قام هو وزملائه برفع دعوى أمام القضاء كشفوا فيها حقيقة الأمر .

وعاد الشيخ وصحبه إلى أعمالهم كل فى مكانه ، بل رقى بعضهم فعمل بأقسام التخصص ، وطالب الأزهريون بالشيخ المراغى شيخاً للأزهر ولم يجد الملك بدا من إحالة الشيخ الظواهرى إلى المعاش وتعيين الشيخ المراغى شيخاً للأزهر .

* فى عام ١٩٥١ صدر مرسوم ملكى بإحالته إلى المعاش قبل بلوغه السن القانونية . فقام برفع دعوى أمام مجلس الدولة طالبا فيها إلغاء المرسوم الملكى بإحالته للمعاش وتعويضاً أدبياً ٢٠ ألف جنيه وفى عام ١٩٥٥ صدر حكم من هذه المحكمة بإلغاء المرسوم الملكى الصادر بإحالته إلى المعاش وعودته إلى عمله عميداً لكلية اللغة العربية مع اعتبار الفصل كأن لم يكن مع ما يترتب على ذلك من آثار مادية وأدبية ، وسطرت المحكمة فى حيثيات حكمها سطوراً مضيئة فى تاريخ فضيلته .

* خاض فضيلته طوال حياته معركة رهيبة فى سبيل تنقية كتب التراث من الأباطيل ، ولم يغب عن فضيلته ما قام به الإمام محمد عبده والشيخ المراغى فى هذا السبيل مما مهد الطريق للإصلاح . كما أن العصر قد ترك آثاره فى تفتح الأذهان وفى

تقبل الصالح المستقيم من الأراء الجديدة ومطاردة الخرافات ورجمها .

مؤلفاته العلمية :

١ ـ تيسير التفسير

(تفسير كامل للقرآن الكريم)

ـ صدر منه طبعة واحدة عام ١٩٥٧ في مجلد واحد ونفدت في نفس العام .

ـ ويمتاز هذا التفسير بالسهولة والوضوح والبعد عن القصص والإسرائيليات ويوجد به لأول مرة في التفاسير طريقة لتعريف القارىء النطق الصحيح لبعض ألفاظ القرآن التي يصعب على غير المتخصصين نطقها سليماً .

٢ ـ المصحف الميسر

(تفسير لمعانى كلمات القرآن)

ـ صدر في مجلد واحد وأعيد طبعه ست مرات آخرها كان سنة ١٩٧٤ ونفدت جميعها .

ـ فأما الطبعة السابعة فقد أضيف إليها كثير من الإيضاحات وهي تحت الطبع .

٣ ـ كتاب اجتهاد الرسول ﷺ

ـ صدر منه عدة طبعات ونفدت جميعها .

٤ ـ كتاب مالا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين

ـ صدر منه عدة طبعات ونفدت جميعها .

٥ ـ صفوة صحيح البخارى

ـ ٤ أجزاء تتضمن صفوة من أحاديث صحيح البخارى وعددها سبعمائة حديث مع الشرح الواضح البسيط ، وعلى هذا الكتاب نشأت أجيال عدة من طلبة المرحلة الثانوية بالأزهر . وصدر منه عدة طبعات آخرها سنة ١٩٥٣ ونفدت جميعها . هذا بخلاف عديد من المقالات والأبحاث نشرت في الصحف والمجلات المصرية والعربية .

حياته العائلية :

* لفضيلته خمسة أبناء ذكور وبنت واحدة وهم :

١ ـ محمد عبدالجليل عيسى تخرج في كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

٢ ـ رشيد عبدالجليل عيسى ـ تخرج في كلية التجارة جامعة القاهرة .

٣ ـ خيرى عبدالجليل عيسى ـ تخرج في كلية التجارة .

٤ ـ طاهر عبدالجليل عيسى ـ تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة .

٥ ـ لواء شرطة أسامه عبدالجليل عيسى .

٦ ـ السيدة حرم المرحوم الدكتور حسنين حسنين عمارة الأستاذ بجامعة الاسكندرية سابقاً .

وفاته :

وحان القضاء فأصيب فضيلته في يونيو ١٩٧٩ بشلل ألزمه الفراش حتى لقى ربه في أول رمضان سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢ يوليو ١٩٨١ ميلادية .

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة سلطانية بمنح درجة العالمية

من حسين كامل سلطان مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة العلامة الشيخ عبد الجليل عيسى [illegible] مديرية الغربية

رفع إلينا حضرة الأستاذ الأكبر صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر الشريف ورئيس المجلس

الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ما قرره ذلك المجلس المبارك في ٧ ذي القعدة ١٣٣٤

من استحقاقكم الدرجة العالمية في الامتحان النهائي بمعهد طنطا الذي أجري في سنة ١٣٣٤

وبناء على ذلك أصدرنا براءتنا السلطانية هذه متوجة بتوقيعنا العالي السلطاني بمنحكم درجة العالمية مع حقوقها التي خولها لكم

القوانين والقرارات المتبعة والله نسأل أن ينفع الناس بعلمكم ويوفقكم لما فيه الخير من فضله

تحريراً بسراي عابدين السلطانية في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثين من هجرة خاتم المرسلين

سجل بالديوان العالي السلطاني تحت نمرة ٥٠ بدفتر العالمية

[illegible]

● صورة ضوئية من شهادة العالمية التى منحها السلطان حسين كامل للشيخ عبد الجليل عيسى ●

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« رثـــاء »

لصفية بنت عبد المطلب : ترثى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده
ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

الاجتهاد عند أئمته

قال أبو حنيفة ــ رضى الله عنه :ــ

حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى ،

وكان إذا أفتى يقول : هذا رأى أبى حنيفة ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

وكان مالك ــ رضى الله عنه ــ اذا استنبط حكما قال لأصحابه :

انظروا فيه فإنه دين ، وما من أحد إلا مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يعنى النبى ــ ﷺ ــ .

وقال الشافعى ــ رضى الله عنه ــ للربيع :

يا أبا اسحاق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين .

وقال أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ :

انظروا فى أمر دينكم ، فإن التقليد لغير المعصوم مذموم ، وفيه عمى للبصيرة .

سخـــاء غلام

خرج عبد الله بن جعفر ــ رضى الله عنه ــ يوما الى الريف فوصل الى بستان نخيل وفيه غلام

يشرف عليه ، وكان مع الغلام ثلاثة أقراص هى طعامه ، فدخل كلب واقترب من الغلام ، فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلها ، وعبد الله ينظر اليـه ؛ فقـال : « ياغـلام .. ما طعـامك كل يوم » ؛ قال : ما رأيت ؛ قال : فلم فضلت هذا الكلب على نفسك ؟ قال الغلام : لا توجد كلاب فى أرضنا فعرفت أن هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعا ، فكرهت أن أتركه لجوعه ، قال عبد الله : فما أنت صانع اليوم ؟

قال الغلام : أصوم يومى هذا ، فاشترى عبد الله بن جعفر البستان وما فيه من نخيل وآلات ووهبه له ، فقال الغلام : إن كان ذلك لى فسأجعله كله فى سبيل الله ــ تعالى ــ .

كيف الخـــلاص ؟

إنى ابتليت بأربع ما سلطـوا
إلا لشدة شقـوتى وعنـــائى
إبليس ، والدنيا ، ونفسى ، والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعـــدائى

من أقوال العز بن عبد السلام رضى الله عنه

عندما خلق الله الانسان خلقه كمملكة ، وجعل عليها ملكا ألا وهو العقل ، وأجلسه على كرسى ألا وهو القلب ، وجعل له خدما ألا وهى الجوارح ؛ فقال اللسان : وأنا الترجمان ؛ وقالت العينان : وأنا المبصرتان ؛ وقالت الأذنان : وأنا الجاسوستان ؛ وقالت اليدان : وأنا الباطشتان ؛ وقالت الرجلان : وأنا الساعيتان ؛ وهنا قال صاحب الديوان : « كما تدين تدان » .

أنــــا ... والاناء

جلس بخيل يأكل مع زوجته ، فقال : ما أطيب هذا الطعام لولا كثرة الزحام .

فقالت الزوجة : وأى زحام ؛ وما ثم إلا أنا وأنت ؛ فقال : كنت أحب أن أكون أنا والاناء فقط .

يؤثـــرون على أنفسهم

أمر أحد الخلفاء بضرب رقاب ثلاثة من الصالحين فيهم أبو الحسين النورى ، فتقدم أبو الحسين ليكون أول من تضرب عنقه ، فعجب الخليفة لذلك ، وسأله عن سببه .

فقال أبو الحسين ــ رحمه الله ــ : أحببت أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظات ، فكان ذلك سببا فى العفو عنهم جميعا .

دعـــــاء

اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، وما أنت به أعلم أن ترفع الظلم عن المظلومين ، وأن تخفف عن الفقراء والبائسين والسائلين والمحرومين ، فأنت الظاهر فوق عبادك وأنت الفعال لما تريد ؛ وأنت المبدىء وأنت المعين .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

فى مهجر الرسول
صلى الله عليه وسلم

للشاعر الدكتور عزت شندى موسى
(رحمه الله)

القلب يقفز خفة من أضلعى ... لحبيبه مستكبرا إيطاقى
حتى إذا خفق الفؤاد من الهوى ... لاحت مجالى القبة الخضراء
نفسى فداؤك يا رسول ولو بها ... أرخصت فى حب الرسول : فدائى(*)
أنى لأعجب كيف لم يؤمن بكم ... كفار مكة دون طول عناء
ولقد رأوا من أمركم ما قد رأوا ... حقا مبينا دون أى مراء
[ياليتنى قد كنت بين زمانكم ... وغضارة الإسلام فى أحنائى]
ونظرت نور الحق فوق جبينكم ... متلألئا كالفرقد الوضاء
ولزمتكم فى رَوْحكم وغدوكم ... فصحبت أكرم رائح غداء
وبهرت من حلو الحديث وَصَقْلِهِ ... وأخذت من طهر بدا ونقاء
وحضرت مولد بعثة نبوية ... وشهدت فجر السيرة الغراء

* * *

إنى ظفرت بما رجوت وليس لى ... إن كنت ميتا أو مع الأحياء
بأبى وأمى يا رسول وأنت إن ... تفْس الورى أحنى من الآباء
صابرت إذ أعليت حكم الله فى ... شتى البقاع وزدت فى الإعلاء

(*) مجلة الأزهر : قام التحرير بتعديل طفيف فى البيت الثالث والسادس لتوضيح المعنى .

هلال المحرم

للشاعر رشاد محمد يوسف

تعود بالأمجاد فى كل عام تعود والقوم نيام
تعود والهجرة أنوارها تحوى دروساً عاليات المقام
فيها من الآيات ذخر لنا يغنى الحيارى عن صنوف الكلام
وقصة الغار وما قد جرى ورحلة النور لبر السلام
تعود والأحداث حاقت بنا ونحن فى الأرض شعوب تسام
تجمع الكفر على ديننا وأعلن الغدر وفض اللثام
فى كل أرض أشعلوا فتنة وأوقدوا نار الوغى والضرام
والناس مازالوا على غيهم وحولهم تعوى ذئاب الظلام
« والبوسنة » الصرب أباحوا بها قداسة العرض وطهر الذمام
وقتلوا الآلاف فى نشوة وأنزلوا كل صنوف الحمام
والهند أبدت كل أحقادها وقبلة المسجد صارت حطام
« كشمير » فى الأسر بأشجانها وقبوة الهندوس تدمى « سيام »
وفى سريلانكا أحاطت بنا عصابة البغى تروم انتقام
وفى ربا الصومال كم جائع تمزق فيها صريع الخصام
وأمة العرب على عهدها تمزقت بين العصى والسقام
قد أسلمت للغير أقدارها تحيا كأيتام بكف اللئام

* * *

تعود هل تلقى سوى غافل ؟ أزرى به الدهر طويلا فنام
تعود هل تلقى سوى عاجز ؟ يرضى حياة الضيم دون الأنام
تعود والهجرة أهلا بها تأتى شفاء لنا كل عام
عسى عصاة اليوم أن يرجعوا كإخوة الأمس هداة عظام
عسى غفاة اليوم عن حقهم أن يشهروا فى الحق أقوى حسام
لعلنا نجمع من شملنا حول لواء شامخ لا يضام
لعلنا نصلح من شأننا ونحسن القصد ونيل المرام
نعلى لواء الحق فى أمة تبيت حيرى بين هذا الزحام
وبينها القرآن نبع الهدى وسنة ترقى بها للأمام

البوسنه والهرسك

د. عبد الفتاح محمود عمرو شعيب

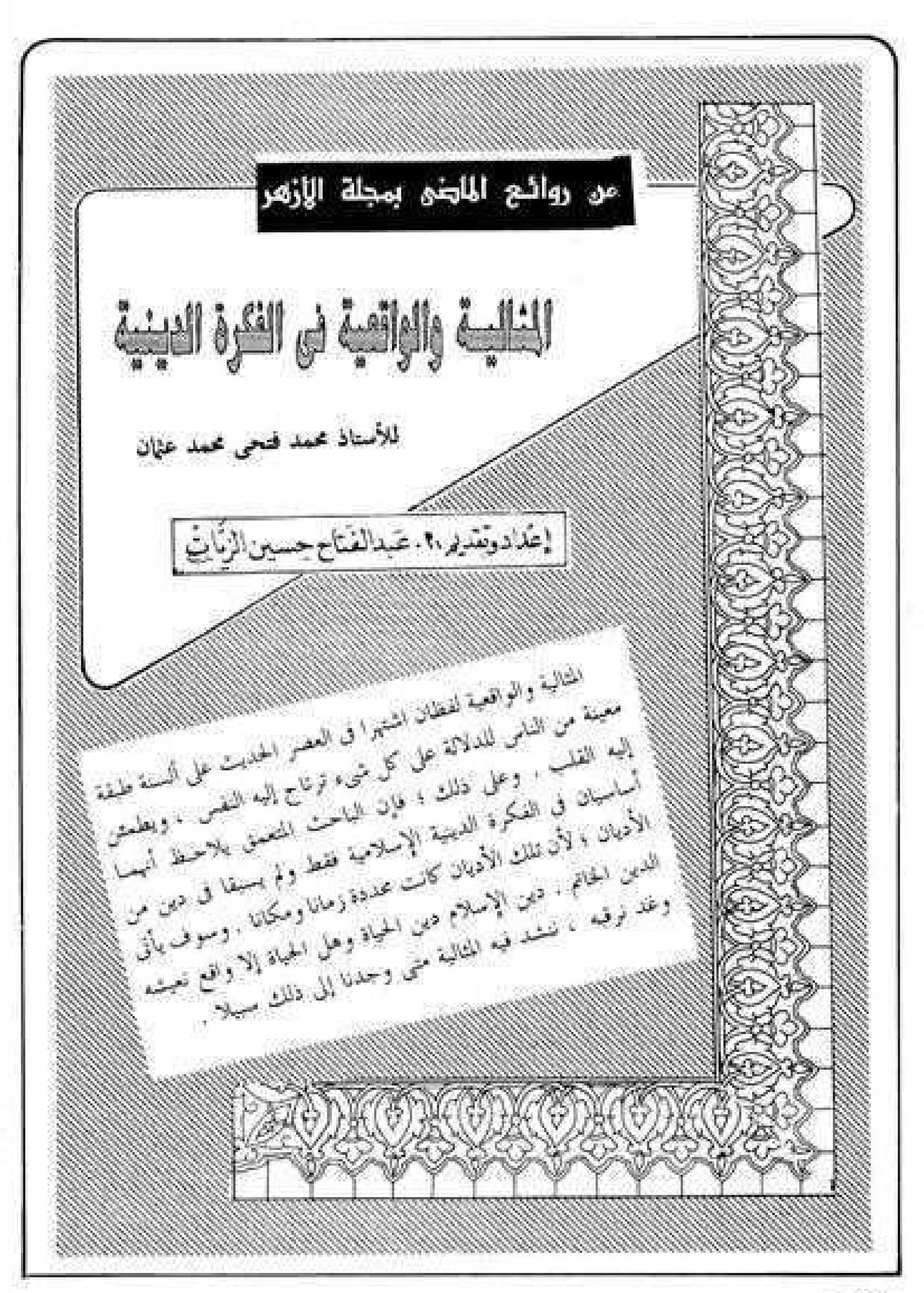
أيــن أطفــالهم وأيــن الأسارى كيف باتت نساؤهـم والعـذارى ؟
كيــف بالله تستقــر جفــون وعيـون الذئـاب تقـذف نارا ؟
كيـف يعيشون والعـذاب محيط قد أزاحت أسواطـه الأستـارا ؟
من مجير الشيـوخ في رقـدة الليـل إذا الـرعب مزق الأسحـارا ؟
من مجير العجـوز من عقـر ثلـج وعــدو يحطـم الأسوارا ؟
من يغـيث الجريح حين ينـادى ألم الجرح يشيب الأظفـارا ؟
من لطفــل قد اصطلى فقــد أم يجتلى الليـل وجههـا والنهارا ؟
من لثـكلى رحـابها مستبـاح تركوهـا وقـلبها انهارا ؟
تركوهـا وحـزنها يملأ الأفــق سواداً ويطفــىء الأبصارا
يا إلهى أدرك بحقك قومــاً سلب الغـدر أرضهـم والديـارا
في ربوع « البلقان » يرجون عونـاً بعـد أن أحكـم الجميـع الحصارا
واكتفى المسلمـون بالقـول عونـاً واكتفـى الكـل بالإخـاء شعـارا
وهبوهـم من الكــلام جيـوشاً ومــن الوهـم قوة وانــتصارا
يا إلهى ولــيس غيرك يرجـى أن يذيـق الظلــوم ذلاً وعـارا
يا دعـــاة السلام ماذا رأيتم من حقـوق لأمـة تتـوارى ؟!!
أرأيتم حق الضعيــف بليــل ورأيتم حق القــوى نهارا ؟!!
يا لك الله بنــت من عدو وأخ آثـر الحيــاد خيــارا
فاصبرى قد يمن ربى بنصر بعـد أن ضيــع العبــاد الجوارا
لا تخاف السلاح إن سلاح الحق يعلـو ولـو غدا أحجــارا

« دعــاء »

شعر : خليل فوّاز

إليكَ إلهي لا إلى النّاسِ أفــزعُ — إذا ما أصابَ النّـفسَ همٌّ مروّعُ
ألملمُ أشتاتي وأدلو وأنحني — أتمتمُ أعذاري وأجثو وأركعُ
وأسجدُ إيمانًا وحُبًّا وخشيةً — وقلبي إلىّ ربّي يثوبُ ويخشعُ
وبينَ يديْ مولايَ ألقي حمولتي — فتصعدُ آهاتٌ وتنسابُ أدمعُ
وأرفعُ للمولى ذراعيّ داعيًا — وألحفُ على استنجابٍ وأشفعُ
لكَ الملكُ يا ربَّ السّماءِ ، وإنّني — ببابكَ في الضّرّاءِ أدعو وأضرعُ
فلا خيرَ في الدّنيا ولا في نعيمها — إذا لمْ يكنْ للنّفسِ دينٌ فتردعُ
أثبني بعفوٍ منْ لدنكَ مؤيّدا — فإنّكَ ياذا المَنّ تعطي وتمنعُ
تخفّفُ آهاتي وترقى مدامعي — وليسَ وراءَ العفوِ للنّفسِ مطمعُ
وأعلمُ أنّي كلّما جئتُ سائلًا — أفوزُ بعفوٍ لا أخيبُ وأرجعُ
لأنّي سألتُ الله جلّ جلالهُ — ومنْ عندَ غفّارِ الذّنوبِ يضيّعُ ؟!
إذا ضاقتِ الأنفاسُ في الصّدرِ لمْ أجدْ — حوالىّ إلّا الله يحنو ويسمعُ
تضاءلتِ الأبوابُ رغمَ اتّساعها — بعيني ، فبابُ الله أدنى وأوسعُ
فيا ربُّ هلْ يمحو ذنوبي تضرّعي ؟ — فإنّي مدى الأيّامِ أدعو وأضرعُ
ويا ربُّ هلْ يمحو ذنوبي تهجّدي — فإنّي أقومُ اللّيلَ بلْ لستُ أهجعُ ؟
ويا حيُّ يا قيّومُ هلْ لي بنفحةٍ — منَ الهدى بعدَ الغيّ تمحو وتشفعُ ؟
ويا واهبَ المننِ العظامِ تكرّمًا — فإنّكَ تؤتي منْ تشاءُ وتنزعُ
ويا ربُّ عفوكَ إنْ أطلتُ تضرّعي — فإنّي على قدرِ التّضرّعِ أطمعُ
ويا ربُّ ما وفّيتُ شكري فلمْ تزلْ — عطاياكَ أدعى للسّرورِ وأدفعُ
ثوابٌ وإحسانٌ وبرٌّ ورحمةٌ — وتمنحُ بلا منٍّ ورزقٌ موسّعُ
فيا نفسُ توبي إنّما العمرُ لحظةٌ — إذا مرّ لا يجدي البكاءُ المقطّعُ
أنيبي إلى المولى إنابةَ مخلصٍ — فكلٌّ إلى المولى بيومٍ سيرجعُ
عسى الله أنْ يمحو ذنوبي جميعها — وبالخلدِ في مأوى النّعيمِ أمتّعُ

* * *


عن روائع الماضى بمجلة الأزهر
المثالية والواقعية فى الفكرة الدينية
للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان
إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات
المثالية والواقعية لفظتان اشتهرا فى العصر الحديث على ألسنة طبقة معينة من الناس للدلالة على كل شىء ترتاح إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب ، وعلى ذلك ، فإن الباحث المتعمق يلاحظ أنهما أساسيات فى الفكرة الدينية الإسلامية فقط ولم يسبقا فى دين من الأديان ، لأن تلك الأديان كانت محددة زمانا ومكانا ، وسوف يأتى الدين الخاتم ، دين الإسلام دين الحياة وهل الحياة إلا واقع نعيشه وغد نرقبه ، ننشد فيه المثالية متى وجدنا إلى ذلك سبيلا .

قال الأستاذ :

من المصطلحات التي شاع تداولها في هذا العصر ، كلمة « المثالية » وكلمة « الواقعية » فإذا دعوت إلى صورة من صور الخلق النبيل ، قيل لك : هذه مثالية ...

وإذا دعوت إلى الأديان وإلى فضائل الأديان ، قيل لك : كن واقعياً ...

فما هي المثالية ؟ وما هي الواقعية ؟

أسئلة يجب أن تتقرر إجابتها في وضوح ، حتى لا يتيه شبابنا بين زيف الألفاظ وشقشقتها .

حقيقة المثالية :

ونحن نرد على السؤال بالسؤال ، فإن الحرب اليوم تقول : إن أحسن طرائق الدفاع هي الهجوم .

لذلك نتساءل : ما منع المثالية أن تكون واقعية ؟ ولم لا يكون المثل الأعلى واقعياً ، ولم لا يكون الواقع القائم مثالياً ؟

ومن الذى حتم أن تكون المثالية والواقعية كلمتين متقابلتين متضادتين ؟

وهل تندك الأرض وتنطبق السماء إذا جعلنا المقابل للواقع ، هو الخيال — فنقول : خيالية وواقعية ، بدلا من أن نقول مثالية وواقعية ؟؟

وهل يجوز أن تنطلى على العقول مؤامرات الشياطين من الإنس والجن التي تريد أن تزيح الخير والفضيلة من الوجود ، فهي لا تفتأ تحاول أن تقنع أصحاب العقول بأن لا مكان للخير والفضيلة في العالم .. من ناحية الواقع !!

مثالية الدين :

وإذا صح أن هناك مثالية تقابل الواقعية ، فهيهات أن تكون هذه المثالية مثالية الدين . ذلك أن صانع الدين هو صانع الإنسان وصانع الدنيا ، فمن المستحيل أن يتضارب دين الله مع الناس ومع دنيا الناس قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وكل من يدين لله ، يقر له بالكمال والقدرة والعلم والوحدانية . ومن التناقض المعيب بعد هذا الإيمان ، أن ينكص المرء فيعود ليقول : إن مثالية الدين لا تصلح لواقع العصر ، لأن مؤدى هذا طعن فيما ينبغى لصاحب الدين من كمال تخلو به أفعاله من أى نقص ، وقدرة يبرأ بها صنعه من العجز ، وعلم يكفل الإحاطة الشاملة بواقع عصرنا ، وواقع ما قبل عصرنا وما بعد عصرنا ؟

لم يبق إلا أن يكون الإله الذى صاغ الدين ، غير الإله الذى خلق الدنيا وخلق الناس ، ومن وصلت عقيدته إلى مثل هذه الزلزلة وهذا التخبط والتخليط فعليه أن يرجع أدراجه ، ليستروح نسائم الإيمان من أول الطريق !

واقعية الدين ... في وسائطه :

إن مثالية الدين واقعية في كل شيء ...

هي واقعية حين تختار الحكمة الإلهية « وسطاً حياً » عن طريقه يتم الوحى من السماء إلى الأرض ... إن هذا الوسط « إنسان » له كل

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

خواص البشرية ، وإن هذا الوسط يستوعب الوحى فلا يخرم منه حرفا ، ويبلغه فلا يتقول فى ذلك الأقاويل ، ويكون صورة مجسمة لهديه وأحكامه ، تسعى بين الناس فى الأرض كتاباً منشوراً من الأخلاق والأقوال والأعمال ، يقرأه من لا يعرف القراءة ، ويأخذ عنه من لا ينطلق بلغته ولسانه ...

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(٢)

هذه النبوة .. هى أصدق مثال لواقعية الدين .

إن الله لا يخاطب كل إنسان عن طريق مباشر ؛ لأن هذا أمر ليس فى طاقة كل إنسان ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾(٣) .

وإن الله لا يرسل ملكا ، لأن الملك لا يتوافق بطبيعته الملائكية مع الطبيعة البشرية .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾(٤)

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾(٥) !!!

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٦) ؟؟

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾(٧) .

لكن الله يرسل بشراً ، يختاره ويجتبيه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصنعه على عينه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، ثم يبعثه فى الناس فيكون وسطاً بشرياً للوحى الإلهى ، هو من الناس وإليهم ، وهو يعيش بين ظهرانيهم ، به يأتسون ، وإليه يطمئنون ، وعنه يتلقون ...

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣ ﴾(٨) ؟

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ ﴾

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠ ﴾

---

(٢) سورة الكهف آية ١١٠

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٤) سورة الأنعام آية ٨ .

(٥) سورة الأنعام آية ٩ .

(٦) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٧) سورة الإسراء آية ٩٥ .

(٨) سورة الإسراء آية ٩٠ ـ ٩٣ .

(٩) سورة الفرقان آية ٧ ـ ٩ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾(١٠).

وقد يقال هنا : إن الناس أنفسهم كانوا يطلبون من مقام النبوة طبيعة غير بشرية ، أفلا تكون إجابتهم لطلبهم مراعاة لواقع حالهم ، وإبطالا لحجتهم ؟

والجواب هنا ... لا

إن الواقعية هنا هي ما اقتضته الحكمة الإلهية في الطبيعة البشرية ، أما هذه المطالب الشاذة فهي ليست طبيعية بالنسبة لعموم البشر ، ولعموم الزمن .

لربما بهرت هذه التهاويل أعين البعض ، ولكنها ليست المستوى المعتدل الوسيط الذى يلتقى عليه الناس كلهم ، ولربما استرضت جيلا يحس ويشاهد ، ولكن ما ذنب باقى الأجيال ؟؟

بل إن هؤلاء الشاذين سوف يكونون كذلك بالنسبة لأى وضع ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝ ﴾(١١) . فقضيتهم ليست قضية الحجة والدليل بأى حال ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ ﴾(١٢)

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(١٣) .

وهذه النبوة قد يصاحبها كتاب ...

وهذا الكتاب وسيط واقعى ، يسجل فيه التخطيط الرئيسى لأصول الدين ومعالمه .

ولقد كان هذا الكتاب فى الأديان واقعياً ، إذ كان منظوراً ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(١٤) .

وكان الاعتماد الرئيسى على الكتاب الحكيم آخر رسالات الله وأكملها ، حين نضجت البشرية وأصبحت مستعدة للتلقى عن الكتاب ، وللتجريد العقلى فى الفهم عن الكتاب ، فجاء الإسلام خاتم الأديان ومعه الكتاب الخالد والمعجزة الخالدة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

يقول أحد المعاصرين : «إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبرهانا على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد ، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه ، وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل النقى البسيط ، ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب فى الحث على الفضائل والتنفير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أن الدعوة التى تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات » .

---

(١٠) سورة الفرقان آية ٢١ .
(١١) سورة الحجر آية ١٤ .
(١٢) سورة الأنعام آية ٣٣ .
(١٣) سورة النمل آية ١٤ .
(١٤) سورة الرعد آية ٣٩ .

« وفي هذا ما فيه من وضوح مزية الرسالة المحمدية ، وترشيحها للخلود والتعميم ، وآيات الأنبياء السابقين الخارقة حادثات وقعت وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذي اختلف كل الاختلاف عن أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء ، هو أسلوب خالد حي قوى في كل زمان ومكان ببراهينه ودلائله وحيويته ونفوذه وفصاحته ومعقوليته ومنطقه وسموه ، ولذلك كان وظل معجزة النبوة الخالدة الكبرى من هذه النواحي »[15] .

هذا الكتاب نفسه[16] ـ وهو وسيط واقعي ـ تناول الحقائق الأساسية في دين الله بأسلوب هو معجز لأنه من عند الله ، وهو معجز لأنه ملائم للبشر في كل زمان ومكان .

فهو مزيج متجانس من اللفظ والمعنى ، من العلم والفن ، من التشريع والتربية ...

لا يتناول التقريرات والنصوص والأحكام الشرعية والنواميس الكونية والاجتماعية تناولا جافا يضيق به غير المتخصصين ... ولا يرضى سذاجة العامة بنوع من المعزوفات اللفظية التي تستغرق منهم جانب الوله العاطفي ، وتدع الواحد منهم يتراقص في نشوته بغير معالم محددة وأصول واضحة ... بغير ثقافة أساسية وشريعة بينة ...

وهو لا يجمع بين الجانبين كما يجمع الزيت والماء ، يطفو أحدهما على الآخر ولا يختلطان ، فيضحى كتاب الله عضين ، منه جانب للعامة وآخر للخاصة ، ومنه قسم للمعاش وآخر للمعاد ، ومنه باب للشريعة وآخر للحقيقة ، بل إنه محبوك الأطراف ، متصل الحلقات أعلاه مثمر ، وأسفله مغدق . ومن شاء البيان للمثال ، فليراجع آية الدين في آخر البقرة ، ويرى كيف تعانقت نصوص التشريع مع روحانية التربية ...

ثم من شاء البيان للمثال ، فليستمع إلى خطيب يخطب ، والمستمعون بين فاهم وغير فاهم ومتجاوب وغير متجاوب ، حتى إذا قرع الأسماع بآية من كتاب الله إذا بالجمع ينتفض انتفاضة الوعي ... على اختلاف الدرجات !!!

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[17] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[18]

إن الفكرة الدينية واقعية من حيث الشكل الذي اتخذته للوصول إلى الناس ... النبوة ، والكتاب ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾[19] وهي واقعية كذلك من حيث الموضوع ، أي من حيث أصولها وقواعدها وتفصيل هذا يحتاج إلى غير هذا المقال .

---

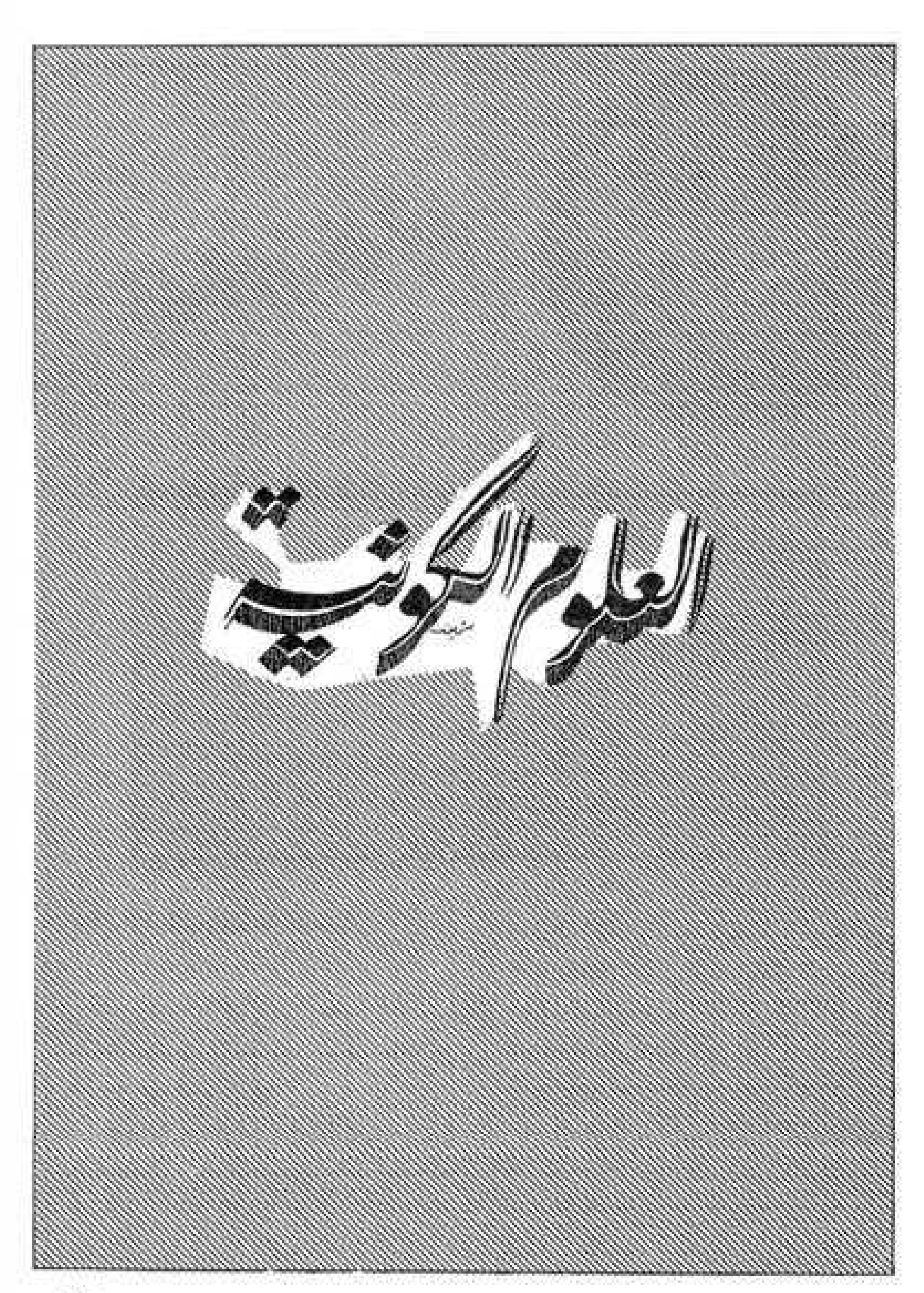
(15) سيرة الرسول محمد عزة دروزة ـ طبعة التجارية ـ جـ 1 ص ٢٢٦ . وهذا لا ينفي طبعاً وقوع معجزات حسية للنبي في منزلة تالية لمنزلة القرآن كمعجزة . راجع المصدر نفسه ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .

(16) نقصد هنا القرآن . لأنه هو الكتاب الرباني المقطوع بصحته سنداً ومتنا ، جملة وتفصيلا .

(17) سورة فصلت آية ٤٢ .

(18) سورة القمر آية ١٧ .

(19) سورة الحديد آية ٢٥ .


العلوم الكونية



كوكب الزهرة .. توأم الأرض

أ.د. أحمد فؤاد باشا

ساد الاعتقاد لعدة قرون بأن الزُّهَرَة « توأم » الأرض فلهما — تقريبا — نفس الحجم والكتلة والكثافة ، إلى جانب أنهما أكثر الكواكب قربا من بعضهما في نفس الجهة من المجموعة الشمسية ، لكن المعلومات التى حصل عليها العلماء حديثا ، باستخدام مراصد أرضية وفضائية متطورة ، أوضحت اختلاف الكوكبية من جوانب عديدة ، وأكدت بعض السمات الفريدة التى تتميز بها الزهرة عن أى كوكب آخر .. ولا تزال سفينة الفضاء الأمريكية « ماجلان » تواصل مهمتها التى بدأتها منذ أربع سنوات تقريبا فى وضع خرائط تفصيلية لسطح الزُّهَرَة المقنع وكشف المزيد من معالمه الغامضة .

موقع الزهرة فى المجموعة الشمسية :

المعروف أن كواكب المجموعة الشمسية التسعة تنتظم فى ترتيب معين حسب بعدها عن الشمس على النحو التالى :

عطـــارد — الزهــرة — الأرض — المريخ — المشترى — زحل — أورانوس — نبتون — بلوتو وتخضع هذه الكواكب فى مساراتها حول الشمس لقانون الجاذبية والقوى الناشئة من الدوران فكلما زاد بعد الكواكب عن الشمس قلت جاذبية الشمس له ، وبالتالى قلت سرعته وطالت مدة دورته حول الشمس إلى أن تصل إلى نحو ٢٤٨ سنة بالنسبة لأبعد الكواكب (بلوتو) الذى يدور حول الشمس بسرعة قدرها ٤,٧ كيلو متر فى الثانية وهى سرعة صغيرة جدا إذا ما قورنت بسرعة أقرب الكواكب عطارد التى تقدر بنحو ٤٧,٩ كيلو متر فى الثانية وتجعله يكمل دورة كاملة حول الشمس فى ٨٨ يوما فقط .

وكوكب الزهرة الواقع بين عطارد والأرض يعتبر ألمع جرم سماوى بعد الشمس والقمر ، وذلك نتيجة لانعكاس ضوء الشمس على غطاء السحب الكثيف الذى يحيط به . وقد بيّنت الأرصاد الفلكية أن الزهرة تدور حول الشمس بسرعة ٣٥ كيلو متر فى الثانية ، وتكمل الدورة الواحدة فى فترة زمنية مقدارها ٢٤٣ يوما أرضيا مقارنة بدورة الأرض التى تقدر بنحو ٣٦٥ يوما ، وأعجب ما يميز الزهرة هنا هو أنها الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية الذى يدور فى عكس اتجاه دوران الأرض وباقى الكواكب ، وهذا يعنى أن الشمس تشرق على كوكب الزهرة فى الغرب وتغيب فى الشرق .

من ناحية أخرى ساعد علم الفلك الاشعاعى وتطور تقنية المقاريب (التلسكوبات) الفلكية على متابعة ملامح سطح كوكب الزهرة بالتحرك معه فى أثناء دورانه ، وأمكن تحديد طول يوم الكوكب بقياس زمن دورانه حول محوره فوجد أنه يعادل ٢٢٥ يوما من أيام الأرض ، وأن فترة النهار من طلوع الشمس حتى مغيبها ، تستغرق ١١٨ يوما أرضيا ومن الملاحظ أن طول يوم الزهرة يساوى سنتها تقريبا ، أى أن الفصول الأربعة : الربيع والخريف والصيف والشتاء التى نألفها على الأرض كل عام تتعاقب على سطح الزهرة فى اليوم أو العام على حد سواء .

الغلاف الجوى للزهرة :

أكدت الأرصاد الفلكية والقياسات المباشرة من خلال السفن الفضائية أن درجة الحرارة العظمى فوق سطح الزهرة تبلغ ٤٨٠ درجة مئوية ، وأن سرعة الرياح تبلغ حوالى ٣,٢ كيلو متر فى الساعة ، وأن الضغط الجوى أكبر بتسعين ضعفا من الضغط الجوى على سطح الأرض ، وهو يعادل ضغط أو وزن الماء على عمق كيلو متر واحد تحت سطح البحر ، ولكى تستطيع مركبة فضائية أن تبقى سليمة وقتا طويلا على سطح الزهرة ، يجب أن تكون مصممة بشكل مماثل للغواصات ، ومزودة بوسائل تبريد لمقاومة الحرارة والضغط العاليين .

ويتألف الغلاف الجوى للزهرة فى أغلبه من ثانى أكسيد الكربون بنسبة ٩٦٪ بالإضافة إلى كميات ضئيلة جدا من بخار الماء والنتروجين .. وقد تبين أن غيوم الزهرة مؤلفة بشكل رئيسى من محلول حمضى مركز ، فعلى ارتفاع نحو سبعين كيلو مترا توجد طبقة رقيقة من الضباب وعند الهبوط إلى مستوى ٦٠ كيلو متراً تظهر الغيوم الكثيفة المؤلفة من قطرات حمض الكبريتيك المركز ، ومع استمرار الهبوط تكبر الجزئيات المكونة للغيوم ويزداد تركيز غاز ثانى أكسيد الكبريت نسبيا فى طبقات الجو المنخفضة ، وهو يدور إلى اعلى فوق الغيوم حيث يتحلل بتأثير الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس ثم يتحد ثانية بالماء الموجود هناك مشكلا حمض الكبريتيك الذى يتكثف إلى قطرات ويتفكك فى الارتفاعات المنخفضة بتأثير الحرارة متحولا من جديد إلى ثانى أكسيد كبريت وماء ، وهكذا تتكرر الدورة فى جو الزهرة ، حيث تمطر السماء

دائما حمض الكبريتيك ، دون أن تصل قطرة واحدة منه إلى سطح الكوكب .

ومثل هذا الطقس على سطح الزهرة يجعل فرص الحياة المعروفة لدينا غير محتملة على سطحه ، كما يجعل نزول مركبات فضائية مأهولة بالإنسان أمراً غير متوقع فى المستقبل القريب .

رسائل الإنسان إلى كوكب الزهرة :

كان العالم الايطالى « جاليليو جاليلى » أول من رصد كوكب الزهرة من خلال منظاره الفلكى . وبالرغم من ضآلة درجة تكبير مقرابه (تلسكوبه) التى كانت تزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفا فقط ، إلا أنه تمكن من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، حيث لاحظ أنها تظهر فى أطوار مختلفة كالقمر ، متحولة من هلال رقيق إلى قرص كامل ضعيف الإضاءة بلون أصفر باهت .. وقد كان هذا الاكتشاف من بين الأدلة المؤيدة لدوران الأرض حول الشمس .

ولم تستطع تقنية المقاريب الضوئية ــ رغم تطورها ــ أن تضيف كثيرا إلى ما أخبر به منظار جاليليو . فهذا الكوكب المقنع مغطى بطبقة كثيفة من الغيوم التى تعكس ضوء الشمس الساقط عليها . لكن المقاريب الاشعاعية والمركبات الفضائية فتحت نافذة جديدة لدراسة كوكب الزهرة ، وكشف المزيد عن معالم سطحه وغلافه الجوى . فقد استطاع عدد من المركبات الفضائية أن يدخل إلى جو الزهرة الكثيف ويخترق غيومه ويبقى على سطحه سليما لمدة تزيد أو تقل عن ساعة تقريبا .

وقد أظهرت الصور التى ارسلتها هذه المقاريب والمركبات أن السبب الأساسى فى ارتفاع درجة الحرارة على سطح الزهرة يعزى إلى ما يسمى بظاهرة « الصوبة » أو « البيت الزجاجى » Greem House effect . ذلك أن الجو الكثيف على الزهرة يعمل مثل « الصوبة الزجاجية » التى تمنع تسرب الحرارة إلى خارجها ويقوم بهذا الدور كل من غاز ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء المعروفين بقدرتهما الفائقة على حجز الاشعة الحرارية تحت الحمراء .

من ناحية أخرى أوضحت الصور التى أرسلتها المركبات الفضائية أن سطح الزهرة يتكون فى الأغلب من تضاريس ذات هضاب قليلة الارتفاع تخترقها وديان كبيرة يعتقد أنها ذات أصل حركى . والمناطق المرتفعة على كوكب الزهرة يغلب عليها التكوينات الجبلية . ولعل هذه الطبيعة الصحراوية القاحلة تقدم لنا تفسيرا مقبولا لارتفاع نسبة ثانى أكسيد الكربون ــ المنطلق أساساً من النشاطات البركانية ــ فى كوكب الزهرة عنه فى الغلاف الجوى للأرض التى لديها العديد من البراكين النشطة بيتها لا يشكل ثانى أكسيد الكربون فى جوها سوى أقل من واحد بالمائة . والجواب يكمن فى الكائنات النباتية الوفيرة على سطح الأرض ، حيث تستعمل النباتات ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء فى عملية التمثيل الضوئى لانتاج المواد العضوية ، وينطلق الاكسجين كأحد المواد الناتجة إلى الجو .. ومع مرور ملايين السنين عملت الحياة النباتية على تغيير جو الأرض بالإقلال من ثانى أكسيد الكربون والإكثار من الاكسجين إلى أن أصبح له التركيب المثالى الصالح لاستقبال الأحياء واستمرار الحياة كما أرادها الله ــ سبحانه وتعالى ــ على هذه الأرض . ويبدو أن كوكب الزهرة

لا يحتوى على كائنات حية أو تركيبات كيميائية تستطيع إزالة ثانى أكسيد الكربون من جوه ، وعليه فإن تركيز الغاز قد وصل إلى الحد الأقصى (٩٦٪) الذى هو عليه الآن .

ويعكف العلماء – حالياً – على دراسة الرسائل التى تبثها السفينة الفضائية « ماجــلان » Magellan منذ أربعة أعوام تقريبا[*] فقد كشفت السفينة عن مجموعة من الظواهر الطبيعية التى كان يكتنفها الغموض على سطح الزهرة من ذلك أن عدد الفوهات على الزهرة يقدر بنحو ٨٥٠ فوهة ، وهو أقل بكثير من عدد الفوهات على سطح القمر أو المريخ ، ويعتقد العلماء أن النيازك الصغيرة تتلاشى فى جو الزهرة ، أما الفوهات الكبيرة فيمكن أن تكون قد دفنت نتيجة لتدفق حمم بركانية قديمة عليها .

من ناحية أخرى ، استدل بعض العلماء من دراستهم لصور « ماجلان » على أن أجزاء كبيرة من سطح الزهرة أعيد تشكيلها أثناء حادثة بركانية كبيرة حدثت منذ ٥٠٠ مليون سنة مضت ، مشابهة لانفجارات شوهدت على المريخ والقمر . ويرى آخرون أن كوكب الزهرة يتمتع بحالة من الاستقرار تتضمن نشاطا بركانيا ثابتا تقريبا عبر الزمن الجيولوجى .

وعلى الرغم من أن سرعة الرياح السطحية على كوكب الزهرة لا تتجاوز بضعة كيلو مترات فى الساعة ، فإن آثارها تبدو واضحة حول الكثير من فوهات البراكين .

ويفيد العلماء كثيرا من تتبع هذه الآثار المميزة والمتجهة عادة نحو خط الاستواء ، حيث يمكن اعتبارها مؤشرا يدل على حركة الغلاف الجوى .

ومع انتهاء مهمــة « ماجــلان » فى عام ١٩٩٥ م ، فإنها ستكون قد زودتنا بكمية هائلة من الرسائل التى لا تقتصر فائدتها على كشف أسرار الكوكب المقنّع ، بل إنها تفيد كثيرا فى فهم تاريخ الكوكب التوأم الذى نعيش عليه ؛ لأنه أكثر الكواكب ملاءمة لحياتنا ، فمن ترابه ومائه خلق الله الإنسان ، وعلى صدره وخيراته تركه يعيش وينعم بما سخره له ، وإليه يعيده ليتلاشى ترابا ، ثم يبعثه تارة أخرى وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ سورة الملك

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة النمل) .

---

[*] تقوم سفينة الفضاء الأمريكية « ماجلان » حاليا برسم خرائط لما يتراوح بين ٧٠ و ٩٠ بالمائة من سطح الزهرة مما يسمح برصد التغيرات التى تحدث فى الكواكب بمرور الزمن .

البعوض ماله .. وما عليه

بقلم: منذر محمد عبد الرحمن [*]

إن أبسط تأمل فى الكون الفسيح الزاخر بشتى آيات الوحدانية يحرك مشاعرنا ، ويملأ قلوبنا بالجلال والخشوع أمام علامات قدرة الله فى مخلوقاته . فلقد خلق الله ـ عز وجل ـ كل مخلوق فى الأرض والسماء بحكمة بالغة وهدف معين ، وزوده بما ييسر له سبيل وجوده ، ووهب كل كائن دلائل إعجازه الخاصة به ، لا فرق فى ذلك بين الفيل والبعوضة ؛ ليسير كل شيء بقدر معلوم . ولكن من فرغ قلبه من الإيمان لا تعنى له هذه الكائنات أى قيمة ؛ فالشمس بالنسبة له جرم سماوى يبلغ قطره عدداً محدداً من الكيلومترات ، والشجر صالح للاحتطاب ، والبعوضة كائن تافه لا غرض من وجوده وليس له أدنى أهمية .. الخ .

فى الكتاب العزيز جاء ذكر البعوضة قال ـ عز وجل ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة البقرة

أما الذين آمنوا فقد وهبهم الإيمان نوراً فى قلوبهم ، وحساسية فى أرواحهم ، وتفتحاً فى مداركهم ، واتصالاً بالحكمة الإلهية فى كل أمر وفى كل قول يجيئهم من عند الله . وهم بعد ذلك يدركون أن الكائنات البشرية خلقت لتفكر ، وأن الفهم متعة ، والمعرفة شرط لاستمرار الحياة ، والتفكر يعمق الإيمان ؛ ولذلك فقد دعا

(*) ـ الكاتب : باحث بمعهد بحوث وقاية النباتات ـ فسيولوجيا الآفات .

الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إلى البحث والتأمل فى بديع صنعه فقال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾

آل عمران / ١٩٠ ـ ١٩١

ويرشدنا القرآن الكريم إلى الطريق السليم .. إلى الإيمان ويضرب الأمثال لنا فى كثير من المواضع للدلالة على بالغ حكمته وعظيم قدرته . والله لا يستحيى ولا يستنكف ولا يمتنع أن يضرب مثلاً أى مثل كان ، بأى شىء كان ، صغيراً كالبعوضة أو ما فوقها من الصغر ، أو كبيراً .

وهكذا وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى البعوضة التى يعتقد البعض أنها من الضآلة والصغر بحيث لا يضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ المثل بها ، ولكن بالرغم من ضآلة هذه الحشرة وتفاهتها فإن الباحث والمتأمل فى خلقها لا يسعه إلا أن يخر ساجداً لله أمام عجائب هذه الحشرة .

البعـوض :

البعوض مجموعة من الحشرات غير كبيرة بالمقارنة بعائلات الخنافس مثلاً تلك التى تزيد عن ٥٠ ألف نوع ، وقد عرف العلماء حوالى ٣٤٥٠ نوعاً من البعوض فقط ، وكل عام يضاف حوالى ١٨ نوعاً جديداً . أما بداية ظهور البعوض فإنها تتسم بالغموض ، ويرجح ظهوره فى (المداريات) من ٢٠٠ مليون سنة خلت على الأقل . أما الآن فإن البعوض ينتشر فى كل بقاع العالم تقريباً ويعيش تحت أى ظروف بيئية ، فى أعالى جبال الهيمالايا على ارتفاع ١٣٠٠٠ قدم ، وفى أعماق المناجم على عمق ٦٠٠ قدم تحت سطح الأرض ، وفى حر المنطقة الاستوائية ، وهناك آلاف من الأميال المربعة من الأقاليم الباردة المحيطة بالقطب الشمالى تمتلىء بأعداد رهيبة من البعوض تسد السماء تماماً ، وفى واحدة من التجارب سجل الباحثون الكنديون ـ الذين كشفوا جلودهم وأيديهم وأرجلهم للبعوض القطبى ـ (٩٠٠٠) تسعة آلاف عضة فى الدقيقة ، بهذا المعدل ، قد يفقد الإنسان غير المحمى نصف كمية دمه خلال ساعتين ، بسهولة كافية ليدركه الموت . فما السر الذى يكمن خلف مقدرة البعوض على البقاء ؟

لا شك أن الجزء الأكبر من مقدرة البعوض على البقاء يعود إلى لجوء هذه الحشرة إلى فترة نوم طويلة فى الظروف الصعبة ، ففى البلاد ذات الجو البارد فى الشتاء تلجأ الحشرة إلى ما يسمى بالبيات الشتوى ، وفى الأصقاع شديدة البرودة تمضى البعوضة بياتها الشتوى على حالة (يرقانة)[1] تتحمل الثلوج حولها طوال فصل الشتاء ، وفى الجو شديد الحرارة تلجأ إلى البيات الصيفى فإذا تحسنت الظروف أكملت دورة حياتها .

مصاصة للدماء :

وتبدأ دورة حياة البعوضة من بيضة صغيرة عائمة على سطح ماء راكد ، تفقس عن يرقانة نشطة للغاية تعوم فى الماء وتجمع غذاءها من فوق سطحه بواسطة (ممص) ينتهى بأهداب كثيرة حول الفم . تنسلخ اليرقانة عدة مرات ، ثم

تتحول إلى عذراء تبقى عادة عند سطح الماء ، فإذا أزعجت تتحرك نحو القاع وتعود بعد أن يزول الخطر ، وبعد مدة يومين أو ثلاثة ينشق جلد العذراء وتخرج منه البعوضة التى نعرفها جيداً ، ولكنها تكون مجعدة الجناحين فترتكز على غلاف العذراء العائم على سطح الماء حتى يصلب جلدها ، وينفرد جناحاها فتطير باحثة عن مصدر للغذاء .

تتغذى ذكور البعوض على رحيق الأزهار المختلفة وعصارات الفاكهة ، أما الإناث فلابد أن تحصل على كمية كافية من الدماء كمصدر للبروتين اللازم لوضع البيض ، وهذا لا ينفى أنها تتغذى أيضا على الرحيق ، وعملية الحصول على تلك الجرعة من الدماء عملية بالغة الدقة كما سنرى .

كيف تحصل على دمك ؟

تفضل معظم أنواع البعوض من الإناث أن تحصل على وجبتها بعد غروب الشمس ، حيث تبحث الأنثى عن عائلهـــا بمساعـــدة قرنى استشعارها . ويوجد على كل قرن مستقبلات حساسة تستثار بواسطة رائحة العائل وتركيز ثانى أكسيد الكربون الذى يزيد حوله نتيجة تنفسه ، وبمجرد أن تعثر أنثى البعوض الجائعة على عائلها تكون قد أنجزت نصف عملها ، ويتبقى النصف الصعب حيث يتعين عليها أن تهبط على جلد العائل وتعثر على وعاء دموى مناسب خلال الجلد ، وهو أمر ليس سهلاً ثم تغرس إبرتها حتى تصل إليه وهى عملية خطرة على حياتها ، ففى العادة تضطر البعوضة إلى غرس إبرتها فى الجلد عدة مرات قبل أن تعثر على المصدر الكافى لها من الدم . وكل غرسة تستغرق من خمس إلى عشر ثوان . وعملية الغرس لا يحسها الإنسان عادة ، قد يستجيب العائل لها ويقتل البعوضة لذلك فعملية إيجاد الدم بسرعة عملية حياة ، أو موت بالنسبة للبعوضة .

أما الجهاز الثاقب الماصّ الذى تستخدمه البعوضة لثقب الجلد فيتكون من ستة أجزاء : فم طويل عبارة عن شفة سفلى متحورة إلى شكل أنبوب لحفظ أجزاء الفم الأخرى وليس لها دخل فى عملية الثقب ، والباقى صفائح أسطوانية طويلة هى : فكّان علويان ، فكان سفليان ، وواحد لحقن اللعاب .

وعندما تغرس البعوضة محقنها فى الجلد تلوى طرفه قليلاً إلى الأمام لكى تُمكّنَ سِنّة من البحث عن الدم خلال نصف ملليمتر تحت السطح ، وفى نفس الوقت فإن الفكين السفليين (المنشرشرين) عند طرفيهما ينشران للأمام والخلف خلال الجلد ، وعندما تثقب البعوضة الجلد تتمزق الشعيرات الدموية والأوردة والشرايين الصغيرة مكونة محفظة صغيرة للدم تعب منها البعوضة ما تشاء .

قد تعثر البعوضة على الوعاء الدموى مباشرة ، ولكنها فى معظم الأحيان تكسر عدداً من الأوعية الصغيرة لتحصل على الكمية الكافية من الدم فإذا عثرت على مصدر للدم بعد الثقب تتوقف البعوضة عن كل حركة ، وتبدأ فى مص الدم خلال الأنبوب إلى مضخة تقع فى رأسها بعد أن تحقن بعضا من لعابها الذى يحتوى على مادة ضد التجلط لكى لا يعوق عملية المص .

معظمنا قد لا يلاحظ العضات القليلة الأولى ؛ لأن لعاب البعوض غير سام ولكنه يحتوى ـ على الأقل ـ على أربع مواد (جزيئات بروتينية) هى التى تسبب الحساسية عند إعادة العض فقط ، لأن كمية السم فى هذه الحالة تصبح كافية لكى تسبب الانتفاخ والحك . وفى بعض الحالات الحادة تحدث تفاعلات غريبة قد تؤدى إلى صدمة حقيقية « الصدمة التزعزعية » وهذه الصدمة تخل بتوازن النفس والجسم معا .

ناقلة الأمراض :

لكن ما يترتب على عض البعوض لا يقتصر على الآلام والحساسية فحسب ، بل على ما ينقله من جراثيم ناقلة لأخطر الأمراض فهو ينقل أكثر من مائة مرضٍ (فيروسى) للبشر والحيوانات الأخرى ، وتشمل قائمة الأمراض التى ينقلها : حمى الدنج والحمى الصفراء والفلاريا (نوع من الديدان الدقيقة تسمى نيماتودا) ، وهذه الأخيرة بالذات تصيب ملايين من الناس فى المداريات ، وفى الحالات الشديدة تسبب مرض الفيل ، أما الملاريا « البرداء » ـ ملك الأمراض الذى يعد أوسعها انتشارا فى العالم بفضل البعوض ، والتى جعلت البعوض مسئولا عن وفيات بشرية أكثر من أى حيوان آخر ـ فقد قتلت مئات الملايين من الناس ، وقد بلغ عدد الإصابة بها فى الهند ـ وحدها ـ عام ١٩٣٥م حوالى مائة مليون حالة ، مات من جرائها مليون شخص .

صراع مرير

أمام تلك الإحصائيات المفزعة بدأ البشر ينظرون إلى البعوض نظرة أخرى ؛ فلم تعد تلك الحشرة تافهة أو حقيرة لا تستحق النظر إليها ، بل أصبحت عدوا شديد المراس يجب حشد كل القوى فى مواجهته ؛ لذا فقد انطلق العلماء فى سباق محموم للوصول إلى حل مع هذا الكائن الرهيب حتى توصلوا إلى مبيد الحشرات المعروف باسم (د . د . ت) ، وبحلول عام ١٩٣٩م أصبح من السهل حمل الـ (د . د . ت) ورَشُّه فى كل بحيرة وبركة ومستنقع . وقد اختيرت « سردينا » بعد الحرب العالمية الثانية كنموذج لمكافحة الملاريا بواسطة هذا المبيد الفعال ، وتم تجنيد حوالى ٣٠ ألف عامل بذلوا قصارى جهدهم فى سبيل اجتثاث البعوض فقاموا بردم البرك ، وإزالة النباتات البركية ، ورش أكثر من نصف مليون رطل من الـ (د . د . ت) فى البرك والمستنقعات والمنازل ، وكنتيجة لذلك هبط عدد الحالات خلال خمس سنوات من ٧٥٠٠٠ إلى ٤٤ حالة (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠م) . وإذ ذاك تنفس البعض الصعداء ، وبدأت الأقوال عن تفاهة وضعف البعوض تعود إلى الوجود ، ولكن لم يلبث أن أصيب هؤلاء بالفزع إذ فوجئوا بظهور أجيال مقاومة لـ (د . د . ت) وفى عام ١٩٦٦م عاد البعوض حامل الملاريا مرة أخرى وبقوة فى سردينا ، وأفاق آخرون على ضربة مفاجئة مفزعة أخرى ، فقد تم رش الـ (د . د . ت) بكثافة خلال الحرب العالمية الثانية فى جزيرة نيسان بجنوب الباسفيك ، وعندما أوقف عند انتهاء الحرب ، على الفور هاجمت الجزيرة أسراب من البعوض الناقل للملاريا ، تكاثرت بسرعة وفاعلية وكأن شيئا لم يكن تاركة العلماء يتساءلون فى دهشة .. ما الذى حدث ؟!

البعوض يقبل التحدى :

إن الذى حدث يظهر لنا بوضوح لماذا لفت الله أنظارنا إلى تلك الحشرة المعجزة فالبعوض أيضا يمتلك دفاعاته وتكتيكاته المقاومة ، لقد عرف البعوض أسرار السلاح الرهيب الذى استخدم ضده ، فطور أسلحته وطور أساليبه ، وبعد أن طور مقاومته للمبيدات عاد يغزو العديد من المناطق ، ولاحظ العلماء أن أجيال البعوض الجديدة قد اكتسبت مناعة وراثية ضد مبيد الـ (د . د . ت) . وحدث الأمر نفسه لدى تجربة أنواع جديدة من المبيدات الفتاكة ، التى بدلاً من تقتل البعوض أحدثت ضرراً كبيراً بأعداء البعوض الطبيعيين .

وليت الأمر توقف عند هذا الحد ، بل تلقى البشر ضربة أقسى ، فقد أظهرت الدراسات مستويات مثيرة للفزع من السمّية فى السلسلة الغذائية ، فمامعنى هذا ؟

عندما قام الإنسان برش المبيدات فى البرك والمستنقعات امتصتها النباتات الدقيقة (البلانكتون) ، ومنها انتقل السم إلى الأسماك والكائنات الحيوانية آكلة النباتات التى نقلته بدورها إلى الأسماك آكلة اللحوم ، ولم تسلم الطيور آكلة الأسماك من التأثر بتلك السموم ، إنها السلسلة المعروفة التى تلتهم فيها آكلات اللحوم الكبيرة الحيوانات الأصغر منها والتى أكلت الحيوانات ، نباتية التغذية التى التهمت (البلانكتون) الذى امتص السم من الماء ، ولكن نهاية السلسلة الأكثر مأساوية ـ بالنسبة للبشر ـ هى عندما يأكل الإنسان الطيور والأسماك الحاملة للسم فيصاب بالتسمم الذى وضعه بنفسه فى الماء ، وكانت النتيجة النهائية أن أصيب الكثير بالتسمم البطىء ، ولم يتم القضاء على مرض الملاريا أو الكائنات الضئيلة الحاملة له .

وأمام هذا الفشل بدأ العلماء يفكرون فى طريقة أخرى لتقليل استخدام المبيدات ، وتوصل بعضهم إلى طريقة مبتكرة ، فمن المعروف أنه بعد أن تحصل البعوضة على وجبتها من دم الإنسان لابد لها من أن تستريح عدة ساعات على جدران الحجرات داخل الدار حتى تهضم طعامها ، وهكذا إذا دهنت الجدران والسقوف فقط بالمبيد المناسب أمكن القضاء على البعوض ، خطة تبشر بنتائج طيبة إذا طبقها الإنسان ، ونترك الكلام عن نتيجتها للباحث « بروس شوات » الذى يقول : « لقد بدأ البعوض يتحايل علينا ويخدعنا ، فقد اكتشف خبراء الصحة العالمية أنه بدلا من أن يستريح البعوض داخل المبانى بعد أن يلسع ضحاياه ، بات يتجه إلى خارجها مستقراً على نبات غير مرشوش ، وأصبح ينتظر الناس فى الخارج أو يدخل المنازل فقط للحصول على وجبته ثم يتركها شاكراً .

الأسماك تتحالف معنا :

لم ييأس العلماء وبدأوا يبحثون عن طريقة أخرى مع هذا الكائن العنيد حتى جاءتهم الفكرة .. استخدام الأسماك آكلة الحشرات كطريقة طبيعية لمقاومة البعوض بوضعها فى أماكن توالده ، وتحمس العلماء لنوع من الأسماك صغيرة الحجم ذات اللون الرمادى أو الزيتونى « يسميها

العلماء أسماك الجامبوزيا Gambusia attlnis ، وبدأوا يطلقونها فى البرك والمستنقعات فى العديد من الدول ولم تأت السبعينات إلا وقد انتشرت فى روسيا واليونان وإيران وإيطاليا وأسبانيا وغيرها من البلدان . ثم ظهرت مشاكل الأسماك آكلات الحشرات .. لقد أثبتت عدم فاعليتها فى البرك التى يمتلىء سطحها بالنباتات لأنها تخبىء يرقات البعوض عن السمك . وفى بعض المناطق تجاهلت أسماك الجامبوزيا يرقات البعوض وابتعلت كل شىء آخر بما فى ذلك يرقات الحشرات غير الضارة والنافعة وصغار الأسماك التجارية المرغوب فيها ، وأثبتت فشلها فى مواسم معينة ، فأسماك البعوض ليست لكل المواسم ، فبينما تموت فى موسم جفاف البرك والمستنقعات حيث يتناسل البعوض ، يستطيع بيض البعوض أن يتحمل موسم الجفاف ويفقس عندما تعود المياه إلى البرك ، وأسقط فى يد العلماء فلقد أثبت البعوض أنه كفؤ لمنازلة البشر وقبل التحدى ونجح فيه وخرج عن نطاق سيطرة الإنسان مرة أخرى ، وعادت الإصابة بالملاريا ترتفع ووصل عدد المصابين بها فى الهند (سبعة ملايين) حالة عام ١٩٨١ م ، أما على مستوى العالم فإن حوالى ٢٠٠ مليون إنسان يعانى فى الوقت الحاضر من هذا المرض ، وحوالى ١٠٠ مليون حالة جديدة تحدث الآن كل عام ويموت حوالى مليون شخص معظمهم من الأطفال نتيجة إصابتهم بالملاريا سنويا رغم الكمية الهائلة من الأموال التى مازالت تنفق فى هذا الصدد ؛ ففى الولايات المتحدة فقط هناك أكثر من ١٠٠٠ وكالة تنفق أكثر من ١٥٠ مليون دولار كل عام على مقاومة البعوض شاملة المبيدات الكيميائية الضارة بالبيئة .

البعوض يعلم البشر :

وهكذا وقف الإنسان مكتوف الأيدى أمام البعوض ، بل يتمنى العلماء أن يبوح لهم بسر آخر من أسراره .. الطنين .. فمن المعروف أن البعوضة تخفق جناحيها بسرعة ٢٠٠ خفقة فى الثانية تقريبا ، وتحدث هذه الحركة السريعة موجات صوتية فى الهواء تتردد بمعدل يساوى معدل خفق الأجنحة ، هذا التردد يكون من الارتفاع بحيث يصبح مسموعا كطنين يستطيع أن يشق طريقه على الرغم من أية إشارات لاسلكية قد تعترض طريقه ووسط أى ضجيج نابع من أى مصدر سواء كان بشرياً أو غير بشرى كصوت الرعد مثلا ، خلال كل هذا الضجيج يستطيع الطنين أن ينقل الرسالة المطلوبة إلى بعوضة أخرى على مسافة ٤٥ مترا من البعوضة الأولى ، ويتحرق الإنسان شوقا لمعرفة سر قدرة طنين البعوض فى التغلب على أنواع التشويش ، لأنه إذا استطاع جلاء هذا السر فقد يستطيع صنع جهاز لاسلكى يتغلب على الكهرباء الاستاتيكية التى تعطل أجهزة اللاسلكى .

خاتمة :

لقد تعلم الإنسان درسا لا ينساه من ذلك الكائن الذى يعتقد البعض أنه من الضآلة والصغر بحيث يضرب الله ـ تعالى ـ به المثل .. ذلك الكائن الذى تمكن من إعجاز الإنسان والسخرية منه . وعجز الإنسان عن تقليد جهاز بسيط زوده الله

به . فإذا كان الإنسان بهذا العجز فهو أعجز عن أن يخلق مثله لأن الخالق وهبه معجزة الحياة .. السر المغلق الذى لا يعلمه إلا الله . لقد أظهر البعوض للبشر حدود مقدرتهم أمام قدرة الخالق الذى يقول للشيء : « **كن فيكون** » يس/٨٢ ومازال أمام الإنسان الكثير ليتعلمه من البعوض .

المراجع :

سيد قطب « فى ظلال القرآن » دار الشروق ط ٢ .

عبد الرزاق نوفل « عالم الحيوان بين العلم والقرآن » ـ كتاب اليوم .

حماد عبد السلام « الحشرات الاقتصادية » ١٩٦٥م .

مراجع مترجمة :

راشيل كارسون « الربيع الصامت » ط ٢ ـ ١٩٩٠م ـ ترجمة الدكتور أحمد مستجير ـ مركز النشر لجامعة القاهرة .

وليام سى فيرجار « العلم فى دنيانا» ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة ، زكريا فهمى دار النهضة أغسطس ١٩٧٥م .

ستانل ل . انجليارت « الملاريا عدو الصحة الأول » المختار ١٩٨٠م .

المراجع الأجنبية

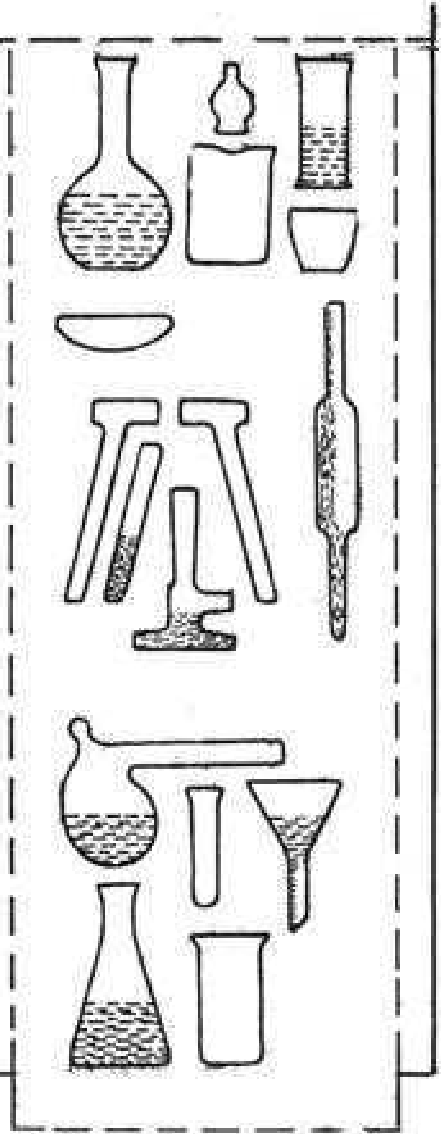
Naturai History july 1991

(١) اليرقانة : أحد أطوار النمو فى بعض الحيوان كالحشرات والقشريات والرخويات ونحوها . يخرج من البيضة ، وقد تتحول إلى الحيوان اليافع مباشرة كما فى الجراد (ويسمى الحورية) أو يمر بأطوار أخرى كدودة ورق القطن والنحل والذباب والبعوض ونحوها .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد

د/ مجدى السيد أحمد



اكتشاف مجرة جديدة فى أعماق الكون :

اكتشف فريق من علماء الفلك بجامعة هاواى بالولايات المتحدة الأمريكية مجرة عملاقة تبعد عن الأرض حوالى ١٢ ألف مليون سنة ضوئية ويقدر العلماء عمر هذه المجرة بنحو ١٤ ألف مليون سنة .

عدسات دقيقة لتجميع أشعة الليزر :

تمكن العلماء الأمريكيون من اختراع عدسات دقيقة تقوم بتجميع وتركيز أشعة الليزر فى حزم متوازية ، يمكن استخدامها فى أجهزة الليزر التى تستخدم فى المجالات الطبية ، وبذلك تستطيع توفير أكثر من ٩٠٪ من أشعة الليزر وتركيزها على الأنسجة المصابة . وكان الجراحون يعانون من أن أكثر من ٥٠٪ من أشعة الليزر المنطلقة من الجهاز لا يستفاد بها فى معالجة الأنسجة المصابة بسبب تشتتها بزاوية تزيد عن خمسة وأربعين درجة .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

استخدام الحاسب الآلى

فى أبحاث الحرائق :

تمكنت شركة أمريكية من تصميم جهاز « كمبيوتر » يستطيع أن يحذر من الحرائق ، ويقدم تقريرا دقيقا لآثار الحرائق فى المبانى ، ويحدد عدد الأشخاص المعرضين للخطر ، وأفضل الطرق لحمايتهم ، وما يمكن أن يحدث لهم فى حالة تعرضهم لنواتج الحريق من حرارة وغازات ، كما يتيح الجهاز للمتخصصين فى الحرائق تحديد مسار الحريق ومعرفة أسبابه وإنتاج بعض مواد البناء المقاومة للحرائق .

أصغر جهاز « فاكس » للصور الملونة :

نجحت إحـــدى الشركات اليابانيـــة للإلكترونيات فى تطوير جهاز فاكس صغير الحجم لإرسال الصور الملونة كبيرة الحجم ويمكن وضعه فوق منضدة أو مكتب ولا يستغرق إرسال الصورة سوى ثلاث دقائق بالإضافة إلى أن الصورة المرسلة تصل بألوان زاهية مطابقة للأصل .

حراسة الحدود آليا

تم إنتاج مركبة للتصدى لمحاولات التسلل عبر حدود البلاد وتعمل آليا بالتوجيه عن بعد كحارس ليلى ، وتقطع المسافات ذهابا وإيابا ، بينما يقوم جهاز الإحساس المحمول بالملاحظة من نقاط ثابتة . والمركبة المتحركة ذات أربع عجلات ومتطورة لتناسب العمليات البعيدة ، وتحتوى على كشاف يعمل بالأشعة تحت الحمراء وآلة تصوير فيديو ورادار أرضى للمراقبة وأربعة ميكروفونات .

استخدام الهندسة الوراثية

لمكافحة سرطان الجلد

نجح فريق من الباحثين الأمريكيين فى عزل نوع من خلايا كرات الدم البيضاء ، ثم تغييرها وراثيا باستخدام الهندسة الوراثية وزراعتها فى جسم المريض لزيادة قدرة الجسم على مكافحة السرطان والتهام خلاياه بدلا من اللجوء لاستخدام أساليب التدخل الجراحى والعـــلاج بالكيماويـــات والأشعة .

تقنية جديدة لإرسال

وتخزين واسترجاع الوثائق

هذه التقنية الجديدة عبارة عن أوراق مكتبية إلكترونية تتيح فرصة إرسال وتخزين واسترجاع الوثائق دون اللجوء إلى استخدام لوحة المفاتيح فى الحاسب الشخصى أو الوجود بجانبه والورقة الالكترونية تحتوى على مربعات يكتب عليها الأوامر والملاحظات المطلوبة وترسل عن طريق جهاز « الفاكس » إلى الحاسب الشخصى فيقدم المعلومـــات المطلوبـــة فى مدة قصيرة جدا ، واستخدام هذه الأوراق المبرمجة سوف يجعل « الفاكس » أكثر فائدة حيث يمكن إرسال مذكرات وتقارير أو إعطاء تعليمات ، بالإضافة إلى إمكانية كتابة الملاحظات المطلوبة بخط اليد على هذه الأوراق .

أنظمة تصوير حديثة

أنتجت إحدى الشركات الفرنسية ثلاثة أنظمة حديثة خاصة للتصوير تعمل على « الميكرو كمبيوتر » يسمح النظام الأول بإجراء لمسات فنية على الصور ، والثاني بفهرستها ، والثالث بتصنيفها ووضعها ضمن صفحات لوحة تذكارية خاصة .

أحدث جهاز للتنفس الصناعي

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا للتنفس الصناعي يعمل بالتردد ؛ لتحسين وظائف الرئة فى حالات الربو وفى الجراحات مثل عمليات القلب المفتوح . وهو عبارة عن قميص يرتديه المريض ، مزود بأنبوبة هوائية متصلة من نهايتها بجهاز لضغط الهواء ، وبذلك يستغنى المريض عن وضع أنبوبة القصبة الهوائية داخل الفم والتى تسبب فى التهاب الحنجرة والقصبة الهوائية ، كما يتميز بالابتعاد عن مضاعفات الضغط على الرئتين حيث يحمى المريض من انفجار الرئة والتى تسببها الأجهزة الميكانيكية .

البصل لتقوية مناعة الجسم :

أعلن الباحثون فى جامعة فيينا أن البصل يفيد فى تقوية القدرات المناعية للجسم والتى غالبا مايصيبها الضعف فى أوقات معينة من السنة وخاصة فى بداية فصل الشتاء ، وينصح الأطباء بتناول بصلة صغيرة يوميا بدون أى طهى .

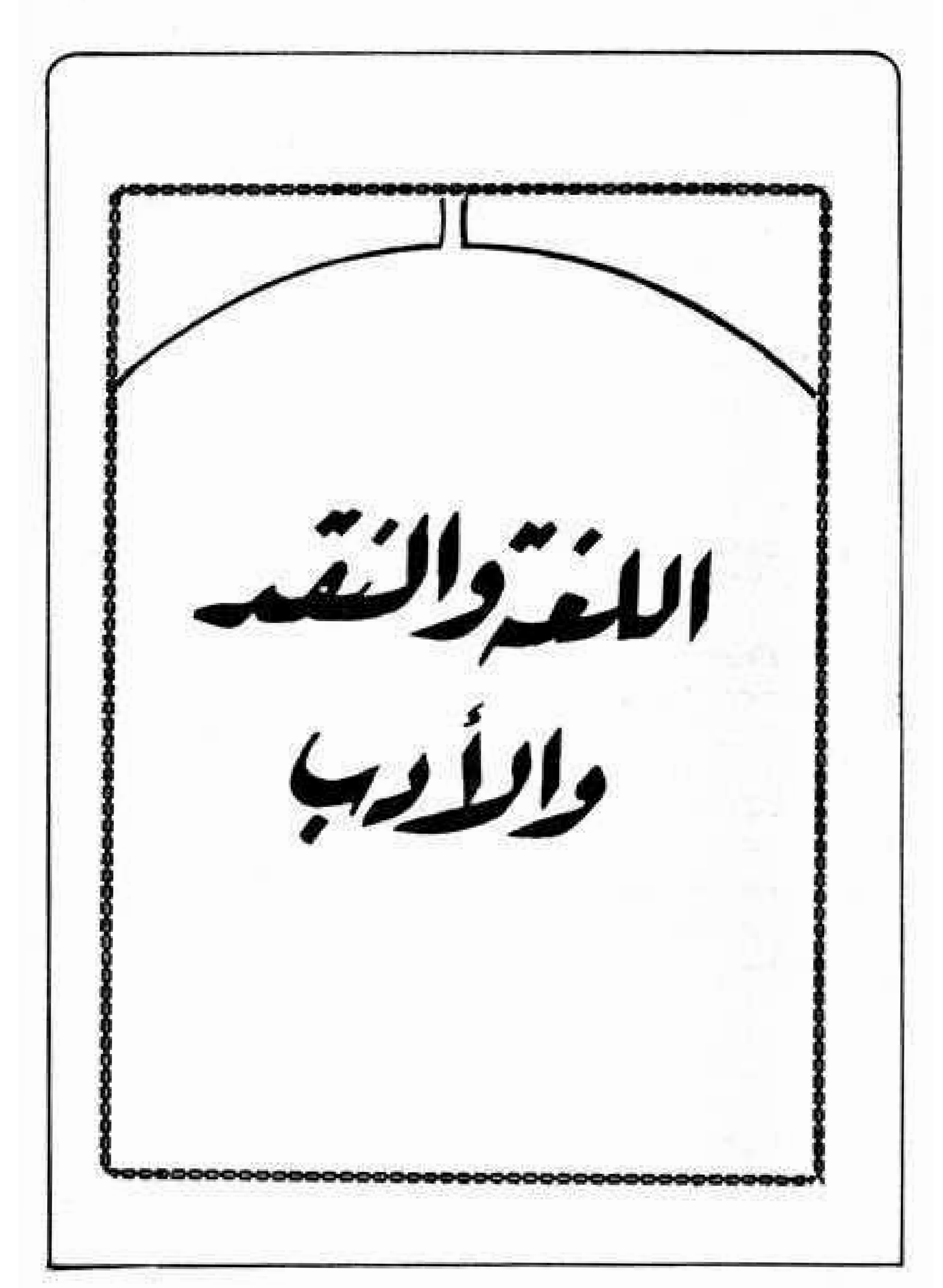
نقص عنصر المنجنيز يضعف العظام :

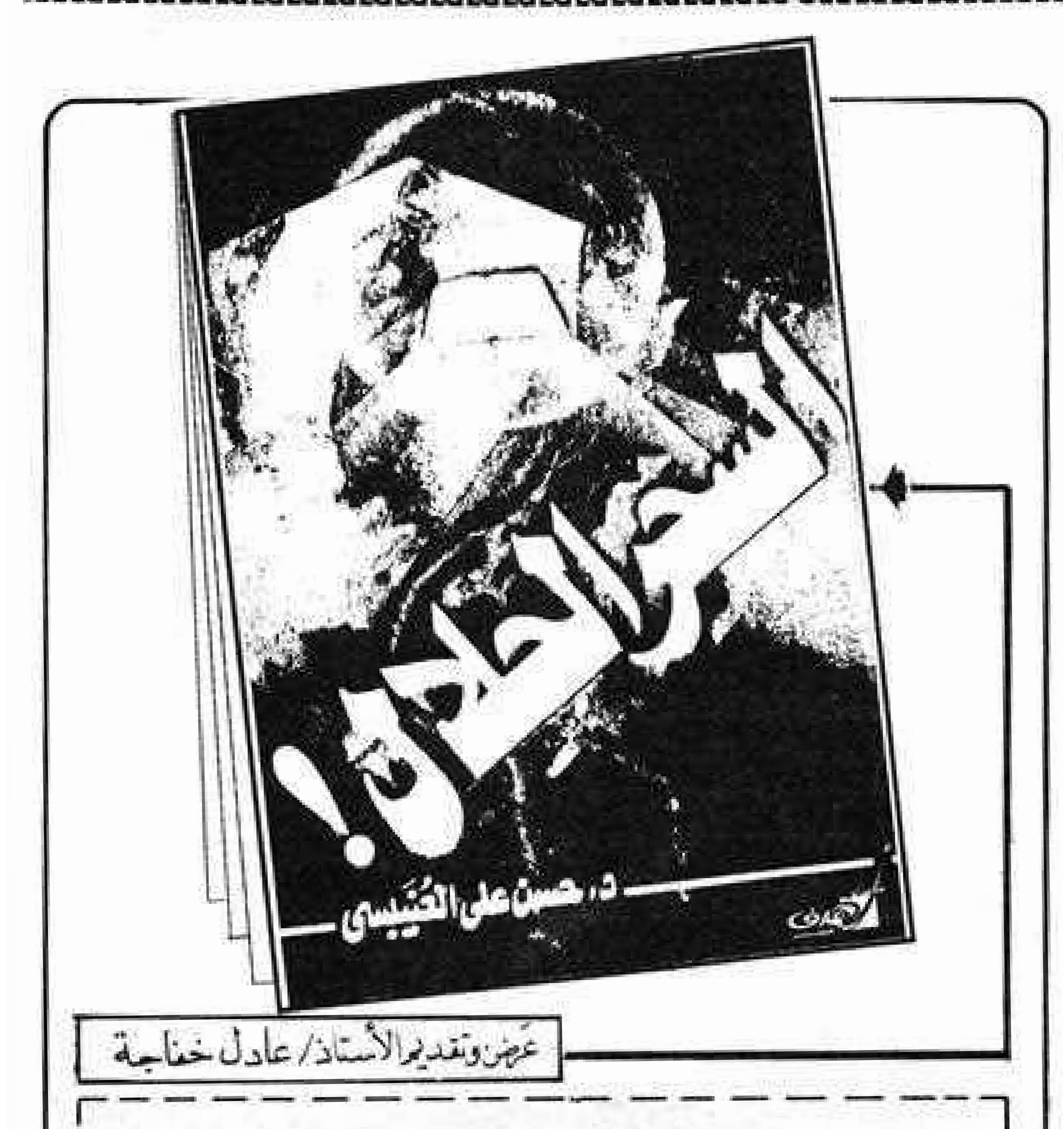
اكتشف فريق من الأطباء البلجيكيين أن نقص عنصر المنجنيز فى الدم يؤدى إلى الأصابة بمرض لين العظام وخاصة فى المسنين وأنه يجب أن يحصل الإنسان على ٤ ملليجرامات من عنصر المنجنيز يومياً .

ويوجد هذا العنصر فى بعض الأغذية مثل : الحبوب والخضروات واللبن واللحم والبيض .

البرسيم مصدر غنى بالبروتين

توصل أحد معاهد البحوث فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تصنيع البرسيم وتحويله بعد فرمه إلى عجينة تستخدم فى تصنيع عدة وجبات ، وكذلك طهيه كما يتم طهى بقية الخضروات وذلك بعد ان اتضح أنه مصدر غنى للبروتين ، وبدأت بعض تجارب التسويق فى المكسيك حيث أثبتت التجربة أثره الفعال على نمو الأطفال وأنه بديل هام للبروتين الحيوانى .


اللغة والنقد
والأدب



عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

كم تمنى الإنسان ـ منذ أقدم العصور ـ أن تكون له قوة خارقة ، قوة يتغلب بها على الظروف التى تقهره ، كى يقهر ما يقهره ، قوة تحيل البؤس والشقاء سعادة ونعيماً ، قوة خارقة يسخرها كيف يشاء يقضى بها على حرب أو يشعل بها أخرى .

وكان السحر ضالته المنشودة ، تعلّمه ، وصنّفه : سحر أبيض وسحر أسود أو (سحر حلال) وسحر حرام .

والكتاب الذى بين أيدينا يعرض لشىء من هذا السحر ولكنه « السحر الحلال » .

مؤلف الكتاب :

أما مؤلفه فهو الدكتور حسن على العُلَيْمى مقدم البرامج الثقافية بالإذاعة المصرية وكتابه « السحر الحلال » الذى بين أيدينا ونتناوله بالعرض فى هذا العدد يقع فى مائة واثنين وستين صفحة من القطع المتوسط ، وقد اشتمل على الفصول التالية :

● السحر بين اللغة والشريعة ـ السحر بين الحلال والحرام ـ إن من البيان لسحراً ـ الحكمة هى السحر الحلال ـ كلمات فى الحب ـ يا صديقى ـ على قدر عقولهم ـ خشوع ـ صداقة ـ من غير عدد ـ (آه يا حكومة) ـ قبل المقال ـ إن ما يفسد التمام ... ـ شر وعاء ـ الحكمة ضالة المؤمن .

افتتح المؤلف كتابه بتقديم عنونه بـ (سلاما أيها القارىء) أوضح فيه مدى تعلق الإنسان بحلم يراود خياله منذ القدم ، أن تكون له قوة سحرية أو أن يكون له مثل عصا موسى ـ عليه السلام ـ يضرب بها الحجر فينبجس منه الماء عيوناً ، أو أن يكون له مثل ما كان لعيسى ـ عليه السلام ؛ فيبرئ ما عجز عنه الطب ؛ فاتجه الإنسان إلى ممارسة السحر .

ومؤلف الكتاب ـ أيضاً ـ كم تمنى أن تكون له مثل هذه العصا السحرية ، يشير بها فيتحقق له ما يريد . ولكن أنى له هذا وأمامه قول الله تعالى :

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ سورة الجن

لذلك نجده يتحسس طريقاً إلى السحر ، إلا أنه « السحر الحلال » .

نعم ، إنه سحر البيان ! وأنعم به من سحر ، به تُستثار الهمم ، وبه تجلى المعانى فتكون فى النفس أثبت وأعمق ، ويكون لها حسن الموقع فتمهد للهداية طريقاً . وحسبنا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾

والمؤلف ـ بعد أن ارتاحت نفسه إلى هذا النوع من السحر « سحر الكلمة » ـ راح يقطف كل ما راق عينيه وأسعد فؤاده .. ، ثم قام ينسق ويؤلف بينها ، فيضم ما تشابه معاً فى وحدة واحدة .

وإذا كان المؤلف قد أنفق من نور عينيه فى البحث والجمع والاختيار ، فإنى أسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقنى إلى عرض أجمل ما جمع ، وإلى إلقاء الضوء على أقطف ما اقتطف :

ففى الفصل الأول : السحر بين اللغة والشريعة .

أورد فيه المؤلف عدة معانٍ للسحر .. ثم ساق رأياً عزاه إلى الإمام الفخر الرازى[1] مفاده أن السحر يختص بكل أمر يخفى سببه ويُتخيَّل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يُقيَّد أفاد ذم فاعله .

ثم أثبت رأى بعض العلماء بتكفير الساحر إذا أضرَّ بالناس ، وفرق بين الرجل وزوجه .

الفصل الثانى : (السحر بين الحلال والحرام) :

وفى هذا الفصل أورد المؤلف عدداً من أقوال

(١) قصة السحر والسحرة فى القرآن الكريم للإمام الفخر الرازى ، بتحقيق محمد إبراهيم سليم ، ط ١٩٨٥ ، ص ١٩ .

العلماء ، نذكر منها رأى الإمام الفخر الرازى الذى يتلخص فى أن :

- العلم شريف لذاته .
- السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن لنا أن نفرق بين العلم والمعجزة .
- العلم ـ بكَوْن المعجز معجزاً ـ واجب .
- وهذا يقتضى أن يكون تحصيل السحر (العلم به) واجباً .
- السحر بأنواعه (علمه) فرض كفاية .
- كفر الساحر الذى يدعى علم الغيب .

الفصل الثالث : (إن من البيان لسحراً) :

فى هذا الفصل يسوق سبب قول الرسول ﷺ :

« إن من البيان لسحراً » .

فقد روى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

« وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم فقال الزبرقان : يا رسول الله ، أنا سيد تميم والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك (وأشار إلى رفيقه عمرو بن الأهتم) ، فقال عمرو : أجل ..! أجل يا رسول الله ..! إنه مانع لحوزته ، مطاع فى عشيرته شديد العارضة فيهم . فقال الزبرقان : أما والله ، إنه قد علم أكثر مما قال ... ، ولكنه حسدنى فى شرف ...!!

فقال عمرو بن الأهتم : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن[٢] ، زمر المروءة[٣] ، أحمق الأب لئيم الخال ، حديث الغنى ...!

فرأى عمرو الكراهة فى وجه النبى ﷺ لما اختلف قوله ، فقال عمرو : يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية ..!! فقال ﷺ :

« إن من البيان لسحراً »

والملاحظ أن المؤلف أراد أن يقدم سبب اختياره عنوان الكتاب بعرضه لهذا الحديث .

والفصل الرابع : (الحكمة هى السحر الحلال) :

قدم المؤلف فى هذا الفصل تعريفاً للحكمة لغة وشرعاً ولعله أراد من هذا الفصل أن يقول : إن الحكمة هى خلاصة البيان أو هى ثمرته .

الفصل الخامس : (كلمات فى الحب) :

وهذا الفصل هو أولى خطوات المؤلف فى حدائق الأشعار وثمار العقول من القول المنثور .

ومن كلمات الحب قول الرسول الكريم ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .. » فقال عمر ـ رضى الله عنه :

والله إنى أحبك .. غير أنى لا أحبك أكثر من نفسى التى بين جنبى ... »

فقال ﷺ :

« لا تؤمن يا عمر حتى يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما .. فصمت عمر برهة ثم قال : والله إنك لأحب إلىّ حتى أكثر من نفسى التى بين جنبى ، فقال ﷺ : الآن يا عمر . »

---

(٢) كناية عن البخل .

(٣) أى : قليل المروءة .

● وقوله ﷺ :

أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوْناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

● وقول العقاد :

« كل شيء في الوجود مظلم ما لم يُضيئْهُ الحب » .

الفصل السادس : (يا صديقي) :

وفي هذا الفصل جمع المؤلف بعض ثمار النثر والشعر عن الصديق منها :

● قول أبي الدرداء لأم الدرداء : « إذا غضبت فرضيني ، وإذا غضبت رضيتك ، فإذا لم نكن هكذا ، ما أسرع ما نفترق ونهار بيننا .

وقول الشاعر :

أُغمِضُ عيني عن صديقي كأنني
لديه بما يأتي من القبح جاهل
وما بي جهل غير أن خليقتي
تطيق احتمال الكره فيما أحاول

وقول بعضهم :

الصديق لا يعرف إلا عند الحاجة .

ومن أمتع ما ذكر عن الحلم والكرم ، أنه :

جلس بعض القوم يتذاكرون أخلاق معن بن زائدة وأخبار كرمه ، ولين جانبه ، وذهبوا في ذلك مذاهب كثيرة ، فقام أحد الجالسين ــ وقد أخذ على نفسه أن يغضب معن بن زائدة ــ فقالوا له : لا تقدر ، فإنه لا يرد على الجهل بجهل ثم قالوا له : لو نجحت في إغضاب معن تعطيك كذا وكذا ..

فذهب الرجل إلى بعيره فسلخه ، وارتدى بإهابه ، واحتذى ببعضه جاعلاً بطنه ظاهراً ، ثم دخل على معن على هذه الحال .. وهو في هذا الوقت من كبار الولاة لبني أمية .. ثم قال الرجل لمعن بن زائدة مباشرة :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة
وإذا نعلاك من جلد البعير ؟

● فقال معن : نعم أذكر ..!

● فقال الرجل :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً
وعلمك الجلوس على السرير ..!!

● فقال معن :

إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء .

● فقال الرجل :

فلست مُسَلِّمًا إن عشت دهراً
على معن بتسليم الأمير

● فقال معن :

السلام خير وليس في تركه ضير .

فقال الرجل :

سأرحل عن بلاد أنت فيها
ولو جار الزمان على الفقير .

فقال معن .

إن جاورتنا فمرحباً ، وإن فارقتنا فمع السلامة ..

فقال الرجل :

فجد لي يابن ناقصة بمال
فإني قد عزمت على المسير

فقال معن :

أعطوه ألف دينار تخفف عنه متاعب السفر ..!!

فقال الرجل :

قليـــل ما أعطـــيت به وإنى
لأطمع منك فى الشىء الكثير

فقال معن :

أعطوه ألفاً ثانية .

فخجل الرجل من نفسه ، وقص قصته على معن ثم قال :

سأل الله أن يبقيك دهـــراً
فمـــالك فى البريـــة من نظير

فقال معن :

أعطيناه ألفين على هجونا ، فأعطوه أربعاً على مدحنا ..!!

الفصل السابع : (على قدر عقولهم) :

ويذكر فيه درجات العقل فيقول :

إذا كان المرء فى أول درجته يسمى أديباً ، فإن زاد عقله يسمى أريبا ، فإن زادت خبرته مع عقله حتى لبيباً فإن زاد عقله ورأيه حتى عاقلاً حكيما .

● ثم يذكر رد حكيم وقد سئل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟

قال : غريزة عقل ، به يعيش ، وبه يكسب ، وبه يعرف ربه .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فأدب حسن .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فأخ شفيق يستشيره .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فطول صمت يحفظه من الهنات !

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فموت سريع يريح منه البلاد والعباد !!

الفصل الثامن : (خشوع) :

وقد ذكر فى هذا الفصل بعض مناجاة لله ـ تعالى ـ نذكر منها :

اللهم نامت العيون ، وأنت حى قيوم لا تنام أبداً .

اللهم أنم عينى ، وأهدئ ليلى واحفظنى بحفظك وارحمنى برحمتك ، أعوذ بوجهك الكريم من كل سوء .

الفصل التاسع : (صداقة) :

يبدأ المؤلف هذا الفصل بخير ما يبدأ به وهو قول الرسول ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل » .

وعن كرم الصحبة يذكر ما رواه الحكيم العربى يحيى بن أكثم ، قال :

ما شيت الخليفة المأمون يوما فى بستان له ، فكنت من الجانب الذى ستره من الشمس ، فلما انتهى إلى آخره ، وأراد الرجوع ، أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس ، فأشار الخليفة المأمون .. وقال : لا تفعل ..!!

وكن بحالك حتى أسترك من الشمس فى طريق العودة كما سترتنى فى طريق البداية ..!! ، فقلت : لكنك أمير المؤمنين ، وحق على أن احتمل قيظ الشمس عنك ..!!

فقال الخليفة المأمون : ليس هذا من كرم الصحبة .. ،

إنما الصديق بالصديق ، وسترتنا فحق علينا أن نسترك

ومشى الخليفة فى الشمس !!.

وعن الشدة كاختبار حقيقى للأصدقاء والإخوان تطالعنا هذه الأبيات لعبد الله بن معاوية :

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ..
فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعـــد ما
بلوتك في الحاجـــات إلا تماديـــا
فلست براء عيب ذي الود كلـه
ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيـا
فعين الرضا عن كل عيب كليلـة
وعين السخـــط تبـدي المساويـا
كلانا غنـي عن أخيـه حياتـه
ونحن إذا متنــــا أشد تغانيـــا

وقول الإمام الشافعي :
إذا أردت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعـــرضك صين
لسانك .. لا تذكر به عورة امرئ
فكـــلك عورات وللنــــاس ألسن
وعينيك .. إن أبدت إليك معايبا
فصنها ، وقل : يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى
وفارق ، ولكن بالتي هي أحسن

وهكذا تتابع فصول الكتاب غنية بالطرائف حافلة بالسحر الحلال يأخذ الألباب .

وبعد ، فالكتاب ـ بحق ـ يُعد طاقة من زهور وريحان تميزت بالتنوع أحياناً وبالندرة أحياناً أخرى ، وجهد المؤلف يبدو واضحاً ، وكذلك ما تحمله من مشقة في جمع هذا الكم ـ غير القليل ـ من منثور الكلام ومنظومه ، يجعلنا نقول له :

سلاماً أيها المؤلف !

لقد سحرني ما سحرك ، ولكن لم يرقني كل ما راقك .

● فلم يرقني عدم ذكر مصادر الأحاديث الشريفة التي وردت في الكتاب .

كذلك لم يرقني أن يكون الفصل الأول (السحر بين اللغة والشريعة) ثم يأتي الفصل الثاني : هل السحر حلال أم حرام ؟

فما موقع الشريعة إذن إن لم تعالج هذا الموضوع ، وبالتالي كان الأولى أن يُضم الفصل الثاني إلى الأول .

● ونفس الشيء يمكن أن يحدث بجمع الفصل السادس « يا صديقي » والفصل التاسع « صداقة » .

● وليس من تعابير السحر الحلال قولك ـ تعريفاً للإنسان بأنه : « هو الحيوان الوحيد الذي يحمر وجهه خجلاً ، ولابد له من وجود حيوان حقيقي في ثوب إنسان يتسبب له في ذلك » .

● .. ثم وجدنا رقما لهامش ص (١٠١) ولم نجد حاشيته ، ثم قد أوردت شعرا مكسورا ، وقعت منه على ما سقته للإمام الشافعي ـ إذ قلت :

إذا أردت أن تحيا سليما من الأذى ... إلخ

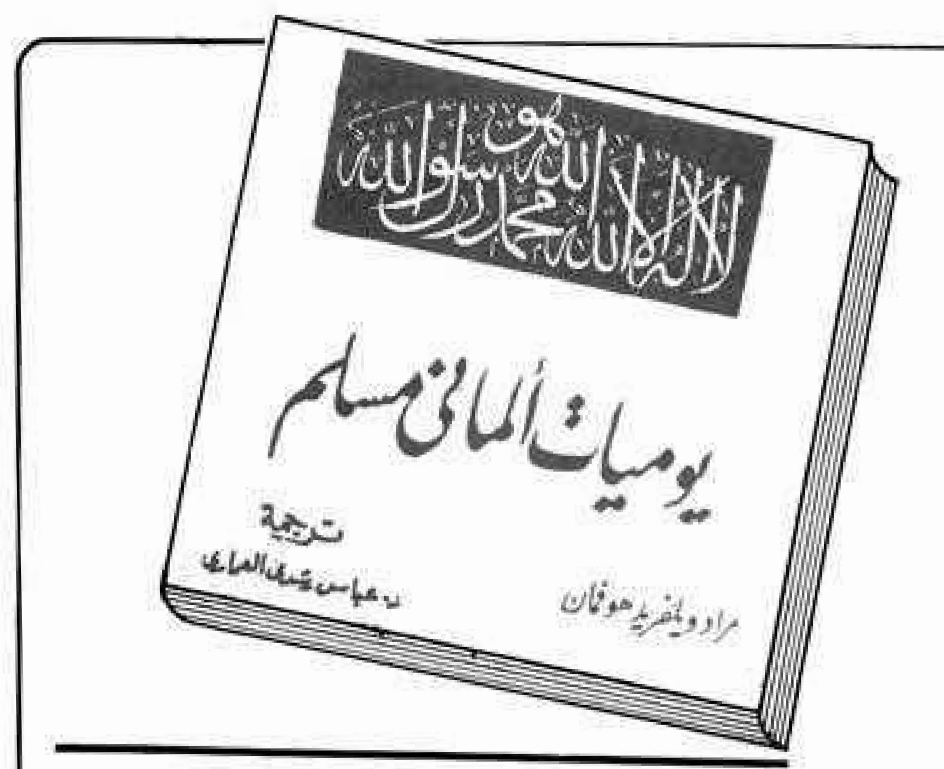
البيت من الطويل ، ويبدو أنّ صحته .

إذا رُمْتَ ... إلخ

ثم أما بعد :

فإن الكتاب إذا كانت بعض فصوله لا تحدها فواصل واضحة إلا أن هذا لا يقلل من قيمته ، ولا يقلل من الجهد الواضح المبذول في جمع مادته الثرية .

فسلاماً أيها المؤلف .



عرض وتقديم الأستاذ / عبدالسلام ناصف

صدر كتاب « يوميات ألمانى مسلم » عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م عن مركز الأهرام للترجمة والنشر برقم ٧٣٠٧ وقام بترجمته الأستاذ الدكتور عباس رشدى العمارى ، وصدر فى قطع صغير ٢٣٨ صفحة .

والدكتور « مراد ويلفريد هوفمان » حاصل على درجة الماجستير فى القانون من « جامعة هارفارد » . وعلى درجة الدكتوراه فيه من « جامعة ميونيخ » ــ بعد دراسته لعلم الاجتماع بجامعة « يونيون كوليج » بنيويورك وانتهج المنهج التجريبى البحت بحيث اقتصرت على دور الفرد ووظيفته فى الحياة ومدى نجاحه فى تحقيق التكامل الإجتماعى والمنفعة الاجتماعية . وهو ما يتفق مع نظرية العالم سيجموند فرويد فى علم النفس والتى تهتم بالمفهوم المادى للفرد بمعنى أن يكون التكيف الاجتماعى هو هدف أى نشاط اجتماعى أو اقتصادى .

وهكذا يرغب الإنسان فى أن يعمل ما يراه الآخرون فيصبح إنساناً بلا شخصية وهذا المنهج « اللايدلويوجى » هو ما يعرف بالمنهج السلوكى فى حياة الإنسان .

ولعل هذه الدراسة الجامدة فى علم الاجتماع هى التى جعلته ينأى بنفسه عن استكمالها ولجوئه إلى دراسة القانون فلقد دفعه نفوره من هذه الحضارة المادية وعلم الفكر الاجتماعى الغربى وما ينطوى عليه من إنكار للقيم الروحية للأستغراق فى قراءة الثقافة الإسلامية والأشكال الفنية فى العالم الإسلامى والعلاقة بين الثقافة والعقيدة .

ونتيجة لخبرته كدبلوماسى وكزائر لدول إسلامية مختلفة فقد درس مقومات الإسلام الجمالية والعلمية والثقافية وتعمق فيها ـ ثم درس القرآن الكريم واستغرق فى قضاياه بطبيعته الألمانية التى أفضت به إلى اعتناق الإسلام عام ١٩٨٠م .

عمل المؤلف بالخارجية الألمانيـــة منـــذ عام ١٩٦١م وتـولى مناصـب عدة فى بعثاتها بالجزائر وبرن وباريس وبروكسل وفينا وبلجراد ثم سفيراً لها بالمغرب .

ولقد قدم لهذا الكتاب الدكتور محمد أسد النمساوى المولد والمنحدر من أصل يهودى وهو يتقن إلى جانب الألمانية الإنجليزية والعربية والفارسية والفرنسية والبرتغالية والأسبانيـــة والأردية .

وقد ترق فى السلك الدبلوماسى حتى أصبح مندوباً لباكستان فى الأمم المتحدة ، وقد تأثر بفكر الإمام الشيخ محمد عبده وترجم العديد من الكتب التى كان من أهمها ترجمة « معانى القرآن » الكريم و « صحيح البخارى » .

والكتاب عبارة عن يوميات قام المؤلف بتدوينها فى تواريخ وأماكن محددة كخواطر ذاتية ـ أو كما يسميها هو : « حوار مع النفس » وقد صُدِّر الكتاب بآيات بينات من القرآن الكريم من أول سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأهداه إلى رفاقه المسلمين فى الغرب .

ويحوى الكتاب ما يقرب من نحو مائة خاطرة استوعبت الفترة من ١٧ مايو ١٩٥١م وحتى ١٥ يناير ١٩٨٦ فى أماكن متفرقة منها : مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وسوف تعرض المجلة لبعض هذه الخواطر أملاً فى توصيل فكر هذا الألمانى المسلم لمن يهم بهذه الأفكار أو التحليات الفكرية البارزة التى سوف تسهم فى تقدير الغرب لديننا الحنيف .

كانت البداية من (غرداية) بالجزائر حيث يسرد المؤلف قصة لقائه بأحد الجزائريين الذى اطمأن إليه وإن كان قد أخذ عليه أنه قرأ نسخة مترجمة للقرآن الكريم ـ ففى رأيه أنه لا بد أن يصان القرآن على النحو الذى أوحى به إلى رسول الله ﷺ عربياً خالصاً حتى عند من لا يتقنون العربية كما هو الحال مع الأطفال الجزائريين الذين يحفظونه بلغته دون فهم ودون اتقانهم العربية ـ ولربما كان هذا تقليداً موروثاً لكنه يبدو مسألة منطقية فقد نزل الوحى بالعربية على النبى الأمى صلوات الله وسلامه عليه ، والمحافظة عليه جعلته يحتل مكانة متميزة بين الكتب السماوية التى أصابها التحريف خلال عمليات ترجماتها عبر العصور ـ وأن ترجمة معانيه لم تكن إلا لإيصال مآثره إلى من يرغب من غير العرب .. « إذ لا يرضى الله بتحريف كلماته » .

وفى خاطرة أخرى يؤمن المؤلف بأن الفن الإسلامى قد استوعب أثناء تطوره كل ما سبقه من فنون إلى جانب قدرته على ترجمة العقيدة الإسلامية إلى مبادىء جمالية ، فالملاحظ أن العمارة الإسلامية ذات طابع متميز فالت تجدها على واجهات المساجد فى قرطبة والقيروان والقاهرة واسطنبول بل وعلى حدائق الحمراء ومنطقة الحرم بمكة المكرمة ، تجدها تتسم بالبساطة والتجريد والتوازن والاعتدال ، وخلو المكان من الصور[1] التى ترمز إلى الله أو إلى الناس تشعر الإنسان بالسمو فى مناخ إسلامى يتعلق بالخوف من عبادة الأصنام فمن يصلى فى مكان خالٍ من الغموض والطقوس والأسرار المقدسة يجد نفسه يؤديها فى خشوع وتبتل .

والتجربة المتمثلة فى تداخل الزخارف العربية كما هو الحال فى « الأرابيسك » يطلق للعقل العنان للتفكير فى الله ــ عز وجل ــ الجليل عن كل وصف وقياس وتحديد .

وفى خاطرة ثالثة ــ بعد رحلة له مع زوجته فى اسطنبول ــ خلص من بعض تجاربها واحتكاكه ببعض تجارها إلى أن هناك أمانة ونقاء فى نفوس هؤلاء التجار وعزا هذه الأمانة إلى العقيدة الإسلامية ، فالقرآن والسنة يرسمان الطريق لمعاملة نقية ويقول : « إن جوهر السلوك الإسلامى فى المعاملات محدد فى الأوامر الأخلاقية القرآنية التى تهتم بأخلاقيات المنتجين والمستهلكين المتصفة بالشعور بالمسئولية .

وفى خاطرة أخرى يحكى المؤلف قصة خادم مسلم كان يعمل عنده وكان يحرص على الصوم برغم عمله الشاق وأنه لم يكن يغريه طعام ولا شراب يقدم إليه ، وكيف كان هذا العامل البسيط يقطع المسافات الطوال ليلحق بالجماعة فى الصلاة بالمسجد ، ويحكى أنه كان على متن طائرة ، وقدمت وجبة الغذاء لجميع المسافرين وامتنع عن تناوله أحد المسافرين لصومه وكيف قاوم إغراء الطعام الذى حملته المضيفة وأعادته حتى حانت ساعة الإفطار .

وهو يعدد فوائد الصيام الصحية والإجتماعية والمشاركة الوجدانية للفقراء والجائعين غير أنه يعتبرها فوائد ثانوية حيث إنها أولاً وقبل كل شىء فريضة من عند الله .

ويستطرد المؤلف أنه قد حاول الصوم كنوع من التجربة ــ إلا أنه كان لا يتخم نفسه بكثير الأكل فى الليل ليعوض عدم تناوله بالنهار ــ وانه كان يحس بالحرج حين تقدم له أى مشروبات على سبيل التحية فيضطر إلى رفضها ويؤكد أنه بعد فترة قصيرة كان قد تأقلم وتكيف مع الصوم حيث أنه قد شعر ببعض التغيرات المرضية لكنه تغلب عليها بترتيب أولويات الأداء لبعض الواجبات حسب أهميتها ــ ويؤكد أنه كان يتناول فى وجبة الافطار زيتونة مع الماء لينتشى جسمه ويستعيد حيويته وينهى خاطرته بأن هدف الصوم هو تقوية مناعة الإنسان ضد الاغراء .

وتبدأ غيرة الألمانى المسلم على الإسلام فيتألم من ظهور عارضة أزياء فى ثوب لفت أنظار المعجبين والتهبت أيديهم بالتصفيق الحاد لأنه محلى بزخارف

(1) ليس فى الإسلام ، ولا بين المسلمين ، صور ترمز لله ــ جل الله وعلا عن ذلك علواً كبيراً ، وكان على المؤلف أن يلحظ ذلك .

عربية على نمط آيات قرآنية متداخلة بحروف عربية إلا أن الأتراك الحاضرين لم ينتبهوا لهذا الخلل بسبب بعدهم عن لغتهم العربية .

وفى اسطنبول - ذاتها - دهش المؤلف من جمال مسجد بلغ الكمال فى الزخارف المعمارية والإبداع الهندسى والشكل الجمالى فى توسط النافورة لفنائه ــ ومما زاد فى دهشته امتلاؤه بالمسلمين بين متوضىء ومصل ومضطجع ومستغرق فى التأمل خلافاً لما يجرى فى الكنيسة من قيام بأداء الصلاة دون غيرها ــ ثم يؤكد أن للمسجد رسالة أخرى بعد أداء الصلاة كدوره الاجتماعى والصحى لتحقيق التكافل الاجتماعى .

ثم بدأ يشرح زيارته لمكة المكرمة التى يتسع صدرها لاستقبال الآلاف بل الملايين من كل الأجناس والألوان بين طائف وساع ، واستشهد بوصف ابن سينا للكعبة بأنها البساطة فى أوجها ويعرج على الحجر الأسود الذى تشرّف بوضع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكانه ودافع عمن يلثمونه أو يتمسحون به لينأوا عن عبادة الأصنام بأنهم مهما صنعوا فهم مؤمنون ؛ لأنهم لا يعبدون الحجر الأسود ، وبالتالى فلن يكونوا وثنيين مثل من يلثمون أبهام قدم القديس بطرس فى روما . وبعد طوافه وسعيه وتقصير شعره حاول أن يحضر للكعبة والناس نيام ليسعد بطوافه منفرداً ولكن أنَّى له ذلك فعندما وصل إليها وجد الجميع فى طواف دون إحساس بالوقت فالسيل منهمر حولها لا ينقطع فى أية لحظة .

وفى المدينة المنورة خلب لبه مسجد الهادى صلى الله عليه وسلم ولم يتبرم بابعاد الشرطة لعامة الناس من تقبيلهم لمقصورة النبى صلى الله عليه وسلم أو الصلاة تجاهها خاصة فى الفروض ، ولقد لاحظ عدم اختلاط الرجال بالنساء فى هذا المسجد كما دافع عن حجاب المرأة واعتبره حماية لها من أطماع الطامعين ــ ولقد وصل إلى حد التدقيق فى جزئيات السجود إذ يؤكد ضرورة لمس الأرض بجبهته وأرنبة أنفه .

وفى يوميات الحادى عشر من سبتمبر عام ثمانين وتسعمائة وألف تحت عنوان « لم أملك إلا أن أكون مسلماً » يقول :

« هزتنى الحقيقة عندما وصلت إلى أنى أصبحت مسلماً بمشاعرى ولم يبق أمامى سوى الإعلان الرسمى فنطقت بالشهادتين وسميت نفسى « مراد فريد » » .

ثم بدأت غيرته وخوفه على الإسلام فقارن بين الشيوعية والفكر الغربى من حيث تأثيرهما عليه فلم يكترث بخطر الشيوعية برغم مواقفها السلبية إلا أن الفكر الغربى بتقنياته المادية المعاصرة المفرطة فى الإغراق هو الذى ينخر فى عظام الإسلام[1] ــ كما حدث فى تركيا التى استسلمت لإغراء التقدم العلمى والرخاء على حساب الدين وهيهات لما تقوم به وزارة الأوقاف بها من إحياء الدين مرة أخرى .

ولقد بدأ المؤلف بدراسة علمية دقيقة لعلماء الإسلام الأوائل فأثبت أن ابن خلدون كان أسبق من « كارل ماركس » و « ماكس فيبر » فى اكتشاف القوانين التى تحكم دورات التاريخ

(١) كذا ، وكان أولى أن يكون اللفظ : المسلمين بدل الإسلام .

وسقوط الحضارات فهو بحق الأب الحقيقى لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ .

وأنه سبق « هيجل » فى أن للدول أعماراً كالأشخاص .

وأنه سبق « جان جاك روسو » فى إقرار العلاقة بين الحاكم والمحكومين .

وفى خاطرة أخرى يتعرض للتعصب الألمانى ضد الأتراك ثم يتذكر تعصب الأتراك ضد العرب الذين ينظرون إليهم نظرة دونية ثم يعلق على ذلك بأنه يأنف من رائحة المترددين على أندية باريس وميونخ ونيويورك ، لكنه يؤكد أنه لم يأنف إطلاقاً من المصلين فى المسجد حيث لا رائحة لهم إلا العطر الطيب،ويخلص إلى أن المسلمين هم أنظف أهل الأرض جميعاً .

وفى تحليل علمى مشوق لأضرار أكل لحم الخنزير الذى غالباً ما يكون مصاباً بدودة الخنزير ويؤدى تناوله إلى زيادة نسبة الكوليسترول فى الدم وإبطاء عملية التمثيل الغذائى فى جسم الإنسان وتعرض الأمعاء إلى أخطر أمراض العصر وهو الأورام الخبيثة « والعياذ بالله » إلى جانب الإصابة بالإكزيما والروماتيزم والإنفلونزا ناهيك عن رائحته المقززة ودسمه الذى يصيب المعدة ، ويختم مقاله بقوله : « أليس من الغريب أن يتوقع محمد الأمى-صلى الله عليه وسلم-الذى عاش فى بيئة متخلفة[3] كل ذلك الضرر ... لا ريب أنه وحى يوحى » .

ثم فى خاطرة أخرى يتعمق فى دراسة تحليلية لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بعدما قرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق[4] وكتاب محمد « لمارتن لنجز » وخلص إلى أنه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كان عسكرياً فذاً يفوق أعظم قادة الحروب ـ كما أنه كان يجيد التفاوض ، ويتخير الوقت الذى يقبل فيه الهدنة .

وكان صلى الله عليه وسلم أول من وضع دستوراً للسير على هداه وكان قاضياً ومحكماً إلى جانب كونه خطيباً بليغاً ثم يقول : « ألا يُعدى ذلك إلى وحى إلهى » .

ولقد أعجب هذا الألمانى بمظاهر الصحة البدنية التى دعا إليها الإسلام كالختان ، وقد بلغ به الأمر أن خاض هذه التجربة مع كبر سنه رغم خطورتها .

ويؤكد فى موضع آخر أن من يفهم (سورة النصر) ، ويدقق فى معانيها لتلاشت من نفسيته رغبة الانتقام ـ بل إنه يؤكد أن من وعاها ما كان له أن يشعل نار الحرب .

وفى خاطرة عن المرأة وضرورة دخولها مكة بمحرم من أقرب الأقارب ـ خشية تدفق غير السعوديات على السعودية ـ فإن ذلك لا ينقص من قدرها ـ بل إن الإسلام يفيض فى تكريم المرأة حيث ساوى بينها وبين الرجل وجعلها حُرة فى تصريف أمور أموالها دون وصاية حتى من زوجها[5] وهى وإن كان نصيبها من الإرث نصف نصيب الرجل فإنما يرجع ذلك إلى أن هذا الأخير هو المسئول عن الإعالة للأسرة وليست هى ، كما يذكر أن الإسلام قد منحها حق طلب الطلاق كما أنها شاركت الرجل

---

(3) كانت هذه البيئة متخلفة دينياً فقط ، وإلا فقد كانوا على العموم بالنظافة الشخصية جداً .

(4) لعله يقصد ابن هشام .

(5) فى الحق لا بد من إذن زوجها لها حماية لها من ألسنة السوء .

في الحروب وليس أروع مثلاً من عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين قادت معركة الجمل .

(هذه الكلمة من السفير ـ ونحن والحمد لله نحسن الظن به ـ ليست حقاً ، فإن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما قادت هذه المعركة ، ولا سواها)

ثم إن المؤلف يسرد في براعة اقتناعه بالآية الكريمة :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾

فيذكر عدة حوادث تعرض لها لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم ينه حياته إثر مصادمة قوية خرج منها بإصابات عديدة ، ولا بعد أن أُطلق عليه الرصاص فأخطأه ، ولا بعد إصابته بورم خبيث إلا أنه ما زال على قيد الحياة فلن يصيبه إلا ما كتب الله له .

وفي خاطرة أخرى يسرد المؤلف أن سيدة اتهمت بأن الإسلام لا يزال ينتظر مولد الله ، فأجابها بأن هذا هو الشيء الوحيـد الـــذي لا ينتظـــره المسلمون ... ولم يستطرد حيث إن التقاليـــد لا تسمح بالإفاضة في المسائل الدينية أو السياسية على موائد الطعام .

وفي محاضرة له في مقر حلف شمال الأطلنطي تعرض لسؤال عن رأي الإسلام في تعدد الزوجات ـ فأجاب بنص الآيتين الكريمتين :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾

وعندما عُيِّرَ « بالخوميني » أعلن أن الشيعة والسنة على خلاف جذري .

وفي خاطرة أخرى تعرض لكتاب « موريس بوكاي » عن « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » عدد فيه بتناقضات عديدة في الكتاب المقدس ويعترف في ذات الكتاب ؟ ان القرآن الكريم أثبت مصداقيته في مراحل نمو الجنين وفق أحدث البحوث المعملية اليوم وانه لا يوجد بيان قرآن واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمي في أي ميدان من ميادينه .

ويبني المؤلف خاطرته بأنه كان يأمل ألا يُنظر للقرآن على انه مرجع علمي وإنما يكفيه أن يكون وحياً إلهياً .

وفي خاطرة أخرى ينصح المؤلف أهل الغرب بالتحرر من أعباء مشاكلهم ولهفتهم على الصعود السريع وتحقيق المزيد من المال والنجاح بالخلود إلى أنفسهم واللجوء إلى التأمل (الروحي) .

ويرى المؤلف إن الإسلام هو الذي بيده الحل حيث حرم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير المسببان للتوتر ، وفي صوم رمضان والمداومة على الصلاة تخفيف من حدة هذا التوتر .

وفي خاطرة ذاتية يروي المؤلف طرفة عندما استفسر عن وجود مسجد في سان فرانسيسكو فدله أحدهم عليه مع تحذيره من الذهاب مترجلاً أو في الليل ـ لكنه لم يعبأ بالنصيحة وتوجه إلى المسجد راجلاً وفي وضح النهار برغم طول المسافة ووجد بالمسجد أربعة رجال سود لكن أيهم لم يكن يفرق بين الأذان وبين الإقامة ـ فتدخل الألماني وصحح هذا الأمر ومن ثم طُلب منه أن يكون إماماً لهم

وبعد : فإن الكتاب يعتبر تسجيلاً لخواطر الكاتب صح الكثير منها ، وما من شك أن المؤلف كلما ازداد عمقاً في الدراسة الإسلامية الخالصة سوف يتغير لديه ما كتبه في بعض خواطره .

خرافة الوحدة فى الشعر الغربى

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

استهدفت حملة « الوحدة الموضوعية » ، أو العضوية » بشتى تفسيراتها ـ الإزراء ، أولا وأخيرا ، بالشعر العربى ، وتناست أن الشعر هو الشعر بإلهاماته ، أو عرائسه ، أو خيالاته ، سواء هو فى الغرب أو فى الشرق ، وأنه على وضع سواء .. وكما يقول الشاعر إبراهيم ناجى :

إنما الشّعــــــــر مزهــــــــرٌ قد حكــــــى قصّــــــة الأمم
هو قيثــــــارة الزمـــــــا ن ونجواه مِنْ قِدم

بل لقد عمدت بعض المدارس التى حرصت على الإزراء بالشعر العربى يوما أن ترفع من شأن « ابن الرومى » ، لا لشىء ، إلا لتهدف إلى بيان أن الفن الرفيع لديه إنما هو نتاج موروثه العِرْقىّ ، فهو نابغة لأنه سليل الغرب ؛ لأنه « رومى » .. !!!

أى أن المسألة لا ترمى إلى دراسة موضوعية تأخذ موازينها العلمية نقدا وتمحيصا ، لكنها مظاهرة لجذب الأنظار ، والخروج بالفكر عن مسار قومى ، إلى الغضّ من قيمة ، لترتفع فوق هذه الأنقاض فى النهاية : تماثيل هشة لقيم كاذبة .. !

ثم تلت ذلك قضية « الوحدة العضوية » ، لتقول ـ لكل أبناء العروبة : ليس ما تتلونه لشعرائكم شعرا .. إن الشعر الحق هو الذى يتمتع بالوحدة العضوية التى لا وجود لها بين ظهرانى شعرائكم ، وإنما رصيدها الدائم فى الغرب وَحْده ، فوَلّوا وجوهكم شطره ... !!!

وإذا بسط الدارس نظرته ، لعثر على هذا التوجيه نفسه فى ضروب عدّة : فى السياسة ، فى الاقتصاد .. فى التعليم ... الخ .... ، وَلّوا وجوهكم إليه ، وإلا فأنتم متقوقعون ..!

وقد شاء الله ـ تعالى ـ ألا يصح إلا الصحيح !

وفى الكتاب العزيز ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ سورة الرعد

وفى دراستنا للوحدة العضوية ، وَلَجْنا مباشرة إلى الدواوين العربية الأولى ، وطالعنا القصيد على ما هو عليه ـ فيما تيسر لنا منها ـ وزيادة فى الحيطة تابعنا مذهب المعارضين ، هذا المذهب الذى نحن بصدده والذى يرى أن القصيدة العربية مفكّكة الأوصال لا وحدة بينها ، وذلك حتى نستطيع أن نرد هذا المذهب على ما هو عليه ـ على الرغم من عِلْمنا بأن « الشعر القديم لم يُنقل إلى الأجيال مكتوبا ، وإنما نقلته الذاكرة فأضاعت منه ، حتى خُيّل للمعارضين أن تعُدد الموضوع طبيعةٌ فى الشعر العربى بينما هو فى واقعه وحيد الموضوع سليم الوحدة[1] .

وإذْ فعلنا ، وجدنا أنفسنا أمام « وحدة عضوية موضوعية » مبثوثة فى هذا الشعر ، بل وعلى قاعدة عريضة فيه ، كما وجدنا هذا النوع الآخر الذى ضم ـ فى ظاهره ـ أكثر من موضوع ، ولقد تنبه لهذه الحقيقة الدكتور طه حسين فحاضر فى أمرها ، وكتب معارضا للمستشرق « جب » وأمثاله ، ومن تمثل به كالأستاذ العقاد[2] ـ فقال :

« أصبح العقل الحديث أذكى وأرق ، وأدنى إلى الحذر والفطنة من أن يذعن لها ، أو ينخدع بها .

وتفكك القصيدة العربية ، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية ـ دون المعنى ـ أسطورة ياسيدى من هذه الأساطير التى أنشأها الافتتان بالأدب الأوربى الحديث ، والقصور عن تذوق الأدب العربى القديم . والذين ينكرون « الوحدة المعنوية » للقصيدة العربية القديمة ، إنما يدفعون إلى هذا الإنكار لسببين :

الأول : أنهم لا يدرسون الشعر القديم كما ينبغى ، ولا يتعمقون أسراره ومعانيه ، وإنما يدرسونهُ درس تقليد ، ويُصَدِّقون فيه ما يقال لهم من الكلام فى غير تحقيق ولا استقصاء ، وهم يحفظون منه البيت أو الأبيات ، وقلّ منهم من يحفظ القصيدة كاملة ، ويدرسها كاملة ، فضلا عن أن يحفظ القصائد الطوال .

أما علماؤهم فيكتفون بالأغانى وما يشبه الأغانى من الكتب ولا يلتفتون إلى الدواوين .

وأما عامتهم من أوساط المثقفين فيكتفون بكتب التاريخ الأدبى وما يشبهها من المذكرات التى تُذاع فى المدارس بين الطلاب .....

والسبب الآخر الذى يدفع المثقفين المحدثين إلى إنكار هذه الوحدة المعنوية فى القصيدة يأتى من أنهم يقبلون ما يقوله الرواة وما ينقلونه إليهم فى غير تحفظ ولا احتياط ولا تحقيق .. الخ[3] .

---

(1) راجع للدكتور طه حسين : حديث الأربعاء ٣٦/١ ط دار المعارف مصر الطبعة الثانية عشرة .

(2) تأثر العقاد بتخليط المستشرق جب حينا فقرر ـ بدوره ـ أن الشعر الجاهلى ـ فى الغالب ـ أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر إلى المعنى ، ثم يعود إليه ، ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول . وبهذه المناسبة نذكر أن الأستاذ العقاد لم يجادل أو يرد قول د/ طه حسين الآتى .

(3) راجع للعقاد ـ مراجعات فى الآداب والفنون ص ١٠٣ .

قلت : إن الشعر سواء ، هو الشعر فى الشرق كما هو فى الغرب له نفس الطبيعة ، ونفس المنطلق ، ما نجده هنا نجده هناك ، وإنما تعطى البيئة إيحاءاتها وصورها فى كل ، على أنه فى الغرب لن يكون أعمق وجدانا منه فى الشرق . فالشرق روحانىٌّ بطبعه ، يتمتع برفْدِهِ منها بأنهارٍ حُرِمَ منها الغرب ، وهل تنكر ـ على أى اتجاه : قيمة الوجدان فى الشعر .. ؟ .

● ● ●

لقد فات الدارس ـ لهذا الموضوع ـ أن عُمْق المأساة فى حادثٍ ما ، يصيب الشاعر إصابة مباشرة يُطَوِّقُ من الشاعر سبحاته فى أكثر من موضوع ، ويحبسه حَبْساً على موضوع واحد لاتستطيع منه فكاكا .. وجدنا ذلك قديما جدا ، وحسبنا فى التمثيل له بفجيعة « جليلة بنت مرة » قديما ، ثم رُزْءِ مصر وفجيعتها فى « دنشواى » التى أعدم فيها مصريون أبرياء ، وكان أثرها مباشراً ومأساتها ذائعة لنفوس المصريين عامة ، وشعراء مصر خاصة ، وعلى رأسهم شوقى وحافظ .. إنَّ أيًّا من الشعراء الثلاثة لم يخرج عن موضوعه قيد خطوة . إذ قد طوَّقته المأساة فلم تدع لوجدانه وعقله مسرباً :

قتل جسَّاسٌ كليبا زوج أخته جليلة ، وطُرِدت جليلة من مأتم زوجها ، وقالت أخته لها : يا هذه ، اخرجى عن مأتمنا ، فأنت أخت واترنا ، وشقيقة قاتلنا ! فتملَّمت من آلامها وارتحلت على أحزانها : وقالت ـ تخاطب أخت زوجها :

يا ابنة الأقوام إن شئتِ فلا ... تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الذى ... يُوجب اللومَ ، فلومى واعذلى
إنْ تكن أختُ امرئٍ ليمتْ على ... جزع منها عليه ، فافعلى
جلُّ عندى فعل جسَّاسٍ فيا ... حسرتى عما انجلى أو ينجلى
فعل جسَّاسٍ ـ على وجْدى به ـ ... قاطعٌ ظهرى ومُدْنٍ أجلى
تحمل العينُ قذى العين ، كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلى[4]
أيم المجد كليبٌ وحده ... واستوى العالى معا بالأسفل
مَنْ لحكم الناس فى حيزهم ... وقرىَ الأضياف يوم المَحْل
ولإصلاح ولإفسادٍ معا !! ... فى صدى الرُمح ورىَ المُنصل

● ● ●

يا قتيلا قوَّضَ الدهرُ به ... سقف بيتىْ جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته ... والانثنى فى هدم بيتى الأول

(٤) تفتل : ترتى .

ورمـالى قتلـه من كلب   رغبة المضمى به .. المتأصل

• • •

حصنى قتل كليب بلظى   من ورائى ، ولظى مستقبل

ليس من يبكى ليومين ، كمن   إنما يبكى ليوم .. ينجلى

يشتفى المدرك بالثأر ، وفى   دركى ثأرى ثُكْل المثكل

ليته كان دمى فاحتبلوا   بدلا منه دماً من أكحلى[٥]

إننى قاتلة .... مقتولة   ولعل الله أن يرتاح لى[٦]

وهذا حافظ إبراهيم يتحدث عن مأساة دنشواى ، فهل كان يمكن أن ينحى فيعرج إلى غيرها .. ؟ ... قال :

أيها القائمون بالأمر فينا   هل نسيتم ولاءنا والودادا

خفضوا جيشكم وناموا هنيئا   وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا

وإذا أعوزتكم ذات طوق   بين تلك الربا .. فصيدوا العبادا !

إنما نحن والحمام سواءٌ   لم تغادر أطواقنا الأجيادا

لا تظنوا بنا العقوق .. ولكن   أرشدونا إذا ضللنا الرشادا

لا تقيدوا من أمة .. بقتيل   صادت الشمسُ نفسه حين صادا

جاء جهالنا بأمر .. وجئتم   ضعف ضعفيه : قوةً واشتدادا

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو !   أقصاصا أردتم أم كيادا

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو   أنفوسا أصبتم أم جمادا

ليت شعرى .. أتلك (محكمة التفتيش) عادت .. أم عهد (نيرون) عادا

كيف يحلو من القوىِّ التشفى   من ضعيف .. ألقى إليه القيادا

إنها مثلة تشف عن الغيظ ، ولسنا لغيظكم ... أندادا

أكرمونا بأرضنا ! حيث كنتم   إنما يكرم الجواد .. الجوادا

إن عشرين حجة بعد خمس   علمتنا السكون مهما تمادى

أمة النيل أكبرت أن تعادى   من رماها .. وأشفقت أن تعادى

ليس فيها إلا كلامٌ ، وإلا   حسرة بعد حسرة تتهادى

ثم يلتفت (حافظ) إلى المدعى العام المصرى ، بجرأة نادرة وغضب شديد ، لموقفه القاسى

(٥) الأكحل : عرق فى الساعد يسميه العرب : نهر البدن .

(٦) يرتاح لى : يرضى بانتقالى إلى رحمته تعالى .

أثناء المحاكمة ، أو المهزلة . فيقول :

أيها المدعى العمومى مهلا بعض هذا .. فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر وضمنا لنجلك الإسعادا
فإذا ما جلست للحكم فاذكر عهد (مصر) .. فقد شفيت الفؤادا
.. لا جرى النيل فى نواحيك يا مصر ، ولا جادك الحيا حيث جادا
أنت أنبت ذلك النبت يا مصر .. فأضحى عليك شوكا قتادا
أنت أنبت ناعقا قام بالأمس ، فأدمى القلوب والأكبادا

ثم يخاطب المدعى العام :

أنت جلادنا ، فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا[7]

وقال شوقى فى فظائع « دنشواى » :

يا دنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم فى اللحود أهلة ومضى عليهم فى القيود العام
.. كيف الأرامل فيك بعد رجالها ؟ وبأى حال أصبح الأيتام ؟
عشرون بيتا أقفرت ، وانتابها - بعد البشاشة - وحشة وظلام
يا ليت شعرى : فى البروج حمائم أم فى البروج منية وحمام ؟
نيرون لو أدركت عهد « كرومر » لعرفت كيف تنفذ الأحكام
نوحى حمائم دنشواى ، وروعى شعبا بوادى النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء ، حالت بينه سحرا .. وبين فراشه .. الأحلام
متوجع ، يتمثل اليوم الذى ضجت لشدة هوله الأقدام :
السوط يعمل ، والمشانق أربع متوحدات .. والجنود قيام
و « المستشار » إلى الفظائع ناظر تدمى جلود حوله وعظام
فى كل ناحية ، وكل محلة جزعا .. من الملإ الأسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة وعلى وجوه الثاكلات رغام[8]

وبعد :

فهل خلصت الوحدة العضوية للشعر العربى .. ؟ .

... ذاك حديثنا التالى بمشيئة الله ، نختم به هذه الدراسة .

---

(7) انظر ديوان حافظ 2/ 20 ، 22 ط 1937 .

(8) ديوان شوقى 1/ 244 ، 245 .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

يوميات واعظ فى أمريكا

ما أكثر الأقلام التى تناصب الإسلام العداء وتصب جام غضبها على شريعته بالافتراءات والأباطيل ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ الصف ـ ٨

نعم .. إنهم يريدون محوه من المجتمعات الإسلامية ، أو على الأقل زعزعة الإيمان به فى قلوب المسلمين ، ومن جهة أخرى يدفعهم الخوف منه إلى الحيلولة ـ بهذا التشويه ـ دون زحفه وانتشاره فى المجتمعات الغربية ، فالمتمسكون به ـ فى نظرهم ـ رجعيون ، والمنادون به مرتدون إلى عصور الجاهلية ، والمطالبون بتطبيق شريعته متخلفون .

وبرغم ما ينفق على هذه الحملة الشرسة ، وما يجند لها من أبواق تطمس الحق وتزين الباطل ، إلا أنه لم يتأثر بها باستثناء بعض الغربيين والمستغربين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، فلا يعرفون عنه إلا اسمه ، ولا عن كتابه الكريم إلا رسمه ، وهذه انطباعات واعظ عن صورة الإسلام فى الغرب ، كتبها إلينا فضيلة الشيخ/ زكريا أحمد محمد نور واعظ الأزهر بأسيوط بعدما أتيح له معايشة الشعب الأمريكى فى شهر رمضان الماضى ضمن بعثات الأزهر ـ يقول :

« إن كثيراً من الأمريكيين يجهلون حقيقة الإسلام وأحوال المسلمين وما يتعلق بقضاياهم ومشكلاتهم وعقيدتهم ، ويحملون فى أذهانهم صوراً مشوهة إلى حد كبير عن واقع الإسلام ومجتمعاته نتيجة لما تنشره عنه الصحافة الغربية ،

لكنهم فى نفس الوقت على استعداد لأن يسمعوا الحقائق عن عقيدة الإسلام وأحوال المسلمين ، ويصغوا لكل من يعطيهم صورة صادقة عن الإسلام ، بل يتقبلون ذلك بكل سرور وترحيب وقد لمسنا ذلك فى رحلتنا إلى مدينة « الباسو » عندما كنت أقوم بالدعوة الإسلامية هناك فى رمضان .

فالشعب الأمريكى لا يعرف عن الإسلام إلا القليل ، والكثير منهم يعتقدون فينا التأخر والأخطاط والقسوة والغلظة والوحشية ، كما يعتقدون أن الإسلام لا يعدو هذه العادات والطقوس الظاهرة التى يقوم العرب بتطبيقها ، وأن مركز المرأة على جانب من الانحطاط ، جاهلين ما منحه الإسلام للمرأة من حقوق لم يمنحها غيره من القوانين والأديان الأخرى حتى الآن .

فبعض الصحف هناك تعبر عن الرأى العام اليهودى ، وتصف العرب بالمتعصبين ، ومن ثم تقوم على إخفاء الحقائق ، وتهوين الحوادث ، التى يرتكبها اليهود ، والتقليل من أهميتها ، بينما تضخم الحوادث البسيطة وتهولها وتصفها بالوحشية إن كانت صادرة من عرب فلسطين ، وهذا ما لمسناه فى رحلتنا أثناء الانفجار المدوى فى المركز التجارى بنيويورك فى رمضان المعظم .

كذلك تعمل الصهيونية على الإفساد والتفرقة بين العرب ، فقد حاولت أن توقع بين المسلمين والمسيحيين وتظهر للعالم أن العداء سيتحكم بين المسلمين والمسيحيين ، وأن المسلمين يضطهدون المسيحيين ، ويتفننون فى خلق الأكاذيب والقصص الخيالية حول أنواع الاضطهاد ، حتى أنه وجه إلينا فى إحدى الندوات سؤالاً بهذا المعنى ، مضمونه : أن مصر بها اضطرابات بين المسلمين والمسيحيين فهل تكون مصر لبنان أخرى ..؟ وبالطبع كانت الإجابة بالنفى وتوضيح العلاقة الإنسانية القائمة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، وأن مصر بلد لا يعرف التفرقة الدينية .

المسلمون فى مدينة الباسو :

القدوة الصالحة تهدى وتجعل الجميع يهتدون بأهل الخير وخصوصاً إذا كان ما هم عليه هو الإسلام الذى يؤيد العقل ويعليه .

ومع أن الإسلام مقنعاً بذاته داعياً العقول مخاطباً لها ، فالإسلام فى (مدينة الباسو) قوى والمسلمون أقوياء فلا بد أن يقلدهم الأمريكى الأبيض والأسود ويسرع الخطى لاعتناق الإسلام ، فلا تجد أحداً من هؤلاء خرجوا من الإسلام بعد أن دخلوا فيه وذاقوا حلاوته ، إلا أن يكون خبيثاً أراد بإسلامه خدعة .

والمسلم فى مدينة الباسو يحاسب نفسه قبل أن يتكلم ويعمل فكره فيما يقول قبل أن ينطق لأنه يعتقد أن « الله مطلع على كل لفظ » ، وأن الله قد وكّل به رقيباً عتيداً يحصى عليه ما يفعله وما يلفظ به ، والمسلم أيضاً فى مدينة الباسو لا يقول إلا حقاً ولا يأتى إلا معروفاً ولا يفعل إلا خيراً ولا يمنعه من المجاهرة به خوف من الناس ، لأنه يعتقد أن المؤمن لا يخاف من شىء ، وكيف يخاف ومعه الطمأنينة ، ولا يضطرب من شىء فكيف يضطرب وعنده الاستقرار ، ولا يخشى مخلوقاً ، لأن الله ــ تعالى ــ معه .

هذه انطباعاتى لما شاهدته من إيمان المسلم فى

مدينة « الباسو » فكانوا بحق مسلمين ورب الكعبة : فهم « يؤمنون بالقضاء ويصبرون عند البلاء » .

منهج الدعاة إلى الإسلام

ولقد سألت الدكتور أبا بكر مسئول الدعوة الإسلامية هناك عن منهجهم فى دعوة الإسلام فقال : « إن عرض المسلم لأفكاره ومبادئه بأسلوب شيق جذاب يحبب الآخرين إلى الإسلام فلا ينفرون أو يبتعدون ، كما أنه ينبغى مخاطبة الناس على قدر عقولهم ومداركهم فلا نخاطب العمال بأسلوب الفلاسفة ، ولا تناقش الملاحدة والماديين بلسان عاطفــى خالٍ من الحجــة والبرهان .

فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، بل وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور فتأخذها العزة بالإثم مثل قول الله ـ تعالى :

﴿ فإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾

البقرة ٢٠٦

بل نتعامل بالرفق واللين ، وليس معنى اللين المداهنة والرياء والنفاق ، وإنما اللين بذل النصح وإسداء المعروف بأسلوب دمث مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدور » .

وهكذا .. فإنه على الرغم من تشويه الصحافة الغربية للإسلام ؛ تسمع هناك كلمة « لا إله إلا الله » وهى تخترق الحدود الأمريكية إلى الحدود المكسيكية لتشرق نور الإسلام فى هذه البلاد .

حـــول

التضامن الإسلامى

ما أحوج أمتنا الإسلامية وهى تمر بهذه الفترة الحالكة من تاريخها إلى دعم وحدتها بين أفراد الأمة وفق ما جاء به القرآن وأوضحته السنة النبوية ، فقد وجه الإسلام أهله إلى ما يحفظ مجمعهم وحدته ، وذلك من خلال الارتكاز على عدة مقومات يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، منها : التضامن والتعاون والتكافل .

قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

المائدة ـ ٢

حول هذا المعنى كتب إلينا القارىء/ أيمن حسن خميس ـ من ميت أبو خالد بميت غمر ـ دقهلية ـ هذه الكلمة :

نظراً لما يجرى فى عصرنا على الساحة العربية والإسلامية من محن وأهوال عظام ترتكب فى حق الإسلام والمسلمين نهاراً جهاراً ، ونظراً لمرارة الظلم الواقع على عاتق أمتنا وما تقاسيه من جروح تفتقد من يضمدها أو يدفع ما يدبر لها فى الخفاء من الفتن والمكائد ، فإنى تواق ومتشوف مع كل مسلم إلى تحقيق معانى التضامن والتكافل فى أمة الإسلام لتعود أمة واحدة مثلما كانت فى صدر الإسلام وعصر الفتوحات والقرون الوسطى عندما كان الإسلام يبسط سلطانه على أوروبا .

فقد كانت أمة الإسلام أمة واحدة تشبه بحق « الجسد الواحد » إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالنجدة وشتى سبل الانقاذ ، ومن ثم كان المسلمون فى منعة وهيبة نتيجة اعتصامهم وتضامنهم ، فانتشر الإسلام على أيديهم واتسعت رقعته وتمكن له فى الأرض بشكل أذهل العالم .

فما أحوجنا إلى التضامن الفعلى بين المسلمين والتأسى بأمجادنا والعودة إلى منابع عزّنا وفخرنا حتى نعود إلى سالف عهدنا الزاهر .

مع بشائر شهر المحرم ، واستهلالنا لعام هجرى جديد نتوقف لحظات لكى نتذكر حادثاً من أعظم الأحداث التى مرت بالتاريخ الإسلامى ؛ وهو حادث الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ؛ وقد هاجر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ـ رضى الله عنهم ـ وتركوا ديارهم وأموالهم فى سبيل نصرة الدين الحنيف ولولا هذه الهجرة المباركة ما وصل إلينا الإسلام ولا انتشر فى بقاع الأرض ، فنحن مدينون بالفضل لهذا الحادث العظيم .

وإذا تأملنا هذا الحادث نجد أن المسلمين قبل الهجرة عانوا أشد المعاناة من تعذيب الكفار لهم والأسماء كثيرة فى ذلك نذكر منها ، عمار وياسر وسمية وبلال بن رباح ، وغيرهم من الصحابة الأخيار ، ـ رضى الله عنهم ـ الذين لاقوا التعذيب على يد المشركين مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن بالهجرة دون أن يخالفه واحد من صحابته الكرام ، ولا عجب من ذلك فهم الذين استأثروا بحمل راية هذا الدين .

وكما قدم المهاجرون من تضحيات فى سبيل نصرة دين الله ـ عز وجل ـ فقد قدم أخوانهم الأنصار أيضاً تضحيات تتسم بروح الإسلام ، ففتحوا لهم ديارهم وعرضوا عليهم ان يقاسموهم أموالهم ويشاركوهم معيشتهم ، وكانوا كما قال الحق تبارك ـ وتعالى ـ عنهم :

﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ... ﴾ الآية ٩ الحشر

فجزى الله المهاجرين والأنصار عنا خير الجزاء .

عماد الدين عبد المنعم　دار طباعة النقد

بأقلام القراء

وماذا بعد الحج ؟

كتب الأستاذ صاحب التوقيع بعد الديباجة :

● ليس من السهل الآن على كل مسلم أن يحج بيت الله ـ تعالى ـ ولقد تنبأ الرسول ﷺ بذلك ، فنصح أمته بقوله « حجُّوا قبل ألا تحجوا » ، فقد ارتفعت أسعار الحج ؛ وحُددت أعدادُ الحجيج من كل قطر مسلم أو غير مسلم ، وضُيقت السبل على كثير من الراغبين فى السفر ، وطفحت المشاكل « الأمنية » هنا وهناك حتى أصبح الحجاج يتعرضون لامتحان أشبه « باختبار المقابلة أو كشف الهيئة » !! فإذا فاز بعض المسلمين بالترشيح لهذه الجائزة الكبرى لإتمام الركـــن الخامس من أركان الإسلام ، فلا يجوز لهم حينئذ أن يضيّعوا ثوابها ويُهْدروا قيمتها ، بمخالفاتٍ هم أَوْلَى الناس بتركها والبعد عنها ، لا سيما بعد أن منّ الله ـ تعالى ـ عليهم بهذه النعمة .

عبد الوهاب عبد العزيز سالم

موجه لغة إنجليزية ـ غرب طنطا

مجلة الأزهر :

نرجو الأستاذ عبد الوهاب إذا ذكر حديثاً .. شريفاً أن يحدد مصدره .

مجـــرد عتـــاب

السيد الأستاذ / ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

هذه هى الرسالة الخامسة وللأسف لم يتم الرد على استفساراتى .

وأولها : قدمت اقتراحاً بإنشاء باب بعنوان « من فوق المنبر » ليهتدى به أهل الدعوة ممن تصدروا للدعوة بالمساجد الأهلية حتى يكونوا على بصيرة وهدى .

ثانيها : قدمت شكراً على ما تقوم به المجلة من إثراء ثقافى لقارئيها لا سيما وأنا من قراء المجلة منذ عشرين عاماً ولم يذكر شىء فى باب بريد القراء لذا أكرر عتابى وشكرى لأسرة المجلة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القارىء

سعد الدين أحمد حسن غزال

مجلة الأزهر :

أما عن مقترحكم بشأن الخطبة فقد أبدت المجلة فى عدد سابق حجتها فى هذا الموضوع ، ولعل السيد سعد الدين معنا فى الاكتفاء بالبيان بعدد واحد ، ولسيادتكم جزيل الشكر على تقديركم الكريم للمجلة ، وإنما هو توفيقه ـ تعالى ـ الذى نرجوه ـ سبحانه ـ ألا يدعنا لأنفسنا طرفة عين .. تقبلوا خالص الشكر .

دور الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية تتعرض لكافة أشكال التفاعل والتأثير المتبادل .. فالثقافة تشكل هوية زمنية لحياة الأمة .. وتحمى الأمة من عوامل التذويب والتشكيك والاختراق .

ولكن هل استطاعت ثقافتنا بلوغ أهدافها كعنصر أساسى للتحرك الإسلامى فى كافة القضايا . ؟

إن الأمة فى حاجة لفكر متجدد اقتصادى وسياسى وتعليمى ينهض بها مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ **المؤمنون ـ ٥٢**

يحيى السيد النجار ـ دمياط

مجلة الأزهر :

ترجو السيد يحيى مزيداً من الإيضاح بياناً لقوله : إن الأمة فى حاجة إلى فكر متجدد اقتصادى ... إلخ ونحن فى الانتظار .

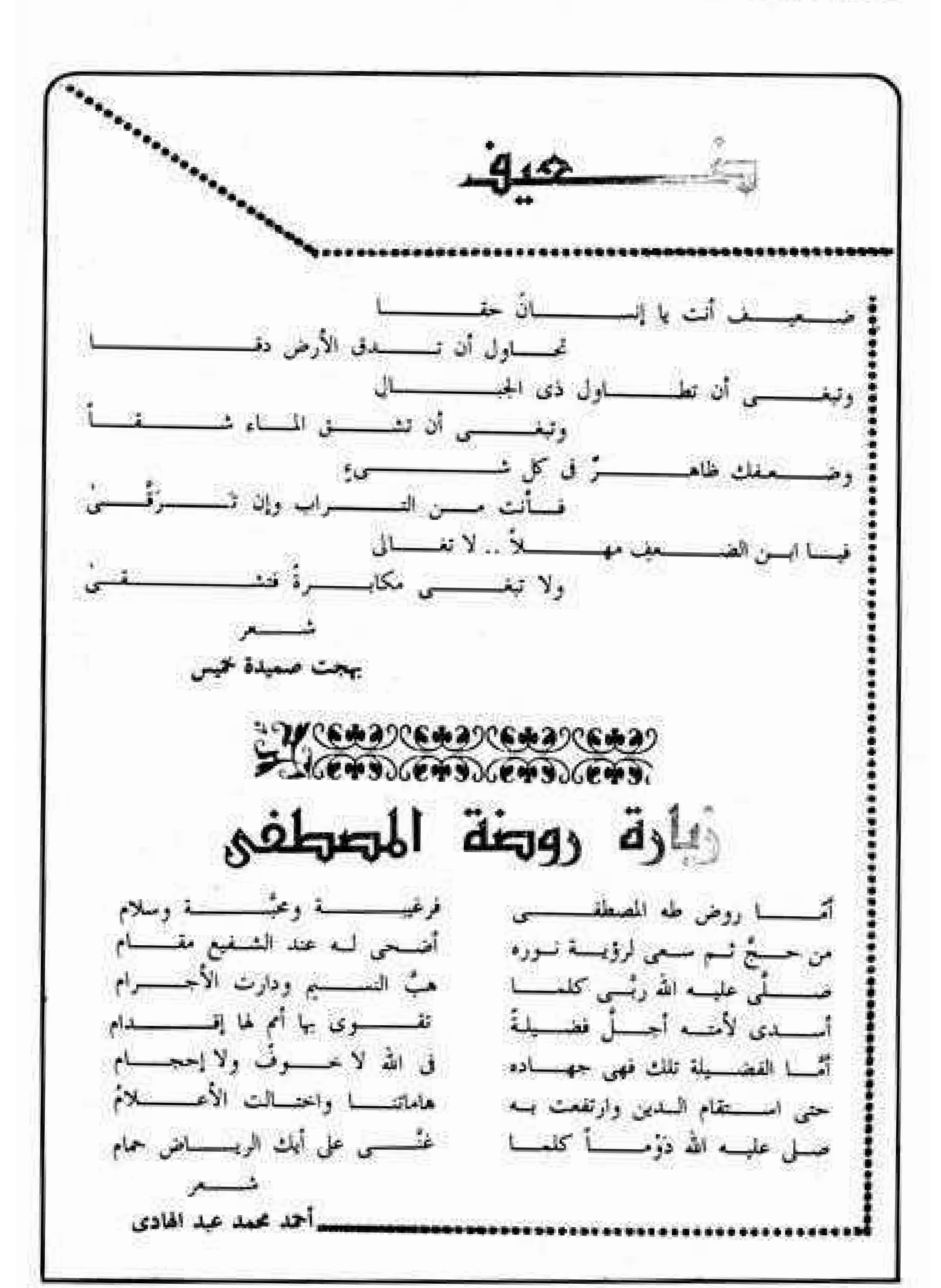
إلى الأشقاء باليمن

وحول « صراع الزعامة » والحرب الأهلية الدائرة بين شطرى اليمن ، كتب الشاعر/ مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية إلى الأشقاء هناك :

أبناء يعرب حسبكم ، فنزاعكم
تأبى القلوب له ، ولا تتحمل
أنتم أشقاء ، فلا تتصارعوا
إن الوئام بكم أحق وأجمل
ألقوا السلاح ، وعجلوا ، عار إذا
ما مسلم بيد الشقيق يُجندل
كفُّوا .. دماء المسلمين مراقة
فى كل أرض إخوة تتقاتل
(الصرب) قد فتكوا بهم فى (هرسك)
وكأنما قد دار فيهم منجل
يا أخوة اليمن الشقيق ، حروبكم
طالت بلا عذرٍ به تتواصل
إن الشمال أو الجنوب كلاهما
يَمَنٌ توحَّد غيره لا يقبل
هذا هو الإسلام يجمع شملكم
فتظللوا بلوائه ، وتكتلوا
لبُّوا نداءً للتفاهم عجِّلوا
إن التفاهم خيرُه لمؤمَّل

تنبيه

على السادة كتاب المجلة : الاتصال بخزينة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر ـ الدور الثالث ـ لتسلم مكافآتهم ، وذلك بعد ما لا يقل عن خمسة وعشرين يوماً من نشر المقالة ، ويمكن الاستفسار عن وجود المكافأة بالخزينة من خلال هذا الرقم ٢٦٣٨٥٩٩ ـ القاهرة .



ضعيف

ضعيف أنت يا إنسان حقا
تحاول أن تدق الأرض دقا
وتبغي أن تطاول ذى الجبال
وتبغي أن تشق الماء شقا
وضعفك ظاهرٌ في كل شيء
فأنت من التراب وإن ترقَّى
فيا ابن الضعيف مهلاً .. لا تغالِ
ولا تبغي مكابرةً فتشقى

شعر
بهجت صميدة خميس

زيارة روضة المصطفى

أمَّا روض طه المصطفى ... فرغبة ومحبة وسلام
من حجَّ ثم سعى لرؤية نوره ... أضحى له عند الشفيع مقام
صلى عليه الله ربي كلما ... هبَّ النسيم ودارت الأجرام
أسدى لأمته أجلَّ فضيلة ... تقوى يا أمم لها إقدام
أمَّا الفضيلة تلك فهي جهاده ... في الله لا خوفٌ ولا إحجام
حتى استقام الدين وارتفعت به ... هاماتنا واختالت الأعلام
صلى عليه الله دوماً كلما ... غنى على أيك الرياض حمام

شعر
أحمد محمد عبد الهادى

ردود وتعليقات

● القارىء/ مسلم سائل .. بدون عنوان :

أى علة مرهونة بدواعيها ، ومتى ذهبت الدواعى ذهبت العلة ، وكما هو واضح ان الدواعى هنا : التخيل والنظر فيما حرَّم الله عز وجل .

فغضُّ النظر وطرد الخواطر السيئة بكثرة الاستعاذة علاج نافع ، قال تعالى :

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ فصلت ــ ٣٦

ويمكن الاستعانة بهذا الدعاء « اللهم احفظنى من الخواطر النفسانية ، وطهرنى من القاذورات البشرية ، ونجنى من الشهوات الشيطانية ، وصفنى بصفاء المحبة المحمدية » .

● القارىء إبراهيم أبو حفناوى ــ القرين ــ شرقية :

استجابة لمقترحكم سوف تقدم المجلة فى أقرب فرصة بحثاً كاملاً عن التيمم يشفى حاجة من يريده .

● القارىء/ رمضان إبراهيم الأقرع ــ خطيب مسجد باخناواى ــ طنطا :

مع تقديرنا لمقترحكم ومنزلة الديوان ، فإنه ليس فى خطة المجلة أن تكون هداياها دواوين شعر .

● القارى/ مجدى محمد السيد عنان ــ المدرس الثانوى بشمال سيناء ــ العريش :

نرجو ــ يا أستاذ مجدى ــ أن تلفت نظر سيادتكم وأنتم أستاذ يقوم بالتدريس لمئات الطلبة ، ماذا تفعل إزاء طالب يراك تشرح ، وتستميت فى الشرح ، وهو ــ لأمر ما ــ أغلق على فهمه شىء ، فلم يسألك ..؟

هل تستطيع سيادتكم ان تعرفه من بين عشرات التلاميذ ..؟

يا أستــــاذ مجدى . من حولك ، وفى المساجد ، ووعاظ الأزهر المنتشرون فى كل بقعة داخل مصر يتحدثون ، ويفْتون .. بل لقد أنشأ الأزهر بأكثر مراكز الجمهورية لجانا للفتوى لتفيد الناس مباشرة بما يريدون .. وكم نرجو أن تلتقى بهم .. مع خالص الشكر .

● محمد حسين يوسف على ــ من اسنا :

وصلت كلمتكم عن « وقفة عرفات » متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار ابداعاتكم .

● وبعون الله ــ تعالى ــ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .


أنباء وآراء



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى ـ مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى بالأئمة والوعاظ الوافدين

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأئمة ووعاظ العالم الإسلامى المشتركين فى الدورة الخامسة والعشرين وقد طالبهم فضيلته بضرورة التسلح بالعلم النافع وتطبيق تعاليم الإسلام السمحة فى بلادهم والالتزام بالحكمة والخلق الإسلامى القديم ليكونوا قدوة للناس فى مسلكهم ودعوتهم ، كما ناشدهم بأن يجعلوا الأزهر الشريف مرجعهم فى كل ما يواجههم من فتاوى .

يحاضر فى هذه الدورة رئيس جامعة الأزهر ولفيف من أساتذة وعلماء الأزهر حيث يقومون بالقاء المحاضرات فى علوم القرآن واللغة والدراسات الخاصة بالأقليات الإسلامية والفتاوى الصادرة عن فضيلة الإمام الأكبر .

حضر حفل الافتتاح إلى جانب الأساتذة المحاضرين بعض أساتذة الجامعة ولفيف من علماء الأزهر وقيادات الدعوة وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

مسئولون بالفاتيكان يزورون فضيلة الإمام الأكبر بسويسرا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بعض الشخصيات الأوروبية والقيادات النصرانية ، وذلك أثناء وجود فضيلته بسويسرا لاستكمال العلاج .

كان من بين الشخصيات التى استقبلها فضيلته الكاردينال فرانز عضو المجلس الأعلى للكرادلة بالفاتيكان حيث نقل لفضيلته تحيات الكنيسة الكاثوليكية .

وقد تسلم فضيلة الإمام الأكبر وثيقة تمثل الأفكار التى سيطرحها الكاردينال على الساحة الأوروبية والنصرانية بغية دعم التعاون بين المؤسسات الدينية الرسمية الإسلامية والنصرانية لخدمة السلام ورفاهية الشعوب ، حضر اللقاء الدكتور على السمان رئيس مؤسسة الحوار الإسلامى النصرانى .

نقل مكتبة الأزهر إلى مبناها الجديد

بحثت اللجنة العليا لإعمار الجامع الأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خطوات نقل مكتبة الأزهر إلى مبناها الجديد « بحديقة الخالدين » بالدراسة ، حيث تقرر الاستعانة بالمستشارين والخبراء لاستكمال الدراسات اللازمة فى هذا الشأن لإتمام عملية النقل فى موعد غايته نهاية يوليو القادم .

وقد أبدت وزارة الإسكان خلال الاجتماع استعدادها لتوفير الوحدات السكنية للطلاب المقيمين بالأروقة الملحقة بالجامع الأزهر تمهيدا لإخلائها ، حضر الاجتماع وزير الإسكان والثقافة وعدد من المسئولين بوزارتى الأوقاف والمالية .

اعتمادات مالية لترميم المعاهد الأزهرية بمحافظة قنا

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مبلغ ٨٠ ألف جنيه لاستكمال وترميم أربع وعشرين معهدا أزهرياً بمحافظة قنا .

كما اعتمد السيد/يحيى الهنساوى محافظ قنا مبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه لاستكمال مشروعات الترميم بالمعاهد الأزهرية ودعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم بالمحافظة .

تعيينات جديدة لخريجى الأزهر

تقرر تعيين حوالى ثلاثة آلاف من خريجى الأزهر للعمل بالأزهر الشريف ، حيث يتم إرسال قرارات تعيينهم إلى الجهاز المختص بالأزهر قريبا ؛ تمهيدا لاستكمال مسوغات التعيين واستلام العمل .

تسليم جوائز مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى

أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف فى حضور حفل توزيع جائزة الشيخ الشعراوى للعام الهجرى ١٤١٣ هـ .

وقد قام فضيلته بتسليم الجوائز للفائزين فى مجال الإعجاز القرآنى ، وفى مجال رد الشبهات عن الإسلام .

وأعلن فضيلته عن شروط مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى للعام الهجرى ١٤١٤ هـ فى :

المجال الأول : الإعجاز القرآنى .

١ ـ كرامة الإنسان : ماذا يتوفر لها فى أحوال علاقته بالدولة ، حرص الدين على توفير كليات خمس للإنسان .

(أ) حماية دينه وعرضه وماله وعقله ونفسه .

(ب) بيان المؤسسات اللازمة على الدولة لتوفير هذه الكليات .

٢ ـ الانتماء : حقوق وواجبات على كل من الفرد والدولة .

وفى المجال الثانى : مجال رد الشبهات عن الإسلام :

(أ) الشبهات التى تثار بين حين وآخر حول القرآن .

(ب) مدى سماح الإسلام للمرأة بالعمل وميدانه .

(جـ) موارد المرأة وحقوقها الاجتماعية .

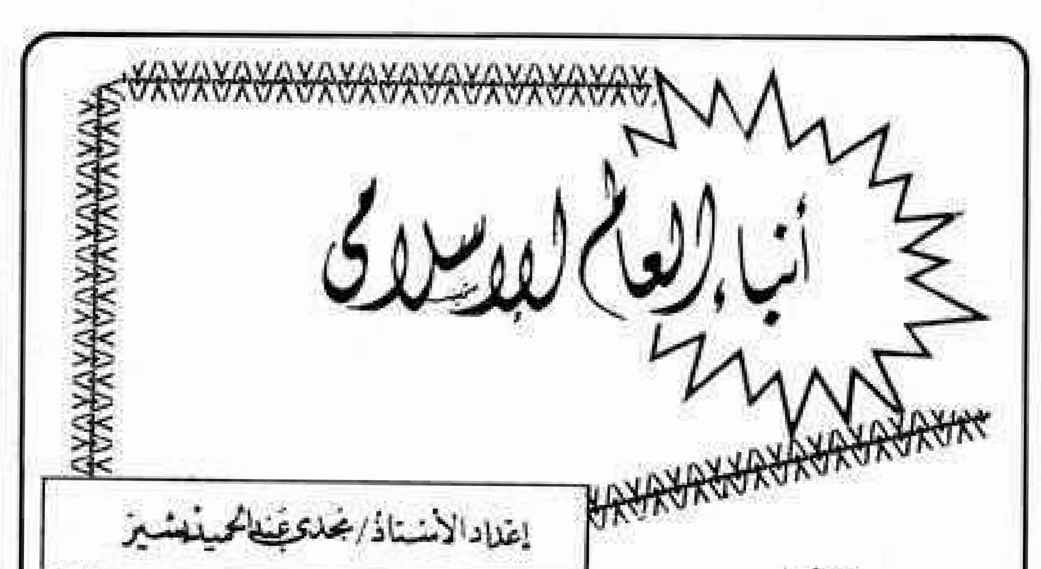
شـروط أخـرى :

١ ـ أن يقدم البحث من ثلاث نسخ ولا تقل صفحاتـه عن مائـة صفحـة من قطـع (الفلوسكاب) ولا تزيد عن مائة وخمسين صفحة ، ولا يقبل البحث الذى نشر قبل ذلك .

٢ ـ يرجع البحث إلى مصادر أصيلة فى بابه وأن يهتم بالتوثيق والتنبيه على مصادره العلمية .

٣ ـ ترسل البحوث إلى مبنى إدارة الأزهر الشريف / ميدان الحسين السكرتارية الادارية بمكتب شيخ الأزهر وذلك فى موعد غايته ١ / ١٢ / ١٩٩٤ م .

وتجدر الإشارة إلى أن الأزهر الشريف قد دأب منذ سنوات على أن يستضيف بعض الأئمة والعلماء من اتحاد العالم الإسلامى فى دورات تدريبية دورية بمعهد اعداد وتدريب الدعاة ، حيث تتكرر كل ثلاثة أشهر وتضم أربعين عضوا ، يحضرون إلى الأزهر الشريف ويتلقون التدريب والاستزادة من العلوم العربية والشرعية والقضايا المعاصرة التى تواجه كافة الشعوب الإسلامية فى مواقعها ، يدرسون ويحاورون أساتذتهم ويتعرفون على الأحكام الشرعية وأصول العقيدة الإسلامية ، ثم يعودون إلى بلادهم دعاة لمجتمعاتهم على بصيرة بما يصحح العقيدة ويلزم من الأحكام .



إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد شير

بريطانيا

أعلن في لندن أنه تقرر أن تبدأ أكثر من ٨٠٠ مدرسة في بريطانيا خلال العام الدراسي المقبل تدريس الإسلام وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحت إشراف وزارة التربية والتعليم في المملكة المتحدة .

الكويت

قررت وزارة التربية والتعليم بالكويت تخصيص خمسة وستين منحة (٦٥ منحة) دراسية في العام المقبل لأبناء الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى .

وكانت الوزارة قد خصصت لهم في العام الماضي ٤٠ منحة دراسية للدراسة في المعهد الديني بالكويت حيث يتعلمون اللغة العربية ، وعلوم الشريعة الإسلامية وذلك ضمن مشروع التواصل الحضاري بين الشعوب المسلمة من أجل غرس المفاهيم الإسلامية السمحة في نفوس الشباب الظامىء للمعرفة الدينية الحقيقية .

منى

عقدت ندوة إسلامية في « منى » موضوعها الحج وأثره وشروطه ، شارك فيها لفيف من وزراء الشئون الدينية في البلاد الإسلامية ، ومنها مصر وتونس ، وتركزت الندوة على خمسة محاور هي : الحج وأثره في المجتمع ، والحج والاستطاعة في حدود الزمان والمكان ، والأهداف النبيلة للحج ، والحج وأثره في تهذيب النفوس ، والمعاني السامية في الحج .

ووجه المشاركون في الندوة الشكر لخادم الحرمين الشريفين ورعايته لضيوف الرحمن ، كما أثنوا على المجهودات الجبارة التي بذلت في تنفيذ المشروعات الإنشائية الضخمة لراحة الحجاج .

جدة

بدأ البنك الإسلامي للتنمية إرسال لحوم الأضاحي براً وبحراً وجواً إلى المناطق الإسلامية

المختلفة ضمن المشروع العظيم للإفادة من لحوم الهدى والأضاحي ، وقد شملت المناطق كلاً من : بيشاور بباكستان حيث اللاجئين الأفغان ، وكـذلك الخرطـوم ، وتشاد ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، وغينيا ، والسنغال ، وموريتانيـا ، والنيجـر ، وجيبـوتي ، وموزمبيق ، وإلى جانب هذه الدول الإفريقية والأسيوية أرسلت شحنات كبيرة إلى البوسنة والهرسك .

تحذير هام

قالت مجلة (الخيرية الإسلامية) إن بعض المنظمات التنصيرية الأوروبية بالتعـاون مع حكوماتها تنوى بل تقوم بتنفيذ مشروعـات ضخمة في ألبانيا كمشاريع الإنارة والتشجير والترميم والبناء ، وذلك لتوفير فرص العمل لتشغيل آلاف الشباب العاطلين في ألبانيا .

وأكدت المجلة أن ما تنفذه تلك الهيئات المغرضة ينبغي أن يقابل بمشروعات عملاقة تنفذها الهيئات والمؤسسات الإسلامية الخيرية ، خصوصاً في ألبانيا .

وأنه وإن كانت هذه المشروعات تنفذ حالياً وتفوق بكثير ما تنفقه الهيئات التنصيرية إلا أن المشروعات الإسلامية تعاني من القصور الإعلامي والتعمية الإعلامية ، والمطلوب مشاريع تخدم الشعب الألباني في أمور حياته اليومية كالهاتف ، والماء ، والكهرباء ، وهي مشروعات ينبغي تنفيذها في المدن ذات الكثافة السكانية .

ماليزيا

يقام في ١٧ يونيو القادم بماليزيا المهرجـان العالمي للحضارة الإسلامية بهدف إلقاء الضوء على أكثر المقتنيات بالمجتمعات الإسلامية التي يقوم بشرح أهميتها لفيف من العلماء والباحثـين والدعاة ، وهي المرة الأولى التي يقام فيها مثل هذا المهرجان .

دمياط

استقبلت كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط خمسين طالباً من دول شرق آسيا للدراسة بالكلية ، والاقامة بالمدينة الجامعية التابعة لجامعة الأزهر بدمياط ، وتتحمل جامعة الأزهر مصاريف الإعاشة ، والدراسة لهؤلاء الطلاب ، ويأتي هذا في إطار إهتمام مصر المتزايد بنشر الإسلام في شتى أنحاء العالم .

من ندوات الإعجاز العلمي

أقيمت بمسجد مصطفى محمود بالمهندسين ندوة دينية تحت عنوان (الحديد وبأسه الشديد) نظمتها جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بالمسجد .

تشاد

أقيم في تشاد مخيم طبي استمر عشرين يوماً تحت إشراف لجنة الطبيب المسلم التابعة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بهدف تقديم الخدمة الطبية لمسلمي تشاد ، والتعرف على احتياجات المراكز الطبية هناك لتزويدها بما يلزمها . ويقوم الدعاة ،

والأطباء بتوزيع كتب فى العبادات ، والمعاملات الإسلامية ، والأمور الطبية على المسلمين بالمخيم .

بلغاريا

أقام المعهد الإسلامى فى صوفيا ببلغاريا إحتفالاً دينياً بتخريج أول دفعة من الدارسين بالمعهد حيث تم تأهيلهم كأئمة بالمساجد ، ومساعدين للمفتى فى الأقاليم المختلفة ، شهد حفل التخرج ممثلو السفارات الإسلامية المختلفة فى بلغاريا ، ونواب البرلمان ، ومفتى الديار . صرح بذلك المستشار الثقافى المصرى فى بلغاريا .

كازاخستان

تم توقيع اتفاقية للتعاون العلمى المشترك بين جامعة الأزهر ، وجامعة (قازان) بكازاخستان ، وتقضى الإتفاقية بتبادل الخبرات العلمية ، والزيارات بين هيئات التدريس فى الجامعتين .

أوزباكستان

تقرر أن يكون تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى إلزامياً بجميع المدارس والمعاهد بجمهورية أوزباكستان الإسلامية . صرح بذلك وزير الشئون الدينية هناك وقال : إن طشقند تشهد هذه الأيام بناء جامعة إسلامية بمساعدة كريمة من جمهورية مصر العربية ، لتكون منارة للإسلام فى جمهوريات آسيا الوسطى ، على أن يسهم الأزهر الشريف فى توفير ٦٠٪ من أساتذة هذه الجامعة .

أول العام الهجرى فلكياً

صرح رئيس هيئة المساحة بأن هلال شهر المحرم سيولد فلكياً فى سماء مصر صباح يوم الخميس التاسع من يونيو الحالى فى الساعة الحادية عشرة وست وعشرين دقيقة ، وبذلك يكون يوم الجمعة العاشر من يونيو الحالى هو أول المحرم من عام ألف وأربعمائة وخمسة عشر هجرية .

آخر أخبار الحجاج

أكد وزير الصحة السعودى أن الحالة الصحية للحجيج فى منى كانت مطمئنة ، وأشار إلى أن مستشفيات عرفة قامت بدورها فى علاج الحجيج خير قيام . وقد شهدت المستشفى إنخفاضاً ملحوظاً فى عدد المترددين عليها هذا العام بسبب الإمكانيات الجيدة لوزارة الصحة وانسياب حركة المرور بالمشاعر المقدسة ، الأمر الذى قلل من معاناة الحجاج ، وقد قدمت جمعية الهلال الأحمر السعودى خدماتها عن طريق ٢٦ مركز إسعاف ، صرح بذلك نائب رئيس اللجنة العليا لشئون الحجاج .

وفى حديث مع هيئة الإذاعة البريطانية صرح السفير السعودى فى لندن أن عدد الوفيات فى حج هذا العام بلغ ٨٢٩ نسمة منهم ٢٧٠ حاجاً فى منى توفوا أثناء رمى الجمار ، وأما الباقون فقد كانت وفاتهم طبيعية لأسباب أهمها : الحرارة والزحام الشديدين ، حيث بلغ عدد الحجاج هذا العام أكثر من مليونين اثنين وربع المليون حسب الاحصائيات السعودية الرسمية .

Ainsi que sur le Hadith rapporté par Moslem, lorsque les épouses du Prophete (B.S.) lui ont demandé plus de dépenses Omar et Abou Bakr ont dû frapper leur filles Aicha et Hafsa, tout en leur disant «Osez-vous demander à l'Envoyé d'Allah ce qu'il ne possède pas?». De même les Hanifites insistaient sur le fait que les épouses des compagnons du Prophete, cherchant l'approbation d'Allah, supportaient la vie étriquée qu'elles menaient, sans songer à demander le divorce.

Cependant, on a refuté cette opinion en soulignant que si le Verset Coranique indique que les dépenses n'incombent pas au mari qui souffre d'une situation financière difficile, l'épouse a quand-même le droit de rompre le contrat. Quant au Hadith, nulle preuve ne nous indique que Aicha et Hafsa ont demandé le divorce au Prophete. (B.S.).

En ce qui concerne les enfants, le père étant donné qu'il est dans la situation du berger pour sa famille, doit subvenir à leurs besoins, tout en les instruisant et en les guidant sur la bonne voie.

> Le père doit assurer leur nourriture et leurs vêtements conformément à l'usage. Mais chacun n'est tenu à cela que dans la mesure de ses moyens.
>
> (Surate la Vache les sens du Verset 233)

De même, pourvoir aux dépenses du père et de la mère est un fait obligatoire tout en accordant la priorité à la mère, au cas de l'incapacité de prendre soin des dieux à la fois. Se basant sur le Verset Coranique :

> Nous avons recommandé à l'homme la bonté envers son père et sa mère. Sa mère l'a porté et l'a enfanté avec peine.
>
> (Surate El Ahkaf les sens du Verset 15)

De même Tarek El Maharbi a rapporté : En arrivant à Médine, Le Prophete (B.S.), prononça un sermon sur le mimbar en disant aux gens :

«La main qui donne est supérieure à la main qui reçoit. Commence par ceux qui sont à ta charge : Ta mère, ton père, ta soeur et ton frère et ainsi de suite, en allant vers ceux qui sont de moins en moins proches».

(Hadith rapporté par El Nesaï corrigé par Ebn Haban et El Dar-Kotni)

Enfin, il est à souligner que le fait d'apporter une aide à tous ceux qui en ont besoin, de faire la charité à tout nécessiteux et d'aider un affligé à surmonter ses obstacles, assurent l'unité de la communauté musulmane.

Rania Nabil El Moghazy

En effet, les aumônes sont des oeuvres surérogatoires qui n'interviennent qu'après l'accomplissement des prescriptions de la religion.

Le prohete (à lui bénédiction et salut) a dit «Il suffit à l'homme comme péché d'être la cause de la perte de ceux qu'il nourrit».

(Hadith rapporté par El Nessai)

Notons de même que le Prophete n'a pas donné raison à l'un de ses compagnons qui, cherchant l'approbation d'Allah, a voulu, durant sa maladie léguer tout son argent en tant qu'aumône. Il ne l'a autorise qu'a disposer du tiers de sa fortune afin de dispenser ses enfants du besoin.

Le musulman est responsable de son épouse pour qu'il doit avoir des égards. En fait, pourvoir aux dépenses de celle-ci est une obligation (en contre partie de l'etat de dépendance dans lequel Allah l'a placé), quel que soit de degre de la fortune de la femme, afin d'assurer les liens d'affection entre eux.

Les hommes ont autorite sur les femmes, en vertu de la préférence qu'Allah leur a accordée sur elles, et à cause des dépenses qu'ils font pour assurer leur entretien.

(Sourate les Femmes. Les sens du verset 34)

On trouve de même dans un Hadith de Aïcha (a.s.e) qu'Allah soit satisfait d'elle, que l'épouse de Abou Sofiane a dit au Prophète (B.S). : «Abou Sofiane est un homme avare, il ne me donne pas de quoi subvenir à nos besoins, mes fils et moi, sinon ce que j'arrive à emprunter de son argent à son insu. Y a-t il aucun reproche à me faire?» Le Prophète (B.S.) a répondu «prends de son argent avec honnêteté ce qui suffira a toi et à tes enfants».

Si l'homme n'assure pas la subsistance à son epouse il sera questionne a ce sujet, sinon le juge l'oblige a divorcer. Le divorce dans ce cas est révocable. En fait, les Ulémas ont des opinions divergentes quant à la rupture du contrat du mariage au cas où le mari est dans le besoin :

Omar Ebn El Khattab, Aly et Abou Horaira optent pour la rupture du contrat, se basant sur le Hadith de Saïd Ebn El Musib qu'Allah soit satisfait de lui «Qu'on les répare», répondant a une question concernant le mari qui n'arrive pas a assurer un mode de subsistance a son épouse.

Se basant de même sur le Verset Coranique : «Ne leur cause, pas de peine en les mettant trop à l'étroit».

(Surate de Divorce le sens du Verset 6)

Quant aux Hanifites, ils optent pour la non rupture en cas de l'existence de difficultés financières, se basant sur le Verset Coranique.

[Que celui qui ne possede que le strict nécessaire paye en proportion de ce qu'Allah lui a accordé. Allah n'impose quelque chose a une âme qu'en proportion de ce qu'il Lui a accordé].

(Surate le Divorce le sens du Verset 7)

D'autres Versions du Hadith :

1- Selon Abou Horaira, le messager d'Allah a dit : «Si Tu as dépensé un dinar afin d'obtenir la Satisfaction d'Allah, un dinar pour l'affranchissement d'un esclave, un dinar donné en aumône à un pauvre, et un dinar dépensé sur les membres de ta famille, la meilleure rétribution est réservée à ce que tu auras dépensé sur les membres de ta famille.

2- Djaber a rapporté qu'un homme de Banou Oz'a voulut affranchir un esclave qui lui était resté, lorsque le Messager d'Allah apprit cela, il lui demanda : «Possèdes-tu d'autres bien?" "non" répondit-il. Le Messager d'Allah dit : "Qui me l'achète?". Alors Noaïm Ebn Abdallah El Adaoui l'a acheté à 800 dirhams, le Messager d'Allah remit l'argent à l'homme en lui disant : "Commence par toi-même : fais l'aumône à toi-même, et, en cas de surplus pour les membres de ta famille, et s'il te reste quelque chose, c'est pour tes proches, puis s'il reste quelque chose fais ceci et cela." Ensuite il ajouta "C'est entre tes mains, puis à ta droite et à ta gauche."

3-Avec un sens proche, on trouve le Hadith de Abdallah Ebn 'Amr qui demanda à son magasinier quand il entra chez lui "As-tu donné à manger aux esclaves?" "Non" répondit-il. Il lui "Vas vite le faire" puis il ajouta que le Messager d'Allah B.S. a dit : Il suffit à l'homme comme péché de priver de nourriture celui qui est à son service".

Hadith rapporté par Moslem

Le sens du Hadith

L'argent constitue l'un des bienfaits accordés par Allah à Son serviteur, celui-ci doit donc lui être reconnaissant en le dépensant dans les voies licites. Il sera alors rétribué par l'augmentation de sa fortune : (Celui qui fait un beau prêt à Allah, Allah le lui rendra avec abondance. Allah referme sa main, ou bien Il l'ouvre. Vous reviendrez à Lui (Sura).

On trouve de même dans un Hadith rapporté par Abou Hoaïra, que selon le Prophète (à lui bénédiction et Salut), Allah le Très Haut a dit :

«Dépense Ô fils d'Adam et Je dépenserai sur toi».

En fait, ceux qui jouissent de la priorité des dépenses les plus méritoires faites par l'homme sont le dépenseur lui-même puis sa famille, ensuite ceux qu'il entretient.

L'homme doit donc pourvoir à leurs besoins afin d'obtenir l'appobation d'Allah d'une part, et d'éviter de tomber dans le péché de l'avarice d'autre part.

Par conséquent, tout refus de leur assurer un mode de subsistance convenable, selon ses moyens, constitue une malfaisance interdite par l'Islam.

Il est donc chargé de les vêtir comme il s'habille, et de les nourrir de ce dont il se nourrit, conformément à l'usage, chacun selon son niveau social et sa situation matérielle.

On ne considère jamais comme bienfaisant un homme qui, chargé d'entretenir sa famille, fait la charité avec tout son argent ou s'abstient de subvenir à leurs besoins en vue d'accomplir des oeuvres surérogatoires.



«La dépense recommandée»

par : RANIA NABIL EL MOGHAZY

D'apres Abou Quilaba, selon Abou Asmaa, selon Thawbân (qu'Allah soit satisfait de lui), le Prophete (a lui Benediction et Salut) a dit :

«La depense la plus meritoire faite par un homme est le dinar qu'il depense sur ses enfants, le dinar que l'homme dépense sur sa bête de somme dans la voie d'Allah, ainsi que le dinar qu'il depense sur ses compagnons pour obtenir l'approbation d'Allah».

Abou Quilaba a ajouté : "Il a commencé par mentionner les enfants.... ensuite il a dit : "Et quel homme aura une meilleure retribution que l'homme qui depense sur de jeunes enfants afin de les dispenser du besoin ou qui est mis par Allah a leur service pour leur assurer un mode de Subsistance.

(Hadith rapporté par Moslem)

Le transmetteur du Hadith :

Thawbân Ebn Bagdad Abou Abdallah est l'affranchi du Prophete (a lui Benediction et Salut).

Célèbre compagnon, acheté et affranchi par le Prophete a lui Benédiction et Salut Il l'a pris, servi jusqu'a la mort de ce dernier. Il a prit part avec les compagnons du Prophete a la Conquête de l'Egypte. D'aprés Abou Daoud, selon Abou El Abia, d'apres Thawbân, le Prophete (B.S.) a dit : «Qui peut me garantir de ne rien demander aux gens et je lui garantirai le paradis? — "Moi", a dit Thawbân. En effet Il n'a jamais rien demandé á qui que ce soit.

— Je me suis assez vengé, dit enfin l'Egyptien. Maintenant c'es le tour de la tête chauve (de Amr) dit le prince des croyants.

— Prince, dit l'Egyptien, je ne frappe que celui qui m'a battu.

— Par Allah dit Omar, si vous voulez le battre, personne ne vous empêchera.

On rapporte aussi que Cesar dépêcha un émissaire à Omar Ebn Al Khattab pour s'informer de sa situation et de ce qu'il faisait. Arrivé à Médine, il le chercha : "où est votre roi? dit-il aux habitants.

— Nous n'avons pas de roi, lui répondit-on mais un émir ! Il est quelque part en dehors de la ville".

Il partit à sa recherche. Il le trouva enfin couché sur le sable son bâton sous la tête. Il avait un petit bâton qu'il portait toujours à la main et dont il se servait pour réprimer les incorrections. Le voyant dans cette position, il se recueillit et dit : "Un homme redouté de tous les rois qui ne peuvent tenir en place de peur de lui, mene une vie pareille ! C'est grâce à votre justice que vous pouvez goûter un sommeil paisible. Notre roi injuste se tient toujours sur ses gardes, inquiet".

On raconte aussi qu'en l'an 17 de l'Hégire une sécheresse générale frappa l'Arabie. Les gens souffraient et ne trouvaient plus de quoi se nourrir. Le calife "Omar fit le voeu de ne pas consommer de nourriture à base de viande, ni de boire du lait ou des produits laitiers tant que les Musulmans et leurs enfants ne seraient pas nourris connenablement et tant que les produits manqueraient sur les marchés. On rapporte que le calife ne se nourrissait plus que de pain et d'huile à tel point que sa peau devint jaune. Cela dura neuf mois.

Enfin la justice qui régna au temps de Omar Ebn Al Khattab lui donna la tranquillité et la paix de l'âme. Pour tout le souci qu'il eut d'assurer la justice durant son règne et l'équité pour la communauté il bien mérité le titre de "calife juste" ou encore : "Al-Adel".

Hoda Hussein Charaoui"

La justice sous le califat de 'Omar Ibn Al-Khattab

La justice est la base de toute civilisation : elle est nécessaire à l'épanouissement de la société. Pour les Musulmans, elle ne se conçoit pas en dehors de l'obéissance à la loi révélé ni en dehors d'une égalité entre tous les Musulmans. En voici un modèle de justice exemplaire.

Omar Ebn Al Khattab était assis quand un Egyptien se présenta et lui dit : "Ô prince des croyants ! Je viens chercher refuge auprès de vous.

– Vous êtes en sûreté, lui répondit Omar, de quoi s'agit-il?

— J'ai fait la course à cheval avec le fils de Amr Ebn El As (le gouverneur d'Egypte) dit l'Egyptien et je l'ai devancé. Alors il se mit à me battre sur la tête et à me dire : "Je suis le fils des plus nobles. Son père, ayant appris le fait me mit en prison pour m'empêcher de venir me plaindre à vous. Je me suis évadé et me voici devant vous !

Omar écrivit alors au gouverneur d'Egypte ces mots : "à la réception de ma lettre, préparez-vous à assister au prochain pèlerinage vous et votre fils. Puis adressant à l'Egyptien il lui dit : "vous resterez ici jusqu'à ce qu'ils viennent.

Le gouverneur assista donc au pèlerinage. Cet acte de dévotion terminé, Omar s'assit avec ses gens. A ses côtés étaient Amr et son fils. Sur un signe du prince des croyants, l'Egyptien se leva. Le prince lui tendit alors le bâton. L'Egyptien le prit et en frappa le fils du gouverneur tellement fort que l'assistance eût souhaité qu'il s'arrêtât. Omar ne faisait que répéter : "Frappez le fils des plus nobles".

REVUE AL AZHAR

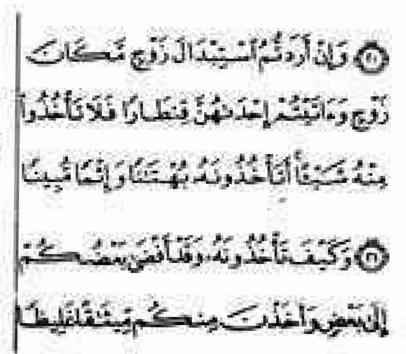
Vol. 67 Part I

Al-Muharam, 1415 Higrah

Section Française

20. But if ye decide to take
One wife in place of another,
Even if ye had given the latter
A whole treasure[***] for dower,
Take not the least bit of it back;
Would ye take it by slander
And a manifest wrong?

21. And how could ye take it
When ye have gone in
Unto each other, and they have
Taken from you a solemn
covenant?



"(sura 4:19-21).

It is impossible to think of a more appealing and forcible exhortation to a husband to deal kindly with his wife, even if she happens to be a woman of unseemly manners. It is forbidden in strong terms to lay hold on her property in the event of separation.

Brutal husbands, before the revelation of these verses, used to maltreat their wives and even to imprison and torture them until, unable to bear sufferings, they were forced to relinquish the dowry settled upon them at marriage, and the property they used to endow their new wives with.

This was expressly forbidden by the verses quoted above. According to Maliki School of Law, if a husband has forced his wife to enter into Khul' (redemption), the wife is entitled to get back the dowry and all of what she surrendered as compensation to the husband.

It is understood from the Khul''s rules that the woman is not forced by Islam to live with a husband she does not like. Although Islamic Law has stipulated her consent to marriage contract, she may demand a divorce from her husband on the pretext that she has discovered that she does not love him : that she cannot perform her obligations as a wife and that accordingly she wants to be released from the marriage tie. In such a case, she may be granted Khul', provided she pays the husband compensation, which might be the money her husband paid to her as a dowry.

This does not mean that Islam opens the door wide before women to destroy their married lives at any time they wish. Before taking such a step, the woman is enjoined by Islam to do her best to bring about happiness and tranquility to her husband, children and home. She is expected to forbear her personal feelings for the sake of the sacred bond she had already approved of, and for the sake of the children who will certainly be affected by their parents' separation.

TO BE CONTINUED

The Meaning of the Holy Qur'an by : A. Yusuf Ali

The compensation is a matter of agreement between husband and wife. The wife may return the whole, or a portion of dowry if it has been paid; or she may simply surrender her dowry or other rights. She may give up the claim of maintenance and lodging during the 'iddah (waiting period), or she may make any other agreement for the benefit of the husband, for instance, to nurse their child during the two years of suckling, or to keep and maintain the child for a fixed period at her expense after weaning.

Ibn 'Abbas said that the wife of thabit Ibn Qais came to the Prophet and said :

> "O Messenger of Allah, I am not angry with Thabit for his temper or religion; but I am afraid that something may happen to me contrary to Islam, on which account I wish to be separated from him.'
>
> The Prophet said : 'will you give back to Thabit the garden which he gave you as your settlement?'
>
> She said : 'Yes'.
>
> The Prophet turned to Thabit and said 'Accept your garden and make one declaration of divorce."
>
> (TRANSMITTED BY BUKHARI).

It is quite clear from this tradition that Thabit was blameless, and that the proposal of separation emanated from the wife who feared she would not be able to perform her functions and carry out her obligations towards that particular husband. The Prophet here permitted the woman to release herself by returning to the husband the antenuptial settlement as compensation for the release granted to her.

As stated also in the same tradition, in the Khul' form, the basic principle of repudiation is that the husband is lawfully entitled to compensation only when he is not at all responsible for the breach, but when the wife is alone responsible.

According to Muslim jurists, the compensation extorted from a blameless wife is unlawful. Compensation is absolutely unlawful for the husband, even when the wife happens to be responsible partly for the disagreement. Islam has sufficiently produced a set of laws which jealously protects the property and person of the wife against her husband's cupidity and tyranny.

The Holy Qur'an forbids the husband to resort to cruelty or other violent means with a view to compel a woman to enter into a Khu' (redemption) and relinquish her dowry :

19. O ye who believe!
Ye are forbidden to inherit
Women against their will.
Nor should ye treat them
With harshness, that ye may
Take away part of the dower
Ye have given them – except
Where they have been guilty
Of open lewdness;
On the contrary live with them
On a footing of kindness and equity.
If ye take a dislike to them
It may be that ye dislike
A thing, and Allah brings about
Through it a great deal of good.

(١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ
أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ
مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

DIVORCE IN ISLAM

Khul' (Redemption) :

By : MOHAMMAD ABDEL HALIM HIGAB

As Islam maintains equality between husband and wife in married life, it insists on equality in power of termination of the marriage contract. Islamic Law allows the woman to seek divorce from her husband if he maintains an unpleasant association with her, or causes her unjustifiable hardship real or if she finds that he suffers from a disease of the body or mind which prevents him from supporting her or preserving her chastity. The court is authorized to order her to be divorced if she is justified in her contention and her husband refuses to divorce her. Islam also permit the woman to stipulate in the marriage contract that the dissolution of marriage may be decided by her only instead of the husband.

Besides these entitlements provided by Islam in favour of women, the wife is also entitled to seek the remedy of divorce from her husband on the plea that she hates him and cannot live with him, and therefore, she feels disinclined to have sex relations with him. The woman concerned is allowed to a type of divorce called ' Khul' ' (redemption), and can release herself from the tie of marriage by reaching an agreement with the husband to give him a sort of compensation in return in which the husband is to announce her divorced.

Khul', then is a compensated repudiation made by a mutual concent between husband and wife, in which the wife gives a consideration to the husband for her release from marriage tie. In this respect, the Qur'an says :

229. A divorce is only
Permissible twice: after that,
The parties should either hold
Together on equitable terms,
Or separate with kindness.

It is not lawful for you,
(Men), to take back
Any of your gifts (from your wives),
Except when both parties
Fear that they would be
Unable to keep the limits
Ordained by Allah.[254]
If ye (judges) do indeed
Fear that they would be
Unable to keep the limits
Ordained by Allah,
There is not blame on either
Of them if she give
Something for her freedom.
These are the limits
Ordained by Allah;
So do not transgress them
If any do transgress
The limits ordained by Allah,
Such persons wrong
(Themselves as well as others).

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا
إِلَّا أَن يَخَافَا
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا
وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(sura 2:229).

Heavenly religions (Judaism, Christianity and Islam) have formal prohibitions against usury. Arguments against interest are : 1) lenders get something for nothing, 2) man should help his neighbour without hope of gain and 3) it is unnatural to multiply money by charging interest. "Usury is the most unfraternal of acts. Spiders, toads and all creatures diabolical became metaphors for the usurer".

For centuries European culture offered relentless hostility towards usurers in general and Jews in particular. There can be no mention of usury without making reference to the Jews idolization of money and their avidity for lending money at unconscionable and exorbitant rates of interest. "The Economist" cites this quotation from Deuteronomy[1] (chapter 23) : " .... unto foreigners thou mayst lend upon interest, but unto thy brother thou shalt not lend." The essay describes this order as "fateful injunction" which means catastrophic and deadly. It speaks expressly of discrimination by Jews against non-Jews. Add to this their fiery passion for revenge. These wicked traits are embodied in Shakespeare's Shylock in his great play, "Merchant of Venice."

The two features in Shylock's character that impress us most are : his passion for money and his passion for revenge. His moral standard has become a financial standard. He hates Antonio, the merchant of Venice partly because he is a Christian, but more because "he lends out money gratis (for nothing i.e. without interest) and brings down the rate of usance (the interest paid for the use of money) here with us in Venice." The Jew's greed had destroyed in him even all affection for his daughter. Perhaps even stronger than his love of money is his hatred of Antonio as a Christian. "If I can catch him once upon the hip (take him at an advantage), I will feed fat (gratify to the full) the ancient grudge I bear him."

What "The Economist" said about Islam and usury :

1. "But the confusion over whether moneylending is wrong remains."
2. "The metals used as monetary mediums of exchange were seen as inert substances. To multiply them, for instance by charging interest, was unnatural."
3. "Islamic societies trod an easier path. Specific injunctions in the Koran against 'riba' (interest) were broadly followed, without controversy. They flowed from a broader Islamic principle that risk should be shared between borrower and lender."
4. "Financial contracts similar to those favoured by Islam, were based on the idea of risk-sharing in which the lender took interest only as payment for sharing in the risks of a trading venture."
5. "Dozens of Islamic banks have been founded from Jordan to South Africa ... Thanks to the principle of risk-sharing, they enjoy a more exalted social standing than rival institutions, so much so that western banks are dabbling with Islamic finance and pondering its applicability elsewhere."

Our comment is that humanity is bound to return to Islam and its teachings for salvation. There is no other way for getting out of the prevailing miserable wretchedness. Banks of the West are carefully studying how to apply the Islamic principle of risk-sharing in their dealings.

To be followed

---

(1) Deuteronomy is the fifth book of canonical Jewish Scripture containing Mosaic laws and narrative material.

ISLAM'S OUTRIGHT PROHIBITION OF USURY

(PART I)

By : Muhammad Atris*

"The Economist," the well-known English magazine concerned with economic and financial issues, published "Dec. 25, 93 - Jan. 7, 94) an analytic review of usury from early times up to the present day. The subtitle of that review, "The lender's long lament", is illuminating. The overall impression given by the essay is that usury has always been abominable, repugnant and ruinous; and that usurers have been, throughout ages, oppressive, exploitative and pitiless. "They take something for nothing ... Something of the distate for lending at interest that all societies fell in the past, and that many societies still feel, persists in the West."

Moneylenders - however necessary - have been so widely despised. In mediaeval times, moneylenders were regarded with dread. They were hated and approached with caution. They were damned because they do the devil's work. They do something anti-social - they charge interest.

In 1311 the Council of Vienne issued an influential decree describing any legitimation of usury as heresy. In the 17th century Britain outlawed it and in the 18th century popular imagination linked banking to state profligacy, high taxes and corruption. In early 19th century, the unproductive wealth of financiers in Britain "was denounced by radical and religious nonconformists who espoused the productive virtues of labour." We have to observe that financiers' wealth is described as "unproductive" which constitutes one of the strongest arguments against usury. Usurers amass fortunes without doing any work.

America blamed its banks for the depression that followed the Wall Street crash in 1929. As a result, "restrictive legislation that remain in place to-day rained down upon them ... and several states still have usury laws that limit the interest rates." Nowadays, some still allege that "bankers, with Jews and freemasons to the fore, are conspiring to take over the world."

* Under Secretary, The People's Assembly of Egypt.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part I

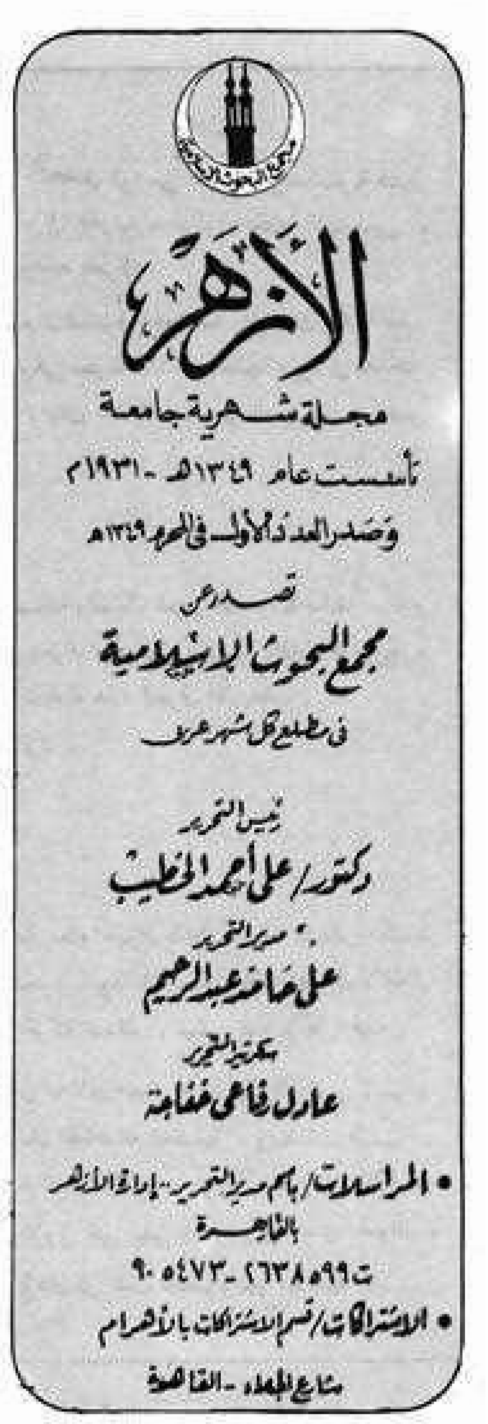
Al-Muharam, 1415 Higrah — June, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

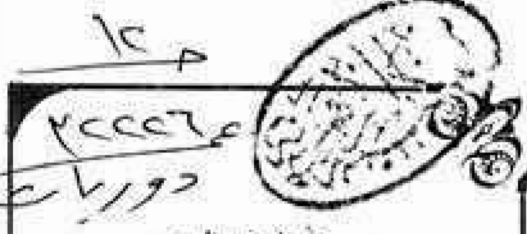
علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

• المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

أثر الإسلام (١)

في حياة بريطانيا الحديثة

وهذه إحدى الحقائق التي تصدغ بنفسها الناقمين الضائقين بمعالم هذا الدين ، أولياء الذين قال الله - تعالى - فيهم : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ سورة فصلت

وعودة بالقارئ إلى مجلة الأزهر « رجب ١٤٠٤ - أبريل ١٩٨٤ » ص ١٠٨١ - ليطلع على « تحقيق عن اللحوم المستوردة .. والدول النامية . قصة اللحوم .. إنصاف واستخفاف ، تزوير فتوى الأزهر » .. الخ .

وكان ـ من توفيق الله ـ سبحانه ـ أن أقوم بهذا التحقيق فى مبنى مركزه بالإسكندرية فتبين الطرق الأربعة التى كان يتم بها إعداد لحم الحيوان ـ فى الغرب ـ ليكون طعاماً للمسلمين ، ويسمون ـ هذا الإعداد ـ ذبحاً ، وما هو بذبح ، وهذه الطرق :

ا ـ استخدام مسدس تصوب طلقاته على رأس الحيوان فتخترق الجمجمة ، وتهتك خلايا المخ.

ب ـ ضرب الحيوان بآلة (Crash Knocker) وهى مطرقة ثقيلة ، بعضها مزود فى مقدمته المباشرة لرأس الحيوان بآلة حادة تخترق الجمجمة ، وتهتك خلاياها ـ انظر الصورتين ـ بنفس العدد ص ١٠٨٣ ، ١٠٨٥ .

جـ ـ الوخز فى النخاع الشوكى .

د ـ الصدمات الكهربائية .

وفى رسالة للسيد محمد العوضى وزير التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية سابقاً ـ أخبر دار الإفتاء ـ بالمملكة ـ ببيان الوسائل المستخدمة فى إعدام الحيوان ، بعضها بالقارة الأوربية ، والبعض بأوربا حيث انطلقت الفتنة أساساً ، فذكر سيادته هذه الطرق الأربعة .

ا ـ طريقة كيمائية بواسطة ثانى أكسيد الكربون .

ب ـ ميكانيكية بواسطة آلة حادة .

جـ ـ ميكانيكية بواسطة قذيفة نارية .

د ـ كهربائية بواسطة التيار الكهربائى .

والمقصود بذلك كله الإبقاء على أكبر قدر ممكن من دماء الحيوان داخل جسده مما يحقق مكسباً يصل إلى (٤٠٠) أربعمائة دولار فى كل طن من اللحوم ، وذلك نتيجة فقدان الحيوان لانفعال جهازه العصبى عقب جز رأسه ، فيفقد القوة على الحركة عندئذ ، فيبقى الدم داخل لحمه .

والحال مختلف تماماً عندما يتم الذبح شرعاً ، إذ ليس فيه تأثير مسبق على الجهاز العصبى ، سواء فى المخ أو النخاع الشوكى مما يساعد الحيوان على أداء انقباضاته العضلية ، ونبضات القلب ، وحركات القوائم ، ويؤدى ذلك كله إلى استنزاف الدماء كلها ، أو ما يسمى بـ « الإدماء الكامل » ويبقى اللحم طيباً نقياً ، عكس الحالات الأولى التى يبقى بها الدم فى جسد الحيوان ، ويكوّن بيئة صالحة لتكاثر الميكروبات الضارة ، مما يؤدى إلى تلف اللحم وتغير خواصه[1] .

وإلى هنا فليأكل الغربيون كما يريدون .

---

(١) راجع فيما تقدم المقال المذكور ومعه مراجعة .

واليوم تبدأ قصتنا . عندما هبط بعض المستوردين الأمناء إنجلترا وإيرلندا الشمالية وأصروا على أن يتم الذبح بالطريقة الشرعية ، ولم يسع المنتج – رغبة فى الكسب – إلا أن يستجيب ، ولفت هذا الصراع فى القول – بين المنتج والمستورد – نظر بعض التجار البريطانيين ، ومن ثم أرادوا أن يُلمّوا بمعرفة الفرق بين ماهم عليه وما يريد هؤلاء المستوردون ، فأخذوا إلى منازلهم من هذا اللحم وتناولوه فالتزموا به .

كان معنى ذلك التحول لدى بعض تجار بريطانيا أن آلات المجازر البريطانية عرضة لثورة تغيير فثارت السيدة تاتشر رئيسة الوزراء حينئذ ، وطلبت إلى السيد « عزيز باشا » الأمين العام لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى لندن أن يقنع مسلمى بريطانيا بأكل اللحوم التى تم صعقها بالكهرباء .
ويبدو أن المحاولة لم تُجدِ نفعاً ، وازداد إقبال الإنجليز على اللحم الطيب ، فقد حملت الأخبار صبيحة الثلاثاء ٢٧ من ذى الحجة ١٤١٤/٦/٧/١٩٩٤ بجريدة الجمهورية بصفحتها الأولى هذا الخبر ونصه :

« الذبح طبقاً للشريعة الإسلامية ينتشر ببريطانيا » .
زاد الإقبال فى بريطانيا على اللحوم المذبوحة طبقاً للشريعة الإسلامية .
قال أحد رجال الأعمال : إن تجارته من هذه اللحوم ازدهرت بنسبة (٤٠٪) خلال الشهور الستة الأخيرة .

بلغ استهلاك اللحم الحلال فى بريطانيا (٤٠٠) مليون جنيه استرلينى سنوياً .. اهـ الخبر .
وتلك آية من آيات الله – تبارك وتعالى – التى قال عنها :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [فصلت : ٥٣ – ٥٤]



صبحي الإمام الأكبر

الإسلام ومواجهة مشكلات الشباب وطرق بناء الإنسان بوجه عام

لقد كانت أول آيات أنزلت من القرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ افتتاح سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾

وبهذا أوضح القرآن أن للإنسان رحلتين : رحلة الخلق والتكوين ، ورحلة العلم وهذه الأخيرة تتشعب ، وتتسع آفاقها متى أحسنت تربية الإنسان فى ظل الإيمان : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

فالإيمان هو طريق الرشد للإنسان ثم الإخاء الإنسانى ، إذ الإسلام لايعرف تفرقة بين بنى الإنسان ، فالكل سواء فى الإنسانية ، كما هم سواء فى الخلق ، أسرة كبيرة تربطها صلة الأرحام ذلك قول الله سبحانه فى سورة الحجرات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ⑬﴾

ولا يتعارض الإخاء الإنسانى مع الإخاء الإسلامى ، بل هما ملتقيان لأنهما من أحكام الله وقد يفترقان ، ولكنهما فى الإسلام سماحة وإخاء وتبادل مودة واحترام .

ولقد اعتبر الإسلام العلم والتعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، والعلم المطلوب هو كل علم نافع للإنسان فى حياته ولأجياله .

والأخلاق هى أساس أصيل فى تقويم الحياة ، ومكارم الأخلاق هدف إنسانى إسلامى . ولقد امتدح الله الرسول بالخلق فى سورة القلم فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

وإذا استقامت الأخلاق استقامت أمور الأمة شباباً وشيباً .

وفى سبيل تربية الشباب جاء القرآن الكريم موجهاً إلى واجبات الوالدين ففى سورة البقرة قول الله سبحانه : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ......﴾ الآية - ٢٣٣

وفى سورة التحريم قال الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

وفى أحاديث رسول الله ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

« إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

وفى شأن عناية الإسلام بالشباب فى الدين والعقل والجسد والخلق جاء فى الحديث الشريف عن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم القيامة : « وشاب نشأ فى عبادة الله .. » .

وفى الأدب والأخلاق جاء الحديث الشريف « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق

بضاع ».

وفى شأن العقل والعلم والجسد يرشد إلى أسسه الصالحة الحديث النبوى الشريف « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً » .

وفى التنشئة الصالحة ومدافعة الغرائز جاء الحديث الشريف : « **يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » . (**اللؤلؤ والمرجان**) .

ولقد سلك القرآن منهجاً فريداً ليعلم الشباب وغيرهم الحقوق ليحرصوا عليها والواجبات للمبادرة إلى أدائها ولنقرأ على سبيل المثال ـ عن هذا المنهج ما سجله القرآن فى سورة لقمان :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

ففيها تصحيح العقيدة بالتوحيد وعدم الإشراك وفيها تهذيب السلوك والترابط بين الفروع والأصول ببر الآباء والإحسان إلى الأمهات وإن اختلف الرأى والدين ، وفيها إحساس بالمسئولية أمام الله الذى لا تخفى عليه خافية ، وفيها تغذية للعقيدة وتثبيت لها بالعبادات ، وفيها أداء الواجب نحو المجتمع بنشر المعرفة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى صبر وعزم وتحمل وترقب وأمل ، وفيها أمر بالتواضع والوفاء والحياء .

نعم إن فى هذه السورة وصايا كاملة ، ومتكاملة يجب أن تقوم عليها رعاية الشباب وتوجيهه فى كل عصر وكل جيل وفى هذا قال بعض الحكماء : من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه ، أو حمد حصله ، أو مجد أثله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه .

وفى شأن ترسيخ العقيدة يجب أن نعلم أن الإيمان ليس مجرد كلمات أو شعارات وإنما هو قبل كل شىء عقيدة وسلوك وعمل ، ولقد جاء الإيمان فى القرآن مقروناً بالعمل الصالح ، فلاينبغى أن نكون من الذين وصفهم الله فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

ومن ثم كان من واجب الوالدين والمربين أن يربوا الأولاد على أن الدين عقيدة وعمل وأنه لا انفصام بينهما ، وأن الدين يدعو إلى أقوم الأخلاق .

شيخ الأزهر الشريف جاد الحق على جاد الحق

فتوى للإمام الأكبر

فى بيان وجوب نفقة الزوجة على الزوج

وأن من أسباب سقوطها عنه نشوز الزوجة

وتركها منزل الزوجية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب جاء فيه ما نصه :

إلى فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفظه الله ـ تعالى ـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعـــــد :

فقد اتصل بنا بعض معارفنا يستفسر عن حكم الشرع فى إحدى القضايا العائلية ، ولما كان هذا خارجا عن دائرة اختصاصنا ، رأينا أن نتشرف بتوجيه سؤال الأخ إلى فضيلتكم آملين أن تتكرموا مشكورين بالإجابة عنه ، والسؤال كما يلى :

امرأة كانت تعمل مدرسة ، وعندما تزوجت اشترط عليها زوجها ترك العمل مهما كانت ظروفه العملية بعد الزواج ، وأنها لن تطالبه بالعودة إلى وظيفتها السابقة أبدا .. وقد وافقت هى وأهلها على ذلك دون قيد أو شرط .. ولكن بعد شهرين من الزواج تراجعت عن عهدها ، مع أن الزوج أحسن حالا منه قبل الزواج وخرجت من بيت الزوجية لتلحق بأهلها ، وتستأنف عملها من جديد ، فما الحكم فى خروجها هذا ؟ وهل تجب على الزوج ـ والحالة هذه ـ أية نفقة لها رغم سكنها فى غير سكنه ، ورغم طلبه المتكرر أفيدونا جزاكم الله خيرا .

ويسرنا أن نتلقى جواب فضيلتكم عبر الفاكس أو عبر البريد مباشرة على العنوان المكتوب أعلاه قبل نشره فى زاوية الفتاوى الخاصة بمجلة الأزهر الغراء .

هذا وأنتهز هذه الفرصة السانحة لأهنىء فضيلتكم بعيد الأضحى المبارك سائلا المولى ـ سبحانه ـ أن يعيده علينا وعليكم وعلى سائر

المسلمين فى أنحاء العالم باليمن والبركات والأمن والسلام ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أنيس لقمان الندوى

المركز الإسلامى

نيودلهى ــ الهند

والجـــواب

تقديم :

(أ) شرع الله الزواج سكنا ، ورحمة ، بين الزوجين قال الله ــ تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وقد روى أصحاب السنن بسند صحيح : قيل يا رسول الله ، أى النساء خير ؟

قال : التى تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره[2] .

فالزواج تعاون بين الزوجين ، وقوة رابطة بين الأسر متى روعيت الحقوق والواجبات ، به يصان الدين ، ويحفظ النسل ، وتستقيم الحياة .. .

(ب) وإذا انعقد النكاح صحيحا مستوفيا أركانه وشروطه ترتبت عليه آثار ، من أهمها :

١ ــ يحل به ما كان ممنوعا بين رجل وامرأة من الاستمتاع المشروع .

٢ ــ يجب به المهر المسمى للزوجة على زوجها .

٣ ــ تجب به النفقة والكسوة والسكنى وغيرها للزوجة على زوجها بالمعروف وبقدر يسار الزوج .

٤ ــ تثبت به حرمة المصاهرة ، وهى حرمة أصول وفروع الزوج على زوجته ، وحرمة أصول الزوجة وفروعها على الزوج .

٥ ــ يثبت به حق التوارث بين الزوجين إذا مات أحدهما فى حال قيام الزوجية أو ما فى حكمها ولو قبل الدخول بها .

٦ ــ يثبت به نسب الأولاد من الزوج ، إذ العقد المستوفى لشرائطه يتحقق به الفراش الشرعى الصحيح .

٧ ــ ويجب على كل من الزوجين إحسان عشرة الزوجية ، ومراعاة العدالة فيها ، وعلى الزوجة أن تعنى بإصلاح بيتها ، وتربية أولادها وطاعة زوجها ، فيما لا يخالف أوامر الشريعة إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التى قررتها الشريعة وسيلة لاستقرار واستمرار الحياة الزوجية .

ما يشترط فى عقد الزواج :

اتفق فقهاء الإسلام على أن ما كان من الشروط

---

١ ــ الآية رقم ٢١ من سورة الروم .

٢ ــ التاج الجامع للأصول ج ٢ كتاب النكاح الباب الثانى .

فى عقد الزواج أو من مقتضاه يجب الوفاء به ما دام يجرى فى نطاق الشرع كاشتراط العشرة بالمعروف ، واشتراط الزوجة على زوجها أن ينفق عليها ، وألا يقصر فى حقوقها ، وكاشتراط الزوج عليها ألا تخرج من بيته بغير رضاه ، ولا تتصرف فى ملكه بدون إذنه .

فإن هذه الشروط يجب الوفاء بها ؛ لأنها من مقتضى العقد ، ومأمورات الشرع ، بخلاف الشروط المخالفة لأحكام الشريعة مثل اشتراط الزوجة على زوجها أن يبيح لها الخروج من البيت كما تشاء فى أى وقت تريد ، أو تشترط ألا يقسم لضرتها أولا ينفق عليها ، أو يطلقها ، فإنه لا يجوز الوفاء بهذا الاتفاق ؛ لأن هذه الشروط مما يُحلّ حراما أو يحرم حلالا ، وقد أرشد النبى ـ ﷺ ـ إلى عدم جوازه بقوله :

(المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما[3]) .

وعن موضوع السؤال :

فإنه لما كان الوارد به أن الزوج اشترط على زوجته عند عقد زواجه عليها ترك العمل مهما كانت ظروفه العملية بعد الزواج كما اتفقا على أنها لن تطالبه بالعودة إلى وظيفتها السابقة أبدا ، وقد وافقت هى وأهلها على ذلك دون قيد أو شرط ، وكان ما اشترطه الزوج على زوجته واجب الوفاء به بعد أن تم التراضى بينهما عليه فضلا عن أنه شرط يقتضيه عقد الزواج ومن آثاره الملزمة لكل منها .

لمـــا كان ذلك :

كان للزوج أن يمنع زوجته من الخروج من بيته إعمالا لمقتضى العقد وآثاره إلا لحاجة يقضى بها الشرع أو العرف المعتبر شرعا كزيارة أبويها أو قريب محرم لها ، أو لعلاجها من مرضٍ ألم بها يقتضى عرضها على الطبيب ، وفى هذه الحالات وأمثالها التى يباح فيها للزوجة الخروج يكون للزوج ـ بل عليه ـ أن يمنعها من الخروج متزينة متعطرة فى حالة تجر إلى فتنتها أو الفتنة بها .

وإذ كانت هذه الزوجـــة لم تف بالشرط وبمقتضى العقد على الوجه الوارد بالسؤال من القول بأنه :

.. ولكن بعد شهرين من الزواج تراجعت عن عهدها مع أن الزوج أحسن حالا منه قبل الزواج ، وخرجت من بيت الزوجية لتلحق بأهلها وتستأنف عملها من جديد .. تكون بهذا قد نكصت على عقبها وتخلت عن وفائها بما اشترطه زوجها وارتضته ، مع أن الوفاء بالعهد من قواعد الإسلام الآمرة بقول الله تعالى :

---

[3] ـ هذا الحديث رُوى من عدة طرق وفى بعضها ضعف وقد صححه الترمذى نظرا إلى كثرة طرقه والذى يستخلص من أقوال الفقهاء أنه فى مرتبة الحسن ص ١٥٥ كتاب أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن تاج .

« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا »[4] ويمقتضى الحديث السابق : « المسلمون على شروطهم .. » وإذ كان ذلك ، وكان السؤال قد تغيا الإجابة عن : الحكم فى خروجها هذا ؟ وهل تجب على الزوج ــ والحالة هذه ــ أية نفقة لها رغم سكناها فى غير سكنه ، ورغم طلبه المتكرر ! تكون الاجابة بالآتى :

(أ) إن خروج الزوجة من بيت الزوجية بغير حق وإباءها العودة إليه رغم الطلب المتكرر يعد منها نشوزا وعصيانا للزوج وإخلالا بشرطه الصريح المتفق عليه بينهما ومقتضى العقد .

وفى بيان معنى النشوز من الزوجين جاء فى مختار الصحاح فى حرف النون : « نشزت المرأة استعصت على بعلها وأبغضته ، ونشز بعلها عليها ضربها وجفاها ، ومنه قوله ــ تعالى :

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[5]

فالزوجة الناشزة هى التى تخرج من بيت زوجها بدون إذنه بغير حق او تمتنع من تسليم نفسها إليه فلا تدخل داره[6] .

(ب) المقرر فى الشريعة الإسلامية أن عقد الزواج سبب وجوب النفقة للزوجة على زوجها ، وشرط وجوبها احتباسها لحقه وقصر نفسها عليه انتفاعا بثمرات هذا الزواج ، ووجوب نفقة الزوجة بشروطها على زوجها ثابت بأدلة منها قول الله ــ تعالى :

« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »[7]

فإذا وجبت النفقة بهذه الآية للمطلقة ، ومنها السكنى على مطلقها مدة عدتها فوجوب هذه النفقة للزوجة حال الزوجية بطريق الأولى .

ويؤكد هذا : ما رواه أبو داود والنسائى عن معاوية القشيرى ــ رضى الله عنه ــ قلت : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ « قال تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت»[8] .

ولقد انعقد إجماع الأمة الإسلامية على وجوب نفقة الزوجة بشروطها ، لم يمار فى هذا أحد ؛ ولأن من القواعد[9] المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية أن من حُبس لحق مقصود لغيره كانت نفقته واجبة عليه كالقاضى والوالى وكل صاحب

---

٤ ــ الآية رقم ٣٤ من سورة الإسراء .

٥ ــ الآية رقم ١٢٨ من سورة النساء .

٦ ــ الفقه على المذاهب الأربعة ــ مبحث النفقة ــ المجلد الرابع ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

٧ ــ من الآية رقم ٦ من سورة الطلاق .

٨ ــ التاج الجامع للأصول ج ٢ كتاب النكاح حقوق الزوجة على زوجها .

٩ ــ فتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية ج ٤ ص ١٩٣ فى باب النفقة ، وحاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار ج ٣ ص ٦٠١ ، ٦٠٢ فى باب النفقة ط الحلبى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م .

وظيفة تفرغ لها تجب نفقته على الدولة ، وإذا كان الشأن فى الزوجة الاحتباس لحق الزوج وطاعته كانت نفقتها واجبة عليه .

(جـ) فإذا سلمت الزوجة نفسها للزوج تسليما حقيقيا بالانتقال إلى بيته أو تسليما حكميا باستعدادها للانتقال إلى بيته من غير ممانعة ، وجبت لها النفقة والكسوة والسكنى وسائر الأنواع فى نطاق قدرته .

فمدار وجوب نفقة الزوجة احتباسها فى منزل الزوجية بالفعل أو بالقوة ، حقيقة أو حكما ، أما إذا فات الاحتباس بسبب من جهة الزوجة أو من أجنبى فلا تستحق الزوجة نفقة على الزوج[1]

وإذ كانت الزوجة المسئول عنها قد تخلت عن مقتضى عقد الزواج ، ونكثت عما ارتضت من التفرغ للزوجية ، وخرجت وسكنت فى غير مسكن زوجها رغم طلب الزوج المتكرر عودتها إليه فإنها تكون بهذا قد نشزت وامتنعت على الزوج ، وفوتت الاحتباس لحقه بسبب من جهتها فتسقط نفقتها قبله ، حتى ولو لم يشترط عليها ترك الوظيفة وعدم العودة إليها ؛ لأن نفقة الزوجة تجب لها على زوجها بالعقد ، وتستحق مقابل احتباسها وقصرها نفسها عليه .

أما وقد هجرت بيت الزوجية وامتنعت عن العودة إليه ، واحترفت عملا بغير رضا الزوج ، فإن نفقتها تسقط ولا تستحقها إلا إذا عادت إلى بيت زوجها تحقيقا لحكم عقد الزواج الصحيح ، ولتكون مع زوجها مثالا عمليا لقول الله ـ تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ..

وهذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال ...

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(١) ـ المبسوط للسرخسى ج ٥ ص ١٨٠ ـ ١٨٦ ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ج ٤ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، والدر المختار للحصكفى شرح تنوير الأبصار للعلائى مع حاشية ابن عابدين رد المحتار ج ٢ ص ٩٩٩ ، وبدائع الصنائع للكاسانى ج ٤ ص ١٢٢ وحاشية البجرمى على شرح المنهاج فى الفقه الشافعى ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل ص ١٨٨ فى موانع النفقة للزوجة ، والمغنى لابن قدامة الحنبلى ص ١٥٤ .



فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢) ﴾

سورة الأنفال – كما ذكرنا من قبل – سورة مدنية نزلت بعد غزوة بدر ، وقد تعرضت لأحكام الغنائم ومواقف المسلمين إزاء الحرب يوم بدر ، وأرشدت المسلمين لما يفعلونه إذا رأوا الكفار زاحفين عليهم ، وما يفعلونه إذا جنح عدوهم للسلم إلى آخر ما سبق ذكره ، وهنا تختم السورة ببيان أصناف المسلمين ، وقسمتهم أربعة أقسام لكل قسم صفات خاصة .

والقسم الأول وهو الأعلى درجة وأرفع منزلة هم السابقون إلى الإيمان برسالة النبى محمد ﷺ وتصديقه ونصره ، وتتضمن الآية وصفهم بأربع صفات : وهى إيمانهم بالرسالة ، وسبقهم الناس جميعا بهذا الإيمان ، وهذا فى الواقع يشمل صفتين كل منهما لها أثر كبير فى نصر الإسلام وشد أزر المسلمين الأوائل ، وقد كانوا كلما آمن واحد منهم زاد المؤمنين عددا ، وحمل غيره من المشركين على التفكير فى هذا الدين ، وكان الواحد منهم إذا أسلم دعاه إخلاصه لدينه أن يدعو أصدقاءه ومن له بهم صلة أن يدخلوا فى هذا الدين ولم يكن دخول الناس فيه يومئذ أفواجا ، بل كانوا أفرادا ، وأسبق الدعاة

فى هذا هو أبو بكر الصديق وقد لاقى هو ولاقى الكثيرون الذين تقبلوا الإسلام عنتا شديدا تذكره كتب السيرة ونحن ننوه به ولا حاجة بنا لإعادته .

ووصفتهم الآية أيضا بأنهم هاجروا ، والهجرة فى ذلك الوقت كانت غاية فى المشقة ؛ إذ كان الشخص المهاجر يترك وطنه الذى ألفه ، وداره وأهله وأقاربه وإخوانه ، ويتسلخ أيضا من ماله . ومفارقة الوطن كما جاء فى القرآن الكريم تعادل قتل النفس ؛ لما فيها من المشاق الشديدة قال الله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾(١)

وهؤلاء تركوا أولا دينهم الذى كانوا عليه ، وليس ترك الدين شيئا سهلا وهو لا يحدث إلا بعد رؤية وتفكير ، ثم تركوا الأقارب والخلان وفارقوا الديار والجيران ؛ فهم حقا سابقون إلى الخيرات .

وجاءت الصفة الرابعة فى وصفهم بالجهاد بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

أما الجهاد بالمال فكان فيما ذكرنا ، ومنه تضحيتهم بما كانوا يملكون من دور ومزارع ومتاجر ، وأما الجهاد بالنفس فمنه خوضهم الحروب ـ فى بدر وفى غيرها مما جاء بعدها ـ فهم على استعداد لخوضه وقد خاضوه ، ومنه ما تحمله ضعفاؤهم من عنت وعذاب فى مكة وكان لصبرهم واحتمالهم هذه المشاق ما يرغب الآخرين فى قبول الإسلام إذ لا يتحمل ذلك كله إلا من يوقن أنه على حق ، والحق أحق أن يتبع .

هؤلاء هم السابقون ، وقد أثنى عليهم القرآن فى غير آية ونجد فى القرآن أمثال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾(٢)

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٣)

وهم بهذا السبق سنوا سنة حسنة فلهم أجرها وأجر من عمل بها .

كل ذلك كان فى سبيل الله والدعوة إلى الحق .

هذا هو القسم الأول من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ .

والقسم الثانى هم الذين آووا ونصروا ـ وهم الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وآووا المهاجرين فأفسحوا لهم الديار وشاركوهم فى الأموال وأعلنوا حمايتهم للنبى ﷺ مما يحمون منه أنفسهم وذراريهم ونساءهم ، ومع ذلك حين دعت الحال إلى حرب خارج المدينة شاركوا فيها وقالوا لرسول الله ﷺ : امض لما أمرك الله ، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .

ذكر الفخر الرازى فى تفسيره : أنه يجب أن يكون حال المهاجرين أعلى فى الفضيلة من حال الأنصار ؛ لأنهم سبقوا إلى الإيمان وأنهم تحملوا فى مكة مشاق كثيرة وتحملوا الهجرة وفراق الوطن والأحبة ، وهم الذين فتحوا باب الدخول فى الإسلام ، والأنصار اقتدوا بهم ، والمقتدى تابع للمقتدى به وأقل درجة ، وقد قدمهم القرآن فقال

---

(١) النساء الآية ٦٦ .
(٢) الحديد الآية ١٠ .
(٣) التوبة الآية ١٠٠ .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار — وكلا وعد الله الحسنى .

وكون الأنصار أقل درجة من المهاجرين لا يقلل من شأنهم ، فهم قد آووا ونصروا . قال صاحب المنار : الإيواء يتضمن معنى التأمين من المخافة ؛ لأن المأوى هو الملجأ والمأمن ، كما نجد ذلك فى الآيات الأخرى .. « ألم يجدك يتيما فآوى » « وفصيلته التى تؤويه » ، « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » ، وجاء « فإن الجحيم هى المأوى » على سبيل التهكم ، ولست أوافقه على هذا المعنى الأخير ، ولا أرى أن الإيواء يتضمن الأمان دائما ، ويأتى بمعنى المرجع والمآب ، ومنه « مأواهم النار » بمعنى مرجعهم ونهايتهم (١) .

ثم قال الله فيهم جميعا : أولئك بعضهم أولياء بعض ..

أى هم مترابطون متعاطفون يتولى كل منهم شأن الآخر ، كما يتولى شأن نفسه ، وقد اختلفت آراء المفسرين فى أمر هذه الولاية ، فنقل عن ابن عباس أنها الولاية فى الإرث ، وقال الذين اتبعوه : إن الله جعل سبب الإرث هو الهجرة والنصرة دون القرابة ، وكان الذى أسلم ولم يهاجر لا يرث من هاجر لعدم هجرته ونصرته . وهذا رأى غير جيد وسنده إلى ابن عباس معلول ، ولفظ الولاية مشعر بالقرب والسلطة بوجه ما على الشىء ، والله — سبحانه — ولى الذين آمنوا والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت والسلطان ولى من لا ولى له ، والعباد أولياء الله بمعنى أنهم مقربون منه بسبب طاعتهم وعبادتهم وليس فى شىء من ذلك كله ما يفيد الإرث ، والمقصود من الآية أنهم جميعا يد واحدة على أعدائهم ، وعلى أى حال فالذين فسروا الولاية بمعنى الإرث قالوا أيضا : إن الآية منسوخة بما جاء فى آخر السورة .. وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض .. والواقع أنه لا إرث ولا نسخ .

والقسم الثالث هم المؤمنون الذين بقوا بمكة ولم يهاجروا ، وهؤلاء ليسوا جميعا تحت حكم واحد ، فهناك المستضعفون الذين لا يستطيعون الهجرة ، وجاء فيما يشملهم :

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾

سورة النساء ٩٥

وهناك المؤمنون الذين لم يهموا بهجرة ، فهؤلاء من القاعدين ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، وهناك من استولى عليه المشركون يريدون أن يردوه عن إسلامه ، فأى هذه الأصناف مقطوع الولاية من المسلمين الذين هاجروا ؟

ينصبُّ نفى الولاء على القاعدين لغير عذر ، فهؤلاء لا تناصر بينهم وبين المسلمين ، أما المتخلفون لأعذار حالت بينهم وبين الهجرة فإن المسلمين مطالبون بنصرهم بقدر ما يستطيعون ، وقد رأينا رسول الله ﷺ يرسل رسله لاستخلاص المستضعفين الأسرى فى مكة ، ويدعو لهم فى قنوته .

---

(١) وانظر قول الشاعر :

وســـــأوى إلى نسوة عطـــــل
وشعث مراضيع مثـــل السعـــالى

وقوله :

أطـــــوف ما أطـــــوف ثم آوى
إلى بيت قعيدتـــــه لكـــــاع

والقادرون على الهجرة ولم يهاجروا لا ولاية لهم ولا تناصر بينهم وبين المسلمين حتى يهاجروا ، فإذا هاجروا كانوا منهم ، وهم حتى قبل أن يهاجروا إذا استنصروا المسلمين لدفع عدوان عليهم أو محاولة فتنة لهم ، فعلى المسلمين أن ينصروهم ما استطاعوا لأن المسلمين ينصرون أهل الذمة ــ مع أنهم غير مسلمين ــ فأولى أن ينصروا المسلمين .

واستثنت الآية حالة تستحق الالتفات إليها في قوله ــ تعالى :

﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾

فالمسلمون ينصرونهم ضد الكفار أعداء الدين إذا لم يكن بين هؤلاء الكفار وبين المسلمين ميثاق وعهد فلا يليق بالمسلمين أن ينقضوا عهدهم ؛ لأن الإسلام لايبيح الغدر والخيانة ، فإذا كان جهاد هؤلاء الذين لم يهاجروا وحربهم ضد قوم ليس بينهم وبين المسلمين عهد نصرهم المسلمون ، أما مع المعاهدين فلا ، ويلاحظ ــ وهذا مفهوم مما تقدم ــ أن هؤلاء المعاهدين إذا اعتدوا على المسلمين في أى مكان فقد نقضوا عهدهم وقد سبق قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

يرى بعض المفسرين أن هذه النصرة ودفع العدوان أمر واقع سواء نص عليه في عقد الميثاق أو لم ينص ؛ لأن المسلمين إخوة ؛ والعدوان على أى مسلم في أى مكان عدوان على المسلمين جميعا ، ويرى بعض آخر: أن ذلك يكون إذا نص عليه في عهد الميثاق ، ولست أرى هذا الرأى ، ولا يَجْمُلُ بالمسلم القادر أن يرى أخاه المسلم الضعيف يعتدى عليه ولا يمد له يد المساعدة .

ونحن الآن نواجه هذا الموقف إذ نرى إخوتنا المسلمين في البوسنه وفي الهرسك وأيضا في أماكن شتى يعتدى عليهم لغير ما سبب ، وقد وقف المسلمون صامتين لايعملون لنصر إخوتهم ونصر دينهم شيئا إلا استنكارا بالقول من بعض الأفراد ولا شيء من الحكومات ، هذا على أنه لا عهد ولا ميثاق بين المسلمين والدولة الباغية ولا ريب أنهم مسئولون على هذا التقصير !

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أى هو ــ سبحانه ــ مطلع على أعمالكم ونياتكم ، فأنتم تؤدون هذه الأعمال وتنفذون هذه التعاليم تحت رقابة الله تعالى وهو مطلع عليكم في كل ما تعملون ، وأنتم ترجون رحمته حين تطيعون وتخشون عذابه أن تضلوا وتنحرفوا .

فهذا التذييل في الواقع إنذار إلهى وتحذير من الوقوع فيما يغضب الله ، ويتكرر هذا الإنذار بصيغ مختلفة في آى الذكر الحكيم ؛ ليعلم المسلمون عاقبة طاعتهم وعصيانهم وهذا فرق ما بين العمل بالقوانين الإسلامية والقوانين الوضعية فنحن في كثير من المواقف لا نثق في عدالة القانون الوضعى ولهذا نستبيح مخالفته ثم إن الرقيب البشرى لايلاحظنا ويطلع علينا في كل مواقفنا ، أما قانون السماء فنحن نثق فيه كل الثقة ولذا لانستبيح مخالفته ، ثم إننا نستقيم عليه وننفذه تحت عين الله الذى لاتخفى عليه خافية بل هو يعلم السر وأخفى ؛ ولذا يتحاشى المسلم أن يفكر في عمل مخالف للشريعة الإسلامية وتحاشى هذا التفكير يبعد عن الوقوع في الخطيئة ويحمل على حياة البر والطهارة .

في ظلال فاتحة الكتاب

وتمثيل الحق بالصراط

وجازة إعرابية (*)

للشيخ / أحمد بن محمد طاحون

الاستعاذة :

أمرنا الله – عز وجل – عند إرادة قراءة القرآن العظيم بالاستعاذة من الشيطان فقال – في سورة النحل :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

أي : فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يُوَسْوِسك في القراءة . والصيغة التي علمها الرسول ﷺ لابن مسعود – رضي الله عنه – هي : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

والعَوْذ هو الالتجاء والاعتصام والاستجارة .

و : أعوذ : فعلٌ مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره لخلوه من الناصب والجازم ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : (أنا) ، و « بالله » جارٌ ومجرور متعلق به ، و : (من الشيطان) جارٌ ومجرور بالكسرة[1] ، و : الرجيم : نعت الشيطان مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، أي المرجوم بالطرد واللعن ، أو بمعنى فاعل : أي يَرْجُمُ غيره بالإغواء بالوساوس .

البسملة :

وكما يلجأ المؤمن إلى الله مستعيذاً به من وساوس الشيطان ، فإنه يتبرك بـ (البسملة) عند بداية العمل أو القراءة ، ففيها نور وهداية وفيها حُسن توكُّل عليه :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

والجارُّ والمجرور « بسم » متعلق بالكون والاستقرار ، وهو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : كائن أو مستقر باسم الله ابتدائي ، أو المحذوف فِعْلٌ والجار والمجرور متعلق به ، والتقدير : بسم الله أقرأ أو ابتدأت أو أبدأ ، ولفظ الجلالة مضافٌ إلى اسم مجرور بالكسرة

(*) الوجازة بفتح أوله من وجز يحسم وسيفه يوجز من باب كرم ، تقول : وجز وجازة فهو وجيز ووجز ، أي اختصر كلامه وقصر في بلاغته .

(1) متعلق بمحذوف حال من الفاعل ، أي حال كونه استعاذتي كائنة من الشيطان » .

الظاهـرة ، و « الـرحمن » صفتـه مجرورة بالكسرة ، و « الرَّحيم » صفة أيضاً مجرورة ، وهما من صيغ المبالغة مشتقَّتان من الرحمة إلا أنَّ فَعْلان (ٱلرَّحْمَٰنِ) أبلغ من فَعِيل (ٱلرَّحِيمِ)[٢].

سـورة الحمـد :

وسورة الحمد هي فاتحة الكتاب ، الشافية ، الكافية ، وهي أمُّ القرآن تضمنت مقاصده ، وهي : الإقرار بالألوهية ، والنبوة ، والمعاد ، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ، ففي حمده وحده دليل الألوهية ، لأنه (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) : مالكهم ومربِّيهم بنعمه ، ومُمِدهم بسائر أسباب بقاء وجودهم ، والمتفضل على الإنسان بنعمة العقل ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب لتطهير باطنه ، وتربية نفسه ، وتزكية قلبه ، والمتفضل بترتيب غذائه في النبات بحبوبه وثماره ، وفي الحيوان بلحومه وشحومـه ، وفي الأراضي بأشجاره وأنهاره ، وفي الأفلاك بكواكبـه وأنواره ، فهو سبحانه المستحق لجميع المحامد ، نحمده باللسان ، ونحمده بالجوارح عبادةً للحق سبحانه وانقياداً لأمره ، ونحمده على كل حال ، فهو الرحمن الرحيم .

وفي (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) دليل المعاد ، وفي ذلك اليوم لا يُنازعه ـ سبحانه ـ أحدٌ في مُلكه ، ولا يكون مالكٌ ولا قاضٍ ولا مُجازٍ غيرَه ـ سبحانه ـ لا إله إلا هو ، و (الدين) هو الجزاءُ على الأعمال والحساب بها .

وفي تخصيصه ـ سبحانه ـ بالعبادة وإفراده بها ، وقصر الاستعانة والتوكل عليه ـ وحده ـ إثبات أن الكُلَّ بقضاء الله ـ تعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وفي طلب الهداية منه والمعونة على الثبات على دين الإسلام إقرار بالعبودية له وحده ، وألَّا مشارك له في ملكه ، وبيانٌ للنبوة وأنها الصراط المستقيم الذى لا يضل سالكه ، ولا يهتدى تاركه ، وهو صراط وطريق الأنبياء والمقربين والأبرار المُنعم عليهم :

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

وضدُّه طريق المطرودين من رحمة الله ـ تعالى ـ والشاردين عن هداية الدين من المشركين والمثلِّثين والملحدين والجاهلين بالله ، وإنه لَيتميَّزُ من طريقهم أهلُ العقل والحكمة ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

الإعراب :

وفي قوله سبحانه : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ تعليم للعباد ، فهو سبحانه أهلٌ للحمد ، وكما قال نبينا ﷺ مُظهراً العجز عن الوفاء بحق المُنعم سبحانه : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

و : الحمد : مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، والجار والمجرور

(٢) ومن صيغ المبالغة : فَعُول مثل شكور ، وفَعَّال مثل غفَّار ، وفاعول : فاروق ، وفِعَّال : مِضراب ، وفَعِلٌ : سميع ، وأمثالها ثلاثية ، وقد يأتي فعَّال ومفعال وفَعُول للمبالغة من مُفْعِل وفعله أفعل الثلاثي المزيد بحرف مثل : مِعوان من أعان ، ومثله مِعطاء ودرَّاك وحسَّاس ، وزهوق .

« لله » متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، أى : الحمد واجب أو ثابت لله ، و « ربِّ » : نعت مجرور بالكسرة ، وهو مصدر : ربَّ يَرُبُّ فهو رَابٌّ ، ثم جُعِلَ صفةً للفاعل مِثل عَدْل بمعنى : عادل ، و « العالمين » : مضاف إليه مجرور بالياء نيابة الكسرة لأنه جمع تصحيح ، و « الرحمن » نعت مجرور بالياء نيابة عن الكسرة ، و : « الرحيم » : نعت مجرور .

« مالك » : بدَلٌ من لفظ الجلالة مجرور بالكسرة ، وفى الكلام حذف مفعول اسم الفاعل والتقدير : « مالك أمر يوم الدين » ، أو مالك يوم الدين الأمرَ ، وأعربه بعضهم[٣] صفةً مجرورةً ، ومن قرأ « مَلِك يوم الدين » فيكون جرُّه على الصفة أو البدل من « لله » ، ولا حذفَ فيه على هذا .

« يوم » : مضاف إليه مجرور ، و « الدين » : مضاف إلى يوم مجرور بالكسرة ــ أيضاً ــ .

« إياك نعبد » : إيَّا : مفعول به مقدَّمٌ فى محل نصب والكاف حرْف خطاب لا محل له ، « نعبد » : فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : نحن ، وقِسْ « إياك نستعين » عليه .

وتقديم المفعول هنا يفيد الاختصاص ، أى : نخصُّك بالعبادة لا نعبد غيرك ، والعبادة غاية الخضوع والتذلل ، وفى قصر العبادة عليه وحده سبحانه إقرار بتوحيد الألوهية ، وأنه لا يجوز جعلُ شيء من العبادة لغيره سبحانه بأى حال ؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ، فلا تليق إلا بالمُنعم بالخلق والإيجاد وأسباب الحياة سبحانه ، كما لا يجوز التوكُّل إلا عليه والاستعانة إلا به ، والمعنى : وما نستعين إلا بك ، فقد قُصِر الفعل فى الآية على المفعول المقدم ، وقد كُرِّرت « إياك » للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة أيضاً ، والاستعانة طلبُ العون : أى : نطلب العون على عبادتك ، أو على محاربة الشيطان المانع من عبادتك ، أو فى أمورنا بما يُصلحنا فى دنيانا ، وديننا ، فالعاقل البصير لا يعبد غير الله ، ولا يسأل حاجةً إلا من الله ، ويتوكل عليه وحده فى جميع أموره ، ويستغيث به وحده فى شدائده .

ومن الاستعانة أن تطلب من الرب وحده الهداية والتوفيق للدين الحق والثبات عليه حتى نلقى الله على اليقين الصادق والعمل الصالح ، فبَعد إظهار التوحيد وطلب العون على أداء حقوقه ، يأتى السؤال الدعاء : « اهدنا الصراط المستقيم » و « الصراط المستقيم » استعارة يعبر بها

---

(٣) ذلك ناشئ من الخلاف فى : هل الإضافة معنوية أو لفظية ، والمعنوية هى المتمحضة وتكسب اسم الفاعل (مالك) التعريف لإضافته إلى معرفة ، إذا أريد به معنى الثبوت والدوام فى الماضى والحاضر والمستقبل ، أما إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فلا يكتسب التعريف ويظل نكرة فلا يكون نعتاً للمعرفة قبله (لأن المعرفة لا توصف بالنكرة) وإلى الإعراب الثانى يميل العكبرى ، والأول اختيار الزمخشرى .

العكبرى : صاحب كتاب « إعراب القرآن » وهو كتاب عظيم القيمة ويُنصح طلاب العلم بالعناية به .

عن ملة الإسلام والدين الحق ، تشبيهاً لوسيلة المقصود بوسيلة المقصد .

والصراط معناه : الطريق وأصله السّراط (بالسين) من (الاستراط) بمعنى (الابتلاع) ، لأنه من (سَرِطَ) الشيء إذا بلعه ، وسُمى الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كجريان الشيء المُبتلع ، فكأن الطريق يسترط من يسلكه ، أو كأن السالكين يسترطون الطريق أى يقطعونها ثم نُقل من هذا المعنى الحسىّ إلى الأمر المعنوى على سبيل تمثيل : الدين الحقّ ، أو القرآن ، أو الحقّ ، أو الإسلام ، أو تمثيل المُتابعة لرسول الله ، وكلها صحيحة ولا منافاة بينها ـ تمثيل ذلك ـ بالطريق ووُصف بالمستقيم لبيان أنه لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، فالدين الحقّ وسطٌ بين طرفى الإفراط والتفريط ، وقد علّمتنا السورة الكريمة أن نطلب من الله دوماً أن يهدينا ويُرشدنا إلى دينه ويُثبّتنا عليه ، وأن يحفظنا من الاعوجاج والانحراف والتفريط ، والإفراط .

فمن قرأ الصراط بالسين جاء به على الأصل ، ومن قرأه بالصاد فهو من قلْب السين (صادًا) لتجانس الطاء فى الإطباق ، و (السين) تشارك (الصاد) فى الصفير والهمس ، فلمّا شاركت الصاد فى ذلك قربت منها ، لذا كانت مُقاربتها لها مُجوِّزة قلبها إليها لتُجانس الطاء فى الإطباق .

قال الراغب : سُمّىَ بـ (السراط) بناءً على توهُّم أنه يبتلع سالكه ، أو يبتلعه سالكه ، يقال : أكلته المفازة إذا أضمرته أو أهلكته ، وأكل المفازة إذا قطعها ، وكذلك سُمّىَ باللّقم ؛ لأنه يلتقمهم أو يلتقمونه وهذا كلُّه على سبيل التمثيل .

نقل ابن كثير عن ابن جرير قوله : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن : « الصراط المستقيم » هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ، وهو كذلك فى لغة جميع العرب .

قال : ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله فى كل قول وعمل وُصِف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه .

وقد جاء تمثيل الإسلام بالصراط المستقيم فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن (النواس بن سمعان) ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مُفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط جميعاً ، ولا تعوجوا ، وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : ويْحك لا تفتحه ، فإنك إن فتحته تلِجْه ، فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتّحة : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعى فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مسلم » . رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ، ورواه الترمذى والنسائى عن النواس بن سمعان قالوا : وهو إسناد حسن صحيح .. والله أعلم .

فتأمل تمثيل الإسلام بالصراط ، وحدود الله بالسورين ، ومحارم الله بالأبواب المفتّحة ، وكتاب الله بالداعي على رأس الصراط ، وواعظ الله في قلب المسلم بالداعي فوق الصراط ، وما فيه من تصوير حيٍّ مُجسَّم مُتكامل جَعَل الأمر أكثر وضوحاً ، والمقصود أعظم تأثيراً في النفس .

واهدنا الصراط : فِعْل أمرٍ مبنيٌّ على حذف الياء وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت ، ونا : مفعول أول في محل نصب ، والصراط : مفعوله الثاني منصوب ، و : « المستقيم » : صفة الصراط منصوب بالفتحة .

وصراط – الثانية – بدلُ كلٍّ من كلٍّ من الصراط منصوب و : « الذين » مضاف إليه في محل جرٍّ ، وجُملة « أنعمت عليهم » لا موضع لها من الإعراب صلة الموصول ، والهاء الضمير في « عليهم » في محل جرٍّ عائد على الذين ، والميم علامة الجمع حرف لا محل له .

و « غير » بدل من الذين مجرور بالكسرة[1] ، و « المغضوب » مضاف إليه مجرور و « عليهم » جارٌّ ومجرور نائب فاعل للمغضوب ، لأنه اسم مفعول وفعله غُضِب المبنيُّ للمجهول ، وهو فعل لازم ، والتقدير : غير الفريق المغضوب عليهم .

« ولا الضالين » الواو حرف عطف لا محل له ، ولا : صلة للتأكيد و « الضالين » مجرور بالياء ، لأنه معطوف على المغضوب .

والمنعَمُ عليهم هم المؤمنون ، وأُطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ؛ لأن مَن أنعَمَ الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمةٌ إلا أصابته ، واشتملت عليه ، وهم الأنبياء ، والصدّيقون ، والشهداء ، والصالحون .

والمغضوب عليهم : هم العصاة ، والضالون : هم الجاهلون بالله ، لأن المُنْعَم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل ، فكان المقابل لهم من اختلت إحدى قوتيه : العاقلة أو العاملة ، والمُخلُّ بالعمل فاسقٌ مغضوب عليه ، والمُخلُّ بالعلم جاهل ضال .

فاللهم ثبّتنا على صراطك المستقيم .

إن سورة الفاتحة مكيّةٌ مدنية نزلت مرتين ، وآياتها سبعٌ ، وكلماتها خمسٌ وعشرون ، وحروفها مائة وثلاثة وعشرون .

وكلمة : آمين ليست من القرآن ولا من الفاتحة : وهي اسم فعل أمر مَبني ، بمعنى : استجب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت .

والله أعلم .

والحمد لله حمداً لا انقطاع له ؛ فليس إحسانه عنّا بمقطوع .

---

(1) ويجوز أن تكون بدلاً من الضمير « هم » في عليهم أو صفة للذين مجرورة .

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴾
(الأنعام ـ ٣٨)

المنهاج القرآني في إدارة الأزمات الدولية

بقلم لواء . ح . د / فوزي محمد طايل (*)

قد يدعى البعض أن التأصيل العلمي لإدارة الأزمات الدولية لم يُعرف ، على وجه التحقيق ، إلا في أعقاب ما عُرف في تاريخ العلاقات الدولية باسم « أزمة الصواريخ الكوبية » ، * هذه الأزمة التي حبس العالم خلالها أنفاسه خشية وقوع حرب نووية بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي (سابقا) والتي استمرت إدارتها طوال شهري سبتمبر وأكتوبر من العام ١٩٦٢ م .

ولقد بلغت درجة الإعجاب بإدارة هذه الأزمة وما أسفرت عنه من نتائج حد تصريح « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع الأمريكي الأسبق بقوله :

« لم يعد هناك ما يدعى استراتيجية ، بل يوجد فقط إدارة للأزمات » .

لكنه عاد فاستدرك ما احتوته عبارته من مبالغة فقال :

« إن لم تكن إدارة الأزمات هي البديل الأفضل عن الاستراتيجية ، فقد صارت جزءا حيويا فيها » .

ما يهمنا في هذا المجال ، هو أن الفترة منذ

---

* هي أزمة ثارت بين « الولايات المتحدة » من جانب و« الاتحاد السوفيتي » (سابقا) من جانب آخر ، عندما نصب الأخير صواريخه ، في صيف عام ١٩٦٢ في « كوبا » الواقعة جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية وقد بلغت الأزمة ذروتها في شهر سبتمبر من نفس العام .

منتصف الستينيات من القرن العشرين وحتى الآن ، قد شهدت بزوغ ما يُعد فرعا جديدا من فروع العلم الشامل ، الذى يجمع بين علوم الإدارة والعلوم العسكرية والعلاقات الدولية وغيرها .. هذا الفرع من فروع العلم صار يعرف بـ « إدارة الأزمات » وتشغل « إدارة الأزمات الدولية » الجانب الأعظم منه . بل لا نتجاوز الحقيقة والواقع إن قلنا : إن العلاقات الدولية صارت تدار — خلال العقد الأخير من القرن العشرين — باستخدام استراتيجية شاملة وكوكبية « لإثارة » و« معالجة الأزمات » .

وجوهر إدارة أية أزمة دولية هو « حسمها » ، أى : اتخاذ القرار الملائم فى الوقت المناسب ، بما يسمح باستخراج « الفرصة » التى تأتى دائما مصاحبة « للخطر » ففى كل أزمة تكونُ هناك « فرصة — وخطر » ومن ينجح فى استخلاص « الفرصة » من « الخطر » يكون قد نجح فى إدارة الأزمة الدولية .

ولقد بسط كتاب الله تبارك وتعالى — الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — الأسلوب الأمثل لإدارة الأزمات الدولية ، بدقة وتفصيل وإحكام ، ليس لها نظير فيما يتداوله الناس من نسخ يعدونها كتبا سماوية سابقة ، عندما تناولت نفس القصة .

وكلمة « أزمة » فى اللغة العربية تعنى العسر والشدة والقحط ، وأزم (١) عن الشيء ، أمسك عنه والمأزم يعنى المضيق بين جبلين .

وترجمة كلمة « أزمة » إلى الانجليزية هى : CRISIS وإلى الفرنسية CRISE وهما مشتقتان من أصل يونانى له معنى مركب يعنى : « وقت الشدة » و« الخطر » و« نقطة التحول » أو « اللحظة التى يتعين عندها اتخاذ قرار ما » .

وطبيعة « الأزمة » أنها موقف يطرأ فجأة فتصبح له الأولوية المطلقة فى ضرورة التعامل معه ، واتخاذ قرار لحسمـــه .. وذلك فى ظل ظروف تتسم بالسيولة ، والغموض . وترجع الحاجة إلى القرار الحاسم إلى أن مثل ذلك الموقف الطارئ، يهدد إحدى القيم العليا أو منظومات القيم بشكل لا يمكن التسامح معه .

وإذا كان العلم الحديث قد اكتشف مؤخرا أنه ما من أزمة إلا وتحمل فى طياتها فرصة ، فإن القرآن الكريم قد نزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ليقرر هذه الحقيقة ، بل وليؤكدها تأكيدا فى قول الحق جل وعلا :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

(الشرح — ٥ ، ٦)

لذا على المسلمين أن يتعاملوا مع الأزمات والشدائد على أنها فرص حقيقية للنجاح وتحقيق الأهداف والفوز ، لا على أنها أخطار تأتى بالشر المحض والمكروه ، وصدق رب العزة إذ يقول :

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة — ٢١٦)

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قول الله تعالى :

---

(١) بابه ضرب

﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
(النساء ــ ١٩)

ولقد أدرك غيرنا هذه الحقيقة ، حديثا ، فطوروا استفاداتهم من « علم إدارة الأزمات » بحيث أصبحوا يدفعون « المتغيرات والأحداث » لتصل إلى مرحلة الأزمة ، فيتوجهون لحلها وحسمها من خلال خطط معدة مسبقا ، مستهدفين استخراج اليسر من العسر أو الفرصة من الخطر ؛ وليحققوا أهدافا استراتيجية ومصالح لم يكونوا ببالغيها إلا فى ظل ظروف توفرها الأزمة بطبيعتها سالفة الذكر .

ويؤدى التطور العلمى والمعلومات دورا حاسما فى إدارة الأزمات الدولية وهذا بالضبط ما أشار اليه القرآن الكريم فى مطلع سرده لقصة مفصلة عن إدارة أزمة دولية بين نبى الله سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وملكة سبأ ، فبدأت القصة بقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
(النمل ــ ١٥)

وجاء فى أواخر القصص قول الحق جل شأنه :

﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾
(النمل ــ ٤٢)

وتمضى الآيات الكريمات لتربط بين العلم ودقة المعلومات من جانب وبين اتخاذ القرار السليم الصائب من جانب آخر . بل إن العلم كان هو فى ذاته السلاح الرادع الذى غير فكر العدو ، وهز معنوياته فغير من سلوكه ، بل ومن معتقداته وانصاع للحق وأذعن له ، إذ جاء قول الله تعالى على لسان ملكة سبأ :

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾
(النمل ــ ٤٤)

وما كان هذا إلا من فضل الله تبارك وتعالى ، وليضرب لنا الأمثال .. ولله المثل الأعلى :

فأما عن الارتباط بين المعلومات الدقيقة وحسن اتخاذ القرار فقد أوضحه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾
(النمل ــ ١٦)

وتمضى الآيات موضحة ما مكن الله تعالى به نبيه سليمان من قدرة على جمع المعلومات والأخبار إذ جاء على لسان الهدهد :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾
(النمل ــ ٢٢)

ورغم وصف الهدهد لأنبائه بأنها يقينية ، لأنه رآها رأى العين فقد احتاط سليمان ــ عليه السلام ــ للأمر ، ودقق فى هذه الأنباء كى يأتى قراره مبنيا على معلومات دقيقة مؤكدة .. فقال الله تعالى على لسانه :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ .
(النمل ــ ٢٧)

ولما أن أصبح سليمان ـ عليه السلام ـ على بينة من الأمر وأزال الغموض عن ذلكم الموقف الطارىء ، كان قراره الحاسم للأزمة ، مستخرجا الفرصة مما حدث من أعمال زينها الشيطان لأولئك القوم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ومن ثم حقق سليمان ـ عليه السلام ـ وصان أعلى المصالح على الإطلاق ، وهى مصلحة « حفظ الدين » بالغا منتهى الغايات وهى وحدانية الله تبارك وتعالى ، وضم بذلك المزيد من المؤمنين إلى دين الله ، بعد أن كانوا قوما كافرين .

وعلى الرغم من أن الله ـ تعالى ـ كان قد آتى سليمان ـ عليه السلام ـ ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، عبر عنه القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(النمل : ١٧ ، ١٨)

ومع إدراك سليمان ـ عليه السلام ـ ذلك ، إذ قال الله تعالى على لسانه عندما وجه كلامه لرسل ملكة المشركين :

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

(النمل : ٣٧)

مع إدراك سليمان ـ عليه السلام ـ لذلك أبى إلا أن يستخدم السلاح الأكثر حسما من القوة العسكرية .. ألا وهو سلاح العلم .. فكان العلم هو الرادع الحقيقى الذى أنهى الأزمة فلم يبق لها أثرا .. وفى هذا نقرأ قول الله تعالى تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

(النمل : ٣٨ ـ ٤٠)

وفى غمرة النصر المبين لم ينس سليمان ـ عليه السلام ـ أن يرجع الأمر كله لله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

(النمل ـ ٤٠)

وعلى الجانب الآخر نجد القرآن الكريم قد أبان لنا إخفاق سبأ وملكتهم فى إدارة الأزمة رغم حكمتها وأن قومها أولوا قوة وأولوا بأس شديد.

● ● ●

إن من أهم ما يستفاد من هذا القصص العظيم أن التدافع بين البشر سنة قائمة الى قيام الساعة ، وأن على المسلمين توقع الأزمات والاستعداد لها .. وأن القوة التى أمرنا الحق بإعدادها ، ما استطعنا هى القوة الشاملة وأولها وأعظمها قوة العلم ، فمنها تشتق القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها .. ولقد تعهد الحق ـ جل شأنه ـ بأن يوفينا ما ننفق من مال فى سبيل الله إبتغاء امتلاك القوة فقال سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

(الأنفال ـ ٦٠)

قبس من أنوار النبوة

العلم النافع سبيل السعادة دنيا وآخرة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى ابن ماجه بسنده إلى محمد بن المنكدر عن جابر قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « سلوا الله علماً نافعاً ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » . ابن ماجه ١٢٦٣/٢ .

إن الإسلام ينوه بقيمة العلم النافع ، ويرفع من شأنه ، ويدفع أهله إليه ، ويحثهم على تحصيله ، فبالعلم النافع امتاز الإنسان . وكان السجود من الملائكة لآدم ـ عليه السلام ـ وبه يميز الإنسان بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، والنافع ، والضار ، وهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

[الرعد : ١٩]

ولقد أعلى الإسلام من مكانة العلماء ، وأعظم قدرهم ؛ لأنهم بعلمهم أعظم الناس خشية لله .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة : ١١]

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[فاطر : ٢٨]

ولا يكتفى الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم ، ووضوح المنهج للوصول إلى الحقائق ، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيله واكتسابه والاستزادة منه .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[طه : ١١٤]

وكان النبى ﷺ ـ بعد نزول هذه الآية يدعو الله فيقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ماينفعنى ، وارزقنى علماً نافعاً » (ابن ماجه والحاكم) .

والعلم هو ميراث النبوة كما قال ـ ﷺ ـ فيما رواه الترمذى : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً

ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

ومما يدل على شرف العلماء عند الله ـ جل وعلا ـ أنه ذكرهم بعد ملائكته الأبرار ، واعتد بشهادتهم على الحقيقة الأولى من الحقائق الإلهية ، وتزلها المنزلة التي تلي شهادة الملائكة . فقال سبحانه وتعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

[آل عمران : ١٨]

حيث شهد العلماء مع الملائكة أن الله واحد فعبدوه بحق ودعوا الناس إلى طاعته ، والإخلاص له في العمل ، والإلتجا إليه في كل الأمور ، ونبذ ما سواه ، والتوكل عليه فهو الفعال لما يريد ، على أن العلماء شهداء مع الله على صدق رسالة محمد ـ ﷺ ـ كما قال عز من قائل :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

[الرعد : ٤٣]

والعلماء في كل زمان ومكان قادة وسادة يردون الناس إلى الله ، ويبعدونهم عن الفسوق ، ويقولون الحق . ولقد تحدث القرآن عن قارون وماله وكبريائه وافتتان الناس به ، ومنع العلماء التمني بمثله ، فقال في سورة القصص : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) سورة القصص

إن العلماء ورثة الأنبياء في توضيح المبهم وإرشاد الضال ، وإضاعة الحكم الصحيح ودعوة الناس إلى التمسك بهدى الله ودينه القويم .

ولكن من هم هؤلاء العلماء ؟

هم الذين كمل دينهم ، وتم عقلهم ، وتحلوا بالفضائل جميعاً ، واتصفوا بالمحامد عاميتها ، وفيهم يقول جل شأنه : (في سورة الرعد : ١٩-٢٤

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

والعلم النافع فيه الهداية والبعد عن الفحش والخيلاء والكبر والإعجاب ، وهو الصاحب الموصل إلى جوار الأنبياء والشهداء . وطلبه أفضل من صلاة النافلة ، وخير العلم ما قرب من الله عز وجل .

أما العلم غير النافع فهو الذي استعاذ رسول الله ـ ﷺ ـ منه . وطلب من أمته أن يستعيذوا بالله منه ، وهو العلم بدون عمل ، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ (ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبعين مرة . وقال : « إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة : أعلمت أم جهلت ؟ فأقول علمت ، فلا تبقى آية من كتاب الله عز وجل آمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها ، تسألني الآمرة هل ائتمرت ؟ والزاجرة ، هل ازدجرت ؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع . (جامع بيان العلم لابن عبدالبر) .

وقال الحكماء : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به » (ابن عبدالبر جامع بيان العلم) .

ومن العلم غير النافع العلم بلا إخلاص الذى لا يصون صاحبه مما يسقط الكرامة ويزرى بالمروءة ويوقع فى الابتذال . قال الإمام الشافعى – رحمه الله تعالى – من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

إذا كانت العلوم النافعة وهى المستمدة من الوحى – العلوم الشرعية – فإن العلوم الكونية وهى التى تعرف بها سنن الله فى الكون ، وأسراره فى الخلق ، وحكمته فى الوجود ، فهى لا تقل فى أهميتها عن دراسة العلوم الشرعية .

وإن إدراك كل علم يفيد الناس فى عمارة الكون وإظهار أسرار الله فيه .. من العلم النافع الذى أشاد به القرآن ورفع من قدر أهله فى قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزمر : ٩]

وإن إدراك ما يصلح به النبات وما تستنبت به الأرض وتحيا ، وما يصلح الحيوان ، وإدراك الصناعات التى تخدم البشرية ، وتعلم العلوم التى تعرف بها الأمراض والعلل وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها ، وتعلم أنواع المخترعات التى تهدف إلى تقدم البشرية ، وما يدافع به عن الأركان ، وغير ذلك مما فيه القيام بواجب الخلافة فى الأرض . من العلوم النافعة وكل علم تقوم به حياة الناس ، ويخدم تقدم الأمم . واجب كفائى ، إذا قام به البعض سقط الإثم والحرج عن الأمة كلها . وإذا أهمل أثم الجميع – اتباعاً لقاعدة « مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

والمطلوب فى دراسة هذه العلوم أن يبرز ما فيها من الأسرار والأدلة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته ، مع نية الخير ، والدلالة عليه .

روى ابن عبدالبر فى كتاب العلم بإسناده : عن معاذ بن جبل رضى الله عنه . قال رسول الله – ﷺ – : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ؛ ومنار سبل أهل الجنة . وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء . والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء ، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الإبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار ، والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء » .

من فضائل العشرة المبشرين بالجنة

الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي علي

أشرنا في حديث سابق إلى أن العشرة المبشرين بالجنة لهم مناقب ظهرت في حياة الرسول ـ ﷺ ـ ومناقب ظهرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وكان تبشيرهم بالجنة لذلك شهادة منه ـ ﷺ ـ مستمدة من فيض بحر النبوة الزاخر ، ومن إمدادات الغيب الذي كشفت الأيام صدقه ، وأظهرت المواقف فيما بعد صحته .

وهذه المناقب كثيرة ، كفانا الإمام الجليل أبو جعفر محب الدين الطبري مهمة استقصائها ، فقد جمع في كتابه القيم : « الرياض النضرة في مناقب العشرة » هذه المآثر والفضائل مشيدة بالأدلة والآثار المدعمة بالأسانيد .

ونحن ننقل عنه بعض ما جاء في كتابه الذي وفقنا الله ـ تعالى ـ لإعادة طبعه وتقديمه للقراء الكرام في طبعة حديثة مشروحة منظمة مبوبة مضبوطة لتكون مرجعاً لكل من يريد الاطلاع على سيرة هؤلاء العظماء ، الذين خصهم الله ـ تعالى ـ بهذا الفضل الكبير ، وبشرهم النبي ـ ﷺ ـ بحسن المرجع والمصير .

محب الدين الطبري :

والإمام محب الدين الطبري هو أبو جعفر وأبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم ، شيخ الحجاز وعالمه ، الملقب بمحب الدين الطبري المكي الشافعي .

ولد بمكة في الخامس والعشرين ، أو السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة من الهجرة .. فهو من رجال القرن السابع الهجري ، من أسرة انحدرت من طبرستان أحد أقاليم فارس .. ومن هنا لُقِّب بالطبري .. أما لقب المكي فمن نسبته إلى مكة المكرمة ، ولقب الشافعي استحقه لاضطلاعه بإمامة هذا المذهب في عصره وتوفره على دراسته ..

ونشأ المحب الطبري في مكة ، وطلب العلم بها على الأئمة المشهورين المنقطعين بمكة أو الزائرين لها ..

ولم يكتف بذلك ، بل رحل في طلب العلم إلى أماكن كثيرة ؛ منها مصر التي قدمها والتقى فيها بكثير من العلماء ومنهم الشيخ مجد الدين القشيري الملقب بابن دقيق العيد . وكان إمام قوص في وقته ، بل إمام مصر بأسرها .

كما ذهب إلى الشام واليمن وغيرهما من البلاد .

ولم يقتصر محب الدين الطبري على طلب فن واحد من العلم ، بل تبحر في مختلف فروع

العلم ، شأنه فى ذلك شأن العلماء الموسوعات ، حتى بلغ منزلة كبيرة ، وظفر بإجازة كثير من الأئمة العلماء ، وألف كثيراً من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، من بينها الكتاب الذى أشرنا إليه .

وظل محب الدين الطبرى معلماً ومؤلفاً حتى وافته منيته فى مكة سنة أربع وتسعين وستمائة فى جمادى الآخرة وله من العمر سبعون عاماً .. ودفن فى مقبرة المعلاة .

كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة :

وهذا الكتاب الذى ألفه الطبرى أوفى كتاب فى موضوعه ، كانت آخر طبعة له سنة ١٣٢٧هـ ، أى منذ ما يقرب من مائة عام ، بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ، وقد اندثرت هذه الطبعة ، حتى عز وجودها ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى إعادة طبع الكتاب تيسيرا للقارئين ، ونشراً للعلم ، وتقريباً لموارده من الظامئين .. والحمد لله الذى وفقنا لذلك .

ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة متعددة المناحى والفصول ، وعلى أبواب عشرة ، لكل علَم من أعلام الصحابة العشرة المبشرين بالجنة بابٌ مستقل .

أما المقدمة فهى ضافية ، تناول المؤلف فيها بيان الكتب التى اعتمد عليها وهى كثيرة لا تكاد تحصى ..

كما تناول فى مقدمته ذكر الآثار التى تتحدث عن مناقب الصحابة جملة ، ومناقب المهاجرين والأنصار ، ومناقب أهل بدر والحديبية ، ومناقب العشرة مجتمعين ، ثم مناقب بعضهم منفردين أو مجتمعين ، ثم مناقب الخلفاء الأربعة الراشدين ..

ومن الأحاديث التى رواها فى فضائل الصحابة ، ما رواه عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » . أخرجه البخارى ومسلم .

ومنها : « سألت ربى فيما يختلف فيه أصحابى من بعدى فأوحى إلى : يا محمد ، إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من أخلاقهم فهو عندى على هدى » .

قال الطبرى : أخرجه نظام الملك فى أماليه ، وفيه دلالة على أن لكل مجتهد نصيبا .

وهذا الحديث أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤٦٠٣ من رواية السجزى وابن عساكر فى التاريخ .

كما أخرجه فى جمع الجوامع برقم ١٤٥١٦ ، وتكلم فيه . وعلقت عليه لجنة تحقيق الكتاب .

وأشاد الطبرى فى مقدمته بفضائل أهل بدر خاصة ، وأصحاب الحديبية وبيعة الرضوان الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

[الفتح : ١٨]

ويدخل هؤلاء العشرة المبشرون فى دائرة هذا الثناء الربانى المبارك ؛ لأنهم جميعاً كانوا ضمن المبايعين ، فيما عدا عثمان ـ رضى الله عنه ـ الذى بايع النبىُّ ـ ﷺ ـ نيابة عنه : لأنه كان فى مهمة رسمية أوفده فيها النبى ـ ﷺ ـ وقال :

« هذه يدى عن عثمان » .. ويد النبى - ﷺ - أعظم بركة من يد عثمان .

وتحدث الطبرى فى مقدمته عن نهى النبى - ﷺ - عن الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلاف .

مناقب العشرة :

وبعد هذه المقدمة الوافية الشافية أخذ فى موضوع كتابه ، فأفاض فى ذكر مناقب كل من هؤلاء العشرة ، يستقصى فى بابه كل ما يتصل به من نسب واسم ، وإسلامه وسببه ، وخصائصه وأفضليته ، ويذكر فى كل ذلك جميع ما ورد من آثار وقصص وأخبار .

ونظراً لكثرة ما أورده فى ذلك ، وصعوبة إيجازه فى هذه العجالة ، نكتفى بالإشارة إلى بعض ما أورده حول كل واحد منهم للاستدلال والتمثيل .

فضل أبى بكر - رضى الله عنه :

قال الطبرى : قال أبو عمر واللفظ له : لا يختلفون أن أبا بكر شهد بدرا والحديبية مع رسول الله - ﷺ - وحضور هاتين بالذات له خصيصة تستوجب الجنة .

وأنه لم يكن رفيقه فى الهجرة من أصحابه غيره ، وأنه كان مؤنسه فى الغار ، وأنه قام فى خلافته - بعد الرسول - بقتال أهل الردة ، وظهر من فضل رأيه فى ذلك وشدة بأسه مع لينه ما لم يكن فى الحسبان ، وأظهر الله به دينه ، وقتل على يديه كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون .

وقال صاحب الصفوة : ذكر أهل العلم بالتواريخ أنه لم يفُتْهُ مشهد من المشاهد مع رسول الله - ﷺ - .

ودفع إليه النبى - ﷺ - رايته يوم تبوك .

وأنه تنزه عن شرب المسكر فى الجاهلية قبل الإسلام . وأنه أول من قاء ما تناوله من طعام تحرزاً من الشبهات - وذلك حين أتى له غلامه بطعام ظن أن فيه شبهة فقاءه - رضى الله عنه - وهذا من نهاية الورع .

من فضائل عمر - رضى الله عنه - :

من فضائله أنه من المهاجرين الأولين . وأنه ممن صلى إلى القبلتين ، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - .

وبشره النبى - ﷺ - بأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وأن رضاه وغضبه عدل ، وأن الشيطان يفر منه ، واستبشر أهل السماء بإسلامه ، وسماه النبى - ﷺ - عبقرياً .

وظهرت فضائله بعد النبى - ﷺ - فى أنه كتب التاريخ للمسلمين من الهجرة ، وهو أول من حض على جمع القرآن ، وجمع الناس على قيام رمضان ، وهو أول من عسَّ من الخلفاء بالليل ليتفقد أحوال الرعية ، ووضع الخراج ، ومصَّر الأمصار ، ودوَّن الدواوين ، واستقضى القضاة ، وفرض الأعطيات ، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وفتحت الفتوح فى عهده ..

ومما يرويه فى فضائله : أنه استأذن النبى - ﷺ - فى العمرة فقال له النبى - ﷺ - : « لا تنسنا يا أخى من دعائك ». وفى رواية : « يا أخى أشركنا فى دعائك » فقال عمر :

ما أحب أن يكون لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله : يا أخي – رواه الإمام أحمد في مسنده ، والحافظ السلفي ، وصاحب الصفوة .

من فضائل عثمان – رضي الله عنه :

ومما يمتاز به عثمان – رضي الله عنه – كثرة الحياء ، حتى إن الملائكة لتستحي منه لفرط حيائه ، وقال النبي – ﷺ – في حقه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » ؟ ! أخرجه أحمد ومسلم وأبو حاتم .

ومن فضائله أنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأحلاسها وأقتابها – في رواية – فقال النبي – ﷺ –: « ما على عثمان ما عمل بعد هذه » أخرجه الترمذي في صحيحه ، وأحمد في مسنده .

ومن مناقبه أنه وسع مسجد الرسول – ﷺ – بعد أن ابتاع مساحات حوله من ماله الخاص ، واشترى بئر « رومة » ووهبها للمسلمين .

ونزل فيه قوله – تعالى –:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ .

[الزمر : ٩]

أخرجه الواحدي .

من فضائل علي – رضي الله عنه :

ومما اختص به علي – كرم الله وجهه – أن الله حفظ ذرية النبي – ﷺ – في ذرية علي من زوجته فاطمة ابنة الرسول – رضي الله عنها .

وبأنه جعله أخاه فقال له : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذي .

وقال في حقه : « من كنت مولاه فعلي مولاه » أخرجه الترمذي .

وقال له : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

وهو أول فدائي في الإسلام ، حيث نام مكان النبي – ﷺ – في ليلة الهجرة ، وهو يعلم أنه سيقتل .

واختصه النبي – ﷺ – بفتح خيبر .

وقال في حقه : « من أحبني وأحب هذين – يعني الحسن والحسين – وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة » أخرجه أحمد والترمذي ، وقال : حديث غريب .

من فضائل طلحة – رضي الله عنه :

من فضائله أنه ممن نزل فيهم قوله – تعالى :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ... ﴾

[الأحزاب : ٢٣]

فهو ممن قضى نحبه – أخرجه الترمذي .

ومعنى نحبه : نذره .

قال الطبري : التزم طلحة أن يصدق الله في الحرب لأعدائه ، فوَّفى له ، ولم يفسخ . ومن فضائله كثرة العطاء والصدقة وصلة الرحم ، ولقد روى أنه تصدق يوماً بمائة ألف ، وقسم ماله حتى ما بقي منه درهم ، وكان هذا المال يقدر بأربعمائة ألف ..

من فضائل الزبير – رضي الله عنه :

من خصائصه أنه أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله – عز وجل – فدعا له النبي – ﷺ – بخير ، وكان يلقب بحواريّ رسول الله ، ونزلت الملائكة يوم بدر وهي تعمم بعمائم تشبه عمامة الزبير ،

وفدّاه النبي ـ ﷺ ـ يوم الأحزاب بأبويه قائلا له : فداك أبي وأمي .

وامتدحه حسان بن ثابت بقصيدة منها :

أقام على هدى النبي وعهده
حواريّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه
يوالي ولي الحق والحق أعدل

من فضائل عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه :

من خصائصه أن النبي ـ ﷺ ـ صلى خلفه في غزوة تبوك .. فقد أخرج الشيخان أن النبي ـ ﷺ ـ كان في حاجته ووضوئه ، فجاء فإذا بعبدالرحمن يصلي بأصحابه ، فصلى النبي ـ ﷺ ـ خلفه الركعة الأخيرة .

وكان كريماً ، ومن كرمه أنه وهب للمسلمين قافلة له عادت من الشام وكان لها رجة بالمدينة تقدر بسبعمائة بعير .. وهبها بأحمالها وأقتابها للمسلمين .. أخرجه أحمد في مسنده .

من فضائل سعد ـ رضي الله عنه :

كان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله ـ تعالى ـ ومن خصائصه أنه كان مستجاب الدعوة . قال له النبي ـ ﷺ ـ : « اللهم سدد سهم سعد وأجب دعوته » . أخرجه أبو عمر في الاستيعاب ، وأبو الفرج في الصفوة ، ودافع عن النبي ـ ﷺ ـ في أحد وفدّاه بأبويه ، ونزلت فيه بعض آيات من القرآن الكريم .

من خصائص سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه :

كان ذا دعوة مجابة ، ومن ذلك أن امرأة خاصمته بدون وجه حق ، وادعت عليه أنه أخذ أرضاً لها . فقال : اللهم إن كانت كاذبة في دعواها فأعم بصرها واجعل قبرها في دراها . قال محمد بن زيد : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر ، وتقول : أصابتني دعوة زيد ، فبينا هي تمشي في الدار إذ مرت ببئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها . أخرجه مسلم .

وأبوه كان أحد المتحنفين في الإسلام :

من خصائص أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه :

لقبه النبي ـ ﷺ ـ بأمين الأمة ، وقال : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا ـ أيتها الأمة ـ أبو عبيدة بن الجراح » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ..

وكان قوي العقيدة ، التقى مع أبيه في غزوة بدر وحرص أبوه على قتله ، فحاد عنه ، ولكن أباه تبعه حتى كانت منيته على يد ابنه فنزل فيه قوله ـ تعالى ـ :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[المجادلة : ٢٢]

وبعد : فهذه أمثلة يسيرة اقتطفناها من كتاب الطبري في مناقب العشرة المبشرين بالجنة ، والكتاب جدير بأن يطالع كله ، ليقف القارىء منه على هذه المناقب مفصلة بأسانيدها .

جزى الله الطبري خيراً عما قدم في هذا الكتاب ، ورضي الله عن هؤلاء الصحابة الأجلاء ووفقنا الله للسير على هداهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الملكية ووظائفها الاجتماعية في الفقه الإسلامي (*)

بقلم دكتور/ تحسين فند أوغلو

يهدف هذه الدراسة إلى البحث عما إذا كان هناك وظيفة إجتماعية للملكية في الفقه الإسلامي ، فثمة بُعد اجتماعي مصاحب للملكية ، وسيتناول المقال ـ في بدايته ـ مفهوم الملكية وأهدافها وأساسها وبعد ذلك سنتعرض للتطور التاريخي لحق الملكية في وظيفتها الاجتماعية ، وفي النهاية سوف نطلع على العلاقة بين الملكية ووظائفها الاجتماعية في الفقه الإسلامي .

المدخـل

« أ » الملكية في الفقه الإسلامي

الملكية هي العلاقة التي توجد بين الإنسان والأشياء ، فالملك « بضم الميم وكسرها وفتحها » أي إحراز الأشياء وتملكها واصطحابها ، وقد ترد الملكية بمعنى : سلطة الإنسان ، هيمنة السيادة والحاكمية(1) والملك أيضا بمعنى البلد ، فجميع الأملاك يكون ملكا « أي بلدا » وفي اللاتينية الملكية هي Dominium و Proprietos (2) .

واصطلاحا : هي حق التصرف في الأشياء مباشرة ، وهي التي تعطي صاحبها حق التصرف والسيطرة شرعا ، وكذا حق الاستعمال على ألا يكون ثمة مانع شرعي(3) .

ولا نجد تعريفا للملكية في مجلة الأحكام العدلية ، في القانون التركي المعاصر الملكية « هي حق عيني يعطي صاحبه أوسع صلاحية على

(*) سبق تقديم هذه الدراسة إلى جامعة دجلة ـ تركيا عام 1993 .

(1) المنجد ، بيروت 1969 ، الطبعة العشرون ، ص 774 .

(2) بياظي لوكلم ، فلسفة الحقوق واجتماعية الحقوق ـ تركيا ، استطنبول 1988 ، ص 226 .

(3) كاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (المتوفى عام 1191/587) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، جـ 5 ، بيروت 1974/1394 ، الطبعة الثانية ، ص 128 .

الأشياء » ولا يعير القانون السويسرى ولا التركى المعاصر عن الملكية .

وللملكية مفهوم شرعى ، إذ يشمل مفهوم الملكية المال والمنفعة والحقوق .

والملكية — فى القانون المعاصر — هى التى تعطى صاحبها حق الاستعمال والاستغلال والاستهلاك ، ولذا يقال عن الملكية إنها الحق العينى بلا حدود ، ومتى انتفت واحدة من الصلاحيات الثلاث المذكورة فإن الحق العينى يكون محدودا ، ويعترف الفقه الإسلامى بالحق العينى المحدود(٥) .

وتنقسم الملكية إلى تامة وناقصة ، التامة هى حق الرقبة والمنفعة ، وخلاف ذلك يجعل الملكية ناقصة(٦) ومن نماذجها حقّ الاستعمال فقط ، حق الاستعمال فقط ، أو حق الاستهلاك فقط ، أو الاستفادة من الثمرات .

والملكية — فى القانون الرومانى — لا تعترف إلا بالأشياء فقط خلافا لمفهومها فى الفقه الإسلامى ، إذ تشمل الأشياء والمنافع ، فعلى سبيل المثال نجد أن عقد الإيجار يدخل فى قانون الديون فى القانون الرومانى بينما يعد ضمن ملكية المنفعة فى الفقه الإسلامى فهو من « الحق العينى » « بلا حدود فى المنفعة » حتى وإن لم يسجل فى السجلات العقارية(٧) ويشبه القانون الانجليزى الفقه الإسلامى فى هذه النقطة ، إذ يعتبر حق الانتفاع مندرجاً تحت مفهوم الملكية .

« ب » مقاصد الملكية فى الفقه الإسلامى .

يعد تداول الملكية فى الفقه الإسلامى أمرا أساسيا وهو ما لا يتناقض مع حماية حق الملكية ، ففى الميراث تؤول أموال المورث إلى الوارثين ، وهو ما يؤدى إلى نشاط التجارة والوفاء بمتطلبات السوق الحرة .

وقد عنى الفقه الإسلامى بالتكافل الاجتماعى ، فأمر الأقوياء والأغنياء أن يساعدوا الضعفاء فى الظروف الصعبة ، وهو ما يحقق التوازن فى المجتمع ، ويولى الفقه الإسلامى مفهوم العدالة أهمية كبرى ، ويشدد فى النهى عن الكسب غير المشروع ، على نحو ما تضمنه القرآن من أحكام .

وتعد الوظيفة الاجتماعية للملكية هدفا حرص عليه الفقه الإسلامى وفى التاريخ ما يؤيد ذلك فقد قال معاذ بن جبل — حين فتحت بلاد كسرى — : « الأراضى سواد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فإن نقسّم هذه الأراضى بين غزاة المسلمين فإن ملكيتها ستكون لأشخاص محددين(٨) .

وقد رغّب القرآن الكريم المؤمنين أن يعطوا أموالهم مَنْ لا مال له من الفقراء (كى لا تكون دولة بين الأغنياء منكم) .. ومن ثم كان الأمر بالزكاة والصدقات .

« جـ » أساس الملكية فى الفقه الإسلامى .

ينص الفقه الإسلامى على أن كل شىء فى العالم

---

(٤) كال أوغوزمان — أوزرسليجى ، قانون الأشياء التركى ، اسطنبول ١٩٧٥ ، ص ٢٧٤ .

(٥) مجلة الأحكام العدلية ، مادة : ٧٠١ و ١٢٦٢ و ١٢٣٣ — ١٢٢٨ .

(٦) السرخسى ، محمد أحمد ، المبسوط ، جـ ٢ ، مصر ١٣٢٤ ، ص ٥٠ .

(٧) فخرى دمير ، حق الملكية وتقسيم الثروة — تركيا ، أنقرة ، ١٩٧٦ ، ص ١١١ و ١٨١ .

(٨) مصطفى حسنى السباعى ، اشتراكية الإسلام ، دار القومية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ص ٨٤ .

ملك لله تعالى ، وقد سخر الله هذا العالم للإنسان(٩) ومن ثم فإن أى ملكية للإنسان تكون وكالة عن الله تعالى الذى خلق الملك وهنا يحضرنا قول مسيلمة الكذاب فى رسالته التى بعث بها إلى النبى ﷺ : « نصف الدنيا لى ونصفها الباقى لك » فأجابه الرسول ﷺ : « الأرض ليست لك ولا لى ، الأرض لله تعالى »(١٠) .

إن الله هو صاحب الملك والإنسان خليفته ، وهو ما يعنى أن ملكية الإنسان إنما تكون على جهة المجاز لا على جهة الحقيقة ، فالإنسان لا يمكن — عقلا — أن يملك الأشياء بقدرته وحدها لقول الله تعالى :

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ .

ومن ثم فعلى الإنسان أن يطيع ربه فى الحصول على المال وإنفاقه ، فلا يسلك أى طريق غير مشروع للتملك ، ولا يجعل من ملكيته مدعاة للتحكم فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولابد أن يجعل المالك من ملكيته شيئا نافعا للناس ، فيخرج مالك الأرض زكاة ما يزرعه ، وينفق الغنى مما آتاه الله على الفقراء من عامة الناس .

والحق أن مثل هذه الأمور تعد ضرورية للغاية حتى لا يتسرب الكبْر إلى قلب الإنسان والذى تولده الملكية عادة ، ومن هنا فعلى الإنسان أن يُتْبِع تملكه الشىء بالوظيفة الاجتماعية للملكية التى هى من أهم مقوماتها فى الفقه الإسلامى(١١) .

وها هى آيات القرآن الكريم تنسب الملكية لله تعالى ، وبعض الآيات تنسبها للمجتمع وبعضها تنسبها للإنسان — يقول الله تعالى :

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ (١٢)

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (١٣)

إن الملكية حق طبيعى للإنسان فى حياته ، وهى بمثابة امتحان له للوعد والوعيد وتملك الإنسان الشىء محدود بنسبته إلى الله تعالى ومشروط بهذه النسبة ، أما نسبة الملكية للمجتمع فراجعة لما ترتبط به الملكية من وظائف كثيرة للمجتمع(١٤) .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١٥) .

ولأن الإنسان خليفة الله فلابد أن تكون له صلاحية ، إذ لا تخيل دون صلاحية ، ومن ثم فللإنسان أن يستعمل ماله وينتفع به ويستهلكه

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٢٨ ، سورة المائدة ، آية ١٧ و ١٠٠ ، سورة الحج ، آية ٦٥ .

(١٠) سليمان أتش ، الإسلام والتراب (تركى) ، مجلة كلية الإلهيات ، جامعة أنقرة ، جـ ١٧ ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠٣ .

(١١) علاك جمعة صبرية ، رسالة ماجستير : الملكية فى الشريعة الإسلامية ومدى تدخل الدولة فى تقييدها ، مودعة فى جامعة الأزهر ، كلية الشريعة والقانون برقم ٨٥ عام ١٩٧٦ ، ص ٢٣١ .

(١٢) سورة الأنعام ، آية ١٢ ، سورة نوح ، آية ٢٤

(١٣) سورة الأحزاب ٢٧

(١٤) النبهان ، محمد فاروق : الاتجاه الجماعى فى التشريع الاقتصادى الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ١٨٦ ، محمد عرفان زدل : ملكية الأراضى والأموال غير المنقولة فى الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ، رسالة ماجستير عام ١٩٦٩ ، مودعة بمكتبة جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون ، رقم ١٢١٤ .

(١٥) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

بإرادته وعمله بما يحقق منفعته ، وقد كان للشريعة موقف حاسم من التملك غير المشروع ، وذلك حين عدت هذا التملك « غصبا » .

التطور التاريخي لحق الملكية ووظيفتها الاجتماعية

يسير تاريخ الملكية وتاريخ الإنسان جنبا إلى جنب ، فحياة الإنسان تستلزم الملكية ، إذ لابد له من ملبس ومأكل ومشرب لتقوم حياته .

ولو ألقينا نظرة على الملكية الخاصة والملكية الاشتراكية في المجتمعات البدائية ، فإن أول مايصادفنا هو قانــــون حمورابي « ٢١٢٣ — ٢٠٨١ » ق.م الذي يحتوي على ٢٨٣ مادة وينص على أنه يجب على صاحب الأرض أن يستغل ترابه(١٦) وكان الرقيق محرومين — في العصور القديمة — من كل حقوق الناس .

أما في القانون الروماني فقد كان حق الملكية مطلقا بلا تحديد ، وقد نص القانون الروماني على مفهوم حق الاستعمال ، وحق الاستغلال ، وحق الاستهلاك .

وقد أمرت التوراة الإنسان أن يعطي فضل ما له لمن يحتاج إليه ، ولا يقدم الانجيل مفهوما للملكية : « يدخل الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني الجنة » (١٧) ورغم ماينص عليه الانجيل ، فإن ثلث الأراضي في أوربـــا — في الـــعصور الوسطى — كان تحت سيطرة الكنيسة .

ومعلوم أن اليهودية الحقيقية والمسيحية الحقيقية والإسلام كلها أديان تنبع من مصدر واحد(١٨) — يقول تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ سورة آل عمران (٤٨)

ويقول سبحانه :

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة النساء (٤٦)

لقـــد طالب أكويـــــــاس ST Thomas Aquinas — وهو أشهر فلاسفة المسيحية — بأن يساعد الغني الفقير ، بيد أن الكنيسة لم تطبق — كما أسلفنا — هذه الفكرة(١٩) .

ولم يظفر الواجب الاجتماعي للملكية بعناية الكنيسة إلا حين أصدرت الكنيسة الكاثوليكية « رسائل كاثوليكية » والتـــي نصت على هذا الجانب(٢٠) وكان ذلك عام ١٨٩١ ، ١٩٣١ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ أي أن مراعاة هذا الجانب لم تتم إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وفي القرن السابع عشر والثامن عشر كانت الدول الأوربية البرجوازية تعترف بحق الملكية ، إذ

---

(١٦) ماركوس (Markos) ، ١٠ ، ص ٢٣

(١٧) لوقا (Lûka) ، ١٨ ، ص ٢٥ .

(١٨) عدنان كريز ، مشكلة الملكية بوجهة نظريسة (تركي) ، أنقرة ١٩٦٩ ، ص ٣١٥ .

(١٩) إقبال (أكين) ، قانون العامة (تركي) ، استطنبول ١٩٨٧ ، الطبعة الخامسة ، ص ٦١ .

(٢٠) أوكتم ، ص ٢٤٢ ، باعتراف الجمهورية التركية في مادة ٣٥ من دستورها بتاريخ ١٩٨٢ .

(٢١) أوكتم ، ص ٢٤٥ — ٢٤٢ ، انظر إلى إعلام محكمة الدستور التركي : الجريدة الرسمية ، ١٩٨٩/١٢/١١ برقم ٢٠٠١٦ ، أساس : ١٩٨٨/١٩ ، قرار : ١٩٨٨/٣٣ ، تاريخ : ١٩٨٩/١٠/٢٦ .

كانت الملكية حقا مقدسا ، وتعتبر حصنا وأساسا للحريات ، وقد أولى هذا القانون مصلحة الدولة كل عنايته ، وأهمل مصلحة المجتمع ، وهو ما أدى إلى نمو البرجوازية ، وكل ما أنجزته أوربا إنما أفادت منه البرجوازية وحدها لا المجتمع ، إذ كان العمال يكدحون بأجور زهيدة لا تعادل ما يبذلونه من جهد ، وقد بدأت نظرية القانون الرومانى (٢٢) فى الضعف مع نهاية القرن الثامن عشر ، وغابت نظرية الملكية الخاصة والشخصية الانفرادية بعد قيام الثورة الفرنسية التى حددت الملكية بكونها للدولة لا للأفراد والنظرية الأخرى للملكية هى الاشتراكية التى أهملت الواجب الإجتماعى للملكية ، إذ كانت الدولة هى العنصر الأساسى فى نظرة الاشتراكية للملكية ، فقد أعلن الاتحاد السوفيتى من رأسمالية الدولة Capitalism ، وبهذا زادت الدولة السوفيتية من استبداد البرجوازية .

وأول اعتراف للملكية بوظائفها الاجتماعية فى أوربا كان فى دستور وعار Weimar الذى صدر عام ١٩١٩ ، وقد نص هذا الدستور على أن « الملكية تحمل الإنسان الواجبات وأن استعمال الملكية مرتبط بمصالح العامة » وقد أثر هذا الدستور على كل دساتير أوربا بعد ١٩١٩ ، وقد أوجب هذا الدستور على الشركات حماية العمال ، إذ حال دون عملهم بأجور زهيدة .

ومع هذا فأغلب الظن أن ليس ثمة أساس للملكية بوظائفها الاجتماعية فى الغرب ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية بلغت نسبة العمال ٧٦٪ فى خمسمائة شركة وصاحب المال هو كل الفرق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى السابق ، فصاحب هذه الشركات فى أمريكا خمسمائة شخص ، أما فى الاتحاد السوفيتى السابق فصاحب رأس المال واحد هو الدولة نفسها (٢٣) .

إن التغير فى الفكر الغربى لم يكن فى مفهوم الملكية بل فى مفهوم الدولة كلها ، إذ أصبحت الدولة اجتماعية ، وأصبحت العدالة « عدالة اجتماعية » والديمقراطية « ديمقراطية اجتماعية » وقد وقع هذا التغير فى المفاهيم إبان القرن التاسع عشر ، وغايته : حماية الناس ، فلا يظلم القوى الضعيف (٢٤) .

ومن الممكن أن نقول إننا فى الغرب نجد بداية الملكية المطلقة ، وتليها الملكية المحدودة المتعلقة بالدولة وحدها ، وأخيرا نجد الملكية المحدودة الخاصة بالدولة والمجتمع والفرد وهى الملكية بوظائفها الاجتماعية ، وهو المفهوم الصحيح الذى لما يصل إليه الغرب حتى الآن .

وتصادف آراء لابن خلدون وجون لوك فيما يسمى « نظرية العمل » وداود يوم وبنتهام فيما يسمى بنظرية المنفعة ، وكانت وهيجل فيما يسمى بنظرية الإرادة ودكوت فيما يسمى بنظرية الواجبات الاجتماعية ، كل تلك النظريات تناولت موضوع الملكية ، ويضيق المقام عن تفصيل القول فى هذه

---

(٢٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مترجم إلى التركية : ذاكر قادرى لوكان ، جـ ٢ ، استنبول ١٩٩١ ، ص ٣٠ .

(٢٣) السرخسى ، أحمد ، أصول السرخسى ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٣٤ .

(٢٤) صلاح الدين ، محمد ، أبحاث الحرية والإسلام ، مترجم إلى التركية ، أحمد أبراز ، استنبول ١٩٨٩ ، ص ١١٢ .

النظريات جميعها .

وأساس الملكية التى تعترف بالواجبات الاجتماعية هى نظريـــة العمـــل لصاحبها جون لوك « ت ١٦٣٢ » الذى أثر فى الغرب وأمريكا ونظريته تشبه آراء مونتسكيو وقد تأثر كل من جون لوك ومونتسكيـــو بابـــن خلـــدون « ت ١٤٠٤ » (٢٥) .

إن الرأسمالية والاشتراكية تعترفان بالملكية بما لها من واجبات اجتماعية فى الظاهر لكنهما فى حقيقة الأمر تعطيان حرية تامة للبرجوازية ، تلك الطبقة التى يطالب الغرب الآن « فى القرن العشرين » بتحديدها ومن المستبعد أن يفلح الغرب فى ذلك إذ أن البرجوازية تسيطر على الاقتصاد الأوربى سيطرة تامة .

أما الفقه الإسلامى فقد اعترف إن الله تعالى قد كلف الإنسان بواجبات ولتنفيذها فقد أعطاه الله ثلاث حريـــات هى : حق الحريـــة ، حق المعصومية ، حق الملكية (٢٦) والناس جميعا خلق الله تعالى وعليه فلا يستبد إنسان بإنسان لما له من مال ، كما لايحل أن يسلط الإنسان ماله لضرر المجتمع الذى يعيش فيه (٢٧) .

والتملك فى الفقه الإسلامى مرتبط بشرط واحد وهو الإنسانيـــة وقد بيّن الدبـــوسى الفقيـــه « ت ١٠٦٢/٤٢٨ » قبل عدة قرون حقوق الإنسان حين يذكر حقوق الحرية وحقوق المعصومية وحقوق الملكية (٢٨) وذلك قبل الغرب بكثير .

ويعترف الفقه الإسلامى بحق الملكية للمرأة — بلا تحديد — مثلها فى ذلك مثل الرجل ، دون أن يتدخل الزوج أو الأب أو غيرهما فى هذه الملكية .

وقد حرص الشرع على ضمانات حماية الملكية وقد ذكر أبو حنيفة — رحمه الله — الكثير من الضمانات التى يمكن أن يتخذها صاحب المال وقد أكد أبوحنيفة على أن كل إنسان مالك لملكه ولايجوز أن يتدخل الآخرون فى ملكيته (٢٨) .

وبعد أبى حنيفة حدد الحنفية الملكية بعدم ضرر الناس (٢٩) وهو ما ذهب إليه الإمام مالك بن أنس أيضا حين يقول : « إن الإنسان حر فى ملكه حيث لاضرر للناس (٣٠) وقد أخذت مجلة الأحكام العدلية بهذا المبدأ فى مادتها الثلاثين : « دفع المفاسد أولى من جلب المنافع » وفى مادتها السادسة والثلاثين « يختار الضرر الخاص لدفع الضرر العام » وكذا قاعدة الفقـــه : « لا ضرر ولاضرار فى الإسلام » الذى ورد به الحديث النبوى (٣١) كما يشدد الفقه الإسلامى على الاعتراف بالملكية بما يرتبط بها من واجبات اجتماعية (٣٢) .

---

(٢٥) دمير ، ص١٦٥ .

(٢٦) السرخسى ، المبسوط ، جـ١٠ ، ص٢١ ، الكاسانى ، بدايع ، جـ٦ ، ص٢٦٤ .

(٢٧) النبهان ، الاتجاه الجماعى ، ص٢٠٠ ، انظر ، مجلة ، مادة ، ١١٩٧ .

(٢٨) مالك بن أنس ، تذهيب الفروق ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٤١ .

(٢٩) ابن ماجه ، الأحكام ، ١٧ .

(٣٠) أبو داود ، عقدية ، ٣١ ، إمام مالك ، الموطأ ، عقدية ، ٣٣ .

(٣١) السرخسى ، المبسوط ، جـ١٥ ، ص٢١ ، كاسانى ، بدائع ، جـ٧ ، بيروت ١٣٩٤/١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، ص٢٦٣ .

(٣٢) النبهان ، الاتجاه الجماعى ، ص٢٠٤ .

العلاقة بين الملكية ووظائفها الاجتماعية في الفقه الإسلامي

ثمة مفاهيم أساسية ترتبط بالملكية في الإسلام ، وهي أن الملكية لله في الأساس وتكون للإنسان وكالة لله تعالى وتتأتى الملكية بفعل الفرد والمجتمع والطبيعة وهو ما يحول أن تكون الملكية مطلقة (٣٣) وتتضمن مثل هذه المفاهيم انتفاء ضرر العامة من الملكية فلا يحل استعمال الملكية بما يضر المجتمع ــ يقول الحق سبحانه :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ سورة البقرة

ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة التوبة

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى جواز اتخاذ بعض التدابير متى اقتضتها المصالح العامة وهنا يحضرنا ما كان من عمر بن الخطاب في منعه أكل اللحم يومين في الأسبوع . [٣٤]

لقد راعى الفقه الإسلامي مسألة النفقة بين الأصول والفروع وتوفير العمل لمن يطلبه وتقديم الأغنياء عونهم للفقراء ، وعون الأغنياء للفقراء .

وينبغي على الدولة الإسلامية أن تنظم مسألة الاحتياج إلى الغذاء بوصفه ضرورة حيوية فإذا أراد جائع خبزا من صاحب الخبز ومنعه عنه فإن للجائع أن يتملك هذا الخبز إجبارا وهذا ما قرره الفقه الإسلامي ، لأن حق الحياة أفضل من حق الملكية إذ يحفظ بذلك حياة النفس فالجائع يشبه إنسانا في حريق .

وإذا تقاتل الجائع وصاحب الخبز ، فإن قُتِل صاحب الخبز اهدر دمه ، وإن قُتِل الجائع فهو شهيد (٣٥) وقد أوجب عمر بن الخطاب أن يعطى الماء إلى الظمآء (٣٦) .

وقد وضع الفقه الإسلامي شروطا لأخذ الما جبرا ، وهي :

أولا : أن يكون المال المأخوذ ضروريا يحتاجه الآخذ احتياجا شديدا . (٣٧)

ثانيا : لا يضار صاحب المال بأخذ ماله . (٣٨)

ثالثا : أن يكون المال المأخوذ بمقدار الحاجة ، فإذا أخذ أحدٌ مال الآخر وباع واشترى احتياجاته من هذا المال ، فإن هذا الفعل يعد سرقة ، ولا يندرج تحت مفهوم الضرورة (٣٩) .

---

(٣٣) راجع : المجلة ، مادة ٢٦ .

سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

(٣٤) عبد الكريم زيدان ، حالة الضرورة في الشريعة الإسلامية ، بيروت ١٩٨٨/١٤٠٨ ، ص ٦٦ . ابن قدامة ، المغني ، جـ ٩ ، ص ٤٣٠ ، راجع : السرخسي ، المبسوط ، جـ ٢٤ ، ص ٧٣ .

(٣٥) زيدان ، حالة الضرورة ، ص ٦٧

(٣٦) عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ، جـ ١ ، ص ٥٧٧ .

(٣٧) زيدان ، حالة الضرورة ، ص ٦٤ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣٩) المرجع السابق ، ٦٦ .

وقد انعقد إجماع الفقهاء على جواز أخذ المال فى حالة الضرورة — مع إعادته إلى صاحبه — أما مناقشاتهم حول هذا الموضوع فقد انصبت على مسألة بذل المال (٤٠) .

ذهب أكثر فقهاء الشافعية إلى أن المضطر يعطى بذل المال الذى أخذه ، وبعض الشافعيين قالوا بعدم دفع المضطر بدلا إلى صاحب المال وهو واجب ، وقد نقل مالك بن أنس وأصحابه هذين الرأيين وذهب أحمد بن حنبل وأصحابه إلى أن الإنسان لا يجب أن يعطى ماله بلا بدل وذهب ابن قيم الجوزية إلى أن الإنسان يجب أن يعطى ماله بلا بدل ، أما ابن تيمية فقد اعتبر إعطاء المال المضطر بلا بدل فرض كفاية ، ويكون فرض عين إن لم يكن ثمة شخص آخر يعطى بلا بدل (٤١)

ويرى الحنفية أنه لا يسقط ضمان المضطر حيث يجب الضمان لأخذ المال اضطرارا ، إذ لا يبطل الإضطرار حق الملكية للغير ، لكن لا ينبغى أن يدفع هذا البدل دفعة ، بل يكون هذا الدين فى ذمته فقط (٤٢) .

وترجح الشريعة الإسلامية المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وثمة شواهد تثبت ذلك نصادفها فى مجلة الأحكام العدلية (٤٣) والزكاة مثال يؤكد الواجبات الاجتماعية للملكية (٤٤) ومن ذلك أيضا اعتراف الفقه الإسلامى بجواز نزع ملكية العقار للمنفعة العامة ، وقد روى أن عمر بن الخطاب قد نزع ملكية بعض المنازل وأعطى أصحابها بدلا منها لتوسعة المسجد الحرام (٤٥) وفى ذلك يستند الفقه الإسلامى إلى مفهوم « المصلحة العامة » و« الضرورة » ولعل الحسبة خير مثال يبين لنا الواجبات الاجتماعية الملكية إذ تظفر الحقوق الشخصية والحقوق العامة فى الحسبة بحماية كاملة (٤٦) .

النتيجـــة

اعترف الفقه الإسلامى من بدايته بالملكية بما لها من واجبات اجتماعية ، وذلك تنظيرا وتطبيقا ومن ثم فقد راعى مصلحة العامة مراعاته المصلحة الشخصية فى مسألة الملكية ، وحرص الفقه الإسلامى على استعمال الملكية على الوجـــه المناسب .

وقد اعترفت الحقوق المعاصرة بالملكية بواجباتها الإجتماعية منذ بداية القرن العشرين ولهذا الأمر أهميته من زاويتين الأولى : أن اعتراف الغرب بالملكية بما ترتبط به من واجبات اجتماعية قد جاء تأثرا بالفقه الإسلامى ، إذ كان الفيلسوف الانجليزى لوك والفرنسى مونتسكيو من أوائل مَنْ نادى بمفهوم الملكية بوظائفها الاجتماعية وكلاهما متأثر بفكر ابن خلدون .

الأخرى : إن فهم الإنسان فى الشرق الأوسط للمعنى الإسلامى للملكية قد ضمن قدرا من حفظ النفس ، رغم ما يواجه المجتمع من أزمات عبر التاريخ ، وهو ما يجعل المجتمع الإسلامى أقوى وأصح ، ومن هنا يمكننا القول : إن تطبيق مفهوم الملكية بواجباتها الاجتماعية ليعد واحدة من أبرز سمات المجتمع الإسلامى .

---

(٤٠) راجع ، مجلة الأحكام العدلية ، مادة : ١٢١٤ — ١٢١٣ ، وراجع محمد قطب : الإنسان وحقوق الإنسان ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، الطبعة الثانية ، ص ٤٢٤ .

(٤١) الترمذى ، زكاة ، ٢٧ .

(٤٢) عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ط ١١ بيروت ، ص ٣٠٦ ، ٣١٩ .



تكريم الله للإنسان

للأستاذ / محمد عبد المحسن النقاوى (*)

كرم الله ـ عز وجل ـ الإنسان وميزه على غيره من المخلوقات بأوجه تفضيل كثيرة ، فبالإضافة إلى أنه ـ سبحانه ـ خلقه فى أحسن تقويم ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ ، منحه : نعم العقل والقلب واللسان . ووهبه نعم السمع والبصر والجوارح حتى يكون مهيئا لتعلم البيان . وذلك من منن الرحمن على الإنسان . يقول ـ عز شأنه :

﴿ الرحمن ① علم القرآن ② خلق الإنسان ③ علمه البيان ④ ﴾ سورة الرحمن

وقد ركّب الله ـ تعالى ـ فيه بقدرته ما منحه من نعم وقوى فى صورة متوافقة ومتعاونة بما يجعله أهلا لخلافة الأرض وتحمل الأمانة التى أشفقت منها السماوات والأرض والجبال .

جعل الله ـ عز وجل ـ الإنسان فى قمة مخلوقاته جميعاً ؛ ولذا فقد حرص الإسلام على تكريم الإنسان ، ورفع شأنه ، فنظر إليه نظرة تقويم ، ونظرة تكريم ، ونظـــرة تسويــد وإجلال ، ونظرة تأمين .

* أما نظرة التقويم فنراها فى قوله ـ سبحانه :

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ (1)

وأما نظرة التكريم لجميع أفراد النوع الإنسانى ، فتتضح فى قوله ـ سبحانه :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (2)

وأما نظرة السيادة فنلمسها فى تنصيبه خليفة فى الأرض ، قال ـ تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ (3) .

وأما نظرة الإجلال فنراها فى سجود الملائكة له فى الملأ الأعلى ، قال تعالى :

(*) مدرس اللغة العربية بركن الخليج البلد ـ دقهلية .

(1) سورة التين آية (4) .

(2) سورة الإسراء آية (70) .

(3) سورة البقرة آية (30) .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾(٦)

وأما نظرة التأمين فتتضح في قول الرسول ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه » رواه أبو داود .

وفي قوله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه أبو داود وأحمد .

* ونود أن نشير إلى بعض جوانب التكريم التي خص الله سبحانه بها الإنسان من بين سائر مخلوقاته :
* أولاً : أن له أفضل الصفات وكمال التناسق .
* ثانياً : أن له أحسن هيئة وأكمل صورة .
* ثالثاً : أن له نعمة العقل وطيب الطعام واللباس .
* رابعاً : أن له خلافة الله في الأرض وإعمارها .
* خامساً : سجود الملائكة له تحية وتكريماً .

وبعد هذه التوطئة التي أجملت بعض جوانب التكريم نبدأ تفصيلها :

أولا : أفضل الصفات وكمال التناسق :

● فمن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى جهز الإنسان بصفات متنوعة ووضع فيه من كل جنس قدراً معيناً يشاركه فيها ، وجعل من مجموع هذه الصفات مركباً نادراً لا مثيل له ، ولا يستطيع جنس آخر أن يباهي به على الإنسان وركبه من ثلاثة عناصر أساسية وهي :

ـ **العقل** : الذي يمثل التسامي والتفكير والوعي والإدراك والاختيار والحرية في الأمور .

ـ **الروح** : التي وهبها الله تعالى للإنسان ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾(٧) وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾(٨) .

ليتدرج الإنسان في مراقي الكمال والرفعة ، ويتعلق أمله بالله وتستمر روح الإنسان بعد وفاته محلقة في عالم الأرواح .

ـ **الجسد** : من المادة ، وما فيها من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها الإنسان مع بعض المخلوقات التي تقتصر عليها أحياناً ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين** ﴾(٩) .

● وإضافة إلى ذلك فقد خلق الله تبارك وتعالى الانسجام التام الكامل بين هذه العناصر الثلاث وأقام بينها التوازن العادل في الإنسان القويم ، وأن أي انحراف أو خلل في العناصر يؤدي إلى الشذوذ من جهة وتعطيل جانب أساسي من عناصر الإنسان من جهة أخرى .

فسبحان القائل : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(١٠)

ثانيا : أحسن هيئة وأكمل صورة :

● ومن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى خلق الإنسان على أحسن صورة وهو ما صرح به القرآن الكريم ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾(١١) أي في أحسن تعديل خلقاً وشكلاً .

---

(٦) سورة البقرة آية (٣٤) .
(٧) سورة ص آية (٧٢) .
(٨) سورة السجدة آية (٩) .
(٩) سورة ص آية (٧١) .
(١٠) سورة الانفطار آية (٧ ، ٨) .
(١٢) سورة التين آية (٤) .

صورة ومعنى .

قال علماء التفسير : وهو الاعتدال والاستواء ، بينما خلق غيره منكباً على وجهه ، وخلق الإنسان مستوياً ، مع امتداد القامة ، وحسن الصورة ، وله لسان ذلق ، وأصابع يقبض بها ، وزينه بالعقل ، وهداه بالتمييز ، ويتناول مأكوله بيده ، ويختار الطيبات بنفسه ويؤدي أوامر الله .

ثالثاً : نعمة العقل وطيب الطعام واللباس :

● ومن أوجه التفضيل التي ذكرها العلماء في تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى حمل الإنسان في البر والبحر والجو ، وأن الله خصه بأنواع المطاعم والمشارب والملابس ، وأن الإنسان وحده يكسب المال خاصة دون الحيوان ويلبس الثياب ويأكل الطيبات من الأطعمة ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾[12] .

وقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[13] .

● حكى الطبري عن جماعة : أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم ، وروى ذلك عن ابن عباس ، وقال الضحاك : كرمهم النطق والتمييز ، وقال عطاء : كرمهم بتعديل القامة وامتدادها وقال الطبري : بتسليط الإنسان على سائر المخلوقات وتسخير سائر الخلق له .

● وأرى أن هذه المميزات صحيحة ولكن أهم ميزة يستحق بها التفضيل على غيره هي العقل وهو ما رجحه القرطبي - رحمه الله - وبينه بقوله : « والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف » .

رابعاً : إخلافه في الأرض لعمارتها :

● وزيادة في تكريم الإنسان وأنه المخلوق المفضل عند الله تعالى ، وأنه المستخلف من عند الله في أرضه ، فقد سخر له ما في الكون كله وجعله تحت تصرفه ومكنه من استعماله واستغلاله ، وسلطه على تذليله واستخدامه ووهبه الملكات والقدرات على اخضاعه ليستطيع تحقيق مطامحه والوصول إلى آماله وأهدافه .

● والمتأمل في آيات الذكر الحكيم - التي يضيق المقام عن ذكرها أو حتى ذكر بعضها - يجد أن الله عظمت قدرته ، سخر الأرض للإنسان وجعلها له مقراً وذللها له طوعاً ، ثم أمره أن يمشي في أرجائها والسعي في جنباتها فقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[14] .

● ويبين القرآن الكريم كيف أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل شيء : الأرض والسماء ، الشمس والقمر ، الليل والنهار ، الفلك والبحار ، فقال تعالى في آية جامعة تبين أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل شيء .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ

(١٢) سورة الإسراء آية (٧٠) .
(١٣) سورة الأعراف آية (٣١) .
(١٤) سورة الملك آية (١٥) .

بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[15].

ونلحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان خلق له ما يتوقف عليه بقاؤه ويتم به معاشه مما في الأرض جميعاً لينتفع به.

● وهناك عدة ملاحظات تستوقفنا في قضية التسخير:

* في تقديري أن هذا التسخير يعتبر دعوة ملحة للنظر في الكون والبحث في مكوناته للاستفادة مما ادخره الله فيه وأن يضرب الإنسان في أرجاء الأرض للبحث والتنقيب والسعي والجد والإعمار للأرض وبنائها وإقامة المدنية والحضارة فيها، وهو مراد الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[16] ثم أمر بالنظر والبحث والتنقيب والكشف في آفاق الكون فقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[17].

* أن الله تعالى سخر الكون للإنسان لتحقيق رفاهيته وتأمين سعادته، وتوفير الكفاية له وتدبير أسباب العيش وحتى خيرات الأرض واستخراج دفائنها، لذلك حذر القرآن الكريم من استغلال الكون للضرر والفساد وأحاطه بسياج من التوجيه والتنبيه ليبقى على الصراط السوى ويسعى نحو الخير، ويتجنب سبل الشر، وقد توعد من يفسد في الأرض بالخسران. قال تعالى: ﴿ .. وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[18] وقال تعالى: ﴿ .. وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[19].

● ونتيجة لذلك فقد استفاد المسلمون الأوائل من هذا التوجيه القرآني وأعملوا عقولهم في شئون الكون وسخروا آلاءه إلى أقصى حد ممكن وأنشأوا حضارة باسقة وعلوماً زاهرة ومدنية راقية.

● بينما نجد المسلمون في العصر الحاضر واكتفوا بالقشور عن اللب، ووقفوا عند الشكل الخارجي للإسلام، وحصروا فكرهم وعقلهم في تلاوة القرآن الكريم بلا فهم ولا تدبر ولا تطبيق فكان ذلك من أسباب تأخرهم.

* ورحم الله من قال:

عارٌ على أمةٍ ذاق الوجود بها
أن يستبيح حماها خائن الذمم
كنا أساتذة الدنيا وسادتها
فما بالنا اليوم أصبحنا من الخدم

● بل بلغ الأمر ببعض أبناء الإسلام من المستغربين أنهم اتهموه بالجمود والرجعية وأنه يتنافى مع العصر الحديث، ويقف في سبيل التقدم ويتعارض مع العلم ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ وعن هؤلاء قال القرآن الكريم: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[20].

---

(15) سورة إبراهيم آية (32، 34).
(16) سورة هود آية (61).
(17) سورة يونس آية (101).
(18) سورة البقرة آية (27).
(19) سورة البقرة آية (205).
(20) سورة الأعراف آية (179).

● وعذر هؤلاء – إن كان لهم عذر – أنهم لم يفتحوا كتاب الله تعالى ولم يتدبروا آياته ولم يبحثوا في تراث السلف الصالح بل تخرجوا على أيدي المستشرقين وأذنابهم وغذوا من ثقافة المستعمرين وأتباعهم .

● **ولأننا ابتعدنا عن منهج الله سبحانه وتركنا سنة نبيه ﷺ كان جزاؤنا أن صرنا في ذيل الأمم بعد أن كنا في مقدمتها .**

* ورحم الله القائل :

أنى تذكرت والذكرى مؤرقة
مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
ويح العروبة كان الكون مسرحها
فأصبحت تتوارى في زواياه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يملكنا شعب ملكناه

● ولكن وبرغم كل هذا الضباب وبرغم ما نحن فيه من محن وآلام لا نعدم من يقول :

تهون الحياة وكل يهون
ولكن إسلامنا لا يهون
نضحي له بالعزيز الكريم
ومن أجله تستحب المنون

ومن يقول :

مسلمون مسلمون مسلمون
حيث كان الحق والعدل نكون
نرتضي الموت ونأبى أن نهون
في سبيل الله ما أحلى المنون

خامسا : سجود الملائكة تحية وتكريما

● ومن مظاهر تفضيل الإنسان على سائر الموجودات أن الله سبحانه كلف الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك الأمر الإلهي لم يقتصر على اختيار الإنسان خليفة في الأرض ، بل أكد ذلك في السماء والجنات العلا وقرنه بالفعل والتطبيق وأعلن ذلك في الملأ الأعلى عن إرادته في خلق آدم وإيجاده خليفة وسجل ذلك في اللوح المحفوظ وأنزله وحيا يتلى على البشر فقال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (21)

● وقد تكررت هذه القصة في سور كثيرة في القرآن الكريم لتذكير الإنسان :

* بفضل الله تعالى عليه .
* وليعرف مكانته في الوجود والكون .
* وليحذر من غوايه إبليس اللعين .

● قال علماء التفسير : أمرهم بالسجود لآدم على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واعتذارا عما قالوا فيه وبعد، كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام وهو سجود تعظيم وتسليم وتحية لا سجود عبادة .

● **ونستنتج من تكليف الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ما يلي :**

---

(21) سورة ص آية (71 – 74) .

* أن الملائكة الذين هم من جبلة خاصة وهم مفطورون على الخير المطلق والطاعة الكاملة قد كلفوا بتعظيم الانسان واحترامه مما يدل على أن عنصر الخير فى الانسان أساسى وأنه إذا استخدمه بشكل جدى فى الاتجاه الصحيح مع دفع المقاومة الجسدية والمادية والوقوف حائلا أمام الشهوات والغرائز والمغريات الأرضية فإنه حينئذ أقوى شكيمة من الملائكة وأكثر عزما على مرضاة الله تبارك وتعالى وأشد قربا من الملائكة لجلال الله سبحانه وتعالى .

وهذا ما صرح به كثير من علمائنا : أن الانسان يفضل الملائكة أحيانا واحتجوا بأدلة أخرى منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ (٢٢)

على قراءة الهمز « البريئة » من برأ الخلق أى هو خير الخلائق وقال ﷺ « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » رواه أبوداود والترمذى .

* أن الانسان مفطور على الخير وأن ما يصدر منه من شر فهو أمر عارض أو نزوة جانبية يقول تعالى ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٣)

ويقول الرسول ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البخارى ومسلم .

وهذا هو القول الراجح عند العلماء .

* أن إباء إبليس عن السجود لآدم يعتبر عصيانا واستكبارا فاستحق به اللعنة والوصف بالكفر والعذاب بالجحيم وهذا يدل على أن جند إبليس الذين يتصفون بهذه الصفات ويتكبرون على الله ويعصون أوامره ويغترون بما وهبهم الله تعالى من المنح والعطايا الإلهية إنما يقلدون إبليس ويرتدون صفاته وسوف يكون جزاؤهم جزاءه ومصيرهم مصيره .

كما يدل هذا المشهد القرآنى من أمر الملائكة بالسجود لآدم وإباء إبليس لذلك على هذا الصراع الدائر اليوم وكل يوم بين الخير وأهله ، وبين الشر وأهله وأن الصورة واحدة والمشهد يتكرر لينال كل فريق جزاءه ويصل كل فريق الى هدفه قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ (٢٤)

الخاتمة

● وبعد هذا التطواف السريع فى بيان أوجه تكريم الله ــ سبحانه وتعالى ــ للإنسان ، نود الإشارة الى ان هذه الفضيلة للإنسان توجب عليه ــ عقلا وشرعا ــ أن يعرف :

* فضل الله تعالى عليه .
* مكانته عند ربه سبحانه وتعالى .
* الغاية التى من أجلها خلق .

● كما توجب عليه :

* أن يشكر ربه على هذه النعم العظيمة .
* أن يلتزم بشرع الله ويقف عند حدوده ويقصد مرضاته ، ليحقق إرادة الله ومشيئته سبحانه ويفوز برضوانه وجنته

---

(٢٢) سورة البينة آية (٧)

(٢٣) سورة الروم آية (٣٠)

(٢٤) سورة الزلزلة آية (٧ ، ٨)

* كما نود إسناد هذا البحث القيم علميا ، بتعنى إحاطة القارىء بأهم المراجع التى استدام اليها فى تحريره



يعد ابن الفارض أحد كبار الشعراء المصريين ، واسمه « أبو حفص عمرو بن أبي الحسن علي ابن المرشد بن علي » ولد ونشأ في مصر وتوفي عام ٦٢٣ هـ/١٢٣٥ م فيها .. يحتل مكانة ممتازة بين الشعراء المصريين ، وهو أيضا من أحسن من عبر عن فكرة التصوف في أشعاره[١] .

ومن أهم الموضوعات التي عالجها في أشعاره موضوع « الحب الإلهي » ، ولقد اهتم بهذا الموضوع اهتماما بالغا يجعلنا نقول : « إنه وهب حياته لهذا الحب ... ولعل ما يقصد ابن الفارض إليه هو أن حب الله هو الحياة ، وكأن قلب الإنسان خلق له ، وأن اتصال القلب بمحبوبه ــ وهو الله ــ حياة لهذا القلب ، وانقطاعه عنه موت له .

(*) الكاتب : جامعة الأقيات في أزمير .

(*) اللغة العثمانية تختلف عن اللغة التركية في عصرنا هذا لأن العثمانية تجمع بين العربية والفارسية والتركية . بينما اللغة التركية الحديثة تجمع بين الانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية .

(١) زكي مبارك ، التصوف الإسلامي ، ج١ ، ٢١٥ ، بيروت بلا تاريخ .

على أن فائدة هذا الحب لا تقتصر على الانسان كفرد ، وإنما هي تتعداه الى المجتمع كله ، حين يصبح الحب مصدرا لكل فضيلة اجتماعية أيضا ، وذلك أن الحب الإلهي يستتبع محبة الرسول ـ ﷺ ـ ومحبة الأسرة ومحبة المجتمع ... وبهذا يصبح الحب الإلهي بما يستتبعه من أنواع الحب الأخرى بابا للخير كله ، فهو إذن حياة للفرد ، وحياة للمجتمع[2] .

ولابن الفارض ديوان مشهور متوسط الحجم يحتوى على أشعاره[3] وقد نال هذا الديوان إعجاب الكثير من العلماء المسلمين والأوروبيين ، وأجريت عليه دراسات وبحوث كثيرة .

ومع ذلك فقد كان من بين هذه الدراسات ما عارضه ووجه الانتقادات ضد أفكاره .

وأطول منظومة فى ديوان ابن الفارض وأشهرها هى المنظومة المساة بـ « نظم السلوك » تتكون هذه المنظومة من ٧٦١ بيتا واشتهرت هذه المنظومة باسم « التائية الكبرى » وصدرها هو :

شقتنى حميا الحب راحة مقلتى

وكأسى محيا مَنْ عن الحسن جلت

والشعر بكامله تصوير لحياة الشاعر الصوفية . ولهذا الشعر شروح كثيرة فى اللغات الشرقية[4] .

وإسماعيل بن أحمد الأنقروى المولوى (١٦٣١م) هو أحد المؤلفين الأتراك الذين شرحوا منظومة ابن الفارض الطويلة المسماه بالتائية الكبرى ، وقد كان أحد شيوخ الطريقة المولوية ، وله تصانيف مختلفة فى التصوف والأدب[5] .

وقد اشتهر باسم « شارح المثنوى » ولقد عرف بهذا الاسم لأنه من أهم شارحى « المثنوى » المكون من ستة مجلدات لمولانا جلال الدين الرومى أحد الشعراء الصوفيين .

واسم الشرح الذى ألفه الانقروى للتائية الكبرى هو « المقاصد العلية فى شرح التائية » وقد ألفه باللغة العثمانية ، وله ثمانى نسخ مخطوطة فى « مكتبة سليمانية » باستانبول ، ومن بينها النسخة المدونة رقم (٢٢٠) فى قسم (خالد أفندى) ، والتى نسخت سنة ١٠٢٥ هجرية .

وأما التسجيلات الموجودة فى المكتبة فهى بخط المؤلف نفسه .

وهذه النسخة تتكون من ١٧٩ ورقة كبيرة ، وتاريخ نسخها ١٠٢٥ هجرية ، أى قبل وفاة الشارح بستة عشر عاما .

والنسخة الى وردت فى قسم (برتو باشا) بمكتب سليمانية برقم ٢٧٦ قد نسخت بخط ممتاز ، وفى كل صفحة ٢٥ سطرا ، ومجموعها

---

(٢) أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ، مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٣) انظر : ديوان ابن الفارض ، تحقيق : الدكتور عبدالخالق محمود ، القاهرة ١٩٨٤ .

(٤) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ص ٢٦٥ : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ج٧ ص ، ١ ، ٣ .

(٥) انظر : الدكتور أرحان يتك ، اسماعيل الانقروى حياته وآثاره وآراؤه الصوفية استانبول ١٩٩٢ .

عبارة عن ١٧٨ ورقة ، وتاريخ نسخها ١١٨٠ هجرية .

يتحدث الشارح الإنقروى فى بداية الكتاب عن جمال القصيدة التائية مع صعوبة فهمها ، ويقول : إنه أراد أن يشرحها باللغة التركية واستهدف إفادة غير العرب منها .

(ا) يستهل الشارح كتابه بمقدمة طويلة يوضح من خلالها المباحث المتعلقة بالتصوف ، ويشرح فى ثناياها بعض المصطلحات الصوفية ، وتعرض لهذه المباحث والمصطلحات تحت عناوين :

« الوجود ، الأسماء والصفات ، الحضرات الخمس ، الاصطلاحات » ويحتوى هذا الفصل على ٢٤ صفحة ، والكتاب يشتمل على ما يقرب من (٣٥٦) صفحة .

(ب) ويقوم منهجه على كتابة نص البيت أولا ثم تفسير معانى جميع المفردات التى وردت فى البيت ، مع الإشارة إلى اللطائف الدقيقة فى هذه المعانى ، وذلك كله تحت عنوان « اللغات » ثم يبين رأيه فى المعنى المختار عنده ، والذى يتناسب مع البيت ويأتى أخيرا بالشواهد والأمثال .

(جـ) وفى قسم « الإعراب » يخوض المؤلف فى تحليل البيت من الناحية النحوية تحليلا شافيا .

(د) وفى قسم « المعنى » يقدم ترجمة البيت باللغة التركية ، ويستخدم فى الترجمة (اللهجة التركية العثمانية) المتداولة فى القرن السادس عشر ، وذلك مما يجعل فهمه صعبا حتى على أبناء اللغة التركية أنفسهم .

(هـ) تحت عنوان « التحقيق » يأتى بحديث طويل يقدم فيه إيضاحات مفصلة فى علم التصوف ، فى منتهى الدقة والعمق .

ولهذا الشرح ــ المسمى بالمقاصد العلية ــ أهمية بالغة من عدة نواح :

أولا : أن قسم اللغات فيه يحتوى على معلومات رائعة عن خصائص اللغة العربية وهو ما يعنى للأتراك الكثير .

وإلى جانب هذه الدقائق اللغوية يورد الشارح ــ إذا اقتضى المقام ــ التعبيرات العربية والمصاريع والأبيات للشعراء والأمثال .

ويروى عن المؤلفين الصوفيين (وفى مقدمتهم محيى الدين بن عربى) جملا تتناسب مع الموضوع ، وينقل أيضا أبياتا فارسية كثيرة وآثارا منظومة .

. . . .

وحتى يفهم القارىء هذا كله ، فهو بحاجة ماسة إلى الإلمام باللغات الثلاث . العربية والتركية والفارسية .

إن المقاصد العلية كتاب هام وخصوصا لمن يريد أن يتعرف على أفكار ابن الفارض ، أو لمن يريد أن يساهم فى فهم الثقافة الصوفية ، أو الذى يرغب فى مساعدة الأتراك فى فهم دقائق اللغة العربية .

وأرجو أن أستطيع نشر هذا الشرح فى أقرب وقت ممكن إن شاء الله .

من يحق له أن يتحدث باسم الإسلام ؟

بقلم د/ محمد شامة

ينفرد الإسلام عن غيره من الأديان بأنه لا يقر الطبقية ، فالناس فى المجتمع الإسلامى سواسية فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ، ولا يملك أحد من البشر مقياس التقوى ؛ لأنها من الأمور التى لا يطلع عليها أحد إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، غير أن الحياة لا تسير إلا إذا وُضع كلٌ فى موضعه ، طبقاً لإمكاناته وتخصصاته فلا يمارس المهندس مهنة الطبيب ، ولا يتصدى الطبيب للشئون الهندسية أى أنه لا يقوم أحد بعمل إلا إذا كان قد أتقن ــ عن طريق التعليم والتدريب ــ قواعده وألم بكل جزئياته وأحاط بالمعرفة اللازمة لممارسة هذا العمل وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الإسراء ــ ٣٦

فخوض الإنسان فيما لا يتقنه إهدار للتخصصات وضياع للجهد والمال وتخريب لمنظومة مسيرة الحياة قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء ــ ٧

وبالتالى فهو يؤدى إلى التخبط والبلبلة وفقدان الثقة فى مصادر الإنتاج والمعرفة ، لأن كلاً يعرف كل شىء ، فإذا بحثت عن الحقيقة فهيهات أن تصل إليها ؛ لأنك لا تستطيع أن تفرق بين من يعرفها حقاً وبين من يدعى أنه يعرفها .

ومن هنا فقد حذر الإسلام من « ادعاء المعرفة » ، ونهى عن الخوض فيما هو مجهول ، فلا يجوز لأحد ــ إسلامياً ــ أن يتصدى لعمل شىء ما ، إلا إذا كان متأكداً من الإلمام به ، وقادراً على تأديته على أكمل وجه :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ، ولا يستطيع أحد التفريق بين ما هو خير وما هو شر ، إلا إذا كان عالماً بالموضوع ، وملماً به ، ومتمكنا من كل ما يتعلق به ، بالقدر الذى يؤهله لإتقان ما يقوم به :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

فإذا ساد هذا المعنى فى المجتمع ، انتظمت خطواته ، وتلاقت أنشطته المختلفة فى منظومة يكمل بعضها بعضاً ، فتلاقح فى نغمات متناسقة ، أو تتدافع فى إطار تنافسى للوصول إلى الأصلح ، فيأخذ مكانه فى مسيرة التقدم ، ويتفاعل مع مثيله فى بناء صرح الحضارة ، وتشييد منارة التقدم .

أما إذا خاض كل فيما لا يعرف وادعى ما ليس له ، انزلق المجتمع إلى متاهات لا يعرف المرء فيها طريقاً ، ولا يرى منها مخرجاً ، ولا يسمع

إلا أصواتاً متداخلة ، ونغمات متنافرة ، وادعاءات ممجوجة ، تتقاذفه يمينا وشمالاً وتصب فى أذنه تفسيرات وتأويلات تقذف به فى مهاوى الشك والقنوط حينا ، وتبعث عنده الأمل فى اليقين أحياناً أخرى ؛ ولهذا ينبغى على صاحب القرار أن يميز المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ، بحيث يُعرفون للجماهير ، فلا يتطفل الجاهلون فى مجال الفتوى الدينية ، فيَضلوا ، ويُضلوا ، ولا يتصدر أنصاف العلماء لتدريس العلوم الشرعية ، كى تصان التعاليم الإسلامية من شطحات المفكرين ، وتبقى الأحكام بعيدة عن سقطات غير المتخصصين .

كيف يُميَّزون ؟

ينقسم العمل فى مجال الدراسات الدينية إلى قسمين :

الأول : الوعظ والإرشاد والفتوى وإمامة الصلاة ، وتعليم الناس مبادىء الدين وأحكامه .

الثانى : البحوث « الأكاديمية » التى يهم الباحثون فيها بمنطوق النصوص ومفهومها ، وصحة الرواية وفسادها ، كما يركزون فيها على استنباط الأحكام ، مع مراعاة طبيعة العصر - هكذا يجب أن يكون - ومقتضياته ، بما يلبى ضرورات الحياة فى إطار مجتمع دولى ، يركض حثيثاً على طريق العلم و « التكنولوجيا » ، ويسرع الخطا فى ساحات التقدم والازدهار .

ومن الأمور البدهية أن لكل قبيل رجاله ، من حيث التأهيل والتدريب ، والإمكانات ، فمن يعمل فى مجال القسم الأول ينبغى أن يؤهل فى مؤسسات علمية خاصة ، كالأزهر وما يماثله ، بشرط أن تكون مناهج التأهيل شاملة لكل ما يحتاج إليه الداعية من علوم وثقافة وتدريب على وسائل العصر فى مخاطبة الجماهير ، ومواجهة مشاكل المجتمعات المعاصرة . ولا يتحقق الهدف كاملاً إلا إذا كان اختيار العناصر المتقدمة لبرنامج التأهيل على وعى تام بمتطلبات العصر ، والاحتياجات اللازمة لمواجهة التيارات الفكرية التى تموج بها المجتمعات ، سواء كانت مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية ، بالإضافة إلى مراعاة الدقة فى اختيار الدارسين لهذا المنهج ، حتى لا يخرج إلى الساحة عناصر عاجزة عن الاتصال بالجماهير بسبب قصورهم الذاتى ، أو خلل فى المنهج ، أو عدم وضوح الرؤية عند من يتصدى لتأهيلهم .

ولكى لا يدخل الساحة مُدَّعُون ، يبلبلون الأفكار ، ويخدعون الجماهير ، ينبغى أن يكون للدعاة زى خاص بهم لا يشاركهم فيه أحد ؛ حماية لهذا المجال من الانتهازيين ، وصوناً لمبادىء الإسلام من أن يشوهها للناس جاهل ، أو يشيع الفتنة فى المجتمع حقود ، أو يتطاول عدوّ على مبادىء الإسلام ، فيعلمها لشبابنا بأسلوب يبعدهم عن روح الإسلام الصافية الخلاقة ، فيدمر حياتهم بالسلبية والاتكالية ، والاستغراق فى عالم الأساطير والخرافات .

وليس هذا الاقتراح بدعاً من القول ؛ بل هو قائم على أساس منطقى ، وله مبررات عظيمة ، ذلك أن دواعى أمن الدولة اقتضت أن يرتدى أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة زياً خاصاً بهم ، حتى لا يدخل فيهم من ليس منهم ، فيرتكب حماقات تضر بأمن الدولة ، أو يعتدى على أمن المواطنين وحقوقهم .

كذلك الحال بالنسبة لأهم جانب يؤثر فى حياة الناس . ألا وهو الدين ، إذ لو فسدت الثقافة الدينية ، لاختلت حياة الناس ، واضطربت أحوالهم ، وضاع الاستقرار النفسى والأمن الروحى ، مما يؤثر على إنتاجهم ، ويعوق مسيرتهم نحو التقدم والازدهار ، فتأمين منابع الثقافة الدينية أمر ضرورى ، بل هو لا يقل أهمية عن حماية الدولة من الأعداء ، أو السهر على أمن المواطنين من المخربين والمنحرفين ، ولهذا ينبغى على صاحب القرار ألا يتوانى فى إصدار قرار يحدد الزى الخاص بالدعاة والأئمة وخطباء المساجد ، بحيث يُجرِّم من يتعدى عليهم ، فيتزى بزيهم .

ألا يؤدى هذا إلى تكوين طبقة ، تميِّز الإسلام عنْ غيره بعدم وجودها ، ألا وهى طبقة رجال الدين ؟؟

لا ، لأن مهمتها تختلف عن مثيلاتها فى الأديان الأخرى ، فهم لا يجوز لهم التشريع كما يشرع أمثالهم فى المجتمعات غير الإسلامية ، وليسوا مقدسين كما يقدس أتباع الأديان الأخرى رجال الدين عندهم ، فالوعاظ والأئمة فى الإسلام لا يختلفون عن أى مسلم آخر فى المجتمع ، فلا يفضلون على غيرهم إلا بالقياس الدينى العام ، ألا وهو التقوى ، فقد يكون هناك مسلم لا يشتغل بالثقافة الدينية ، وتقواه ترفعه إلى درجة أعلى من الإمام ، أو الواعظ ، إذن ، فتميزهم بزى خاص لا يعطيهم حصانة ، ولا يرفع درجاتهم بين المسلمين إلى مرتبة القداسة ، وليس لهم فى المجتمع إلا احترام الناس لهم باعتبارهم خداماً لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، كما يُكنُّ التلميذ الاحترام لأستاذه ، أياً كانت المادة التى يقوم الأستاذ بتدريسها للتلميذ .

وكما يمنع غير المتخصص فى الدراسات الإسلامية من ارتداء زى الأئمة والوعاظ ، ومن يتصدرون لتثقيف المسلمين وتفقيههم فى الدين ، كذلك لا يجوز للمتخصصين القيام بأعمالهم ، إلا إذا ارتدوا الزى الذى يُخصَّص لهم ، مثلهم فى ذلك مثل رجال القوات المسلحة وأفراد الشرطة .

وليس معنى هذا أن للإسلام زياً خاصاً ، يطلق عليه « الزى الإسلامى » ، كما يدعى ذلك بعض الذين أقحموا أنفسهم فى مجال التحدث باسم الإسلام ، فالرسول ﷺ لبس جميع أردية عصره ، حتى الجبة الشامية[1] ، ويحكى أنها كانت ضيقة عند المعصم ، فكان الرسول ﷺ يخلع يده اليمنى عند الوضوء فيغسلها ثم يلبسها ، وبعد ذلك يخلع اليسرى فيغسلها ، ثم يلبسها . وعدم تخصيص زى للمسلمين يدل على أن الإسلام دين عالمى ، إذ تتفق عالميته مع عدم تخصيص زى معين للمؤمنين به ؛ ذلك أن طبيعة الزىّ ـ وشكله ـ تتعلق بالطقس ، فما يرتديه المرء فى المناطق الحارة لا يمكن لسكان المناطق الباردة ارتداؤه ، وإلا تجمد من البرد ، فلو سلمنا جدلاً ـ بأن الجلباب الأبيض « القصير » هو الزىّ الإسلامى ، وألزمنا كل من يعتنق الإسلام بارتدائه ، لانحصرت دائرة المؤمنين به فى سكان المناطق الحارة ؛ لأن تعاليمه ـ على الأقل

---

(١) البخارى ـ كتاب اللباس : باب من لبس جبة ضيقة الكمّين رقم الحديث ٥٧٩٨ .

فيما يتعلق بالزىّ ـ تلائمهم وحدهــم ، ولا تتمشى مع متطلبات طقس المناطق الباردة ، إذا لو اعتنق الإسلام أحد سكان هذه المناطق ، لكان لزاماً عليه ـ بناء على رأى من يخص الإسلام بزىّ معين ـ أن يرتدى هذا الزىّ وهو الجلباب « الأبيض القصير » ، وفى هذه الحالة سوف يموت من شدة البرد بعد فترة قصيرة لا تتعدى بضع ساعات ، وبذلك لا يكون للإسلام مكان فى هذه المناطق ؛ لأن من يلتزم بتعاليمه فى هذا المجال ، سوف يموت ، وبالتالى لا يجرؤ أحد .. حتى على التفكير فى اعتناقه . ويترتب على هذا أن يقتنع من يسمع من هؤلاء المنادين بتحديد زىّ خاص بالإسلام ، أن هذا الدين لا يصلــح إلا لسكان المناطق التى يتلاءم طقسها مع هذا الزىّ .

ألا يعد هذا متناقضاً مع الدعوة إلى تحديد زىّ خاص لمن يقومون بمهمة التثقيف الدينى ، كالأئمة والوعاظ وخطباء المساجد ؟؟

لا ، لأن هناك فرقاً كبيراً بين الاتفاق على تحديد زىّ خاص ـ أياً كان شكله ولونه وهيأته ـ لمن يعملون فى حقل الدعوة الإسلامية ، وبين أن يدّعى أن للإسلام زياً خاصاً به ؛ لأن المجتمع فى الحالة الأولى ليس ملزماً بنوع معين من أشكال الملابس ، فهو حر فى اختياره طبقاً لظروف الزمان والمكان ، بخلاف الوضع فيما لو اعتبر شكلاً مقدساً لا يحيد عنه ، كذلك يمكن تغييره فى أىّ وقت إن اقتضت الظروف ذلك ، بخلاف ما لو كان إلزاماً دينياً ، فلا يجوز تغييره ، وإلا ارتكب إثماً يعاقب عليه .

هل يقبل الأئمة والوعاظ وخطباء المساجد ارتداء هذا الزىّ عن طيب خاطر ، خاصة وأن الاتجاه العام يمكن أن يوجه إلى اختيار ما هو معروف لعلماء الدين ، وهو العمامة والجبة (أو ما يطلق عليه « الكاكولا ») ، وهو لباس معوق للحركة وسط هذا التدافع فى الشارع المزدحم ، وفى وسائل المواصلات الراهنة ، التى يشترط فيمن يستخدمها أن يكون سريع الحركة ، بحيث لا تقيدها (جبة) ، ولا يحد من انطلاقها عمامة فوق الرأس ؟؟؟

أعتقد أنهم سيرحبون به لو اقتصر على طائفتهم ، فذلك سيسهل عليهم كثيراً مما يمكن أن يعانى منه من يرتدى هذا اللباس ، فالمساعدة ستقدم لهم فى كل مكان ، وستذلل لهم الصعاب أينما حلوا ؛ لأن الناس سينظرون إليهم نظرة إجلال واحترام ، مع العلم بأنه ليس من اللازم أن يرتدوا هذا الزىّ فى كل الأوقات ، بل يكفى أن يرتدوه أثناء تأدية عملهم ، وما عدا ذلك فهم أحرار فيما يرتدون .

أ محمد شامة

« تقدم المجلة هذا المقترح عملاً بحرية الرأى ، ثم هو بين يدى العلماء ، ولهم النظر فى أمره . ولقد نذكر أنه حدث ـ تقريباً فى عهد الرئيس الشيشكلى ـ شىء من هذا القبيل ، ورفضه سماحة الشيخ الخوتكى من علماء سوريا ، وكان لرفضه أسبابه . وقد تختلف وجهات النظر ؛ فكان هذا المقترح .

« مجلة الأزهر »

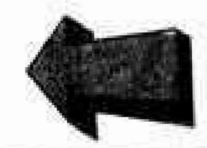


في الكتب المدرسية في أوربا الغربية

٢

أ. د/ عبدالجواد فلاطوري (*)

إذا ما انطلق المرء من الاعتقاد الخاطيء والمغرض — الذى أشرنا إليه فى الحلقة السابقة — والذى يتمثل فى القول بأن العلاقة بين الله — تعالى — والانسان يحكمها الجبر والتسلط من جانب الله ، والخوف والاستسلام من جانب الانسان فإنه يتبادر إلى الأذهان أن القرآن عندئذ يعد بمثابة منهاج وبرنامج لهذه العلاقة ، وأن الرسول محمد — ﷺ — هو السلطة المنفذة لهذا البرنامج على الأرض ، بيد أن هؤلاء المغرضين من المؤلفين للكتب المدرسية الأوروبية لا يوجهون طعنهم للقرآن وللنبى ﷺ بطريقة مباشرة كما كان يفعل أسلافهم فى العصور الماضية .



(*) الأستاذ بجامعة كولونيا ومدير الأكاديمية العلمية الإسلامية .

وتود فيما يلي أن نورد مثالا آخر لمسألة العلاقة بين الله والإنسان في الكتب المدرسية يوضح الفهم الخاطىء والمغرض لمؤلفي هذه الكتب .

ورد في واحد من كتب التربية الدينية ما نصه :

« إن إرادة الله مدونة في كتاب المسلمين المقدس وهو القرآن وهذا يعني » ، وكما جاء في كتاب آخر : « أن المسلم الملتزم يبني على أساس من القرآن قبوله لكل شيء حتى ما يعتقده من التواكلية » وعليه فالقرآن يشكل أداة يفرض محمد ـ ﷺ ـ من خلالها على أتباعه الاستسلام للإرادة الإلهية ، حيث يتوعدهم بعذاب النار ، أو يعدهم باللذة والنعيم في الجنة مع الأبرار .

ولا يريد واضعو تلك الكتب بهذا الكلام مجرد التعبير عن نواياهم الخبيثة .

إن ما يهمهم هو عرض التعاليم التي جاء بها ـ ﷺ ـ بوصفها تمثل عاملا محركا على مستوى العالم يشكل خطرا محدقا بالعالم الغربي ، وذلك بالنظر بصفة أساسية إلى المهمة التي وضعها محمد ـ ﷺ ـ نصب عينيه ليحققها من خلال القرآن .

ومن هنا ، فإن هؤلاء المؤلفين يضعون في بؤرة اهتماماتهم وصف مراحل حياة محمد ـ ﷺ ـ بوصفه رجلا يمتلىء بالحيوية ، وبأن ظروف طفولته ، وخبرات شبابه وتأثير بيئته المحيطة به قد حفزته على إقامة (أيديولوجية) أدى إلى تطبيقها إلى الوصول بقومه إلى أن يعيشوا حياة يسودها النظام والسلام ، كما أوصلته شخصيا إلى مركز القيادة (فالأمر إذن لا يدور حول دين حقيقي له مقومات الدين ، وإنما يدور حول أيديولوجية كما يزعمون) .

وقد كانت الوسيلة المثلى للوصول الى هذا الغرض تتمثل في أمور ثلاثة هي : المال والقوة والله فالاعتقاد بإله قادر حكيم والخضوع الأعمى لإرادته كان له الفضل في تأمين المال والقوة ، فهذا الغرض قد أمكن الوصول إليه عن طريق التضحية بالنفس والمال ، وهذه التضحية تعد أعظم تعبير عن الخضوع غير المشروط للإرادة الإلهية ، سواء كان هذا الخضوع نابعا من الخوف من العقاب ، أم نابعا من الرغبة في الفوز بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة .

ويحتل (مفهوم الجهاد) ـ أو الحرب المقدسة كما يسمونه ـ أهمية خاصة في الكتب المدرسية من حيث إنه الوسيلة التي تؤدي إلى سرعة انتشار الإسلام . ومن هنا ينظر إلى الإسلام والمسلمين دائما على أنهم المنافس القوي والمزعج للحضارة الأوروبية .

ويزعم مؤلفو هذه الكتب أن الوضع السيء للمرأة في الإسلام دليل على أعمال البطش والتسلط في المجتمعات الإسلامية ، ويرون أن « الحدود » في الإسلام تعد دليلا واضحا على سطوة الظلم في العالم الإسلامي . ويسوق هؤلاء المؤلفة أمثلة من أفعال المسلمين في الماضي والحاضر سواء في داخل العالم الإسلامي أو خارجه بوصفها أدلة على ظاهرة العنف في الإسلام . وهكذا تترسخ هذه الأفكار الخاطئة وغيرها في أذهان التلاميذ الأوربيين ، وتقوم وسائل الإعلام الغربية

ـــ يوميا ـــ بزيادة تعميقها فى نفوس الناس ، الأمر الذى يزيد من صعوبة موقف الإسلام والمسلمين فى الغرب .

تصحيح الأخطاء :

إن السؤال الذى يفرض نفسه بإلحاح هو : إذا كانت الكتب المدرسية الأوربية تشتمل على الكثير من المعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين فما السبيل إلى تصحيح هذه المواقف السلبية ؟

إن مما لا شك فيه أن ذلك أمر لا يكفى فيه مجرد الإدانة والشجب والإدانة . فتصحيح هذه المفاهيم المغلوطة لا يكون إلا بالحجة القوية والمنطق السليم . وعلينا ـــ كمسلمين ـــ أن نخاطب الأوربيين بلغة الفكر والعلم والحضارة حتى يكون التفاهم معهم أمرا ممكنا . وهذا هو السبيل الذى اتبعته « الأكاديمية العلمية الإسلامية » فى « كولونيا » بألمانيا . فقد تبنت الأكاديمية مشروع التصحيح العلمى لما جاء فى الكتب المدرسية الأوربية عن الإسلام والمسلمين ، واستعانت بعدد من الخبراء الأوربيين الذين اقتنعوا بالمشروع واعتبروه واجبا حضاريا .

وقد بدأ المشروع أولا بفحص وتحليل الكتب المدرسية فى جمهورية ألمانيا الاتحادية مع بداية الثمانينات ، وبعد أن انتهى هذا المشروع فى عام ١٩٨٨ وصدرت حصيلة الدراسة فى ثمانية مجلدات ، تم توسيع نطاق البحث ليشمل الكتب المدرسية فى مختلف البلاد الأوربية : فى النمسا وبلجيكا وفرنسا وانجلترا وايطاليا والدانمارك وايرلندا وفنلندا واليونان والبرتغال وأسبانيا وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج ولوكسمبورج .

وقد كان لهذه الدراسة الشاملة صداها فى وسائل الإعلام المختلفة ولدى مؤلفى الكتب المدرسية فى أوربا ودور نشر الكتب المدرسية . وبدأت جهات تعليمية عديدة فى البلاد الأوربية تأخذ نتائج بحوثنا فى الاعتبار . وهذا كله يبين مدى جدوى الأسلوب العلمى فى تصويب المعلومات الخاطئة والأفكار الشائعة ، فالأوربى يبنى كل شىء على أساس من العقل والمنطق ، ولا يرضى بديلا عن هذا الطريق . ومن هنا فان على المسلمين ألا يرجعوا كل شىء فى علاقتهم بالغرب إلى روح العداوة والكراهية ، بل ينبغى عليهم أن يصححوا من موقفهم هذا ، ويدركوا أن خدمة الإسلام لا تتحقق إلا عن طريق عرضه بصورة موضوعية خالية من الانفعالات ، وبذلك يمكنهم الدخول فى حوار مثمر مع الآخرين من غير المسلمين .

ومما ينبغى ذكره هنا أن الأكاديمية العلمية الإسلامية فى عملها هذا قد وجدت كل الدعم والتأييد من الأزهر الشريف ، وسارت فى عملها معتمدة على مصادر الإسلام الأساسية ، مبتعدة عن كل الاختلافات المذهبية أو الطائفية . وهذا النهج الذى اتبعته الأكاديمية وجد كل الاستحسان والمساندة من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

فضيلة التقوى

لفضيلة الشيخ السيد عبدالفتاح خضير

التقوى بمعناها الفعلى ، أو العملى ، أو التنفيذ الإيمانى تتجلى فى المعانى السامية التى رسمها الخليفة الرابع الإمام على بن أبى طالب ـ كرّم الله وجهه ، ورضى عنه ـ حين قال :

التقوى هى : الإيمان بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والعمل لما بعد الرحيل .

ومنزلة التقوى سامية عالية يدركها من يستوعب تخصيص الله لها فى الوصاية لأصحاب الكتب السابقة وللمؤمنين من أصحاب القرآن الكريم ، فهى وصية عزيزة من رب عزيز لمن رضى عنهم ورضوا عنه وهداهم إلى تقواه وأمرهم بالتزود بها فقال تعالى :

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٧

فما أعظم التقوى وأعظم بها من صلة بين العباد ورب العباد ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١٣١

ولما عصت ـ عاد وثمود ـ وانتقم الله منهم بالريح الصّر ، وصاعقة العذاب الهون ، برزت التقوى لتكون سببا فى نجاة الذين آمنوا واتقوا .

فالتقوى سفينة نجاة لمن يركبها فى خضم الحياة المتلاطم بكثرة المعاصى والعصيان . قال تعالى :

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ سورة فصلت ـ آية : ١٨

وحين فرض المولى ـ سبحانه ـ الصوم على عباده المؤمنين كما فرضه على من سبقهم من الأمم ، جعله سبحانه وسيلة لغاية عظمى هى التقوى ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على علو منزلة التقوى ورفعة شأنها عنده ـ عزّ وجل ـ حيث جعل وسيلتها عبادة روحية هى الصوم .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

سورة البقرة ـ ١٨٣

ويوم القيامة تقف النفس المفرطة متحسرةً على تفريطها فى جنب الله ، وترجع ذلك إلى أن الله لم يهدها ، ولو هداها لكانت من المتقين .

وهذا القول على مافيه من مغالطة ؛ فإنه يقرر ويبين منزلة التقوى ، وأنها ثمرة للهداية حيث إن الهداية وسيلة إليها ؛ فالتقوى فوق الهداية ، وهذه منزلة تستوقف النظر من أولى الألباب الذين آمنوا . قال تعالى :

﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ .

سورة الزمر ـ آية : ٥٦ ، ٥٧

ولأن التقوى ذات شأن عظيم ؛ لأخذها بأيدى أصحابها إلى جنات النعيم ، فهى تتطلب من صاحبها جهادا ومجاهدة بالنفس والنفيس ومحاربة للدنىء والخسيس ، ومن أجل هذا لطف الله بعباده ورضيها منهم بقدر الاستطاعة مثل الحج فى الطاعة فهى فوق التصنع والتكلف مادامت من منطق : « الطاعة على قدر الاستطاعة » فالقليل منها كثير بإذن الله ، وهذا هو لطف رب العباد بالعباد قال ـ تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ .

سورة التغابن ـ آية : ١٦

ولمزيد من معرفة فضلها ومكانتها عند الله جعلها ـ سبحانه ـ بعد طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وبعد خشيته ـ عز وجل .

جعل ـ سبحانه ـ كل هذا سببا للفوز برضاه ولنيل الإنسان مبتغاه ، لما أشار ـ فى علاه ـ إلى أن أصحاب الطاعة والخشية والتقوى هم الفائزون ، فإذاً منزلة التقوى أسمى من منزلة الخشية ، مع أن منزلة الخشية منزلة رفيعة ، رفعت منزلة العلماء عند الله حيث يقول ـ سبحانه : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

وها هى سورة النور شاهدة على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ سورة النور ـ آية : ٥٢ .

كذلك فإن التقوى منفذ للخروج من الضيق والأزمات والكروب وكل ما يعكر صفو حياة المؤمن ، يقول ـ جل وعلا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ سورة الطلاق ـ آية : ٢ .

ومن ثمار التقوى التى يجنيها المؤمن أنها تكفر السيئات وتعظم الأجر عند الله ، وهى بهذا شقيقة لمجموعة الحسنات التى تذهب السيئات ، كما أشار المولى ـ سبحانه ـ إلى ذلك بقوله ـ تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ سورة هود ـ آية : ١١٤

من هذا نعلم أن التقوى بمفردها تعمل عمل الكثير من الحسنات فى تكفير السيئات ، وتبرز ذلك ـ جليا ـ الآية (٥) من سورة الطلاق قال ـ تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

فهذا فيض من غيض أو قليل من كثير ، لبيان منزلة التقوى وفضلها وثمارها للمتقين ، وهى التى تجسد السعادة لمن يريدها ، وتزلل لصاحبها الصعاب من الأمور ، حتى أنها تلين له أمثال الحديد كما حدث لسيدنا داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وهى خير من المال مجموعا لتحقيق السعادة ؛ بل هى خير الزاد ذخرا عند الله ، والأتقى له المزيد من ذلك عند الله ، ولله در القائل :

ألا بالصبر تبلـــغ ما تريـــــد ... وبالتقـــوى يلين لك الحديـــد

ولست أرى السعـــادة جمع مال ... ولكـــن التقـــى هو السعيـــد

وتقـوى الله خير الـــزاد ذخـراً ... وعنـــد الله للأتقـــى مزيـــد

جعلنا الله ممن يتقيه حتى يجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا .

السيد عبدالفتاح خضير
مجمع البحوث الإسلامية

إلى الســـادة الكتـــاب

على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ ـ اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

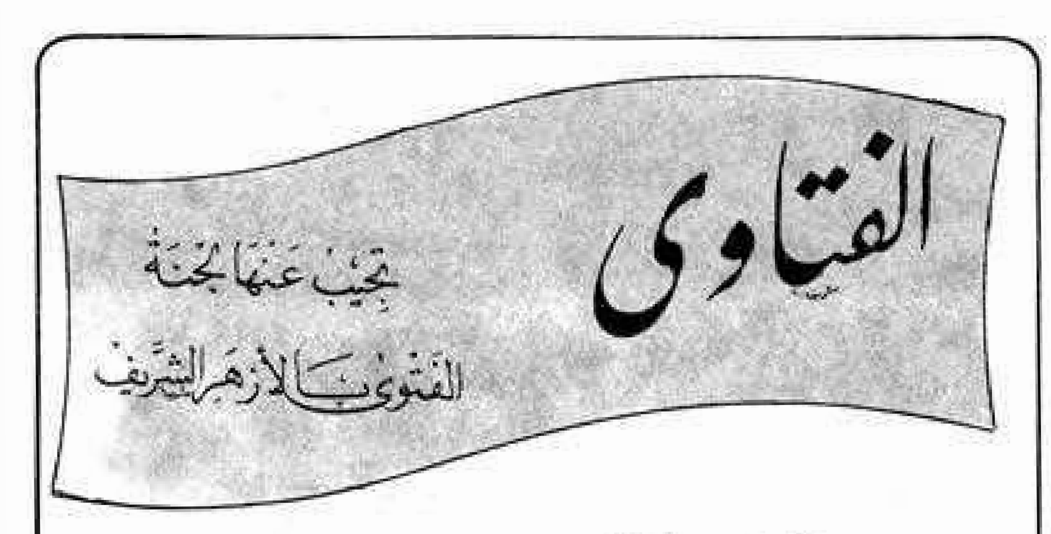
٢ ـ ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ ـ يُدوِّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .

وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .

هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الخالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير



إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

توفى رجل عن زوجة ، خمس بنات ، أخوة لأم ، عم شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنات الخمس الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للعم الشقيق تعصيبا ولا شىء « للأخوة لأم » لحجبهم بالفرع الوارث والله تعالى أعلم .

••••

● **السؤال من السيد / م.م.أ :**

ما حكم الدين فى تقسيم تركة المتوفى والذى تتكون أسرته من الزوجة ، ٦ بنات .

وقد توفى والده ، وله أخ من الأب متوفى له خمسة أولاد : ثلاث بنات وولدين ، وله أخت أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث وللبنات الست الثلثين فرضاً ؛ لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخت الشقيقة تعصيباً ، ولا شىء للذكور من أولاد الأخ لأب لحجبهم بالأخت الشقيقة ؛ لأنها صارت عصبة مع الغير ، كما أنه لا شىء للإناث من أولاد الأخ لأب ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

● السؤال من السيد: و.ع.م. من ميت غمر الدقهلية :

أنا شاب فى التاسعة عشرة من عمرى وأريد أن أسدد كل دين علىّ ولكنى أحب قراءة الكتب الدينية منذ أن كان سنى (١٢) عاماً ، وكنت قد أخذت بعض الكتب من جدى ومن بعض أصدقائى ولكن جدى مات . وقد تذكرت اليوم هذه الكتب وأنا فى حرج أن أعطيهم هذه الكتب .

فماذا أفعل وهل يحق لى أن أضعها فى مسجد . أفيدونا أفادكم الله ..

الجـــواب :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد .. فقد روى أصحاب السنن عن النبى ﷺ أنه قال : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » فرض عليك أيها السائل أن ترد هذه الكتب التى استعرتها إلى أصحابها ؛ لتبرأ ذمتك من اتهام ، كما ترد ما أخذته من جدك لورثته بعد وفاته ، فإنها دين فى ذمتك يجب أن تتخلص من تبعتها بردها إلى أصحابها ، ومادام أصحابها موجودين ومعروفين فلا يحل لك وضعها فى مسجد ، لأنها لازالت على ملك أصحابها وهم لم يتنازلوا عنها ولم يفوضوك فى وضعها فى مسجد فسارع إلى توصيلها لأصحابها ؛ لتكون توبتك مقبولة ، والحرج الذى تذكره لا مبرر له ولا يعفيك من المسئولية أمام الله ـ تعالى ـ .. والله يهديك سواء السبيل .

والله ـ تعالى ـ أعلم

●●●●

● السؤال من السيد/ ع.م.ع. من المطرية بالقاهرة :

هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقداً .. فقد قرأت بحثاً فى مجلة « الأزهر » بجواز ذلك مستنداً إلى حديثين لرسول الله ـ ﷺ ـ فما مدى صحة هذين الحديثين .

وقد حاول شخص أن يزرع الشك فى قلبى بأن هذا غير جائز وأن رجال الأزهر دائماً مختلفين فى هذه المسائل وأن مذهب أبى حنيفة هو القائل بذلك فقط . وأنا فى حيرة وخوف .

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .. فيجوز إخراج زكاة الفطر نقداً بناء على مذهب المالكية والحنفية : جاء فى المدونة الكبرى فى فقه الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن المشهور فى إعطاء القيمة فى الزكاة أنه مكروه لا محرم وقال ابن القاسم وأشهب من المالكية إخراج القيمة مطلقاً فى الزكاة جائز . فإخراج النقود عن زكاة الفطر وعن زكاة الزروع والماشية يجزىء مع الكراهة على قول وبدون كراهة على قول آخر .

أما الحنفية فإنهم يجيزون إخراج القيمة فى كل حال .

أما الحنابلة ، فقد روى أبو داود فى سننه : سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة قال : عشره على الذى باعه قيل له فيخرج ثمراً أو ثمنه ؟ قال : إن شاء أخرج ثمراً وإن شاء أخرج من الثمن فهذا النقل يدل على جواز إخراج القيمة عند الحنابلة .

استدل الحنفية ومن وافقهم على جواز إخراج القيمة بما يلى :

أولا قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾ فهو تنصيص على أن المأخوذ مال والقيمة مال فأشبهت المنصوص عليه .

ثانياً : روى البيهقى بسنده فى السنن الكبرى والبخارى تعليقاً عن طاووس قال : قال معاذ ـ رضى الله عنه ـ لأهل اليمن : ائتونى بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبى ﷺ بالمدينة . ذكر هذا الأثر البخارى فى صحيحه تحت عنوان باب العرض فى الزكاة .

ثالثاً : روى سعيد بن منصور فى سننه عن عطاء قال : كان عمر بن الخطاب يأخذ العروض فى الصدقة من الدراهم أى بدل الدراهم .

رابعاً : روى أحمد والبيهقى أن النبى ﷺ أبصر ناقة مسنة فى إبل الصدقة فغضب وقال : قاتل الله صاحب هذه الناقة (يريد الساعى الذى أخذها) فقال الساعى : يا رسول الله إنى ارتجعتها ببعيرين من حواشى الصدقة فقال : فنعم إذن ، فهذا الحديث يدل على أخذ الناقة ببعيرين وهذا إنما يكون باعتبار القيمة فالتحقيق رجحان ما ذهب إليه الحنفية ومن معهم من جواز إخراج القيمة حيث تسندهم فى رأيهم الأخبار والآثار كما يساعدهم النظر والاعتبار

والله تعالى أعلم .



طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« هي لله عندي »

قال الأصمعي : قيل لأعرابي معه ماشية : لمن هذه الماشية ؟

قال : لله عندي .

« إجابــــة مقنعـــــة »

سئل سلمان الفارسي : ما الذي يبغض الإمارة إلى نفسك ؟

فأجاب حلاوة رضاعها ، ومرارة فطامها .

« جفنـــة .. ومطهــرة »

دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان الفارسي يعوده ، وهو على فراش موته ، فلما رآه سلمان بكى !!

قال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ لقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض .

فأجابه سلمان : والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً .

فقال : « ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وها أنذا حولي هذه الأساور » ويعني بالأساور الأشياء الكثيرة .

قال سعد : فنظرت فلم أر حوله إلا جفنة ومطهرة فقلت له : يا أبا عبد الله ، اعهد إلينا بعهد نأخذه عنك ، فقال : يا سعد : اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت .

« نصــيحة »

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم ترجع عقبـاه إلى النـدم
تنـام عينـاك والمظلـوم منتبـه
يدعو عليـك وعين الله لم تنـم

« ما تقول في الولد ؟ »

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ، ويزيد بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجاباً ؛ فقال :

يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ فعلم ما أراد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هم عماد ظهورنا ؛ وثمرة

قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ؛ وهم الخلف لمن بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماء ظليلة ، إن سألوك فاعطهم ، وإن استعتبوك[1] فاعتبهم ، لا تمنعهم رفدك[2] ؛ فيملوا قربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطئوا وفاتك .

فقال : لله درك يا أبا بحر هم كما وصفت .

« الدنيـــا .. وعداوتهـــا »

قيل : إن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله :

فأما عداوتها لله ؛ فإنها قطعت الطريق على عباده ، ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها ولو نظر إليها ما سقى الكافر منها شربة ماء .

وأما عداوتها لأولياء الله ؛ فإنهم لما تزينت لهم ، نصبوا كل النصب فى محاربتها ؛ فما وصلوا إلى الله إلا بعد حرب فتجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله ، فقد تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهوها ونضارتها ففتنوا بها وعولوا عليها فاجْتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد وحق عليهم غضب رب العباد .

« أعرابيـــة ترثى أباهـــا »

وقفت أعرابية على قبر أبيها وقالت :

يا أبت إن فى الله عوضاً عن فقدك وفى رسول الله ﷺ أسوة من مصيبتك ، ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك خالياً مقفراً من الزاد ، مخشوش المهاد ، غنياً عما فى أيدى العباد ، فقيراً إلى ما فى يديك يا جواد ، وأنت أى رب خير من نزل به المؤملون ، واستغنى بفضله المقلُّون ، وولج فى وسع رحمته المذنبون ، اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك ومهـــادُهُ جنـــتك ، ثم بكت وانصرفت .

« أتـــدرى من أنـــا »

خرج الحجاج مرة ، فلقى أعرابياً .

فقال له : كيف سيرة الحجاج فيكم ؟ فشتمه أقبح شتم .

فقال : أتدرى من أنا ؟

قال : ومن عسيت أن تكون ؟

قال : أنا الحجاج ، قال : أو تدرى من أنا ؟

قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مولى بنى عامر أجن فى الشهر مرتين ؛ هذه إحـــداهما ؛ فضحك وتركه .

« لـــكنت مـــكانى وأنا مـــكانك »

دخل أعرابى على يزيد بن المهلب ، وهو مضطجع على فراشه ، وعنده الكثير الناس .

فقال : كيف أصبح الأمير ؟

فقال يزيد : كما تحب أن يكون .

فقال الأعرابى : لو كُنْتَ كما أحب لكنت أنت مكانى ، وأنا مكانك !!

« دعـــــاء »

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

---

(١) استعتبوك : طلبوا منك الرضى .

(٢) رفدك : عطاءك .

«أذن بلال»

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

أذن بلال فكلنا أسماع … أذن فصوتك صخرة وشعاع

أذن بلال لتستفيق مواكب … ضاعت هويتها وطال ضياع

أذن بلال لتستثير حمية … عبثت بها الشهوات والأطماع

أذن لتجمع أمة مغلوبة … تشرى هوية قومها وتباع

سكنت إلى الدنيا وما الدنيا سوى … لهو يداعب جفنها ومتاع

القيم بدد شملها وأضلها … فعلى العيون سحائب وقناع

والضيم أرهقها وزيف فكرها … فخبا لديها الفكر والإبداع

• • •

قالوا: هو التنوير ضلت أمة … يسرى الضلال بفكرها ويذاع

قالوا: هو التنوير تاهت أمة … الحق فيها تائه ومضاع

وحكاية التنوير جاءت بدعة … للغرب فيها مآرب وخداع

قصدوا بها بتر الجذور ليأتوا … بتر الغصون فلا يطول ذراع

وسعوا إلى طمس التراث وزيفت … للأقدمين صحائف ورقاع

• • •

تنوير هل للنور إلا مصدر … تنضر به الأبصار والأسماع

تنوير هل للنور إلا منبع … يسرى بدفقته حجا ويراع

النور فى الذكر الحكيم به ارتوى … عبر القرون خلائق وبقاع

النور فى الهدي الكريم لأحمد … وبه اقتدى الخلفاء والأتباع

النور فى الإسلام ليس بغيره … يرجى التقدم بيننا ويشاع

أذن لترشد فى العباب سفينتا … ويسود فى بحر الحياة شراع

أذن فقد نخر العداة بأرضنا … وتكاثرت بين الجياع سباع

فمتى يثوب الغافلون من الكرى … ويطيب للحن الوضيء سماع

أذن أرحنا فالدروب تشابكت … ليشع فجر صادق وشعاع



للشاعر : عبد الستار محمد سليم

كفى بك نعمة حب القلوب ... وحسبك أن ذكرك نفح طيب

وحسبك أن تكون كنور عين ... وكالدم فى العروق .. وكالوجيب

وحسبك أن قلبك ـ حين يحنو ـ ... طويل الباع ، منقطع الضريب

فليس الناس كلهمو سواء ... وليس الصبح كالليل المريب

وليس الخيرون كمن سواهم ... وليس العود كالغصن الرطيب

هديت المارقين ومن أضلوا ... وما عانيت من مس اللغوب

كأنك للمشاكل كف آس ... ومنك لحلها لبُّ الأريب

فصاروا .. وأيهم من غير صدع ... وداؤهمو يُطبُّ بلا طبيب

فطوبى للذى يهدى ذويه ... لخير .. فى الشبيبة والمشيب

فيا للقاك من وجه بشوش ... ويا لرضاك من صدر رحيب

كريم الطبع شيمتك التفانى ... فيا لرضاء علام الغيوب

وإن محبة الإخوان فضل ... فقرّى يا عيون بها وطيبى

وإن حكت المناقب فاعليها ... حكتك مناقب الشرف النجيب

فمهما كنت فى بعد بعيد ... فمنا أنت فى قرب قريب

جزاك الله عنا كل خير ... لكل شروق شمس أو غروب

عاشق الأزهر

شعر. محمد عبد الفتاح حمادة

أنا شيخ معمم رغم أنى ... أرتدى كارهاً ثياب (الأفندى)

أعشق الأزهر الشريف قديما ... وحديثا ونحو عمرو وزيد

والحواشى الصفراء وهى بحق ... قلعة الفكر والثقافة عندى

رحم الله كل صاحب متن ... كل شيخ إلى الفضيلة يهدى

أنا شيخ معمم أزهرى ... وحريص على الوفاء بعهدى

• • •

اسألوا القبلة العتيقة عنى ... وهى أدرى بما تحملت وحدى

ها أنا طالب فقير ولكن ... عشت فى عفة وتقوى وزهد

قانعا بالطعام فولا وعدسا ... كل يوم وما شكوت لعبد

ولو غفونا على حصير قديم ... أنبت الشوك فى عظامى وجلدى

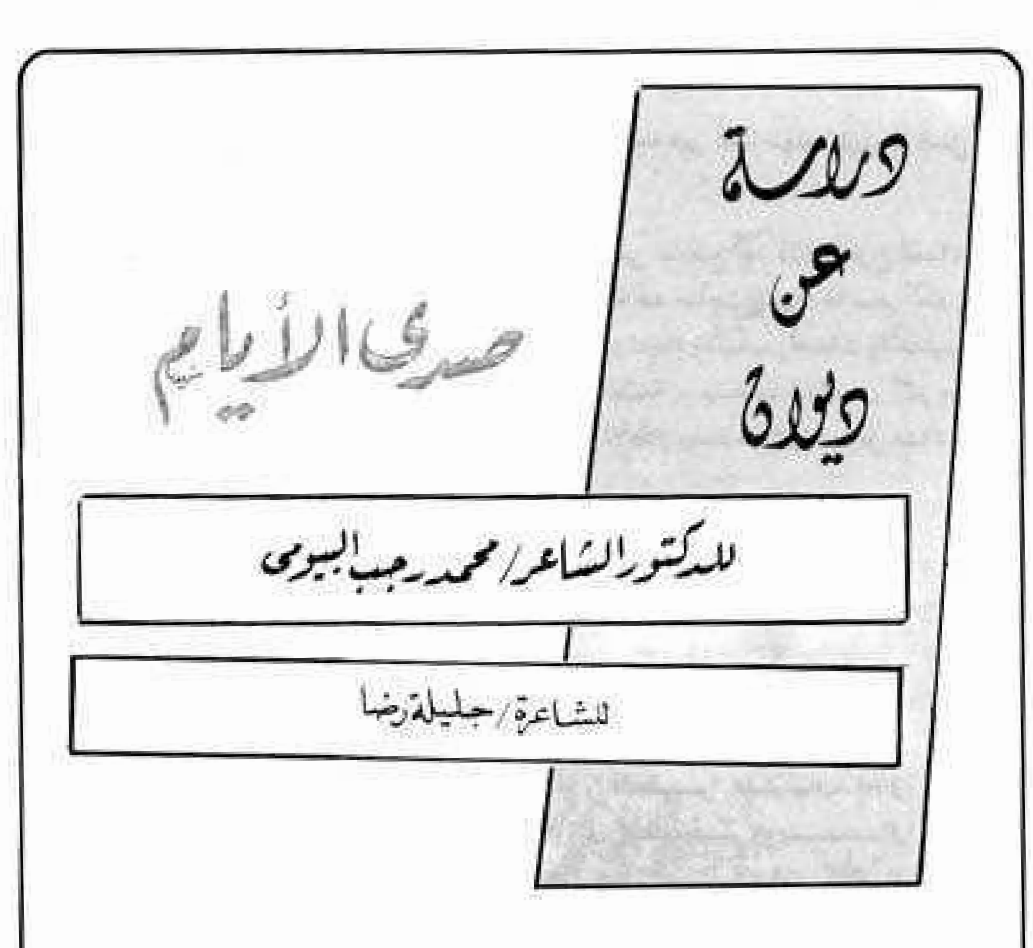
وبرغم الصعاب لم أك يوما ... خامل الذهن ذا قنوط وحقد

أسهر الليل باحثا فى دروسى ... صامد العزم فى طموح وجد

بين فقه وسيرة وحديث ... وبديع من البيان ونقد

وعروض سبقت فيه رفاق ... فكأن الخليل قد كان جدى

لغة الضاد فى حماه استقرت ... واستقامت على نهوض ومجد



ما كدت أنتهي من قراءة ديوان « صدى الأيام » للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي حتى اعترت كياني كله وعكة مفاجئة ، أعقبتها رعشة قلق غريب ، وما لبثت أن عرفت مصدرهما الحقيقي ..

فقد كان الديوان وجبة كاملة دسمة من الوجد المشبوب والهوى الدفّاق . إن الديوان بلا شك ينسف ، بل يفجر خلايا عقول الشباب الظامىء إلى المعرفة .

لقد ساهم الشاعر محمد رجب بيومي في كثير من الأحيان في وصف جمال الطبيعة ، كما كان له عدد من القصائد في الدين . وقبل أن أبدأ دراستي لديوان « صدى الأيام » للشاعر أحب أن أقول : أن أول ما لفت نظري فيه هو تلك اللغة العربية السليمة الرفيعة ، فالشاعر يجيدها كل الإجادة ، بطبيعة عمله ومؤهلاته إنها لغة سليمة في أوزان أسلم .. وتلك هي مقومات الشعر في صياغته ثم نأتي بعد ذلك إلى الشعر نفسه فنلاحظ أن الشاعر مرهف الإحساس إلى حد بعيد ، ذو فطنة وضاءة وذكاء فريد ، فمن الطبيعي إذن أن يكون شعره عميق التصوير ، عميق التفكير .

فقارىء الديوان يخرج من أغلب قصائده بفلسفة إن تكن قيمة فهى أيضا سهلة الطريق الى العقل والقلب معاً .

ولنبدأ أولا فى عرض بعض القصائد المتنوعة فى الديوان حتى نستطيع بعد ذلك التفرغ لقصائد الوجدان ، وقصائد الطبيعة أولى بالعرض فى الحقيقة ، فالطبيعة عند صاحب الديوان لها سحر أخاذ . إن كل شىء فيها يتكلم ! كل شىء له عوالمه الخاصة . فالمعانى والمناجاة والأسباب والصفات والأحاسيس الدفينة حينا ، والظاهرة أحيانا ، كل هذه كنوز تمتلكها الطبيعة ، ويستغلها الشاعر فى أكثر من قصيدة ، فيكشف لنا عن دنياها ويشاطرها الحوار ، ويمتثل للأعذار ويعدد فضائلها ويسجل مشاعرها بيقظة فنان واع ، مدرك ، وبخيال شاعر حالم .

ففى قصيدة « إحساس النبات » يبين الشاعر كيف يحس النبات ويشكو قسوة المخلوق الى الخالق ، حيث يعبث صديق الشاعر فسادا فى أحد غصون شجرة التوت ليلتهمه ، وكيف أن الغصن بعد قليل أسقط ثماره فوق الشاعر الرقيق المشفق على الشجرة وكيف أن الطائر فى شدوه بدا وكأنه يواسى جراح الغصن الذى ينام هو فى حضنه فيقول الشاعر مخاطبا صديقه :

صحت فى وجهه جنيت عليه	آثما . فانتظر عقاب الجانى
قال لى صاحبى ولج به الغيظ	فأرى يمنطقى وبيانى
أى هزل تقول دون اكتراث	هل يحس النبات كالإنسان
ومضت ساعة فهب نسيم	لامس الدوح كالرفيق الحانى
فاذا الغصن يسقط التوت فوق	دونه .. وهو لاصق متدانى
قلت ياصاحبى ملكت دليل	إذ بدا الحق واضحا للعيان
أدرك الغصن رأفتى وحنانى	فحبانى بره ورعانى

ثم يكمل القصيدة موضحا عاقبة العبث والتجنى

ارحم الغصن لا تنله بسوء	قد يحس النبات كالإنسان
واستمع للحفيف منه تجده	قام يشكو الإنسان للرحمن

إنه هنا الشاعر الرقيق الذى يرى مالا يراه الانسان العادى .

إنه المتلقى عذوبة الجمال بإحساس متألم وبفكر صاحب .. فهو الذى يقول فى قصيدة « معانى النهر : »

أرى المنظر المألوف يملأ خاطرى ويرمى بنفسى فى شعاب من الفكر
تطالعنى من وجهه ألف صورة وتهمى معانيه دوافق كالقطر
وأغمض عينى عنه أوثر بعده ليهدأ شيئاً مايجيش به صدرى
ويكربنى فكرى فأرفع راحتى إلى الله فى عليائه شاكياً أمرى

إذن فالمنظر المألوف يملأ خاطر الشاعر بشحنة من الفكر سواء كان غصنا أو طيرا أم نهرا حين يكمل قصيدته :

أمر على نهر يجاور منزلى وليس جديدا طارفا رؤية النهر
فيهدر طوفان المعانى بمهجتى ولا كهدير الماء فى لجة البحر
أخال صفاء الماء فى النهر رائقا سرائر أحباب تلاقت على طهر
ويكدر فى بعض الأحايين وجهه تقلب وجه المرء فى الحزن والبشر
فتحسبه يبدى امتعاضا لما يرى ويسمع بين العالمين من الغدر
يهز النسيم الطلق سلسال مائه فيرقص منه اللج فى مشهد يغرى

* * *

ثم يرسل الشاعر عينيه نحو المروج التى تحيط بالنهر وهى مختالة فى غلائلها الخضر فيهتف :

فأغصانها الدنيا فواكه جنة وأفنانها العليا منابر للطير
ولولا احتيال النهر فى جذبانها لقد أصبحت جرداء كالمهمه القفر
كأنى به فى صمته متحدث بأفصح ما يوحى البليغ من الفكر
يقول توخ الخير ما اسطعت جاهدا ولكن بلسما للجرح يذهب بالضر
ألا ليتنى ماء مع النهر دافق فأجرى بإسعاد الأنام كما يجرى

وهكذا يمضى الشاعر محمد رجب البيومى فى شعر سلس متدفق كالنهر ، دافىء كالشمس ، عطر كالروض ، يمضى فى قصائده المسترسلة فى (كلاسيكية) حبيبة سهلة ، مركزة التعبير ، ناعمة الأخيلة ..

وللشاعر فى ديوانه بعض القصائد القصصية الطريفة ، التى توحى بإجادته هذا النوع من الشعر .
ومن أهم ما يتوقف عنده القارىء أيضا تلك القصائد التى يظهر فيها الشاعر على حقيقته أوقات ملله وقلقه .

عندما يلتفت حوله فلا الدار مأوى راحته ، ولا الطريق ممر خطواته ولا الصديق مؤنس وحشته ، عندئذ كل شيء يبدو أمامه تافها هزيلا . إنها أحاسيس الفنان الأصيل وهى ضريبة الشاعر عبر عنها فى كثير من قصائده كما فى قصيدة « القلق المجهول » :

يزلزلنـــى بعض الأحـــايين كارب ... من الضيق لكن لست أعلم مأتاه
فأشعر أن السقف يهبط من عل ... فيكظـم أنفـاسى وتشتـد بلـواه
وأنى محتـاج لعاجـــل نسمـــة ... تفك اختناقا ليس تحمد عقبـاه
فأسرع للأرض الـــــفضاء كأنما ... أرى فى الفضاء الرحب مالست أخشاه
لوى الضيق فى الأعماق منى فإن أكن ... تجاهلته وقتا ففـى النفس مأواه
فأيـن هروبى منـه وهـو بداخلى ... أسير فيـــدو أو أقيم فألقـــاه

وهكذا اقترب بالمعنى ، بل تلاحم مع بيت من قصيدة المرحوم الشاعر إبراهيم ناجى حين قال :

أيـــن يمضى هارب من دمـــه ؟

ويكرر الشاعر محمد رجب البيومى نفس المشاعر فى قصيدته « هروب » :

أخلو وحيدا بدارى فما يقر قرارى ... أحس مادمت فيها لذعا كلذع النار
حيران أسأل عمـا به يتـاح قرارى ... فإن تبين سبيل هربت دون انتظار

وها هو ذاقد هرب من داره فهل عاد اليه صفاؤه ؟

هربت لا لحبيب تشتاقـه أنظـارى
هربت لا لصديق أبـدى له أسرارى
هربت لا لحديث فى ندوة السمّـار

إنه هرب إذن إلى لا مكان حيث كل المرئيات أمامه بلا معنى أو جمال :

أسير دون اتجاه مبلبل الأفكــار ... الكون حولى جميل ومقلتى فى ازورار
والنهر عاص بعينى رغم الهدير الجارى ... إن تكدر النفس يوما فالكون ذو أكدار

ويعود الشاعر الى بيته حاملا قلقه معه .

أمضى وأمضى ما ما تعبت يممت دارى
أظل فيها وحيدا فما يقــر قرارى
مأساة قلب وحيــد تزداد بالتكــرار

ويفكر الشاعر .. أليس العلم هو سبب حساسيته وتألمه ؟
إذن فالجهل نعمة يتمناه ولا أظنه أبدا يرضى به .

لا تطلبن العيش فى كنف الحجا فالعقل محنة
تزداد تعذيبا لنفسك كلما تزداد فطنة
لا ترتضى غير الكمال ودونه وخز الأسنة
فإذا تعذر عفت طعم العيش واستحقرت شأنه
وأخو الجهالة سابغ الخطوات منطلق الأعنة
دع جهله يحميه من كيد النهى فالجهل جنة

نأتى بعد ذلك إلى بعض القصائد المجالية والتى فيها من الدعابة والطرافة مثل « صديق الأمس » و« خطيب » وغيرها ما يدل على كراهية الشاعر للنفاق والخداع كما فى « مسرح التمثيل » فكل شيء غير طبيعى فى الحياة يضايق الشاعر حتى « رباط العنق » أنه يريد أن يحيا كما هو لا كما تفرضه التقاليد البالية واجبه هو ضميره ولذلك سجل تاريخ آلامه وبسمات آماله عارية إلا من الصدق وبلا رتوش أو مساحيق .

أنه رجل بلا قناع . لا يحب الزيف والتغرير وتلك صفة من أهم صفات الفنان .

ولا يفوتنى فى سياق المقال تلك القصيدة القصيرة الطريفة التى تذكرنا بالشعراء القدامى وعنوانها « تذكر » :

ولقــد ذكـــرتك والمشارط فى ... كف الطبيب تذيقنى الويـــلا
ويـــداه ترتــعشان أرعدَتا ... خوفــا فحير خوفــه الأهـــلا
ودمى تساقــط من يديــه وعــن ... يمنــاه أمــى زلـــزلت هولا

وأبى يتمتم بالدعاء وما ... ينفك يسأل ربه المولى
وأخي وأختي ساهمان أسى ... وكلاهما يصلى الذى يصلى
ويقول قومي ماتراه به ... فأقول مشتاق إلى ليلى

وكذلك لى أن أشير أن الشاعر يميل إلى أبحر معينة فى شعره ، فأكثر من النظم فيها حتى ليكاد القارىء يحس ذلك ولولا الجدة والتنوع وجمال التصوير وصدق المشاعر لشعرنا بملل ورتابة .

ولا يفوتنى إن أذكر قبل إذ أصل إلى نهاية المقال قصائد « أبى » و « أبو العلا » و « الأديب المدرس » و « الحر فى رمضان » وكلها أدراج تتصاعد وتنتهى إلى القمة حيث تتربع قصيدة « مستقبل طفل » التى يختتم بها هذا الشرح . واستطيع أن أقول إن هذه القصيدة هى خلاصة حياة الشاعر الدكتور محمد رجب البيومى صاحب ديوان « صدى الأيام » ولذلك أرى لزاما أن نعطيها الكثير من التأمل المؤدى بنا إلى تفهم الشاعر .. حياته ومشاعره .

لم ألق طفلا بائسا إلا ذكرت طفولتى ... وعرفت محنته التى نهضت تطابق محنتى
ورحمت شقوته وإن لم يستفد من رحمتى ... أسفى عليه مؤرق إذ بات يعرض صورتى
ولعله فى عمره الباقى يجدد سيرتى ... فيفلسف الأشياء فلسفة تماثل حكمتى
يرنو ليسبر كل شبر فى الحياة مبيت ... يلج المسارب فى النفوس ويستضىء بخبرتى
فيرى رياء الذل يفصح عن ضمير ميت ... ويرى الإباحى استعار عباءة المتزمت
تطغى عليه شجونه والموت إن لم يكتب ... ويبيده فرط الشعور كما أباد شبيبتى
يشقى ويألم مستميتا فى ترسم خطوتى ... فيصاب من حقد الوصوليين مثل مصيبتى
وتطول ليلته عليه كما ترامت ليلتى ... إن ضاق ذرعا صاح وارباه طالت حيرتى
ويسوق أسئلة تمر بلا جواب مسكت ... فإذا دهته منية وافته مثل منيتى

إنى شرحت حياته سلفا لأشرح قصتى

وأخيرا .. وبعد هذا الشرح المستفيض لديوان « صدى الأيام » للدكتور محمد رجب البيومى أرى أنه ترجمة صادقة لحياته . لا أثر فيها للتكلف إنه انفعالات نفسية لما واجهه الشاعر من أحداث الزمن خيرها وشرها .

والديوان فى جملته طاقة شعرية وثابة تنم عن موهبة شاعر وإحساس فنان يمتاز بالنضج وقوة التعبير .

فشكرا للشاعر الذى أثرى مكتبتنا العربية بهذا الديوان الحافل بكل ما هو جديد طريف ونبيل شريف ، إلى جانب ماله من تراث إنسانى ضخم فى البحث والتأليف .

من أعلام الأزهر

المؤرخ الملتزم

محمد صادق عرجون



للدكتور محمد رجب البيومى

لا تصدق عبارة (الأسلوب الرجل) كما تصدق على العالم الأديب المؤرخ محمد صادق إبراهيم عرجون ، ففى أسلوبه ما فى شخصيته من فحولة وشجاعة وقوة ، وأنت إذا كنت تعرفه وألممت بصفاته ، ثم قرأت آثارا من آثاره وجدت الرجل مصورا فيما كتب ، لقد كان الأستاذ ذا حية مخلصة ، وغيرة ملتهبة تلمسها فى حديثه كما تراها فى بريق عينيه ، وتوهج ملامحه . فإذا قرأت له موضوعا جدليا مما خاض فيه مع من يخالفهم الرأى تمثلت لك هذه الملامح فيما تقرأ ، فتجزم بأن الأسلوب الرجل .

لقد درس الأستاذ بالأزهر ، ونال درجة العالمية سنة ١٩٢٩ م ثم درجة التخصص القديم سنة ١٩٣٥ م وعين مدرسا بالأزهر فأستاذا بالكليات فشيخا لعدة معاهد فمديرا للتعليم الأزهري فعميدا لكلية أصول الدين ، وهو في أدوار حياته طالبا ومدرسا ورئيسا ذو شخصية مرموقة ؛ لأنه عشق الأدب صغيرا وعين مصححا بالأهرام طالبا ، حتى إذا درج في مرحلة التعليم العالي عرفه القراء كاتبا شاعرا في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ، وعرفته دار جمعية الهداية الإسلامية محاضرا بين الكبار من أئمة التوجيه الديني في عصره ، ورئيس الجماعة حينئذ أستاذنا الكبير الشيخ محمد الخضر حسين ، وقد اعترف الأستاذ عرجون بأستاذيته المثمرة حين خصه بالود والنصيحة العلمية والتوجيه الأدبي ، كما اعترف بأستاذية العالم الكبير الشيخ إبراهيم الجبالي الذي تشبع بأسلوبه العلمي كاتبا ومفسرا ومحدثا ، وإذا تعددت نواحي الثقافة العلمية لدى الأستاذ ، فإن منبعها الرائق في كتب التراث ومحاضرات الأساتذة بالأزهر ، ومشكلات العصر الاجتماعية والسياسية التي دفعت الطالب الناهض إلى المشاركة بالرأي فيما يقرأ ويسمع ... كل ذلك قد فرض عليه اتجاها قياديا في التفكير كاتبا .. وفي السلوك إنسانا ، وهو اتجاه المسلم المتحمس الغيور ، الذي يستطيب المجالدة في حومة الرأي ، ويلج أدق المعضلات الشائكة غير هياب وإذا كانت هذه السمات الفكرية قد اتضحت على نحو ما في مؤلفاته الكثيرة ، فقد ظهرت في أكمل معارضها وأدق مناحيها فيما كتبه في موسوعته الرائعة عن رسول الله ﷺ ذات المجلدات الأربعة الحافلة ؛ حيث كانت معرضا للصيال الذهني المتوثب ، كما سنشير إليه عن قريب ..

تخرج الأستاذ صادق في قسم التخصص الخاص بدراسة البلاغة والأدب ، فاتجهت همته حينئذ إلى الدراسات الأدبية وحدها ، وكانت مجلة الأزهر منبره الذي أذاع منه آراءه الأدبية في مسائل هامة كانت هي الشاغل الأكبر لكثير من أدباء هذا العهد ؛ لأن كتاب الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين قد أثار خواطر كثيرة حول اللغة العربية في العصر الجاهلي ، وقد عارضها الكثيرون ممن نقدوا آراء الدكتور طه حسين في كتب ذائعة ، ولكن صادق عرجون رأى أن يتحدث عن بعض هذه النقاط في مقالات مركزة بحيث لا تقتصر على ما أثاره صاحب الأدب الجاهلي بل تتعداه إلى ما يتسع له المجال من الموازنة والنقد والتقدير ، وقد توالت مقالات الأستاذ تتحدث عن البيئة وأثرها في الشعر الجاهلي وعن أدب الحضارة وأدب البداوة ، فوفق كثيرا فيما علل به قلة الأدب الحضاري في بلاط المناذرة بالعراق ومحافل الغساسنة بالشام ، وقارن بين قصائد العصر العباسي المتحضر وقصائد العصر الجاهلي المتبدي مقارنة تعتمد على النصوص الشعرية المتعارفة ، ولعمري إن هذا المجال مما تضيق به عدة مقالات سريعة ، وكان الأولى أن يتسع مداه في كتاب حافل ، ولم تمر مقالات الأستاذ مرورا عابرا ولكنها وجدت من يتعقبها

بالرد والمناقشة ، وأذكر أن الأستاذ تحدث عن الحياة الأدبية عند العرب فى مقال ضاف ، ينتهى إلى ما يؤكد قوة التفكير لدى العربى الجاهلى ووجود أدب راق فى هذه الحقبة ؛ إذ ليس من المعقول أن توجد حضارة فى اليمن والعراق والشام ثم لا ينبعث عنها أدب حى ، أما هذا الأدب فقد ضاع وفقد كما ضاعت آلاف القصائد ، وقد علق الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى على مقال الحياة الأدبية عند العرب ، بما يخالفه ، ذاهبا إلى أن القول بأن الارتقاء الفكرى عند الجاهليين يُناقِ ما ثبت من الأمية الضاربة بين ظهرانيهم ، ومؤكدا أن هذه الفكرة فى أصلها منبعثة من صحف الاستشراق ولأصحابها كيد خفى ؛ إذ أنهم بتقريرهم هذا الارتقاء المزعوم ، يحاولون أن يضائلوا من بريق الإسلام باعتباره منبثقا عن هذا الارتقاء بمعنى أن تعاليمه الراقية كانت صدى لهذا الفكر المتوثب ، وأن صاحب الرسالة وجد النفوس مهيأة للدعوة الجديدة بفضل هذا الارتقاء ، فأقبلت على الإسلام هاتفة مرحبة ، وهذا ما يخالف الواقع المتعالم ؛ إذ لو صدق هذا الزعم ما وجد الرسول ﷺ هذه المعارضة الحادة لدينه ، ولما تعرض أتباعه للتعذيب الرهيب والمقاطعة الصارمة حتى كان قتله مُبيّتاً لدى أعدائه من المشركين ، فأين هو الارتقاء الفكرى الذى بعث على تقبل الإسلام فى سهولة ويسر ؟! ولماذا كانت الحروب الدامية فى بدر وأحد والخندق وحنين والطائف وتبوك إذا كانت نفوس العرب قد تهيأت لنور الإسلام ! هذا لباب ما قاله الأستاذ محمد فريد وجدى ، وقد كتب الأستاذ عرجون ردا ضافيا يشرح وجهة نظره ويؤيد دعواه ، ولكن الأستاذ وجدى وهو رئيس التحرير قد طوى الرد مكتفيا بتعليق موجز قال فيه : إن كلا الرأيين قد وضح للقارىء فيما كتب الناقد والمنقود ! ولم يرض الأستاذ عرجون بهذا الاكتفاء ، فأفرد كتابا مستقلا يتضمن النقاش بدءا وخاتمة ، وتلك شجاعة تعهدها فيه ؛ لأنه لا يسكت عن تقرير منحى يؤكده ويرتضيه ، ثم والى كتاباته الأدبية بمجلة الأزهر دائرة حول الأدب العربى ومناهجه ومقرراته فى الأزهر والجامعة ، وما ينشده من وسائل الإصلاح لترقية اللغة العربية وأدبها فى العاجل القريب ، وكان المظنون لدى من قرأ هذه الفصول الجيدة فى عالم الأدب العربى أن الأستاذ سيمتد فى بحوثه الأدبية إلى مدى يشغله حينا من الدهر ، ولكن الأستاذ ترك البحوث الأدبية الخالصة إلى ميدان آخر هو ميدان التاريخ الإسلامى فكيف تهيأ ذلك له ، ولم تكن المقدمات الأولى دالة عليه ؟ إن نبوغ الأستاذ فيما دونه عن رجالات العهد الأول فى الإسلام وذيوع آثاره فى هذا النطاق على نحو ممتد جعله علماً مرموقاً بين مؤرخى هذا العصر الكريم ، هذا النبوغ البارز يدفعنا إلى تعليل هذا الاتجاه بدءا ثم محاولة الإلمام ببعض ما امتاز به من السبق الميمون .

كان الأستاذ يدرس لنا التفسير بكلية اللغة العربية وكنت أحادثه كثيرا فى نتاجه العلمى فعرفت منه سر اتجاهه إلى تحليل الشخصيات اللامعة فى صدر الإسلام إذ حدثنى أنه قرأ كتاب قادة الفكر

للدكتور طه حسين فوجده يرجع التقدم الفكرى إلى الثقافة اليونانية ويتجاهل ما عداها من الثقافات السابقة وفى طليعتها الثقافة المصرية التى أثبتت نصوصها المدونة تأثر هومير بأقاصيصها ، وقد نوقش الدكتور فى رأيه مناقشة جادة ولكنه لم يبال بالرد على معارضيه ! يقول الأستاذ صادق عرجون لقد وجدت النقاش يدور بعيدا عن الدائرة الإسلامية ، فلم يُشر أحدٌ إلى تتابع الدورة الثقافية شرقا وغربا . وإلى أن هذه الدورة قد انتهت إلى الفكر الإسلامى ، فأحدثت أثرها القوى فى تاريخ الفكر الإنسانى . فقلت فى نفسى إن الضرورة ملزمة بالحديث عن قادة الإسلام وأثرهم فى تحرر الفكر الإنسانى وإذا كان عظماء الصدر الأول من رجالات الإسلام قد جمعوا بين السياسة والفكر أى أنهم أخضعوا الفكر النظرى إلى الميدان العملى فصدروا فى أحكامهم واتجاهاتهم عن شريعة ذات هدف إنسانى ! فإن زعماء هذا العهد قادةُ فكر بهذا المعنى ! وإذا كان الدكتور طه حسين فى كتاب (قادة الفكر) قد اعتبر الحاكم الرومانى الشهير (يوليوس قيصر) أحد قادة الفكر الإنسانى مقرونا بسقراط وأفلاطون وأرسطو ، فلماذا لم يكن مثل عمر بن الخطاب من أعظم قادة الفكر الإنسانى ،

وقد مارس تطبيق الشريعة الخالدة ممارسة المفكر المجتهد الحصيف ، وأبدى من الآراء فى قيادة الدول وصلاحية المجتمع وتحقيق مبادىء الإخاء والحرية والمساواة ما ارتفع به عن مستوى فلاسفة الإغريق لأن هؤلاء قد قالوا كلاما وقرروا قواعد ثم انتهى دورهم الفكرى حيث رقد فى بطون المجلدات ، أما عمر فقد التزم بأصول الشريعة التزام المفكر المجتهد العالم فى سياسته العامّة والخاصة ، وله زملاء من الصحابة شاركوه الرأى والتنفيذ وهؤلاء جميعا نماذج ممتازة لقادة الفكر الإنسانى قبل أن يكونوا نماذج ممتازة لقادة الفكر الإسلامى الذين تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ ! بهذه النظرة انتقلت إلى دراسة رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام . وكتبت المقالات المتابعة تحت عنوان « قادة الفكـر فى تاريخ الإسلام » مبتدئا بالفاروق عمر بن الخطاب .

هذه خلاصة لحديث متشعب سمعته منذ أربعين عاما ، فشاقنى أن أرجع إلى هذه الفصول القيمة التى أشار إليها الأستاذ وقد بدأها فى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق لسنة ١٩٣٩ م بمجلة الأزهر فافتتحها بمقدمة حافلة تتحدث عن سابقة الفكر الإنسانى فى عهد اليونان والرومان والإسكندرية ، فأوجز ما اتسعت له المؤلفات الكثيرة إيجاز الملم المركز حتى انتقل إلى فجر الإسلام فقال عن عهده الزاهر .

كان الفكر قبل الإسلام فلسفيا فى كنف الفلسفة ، وتشريعيا فى كنف الفقه والتشريع ، وسياسيا فى بيئة السياسة ، واجتماعيا فى ظل الاجتماع ، فلما جاء الإسلام احتضنه وأعظم شأنه وجعله المهيمن على منافذ الحياة كلها ، والإسلام دين فلسفة وتشريع واجتماع وأخلاق يسمو بالفرد والجماعة عن طريق تكميل خصائصهما الطبيعية ؛ فكان مجال الفكر فيه أرحب مساحة وأوسع مدى وأقرب غرضا وأجمع لمناحى الوجود ، فهو فى ظل الإسلام سياسى تشريعى واجتماعى خلقى وفلسفى

علمى ، غير أن حيوية الإسلام القاهرة جعلت من روحه قوة مسيطرة على الفكر تستمده فى سيره فأخذته بالتربية المتدرجة بعد أن أحاطته علما بسمو حقيقته .

إلى أن قال (وسأحاول أن أصور مراحله الإسلامية فى أشخاص قادته فى تاريخ الإسلام غير متقيد بتاريخ زمنى[1]) .

وفى هذا النطاق كتب الأستاذ فصولا مسلسلة عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله ابن مسعود ، وللكاتب بيان آسر واطراد متدفق لا تلمح به فجوة أو تشينه مبالغة ، وقد يكون مكتفيا بالخطوط البارزة عن غيرها من المسائل التى تتشعب وتمتد ، وعذره أنه كاتب مقالات ، لا صاحب بحث مستقل فى هذه الفصول ، أما البحث المستقل المستوعب حقا فقد تجلى فى كتابيه الرائعين عن (عثمان بن عفان) و (خالد بن الوليد) وقد قوبلا بترحيب حار من كبار الناقدين .

لقد جاء كتاب عثمان على فترة من عهد كانت فيه الكتابة عن صدر الإسلام ، فخاض الكاتبون فى بحر لجى لم تطمئن سفنه إلى مرفأ مريح ، ومنهم من أراد الوصف بالاستقلال المتحرر فأخنى باللوم القارص على الخليفة الراشد لأمور لم تتأكد بل تقولت دون تمحيص ! فكان من شأن الأستاذ عرجون أن يقف موقف المحامى الزائد عن رجل ظلم حيا وميتا وهو أحد المبشرين برضوان الله ، والذين كتبوا عن مؤلف الأستاذ يلحظون أنه أخذ جانب الدفاع المطلق عن الخليفة الشهيد ولا يعد ذلك تحيزا متعصبا ، لأن المتحيز هو الذى يدافع عن خطأ بان له وجهه ، وأراد أن يطمسه بأدلة مفتعلة ! ، أما الذى يدافع عن رجل رُمى بالباطل فى كثير مما قيل فيه ، فاتضح له وجه البطلان فى هذا الكثير ، وقدم من الأدلة ما يعصف به فلا يكون حينئذ متحيزا بل يكون ناصرا للحق ، داحضا للباطل ، وقد اهتدى المؤلف إلى ميزان صائب قال عنه : وعندى أن أعدل ميزان لوزن الرجال وتقدير أعمالهم ، ومعرفة الصحيح من الزائف مما ينسب إليهم وكتابة سيرهم كتابة تقربها من الحق والإنصاف إنما هو دراسة أخلاقهم الشخصية وتعرف أحوالهم من حياتهم حتى يمكن الباحث أن يتخذ من هذه الدراسة (صنجة) يزن بها كل ما يصادفه فى طريق البحث من رأى أو مذهب أو رواية[2] .

وهذا الميزان الذى اتخذه الأستاذ صادق عرجون قد سبق الأستاذ العقاد إلى تقريره واصطناعه فى كل ما كتب عن أعلام الصدر الأول ، وآفة هذا الميزان أنه فى بعض الأحيان يُغفل ما ركب فى الإنسان — أى إنسان — من ضعف إنسانى يعتريه فى فترة خاصة فيعدل عن الصواب إلى الخطأ ، وهو يعلم أنه فى هذا المسلك مخطىء ، غير مصيب ، إننا نعرف ذلك من أنفسنا تمام المعرفة كما نعلم أن العصمة لن تكون لغير نبى فإذا كان علم من الأعلام قد عُرف من خصاله المتكررة الصدق أو الشجاعة أو الحلم ،

---

(١) مجلة الأزهر السنة العاشرة ١٣٥٨ هـ ص ٦٣ .

(٢) عثمان بن عفان ص ١٦٤

فليس معنى ذلك أن هذه الصفة أصبحت مبدأ مقرراً لا سبيل إلى الحيدة عنه فى لحظة من لحظات الضعف الإنسانى ! وهنا تكون المؤاخذة التى لا يسلم منها بشر غير معصوم ، ولا أعنى بذلك أنى أعارض المنحى الذى اتجه إليه كل من الأستاذين العقاد وعرجون ، ولكنى أؤيده وأضيف إليه من التحفظات ما يجعله راجحا لا مؤكدا .. وأشهد أن هذا الميزان الراجح قد سلم فى يد المؤلف فى أكثر ما عالج من مسائل مشتبكة دقيقة ، وقد ظلت المكتبة العربية خالية من كتاب ينصف الخليفة الثالث إنصافا يعتمد على الثابت الراسخ مما لم تحوفه الأحداث حتى جاء الأستاذ عرجون فألف كتابه البديع .

وقد كنت أقرأ صفحات الكتاب وأنا معجب كل الإعجاب بحمية المؤلف وصدق دفاعه ، وكم وقفت أثناء القراءة لأستعيد عبارات قوية كان لها أبلغ الأثر فى نفسى ، وأشهد لقد هزتنى كلمات منه رسبت إلى أعماق الأعماق من وجدانى فجعلتنى أشعر بكل نبضة من نبضات الحس المؤمن التى شعر بها المؤلف وهو يجمع خواطره المحتدمة فى مواقف دقيقة يجيش فيها الشعور المؤمن بما لا يستطاع كتابه بحال ، ومن هذه المواقف ما شعر به المؤلف حين تطرق لموقف عثمان من على ، وموقف على من عثمان فى هذه الفتنة الغاشية حيث بدأ حديثه الرابع بقوله[3] فى الفصل التاسع تحت عنوان (بين عثمان وعلى) :

« هذا الفصل لم يكن القلم فيه بذلل الريق ، طيع المقادة ، ولكنه كان وقافا كثير التلفت ، كثير الحذر ، وأنا أشهد الحق أنى عذرت قلمى وعذرت نفسى فإن عذرنى الناس فنعما هى وإن أبوّا فما أحب أن أرضيهم بسخط الله ــ تعالى ــ وسخط البحث ؛ وإن من حق البحث على الباحث أن يترفق فى المضايق وأن يتّئد معه فى الخطو عند المزالق وأن يتثبت عند اشتجار الآراء واختلاف المذاهب وتضارب الروايات » .

لا أشك فى أن هذا الشعور الذى تلبس الأستاذ فى حديثه عن الخليفتين الشهيدين هو شعور كل مسلم صادق الإيمان ، وإنك لتعرف هذا الشعور لدى من يهيمون حبا بالمثل الإنسانية الرفيعة كما تعرف نقيضه لدى من يكتبون بروح مريضة تعرف الحق وتنأى عنه لغرض مريب .

(٣) عثمان بن عفان ص ١٦٤

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



من نحن ؟

للأستاذ / محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

من نحن ؟ سؤال لا تكفى الإجابة عنه بكلمة أو كلمتين ولكنه يحتاج إلى صفحات وصفحات حتى تكون الإجابة شافية كافية ، لأنه سؤال عن واقع أمة وحقيقة شعب .. سؤال عن هويتها وميولها واتجاهاتها وأهدافها .. ماذا استفادت من الدين بل ماذا فعلت بالدين ؟ أمة شغلت بأمور هامشية ومشاكل جانبية حتى تظل مغيبة عن واقع الحياة فتظل (محلك سر) والقافلة تسرع الخطا وتغذ المسير .

وهذا شيء مهين في حق أمة أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

من نحن ؟ لو عرفنا حقيقتنا ورسالتنا في الحياة لكانت هي الإجابة ، ولكن ما جعل الإجابة عسيرة علينا أننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا ، ولو عدنا إلى الله قولا وعملا ربما نستطيع أن نتدارك ما فاتنا .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

قبل نحو تسعة أشهر ، وكان قد مضى أربعة أسابيع على حريق القاهرة ، أراد صحفى مصرى أن يستنير برأى سياسى مصرى قادم من أمريكا حيث كان ينظر إلى مصر من بعيد فيحكم على ما يقع فيها وهو غير متأثر بالأعراض والأغراض التى يتأثر بها المتأثرون بالعادة والإلف ، فسأله الصحفى :

ـ ما الذى تراه من أحوالنا هنا ؟ إننا نحن الذين

نعيش داخل الدوامة العنيفة من الأحداث الكبيرة التى تجرى فى الوطن ، لا نستطيع أن ترى كل شىء ، وأنت هنا تمتاز عنا بأنك تقف بعيدا ولكن عينك دائما على الوطن ترى كل ما يحدث فيه :

والسياسى الموجه إليه هذا السؤال هو الأستاذ محمود فوزى وزير خارجيتنا الآن ، وكان إلى ذلك الحين مندوب مصر فى الأمم المتحدة ، والسؤال أكبر وأخطر من أن يجيب عنه رجل رسمى كالأستاذ محمود فوزى ، ولذلك سرعان ما غير موقفه من سائله وقال له :

ـ أريد أن أسألكم جميعا وأسأل نفسى معكم :

« من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هى وسائلنا لنحقق ما نريد ؟ » .

وهذه الأسئلة التى وجهها إلينا وزير خارجيتنا ، بل مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة ، بقيت من ذلك الحين بلا جواب ، ولأجل أن يلفت الأستاذ محمود فوزى الأنظار إلى خطورتها وجه إلى أمته السؤال الآتى :

« ما هو رأيكم ــ مثلا ــ فى رجل تلتقون به فى الطريق العام ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، وتستوقفونه قليلا وتسألونه عن اسمه .. فإذا هو لا يعرف اسمه .. وتسألونه عن وجهته ، فإذا هو (منطلق) فى الطريق منطلق إلى غير هدف محدد وبدون غاية يقصدها . ما هو رأيكم فى مثل هذا الرجل الذى لا يعرف نفسه ؟ لقد أصبحت أعتقد أن سر أزماتنا جميعا يرجع إلى جهلنا بأنفسنا ، وبت أعتقد أن ظروفنا لم تعد تحتمل بعد اليوم أن تبقى سرا مغلقا علينا .. دعونا نحاول أن نعرف نفوسنا فإن هذا وحده هو المفتاح الذى يفتح أمامنا جميع المسالك ، وحاولوا أن تجيبوا عن هذه الأسئلة الأربعة تبنوا لنا جسرا عاقلا نعبر عليه مرحلة الخطر » .

إن الأستاذ محمود فوزى لم يحاول الإجابة عن أسئلته الأربعة ، لكنه توسع فى عرضها عرضا سريعا بمقال نفيس[1] أظن أننى لم أقرأ عن المجتمع المصرى مقالا أنفس منه منذ عشرين سنة .

هذا السؤال وضعه الأستاذ محمود فوزى على لسان مصر حكومة وشعبا ، ويصح أن يوضع على ألسنة الأقطار الممثلة فى جامعة الدول العربية ، وعلى ألسنة الأقطار التى يتألف منها العالم الإسلامى كله .. وإذا أجيب عنه بجواب سديد كان مفتاح التوجيه السليم لكل مجتمع إسلامى وفى مقدمته مصر .

لقد مر علينا زمان فى مدة الاحتلال البريطانى لمصر ، كان يتبجح فيه بعض الكتاب بالتحدث عن الأمم التى احتلت مصر فيقولون : إن مصر وقع عليها الاحتلال من الرومان والفرس والعرب والكرد والشركس والترك والفرنسيس والإنجليز .. وهم لا يقولون هذا فى معرض الشكوى من احتلال الفرنسيس والإنجليز ، بدليل أنهم فى مقالات أخرى مما خطته أقلامهم يذكرون حسنات الاحتلال الفرنسى والإصلاح الذى تم فى مصر مدة الاحتلال البريطانى . بل لعل هذه الحسنات الفرنسية وهذا الإصلاح البريطانى مما سجلوه بأقلامهم حتى فى كتب الدراسة الابتدائية والثانوية . وهذا يدلك على أنهم يريدون

---

(١) فى مجلة آخر ساعة العدد ٩٠٥ الصادر فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ م .

من سرد أسماء الأمم التى احتلت مصر أن ينقشوا فى أذهان قرائهم من المصريين ، ولا سيما الطلبة أن العرب كانوا محتلين لمصر ، وأن مصر التى مر على عروبتها أربعة عشر قرنا لا تزال غير عربية وأن الذين تولوا الحكم فى مصر من أبناء الأمم الإسلامية الأخرى كانوا يمثلون احتلالا أجنبيا ، متجاهلين ما كان بين هؤلاء وبين المصريين من وحدة العقيدة وآصرة الإسلام واتحاد الهدف من زمن الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن .. فنشأ فى مصر بسبب هذه الدعايات نشء إذا أراد أن يتساءل : « من نحن ؟ » يمر فى ذهنه طائف من الشكوك فى أن مصر عربية ، وأن الإسلام دخيل طرأ عليها . والطلبة الذين لا يجدون فى مناهج تعليمهم ما يعرفون به حقيقة الإسلام ، معذورون إذا صدقوا أن الإسلام أثر من آثار الاحتلال .

يقول الرئيس محمد نجيب — سدد الله خطاه ، وحقق له أمانيه الصالحة — فى كلمة له ألقاها فى مدرسة القبة النموذجية الثانوية ، وقد نشرناها فى الجزء الماضى (ص ٣٨٣) : « إن الدين أساس الأخلاق . ولقد تلقيت تعليمى فى السودان فى مدرسة كان يشرف عليها إنجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ؛ ولذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد ، وأنا لإيمانى بأن الدين أساس الأخلاق لا أمانع فى تدريس الدين ، بشرط أن يكون فى أيد أمينة ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

وأنا أقول للرئيس محمد نجيب : إن مدرسة القبة الثانوية ليس بها مسجد لأن الدعاية التى كانت منتشرة مع تيار العهد المنصرم ، كانت تتنكر للإسلام وتربية النشء عليه ، وكان القائمون عليها يعتبرون العروبة والإسلام احتلالا ، ولذلك فإن جميع الطوائف التى تعيش فى مصر — من كاثوليكية أو أرثوذكسية أو يهودية — تعتنى فى مدارسها بآداب دينها وعقائده وتبث ذلك فى قلوب أبنائها ، حتى يجرى فى عروقهم مع دمائهم . أما المسلمون فأيتام ، ليس لهم من يحقق لأبنائهم أمنية الرئيس محمد نجيب التى أشار إليها فى كلمته ، فلا عجب إذا أدهشه أن لا يرى فى مدرسة القبة النموذجية الثانوية مسجدا ، ولو وجد فيها مسجدا لرآهم قد اتخذوه مخزنا للمهملات ، ولو لم يشغلوه بالمهملات لكان من المستبعد أن يكون فى المدرسة تلاميذ تربوا على الخوف من الله والرجاء له واللذة بالوقوف بين يديه خلف إمام تعنى المدرسة بإشرافه عليهم فى دينهم كإشراف ممرنى الرياضة البدنية عليهم فى ألعابهم اليومية .

إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحدث عن التعليم فى المدارس المصرية حديثا نشرناه فى جزء صفر من هذه المجلة (ص ١٩٨ — ٢٠٠) فكان مما قاله : « إنه تعليم جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ولا يصل حاضر الأمة بماضيها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة » ثم قال : « ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها — فضلا عن غيرهم — إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية ، يعلمون أنها أسست لأبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغريبة عنهم ، العارية من أمس حاجاتهم القومية والمِلِّيَّة ، فرارا من ناحية

الضعف التى أزمنت عللها فى مدارسنا ، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر .

وكل هذا متفرع عن الأصل الأصيل وهو أن القائمين على وزارة المعارف المصرية من نصف قرن إلى الآن لا يريدون أن يعترفوا بأن مصر بلد إسلامى ، ولو عرفوا ذلك واعترفوا به لربوا أبناء هذه الأمة تربية إسلامية ، لكنهم لا يفعلون ؛ لأنهم إذا تساءلوا « من نحن ؟ » قد يخطر على بالهم أن يجيبوا عن هذا السؤال بعشرين جوابا ليس فيها جواب واحد ينطقون به بشجاعة وصراحة قائلين : « نحن مسلمون » . ولو أنهم عرفوا بأنهم مسلمون وأنهم مؤتمنون على أبناء أمة إسلامية ، لاستعدوا الاستعداد التام لتربية التلاميذ المسلمين تربية إسلامية ، كما يربى التلاميذ الأرثوذكس فى المدارس الأرثوذكسية تربية أرثوذكسية وكما يربى التلاميذ الكاثوليك فى المدارس الكاثوليكية تربية كاثوليكية ، وكما يربى التلاميذ اليهود فى المدارس اليهودية تربية يهودية . وإذا كان هذا لم يتحقق قبل الآن ، فذلك لأن البلد لم يكن فيه رجل قوى جهير الصوت كالرئيس محمد نجيب ينادى بأعلى صوته صادقا مخلصا « إن الدين أساس الأخلاق ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

أما وقد قالها هذا المصلح السليم الطوية المخلص لأمته ووطنه ، فقد آن لوزارة المعارف أن تعلم أن هذا هو طريق المهد الحاضر فى التعليم ، ومن الجناية على الوطن إضاعة سنة أخرى حتى تستعد لذلك فى العام الآتى ، وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فينبغى أن تصدر الأوامر والمنشورات من هذه الساعة إلى نظار المدارس ومدرسيها جميعا بملاحظة ذلك ومحاولة تحقيقه من صميم القلب وبكل الوسائل الممكنة على قدر الطاقة ، إلى أن ترسم له الخطط الثابتة من بداية العام الدراسى القادم ، وأن يعتبر المتلكىء فى هذا الأمر عضوا أشل فيبادر إلى بتره حالا .

لقد كنا فيما مضى لا نعلم « من نحن ؟ » بشهادة سياسى كبير من رجالنا .

ـ أما الآن فيجب أن نعلم « أننا مسلمون » ويجب أن تقوم تصرفاتنا كلها على هذا الأساس ، وأن ترمى أعمالنا إلى هذا الهدف ، وأن نلاحظ ذلك فى كل حركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا .

* * *

ويأتى بعد ذلك موقفنا من أسرة العروبة ، ومنزلة الكرسى الذى يحتل مصر فى جامعة الدول العربية ، والأثر الذى تركه فينا تكلمنا بلغة العرب وتأدبنا بالأدب العربى من زمن عمرو بن العاص إلى اليوم .

إن القومية فى القبيلة وحياة البادية مناطها الأنساب ، لأن حياة القبيلة قائمة على الانفراد والانزواء فى دائرتها فى أغلب الأحوال .

أما الحضارة فإنها بوتقة تذوب فيها الأصول والأنساب ، والعبرة فيها لرابطة اللغة أولاً ، وللمصالح المشتركة ثانياً ، فسكان فرنسا ـ مثلاً ـ ليسوا جميعاً من أصل واحـــد ، والفرنسى فيها يكون فرنسياً ولو كان جده الثانى إيطالياً أو إسبانياً ، ونابليون بونابرت ـ وهو من مفاخر فرنسا ـ مولود فى الجزيرة الإيطالية كورسيكا ، من أبوين كانا يتكلمان اللغة الإيطالية ، بل يقال عن بسمارك إن أجداده من أصل صقلى ، وكثير من سكان ألمانيا الشرقية تجرى فى عروقهم الدماء الروسية . والكاشانى الذى هو اليوم فى مفاخر إيران عربى قرشى يعرف

نسبه في بنـي هاشم . وكمال أتاتـورك من سلائك ، وقد يكون جده الثالث من أصل غير تركي . بل أكثر سكان الأناضول إما من أصل رومي أو من سلالة الحيثيين الذين تقول التوراة عنهم إنهم إخوة الكنعانيين (أي الفينيقيين) ، وهؤلاء أصلهم من نجد العربية ومن سواحل الأحساء على الخليج الفارسي . فهذه الاعتبارات التاريخية في الأصول والأنساب لم تمنع سكان أي قطر متمدن من أن ينتموا إلى قومية اللغة التي ولدوا يتكلمون بها ، ونشأوا متأدبين بأدبها ، وقد تكون لغتهم وآدابها حديثة عهد من بضع مئات من السنين . أما مصر التي تتكلم اللغة العربية من أربعة عشر قرناً ، وتتأدب بالأدب العربي حتى صارت لها فيه الإمامة والقيادة ، فإنها لا تزال تتساءل « من نحن ؟ » ، ويريد بعض حملة الأقلام فيها أن يقولوا : إن العربي لا يكون إلا أعرابياً ، فإن لم يكن أعرابياً فلا تكفي عراقته في العربية وآدابها أربعة عشر قرناً ليقول بملء فيه ومن صميم قلبه « نحن عرب مصريون » كما يقال في العراق « نحن عرب عراقيون » وكما يقال في سوريا « نحن عرب سوريون » .

إن الأسيوطي أسيوطي ومصري ، لأن أسيوط جزء من الوطن المصري ، والمصري مصري وعربي ، لأن مصر جزء من الوطن العربي ، والعربي المسلم عربي ومسلم ، لأن الوطن العربي جزء من العالم الإسلامي . وكذلك الأندونيسي المسلم أندونيسي ومسلم ، لأن أندونيسيا جزء من العالم الإسلامي ، والباكستاني المسلـم باكستاني ومسلم ، لأن باكستان جزء من العالم الإسلامي . وكون الأسيوطي أسيوطيـاً ، لا يتعارض مع كونه مصرياً ، وكون المصري مصرياً ، لا يتعارض مع كونه عربياً ، وكون العربي المسلم عربياً ، لا يتعارض مع كونه مسلماً . فكل فرد منا إذا اعتبر نفسه في مركز دائرة فإن بلده الذي ولد فيه هو الدائرة الصغيرة الأولى حول النقطة المركزية ، ومصريته هي الدائرة الثانية التي تلي الدائرة الأولى ، وعروبته هي الدائرة التي تلي مصريته وتشملها ، وجامعته الإسلامية هي الدائرة الكبرى الجامعة التي تحيط بذلك كله ولا تتنافى مع شيء منه .

من نحن ؟ هذا السؤال يجب أن لا يبقى بلا جواب . ومتى عرفنا من نحن ، عرفنا المشاركين لنا في المصالح ، والخارجين عنا فيها ، وعرفنا واجباتنا نحو ما ننتمي إليه ؛ لأنها في الواقع واجباتنا نحو أنفسنا . وهذه المعرفة التي يتم بها الجواب عن السؤال الأول من الأسئلة الأربعة التي وجهها الأستاذ محمود فوزي إلى نفسه وإلى أمته ، كفيلة بالجواب عن الأسئلة الثلاثة الأخرى ، فنعرف أين نحن ، وماذا نريد ، وما هي وسائلنا لنحقق ما نريد ؟

وعلى معاهد التعليم كلها ، من يومنا هذا ، أن لا تكتفي بأن تعرف « من نحن » ، بل تستعد لتعريف ذلك لأبناء الجيل كلهم من طلبة المدارس ، حتى إذا آمنوا بمصريتهم وعروبتهم وإسلامهم ، تجندوا للعمل بهذا الإيمان ، يوم يتولون أزمة الوطن في حكومته وأسواقه ومرافقه ومعاهده ، وكان بذلك البعث الذي ينشده العهد الحاضر ، ويعمل لتحقيقه .

محب الدين الخطيب

المجلد الرابع والعشرون

العلوم الكونية

الحسن بن الهيثم

عبقري الحضارة الإسلامية

بقلم أ. د. أحمد فؤاد باشا

يُعدّ الحسن بن الهيثم فى طليعة الأعلام ، لا بين العلماء الإسلاميين فى عصر الحضارة الإسلامية فحسب بل وبين علماء العالم أجمع على مرّ العصور ؛ والتعريف بسيرته الذاتية ومقدرته العلمية من شأنه أن يولد فى نفوس الناشئة شعورا قويا بالفخر والاعتزاز يدفعهم إلى السير على نهج السلف الصالح فى رفع مستوى الأمة إلى حيث المجد والسؤدد . كما أن فى عرض هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الحضارة الإسلامية بيانا لأهم خصائص العلم الإسلامى ودعوة فى الوقت نفسه إلى تأصيل العلوم الكونية المعاصرة على أسس من الثقافة الإسلامية الرشيدة .

مقدمة لابدّ منها :

من الحقائق الثابتة فى تاريخ العلم والحضارة أن الأمم التى تشرع فى النهوض من كبوتها تبدأ أولا بإحياء تراثها وتراث الحضارات المتصلة بها على نحو ما فعل العرب فى عصر النهضة الإسلامية وما فعل الغربيون فى عصر النهضة الأوربية ، ومن ثم فإن حاجة الأمة الإسلامية الآن إلى إحياء تراثها على وجه الإجمال ، والعلمى منه على وجه الخصوص تكتسب أهميتها الضرورية من انسجامها مع حركة التاريخ نفسه فضلا عن أنها تعتبر مقدمة لازمة لأية نهضة حضارية منشودة تأخذ بالعلم والتقنية طريقا نحو التنمية والتقدم وإعمار الحياة على الأرض .

ويزيد من أهمية الدعوة إلى إحياء تراثنا ما نراه من حرص الجامعات فى الدول المتقدمة على تدريس تاريخ العلوم ومواصلة البحث فى تراث الأقدمين من مختلف الأمم على مر العصور ولولا ما أولاه بعض المستشرقين من اهتمام بتراثنا العلمى لما عرفنا شيئا عن إسهام أسلافنا فى تقدم العلوم الكونية ومناهج البحث فيها خصوصا وأن هذه العلوم لم تلق من

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

عناية الباحثين العرب مثل ما حظيت به باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية والنقلية . وإذا كان ما وصل إلينا من هذا التراث العلمي ـــ على قلته ـــ يؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى إرساء أصول مناهج البحث العلمي السليم ويسجل فضل هؤلاء العلماء في إثراء المعرفة العلمية ودفع عجلة التقدم والمدنية ، فإن الجزء الأكبر من هذا التراث لا يزال بكرا في مظانه المختلفة ، ينتظر من يجمعه ويتناوله بالدراسة العلمية المفصلة وفق منهج تحليلي مقارن . ولا يخفى بالمثل هذه الدراسات التراثية من دور في تصحيح تاريخ العلم بكشف النقاب عن حالات الغش والقرصنة التي تعرض لها التراث الإسلامي على أيدي بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين . كما لا يخفى ما لهذا التراث من أثر عظيم إذا ما أطلع عليه الناشئة من أبناء أمتنا العربية والإسلامية في تنشئة جيل سليم البنية العقلية والهوية الثقافية ومؤهل للمشاركة في مختلف ميادين الإبداع الحضاري بنصيب يتناسب مع مجد أمته العريقة ومكانتها السامية في تاريخ العلم والحضارة وعندئذ فقط سوف يسقط كل ما طرحه الخصوم من دعاوى وافتراءات في حق تاريخنا الفكري والحضاري .

نبذة عن حياة ابن الهيثم :

هو أبو علي الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة في العراق سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ونزل مصر واستوطنها إلى أن مات سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) جاء في كتب التاريخ أنه نُقل إلى حاكم مصر أن ابن الهيثم قال : « لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان » فازداد « الحاكم » شوقا ، وسيّر إليه سرًا جملة من مال ، رغبة في حضوره ؛ فسافر نحو مصر ولما أتاها ودرس أحوال النيل تحقق لديه أن ما يقصده غير ممكن ففترت عزيمته وانكسرت همته ، وعاد خجلا منخذلا واعتذر بما قبل « الحاكم » ظاهرة ووافقه عليه .. ثم بعد ذلك أحيطت حياته بصعوبات كثيرة وخشى الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي كان مريقا للدماء بغير سبب فتظاهر بالجنون .. ولم يزل على ذلك إلى أن تحقق وفاة « الحاكم » فأظهر العقل وعاد سيرته الأولى وخرج من داره واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشتغلا بالتصنيف والنسخ والإفادة منصرفا بكليته إلى العلم وإلى البحث عن الحقيقة التي كان مخلصاً لها كل الإخلاص .

ولقد عرف الأقدمون فضل ابن الهيثم وقدروا نبوغه وعلومه ، فقال ابن أبي أصيبعة : « كان ابن الهيثم فاضل النفس قوي الذكاء متفننا في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد » وقال ابن القفطي : « إنه صاحب تصانيف وتآليف في الهندسة وكان عالما بهذا الشأن متقنا له ، متفننا فيه قيما بغوامضه ومعانيه مشاركا في علوم الأوائل ، أخذ عنه الناس واستفادوا » كذلك عرف المؤرخون والمستشرقون قيمة ابن الهيثم فأنصفوه بعض الإنصاف ، واعترفوا بتفوقه وخصب قريحته ، فجاء في دائرة المعارف البريطانية « أن ابن الهيثم كان أول مكتشف ظهر بعد بطليموس في عالم البصريات » ، واعترف العالم الفرنسي « لوتير فياردو » بأن « كبلر » أخذ معلوماته في الضوء

ولا سيما فيما يتعلق بالانكسار الضوئى فى الجو من كتب ابن الهيثم » ويقال جورج سارتون « إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب فى علم الفيزياء بل أعظم علماء الفيزياء فى القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليلين المشهورين فى العالم كله »(١) .

يعرفونه فى أوربا باسم « الهازن » :

كان من بين الذين عنوا بنقل العلم الاسلامى إلى اللاتينية عالم بولونى يدعى « فيتلــو » WITELLO اشتهر بكتاب صنفه سنة ١٢٧٠ ميلادية فى البصريات وذكر أنه وضعه على أساس ما جاء فى كتاب لبطليموس القلوذى وكتاب آخر لمؤلف عربى يدعى « الهازن » Alhazen وفى سنة ١٥٧٢ م نشر « رزنــر » RISNER ترجمة لاتينية كاملة للكتاب العربى بعنوان « ذخائر البصريات للهـازن » Opticae Thesaurus Alhazeni فتبين أن جلّ ما ورد فى كتـــاب « فيتلو » قد نقل نقلا أو بشىء من التصرف قليل أو كثير من الكتاب العربى المذكور وقد أشار « بريستلى » Pristley أحد علماء الكيمياء الانجليز فى كتاب له عن تاريخ الكشوف المتعلقة بالضوء والألوان إلى ما ذكره « دلا بورتا » Della Porta عن « فيتلو » حيث وصفه « بالقرد المقلد » لأنه أخطأ فى كل أقواله التى لم يحذ فيها حذو الهازن .

ولبث هذا الكتاب المنقول من العربية إلى اللاتينية مرجع أهل أوروبا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى وإبان عصر النهضة وكان له أثر عميق فى توجيه علم الضوء إلى الوجهة الصحيحة خاصة بعـــد أن بيّـــن « فيدمـــان » E. Wiedemann فى رسالة عنوانها « بصريات ابن الهيثم » Zu Ibn AL Haitams Optik. نشرها سنة ١٩١٠ م ، فضل هذا الكتاب على كثير من الأعلام البارزين من أهل أوروبا .

وقد خال كثير من المؤرخين أن إسم « الهازن » الذى تنسب إليه الكتاب العربى المذكور « ذخائر البصريات » إنما هو تحريف إسم « الخازن » أو « الخازنى » فقيل إن هذه الأسماء جميعا هى لمسمى واحد هو « أبوجعفر الخازن » مؤلف كتاب « زيج الصفائح » وكتاب « المسائل العددية » وقد ساعد على هذا اللبس والغموض أن الأصل العربى للكتاب لم يك قد عثر عليه وبقى الأمر كذلك حتى عثر « فيدمان » سنة ١٨٧٦ م على مخطوط عربى فى مكتبة « ليدن » لكتاب فى الضوء عنوانه :

« تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » مؤلفه « كمال الدين أبو الحسن الفارسى » وهو تنقيح كتاب « المناظر » لابن الهيثم وقابل « فيدمان » بين كتاب التنقيح وبين كتاب الذخائر اللاتينى « للهازن » فوجدهما متشابهين متطابقين إلا فى مواضع علق فيها الفارسى من عنده على أقوال ابن الهيثم وفى مواضع أوجز أو أجمل فيها أقوال ابن الهيثم وفى أخرى ذكر فيها رأيه الخاص أو أضاف فيها

---

(١) قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق بدون تاريخ للنشر .

نسخة دراساته الخاصة ولم يجد « فيدمان » مجالا للشك بأن كتاب الذخائر اللاتيني إنما هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم .

على هذه الصفة انجلى الغموض وعرف على التحقيق ان الأصل العربي للكتاب اللاتيني الذى ظل ينشر فى أوربا حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادى هو كتاب المناظر لابن الهيثم وأن لفظ « الهازن » إنما هو تحريـــــف « الحسن » لا « الخازن » أو « الخازق » كما ظن أول الأمر (٢) .

القيمة العلمية لكتاب المناظر :

يعتبر كتاب المناظر لابن الهيثم أول أساس علمى فى علم البصريات يعنى بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته ، جاء بعد غفوة ألف عام منذ كتاب بطليموس (١٠٥ م) ، وبعدها غفا العالم مرة أخرى لمدة ستمائة سنة حتى جاء « جوهانس كبلر » سنة ١٦٠٤ م فقدم كتابا آخر فى علم البصريات ، لكنه لم يرق الى مستوى « المناظر » .

وأهم ما جاء به الحسن بن الهيثم فى كتابه « المناظر » هو أنه استطـــاع أن يضع حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار وحدوث الرؤية ، واتبع منهجا استقرائيا دقيقا لتحقيق نظريته الجديدة فى الأبصار على أساس أن يكون الجسم المرئ مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء عليه وأن يكون بين الجســم المرئ والعين بُعدٌ ما ، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفّا وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار .

وهناك آراء علمية أخرى كثيرة قال بها ابن الهيثم فى كتابه القيم عن انعكاس الضوء وانعطافه وعن التفازيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال ونظرية الخزانة ذات الثقب ومن أشهر نظرياته ما عرفه عند الأوربيين باسم « مسألة الهازن » وهى تنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس فكيف يمكن أن تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » والحلول التى أوردها ابن الهيثم لهذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة حينما يكون السطح العاكس مستويا وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كرويا أو أسطوانيا أو مخروطيا أو حينما تعتبر حالات خاصة (٣) .

المنهج العلمى عند ابن الهيثم :

اتبع ابن الهيثم منهجا علميا رائدا قائما على

---

(٢) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية ، مطبعة نورى بمصر ١٣٦١ هـ ـــ ١٩٤٢ م الجزء الأول ص ١ ـــ ٥

(٣) د. أحمد فؤاد باشا التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ م راجع أيضا مصطفى نظيف ، المرجع السابق .

الملاحظة والتجربة والاستقراء وساعدته حاسة النقد والشك المنهجي على استخلاص « الحقائـــق المنغمسة فى الشبهات » على حد قوله ، وكان لهذا دور كبير فى إبداعه العلمى فمن خلال النقد لأعمال « إقليدس وبطليموس » استطاع أن يبدع فى مجال الهندسة والرياضيات التى كانت بمثابة حلقة الوصل بين فلسفته النقدية وبين عقليته التجريبية ، وأنشأ علم « المناظر » أو « البصريات الهندسية » الذى استخدم فيه عناصر المنهج الرياضى بالإضافة إلى عناصر المنهج التجريبى محققا بذلك نجاحا غير مسبوق فى اعتبار المنهج العلمى غير محدد بمجموعة من الخطوات التى تلتزم ترتيبا معينا ليس لها أن تتجاوزه ومن ثم فهو قد أضفى على هذا المنهج قدرا كافيا من المرونة يحول دون جموده أمام حركة العلم وتطوره .

ولم يغفل ابن الهيثم الجانب العملى والتقنى فى بحوثه العلمية فقد استخدم الآلات الدقيقة فى تجاربه ولم يكتف بمجرد وصف كيفية إستعمالها وإنما أسهب فى شرح التفاصيل الفنية المتعلقة بكيفية صنع الأجزاء المختلفة التى تتركب منها الآلة حتى يتم تركيب الجهاز كله كاملا بأجزائه المختلفة فهو يقول مثلا فى إستخدام أنواع المرايا : « رأينا أن نشرح ذلك ونوضحه ليحيط بعلمه من كانت له رغبة فى معرفة الحقائق فبيناه فى هذه المقالة وخصصنا البرهان على علم حقيقته ، وذكرنا طريق العمل فى إتخاذه وترتيب آلته وقدمنا الأصول التى يستعملهـــا المهندسون فى جميع أنواع المرايا ليهتدى إليه من التمسه » (٤)، ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد أن « أبا وحشيّة » شرح فى كتابه « الفلاحة النبطية » إمكانية الاستفادة من المرايا المحرقة فى إنضاج الفواكه قبل أوانها ، وكذا فى مكافحة الآفات الزراعية بطريقة رفع درجة حرارة الأجزاء المحيطة بالنبات وذلك منذ القرن الثانى للهجرة وهو أمر يؤكد مدى الارتباط الوثيق بين العلم النظرى والعلم التطبيقى فى فكر علماء المسلمين .

ويذكر لابن الهيثم أيضا قوله أن القطاع الكبير من الكرة الزجاجية يمكن أن يستعمل ويفيد فى تكبير الأشياء وهو مايعتبره بعض الباحثين أول أساس علمى لاختـــراع العـــدسات المكبرة فى تاريخ التقنية (٥) .

---

(٤) رسالة فى المرايا المحرقة بالقطوع لابن الهيثم .

(٥) د. سرى فائز سبع العيش قصة اختراع وتطور العدسات ندوة « التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية » طرابلس ليبيا ١٩٩٠ م .



الجديد فى العلم والتقنية

د/ نجوى السيد أحمد (*)

١ ـ اكتشاف الأساس الجزيئى للاستثارة الإبصارية

أظهرت البحوث الحيوية الكيميائية التى أجريت بجامعة « كامبردج » التفاصيل الجزيئية لسلسلة من التفاعلات التى تحدث عندما تمتص الخلايا العصوية فى شبكية العين الضوء وينتج عنها إشارة عصبية، حيث تقع الخلايا المستقبلة الضوئية بشبكية العين فى نمطين اثنين هما العصى RODS والمخاريط CONES بسبب شكليهما المميزين والخلايا العصوية تمكننا من تشكيل صور بيضاء وسوداء فى الضوء وتولد الاستجابة الاستثارية توجد فى الخلايا العصويــــة وتعـــرف باسم الـــرودوبسين

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

RHODOPSIN حيث تمتص جزيئته فوتونا وتصنع الاستجابة الأولى فى سلسلة التفاعلات التى تصوغ الإبصار .

جواسيس جديدة متعددة الإمكانات

تبتكر حاليا تقانـــات للـــوصل البينيــة INTERFACES تجعل الحواسيب الفائقة أكثر استجابة لوسائل الاتصال البشرى بما فيها اللمس والإيماء والكلام ، بل وتشمل نوعا من الاتصال بالعين وسيتاح للحواسيب ترجمة لغة التخاطب عن طريق برامج لإدراك الصوت وتتميز هذه الحواسيب الفائقة بسرعة العمليات الحسابية التى تقوم بها فهى تختصر فترة الانتظار التى يقوم الحاسوب أثناءها بتخريج النتائج بل وتلغيها فى بعض الأحيان .

٣ ـــ معالجة النفايات الصلبة .

تم دراسة حل مشكلة معالجة النفايات الصلبة بالولايات المتحدة الأمريكية بطرق مختلفة حيث يمكن لأصحاب المصانع تخفيض مستلزمات التعبئة إلى الحد الأدنى وتطوير تصاميم أفضل لمنتجاتها التى يمكن أن تعبأ بشكل أنسب ، كما يمكنها أيضا تحسين متانة المنتج بحيث تطول فترة استعماله قبل أن يستغنى عنه ويصبح من النفايات ، ويمكن فرز النفايات واسترجاع المواد الأولية فيها وتشمل هذه العملية أعمال جمع وفصل واستصلاح النفايات أو تتضمن عملية الكمر الهوائى COMPoSTING لهذه النفايات مثل الورق والزجاج والمعادن والمواد البلاستيكية والبقايا النباتية ، ويمكن تقليل التلوث من خلال تقنية دفن النفايات .

٤ ـــ وقود كيميائى من الطاقة الشمسية .

يمثل تحويل ضوء الشمس إلى مادة كيميائية إحدى الطرق التى تلبى متطلبات التخزين والنقل فمعظم المركبات الكيميائية قابلة للنقل بالأنابيب والتخزين على شكل غازات أو سوائل أو جوامد تستخدم بعدئذ كوقود للاحتراق الذى يولد بدوره حرارة تدير الآلات ، كما يمكن استخدام بعضها أيضا لتوليد الكهرباء . ويتم تحويل الطاقة الشمسية إلى وقود كيميائى عن طريق التحليل الكهربائى للماء بواسطة الطاقة الشمسية وإنتاج غاز الهيدروجين كوقود كيميائى حيث إنه غاز خفيف قابل للاحتراق ويمكن تخزينه ونقله إلى مسافات نائية وحين يحترق ينتج عنه ماء لا يسبب أى تلوث للبيئة .



٥ ـــ تليفزيون قابل للطى .

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج جهاز تليفزيون جديد بحجم كتاب الجيب عندما يفتح

تظهر منه شاشة صغيرة بقياس ٨ سنتيمترات ويحتوى هذا التليفزيون الملون الصغير على راديو ومكبرات للصوت وقد يضاف إليه سماعات ، ويزن هذا الجهاز حوالى ٢٠٠ جرام ويعمل بالبطارية .

٦ ــ جهاز جديد لفحص البطاريات .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا لفحص البطاريات وهو عبارة عن بطاقة تضغط على طرق البطارية فيظهر عليها شريط ملون يدل على مستوى الطاقة فى البطارية وهو يتكون من مقاوم وبللورات سائلة ونوع من الحبر ناقل للكهرباء ، وهو مغلف كله فى شريحة بلاستيكية يمكن استعمالها عدة مرات .

٧ ــ علاج جديد من قصب السكر لتصلب الشرايين .

أنتج مركز الأبحاث الوطنى فى كوبا دواء جديداً من قصب السكر لعلاج مرضى تصلب الشرايين وارتفاع الكولسترول فى الدم ، ليس له أية آثار جانبية على المريض وأثبتت التجارب الأولية صلاحية هذا العلاج الجديد لكل الأعمار .

٨ ــ منبه لسائقى المسافات الطويلة .

أثبتت الفحوصات الطبية الحديثة التى أجريت باليابان أن من الممكن تنشيط الدورة الدموية للإنسان من خلال خفض درجة حرارة أجزاء معينة من جسمه وخاصة الدماغ نظرا لازدياد كمية الدم التى تصل إليها . وقد استفاد العلماء اليابانيون من ذلك ، إذ ابتكروا عصابة على هيئة شريط من الألومنيوم وموصلة بجهاز تبريد يشدها السائق على جبهته بصورة مباشرة فتعمل على خفض حرارة الجلد إلى حوالى ١٢° مما يبقى السائق يقظا ومنتبها ويحارب النعاس والإعياء اللذين يصيبان سائقى السيارات أثناء القيادة لمسافات طويلة .



٩ ــ الرمال البركانية لإعادة نشاط الإنسان .

اكتشف اليابانيون طريقة جديدة لمكافحة ضغوط العمل والتوتر عبارة عن رمال بركانية مطحونة تدفئها المياه المعدنية الحارة فى إحدى المدن اليابانية ، حيث يتمدد الأفراد على أرض مجهزة بهذه الرمال ويدفنون أجسامهم بها فى حالة استرخاء لمدة ساعة حتى يعودوا إلى نشاطهم .

١٠ ــ آلة لإزالة انسداد الشرايين .

يجرى الآن اختبار آلة ثاقبة عالية السرعة قد تصبح أداة جديدة هامة فى علاج مرضى القلب حيث يدخل سلك لا يزيد سمكه عن سمك شعرة الإنسان فى الشريان أو الوريد المسدود حاملا رأس الآلة الثاقبة عبر الانسداد ، وتدور إبرة الآلة المغطاة بماسات مجهرية الحجم فتسحق الترسيب الدهنى إلى فتات غير ضار يسحبه تيار الدم معه .

اللغة والنقد والأدب

دور النشر وتشويه التراث

قراءة بعض النشرات الجديدة لكتاب شذا العرف في فن الصرف

بقلم / جمال عبد العزيز أحمد (*)

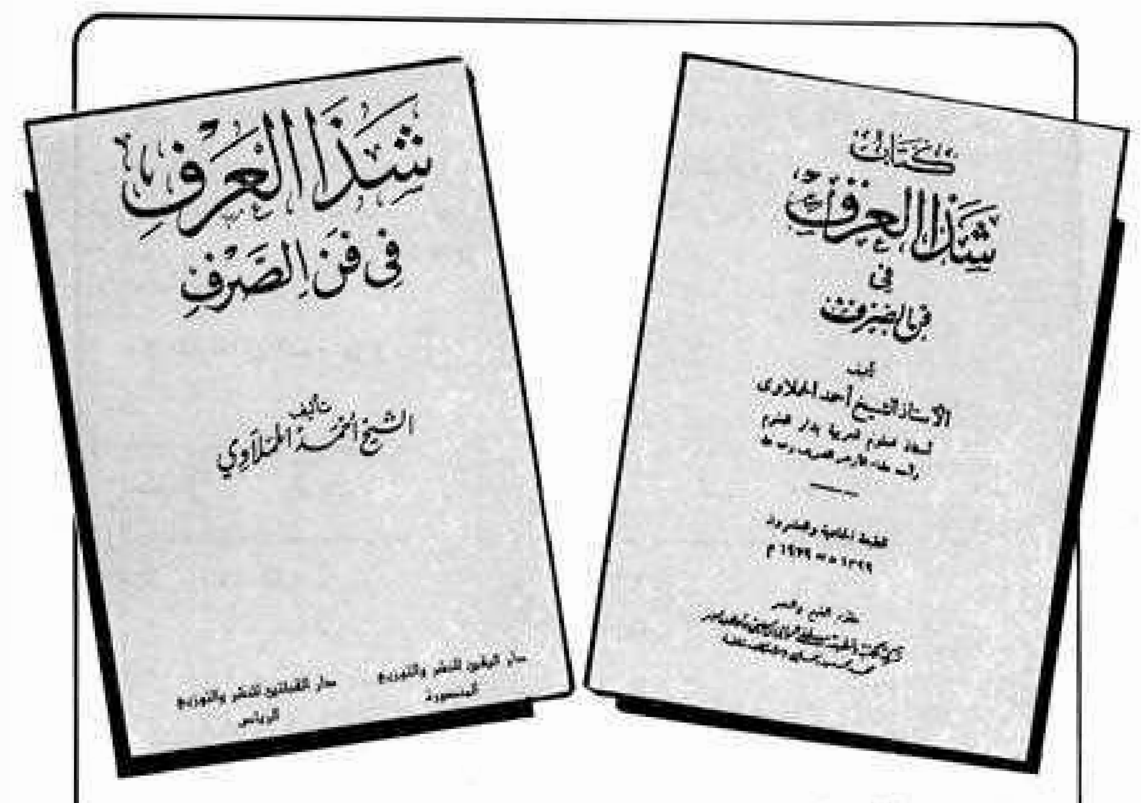
يُعد كتاب « شذا العرف فى فن الصرف » من أهم الكتب التراثية المؤلفة فى بابها ، وقد استطاع مؤلفه فضيلة الشيخ أحمد الحملاوى ــ رحمه الله تعالى ــ أن يذلل بهذا الكتاب المسائل العويصة لعلم الصرف ، وأن يَلُمَّ شتاتها ، وينفى عنها ما لا جدوى منه ، وذلك بحسن ترتيبه ، وجودة رَصْفِه ، وسهولة عبارته ، ولطيف إشارته ـ مع الإحكام والإيجاز دون إخلال أو إملال .

وظل هذا الكتاب عمدةً فى تدريس هذه المادة فى كثير من المعاهد العلمية والمدارس التعليمية ، ومرجعاً للمعلمين والطلاب على السواء ينهلون منه ، ويصدرون عنه حتى يومنا هذا .

واليوم تخرج علينا بعض دور النشر بطبعة جديدة لهذا السفر تشوّه كثيرا من معالمه ، وتزيف كثيرا من حقائقه ، وتخفى منه جميل ما صنعه صاحبُه من عمل ، وهى تلك الطبعة التى نشرتها دار اليقين ودار الفلتين بتاريخ ١٩٩٣ (الطبعة الأولى) .

وإن نظرة يسيرة للطبعتين القديمة والحديثة تكشف لنا عن البون الشاسع بين جودة العمل وإحكامه ودقته والتزامه بالأمانة العلمية والقواعد البحثية المتعارف عليها بين أهل العلم والبحث ــ فى الطبعة القديمة ، وبين التقصير فى أمانة العلم ، والخلط وعدم الدقة ، وقلة مراعاة القواعد العلمية فى الطبعة الحديثة .

(*) مدرس مساعد بكلية دار العلوم .



● تعريف بالطبعة القديمة :

امتازت الطبعة القديمة لهذا الكتاب ـــ والتى قامت على طبعها ونشرها مؤسسة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٧٩ م ـــ بحسن الإخراج ودقة الضبط ، وسلامة الألفاظ والتراكيب ، واحتوائها على زيادات وتخريجات للأشعار ، وتعريفات للأعلام وتعليقات علمية مفيدة ، وتنبيهات نافعة ـــ عند الضرورة ، هذا بالإضافة إلى اشتمالها فى المقدمة على تعريف بمؤلف الكتاب وترجمة وافية لحياته ، وإسهاماته العلمية ، وتلاميذه ، كما أُلحِقَتْ بجزء فيه تقاريظ الكتاب التى قام بها بعض العلماء إعترافا منهم بفضل هذا الكتاب .

وإذا غضضنا الطرف أولاً عن عدم ذكر التعريف بالشيخ أحمد الحملاوى فى غلاف الكتاب ، وكذلك حذف عبارة « حقوق الطبع محفوظة » لورثة نجل المؤلف المرحوم فرج صابر الحملاوى المفتش العام بوزارة المعارف سابقا » وكذلك التعريف المستفيضة لمؤلف الكتاب فى المقدمة ، والذى استغرق اثنتى عشرة صفحة ـــ وهو ما لا تجده فى الطبعة الجديدة ـــ ولو توجهنا مباشرة إلى الأخطاء العلمية ومظاهر التحريف والتغيير التى امتلأت بها الطبعة الجديدة ـــ فسوف يهولنا الأمر .

إذ يرى أخطاء أدت إلى فساد المعنى واختلاله ، ومنها هذا السقط المعيب ، وكذا اختفاء الضبط وعدم ذكر الهوامش والتخريجات والتعليقات والتنبيهات وكذا عدم ذكر تراجم الأعلام وعدم التنسيق في نظام الفقرات وعدم مراعاة قواعد الإملاء وعلامات الترقيم .

وحتى لا يكون كلامنا ادعاء بلا مستند أو دليل نسوق للقارئ نماذج نقارن فيها بين العملين : القديم والجديد من خلال اختيار عينات عشوائية :

أولا مقارنة بين النسختين في ورقات من باب النسب :

مسلسل	النسخة القديمة	الصفحة	النسخة الجديدة	الصفحة
١	ثلاثة تغييرات	١٢٦	ثلاث تغييرات	١٦٢
٢	زيادة ياء مشددة	١٢٦	زيادة مشددة	١٦٢
٣	بِنْيَة الكلمة	١٢٧	بنية الكلمة	١٦٣
٤	بائِرِيّه	١٢٧	بائيه	١٦٣
٥	مَرْمَوِيّ	١٢٧	مرموى « دون ضبط »	١٦٣
٦	حُلْفِيّ وحَلَوِيّ	١٢٧	حلفى وحلوى « دون ضبط »	١٦٣
٧	خُبَارِيّ وحبَرْكِيّ	١٢٧	حبارى وحبركى « دون ضبط »	١٦٤
٨	كالمُعْتَدِيّ والمُسْتَعْلِيّ	١٢٧	كمعتد ومستعل	١٦٤
٩	كالقاضِيّ وكالقاضويّ	١٢٧	كقاضى وقاضوى	١٦٤
١٠	كالشَّجِيّ والشَّدَوِيّ	١٢٧	كشج وشد	١٦٥
١١	نَمِرِيّ ودُؤَلِيّ وإبِلِيّ	١٢٨	نمرى ودؤلى وابلى « دون ضبط »	١٦٥
١٢	إبقاء	١٢٨	إبقاد	١٦٥
١٣	العلمية	١٢٨	العصابة	١٦٥
١٤	طَيِّبِيّ وهَيِّنِيّ	١٢٩	طيبى وهينى	١٦٦
١٥	مَفْهُوم اسم فاعل من هَوَّم	١٢٩	مهوم اسم فعل هوم	١٦٧
١٦	وصَحَّحَ حذف التاء والياء	١٢٩	وصحح حذف التاء	١٦٧
١٧	ياء فُعَيْلَة	١٣٠	ياء فعلية	١٦٨

ثانيا : مقارنة بين النسختين فى ورقات من باب الإعلال فى الهمزة :

مسلسل	النسخة القديمة	الصفحة	النسخة الجديدة	الصفحة
١	خطايئُ خطائيُ	١٤٨	خطايء خطايء	١٩٤
٢	ثم الهمزة الثانية ياء لأن الهمزة المتطرفة إثر همزة تقلب ياء مطلقا بعد المكسورة أولى .	١٤٨	ثم الهمزة أولى «بإسقاط ما بينهما»	١٩٤
٣	قضايئُ	١٤٨	قضائي	١٩٤
٤	مطايا	١٤٨	مطاطا	١٩٥
٥	مطائئ	١٤٨	مطاأى	١٩٥
٦	هرايا	١٤٩	هراء	١٩٥
٧	حتى أُزيروا المنايا	١٤٩	حتى أزير والمنايا	١٩٦
٨ •	المنايا	١٤٩	المكنايا	١٩٦
٩	مسآل	١٤٩	مسأل	١٩٦
١٠	برئن	١٥٠	برش	١٩٧

إخيرا : مقارنة بين النسختين من باب الوقف :

مسلسل	النسخة القديمة	الصفحة	النسخة الجديدة	الصفحة
١	الوقف هو قطع النطق عند آخر آخر الكلمة	١٨٠	الوقف هو قطع عند آخر الكلمة	٢٤٠
٢	« أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين »	١٨١	« وأم ما اشملت عليه أرحام الأنثيين »	٢٤١
٣	خلاف ما ذكر	١٨١	خلاف ماكر	٢٤١
٤	ذكر النون في الجميع	١٨١	ذكر النون في الجمع	٢٤١
٥	في قول جرير	١٨١	في قوله	٢٤١
٦	زيدًا	١٨١	زيدا	٢٤٢
٧	وإبْها بكسر الهمزة	١٨١	وإبْها بكسر الهمزة	٢٤٢
٨	إن أعملتْ	١٨٢	إن أعلمتْ	٢٤٢
٩	تقول رؤبة	١٨٢	كقوله	٢٤٢
١٠	ويُوقَف على	١٨٢	ويقف	٢٤٣
١١	ويوقف على هاء التأنيث بالسكون نحو فاطمةُ وعلى غيرها من المتحرك بالسكون فقط	١٨٢	ويوقف على هاء التأنيث بالسكون فقط « بإسقاط ما بينهما »	٢٤٣
١٢	والأشارة بهما إلى الحركة بدون صوت	١٨٢	والأشارة بدون صوت	٢٤٣
١٣	مع نقل حركة الحرف الموقوف عليه	١٨٣	مع نقل الموقوف عليه	٢٤٤
١٤	وقلبها هاء	١٨٣	وقلبها هاء	٢٤٤
١٥	ردَّهْ	١٨٣	رده	٢٤٤
١٦	تحقيقا	١٨٣	تحقيق	٢٤٤
١٧	هيهاه	١٨٤	هياه	٢٤٥

وهكذا يبين لنا كيف أصبح الكتاب مسخا غريبا وصورة مشوهة لا يمكن الاعتماد عليها ولا الاستفادة منها ، وفي هذا ظلم للقارئ، وظلم لصاحب الكتاب ، وظلم لأمانة العلم .

والله — تعالى — نسأل أن يوفق القائمين على نشر كتب التراث إلى المحافظة عليه ، وإخراجه على الصورة التي تمكن القراء من الاستفادة منه على أكمل وجه والحمد لله رب العالمين .



« الفصـــل الأخير »

قلنا – فى العدد الماضى – : إن الشعر هو الشعر ، أعنى أن له ذاته الوجدانية والفكرية والجمالية ، هى – بذاتها – فى أى مكان ، فى الشرق أو فى الغرب ، وإنما تختلف بعض موضوعاته كما تختلف بعض أخيلته وصوره ، هنا – أو هناك تبعا لبيئته ، إذ الخيال – دائما أبدا – يحدث صورة ، أو شكلا إجماليا ، لا واقع له ، لكن أجزاءه التى انتهت إلى هذا الشكل مستمدة من البيئة ، وبما أن البيئة تختلف من مكان إلى آخر بما هى عليه من كائنات .. ثم موروثات ... وطبيعة أرضية وسماوية مختلفة .. كل ذلك يتأدّى – إلى نفس الشاعر فيتأتى نتاجه الشعرى مختلفا فى أخيلته وصوره وبعض موضوعاته عن غيره فى مكان آخر . لكنه لن يختلف – بحال – فى موضوعاته الإنسانية وما اتصل بها من طبيعة البشر .

من هنا نقول : للشعر موضوع لا يختلف فى الشرق عنه فى الغرب .

وللشعر أغراض تتعدد – أو لا تتعدد – فى القصيدة الواحدة .

وهذا « جلبرت موري » يرى أن « الوحدة الموضوعية » فى القصيدة الواحدة لا ضرورة لها وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية وأن الفن كالحياة (١) .

أى : كما تجمع الحياة أكثر من شىء ، فينبغى أن يكون الفن كذلك .

وكتب الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى : « من الظواهر الجديدة فى شعر بعض شعراء الغرب المحدثين عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية فهم يرونها لا ضرورة لها وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية(٢) .

كل ذلك منطقى ومعقول ، لولا ارتفاع عقيرة البعض بدعوى عريضة تزعم أن القصيدة العربية مجردة من الوحدة الموضوعية ؛ لأنها تزخر – فى الغالب – بأكثر من « غرض » ولقد بيّنّا لقارئنا سخف هذه

المقولة ووضعنا بين يديه قصائد — عبر عصور العربية المختلفة — ذات وحدة موضوعية متينة السبك تقف شامخة أمام كل تفسير يراد به « الوحدة » .

وإذا قلنا : إن من القصائد العربية — وبخاصة — في العصر الجاهلى ، ماتضمن أكثر من « غرض » متجاورين — في التسليم — بتلك القضية ، حقيقة وضع هذا النوع من القصائد التى فقدت الكثير من أجزائها بحكم أمية العربى فى ذلك الحين ، مما ترتب عليه سقوط الكثير من أبيات القصيدة من حفظه حتى بدت كأنها ذات أغراض متعددة إذا قلنا ذلك ، فإننا نقول : هذا اللون — بذاته — موجود فى الشعر الغربى أيضا ، حيث جد القصيدة الواحدة قد تضمنت أكثر من غرض :

فها هو ذا الشاعر الناقد « صموئيل تيلر كوليردج » ١٧٧٢ — ١٨٣٤ ينتقد الشاعر الرومانتيكى وردزورث « بأنه ينتقل — أحيانا — تنقلا مفاجئا بين حالات مختلفة من المشاعر ، لاتشابه بينها ، مما يُحدث انقطاعا فى سياق الوحدة العضوية الأرسطية **Organic Unit** تلك الوحدة التى أطلق عليها « هوراس » فيما بعد : « وحدة الموضوع : **Unity OF Action** وصارت المثل الذى يحتذى للنقد الأدبى فى أوربا .

على أن « كوليردج » نفسه خرج عن « الوحدة » فى قصيدته « الملاح العجوز » فوجدنا مقدمة القصيدة يتحدث فيها عن « حفل عرس » ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن رحلة الملاح العجوز الشاقة ، إلى البحار الجنوبية وماصادف من محن ، وأخيلة غريبة :

[يستوقف الملاح العجوز أحد ثلاثة من الوجهاء المدعوين إلى حفلة عرس ، فقال الوجيه]
بلحيتك الرمادية الطويلة ، وعينيك النافذتين .
الآن . لماذا تستوقفنى هنا ؟!

It is an ancient Mariner,
And he stoppeth one of three.
"By thy long gray beard and glittering eye,
Now wherefore stopp'st thou me?

• • •

لقد فتحت أبواب الحفل مصاريعها .
وأنا قريب للعروسين .
وقد التقى الضيوف .
ووضعت المائدة .
والمرح يسرى فى الحفل .

"The Bridegroom's doors are opened wide,
And I am next of kin,
The guests are met, the feast is set:
May'st hear the merry din."

He holds him with his skinny hand;
"There was a ship," quoth he.
"Hold off! unhand me, gray-beard loon!"
Eftsoons his hand dropt he.

فأمسك الملاح الضيف بيده النحيلة ، واستتلى قائلا : .
كانت هناك سفينة ، فقال الضيف مقاطعا :
ابتعد عنى !! ارفع يدك عنى ، أيها الفظ ذو اللحية الرمادية .
وفى التو تراخت يد الملاح العجوز .

● ● ●

كانت تلك هى مطلع القصيدة ، ثم درج بعدها إلى رحلته فى البحار الجنوبية .

فأى فارق بين ما أنشدة « كولبردج » فخرج فيه من غرض إلى آخر ، وما أنشده أصحاب المعلقات إذا قلنا : إنها هكذا أنشدوها جامعة لعدة أغراض ، خرجوا فيها من غرض إلى غرض .

هذا عنترة — مثلا — بدأ معلقته بالغزل فقال :

هل غادر الشعــــــراءُ من متـــــــــردم أم هل عرفْتَ الــــدار بعـــــد توهُّـــــم

ويستطرد — فى الغزل — لعدة أبيات يخلص — بعدها — إلى موضوعه .

من عجب أن تجد من يدفع عن كولبردج بحرارة يمثلها — تماما — اندفاعه فى الحملة على عنترة وأمثاله من عمالقة الشعر العربى .

على أن الحق أحق أن يتبع ، وما يضير العروبة أن يكون من أبنائها من يأسف على حظه أن يكون عربيا ، فيتنكر لها ، مشيدا بالغرب فى كل شىء :

وقد أنشد الأستاذ الدكتور سيد الجميلي بيتين يلقيان بهذا المقام ، فقال :

يقولـــــون : « كهـــل » على شعرنـــا وذاك لعمــــرى قول سخيـــــف
ومـــــاذا يضير شعـــــاع النهار إذا عاب — يوما — عليـــه الكفيـــف

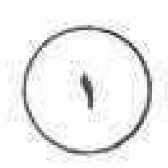
تصويب

رقع خطأ بالصفحة الأولى من عدد المحرم ١٤١٥ هـ بالسطر الحادى عشر فى العبارة : (جهاد لمن حارب الدين) وصحته (جهاد من حارب الدين) نرجو التصحيح .

نافذة على الغرب (١)



عرض وتقديم
الأستاذ/
عادل رفاعي خفاجة



لقد تعرض للإسلام بالدراسة الكثير من المفكرين الغربيين، وكثير منهم تنقصه الحيدة العلمية، فجار وشوه.

إلا أن الإسلام لم يعدم فى وسط هذه الكثرة الكاثرة ـ التى لم تدرس إلا لتشوه، ولم تقترب إلا لتطعن ـ لم يعدم الإسلام بعض أصحاب الفكر الهادىء الذين تناولوه بحيدة وموضوعية.

وخرج الإسلام منتصراً فى الحالتين: إما بجهود أبنائه الذين انبروا يدافعون عنه، ويمحون افتراءات المضللين، وإما بكلمة حق قالها أوروبى منصف بعد دراسة واقتناع.

وقد اكتسبت المكتبة الإسلامية من هؤلاء وهؤلاء العديد من المصنفات، منها الجيد الذى يشار إليه مثل: «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن» للمستشرق الألمانى «فلوجل» وهذا المصنف هو أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ومثل «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى»، الذى ألفه لفيف من المستشرقين، ونشره الدكتور «ا.ى. ونسنك».

والكتاب الذى نعرضه فى هذا العدد للألمانى، المسلم د. «مراد هوفمان» يعد مرافعة عن الإسلام، إذا يقدم المؤلف فيه الإسلام كبديل وحيد لكل «الأيديولوجيات» التى أثبتت فشلها.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الألمانية بعنوان:

« Der Islsm als Alternative » . وقام بترجمته إلى العربية د. غريب محمد غريب وعُني بنشره مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا . وتقع الترجمة فى مائتين وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وتقوم على عشرين فصلاً ومقدمة بقلم أ.د. « أنا مارى شمل » عميدة الاستشراق ، والتى تختم مقدمتها ببيتين من شعر « جوته » فى الديوان الشرقى الغربى :

إن يك الإسلام معناه القنوت
فعلى الإسلام نحيـــا ونموت

يبدأ المؤلف بحثه بالتأريخ للعلاقة بين الإسلام والغرب ، وأنها بدأت منذ أرسل الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – فى أخريات حياته – رسائل إلى حكام المناطق المجاورة طالباً إليهم أن يسلموا .

كما يرى المؤلف أن هذه العلاقة برغم أنها لم تبتر منذ بدأت إلى اليوم ، إلا أنها تتسم بالتوتر والتحفز ، وأن الفتوحات تعددت فى الفترة من (٦٣٤ – ٧١١م) وقد شملت (سوريـــا وفلسطين وفارس ومصر وأرمينيا وقبرص وشمال إفريقيا والمغرب العربى والقسطنطينية وأسبانيا) مما جعل بعض الغربيين يزعمون أن الإسلام دين عدوانى .

ويرى أن أهم أسباب اعتناق هذه الشعوب للإسلام هو اعتنـــاق كثير من الـــــنصارى (الإريسيين والدوناتيين) عقيدة ترفض ألوهية المسيح وترفض التثليث ؛ فكانوا بمخالفتهم لإجماع الكنيسة أقرب إلى روح الإسلام أنظر (ص ٢٢) ثم يذكر المؤلف أن الصراع بين الإسلام والغرب قد انتهى مع مطلع القرن الثامن عشر حيث اتخذ الغرب طريق التطور العلمى ، وسار العالم الإسلامى فى طريق مفض إلى التخلف والجمود والركود ، فلم يعد فى إمكانه تجنب الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر .

ويرى أن وراء تدهور العالم الإسلامى ثلاثة أسباب رئيسية :

● الأول : سقوط قرطبة وبغداد .

● الثانى : الاقتصار على التلخيص والتقليد أو الشروح ، مع أن الإسلام يدعو إلى طلب العلم والتفكر والتدبر .

● الثالث : وهـو سبب خارج عن العـــالم الإسلامى : شيوع المذهب العقلى والعلمى الذى لا يعترف إلا بالعقل .

ويعقب على ذلك بأن الإسلام لم يقبر بل انطلق زاخراً بالحياة ، بعكس المجتمعات الصناعية الغربية ؛ فقد أخذت الأزمات بخناقها . ذلك أن ما يميز الإسلام أنه يقدم لمن يعانى المحن فرصة العودة الرشيدة إلى الطريق الصحيح ، وكل ما على المسلم أن يكف عن مسابقة الغرب فى الحرص على متاع الحياة الدنيا الزائف الزائل ، كما أن سلسلة الإهانات المتلاحقة للعرب والمسلمين – وبوجه خاص – فى فلسطين قد مهدت الطريق للتخلص من ذلك الخزى ، وتحقيق انطلاقة أخلاقية دينية واعية .

الفصل الثانى : الدين الكامل :

يستهل المؤلف هذا الفصل بأن أهم أسباب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا بساطة تعاليم الإسلام . ثم يتكلم عن أركان الإسلام وحب الإسلام للسلام . وأن القرآن ليس كغيره من الكتب بل هو مختلف تماماً فيقول ص ٤١ :

«ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد ، حيث يقص فيهما شخص ما حديثاً غير مباشر عن شيء أو شخص أو عن الله .. أما القرآن ، فإن القاص الذى يقص أحسن القصص هو الله مباشرة سبحانه ، يُخبر الله فيه عمن يشاء أو عما يشاء ، كما يعلمنا أن نتزهه عن الجنس والنظير والشبيه .. فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير الغائب المفرد ؛ لكى نظل واعين بمسألة تنزهه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص » .

ثم يتكلم عن لغة القرآن ، فيقول :

« ... إن لغته العربية أصبحت حبلاً يعتصم به أكثر من مليار مسلم فى العالم الإسلامى وحده : فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاته أسْدَت للغة العربية الكثير ، فأصبحت اللغة الوحيدة التى يستطيع الناطقون بها ـ المتوسطو الثقافة ـ قراءة نصوصها التى يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام دون حاجة إلى ترجمتها إلى « لغة عربية حديثة »[1].

ثم يقدم المؤلف (ص٤٦ : ص٤٨) بعض الفروق التى يراها رئيسية تفصل بين شخصية المسلم وشخصية النصرانى الغربى : برغم اتفاقهما فى كثير من الصفات الحميدة والمبادىء الخلقية :

١ ـ إن المسلم لا يتخذ وسيطاً أو شفيعاً ـ مهما علا قدره ـ عند الصلاة ، بينما يتوسل النصرانى بعيسى ومريم أو الروح القدس .... الخ ؛ فالمناخ الذى يعيشه المسلم أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد من المناخ الذى يقوم على شعائر وأسرار كهنوتية .

٢ ـ حرص الإسلام على السلامة العامة بتحريم لحم الخنزير والخمور . وكذلك الانتظام فى أداء الصلوات فى أوقاتها ، كل ذلك يخفف حدة التوتر والإجهاد اليومى . وهذا لا يتأتى بأداء قداس الأحد أو بابتهال الصباح القصير .

٣ ـ يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة . على العكس من التصوير الشيطانى للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة فى كتابات « بولس الرسول » التى تشين الزواج وتمدح العزوبية ، والتى تسببت للكاثوليك فى كثير من الآلام .

٤ ـ إن النصرانى العادى لا يستطيع تنفيذ الوصية القائلة بأن يحب الإنسانُ الغيرَ كحبه لنفسه ، وهو تماماً مثل من يلتزم بنظرة « بولس الرسول » للجنس .

على العكس من هذا نجد الإسلام يلزم متبعيه بما هو فى الإمكان البشرى .

الفصل الثالث : المسيحية من وجهة نظر إسلامية :

يقدم المؤلف فى بداية هذا الفصل حقيقة يجهلها من ليسوا على علم كاف بطبيعة الإسلام والمسلمين ، هذه الحقيقة أن المسلم إذا سمع اسم النبى عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه يصلى عليه تماماً مثلما يصلى على النبى محمد ـ صلى الله عليه وعلى رسله أجمعين وسلم .

---

(١) لعل فى هذا القول عبرة لمن ينادون باستخدام العامية تحت اسم الحداثة .

ثم يشرع في تفسير ذلك فيقول : « إن الإسلام لا يعد نفسه ديناً جديداً في مقابل المسيحية لمجرد أنه - تاريخياً - جاء بعدها ، بل إنه يرى نفسه إكمالاً وتصحيحاً للدين الداعي إلى الوحدانية المطلقة التي وصى بها إبراهيم ومن بعده من الأنبياء .. من هذه الزاوية يمكن النظر إلى الإسلام بصفته أقدم الديانات الداعية إلى التوحيد وإن كان في الوقت ذاته أحدثها تاريخياً » .

ثم يعرض لمنزلة عيسى ومريم - عليهما السلام - وصورتهما في الإسلام .

وكذلك رفض الإسلام للتثليث . وما أحدثه أهل الكتاب من تحريف في التوراة والإنجيل ، وعن هذه الأخيرة يقول ص ٥٥ :

« إن من المهم - أيضاً ، أو المؤسف حقاً - أن أقدم نسخ العهد الجديد جميعها ، والتي يتداول القوم ترجماتها إلى لغاتهم ، قد أتم إعدادها بعد ذلك المجمع المذكور[٢]. ليس معنى هذا بالضرورة أن يوصم تاريخ المسيحية بأنه تاريخ إجرامي ، كما يذهب إلى ذلك المؤلف الألماني كارل هاينز دشنر ، لكن مقولته (فرضيته العلمية) التي تؤكد أن المسيحية مزورة ، تتفق مع ما يؤكده الإسلام من تحريف الإنجيل ... » .

ثم يناقش المؤلف مسألة تجسد الذات الإلهية في عيسى أو حلول الذات الإلهية فيه ، ومسألة الصلب ، ويدحض ذلك ويثبت أنها افتئات منسوب إلى عيسى - عليه السلام - ظلماً وعدواناً .

الفصل الرابع : الإيمان والعلم :

يصدر المؤلف هذا الفصل بالمثل الانجليزى : (بيتى هو حصنى الحصين) وأن الإسلام يحرص على تطبيق ذلك ويؤكد بتعاليمه الواضحة حرمة البيوت حيث نهى عن التجسس وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة وحفظ حق الجار .... الخ .

ثم يعرض لعدد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحث على طلب العلم والتعلم ثم ذكر أربعة عشر معلماً عالمياً من المسلمين بدءاً من « ابن فرناس » صاحب أول محاولة للطيران - المتوفى سنة ٨٨٨م - منتهياً بعالم البحار سيدى على ريس الذى مسح الشواطىء الآسيوية علمياً وأسهم في تطوير الفلك الملاحى ، والمتوفى عام ١٥٦٢م .

وهو بذلك يبرهن على أن الغرب لم يرث الحضارة الهلينية وإنما ورثها الشرق الإسلامى وبعثها وطورها .

ثم يعرض لأسباب ذبول الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر وأهمها : إغلاق باب الاجتهاد ، ونظرة بعض علماء الدين للعلوم الطبيعية نظرة معادية ؛ خوفاً من الانسياق وراء البدع ، مع أن السنة الكريمة ميزت بين الحسن والسيىء من البدع .

ثم يشير إلى عدة نقاط مشرقة ، فالتدهور لم يكن كله ظلمات بعضها فوق بعض ، بل كانت

---

(٢) أسلف المؤلف القول أن المجمع المذكور هو : المجمع المسكونى المنعقد في نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥م ، فلم يحترم هذا المجمع أو يحترم التصور اليهودى لله - سبحانه وتعالى - وهو تصور عيسى والمسيحيين الأوائل ، لله - سبحانه وتعالى - أيضاً ، فأصدر المجمع قراراً ليس له طبيعة الإعلان وإنما طبيعة الدستور الملزم ، وذلك بشأن مسألة التثليث ، فعدها وتبناها بصفتها عقيدة أساسية ، وتم التخلص من كل الآثار التي تعارض عقيدة التثليث .

العبقرية الإسلامية تشرق فى مجالات : الفقه وعلوم الدين والأدب والمعمار .

ويذكر أنه مع وجود بعض من لعـــن (التكنولوجيا) الغربية ، لأنها نشأت فى بيئة إلحادية كافرة ، نجد على العكس منهم فئة من العلماء المسلمين الناضجين ، ينادون بضرورة الإفادة الحكيمة المتبصرة من القيم الحيدية الأساسية للتكنولوجيا بما يلائم المجتمعات الإسلامية .

وعن الدعوة « لأسلمة العلوم » يقول : « لاشك أن الدعوة إلى جعل العلم إسلامياً دعوة إيجابية ، حيث أنها لا تستهدف نبذ النمط الغربى جانباً ، وإنما تهدف إلى تحقيق التربية الإسلامية والإصلاح الجامعى » .

ثم يقول ــ مضيباً فى ذلك ــ : إن العلوم لا يمكن أن تصير إسلامية ، إلا إذا برزت على الصعيد العلمى إنجازات رفيعة المستوى للعلماء المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ويطبقونه فى أقوالهم وأفعالهم .

الفصل الخامس : التصوف :

وفى هذا الفصل يرى المؤلف أن الإسلام قد حقق التوازن المنشود ــ بوسطيته واعتداله ــ للإنسان ، ذلك أن عليه السعى للآخرة ، وفى الوقت نفسه يسعى فى الأرض ويمشى فى مناكبها كما أمر الله سبحانه وتعالى .

وهو ما حققه الرعيل الأول ابتداء من الرسول الكريم ومن تبعه من الخلفاء والصحابة .

كان ذلك الرعيل ــ من السابقين الأولين ، رجالاً ونساءً يتق الله حق تقاته ، مضحياً بنفسه وماله فى سبيل الله ، طالباً للآخرة ، ساعياً لها سعيها ، زاهداً فيما فى أيدى الناس ، مميتاً للشهوات ، هذه الغاية التى يجهد الصوفى لنيلها : « الموت قبل الموت » .

غير أنه لم يؤثر عن مؤمنى الرعيل الأول أنهم تسموا بالصوفية ، أو أنهم قالوا إنهم يجدون ما يجد الصوفى ، ثم يعرض لعدد من الطرق الصوفية وكذلك يعرض لبعض شطحاتهم ، وكذلك يعرض ص ٩١ لصور التصوف النصرانى ، والتى تنادى بالتغيير الكنسى من القاعدة .

الفصل السادس : الجبرية (الإيمان بالقضاء والقدر) :

من معجم « ماير » الموسوعى يأتى المؤلف بهذا النص الذى يقول : « إن الجبرية أرسخ ما تكون فى الإسلام الذى يدافع عنها » .

ثم يعلق المؤلف على ذلك بقوله إن هذا صحيح ، فهو مقدمة صحيحة لنتيجة خاطئة ؛ حيث يستخلص الغربيون من هذه المقدمة أن الإسلام خنوع واستسلام ، وهى نتيجة بلا شك خاطئة .

ومنذ القرن العاشر يغلب على التيار الإسلامى القول بأن الازدواجية « الظاهرة » فى أسماء الله الحسنى ، والازدواجية التى توحى بها الآيات الدالة على الجبر ، والآيات الدالة على حرية الاختيار إنما هى ازدواجية يستعصى على المنطق البشرى حل معضلها ، على أنه رغم الدهشة التى قد تثور عند تأملها لا تمنع تقبل المسلم لها ببساطة .

ثم يتساءل المؤلف : ما معنى كل هذا فى واقع الحياة العلمية للمسلم ؟

ثم يجيب عن ذلك بأن المسلم أو النصرانى

يحاول تحقيق أهدافه في الحياة ، عملاً بالشعار «ساعد نفسك ، يساعدك الله» على أن المسلم يجد نفسه مسئولاً مسئولية شخصية مباشرة عما يفعل وعما يقول .

ثم هو إن حبطت بعض جهوده ، يفزع إلى الله صابراً محتسباً ، لأن قضاء الله لا راد له .

الفصل السابع : الأصولية أو السلفية :

وفي هذا الفصل أوضح المؤلف أن المصطلح الغربي للأصولية (وهو بالألمانية Fundamentalismus وبالانجليزية Fundamentalism) ليس له مطابق في العربية ، لأنه مصطلح منحوت من أصل غربي ، لكي يطلق على ظاهرة «غربية» معينة ، وبمعنى أدق ، فإن هذا المصطلح «الأصولية» ـ أدبياً ـ استعمل أول الأمر تمييز الأمريكيين البروتستانت في القرن التاسع عشر الذين أكدوا على عصمة الإنجيل ، خاصة في قصة الخلق «حيث رفضوا النظرية الفجة ، التي تطورت عن نظرية داروين في النشوء والارتقاء . ثم بين أن هذا المصطلح ينسحب ـ أيضاً ـ على القائلين من اليهود بالعصمة الحرفية المطلقة لتوراتهم .

وبذلك يتضح أن الأصولية لا توجد في الإسلام وحده .

وقد اتفق على الأصولية إسلامياً[3] بما يلي :

«الأصولية عبارة عن موقف فكري ورؤية عالمية ـ بالمعنى البعيد أيضاً كحركة ـ ترى الالتزام بالإسلام كما كان في أول عهده ، وكما عرفه السلف الصالح من الصحابة ، منطلقاً ومثالاً يحتذى به ، في صياغة المعايير والقيم وقواعد السلوك والمعاملات ، في عملية بناء الحاضر» .

وعن التمسك بالمعنى الظاهر الحرفي للكلمة يقول :

« إن متفقي الأصوليين يتدبرون القرآن ، محكمه ومتشابهه تدبراً قائماً على الإيمان بكل حرف من حروفه وكذلك الآية ٧ من سورة آل عمران :

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ سورة آل عمران

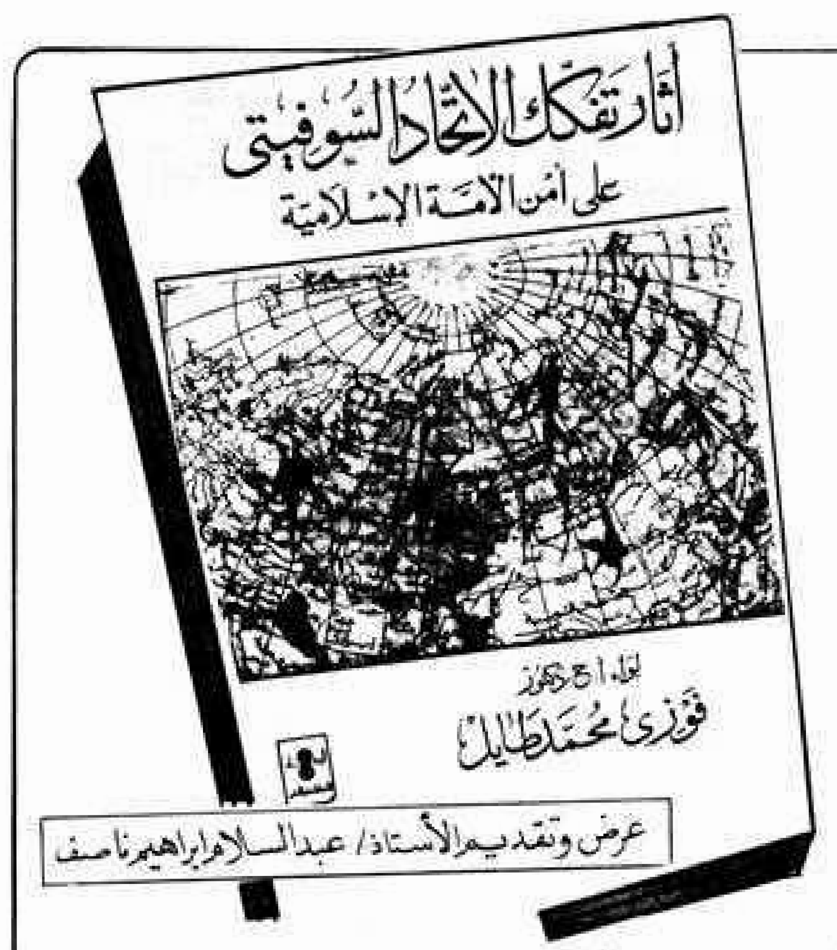
ثم يدلف المؤلف إلى الحركة الثانية وهي : حركة الأصوليين العقلانيين ، الذين نادوا باتخاذ السلف الصالح مثلاً يحتذى به في السلوك والاعتقاد . أمثال الإمام محمد عبده في مصر والشيخ رشيدرضا في سوريا ... الخ وقد نادى هؤلاء السلفيون بفتح باب الاجتهاد من جديد ؛ لكي يتفهم المسلمون القرآن والإسلام فهماً سليماً ، في هذا العصر الحديث .

ولعله بذلك يلمس أهم ما يعانيه المجتمع الإسلامي من انسياق وراء نماذج أوربية سياسية واقتصادية لا تتفق مع روح الإسلام .

(الحديث موصول)

---

(٣) اتفقت الندوة التي انعقدت في ٢٢ يناير ١٩٨٧ بمقر وزارة الخارجية على الأخذ بهذا التعريف .



عرض وتقديم الأستاذ/ عبد السلام إبراهيم ناصف

يطرح الكتاب رؤية إسلامية ـ لنشأة الاتحاد السوفيتي خلال القرن العشرين ، ويصف ما كان يجرى فيه ، عقائديا ، وثقافيا ، وعسكريا ، ويبين كيف تطورت أساليب القوة داخل بنيانه حتى سما إلى مرتبة الدولة العظمى منافسا لأمريكا حتى أطلق عليهما معاً « القوتان العظميان » فإذا ما انهارت هذه القوة انقلبت موازين العلاقات الدولية ، حيث تخلف عن انهياره وتفككه كيانات دولية جديدة هى « الجمهوريات الإسلامية » .

ويهم الكتاب بدراسة العلاقة بين هذه الكيانات الجديدة التى بزغت ومحاولات احتوالها بعيداً عن عقيدتها الإسلامية والكتاب من القطع الصغير ويقع فى مائتين وعشر صفحات يحمل غلافه خريطة جغرافية لهذا الاتحاد المنهار وقد كتبه أحد المتخصصين فى الاستراتيجية العسكرية بموضوعية تعرف عنه فهو اللواء أركان حرب الدكتور فوزى محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر العسكرية ، الذى صدره بالآية الكريمة :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : (٩٢)]

ولقد قدم له فى مقدمة طويلة تقع فى تسعة عشرة صفحة بدأها بعد الحمد لله والصلاة على رسوله ﷺ ـ برسم صورة لشعوب الأمة الإسلامية الممزقة فى بداية القرن العشرين لنبذهم منهاج الله وشرعه مفضلين عليها الشرائع الوضعية ومن ثم تمكنت روسيا من وضع يدها على أرض عزيزة على الإسلام والمسلمين بغية استعادة الامبراطورية الرومانية الشرقية «البيزنطية» بل والوصول إلى البحر الأبيض.

ومن منطلق العداء التقليدى للإسلام فقد اتفقت كل الدول على تقسيم بلاد العرب وغرس الكيان الصهيونى فى فلسطين بعد ما تمكنت أساطيل انجلترا وفرنسا وروسيا من تدمير الأسطول المصرى والعثمانى فى موقعة «نافارين» «Navarino» فى العشرين من أكتوبر ١٨٢٢م بعدها تم اجتياح روسيا لشبه جزيرة البلقان فى اتجاه القسطنطينية.

ثم يتحدث المؤلف عن أمن الأمة الإسلامية الذى يرتبط بعقيدتها والحفاظ على منظومة قيمها ومناهج حياتها والأمن المرهون بحماية الحق والعدل ويستدل بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الأنعام آية ـ ٨٢

ففى ظل إقامة شرع الله تعمر الأرض وتزدهر قيم الإسلام.

وينهى المؤلف مقدمته: بشعار «أدركوا الأمة قبل الضياع».

الفصل الأولى

قوتان عظميان وغياب الهوية الإسلامية

ويرى المؤلف فى هذا الفصل أن الأمة الإسلامية كانت هى منطقة الارتطام Crash area ورغم تعارض مصالح القوتين العظميين إلا أنهما اتفقتا على الاضرار بها كما يتضح من اعترافهما السريع والمتتالى باسرائيل عقب الاعلان عن قيامها ـ وكذلك تمكينها من إلحاق الهزيمة بالعرب فى يونيو ١٩٦٧ واتفاقهما على دعم الهند ضد باكستان وتقسيمها وإنشاء دولة بنجلاديش واتحادهما على إشعال الحرب فى اليمن.

إلى جانب التدخل غير المباشر فى بلادنا على شكل مساعدات «اقتصادية أو حربية» ولقد تنافست القوتان الأعظم فى تقديم هذه المساعدات كنوع من التأثير وأصبح موضوع هذه المساعدات كالإدمان الذى يستحيل البرء منه.

وينادى الكاتب بإقامة سوق إسلامية مشتركة لاستعادة وحدة الأمة لتوفر مقوماتها وتلبية لمناداة مؤتمر القمة الإسلامى بضرورة التعاون والتضامن الإقتصادى المتبادل بين الدول الإسلامية ويعزو تأخر قيامها إلى عدم توفر النية الصادقة أو إذعانا لضغوط أعداء الإسلام.

كما أنه يحبذ إقامة القدرة التكنولوجية الإسلامية بقيمها وتدبير السلاح لتحرير الأرض والدفاع عن المقدسات بصورة جماعية، ويوضح أنه قد تم افتتاح المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية بجده فى أول رمضان ١٤٠١هـ، وبرغم هذا فلا تزال الأمة الإسلامية تعتمد على غيرها فى

إنتاج السلاح والغذاء والمادة العلمية والثقافية والقيم.

كما أنه يدعو إلى : الدفاع عن الأرض الإسلامية وحماية حقوق المسلمين وتأمين الدعوة إلى الله. فلقد حبا الله أمة الإسلام بموقع إستراتيجى فريد إلى جانب توفر المياه والثروات المعدنية والطاقة وفرض على أهلها الجهاد لإعادة الحق والعدل إلى نصابهما والذود عن الدين والنفس والمال والعرض- وكم يأمل المؤلف أن تتعاون الأمة الإسلامية لإقامة دفاع مشترك لحماية فلسطين والبوسنه وغيرها.

الفصل الثانى

سقوط الامبراطورية

أظهر المؤلف أن الأحداث قد توالت تباعاً لتنهى قصة الاتحاد السوفيتى، وأفــول نجم الإشتراكية الماركسية بعد فشلها فى التطبيق وتهدف الماركسية إلى خلق مجتمع بلا طبقات ينتج أفرادها بأقصى طاقاتهم ليوزع الناتج على حسب احتياج كل فرد فهى نظرية مادية تعتمد على الإكراه- وهيمنة الدولة على أدوات الإنتاج والتوزيع والخدمات فساءت الأحوال وانتشر الإهمال والفساد.

ولقد انتشرت الإشتراكية فى بلدان العالم الثالث الذى اعتمد على الأسلحة السوفيتية التى كان ينتجها على حساب السلع الاستهلاكية فحدث خلل فى الاقتصاد وظهر هناك سوق سوداء فى كل السلع وانتشرت ظاهرة الإدمان التى ولّدت الاحباط وفقدان الأمل مما دفع الاتحاد السوفيتى إلى استيراد القمح والسلع الغذائية من أمريكا فتدهور اقتصادها كما حدث خلل فى التوزيع نتيجة التفاوت فى الدخول وامتد الخلل إلى الخدمات التى تقدمها الدولة وهكذا جاءت النتائج بعكس مقدماتها وعلى ذلك تكون الماركسية قد بنيت على وهم وخيال يخالف سنة الله فى خلقه«ولن تجد لسنة الله تبديلاً‌ولن تجد لسنة الله تحويلا».

المعركة الحاسمة لاقامة «نظام دولى جديد»

جاء فى كتاب «الخليج والغرب» «لأنتونى كوردسمان» أن الولايات المتحدة خاضت حرب الخليج وتحالفت معه لتأمين حصولها على بتروله كما وكيفا- بوضع يدها على مصادر الطاقة، ولتأمين تحويل عائد النفط إلى بنوك أوربا كضمان للقروض والفوائد وأثمان صفقات الأسلحة وتمركز القوات الأمريكية بدول الخليج وأخيراً القضاء على قوة العراق لتحقيق أمن اسرائيل وتوسعها.

وعقب هذه الحرب المدبرة والمخططة أعلن الرئيس الأمريكى «جورج بوش» قيام النظام العالمى الجديد NWO تتعهد بموجبه الولايات المتحدة برعاية وإدارة هذا النظام الذى يحقق الأمن والسلام فى مجتمع العالم World society مع تدعيم منظمات الأمم المتحدة وتأمين منطقة الشرق الأوسط بحماية منابع الطاقة وإزالة أسباب التوتر، والحد من التسلح، والاهتمام بالنزاع الاسرائيلى العربى، والخليج العربى، ولبنان.

ولكى تسود هذه الفكرة يلزم أن تصل المعونات الإنسانية والخدمات الصحية بأسلوب مركزى لا يعبأ بالدولة ولا بالسيادة.

وتتركز كل هذه الأفكار بهدف القضاء على

الإسلام بدءاً بإعـلان الحرب ضد ما أسموه (بالإرهاب الإسلامي) كما يتشدق به وزير خارجية الاتحاد السوفيتي المنحل ، وإذا كان هناك عداء بين الغرب وبين الإسلام فإن شاهداً من الغرب يوضح هذا العداء هو « لويس وير » Lewis B. Ware حيث يقول :

« إن الإسلام بقيمه عابر للحدود يستهدف إقامة مدينة الله على الأرض ـ فهو إذن معاد للعلمانية وللغرب وللصهيونية » .

الفصل الثالث

تناثر الجمهوريات

وفي هذا الفصل عالج المؤلف مشكلة توجيه التكنولوجيات التي تكمن في قوة الاتحاد السوفيتي السابق الذي كان يملك قاعدة تكنولوجية عريضة تزيد على ٥,٦٪ من عدد سكانه فضلا عن المؤسسات البحثية والأكاديمية التي تحتضن هذا العدد الهائل في كل المجالات .

وبانهيار الاتحاد السوفيتي برزت مشكلة التصرف مع هذه القاعدة وهذا الكم الهائل من العلماء ويمكن تحديد عناصرها على النحو التالي :

١ ـ وجود فائض في التكنولوجيا .

٢ ـ مسارعة إسرائيل لمد جسور التفاهم مع جمهوريات الكومنولث .

٣ ـ محاولات منع وصول التكنولوجيا إلى الدول الإسلامية .

الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب

تضم هذه المنطقة خمس جمهوريات هي : قازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمستان وقرغيزيا وكلها جمهوريات يسودها عدم الاستقرار بالاضافة إلى استمرار الصراع في القوقاز .

١ ـ قازاخستان :

عاصمتها (الماآتا) وتقترب مساحتها نحو ٢,١١٧,٣٠٠ كيلو متر٢ ، بامكانيات هائلة وتكنولوجيا عريضة يعمل بها نحو ١٧٠,٠٠٠ من سكانها ولكن عدم التجانس بين السكان وتعدد اللغات يؤدى باستمرار إلى اضطرابات عرقية وطائفية ومن ثم عدم إستقرار سياسي يزيد من حدته تخوف الصين من كثرة المسلمين في إقليم مجاور لحدودها .

٢ ـ اوزبكستان :

عاصمتها « طشقند » وتبلغ مساحتها نحو ٤٤٧,٤٠٠ كم٢ وتزيد نسبة المسلمين بها عن ٨٠٪ من عدد سكانها وهي تنتج القطن والحرير والبترول والغاز الطبيعي إلى جانب ثروة معدنية هائلة ومن الناحية الأكاديمية فهي تحوى أكاديمية للعلوم وإعداداً مهولة من المعاهد الفنية .

ولعل استعادة الهوية الإسلامية والثقافية الأوزبكية هي أهم مصادر القلاقل والاضطرابات حيث لاتحوى المناهج مسحة دينية ـ ومن ثم ترتفع نسبة الهجرة نحو روسيا بغية التعليم ـ إلا أن هذه القلاقل تؤدى إلى عدم الاستقرار .

٣ ـ طاجيكستان

عاصمتها (دوشانبي) وتعتبر أكثر الجمهوريات اشتعالا بالصراع لامتداد حدودها مع أفغانستان وكشمير اللتين تشاهدان الإلحاد ـ ورغم فقرها وزيادة عدد سكانها باختلافاتهم العرقية والدين

يتمسك أغلبهم بالإسلام مما يتعارض مع النظام الماركسي مما شكل انقسامات إقليمية تهدد بتقسيم طاجيكستان فاشتعلت الحرب الأهلية بين ربوعها وانحازت القوات السوفيتية في القتال إلى جانب قوات الحكومة الشيوعية مما حدا بافغانستان إلى مساندة الثوار وهكذا أصبح الميدان مهيئا لتدخل الأمم المتحدة لإحالة طاجيكستان إلى صومال جديدة تحت دعوى حماية السلام إلى جانب رغبة اوزبكستان في القضاء على اضطراباتها لصالح روسيا وطمعا في حمايتها .

٤ ـ تركمنستان

وعاصمتها (عشق أباد) وهي تطل على بحر قزوين وأغلب سكانها البالغ ٣,٦٢٤,٠٠٠ نسمة من المسلمين وبها ثروة معدنية وبها نهضة تعليمية محدودة والحالة مستقرة فيها وتنأى تركمنستان عن النزاعات الإقليمية إلى حد يقرب من العزلة ولذا لم تشترك في اتفاقيات دول الكومنولث .

٥ ـ قرغيزيا

لقد كانت جزءاً من تركمنستان وعاصمتها (فرونزي) ومعظم سكانها من المسلمين الذين يعملون بالتعدين وصناعة البترول والغاز الطبيعي وتربية الماشية وبها أكاديمية و ٤٧٩ معهداً فنيا و ١٨ للبحث العلمي ، إلا أنها عرضة لأن تتأثر بالحرب الأهلية الدائرة في طاجيكستان .

الفصل الرابع

مستقبل الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز

يقارن المؤلف بين أوربا والجمهوريات الإسلامية من حيث المساحة والسكان والثروة ومصادر الطاقة فيوضح أن مساحة هذه الجمهوريات تزيد على ثلاثة أضعاف مساحة أوربا في حين أن عدد سكانها لا يجاوز ربع سكان أوربا ومواردها الطبيعية ومصادر الطاقة بها ومواردها الخام تكفي لكل أنواع الصناعات التي عرفتها البشرية بدرجة تفوق المتيسر لأوربا ـ غير أن هذه الجمهوريات ذات قاعدة تكنولوجية أقل من مثيلاتها الأوربية تقدماً .

ولكن يستدرك أن هذه الجمهوريات تفتقر إلى تجانس معظم شعوبها نتيجة الهجرة الروسية إليها علاوة على أقليات أخرى فرضت ثقافتها الماركسية الإلحادية ، ودارت في فلك روسيا داخل إطار سياسي وبعدها عانت فراغا سياسيا وعقائديا وإن حافظت على قدر ضئيل بالارتباط بالإسلام لكنها بالقطع صدمت من أحوال الأمة الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

البحث عن هوية

يصعب على هذه الجمهوريات تقليد حضارة أوربا بثقافتها الليبرالية ومن جهة أخرى تخشى الأصولية الإسلامية لما تثيره أوربا حولها ولا تجد حينئذ سوى إيران أو تركيا .

النموذج الإيراني

رغم اختلاف إيران مذهبيا ورغم تهديدات النظام الأمريكي والصهيوني لها إلا أنها مصدر للطاقة الروحية لكل الحركات الإسلامية في العالم ولقد قويت إيران وازدهر فيها الإسلام بقيمه تحذو حذوها أغلب هذه الحركات الجديدة ، فهي بامكانياتها الهائلة مؤهلة لجذب هذه الجمهوريات .

النموذج التركى

تكتسى تركيا أيديولوجية علمانية تلحق بأوربا لغة وقيما وثقافة سلختها عن الأمة الإسلامية ولقد لاقت هذه الثقافة العلمانية قبولا لدى هذه الجمهوريات الجديدة التى اتخذت لها دساتير علمانية ولم تلحظ الفرق بين الديمقراطية وبين الإسلام ـ بل أنهم استخدموا الأبجدية اللاتينية ـ بضغط أوربى تجاه الديمقراطية وتجاه السوق الحرة .

ويتنبأ المؤلف بأنه قد تأتى مفاجأة فى المستقبل تتحول فيها تركيا إلى الإسلام مرة أخرى حيث بدا ذلك فى انتخابات عام ١٩٩٠ وفى مهاجمة العلمانيين الأتراك وفى الإقبال المتزايد على الحج والعمرة والاتجاه نحو أسلمة قطاع التعليم وقيام أحزاب إسلامية .

إن مسلمى هذه الجمهوريات بعد سقوط هوية الماركسية عنهم لجأوا إلى الأزهر واهتموا بتجديد المساجد وبدءوا فى قراءة القرآن الكريم الذى وصلهم بحروفه العربية ـ مما قد يعيدهم لحظيرة الإسلام ولو بعد حين .

ويعرض المؤلف للتجمعات الاقتصادية الثلاثة التى تحاول احتواء الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز .

١ ـ المنطقة الاقتصادية للبحر الأسود

وهى فكرة أمريكية وافقت عليها تركيا ورومانيا وبلغاريا قبل انهيار الاتحاد السوفيتى وجددت أمريكا الفكرة عن طريق روسيا ذاتها لتحقيق نوع من التعاون فى المجالات التكنولوجية والاتصالات والطاقة والتعدين وهى تتوائم مع فكرة الأمن والتعاون الأوربى C S C E .

٢ ـ منظمة تعاون دول بحر قزوين

وتتكون من روسيا وإيران وقازخستان وتركمنستان وأذربيجان بهدف السيطرة على بترول وغاز بحر قزوين والملاحة فيه .

وهو يستهدف البعد عن تركيا لتتمكن روسيا من هذه الموارد الهائلة .

٣ ـ منظمة التعاون الاقتصادى (ايكو)

وهى منظمة تجمع تركيا وإيران وباكستان فى إطار أمريكى وضم بعد ذلك الجمهوريات الإسلامية ثم انضمت إليها افغانستان ـ ولقد كان لهذا التجمع الذى يربو عن ٣٠٠ مليون نسمة قدر هائل من الثروات الطبيعية فى سائر مجالات الانتاج وزادت تجارتها على ٣٠٠ مليار دولار سنويا .

ويتمنى المؤلف أن تنضم إليه مجموعة مجلس التعاون الخليجى ومصر والسودان والعراق وسوريا فى إطار السوق الإسلامية المشتركة؛ إلا أنها مجرد أمنية فإن هذه الجمهوريات لاتلقى إلا النذر اليسير من الرعاية والاهتمام .

الجمهوريات الإسلامية إلى أين ؟

يأمل الكاتب أن تتوحد هذه الجمهوريات مع الأمة الإسلامية عبر تركيا أو إيران ـ مما قد يزيد حجم ثرواتها البشرية والمادية لصنع حضارة إسلامية تسهم فى نهضة الأمة الإسلامية .

فى حين تسعى الولايات المتحدة إلى فصل هذه الجمهوريات عن الأمة الإسلامية أو تجميعها فى تجمع هش لإمكان السيطرة عليه وتزويده بقيم الغرب الليبرالية .

وبين هذا وذاك تضيع هذه الجمهوريات

بسبب عدم تجانس شعوبها وكثرة غير المسلمين فى بعضها ورغبة البعض فى غزو أراضيها ، ومنها ما يؤثر السلامة بالانعزال.

ولقد برزت فكـرة الوحـدة بين هذه الجمهوريات من خلال تركيـا ـ كما أوضح المؤلف ـ غير أنها تخشى الهيمنة كما حدث فى عهد روسيا ـ ورفض قازاخستان لمثل هذه الوحدة لأسباب عرقية ـ والخوف من تطلع الألمان إلى تكوين دويلة على نهر الفولجا.

ثم كانت محاولة تركيا لتجميعها ـ إلا أنها لم تكتمل وآخر تلك المحاولات كانت ضم هذه الجمهوريات للكومنولث الجديد غير أنها لم توفق.

وعلى هذا فيحتمل قيام قوة شيوعية جديدة تحتوى هذه البلاد وإما انهيار جديد لروسيا تضيع معه كل شىء فتسود الفوضى.

ويحدد المؤلف ـ أموراً ثلاثة ـ لتصور ما قد يحدث

الأمر الأول : أن تتوحد هذه البلاد فى كيان واحد شيوعى أو إسلامى ـ أو تسودها حروب أهلية تؤدى إلى انقسامها إلى دويلات.

الأمر الثانى : أن تتمكن إيران وتركيا من جذب هذه الجمهوريات فى كيان علمانى أو إسلامى.

الأمر الثالث : تتفاقم النزاعات العرقية التى تؤدى إلى ثورة شاملة ترسخ دعائم الإسلام أو تؤدى إلى ظهور كيانات ودويلات جديدة.

ويخشى المؤلف أن تجر الخلافات بين الدول الإسلامية بعضها البعض أو بينها وبين إسرائيل مما يسمح بدخول النظام العالمى الجديد لساحة المعارك بوسيلة أو بأخرى وإذا فما علينا إلا أن تقبل الواقع وأن نحاول التعامل معه متخذين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سنداً وركيزة.

أدركوا الأمة قبل الضياع

لم تكن الشيوعية أقل خطراً من الصليبية على الإسلام ، خاصة بعد حملتها الإعلامية التى تستغل جهل العامة والتغلغل لنفوس شباب الأمة غير المتدين وافتقارهم للدعوة الإسلامية الحقة ـ ومن المؤسف أن تؤيد الليبرالية الغربية هذه الاشتراكية الإلحادية بهدف عزل المسلمين عن دينهم.

ويخلص الكاتب فى ختام كتابه إلى أن الأمة يجب أن تتبع استراتيجية ذات أهداف متوازية يتم السير فيها فى آن واحد على النحو التالى :

١ ـ بناء الشخصية المسلمة الواعية الايجابية.

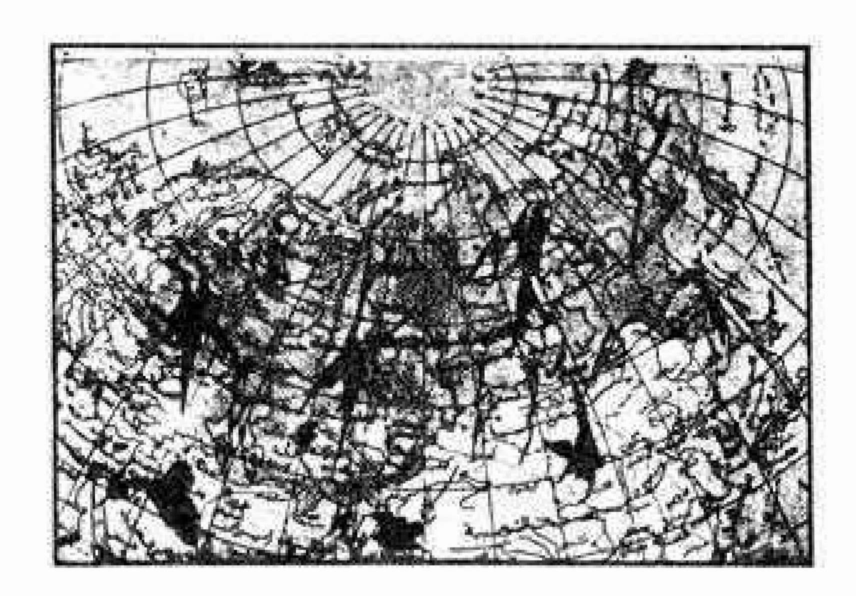
٢ ـ امتلاك أسباب القوة المادية والمعنوية لإعمار الأرض.

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله حماية للعقيدة وللعرض وللثروات.

٤ ـ الدعوة إلى دين الله العزيز الحكيم.

ويدعو الكاتب إلى نبذ الخلافات المذهبية ليصبح الإسلام قوة وأن يتم التنسيق من خلال المتاح من المؤسسات الدينية كمنظمـة المؤتمر الإسلامى ، ومجمع البحوث الإسلاميـة ، والمجلس العالمى للدعوة والاغاثة ، وغيرها للنهوض بالأمة.

ويختم المؤلف كتابه بتوجيه النظر إلى الأزهر الشريف باعتباره قلب الإسلام النابض بالعلم والفكر والدعوة وحمل الأمانة ويقترح إطاراً لتقوية هذا القلب ليتمكن من ضخ الدم إلى العروق فى الجسد الهزيل يجمله فى النقاط التالية :



١ ـ انشاء إدارة اقتصادية تتبع الأزهر تتلقى المعونات والهبات وريع الأوقاف والزكاة للانفاق على الدعوة الإسلامية.

٢ ـ تثبيت أركان الشورى واختيار أهلها من العلماء العاملين المشهود لهم بالكفاءة والتبحر في الدين.

٣ ـ الاهتمام بالدراسات التقنية وعلوم الإدارة في رحاب جامعة الأزهر بل والجامعات الأخرى.

٤ ـ تبنى فكرة الجهاد وتدريسها في مناهج المستويات المختلفة في مبنى الدراسة في المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر.

٥ ـ فتح الدراسات العليا بكليات الأزهر الإسلامية للحاصلين على شهادات جامعية.

٦ ـ التوسع في ابتعاث المدرسين خاصة الذين يعملون في تعليم اللغة العربية ومبادىء الدين.

٧ ـ اهتمام مراكز البحوث بالدراسات الميدانية والمستقبلية.

٨ ـ تعريب العلوم العلمية وتدريسها من خلال الدين الإسلامي في كليات الجامعة.

٩ ـ التوسع في تأهيل القضاة الشرعيين وفتح مجالات الدراسات العليا القانونية لهم.

١٠ ـ الاهتمام بالجمهوريات الإسلامية التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي اهتماما يساعدها على الارتباط المتين بالأمة الإسلامية.

وينهى الكاتب كتابه بالآية الخامسة والخمسين من سورة النور:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

صدق الله العظيم



العلم في القرآن الكريم

تعتبر قضية « العلم والتعليم » جزئية فى منظومة المنهج الإسلامى للنهوض بالأمة ، ومن هذا قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[1] وقوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[2]

حول هذا المعنى كتب إلينا الأستاذ/ عماد عبدالعال ـ مدرس العلوم البيولوجية بأبى تيج ـ كلمة جاء فيها :

قال تبارك وتعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة المجادلة ـ ١١

وأذكر هنا ثلاثة ممن كرمهم الله بحكمة وعلم عظيم للدلالة على أثر العلم وخطره .

الأول : هو سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أتاه القرآن العظيم ، هدى ورحمة وبشرى للعالمين ، وفى هذا يقول الحق ـ تبارك تعالى ـ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ سورة النحل ـ ٨٩ .

الثانى : عبد صالح من عباد الله ، أتاه الله رحمة وعلماً ربانياً وقيل إنه (سيدنا الخضر عليه السلام) ، الذى كان لسيدنا موسى (عليه

(١) النساء ـ ١١٣

(٢) النحل ـ ٨٩

السلام) معه الصحبة التي لم يستطع عليها صبراً وفيه يقول رب العزة عنه هو وفتاه :

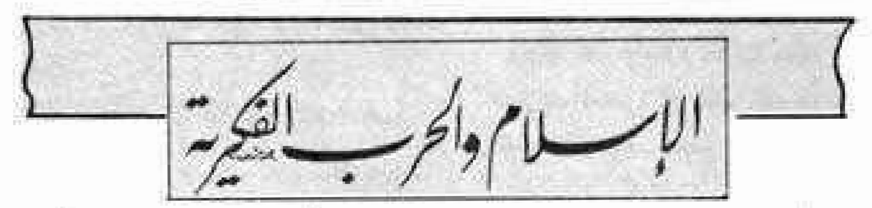
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ الكهف - ٦٥

وما أعظم أن يكون المعلم هو الله ، والمتعلم أحد عباده الصالحين بمنّة منه - عز وجل - .

الثالث : وهبه الله علماً من الكتاب ، وقيل إنه : (آصف بن برخياء) كاتب نبي الله سليمان (عليه السلام) ، وفيه يقول - تعالى - :

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ سورة النمل - ٤٠

هذه نماذج ثلاثة لثلاثة اتبعوا منهج الله - عز وجل - فأصبحوا أهلاً لعطائه وكرمه ، وفي ذلك ذكرى لأولي الألباب .



الإسلام والحرب الفكرية

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، ولولا فضل الله - تعالى - علينا بنصره وتأييده لدالت دولة الإسلام ، فهو مستهدف منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان من قوى عاتية حاولت - ولا تزال تحاول - تطويقه والسيطرة عليه بشتى الطرق والأساليب ونشر الفلسفات والعقائد والنظم والشعارات التي تخالف عقيدته وقيمه وأفكاره .

وقد انخدع بذلك كل جاهل بحقيقة الإسلام ، فأخذ يروج - مخدوعاً - أفكارهم الزائفة ، ولكن آن الأوان أن يعودوا لرشدهم بعد أن وضحت صورة الإسلام جليّة أمام العالم بأسره .

حول هذا المعنى تلقينا رسالتين تردان على كثير من الأباطيل والافتراءات ، وتظهر وجه الإسلام المشرق . يقول القارىء/ محمد حامد مصطفى من العجميين بالفيوم :

إن الشريعة الإسلامية ليست تطرفاً كما يشيع عنها المغرضون ؛ لكنها في الحقيقة قانون عالمي إنساني خصَّ الله - تعالى بها البشرية جمعاء ، وتطبيقها هو طريق النصر والسعادة للفرد والجماعة . ولعل أهم ما يميزها عن ما سبقها من شرائع ، هو صلاحيتها لكل زمان ومكان إلى يوم تقوم الساعة ، وذلك لشمول أهدافها . فكما أنها قادرة على تحقيق مصالح الناس . فإنها أيضاً تكفل سعادة الفرد والمجتمع ، ولأنها إتمام لنعمة السماء على بني الإنسان بقولها كاملة . ولأنها من عند الله فإنها تبيان لكل شيء ؛ لأن الله لا يضل ولا ينسى . وقد آمن كثير من غير المسلمين في الإسلام عن علم واقتناع لما وجدوه منسجماً مع طبيعة الإنسان وفطرته فالله - عز وجل - يريد بالناس اليسر ولا يريد لهم العسر . والذين يطبقون

شريعة الله – منهجاً وسلوكاً – لا شك أنهم يصلون في حياتهم إلى أقصى درجات الكمال ، ويحققون أعلى درجات السعادة .

وفي مؤتمرات دولية عدة ، أجمع فقهاء القانون على أن القيم التشريعية في الإسلام لا يرقى إليها الجدل ؛ لأنها تتجه دائماً إلى مصلحة الإنسان . لذا فإن ما أصاب المجتمع الإسلامي في بعض الدول من موجات عنف أو اضطراب هو بعيد كل البعد عن الإسلام ، لأن التشدد والغلو في الفكر ليس من الإسلام في شيء لأنه دين الاعتدال والرحمة والإخاء ، لا دين التشدد والبغضاء .

كما جاء في رسالة القارىء/ رمضان محمد عبد الله بخيت – بمعهد قراءات دمنهور الأزهري –

لعل من أخطر ما يواجهه الإسلام في هذه الأيام الحرب الشرسة التي يشنها العلمانيون على الإسلام والتي يتخذون فيها كل ما أتيح لهم من وسائل ، ولا تكمن خطورتهم في بريق الأفكار والشعارات التي يروجونها ، إنما في أنهم من بني جلدتنا يتكلمون بلساننا العربي ويحملون الإسلام زوراً في هوياتهم .

أناسٌ باعوا أنفسهم للغرب الصليبي أو الشرق الملحد بعدما انخدعوا بالبريق الكاذب ، والذي لا ينخدع به إلا من يعيش في عُمر الطفولة الفكرية . ومنهم من باع نفسه من أجل مناصب دنيوية زائلة أو سمعة كاذبة أو حفنة من الدولارات ، إلى غير ذلك مما لا وزن له يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، وهؤلاء هم الطابور الخامس لأعداء الإسلام .

وفي هذه الأيام يشنون حرباً شعواء على الأزهر الشريف بزعم أنه يقف حائلاً بينهم وبين « التنوير » ، تباً لكم يا أعداء الإسلام إن الأزهر هو الذي ينشر النور الحقيقي في كل مكان وهو الذي أضاء بلاداً وأوطاناً ، إنما يقف الأزهر في وجه فسادكم وضلالكم سداً منيعاً بالحجة والبرهان ، بالعلم والمعرفة الإسلامية الصحيحة ، وأنتم لا تملكون ذلك فأعلنتم حربكم عليه بما تملكون من وسائل إعلامية ومادية بحجج واهية .

وإذا كان الإسلام يحارب منكم أو من شتى التيارات المعاصرة فإن الكفر كله ملةٌ واحدة ، ملة اتحدت عليه وحـ ـحده في الميدان .

غير أنه لا بد وأن ينتصر – سواءٌ بنا أو من غيرنا – لأن الإسلام هو دين الله في الأرض .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

سورة التوبة – ٣٢ .

على السادة كتاب المجلة ضرورة الاتصال بخزينة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر – الدور الثاني – لتسلم مكافآتهم ، وذلك بعد خمسة وعشرين يوماً من نشر المقالة ، ويمكن الاستفسار هاتفياً عن وجود المكافأة – قديمة أو حديثة – بالخزينة من خلال هذا الرقم ٢٦٣٨٥٩٩ – القاهرة .

تهنئة لمجلة الأزهر

فى عيدها السادس والستين

يطيب لى مع إطلالة العام الهجرى الجديد أن أتقدم إليكم ولجميع العاملين نيابة عن كل قراء مجلتنا المحبة « الأزهر » وبالأصالة عن نفسى بخالص التهنئة ـ بمناسبة مرور « ست وستين عاماً » على صدور أول عدد من مجلتنا العريقة ـ ولا يسعنى إلا أن أعبر لكم عن مدى حبى وتقديرى على الدور البارز فى تحقيق تقدم إعلامى فى مجال فى بث الكلمة الطيبة بين أبناء الأمة الإسلامية .

لقد ولدت مجلتنا « الأزهر » شامخة عملاقة لتظل عملاقة ، وتمضى قُدماً فى أداء رسالتها العظيمة ـ ورسالة مجمع البحوث الإسلامية فى تبنى المنهج الإسلامى الصحيح فى العمـــل الإعلامى .

ـ ولا تزال تؤدى رسالتها المتميزة مساهمة فى إثراء الثقافة العربية والإسلامية ، وأثبتت بالفعل أنها مجلة كل المسلمين فى أرض الله وكل الناطقين بالعربية فى أنحاء المعمورة ينهلون من نبع ثقافتها الإسلامية الخالصة والصافية .

ـ فمجلتنا « الأزهر » العريقة ... تعتبر شعلة مضيئة فى دنيا الكلمة المطبوعة .. تضىء طريق المعرفة وتعمق الثقافة الإسلامية التى تغرس فى نفوس القراء الفضائل والقيم الرفيعة لتسهم فى تنشئة جيل من الشباب المؤمن بالله ثم الوطن ، وتعطيهم رؤىً حقيقية وصادقة عن الإسلام وقضاياه ، حتى أصبحت علامة مميزة للإعلام الإسلامى الصحيح .

ـ كما تحرص دائماً على انتقاء الكلمة واختيار الموضوعات التى تتعرض لها بما يسد حاجة هامة لدى جماهير القراء ، وتقدم لهم مادة مفيدة تنفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، كما تزودهم بمكتبة إسلامية ميسرة من خلال (هداياها المجانية) .

ـ وهذا جعلنا نتلهف على صدور المجلة مع مطلع كل شهر عربى لنقرؤها فى شغف ولهفة وشوق ـ لمتابعة كل جديد تنشره فى الآداب والمعارف المتنوعة والشيقة فى نسق فريد وأسلوب سهل ميسر أكثر جمالاً ، مما يدل على أن للثقافة الإسلامية الصحيحة لها جمهورها الواسع بين القراء العرب والمسلمين .

ـ لقد استطاعت مجلتنا « الأزهر » العملاقة ـ إيجاد علاقة حميمة مع قرائها ـ وتحرص دائماً على توثيق أواصر المحبة والود بينها وبين قرائها بنشر إبداعاتهم ومساهماتهم والـــرد على آرائهـــم ومقترحاتهم ، وذلك من خلال بابها الثابت « بين المجلة والقارىء » .

أسأل الله ـ تعالى ـ لمجلتنا الرائدة دوام التوفيق والنجاح والصدارة فى الساحة الإعلامية ..

ويختم الكاتب كلمته ببعض المقترحات والأفكار بإضافة أبواب جديدة ، تأمل معه أن تتسع لها صفحات المجلة فى الفترة القادمة بمشيئة الله ـ تعالى .

محمد فريد العيسوى

انشاص الرمل ـ شرقية



الاغتراب وثقافة الطفـــل

ثقافة الطفل المسلم إلى أين ؟؟ وخاصة إنها تتجه نحو التغريب ... بعيداً عن الذات العربية والإسلامية ، وذلك بعدما ابتلى تاريخنا المعاصر بمجمل انقطاعات تاريخية وأيديولوجية ، أوشكت أن تقطعه عن مساره .

إن ثقافة الطفل تخفق جيلاً بعد جيل .. والأمة بحاجة إلى استعادة معالم الطريق الإسلامى الذى يحث على التأمل والتفكير والفهم .

وحتى لا تتوارى اللغة العربية أمام اللغات الأخرى فى مناهج الطفل ينبغى ان تكون هناك سُبل لحماية النشء تقوم على نهضة ثقافية – وبمراحل سنية – وخطط طويلة وقصيرة المدى ، تجعله موصولاً – دائماً – بجذورنا العربية والإسلامية .

ذلك أن الطفل المسلم ..أصبح يشاهد الإعلان التجارى والمنوعات الغربية المرئية التى لا تخدم توجهاتنا الإسلامية ، وبدون تنشئه على جذورنا نخشى أن يمثل حالة اغتراب كاملة .

يحى السيد النجار – دمياط

• • •

حقيقة البـــلاء

عن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » – رواه مسلم . وحقيقة البلاء إما أن يكون : إمتحاناً من المولى – عز وجل – أو تكفيراً للخطايا والسيئات ، أو رفع منزلة للعبد نفسه .

فإن كان هذا البلاء امتحاناً فيكون قد تفوق بصبره فى هذا الامتحان ، وإن كان تكفيراً للخطايا فيكون قد انتبه إلى ذنبه وعزم على أن لا يعود إليه ، وإن كان البلاء رفع منزلة ، فيكون قد تقرب إلى الله – سبحانه وتعالى – واستحق أن ينال بصبره هذه المنزلة التى رفعها الله – سبحانه إليها .

ونسأل المولى عز وجل أن يجعلنا ممن ذكرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى هذا الحديث ، شاكرين على النعماء صابرين على البلاء .

عماد الدين عبد المنعم



قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الحشر – اية ١٨ ، ١٩ .

يأمرنا سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة بمحاسبة النفس على كل ما تجنيه اليد وينطق به اللسان .

ولن تكون هذه المحاسبة مجدية إلا إذا راقب الإنسان ربه واتقاه حق تقواه ، وعلم أنه يسمعه

ويراه ، لقد كان شأن المسلمين المتقين من السلف الصالح الذين رفعوا لواء الإسلام عالياً وفتحوا الأمصار ونوروا بعلومهم الأذهان ، أن يتقوا الله فى تصرفاتهم الخاصة والعامة لاعتقادهم أن عليهم رقيباً لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ ففازوا بالحسنيين فى الدارين ، وذلك بحسن الخاتمة فى الحياة الدنيا ، وبالرضا والنعيم فى الآخرة .

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام



● القارىء/ مصطفى عنتر أبو عمر ـ المدرس بالأزهر ـ غربية :

ـ نشكر كم على تحيتكم الرقيقة ، ونرجو إفادتنا بما انتهى إليه أمر حوالتكم البريدية من وصولها إدارة اشتراكات الأهرام أو عدمه .

● القارىء/ السيد فخر الدين حسنين ـ مدرس اللغة العربية :

ـ رجاء الاهتمام فيما تكتبونه ـ ببيان مواقع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، وفى انتظار مساهماتك الفكرية .

● القارىء/ بهجت حميدة خميس ـ كلية التربية ـ دمنهور :

● والقارىء/ صاحب قصيدة « تأملات فى الهجرة » :

ـ إبداعاتكم الشعرية تبشر بمستقبل فى هذا المجال ، رجاء مداومة الكتابة والإلمام التام بعلم العروض .

● القارىء/ أحمد عبد الهادى ـ المدرس بالتربية والتعليم :

ـ مرحباً بك صديقاً دائماً للمجلة وفى انتظار ابداعاتك .

● القارىء/ عاطف محمود سليم ـ بمحطة كهرباء أبو سلطان بالاسماعيلية :

ـ ما أكثر هذه الكتب الضالة ، ولكن يُهَوِّنُ علينا أمرها يقظة شبابنا وتحصينهم ، وكما تعلم أن الأزهر لا يسيطر فى مجال النشر والمصنفات الفنية إلا على ما يعرض عليه منها وعلى كلٍ فإنه يمكنكم إرسال نسخة من هذا الكتاب حتى يمكننا أن نتخذ إجراءً حياله .

● القارىء/ سعد محمد منصور من حدائق شبرا ـ القاهرة :

ـ نشكر كم على اهتمامكم الشديد بمجلة الأزهر وحرصكم على أن تكون دائماً فى أبهى صورة وبإذن الله ـ تعالى ـ ترى الاهتمام بها يتزايد فيما نوهتم عنه ، وندرس تطبيق كثير من اقتراحاتكم البناءة ونأمل أن تتاح لنا ـ مستقبلاً بتوفير الإمكانات المادية والكوادر البشرية ـ فرصة إصدار المجلة (نصف شهرية) ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يجزيك عن ملاحظاتك الطيبة خير الجزاء .

● القارىء/ عبد الرازق كامل حسن مبروك ـ مدرس اللغة العربية بفاقوس :

ـ تناولتم الصراع الدائر فى أجزاء متفرقة من العالم الإسلامى ونتفق معك على أن الحاجة

أصبحت ملحة إلى إيجاد قوة إسلامية تدافع عن دينها ووجودها فى وجه الأخطار المحدقة بالمسلمين من كل جانب ، فإننا نعيش عصر الكيانات والتكتلات الكبرى فى العالم من حولنا ، ولا بد من مواكبتها ومواجهة تحدياتها .

● القارىء/ إبراهيم محمد على سيد ـ الطالب بحقوق بنى سويف :

ـ مرحباً بك صديقاً وفى انتظار ابداعات أخرى .

● القارىء/ محمد عطية عبد الله من العصافرة بالاسكندرية :

ـ ما تسأل عنه حرام قطعاً بنص الآية رقم ٧ من سورة المؤمنون ، وما تشكو منه سيذهب مع مرور الوقت ، ولكن عليك بمداومة الطاعة لله رب العالمين وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم بصفة دائمة .

● القارىء/ محروس عبد الفتاح يس محمد ـ بكلية أصول الدين بالزقازيق :

ما أحوجنا بالفعل إلى الحل الإسلامى فى الاقتصاد لنواجه به تحديات السوق الأوربية المشتركة ، أو السوق الشرق أوسطية »

والحل الإسلامى فى هذا المجال واضح باهتمام كثير من الدراسات العلمية به ، ولكن يبقى التطبيق ، ولنا أن نجنى بعد ذلك ثماره .

● القارىء/ محمد فتحى نعيم حسن ـ بكلية هندسة المنصورة :

ـ لديكم قدرة طيبة على التعبير باللغة العامية ولكن مجلة الأزهر لا تشجع هذا الاتجاه فمعذرة .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .

اشتراكات المجلة

على كل من يرغب فى الاشتراك بمجلة الأزهر ، مراسلة ، إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة ، لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة (١٢) عدد ، تكون على النحو التالى :

ـ ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .

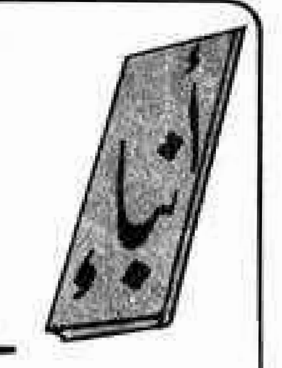
ـ ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربى .

ـ ٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى .

● رجاء خاص بالسادة الكتاب :

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما ترجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً علمياً ـ بما فى ذلك تخريج الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ـ كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .


أنباء وآراء



مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / حسن البسطويسي . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الوزراء

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور عاطف صدق رئيس مجلس الوزراء وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

شهد اللقاء فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والسيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية والسيد المستشار أحمد رضوان وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر الشريف فى الإشراف الكامل على المؤسسات والجمعيات الشعبية والأهلية العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية وكذلك الإشراف على الجمعيات الدينية لتطوير رسالتها فى خدمة العمل الإسلامى .

كما تم خلال اللقاء بحث العديد من الموضوعات المتعلقة بإنشاء المعاهد الأزهرية وتجديدها وسرعة الانتهاء من نقل مكتبة الأزهر الشريف إلى مقرها الجديد بحديقة الخالدين بالدراسة ، حيث أعرب الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء عن استعداد الحكومة لتقديم الدعم الكامل للأزهر الشريف للنهوض برسالته على الوجه الأكمل .

وقد نقل الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء إلى فضيلة الإمام الأكبر تقدير الرئيس مبارك والحكومة وكافة فئات الشعب للدور الكبير الذى يضطلع به الأزهر لخدمة العمل الإسلامى فى الداخل والخارج باعتباره صمام الأمان للفكر المعتدل المستنير .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع هيئة الرئاسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماع هيئة الرئاسة بالمجلس فى دورته الحادية والعشرين الذى عقد بالقاهرة صباح يوم الخميس ١٤١٤/١٢/٢٢ هـ الموافق ١٩٩٤/٦/٢ م .

وقد استعرضت الهيئة خلال اجتماعها العديد من الموضوعات المتعلقة بالمشروعات الإغاثية لمساعدة متضررى ومنكوبى المسلمين بصفة خاصة والعالم بوجه عام ، وكان من الموضوعات التى استعرضتها الهيئة مشروعات دعم الاستقرار لمواطنى محافظة شمال سيناء ومنها مشروعات حفر

آبار عميقة لتخزين المياه لاستخدامها خلال أشهر الجفاف .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر رئيس المجلس بضرورة التنسيق بين الجهات والمنظمات الإغاثية العالمية منعاً للازدواجية التي ينتج عنها التفريط من جهة والزيادة في الإغاثة من جهة أخرى .

كما طالب فضيلته ضرورة أن تكون جهود الإغاثة للمنظمات داخل المجلس شاملة الدول الإسلامية وغيرها .

كذلك طالب فضيلته المجتمع الدولي بالتزام الحياد التام في حل كافة المشاكل الدولية دون النظر إلى اعتبارات عرقية أو عقائدية .

الإمام الأكبر يرأس إجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد صباح يوم السبت الموافق ١/٩/ ١٤١٥هـ ١٨/٦/١٩٩٤م بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف .

وقد تمت الموافقة خلال الاجتماع على اتخاذ إجراءات الإعلان عن المنشآت الجديدة بالعريش وعلى إنشاء قسم داخلى لطلاب معاهد وادى النطرون الإعدادى الثانوى للبنين والبنات ومقر للمدرسين المغتربين ، كما وافق المجلس وأوصى بالإسراع نحو إيفاد أو تعيين العاملين فى الوحدة الحسابية بمنطقة شمال سيناء كما ناقش المجلس بعض الموضوعات الخاصة بما أثير من وجود عجز فى بعض المواد الثقافية بالمعاهد الأزهرية ، حيث أحال فضيلة الإمام الأكبر الموضوع إلى فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

شهد الاجتماع فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وقيادات التعليم بالأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة بذل كافة الجهود من جميع العاملين بالمعاهد الأزهرية حتى تنهض وتؤدى رسالتها فى المجتمع على الوجه الأكمل وتشارك فى حماية الأمة من الأفكار المنحرفة والضالة التى يروج لها البعض باسم الدين .

وقال إن هذا الجهد قبل أن يكون عملاً لكل فرد فى الأزهر فهو أمانة فى عنقه نحو دينه وبلده يحرم التهاون فى أدائه .

أول مؤتمر للدعاة تحت رعاية الإمام الأكبر

يترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المؤتمر الأول للدعاة الذى يعقد فى القاهرة فى الفترة من ١٧ ــ ٢٠ يولية سنة ١٩٩٤م .

يناقش المؤتمر رسالة المسجد ودوره فى ظل متطلبات العصر ودور الداعية فى تصحيح المفاهيم ومهمة الإعلام فى بناء المواطن المصرى . ويهدف المؤتمر الذى سيعقد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر إلى وضع خطة منهجية متكاملة للتحرك فى مجال التوعية الدينية لتنشيط دور المسجد والتصدى لتيارات التطرف والانحراف وذلك بالتعاون مع مختلف الأجهزة المعنية كما يتم فى المؤتمر إطلاع الدعاة على مختلف سياسات وبرامج الدولة التعليمية والاجتماعية والاقتصادية وشئون البيئة والسكان لإمكان توجيه نشاطهم لخدمة المجتمع .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية الصومال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم

الإثنين الموافق ٥/١/١٤١٥هـ ١٤/٦/١٩٩٤م . السيد محمد على حامد وزير خارجية الصومال الذى كان فى زيارة لمصر فى تلك الفترة .

وتم خلال اللقاء بحث آخر تطورات الموقف فى الصومال ، وإمكانية استئناف الأزهر لنشاطه حيث أبدى الضيف رغبة بلاده فى ذلك مشيراً إلى أهمية استئناف هذا النشاط بمنطقة شمال الصومال حيث تشهد استقراراً أمنياً وحياة طبيعية هادئة .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الأمور فى القريب العاجل مع وزارة الخارجية المصرية .

الإمام الأكبر يلتقى والسيد وزير خارجية المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد وزير خارجية المالديف وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ١/٦/١٩٩٤م بمكتب فضيلته بالأزهر . فى بداية اللقاء نقل السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس دولة المالديف كما نقل لفضيلته تحيات حكومة وشعب المالديف .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمالديف حيث قدم السيد الوزير بعض الاقتراحات والطلبات .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث كافة الموضوعات ومدى إمكانية وضعها موضع التنفيذ مع الجهات المعنية بالأزهر بما يحقق النفع والخير لصالح مسلمى المالديف .

وفى ختام اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير تحياته وتحيات الأزهر - علماء وعاملين - للسيد مأمون عبد القيوم ؛ متمنياً للمالديف دوام التقدم والرقى .

الأزهر يشارك فى الحوار بين الأديان

تقرر أن يشارك فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر ممثلا للجامعة فى اجتماعات المائدة المستديرة للحوار بين الأديان السماوية التى تعقد بجامعة السوربون وتنظمها جمعية الحوار الإسلامى المسيحى .

يقدم الدكتور زقزوق بحثاً عن الحوار بين الأديان الثلاثة من المنظور الإسلامى .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى استراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر سماحة الشيخ / تاج الدين الهلالى مفتى استراليا وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى استراليا ، حيث أطلع سماحة المفتى فضيلة الإمام الأكبر على الإجراءات المتخذة من أجل استمرارية التنسيق بين مختلف الطوائف فى استراليا .

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر سماحة المفتى على بذل أقصى جهد لمواصلة هذا التنسيق حفاظا على وحدة المهاجرين فى استراليا والعمل على إنصهار كافة الطوائف فى بوتقة واحدة دعماً لمسيرتها فى مجال الدعوة الإسلامية .

كما أعرب فضيلته عن استعداد الأزهر لتقديم الدعم اللازم لطاقة المسلمين فى استراليا تحقيقاً للوحدة فيما بينهم .



القاهرة :

ينظم جهاز الشباب بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة مسابقة حول سيرة الرسول ﷺ لجميع الشباب بمناسبة مولد الرسول الكريم وتتناول المسابقة منهج الرسول الكريم في تربية الشباب ، مع اختيار إحدى الشخصيات القيادية الشبابية التي دفع بها الرسول الكريم ﷺ لتولي مراكز قيادية في نشر الدعوة الإسلامية .

وتتألف المسابقة من :

١ ـ بحث أو مقال في حدود عشر صفحات .

٢ ـ قصيدة في مضمون حث الرسول الكريم للشباب على الحلم والعلم والرباط والجهاد والتضحية من أجل حماية العقيدة ونصرة المظلومين ولا تقل القصيدة عن ثلاثين بيتا .

هذا وقد تحدد العاشر من أغسطس المقبل كآخر موعد لإرسال البحوث المطلوبة وقد رصد المجلس جوائز مالية وأدبية سخية للفائزين .

الأزهر :

نظمت جامعة الأزهر بطنطا ندوة دينية حول الأشهر الحرم في الإسلام ومنزلتها عند الله وحرمة دماء المسلمين في هذه الأشهر ، وطالب المشاركون في الندوة بسرعة وقف الاقتتال بين المسلمين في شتى أنحاء العالم .

السعودية :

قامت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ، بعمل دراسات وتصميمات لتوسعة مسجد نمرة بعرفات تشمل مظلات مزودة بالمراوح ووحدات التكييف على مساحة عشرين ألف متر مربع ويستفيد من التوسعة حجاج بيت الله الحرام خلال موسم الحج القادم إن شاء الله ـ تعالى .

مكة المكرمة :

قرر المجلس التأسيسي لهيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة إصدار مجلة سنوية لنشر الأبحاث الإسلامية العلمية ومناهج البحث في مجال الاعجاز العلمي في الكتاب والسنة إلى جانب تخصيص وقف لتمويل نشاطات الهيئة التي تتمثل في طبع الكتب والأبحاث وعقد الندوات .

لندن :

تنظم المعهد الإسلامى المصرى بلندن معرضا فنيا تحت عنوان لمحات عن مصر استمر أسبوعا .

وجاء تنظيم هذا المعرض فى إطار الخدمة الإعلامية التى تقوم بها وزارة الإعلام المصرية .

هذا ويطوف المعرض أمريكا والعديد من العواصم الأوربية الأخرى .

قطر :

أصدر وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر قرارا بتشكيل لجنة للقيام بالدراسات اللازمة لتنفيذ مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم .

وتتولى اللجنة التى يرأسها الدكتور يوسف القرضاوى وضع خطة شاملة لترجمة معانى الكتاب العزيز إلى عدة لغات مختلفة والجدير بالذكر أن لمصر دور السبق والريادة فى هذا المضمار .

بلجيكا :

عقد فى بلجيكا المؤتمر الإقتصادى الإسلامى الذى نظمته غرفة التجارة والصناعة الأوربية الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر وتناولت الأبحاث المقدمة المنهج الإسلامى الواضح فى مجال التعاون المالى والأساليب المناسبة لتحقيق الأهداف الاقتصادية المرجوة بين العالمين الإسلامى والغربى على أسس متوازنة فى عالم يمتاز بالتكتلات الاقتصادية .

أسبانيا :

أكد مدير المركز الإسلامى بمدريد ، أنه تجرى حاليا محاولات لإعادة فتح مسجد قرطبة التاريخى ، وإقامة الشعائر الدينية فيه وأضاف : أن المركز قام بإعداد مكتبة إسلامية ضخمة مزودة بأمهات الكتب الإسلامية .

كوريـا :

تقوم جمعية الطلبة المسلمين فى كوريا بالإعداد لمعسكر صيفى للطلبة المسلمين فى شبه الجزيرة الكورية ، ويتضمن المعسكر ندوات دينية وبرامج تثقيفية ومسابقات وأنشطة أخرى لتقوية الروابط بين مسلمى كوريا وغرس أخلاقيات وتعاليم الإسلام فى أذهانهم وتقديمه بالصورة المشرقة التى تؤكد أنه أمر جوهرى لكل مجتمع إنسانى ، مهما بلغ من التقدم العلمى .

فرنســا :

يتم فى نهاية سبتمبر المقبل افتتاح ثانى أكبر مسجد فى فرنسا وذلك فى مدينة « ليون » وتبلغ مساحة المسجد الذى تم الانتهاء منه بعد جدل طويل ٣٣٠٠ م٢ ويتسع لنحو ٢٨٠٠ مصل .

ويضم مكتبة إسلامية كبيرة وملحقات أخرى .

الناجحون من الوافدين إلى جامعة الأزهر عام ١٩٩٣م

يسعد المجلة أن تنشر أسماء الطلاب الوافدين الذين تخرجوا فى كليات جامعة الأزهر عام ١٩٩٣ .

أولاً : الناجحون بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف .

رقم	الاسم	الكلية	البلد	ملاحظات
١	محمد خميس شحاده	العلوم	فلسطين	

ثانياً : الناجحون بدرجة جيد جداً .

رقم	الاسم	الكلية	البلد	ملاحظات
١	أسامه محمد السيد	العلوم	السودان	
٢	ميرغني محمد حسن عواد	الزراعة	السودان	
٣	انتصار محمد عبدالله	العلوم	السودان	
٤	انصاف إبراهيم محمد حاج مرسي	الطب	السودان	
٥	أحمد نسيب عبد اللطيف	طب أسنان	الأردن	مع مرتبة الشرف
٦	رندة خالد عبد الرازق	طب أسنان	الأردن	
٧	رشاد خليل سالم	العلوم	فلسطين	
٨	عبد الكريم حسين صالح	دراسات إسلامية	نيجيريا	
٩	أحمد سحيمي بن يحيى	شريعة وقانون	ماليزيا	
١٠	قىء بسرى بن موسى	أصول الدين	ماليزيا	
١١	سيد محمد حلمت بن سيد عبدالرحمن	أصول الدين	ماليزيا	
١٢	وأن عزيزة بنت وأن إسماعيل	دراسات إسلامية	ماليزيا	
١٣	نورغة بنت حميد بن توندق	دراسات إسلامية	بروناى	
١٤	حسين حسن يوسف كريم	الزراعة	السودان	
١٥	انتصار عبد الفراج أحمد	العلوم	السودان	
١٦	مناهل موسى عبد الله آدم	العلوم	السودان	

(Le Prophète est plus proche des croyants qu'il ne sont les uns des autres; ses épouses sont leurs mères).[20]

Aucun Musulman ne pouvait épouser les femmes du Prophète (b.s.), divorcées ou veuves, puisqu'elles étaient considérées comme leurs mères.

(Vous ne devez pas offenser le Prophète d'Allah, ni jamais vous marier avec ses anciennes épouses: ce serait, de votre part, une énormité devant Allah.[21]

Si le Prophète (b.s.) choisi de se séparer de certaines de ses épouses selon les prescriptions de la limitation du nombre, il aurait privé ses épouses divorcées de se remarier. Une attitude aussi cruelle ne pouvait provenir de la part du Prophète (b.s.)

(à Suivre).

---

20) XXXIII — Les Factions — 6

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾

21) XXXIII — Les Factions — 53

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب :

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾

voilée par sa nature humaine et que ces obligations de guide et de chef d'une communauté humaine dissimulent aux regards sa fonction proprement spirituelle.

On pourrait se demander si quatre étant le nombre maximum qu'un homme musulman a le droit de réunir en mariage, pourquoi le Prophète (b.s.) eut-il neuf épouses à la fois? S'agit-il là d'un privilège particulier?

En réalité, le Coran n'a rien dit sur ce point, la tradition non plus. La seule possibilité est que ces mariages avaient été contractés bien avant la limitation du nombre d'épouses à quatre qui date d'une sourate postérieure. Cette hypothèse est soutenue par de nombreux islamologues(18). Mais dès que lui fut ré·élé ce commandement, le Prophète (b.s.) n'a pas hésité à le proclamer même en ce qui le concerne tel qu'il est indiqué dans le verset du Coran :

> *(Il ne t'est plus permis de changer d'épouses ni de prendre d'autres femmes, en dehors de tes esclaves même si tu es charmé par la beauté de certaines d'entre-elles. Allah voit parfaitement toute chose)*(19)

Si le Prophète n'avait pas répudié un certain nombre de ses épouses pour n'en garder, sinon une, du moins quatre, tel qu'il fut prescrit aux fidèles, c'est que les épouses du Prophète sont considérées avec une vénération particulière et le Coran leur a discerné le titre de "mères des Musulmans".

---

(18) Tahar Haddad — Notre Femme La Législation Islamique Et La Société — op.cit. p. 79.
Muhammad Hamidullah — Le Prophète De l'Islam, Vie, Son Oeuvre — Paris — Associations des Etudiants Islamiques en France — 1979 — 2 volumes — voir vol. 2-p. 626

(19) XXXIII — Les Factions — 52

قال الله - تعالى - في سورة الأحزاب :

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾

> *"Sur le plan de la piété, signalons, l'amour de la pauvreté, les jeûnes et les veilles; d'aucuns objecteront sans doute que le mariage et surtout la polygamie s'opposent à l'ascèse, mais c'est la oublier d'abord que la vie conjugale n'enlève pas à la pauvreté, aux veilles et aux jeûnes leur rigueur et ne les rend ni faciles ni agréables et ensuite, que le mariage avait chez le Prophète un caractère spiritualisé ou tantrique, comme du reste toutes les choses dans la vie d'un tel être .... et enfin Mohammad a donné assez d'exemples de longues obstinences, dans sa jeunesse notamment où la passion est censée être la plus forte, pour être à l'abri des jugements superficiels". (16)*

De même, il faut prendre en considération que l'Islam n'a pas imposé au Prophète (b.s.) une vie ascétique surhumaine ni un comportement plus austère, même s'il y était préparé de nature parce que chaque geste et chaque parole devaient faire loi dans sa communauté. Le Prophète (b.s.) devait représenter le modèle de ce qu'il enseignait et exigeait des autres. Le Coran l'a explicitement déclaré :

> *(Vous avez dans le Prophète d'Allah, un bel exemple pour celui qui espère en Allah et au Jour Dernier et qui invoque souvent le nom de Allah.*[17]

Ainsi le Prophète (b.s.) ayant vécu et accompli sa mission en faisant parfaitement la part de la vie d'ici-bas et celle de l'au-Delà, a donné aux croyants la possibilité de réaliser pleinement sur terre leur condition, sans perdre un instant leur orientation spirituelle. Il instaura de la sorte ce remarquable équilibre qui caractérise l'Islam et qui permet de goûter à la vie terrestre sans jamais oublier que nous devons tous retourner à Allah et comparaitre devant Lui. En même temps, il demeure le guide spirituel des hommes qui cherche la sainteté et qui discerne dans tout ce qu'il a fait et tout ce qu'il a dit, les symboles et les enseignements les plus élevés.

Mais il parait difficile pour certains non-musulmans, de comprendre la signification spirituelle du Prophète (b.s.) et son rôle comme prototype de la vie religieuse et spirituelle. Cette difficulté provient du fait que la nature spirituelle du Prophète (b.s.) est

---

(16) Frithjoh Schuon — Comprendre L'Islam — Paris — Editions du Seuil — 1976 — p. 104

(17) XXXIII — Les Factions — 21

قال الله تعالى في سورة الأحزاب

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) »

"Je suis un être humain, ce qui fait plaisir aux hommes me fait plaisir également et ce qui les indigne, m'indigne également" (11).

L'homme le plus saint est celui qui jouit entièrement de sa nature.

"La sainteté islamique ne consiste donc pas en une indifférence absolue à l'égard de la nature, mais en une préférence particulièrement accentuée pour les valeurs spirituelles". (12)

C'est pourquoi le Coran en décrivant les vrais croyants dit :

(Les croyants sont les plus zélés dans l'amour d'Allah (13)

Le Coran ne dit pas que les croyants sont ceux qui n'aiment que d'Allah , mais plutôt ceux qui aiment Allah par-dessus tout. Aussi toutes les sympathies du Prophète (b.s.) allaient-elles vers des actes de haute valeur morale; il disait :

"Ma joie la plus profonde est dans la prière". (14)

Pour le Prophète, (b.s.) ses émotions les plus vives et les plus profondes ne provenaient jamais de choses banales. Les douleurs qu'il éprouvait devant l'égarement des hommes lui troublaient l'âme.

(Il se peut que tu te consumes de chagrin parce qu'ils ne sont pas croyants). (15)

La notion de piété et de vertu dans l'Islam ne s'oppose donc pas au mariage. Schuon exprime cette idée ainsi :

---

11) Muslim — K — Birr — B — 25

قال رسول الله ﷺ :

« إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر »

12) Mohammed Draz — La Morale Du Koran — Le Caire — Dar Al Ma'arif — 1950 — P.471

13) II-La Vache — 16 5

قال الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة :

﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾

14) Nisai — K — 'Ishrat an nisa'-B-1

قال رسول الله ﷺ :

« وجعلت قرة عيني في الصلاة »

15) XXVI — Les Poètes — 3

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الشعراء :

﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ③ ﴾

sobrement que lui. Il offrit à ses épouses qui s'en plaignaient de les répudier toutes si elles lui préféraient l'aisance et les biens matériels.

D'autre part, le Prophète était chargé d'une lourde responsabilité. Il avait à propager son message, à préparer sa communauté à se défendre, à établir la législation islamique, à guider les Musulmans et à trancher leurs différends. Un homme aussi préoccupé, ayant de telles tâches à accomplir pouvait-il avoir le temps de rechercher les plaisirs des sens? Si tel était le but du Prophète (b.s.) pourquoi ne l'avait-il pas fait dans sa jeunesse, avant la Révélation, alors qu'il pouvait prendre un nombre illimité d'épouses comme le faisaient les polythéistes à cette époque, surtout qu'il n'était pas encore préoccupé par les responsabilités de la Révélation?

Toutefois notre but n'est pas de dénier au Prophète sa qualité d'homme en exposant ces quelques réalité le concernant. Il fut un homme comme tous les autres prophètes qui l'ont précédé. Tous, à l'exception du Christ, se sont mariés, furent polygames et ont eu des enfants. Il en fut ainsi pour Abraham, Ismaël, Noé, Isaac, Moïse, Jacob[7], David[8] et Soloman[9].

(Nous avons envoyé des prophètes avant toi et Nous leur avions donné des épouses et des enfants). (10)

Nul ne manifesta de l'indignation devant la polygamie de ces prophètes. Seule la polygamie du Prophète Mohammad suscita tant de commentaires.

La notion de sainteté et de vertu conçue par l'Islam ne s'oppose pas au mariage; elle n'encourage pas les hommes à se détacher de la vie et des plaisirs. L'homme vertueux dans l'Islam n'est pas conçu sur le modèle du sage bouddhiste détaché au désir. Pour le Musulman, l'Islam accorde d'aimer certaines choses; tant que son penchant naturel ne s'oppose pas à un devoir, il ne doit pas chercher à contrarier ce penchant. Le Prophète (b.s.) déclarait dans un hadith.

---

7) La Genèse — XXVIII — 15 à 30 "Les deux mariages de Jacob".

8) Deuxième Livre De Samuel — IV — David 5 "Apres son arrivée d'Hébron, David prit encore des concubines et des femmes à Jérusalem et il lui naquit des fils et des filles.

9) 1er Livre Des Rois — XI — 3 "Il eut sept cents épouses de rang princier et trois cents concubines".

10) XIII — Le Tonnerre — 38

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الرعد:
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

Ils le traitèrent de fou

> *(Peu s'en faut que les incrédules ne te percent de leurs regards quand ils entendent le Rappel et qu'ils disent : "Il est sûrement possédé")*. (4)

Ils l'accusèrent aussi de s'être inspiré des révélations antérieures.

> *(Ils disent : "Ce sont des contes d'Anciens qu'on écrit pour lui; on les lui dicte matin et soir")*. (5)

Malgré toutes ces fausses accusations et tant d'autres encore, nul n'osa porter atteinte à sa chasteté et à sa décence; jamais la vertu du Prophète (b.s.) ne fut mise en question. Pourtant si les polythéïstes avaient le moindre doute sur sa conduite, la moindre possibilité de porter atteinte à sa réputation, ils ne se seraient jamais abstenus de le faire afin d'entraver son message.

> *"Il faut relever d'abord qu'il fut à la fois un homme normal, réalisant la condition humaine dans son intégralité et parfaitement vertueux. Tous les témoignages s'accordent à reconnaître qu'il fut, toujours et sans défaillance aucune, véridique, juste, bon humble et simple... Cet homme entièrement soumis à Allah fut en toute circonstance maître de soi"*. (6)

Le Prophète (b.s.) mena en effet une vie très austère même après la Révélation. Il renonça à tous les plaisirs du monde. Il ne profita jamais des biens acquis par les Musulmans après les guerres tels que la "djizya" et le butin dont le cinquième lui revenait. Il distribuait sa part aux pauvres. Il se contentait du strict nécessaire en ce qui concerne les exigences de la vie, vêtements, nourriture il renonçait au superflu. A sa mort, il ne possédait ni biens, ni esclave. Il n'avait que son mulet, son arme et une parcelle de terre qu'il légua aux pauvres. Il aurait pourtant pu profiter de sa situation mais ce fut le contraire : il poussa même sa famille, ses épouses et sa fille à vivre aussi

---

4) LXVIII — Le Calame — 51

قال الله تعالى ـ في سورة القلم :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾

5) XXV — La Loi — V

قال الله تعالى ـ في سورة الفرقان :

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

6) Roger Du Pasquier — Découverte De l'Islam — op.cit. p. 54.

«La polygamie en Islam»

par : Dr. Magda Mahmoud Salem

Dans la vie du Prophète, (b.s.) la question qui a été le plus discutée est la polygamie, elle a été l'objet de la part des non-Musulmans de commentaires dépourvus de toute compréhension. Même si le Prophète fut polygame, les accusations de sensualité que lui adressèrent tant d'occidentaux ne sont pas vraisemblables et sont démenties par de nombreux faits.

En effet, durant toute la période qui précéda la Révélation, c'est-à-dire les quarante premières années de la vie du Prophète, (b.s.) il était reconnu par sa pudeur, sa chasteté, sa décence et son honnêteté. Avec la Révélation, les polythéistes hostiles au nouveau message, commencèrent à attaquer le messager, à le dénigrer, voulant de toute façon entraver sa prédication et détourner les hommes du Prophète. Ils l'attaquèrent pour plusieurs raisons mais ils ne mirent jamais en doute sa vertu. Le Coran n'était pour eux que des poèmes écrits par lui :

(Mais ils dirent : "Voici plutôt un amas de rêves qu'il a inventés lui-même c'est un poète, qu'il nous apporte un Signe comme il en a été envoyé aux Anciens !"). (1)

Ils prétendirent également que le Prophète était un magicien.

(Ils s'étonnent que vienne à eux un avertisseur parmi eux. Les incrédules disent : "C'est un sorcier, un grand menteur). (2)

Ils dirent également qu'il était un devin

(Ce n'est pas la parole d'un devin). (3)

---

1) XXI — Les Prophètes — 5

قال الله تعالى في سورة الأنبياء
« بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون »

2) XXXVIII — Cad — 4

قال الله تعالى في سورة ص
« وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) »

3) LXIX — Celle Qui Doit Venir — 42

قال الله تعالى في سورة الحاقة « ولا بقول كاهن »

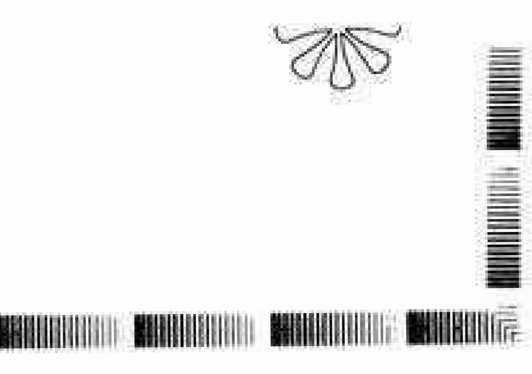
La clairvoyance de Othmân et le respect qu'il inspirait à ses interlocuteurs lui ont valu d'être à maintes reprises l'ambassadeur du prophète (salut et bénédiction sur lui). Quand 'Omar mourut, le conseil de délibération consulta les élites et la masse et jamais on ne vit un tel accord, une telle unanimité que pour l'élection de Othmân Ibn affân.

Sous la direction du troisième calife les ouvertures se multiplièrent et les musulmans conquirent l'Ile de Chypre ce qui donna naissance à la marine musulmane.

Nous avons mentionné que durant la vie des deux premiers califes, le Coran a été rassemblé en un volume. A part cela certains compagnons avaient leur propre copie, qu'ils avaient rédigée, d'autres avaient conservé le Coran dans leur coeur en le mémorisant, cependant la plus grande partie du Coran était récitée selon le dialecte de la principale tribu arabe : Quoraïch. Alors certains commencèrent à prétendre que leur lecture était plus juste, meilleure que les autres; ce qui poussa les compagnons à inciter le calife "Othmân à prendre la décision d'unifier les gens autour d'une seule façon de lire le Coran pour éviter plus tard les divergences. 'Othmân groupa alors son conseil de délibération afin de copier le Coran sous forme d'un seul livre. La copie achevée,il en envoya des exemplaires dans tous les pays tout en donnant l'ordre, par ailleurs, de brûler tout feuillet ou tout exemplaire complet qui contiendrait autre chose que le Coran qu'il venait d'assembler. Les exemplaires que nous avons aujourd'hui et que tous les musulmans lisent sont identiques à celui qui a été sauvegardé par Othmân.

Durant son califat, 'Othmân porta un grand intérêt à l'urbanisation de la capitale de l'Etat musulman : Médine. Il entreprit d'embellir son réseau urbain l'en 35h en agrandissant les différents artères de la ville, puis il ordonna la rénovation avec agrandissement de la mosquée du prophète (salut et bénédiction sur lui). La mort injuste du calife Othmân est survenue le 18 du mois de Dhoûl Hijja en Il était alors agé de 82 ans.

Qu' Allah bénisse le calife Othmân. Nous invoquons Allah, le Tout-puissant pour qu'Il le comble de Ses Bienfaits et le récompense pour son oeuvre, sa sincérité et son oeuvre vis-à-vis de la communauté musulmane.



Le troisième calife
Othmân Ibn Affân

par Hoda Hussein Cha'rawi

Dhou an-Nouraïn
(l'homme aux deux lumières)

En abordant la vie du troisième calife de l'Islam, Othmân Ibn Affân (qu'Allah soit satisfait de lui) beaucoup de gens n'ont à l'esprit que la crise (fitna) très grave qui mena à son assassinat par les dissidents. De même on ne parle de lui qu'en faisant allusion à certains aspects de sa politique et on a tendance à oublier très facilement l'homme qu'il était et l'oeuvre qu'il a accomplie durant son califat.

Le calife Othmân est l'un des dix à qui le prophète (salut et bénédiction sur lui) avait annoncé de leur vivant qu'ils iraient au Paradis. Othmân reste connu par les musulmans sous le surnom de "Dhou an-Nourain"; les ulémas ont dit qu'il fut surnommé ainsi car nul homme dans l'histoire ne connut l'honneur d'épouser deux filles d'un prophète, excepté lui. Othmân fut le premier musulman à émigrer en Abyssinie et à délaisser tous ses biens pour la cause d'Allah, comme il fut le tout premier musulman à émigrer avec les siens dans la voie d'Allah. Alors le prophète (salut et bénédiction sur lui) dit : "Othmân est le premier homme à émigrer pour la cause d'Allah avec sa famille, après Loth le prophète d'Allah".

Othmân participa aux cotés de l'Envoyé d'Allah (salut et bénédiction sur lui) à toutes les batailles qui ont opposé les musulmans aux mécréants, sauf à la bataille de Badr, durant laquelle il resta au chevet de son épouse "Rokaya" le fille du prophète (salut et bénédiction sur lui) qui était très souffrante. Rokaya ne survécut pas à cette maladie, et le chagrin énorme qu'eut Othmân poussa le messager d'Allah (b.s.) à lui donner pour épouse la plus jeune de ses filles : "Om Kalthoum".

Othmân était réputé pour sa générosité et cette générosité se manifesta à maintes reprises dans l'histoire de l'Islam. Il n'a pas cessé de surprendre par sa bonté, et à ce sujet on a rapporté qu'il s'était fixé une règle de conduite toute sa vie : elle consistait à libérer un esclave tous les vendredis, et s'il n'en avait pas les moyens un vendredi, il en libérait deux le vendredi suivant.



REVUE
AL AZHAR

Vol. 67 Part II

Safar, 1415 Higrah

Section Française

against running after scandals and constant searching after the secrets and faults of women, since such a course of action may impair the conjugal relations, and finally leads to the absolute dissolution of the marriage bond. The Prophet was reported to have said :

"The noblest of you is the best in conduct, and the noblest of all are those who treat their wives kindly. Let not any Muslim be harsh in his treatment of his wife; for if certain aspects of her conduct displease the husband, certain others please him"

As the Prophet enjoined man to be kind to his wife, he enjoined woman to be kind to her husband too, obey him and refrain from deserting his bed :

"Among my followers the best of men are they who are best to their wives, and the best of women are they who are best to their husbands. To each of such women is set down the reward equivalent to the reward of a thousand martyrs. Among my followers, again the best of women are they who assist their husbands in their work, and love them dearly for everything, save what is a transgression of Allah's Laws. The best of men, on the other hand, are they who treat their wives with the kindness of a mother to her children. To each of such men is set down a reward equivalent to that of a hundred martyrs".

The Prophet also said :

"When a woman who has been called to come to her husband's bed refuses and the latter spends the night in an angry mood, the angels curse her till the morning.

By Him in Whose hand my soul is, if any woman who has been called to come to her husband in bed refuses, He Who is in heaven is displeased with her "till her husband is pleased with her."

(TRANSMITTED BY : al-Bukhari and Muslim).

TO BE CONTINUED

understanding and stability in their married life. Marriage contracted blindly and without forethought normally results in a breach. The Qur'an says:

235. There is no sin for you in that which ye proclaim or hide in your minds concerning your troth with women. Allah knoweth that ye will remember them. But plight not your troth with women except by uttering a recognised form of words. And do not consummate the marriage until (the term) prescribed is run. Know that Allah knoweth what is in your minds, so beware of Him; and know that Allah is Forgiving, Clement.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ
لَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

(Sura 2:235).

Islam has stated that the marriage which is not based on mutual consent of both parties is considered null and void. Yet Islam does not object to divorcing the woman before her marriage has been consummated with her husband, whether she is menstruating or in the state of purity. It is preferable for the couple to resort to divorce before marriage is consummated, if they discover that they cannot get along with each other. It is easier for her to remarry when she is still a virgin rather than when she is a (thayyib) matron or burdened with children. A wife so divorced is entitled to half the dowry and she needs not observe a waiting period.

The Qur'an calls also upon the husband to be kind and generous to his divorcee with whom he has not consummated his marriage:

236. It is no sin for you if ye divorce women while yet ye have not touched them, nor appointed unto them a portion. Provide for them, the rich according to his means, and the straitened according to his means, a fair provision. (This is) a bounden duty for those who do good.

237. If ye divorce them before ye have touched them and ye have appointed unto them a portion, then (pay the) half of that which ye appointed, unless they (the women) agree to forgo it, or he agreeth to forgo it in whose hand is the marriage tie.[1] To forgo is nearer to piety. And forget not kindness among yourselves. Allah is Seer of what ye do.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ
أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾
وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن
يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَ
أَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

(Sura 2:236-237).

The message of Islam does not only enjoin men to treat their wives kindly, but also to overlook their minor faults and misgiving. The Prophet has positively warned men

DIVORCE IN ISLAM (6)

By : Muhammad Higab

DISTINCTION BETWEEN KHUL' AND DIVORCE :

It should be borne in mind that distinction between divorce and Khul' (redemption) is real and not merely technical. If the cause of disagreement proceeds from the husband, or if he alone wishes for a divorce, he must pay off the settlement debt to the wife. However, in case the proposal for a divorce originates from the woman because of her aversion to the husband and her consequent failure to perform her duties as a wife, or if she alone wishes for a Khul', she has to surrender her dowry or abandon some of her rights as compensation.

While divorce is revocable and the husband can take back his divorce to their married life as his wife during her waiting period, Khul' is irreversible and can neither be revoked by the husband nor by the judge.

TAFRIQ (LEGAL SEPARATION) :

If the wife be so unfortunate as to be subject to abuse by a brutal husband who may wish her either to forfiet the whole of her dowry or live with him, she need not forfiet any. Let her go to the court, preffer a complaint against her husband and demand a formal separation by the decree of the court. If her allegations are true, the judge will call upon the husband to repudiate her. In case he refuses to do so, the judge himself pronounces a repudiation which will operate as a valid divorce, and the husband will be liable for the whole of the deferced dowry. This procedure is known as Tafriq (legal separation) in Islamic Law and is based on the words of the Prophet :

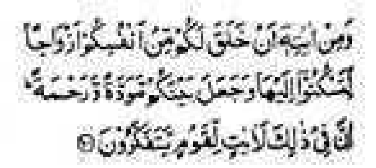
"If a woman is prejudiced by a marriage, let it be broken off." (transmitted by Al-Bukhari)

SACRED RELATIONSHIP :

Islam, as being always against divorce, respects married life and gives it sufficient care and full consideration so that it may be built on love, mercy, faithfulness and mutual agreement. In order to protect married life from disintegration, Islamic Law has provided man and woman with rules and regulations to follow and has instructed them with precautionary procedures to prevent a breach that may sometimes lead to divorce.

The Holy Qur'an states that among Allah's bounties is the fact that He has provided man with a wife to fill his life with happiness and share with him both prosperity and hardship :

21. And of His signs is this: He created for you mates from your selves that ye might find rest in them, and He ordained between you love and mercy. Lo, herein indeed are portents for folk who reflect.



(Sura 30:21).

Islamic Law stipulates that marriage relationship should be based at the beginning on mutual consent and desire. Therefore, it is necessary for the couple to see and study each other from aloof during the period of engagement to ensure reciprocal

Riba (usury), on the other hand, is based on the supposition that there is no relation between the Will of Allah and man's life, that the individual is free to follow whatever means to amass wealth and enjoy money without taking any heed of the interests of others. Money is his ultimate goal. In the long run, usury establishes an order that ruins and crushes humanity : individuals, communities and states for the benefit of a handful of usurers who finally get control of all human beings. Apart from money, they own influence and power which they use to increase their exploitation of others. The easier path to increase their wealth is such projects that destroy morality and fells humanity in a quagmire of appetites and eroticism where many waste all the money they own.

As an economic order, usury is faulty and erroneous — a fact that has been observed by western economists. Dr. Schacht, managing director of the German Reich bank said (1953) that all money in our planet shall go to the pockets of a very small number of usurers. The usurer — creditor always gains profit in every process whereas the debtor is subject to profit and to loss. Thus, all the world's money shall go, in the long run, to those who profit all the time. Borrowers such as proprietors of land and factories and other employees are no more than hirelings of usurers. Consumers, also, pay an indirect tax to usurers : interests charged by banks are paid, not by borrowers, but by consumers because prices of consumer goods are increased to cover those interests on loans.

Essential facts about Islam's condemnation of usury :

1 — Islam and usury system are quite incompatible and can never co-exist.

2 — Usury system is catastrophic to humanity faith and morals as well as to its economic and practical life.

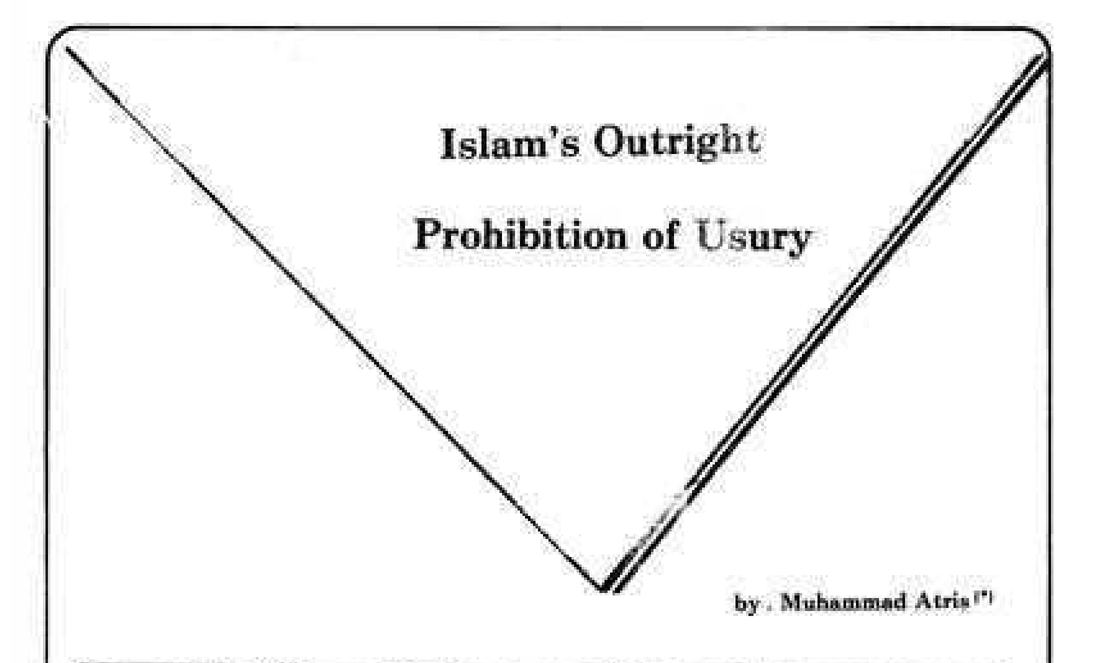
3 — Under Islam, morals and practical life are closely connected; and Islamic successful economy is impossible without morals.

4 — Usurious dealings can only corrupt the individual's conscience and the community life since they disseminate the spirit of avarice, deception, egocentrism and gambling. They direct capitals to be invested in vile, base and ignoble fields where profits are so guaranteed and so high that part of them remain to debtors after paying the interest.

5 — When Islam regulates human life according to its own syllabus and abolish usurious dealings, it will not abolish the economic institutions that are necessary for contemporary economic life — it will only purify them from usurious filth and lay down sound rules for their functioning.

6 — A Muslim should have a firm and solid belief that Allah, the Almighty, may not prohibit a thing that is necessary for the progress of human life and that no malignant thing may be inevitable for human life promotion.

To be continued —



Islam's Outright Prohibition of Usury

by . Muhammad Atris (*)

"Why Western Banks are pondering the applicability of Islamic finance" Part II

Why Islam fights usury :

Alms, freewill offerings and charity constitute helpfulness, clemency, toleration, purification, cooperation and solidarity: whereas usury constitutes niggardliness, filth, egocentrism and self-interest. This is because usury restores its debt in addition to an illegal increase that is subtracted from the debtor's effort in case he makes profit, and from his flesh in case he loses. Islam drew for usury the most abominable picture. Its threat to usurers is greater than to other evil-doers.

Islam bases its economic order on the fact that Allah, the Almighty, is the Creator of the universe hnd the owner of all resources, wealth, food, energy, power, etc. He chose man to be his viceroy on the Earth on condition that there should be collaboration and solidarity between the faithful who believe in Allah. The rich shall have to give part of their wealth to the poor, and both are ordered to work up to their capabilities. There should be no extravagance or prodigality whether in spending or enjoyment. Promotion of one's wealth should be by legal means that do not imply any detriment to others or obstruct the capital cycle.

---

* Under Secretary, the People's Assembly of Egypt

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol 67 Part 11

Safar, 1415 Higrah - July, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٩٦٢٣٨٥٩٩٦ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

أثر الإسلام في حياة بريطانيا الحديثة

– ٢ –

لتاريخ النظافة البدنية الداخلية جداً جداً – في الغرب ريح تفوت ، لايزال – حتى يومنا هذا على ماهو عليه ، نادراً مايتغير ، وإنه ليذكرنا بفضل الإسلام علينا ، وحسد أعدائه لنا حتى قالوا – في عصر النبوة : « قد علمكم نبيكم [ﷺ] كل شيء »[1] .

ولقد كان لهذا الوضع أثره المباشر – فيما أظلم على أوربا من قرون – في حدوث الطاعون بعد الطاعون ، ومن وقت قريب قرأت لصاحب «مواقف» ، أن الفتاة الفرنسية لاتغتسل !

(١) رواه أصحاب الصحاح جميعا إلا البخاري ، ورواه أحمد .

لم أتعجب ، فقد كانت إحدى ملكات أوربا تفخر بأن الماء لم يقرب جسدها من بعد « التعميد » ... فهل كان هذا حال (بلاطها) ... أم خالفها بعضه ..؟ وأى ريح فاح فى هذا البلاط ...؟!

لكن العجب العجاب أن يبرر القوم لهذا الوضع ، فيذكرون أن بـ « الفم » من الجراثيم ما فى « الشرج » وهذه مغالطة أسوأ حالا من هذا الوضع نفسه . فقد اجتهدوا للفم بأدوات لنظافة اللثة والأسنان بمختلف المعاجين والسوائل ، وقد سبقهم الإسلام بالسواك من قبل أربعة عشر قرناً فهو مطهرة للفم مرضاة للرب - سبحانه وتعالى - ، ولم يسلكوا السبيل نفسه إلى نظافة هذا الجزء من البدن بالماء .

لكم نحمد الله - تعالى :

ففى الشريعة الغراء حث متواصل على هذه النظافة ، بل وغيرها كالأفنية والطرق ، وتتصدر المراجع الفقهية - على سعتها - أبواب الطهارة ، وكيفيتها .

إن الله - سبحانه - جميل يحب الجمال ، ويحب النظافة من الإنسان ولقد كُفينا بالطهارة كثير البلاء .

وفى هذا الباب ذاته كان تأثير الإسلام فى إنجلترا الحديثة .

كتب أستاذ الجراحة الدكتور محمود نجيب فى كتابه : « الطب الإسلامى شفاء بالهدى القرآنى »(٢) ص٦ يقول :

حدث فى ١٩٦٣ فى مدينة « دندى » بانجلترا أن ظهرت حالات (تيفود) بصورة متلاحقة فى فترة وجيزة مما أثار القلق من أن يتصاعد الموقف إلى حدوث حالة وبائية بالمدينة .

وصدرت تعليمات صحية بوجوب « الاستنجاء بالماء » بعد « التبرز » والامتناع عن استعمال أوراق المراحيض حيث إنه ثبت أن هذه أنجع وسيلة لمنع انتشار العدوى بالمدينة .

وفعلا اتبع سكان مدينة « دندى » هذه التعليمات التى جاء فيها حرفيا :

« النظافة الشخصية تكون بالماء كما يفعل المسلمون ، وليس بالأوراق التى بدورات المياه » .

ولم تمض سوى أيام قليلة إلا واختفت حالات التيفود من المدينة وبالقياس :

يمكن أن نقول :

إن الاستنجاء بالماء يعطى وقاية من حدوث أوبئة « الكوليرا » أو التهاب الكبد « الفيروسى » .

انتهى حديث الدكتور محمود أحمد نجيب .

د. على أحمد الخطيب

(٢) صدر الكتاب عن مكتبة وهبة سنة ١٤٠٣ - أكتوبر ١٩٨٣ ط أولى .

لجنة الفتوى بالأزهر

الزي المفروض على طالبات المدارس معارض لأمر الله شكلاً وموضوعاً وتشريع مضاد لما أمر الله عز وجل به

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وأصحابه أجمعين وبعد :

فقد اطلعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر على نص القرار ١١٣ الصادر فى ١٧/٥/١٩٩٤م بشأن مواصفات الزى المدرسى .

وعلى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية تحت رقم ٢٦٨ بتاريخ ٢٩/٦/١٩٩٤م .

وعلى النشرة رقم ٤٧ الصادرة بتاريخ ١٢/٧/١٩٩٤م من مكتب وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة القليوبية .

وعلى النشرات الصادرة من إدارة التعليم الابتدائى ، وإدارة التعليم الإعدادى وإدارة التعليم الثانوى بمديرية التربية والتعليم ببنى سويف .

وقد حوى بعضها تصويراً لنماذج الزى المدرسى فى المراحل الثلاث تطبيقاً للقرار الوزارى المرقوم .

وعلى صورة الرسالة المرفوعة إلى السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية من السيدة إفراج الحصرى (ياسمين الخيام) وما أرفق بها ، والموجهة صورتها إلى الأزهر الشريف .

وتبين للجنة الفتوى ما يلى :

أولاً : نصت المادة الأولى من قرار الأستاذ الدكتور وزير التربية والتعليم المشار إليه على ما يأتى :

« يلتزم تلاميذ وتلميذات المدارس الرسمية والخاصة بارتداء زى موحد وفقاً للمواصفات الآتية ... » .

وتحت البند ثانياً من هذه المادة الحلقة الإعدادية « ٢ » : التلميذات جاء ما يلى :

ـ بلوزة بيضاء .
ـ مريلة من قماش تيل (دريل) بحمالات باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .
ـ فى فصل الشتاء يمكن أن تكون المريلة من قماش صوف . كما يمكن أن ترتدى التلميذة بلوفراً أو (جاكت) بلون المريلة . ويجوز استبدال المريلة بقميص وجونلة بطول مناسب .
ـ حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار .
ـ يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر فقط لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

وتحت البند ثالثاً من المادة ذاتها المرحلة الثانوية العامة وما فى مستواها تحت رقم ٢ : التلميذات جاء ما يلى :
ـ بلوزة بيضاء .
ـ جونلة تيل بطول مناسب بلون تحدده المديرية التعليمية .
ـ فى فصل الشتاء يمكن أن تكون الجونلة من الصوف كما يمكن أن ترتدى التلميذة (بلوفر) أو (جاكت) بلون الجونلة .
ـ يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .
ـ حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار .

ثانياً : ونصت المادة الثالثة على ما يأتى :

« لا يسمح لأى تلميذ أو تلميذة يرتدى زياً مخالفاً لما ورد بالمادة الأولى من هذا القرار بدخول المدرسة والانتظام فى الدراسة ... الخ » .

ثالثاً : تنص المادة الرابعة على ما يأتى :

(مديريات التربية والتعليم والإدارات التعليمية بالمحافظات مسئولة مسئولية كاملة عن متابعة تنفيذ ما جاء بهذا القرار) ..

رابعاً : جاء فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية رقم ٢٦٨ بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٩م تحت البند رابعاً فقرة ٥ مايلى :

« يمكن ـ وبناء على طلب مكتوب من ولى الأمر ـ أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر فقط باللون الرمادى بشرط ألا يحجب الوجه . ويحظر استخدام الخمار والنقاب » وهذا تفسير دقيق لقرار الوزير .

خامساً : فى الرسوم التوضيحية المرفقة والخاصة بالزى المدرسى الصادر من الإدارات التابعة لمديرية التربية والتعليم بمحافظة بنى سويف يظهر بوضوح أن الرسوم الخاصة ببنات ـ الإعدادى ـ والثانوى

(وما فى مستواه) تكشف عن الرقبة والعنق وفتحة الصدر وعن جزء من الساقين ولم ترسم فيها الرأس .

** ونحن ننظر فى هذه التعليمات التى تضمنها القرار الوزارى ١٨٣ وتوابعه فى ضوء تعاليم الإسلام وشريعته نجد ما يلى :

أولا : أن نصوص القرآن ونصوص السنة النبوية تقضى بأن المسلمة متى بلغت المحيض ، وكانت خارج بيتها ، لا يجوز لها كشف شىء من جسمها سوى الوجه والكفين ، كما تقضى هذه النصوص بتحريم التبرج ، وبأن يكون الثوب ساتراً للجسد ، غير ضيق أو لاصق به ، أو محدد لقسماته وألا يكون شفافاً يكشف عن شىء من ذات الجسد . وألا تكون بوصف لافت للنظر فى ذاتها أو فى ملابسها تدخل به فى حكم التبرج المنهى عنه ، وأن يكون غطاء الرأس ساتراً بحيث لا يظهر سوى الوجه بحده المعروف طولا وعرضاً وأن يمتد غطاء الرأس بحيث يغطى العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر مما يلى الرقبة وهو المقصود بلفظ الخمار الوارد فى كتاب الله عز وجل .

وهذا ثابت بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

أما الكتاب ففى سورة النور قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ الخ الآية : ٣١

. وفى سورة الأحزاب قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ومن السنة المطهرة :

ما رواه أبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ فى ثياب رقاق ، تشف عن جسدها ، فأعرض عنها النبى ﷺ وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ، وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه » ..

وما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس (رضى الله عنهما) : أن النبى ﷺ أردف خلفه (على دابته) الفضل بن العباس ـ يوم النحر ـ وكان رجلا حسن الشعر ، أبيض ، وسيماً . فجاءت امرأة من (خثعم) تستفتى رسول الله ﷺ فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر . فعاد الفضل ينظر إليها ثلاث مرات ، والرسول ﷺ يحول وجهه . فقال العباس لرسول الله ﷺ : لم لويت عنق ابن عمك ؟ فقال ﷺ : « رأيت شاباً ، وشابة فلم آمن الشيطان عليهما » .

وكل من هذين الحديثين واضح الدلالة على جواز كشف الوجه والكفين من المرأة ، وقد أجمع المسلمون على هذه الأحكام منذ عهد رسول الله ﷺ إلى اليوم ، وأصبحت معلومةً من الدين

بالضرورة لم ينازع فى ذلك أحد من العلماء المعتد بأقوالهم وتغطية الوجه والكفين على هذا عمل اختيارى خاضع للظروف ، والعرف والعادة غير مفروض ، وغير مرفوض فمن شاءت فعلته ، ومن شاءت تركته ، ويكون فعله خيراً إذا غلب على الظن وقوع الفتنة من جراء تركه وأصبح دَرْءُ المفسدة مطلوباً تبعاً لذلك .

ثانياً : من هذا يظهر جَليًّا أن القرار الوزارى رقم ١١٣ لسنة ١٩٩٤ م فى بعض نصوصه وما تبعه من قرارات أصدرتها الجهات المنفذة قد جاءت مخالفة للشريعة الإسلامية من وجوه حسبما يلى :

الوجه الأول :

النهى عن فعل ما أمر الله به . فقد أمر الله النساء المسلمات أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، كما أمرهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وهو « الوجه والكفان » فقط .

وقد خالف ذلك كله القرار الوزارى المرقوم ، والقرارات المنفذة له حيث منع المسلمات من تغطية رؤوسهن وأعناقهن ، وصدورهن وسيقانهن .

وفرض عقوبة على كل مسلمة تلتزم بأمر الله فى هذا الشأن ، وذلك بحرمانها من الدراسة ، ومنعها من دخول المدرسة بنص المادة الثالثة من ذات القرار الذى جاء ـ بهذا ـ معاقباً على طاعة أوامر الله مشجِّعاً على عصيانه تعالى .

الوجه الثانى :

لقد جعل هذا القرار العصيان لأمر الله هو القاعدة ، وطاعة أمر الله استثناء من القاعدة ومشروطاً بأن يتقدم ولى أمر الطالبة بمكتوب يعلن فيه عن رغبته فى التزام ابنته بأمر الله ـ عز وجل ـ وهذا قلب للأوضاع ويجعل تنفيذ حكم الله مشروطاً باستئذان أحد خلقه .

الوجه الثالث :

أصبح كشف العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر ، وكشف الساقين مأموراً به قولا واحداً لا مجال فيه للاستثناء ، وتلك مصادمة واضحة لأمر الله ـ عز وجل ـ الصريح ، الواضح فى القرآن ومناهضة لحكمه .

وقد جاء هذا القرار ، وتوابعه موجباً على الطالبات كشف العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر ، كما يهدف إلى كشف جزء من الساقين حيث إنه عندما طرح مبدأ الاستثناء من القاعدة التى وضعها ، وربطها بتقديم طلب مكتوب جعل هذا الاستثناء مقصوراً على غطاء الشعر فقط ، ونص صراحة على تحريم ارتداء الخمار والنقاب فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية الذى يعتبر تطبيقاً دقيقاً للقرار الوزارى . ويتأكد هذا بالرسوم التوضيحية الواردة فى نشرات الإدارات

التعليمية ، بمديرية التربية والتعليم ، بمحافظة بنى سويف .

هذا المسلك يبرز بالكلمة ، والصورة أن القرار ، وتوابعه معارض لأمر الله شكلا ، وموضوعاً ، كما يعد تشريعاً بما لم يأذن به الله .

الوجه الرابع :

مواصفات الزى كما يظهر من القرار ، وتوابعه تؤكد أنه من قطعتين (بلوزة وجونلة ذات طول مناسب) والجونلة لا يمكن ارتداؤها إلا إذا تمّ شَدُّها على الخاصرة ، وذلك من شأنه أن يبرز بعض قسمات الجسم وفى ذلك مخالفة شرعية أخرى ، بالإضافة إلى ما سبق .

ومن ثَمّ فإن هذا القرار وتوابعه قد خالف دستور مصر الذى ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، والشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع .

هـذا :

ولقد تسبب هذا القرار وتوابعه فى إثارة المشاعر ، وتهييج العواطف وإشاعة القلق ، وقد قوبل من جماهير المسلمين ، والمسلمات بالاستنكار الشديد ، لكونه يفرض التكشف ، والسفور على النساء المسلمات مع أن الله أمرهن بالتصون ، والحشمة والعفاف .

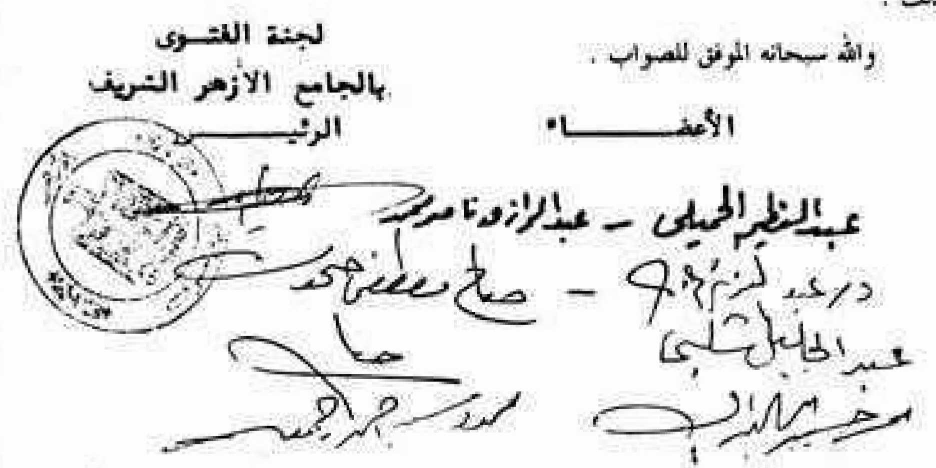
وإذا كان الهدف توحيد الزى للفتيات الدارسات فى المدارس ، فلا حرج فى هذه الغاية ولكن الوسيلة ـ على نحو ما جاء بالقرار ، وتوابعه ـ غير مشروعة ـ لما سبق بيانه ، ومن القواعد العامة فى فقه الإسلام أن الخير لا يتوصل إليه بشىء محرم .

ومن أجل العمل على مرضاة الله والنزول عند حكمه ومن أجل استدامة الأمن والاستقرار والقضاء على أسباب القلق والفتن والاضطراب توصى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر . بإعادة النظر فى هذا القرار حتى يتسق فى نصوصه ، وهدفه مع ما قضت به نصوص القرآن والسنة . وإلغاء ما يخالف ذلك .

والله سبحانه الموفق للصواب .

لجنة الفتوى
بالجامع الأزهر الشريف

الأعضاء | الرئيس



مع الإمام الأكبر

الأسوة الحسنة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

حين نذكر يوم ميلاد الرسول محمد ﷺ ينبغي أن نستحضر سيرته لنتبعها ، وخلقه لنقتدى به ، واستغراقه في مهمته التي كلفه الله بها ، لنأخذ عنه الإخلاص في العمل ، ومضاء العزيمة وإنسانيته في التعامل ، لنسير على ماعهد به إلينا من حق وعدل ، فنرتفع بالعدالة ، ونرتفع عن الدنايا ، ونتوب عن الخطايا ، ونعتصم بحبل الله الذى جاء به هذا النبى . فقد كان كما أثنى عليه ربه الذى أرسله واحتباه .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

إنه القدوة والأسوة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

(الأحزاب / ٢١)

لقد كان مولده ﷺ نوراً وهدى أضاء هذا الكون ، وهَدَى إلى الصراط المستقيم .

لقد بدلت رسالته قومه ، فأنشأتهم خلقاً آخر ، إذ وحدتهم بعد فرقة وأعزتهم بعد ذلة ، اكتسبوا بها إنسانية افتقدوها في مجتمعاتهم ، وتخلوا في ظلها ـ وعلى هديها ـ عن أنانية مفرطة سيطرت عليهم ، فاستناروا بالإسلام ، فأنار الله قلوبهم ، وحاربوا دفاعاً عن دينهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما استكانوا ، وإنما واصلوا نصرة الحق حتى رفعوا راية القرآن ، التى وحدت صفوفهم ، وألفت قلوبهم حتى امتن الله بذلك على رسوله فقال :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

(الأنفال / ٦٣)

وها هو ميراثهم بين أيدينا ، فلم لا نحمله فى صدورنا ، وملء قلوبنا ؟
إن القرآن مأدبة الله وهداه ، فلم نتحاز عنه ولا ننزل على حكمه ؟ ﴿ **ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ .

فى ذكرى مولد الرسول ﷺ ينبغى أن نتحدث عنه من قلوبنا وليس بألسنتنا فحسب ، فإن حديث القلب دافع إلى العمل ونافع فى المستقبل .
ولنتحدث عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ونُعلّم سيرته أولادنا ، وإنه لمن الوفاء لذكراه والمعرفة بحقه ألا نذكره إلا مقترناً بلقب الرسالة أو النبوة كما علمنا ربنا ـ فى القرآن ـ الأدب مع رسوله :

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾

(النور / ٦٣)

إلى هؤلاء المسلمين الذين يتحدثون عن رسول الله ﷺ مجردين اسمه مما كرمه به ربه ، أسوق هذه الآية لعلنا نتذكر أو نخشى .
لتكن هذه الذكرى تذكرة للمسلمين بأن رسالة الإسلام ـ خاتمة رسالات الله ـ ينبغى أن تصان عن العبث ، وأن تقود المجتمع وتسود ربوعه فى كل شئون الحياة وأن يكون كل مسلم ومسلمة حارساً أميناً عليها يؤمن بها وينفذ أحكامها ، ولا يلتفت عنها إلى غيرها فى سرة وعلانيته وسلوكه وعبادته ومعاملته مع الآخرين ، وأن يعلمها أهله وبنيه ، حتى يقوم بناء هذه الأمة من جديد قوياً على الأسس التى أقامها عليها الله ، وحتى تستمر رسالة هذا النبى ﷺ التى رسمت الطريق لإسعاد الناس :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام / ١٥٣)

هذا الصراط المستقيم قد حمل أمة المسلمين مسئولية إقامة المجتمع الصالح فكان الواحد منها رجلا أو امرأة مسئولا عن عمله وسلوكه وأخلاقه ، ومسئولا عمن فى ولايته من أهل وولد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
(التحريم / ٦)

ينبغى أن يكون الاحتفاء بذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ بما يناسبه من إجلال وتكريم ومراجعة لأقواله وأفعاله وأخلاقه لنقتدى به فى الدين والدنيا .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب / ٢١)

لنكن ذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ إيمانا بما نقل إلينا من معجزات أظهرها الله على يديه تأييدا لدعوته دون مراء أو جدال مادامت قد ثبتت ـ رواية ودراية ـ إذ ما أفاء الله به على رسوله من المعجزات بالنسبة لنا ولمن يأتي بعدنا غيب لم نشهده ، يجب أن نذعن له ، وعلى هؤلاء الذين يلحون على الجدال والمراء في تلك المعجزات الحسية لمجرد أن عقولهم لم تستوعبها ؛ أن يكفوا وأن يتفهموا أن الله قد اختص هذا النبي الأمين بالكثير من المعجزات وأخلدها القرآن .

وأن الذين يمارون في معجزاته ، ويتجرأون على التحريف والتأويل الفاسد لأحكام شريعته ، عليهم أن يعلموا أن مثلهم كمثل من وصفهم الله في القرآن الكريم بقوله ـ تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة فصلت

من الوفاء لرسول الله ﷺ أن نتخذ القرآن إماماً ، وسنته بياناً ، وأن نحذر الفرقة ونوحد الصف ، حتى تكون أمة المسلمين كما وصفهم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وحدوا كلمتكم أيها المسلمون ، واجمعوا أمركم ، وتجاوزوا خلافاتكم ، فقد جمعت بينكم أخوة الإسلام (إنما المؤمنون أخوة) فنحن أمة المسلمين لا نعرف الشعوبية التي أثارها بيننا أعداؤنا فأوقدوا نار الحروب في أطراف أمتنا ، وأشعلوا العصبيات القبلية والعرقية (والله من ورائهم محيط) .

في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر سماحته وتواضعه للناس ورفقه ورحمته بالضعفاء .. وصدق الله ربه الذي اصطفاه حيث وصفه فقال :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .

شيخ الأزهـــر

(جاد الحق علي جاد الحق)

فتوى

في شروط من يتصدى للفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله : وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/جمال سعد حاتم (صحفي بمجلة التوحيد) يطلب فيه الإجابة عن بعض الأسئلة ضمن تحقيق صحفي بمجلة التوحيد حول الفتوى وخطرها ومن يتصدى لها .. وأن أمر الفتوى قد عظم .. وهذه الأسئلة هي :

١ ـ ما صفة من يجوز له الإفتاء ؟ .. وما شروطه ؟ وما يتعلق بذلك من واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح ؟ .

٢ ـ هل يجوز للعامي الذى جمع فتاوى المفتين أن يفتى بها ؟
وما الواجب عليه في هذه الحالة ؟
وهل يعتبر مفتيا أم أنه يعد من المقلدين الذين قاموا مقامهم ؟

٣ ـ بعض الجمعيات الدينية أنشأت لجانا للفتوى . فما رأى فضيلتكم في مثل هذه اللجان ؟

(والجـــــــواب)

عن السؤال الأول :

يؤخذ مما قال به علماء الفقه وأصوله أن الإفتاء هو : بيان حكم الله ـ تعالى ـ بمقتضى الأدلة الشرعية على جهة العموم والشمول .

والمفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ ، لأن العلماء ورثة الأنبياء كما يدل عليه الحديث الشريف : (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم)[١] .

إن المفتي نائب في تبليغ الأحكام ، ففي الأحاديث الشريفة :

« ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب »[٢] و (بلغوا عني ولو آية)[٣] ، و « تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم الغائب »[٤] .

وهذا هو معنى كون المفتي قائما مقام النبي ﷺ في تبليغ الأحكام ، ومن هنا كانت الفتوى خطيرة الأثر ، وقد قيل : إن حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة : لسان الراوى ، ولسان المفتي ، ولسان الحاكم (القاضى) ، ولسان

---

١ ـ في الترغيب والترهيب للمنذرى بروايته ، وبزيادات أخرى .

٢ ـ البخارى في خطبته ﷺ بمنى .

٣ ـ البخارى ورواه أيضا أحمد والترمذى .

ـ رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وهو حديث صحيح .

الشاهد ، فالراوى يظهر على لسانه حكم الله ورسوله ، والمفتى يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه ، والحاكم (القاضى) يظهر على لسانه الإخبار بحكم الله بتطبيقه على الحادثات ، والشاهد يظهر على لسانه الإخبار بالسبب الذى يثبت به حكم الشارع .

وقد تحدث فقهاء المذاهب عن أهلية من يتصدى للفتوى بما توجزه فيما يلى :

أن تتوافر فيه الأهلية التامة ، وقد اختلفت كلمة الفقهاء فى مدى الأهلية للإفتاء : فذهب الفقه الحنفى إلى أنه لا يفتى إلا المجتهد وفى أقوالهم إن الفتوى جائزة من كل مسلم بالغ عاقل حافظ للروايات واقف على الدرايات محافظ على الطاعات مجانب للشهوات والشبهات سواء كان من توافر فيه كل هذا رجلا أو امرأة شيخا أو شابا .

والمالكية .. رأوا أن الطائفة التى اتبعت المذهب لما انكشف لها من صحة أصوله لكونها عالمة بأحكام القرآن والسنة ، عارفة بالناسخ والمنسوخ ، والمفصل والمجمل والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، جامعة لأقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار حافظة لما كان موضع وفاق وما جرى فيه الخلاف ، فهذه الطائفة هى التى تتمتع بالأهلية المشار إليها .

وأما الشافعية : فقد رأوا أن المفتين قسمان : مستقل ، وغير مستقل ، والمفتى المستقل شرطه معرفة أدلة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وما يشترط فى هذه الأدلة ، ووجوه دلالتها واستنباط الأحكام منها على ما هو مفصل فى علم أصول الفقه ، واشتراط حفظ مسائل الفقه إنما هو فى المفتى الذى يتأدى به فرض الكفاية ، ولا يشترط هذا فى المجتهد المطلق أو المستقل .

وأما المفتى غير المستقل ، وهو المنتسب لأحد المذاهب فتكون فتواه نقلا لقول إمام المذهب أو أحد أصحابه المجتهدين ، ويتأدى به فرض الكفاية ، وله أن يفتى بما لا نص فيه لإمامه تخريجا على أصوله إذا توافرت فيه شروط التخريج .

أما من يحفظ مسائل فقه المذهب دون بصر بالأدلة والأقيسة فهذا لا تجوز له الفتوى إلا بما يجده — فى حادثة ما — منقولا عن إمامه أو تفريعات المجتهدين فى المذهب ، وما لم يوجد منقولا أو يندرج تحت قاعدة عامة من قواعد المذهب ، أو يلتحق بفرع من فروعه ظاهر المأخذ جازت لمثل هذا الفتوى فيه متى اهتدى إلى الحكم الصحيح ، وإلا أمسك عنها .

وعند الحنابلة : أن مرتبة التبليغ والفتيا لا تصلح إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ومع ذلك يكون حسن الطريقة ، مرضى السيرة ، عدلا فى أقواله ، وأعماله ، متشابه السر والعلانية فى مدخله ، ومخرجه وأحواله .

ثم إن للمفتى آدابا يجملها : أن الإفتاء فيما لم يقع غير واجب ، وأنه يحرم التساهل فى الفتوى واتباع الميل ، وإذا كان فى المسألة خلاف لا يختار قولا يجيب به حتى يعرف حجته كما أفصح عن هذا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

عن السؤال الثانى :

فإن من كان فاقد القدرة على أخذ الأحكام من المصادر الشرعية لا يقال عنه إنه مجتهد ، ولا فقيه ، ولا مفت وإن من حفظ الكثير من الفروع

الفقهية ، وبنى عليها كان مندرجا تحت عنوان : من يجب عليه التقليد .

وفى الفقه الحنفى : إن غير المجتهد ممن حفظ أو يحفظ أقوال المجتهدين واجب عليه إذا سئل أن ينسب القول الذى يفتى به لقائله على جهة الحكاية عنه وذلك بأحد أمرين :

أولا :

أن ينقله من أحد الكتب المعروفة المتداولة فينسب القول إلى الكتاب الذى نقل عنه .

ثانيا :

أن يكون له سند فى روايته بأن تلقاه رواية عن شيوخه .

وعند المالكية : أن من اتبع المذهب وحفظ أقوال إمامه وأقوال أصحابه فى مسائل الفقه ، وفقه معانيها ، وعلم صحيحها وسقيمها ، ولكنه لم يبلغ درجة معرفة قياس الفروع على الأصول فهذا ومثله يجوز له أن يفتى بما علمه صحيحا من قول إمام المذهب وغيره ، من فقهائه .

وعند الشافعية : إن من يحفظ مسائل فقه المذهب دون بصر بالأدلة والأقيسة فهذا لا تجوز له الفتوى إلا بما يجده منقولا فى صحيح المذهب أو يندرج تحت قاعدة عامة من قواعد المذهب أو يلتحق بفرع من فروعه ظاهر المأخذ عندئذ تجوز له الفتوى وإلا أمسك عنها .

هذا ولا ينبغى للعالم أن يفتى حتى يراه الناس أهلا للفتوى لا أن يرى هو نفسه أهلا لذلك(٥) .

ويتضح من فقه المذاهب الأربعة على هذا الوجه أنه ليس لكل من قرأ كتابا أن يفتى ، وإنما من فقه ما قرأ .

وعن السؤال الثالث :

فإن نصوص الفقهاء متواترة على أن تعليم الطالبين وإفتاء المستفتين فرض كفاية ، بمعنى أنه إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، وقد عين الأزهر الشريف فى كل منطقة أزهرية على مستوى الجمهورية لجنة للفتوى تضم نخبة من علماء الأزهر الشريف يمثلون فى الغالب المذاهب المختلفة ، وهذه اللجان تؤدى واجبها وهى محل ثقة الجماهير لا يرضون بغيرها بديلا .

ومع هذا فلا يحل لأحد أن يفتى إلا إذا تأهل لذلك على نحو ما سلف بيانه ، وليس لأية جماعة أو جمعية أن تتصدى للفتوى إلا إذا توافر فيمن خصصته لهذا تلك الشروط لأهمية أمر الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات ، وليحذر الذين يجازفون بالفتوى فيما لا علم لهم به أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم ، وليقرأوا قول رسول الله ﷺ :

« من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه »(٦) .

والله ــ سبحانه وتعالى ــ أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

---

٥ ــ الفروق للقرافى ج ٢ ص ١١٠ مع هامشه تهذيب الفروق .

٦ ــ من حديث أخرجه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ جامع الأحاديث للسيوطى ج ٦ ص ١١٢



فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾

قدمنا فيما سبق اختلاف وجهات النظر فى معنى الولاية ، هل هى الإرث أو هى النصرة والتضامن ؟ ، وقلنا : إن رواية الإرث المنسوبة إلى ابن عباس معلولة السند ، وولاية الكفار بعضهم لبعض هنا جرت فيها الخلافات السابقة ، ولأئمة الفقه فيها آراء متنوعة ؛ استنادا على هذه الآية .

قيل : إن معنى بعضهم أولياء بعض أن الكفار على مختلف نحلهم يرث بعضهم بعضا فالمجوسى يرث النصرانى والنصرانى يرث البوذى ، وهكذا يجرى التوارث بين غير المسلمين على أنهم أمة واحدة ، ورأى آخر يقول : إن أبناء كل ملة يتوارثون فيما بينهم : النصارى يرث بعضهم بعضا ، والمجوس يرث بعضهم بعضا ، ولا يرث ذو ملة ما شخصا ليس من أبنائها ، على أن هناك رأيا آخر يرى أن أبناء الملة الواحدة لا يتوارثون إلا إذا كانوا على نحلة واحدة ، فلا يرث الفريسيون من اليهود من كان من الصدوقيين ، ولا يرث اليعاقبة من النصارى غير اليعاقبة ، ولا يرثهم غيرهم . واحتج الجميع بقول الله ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ .

وهذا يكون إذا احتكم أولئك وهؤلاء إلى حاكم مسلم ، وقد حدث مثل هذا فى التاريخ ، وليس فقط فى البلاد الخاضعة للحاكم الإسلامى ، وقد كان النورمانديون فى جنوب إيطاليا يلجأون إلى مسلمى صقلية للفصل بينهم فى خلافاتهم ، وكان الوثنيون فى إفريقيا يحتكمون إلى المرابطين والموحدين .

ولست أرى أن المراد بهذه الولاية هو الإرث ، وآخر الآية يؤكد أن المراد بها هو التناصر والتضامن ضد الأعداء ، وإشاعة روح الإخاء والمودة بين المسلمين !

فهى تفهم أن الكفار وغير المسلمين يسند بعضهم بعضا ويتضامنون فى حروبهم ، فإذا لم يفعل المسلمون مثل ذلك كانت الفتنة والفساد الكبير .

لم يكن بين مشركى مكة ويهود المدينة أى ترابط ووحدة ، فلما جاء الإسلام كانوا جميعا من أعدائه ومحاربيه .. ففى يوم الأحزاب كان اليهود وراء فكرة الحرب التى تقوم بها القبائل ، ووقت استحكام القتال انضم بنو قريظة للمشركين ليحاربوا المسلمين .

ولم يكن اليهود يؤمنون بوثنية القرشيين ولا يقبلون انضمامهم إليهم فى الدين فليست حربهم حرب دين ، ولكن أثارها عداوة للإسلام والرغبة فى القضاء عليه .

وعند نزول سورة الأنفال ، لم يكن هناك غير المشركين الوثنيين وغير اليهود ، وقد نقض اليهود عهودهم التى وثقوها مع رسول الله ـــ حين لاحت لهم بارقة انتصار القرشيين ، وقد رأينا عبدالله بن أبى ينسحب بثلث الجيش يوم أحد ، ولما احتكت الدولة الإسلامية بدولة الروم وكانت حرب تبوك ، كان اليهود من المثبطين عن القيام لها ، وقالوا ما لمحمد طاقة ببنى الأصفر . وهم ـ طبعا ـ كانوا يكرهون أن ينتصر المسلمون على نصارى الروم ، وإذن فلابد للمسلمين مثل هذا التضامن والترابط .

ولا يعكر على هذا الرأى ما كان من مؤاخاة ، وأيضا توارث بين بعض المسلمين وبعض فى صدر الإسلام ، وقبل نزول آيات المواريث فى سورة النساء ، فلم يكن ذلك إلا ترابطا وإخاء ، ثم نسخ أو أبطل هذا التوارث ، وبقيت المؤاخاة وبقى الحث عليها .

وقد ذكر ابن عبدالبر أن المؤاخاة حدثت مرتين : مرة فى مكة بين المسلمين ، ومرة بالمدينة بين المهاجرين والأنصار ، وكانوا يتوارثون حتى نزل قول الله ـــ تعالى :

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾

فانقطع التوارث .

وقد آخى رسول الله ﷺ بين أبى الدرداء وسلمان الفارسى ، كما آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين أبى عبيدة بن الجراح وأبى طلحة ... وقد كانت هذه المؤاخاة تذهب عنهم وحشة الغربة ، ويجدون فيها تسلية ومواساة إزاء ما عانوه من الغربة ومفارقة الأهل وضياع الأموال ، وهى قبل كل شىء وبعد كل شىء إخاء تشتد به عرى الإخاء وتقوى وحدة المسلمين .

وأصح الأقوال وأشهرها أن هذا الإخاء كان عقب الهجرة ، وأوائل قدوم النبى ﷺ المدينة ،

وقد قال لأصحابه إذ ذاك : « تآخوا أخوين أخوين ، وكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين » .. وبهذا نرى أن المؤاخاة كانت أيضا بين المهاجرين وحدهم ، وواضح منها أنها كانت لقوة الرابطة بين المسلمين وشد بعضهم أزر بعض .

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

أي إذا لم تفعلوا هذا الموالاة أيها المسلمون فيما بينكم ، كما يفعل الكفار تحدث الفتنة وهي قوة الكفر والفساد الكبير وهو ضعف الإسلام .

وعدم إحداث الموالاة ، يكون بموالاة المسلمين الكافرين دون موالاة المسلمين ، وقد جاء هذا في غير موضع من القرآن لقوله ــ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقوله :

﴿ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

ولا يمنع هذا مصادقة المسلم غير المسلم فيما لا يمس الدين ولا يؤذي المسلمين .

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ الممتحنة ٨

ويكون ترك الموالاة أيضا بعدم ترابط المسلمين وشعور كل مسلم بمشاعر أخيه وحب معاونته ، فالمسلمون في هذه الحالة لا يساعدون الأعداء على المسلمين ، ولكن لا يساعد بعضهم بعضا .

أخشى أن أقول إن كلا النوعين من انحلال عرى الترابط قائم بين المسلمين الآن ، وما نراه في فلسطين وفي الأفغان وفي بلاد التركستان القديمة وفي غير هذه الأماكن شاهد واضح على هذا الانحلال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

ذكرت الآية الأولى هذين النوعين الأولين من المؤمنين لتبين ولاية بعضهم لبعض ، وأعادت هذه الآية ذكرهم لتبين عظم شأنهم وعلو درجتهم ، فوصفتهم أولا بأنهم المؤمنون ــ هكذا بطريق القصر الإضافي فأفادت أن غيرهم من المؤمنين ليسوا مساوين لهم في درجة الإيمان ؛ ذلك لما ضحوا به من الوطن والمال والأهل ، وأكدت هذا الوصف بكلمة حقا لإفادة المبالغة في كونهم محقين محققين في دينهم ، ومن جزائهم أن لهم مغفرة عظيمة واسعة ، يؤخذ هذا من تنكير المغفرة ، ولهم رزق كريم ، وهو الثواب والنعيم العظيم في الجنة ، غفرت لهم أولا ذنوبهم وكفرت خطاياهم ثم أوتوا فوق ذلك هذا التكريم .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ .

هذا هو القسم الرابع من أقسام المسلمين في ذلك العصر ؛ مؤمنون لم يسارعوا إلى قبول الإسلام ونصره أول ما ظهر ، ولم يهاجروا مع المهاجرين الأولين ، ولكنهم آمنوا بعد ذلك ، وهاجروا إلى المدينة قبل أن يفتح المسلمون مكة ، فهؤلاء من المؤمنين الأولين في الولاية ، تجب لهم حقوق المؤمنين من الولاية والنصرة ، كما تجب

عليهم للمؤمنين مثل ذلك . وكلمة « منكم » تؤذن بتبعيتهم ، وأنهم أقل درجة من الأولين وإن كانوا يظفرون بالنعيم وبالجنة ، قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾

ويختلف المفسرون فى حدود البعدية فى كلمة « من بعد » ــ قيل بعد غزوة بدر ، وقيل بعد عهد الحديبية وعمرة القضاء ، وقيل بعد غزوة بدر وقيل بعد نزول هذه الآية ، وبهذا يكون الماضى بمعنى المضارع ، أى الذين يؤمنون ويهاجرون من الآن فصاعدا ... ، والأقرب والأولى أنهم الذين لم يهاجروا مع السابقين سواء كانت هجرتهم بعد بدر أو قبلها حتى فتح مكة ؛ فإنه لا هجرة بعد الفتح ، فبعد فتح مكة صارت دار إسلام ولم يبق للمشركين بها شوكة ، ولم يعد المسلمون بالمدينة بحاجة إلى المهاجرين ، وبقاؤهم بمكة لا يزيد أعداء المسلمين قوة .

وقاس الحسن البصرى على ذلك امتداد الهجرة إذا كان المسلم فى أى وقت فى بلد كفار ، ووجوده بينهم يزيدهم قوة ، فإنه يجب أن يهاجر من بلادهم ليضعف قوتهم ، فالهجرة غير منقطعة أبدا ، وهذا لا يعارض الحديث : « لا هجرة بعد الفتح » ؛ إذ هو يعنى الهجرة الخاصة إلى المدينة

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

وأولو الأرحام هم ذوو القرابة ، سموا بذلك ؛ لأنهم يرجعون إلى رحم واحد ــ وهو رحم المرأة الذى يتكون فيه الجنين ، ويعدهم علماء الفرائض عشرة أصناف لا يرثون بفرض ولا تعصيب .

والمعنى : أولو القرابة أولى بالتناصر والتعاون من المهاجرين والأنصار الأجانب ، والأمر كذلك فى التوارث فى دار الهجرة فى عهدها ومعنى « فى كتاب الله » : فى حكمه الذى كتبه على عباده المؤمنين وأمرهم باتباعه ، وقد جاءت آيات كثيرة توصى بذوى القربى . كما فى الآية :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ وآية :

﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ .

وجاء فى الحديث : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شىء فلأهلك ، فإن فضل شىء من أهلك فلذى قرابتك » .

وكلمة : « فى كتاب الله » لا تخلو من تأكيد وتذكير بهذا الواجب ، وجاء فى آية المحرمات فى سورة النساء :

﴿ كتاب الله عليكم ﴾

وهى تفيد العهد والتوثيق ، ثم ختمت الآية والسورة بقول ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

وبسبب علمه وإحاطته بكل شىء شرع لنا من الدين ومن الأحكام التى مرت فى السورة كلها ما فيه صلاحنا ونفعنا فى الدنيا والآخرة .

وهذه سورة الأنفال قد انتهت شرحا وبيانا لم نوجز فيه ولم نطل ، ونسأل الله ــ تعالى ــ قبول ما كتبنا .

قبس من أنوار النبوة

نماذج ثلاثة ممن يحبهم الله

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال :

« ثلاثة يحبهم الله ــ عز وجل ــ : رجل أتى قوما فسألهم بالله ، ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه ، فتخلف رجل بأعقابهم ، فأعطاه سرا ، لا يعلم بعطيته إلا الله ــ عز وجل ــ والذى أعطاه .

وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به ، نزلوا فوضعوا رءوسهم ؛ فقام منهم رجل يتملقنى ويتلو آياتى .

ورجل كان فى سرية فلقوا العدو فانهزموا ؛ فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له .

رواه النسائى

من مفردات الحديث :

١ ــ سألهم بالله : رجاهم أن يعطوه لوجه الله وابتغاء مرضاته .

٢ ــ ولم يسألهم بقرابة : إذ لو كان هناك قرابة ، لقيل : إن الإعطاء كان من أجل هذه القرابة .

٣ ــ فتخلف رجل بأعقابهم : تأخر عنهم حتى انفرد لئلا يروه .

٤ ــ مما يعدل به : أى مما يماثله .

٥ ــ يتملقنى : يزيد فى التودد والدعاء .

إن أهل الإيمان الذين امتلأت قلوبهم بعقيدة الإيمان الصادق الخالى من كل ريبة وشك ، الخالص من شوائب النفاق والرياء ، يقصدون وجه الله بأعمالهم ابتغاء مرضاة ربهم ، أولئك الذين يعلمون أن قيام الليل دأب الصالحين ، ومقربة إلى رب العالمين ، فيقومون فى السحر على ضراء وسراء ــ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا ، وطمعا يرتلون كتاب ربهم ، يجاهدون النفس الأمارة بالسوء ويجاهدون أعداء الدين ، ويقفون صامدين فى وجوه الظالمين ، والغاصبين حتى النصر أو الشهادة فى سبيل الله فينالون إحدى الحسنيين .

ليس في الأمر قصر :

حين يحدثنا الرسول ﷺ عن ثلاثة يحبهم الله — عز وجل — فليس معنى ذلك أن الله يقتصر حبه على هؤلاء الثلاثة ، أو أنه لا يحب غيرهم فالله — سبحانه وتعالى — يحب من عباده نماذج كثيرة لأطهار أخيار .. وهناك كثير من الأحاديث النبوية بدأت بعبارة : ثلاثة يحبهم الله . كما أن هناك أحاديث بدأت بغير ذلك من الأعداد. ممن يحبهم الله ويكرمهم .

الثلاثة الذين في الحديث :

وأول هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله — تعالى — ويرضى عنهم ، ويثيبهم جزيل الثواب :

رجل كان بين قومه ، وأقبل سائل يطلب المعونة والصدقة منهم لوجه الله — تعالى — فلم يعطه أحد منهم ؛ فانفرد هذا الرجل الصالح عن قومه وأعطى للسائل ما تيسر من الصدقة سرا ، حتى يكون عمله بعيدا عن الرياء والتظاهر . وليتحقق عنصر الإخلاص لله في العمل ، حتى يكون ممن استجاب لدعوة القرآن في إخفاء الصدقة .

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) ﴾ البقرة

وحتى يكون من هؤلاء السبعة الذين يحبهم الله ويظلهم في ظله يوم القيامة .. ! فهو رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . فهو حينما أعطى السائل كان يخشى الرياء الذى يضيع ثواب الأعمال . كما قال الرسول ﷺ : إن أخوف ما أخاف عليكم ، الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله يوم القيامة — إذا جزى الناس بأعمالهم : إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم جزاء — أخرجه الإمام أحمد .

وكما قال عليه الصلاة والسلام — فيما رواه ابن ماجه — « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ١١٠)

ثم يأتي دور الرجل الثاني الذى ورد في الحديث في قوله : « وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فنزلوا فوضعوا رءوسهم فقام منهم رجل يتملقني ويتلو آياتي » .

هذا الرجل الصالح — أو الصنف الثاني — كان على سفر مع رفقة له ، وساروا في طريقهم أغلب الليل حتى تعبوا ورغبوا في النوم بعد هذا المجهود الشاق الذى بذلوه ، ولذلك نزلوا في مكان يستريحون فيه ، فسارع إليهم النوم فناموا إلا رجلا منهم غالب نومه ونشط لطاعة ربه — سبحانه — وظل ساهرا يذكر خالقه ويتلو آياته في الصلاة أو خارجها .. حتى يكون من أولئك الذين قال الله — تعالى — فيهم

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ سورة السجدة

وحين يكون العبد فى مناجاة ربه فى الوقت الذى يشتهى فيه النوم والراحة بعد العناء ، والسفر ، والتعب . فهذا لا يكون إلا ممن آثر طاعة ربه ورغب فيما عنده من عظيم الثواب بكثرة السجود حتى يحظى بما أعده الله لأهل هذه الصلاة « فعن أنس — رضى الله عنه — يرفعه إلى النبى ﷺ فيما رواه ابن حبان قال :

صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل .

والرجل الثالث — رجل كان فى سرية — طائفة من الجيش — فلقوا العدو فانهزموا ، فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له .

قوم قابلوا العدو فى ميدان الجهاد فى سبيل الله فقام رجل منهم يواجه العدو بصدره بعد أن انهزم أصحابه .. حتى ينتصر على العدو أو يقتل فى الجهاد ، مقبلاً غير مدبر فينال إحدى الحسنيين .. النصر والغنيمة أو الشهادة .. حتى يحظى بالنعيم الذى أعده الله لمن استشهد فى سبيله .

روى الترمذى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئنا ومبشرا : « ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ قال جابر قلت : بلى قال : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأنه كلم أباك كفاحا (والكفاح المواجهة) قال : سلنى أعطك قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب — عز وجل — : إنه سبق منى القول بأنهم أليها لا يرجعون»

قال : أى رب فأبلغ من ورائى أى أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التى يتقلب فيها الشهيد فى الجنة — فأنزل الله — تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .. ﴾

(الآيات من ١٦٩ — ١٧١ آل عمران)

وكما قال النبى ﷺ : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

روى الطبرانى والحاكم عن أبى الدرداء — رضى الله عنه — أن النبى ﷺ قال : ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ويستبشر بهم : الذى إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله — عز وجل — : فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله — عز وجل — ويكفيه فيقول : انظروا إلى عبدى هذا ، كيف صبر لى بنفسه — والذى له امرأة حسناء وفراش لين فيقوم من الليل يذر شهوته ويذكرنى .. والذى إذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام فى السحر فى ضراء وسراء»

إنها خصال ثلاث : انفاق فى السر يدل على الإخلاص وطهارة النية مع سماحة النفس التى لا تشح ولا تبخل ، فتزيل عوز المحتاجين ، وتمسح بيد الرحمة والرفق آلام المعذبين .

وصلاة التهجد فى الليل تدل على صدق التقوى ، وعمق الخشية ، وفيها يجمع الإنسان بين تلاوة القرآن فيزداد هدى ونورا وصدق الجهاد دفاعا عن الدين والأرض والعرض — دليل على الفداء والوفاء (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

لا إيمان لمن لا أمانة له

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

عظَّم الإسلامُ شأنَ الأمانة ، وحثَّ على أدائها ، ورَّغب في الوفاء بها ، ونهى عن الخيانة ، وبغَّض فيها ، ونفَّر منها ، فهي لا تليق بذوى الدِّين ، وأصحاب المروءات ، وقد ذمَّها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أشدَّ الذمِّ كما جاء عند النسائي من حديث أبي هريرة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمَّ إنى أعوذُ بك من الجُوع فإنه بئسَ الضَّجيعُ ، وأعوذُ بك من الخيانة فإنها بئس البطانةُ » والبطانةُ : المقصودُ بها صديقُ الرجُل وصفيُّه الذى يكتشِفُ له عن أسراره ، وقد مثَّل الخيانة بجليس السوء والصديق الذى يُغرى بالشرِّ ، ولا يُعين على خير : « فإنها بئس البطانةُ » وبئس : فعلٌ ماضٍ للذمِّ ، وفاعلُه البطانةُ ، وهو أسلوبٌ لإنشاء الذمِّ يؤكِّدُ قبح الخيانة ، ويدعُو إلى مجانبتها .

ولنسمع قوله تعالى من سورة الأنفال في النهى عن الخيانة في العبادات وفي المعاملات :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وفي سورة النساء جاء الأمرُ بأداء الحقوق سواءٌ كانت لله تعالى أم للعباد ، فعليَّةً كانت أم قوليَّةً أم اعتقاديَّةً :

---

(1) الآية : ٢٧ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾(٢).

الأمانة فى الشرع :

والأمانةُ جاءت فى لسان الشَّرع بمعان ثلاثة :ـ

الأول : ما قاله الضحاك : أماناتُ الناس المعروفة ، أى الأشياءُ التى يضعُها صاحبُها عند غيره ليستردَّها عند الحاجة إليها . كما جاء الأمرُ بذلك فى هذه الآية .

والمعنى الثانى : الحقوقُ المتعلِّقةُ بالمكلَّفين ، سواءٌ أكانت لله أم للعباد ، وسواءٌ أكانت فعليَّةً أم قوليةً أم اعتقاديةً أم ماديَّة ، ومن ذلك قولُ ابن عباس : « إنَّ الأمانة هى الفرائضُ » وما أخرجه عبدالرزاق عن زيد بن أسلمَ عن رسول الله ﷺ : الأمانةُ ثلاثٌ : الصلاةُ ، والصيامُ ، والغُسْلُ من الجنابة ، وما رُوى عن علىِّ بن أبى طالب : « أنه كان إذا دخل عليه وقتُ الصلاة اصفر وجهه فسئل عن ذلك فقال : دخل علىَّ وقت أمانة عرضها الله على السمٰوات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملْنها ، وأشفقن منها ، وقد حملْتُها مع ضَعْفِى » ، ومن ذلك ما رواه مسلمٌ عن أبى ذرٍّ قال : « قلت يا رسولَ الله ألا تستعملُنى ، فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أباذرٍّ ، إنك ضعيفٌ ، وإنها أمانةٌ ، وإنها يوم القيامة خزىٌ وندامةٌ ، إلا مَن أخذها بحقِّها وأدَّى الذى عليه فيها » .

وممَّا هو متعلقٌ بالحقوق على المكلَّفين : كلمةُ التوحيد فهى من أعظم الأمانات ، ولا يجوزُ الإخلالُ بها بحال ، وما قاله ابن العربى من أنها : الإيمانُ بالله وملائكته واليوم الآخر ، ومما يعمُّ هذه المعانىَ جميعَها تفسيرُ أبى حيان للأمانة من أنها : كلُّ ما يُؤتمنُ عليه من أمرٍ ، ونهىٍ ، وشأنٍ ، ودينٍ ودنيا .

المعنى الثالث لمفهوم الأمانة : هو الصفةُ المُضادَّةُ للخيانة ، وهى صفةٌ غريزيةٌ تحمل صاحبَها على تأدية الحقوق لذويها ، ماديةً كانت أو معنويةً ، للخالق أو للمخلوق ، وإلى هذا جاءت الإشارةُ فى حديث أبى حُذيفة الذى أخرجه البخارى وفيه : « حدَّثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم علِمُوا من القرآن ، وعلِمُوا من السُّنَّة » ومعنى نزولها فى جذر قلوب الرجال : حصولُ تلك الغريزة فى الشخص المتصف بها ، وجذرُ كلِّ شىءٍ أصلُه ، والمعنى : أن الأمانة خُلقت فى أصل قلوب العباد فهى من الغرائز الفطرية ، فتشبهُ النواةَ التى إذا أصلحها صاحبُها وتعهَّدها بالحرث والسقى كانت شجرةً تؤتى أُكلَها ، وإذا تركها وأهملها فسدت

---

(٢) النساء : ٥٨ .

وبطل النفعُ بها ، وهٰذا تصويرٌ لغريزة الأمانة التى تعهَّدها صحابةُ رسول الله ﷺ بعلوم الشريعة المكتسَبة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة شيئاً فشيئاً حتىٰ نمت وتمكّنت وآتت أعظمَ الثمار ، ولم يفسدوها بالإهمال والترك : « فتعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة » أى : تأدَّبوا بأدب القرآن وبأدب السنة المطهرة وَعَلِمُوا منهما ما تنمو به الأمانةُ وتُثمر ثمرتَها ، وزادهم ذٰلك استمساكاً بالأمانة وبغضاً للخيانة ، وإن الفضائلَ متلازمةٌ ، فإذا نمَت الأمانةُ باتّباع الفضائل الإنسانية التى يَقوَىٰ بها الإيمانُ والإسلامُ والتقوىٰ والإخلاصُ ، وتجلّىٰ ذٰلك فى بيْعه وشرائه وسائر معاملاته ، فلا يغشُّ ولا يخونُ ألبتة ، بل يَصير الأمينُ موثوقاً به فى كل أحواله .

النهى عن الخيانة بالمثل :

وَمِمَّا يؤكِّد فى نفوسنا عِظَمَ شأنِ الأمانةِ أن الرسول صلىٰ الله عليك وسلم نَهَىٰ عن الخيانة فيها حتىٰ مع مَن خانك فى أمانتك يقول عليه السلام فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه أبو داود والترمذى : « أدِّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك ، ولا تخُن من خانك » ومَن لم يؤدِّ الأماناتِ إلىٰ أهلها كالودائع ونحوها أُخذ منه الحقُّ فى يوم يكون الإنسانُ فيه شديدَ الحاجة إلىٰ كل حسَنة ، ويشتدُّ كرْبُه من كل سيئة ، وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم وأحمد عن أبى هريرة : « لَتُؤدُّنَّ الحقوق إلىٰ أهلها حتى يُقْتَصَّ للشاة الجمَّاءِ من الشاة القَرْناء » والجمَّاءُ هى التى لا قَرْن لها ، وذٰلك أن الحقوق لا تضيع .

لماذا حملها الإنسان ؟

لقد كُلِّف الإنسانُ وَنِيطت به الأمانةُ تكريماً وتشريفاً لأنه مُنِح العقلَ والفهمَ والقدرةَ علىٰ التمييز والاختيار ، وأعانه اللهُ ـ عز وجل ـ بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب فيها بيانُ الحلال والحرام ، والخير والشر ، والنافع والضارِّ ، والحِكَم والأحكام ، وأنعم عليه بتسخير الكون ، والقدرة علىٰ العمل لترقية حياته ، والانتفاع ببركاتِ الأرضِ وطيباتها .

وإنَّ الأجرامَ الكونية الكبرىٰ لم تُوهَب ما وُهِبه الإنسانُ لذا لم تكن أهلًا للتكليف ، ولا مستعدةً لتحمُّل تبعاتِ الأمانة ، فهى لا اختيارَ لها ، ولا إرادةَ ، وهى تُسبِّح بحمْد ربِّها آناءَ الليل وأطرافَ النهارِ على نحوٍ لا نفهمُه نحن البشرَ ، ومُسخَّرةٌ لِمَا خُلقت له حتىٰ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها .

وفى هٰذا السياقِ يقول بعضُ المفسِّرين فى قوله تعالىٰ من سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾(٣).

قال : الأمانةُ حقوقٌ مرعيّة ، أَوْدَعها اللهُ المكلفين ، وائتمنهم عليها ، وأوجب عليهم تلقّيها بحُسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها ، والمحافظة عليها ، وبأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها ، وجاءت الآيةُ على طريق التمثيل ، والمعنى : أن تلك الأمانة لِعظم شأنها لو كُلِّفتْ هاتيك الأجرامُ العظامُ التى هى مَثَلٌ فى القوة والشدة شأنها لو كُلِّفتْ هاتيك الأجرامُ العظامُ التى هى مَثَلٌ فى القوة والشدة مُراعاتها ، وكانت ذاتَ شعورٍ وإدراكٍ ، لأَبَيْنَ أن يحملْنَها ، وخِفْنَ منها ، فصرف اللهُ سبحانه وتعالى الكلامَ عن سَنَنِه بتصوير المفروضِ بصورة المُحقَّق لزيادة تحقيق المعنى المقصود وتوضيحه .

ولاشكَّ أن فى الآية الكريمة قوةً تلفتُ العبادَ إلى التأمُّل والتدبُّر فى أمر الأمانة ووجوب النهوض بتبعاتها ، وأداءِ الحقوق على الوجه الذى يُرضى ربَّ العباد .

آراء المفسرين فى العرض :

وقال بعضُهم : العَرْضُ فى الآية ضَرْبُ مَثَلٍ ، أى : إن السموات والأرضَ والجبالَ على كِبَرِ أجرامها لو كانت بحيث يجوزُ تكليفُها لَثقُل عليها تقلُّدُ الشرائع لِما فيها من الثواب والعقاب ، أى إن التكليفَ أمرٌ حقُّه أن تعجزَ عنه السمواتُ والأرضُ والجبالُ ، وقد كلَّفه الإنسانُ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وفسَّر بعضُهم : عرَضْنا بمعنى قايَسْنا ، وقال : إن الآية من المجاز : أى إنا إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال ، رأينا أنها لا تُطيقها ، وأنها لو تكلَّمت لأبَتْ وأشفقتْ ، وهذا كما تقول : عرضْتُ الحمْلَ على البعير فأباه ، وأنت تقصدُ قايَسْتُ قوته بثقل الحمْل فرأيتُ أنها تقصُر عنه .

كما فسَّر بعضُهم العرضَ بمعنى المعارضة ، وقال : عرضْنا بمعنى عارضْنا الأمانةَ بالسموات والأرض والجبال فضعفت هذه الأشياءُ عن الأمانة ورجحت الأمانةُ بثقلها عليها .

إنَّ هذه الجمادات انقادت لأمر ربِّها بما يليق بها ولم تمتنع عن طاعته سبحانه الطاعة التى تصحُّ منها ، وإن الإنسانَ وهو الحيوانُ العاقلُ المفكرُ الصالحُ للتكليف لم يكن حالُه فيما يصحُّ

منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع .

واختار النحاسُ وغيرُه من أهل التفسير أن العرْض كان علىٰ الحقيقة وقد جاء توضيحُ ذٰلك فى قول ابن عباس الذى رواه علىٌّ بنُ أبى طلحة قال : الأمانةُ هى الفرائضُ عرضها اللهُ على السمٰوات والأرض والجبال إنْ أدَّوْها أثابهم ، وإنْ ضيَّعوها عذَّبهم ، فكرهُوا ذٰلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكنْ تعظيماً لدين الله عزَّ وجلَّ ألا يقوموا به .

ويكونُ عرضُ الأمانة علىٰ هذه الجمادات باعتبار أنّ لها حياةً حقيقيةً يعْلَم سِرَّها خالقُها ، وفى القرآن يُرشِدُ إلىٰ ذٰلك ، مثل قوله تعالىٰ :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[4].

وقوله سبحانه للسمٰوات والأرض :

﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[5].

ونحو ذٰلك ، أو أن ذٰلك ، أو أن اللهَ عزَّ وجل رَكَّبَ العقلَ والفهمَ فى هذه الجماداتِ عند عرْض الأمانة ، فهُنَّ بهٰذا العقل والإدراك سَمِعْن الخطاب ، وأنطقهُنَّ اللهُ بالجواب ، وكان الامتناعُ منهنَّ بسبب الخشية والخوف من ألا يؤدِّين حقوق الأمانة والتكليف ؛ ويقعْن فى العذاب ، ولم يكن من جهة معصية الله عزَّ وجل ومخالفته . فهٰذا العرضُ عرضُ تخيير لا إلزام أمَّا العرضُ علىٰ الإنسان فالزامٌ ، وهٰذا هو التفسيرُ الذى ذهب إليه جمهورُ علماء أهل السنة إذ يَرَوْن أنه مادام فى الإمكان الحَمْلُ علىٰ الحقيقة فلا يُلْجأُ إلىٰ التأويل .

إن الإنسانَ الظلومَ الجهولَ هو الكافرُ الجاحدُ حيث حَمَلَ الأمانة ثم لم يَفِ بها ، وضَيَّعها ثم أخلَّ بضمانه ونقض عهدَه مع الله عز وجل ، وفى هٰذا نذيرٌ للعصاة والمُصِرِّين وكلِّ ظالم لنفسه بالتعدِّى علىٰ حدود الله وخيانة الأمانات ، وهٰذا من الجهل بعاقبة أمره فمَن تاب وأخلص تاب اللهُ عليه برحمته وإحسانه ولنتدبر ختامَ سورة الأحزاب :

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(4) الإسراء : 44 (5) فصلت : 11

المؤمن ليس من أهل الأهواء والتفرقة

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان (*)

يقول الله جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ سورة آل عمران

كان الإسلام فى أيامه الأولى يشق طريقه بالقوة الذاتية التى فى طبيعة هذا الدين القيم يوم كان المؤمنون به يقولون بأفئدتهم وألسنتهم :

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ (الآية / ١٩٣ آل عمران)

وفى قولهم : « فآمنا » ما يدل على صفاء العقل ونقاء العاطفة وسلامة الفطرة التى فطر الله الناس عليها . ويومئذ كانت مادة الدعوة إلى الله عقيدة سليمة صحيحة صدقتها الأدلة ، وشهدت لها البينات وهى التوحيد ، وهى عقيدة المرسلين أجمعين والله يقول :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ سورة الأنبياء

ولم يكن ثمة علماء كلام يناقشونهم ولا فلاسفة يجادلونهم ويجرونهم إلى المتاهات والخلافات ، لأن كتابهم واحد وهو القرآن الذى علمهم جوهر دينهم ولُبّ إيمانهم ، فإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، وهو الذى أمرهم بطاعة الله ورسوله ، وقال لهم ربنا فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

(الآية / ٧ من سورة الحشر)

فكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قدوتهم يرشدهم ويوجههم ويؤدبهم بالقرآن فيحسن تأديبهم ، وكان القرآن ينزل به الروح الأمين مِنْ لدن رب العالمين فكان لهم شرعة ومنهاجاً ، وكان يقول لهم رب العزة :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

(الآية من سورة النور)

والسابقون الأولون أخلصوا دينهم لله ، فرفع الله بالإيمان قدرهم وأعلى باليقين شأنهم فبوأهم

(*) المدير العام للوعظ والدعوة الأسبق بالأزهر .

ربهم مكانا عليا ، فكانوا قدوة للمصلحين وأئمة للمتقين فى كل وقت وحين ؛ لأنهم جعلوا دينهم منهاج أعمالهم وأساس سلوكهم وزاد حياتهم ، فكانت البركة فى أعمارهم وأعمالهم هم ومن صلح من ذرياتهم ، ذلك لأن التقى ترى له قوة فى دين ، وحزما فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، ونشاطا فى هدى يُمْسِى وهَمّه الشكر ، ويصبح وهَمّه الذكر ، وبهذا تتأكد سلامة العقيدة وطهارة السلوك ؛ فلا ضعف ولا هوان ولا ذلة ولا استخذاء ولا ضلال ولا ريــاء ؛ ولا تردد ولا التواء ؛ لكنه الإيمان السليم والخلق القويم ، والله يقول :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة الأنعام

هكذا نشأ الإسلام عزيزا لا يقبل الذل كريما لا يتحمل الضيم وحملة كرام بررة فكانوا قدوة طيبة وصورة حية للإسلام تمشى على الأرض هونا فلا شح يطاع ولا هوى يتبع ، لأن الله قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾

(الآية / ٦٨ من سورة الأنعام)

ويقول عز وجل : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ سورة الشورى / ١٥

يقول جل شأنه :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

(الآية / ٤٩ من سورة المائدة)

ولا تتبع الهوى

ويقول الله لنبيه داود ـ على نبينا أفضل الصلاة والسلام :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة ص

تجنب الأشرار

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (رواه أبو داود والترمذى) . وعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير : فحامل المسك إما أن يُحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة) (رواه البخارى) .

بهذه التوجيهات النبوية ربّى رسول الله ﷺ رجالا وبنى أمة قال عنها ربنا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾

(سورة آل عمران / ١١٠)

ومن توجيهات القرآن الخالدة للمؤمنين المخلصين الذين يحبهم الله ويحبونه ، قول الله :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ آل عمران

هذا هو القرآن الذى صنع من سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتـــذة الأخلاق ، صنع رجالا وكونَّ أبطالا صدقوا ما عاهدوا عليه ، صدقوا مع ربهم ومع أنفسهم ومع الناس ، فكانوا خير دعاة لدين الله نشروا الإسلام بالقدوة كما انتشر بالدعوة ، فكان مقامهم كبيرا ، وأجرهم عظيما ، وثوابهم كثيرا :

﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾
(آل عمران / ١٩٥)

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال ، قال رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (أخرجه مسلم) .

والله - تعالى - يقول لرسوله ﷺ :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾
(الآية / ٥٠ سورة القصص)

إيمان واستقامة

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال ، قلت : يارسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك !!! قال : قل آمنت بالله ثم استقم . « أخرجه أحمد فى المسند وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان » .

فانظر كيف جمع له الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - الإسلام فى كلمتين اثنتين هما الإيمان بالله والاستقامة فى الحياة .

وهذا نموذج لأسلوب الدعوة فى العهد الأول للإسلام :

أرسل رسول الله ﷺ إلى الحبشة مَنْ هاجر إليها من الصحابة فتكلموا بالإسلام وبينوا دعوة محمد - عليه السلام - إلى الهدى والحق ، وقد وقف جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - يشرح للنجاشى حقيقة الإسلام ، كما روت أم سلمة وكانت هى وزوجها من المهاجرين - أن النجاشى دعا المهاجرين إلى الحبشة يسألهم عن الذى أخرجهم قومهم بسببه قائلا لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم به قومكم ؟؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب - رضوان الله تعالى عليه - فقال :

« أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله - تعالى - إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله - تعالى - لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على

ما جاء به من الله ـ تعالى ـ ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ـ تعالى ـ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

قال النجاشى : محيا عن هذا الكلام المبين بإيجاز لما جاءه رسول الله ﷺ : هل معك مما جاء به من عند الله ؟ قال جعفر ـ رضى الله عنه ـ نعم ، قال : فاقرأه علىّ ، فقرأ عليه من سورة « كهيعص » :

فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : « إن هذا والله والذى جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة » .

وهكذا لمّا وجد جعفر أذنا صاغية تطلب البيان قام بالتوضيح الكافى بهدوء إنسانى وتعبير منطقى وكياسة وحسن سياسة كانت ظاهرة فى اختياره سورة مريم ، لأنه يخاطب رجـلا مسيحيا ، فكان ذلك أدنى للاستجابة والقبول وأقرب طريق للدعوة ، وجعفر هذا رجل ممن صنعوا التاريخ ، لأن الأعراق الطاهرة إذا أصابها غيث الهدى جاءت بأطيب الثمرات وخير الجنى .

ولا ننسى أن الخلق الكريم والمعاملة الطيبة تجذب المستمع إلى القول الحسن وأن الود يقرب والعداء يفرق ، والله يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ ﴾ آل عمران

فحيث يوجد التهجم توجد المقاومة ، والمقاومة توجد التحيز والتعصب الأعمى الذى يضع حاجزا بين الرجل الجاف الفظ وبين من يريد هدايته ، فلا يفرض رأى بالقوة فى الإسلام ، ولكنه يعرف المسلمين بأنفسهم ، ويدعو غيرهم بالتى هى أحسن والله ـ جل جلاله ـ يقول :

قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(سورة المائدة ١٥ ـ ١٦)

يقول عز وجل :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

(سورة الشورى ٥٢ ـ ٥٣)

التأسي بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين

صلى الله عليه وسلم

بقلم :
فضيلة الشيخ
عبد المنصف
محمود عبدالفتاح

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

إن من نظر فى حياة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الـذى ملأ الله به الكـون : رحمة وعدلا ، والدنيا : هدى ونورا ، والقلوب : راحة وأمنا ، لوجد أنها مليئة بعظيم المفاخر ، وجليل المآثر ، وأنه يجب على الناس كافة : أن يتخذوا منها : نبراسا ومشكاة ، ليصلوا إلى سعادتهم وفلاحهم : فى معاشهم ومعادهم .. وما أحوجنا ، ـ وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية ـ أن نرجع إلى سيرة العظماء من الرجال ، نتعرف أخلاقهم ، التى كونت عظمتهم وشمائلهم ، التى يرجع إليها نجاحهم

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٢)

ورسولنا ﷺ جدير حقا ، بأن يتخذ مثلا أعلى فى كل ناحية من نواحيه ، فهو الأسوة الحسنة بشهادة الله ، وسيرته من أعظم السير ، ودراستها من أجل العظات ، وهى من ذلك كثيرة النواحى ، متشعبة المناحى ، وكذلك شأن الأبطال والعظماء : تتيه فى بطولتهم وعظمتهم ، العقول والأفكار أستغفر الله !! لم يشبه النبى الأكرم ، والرسول الأعظم : أحدٌ فى بطولته وعظمته ، بل إنه فاق كل بطل وكل عظيم .. وإننى لن أستطيع : أن أوفى النبى الكريم حقه : من إجلال وتعظيم وإكبار وتفخيم ، وهل يستطيع أحد فى هذا الوجود مهما أوتى من فصاحة

---

(١) الأحزاب : ٢١   (٢) الأنعام : ٩٠

وبيان ، أن يُوفى هذا المقام الشريف قدره ، أو يعبر عن هذه العظمة الرائعة : بكلمات وألفاظ ؟ وأنّى لضعيف البصر : أن يُمْعِنَ نظره ، فى ضوء الشمس الباهر ، وشعاعها اللّماع ؟ وأنى لقوة محدودة وكلمات معــدودة : أن تصف نفسا كبيرة ، لا يدرك مداهــا ، ولاتعــرف غايتها ومنتهاها ؟ ولكننا نريد : أن ننقب عن الشرف : لندرك طرفا منه ، ونعرض الكمال ، لتتحلى النفوس بحلية منه ، وننثر الدر النفيس بين أيدينا ، فيملأ العيون من جماله وسحره ، ونقلب الطيب ، لنظفر بنفحة من شذاه وعطره .

لقد كان رسول الله ﷺ : المثل الأعلى : الذى يجب أن يُقتدى به فى أقواله وأفعاله وأحواله ؛ لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل عن وحى وتنزيل : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٣)

قال ابن كثير : « أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى ﷺ فى صبره ومصابرته ومجاهدته ومرابطته » كيف لا .. وهو القدوة المثلى لأمته : فى حياته الخاصة والعامة وفى علاقته بربه ، وعلاقته بالناس .

وقد اختلف فى هذه الأسوة ، هل هى على الإيجاب ، أو على الاستحباب : على قولين : أحدهما : أنها على الإيجاب ، حتى يقوم دليل على الاستحباب .. الثانى : أنها على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب .. ويحتمل : أن تحمل على الإيجاب : فى أمور الدين وعلى الاستحباب : فى أمور الدنيا .

ولأنـه المرسل إلى النـاس كافــة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

والمعد من ربه ، لتحمل أعباء الرسالة العالمية والدين العالمى ، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥)

وليكـون القـدوة العمليـة والأسوة الحسنـة الواقعية .. فقد صاغ الله ـ تعالى ـ عظمته ، من هذه القدوة التى توجب الاقتداء ، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة ، فعظمة النبى ﷺ هى مجموع من القدوة التى خصه الله ـ تعالى ـ بها مع الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته ، الواثقين برسالته .

فكان مثل النبى ﷺ فى عظمته والاقتداء به ، مع أتباعه المقتفين أثره مثل الأسلاك الكهربائية : الحاملة للتيار الكهربى ، لكنها متباعدة ، ليس بينها اتصال واجتماع ، حتى وصلت أطرافها ، وجمعتها الدعوة المحمدية والقدوة العملية على مجمع واحد فى نقطة واحدة « بريز » ، ثم كان المصطفى ﷺ وعمله ودعوته : أشبه بالمفتاح « الكوبس » وحينما وضع يده على مجمعها وضغط على مفتاحها : اشتعلت الجزيرة العربية نورا ، شعَّ فى المشارق والمغارب ، إصلاحا وتعميرا ، وعدلا وسلاما .

تلك الموجة العمرانية الإصلاحية : التى كهربت قلب آسيا وإفريقيا وزلزلت عروش كسرى وقيصر : فى فترة وجيزة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ثم قلبت

(٣) النساء : ١١٣

(٤) سبأ : ٢٨

(٥) الفرقان : ١

الأمة الأمية : قلبة حقيقية ، حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة ، فى حكمة الفيلسوف : عقلا وفكرا، وفى شجاعة القائد ودربته ، وفى بسالة الجندى وتضحيته ، وعاد كل فرد منها : فى عزة الملوك وفى طهارة الملائكة ، حتى لو ظهر أحدهم فى حياتنا هذه ، لكفاها بلسما وشفاء .

وكان لمكارم أخلاقه ﷺ وعلو همته ، الأثر البالغ فى نجاح دعوته ونشر رسالته ، فقد استطاع بأخلاقه وحكمته وحزمه وكياسته : أن يؤسس فى زمن قصير ومدة وجيزة : دولة قوية وأمة فتية ، مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، واسعة السلطان ، نافذة الحكم ، موفورة الكرامة ، فتوافد الناس عليه وانقادت إليه قلوبهم واطمأنت له نفوسهم ، لما رأوا من لين جانبه ، وكرم أخلاقه ، قال – تعالى – :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦) .

وإن من مسرح طرفه : فى تاريخ النبى ﷺ الحافل بالمكرمات ، الزاخر بالمعالى ليجد أن خفض الجناح ورقة الحاشية والرحمة الفياضة : كانت من أبرز صفات الرسول ومن أطيب شمائله وكلها طيب وجميل ، ولقد اتسعت رحمته وامتدت رحاب نفسه وانبسط أفقها حتى وسعت الناس جميعا وتواضعت وهى النفس الشامخة العالية ، فخالطت الصبيان والأطفال : تداعبهم وتدخل السرور عليهم روى : أن الحسن بن على رضى الله عنه دخل على جده ﷺ ، فركب ظهره الشريف ، وهو ساجد بين يدى ربه فأبت رحمته : أن يشغل الصبى عن لعبته ، أو يحول بينه وبين لهوه ، فأطال السجود حتى قضى الصبى أمره ، ونزل عن ظهره غير معجل ، فسأله بعض أصحابه : نراك قد أطلت سجودك يارسول الله فقال : إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله .

وليس فى سجل المودة الإنسانية ، ولا فى تاريخ البر والوفاء أجمل ولا أكرم من حنان النبى ﷺ على مرضعته السيدة حليمة السعدية ، ومن حفاوته بها عندما قدمت عليه وقد جاوز الأربعين من عمره ، أنه تلقاها هاشا باشا ، هاتفا بها : أمى .. أمى .. وبسط لها رداءه ، وأجزل لها عطاءه وبذل لها كرمه ووفاءه .. فأية عاطفة : تتفجر حنانا : مثل هذه العاطفة ؟ وأى قلب يفيض بالخير مثل هذا القلب النبوى الطاهر؟، وأية نفس : تفيض رحمة : مثل هذه النفس الكبيرة : التى لم تقتصر رحمتها : على معاملة البشر ، بل نراها تنفسح وتمتد حتى تبسط روافها على الحيوانات العجماوات فتغمرها ، وتفيض عليها .. ألم يكن رسول الله ﷺ يُميل الإناء للهرة لتشرب ويفتح لها بابه حين تطلب عنده مأوى ويبسط كفه للشاة لتأكل مافيها من الحب والنوى ، فلا يقبضها حتى تفرغ الشاة من أكلها .

كان رسول الله ﷺ يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويحسن إلى جاره ويأخذ بناصر الضعيف ويغيث الملهوف ويقرى الضيف ويكرم اليتيم ويرحم الفقير والمسكين ويجود حيث يبخل الناس ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر .. كان دائم البشر ، حسن الخلق ، ليس بعياب ولا مداح ، يجيب دعوة من دعاه ولو كان فقيرا ،

(٦) التوبة : ١٢٨ .

ويقبل الهدية ويكافىء عليها ، ويطعم منها من حضر ، ويدخر نصيب من غاب ، كان يعود المريض ماشيا ، ولو كان فى أقصى المدينة ، كان يؤثر الزائر بالوسادة التى تحته ، وربما بسط له ثوبه ، كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ويأكل سؤرهم ويشرب آخرهم ويقول : ساقى القوم آخرهم شربا .. هذا جانب من أخلاق رسول الله : تلك الأخلاق الطيبة المنتقاة التى صنعها الله بيده ومنحها لنبيه وأثنى عليه من أجلها وسجلها بأحرف من نور فى كتابه المبين بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٧)

هذه الأخلاق الكريمة : التى تبعث من مشكاتها وامتدت فى طول الدنيا وعرضها وأيقنت العقول بسموها وخلودها ، فأصبحت حياة للأمم ، ومنارا للخلق ، وقبلة تتجه إليها الأنظار .

وإن من بدهيات الحكمة : أن يجعل الله – تعالى – نبيه وحبيبه محمدا ﷺ فى هذه المرتبة العليا : من العظمة الأخلاقية ؛ لأن مكارم الأخلاق الإنسانية : هى الثمرة للإيمان بالله والايمان بالبعث واليوم الآخر وهذا ما يفسره قول النبى ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – : عن شمائله ﷺ وهى أكثر الناس مخالطة له ، وأقربهم إلى نفسه وروحه ، وأعرفهم بمقامه وخلقه وإذا بها تصورها فى كلمة بليغة تصويرا بارعا دقيقا ، قال سعد بن هشام : دخلت على عائشة – رضى الله عنها – فسألتها : عن أخلاق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلقه القرآن » يعنى أنه كان قرآنا يتحرك .

لقد عرف نبينا ﷺ بالربانية المؤمنة فكان عابدا : يقف بين يدى مولاه للصلاة حتى تتورم قدماه ، وقد سئل لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ، ولم تكن عبادته عبادة الرهبان ، وإنما عبادة المؤمن القوى المراقب لحركاته وسكناته الباعث عيونه فى كل مكان ، لاستكناه أمره .

كان اجتماعيا : شارك الناس فى سرائهم وضرائهم وأحبهم ، وسهر عليهم : إخوة وأتباعا ، أزواجا وأولادا ، عبيدا وخدما فى إيثار ووفاء .

وعرف بالتواضع : فكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، كان يجلس حيث ينتهى به المجلس ويأكل مع خادمه ويزوره ويتلطف معه فى القول .

واتسم بالبساطة واليسر فى لقاء الأمور وتوجيهها ، إذا خُيِّر بين أمرين : اختار أيسرهما مالم يكن إثما .

كان يمزح ويتفكه ، ولا يقول إلا حقا ؛ أتت النبى ﷺ عجوزٌ ، فقال لها : لن تدخل الجنة عجوز ، فبكت ، فقال : إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله – تعالى –

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾(٨)

كان مثالا للنظافة والتزين والتجمل لا يُرى إلا فى أكمل مظهر ، ولما سئل عن ذلك قال : « إن الله يحب من أحدكم ، إذا خرج لإخوانه : أن يتجمل لهم » .

وعرف بالزعامة : فكان مصلحا جمع إلى ضبط النفس : قوة التأثير وكان فعالا : أكثر منه قوالا .

---

(٧) القلم : ٤ .

(٨) الواقعة : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

واتسم بالسياسة فكان مثلا للكياسة دون تكبر أو طغيان فعقد المعاهدات وبعث البعوث والسرايا وعرف عنه الكتمان والتورية والحيطة فى الحرب ، كان إذا أراد جهة : ورّى بأخرى .

كان رسول الله ﷺ أشجع الناس : تتسم مواقفه كلها بالشجاعة الفذة ، والبطولة النادرة ، وكان دائما فى المقدمة ، عن على - رضى الله عنه - قال : « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » .

وقد تجلت : شجاعته ﷺ فى أوضح صورها : فى حروبه وغزواته فكانت بحق مضرب الأمثال وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية فى معهد أو كلية وإنما علمه ربه .. لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام : مالا يعلمه غيره : بالدرس والمران ، فكان يختار الموقع : الذى يمكنه من النصر : كما عمل بمشورة الحباب بن المنذر فى غزوة بدر الكبرى ، حيث انتقل بجيشه إلى الموقع الاستراتيجى الذى يمكنه من هزيمة أعدائه ، ويتفنن فى وسائل الدفاع كما عمل بمشورة سلمان الفارسى وحفر خندقا حول القطاع المكشوف من المدينة ، وكان يبعث من يتجسس على الأعداء ليعرف قوتهم ويبعث السرية بالأوامر المغلقة المختومة .

لقد كان رسول الله ﷺ رئيس الدولة الإسلامية ، كما كان القائد الأعلى للجيش الإسلامى .. وهو بالرئاسة للدولة : كان يكره الحرب ويجنح للسلم ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية ، كما حدث فى صلح الحديبية ، حقنا للدماء ، وتفرغا لنشر الدعوة الإسلامية ، وتركيز قواعدها وحتى لايكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته ، وتنفير الناس منها .. فإذا ما استنفد وسائله السياسية ، لجأ إلى الوسائل العسكرية ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب ، وأن يسلك ذلك الطريق الشائك : طريق الجهاد والقتال ، فسلك هذا الطريق مكرها وإن كان الخير فيه ، قال الله - تعالى - :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩)

كان رسول الله ﷺ : فى معاركه كلها : يمتاز بصفة القيادة العليا فضلا عما كان يمارجها من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، تلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة وخاصة أسرى بدر ، فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى .

كان رسول الله ﷺ بقيادته العليا للجيش : يرسم الخطط دون أن يستبد فيها برأيه ، بل كان يناقش أصحابه ويشاورهم ، ويبرم الأمور بعد اقتناعهم ؛ ليعلم كل مقاتل : أنه يقاتل عن اقتناع ويدافع عن إيمان ، كما كان يقوم بشئون التعبئة وتدبير موارد الجيش وتموينه وبث الروح المعنوية : فى صفوف جنده واختيار الأوقات المناسبة والمواقع

(٩) البقرة : ٢١٦ .

الملائمة كما كان يعلم المقاتلين : آداب الحرب وأنها قتال المقاتلين ، دون المدنيين ودون إسراف أو تمثيل فلا يُقتل شيخ ولا طفل ولا امرأة ولا عابد فى صومعة ولا تُقطع شجرة إلا لمصلحة .. وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم : ألا ينتهكوا الأعراض ولا ينتهبوا الأموال ، ولا يستبيحوا حرمات المعابد والمقدسات .

إن نبينا ﷺ لم يترك ناحية من نواحى الإصلاح إلا أوضحها فى صورة توقظ الضمير وتنير البصيرة الإنسانية وتحفز إلى صالح الأعمال ، وتبعث فى النفوس : اليقين والأمل ، وتنشر فى المجتمع عوامل المحبة والإخاء ، وإننا لا نكاد نتجه إلى هدف من أهداف الخير : إلا وجدنا الرسول الكريم ، قد أمرنا فيه بالتوجيه الحكيم ، والإرشاد القويم كل ذلك فى أسلوب عملى واقعى : ينفذ إلى القلوب فيشيع الرضا والاطمئنان ويكفل للناس : حياة راضية آمنة .

وبعد : فلعل فى هذه الذكرى العطرة نفعا عظيما للمسلمين ، ولعلهم يقتدون بصاحبها ﷺ ويتخذون من سيرته الحكيمة : المثل العليا والطرق المثلى والمناهج الواضحة ، وعساهم يترسمون خطاه ويأتسون به ويسيرون على هديه فى سلمه وحربه .. ويتأدبون بآدابه فيفوزوا باتباعه ، ويفلحوا بفلاحه وينتصروا ويسعدوا بنصره وإسعاده

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

سورة آل عمران

إلى السادة الكتاب

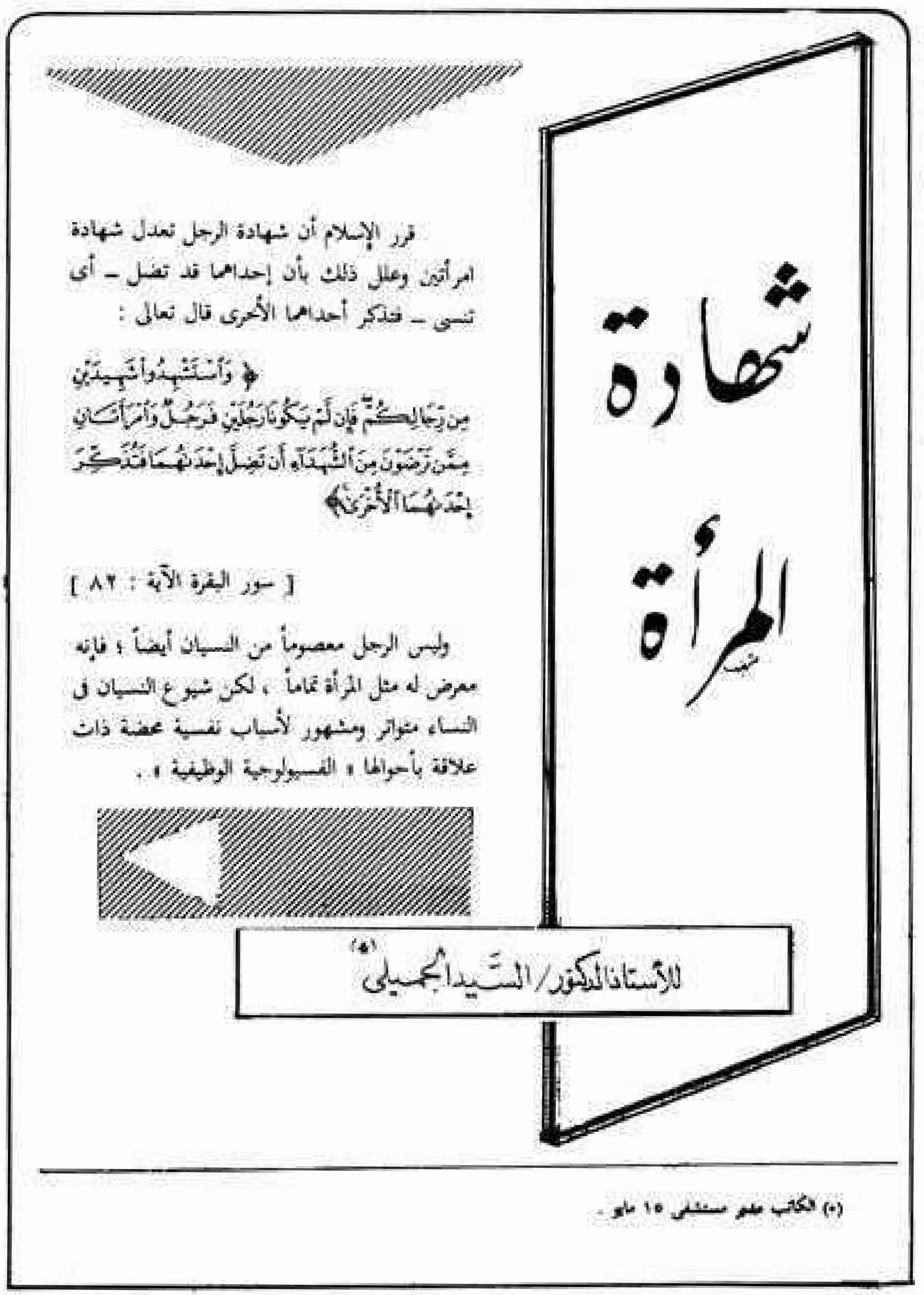
على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ - اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

٢ - ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ - يُدوِّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .
وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .
هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الخالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير



شهادة المرأة

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلي (*)

قرر الإسلام أن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وعلل ذلك بأن إحداهما قد تضل - أى تنسى - فتذكر أحداهما الأخرى قال تعالى :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

[سور البقرة الآية : ٨٢]

وليس الرجل معصوماً من النسيان أيضاً ، فإنه معرض له مثل المرأة تماماً ، لكن شيوع النسيان فى النساء متواتر ومشهور لأسباب نفسية محضة ذات علاقة بأحوالها « الفسيولوجية الوظيفية » .

(*) الكاتب عضو مستشفى ١٥ مايو .

ثم إن مرض « الهستريا » كثير الحدوث فيهن أيضاً ، وهذا الاسم مشتق من « الرحم » ؛ فإن الهستريا Hysteria مشتقة من الهستريوم - Hysterium أو الهسترا Hystera وهو الرحم ، وهذا دليل قوى ومؤشر ثابت على أن هذه الحالة « السيكوباثية »[1] لصيقة بأكبادهن ، وهذه الهستريا من أشد لوازمها النسيان وقد تظهر الشخصية الهسترية طبيعية تماما ، وتبدو سطحية الإدراك ، ومحبة للظهور ، وسرعة الانفعال والاندفاع ، وكذلك أيضا سريعة التحول من حال إلى حال ، ولا يستبعد أيضاً أن تتحول من الشيء إلى نقيضه فى سرعة خاطفة ، ومن السهل على الشخصية الهستيرية أن تنفصل عن الواقع تماماً ثم تصيبها الازدواجية ؛ لذلك فإن بعضهن يخشى عليهن - أى المريضات بالهستريا - من الوقوع فى دائرة الفصام Depersonalization وهى دائرة حرجة للغاية وشديدة الخطورة فى نفس الوقت **Extremely urgent and dangerous**

إن خطورة الهستريا والفصام تتركز فى تعرض الإنسان إلى حيز التحلل من الواقع ، والوقوع فى دائرة الظن والهواجس ومزايلة الحقيقة ومجافاة الواقع ، والظهور فى شخصية متحولة أخرى غير المعهودة منه وكان القدماء يرون أن سمات هذه الهستريا لصيقة بالنساء لاتزايلهن ؛ لذلك كانوا يرون أن الهستريا هى مرض النساء ... لكن الواقع الطبى الملموس يؤكد إصابة الرجل أيضا ولكن فى أضيق الحدود .

كما أن الشرود الهستيرى *Hysterical Fuge* هو أيضاً من العوامل التى تؤثر فى الذاكرة على المستوى اللاشعورى غير المحكوم ، ومهما تعددت التسويغات والتبريرات والدفوع ، فإن غير المدفوع ، والمقرر الثابت غير الممترى فيه أن هذه العوارض تكفى وزيادة للقدح فى الشهادة المنفردة بل ودحضها ، وعدم التعويل عليها لا سيما فى القضايا الجنائية ، والتى يكون مبنى ومدار الإدانة فيها على القطع والجزم والتعيين .

ولو كانت أقوال أى من الشهود موضعاً للاعتبار على عواهنها من غير تمحيص ولا تمحيص ؛ لأهدرت كثير من الدماء ، ولضاع كثير من الحقوق على أربابها وقد قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

وقال تعالى : ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ ؛

فإنه - جل شأنه - جعل مناط القبول للشهادة موقوفاً ومصروفاً إلى رضى نفس القاضى واطمئنان وجدانه ومدى ارتياحه واطمئنانه المطلق غير المقيد بشيء ، كما أنه ليس مطلوبا من القاضى تسبيب عدوله عن شهادة الشهود ، وكان « شريح » القاضى يستمع شكاية امرأة بكت وأبكت من حولها ، وبعد انتهائها من شكايتها قضى عليها ، فلما سئل عن ذلك قال : إن البكاء لا يكسب حقا . لقوله تعالى فى إخوة يوسف :

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ .

مع ارتكابهم ما ارتكبوا ، والله سبحانه الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) الشخصية نفسه Psychopathic personality .

المرأة والشهادة في الفقه الإسلامي

أ.د/ عبد السميع عبد الوهاب أبو الخير (*)

تقديم :

من البديهي أن الحديث عن أهلية المرأة للشهادة في الفقه الإسلامي يفترض ابتداء كون المرأة مستجمعة للشروط التي لابد من توافرها في الشاهد بصورة عامة ، وهي تلك التي تتمثل في ضرورة كون الشاهد مسلماً ، بالغاً ، عاقلا ، حراً ، رشيداً ، غير محجور عليه لسفه أو نقص في عقله ، وكونه عدلا ضابطاً للمشهور ، عالماً به علم يقين ، لا مجرد ظن وتخمين ، فضلا عن وجوب تعدد الشهود - إلا في مواضع على سبيل الاستثناء - واتفاقهم في مضمون الشهادة والإدلاء بها في مجلس القضاء ، وذلك بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى التي كانت موضع خلاف بين الفقهاء ، كما هي الحال فيما يراه الفقه الحنفي من ضرورة كون الشاهد بصيرا ، وكونه ناطقاً ، خلافاً لما يراه جانب آخر من الفقه .

بيد أن ما اشترطه جمهور الفقهاء من ضرورة كون الشاهد ذكراً في بعض الحالات كان محلا للتشكيك فيه ؛ بل والتهجم عليه من البعض بدعوى أن المشرع الإسلامي قد انتقص بذلك من أهلية المرأة ، وأنه قد أنزلها منزلة أدنى من الرجل إلى آخر ما يقول به البعض افتراء على المشرع الإسلامي . ومن منطلق الرغبة في إبراز الحقائق الفقهية في وضوح يستهدف إجلاء ما غم على البعض استيعابه من أحكام الشرع الشريف ، وتفنيداً لمزاعم سوّل الهوى لبعض آخر ترويجها

(*) أستاذ القانون المدني - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر .

تنشر مجلة الأزهر الشريف هذا المقال حول أهلية المرأة للشهادة ومداها في الفقه الإسلامي رغبة في الهداية إلى الخير، ودفعاً لشبهات نشأت عن سوء إدراك لمقاصد الإسلام. ولاشك أن إبراز موقف الفقه الإسلامي من هذا الموضوع يتحدد على ضوء المجال الذى ينتمي إليه الحق المتنازع فيه، وذلك هو ما يقتضي تحديد مدى أهلية المرأة للشهادة في كل مجال من المجالات الآتية:

١ ـ في مجال الأمور الخاصة بالنساء والتي لا يطلع عليها الرجال في الغالب كالولادة والبكارة مثلا.

٢ ـ في مجال الأمور المتعلقة بالأسرة كالنكاح والطلاق والرجعة والعدة .. الخ.

٣ ـ في مجال الحالات المتعلقة بالأمور المالية وما يؤول إليها كالبيع والإجارة والرهن ... الخ.

٤ ـ في مجال الأمور المتعلقة بالحدود والقصاص.

وفيما يلي عرض موجز لموقف الفقه الإسلامي إزاء مدى أهلية المرأة للشهادة في تلك المجالات:

أولا: أهلية المرأة للشهادة في مجال الأمور الخاصة بالنساء:

(أ) موقف الفقه الإسلامي من مدى أهلية المرأة للشهادة في هذا المجال. يجمع الفقه الإسلامي على قبول شهادة النساء في الأمور الخاصة بهن ولو كن منفردات[1].

ويتأسس إجماع الفقه الإسلامي على ذلك فيما روى أن الرسول ﷺ قال: «شهادة النساء جائزة فيما لا يستطيع الرجال النظر إليه»[2]، وذلك فضلا عن ضرورة قبول شهادتهن في هذا المجال صوناً للحقوق من التجاحد لعدم اطلاع الرجال على تلك الأمور في الغالب.

ومن المسلم به ـ فقهاً ـ أن قبول شهادة النساء منفردات في هذا المجال لا يحول دون قبول شهادة الرجال فيه، إذ أن عدم حضور الرجال في الحالات المتعلقة بهذا المجال ـ وإن خرج مخرج الغالب ـ إلا أن ذلك لا يمنع من مباشرة الرجال للأعمال الخاصة بتلك الأمور كما هي الحال في ممارسة الأطباء لأعمال التوليد والجراحات مثلا، وسواء كانوا منفردين أو كانوا مع غيرهم من النساء[3].

---

(١) انظر في ذلك الاجماع. المبسوط للإمام السرخسي جـ١٦ ص١٤٢ ـ حاشية ابن عابدين جـ٥ ص٤٦٤ ـ الشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه جـ٤ ص١٨٨ ـ شرح الخرشي جـ٧ ص٢٠٢ ـ المهذب للإمام الشيرازي جـ٢ ص٣٣٥ الأم للإمام الشافعي جـ٧ ص٤٣ ـ المغني لابن قدامة جـ١٠ ص٢٢٤ ـ المحلى لابن حزم جـ٩ ص٣٩٦ المسألة ١١٨٦ ـ البحر الزخار جـ٤ ص٣٧٧ ـ جواهر الكلام جـ٩ ص٤٣٨ ـ شرح النيل وشفاء العليل جـ٦ ص٥٩٠.

(٢) نصب الراية جـ٣ ص٢٦٤.

(٣) المبسوطة جـ٦ ص١٤٣ ـ المهذب جـ٢ ص٣٣٥ ـ تبصرة الحكام جـ١ ص٢٩٣.

(ب) العدد اللازم لقبول شهادة النساء منفردات فى هذا المجال .

على الرغم من إجماع الفقه الإسلامى على قبول شهادة النساء منفردات فى هذا الصدد من حيث المبدأ إلا أن الفقهاء ـ رضى الله عنهم ـ قد اختلفوا حول العدد اللازم لإثبات الحق المدعى به فى مثل تلك الأحوال . وقد برز فى هذا الصدد الاتجاهات الفقهية التالية :

الاتجاه الأول : يرى كفاية شهادة الواحدة من النساء شريطة موافقة مضمون الشهادة لأصل ثابت أو تأيدها بمؤيد آخر . وذلك هو ما ذهب إليه الحنفية[5] والزيدية[6] والمشهور عند الحنابلة[7] وأحد القولين عند الإباضية[8] .

وقد تأسس ما يراه هذا الاتجاه على ما روى أن رسول الله ﷺ قد أجاز قبول شهادة القابلة ، وهى تلك التى تباشر أعمال التوليد ، ويقاس على ذلك سائر ما لا يطلع عليه الرجال غالباً لانعدام الفرق بين الولادة وما كان على شاكلتها من الأمور التى لا يطلع عليها الرجال فى الغالب .

الاتجاه الثانى : يرى أن نصاب الشهادة المقبولة فى تلك الأحوال لا يجوز أن يقل عن اثنتين اللهم إلا فى حالتين وردتا على سبيل الحصر ، وهما : حالة استهلال المولود للحياة ، وحالة الرضاع ؛ إذ يكتفى فى تلك الحالتين شهادة امرأة واحدة على سبيل الاستثناء . وذلك هو ما يراه إجماع الفقه المالكى[9] والقول الثانى فى الفقه الحنبلى[10] والفقه الأباضى[11] .

وقد استند هذا الاتجاه إلى دليل قياسى مفاده : أنه إذا كان المشرع يستلزم صدور الشهادة عن اثنين من الرجال لاثبات الحق المدعى به فأولى هنا أن يستلزم المشرع صدور تلك الشهادة عن اثنتين من النساء على الأقل ، وذلك فضلاً عن أنه إذا كان اعتبار الذكورة فى الشهادة قد أسقطه المشرع فى تلك الأحوال لضرورة تقتضيه ؛ فإن اعتبار العدد يبقى قائماً[12] .

الاتجاه الثالث : يرى أن نصاب الشهادة المقبولة من النساء فى تلك الأحوال ، لا يجوز أن يقل عن أربع نسوة ، اللهم إلا فى حالة الرضاع حيث يكتفى فيها بشهادة واحدة منهن على سبيل الاستثناء ، وذلك هو ما ذهب إليه الشافعية[13] والظاهرية[14] والإمامية[15] . وقد استند هذا الاتجاه إلى أن المشرع قد جعل شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد ، ولما كان الأصل فى

---

(٥) حاشية ابن عابدين جـ٦ ص٤٦٥ ـ البحر الرائق جـ٧ ص٦١ .

(٦) البحر الزخار جـ٤ ص٣٧٧ .

(٧) المغنى جـ١٠ ص٢٢٥ ـ كشاف القناع جـ٤ ص٢٧١ .

(٨) شرح النيل وشفاء العليل جـ٦ ص٥٩٠ .

(٩) شرح الخرشى جـ٧ ص٢٠٢ ـ الفروق جـ٤ ص٩٦ .

(١٠) المغنى فى المرجع والموضع السابق .

(١١) شرح النيل فى المرجع والموضع السابق .

(١٢) الفروق فى المرجع والموضع السابق ـ التاج والإكليل جـ٦ ص١٨٢ .

(١٣) المهذب جـ٢ ص٣٣٥ ـ شرح المنهاج جـ٤ ص٣٢٥ .

(١٤) المحلى جـ٩ ص٣٩٩ ، ٤٠٣ .

(١٥) جواهر الكلام جـ٤ ص٤٤٠ .

نصاب الشهادة يقتضي صدورها من رجلين على الأقل ، فإن النصاب المطلوب في هذا المجال لا يجوز أن يقل عن أربع منهن .

تقدير هذه الاتجاهات :

على الرغم من أن أسانيد تلك الاتجاهات تنبيء عن عمق التأصيل الفقهي لكل وجهة منها إلا أنه يبدو لي ترجيح ما يراه أنصار الاتجاه الثاني وهو القائل بكفاية صدور الشهادة عن اثنين في هذا المجال . وذلك تأسيساً على المرجحات التالية :

١ ـ إن جمهور الفقهاء يرى بحق أن العدد يمثل شرطاً أساسياً لقبول الشهادة من الرجال سواء كانوا منفردين ، أو كانوا مع غيرهم من النساء[١٦] ، فمن باب أولى اشتراط العدد في شهادة النساء وحدهن .

٢ ـ إنه على فرض صحة ما رآه البعض من جواز الاكتفاء بشهادة الواحدة[١٧] ، إلا أنهم اشترطوا لذلك تأييد تلك الشهادة بمؤيد آخر ، أو اتفاقها مع الأصل ، وذلك هو ما يبرز ضرورة توافر العدد في شهادة النساء في هذا المجال .

٣ ـ إن الحالات المشهود عليها في هذا الصدد غالباً ما تتم في حضرة جمع من النساء ، وتحت أسماعهن وأبصارهن ، وليس بمستبعد أن يعترى بعضهن ما يعترى سائر النساء غالباً من نسيان وهو ما حدا بالمشرع إلى اشتراط تعددهن في مجال الأموال ـ كما سنرى ـ

٤ ـ إن القول بضرورة صدور الشهادة عن أربع نسوة كشرط لقبول الشهادة في هذا المجال قد يستتبع حرجاً ومشقة وذلك هو ما يتعارض مع حرص الشارع على تيسير إثبات الحقوق وما يترتب على ذلك من أحكام .

ثانياً : مدى أهلية المرأة للشهادة في الأمور المتصلة بشئون الأسرة :

ويمجمل القول في ذلك : إن الفقه الإسلامي قد انقسم إلى اتجاهين إزاء مدى قبول شهادة المرأة في هذا الصدد .

الاتجاه الأول : يرى أنه من الضروري صدور الشهادة في هذا المجال عن رجلين ، وذلك هو ما ذهب إليه المالكية[١٨] والشافعية[١٩] والحنابلة[٢٠] والإمامية[٢١] .

وقد استدل أنصار هذا الاتجاه بما يلي :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾[٢٢] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة : ان لفظ (اثنان) قد وصف بقوله « ذوا عدل » وهذا

---

(١٦) بدائع الصنائع جـ٦ ص٢٧٧ ـ تبيين الحقائق جـ٤ ص٢١٢ ـ شرح الخرشي جـ٧ ص١٧٥ ـ شرح المنهاج جـ٤ ص٣٢٤ ـ تحفة المحتاج جـ١٠ ص٢٤٥ ـ المغني جـ٩ ص٢٧٠ ـ كشاف القناع جـ٤ ص٢٦٩ ـ المحلى جـ٩ ص٣٩٦ ، ٤٠٢ البحر الزخار جـ٤ ص١٠٨ ـ الروضة البهية جـ١ ص٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(١٧) اعلام الموقعين جـ١ ص١٠١ ـ الطرق الحكمية ص٦٧ ، ٧٥ ، ٨٥ .

(١٨) مواهب الجليل جـ١ ص١٨١ ـ الشرح الكبير على هامش حاشية الدسوقي جـ ص١٨٧ .

(١٩) الأم جـ٧ ص٧٦ ـ تحفة المحتاج جـ١٠ ص٢٤٨ .

(٢٠) المغني جـ٩ ص١٤٩ .

(٢١) جواهر الكلام جـ٦ ص١٤٩ .

(٢٢) جزء من الآية رقم ١٠٦ من سورة المائدة .

الوصف إنما يكون لمذكر . فدل ذلك على ضرورة صدور الشهادة من رجلين في الأمور المتعلقة بشئون الأسرة حسب أن الوصية هي موضوع الآية الكريمة .

٢ ـ ما روى أن الرسول ﷺ قال بصدد عقد الزواج : « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » .

ولاشك أن كلمة « شاهدى » للمذكر . فدل ذلك على ضرورة صدور الشهادة من رجلين في هذا المجال .

الاتجاه الثانى : يرى جواز قبول شهادة رجل مع امرأتين في هذا الصدد ، وذلك هو ما ذهب إليه الحنفية[٢٣] والزيدية[٢٤] والظاهرية[٢٥] .

وقد استدل أنصار هذا الاتجاه بما يلى :

١ ـ عموم قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[٢٦] .

٢ ـ قياس الأحكام المتعلقة بشئون الأسرة على الأحكام المتعلقة بالأموال بجامع عدم سقوطهما بالشبهة ، وهو ما يستتبع القول بجواز قبول شهادة رجل مع امرأتين في الأمور المتعلقة بشئون الأسرة .

ويبدو لى رجحان ما ذهب إليه هذا الاتجاه الأخير نظراً لكثرة وقوع المسائل المتعلقة بشئون الأسرة بحضرة النساء فضلا عن أنه لا فرق بين الأمور المتعلقة بهذا المجال والأمور المتعلقة بالشئون المالية كما هى وجهة الفقه الحنفى ومن نهج نهجه من أنصار هذا الاتجاه الأخير .

ثالثاً : مدى أهلية المرأة للشهادة في مجال المعاملات المالية وما يؤول إليها .

على الرغم من أن المشرع الإسلامى قد قضى بقبول شهادة النساء في هذا المجال إلا أنه قضى كذلك بضرورة صدور تلك الشهادة عن رجلين أو رجل وامرأتين وهو ما كان محلا للإجماع الفقهى عليه[٢٧] وإن كان الإمام ابن حزم يرى مع ذلك قبول الشهادة الصادرة عن أربع نسوة في هذا المجال بحسب أن الشهادة الصادرة عن اثنين منهن تقوم مقام الشهادة الصادرة عن رجل واحد[٢٨] .

ولقد حلا للبعض أن يتخذ من ذلك ذريعة للتهجم على الشارع الإسلامى بزعم أن الإسلام قد انتقص بذلك من حقوق المرأة وأنه أنزلها منزلة أدنى من منزلة الرجل إلى آخر ما زعمه المتهجمون على الشارع الحكيم .

ونود في هذا الصدد الإشارة إلى الحقائق التالية :

١ ـ اننا ـ دينا ـ نحسن الظن بكل مسلم ، ونفترض فيمن تقوّل على الشارع بذلك أنه طالب للحقيقة التى غم عليه البصر بها ، وأنه قال ما تقوّل به لشبهة تستأهل ضرورة إزالتها .

٢ ـ إن ما نص عليه المشرع بخصوص شهادة

---

(٢٣) تبيين الحقائق جـ٤ ص٢٠٩ .

(٢٤) التاج المذهب جـ٤ ص٦٧ .

(٢٥) المحلى جـ٩ ص٣٩٧ .

(٢٦) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢٧) المبسوط جـ١٦ ص١١٥ ـ الشرح الكبير للدردير جـ٤ ص١٨٧ ، حاشية الشرقاوى جـ٢ ص٥٠٢ ـ المغنى جـ٩ ص١٤٥ .

(٢٨) المحلى جـ٩ ص٣٩٩ وما بعدها .

المرأة فى هذا الصدد إنما هو ثابت بمقتضى قول الله ـ تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾(٢٩) .

ومن ثم فإن هذا الحكم يكون ثابتاً بدليل قطعى فى ثبوته وفى دلالته مما يستتبع القول بأن مثل هذا الحكم غير قابل للاجتهاد فيه لكونه أصبح من قبيل ما هو معلوم من الدين بالضرورة أى أنه حكم متعلق بالنظام العام الإسلامى .

٣ ـ إن المرجع فى تقرير هذا الحكم لا يعود إلى نقص فى إنسانية المرأة أو نقص فى كرامتها ، إذ أن الإسلام قد اعتبر إنسانية المرأة مساوية لإنسانية الرجل سواء بسواء ، بيد أن طبيعة المرأة ووظيفتها قد اقتضت تقرير هذا الحكم ، إذ من الحقائق المعلومة بالضرورة أن المرأة بحسب فطرتها ووظيفتها لا تشتغل ـ غالباً ـ بالأمور المالية وإنما يشغلها ـ بحسب الأصل ـ شئون بيتها إن كانت زوجة وشئون الأولاد إن كانت أماً .. إلخ ونظراً لذلك فإن ذاكرتها ـ بحسب الغالب ـ تكون أضعف فى شئون المعاملات المالية لقلة خبرتها ـ غالباً ـ فى هذا المجال .

ولا يغض من ذلك الأصل كون بعض النساء على درجة من الضبط أكثر من ضبط الرجال إذ من المعلوم أن الأحكام توضع للغالب وهو ما يعبر عنه قانوناً بالمعيار الموضوعى .

٤ ـ إن المرأة بحسب ما يعتريها من دورة شهرية تكون أشبه بالمريضة وذلك هو ما يؤدى إلى انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها مما يستتبع عدم تركيزها وشعورها بالارتباك مما قد يؤدى إلى نسيانها للوقائع المشهود عليها ، ومن المسلم به أنه لا فرق فى هذا الصدد بين المتعلمة وغير المتعلمة فتلك هى فطرة النساء كافة ، وما من شك فى أن وجود امرأتين على الأقل يساعد فى التعاون على الإدلاء بالحقيقة التى هى غاية المشرع من أدلة الإثبات كافة .

وذلك هو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله ـ جل وعلا : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ إذ من المسلم به أن المقصود بالضلال هنا النسيان والغفلة عن حقائق الأمر المشهود عليه .

٥ ـ إنه لا يسوغ القول بأنه كان من الممكن الاكتفاء بشهادة رجل وامرأة واحدة ، ويقوم الرجل بتذكير المرأة إذا نسيت ، إذ أن ذلك سوف يفضى فى النهاية إلى الحكم بشاهد واحد بحسب أن تذكير الرجل للمرأة يجعل الشهادة منسوبة إليه ومن ثم جعل الله تعالى أمر التذكير منوط بامرأة أخرى لتكون شهادتهما كشهادة رجل واحد .

رابعاً : مدى أهلية المرأة للشهادة فى مجال الحدود والقصاص :

يذهب جمهور الفقه الإسلامى إلى القول بأن شهادة المرأة غير مقبولة فى مجال الحدود والقصاص ، مستدلين على ذلك بطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة التى حصرت ـ من وجهة نظرهم ـ قبول شهادة المرأة فى المجال الأول

---

(٢٩) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

والثالث وإن كان بعضهم يرى قبولها فى المجال الثانى على نحو ما سبق عرضه ، وقد رتب جمهور الفقهاء على ذلك ما ذهبوا إليه من عدم قبول شهادة المرأة فى مجال الحدود والقصاص .

وثمة أمر آخر كان موضع نظر جمهور الفقهاء وهو أن المرأة بحسب فطرتها يعتريها ما يعترى سائر النساء مما سبقت الإشارة إليه ولا ريب أن ذلك يولد شكاً فى قدرتها على وصف الحقيقة مما يستتبع درء إقامة الحد لما هو معلوم من أن الحدود تدرأ بالشبهات وذلك هو ما عبر عنه المبدأ القانونى الشهير من أن الشك يفسر لصالح المتهم .

وفضلاً عن ذلك فإنه من المعلوم يتعين أن رقة احساس المرأة وشدة عاطفتها وضعف أعصابها عن التحمل يجعل من الصعب عليها وصف الجرائم بدقة ووضوح إما لاغماض عنها هرباً من مشاهدة الجريمة ، وإما لمحاولة ابتعادها عن مسرح وقوعها وهو ما يورث شكاً يدرأ إقامة الحد والقصاص مثله فى ذلك .

ومع هذا : فإن الفقيه ابن حزم يرى قبول شهادة النساء منفردات فى هذا المجال عدا حد الزنا مع التقيد بتلك القاعدة الشرعية التى تقضى بجعل شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد . وقد استدل الإمام ابن حزم على ذلك بعموم النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى طلب الشهادة وقياساً على قبول شهادة المرأة فى مجال الأموال على النحو السالف ذكره وهو كذلك ما ذهب إليه طائفة من الفقهاء كعطاء وحماد بن سليمان[٣٠] . وتأسيساً على أن كل قول لهؤلاء الفقهاء الأجلاء هو من رسول الله ﷺ ملتمس ؛ فإنه لا تثريب علينا إذا ما تخيرنا من آرائهم أقواها سنداً وأقربها إلى غاية التشريع ، وذلك بحسب أن « مقصود الشارع إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له »[٣١] .

وما أصدق قول الإمام ابن تيمية من أنه « إذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأى طريق فثم وجه الله » .

ومن ثم فإنه يبدو لى رجحان ما ذهب إليه ابن حزم لاعتبارين أساسيين :

الاعتبار الأول : ان هناك كثيراً من الجرائم تقع فى الأماكن التى لا يرتادها الرجال عادة كما هى الحال فى حمامات النساء والأعراس وغير ذلك مما اعتاد الناس أن يجعلوا فيه للنساء أماكن خاصة ، فلو اعتدت إحداهن على أخرى بقتل أو جرح أو كسر ، وشهد عليها شهود منهن فهل تهدر شهادتهن فى مثل هذه الأحوال لمجرد أنهن إناث ؟ أو تطلب شهادة الرجال فى مجتمع لا يحضرون فيه عادة ؟

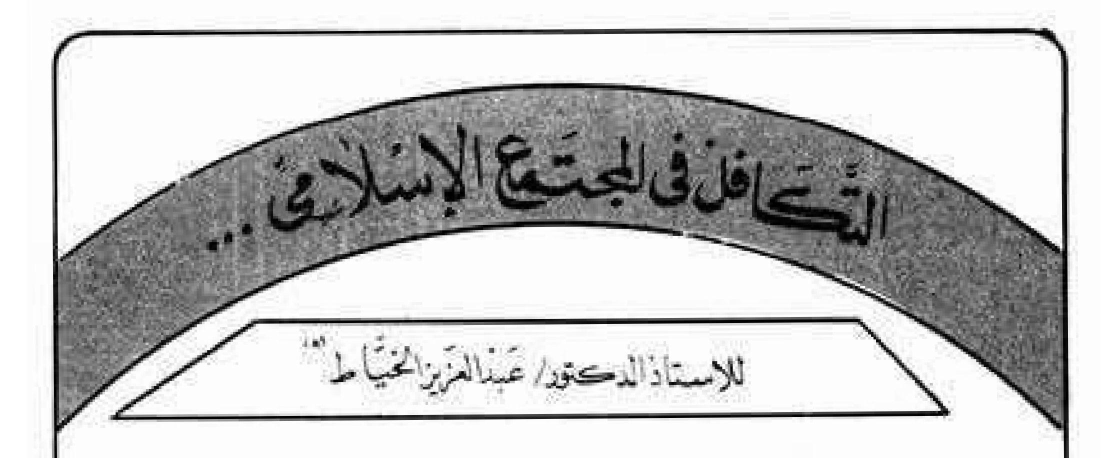
الاعتبار الثانى : ان الجريمة فى هذا العصر تنوعت طرائق وقوعها والظروف التى تحيط بها فلم يعد الليل مثلا هو التوقيت الوحيد للسرقة بل انها تتم ليلا ونهاراً وقد تقع تحت سمع النساء وبصرهن مما يحسن معه قبول شهادة النساء فى هذه الأحوال وإن كان الأمر يستلزم بلا شك التقيد بالعدد المنصوص عليه شرعاً .

والله يقول الحق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

---

(٣٠) المحلى جـ٩ ص٣٩٦ .

(٣١) الطرق الحكمية ص١٤ .



الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد :

فهـذا بحث عن « التكافـل في المجتمـع الإسلامي » كتبته للأخوة الكرام بناء على طلب الصديق الأستاذ الدكتور/جمال أبو السرور ؛ ليلقى في مؤتمركم هذا ، وأنا سعيد أن أتشرف بالاشتراك معكم والحديث إليكم ، وهذا البحث خلاصة لبحث مطول كتبته في مائة وعشر صفحات ، وقد أضفت عليه بعض ما تقتضيه طبيعة المؤتمر من الأمور المتعلقة بالمشكلات السكانية في عالمنا الإسلامي قبل زيادة السكان أو قلتها والتكافل الاجتماعي للحفاظ على الأطفال وحماية الأسرة وغيرها لعل أخوتي العلماء الدعاة يرون في ذلك تنويرا لجانب مهم من جوانب الإسلام العظيم .

ومع اهتمامي ببيان وجهة نظر الإسلام من ناحية نظرية ، فإنني أود أن أربط ذلك بواقع حياة ، ومعيشة نمارسها ؛ فإن عرض النظرية وحدها لا يكفي ، فما أكثر ما كتب الكاتبون عن الإسلام وعن التكافل في المجتمع الإسلامي؟ ، ولكن تظل الفائدة منقوصة ما لم توضع الحلول أمام المعنيين لمعالجة المشكلات التي نعانيها ولحتاج إلى شيء من الجرأة في عرضها وأن نجمع بين الأصالة والحداثة ، فقد كان فقهاؤنا السابقون أبناء عصرهم في اجتهاداتهم وبيان وجهة النظر الإسلامية في معالجة مشكلاتهم ، ونحن كذلك ينبغي أن نكون معاصرين لمشكلاتنا في إطار القواعد الإسلامية ، وخطوط الإسلام العريضة وضمن تعاليمه ومقاصده المشروعة .

التكافل :

التكافل معناه : التساند والتضامن ، ويكون بين المجموعة الإنسانية التي تكون مجتمعا لمجموعة من الناس تعيش في مكان واحد ، ويجمعها قانون واحد ، وتنظمها عادات وأعراف واحدة ، وقد يكون بين الفرد وذاته ، وبين الإنسان وأسرته ،

(*) الكاتب : أ.د. عبدالعزيز الخياط وزير الأوقاف وعميد كلية الشريعة في الأردن سابقا ، ونائب رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) وهذه الكلمة أحد بحوث المؤتمر الدولي لعلماء الدين والدراسات السكانية .

وبين الناس فى البلدة الواحدة ، أو الوطن الواحد . أو بين الناس الذين تجمعهم دولة واحدة .

والتكافل : قد يكون ماديا وقد يكون معنويا . ولكنه فى كليهما ينبغى أن يقوم على أسس صحيحة تضمن فيه مصلحة الفرد والجماعة للفرد كيانه وميزاته وإبداعه مما يؤدى إلى أن يكون عضوا نافعا عاملا لمصلحته ضمن مصلحة الجماعة ، فإذا تعارضت المصلحتان قدمت مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ؛ ولذلك كانت وسائل منع الجريمة والعقوبات على الجرائم من الأفراد ، وبعد تحقيق معنى التكافل للفرد ، وهذا واضح من النصوص الشرعية كقوله ـ تعالى ـ « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ »[1]

وقوله ـ تعالى ـ « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ »[2]

وقوله تعالى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ »[3]

وقوله ، ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[4] وقوله ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها . وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[5] .

أسس التكافل ومقوماته :

قبل البحث فى أنواع التكافل وعناصره لابد من معرفة الأسس التى قام عليها التكافل فى مجتمع إسلامى ، وأن نعرف ما هو المجتمع من وجهة نظر الإسلام .

أما أسس التكافل ومقوماته فنلخصها فى الأمور التالية :

أولا :

العقيدة الإسلامية السمحة التى تحمى الإنسان من حرائق الفساد ، وتبعده عن الخرافات والأوهام والوثنية وتقديس الأشخاص ، **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها »[6] .**

ثانيا :

الدين موجه للحياة ، والحكمة لله رب العالمين ، فالسيادة للقانون المستمد من الشريعة الإسلامية ، والسلطان للشعب يمارس حقه فى الحكم والتطبيق ضمن القانون ، والاجتهاد لحلول المشكلات يعتمد على قواعد الشريعة ، وتوجيه الحياة ، إنما يكون بتعاليم الإسلام من غير كهنوتية أو انغلاق أو تضييق أو انحراف أو تعصب ، أو طغيان ، أو ظلم ويكون الدين موجها للإنسان للعمل والبحث والإنتاج والاختراع واكتشاف

---

١ ـ سورة الأنبياء / ٩٢

٢ ـ سورة طه ١١٨ ـ ١١٩

٣ ـ سورة المائدة / ٢

٤ ـ رواه البخارى .

٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه فى باب الشركة .

٦ ـ سورة الروم / ٣٠

أسرار الكون بحيث تكون خير الإنسانية وتكافل المجتمع .

ثالثا

التمسك بالأخلاق الفاضلة المنبثقة عن العقيدة ، والتزام القيم العليا مثل التضحية والإيثار والطمأنينة والأمن والتحرر من الخوف والاستقرار ، وأعلاها رضوان الله ــ عز وجل ــ « وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ »[٧] ، **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**[٨] . والأخلاق والقيم ثابتة لا تمليها المصلحة ولا تسيرها المنفعة ، وإنما هى صفات وغايات تحكم الإنسان وتهذبه وتقوده للحياة فى المجتمع المتكافل حياة رشيدة .

رابعا :

الأنظمة التى تنظم علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ، وتشمل الأنظمة التجارية والاقتصادية والمعاملات وأنظمة الأسرة والقضاء والوصايا والميراث والنفقات ، وأنظمة الحكم والسياسة والعقوبات وغيرها ، وكلها يجب أن تكون مستمدة أو مستوحاة أو مسترشدة بالقرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله ﷺ ومستنبطة بطريقة الاجتهاد ودليل القياس والإجماع أو الاستحسان أو المصالح المرسلة أو الأعراف السليمة .

ولابد من تنفيذ هذه الأنظمة وتطبيقها ، وإلا فلا معنى للتكافل إذا لم تنفذ أنظمته أو لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، ولا فائدة من نظرية أو أنظمة لا يلتزم بها الناس ولا تنفذها الدولة ، ولا تحكم تصرفاتهم ، وإلا ظلوا منفصلين لا يربطهم نظام ولا يكونون مجتمعا . قال سبحانه « إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ »[٩]

وقال « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا »[١٠]

خامسا

العادات والأعراف السليمة التى لا تتناقض أو لا تتعارض مع تعاليم الإسلام ؛ إذ لابد أن تكون مشاعر الأمة وعواطفها وأذواقها واحدة بحسب عقيدتها وأنظمتها والأعراف تتحكم فى سلوك الناس وتعاملهم ــ كالأخلاق ــ ولها السيطرة على كثير من علاقات الناس ، والقاعدة الشرعية أن العادة محكمة ، والمقصود بالعرف ما استقر فى النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عن الطباع السليمة[١١] ، والعرف السليم ما وافق الشرع ، وما خالفه كتعاطى المحرمات ، فلا اعتبار له .

وهذه جميعا تكون المجتمع ، إذ المجتمع لا يتكون من أفراد فقط ، وإنما لابد أن تجمعهم

---

٧ ــ سورة الليل ١٩ ــ ٢٠

٨ ــ سورة القصص /٧٧

٩ ــ النساء /ء ١٠٥

١٠ ــ سورة النساء /٦٥

١١ ــ رسالة نشر العرف فى بناء الأحكام على العرف لابن عابدين /١١٤ طبع اسلامبول .

رابطة من الدين والأنظمة والأخلاق والعادات والتقاليد .

أنواع التكافل :

قد يكون التكافل بين الفرد وذاته فى تهذيبها وتزكيتها وإلزامها تقوى الله ، قال ـ سبحانه ـ : « قد أفلح من زكاها » ، وإيجاد الوازع الباطنى عنده وهو التقوى ، وقد يكون التكافل بين الإنسان وأسرته فى إحسانه إلى زوجته وأولاده وذوى رحمه ، وقيامه بالواجبات نحوها وقيامها بالواجبات نحوه ، ورعاية الأطفال بتربيتهم والإنفاق عليهم وتعليمهم وتنشئتهم تنشئة صالحة والإنفاق على الزوجة وتخفيف العبء عليها فى مساعدتها فى شئون البيت وتنظيم الأسرة مما يدفع عنها الضرر كما قال ـ تعالى ـ : « لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ »[١٢] وعدم الضرر بأن لا تكون الزوجية والتربية والإنفاق عبئا تنوء به الزوجة وينوء به الزوج ويؤدى إلى إرهاقهما وإتعاس حياتهما .

وقد يكون التكافل مع الجماعة على اختلاف أنواعهم ، وليس فى الأمور المادية وحدها ، ولكن فى الأمور المعنوية أيضا .

وهذا فإنى أرى أن التكافل يتم فى الأمور التالية :

١ ـ توفير الحريات للإنسان والمجتمع .
٢ ـ حق الملكية وتنمية الموارد المالية .
٣ ـ إيجاد العمل لكل مواطن .
٤ ـ حق الحياة الكريمة .
٥ ـ بناء الأسرة بناءً كريما .
٦ ـ حراسة الرأى العام (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .
٧ ـ العدل والمساواة .
٨ ـ منع العنصرية والطبقية .
٩ ـ إيجاد التوازن فى المجتمع .
١٠ ـ إيجاد الضمير عند الفرد والجماعة .

توفير الحريات :

كفل الإسلام الحرية لجميع المواطنين وجعلها أساساً لترابط المجتمع وتكافله ، ومناط التكليف لكل فرد فيه ، سواء أكانت الحرية فى التخلص من استعباد الأشخاص والشعوب وإذلالهم كما قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مستنكرا هذا الاستعباد : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟!!

أو كانت حرية الذات فى احترام الذات الإنسانية وتكريمها قال ـ سبحانه ـ : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ »[١٣] ، والتى تكفل للإنسان أن يعيش آمنا لا يتعدى عليه أحد أو يعتدى هو على الآخرين ، وأن يتصرف فى شئون نفسه ويتحمل المسئولية وحده « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ » البقرة ٢٨٦ فى حدود ما أمر الله به ونهى عنه .

---

١٢ ـ سورة البقرة /٢٣٣
١٣ ـ سورة الإسراء /٧٠

أو كانت فى حرية المأوى فى بيته ووطنه فقد كفل الإسلام له أن يمنع عنه السلب والنهب والترويع واقتحام بيته والتجسس عليه فى عقر داره ، قال ﷺ : « من اطلع فى دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه »[14] وأوجب الاستئذان فى دخول البيوت ومنع تتبع عورات الناس .

أو كانت حرية الاعتقاد والتفكير ما دام ذلك ليس طعنا فى الدين ولا كفرا بالله ، ولا إلحادا أو انتقاصا لنبى أو رسول ، ودعا الإسلام إلى استعمال العقل والتفكير فيما خلقه الله والاستفادة منه ، وترك الناس أحرارا فى عقائدهم وعاداتهم وطقوسهم لا يجبرون على التخلى عنها قال ـ تعالى ـ : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »[15] . .

كما أعطى الإسلام الحرية للعلماء فى الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من النصوص والإجماع والاعتماد على القياس ، وترك النصوص والإجماع والاعتماد على القياس ، وترك للناس التفكير وإبداء الرأى فى شئون الحياة كلها . قال ـ تعالى ـ : « قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »[16] ، وليس هناك أى تعارض بين حرية الرأى والاستقامة وبين نصوص القرآن بل تلازم وتوازم كما قال غوستاف لوبون : « إن العرب أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »[17] ، وحرية الرأى السياسية نوع من أنواع التكافل فى المجتمع ؛ فللإنسان الحرية لتوجيه الحاكم ونقد الوزراء والموظفين وله الحرية فى إنشاء الأحزاب وعملها ضمن الإطار الإسلامى العام .

أو كانت فى التعليم وكفالته لكل طالب علم ، بل من الواجب على كل إنسان أن يتعلم ويقرأ لقوله ـ تعالى ـ : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » وقال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[18] ، وقال : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[19] ، وأبواب التعليم مفتوحة فى الإسلام لكل الناس فى الدولة على اختلاف أديانهم وقومياتهم وطوائفهم .

أو كان التكافل فى المجتمع الإسلامى بإباحة التملك بالطرق المشروعة وبمقياس الحلال والحرام ، لا المنفعة .والإسلام لا يمنع الغنى فى المجتمع ، ولكن يمنع الفقر ، ويفرض فى مال الغنى ما يكفل الحياة الكريمة للفقراء والمساكين . ولم يلجأ الإسلام إلى تحديد التملك بالكم وإنما حددها بالكيفية فحرم التملك بوسيلة القمار ، أو السرقة أو الاختلاس أو الغبن الفاحش أو الغش أو الاحتكار أو السحت ، وأباح من طريق البيع والشراء والكسب والإجارة والزراعة والسقى والميراث والهبة والوصية والعمل وأمثالها ، ولا يسمح بالضرر ولا الإضرار . ونظرة الإسلام

---

١٤ ـ رواه أبو داود وابن حنبل والبيهقى ورواه آخرون بروايات مختلفة

١٥ ـ سورة البقرة /٢٥٦

١٦ ـ سورة يونس /١٠١

١٧ ـ شبهات حول الإسلام لمحمد قطب/١٦١ الطبعة السادسة

١٨ ـ رواه البيهقى

١٩ ـ رواه البخارى ومسلم .

إلى المُلك أنه وظيفة اجتماعية لأن المال مال الله والإنسان أمين موظف لتنميته وتوظيفه فى الخير والإنفاق منه على الآخرين كما فعل عمر فى عام المجاعة يقول - سبحانه - : « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ »[٢٠]

والملكية : « القدرة على التصرف ابتداء إلا لمانع »[٢١] ، أو هى حكم شرعى مقدر فى عين، أو فى منفعة يقتضى تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو بالاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك[٢٢] ، وتعريف القانونيين متفق مع تعريف الفقهاء فهى عندهم « سلطة تمكن صاحبها من استعمال الشىء والإفادة منه » .

والملك إما أن يقع على ذات الشىء أو يقع على منافعه كالوقف والبيوت المستأجرة وإما أن يقع على ذاته ومنافعه كملك البيت وسكناه معا .

وتقتضى ملكية الاستهلاك أن يوفر للإنسان حقه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن بإيجاد العمل لكل مواطن بأن تهيأ له أسباب العمل فى الأرض أو المتجر أو الشركة أو المصنع أو بالبيع والشراء أو الصنعة كالتجارة والبناء أو التعليم أو الوظيفة أو أى أسلوب آخر مباح . قال - ﷺ - « إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده »[٢٣] ، وقال « إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال »[٢٤] .

ومن التكافل أن تعمل الدولة على تهيئة العمل لمواطنيها بتشجيع الصناعة والتجارة والزراعة وتنمية الموارد الاقتصادية واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن ونفط وفحم وغيرها ، واستغلال الغابات والمراعى وتربية المواشى وغيرها ، وأن تعمل على منع البطالة بأى شكل قال عليه الصلاة والسلام : « البطالة تقسى القلب »[٢٥] .

ومن التكافل وضع التشريعات اللازمة لحماية العامل فلا يرهق لقوله - تعالى - : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »[٢٦] ، وقوله - عليه الصلاة والسلام - : « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون »[٢٧] ، ولا يبخس الأجر بل يتكافأ مع جهده ، ولا يحرم من حق فى المعالجة والمكافأة أو التأمين فى حال ضعفه عن العمل بشيخوخة أو إصابة أو المعونة فى حال الزواج أو اتخاذ المنزل أو أداة النقل ، بأى طريقة مشروعة كالتطوير الحضرى أو مشاريع الإسكان أو الإقراض أو المكافأة أو أى طريقة مستحدثة لا تتعارض مع أحكام الإسلام قال - عليه الصلاة والسلام - : « فإن كلفتموهم فأعينوهم »[٢٨] وقال « إن شر الرعاء الحطمة »[٢٩] .

(الحديث موصول)

---

٢٠ - سورة البقرة /٢١٥

٢١ - فتح القدير على الهداية للكمال بن الهمام ٧٤/٥

٢٢ - الفروق للقرافى ٢٠٩/٣

٢٣ - رواه الإمام أحمد

٢٤ - مجمع الزوائد ٢٠٠/١٠ كنز العمال ٩١٩١ ، ٩٢٣٩

٢٥ - حديث حسن أرواه القضاعى عن ابن عمرو

٢٦ - سورة البقرة /٢٨٦

٢٧ - رواه مسلم

٢٨ - رواه البخارى فى باب الإيمان

٢٩ - رواه مسلم

الغارة التنصيرية على أندونيسيا المسلمة

فى أندونيسيا يزرعون الكنائس كما يزرعون الأشجار

للأستاذ / محمود السباعى عبد الله

بالرغم من أن التحرك التنصيرى المكثف الذى حول مجموعات من الأندونيسيين إلى النصرانية قد تباطأ سيره فى الأيام الأخيرة .. إلا أن الكنيسة الأندونيسية بوجه عام قد سجلت لنفسها نموا وسط أضخم الشعوب الإسلامية عددا فى العالم .

ويعود تاريخ استفحال النشاط التبشيرى للنصارى فى أندونيسيا إلى الفترة التى انفرد فيها (سوكارنو) بالسلطة المطلقة فى أوائل الستينات وفى غيبة حزب (ماشومى) الذى حله سوكارنو وهو الحزب الإسلامى صاحب الأغلبية الإسلامية الساحقة والذى كان له إسهام كبير فى دعم الاستقلال ومقاومة الاستعمار .

فبعد تجميد حزب ماشومى واستقلال أندونيسيا أصبحت أندونيسيا هدفا لحملات التبشير والتنصير المكرسة من جميع أنحاء العالم .

إن الغارة التنصيرية على أندونيسيا المسلمة قائمة على قدم وساق وفى سباق مع الزمن لتحقيق هدفها وهم فى مخططهم هذا وضعوا أولويات لعملهم بناءً على ما قرره مؤتمرهم الذى عقد فى مدينة (مالانج) الأندونيسية سنة ١٩٦٧ بأنه يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين فى جزيرة (جاوا حيث ٦٥ مليون نسمة) خلال الأربعين سنة القادمة وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا خلال ستين سنة ولو بشراء المسلم بأموالهم وخاصة وأن الحالة الاقتصادية فى هذا البلد كما يزعم التقرير سيئة للغاية .

يقول القس (أردى سوريانانو) رئيس كنيسة جاوا الشرقية : إن جزيرة جاوا تشهد ازدهار الكنيسة الأندونيسية وإن هذه الجزيرة مكتظة بالسكان وتعتبر قطب الرحى للسياسة الأندونيسية وموطن ٦٥ مليونا من سكان أندونيسيا البالغ عددهم (١٦٠) مليون نسمة ثم يستطرد قائلا : ومؤكدا أن جزيرة (جاوا) مهيأة جدا لتوسع نصرانى باهر .

وهذه إحصائيات بين أيدينا نضعها بين يدى المخلصين من أبناء ومؤسسات هذه الأمة لعلهم يدركون هذا الخطر الذى ينشد استئصال هذه الأمة من جذورها .

(* إحصائية سنة ١٩٩٠ مجلس كنائس أندونيسيا لطائفة البروتستانت) توضح أنه يوجد فى أندونيسيا .

١٥٨١٩ ــ كنيسة بروتستانتية

٦٩٩٧ ــ قسيس بروتستانتى

٢٠٢٠٣ ــ مبشر متفرغ

(* إحصائية سنة ١٩٩٠ للكنيسة الكاثوليكية فى أندونيسيا)

توضح :

١٠٥٢٠ ــ كنيسة كاثوليكية .

٨٠٧٣٠ ــ قسيس كاثوليكى .

١٠١١٦ ــ مبشر متفرغ .

ليس هذا فحسب فإن مؤسسات التنصير فى منطقة (كاليمنتان) الغربية فقط تملك (٢٧) مطارا وأسطولا من الطائرات العمودية وأسطولا من السفن وضع تحت تصرف المنصرين للانتقال بها بين المدن والقرى والثلاثة آلاف جزيرة التى تتكون منها أندونيسيا .

والمبشرون يملكون دور النشر الكبرى فى أندونيسيا والمطابع الجديدة لطباعة مختلف كتب الأطفال والقصص المصورة بالإضافة إلى المكتبات العامة ومطابع الإنجيل المتداول لطباعة الإنجيل وتوزيعه مجانا .

(أكبر مطبعة لهم فى مدينة (بوكور) على بعد ٦٠ كيلومترا من جاكرتا) .

كما تستخدم شبكة مواصلات لاسلكية على أحدث طراز لتنسيق أعمال الإرساليات والبعثات التبشيرية للمواصلات الاضطرارية ، ولها مطارات فى (سنتانى) ، (نابير) ، ياواساكور) .

المبشرون يسيطرون على وسائل الإعلام ولديهم الإذاعات المحلية والتبشيرية موزعة فى شتى أنحاء أندونيسيا ويملكون الصحف اليومية الكبرى .

للتبشير عشرات المعاهد والجامعات والمستشفيات الكبرى والمستشفيات المتنقلة (كلينو موبيل) .

ويكفى أن تعلم أن مؤسسة تنصيرية واحدة تقوم على ١٨٠ مستشفى ، ١٢٩ مستوصف ولادة ، ٣٤٥ صيدلية ، ٤٥ عيادة متنقلة .

كما قرر مجلس الكنائس العالمى والفاتيكان الإسهام فى أعمال التنمية فى أندونيسيا تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمع) وأنشأ هيئة مجلس الكنائس للمساهمة فى أعمال التنمية كمدخل جديد للوصول إلى قطاعات لا يستطيعون أن يصلوا إليها بالطرق التقليدية .

وهذا التقرير الذى ننشره فى هذه المتابعة يبين بعدا جديدا فى هذه الحملة الصليبية الشرسة على أندونيسيا .

وهذا التقرير قد أعدته هيئة يطلق عليها اسم : (برامج مساعدات التنمية للمؤسسات التطوعية العاملة فى أندونيسيا عن نشاط البعثات التنصيرية فى أندونيسيا وقد قامت بنشره دار تبادل معلومات المساعدات الفنية التابعة للمجلس الأمريكى للخدمات التطوعية .

ويوجد نسخة من هذا التقرير لدى الأمم المتحدة بنيويورك ويتبين من خلاله أن العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية المدرجة أسماؤها فى هذا التقرير تحصل على دعم من العديد من الوكالات التابعة للأمم المتحدة .. مثل منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة اليونسكو ، واليونسيف ... الخ فى تقديمها برامج مساعداتها فى مجال الغذاء والتعليم والطب إلى الجماهير فى الدول النامية .

وتقدم هذه المنظمات التبشيرية مساعدات الأمم المتحدة (المدفوع جزء كبير منها من خلال الإسهام السخى للدول العربية والإسلامية كما لو كانت هذه المساعدات ترد من مصادر هذه المنظمات التبشيرية فى الوقت الذى تستخدم فيه البعثات التبشيرية مثل هذه التسهيلات فى دعم برامجها التنصيرية .

والجدير بالذكر أن كافة المنظمات المدرجة بالتقرير المذكور منظمات أمريكية وبعضها لا يعرف عنه بوضوح أنه من المنظمات التبشيرية النصرانية وبعضها يعلن صراحة هويته التنصيرية التبشيرية والحقائق الواردة فى هذا التقرير عبارة عن موجز عن أعمال بعض المنظمات الأمريكية غير الحكومية التى تضمنها التقرير .

١ ـ مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية ويعمل من خلال الطب والصحة العامة .

٢ ـ خدمات الإغاثة الكاثوليكية .

وهى منبثقة عن المؤتمر الكاثوليكى الأمريكى وهى تعمل من خلال الطب والصحة وتنمية المجتمع والمعونات المادية والرعاية الاجتماعية فى الجزر الرئيسية بأندونيسيا .

٣ ـ صندوق الأطفال المسيحى .

ويقوم بنشاطه التبشيرى من خلال التعليم والتنمية الصناعية والإدارية والرعاية الاجتماعية .

٤ ـ خدمات الكنيسة العالمية .

وتعمل فى مجال خدمة البيئة والنشاط الاجتماعى .

٥ ـ جمعية الرحمة الدولية .

وتعمل فى رعاية الأيتام والأطفال اللقطاء وتنظيم الأسرة والرعاية الاجتماعية .

٦ ـ جمعية التبشير الخارجية المعمدانية المحافظة .

وتعمل من خلال الطب والصحة العامة .

٧ ـ إرسالية التحالف الإنجيلى .

وتقوم بإدارة مدرسة ابتدائى فى (ايريان جايا) وتهتم أيضا بالطب والصحة والتعليم .

٨ ـ الخبرة بالمعيشة الدولية .

وتهتم بالتعليم وبرامج اللغة الإنجليزية والتوجيه الثقافى .

٩ ـ برامج آباء الرعاية .

ويقدم منحا دراسية للأطفال الأندونيسيين وتساعد الأسر التى لديها أطفال ـ تعانى من الفقر .

١٠ ـــ مؤسسة هيلين كيلر .

وهى تقوم بخدمة الأطفال المعوقين وتهتم بالطب والصحة العامة والبحوث .

١١ ـــ الكنيسة اللوثرية فى أمريكا .

وتعمل من خلال التعليم والصحة العامة .

١٢ ـــ أخوات (راهبات الإرسالية الطبية)

وتعمل من خلال الطب والصحة والتعليم .

١٣ ـ اللجنة المركزية (للمينونايت) .

وتهتم بالتعليم والمساعدات المادية وتقديم المعدات والصحة والتعليم .

١٤ ـــ منظمة الغوث المسيحية .

وهى تقوم بدعم النشاطات التبشيرية النصرانية التى تعمل فى المناطق النائية فى ايريان جايا وكاليمنتان وسولويزى وتيمور وهذه الجمعية تملك أسطولا من الطائرات والحاويات وعددا من الطائرات الهليوكبتر وتملك ١٨ مهبطا للطائرات وتملك ميزانية ضخمة تغطى نفقاتها .

١٥ ـــ المنظمة الكاثوليكية للتنمية .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع والإنتاج الزراعى .

١٦ ـــ المركز التعليمى الكاثوليكى .

ويهتم بالتعليم ويساعد فى وضع البرامج والمناهج الدراسية ويقوم بطبع الكتب المدرسية والثانوية والجامعية .

١٧ ـــ الإرسالية اليسوعية العاملة .

وتهتم بالتعليم والطب والصحة العامة .

١٨ ـــ المركز الثقافى اليسوعى الكاثوليكى .

ويهتم بالتعليم ويشرف على عدد كبير من المدارس الخاصة واللغة الإنجليزية .

١٩ ـــ منظمة الرؤية العالمية للإغاثة .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع وتقديم المساعدات المالية والمعدات والزراعة والرعاية الاجتماعية .

٢٠ ـــ إرساليات الآباء اليسوعيين .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع ويعمل بها ستون قسيسا من جنسيات مختلفة وبعثات تبشيرية متجولة .

بالإضافة لهذه المنظمات فإن هناك العديد من المدارس والجامعات والمستشفيات ومراكز الشباب والحركات التعاونية وملاجىء الأيتام ودور العجزة وكبار السن النصرانية الكاثوليكية التى تتبناها وترعاها منظمات تبشيرية فى هولندا (وهى الدولة التى كانت تستعمر أندونيسيا من قبل) وبريطانيا واستراليا وفرنسا وألمانيا والدول الاسكندنافية وإيطاليا وكندا .. الخ .

كما أن المجلس الكنائس العالمى الذى يقع مقره الرئيسى فى جنيف للفاتيكان ممثلين رسميين فى أندونيسيا يدعمهم متخصصون من أعلى المستويات يحملون درجات علمية عالية ويسهمون بنشاط فى تخطيط وتنفيذ النشاطات التبشيرية فى أندونيسيا .

وبعد هذا العرض الموجز السريع لنشاط المؤسسات التنصيرية على أندونيسيا نوضح حقيقتين على درجة فائقة من الأهمية .

الأولى :

هى أن الإرساليات التبشيرية لم تترك بابا إلا طرقته ولا طريقا إلا سلكته لتحقيق أملها فى تنصير أندونيسيا وهو أمل للأسف يتحقق ببطء ولكن بشكل مؤكد .

فالتغلغل التنصيرى لمس كل أعصاب الحياة هناك ونما وترعرع فى كافة أشكال النشاطات الإنسانية ، بل إنه يشرك الأجهزة الحكومية وبعض الهيئات الإسلامية معه فى تنفيذ بعض البرامج مما يعطيه قدرا من السلطة .

والأهم من ذلك قدرا أعظم من المصداقية .

أما الحقيقة الثانية .

فهى أن ازدهار النشاط التبشيرى فى أندونيسيا يعنى غياب أو تقاعس المسلمين هناك والمسلمين القادرين على تقديم العون فى كل أنحاء العالم .

وهذه اللمحة عن النشاط التنصيرى فى أندونيسيا إذا تمعن فيها المؤمن سيدرك مدى الخطر الذى يحيق بأمة الإسلام ومدى الجهد الذى يتعين أن يبذل ضمن إطار مخطط مدروس للتصدى لهذا المد التنصيرى .

وإذا أجرينا إحصاء لبقية المنظمات التنصيرية الأمريكية فى أندونيسيا نجد أنه توجد ٤٧ منظمة أخرى إضافة إلى تلك التى تعمل والتى أشرنا إليها فى صدر هذا التقرير ، وكلها تعمل تحت غطاء واحد أو أكثر من النشاطات الحيوية كالمواصلات أو تنمية المجتمعات وأعمال التشييد والإسكان والتخطيط والتعاونيات وجمعيات الائتمان والإقراض والتخطيط الاقتصادى والتخطيط الإنمائى والتعليم والمساعدات المادية وتقديم المعدات والإنتاج الغذائى والزراعى والتنمية الصناعية والطب والصحة العامة والتغذية وخدمات السكان والخدمات الأسرية وإدارة الأعمال والإدارة العامة والرعاية الاجتماعية ومجالات المرأة والشباب .

إن هذه الإرساليات ما هو إلا استعمار جديد يهدف إلى التحكم فى الموارد السياسية والاقتصادية للعالم الإسلامى وكذلك السيطرة على عقول وثقافة المسلمين .

إن هدف هذه الجهود فى النهاية ترمى إلى تكبيل أبناء أندونيسيا ووضعهم تحت مظلة التبشير بشكل أو بآخر لتحقيق هدفهم النهائى : وهو تحويل أندونيسيا كلها إلى النصرانية وهذا لن يكون بإذن الله .

إن محنة المسلمين فى أندونيسيا هى محنة المسلمين فى كل أنحاء العالم ويستوجب الأمر أن يكون التصدى على نفس المستوى وبنفس القدر من التنظيم والتخطيط والتنفيذ والمتابعة والإخلاص .

المصادر :

١ ــ جريدة المسلمون العدد ٤٤٠ السنة الثامنة .

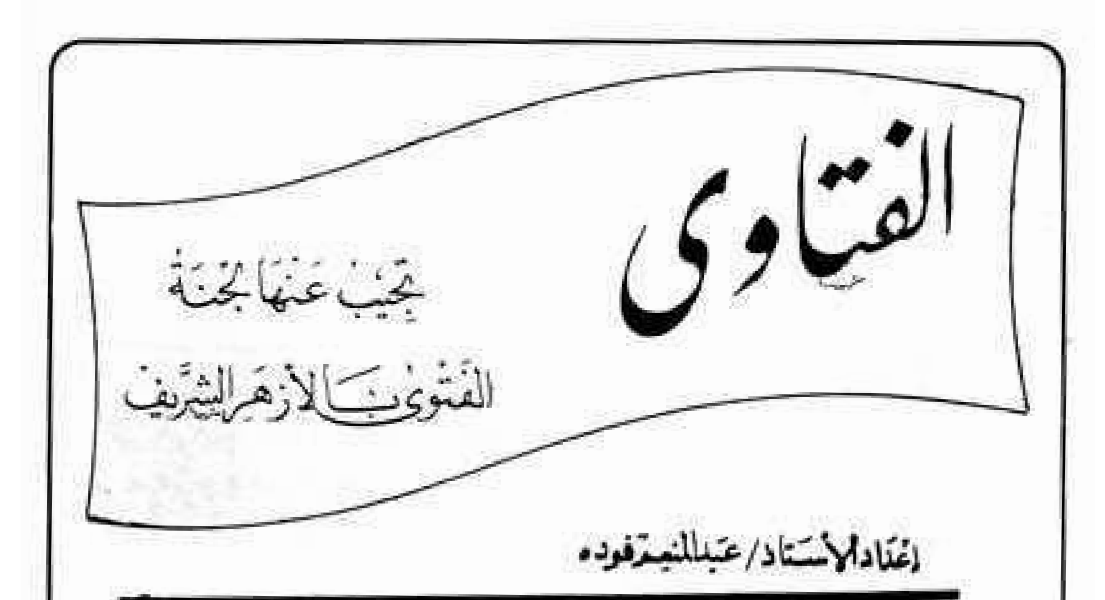
٢ ــ مجلة الجامعة العربية العدد ٦٠ السنة ١٢ .

٣ ــ مجلة منار الإسلامى العدد السابع السنة التاسعة .

٤ ــ جريدة العالم الإسلامى السنة الخامسة .

٥ ــ مجلة الرابطة .

٦ ــ كتاب مستقبل العالم الإسلامى د. محمد مورو .



إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد : ع . ف . ح :

لم يرزق أبي سوى أربع بنات فقط ، وكانت المشكلة بالنسبة له هي وضع أشقائه بالنسبة لنا بعد وفاته وأنهم من الممكن أن يحجروا علينا ويأخذوا نصيبنا من الميراث .

فهل من الممكن أن يكتب لنا ممتلكاته أم فقط ما يساوى حقنا الشرعي ، مع العلم بأن أشقاءه قد استولوا على جزء من نصيبه الشرعي في ميراث جدي .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ، وبعد .

فبالاطلاع على سؤال السيد : ع . ف . ح بشأن إمكان كتابة ممتلكاته لبناته الأربع ، أو كتابة ما يساوى حقهن بالميراث الشرعي فقط ، علما بأن أشقاءه قد استولوا على جزء من نصيبه الشرعي في ميراث والده :

بعد الاطلاع على هذا : أودُّ أن أورد ــ قبل الإجابة ــ على هذا السؤال : حديث النعمان بن بشير ، الذى يتلخص في « أن عمرة بنت رواحة ــ أم النعمان بن بشير ، سألت أباه « بشيرا » أن يهبه بعض ماله ، فوهبه غلاما ، فقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابنى ، فأخذ بيده ــ وكان يومئذ غلاما ــ فأتى رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، إن أم هذا بنت رواحة ، أعجبها أن أشهدك على الذى وهبته لابنها ، فقال له رسول الله ﷺ : « أأعطيت سائر ولدك مثل ذلك » ؟ قال : لا . قال : « اذهب فأشهد على هذا غيرى ، فإنى لا أشهد على جور : اتقوا الله ، واعدلوا في أولادكم ، ألا يسرك أن يكونوا لك في البر سواء » ؟ قال : بلى . قال : « فإنى لا أشهد » . هذا ملخص حديث « النعمان بن بشير » كما يؤخذ من عدة روايات يكمل بعضها بعضا .

يقول « النووى » الشافعى فى شرح صحيح مسلم « ج ١١ - ص ٦٦ » تعليقا على هذا الحديث : « فلو فضل بعضهم - يريد بعض الأولاد - أو وهب لبعضهم دون البعض » .

فمذهب الشافعى ، ومالك ، وأبى حنيفة : أنه مكروه ، وليس بحرام ، والهبة صحيحة وقال طاووس ، وعروة ، ومجاهد ، والثورى ، وأحمد ، وإسحق ، وداود : هو حرام . واحتجوا برواية « لا أشهد على جور » وبغيرها من ألفاظ الحديث .

واحتج الشافعى ، ومن وافقه : بقوله ﷺ : « فأشهد على هذا غيرى » قالوا : ولو كان حراما ، أو باطلا ، لما قال هذا الكلام ، فإن قيل : قاله تهديدا .

قلنا : الأصل فى كلام الشارع غير هذا .. ثم قال : وأما قوله : « لا أشهد على جور » فليس فيه أنه حرام ، لأن الجور ، هو الميل عن الاستواء ، والاعتدال ، وكل ما خرج عن الاعتدال ، فهو جور ، سواء أكان حراما ، أم مكروها » .

وارتضى النووى : أنه مكروه كراهة تنزيه ، كما قال **أصحاب الشافعى :** يستحب له أن يهب الباقين مثل الأول ، فإن لم يفعل إستحب ردّ الأول .

قال العلماء : ومحل الحرمة ، أو الكراهة فى التفضيل : إن لم يكن ذلك لسبب شرعى ، فإن كان لسبب شرعى ، كأن كان أحدهم مريضا ، أو مدينا ، لايستطيع الكسب ، والوفاء ، وحده بما يلزم ، أو كان ذا عيال كثيرة ، أو كان طالب علم ، يحتاج إلى معونة فذلك جائز .

ويحمل على هذا ما ورد من تفضيل بعض الصحابة ، بعض أولادهم على بعض ، فإن أبابكر فضل عائشة على غيرها من أولاده ، وفضل عمر إبنه عاصما ، وفضل عبدالله بن عمر بعض أولاده على بعض .

مما سبق يتضح : أن هبة الوالد لولده ، أو تمييزه أحد أولاده على بقيتهم ، جائز شرعا ، بدون كراهة ، إذا كان ذلك لحاجة ، ومكروه شرعا ، إذا كان لغير حاجة ، ولكنه مع كراهته نافذ ، متى كان المتصرف غير مريض مرض الموت ، وغير محجور عليه . وكان تصرفه منجزا ، أما إذا كان المتصرف مريضا مرض الموت حال تصرفه المنجز ، أو كان تصرفه - وهو مريض ، أو صحيح - مضافا لما بعد الموت . فإنه يعتبر حينئذ وصية ، ولا وصية لوارث إلا أن يجيزها باقى الورثة بعد موت مورثهم .

وإذا جاز هذا بالنسبة لبعض الأولاد مع بقيتهم ، فإنه - من باب أولى - يجوز بالنسبة للأولاد مع الإخوة ، والأخوات ، فللأب أن يهب بناته الأربع كل تركته ، أو بعضها ، مادام غير مريض مرض الموت ، وغير محجور عليه ، وكان تصرفه منجزا ، أى غير مضاف لما بعد الموت ، ولم يقصد به الاضرار بالباقين ، لأن حق الورثة لايتعلق بتركة المورث . إلا إذا مات ، أو كان مريضا مرض الموت وهو « الذى يكون منه الموت فى الظاهر » .

فلا مجال للقول : بأن تصرف الشخص الصحيح غير المحجور عليه ، المنجز حال حياته ، ولم يقصد به إضرار الباقين ، ينافى حكمة

التوريث ، ويتعارض معها ، لأن التوريث إنما يكون بعد موت المورث ، والتصرف قبله فى وقت لم يكن لأحد من الذين يحتمل أنهم سيرثون بعد الموت ـ حق فى تركة المتصرف .

فحرمة الملك مكفولة ، وحكمة التوريث محققة لاتنافى ، ولاتعارض صحة التصرف المنجز ، الصادر من الشخص الصحيح ، غير المحجور عليه ، ولم يقصد به الإضرار بالباقين . وإن كنت مع هذا أفضل عدم التصرف فى كل التركة ، والابقاء على شىء منها ، يفى بحاجته ، وحاجة زوجته ، ان وجدت ، محسوبا فى هذا الشىء الذى يستبقيه ، الجزء الذى استولى عليه إخوتــه ـ إن صح ذلك ـ صونـــاً له ـ فى المستقبل ـ عن الذل ، والهوان ، وحفاظاً على الود ، والقرابة ، والرحم ، بينه ، وبين إخوته ، حال حياته ، وبين بناته ، وأعمامهن بعد وفاته .

والله تعالى أعلم ، وبه الهداية ، ومنه التوفيق .

السؤال من / مسجد الإيمان بالعجوزة ـ القاهرة :

ـ هل يجوز وضع المنبر فى غير يمين القبلة (فى أى موضع فى المسجد) .

ـ وما حكم ذلك ؟

افيدونا افادكم الله .

تحدث العلماء عن مصلى النبى ﷺ ، أى المكان الذى كان يلازم الصلاة أو يكثرها فيه ، وكان كثير من الناس ، وبخاصة بعد وفاته ﷺ يحرصون على الصلاة فى مصلاه .

أما المنبر فنحن نعلم أنه ﷺ كان يخطب أول الأمر واقفاً وإذا تعب أسند إلى جذع نخلة ، ثم انتهى الأمر إلى بناء منبر له يستريح عليه .. وحصل تطور فى هذا المنبر .

ولكن أين وضع ؟ هل على يمين مصلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ؟

يقول المطرى أحد المؤرخين للمسجـــد النبوى : ورد أن الواقف فى مصلى النبى ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ، وجاء فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى أن المصلى فى مصلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجعل عمود المنبر حذو منكبه الأيمن .

من هذا نرى أن منبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان على يمين المصلى ـ القبلة أو المحراب ـ لكن هل هذا الوضع واجب الالتزام ؟

لم يرد نص بالالتزام ، وإنما الكلام الوارد بيان للوضع للمنبر ، وهو لا يدل على الوجوب ، وإن كان يدل على الندب إقتداء بما كان عليه الحال فى أيام الرسول ﷺ . وليس بحرام أن يوضع المنبر فى أى مكان ، والمهم هو وجود شىء مرتفع يساعد الخطيب على إسماع الناس .. وقد يستغنى عنه بمكبر الصوت وتؤدى الخطبة من وقوف على الأرض وجلسة على كرسى كما يحصل أحيانا فى بعض المساجد فى خطبة العيد .

إن الأمر سهل لاينبغى أن يشتد فيه الخلاف ، وإن كان من الأوفق أن يراعى المأثور عن السلف فى ذلك ، وهو وضع المنبر على يمين المحراب .





المؤرخ الملتزم

محمد صادق عرجون



للدكتور / محمد رجب البيومي

ألف الأستاذ صادق كتابه عن خالد بن الوليد عقب تأليفه كتاب عثمان وقد جمعت بين الرجلين الكبيرين مشابهة دعت إلى الحديث عنهما ، إذ أن ما قيل عن عثمان من شبه يماثل فى بعض مناحيه ما قيل عن خالد ، وليست هذه المماثلة تعنى المشابهة فى الاتهام بل تعنى أن كليهما قد أرجف به وحملت بعض أعماله على غير وجهها الصحيح ، وإذن فروح الدفاع التى تجلت فى كتاب عثمان هى نفسها روح الدفاع التى تجلت فى كتاب خالد .



يقول المؤلف فى مقدمة كتابه « والصورة التى يراها القارىء فى هذا البحث لبطل الإسلام خالد بن الوليد هى صورة من صنع الإسلام للنماذج الإنسانية فى ميادين الجهاد ، وقد سلكنا فى عرض الملامح المقوّمة لشخصية خالد طريقنا فى تتبع الروايات التاريخية ، ونقدها على ضوء الخطــوط الأولى للشخصية المصورة ، وناقشنا حوادث وأحداثا اضطربت فيها الروايات ، وانحرف بها التاريخ ، فكانت مزلقة لبعض كبار الباحثين ممن جانبهم التوفيق فى دراستها ، وأتينا بها إلى مكانها من الحق فى سجل التاريخ على قدر ما وسعته الطاقة واتسع له مجال البحث » .

وقد وفّى المؤلف بما قال عن خيبة وغيرة تعهدهما فى قلمه الصوال ، فتحدث عن خالد قبل الإسلام ، وعن خالد فى طريقه الى الإسلام ، وعن جهاد سيف الله أيام الرسول ، وخصّ جهاده فى فتح مكة بفضل خاص ثم عن بلائه فى حروب الردة وفى البعوث المختلفة ، وكان مصيباً كل الإصابة فى وصف معارك اليمامة ، ثم فى معارك فارس والروم ، ووقف وقفات قضائية ذات حيثيات موضوعة فى مسألة عزل خالد عن القيادة بأمر الفاروق ، منتقلا الى تفنيد ماراّه الدكتور محمد حسين هيكل فى دواعى هذا العزل وملابساته ، موضحا وجهة نظر مخالفة ، وهذا من حقه حين بدا له ما يخالف رأى الدكتور هيكل فى تحليل هذا الموقف ، ولكن الذى ليس من حقه أن يتطاول على الدكتور هيكل وأن يسرف فى هذا التطاول إسرافا مبالغا حين يقول :

« الحق أن قارىء كتاب الفاروق يخرج من قراءته بصورة لعمر بن الخطاب جديدة كل الجدة على معارف المسلـمين وتنكرها عقولهم وتنفر منها قلوبهم » [1] وحين يقول .. « إن الدكتور هيكل وأضرابه لا يفهمون الإسلام بروح الإسلام ، وإنما يكتبون عن الإسلام بأقلام غريبة عن الإسلام أو على الأقل يكتبون بروح تتعبد بتقليد أساتذتهم المستشرقين » [2] أو يقول : « هذا التحليل وذلك التحقيق سداه ولحمته هدم ما بناه الإسلام من شخصيات فارعة العظمة وتشكيك الناس فى حقائق التاريخ التى تصوّر عظماء الإسلام فى حقيقتهم العليا » [3] وهذا كله تجن لامبرر له فقارىء مؤلفات هيكل الإسلامية يخرج بانطباع صادق يوحى بغيرة الكاتب الكبير وإخلاصه وما قاله عن خالد وعمر قاله من قبله كتّاب التاريخ من لون الطبرى الى يومنا هذا ، وإن اختلفوا فى التعليل والاستنتاج اختلافا لايجعلنا نلج الى السرائر فنحكم عليه بما لا نعلم ، ولم يكن الدكتور هيكل فى كتبه الإسلامية تلميذ الاستشراق بل كان المهاجم الألد لما افتروه وكتبه « حياة محمد » و « فى منزل الوحى » « والفاروق عمر » ، « ناطقة » بذلك فى غير خفاء ! وقد اثنى الإمام المراغى على كتاب حياة محمد ثناءً مستطابا فى مقدمته المنصفة ، كما لم يشك الإمام المراغى فى صدق يقينه وقوة إخلاصه إذ عبر

---

(1) خالد بن الوليد ص ٣٠٣

(2) خالد ص ٣٠١

(3) خالد ص ٢٩٨

عن ذلك بقوله فى تقريظ كتاب « فى منزل الوحى »[1] :

« وفى الكتاب تنويه « بسمو المعانى الروحية وتوجيه النظر إلى عظمة ذات الله والاستحضار لجلالها فى موقف الحج والأسف على ما أصاب المسلمين فى حياتهم الدينية التى أصبحت أشبه بنظام آلى فارغ من الروح وتملك هذا الشعور على نفس المؤلف جعل خاتمة كتابه فصلا مسهبا عقده لبيان جلال الايمان بالله والتنبه على ما (لتوحيد) ذاته من الآثار العظيمة الخطر فى الحياة والاجتماع يصدّر فيه بقلمه عن إلهام صادق يرتفع به فى هذه المقامات الى صفوف المتصوفة وذكر صبوة الحياة الروحية إلى الوحدة » .

لقد كفانا الإمام المراغى ـ وهو من هو ـ مؤونة الدفاع عن كاتب أصيل جاء بما لا يرضى الأستاذ صادق من التحليل لبعض المواقف فتسرع باتهامه فى صدقه الدينى وإخلاصه الفكرى ، وهذا كله بعيد كل البعد عن جوهر النقاش من ناحية ، وعن أدب الجدل من ناحية ثانية ، وأنا أؤكد هذه الحقيقة لأواجه قوما نعرفهم الآن بسيماهم ، ينكرون مواقف التبريز على كبار الكتاب دون دليل ، ثم يلجون الضمائر المستترة ليتحدثوا عن البواعث والنيات أو بعضهم ـ وحاشا الأستاذ عرجون ـ يريد أن يصرف القراء عن آثارهم الرائعة لحاجة فى نفس يعقوب !

وجاءت قمة أعمال الأستاذ عرجون التاريخية ممثلة فى هذا الجهد الضخم الذى كتبه فى أربعة مجلدات تحوى أكثر من ألفين وسبعمائة صفحة عن سيرة رسول الله ﷺ ـ منهجا وتحقيقا ورسالة وتبليغا ، إذ عكف عشر سنوات متوالية على دراسة كلّ ما أمكنه دراسته مما كتب عن رسول الله فى القديم والحديث ليبدى رأيه فيما يراه من روايات تتفق تارة وتتعارض أخرى ، ولم تكن كتب السيرة النبوية وحدها مجال التمحيص والتحقيق بل أضيفت إليها كتب التفسير القرآنى وشروح الحديث النبوى وصحف التاريخ الإسلامى لدى الكثرة من كاتبيه ، وبما له خضما زاخرا خاض الأستاذ عبابه عن مقدرة وإحكام ، وله رأيه الصوال ذو الحجة البالغة التى تمتد وتتصل حتى لتبلغ خمسين صفحة أحيانا فى المسألة الواحدة يقول الأستاذ متحدثا عن صنيعه[2] بدأت من جديد أقرأ ما كتب عن محمد رسول الله ﷺ فى مؤلفات القدامى والمحدثين وأحكم فيه القرآن بما جاء فيه عن محمد رسول الله ﷺ فصادفتنى فجوات (ومهاو) فى روايات أصحاب السير لا تنسجم مع هواية القرآن ، وألحّ علىّ الشك فى هذه المؤلفات وتوجهت الى كتب الحديث أقرأ فيها عن محمد رسول الله وإذا بى كلما أمعنت فى القراءة إزدادت علىّ مضايق الفكر من كثرة الاختلاف بين الروايات ، وكثرة الأغاليط فى الحقائق والمعانى .

---

(١) مجلة الاسلام ١٩٣٨/٣/٤ تحت عنوان (من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى الى معالى الدكتور محمد حسين هيكل

(٢) محمد رسول الله ﷺ ـ منهج ورسالة بحث وتحقيق ص ٧ جـ ١ من المقدمة

إلى أن يقول[1] « ورجعت أقرأ ما جمعت وما سجلت وأنقيه من غلس الأساطير ، ليبرز منه منهج الرسالة فى معالمها الواقعية فى التطبيق السلوكى الشامل لعناصرها فى الكليات والجزئيات .. وفى هذا الفصل تتجلى قوة الصراع بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والعواطف ، إذا قلما صادفتنى رواية فى معناها وموضوعها لم تعارضها رواية أو روايات أخرى ، وهنا تظهر عثرات الأكابر من ذوى الهالات المشهورة فى تاريخ التراث الإسلامى ولا سيما فى رصد روايات السيرة النبوية وأحاديثها وأحداثها وتتغلب العواطف على العقل ويقف العقل كالمتهم البرىء الذى لا يجد ناطقا بحجته ، وأخوض هذه اللجة حذراً من المزالق وجلا ممن أناقش لأنه اقتعد ذروة الشهرة والاستسلام لما يقول وحسبه عند المتعاملين أنه (فلان) ومن الذى يرد على فلان روايته أو قوله) .

وقول الأستاذ : إنه كان وجلا ممن يناقش لأنه اقتعد ذروة الشهرة والاستسلام لما يقول لا يطابق ما نراه فى تحقيقاته إذ كان جسورا جريئا غير هياب مع أعلام كبار من أمثال الطبرى وابن حجر والإسماعيلى والواقدى وابن تيمية وأبى حيان وابن اسحاق وابن كثير والزرقانى والسهيلى وابن القيم وأبى عبيد بن سلام وغيرهم ، كما اختص الأستاذ الإمام محمد عبده بمناقشات كثيرة اتسع فيها الى غير ما حدّ ولم يكن وجلا فى موقف ما من مواقفه الجهيرة وقد قرر — فيما قرر — أنه يرفض التلفيقات المفتعلة والاحتمالات الواهية فى كتابة السيرة المطهرة حيث يقول له[2]« وليس يحتمل هذا التلفيق وفرض الاحتمالات الواهية والتأويلات المتعسفة لحل إشكالات الروايات ، وتجميع الأقوال وكان يجب فى شرعة البحث الممحص الوقوف عند روايات الصحيح . فإذا وقع فيها التعارض . فلا يجوز أن يقحم عليها غيرها مما ليس فى قوتها سندا ، بل يجب الترجيح بأسباب تقتضى الترجيح ، ورد ما عسى أن يكون فيه عرضة للوهم » .

هذا ما قاله الأستاذ وقد التزمه فى كثير مما أيد وبدّد ولكنى أخذت فى مقال كتبته تحت عنوان « من أخطاء كتاب السيرة »[3] أنه لم يلتزم هذه الخطة فيما كتبه فى عرضه لبعض الروايات المدخولة عن لقاء الراهب النصرانى برسول الله ﷺ فى نفر من أشياخ قريش ، وكان معه — فيما تقول بعض الروايات — أبوبكر وبلال ورأى الجماعة غمامة تظل الرسول فى مسيره والشجر يمدّ ظله عليه فى مقبله » .

أقول مرددا ما قلته من قبل هذه الرواية ظاهرة الخطأ لذكر أبى بكر وبلال بها إذ أن أبا بكر رضى الله عنه لم يصحب رسول الله ﷺ فى رحلة ما قبل الهجرة وبلالا لم يكن فى حوزة أبى بكر قبل الإسلام فقد استخلصه من العذاب بعد أن آمن بالرسالة فكيف يكون مع أبى بكر فى رحلة قام بها رسول الله وهو غلام صغير ، وهذا النقد الواضح قال به كثير من المحققين وضعف الحافظ الذهبى ما لفقته الرواية

(١) محمد رسول الله ص ٨ جـ ١

(٢) محمد رسول الله ص ٤٢٤ جـ ٣

(٣) مجلة المنتدى شعبان سنة ١٤١٤ هـ

وقال ما نصه قوله : « وبعث معه أبوبكر بلالا » ضعيف ، لأن أبا بكر إذ ذاك لم يكن قد اشترى بلالا وأزيد عليه ولم يكن فى رحلة أبى طالب .. ولكن الأستاذ صادق الذى يكره التلفيق ويتأى عن الاحتيال فى محاولة التوفيق بين الروايات المتضاربة يقول[1] « ما الذى يُبعد أن يكون أبوبكر قد خرج فى هذه السفرة وهو غلام على نحو ما خرج عليه رسول الله ﷺ مع عمّه أبى طالب ، أو أن يكون أبوبكر قد آجر نفسه لبعض تجار قريش يكون معه حارسا أو مناولا ، أو رسولا كالذى نراه فى متعارف الناس .. وأما بلال فالاحتمال فى وجوده فى هذه السفرة أرجح ، إذ ما المانع أن يكون قد خرج فى هذه السفرة على صغره ليخدم بعض ساداته إذا كان قد استرق منذ الطفولة ، أو أن يكون أجيرا مع بعض أهله أو غيرهم ، ولما عرض حديث الراهب مع رسول الله رغب أبوبكر الى بلال رغبة رفيق الى رفيق » .

كم احتال الأستاذ فى تصحيح رواية لا تقف على قدمين ! وكيف وقع فيما حذّر منه ! ولعله بهذا التلفيق يعذر من يتقدمهم إذ هم بشر مثله ! أقول ذلك لا لأضائل من جهد الأستاذ الفخم فى تحقيق أحداث النبوة ولكن لأقرّ أن كل كاتب يخطىء ويصيب !

ونترك مجال التاريخ الى مجال آخر وآلى الأستاذ جهوده العلمية فى محيطه وهو الحديث عن يسر الإسلام وسماحته فى معاملة غير المسلمين وكانت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف وقد طلبت منه بحثا صغيرا يوجز الحديث عن سماحة الإسلام مع من لا يعتنقونه وحددت موعدا قريبا فنهض الأستاذ بكتابة بحث مركز ولكنه فى مرحلة الإعداد وجد من الأحكام والأحداث والوقائع ما يمتد بالبحث الموجز الى كتاب كبير ؛ فأخذ على عاتقه أن يستقل بدراسة هذا المنحى دراسة شاملة محيطة ترضى ضميره العلمى، بعد أن وقف على ذخائر مطوية فى ثنايا الكتب تحتاج الى جلاء كاشف ، وأخذ يُوالى البحث عاما بعد عام وهو فى كل قراءة مستوعبة يضيف الجديد الى ما يعلم حتى استوت له بعد اثنتى عشرة سنة موسوعة حافلة فى جزءين كبيرين بادرت دار سجل العرب بطبعهما تحت عنوان « الموسوعة فى سماحة الاسلام » وذلك أن تقدر حرص الباحث الكبير على الاستيفاء المتسوعب دون تفريط ؛ هذا الاستيفاء الذى تقاضاه أثنى عشر عاما لا يكّل ولا يهدأ عن قراءة تجلب نفعا ، وقارىء التراث القديم يدرك صعوبة البحث فى مطاوى الكتب الفقهية ذات التعبير الدقيق، ويزيد الأمر خطورة أن تكون بعض هذه الكتب مخطوطة متآكله متخرمة فلا تلقى ثمرها إلا بعد عناء كارب يطول ولا يقصر ، لقد كانت أهمية هذا الموضوع حافزة للأستاذ على الدأب حين (تتكاءده) المصاعب الثقيلة إذ رأى الأمر واجبا إسلاميا مفروضا على من يستطيعه فى وقت ظهرت فيه بعض البحوث الحمراء تفترى على الإسلام من التعصب ما هو منه براء ، وكل أدلتها المملولة مقتطفات من أحداث شاذة وقعت فى عصور الاضطراب والفوضى وقام بها من ينتسبون للإسلام اسما دون أن يدركوا سماحته الحانية ، وعدله الرحيم .

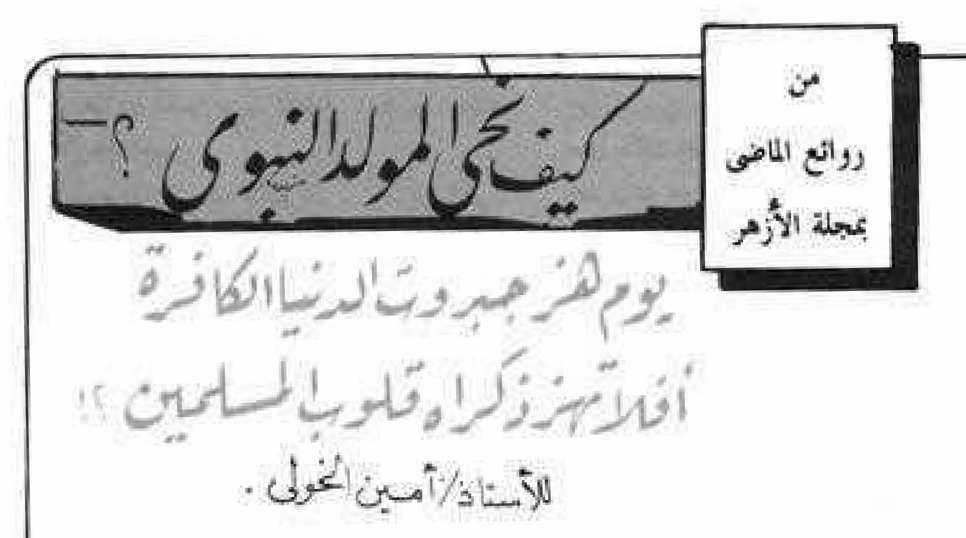
---

(١) محمد رسول الله جـ ١ ص ١٦٩ .

وأكثرهم أعاجم ربوا تربية عسكرية لا صلة لها بالروح الإسلامي وتنكروا لأولياء نعمتهم ممن تربوا فى أحضانهم فدبروا لهم مكايد القتل أو النفى الأبدى !! أفيؤاخذ هؤلاء على ما ارتكبوه مضافا الى شخصياتهم البغيضة ، أم يؤاخذ الإسلام وهو منهم براء .

هذا وللأستاذ فى حقل التفسير القرآنى جهد لاينكر فقد قام بتفسير سور : الأنعام والروم والسجدة والتوبة ولقمان فى حلقات تليفزيونية خارج مصر ولم تجمع بعد فى كتب خاصة ، والذين يعرفون اهتمام عرجون بكل ما يقوله يدركون مايضم هذا التفسير من أفكار مضيئة لا سيما إذا كان للأستاذ منهج خاص فى تفسير كتاب الله دعا إليه ملخصا مكررا فى كتابه المبسوط « القرآن الكريم هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين » وفى كتابه الموجز « نحو منهج لتفسير القرآن » وكلاهما متداول مطبوع وتدور فكرتهما بدءا على ضرورة الاهتمام بكتاب الله باعتباره مصدرا للهداية الانسانية ومنقذا للبشرية التائهة فى أودية البغى والفساد ! قبل أن يكون مجالا لمناقشات علمية تتعلق بالنحو والصرف ومباحث علم الكلام وضروب اللجاج بين الطوائف المتنازعة إذ تحاول كل طائفة أن تصطاد من آيات الكتاب ما تحسبه ناصرا لها فى ميدان الجدل السياسى أو العقدى حتى اختفى الوجه المشرق لمعانى القرآن فى ضباب كثيف يصد القارىء عن صراط الله المستقيم ! وهذه الدعوة النبيلة قد ارتفعت فى هذا العصر على لسان الأستاذ الامام محمد عبده رحمه الله وقد طبقها تطبيقا جيدا فيما أثر عنه من تفسير لكتاب الله حواه تفسير المنار معزواً إليه . كما استقل به تفسير جزء عم إذ هو على إيجازه الدقيق مثل شاخص لما يرجوه أصحابه هذا المنحى الجليل وقد تعرض الأستاذ صادق الى مؤاخذة الإمام المراغى والامام محمد عبده فيما اتجها إليه من تفسير بعض الآيات الكونية فى ضوء ما تمخض عنه العلم الحديث والأستاذ صادق نفسه قد جند هذا الاتجاه بشروط دقيقة لم تكن من ابتكاره الخاص ؛ بل كانت مما أشار إليه الأستاذ الإمام محمد عبده موجزا ووضحه الإمام المراغى تفصيلا فى المقدمة العلمية التى كتبها فى صدر (الاسلام والطب الحديث) وهو كتاب جيد نشر تباعا بمجلة الأزهر ثم جمعه مؤلفه الدكتور عبدالعزيز اسماعيل باشا وصدره الإمام المراغى بكلمته الواعية إذ دعا الى أن تكون الحقائق العلمية ثابتة لا تقبل النقض ، وأن تكون موضع الإجماع من العلماء بحيث لا يأتى الزمن بما ينقضها ، فنضطر الى تعسف التأويل ، كما دعا المراغى الى ان يكون النص صريحا كاشفا لايحتاج الى تأويل يتفق به مع المقررات الحديثة !! فإذا كان الإمامان الكبيران قد احتاطا كل الاحتياط ، فقد أوضحا الطريق، وأرى أن الأستاذ صادق فى مجال التطبيق قد وافقهما حين تحدث فى كتاب (نحو منهج لتفسر القرآن) عن بعض الآيات الكونية مهتديا بحقائق العلم الحديث .

هذه إشارات موجزة الى جهود الأستاذ صادق عرجون فى ميادين مختلفة من نواحى الثقافة الإسلامية ونحن نلفت إليها النظر لندفع قارىء اليوم الى استشراف هذه الجهود فى مظانها المتداولة ، ليقف على ماتضم من ثمرات دانية القطوف وارفة الظلال .



إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

كلما هل هلال ربيع المبارك ، هز نوره وبهاؤه قلوب المسلمين حبا لرسول الله ـ ﷺ ـ واحتفاء بمولده الكريم ، فالمسلمون في شتى أنحاء الأرض قد اجتمعوا على حبه ـ ﷺ ـ فهو القائل : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .. » .

نعم فالمؤمن الحق يحب رسول الله ـ ﷺ ـ أكثر من نفسه التي بين جنبيه .

ولكن التعبير عن هذا الحب ـ في صورة الاحتفال بمولده ـ ﷺ ـ يختلف باختلاف مشاعر المسلمين في شتى بقاع الأرض ، ويختلف باختلاف عاداتهم ...

ومع هذا الاختلاف تتباين صور الاحتفاء بمولده ـ ﷺ ـ ، فيأتي ما هو حسن محمود ، ويأتي ما يشوبه بعض أخطاء تنهى عنها الشريعة السمحة .

وقد تناول هذا الموضوع فضيلة الشيخ أمين الخولي ، يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ :

على هدى الذكرى ، تشيم عيون البصيرة ، ومآق القلوب ، نور النبوة ، فإذا طهر أطهر ، وبهاء بهير ، ونبل بغمر . هذا سنا السماء ، قد محا ظلام الغبراء ، وإنها للمحة يلمحها الحديد البصر ، ونفحة يتنسمها الملهم الحذر . فيأيها الشعراء بالحياة ، عشاق النور ، أولياء الحق ، هذا نعيم النفس فاغتبطوا ، ثم ما هذا النور المتألق ؟ ما هذا الجمع المتدفق ؟ أكلهم يهيم ويشيم ؟ واخجلتاه ! إنما هي جفان الثريد المترعة ، وبضع اللحم المشرعة ، وأقداح الشراب المروقة ، تتحلب لها أشداق ملتهمة ، وتضاحكها أفواه شرسة . هذا اهتزاز الممسوسين ، واختلاج المرورين ، وخداع الأفاكين ، يصطنع أكثرهم ذل الصوفية ، ويتصنع سمت الصالحين . هذه أعلام لا للكتائب ، ومراكب ليست من النجائب ، وجموع لا لحول ولا لصول ، ولا خير من عمل

أو قول ؛ لكنها داهية البطون الدهياء ، وفتنة الأوهام العمياء .

وهكذا فى دنيا الكهرباء ، وأسرار الكون مجلوة ، ودقائق العلم مفترعة ، والحياة متلهفة متطلعة ، مناضلة مكافحة يبتهج المسلمون على هذا النحو ، بذكرى سر النهوض ، وإكسير الغلبة والظفر ، وميلاد الدين والدولة والحضارة والمدنية ، فى شخص محمد ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ . فأعذنا اللهم من شر خذلانك ! .

حدثوا أننا تجددنا ، فرحنا نجدد قصة المولد ، نلتمس موقع الحقيقة من التاريخ ، ونصيب الحق من الرواية ؛ لنقول رشدا ، ونؤيد صوابا ـ عفا الله عنا ـ ! هل فهمنا ذكرى المولد ، ووجدنا ريح النبوة ؟ ليت ذلك يكون ! .

وإنى لأسوق هنا حديثا قديما معادا ، يفهم منه الحديث الأخير المجدد ؛ فقد حدثوا أنه لما ولد ـ عليه السلام ـ ، خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، فأضاءت له قصور الشام وأسواقها ، وقد رأى العباس رضوان الله عليه ، بعد أكثر من نصف قرن ، هذا النور ، واستضاء به ، مرجعه من غزوة تبوك ، إذ أراد مدح الرسول ـ عليه السلام ـ ، فقال :

وأنت لما ولـــدت أشرقت الـ
أرض وضاءت بنورك الأفـــق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ
ـــور وسبل الـرشاد نخترق

أما والله لقد كان نورا سارت الدنيا على ضوئه ، واخترقت سبل الرشاد بهديه ؛ فلن يعول الحق أن يقال : سقطت شرفات الإيوان لذلك المولد ؛ ففى الحق أن قد سقط الإيوان كله بعد حين بذلك المولد . ولن يضير التاريخ أن يقال : خمدت نار فارس بهذا المولد ؛ ففى التاريخ أن قد امحت نار فارس بعد يسير بذلك المولد ؛ وكذلك يأبى المؤرخ المدرك سنن الله فى كونه أن يرد الأحداث لساعتها ، ويعللها بأقرب مما باشرها ؛ وفى مثل هذا من إدراك السبب الصحيح ، والأصل الأول ، يتفاضل الدارسون ، ويتفاوت المفكرون .

وما إخال هذا القديم من حديث النور فى شعر العباس ، إلا أحدث ما يفهم به سر التاريخ وعلل الأحداث .

فهل نفهم المولد على ضوء هذا النور ؟ وهل نحيى المولد على هدى ذلك النور ؟!

ألا لو أنا ندرك البعيد بالقريب ، ونقيس الغائب على الشاهد ، ونحس وراء ظواهر الدنيا حقائق تسير هذه الظواهر ، ونواميس تتحكم فى هذا المتبادر ، لأدركنا النور النبوى إدراك العباس له ، وفسرناه تفسير العباس له ، ولأدركنا من قرب أن الشرق قاصيه ودانيه ، قد ألهته ظواهر الكون ، وخفيت عنه معانيه ، ولشعرنا أننا اليوم فى أضيق مما بين حجرى الرحى ، وأقطع من شفى المقص ، وما هو إلا نفس غاز خانق ، وآخر محرق ؛ فإذا نحن حديث فى التاريخ ، وعبرة لمن يدرك الحياة ، ويشعر بمكانه فيها .

لو أدركنا أن وراء السطح معانى ودقائق ، لأحلنا يوم المولد أجل من يوم عطلة ، ولعبة حلوى ، وقصعة ثريد ، وثريا نور ، وخرقة ملونة ، وهزة مجذوب ، وموكب ذكر ،

وموسم نكر . وأن نترك بعض ذلك والسائغ منه للأطفال والسذج والأغرار . فأين من إحياء هذه الذكرى نصيب المفكرين الكبار ، والمجاهدين الأحرار ؟!

ألا إن هذا المولد ذكرى ميلاد دين ، وأول حياة دولة ، ومشرق حضارة ، ومطلع حرية ، وبشرى اتحاد كلمة ، واجتماع شمل ، وتكوين أمة .

وما للشرق اليوم من ذلك كله قل ولا كثر ، فهل يلتمس عقلاؤه مواسم لمولده الجديد ، ومبعث عزه العتيد ، أجل وأسمى ، وأقرب إلى القلوب من موسم ذلك المولد !

فمتى ينتهي إحياء الكبار لهذا المولد وذكراه إلى عمل يوائم جلالته ، ويلائم عظمته ؟

ومتى نتناول الحياة تناولا جديا ، وننظر إليها نظرا عمليا ، ونعرف موقف الإسلام ورسالته فيها ؟

ومتى نستشعر عظمة تلك البطولة ، ونكبر تقاليدها ، ونقتبس من نورها ، وندرك أنها إنما كانت إحياء للحياة ، وتسييرا للدنيا ، فيكون إحياؤنا لعيدها مظهر إدراك سرها ، وآية فهم لبابها ؟

متى نوقن أن الإسلام خطة في الحياة ، وشرعة للمجد ، وسبيل إلى العزة ؟؛ فمواسمه جولات في الحياة ، وأعياده محافل للمجد ، وذكرياته مظاهر للعزة .

متى يكون إحياؤنا للمولد ، إن قولا ، فقول نافع ، لا لغو ذاهب مع الريح ، قول يزيد ثروة المعرفة ، فهو مثلا قول في تأليف ناضج يقدم يوم المولد عن دور من أدوار حياة الرسول عليه السلام ، أو تاريخ عصر من عصور تلك الحياة ، أو درس لجانب من جوانب عظمة تلك الشخصية ، فيظهر في ذلك اليوم فيمنح جائزة تجمع ما تفرق من جهد رجال القول اللاغي ، والصحافة الثرثارة ، في تكرار أقوال معادة مملولة ، ليس فيها جديد ولا بينها مفيد ؟ .

ومتى يكون إحياؤنا للمولد ، إن عملا ، فعمل من الإحسان المنظم ، يصرف ما يبدد في الهواء من أموال الاحتفاء الساذج بهذا المولد ، في موضع الحاجة من حياتنا ، ويسد عوزنا ، من الصحة ، والخلق ، والدين ؟ لقد ولد ـ عليه السلام ـ يتيما ، فما أجمل أن يكون مولده مفتتح منشأة تقي اليتامى وتستحييهم ، وترد على الأمة ضائع نبوغهم واستعدادهم .. وعاش ـ عليه السلام ـ فقيرا يجاهد للفقراء ، فما أجمل أن تكون ذكرياته عملا في مطاردة الفقر ، وتأسيس معاقل القضاء عليه ، وصون ما يبدد من جهد ، وعقل ، وخلق ؛ فكذلك تحيا الذكر ، وتخلد الأثر !

ثم متى يكون إحياؤنا لمولد الأمة والدين والحضارة إحياء لجانب من وجودنا ، وإعدادا لما نستطيع من قوة ، ومن رباط الخيل ، نلقى به عوادى الدهر ، وأحداث الزمن ، وجور الظلم ، فنبتهج في تلك الذكرى بما هو خليق بها من خطا جديدة في مسيرتنا نحو الغاية النبيلة التي كان مولد الرسول ـ عليه السلام ـ الخطوة الأولى في الاتجاه إليها ؟!

ثم متى يكون هذا المطلب في إحياء المولد خطة عاملة ، يؤيدها عزم أولي العزم منا ، وتفيض عليها بركة البطولة المحمدية ، وقوة الإرادة النبوية ؟!

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .



في المولد النبوي

شعر عمر عسل (*)

يا رسول الله هل تقبــل بعــد الشيب شعـــــرى؟
وصبايـــا كان وهما مفرطـــا فى كل أمـــرى
ملأ الــعشق قصيـــدى ناطقـــا فى كل شطـــر
خلـــق الله فؤادى شاعـــرا بالحسن يدرى
كانت الأقــلام نايـــاتى وأحلامـــى وعطـــرى
أطلـــق اللحـــن شجيـا فى ربـا الأهـرام يسرى

وأتى الشيب فأبكـــانى على زلات عمـــرى
يا رسول الله لى ماض يعذبنـــى ويـــزرى
رحمة أنت لكـــل الخلـــق تمحـــو كل عسر
هذه الليلـــة نورٌ منـــه قد أحـــظ بسر
وأنـــا أنظـــر حولى فأرى الأفـــاق يثرى
رغـم هذا كنت عـــبدا شاكـــرا بؤسى وفقـــرى
أعبـــد الله بلا شرك ولاظلـــم وكفـــر
أقـــرأ القـــرآن أدعـــو أن ينير الله قبرى
أطـــلب العفـــو وأرجـــو منـــه أن يقبـــل عذرى

(*) عضو اتحاد الكتاب .

محمد صلى الله عليه وسلم

للشاعر/ محمد التهامي

الدين عندك ملة سمحاء ... والحق نار في الورى وضياء
ياصاحب الدين الحنيف تحية ... تجزى بها آلاؤك الغراء
لما حملت البينات تلألأت ... في الخافقين من الهوى أضواء
وشرعت منهاج الصواب وطالما ... ضل الطريق مشرع وقضاء

• • •

حطمت أوهام العبيد فكلهم ... والمالكون رقابهم أكفاء
ما ضرهم أن قد تفرق لونهم ... فجميعهم فيما شرعت سواء
لا القوة الرعناء تحكم بينهم ... أبدا ولاتتحكم الأهواء
فالناس كل الناس فرد واحد ... لا فرق إلا تلكم الأسماء

• • •

لا الفقر يزرى بالفقير ولا الغنى ... يُطغى الغنىّ فتهلك الفقراء
فالمال في عنق الغنى أمانة ... يسعى بها فيما سعى الأمناء
فعليه من حق الزكاة فريضة ... ولكل من طلب العطاء عطاء
فالمال مال الله في عليائه ... والناس في ملك الورى شركاء

• • •

وفرضت أيام الصيام ليلتقى ... أهل الغنى في الجوع والبؤساء
وجعلت للحج المناسك يلتقى ... في ظلها وجلالها الغرباء
ولديك للآباء من أبنائهم ... في غير كفر طاعة عمياء
والأسرة البيضاء تخلق أمة ... في أصلها وفعالها بيضاء

• • •

حالفت أصحاب الكتاب فضمهم ... والمسلمين تعاهد وإخاء
وأخذت للحلفاء كل حقوقهم ... ممن هديت فكلهم نظراء
سيان عندك في القضاء أميرهم ... والعبد إن ضم الجميع قضاء
ومشى القوى لدى لوائك صاغرا ... لما احتمى بلوائك الضعفاء

• • •

ياسيدى حنت إليك جوانحى ... وتدلهت في حبك الأحشاء
واهتاجنى أنى إذا غسق الدجى ... وذكرت إسمك فالظلام ضياء
ياسيدى إنا نسير بقفرة ... زاد الهجير بها وقل الماء
ياسيدى كن للنجاة شفيعنا ... ياخير من شهدت له الشفعاء

يتساقطون تساقط الزهر

إهداء إلى روح الأخ والصديق الأستاذ/ محمد محمود فرغلي

للدكتور/ سعد ظلام

يتساقطون تساقط الزهر ... فى ميعة الإيراق والغمر
يتساقطون كأنهم ثمر ... من أفرع فينانة الثمر
يا « فرغلى » وأى فاجعة ... نالت من الأغصان والشجر
لما نعيت كأن صاعقة ... دكت حشودى من حس ومن فكر
فاعتلت الألوان فى صورى ... وارتاعت الألحان فى وترى
ومشى النعى على مشاعرنا ... مشى الخريف بخطوه العثر
الموتة الخرساء فى بصرى ... والظلمة السوداء فى قمرى

○○○

يوم الوداع .. ولا أصوره ... والحزن مرسوم على الصور
ما كان أثقله على وجداننا ... والهول يقدح فيه بالشرر

حملوك في يوم الوداع مكفناً
بالعلم في معراجه النضر

حملوا شهيداً مايزال يراعه
في حومة الأفكار والسهر

حملوك مثل الأولياء طهارة
مُتعطّراً بعطائك العطر

كل الصحاب وأنت عطرهم
يستبشرون مرارة السفر

يكون فيك سواكب المطر
وتبلج الإحساس والوتر

وأخا صدوقاً ما تغير وده
والدهر مجبول على الغير

قلب على مجرى النعيم مرابط
يفتر بالآيات والدرر

ينساب كالأضواء محتشداً
ويلذ مثل عذوبة النهر

ooo

قد كنت للحق العظيم منارة
والحارس اليقظان في السحر

متواضعاً كالحب .. إلا أنه
ريان من كأس السنا السكر

والأزهر المعمور ينعى عالماً
مازال ملء السمع والبصر

ينعاك فلذته .. وبحراً زاخراً
بالرأي والإفتاء والفكر

ركن من الأركان مال بناؤه
واندك تحت معاول الحير

من للشريعة فقهها وأصولها
بعد الفقيه الحافظ الذكر

ooo

من للشريعة معلماً وريادة
« كالفرغلي » الحاذق الحذر

أنا لا أصدق أن رحلت .. فلم تزل
فينا بروح رائم خضر

أنا لا أصدق أن رحلت فلم تزل
فينا بعلم وارف نضر

تتلو .. وتشرح أو توجه طالباً
وتجول بين الذكر والأثر

أحرمت معتمراً يتوق لربه
شوقاً .. وذاك لباس معتمر

ماذا نقول .. وإنه قدر
ما أجمل الإيمان بالقدر

ooo



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

لما أشرف عقبة بن عامر الجهنى ـ رضى الله عنه ـ على الموت ـ وهو فى مصر ـ جمع بنيه فأوصاهم ، فقال : يابنى أنهاكم عن ثلاث فاحتفظوا بهن : لاتقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة ، ولاتستدينوا ولو لبستم العباء[1] ، ولاتكتبوا شعرا فتشغلوا به قلوبكم عن القرآن .

الحاسد

يقول ابن المعتز : الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده .

الندم الحق

يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : ما ندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلى ، ولم يزد فيه عملى .

اختيار الله

اختار الله للفقراء ثلاثة أشياء ، وللأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار للفقراء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفّة الحساب .

واختار للأغنياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب .

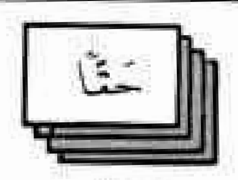


دار باقية

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت
أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى مادمت مجتهدا
وأعلم بأنك بعد الموت لاقيها

---

(١) العباء : كساء مفتوح من الأمام



قال بعض الصالحين :

طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ،
وارتجاء الشفاعة بلا اتباع السنة نوع من الغرور ،
وارتجاء رحمة الله مع المعاصى حمق وجهل .

تحدث إلى أحد ثلاثة

ولا تكلم الرابع

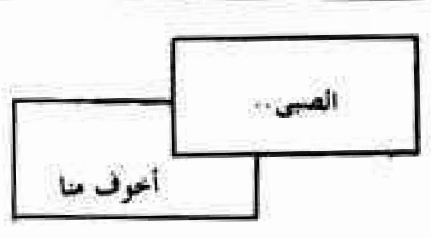
الناس أربعة ، فكلّمْ ثلاثة ولاتكلم الرابع :
رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه ، ورجل يعلم ويرى أنه لايعلم فكلمه ، ورجل لايعلم ويرى أنه لايعلم فكلمه ، ورجل لايعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه .

جاء فى أخبار الصالحين :

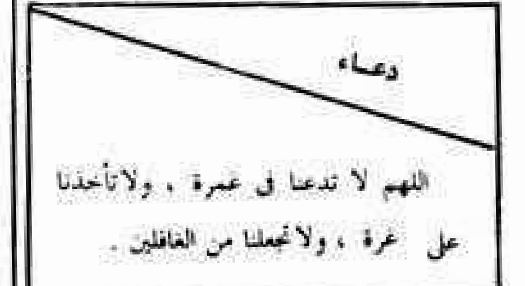
إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكاذبين ،
فأما توبة الصادقين ؛ فإنها شاملة لستة أمور :
الندامة على الماضى من الذنوب ،
والإعادة لما ضاع من الفرائض ،
ورد المظالم ،
وإذابة النفس فى الطاعة ،
وإذاقتها مرارة الطاعة كما ذاقت حلاوة المعصية ،
والبكاء مقابل كل ضحك ضحكه .

حقيقة

لكل داء دواء يستطب به
إلا الحماقة أعيت من يداويها



كان شيخ يمشى على شفا نهر ، فرأى صبيا يتوضأ وهو يبكى ، فقال الشيخ : ياصبى ما يبكيك ؟ فقال الصبى : قرأت القرآن حتى جاءت هذه الآية : « **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** » الآية ، فخفت أن يُلقينى الله فى النار ، قال الشيخ : ياصبى أنت معصوم ؛ فلا تخف ، إنك لاتستحق النار ، فقال الصبى : ياشيخ أنت عاقل ؟ ألا ترى الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم وضعوا أولا صغار الحطب ، ثم وضعوا الكبير ، فبكى الشيخ بكاءً شديدا ، وقال : إن الصبى أخوف منا من النار ، فكيف يكون حالنا ؟!!



العلوم الكونية

نعمة الماء أصل الحياة وإكسيرها

بقلم أ. د/ أحمد فؤاد باشا

الماء بين العلم والقرآن :

لاحظ الإنسان منذ القدم أن الأحياء النباتية والحيوانية تكون رطبة طالما هي حيّة ، فإذا ماتت جفت ، ومن هنا أحس بفطرته السوية التي خلقه الله عليها بأن الماء وثيق الصلة بالحياة وأهلها . وعندما نزل القرآن الكريم كان موافقاً لما أحسه الإنسان بالفطرة النقية ، فقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأنبياء)

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وأخذ العلم يكشف رويداً رويداً عن بعض جوانب هذه الحقيقة القرآنية إلى أن تأكد للعلماء بما لا يدع مجالاً للشك أن نعمة الماء ضرورية لوجود الحياة التي نعرفها وسبب رئيسي لاستمرارها، فلا حياة بلا ماء، حتى إن بعض العلماء يصفون الحياة بأنها « ظاهرة مائية »، إذ لا يوجد بين الأحياء كائن واحد، دق أو كبر، يستطيع الحياة بدون ماء. ولا يوجد تفاعل كيميائي واحد يحدث في جسم كائن حي إلا وللماء دور أساسي فيه. وكان هذا من أسباب الاهتمام المتزايد في عصرنا - بعد تقدم أبحاث الفضاء - بالبحث عما يدل على وجود الماء في كواكب أخرى غير الأرض حتى يرجح احتمال وجود مظاهر للحياة في هذه الكواكب.

ولا يفوتنا أن ننبه في هذا المجال إلى أن إشارات القرآن الكريم في آياته الكونية إلى حقائق يوافقها العلم الصحيح جاءت لكي تشوق الإنسان إلى طلب المعرفة بحقائق الأشياء، وتستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية لاستقراء لغة الكون وقراءة الآيات المبثة في جنباته، باعتباره كتاب معرفة للباحث المؤمن الموصول بالخالق الواحد سبحانه وتعالى. وهذا يعني أن الإنسان مطالب بمواصلة البحث العلمي السليم لتجلية المزيد من الحقائق المتعلقة بكل ما خلق الله في هذا الكون، بدءاً من الأرض التي يعيش عليها، فهي أصل وجوده، من ترابها ومائها خلق، وعلى صدرها وخيراتها يعيش، وإليها يعود ويتلاشى تراباً في ترابها، ومنها يبعث تارة أخرى، قال تعالى:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ طه: ٥٥

وقال عز من قائل:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

الملك: ١٥

ولقد جلى العلم الحديث بعض الحقائق المتعلقة بالماء وخصائصه الفريدة التي تؤهله للقيام بدور لا غناء للأحياء عنه. ومن يتعمق الأمر يجد أن أسرار الإعجاز في خلق الماء تكمن في أسلوب تكوينه وتصميم بنيانه.

تركيب جزيء الماء:

من المعروف أن جزيء الماء يتألف من ذرة واحدة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين. وهنا يتجلى الإعجاز الإلهي في خلق الماء من الهيدروجين الذي يشتعل بسرعة فائقة، والأكسجين الذي يساعد على الاشتعال، بينما الماء المكوّن منهما يستخدم لإطفاء النيران.

ومع أن جزيء الماء ككل يعتبر متعادلاً من الناحية الكهربية، أي لا تظهر عليه آثار الشحنة الكهربية، إلا أن نواة ذرة الأكسجين الأكبر حجماً تجذب من الألكترونات السالبة عدداً أكبر مما تجذبه كل من ذرتي الهيدروجين. ويمكن تمثيل جزيء الماء هندسياً في الفراغ بشكل رباعي تكون فيه ذرتا الهيدروجين غير موزعتين توزيعاً متماثلاً، حيث ترتبطان كلتاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة. ويشكل هذا الوضع بنياناً هندسياً عليه شحنة كهربية سالبة في جانب وشحنة موجبة في

الجانب المقابل ، أى يكون لجزىء الماء قطبان كهربائيان مختلفان ، ومن ثم يوصف بأنه « قطبى » أو « ذو قطبين » . ويعزى إلى ظاهرة « القطبية » هذه تفسير العديد من خصائص الماء الفريدة مثل قدرته الفائقة على اذابة عدد كبير من المواد ، وما لا يستطيع الماء إذابته تماماً لأى سبب من الأسباب يستطيع فى كثير من الأحيان تفكيك دقائقه وحمله معلقاً أو مستحلباً فيه .

ومقدرة الماء الهائلة على اذابة المواد تؤهله للقيام بوظيفته الكبرى كحامل وناقل فى جسم كل كائن حى ، وتؤهله أيضاً لأداء دور رئيسى فى كل التفاعلات الحيوية ، وفى التخلص من السموم والنفايات ، وهذا كله فضلا عما يقوم به الماء فى التربة من إذابة المواد اللازمة لتغذية النبات ، وعمله الدائب فى تشكيل سطح الأرض وتحويل مكوّناتها من حال إلى حال .

تماسك جزيئات الماء :

يواصل الباحثون دراساتهم الفاحصة لتركيب جزىء الماء ، فيكتشفون أن شحناته الكهربية تستطيع جذب الشحنات المخالفة فى الجزيئات المجاورة ، حيث تتجاذب أطراف الهيدروجين الموجبة مع أطراف الأكسجين السالبة وترتبط الجزيئات مع بعضها البعض بروابط تحفظ حالة السائل وتماسكه فى درجات الحرارة المعتادة . وهنا يتميز الماء بخاصية جديدة تجعل قوة تماسك جزيئاته أقوى من تماسك أى سائل آخر ، فيما عدا الزئبق ، ولكن الماء يفضل الزئبق فى أنه ينتشر على الأسطح ويجرى عليها بسهولة ، فهو يجمع بين التماسك وقابلية الالتصاق ، بعكس الزئبق الذى يمنعه تماسك جزيئاته الشديد من الالتصاق بأى سطح .

وتماسك جزيئات الماء مظهر آخر يبدو فيما يعرف بظاهرة التوتر (أو الشد) السطحى التى تجعل سطح الماء أشبه بغشاء قوى مرن . فإذا وضعت إبرة من حديد فوق سطح الماء برفق لظلت محمولة بغشاء يحول دون أن تغوص بالرغم من زيادة كثافتها كثيراً عن كثافة الماء . وكثير من صغار الكائنات ، مثل البعوض ، تستطيع أن تمشى فوق سطح الماء أو تتدلى منه بطريقة مدهشة . وأبسط وسيلة لإيضاح تماسك الماء وتوتره السطحى هى ملاحظة شكل قطرات الماء التى تتساقط من الصنبور تباعاً فى تؤدة وبطء وكأنها مشدودة إلى بعضها بسلك فضى !!

وبفضل تماسك الماء وقابليته للالتصاق يكتسب خاصية ثالثة بالغة الأهمية تجعله يصعد تلقائياً فى الأنابيب الشعرية الدقيقة ضد جاذبية الأرض ، وهو ما يعرف باسم « الخاصية الشعرية » .

ويعزى العلماء إلى هذه الخصائص مجتمعة كل الأعمال الخارقة التى يقوم بها الماء عندما يرتفع من أطراف جذور النباتات المتعمقة فى باطن الأرض إلى قممه السامقة فى الفضاء والتى قد تبلغ فى مداها نحو أربعمائة متر فى بعض أنواع الأشجار العملاقة . وهذه الخصائص ، بالاضافة إلى صغر كثافته وضآلة لزوجته ، هى التى تيسّر حركته بين الخلايا فى النبات والحيوان وتساعده على المرور من أغشيتها ، كما أنها تمكن الدم من أن يتم دورته فى الأجسام لضخ القلب له .

السعة الحرارية للماء :

يعمل الماء على تنظيم توزيع الحرارة فى الأحياء وبيئاتها بفضل ما يتمتع به من قدرة عالية على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها . وتقاس هذه القدرة بكمية فيزيائية تسمى « السّعة الحرارية النوعية » ، فكلما كانت السعة الحرارية للمادة الكبيرة ، كما فى حالة الماء ، كان معدل تسخينها وتبريدها أقل . وهذه الخاصية هى التى تجعل مياه البحار والمحيطات متميزة بثبات مستقر فى درجة حرارتها يساعد على حماية أحياء كثيرة من تقلبات الجو . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى جسم الكائن الحى ذاته ، فإذا عرفنا أن التفاعلات الكيميائية الحيوية تتم على نحو أمثل فى حدود ضيقة من تغير درجة الحرارة لأدركنا قيمة هذا الثبات الحرارى للأحياء .

والسعة الحرارية الكبيرة للماء تعنى أيضاً أنه يتطلب مقداراً عظيماً من الحرارة لكى يتبخر . وهذه نعمة كبرى لكثير من الأحياء عندما يتبخر الماء من فوق جلودها مستنفداً من حرارة أجسامها مقداراً كبيراً فيبردها بالقدر اللازم لثبات حرارتها ، كما أنه يعينها على العيش إذا ارتفعت حرارة الجو من حولها دون أن تتعرض للهلاك . ويعتمد الإنسان وكثير من الثدييات على الغدد العرقية فى إخراج الماء اللازم لتبريد الجسم بالتبخر .

فضلا عن هذا كله ، يبقى الماء على حالته السائلة فى جميع أنحاء الأرض فى مدى واسع من درجات الحرارة المعتادة بفضل سعته الحرارية الكبيرة ، وبذلك يظل صالحاً للقيام بوظائفه الضرورية فى حياة الأحياء وبيئاتها ، إلى جانب دوره الحيوى بالنسبة لكوكب الأرض فى جملته ملطفاً من قسوة التقلبات العنيفة فى حرارة الهواء واليابسة .

كثافة الماء لا تنصاع للقاعدة :

المعروف علمياً أن جميع السوائل تزداد كثافتها كلما بردت حتى تتحول إلى الحالة الجامدة ، والماء فقط هو الذى يشذ عن هذه القاعدة العامة عندما يقترب من درجة التجمد . ذلك أن كثافته تزداد كلما بُرِّد حتى تبلغ أقصاها عند درجة ٤°م ، ولكنها لا تلبث أن تقل مع حدوث زيادة فى الحجم عندما يتجمد الماء عند درجة الصفر المئوى . ويُعد هذا الاستثناء إعجازاً فى إحكام تدبير الخالق سبحانه وتعالى ، حيث تترتب عليه نتائج هامة للأحياء . فعندما يتجمد الماء ويزداد حجمه فإنه يخف ويطفو فوق أسطح البحيرات ونحوها ويكون طبقة عازلة تحفظ الماء تحتها من ازدياد برودته وتجمده ، فتظل الأحياء فيه حيَّة سابحة مسبحة بقدرة خالقها وواسع رحمته . ولو كان الماء قد انصاع للقاعدة العامة لكان الثلج أثقل فغاص فى الأعماق ولا ستعصى على الانصهار عند دفء الجو ، ومن ثم كانت البحار والأنهار والبحيرات فى المناطق الباردة تزداد تجمداً عاماً بعد عام حتى تصبح مناطق جليدية دائمة لا تصلح للحياة ، فضلا عن أنها تكون قد اختصرت جزءاً كبيراً من رصيد الأحياء عامة من ماء الحياة .

الماء مصدر متجدد للطاقة :

يعتبر الماء أحد مصادر الطاقة المتجددة التى تعلق عليها البشرية آمالها ، خاصة وأن المصادر التقليدية من الفحم والبترول والغاز الطبيعى توشك على النفاد . وتتركز الدراسات التى يقوم بها الباحثون فى هذا المجال حول طرق الاستفادة من الفرق فى درجة حرارة مياه البحار والمحيطات ، وحركة أمواج البحر ، وظاهرة المد والجزر ، وطاقة المياه الساقطة نتيجة عبورها حاجزاً طبيعياً كالشلالات أو حاجزاً اصطناعياً كالسدود ، والطاقة الملحية الناتجة من امتزاج مياه الأنهار العذبة بمياه البحار المالحة ، والطاقة الحرارية المختزنة فى البرك الشمسية الضحلة المعرّضة للإشعاع الشمسى ، وطاقة البخار المتصاعد من الينابيع الحارة ، وعملية التحليل الكهربى للماء لإنتاج الهيدروجين واستخدامه كوقود .

وأهم ما يميز كل صور الطاقة المتولدة من المياه أنها نظيفة ، فلا تسبب أى تلوث صحى ، كما أنها لا تهدد بالأخطار التى يتوقع حدوثها من مصادر أخرى كالطاقة النووية مثلا .

الماء مصدر متجدد للأكسجين :

إذا كان الأكسجين اللازم لتنفس الأحياء يمثل جذوة الحياة ، فإنه أيضاً يأتى من الماء فى عملية البناء الضوئى التى تقوم بها النباتات الخضراء لتكوين غذائها . ولعل أبلغ مثل على العلاقة العضوية بين الماء والحياة ما نراه من الصحراء الجرداء بعد هطول الأمطار عليها ، فإنه سرعان ما تدب فيها الحياة وتكتسى بالخضرة والزهر والثمار من كل لون وينشط فيها عديد من أنواع الحيوان فتبارك الله الحكيم الخبير القائل فى محكم التنزيل

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٥)

سورة الحج

هذه بعض الحقائق العلمية التى كشفت عن بعض جوانب الإعجاز فى خلق الماء وصفاته الفريدة ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾

لقمان : ١١

أسانيد المقال :

١ ــ د. عبدالحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم ، عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ، الكويت ١٩٨٢م .

٢ ــ د. أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨م .

٣ ــ د. محمد رأفت إسماعيل رمضان ود. على جمعان الشكيل ، الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦م .





للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

ليس مرض الطفل كمرض « الراشد » فإن هذا الأخير يمكنه أن يحدد ألمه ومدى إحساسه به ، ويتعاون مع طبيبه إذا ما طرح عليه أعراضه ، وإذا ما طلب إليه التزام أحوال معينة فى طعامه وشرابه ودوائه .

إننا نفتقد فى الطفل ذلك كله .

من هنا ظفرت أمراض الطفولة من الطب والأطباء بأكبر جهد من العناية ومواصلة البحوث حتى يتمكن الطبيب المعالج من التشخيص الدقيق السليم أمام هذه الأجساد الغضة التى قد تكون فى سن لا تنطق فيها ولا تبين .

من تلك الأمراض التى تصيب الطفولة مرض : « الحمى الروماتيزمية » .

● ● ●

والحديث عن هذه الحمى يتعين أن يتجه إلى الآباء ، بتبصيرهم بواجبهم حيال هذا المرض ، وما يستوجبه من واجب نحو المريض تجنباً لمضاعفات خطيرة يؤدى إليها التهاون إزاءه .

وكان ـ حتماً أيضاً ـ أن يتجه إلى التعريف بهذا المرض : « الحمى الروماتيزمية » حتى تعى الأسرة منه ما تقف به على العلم بخطورته ، وواجبها نحوه ، وما ينبغى أن تسرع بعمله .

● ● ●

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

الحمى الروماتيزمية مرض عضوى ، يصيب أعضاء كثيرة هامة فى جسد الطفل أهمها :

القلب ، والمفاصل ، وأجزاء معينة من الجهاز العصبى المركزى ، والجلد ـ والأنسجة الكامنة تحت الجلد .

وتكمن خطورته عندما يصيب القلب ، وخاصة إذا تكررت الإصابة بهذا المرض .

يصيب هذا المرض المفاصل محدثا بها « إلتهابا » يشفى منه الطفل بعد فترة وجيزة من الزمن .

كذلك الحال بالنسبة لإصابته الجهاز العصبى المركزى ، حيث يبرأ الطفل منه بعد فترة من الزمن ، قد تطول أو تقصر ، غير مخلف أية آثار مزمنة ، أو تلف ، فى أنسجة المخ .

أسباب ، وكيفية حدوث ، الحمى الروماتيزمية :

تنجم « الحمى الروماتيزمية » عن تضافر عوامل عدة تتلخص فى الآتى :

أولا : العامل « الميكروبى » :

يسبق حدوث الحمى الروماتيزمية ، إصابة الطفل بنوع من « البكتريا » الواسعة الانتشار ، التى تعرف « بالبكتريا المكوّرة السُّبحية حالّة الدم : Group A — beta — hemolytic strepto cocci .

هذه البكتريا تحتوى على عدة بروتينات ، أهمها : « البروتين (م) » M-Protein الذى يُعدُّ مسئولا ـ مع الطبقة الخارجية المغلّفة للبكتريا The Capsule ـ عن مقاومة البكتريا للالتهام ، بواسطة كرات الدم البيضاء .

وتصيب هذه البكتريا الطفل فى أول الأمر ، بالتهاب اللوزتين الحاد ، أو البلعوم ، وإذا أهمل العلاج ، فقد يترتب على ذلك ـ فى بعض الأحيان ـ إصابة الطفل : بـ « الحمى الروماتيزمية » .

كيفية حدوث الإصابة :

أمام الطب ثلاث نظريات طُرحت على بساط البحث ، محاولة تفسير كيفية تأثير هذه البكتريا ، بعد إصابة الطفل بها ، محدثة الحمى الروماتيزمية ، بعد مرور فترة من الزمن ، تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع حيث تؤدى إلى :

إتلاف عضلة القلب Myocardium .

وبطانة القلب Endocardium .

والغشاء المفصلى Synovium .

وأجزاء محددة من الجهاز العصبى المركزى : The central nervous system .

أولى هذه النظريات : « نظرية الغزو المباشر Direct Invasion Theory » وتفترض هذه النظرية أن إصابة القلب تحدث نتيجةً لتلف صمامات القلب ، بعد إصابتها بالغزو البكتيرى مباشرة ، وتستند هذه النظرية إلى تجربة تمّ فيها زراعة أجزاء من أنسجة قلب بعض المرضى بالحمى الروماتيزمية ، بعد وفاتهم فأظهرت وجود هذه البكتريا فى المزرعة غير أن المزيد من الدراسات والفحوصات الدقيقة لم تستطع أن تجزم بالبرهان القاطع صحة هذه النظرية .

ثانى هذه النظريات « نظرية التأثير المباشر للإنزيمات والسموم ، التى تفرز من البكتيريا المكـــورة السبحيـــة حالـــة الـــدم

Theory of Direct effect of Strepto coccal toxins and enzymes وتفترض هذه النظريـة أن المرض يحدث نتيجة للتأثير المباشر للإنزيمات والسموم ، التى تفرز من هذه البكتيريا وبخاصة السم الذى يؤدى إلى تحلل الدم « Streptoly sin O » ومما يؤيد هذه النظرية ، أن الحمى الروماتيزمية لا تحدث نتيجة لإصابة الجلد بهذه البكتيريا ، حيث يتم إبطال مفعول هذا السم بمادة الكوليسترول الموجودة بكثرة فى الجلد . ولكن هذه النظرية لم تثبت أيضاً بالدليل القاطع .

ثالثاً وأهم هذه النظريات : « النظرية المتعلقة بالمناعة Immunological » وتفترض هذه النظرية وجود علاقة مناعية مماثلة بين « الأنتيجين ـ أو مُولّد المضاد Antigen » ، الخاص بهذه البكتيريا ، وذلك الخاص بأنسجة القلب .. وعندما يتعرض جسد الطفل للإصابة بهذه البكتيريا فإنه يبدأ فى تكوين أجسام مضادة تتفاعل مع أنسجة القلب مسببة لها الإتلاف ، وتستند هذه النظرية على عدة براهين أهمها : مرور فترة من الزمن ـ تتراوح ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع ـ بين الإصابة بالبكتيريا وحدوث الحمى الروماتيزمية ، حيث يتم تكوين الأجسام المضادة بواسطة الجهاز المناعى لجسد الطفل فى هذه الفترة .

● ● ●

ثانياً : العوامل المتعلقة بالإنسان المصاب : The host وتشمل :

١ ـ سن المصاب :

يعتبر السن الأكثر عرضة للإصابة بهذا المرض الوبيل هو السن الذى يتراوح بين خمس سنوات وخمسة عشر عاماً ويندر حدوث هذا المرض للأطفال فيما دون الخمس سنوات ، وكذلك للبالغين بعد سن الثلاثين .

٢ ـ جنس المصاب :

عادة ما تكون الإناث أكثر تعرُّضاً إلى حد ما ، للإصابة بهذا المرض .

٣ ـ العامل الوراثى :

لوحظ عند أخذ التاريخ العائلى للمرض أنه فى بعض الأحيان يوجد أفراد من نفس العائلة مصابون بالمرض ، مما أدى إلى الاعتقاد بأن هذا المرض يخضع لعوامل وراثية جينّية ، ولكن هذا العامل لم يتم إثباته بالدليل القاطع بعد .

٤ ـ العوامل الاجتماعية :

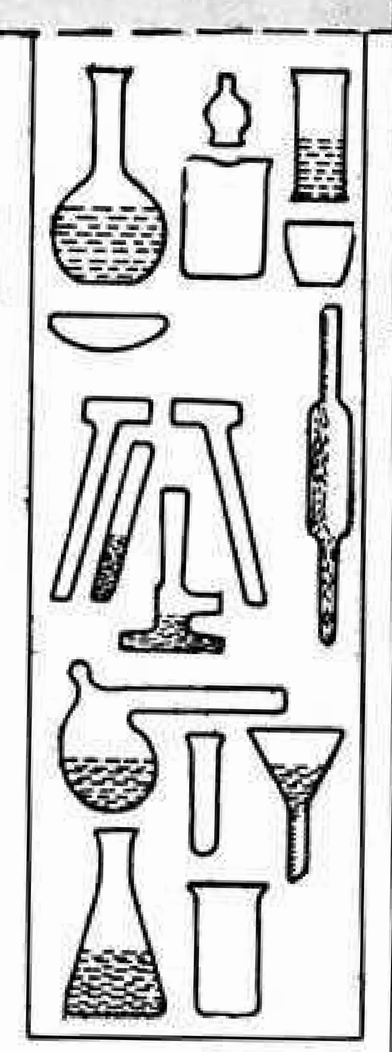
مما لا شك فيه أن هذا المرض ينتشر بكثرة فى الدول النامية وخصوصاً بين أفراد الطبقات الفقيرة ، وتعليل هذا شديد الوضوح : حيث إن الفقر ، والازدحام الشديد ، والمنازل الغير صحية ، وإهمال علاج الطفل عند إصابته بالتهاب الحلق ، كلّ ذلك يؤدى إلى حدوث هذا المرض فانتشاره .

وفى المقال التالى سوف نُلقى الضوء على أعراض ووسائل تشخيـص مرض الحمـى الروماتزمية ، ثم نُتبع ذلك بالحديث عن وسائل الوقاية والعلاج .

(يتبع)

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ نجوى السيد أحمد



١ ـ جهاز جديد لقياس سكر الدم

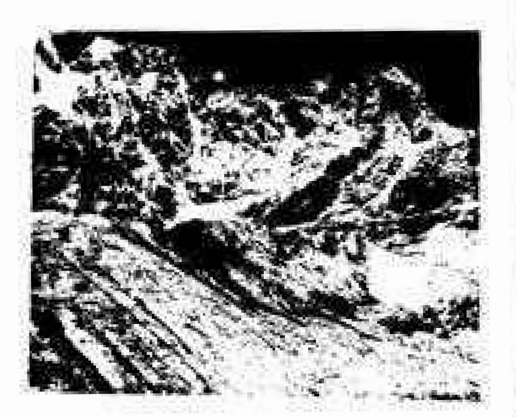
تم إنتاج أحدث وأصغر جهاز لقياس نسبة السكر فى الدم بدون عينة من الدم حيث يوضع أصبع مريض السكر فى الجهاز الذى يصدر نبضات من الأشعة تحت الحمراء تتحلل عند اختراقها للأصبع وبواسطة تحليل إحصائى معين يمكن معرفة نسبة السكر فى الدم .

٢ ـ حاسب آلى لكفاءة شبكات التليفونات

ابتكر خبراء الاتصالات بفرنسا نظاما الكترونيا حديثا يؤدى إلى تحسين الخدمة التليفونية . ويتكون هذا النظام من حاسب آلى يتحكم فى أكثر من ألف مكالمة تليفونية فى نفس اللحظة ويمنع حدوث

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

تداخل بينها ، كما يستطيع تحديد الأعطال التليفونية وأماكن حدوثها وتحديد طبيعة كل عطل مما يساعد على زيادة فاعلية عمليات الإصلاح والصيانة .



٣ ــ صخور القمر لتوليد الطاقة .

أكد أحد العلماء بالمعهد القومى اليابانى لعلم الاندماج النووى إمكانية استخراج غاز « الهليوم ٣٠ » من صخور القمر والهيدروجين من ماء البحر وادماجهم تحت درجات حرارة فائقة لتوليد طاقة رخيصة تكفى هذا العالم دون إشعاع نووى ضار ، واقترح إنشاء محطة فضائية دائمة على سطح القمر لقطع الأحجار ونقلها إلى الأرض .

٤ ــ الألياف الصناعية لانتاج دراجة جديدة .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة الدراجات دراجة جديدة مصنوعة من الألياف الصناعية الكربونية يبلغ وزنها أقل من ٢ كيلوجرام ورغم خفة وزنها إلا أنها أقوى صلابة من الدراجات العادية .

٥ ــ جهاز تحذير من النوبات القلبية .

صممت إحدى الشركات اليابانية جهاز تحذير من النوبات القلبية على هيئة ساعة يد ينبه باقتراب الاصابة بنوبة قلبية وذلك قبل ساعة من حدوثها مما يتيح الوقت الكافى لاتخاذ الاجراءات الوقائية المطلوبة ، حيث تقوم الساعة برصد الكترونى لاشارات القلب من خلال النبض عند الرسغ ، وعند حدوث أى تغييرات مفاجئة تقوم باطلاق الجرس التحذيرى .

٦ ــ أجهزة دقيقة لتصوير التضاريس فى قاع المحيط .

أنتجت احدى الشركات البريطانية المتخصصة أجهزة تصوير دقيقة تستطيع تصوير تضاريس الأرض تحت المياه بكفاءة عالية ويمكنها ان ترسل موجات صوتية من تحت الماء ثم تستقبل انعكاسات طبيعة الأرض البحرية وتعطى صورة شاملة واحصائيات مكتملة وتفصيلية لتضاريس الأرض على شاشات الكمبيوتر ، ويمكن لسفينة تسير بسرعة خمسة عشر كيلومترا فى الساعة أن تجرها وتصور فى العمق لمسافة ستين كيلومترا من أرضية البحر .

٧ ــ فاكس « جيبى » جديد .

تمكنت إحدى الشركات اليابانية للألكترونيات من انتاج فاكس جيبى جديد صغير الحجم حيث بلغت أبعاده ٢,٨×٥,٨×٨,٥ سم ويزن حوالى ١٠٠ جرام ، وتنحصر مهمته الأساسية فى ضغط الرسائل لتتناسب مع حجمه ، كما أنه يقوم من تلقاء نفسه بكشف الأخطاء ويستقبل الفاكسات المختلفة ويرسلها بسرعة .

٨ ـ خلايا شمسية متطورة .

تمكّن عالمان يعملان بالمعهـــد السويسري الاتحادي فى لوزان من إنتاج خلايا شمسية متطورة تتفوق الى حد كبير على الخلايا الشمسية الحالية سواء من جهة التكاليف أو انتاج الطاقة وتمكنها تحويل ضوء الشمس الى طاقة بكفاءة عالية حتى أثناء انتشار السحب وتتكون الخلية الشمسية الجديدة من سطح خشن من ثانى أكسيد التيتانيوم شبه الموصل ومغطى بطبقة خفيفة من صبغة ماصة تقوم بامتصاص مختلف أطوال موجات الضوء المرئى ، وبذلك تستطيع أن تعمل بطريقة أفضل فى الأماكن التى تغيب عنها الشمس .

٩ ـ عدسة بلاستيكية للعين .

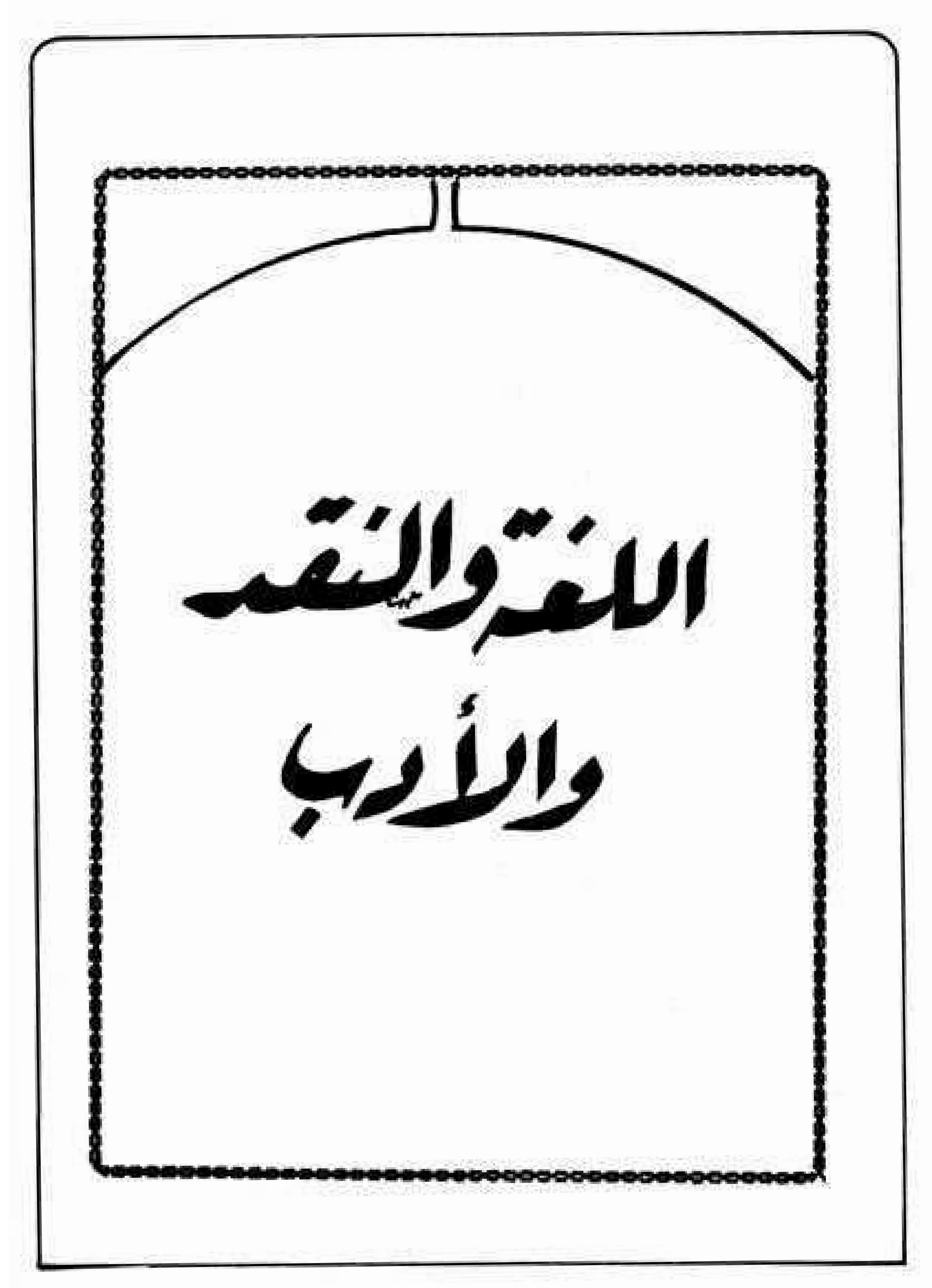
طورت إحدى المعامـــل الأمريكيـــة عدسة بلاستيكية دقيقة جدا وتستطيع تركيز الضوء بالعين سوف تحل محل العدسة الطبيعية للعين التى تكون مصابة بالإعتام نتيجة المرض واستخدم الباحثون إشعاعات أيونية لحفر تجاويف دائرية صغيرة فى العدسة حيث تقوم حواف التجاويف بتحييد الضوء وتركيزه على الشبكية ، ويمكن للجراحين زراعة هذه العدسة فى العين المصابة أو استخدامها كعدسة لاصقة لتقوية النظر .

١٠ ـ الضوء يؤثر على الجينات النباتية .

الضوء بالنسبة للنباتات ليس مجرد مصدر للطاقة فى التركيب الضوئى بل إنه أكثر من ذلك فهو يملى على النبات موعد تبرعمه وكيفية نموه ، ومتى يزهر ؟ ومتى يهرم ؟ ولكى يقوم بهذه الأمور جميعا لابد له من أن يؤثر فى جينات النبات . وقد تم التوصل الى تحديد أجزاء من « د. ن. أ » DNA تقوم بدفع الجينات للعمل أو توقفها وذلك استجابة للضوء وسوف يساعد هذا الاكتشاف العلماء على هندسة محاصيل أفضل .

١١ ـ شبكة حاسوبية جديدة لبيئة الأرض .

قام بنك معلومات الموارد الأرضية بالولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء شبكة حاسوبية جديدة لدراسة خصائص الأرض . ينظم هذا المركـــز المعلومات البيئية التى تجمع من مصادر مختلفة من العالم ويحللها ثم يخزنها وبعد ذلك يحولها الى معلومات مفيدة يسهل الحصول عليها فى شكل خرائط أو جداول أو صور تظهـــر جميعهـــا على شاشة الحاسوب ، ولا يتوقف عمل هذه المنظومة على تحديد منطقة تجمّع الموارد وتوزيعها ، بل تسمح بتحليل وتفاعل عدد كبير من المتغيرات البيئية مثل الحدود السياسية والطبيعية والارتفاعات والأتربة وسقوط الأمطار والأوزون والتغيرات الجوية والكثافة السكانية وغيرها .



اللغة والنقد والأدب

الأزهر والمراصفة والأدب

١

الشيخ حسين أحمد المرصفي

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

شهد الأدب العربي ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، ثلاثة من أمراء البيان ، يمثلون أضلاع المثلث الذهبي ، في الشعر ، والنثر ، والنقد الأدبي . هم حسب هذا الترتيب : محمود سامي البارودي (١٨٣٨هـ - ١٩٠٤م) وعبدالله فكري (١٨٣٤ - ١٨٨٩) وحسين بن أحمد المرصفي (١٨١٥ - ١٨٨٩) .

وكانوا - مجتمعين - هم عُمُد النهضة التي شهدها الأدب العربي في العصر الحاضر ، وكل منهم يُكمل صاحبيه ، وجاءوا جميعاً ، بعد فترة الجمود والركود التي رانت على الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، في ذلك الوقت ، وتفاعلت خلال قرون العصر العثماني في مصر .

كانوا ثلاثتهم بمثابة رد فعل ثقافي للحملة الفرنسية على مصر ، بعدما أحدثته - بالمكتبة والمطبعة والصحيفة - من أثر بعيد المدى ، وبصفة خاصة ، على الحياة الثقافية .

وسنقتصر اليوم على الحديث عن الشيخ حسين ابن أحمد المرصفي، الذي يكبر البارودي ويسبقه في الميلاد بثلاثة وعشرين عاماً ، كما يكبر عبد الله فكري بتسعة عشر عاماً ، ومن ثم فقد كان البارودي وعبد الله فكري بمثابة تلميذين للمرصفي ، وكيف لا وقد ، أخذ عنه كبار الأدباء في عصره من أمثال البارودي وعبد الله فكري ، وصاحبوه ولازموه ، وعرضوا عليه بيانهم ، فهذّى ونقّح وهذّب ... »[1] .

أما ما ذهب إليه الدكتور جمال الدين الرمادي في اعتباره أن الدكتور طه حسين قد تتلمذ على

١ - انظر كتاب (المفصل في تاريخ الأدب العربي) للأستاذ أحمد الاسكندري وآخرين طبعة ١٩٣٤ ج ٢ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

الشيخ المرصفى صاحب (الوسيلة الأدبية) وأنه تعلم منه فنون الأدب القديم ، ودفعه إلى الانتهال من معين التراث العربى التليد ، ولزمه أربع سنوات ، ولم ينقطع عن دروسه أو يتخلف عن مجلسه إلخ »[1] فقول مجانب للصواب ؛ لأن طه حسين ولد عام ١٨٨٩ أى فى السنة التى انتقل فيها حسين المرصفى إلى رحمة الله ـ تعالى . ولا شك أن الأمر قد التبس على الدكتور الرمادى ، فخلط بين الشيخ حسين المرصفى ، وأحد (المراصفة) الآخرين ، وهو الشيخ سيد بن على المرصفى المتوفى عام ١٩٣١ ، الذى كان أستاذاً لطه حسين بالفعل ، ولصاحبيه : أحمد حسن الزيات ومحمود زناتى ، وعنه يقول طه حسين فى كتابه (تجديد ذكرى أبى العلاء) : « أستاذنا الجليل سيد بن على المرصفى ، أصح من عرفت بمصر : فقهاً فى اللغة ، وأسلمهم ذوقاً فى النقد ، وأصدقهم رأياً فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام »[2] .

حياتـــه ونشـــأته :

ولد بقرية (مَرْصِفَى) مركز « بنها ـ قليوبية » عام ١٨١٥ م ـ وقد أنجبت هذه القرية العديد من الأدباء والشعراء الذين لُقِبّوا باسمها ، من أمثال :

الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، الذى كان زميلاً للشيخ حسين المرصفى فى التدريس بدار العلوم ، لمادتى التفسير وعلم مصطلح الحديث .

والشيخ زين المرصفى أستاذ السلطان حسين قبل توليه حكم مصر .

والشيخ محمد نائل المرصفى صاحب مجلة (الجديد) التى أصدرها منذ ستين عاماً .

والشيخ سيد بن أحمد المرصفى ـ الذى تحدثنا عنه آنفاً ، أستاذ طه حسين وصاحبيه : الزيات وزناتى ، وصاحب كتاب « رغبة الآمل من كتاب الكامل » للمبرد ، بأجزائه الثمانية ، وكتاب « أسرار الحماسة » الذى شرح فيه ديوان الحماسة لأبى تمام .

حفظ الشيخ حسين المرصفى القرآن الكريم ، وكان مكفوف البصر ، « جيء به إلى الأزهر ، فأخذ العلم عن كبار شيوخه ، وتصدر للتدريس فيه ، وكان هواه الشديد إلى علوم العربية وآدابها ، فجدّد فى مُدارستها وقلب الذهن فى منازع بلاغاتها ، ولم يسترح إلى ذلكَ الأدب الذى كان شائعاً فى عصره ، بل كان من أوائل من تفطنوا فى هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم ، فراح يقرأ كتب أعلام البلاغة ، ودواوين متقدمى الشعراء ، ويتروّى منها بالحفـــظ والاستظهار ، ويروض قلمه على البيان القوى ، حتى أصبح الأديب التام ، ودرّس الأدب فى دار العلوم للسابقين الأول من طلابها الذين كان منهم : حفنى ناصف وأترابه »[4] .

---

٢ ـ انظر كتابه (من أعلام الأدب المعاصر) ط دار الفكر العربى ص ٥ .

٣ ـ أنظر كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومى طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠ ج ٢ ، ص ٨٥ .

٤ ـ راجع (المفصل فى تاريخ الأدب العربى) ج ٢ ص ٣٩٩ ط سنة ١٩٣٤ .

مؤلفاته : له رسالة دعاها : (الكلمات الثمان) ، تحدث فيها عن معان ثمانية ، هي : ١ ــ الأمة ٢ ــ الوطن ٣ ــ الحكومة ٤ ــ العدل ٥ ــ النظام ٦ ــ السياسة ٧ ــ الحرية ٨ ــ التربية .

ويستهل هذه الرسالة ، بقوله ، على الرغم من أنه لم يؤثر عنه قول الشعر ــ غير ما قاله فى مدح البارودى :

أرجو قبول هدية لقنتها الكلم الثمان
أهديتها لأولى النهى فتيان أبناء الزمان

وفى الكلم الثمان ــ كما يقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن :

« تظهر ملامح كثيرة من معرفة الشيخ المرصفى باللغة الفرنسية (وقد تعلمها على طريقة برايل) ، ففيها عبارات واصطلاحات ، وتعريفات معربة عن الفرنسية ، كما جرى فيها قلم الشيخ بأسلوب مترسل ، فى عصر كان السجع والزخرف اللفظى فاشيا فيه »[٥] .

« ومن غرائب المفارقات أن الشيخ حسين المرصفى كان يترسل فى نثره ، فى الوقت الذى كان يجرى فيه معاصره : عبد الله فكرى باشا على طريقة السجع والمحسنات ، وبهذا سبق المرصفى إلى أسلوب الترسل ، الذى استعمله بعد ذلك بقليل ، الشيخ محمد عبده ، الذى يُعدُّ صاحب فضل فى تخليص الكتابة العربية ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، من السجع وبعض المحسنات » .

٢ ــ وله كتاب « دليل المسترشد فى فن الإنشاء » وهو مخطوط فى ثلاثة مجلدات تقع فى نحو ألف صفحة وهو ليس ــ كما يتبادر للذهن نصاً فى الإنشاء المدرسى ــ ولكنه مجموعة من المحاضرات فى النثر الفنى ، تناول فيه الشيخ المرصفى علوم عدة وفنون شتى ، تتصل من قريب أو بعيد بفن الكتابة ، من مثل : الأدب وتاريخه ونقده ، وعلم النفس ، والمنطق ، والتربية ، والفقه ، وعلم الحياة »[٦] .

٣ ــ وكتابه الكبير ، صاحب الأثر العميق فى ثقافة العصر بصفة عامة ، هو كتاب : (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) بجزئيه ، الذى اشتهر به المرصفى شهرة كبيرة واسعة ، حتى قال أحد نقادنا المعاصرين (الدكتور عبد العزيز الدسوقى) عنه :

.. وإذا كان كتاب (فن الشعر) للفيلسوف اليونانى (أرسطاطاليس ، قد أثر فى النهضة الأدبية فى أوربا بصورة واسعة ، واعتبر إماما لكل النقاد الذين حملوا مشعل التجديد فى الأدب الأوربى الحديث ، فإننى أعتقد أن كتاب (الوسيلة الأدبية) له لعب هذا الدور فى النقد الأدبى الحديث ، وأثر أساتذة الأدب والنقد ، الذين حملوا لواء النهضة الأدبية فى لغتنا العربية ، مع فارق واحد ، هو أن (فن الشعر) طبع مئات المرات ، وترجم الى معظم اللغات ، واهتم به النقاد والدارسون ، أما (الوسيلة الأدبية) فلم

---

٥ ــ انظر كتابه (مؤلفات رائدة لمؤلفين رواد) ط دار الهلال سنة ١٩٨١ ص ٩٢ ــ ٩٣ .

٦ ــ راجع مقال (رائد النقد الأدبى فى مصر) للدكتور ابراهيم عوضين بعدد مجلة الأزهر الصادر فى شعبان سنة ١٤٠١ هـ ، وكتاب (روضة المدارس) للأستاذ محمد عبد الغنى حسن والدكتور عبد العزيز الدسوقى ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ص ٣٥٣ .

يعبأ بطبعه إنسان (لعل الدكتور الدسوقى يقصد .. إعادة طبعه) ، على الرغم من إشادة الجميع بفضله ، واعترافهم بأستاذية مؤلفه »[٧].

طبع الكتاب المذكور ، لأول مرة عام ١٨٧٢ م ، ويقع الجزء الأول فى مائتين وخمس عشرة صفحة من القطع الكبير ، وطبع الجزء الثانى بعده بثلاثة أعوام (سنة ١٨٧٥) ويقع فى ٧٠٣ صفحة من القطع الكبير أيضا .

وقد تحدث المرصفى فى الجزء الأول عن العلوم التى سيتناولها بالدراسة ، ومنهج دراسته لها ، ثم تحدث عن الأدب وتعريفه له ، وعلم المنطق ، ودواعى وضع (علوم العربية) ، وفقه اللغة ، وأقسام اللفظ بحسب وضعه ، وحسب الاختصاص والاشتراك ، والحقيقة والمجاز ، وبيّن أقسام اللفظ باعتبار الترادف والتباين ، ووقف عند المطلق والمقيد ، وتحدث عن (علم الصرف) وأبوابه ، ثم انتقل إلى علم (النحو) واختتم الفصل الأول بالحديث عن كيفية تحصيل علوم العربية ، على حسب اختلاف العصور .

خصص المرصفى الجزء الثانى للحديث عن فنون البلاغة ، وتحدث عن (المجاز) و (الاستعارة) و (الكناية) وفن المعانى ، وفن البديع :

حسن الابتداء ، والجناس ، والاستطراد إلخ .

ثم تحدث عن العروض والقوافى ، وفن المؤال والموشح[*] وكان فى خلال ذلك كله يسوق العديد من الشواهد والأمثال العربية ، وطائفة من عيون القصائد لفحول الشعراء فى شتى عصور العربية ، بما فى ذلك العصر الحديث ، حيث ألقى أضواء كاشفة على شعر البارودى الذى كان يفتتن به غاية الافتتان ، ثم يعقد موازنات لقصائد البارودى التى عارض بها بعض القصائد المشهورة لكبار شعراء العربية فى العصور المتقدمة ، وأظهر المرصفى مقدرة البارودى فى المعارضة وأشاد بموهبته الفذة فيها ، ومن نصائح المرصفى فى هذا الكتاب الفذ ، أنه لابد لكل شادٍ فى رياض الأدب : « أن يحفظ كثيرا من الأمثال العربية ، وغيرها من الأقوال الصادرة عن الحكماء ، فإنها خزائن الحكم ، ومستودعات المعانى ، ومنها تعرف حسن الايجاز ، وبراعة العبارات .. »[٨] .

كما أوصى المرصفى من يهفو إلى العزف على قيثارة الشعر أن يحفظ أكبر قدر من شعر الفحول ، فى شتى العصور : « حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ الحر النقى الكثير الأساليب ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه ، أو عدم .. لم يكن له شعر ، وإنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال قبل النظم ، وبالإكثار منه ، تستحكم ملكته وترسخ »[٩][١٠] .

---

٧ ــ المصدر السابق ص ١٩٦ .

٨ ــ المصدر السابق ص ١٩٧ .

* الخزامة : حلقة لشد مجموع بشاثر .

٩ ــ الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٢٠٤ .

١٠ ــ راجع الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٦٩ .

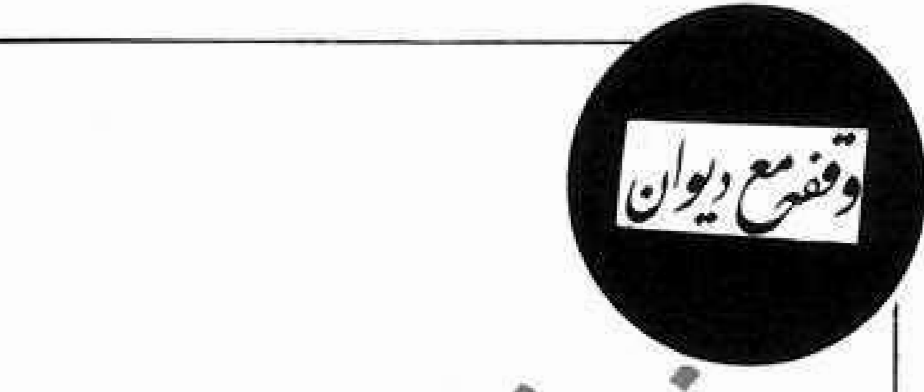
وقد أصاب الرافعي كبد الحقيقة ، حينما قرر في فصله عن شوقي ، أن « الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي وصقل طبعه ، وصحح نشأته الأدبية ، هو بعينه « الوسيلة الأدبية للمرصفي ـ الذي كانت منه أيضا بصيرة (حافظ) »[11] وقد ذكر شوقي في حديث له مع مندوب جريدة الأهرام : أنه قرأ كتاب (الكشكول) للعاملي ، على الشيـخ حسين المرصفـي ، في دروس خاصة ، وأضاف أن الشيخ كان يحب هذا الكتـاب كثيرا ، ويفضلـــه على غيره من الكتب[12] .

مهما يكن من أمر ، فإن عبقرية المرصفي تكمن في ذوقه الرفيع في الانتخال والاختيار ، من باقات الأشعار ، وقدرته الفذة على الشرح البليغ والتحليل الدقيق البارع ، الذي يحيط بشتى جوانب النص الشعري الذي يجرى لدراسته ، ليفتح عيون المستمعين إليــه من التلاميــذ والأصفياء ، على ما في النص من روعة سَبْك ، وحُسْن بيان ، وما يتعين أن يبذله الأديب والشاعر من جهد في المراجعة والتنقيح ، ليصل إلى ذروة ما يصبو إليه من إجادة وإبداع ، بما يذكر بقول العماد الأصفهاني : « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه ، إلا قال في غده :ـ لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قدِّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

---

١١ ـ وحي القلم الرافعي ج ٣ ص ٣٥٢ .

١٢ ـ راجع كتاب (شخصيات في حياة شوقي) للأستاذ عبدالمنعم خميس ص ٤٣ .



شراع في بحر الهوى

للشاعر/ ابراهيم عيسى

بقلم الشاعر/ محمد عبد الوهاب

يبرز الشعر فى ساحة الأدب ، كسيد للقول الإنسانى ، ذلك لما فى بنائه من تكثيف للصور والمعانى ، وتأثير موسيقى خلاب ، يحمل المتلقى من عالم الواقع ، إلى عالم سحري رائع ، ابتدعه الشاعر ابتداعا .

و (بحر الهوى) الذى يستوقفنا فى عنوان الديوان الذى نلقى عليه الأضواء اليوم ، لاصلة له بـ (الهوى) الدنيوى العاطفى أو الغزل ، ولكنه (الحب) .. حب الله العظيم ، فقد جاء فى الذكر الحكيم قول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران الآية / ٣١)

والشاعر إبراهيم عيسى ، فى وجده الصوفى ، يقول فى قصيدة (أهل الهوى) واصفا حاله وحال القانتين لرب العالمين ، إنهم :

---

(١) انظر كتاب النقد الأدبى للدكتور شوقى ضيف ـ (٢٦) سلسلة مكتبة الدراسة الأدبية ـ دار المعارف ١٩٨٩م

طاروا بأجنحة الصلاة ، كأنهم طيرٌ أتى نبع الحقيقة ، فاستقى

ثم يقول بنجوى العبد الخاشع لربه :

وعلى عيون الشمس أسدلْتَ المسا ءَ فضاضَ نورك فى الضلوع وأغدقا

ونلاحظ أن إبراهيم عيسى فى هذه القصيدة ـ وفى غالبية شعره ـ يُغرق فى السبك الفنى لمعانيه وألفاظه ، حتى تصل القصيدة إلى المتلقى . وهى أقرب إلى التحفة الفنية المتكاملة ، إطارا ومضمونا .

***

حياة الشاعر :

يحدثنا الشاعر ـ نفسه ـ فى مقدمة ديوانه أنه نشأ فى أسرة يكثر الحديث فيها عن الله والرسول ﷺ ، أى أنه نشأ فى بيئة صالحة منذ نعومة أظفاره ، وكان والده يعمل رئيسا لقسم الكيمياء بالجمعية الزراعية المصرية (الملكية سابقا) ، بما يتبين منه أن الأسرة كانت ميسورة الحال ، بسبب مركز عائلها الوظيفى المرموق ، وكانت والدة الشاعر تحفظ الكثير من الأمثال الشعبية ذات الإيقاع المسجوع مما استهوى الشاعر فى بواكيره ، وكان بمثابة البذرة الأولى ، لإثبات شاعريته ، فيما بعد .

ومن عجب أن الشاعر يعترف فى مقدمة ديوانه أنه كان ضعيفا فى اللغة العربية ، وأنه تعرّف على (الشعر) فى النصوص المقررة ، ومال إليه ، واستوعب الكثير من ذخائره بمن كتاب (المنتخب من أدب العرب) الذى كان مقررا على طلاب جيله فى أثناء مرحلة الدراسة الثانوية .

كانت محاولات الشاعر الأولى ـ كما يحدثنا فى المقدمة ـ تعتمد على التقليد للقصائد التى تروقه ـ دون معرفة مسبقة بعلم القوافى والعروض ـ تلك القصائد التى وردت بأجزاء (ألف ليلة وليلة) الأربعة ، كما يثبتنا أنه انكب بعد ذلك على قراءة أمهات الكتب ودواوين الشعر ، وكتب العروض والقوافى ، لتنمية مداركه ، وتثقيف نفسه بنفسه ، أثناء المرحلة الجامعية ، التى إنتهى منها إلى الحصول على (بكالوريوس التجارة) ، وكانت صلته بدار الكتب ، أقوى من صلته بكلية التجارة حيث تيسر له الاطلاع دون إرهاق مالى ، الأمر الذى كان له تأثيره العميق عليه ، يقول الشاعر : « ولكن اقتناء تلك الكتب لم يكن أمرا ميسرا لى فى ذلك الوقت ، فكنت أتغيب عن دراستى التجارية ، لأتوجه إلى دار الكتب بميدان باب الخلق ، لأقرأ وأقرأ .. حتى استقر الكثير منه بوجدانى » .

ثم يسترسل الشاعر فى الحديث فيقدم لنا المعلومة الطريفة التالية : « وظللت أتردد على دار الكتب

عامين متصلين ، نجحت فيهما فيما حصلت من قراءة أدبية ، ولكنى .. رسبت فى دراستى التجارية ! فكان حتما على أن أتفرغ لدراستى فى العام الثالث ، حتى لا أفصل .. ونجحت » .

وهكذا يتبين لنا مدى شغف الشاعر بالقراءة ، وتضحيته فى سبيلها بعامين من حياته قضاهما فى فصل دراسى واحد ، وكان من علامات النبوغ لديه فى طريقه إلى الإجادة التقاؤه بالشاعر الوجدانى (أحمد رامى) الذى كان يعمل موظفا بدار الكتب فى ذلك الحين فنشأت بينهما صلة أدبية وطيدة .

وقد وقف الشاعر طويلا أمام آثار : أبى العلاء وأبى نواس ، ومهيار الديلمى ، كما تعشق شعر (طاغور) و (بودلير) ، ومن المعاصرين كان إعجابه الشديد بشوقى وحافظ ، ثم بأستاذه الذى كان له أكبر الأثر على اتجاهه فى إبداع الشعر : على محمود طه ، فقد افتتن الشاعر بدواوين (على محمود طه) افتتانا شديدا ، واستظهر معانيها وألفاظها وتراكيبها مرارا ، وسار على منوالها فى بواكيره حتى استقل بعد ذلك بلغته وأسلوبه .

ويعترف الشاعر بأن الشاعر (محمود حسن إسماعيل) هو القمة الشعرية الشامخة ، التى استطاعت تثبيت فكرة الصورة الشعرية عنده .

هذا ، وقد بدأ الشاعر فى نشر قصائده الشعرية منذ عام ١٩٤٨م . وحينما أعلنت جريدة الزمان فى صفحتها الأدبية عن مسابقة شعرية للشعراء الشباب ، قام الشاعر بالاشتراك فى تلك المسابقة ، وحصل على جائزتها ، مع شاعرين من زملاء تلك المرحلة أحدهما : رابح لطفى جمعة .

وكان مطلع قصيدة إبراهيم عيسى الفائزة والتى يتحدث فيها عن الريف ، وحياة الفلاحين فى تلك الآونة قوله :

معـــذب فى حيـــاة كلهـــا كـــدرُ	قـــد قـــدمته إلى الحـــرمان قـــرباناً
يروح يروى ظماء النـــاس من ظمـــأ	وبات وهـــو بقـــرب النبـــع ظمـــآناً
فى كفـــه الخيـــرُ فيّـــاضٌ ، ومن عجـــبٍ	يُمسى ويُصبـــحُ عـــريانا وجـــوعاناً

وتبدو لنا سماحته وسعة أفقه ، حين يقول تعقيبا على هجوم الشاعر (محمد الأسمر) عليه وعلى أول قصيدة نشرت له بالصفحة الأدبية بجريدة الزمان يومى ٢٢ و ٢٩ يونيو ١٩٥٠م ، فقد سر الشاعر بهذا الهجوم ، على عكس ما كان متوقعا منه ، فيقول : « شعرت بأضعاف سعادتى

الأولى – (عندما فاز بالجائزة الثانية فى مسابقة جريدة الزمان ، كما تقدم) – لأننى علمت من هذا الهجوم ، أن شعرى أصبح مقروءا ، وأصبح يؤثر على القراء ، بالقبول أو بالرفض ، وكلاهما أمر مرغوب فيه »[1] .

وبعد ذلك يقرر الشاعر أن إحدى قصائده كادت تنتهى به إلى غياهب السجن ، بعد نشرها بجريدة اليقظة العراقية الصادرة ٩/١٠/١٩٥١م ، وأثناء استجوابه بأحد مكاتب البوليس السياسى بالقاهرة – عقب نشر القصيدة – لم يُنقذه إلا قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م ، بعد انتهاء التحقيق بأيام قلائل ، وفى هذه القصيدة يقول مخاطبا النظام الملكى ، تحت عنوان (صرخة شعب) :

ياساكن القصر مَنْ سوّاك سوّانا	قلت وحدك بين الخلق إنسانا
المهرُ عوى .. ومنْ كفى مغارمُهُ	ومن كفاحى وهبتُ المجد عنوانا
نحن الأعاصيرُ إنْ ألقتْ بصاعقة	لم تُبقِ للظلم تيجانا وسُلطانا

***

باتت تُفزّعنا فى مصرَ أدغالُ	والناسُ صنفان : ذؤبانٌ ، وأحمالُ
قالوا : القناعة كنزٌ ، قلتُ : ويحكموا	إنّ القناعة .. أصفاد وأغلالُ
وتلك فلسفةُ الباغى ، وغايتُهُ	يشدو بها كعويل الريح ضلّالُ

***

سمات شعره الفنية :

ينتمى (حصاد عُمْر) شاعرنا إبراهيم عيسى لـ (مدرسة الرومانسية) ، فى معظمه ، وللخيال دور كبير فى اصطياد أوابده ، وللصياغة دورها فى إبراز قصائده فى صورة جميلة متقنة ، ولابد لنا من إلمامة سريعة بالمذهب الرومانسى ، ومباينته للمذهب الكلاسيكى الذى كان سائدا فى عصر الإحياء ، منذ البارودى وشوقى وحافظ ، لإمكان النظر إلى شعر إبراهيم عيسى على ضوء هذه الإلمامة .

يقول (بوالو) فى تمجيد العقل ، والخضوع له فى العملية الإبداعية ، وليس للعاطفة والخيال ، وهو يدافع عن الكلاسيكية :

---

(١) أنظر ديوان (شراع فى بحر الهوى) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢ .

« أحبوا العقل دائما ، ولتستمد Amies dans la raison : que toujours vos lustre et leur prix. منه وحده مؤلفاتكم كل ما لها من رونق وقيمة »[٢] .

ويقول أيضا الكلاسيكية :

Que votre âme et vos moeurs peintes dans vos ouvrages, n offrent jamais de vous que nobles images« لا تقدموا نفوسكم وعاداتكم فى أعمالكم الأدبية ألا فى صورها النبيلة » .

ويمثل الرغبة فى الهروب من الحاضر قول : (لامرتين) فى قصيدة (العزلة) (Lisolement) .

« ترى .. لماذا أظل فى أرض المنفى ، وليس بينى وبين هذا العالم (الذى يعتبره المنفى) أية رابطة أو صلة » .

Sur la terre d'exil, pourquoi reste,
encore ? Il n'est rien de commun entre ce monde et moi.

وقد يتبادر إلى الأذهان أن (الواقعية) أو (الالتزام) هما البديل عن الإغراق فى الرومانسية الحالمة .. ولسنا إلى هذا نقصد ، فالالتزام ، أو الإلزام ، كثيرا ما يأخذ الطابع الدعائى ، فيصبح الشاعر بمثابة (بوق) للتعبير عما يتطلبه المجتمع من رغبة فى رفع شعارات معينة ، أو مواكبة اتجاه معين ، لأن هذا - إن تم - يكون بمثابة ضغث على إبالة ، لأن الصدق الفنى ، والاختلاج الشعورى لابد منهما لتحقيق الأصالة فى العمل الفنى ، وبعبارة أخرى ، لابد أن يكون الشاعر مخلصا مع نفسه فى كل ما يبدع ، سواء كان يعمد إلى تصوير تجربة ذاتية شعورية ، أو ينفعل بحدث ما ، خارج إطار (رومانسيته) الحالمة ، ليشارك أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه : آمالهم وآلامهم واهتماماتهم ، وهذا بالضبط هو ما وفق إليه شاعرنا فقد أخذ من كل من الكلاسيكية والرومانتيكية أحسن ما فيهما . ولم يخرج على الإطلاق على عمود الشعر العربى الأصيل ، خذ مثلا قوله :

يا خافقـــــــــى .. الله لك	تطـــــــلب ما لا تملـــــك
ما حيلتـــــى وكلمــــــا	عدت إليــــه .. فمـــــلك
وبـــــالهوى وشوقــــــه	حررتــــــه .. فكبّــــــلك
فرحـــــت تهـــدى بالمُنَى	ورحت أبكـــــى طلــــلك

وهو يعنى بهذا التمهيد فى مستهل قصيدته ، مجاهدة العابد لنفسه التى بين جنبيه ، وهو يحاول أن يرق لذرى التنسُّك والقرب من الله - عز وجل - ويحاول أن يطرد (الجسد) وهو به متعلق ، كما يقول الرافعى .. ونستطيع أن نتبين ذلك بوضوح حين يستهل الشاعر قائلا :

وأطبـــــق الليـــل ونــــــا	حت غربــــــة ترتعــــــد
والفجــــــر فى أحشائـــــه	طفــــل جنـــاه المولــــد

(٢) أنظر كتاب (قضايا الشعر المعاصر) للدكتور سعد دعبس ط دار الفكر العربى ١٩٨٥م ص١٩ .

فكلما امتدت إلى السـموّ من النفس يدٌ
يشدني .. يجذبني إلى التراب الجسدْ

وبعد تصوير الصراع الرهيب بين معارج الروح ، ووهاد الجسد يقول :

وسال طيف من شعاع في كهوف ظلمتي
وأبصرتْ روحي في أحداقه .. طفولتي
وقيل : يارب فضج الصمتُ حول دمعتي
والتفت القلب يزف للهدى .. بقيتي

ورغم الصياغة القوية والاتشاح بالرمزية في تصوير التجربة الصوفية لدى شاعرنا إبراهيم عيسى إلا أنها في متناول المتلقي ، بلا غموض كثيف أو مباشرة تقليدية كما هو الشأن فيما نقرؤه لشعراء هذا الزمان ، شعراء المزاحمات .. التي يضيع في خضمها الشعر الأصيل .

وثمة جوهرة أخرى يطالعنا الشاعر بها في قصيدته التي تحمل عنوان : (الوهم والحقيقة) وهي نجوى رفيعة المستوى للذات الإلهية ، تذكرنا بكبار الشعراء الصوفيين من أمثال : ابن عربي وعمر بن الفارض وغيرهما ، يقول شاعرنا في هذه الدرة الفلقة :

ياخالقي .. عبث الدجى حولي .. وضجت طينتي[٣]
وعوى الظلام وولولت ريح تنوح بحيرتي

ثم يقول بوصف لفظي بديع ، لانجده عند سواه :

ودنا السنا وجثا فؤادي في رحاب بريق
وسقى سقاة النور ظلماتي .. فغابت حيرتي
وشدا الرعاة .. وكلما مروا بباب تلفتي
أبكي بعين بصيرتي .. وتقول دمعة ذلتي
ياخالقي .. لك قد تعرت في الضمير خبيئتي

أي تحليق ، وأي جمال وإشراق .. إن من كان هذا إيمانه يستحق كل الحب وكل التقدير . وهذا قوله في ختام قصيدته :

ياخالقي وأنا بقربك قد عرفت سكينتي
أنا ذلك الوهم الكبير .. وأنت أنت حقيقتي

هذا وإن كنا نقر بإعجابنا الصريح بشاعرية وتمكن شاعرنا نرجو أن يتسع لنا صدره . لنهمس له ببعض الهمسات الصغيرة ، فإن الكمال المطلق لله العظيم وحده .

(٣) أنظر الديوان ص ١١٣ ، ص ١١٤ .

وحتى نعطي النقد حقه نقول : في قصيدة « بلدي والشعر » يقول شاعرنا :

الليـــل يحتضن الغـــروب ويختـــفي بخطـــاً بطيئـــة
والنجـــم مصبـــاح تدلى كابتســامـــات مضيئـــة

ليت الشاعر استبدل بالغروب « السكون » في البيت الأول ، و« البدر » بدل النجم في البيت الثاني .

وفي قصيدة « شابت الدموع » يقول :

وجـــفَّ بي الموج حتـــى غدوتُ يبابـــاً يحنُّ لظـــلٍ وريّ

وياليته قال : « وأبعدني الموج » بدلاً من « وجفَّ بي الموج » ، لأن الموج - أولاً وأخيراً - ماءٌ متدفق ، فكيف يجف ؟

ثم يختتم القصيدة بقوله :

ونقـــلت خطـــوي في عـــالم   يمـــوت بـــه كل حـــر أبي
ومـــا راعنـــي الموت لكنـــني   عجـــبت لأني مازلت حي

وأرى الشاعر هنا لم يخدم هدفه ؛ بل على العكس بدا مستسلماً لليأس حين ألحق الموت بالأحرار والأباة الذين كان يتعين أن يثوروا وينتفضوا ، لا أن يخضعوا ويخنعوا لأي جبروت كان .

ويقول في مستهل قصيدة « مع الأيام » :

طفـــل على غصن الحيـــاة يزقـــزق

فماذا لو قال « فرخ » بدلاً من (طفل) ، والغصن أقدر على حمل الفرخ والزقزقة من صفات الفرخ ، لا الطفل .

ويقول شاعرنا :

فبكى بسمته ، وكم من بسمة .. الدمع في رناتها يترقـرق

وليته قال في الشطر الثاني : الدمع في وجناتها - بدلاً من - رناتها ، حيث أن البسمة ليس لها صوت ، أو رنات ، ولكن لها اتصال بالوجنات ، والرنات لاتكون إلا في الضحكات المجلجلة .

فطوبـــه وحنانـــه ولحنـــه في هدبـــه

هذا ، وإن كنا قد أبدينا بعض الملاحظات العابرة حول خفقات قلب شاعرنا ، التي أودعها صفحات ديوانه الرائع ، فإننا نطمح إلى المزيد من نتاجه الخصب ، والدواوين الممتازة المُحلِّقة ..

وبالله التوفيق .

من شعر أبي طالب

دفاعاً عن رسول الله ﷺ والإسلام

للباحثة أسماء أبو بكر محمد

أبو طالب من رجال بنى هاشم العظماء ، وهو أحد الأبطال الميامين الذين ساندوا وأيدوا محمداً رسولنا الكريم - ﷺ - ودعوته الصادقة الخالدة ، وأسهموا فى تثبيت أركانها ، ونشرها بين القبائل العربية ، واسمه (عبد مناف بن عبد المطلب) وهو عم رسولنا الهادى البشير - ﷺ - وكافله بعد جده عبدالمطلب منذ صباه[1].

وفى (أسد الغابة) يروى أن عبدالمطلب لما حضره الموت جمع بنيه ، وأوصاهم برسول الله - ﷺ - فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يكفل محمد - ﷺ - فأصابت القرعة أبا طالب العم الطيب فأخذه إليه ، وقيل : بل اختاره محمد - ﷺ - على الزبير ، وكان ألطف عميه به وقيل : أوصى عبدالمطلب أبا طالب به فرعاه حق الرعاية ، وحدب عليه ، ولم يفارقه صغيراً ولا كبيراً ، ودافع عنه ، ورد محاولات قريش فى النيل منه عندما بشر بدعوته الإسلامية ، فكان له خير معين ، وخير حام بمكانته وشخصيته وشعره ، فقد كان العم الطيب ذا مكانة ومنزلة رفيعة بين قومه ، وكان شاعراً تتجلى لنا شاعريته فى الدفاع عن الهادى البشير - ﷺ - ورد قريش وتفنيد دعواهم ، وصدق إحساسه وشعوره المعبر عما يكن لمحمد ولدينه الخالد من معاضدة وتأييد ومناصرة[2].

---

(1) عن مقالة للباحث العراقى الأستاذ حسين الهمدانى تناولت شخصية أبى طالب ، ونشرت بمجلة العربى الكويتية عدد ١٦٧ ، أكتوبر ١٩٧٢ م .

(2) عن كتاب (أسد الغابة) ج ٦ / ٧٥ بتصرف من جانبنا .

وشعر أبى طالب كثير جداً متفرق فى بطون كتب الأدب والتاريخ ، ولكن الباحث يقف حائراً أمام الكلام الذى قاله ابن رشيق صاحب (العمدة) عندما قال : « فأما أبو طالب ومن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً » وابن رشيق هو الذى ذكر فى كتابه شعراً لحمزة بن عبدالمطلب (أسد الله) ، والإمام على بن أبى طالب ، والعباس ، وعبدالله بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبى طالب ، والحسين بن على ، وعبدالله بن العباس ، وكثير من الصحابة !!![3] .

اتفق رجال قريش الذين ناهضوا محمداً ـ ﷺ ـ وما جاء به ، فمشوا إلى أبى طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وطلبوا منه أن يسلمهم ابن أخيه (محمد) ليقتلوه ويأخذ ابن الوليد مكانه ، فقال : « والله لبئس ماتسوموننى ، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ، هذا والله لايكون أبداً » فيرد عليه المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى ، وهو أحد الذين قدموا إليه : « والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً » ويقول أبوطالب لمطعم « والله ما أنصفونى ، ولكنك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك »[4] ولم يكتف العم الطيب فى هذا الرد ومرارة الخيبة التى ألحقها بالمطعم بن عدى وبقية الوفد ، وإنما يعرض لنا ذلك فى شعره فيقول معرضاً بالمطعم بن عدى وجماعته ويسفه آراءهم وعقولهم:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظى من حياطتكم بكْرُ[5]

وبعد أن يصف (البكر) وهى من الإبل يمضى قائلاً :

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا : إلى غيرنا الأمرُ

بلى لهما أمر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذى علقٍ صخرُ

أخصُّ خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثل ماينبذ الجمر

هما أغمزا للقوم فى أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ

هما أشركا فى المجد مَنْ لا أباله ... من الناس إلا أنْ يُرَسَّ له ذكر

وتيمٌ ومخزومٌ وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولًى إذا بُغى النصر

---

(3) كتاب (العمدة) لابن رشيق القيروانى ۱/۳۷ (بتصرف) .

(4) السيرة النبوية لابن هشام ، ط : ۱۹۵۵ م ـ ۱ ـ ۲/۲٦۷ .

(5) المرجع السابق ، ص۲٦۹ .

فو الله لاتنفك منا عداوة ولامنهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر

وتستمر قريش في محاربة النبي ـ ﷺ ـ وتمعن في إيذائه وتعذيب أصحابه ، وتشن عليهم حملة قاسية شعواء من الفتك والتمثيل بهم أينما وجدتهم فيخشى أبو طالب أن ينال الأذى محمداً ، ويدعو بنى هاشم يمنعوه ويحموه وينصروه ، وقد يستجيب لدعوته الذين دعاهم ، فيقول شعراً يمدحهم فيه ، ويشيد بهم ، ويعيب قريشاً على ما ذهبت إليه من إيذاء المؤمنين الصادقين ومحاولة ردهم عن دينهم الجديد ، ويفخر بالهادى البشير ـ ﷺ ـ بين قومه ، ودفاع بنى هاشم عن قريش قبل الدعوة يقول العم الطيب :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامة إذا مالثوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجادها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ولم يكتف أبوطالب بدعوة بنى هاشم والمطلب جميعاً لمساندته في الذود والدفاع عن محمد ـ ﷺ ـ [ويمدحهم بل إنه لم يقطع في شعره أسباب الرجاء ، أو يغلق الأبواب في وجوه قريش فيبقى الطرفان (المعسكران) على فرقة وتناقض] فذهب إلى بيت الله الحرام وموطىء إبراهيم الخليل يستعيذ بربه من أذى المشركين وطعنهم ، ومحاولات أعدائه بث الباطل والنيل من الدين الجديد ، فيرسل لنا ماتجيش به خواطره من غيرة وحب لمحمد ـ ﷺ ـ وأصحابه ودعوته ، في شعر نابض بالحياة ، والولاء في الدفاع عن الإسلام ، ويذكر فيه بعضاً من رجال قريش وأشرافها يستعطفهم ، ولكنه يذكرهم ـ أيضاً ـ بأنه لم ولن يتخاذل عن نصرة محمد ـ ﷺ ـ ولن يتهاون في شىء من أمره أبداً ومن بين الذين ذكرهم مستعطفاً (المطعم بن عدى) الذى كان قد عرض به في مناسبة سابقة فنراه يقول في أبيات (لامية) :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل[٦]

(٦) المرجع السابق ، ص٢٧٩ .

وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطي وأخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل

إلى أن يقول :

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو مُلح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن ملحق في الدين مالم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المُسْود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

....

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ وهل منْ مُعيذ يتقي الله عاذل

وبعد أن يذكر العم الطيب بعض الشعائر والأماكن وبعض القبائل ، يوجه خطابه إلى مناوئيه من المشركين وأعداء محمد – ﷺ – فيقول :

كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نُبزى محمداً ولمّا نُطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ويوجه حديثه إلى (المطعم بن عدى) ..

أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ولا مُعْظم عند الأمور الجلائل

●

وعندما هاجر المسلمون الأوائل هجرتهم الأولى إلى أرض الحبشة ، وعلى رأسهم (جعفر بن أبي طالب) أرسل أبو طالب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على إكرام المهاجرين الأوائل ويبين له فيها منزلة نبي الله محمد – ﷺ – :

ليعلم خيار الناس أن محمداً نظير لموسى والمسيح ابن مريم
وأنك ما تأتيك منا عصابة بفضلك إلا أرجعوا بالتكرم

●

ولم تترك قريش أمر المهاجرين إلى الحبشة أو تدعهم دون أن تحاول بكل الطرق استرجاعهم

كأسرى ، وتألب النجاشي عليهم ليطردهم من بلاده ، فأرسلت وفداً على رأسه عمرو بن العاص لهذه المهمة ، من أجل أن يسلم النجاشي المهاجرين إلى قريش ، ولكن العم الطيب يبعث له في هذه الأبيات مناشدة كي يحضه على حسن الجوار للمهاجرين والدفاع عنهم وعدم تلبية أمر قريش :

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادى نفعها والأقارب[7]

●

ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى أرض الوطن ، دخل أبو سلمة بن عبدالأسد فى جوار أبى طالب ، فأقبل قومه على أبى طالب يستردون منه أبا سلمة فقالوا له : « يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه عنا ؟! » . قال : أنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثبون عليه فى جوارة من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . فانصرفوا خشية أن يخذلهم أبو لهب ، وقل أبى لهب هذا جعل أبا طالب يطمع فيه فيقول فيه شعراً يحضه على تأييده وأن ينضم إلى جانب الحق[8] .

إن امرأ أبو عتيبة عمه ... لفى روضة ما إنْ يُسام المظالما[9]
أقول له ـ وأين منه نصيحتى : ... أبا مُعتب ثبت سوادك قائما
لا تقبلن الدهر ما عشت خطة ... تسب بها إما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم ... فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى ... أخا الحرب يُعطى الخسف حتى يُسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... وتيما ومخزوما عقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة ... جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نُبزى محمداً ... ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما

---

(٧) سيرة ابن هشام : ط : ١٩٥٥ م ، مجلد ١ ـ ٣٣/٢ .
(٨) نفس المصدر ص ٣٧١ ـ بتصرف من جانبنا .
(٩) سيرة ابن هشام : ط ١٩٥٥ م ، ص ٣٧١ .

وأخذ الإسلام الحنيف يدب دبيب النور والإشراق بين جحافل الظلام ، وانضم إليه بعض أعاظم الرجال ، ومنهم الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ولم تُجْدِ نفعاً مقاومة المشركين من قريش ومؤامراتهم ، فأخذوا يدبرون أمراً آخر للحد من انتشار نور الإسلام وكسر شوكة المسلمين ، فقد اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً (معاهدة) يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على أن لاينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولايبيعوهم شيئاً ولايبتاعوا منهم ، اجتمعوا على ذلك وكتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على تنفيذ هذه المقاطعة[10] .

فقال العم الطيب أبو طالب هذه القصيدة التي يشيد فيها بالنبي ـ ﷺ ـ وبمنزلته بين أصحابه ، ويندد بما اجتمع عليه معسكر الشرك ، ويؤكد مرة أخرى أنه لم ولن يتهاون في نصرة ابن الأخ ، أو يسلمه لأحد ينال منه ، أو يتركه بين القبائل لتنال منه أو تؤذيه ، حتى وإن أدى ذلك إلى خوض غمار الحرب :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا	لُؤَيًا وخصًا من لُؤَي بني كعب[11]
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأنّ عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب[12]
وأن الذى ألصقتُمْ من كتابكم	لكم كائن نحساً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى	ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمرَّ على من ذاقه حَلَبُ الحرب
فلسنا ورب البيت نُسْلِمُ أحمدا	لعزَّاء من عض الزمان ولا كرب

ثم يقول :

أليس أبونا هاشم شد أزْرَهُ	وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نملُّ الحربَ حتى تَمَلَّنا	ولا نشتكي ماقد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنُّهى	إذا طار أرواح الكماة من الرعب

● ● ●

ثم كان بين قريش من ضاق بصحيفة المقاطعة فسعى إلى إبطالها وتمزيقها ، في مقدمتهم أبو

---

(١٠) المرجع السابق ، ص٣٥٠ ـ بتصرف .

(١١) نفس المصدر ، ص٣٥٢ .

(١٢) أي : ولا أخير وأفضل من الذي خصه الله تعالى بالحب .

البحترى ، ثم هشام بن عمرو بن ربيعة ، وانضم إليهما زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدى وزمعة بن الأسود ، وقد مدحهم أبو طالب كما مدح النجاشي الذى آوى المهاجرين ، قال أبو طالب :

ألا هل أتى بحرينا(*) صنع ربنا	على نأيهم والله بالناس أرْوَدُ(١٣)
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل مالم يرضه الله مُفْسَدُ
تراوحها إفْكٌ وسحر مجمع	ولم يُلْفَ سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطائرها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة	لِيُقطع منها ساعد ومُقلّد

ثم يقول مادح وداعياً للذين قاموا بتمزيق هذه الصحيفة بجزاء الله تعالى الحسن له ، ويشيد بمفاخرهم وشجاعتهم :

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا	على ملأ يهدى لحزم ورشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم	مقاولةٌ بَلْ هُمْ أعز وأمجد
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنه	إذا ماشى في رفرف الدرع أحرد
جرىء على جُلّى الخطوب كأنه	شهاب بكفّىْ قابسٍ يتوقد
من الأكرمين من لؤى بن غالب	إذا سيم خسفاً وجهه يتربد

• • •

ويوصى العم قومه قبيل وفاته باتباع الهادى البشير ـ ﷺ ـ وتصديقه ، وعندما اشتد به المرض دعا بنى عبدالمطلب فقال : إنكم لن تزالوا بخير ماسمعتم قول محمد واتبعتم أمره ، اتبعوه وصدقوه وهكذا نرى أبا طالب شاعراً متمكناً يذود بشعره عن الإسلام ويدافع عن ابن أخيه المبعوث هدى ورحمة للعالمين دفاع الأبطال الميامين .

وبعد : أما آن الأوان لأن نجمع شعر العم الطيب (أبو طالب) من بطون أمهات المراجع والمصادر الأدبية والتاريخية ؟ أما آن الأوان لأن نحققه التحقيق العلمي المنهجى ؟! أما آن الأوان لأن نتناوله بالشرح والتحليل والدراسة ضمن شعر الدعوة الإسلامية ؟ نأمل أن يوفقنا المولى ـ سبحانه وتعالى ـ إلى ذلك ـ والله ولى التوفيق .

---

(١٣) سيرة ابن هشام ص٣٧٨ .

(١٤) راجع أسد الغابة ١٩/١ بتصرف من جانبنا .

(*) جمع الشيخ محمد خليل الخطيب ـ رحمه الله ـ شعر أبي طالب وأصدره في ديوان تام ... مجلة الأزهر .

(*) بحرينا : يقصد مهاجرة الحبشة الذين هاجروا إليها عن طريق البحر .



عرض وتقديم الأستاذ / عبد السلام ناصف

ترى :

ما لمدمنى « التدخين » يضيقون ويسخطون إذا قيل لهم : التدخين حرام .

ولماذا يثور بعضهم — فى غرور قاتل ومحاولات مستميتة أن يخترقوا حاجز البدعة بسوفسطائية تتلاعب بألفاظ تثير فى وجه الحرمة ماليس حراما حتى عند نفس مثيريها .

وإذا كان ضرر التدخين ليس محل شك ، فما يضير المدمنين أن يقول قائل : هو حرام .. ثم يودون أن يرسموا للعلماء منهجا لايروق إلا المدمنين .

ثم أولئك النفر من المدخنين .. الذين هم أعلم الناس بالحل والحرمة .. وفى مقدمة القدوة وأعلامها : لماذا يدخنون ؟ وهلا إذا ابتلوا استتروا .

وهلا تمثلوا قول عائشة بنت الصديق — رضى الله عنها — فى وصفها لرسول الله ﷺ فى اقتدائه بأمر الله تعالى إنه « قرآن يمشى على الأرض » .

إن الذكرى تنفع المؤمنين .

ونمض الى الكتاب .

تعرض المجلة لهذا الموضوع الهام بعدما أفردت له بعض الصحف مساحات متواضعة لمناقشة سلبياته وآثاره غير أنها لم ترق الى الدرجة التى يستحقها .

فهو موضوع [illegible] مصيرى حساس يؤثر على امتثال الفرد لأحكام عقيدته ومستواه الصحى وبنيانه الاجتماعى وعلاقته بربه وأسرته ومجتمعه ولقد شارك فى هذه المناقشة لفيف من علماء الدين والقانون والطب والفكر بين مؤيد ومعارض وبين متحمس ومحايد .

غير أنهم جميعا وبلا استثناء قد أجمعوا على أن التدخين ضار بالصحة متلف للمال ، مقزز الرائحة مؤذ للجليس والمخالط ، سيىء العاقبة .

وما من أحد منهم إلا ويرجو رحمة ربه أن يعينه على الإقلاع عن التدخين .

وكانت البداية فتوى شرعية لأستاذ جامعى وداعية مرموق وخطيب مفوّه مشهود له بالكفاية والتعمق هو فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين من أساتذة دار العلوم جامعة القاهرة .

نشرتها جريدة الأخبار صباح يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ١٤١٤هـ الموافق للثانى والعشرين من ابريل ١٩٩٤م .

يلفت فيها نظر الحجيج إلى أمر يغفل عنه الكثير ويظنونه حلالا وهو حرام . ألا وهو التدخين أثناء فترة الإحرام .

وبنصحهم بالامساك عن التدخين وهم محرمون .. فقد وجد أن هناك علاقة وثيقة بين التدخين وبين معاقرة الخمر - ففى كل سيجارة نسبة من الكحول نتيجة ان الدخان ينضج فى براميل محكمة منقوعا فى العصائر المتخمرة ولمدة ثلاث سنوات حتى يتحد الدخان بالكحول .. فالدخان خمر مخففة ولذلك فالحكم فى التدخين هو التحريم وإذا دخن الحاج المحرم بطل إحرامه وإذا كان الإحرام يحرم بعض الحلال فكيف لا يحرم الحرام .. ؟!

ولقد ألزم نفسه بتوضيح أسباب (تحريم التدخين) بأدلة وبراهين نجملها فيما يلى :

أولا : ما ثبت من أن التبغ الأخضر يتم إنضاجه فى نقيع من عصائر الفاكهة التى تعتق فى أوانى محكمة الاغلاق لنحو ثلاثة أعوام لإتمام عملية التشبع الكامل بالكحول وبالنيكوتين لونا ومذاقا وهذه حقيقة تفسر سهولة اشتعال « السيجارة » واستمرار هذا الاشتعال وتأثير ذلك يصل إلى الدورة الدموية مباشرة عبر حويصلات الرئتين والكحول عنصر قطعى التحريم .

ثانيا : أن النص القرآنى بتحريم الخبائث ينطبق على التدخين باعتباره من أنكر الخبائث وسبب كل إدمان وهو بهذا محرّم بنص القرآن .

أما ما أشيع - خطأ - عن اعتبار التدخين مكروها لعدم الاحساس بتأثيره المسكر أو « المغيب » فيؤخذ على مروجيه أنهم يكارهون الله فى كل لحظة يشعلون فيها « سيجارة » .

فالكراهة كانت من سبيل المجاملة لمدمنى التدخين أو دفع الحرج أو الإحساس بعمومية البلوى ... إلخ .

حيث يمثل الدخان مصدراً من مصادر الجمارك .

أما ما يقال عن أضرار السمن والسكر واللحم - فالضرر ليس ناشئا عن ذات هذه المواد وإنما عن خلل فى بعض وظائف جسم متناولها ولذا فهى إن لم تصلح لفرد تصلح لآخر ومن ثم فلا يمكن إخراجها من تصنيف « الطيبات » وإدراجها فى « الخبائث » .

أما عن لحم الخنزير فتحريمه القطعى تشهد به جامعات الدنيا فأحدث الكشوف العلمية بجامعة « ليون » بباريس تقرر أن تناوله يعجل بتدمير الأجهزة الهضمية والعصبية للإنسان كما تثبت بحوث (كوميبصل) بالاسكندرية أن لحم الخنزير ينال من فحولة الرجال .

ويؤكد فضيلته أن للدخان سبيلين إلى الخمر .

الأول : إتحاد التبغ مع العصائر والخمائر حتى درجة التشبع لتصير لفائفه هشة مشحونة بالسموم والكحول مما يساعدها على الاشتعال .

الثانى : إضافة مركزات « النيكوتين » لزيادة درجة إدمان المدخنين فقد اتضح للجنة التحقيق التى شكلها الكونجرس الأمريكى أن

هناك (٥٩٩) مادة كيميائية من بينها « الخميرة » و « الخمر WINE » و « النوشادر » ومركزات « النيكوتين » وبعض مبيدات حشرية .

ولعلنا جميعا نؤمن أن إضافة الخمر لصناعة الدخان فيه حرمة واضحة كما أن تعرض لفائف التبغ لحمامات الخمر لتنديتها تزيد من درجة امتزاج الدخان بالخمر — مما يؤكد حرمته .

وإذن فالمسألة ليست هوى يُفتى به وإنما هو دفاع عن الدين وعن أمة الإسلام ، فالدخان حيث هو من الخبائث وهو محرم لقوله تعالى ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ **(الأعراف ١٥٧)** .

أما جزئية الخمر فيه فمحرمة بنص القرآن فى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ ، سورة المائدة

ويؤكد فضيلته أن الدخان خمر بل أبشع منه لأنه يدخل إلى الحويصلات الهوائية مباشرة فأثره مباشر على الدورة الدموية التى يخترقها ومن جهة أخرى فالتدخين إيذاء للمخالطين .. مما يجعل التدخين سلوك غير إجتماعي ويعدد فضيلته أكثر من ستين مرضا تسببه هذه السموم .

وبعد :

فإننا مع الدكتور المؤلف فى إتجاهه إلى أن يصدر التحريم عن مصدر فقهي أصولي (ص ١٥) يُحْسَمُ به الحكم وترتفع به البلوى .

أما ما جاء فى الكتاب ص ١١ :

« وإذا دخن الحاج المحرم بطل إحرامه » فهو حكم لا نوافقه عليه .. ومثل هذا أيضا يجب أن يرد إلى مصدر فقهي أصولي ليقرر شأنه .

ونحمد للمؤلف توثيق مادته بنشر القائمة السرية الطويلة التى أعدتها شركات التبغ بالمواد القاتلة بناء على طلب الكونجرس الأمريكى . وهذا نصها والمنشور أصلا بالكتاب ص ٣٣ ، ٣٤ ثم نص الوثيقة عن مشتملات التبغ من النيكوتين والزفت والقطران والخمور المنشورة أصلا بالكتاب ص ٣٥ .

القائمة السرية الطويلة

التى أعدتها شركات التبغ بالمواد القاتلة بناء على طلب الكونجرس الأمريكى وبثتها عدة وكالات عالمية للأنباء

واشنطن — أذاعت مؤسسات صناعة التبغ القائمة السرية الطويلة لـ ٥٩٩ مادة مضافة إلى التبغ أثناء صنع السجاير .. وذلك أثناء جلسة خاصة بالكونجرس الأمريكي .. وكانت قد وجهت اتهامات إلى صناع التبغ بالتلاعب بمستويات النيكوتين لإيجاد حالة من الإدمان عند المدخنين ..

وقد احتفظت صناعة التبغ بهذه القائمة سراً لفترة طويلة .. ويقول القائمون على صناعة التبغ : إن هذه المواد لا ضرر منها على صحة المدخنين [وهذا يخالف ما يعلنونه جميعاً على صفحات الصحف والمجلات وكل وسائل الإعلام من ضرر التدخين] ولكن النائب الديمقراطي عن كاليفورنيا (هنري واكسمان) يشكك كثيراً في هذا الادعاء ، ويطالب بفحص المواد الـ ٥٩٩ بواسطة (خبراء سموم) لا يعملون بشركات التبغ ، ويعلن أنه لا يثق في حكم خبراء شركات التبغ بسلامة هذه المواد المضافة إلى التبغ .. ويضيف السيناتور :

« إن شركات التبغ ظلت تكذب على المستهلك على مدى السنين مدعية أن السجاير تساعد على الاسترخاء .. فلماذا نصدقها عندما تدعي أن هذه المواد غير ضارة ، وأنها لا تتلاعب بمستويات النيكوتين في السجاير لإيجاد حالات إدمان عند المستهلكين » .

ولقد أعلنت شركة (رينولدز للتبغ) أن ٩٨٪ من هذه المواد موافق عليها من « منظمة الغذاء والدواء » الأمريكية ، وأذاعت بياناً من ستة علماء يشهدون بسلامة المواد المضافة إلى الدخان .. يأتي هذا الصراع في وقت يحتدم فيه الهجوم على هذه الصناعة بشكل لم يسبق له مثيل .. فالأماكن التي يمنع فيها التدخين .. سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص في ازدياد مستمر .. والكونجرس يطالب برفع الضرائب على التبغ لتمويل الخدمات الصحية أمام ضرر التدخين المستفحل بشكل خطير .. ويأتي الآن مستر واكسمان ليطالب بإدراج مادة التبغ على قائمة المواد الممنوعة لأنها تسبب الإدمان .. وفيما يلي بعض الأمثلة من القائمة السرية الطويلة :

١ ــ ميجاستيما تريئون .

٢ ــ ديهيدرو منثو فيولاكتون .

٣ ــ إيثيل فيوروات .. وهذا يسبب ضرراً بنسيج الكبد .

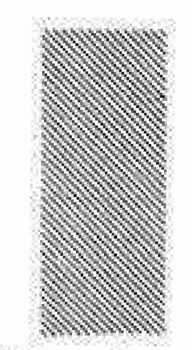
٤ ــ مالتول .

٥ ــ سكاربوليد .

٦ ــ خلاصة التبغ .. وتستعمل لزيادة النكهة .. وبالطبع تحتوي على كميات أخرى من النيكوتين .

٧ ــ النشادر .

٨ ــ الميثوبرين .. وهو مبيد حشري يعمل على إيقاف نمو الحشرات .



٩ ـ الخميرة .

١٠ ـ الخمر .

١١ ـ الكافيين . شمع العسل .

١٢ ـ البيتاكاروتين .

١٣ ـ الشيكولاتة .

١٤ ـ زيت جوز الهند .

نص المقال « الوثيقة » عن مشتملات التبغ من النيكوتين والزفت والقطران و « الخمور »

Cigarette makers release ingredients

Compiled from news services

WASHINGTON—The tobacco industry Wednesday made public a long-secret list of 599 cigarette ingredients as a key U.S. Congressional critic released a report that he said bolsters charges the industry manipulates nicotine levels to hook smokers.

The tobacco industry, which for years had closely guarded the chemical lists as a trade secret, released the list of chemicals and said independent experts had deemed them safe in the quantities used.

But California Democrat Henry Waxman, who is having the chief executive officers of the leading U.S. tobacco companies give unprecedented testimony in his House Health and the Environment Subcommittee Thursday, said he does not trust the industry's assertions on the safety of its ingredients.

"The list is one that we will have to have really independent toxicologists review," Waxman said. "I wouldn't trust these so-called independent experts the tobacco industry has paraded out to the public and the Congress over the years to tell us things like tobacco smoking is really good for you because it relaxes you, or there is no connection between cigarette smoking and addiction, and of course their latest one that they don't manipulate the nicotine levels."

According to a statement from R.J. Reynolds Tobacco Co., one of the leading cigarette makers, 98 percent of the ingredients are approved as food additives by the Food and Drug Administration and all the ingredients "are not hazardous under the conditions of use."

It also released a report by six scientists attesting to the safety of the ingredients and said news reports last week about potentially unsafe ingredients included chemicals that are not used at all by the major cigarette makers.

The renewed controversy over cigarette ingredients comes as the industry is under ever stronger attack and smokers face greater social disapproval. Smoking bans have become more common in both the public and private sectors, tobacco taxes are being widely discussed in Congress as a means of financing health care reform, and Waxman and other lawmakers have called for government regulation of tobacco products.

■ Megastigmatrienone: a flavoring tobacco companies contend is found naturally in grapefruit juice and considered safe by the food industry. The U.S. government's Food and Drug Administration couldn't confirm that.

■ Dehydromenthofurolactone: a flavoring tobacco companies say is found in peppermint and considered safe by the food industry. FDA couldn't confirm that.

■ Ethyl furoate: found naturally in coffee, kiwi and peanuts. FDA hasn't formally ruled on the issue, but said the food industry considers it safe. But a toxicologist last week said the chemical can cause liver damage in laboratory animals.

■ Maltol: a sweetener used in chewing gum and diabetic candy. The food industry considers it safe, but FDA hasn't ruled on a petition questioning the safety.

■ Sclareolide: a synthetic form of a naturally occurring tobacco element. The food industry considers it safe.

■ Tobacco extract: used to boost flavor of reconstituted tobacco; companies say it does contain a small amount of nicotine.

■ Ammonia: a processing aid. FDA considers certain forms of ammonia safe in foods but couldn't comment on the type in cigarettes.

■ Methoprene: an insecticide that toxicologists say is biodegradable and works by stopping insects from growing to adulthood. Tobacco companies say FDA allows it in dried fruits, but FDA couldn't confirm that.

More common items added to cigarettes:

—Yeast
—Wine
—Caffeine
—Beeswax
—Beta carotene
—Chocolate
—Coconut oil

نص المقال « الوثيقة » المنشور بجريدة (العالم) الأمريكية

والتى تشتمل على بعض ما تضيفه صناعة الدخان إلى التبغ

وفى مقدمة هذه المكونات : الخمر



عرض وتقديم

الأستاذ/

عادل رفاعي خفاجة

برغم ما شنَّه الغرب على العالم الإسلامي من حروب متتالية سواء في الشرق الأوسط ، أو في البلقان ، أو في شمال افريقيا والهند وبرغم ما يشنه ـ حتى الآن ـ من حروب اقتصادية أو عسكرية ـ حسبما تمليه طبيعة الموقف ، فإن العالم الغربي لم يحفل بمعرفة كنه الإسلام وهناك من ينبرى ـ في الوقت نفسه ـ لتشويه صورة الإسلام أو على الأقل يسعى لتعتيم صورته ، ليبقى محجبا في الشرق بعيدا عن عقول الغربيين وبعيدا عن المنصفين من مفكريهم .

ولعل كتاب «الإسلام كبديل» لمؤلفه د/مراد هوفمان سفير ألمانيا ـ بالرباط ـ محاولة لرفع هذا الحجاب عن الشرق أو بمعنى أدق لرفع الحجاب عن الإسلام ، الذى يدين به الشرق.

وقد تقدم لنا عنه حديث نتمه في هذا الجزء .

السماحة والتسامح أم العنف ؟

فى هذا الجانب يقرر المؤلف أن الإسلام هو دين السماحة المطلقة بلا منازع ، وأن هذه الحقيقة يصعب على الغرب تصديقها !!

ويبرهن على ذلك أنه فى حين تزعم العقيدة الكاثوليكية أنه (لا خلاص بدون الكنيسة الكاثوليكية) فإننا نجد القرآن يقرر أن اختلاف البشر أمر طبيعى فيقول :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. ﴾

الآية ٤٨ /المائدة

ثم يذكر عددا من آيات القرآن الكريم التى تدور حول سماحة الإسلام وعدم الإكراه فى الدين . غير أنه فات المؤلف . أن النجاة فى الأخرة وقف على الايمان الخالص بالله وحده .

مبرهنا ص١١٦ على أن الإسلام لا يرضى التبشير العدوانى على غرار الارساليات النصرانية .

ثم يتساءل : ما العمل إذا كفر المسلم ، أو ارتد عن الإسلام اليوم ؟ وهو يعتقد ـ وهذا خطأ ـ أن من يرتد اليوم عن الإسلام فهذ شأنه ، ولا يجب قتله ، وأن ردته لا يجب أن تساوى مع هؤلاء الذين ارتدوا أيام أبى بكر رضى الله عنه ؛ لأنه إنسان مسالم فارتداده نوع من رفض الهداية التى لا تصل الى درجة الكفر !! وهو فى ذلك يستند إلى أنه لا يوجد نص فى القرآن الكريم كحد للمرتد ، وفات المؤلف أن الحديث النبوى الصحيح تشريع مقرر بنص القرآن الكريم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

النور ٥٦

وهناك أكثر من حديث نبوى شريف يبين أن القتل عقوبة المرتد .

وكم نأسف لعدم رجوع المؤلف إلى أحاديث رسول الله ﷺ وهو يعلم أنها مصدر له أولويته فى التشريع ، وقد ورد فى ص ٤٣ من هذا الكتاب ما يلى : « ... فضلا عن أن القرآن ليس وحده الأساس المحتكم إليه فى فهم الإسلام ؛ لأن الرسول ﷺ أوتى القرآن ومثله معه ، أى السنة النبوية التى تشرح فيما تشرح المجمل وغير المجمل فى القرآن ، لِيَتَفَقَّهَهُ المسلم ، فالسنة هى المصدر أو النبع الثانى الذى لا غناء للمسلم عنه ، وكذلك لمن يريد فهم القرآن والإسلام » .

وقد قال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود .

ثم يتساءل مرة أخرى :

إذا كانت هذه هى سماحة الإسلام ، فأين هذا التسامح عمليا ؟ ويستطرد :

أليس الإرهاب العرقى الفلسطينى انتقاما مستعضريا يستبيح دم الضحايا أرضا وبحرا وجوا دون تفرقة بين ضحاياه ؟!

ثم يجيب عن ذلك بأن هذا الإرهاب تحكمه عوامل مختلفة منها المحلى والسياسى .. ولكن الإسلام برىء من الإرهاب .

ثم يضرب أمثلة للإرهاب فى مناطق مختلفة من العالم مثل « جماعة التحرير الدينى لجنوب أمريكا » وأعضاء « جناح الجيش الأحمر » الألمانى وحزب « التعامل مباشرة : إكشيون ديركت » فى فرنسا و« الهيئات الحمراء : بريجاته روسّى » .

ثم ينهى المؤلف هذا الفصل بأن التسامح فى الإسلام مبدأ يشمل المسلم وغير المسلم .

ملكية وراثية ، أم جمهورية ؟!

وفى حديثه عن شكل الحكم فى الإسلام :

يرى أن الفروض المبنية على « لو » مثل : لو كان كذا لكان كذا ، وماذا لو كان كذا ؟ ... إنما هى من سفسطة القول ومن ثم يكف فى هذا الجانب عن سفسطة القول وعن تساؤلات « مثيرة للدوار » .

ثم يوضح المؤلف مجاهدة النبى ﷺ لاستئصال شأفة العصبية الجاهلية التى استبدت بالناس فى أحلاف قامت على الدم حتى ألغاها ، فأصبح الرسول ﷺ قائدا لكافة الأحلاف غير المرتبطة بوشائج القرابة والدم فى المدينة(*) ، وأصبحت أخوة الإيمان أولى من أى علاقة أخرى .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ...... ﴾ الآية ١٠٣/آل عمران .

ثم يقدم بعد ذلك بعض الفروق بين أهل السنة والشيعة ويختم هذا الفصل بقوله :

« أخيرا ، فإنه ينبغى علينا التنبيه إلى أن المسلمين من أهل السنة يحبون النبى ﷺ ويحبون عليًا – رضى الله عنه – كل الحب ، ويجلونهما كل الإجلال وذلك فى حدود الإطار الذى فرضه الإسلام ، وارتضاه نبى الإسلام ، لا الحب والإجلال المفرط المؤدى إلى التقديس والتأليه ، وحسبك أن الله أمر الرسول ﷺ أن يقول :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فصلت/٦ .

وبهذا يتبين : أمام أتقى الأتقياء ، والغالى الضال المضل على السواء : حدود الحب والإجلال ، التـــى لا يجوز تخطيها بحال من الأحوال » .

وفى الفصل العاشر :

الدمج المتساوق أو : الدولة فى الإسلام

يرى المؤلف أن الدولة فى الإسلام هى ذلك الدمج بين الدولة والدين فالدولة يحكمها الدين ، والدين ينظم الدولة . كنظام يختلف عن النظام الديمقراطى الذى يرى أن فصل الدين عن الدولة فصلا تاما شرط أساسى لابد من توافره لإقامة نظام ديمقراطى حقيقى شرعى دستورى .

لذا أرى – أى كاتب هذه السطور – أن موقف الغرب من عقيدته يدل على إيمان مواطنيه بأن عقيدتهم المتداولة بينهم لا ديمقراطية فيها .

ولكن ما علينا .. فلنعد إلى فكر المؤلف الذى يرى أن الإسلام يقدم نموذجا تمحى فيه الفواصل بين الدين والدولة فى نظام حكم قائم على الديمقراطية كذلك .

وبهذا يملأ الإسلام حياة الإنسان أو يحتويها بكافة نواحيها .

ثم يوضح أن هناك ثلاثة عناصر يمكن استخلاصها بشأن ماهية الدولة ، وهى :

١ – مبدأ القيادة الفردية : أى أن الحاكم ليس لجنة .

(*) فى هذا التعبير للمؤلف تجاوز فإن الرسول – عليه الصلاة والسلام – مدح الحلف الذى يقوم على نصرة الضعيف والعمل بالحق والانصاف فأما ما كان من حلف على الطريقة الجاهلية فقد ألغاه – عليه الصلاة والسلام – وقال : « لا حلف فى الإسلام » رواه البخارى

٢ – مبدأ الشورى : وهو يتيح ويُخَوِّل للحاكم مباشرة السلطات التنفيذية والتشريعية على أساس الشورى .

٣ – مبدأ الإسلام دينا رسميا للدولة : كون الحاكم مسلما ، ومصدر التشريع القرآن .

[وكان ينبغى هنا إضافة السنة إلى هذا المصدر الكريم ، وما ترتب على ذلك من اجتهاد يواكب العصر] .

ثم يتساءل فى نهاية هذا الفصل : ما التصور المحدد للدولة الذى يراه ويريده أولئك المطالبون بالإسلام دينا ودولة ؟ خاصة أنهم خلعوا على الإسلام فى العالم العربى وجها سياسيا واضح الملامح ؟.

ثم يجيب عن هذا التساؤل قائلا :

« ... إن الذين وراء تلك الحركات الإسلامية يبتغون – بالتأكيد – إعادة تحقيق الكرامة لشعوبهم ، وتحقيق استقلالها السياسى والثقافى والاقتصادى استقلالا تاما عن قوى الاستعمار القديم والحديث ، لكنهم ينبذون عن غير قصد – نبذا يكاد يكون تاما – المكاسب الديمقراطية أو صيغ الديمقراطية الغربية والتى كانوا قد عرفوها منذ عهد الاستعمار – سابقا – بصفتها أداة القمع الاستعمارى ، ووسيلته فى تشويه الإسلام ، وتنصير غير النصارى تنصيرا لا يتورع عن شىء ، كما عرفوها – أيضا – وسيلة قائمة فعلا فى التمهيد للإلحاد .

فى معترك هذا التوجيه الارتكاسى تتعاظم أهمية الإسلام وتزداد ، ليس فقط ، لأنه يخدم قضايا وضع الحدود المميزة الفاصلة عن الغرب ، واكتشاف الملامح الذاتية ومقومات الشخصية والهوية الإسلامية ، واستعادة الكرامة واحترام الذات .

وإنما لأن الإسلام اليوم أكثر من أى وقت مضى ، يبين الطريق الثالثة ، بين الطريقين الرأسمالية والاشتراكية التى يجب أن تُسْلك للخروج من وهدة الارتكاس إلى الاستقلال الفكرى الحضارى ، قولا وعملا .

وفى الفصل الحادى عشر :
المعاملات الاقتصادية الإسلامية :

يوضح المؤلف أن الأسس الاقتصادية المذكورة فى القرآن كافية لاقامة أهم الإطارات والشروط الاقتصادية التى يجب توافرها فى كل نظام اقتصادى إسلامى .

هذه الأسس :

احترام حق الملكية الخاصة .

التزام المسلم بأن يسعى سعيا شريفا ، باسهامه فى العمل المنتج ، ويشمل هذا التجارة المستهدفة للربح فى إطار الأسعار الحرة التى تسمح بها الأسواق غير الاحتكارية .

على الدولة أن تشرع القوانين اللازمة لمنع الاحتكار والغش(*) .

المسلم مطالب بالاعتدال .

---

* مسألة التسعير فى الإسلام بالنسبة للحكومة غير مطلقة .

ثم يذهب الى القول بأن علم الاقتصاد الإسلامى الحديث بدأ فى التخطيط والتصميم لإقامة نظام اقتصادى إسلامى مميز ، بمهمة كبير إلا أن النجاح المرتقب لم يتحقق إلا بصورة ضئيلة جدا .

ويرى المؤلف أن قيام النظام الاقتصادى الإسلامى المثالى ، يحتم وجود الأمة الإسلامية لمثالية مسبقا .

ويعلق فى جانب الربا وهو محرم قائلا :

« ... بالرغم من تحريم شريعة موسى للربا ، وبالرغم من تحريم عيسى له ، وبالرغم من تحريم القرآن له تحريما صارما .. إلا أننا نرى العديد من الدول الإسلامية لا يتورع عن ايداع طائل الثروات فى البنوك الغربية بالفوائد المغرية » .

ويخلص فى النهاية إلى أن المطلوب لنجاح هذا النظام هو كفاءة وقدرة سوق رأس المال غير ذات الفوائد أو الأرباح على القيام بحشد رأس المال وتوجيه الى المشاريع المربحة الطيبة الربح .

ثم ينهى هذا الفصل بتساؤل :

أما آن لفرد واحد أن يهتدى إلى نظام اقتصادى حقيقى فعّال ، سداه ولحمته هدْى الإسلام وأخلاقياته ، اقتصاد إنسانى ؟!

وفى الفصل الثانى عشر :

الإسلام والبيئة :

وقد تضمن هذا الفصل قضية البيئة وتلوثها ، ومناداة الغرب بالحفاظ على البيئة ، وتناول المركز الإسلامى فى « آخن » فى مايو ١٩٨٩م هذه القضية بالدراسة التى أوضحت حرص الإسلام على البيئة وعدم الإفساد فيها ، ويخلص المؤلف إلى أن حل مشكلة التلوث لا يتأتى باتباع المنادين بالرجوع إلى الطبيعة مثل « هوبجر شلايب » ، وغيره ، ولن يتأتى بالرومانسية التى يروج لها ساسة الخضر ؛ ذلك أن العواقب الوخيمة لتجاهل وجود الله أخطر ما يتهدد الطبيعة . ولا يدفع هذا الخطر عنها تأليه البعض لها والتغنى بحبها .

إن إنقاذ الطبيعة يتطلب تغييراً جذرياً تاماً لن يتسنى له النجاح إلا إذا فهم المسلم أنه عبد لله ، بكل ما فى الكلمة من معنى .

ولعل ذلك ما أدى إلى دخول أفواج من الخضر فى الإسلام . وفى ذلك يقول المؤلف :

« هكذا تدخل أفواج من الملتمسين الاصلاح فى السياسة التى ينادى بها الخضر ، فى الإسلام ، بعدما تيقنوا أن الحل البديل الذى تصوروه ليس البديل المأمول ، وبعد أن أسلموا أنفسهم للخوف من الخوض فى مغامرتهم حتى النهاية ، بشكل يكاد يكون حتمياً ومفضحاً .. فإذا كانت مخاوفهم بادىء الأمر عَرَضاً مرضياً لأزمة القيم فى المجتمعات الغربية ، فقد تبدلت تلك المخاوف ذاتها إلى حوافز قوية باحثة عن السلام ، فى الخشوع لله ، باعتناقها للإسلام ديناً ، ففيه ضالتها وهداها .

وفى حديثه عن التصوير والفن فى الإسلام :

يوضح المؤلف فى هذا الفصل أن اتخاذ العرب ـ قبل الإسلام ـ الأصنام آلهة ، هو ما يجعل الإسلام يحرم التصوير .

أما ما يتخذ للعب الأطفال فلا يدخل فى هذا التحريم ، خاصة أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تلعب فى صباها وأول عهدها بالزواج

بعرائس ، ولم يحرم الرسوم – صلى الله عليه وسلم – ذلك .

ثم يقول « ..... وازدهار فن الخط والزخرفة وفن العمارة الإسلامى كذلك ، حقائق تشهد بتشجيع الإسلام للفن الراق الرفيع » .

إن أى دين يؤمن بالحياة الآخرة بعد الموت ، كالإسلام لا يرضى أو يشجع التطور الفنى إذا كان سادراً مطلق الحدود غير ملتزم مثل مذهب « الفن للفن » ، فوقت المسلم محسوب عليه ، وليس له أن يضيعه هباء فى غير جدوى .

لذا ، فالفن الإسلامى ينبثق من رؤية دينية معينة وهذا ما يشكل الملمح الفارق الذى يجعله فريداً فى نوعه ، أو يجعله نسيجاً وحده .

وفى فصله عن « علم الفقه فى الإسلام » :

أشار إلى أهم ثلاث مدارس للقانون وهى : الرومانية والانجلوسكوسونية والإسلامية ، ورأى أن مدرسة القانون الإسلامى استقرت فى القاهرة حيث نبغ الإمام الشافعى (٧٦٧ – ٨٢٠) .

ثم أوضح أن الشعور الضخم بالمسئولية أدى أحياناً بالزج بعلماء الفقه الإسلامى فى السجون مثل : الإمام أحمد بن حنبل ، ثم يقول :

ان تلك المنزلة لا يمكن أن تقارن بمنصب الأسقف الألمانى مثلاً ، ولكن لنا أن نقارنها بسلطات قاضى المحكمة العليا فى الولايات المتحدة الأمريكية .

هذه الظاهرة يمكن أن نلاحظها فى كفاءة الفتاوى التى يصدرها شيخ الأزهر أو المفتى فى المشاكل الحديثة مثل « إعارة الأمومة » .

وعن المذاهب الأربعة يقول :

« إن نشأة المذاهب الفقهية لم يكن بحال من الأحوال عرضاً مرضياً من أعراض الطائفية والتشيُّع فرقاً ، وإنما كان ولا يزال دليلاً قاطعاً على الحيوية والسماحة اللتين صبغتا الفكر الجمعى الخلاق فى الإسلام والذى تمثله وأخرجه للناس إخراجاً عبقرياً الراسخون من الفقهاء ، مثل : أبو حنيفة – ومالك – والشافعى – وابن حنبل – رضى الله عنهم أجمعين – .

وفى الفصل الخامس عشر :

حقوق الإنسان فى الإسلام :

يقرر المؤلف أن المعَوَّل عليه فى قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله : فإذا أنكر امرؤ وجود الله ، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته ، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حينا من الدهر .

بيد أن العصر الحديث شهد صياغة أخرى لحقوق الإنسان تتمثل فيما ينبغى على الدولة عمله لتضمن لكل فرد عملاً وسكنا ورعاية صحية ، والاستمتاع بالطبيعة ، وبحظه من الحياة ... إلخ .

لقد أدى هذا إلى الإفراط والتضخم فى حقوق الإنسان وإلى توسيع رقعة اختصاص الدولة .

وترى فى أيامنا هذه من يطالب بأن يكون هناك « حق أساسى فى الحوف » ويتلو هذا الحق حقوق أخرى ، ولا عجب .

إن الإسلام برىء من هذا العبث ، علماً بأنه من أسبق الأنظمة الشاملة لحقوق الإنسان .

والحقوق فى الإسلام كلها سواء ، لا تفريق فيه بين أولوية أحدها على الآخر ؛ فالحق حق . لهذا لا تنفرد حقوق الإنسان فى مراجع مستقلة .

ويختم المؤلف هذا الفصل بقوله :

بعد كل هذا يتبقى أن نعيد أنه لا تعارض أو تناقض فى الجوهر بين الإسلام وبين مبادىء حقوق الإنسان ، بل العكس يجب أن يذكر ، لبيان عظمة الإسلام بوصفه نظاماً شاملاً متكاملاً فى احترامه لحقوق الإنسان وتأكيدها .

وفى الفصل السادس عشر ـ المرأة فى المجتمع :

يصدر المؤلف هذا الفصل بتصوير « فرجيل غيورغيو » لمكانة المرأة العربية فيقول :

« المكانة التى تحظى بها المرأة لدى العربى ، لا تكاد تحظى بها لدى سواه من الرجال على ظهر هذه الأرض » .

ثم يعقب بعد عدة براهين وطول شرح ـ بقوله :

هل يبقى بعد ذلك مجال لامرىء فيظن ظناً أن أولئك العرب الجاهليين كانوا يحقرون المرأة ويمتهنونها قبل الإسلام ؟

ثم يتناول موضوع « تعدد الزوجات » ، وأن هناك استثناءات يجوز فيها التعدد : كحالة الحرب وسقوط غالبية الرجال صرعى[1] .

لذا يرى أنه ليس تعدد الزواج ـ دائماً ، وفى كل حالة ـ منافياً للقيم والعادات حتى فى نظر القانون الألمانى اليوم ؛ لهذا فإن اتهام تعدد الزوجات فى الإسلام اتهاماً مطلقاً غير أخلاقى اتهام باطل ، بل إنه يدل على عدم البصر أو قصر النظر .

وبعد عرضه لعدد من القضايا التى يلوكها المستشرقون ويهاجمون بها الإسلام يقول ص ٢٠٥ :

على أننى أخشى أن هذا الباب الذى يعالج (وضع) المرأة فى الإسلام لن يجد قبولاً على الاطلاق لدى بعض القراء الأوروبيين ؛ لأنه لا يوائم روح العصر الذى يسود ... وماذا عسى فلسفة الأخلاق (الملتزمة) المقيدة للإباحة الجنسية أن تبلغ أو تنشد فى عالم سادر لا يعرف محركاً أو ممنوعاً فى هذا الميدان ؟؟[2] .

ويختم هذا الفصل بقوله :

« إن الإسلام ليس موجة فى (الموضة) أو اتجاهاً .... إن الإسلام لقادر على الانتظار والانتصار » .

وجاء فى الفصل السابع عشر :

« الشرق من وراء حجاب »

حيث يذكر المؤلف عدداً من المستشرقين الذين يرى أن جهودهم ساهمت فى التعرف على صورة أوضح للشرق والإسلام ، فذكر منهم : « كارل بروكلمان » ـ « ألفريد فون كريمر » ـ « أوجست ميللر » ... إلخ .

كذلك يذكر عدداً من الذين تناولوا الإسلام من وجهاتهم الشخصية ـ كالتنصير مثلاً ـ مثل : « سير هملتون جب » .

(١) فى الواقع إن الإسلام لا يبيح التعدد عند هذه الحالة فقط ، وإنما يفرض الإسلام وجود العدالة بين الزوجات ، وخاصة العدالة المادية ونحوها .

٢ـ لعله ـ وهو يقول : « لا يوائم روح العصر الذى يسود » يريد لا يوائم أولئك القراء الأوروبيين المتعصبين ضد الإسلام .

وعن صورة الشرق يقول المؤلف ص ٢١٤ ، ٢١٥ :

« فى وسط هذه الصورة عن الشرق تبرز صورة النقاب أو الحجاب الذى يُبرز وجود المرأة المسلمة بالفعل فى الشرق ، وهذا ما يأباه الغرب ؛ لأنه مخالف لتصوره عن الشرق الغارق فى الملذات ، فالحجاب نقيض تصور الغرب ؛ لأنه دليل على العفة التى تريد المرأة إبرازها وتأكيدها ، ورمز للالتزام الخلقى الذى لا يسمح للغرائز الجنسية أن تتبرج كما يحلو للبعض أن يراها ويعيشها فى الغرب ، أو قل : لا يريد الغرب أن يفهمها ، فضلاً عن أنه لا يريد أن يعترف للإسلام بأنه دين يدعو للفضيلة والأخلاق الحميدة ... » .

ثم يتكلم عن أزمة الحجاب التى حدثت فى فرنسا سنة ١٩٨٩م وينهى هذا الفصل بقوله ص ٢٢١ :

« ... إن تلك المسلمة ذات الخمار أو الحجاب إنما تريد أن تقول لمن حولها فى البيئة التى تعيش فيها : « أيها الناس ! إننى امرأة لى كرامتى ، عليكم أن تأخذونى مأخذ الجد ، وليس لكم أن تنظروا إلىّ أو إلى ساقىّ نظرة رخيصة خبيثة » .

وفى الفصل الثامن عشر :

القانون الجنائى أو رجم الأميرة .

يستهل المؤلف هذا الفصل ببيان سبب إفراد فصل فى هذا الكتاب للحديث عن المسائل الجنائية . وأن هذا السبب إنما يكمن فى شغف الإعلام الغربى بتصوير الإسلام وكأنه يسعى سعياً إلى قطع يد السارق ورجم النساء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ثم يبيّن مغالطة هذا الادعاء . فيقول :

« ... أنىّ (للمتهم)(١) أن يأتى بأربعة شهود ممن ترضى شهادتهم من العدول الرجال ليؤيدوا دعواه ، مع مخاطرة أولئك الشهود بتعرضهم للجلد ... ويكفى لذلك ثبوت كذب واحد من الشهود الأربعة » .

ويخلص من ذلك إلى أن من توافرت فيه الشروط لإقامة الحد عليه فى مثل هذه الجريمة ، إنما هو فاسق ماجن مستهتر ، قصد قصداً الاستفزاز وتحدى الشريعة الإسلامية والجماعة الإسلامية وأنظمتها جهراً » .

ثم يختم هذا الفصل بقوله ص ٢٢١ :

إن المسلم يرى فى العقوبات التى نص عليها القرآن حدوداً حدها الله ـ سبحانه ـ بحكمته الإلهية ، وإن لم يستطع العقل البشرى ـ دائماً ـ أن يفقه الحكمة منها ، وأن تلك الحدود ليست نوعاً من الوصايا لمن شاء أن يعمل بها ، أو أن لا يعمل بها » .

وفى الفصل التاسع عشر :

« الحرب المقدسة فى زعمهم » .

يبدأ المؤلف هذا الفصل بقول فصل ، فيقول :

« الإسلام لا يعرف الحرب المقدسة ، بل ولا يقر هذه الصياغة » .

ثم يقدم إحدى مغالطات الأب الكاثوليكى هانز فوكنج حيث يقول ص ٢٣٢ :

---

(١) يقصد : المدعى .

«إن من يزعم أن الجهاد لا يعني سوى مجاهدة الأعداء دفاعاً عن النفس والوطن وغير ذلك ، أو أنه جهاد النفس ، إنما ينكر ما نص عليه القرآن ، وما أقرته السنة فيما انتهت إليه».

والأب الكاثوليكي إنما يريد إظهار المسلمين في صورة من يسعون إلى سفك الدماء سعياً ، وأن دينهم يحثهم على ذلك ؛ فيقدم الآيات :

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾

التوبة ـ ٥

ثم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾

التوبة ـ ٧٣

ويعقب المؤلف على ذلك بقوله ص ٢٣٢ :

«ولا تعليق هنا إلا أن نذكر أن هذه الطريقة الفجة في البرهنة على أن شن الحروب على غير المسلمين بلا هوادة فرض على كل مسلم ومسلمة ، طريقة ... متجنية ، فليس من البرهنة العلمية أن يقتطع أحد آية أو آيتين مجرداً ذلك من السياق الكلي ومن المناسبة التاريخية وأسباب النزول ، ثم يبني على ذلك حكماً ظالماً كالذي زعمه الأب الكاثوليكي ...».

أما الفصل العشرين :

القانون الدولي :

ففيه يوضح المؤلف أن القرآن وضع الأساس الأول لقيام التبادل التجاري النشط وذلك في قوله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ ... ﴾

المائدة ـ ١

حيث إن تعهد أحد أفراد الأمة بالجوار ملزم للأمة جميعاً باحترام الجار(*) .

ذلك القوانين القرآنية للأقليات غير المسلمة تدل على سماحة الإسلام ، ويشهد لذلك الحياة المزدهرة للأقليات اليهودية على امتداد العالم الإسلامي ، وفي ظلاله منذ العصور الأولى للإسلام وحتى القرن العشرين من المغرب إلى اليمن وتركيا .

ثم ينهي هذا الفصل الأخير بتساؤل يقول :

هل ينبغي لنا أن نتكلم عن قانون دولي إسلامي بالمعنى العلمي الضيق لهذا المصطلح ؟

إن من الممكن لمثل ذلك القانون الدولي الإسلامي الجزئي أن يتطور مراعياً ما سبق اتخاذه من قرارات وأحكام اجتماعية استقرت مسبقاً ـ ليكون بمثابة قواعد انتقالية تنظم العلاقات بين الدول الإسلامية القائمة فعلاً ، وأن تكون لذلك القانون صلاحية ملزمة ، وذلك إلى أن تتحقق

* راجع في الجوار ـ هدية صفر ١٤١٥ لمجلة الأزهر .

الوحدة المنشودة بتحويل الدول الإسلامية جميعاً إلى الأمة الإسلامية الواحدة التي يحبها القرآن الكريم .

ويلحق بالكتاب فصلا يشمل : « ما كتبته بعض الصحف عن د. هوفمان وكتابه الجديد .

نذكر منها : « دبلوماسي ألماني يروج للقرآن » .

« سفير ألماني يصرح : يجوز ضرب الزوجات » .

وقد عرض هنا عرض شيئاً مما تعرض له السفير وزوجته التركية المسلمة من أذى بواسطة بعض الصحف الرخيصة .

واشتمل هذا الفصل - أيضاً - تعريف السفير الألماني وأنه أسلم قبل ثلاثة عشر عاماً فأصبح منذ ذلك الوقت مسلماً سنياً .

وقد ذكر السفير ذلك وكيف أسلم في كتابه المنشور عام ١٩٨٥م بالألمانية « يوميات ألماني مسلم »[*] ولم يهم أحد بإسلامه .

كما يشتمل هذا الفصل - أيضاً - على بيان وزارة الخارجية في ١٩٩٢/٤/٢٥م والذي ينتهي إلى أنه :

« .. قد أسلم السفير المذكور عام ١٩٨٠م ، وله الحق ككل مواطن آخر أن يعتنق الدين الذي يؤمن به ، أما أقوال السفير وكتابه « الإسلام هو الحل البديل » فليسا خروجاً على واجبه الوظيفي بصفته سفيراً » .

وبعد ، فإن الكتاب يعد بياناً طيباً يحق الحق صدرت عن قلب رجل مؤمن بالله وملائكته ورسله ، يود أن ينشر ما تيسر له من علم بالإسلام - بين بني جلدته - ويقارعهم الحجة بالحجة .

كرده الواضح على « أزمة الحجاب » بفرنسا .

هكذا ، نجده مسلماً محصاً ، ينتقل بين الموضوعات بتبصر وتروٍ ، ينشد الحق ويهدى إليه .

وفي حديثه عن الإسلام أتى بالكثير النافع العلمي المفيد ، وإذا كان هناك هنات فيما كتب ، فإن رأي الأزهر قد أوضحها ووزعت مع الكتاب .

---

* يمكن الرجوع إلى عرض هذا الكتاب بقلم الأستاذ عبد السلام ناصف بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٥ هـ .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

الإسلام قادم

على الرغم من أن الإسلام لم ينج من أعدائه بعد أن غزوه واتهموا علماءه ، إلا أنه قادم يزداد صلابة فى نفوس أهله ، وينتشر انتشارا كبيرا فى أوربا وأمريكا وغيرهما من قارات العالم .

وما من يوم إلا وتطالعنا الأنباء بأسماء العديد ممن أعلنوا إسلامهم ، وما من يوم إلا ويشهد الأزهر المعمور عشرات الوافدين عليه ممن أشرق نور الاسلام فى قلوبهم ، فتسموا بأسماء المسلمين وجاءوا يشهرون دخولهم فى الإسلام ، وهكذا .. « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » الصف ٨ .

حول هذا المعنى تلقى الباب كلمة الأستاذ/ عباس محمد الملاح من سيدى غازى بالبحيرة جاء فيها :

إن العالم يسير بخطاً واسعة نحو الإسلام الحنيف لكى يحتمى به ويستظل بدوحته الوارفة ، ويستضىء بنوره من ظلام الحياة التى طغت ماديتها حتى أعمت النفوس وأيقظت المطامع وأماتت الروحانية فى القلوب والضمائر .

ذلك لما فى هذا الدين من عطاء متجدد ومرونة جادة وحيوية فائقة وتناغم مع الكون والحياة ومسايرة لأطوارهما على اختلاف الأشكال والأزمان والمواقف ، فضلا عن اتفاقه مع الفطرة بعد توجيهها إلى بارئها لتسير على الطريق المستقيم بالتزامها بالخير والفضائل والعمل الصالح .

وهو — أى الأسلام — بهذا يربط بين الدنيا والدين والآخرة برباط متين فى مجتمع فاضل متماسك يمثل نموذجا فريدا هيهات أن تصل إليه النظرة الأرضية والقوانين الوضعية .

أولويات إعلامية

ليس من شك فى أن الصورة الإعلامية العامة فى مجتمعاتنا تدعو فى كثير من موادها إلى الانحلال الخلقى وتفشى الرذيلة بما تحمله من دعاوى الشر وإثارة الغرائز ، وفى واقع الإعلام وما نرجو أن يكون عليه كتب الأستاذ محمد أبو اليسر عبدالهادى ـ بكلية التربية النوعية بمنية النصر ـ يقول :

« إننا نتعرض لغزو فكرى وثقافى رهيب يختلف فى مضمونه عن ثقافة الإسلام وقيمه وحضارته ، ويحمل بين طياته كل ملامح الانفتاح الأخلاق أو ما يسمى « بالمجتمع المتحرر » عن أى شرع أو دين .

وقد انعكس ذلك على شبابنا بصورة واضحة ، حتى أصبح يعرف عن أخبار الممثلين والممثلات فى الداخل والخارج أكثر مما يعرف عن الإسلام ، فقد جعله الثقافة الإعلامية الحاضرة ذا أمية كبيرة بمتطلبات دينه .

ونحن بصدد تشخيص الداء نجد أن عوامل كثيرة تداخلت ثم اتحدت فأسفرت عن هذه التراكمات ، وربما أتى على رأس هذه العوامل السلبية تقليص الدور التوجيهى فى الرسالة الإعلامية ـــ وهو الدور الذى تُمَكِّنُ النفوس من دحض الرذيلة ومقاومة دعاوى الشر .

فقد غاب هذا الدور ـــ أو أوشك ـــ وحل محله فى إعلامنا المطبوع والمرئى أكوام كثيرة من القيم الفاسدة عبرت إلينا من الأغانى الهابطة والأفلام المخلة والإعلانات المثيرة .

كم أتمنى أن تكون مساحة الدين كبيرة فى إعلامنا ، فمن المؤكد أن الإعلام لن يحدث تأثيره المرجو فى الجماهير إلا من خلاله .

دور الثقافة الإسلامية

نشرتم فى عدد المحرم ١٤١٥ هـ كلمة لى تحت عنوان « دور الثقافة الإسلامية » وقد طلبت المجلة إيضاحا منى لمضمون عبارة « إن الأمة فى حاجة إلى فكر متجدد اقتصادى وسياسى وتعليمى ينهض بها » أوضح بها ما يدور فى فكرى .

إننا ياسيدى تخلفنا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .. لماذا ؟ لأن معالم الطريق للعديد من الأنظمة العربية تتحرك بخليط من الليبرالية والماركسية والعلمانية .

فأين يقظة الأداء فى العمل الإسلامى حتى تضىء كل الزوايا المظلمة ليصبح عام ١٤١٥ هـ مبشرا بالانفراج ؟ لذا ينبغى أن يكون التحرك السياسى والاقتصادى والتعليمى سائرا فى إطار رؤية اسلامية شاملة جامعة .

إن التحديد المطروح هو أن تستجيب لقرآننا وسنة نبينا ، ففيهما منهج حكمنا ودستور حياتنا ونشكر الله ـــ تعالى ـــ على ذلك ونتهيأ لما هو آت .

يحيى السيد النجار

الخزاوى ـ دمياط

معهد جديد للدعاة في ماليزيا

افتتحت المؤسسة الإسلامية بـ (كلنتان) معهدا للدعوة والإمامة في « نيلم فورى بمدينة كوتاباهارو — عاصمة ولاية كلنتان الماليزية » .

يقبل المعهد خريجي المعاهد الإسلامية الثانوية وتستغرق مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، يحصل الدارس بعدها على دبلوم الدراسات الخاصة ، يقوم المعهد بتزويد الدارسين بالثقافة العالية والأخلاق ، والآداب الإسلامية والقيم الرفيعة المستمدة من عقيدة الإسلام وشريعته المطهرة ، ومن ثم فإن المعهد لايزال في حاجة ماسة إلى الجهود المادية والمعنوية لاستكمال منشآته وتكوين مكتبة إسلامية ضخمة تكون مرجعا للباحثين والدراسين .

يستهدف المعهد تخريج قيادات مهرة قادرة على نشر الاسلام ومن ثم فقد وضعت المناهج الدراسية بدقة وعناية بحيث تغطى كافة العلوم العربية والشرعية ، فضلا عن اللغات الأجنبية وتقنيات العصر الحديث ، ولقد اشترطت المؤسسة للالتحاق بالمعهد ما يلي :

حمل شهادة الثانوية العامة الماليزية أو مايعادلها مع شرط الحصول على درجة جيد على الأقل في مادة اللغة الملايوية .

حمل شهادة الثانوية الدينية العالية أو مايعادلها .

الا يقل عمر الطالب أو الطالبة عن ١٨ سنة في يوم التسجيل .

واجتياز الامتحان الخاص والمقابلة الشخصية والنجاح فيهما بدرجة لاتقل عن ٥٠٪ .

وقد اختير الأستاذ « حسن بن متليح (محمد صالح) الماليزى — وهو ممن حصلوا على درجة الماجستير من الأزهر عام ١٩٦٦ م — لادارة هذا المعهد » .

ومجلة الأزهر تهنىء ماليزيا بهذا الصرح الإسلامي الجديد وتتمنى له وللقائمين عليه تمام التوفيق .



على كل من يرغب في الاشتراك بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة (١٢) عدد ، تكون على النحو التالي :

— ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .

— ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربي .

— ٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربي .



بوسنتى الحبيبة :

أبدى إليك ندمى وأسفى على ما راح منك ضحية للغدر والعمالة والخيانة ، يا أرض البوسنة عينى بصيرة ويدى قصيرة وماذا أفعل وقد تفرق أولادى فى الدنيا منكبين على غرورها ، متكالبين على شهواتها ، فنسوا إخوانهم ، وأخشى أن يذوقوا بذلك العذاب ، ولكن لا تقنطى من رحمة الله — تعالى — سوف ينصرك الله ولو بعد حين ، وستظل راية الإسلام مرفوعة فوق ربوعك .

إن كان أعداؤك سلبوا منك الأمان فلن يسلبوا منك الإيمان ، فاصبرى على البلاء ، فلابد للصبح أن ينجلى .

عادل على على اسماعيل
قورص — الجهون — منوفية

أمل ورجاء من محافظ سيناء

الشيخ محمد الدمياطى (رحمه الله تعالى) علم من أعلام الإسلام كما هو علم من أعلام سيناء أيضا ، فقد بنى فيها أول مسجد فى شمال سيناء بجوار قلعة العريش فى عهد السلطان سليمان القانونى .

زار قبره مفتى الشام « عبدالغنى بن اسماعيل النابلسى » — رحمه الله تعالى — منذ حوالى ٣٠٠ عام وأرخ لذلك بصفحة ١٧٢ من كتابه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز » حيث ذكر فيه بالحرف أنه « زار قبر ولى الله الشيخ محمد الدمياطى تلميذ الشيخ نور الدين الدمياطى صاحب « الدمياطية » وصلى العشاء فى مسجده المعمور بجوار قلعة « العريش » .

آمل من محافظ سيناء إطلاق اسم هذا الشيخ الجليل على إحدى مدارس العريش إلى جانب إطلاق اسمه على مسجده — تكريما له باعتباره أحد أعلامها البارزين .

محمد وسيم أبوعزب
المدرس بشمال سيناء — العريش



هو سيدنا الحسين — رضى الله عنه — بن الإمام على كرم الله وجهه وحفيد رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا فقد قال عنه : « حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا » رواه الترمذى وقال حديث حسن راجع ٥ / ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

والدته هى السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة .

روى البخارى ومسلم والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » أم الحسن والحسين .

ولد الإمام الحسين رضى الله عنه بالمدينة المنورة فى الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة وقد حنكه جده عليه الصلاة والسلام بريقه ، وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه « حسينا » وعق عنه بكبش وأمر بحلق شعره والتصدق بوزنه فضة .

اشتهر – رضى الله عنه – بالحكمة والبلاغة والفصاحة ورقة الإحساس وعدم الخشية فى الحق ، ومن أقواله رضى الله عنه :

– إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً .

– من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه غدا .

– إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وأبليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى لا يكون من الكريم إلا الكرم .

وبينما كان « ابن عباس » يحدث الناس قام إليه « نافع الأزرق » مقاطعا وقال له « تفتى الناس فى النملة والقملة ، صف إلهك الذى تعبد » وكان الإمام الحسين جالسا ، فقال إلىّ يا ابن الأزرق قال لست إياك اسأل ، قال ابن عباس إنه من بيت النبوة وهم ورثة العلم ، فأقبل نافع تجاه الإمام الحسين فقال : يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل دهره فى التباس ، أصف لك إلهى بما وصف به نفسه ، وأعرفه بما عرّف به نفسه ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق بعيد غير منتقص ، يوحد ولا يبعض ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال[1] .

استشهد – رضى الله عنه – فى شهر المحرم يوم عاشوراء وهو ابن ٥٦ سنة فى معركة (كربلاء) بالكوفة – فى العراق – على يد جيش يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى معركة غير متكافئة فجزاه الله عن جهاده خير ما جازى به مجاهدا عن دينه .

رمضان ابراهيم الأقرع
خطيب بطنطا – اخناواى

---

(١) الحدائق الوردية : عبد المجيد بن محمد الخانى – دمشق – للناشر عبد الكريم الدورق ص ٣٣ .

نبضات الذكر

شعر : سمير عبدالله محمد حسنين

القَلْبُ ينطـق بالنبضات : الله ... والطَّيْرُ رَدَّد بالترنيم نجـواه
والنفْسُ تذخر بالأسرار يدركها ... قلبٌ سليمٌ وربُّ العرش أهـداه
والنجمُ يَسْجد في الأفلاك يذكره ... والكُلُّ يذكر بالتسبيح رشـاه
لكن يأبَ بالكـران جاحده ... له الجحيمُ ونـار الخلد مأواه

...

ياسعد من عرف الرحمن تقواه ... فات المنام وبالأسحار ناجـاه
فهو اليقين لمن قد شاءه أمـلا ... وهو الضياء لمن قد شاء أهـداه
قد أبدع الخلق فالأكوان تذكره ... ويعلم الغيب في الألواح أخفـاه
عمر الأنام كذا الأرزاق قدرها ... فالمرء يسعى وللمكتوب مرساه

ردود وتعليقات

● يرد لنا من حضرات القراء موضوعات يذكرون فيها أحاديث مسندة إلى رسول الله ﷺ دون ذكر لمصدرها ، فلم يقولوا مثلا : رواه البخارى ، رواه مسلم ، رواه أحمد .. الخ .

●

وللمجلة بشأن الأحاديث نهج يلزم الكاتب إلى المجلة بضرورة ذكر المصدر مع الحديث ، ولذلك نأسف لعدم نشر الكلمات التى ترد فيها الأحاديث النبوية دون تخريج .

● القارىء/ شحاته أحمد أبو بكر ..

الحديث الذى أوردتموه عن المصطفى ﷺ « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل .. الخ » أورده الترمذى بالمجلد الخامس ص ٢٦ برقم ١٦٤١ ، وقال عنه « حديث مفسّر غريب » ، كما أن تأويلكم لمعناه فيه تعسف .

القارىء/ابـراهيم حفنـاوى ـ قرين /شرقية .

نرجو أن يتاح لنا مستقبلا الدعم اللازم للمسابقات الشهرية فإن ميزانية المجلة لاتسمح فى الوقت الحالى ، وفى انتظار ابداعاتك .

● القارىء/محمد محمد عبدالجواد عبدالفضيل .. من المنيا :

نشكر كم على رسالتكم التى تفيض إيمانا بعظمة الإسلام وتعاليمه ، ونتمنى — معكم — أن يعود علماء الدين إلى زيّهم الدال على علمهم وفقههم وإمامتهم ، وبذلك يُعرفون بين الناس فَيُسْتَفْتَوْنَ ويقتدى بهم ، وما أحوجنا بالفعل — حكومة وشعبا — إلى العمل على مايبقى المجتمع متماسكا قويا سائرا على نهج الكتاب والسنة ومجانبة أبواب الضعف والوهن والشرور والفتن .

● القارئة/فاتن شوقى على — قسم اللغة العربية — بكلية آداب المنصورة .

تلقينا رسالتك الكريمة وقصيدتك التى تبثين فيها ألمك وحزنك مما آل إليه وضع أخواتنا البوسنيات ، وبإذن الله — تعالى — نعمل على عرضها فى العدد القادم .

● القارىء/أبو الخير سيد عبداللطيف مرسى — مدرس التربية والتعليم فى بنى سويف .

مرحبا بك صديقا للمجلة وفى انتظار ما تجود به قريحتك من إنتاج فكرى .

● القارىء/مصطفى محمود عبدالمقصود على — من سيدى بشر بالاسكندرية .

تلقينا — بعظيم الامتنان تحيتكم الرقيقة ودفاعكم المنظوم عن رسالة الأزهر تحت عنوان « الأزهر .. منار الشرق » شكرا لكم وفى انتظار خواطر أخرى .

● القارىء/عادل على إسماعيل من قورص — منوفية .

« علم العروض » من العلوم التى تحتاج الى أستاذ متمرس فى هذا المجال ، يكون على يديه التمرين والمتابعة والتصحيح .

● القارىء/محمد عباس محمد — من سيوط — الواسطى .

نفيدكم بأن « مسابقة الشيخ الشعراوى » للجميع وليست للخاصة .

● وبمشيئة الله — تعالى — سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .

● **رجاء خاص بالسادة الكتاب :**

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية — كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

كلمة فضيلة الامام الأكبر لمساندة الشعب الليبى

إن جميع الدول العربية والاسلامية ومن بينها جمهورية مصر العربية بصفة خاصة ، وكذلك المنظمات العالمية : جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، الجميع يساندون ويتضامنون مع الشعب الليبى وقد بذلوا جهدا كبيرا فى هذا المجال ، وبخاصة السيد رئيس الجمهورية السيد محمد حسنى مبارك الذى قام بدور كبير فى سبيل تخفيف حدة التوتر بين أمريكا والدول الأوربية وبين قادة ليبيا ، ولا تزال الشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها على موقفهم من التضامن والمساندة لهذا الشعب العريق الذى يقف صامدا وصابرا فى هذه المحنة وفى ظروف المقاطعة القاسية التى فرضت عليه .

وقد مر على الشعب الليبى وهو فى محنته هذه فترة طويلة ووقت ليس بالقصير .

وإن الأزهر الشريف يهيب بالرأى العام العالمى وبمنظمة الأمم المتحدة والدول الكبرى ، أن يتعاطفوا جميعا مع هذا الشعب الكريم لإنهاء هذه المقاطعة الجائرة ، وعلى جميع الدول الاسلامية والعربية والافريقية ودول عدم الانحياز أن تقف جميعا لمناصرة هذا الشعب وتسانده بجميع الطرق السلمية الممكنة ، حتى يستجيب المجتمع الدولى لنداء الشعب الليبى ويتعاطف معه ويساعده للخروج من هذه المحنة التى طالت وأضرت به ضررا كبيرا .

لا تفريط فى حقوق مسلمى كشمير

أكد فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف حرص الأزهر الشريف على قيام علاقات مودة وحسن جوار بين المسلمين وجيرانهم فى الهند وكشمير وغيرها ، وضرورة أن تتاح الفرصة للشعب الكشميرى فى التعبير عن رأيه وتقرير مصيره فى حرية تامة ، لأن قضية الشعب الكشميرى المسلم ما زالت معلقة فى الأمم المتحدة دون حل منذ عام ١٩٤٨ ولابد من إيجاد حل عادل لها يضمن حقوق الشعب الكشميرى المسلم فى الحرية وتقرير المصير .

كما أبدى فضيلته استنكار الأزهر الشريف لما يحدث فى الهند من عدوان على المساجد وتضييق على المسلمين .

وقال إن الأزهر الشريف يرغب فى إيفاد علمائه إلى مسلمى الهند تلبية لطلب المدارس الاسلامية ، ولكن السفارة الهندية بالقاهرة تضع العقبات فى طريقهم .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلته لوفد هندى برئاسة الدكتور محمد شفيع علوانى رئيس جامعة جواهر لال نهرو بالهند ومعه ممثل السفارة الهندية وقد وعد مسئولو السفارة بتذليل العقبات أمام من سيتقرر سفرهم من المدرسين .

تحت رعاية السيد الرئيس ورئاسة شيخ الأزهر الأمة الاسلامية حاضرها ومستقبلها

تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك يبدأ المؤتمر العام السادس للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية دورته بالاسكندرية فى الفترة من ١٦ ــ ١٩ أغسطس ١٩٩٤ تحت عنوان (الأمة الاسلامية حاضرها ومستقبلها) :

يرأس المؤتمر فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

يناقش المؤتمر ٥ محاور رئيسية .

المحور الثقافى/المحور الاقتصادى/والمحور السياسى والاجتماعى والدينى وكيفية التعاون بين الأمة الاسلامية وغيرها من الأمم .

ووجهت الدعوة الى وزراء أوقاف الدول الاسلامية وممثلين عن الهيئات والمنظمات الاسلامية فى دول العالم ، كما يحضر المؤتمر كبار الشخصيات من المُعنيين بالدعوة الاسلامية والفكر والثقافة الاسلامية فى مصر وخارجها .

فضيلة الامام الأكبر يستقبل السيد نائب رئيس حكومة ولاية كلنتان بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد نائب رئيس حكومة ولاية كلنتان بماليزيا وبصحبته كل من السيد/يحى الحاج عبد الرحمن مسئول الشئون الإسلامية والسيد/محمد داود على عضو المجلس التشريعى المحلى .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر ودولة ماليزيا بصفة عامة وولاية كلنتان بصفة خاصة حيث تقدم الوفد بطلب معادلة شهادة معهد كلنتان الماليزى بشهادة المعاهد الأزهرية .

وقد وعد فضيلة الامام الأكبر بتحقيق ذلك بعد دراسة المواد المؤهلة للطالب الماليزى بنظيرتها فى المعاهد الأزهرية مؤكدا على أن الأزهر لا يدخر وسعا فى تلبية طلبات مختلف ولايات ماليزيا وأنه على استعداد بتزويد تلك الولايات بالمعلمين والكتب حتى يتمكنوا من مواصلة دراستهم للغة العربية والدين الاسلامى الحنيف .

وفى ختام اللقاء قدم الوفد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا ، حيث وعد فضيلته تلبيتها فى أقرب فرصة ممكنة .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفي رئيس الادارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر .

الامام الاكبر يستقبل السيد مدير التعليم العربى بدولة النيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ موسى سليمان عمر مدير التعليم العربى بدولة النيجر وبصحبته السيد/دان جمعة سكرتير اول سفارة النيجر بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم الأزهر للعملية التعليمية بالنيجر حتى تسير وفق المناهج المتبعة بالأزهر وامداد النيجر بالمدرسين والدعاة والكتب الدراسية والثقافية .

معهدان أزهريان لأبناء العريش

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إنشاء معهدين أزهريين بمدينة العريش عاصمة محافظة شمال سيناء لخدمة أبناء المحافظة .

جاء ذلك خلال اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالأزهر الشريف الذى ترأسه فضيلة الإمام الأكبر وحضره فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

الإمام الأكبر يلتقى ورئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٩٤/٧/١٨ بالسيد/ رام سالوجى رئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا ونائبه السيد/ إسماعيل كالا . تم خلال اللقاء بحث سبل دعم الأزهر للمسلمين فى جنوب إفريقيا ، حيث عرض الضيف بعض الاحتياجات فى مجال التعليم والتى تتمثل فى المنح الدراسية وإمداد المدارس هناك بالمناهج الدراسية والكتب وإيفاد المدرسين من الأزهر لتدريس العلوم العربية والشرعية والثقافية .

وقد طلب فضيلة الإمام الأكبر من الضيف توجيه تلك الطلبات والاحتياجات عن طريق السفارة المصرية فى جنوب إفريقيا حتى يمكن بحثها والعمل على تلبيتها دعما للمسلمين فى جنوب إفريقيا .

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر المسلمين فى جنوب أفريقيا على الوحدة والارتفاع فوق الاختلاف ونبذ المذاهب المنحرفة التى تفرق جمعهم .

وفى نهاية اللقاء أعرب الضيف عن عظيم تقديره وجزيل شكره للأزهر الشريف ممثلا فى شخص فضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به من دور عظيم نحو المسلمين فى كل انحاء العالم وخاصة فى جنوب إفريقيا .

على هامش

المؤتمر الأول للدعوة والدعاة

إعداد الأستاذين :-
عمر بسطويسي
مصطفى عبد المجيد

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أعمال المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية وأئمة المساجد فى مصر الذى عقد فى الفترة من ١٧ ـ ٢٠ يولية ١٩٩٤ بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر بالقاهرة .

بدأت أعمال المؤتمر بالجلسة الافتتاحية التى عقدت صباح يوم الأحد ١٧ يولية وشهدها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

كذلك شهدها السادة :

الأستاذ الدكتور يوسف والى	نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة .
فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف ونائب رئيس المؤتمر	
فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى	الداعية الإسلامى الكبير .
الأستاذ صفوت الشريف	وزير الاعلام .
الأستاذ عمرو موسى	وزير الخارجية .
الأستاذ الدكتور صبحى عبد الحكيم	رئيس مجلس الشورى الأسبق .
الأستاذ الدكتور مصطفى السعيد	وزير الاقتصاد الأسبق .
الأستاذ الدكتور كمال أبو المجد	وزير الإعلام الأسبق .
فضيلة الشيخ سيد سعود	وكيل الأزهر
فضيلة الدكتور عبد الفتاح الشيخ	رئيس جامعة الأزهر
فضيلة الشيخ محمد الغزالى	عضو مجمع البحوث

فضيلة الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف ومقرر عام المؤتمر
فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب شيخ الأزهر
فضيلة الشيخ محمد البشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية
فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى الأزهر
فضيلة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
ولفيف من أساتذة وعلماء الأزهر وجامعته والأوقاف .

وقد افتتحت الجلسة الأولى بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم ألقى فضيلة الشيخ / سيد عبدالعال قبيصى نقيب الأئمة كلمة الدعاة حيث أشاد بالجهود التى تبذلها الدولة فى مجال رعاية الدعاة اجتماعيا ومجال الدعوة بصورة لم يسبق لها مثيل مؤكدا على أهمية دور الدعاة فى النهوض بالأمة فى شتى مجالات الحياة .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر كلمة جامعة أكد فيها على أن الأئمة والدعاة مطالبون بعدم الانسياق وراء خلط الأوراق وأصحاب الأهواء مشيرا إلى أن الإسلام يواجه بقضايا فرعية لينشغل الناس عن دين الله .

كما أكد فضيلته على أنه ليس هناك حكومة دينية وحكومة مدنية فالإسلام دين ودنيا .

وطالب فضيلته العلماء بأن يبتعدوا عن الكلمة المنفرة حتى يقبل الناس عليهم وأن يتشاوروا فيما بينهم دائما فى مواجهة القضايا التى تعوق عملهم حتى يكونوا جميعا على مستوى العصر الذى يعيشونه مؤكدا على أن علينا جميعا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر من خلال القول الحسن والتحاور بالكلمة الطيبة وتصحيح المسيرة أولا بأول وفق ما تفرضه ظروف الناس ومسيرة المجتمع مؤكدا على ضرورة عدم مجابهة الناس بأخطائهم فى حدة وشراسة مشيرا فى هذا الصدد إلى ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ وهو أسوتنا الحسنة وقد كان إذا أراد أن يصحح خطأ واحد من الناس لا يسميه باسمه ولكنه ﷺ يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » فهذا الأسلوب يجعل الناس يقبلون على العلماء .

كما أشار فضيلته إلى أن على العلماء اليوم عبء الدعوة إلى الخير والإصلاح والاستقرار حتى تستقيم حياة الناس فتستقيم معها حياة الأمة وترق وتتقدم إلى مصاف الأمم المتقدمة .

وفى ختام كلمته طالب فضيلته الدعاة بأن يكونوا أسوياء فى القيام بمهمة الدعوة إلى الله محاورين ومتحاورين للوصول إلى الحقيقة متمسكين بالكلمة الطيبة وأن يتأسوا بأدب الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الدعوة إلى الله دون إفراط ولا تفريط وأن يقولوا للناس حسنا .

ثم ألقى بعد ذلك فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة نقل فى بدايتها تحية

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وتقديره للدعاة والعلماء باعتبارهم حراسا للعقيدة وأمناء على الوطن .

وأضاف وزير الأوقاف أن الإسلام يتميز بالوسطية التى لاتعرف الشطط أو الغلو أو التطرف مؤكدا على أن الإسلام لايعرف التعصب أو ضيق الأفق وأن دنياه تتسع لكل الناس من يدينون به ومن يدينون بغيره .

وقال الوزير إن مصر بقيادتها وحكومتها وشعبها لم تبخل يوما على الدعوة والدعاة بل قدمت وأعطت بكل سخاء حتى تظل المساجد والمنابر مراكز للإشعاع الفكرى والثقافى والاجتماعى ، فمصر أمة وسط ماعرفت يوما العنف والتطرف طوال تاريخها كله بل أحبت العدل والاعتدال وشعبها يحرص على الدين فى غير مغالاة أو عنف أو تشدد .

وأكد وزير الأوقاف أن هذا المؤتمر بداية لمرحلة جديدة فى مسار الدعوة الإسلامية تقوم على استيعاب دعاة مصر لمختلف القضايا والمفاهيم التى طرأت على المجتمع مؤكدا على ضرورة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مشيرا إلى أن تعثر جهود الدعوة فى الفترة الماضية كان من أسبابه انعزال الداعية عن قضايا وهموم عصره ومجتمعه .

وطالب الوزير فى ختام كلمته بإعادة النظر فى نظام الدعوة مؤكدا على أنه بدون إعادة النظر فى سير الدعوة وتطوير فكر الدعاة لن نتمكن من محاصرة التطرف والفكر الإرهابى بالبلاد .

ثم ألقى بعد ذلك فضيلة الداعية الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى كلمة مؤكدا أن الدعاة هم ورثة الأنبياء وحملة الأمانة فى بيان منهج الله للناس مطالبا الدعاة بالبحث والرد على كل ما يثيره الملاحدة وأشباههم فى مثل هذه الأمور ، وكذلك ما يثيره بعض المنتسبين إلى الإسلام من أبنائه ، لأن فعلهم سيكون حجة على الإسلام .

كما طالب فضيلته الدعاة بالتزام الصبر والحكمة تجاه موجات الاجتراء على الدين والتطاول على أهله والسخرية والاستهزاء بهم ، وقال أنه يجب ألا تضيق بهؤلاء الساخرين والمستهزئين لأن الذى لايناله أذى من الدعوة يكون قد نقص حظه من ميراث النبوة .

ثم تحدث بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد الغزالى حيث عرض فضيلته لتجربته الشخصية فى مجال الدعوة إلى الله داخل مصر وخارجها مؤكدا على أهمية الثقافة الشاملة والواعية لدى الداعية ليواجه بها جمهور المتلقين مؤكدا فى هذا الصدد على أن أعدى أعداء الإسلام رجل يشتغل بالدعوة دون علم بها .

وطالب فضيلته بضرورة عرض الإسلام عرضا حسنا يتناسب وتطورات الزمان على أن يعرض من منابعه الأصلية الأولى ، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، محذرا من الأخذ بالأحاديث الموضوعة والدخيلة على الفكر الإسلامى .

وأشار فضيلته فى ختام كلمته إلى أن الإسلام فى مصر الأزهر يأبى أن يتطرف يمينا أو يسارا مؤكدا على أن المسلمين فى مصر يعيشون وسطية الإسلام السمح المعتدل .

وفى الجلسة المسائية لليوم الأول التقى الأئمة والدعاة بالأستاذ الدكتور مصطفى السعيد وزير الاقتصاد الأسبق ورئيس اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب الذى أكد فى حديثه إلى الدعاة على أن الحكومة نجحت فى تحقيق المرحلة الأولى من الإصلاح الاقتصادى والخاصة بضبط الجوانب النقدية والمالية مشيرا إلى انخفاض التضخم من ٢١٪ إلى ٣٪ .

وقال سيادته إن المرحلة القادمة من الإصلاح خاصة بتشجيع الاستثمار والتنمية الحقيقية بمزيد من الاستثمارات والمشروعات .

وأكد الدكتور مصطفى السعيد فى ختام حديثه إلى الدعاة على ضرورة استمرار الدولة فى أداء دورها فى جذب وتنمية الاستثمارات خلال العشر سنوات القادمة وأن يلعب قطاع الأعمال دورا بارزا فى هذا المجال .

وفى نفس الجلسة تحدث الأستاذ الدكتور كمال أبوالمجد وزير الإعلام الأسبق عن آداب الدعوة إلى الإسلام مشيرا فى هذا الصدد إلى ضرورة توخى الحذر ومراعاة عدم الإساءة للآخرين وعدم التعالى على الناس أو التشدد عليهم حتى لا يعرضوا عن طريق الحق ، وفى مجال وظيفة الكلمة الحرة فى التعبير عن الرأى تحدث سيادته محذرا من بعض أنصاف المتعلمين من الشباب الذين يحرفون بعض أقوال العلماء ويفسرونها حسب أهوائهم .

وأضاف سيادته أن صلاح العلماء ودعم مسيرة الدعوة لا يكون برفع الرايات والشعارات وإنما يكون بالعمل الجاد قائلا إن الداعية صنف مخصوص من الناس مؤتمن على رسالته ومكلف بأمانة التبليغ والتعريف بالإسلام السمح ، والداعية مبلغ رسالة الله إلى الناس والإسلام نعمة كبرى من الله - تعالى - للبشرية كلها ، والداعية الحق هُو مَنْ يحسن التعرف على الإسلام فمعرفة الدين لا تنتهى عند حد .

وقال إنه مما يعاب على العرب والمسلمين أنهم يتكلمون كثيرا فى حين يعمل غيرهم ويتقدم والإسلام لم يعزل المسلمين عن الدنيا ، بل حدد مهمتهم فى الحياة وأن يعطوا للدنيا لصالح الناس تعميرا وإتقانا وتجويدا .

وفى اليوم الثانى للمؤتمر وفى الجلسة الصباحية شهدت القاعة الرئيسية بمركز المؤتمرات حوارا أخويا اتسم بالهدوء والصدق بين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر والسيد صفوت الشريف وزير الإعلام حول برامج الإذاعة والتليفزيون .

وقد أعلن السيد وزير الإعلام فى بداية الجلسة أن العلماء والدعاة فى مصر هم مشعل التنوير الحقيقى فى المجتمع وأمامهم تحديات كبيرة وصعبة حتى يتم استقرار المجتمع ، ولهذا فإن كل قيادات الدولة وعلى رأسها الرئيس محمد حسنى مبارك ترعى العلماء ، ويشاركهم الرئيس بنفسه احتفالات

عديدة مشيرا إلى أنه إذا فقد الإعلام المصرى القدرة على الريادة فقد الإعلام العربى والإسلامى قدرته وريادته على الساحة الدولية .

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر وطلب من السيد وزير الإعلام ضرورة أن تهتم برامج الإذاعة والتليفزيون بمتابعة الظواهر الجديدة فى المجتمع وإبراز وجهة نظر الإسلام فيها وقال فضيلته إن التخوف الذى يبديه البعض من هذا التوجه لا أساس له لأننا إذا تحدثنا للجميع بأسلوب الإسلام الصحيح وبمعالجة الحوادث الاجتماعية برؤية إسلامية واضحة فإن ذلك يسهم فى دعم الأخلاق الفاضلة ومنع الانحرافات والتنبيه إلى خطورة التجاوزات .

كما طلب فضيلته بإعادة النظر فى مواعيد إذاعة الأحاديث الدينية التى توضع أو تعرض فى الوقت « الميت » مشيرا إلى أن الأولى أن تحيا هذه الأحاديث فى الوقت الذى ينفع المشاهدين ، كما أشار فضيلته إلى ضرورة منع السلوكيات والمشاهد الهابطة والخليعة المصورة فى الأعمال المستوردة نظرا لخطورتها على القيم والعادات مؤكدا على ضرورة الاهتمام بكل ما يشيع العفة ويمنع الابتذال فى المجتمعات .

وقد علق السيد الوزير صفوت الشريف على حديث فضيلة الإمام مؤكدا احترامه وثقته الكاملة فى الأزهر وشيخه باعتباره المصدر والمستشار فى كل الأمور الدينية مشيرا فى هذا الصدد إلى التنسيق الكامل بين جهاز الإعلام وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر واستجابة التليفزيون لرأى فضيلته وتعديل ما يقع من أخطاء مثلما حدث فى مسلسل « العائلة » الذى عرض فى شهر رمضان الماضى وما يحدث فى برامج الإذاعات الموجهة .

وقال وزير الإعلام إنه استجابة لكل ما جاء فى حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فإنه سيتم إعادة النظر فى خريطة البرامج الدينية فى الدورة القادمة التى ستبدأ فى أكتوبر القادم وستوزع البرامج الدينية على الأوقات الحية طبقا لموضوعاتها وقال إننا سنظل حريصين دائما على القيم وتدعيمها .

ونفى السيد وزير الإعلام ما يردده البعض من تصورات خاطئة فى أن التليفزيون يحارب التطرف والمتطرفين على حساب التهجم على الدين مؤكدا أنه لن يسمح ولن يتم مطلقا تقليص مساحة البرامج الدينية مشيرا إلى أن أجهزة الاعلام تواجه الأفكار المتطرفة بصحيح الدين وبالحوار الهادىء .

وفى ختام حديثه أعرب السيد الوزير عن أمله فى تحقيق نوع من التنسيق والتعاون بين الدول الإسلامية فى مجال القنوات الفضائية وتوحيد الجهود المتناسقة حاليا فى هذا المجال بما يخدم الأهداف الحقيقية للإسلام والمسلمين .

وفى اليوم الثالث تحدث إلى الدعاة كل من الدكتور يوسف والى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الاراضى والامين العام للحزب الوطنى الديمقراطى والاستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والدكتور صبحى عبد الحكيم ، وفى مساء نفس اليوم تحدث إليهم

السيد/عمرو موسى وزير الخارجية وقد دارت أحاديث السادة الوزراء عن سياسة مصر في المجالات الاقتصادية والسكانية وسياسة مصر الخارجية .

وفى صباح اليوم الرابع للمؤتمر وجه السيد اللواء/حسن الألفى وزير الداخلية كلمة للمؤتمر ألقاها نيابة عنه السيد اللواء/منصور العيسوى مساعد وزير الداخلية ومدير أمن القاهرة ، وقد أكد السيد وزير الداخلية فى كلمته على أهمية الدور الذى يقوم به الدعاة فى مساندة رجال الأمن فى المواجهة الحاسمة لقضية الإرهاب مشيرا إلى أنه على الرغم من النجاحات التى حققتها أجهزة الأمن فى المواجهة مع الإرهاب إلا أنها على حذر دائم طالما بقيت منهم بعض الجذور .

وفى نهاية كلمته وجه السيد وزير الداخلية الشكر للجماهير على تعاونها الصادق مع الشرطة فى المواجهة الأمنية .

ثم أعلن بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف ومقرر عام المؤتمر القرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ومن أهمها :

أولا : فى مجال الدعوة والدعاة يرى المؤتمر ضرورة أن يوفر المجتمع للداعية كل ما يمكنه من التفرغ لعمله تفرغا كاملا ويحفظ له كرامته ومكانته مع التأكيد على ضرورة تحقيق المزيد من التنسيق والتعاون بين المسجد ومؤسسات الإعلام والتعليم لبناء المواطن الصالح وتدعيم قيم الولاء والانتماء مع التأكيد على ضرورة تحقيق الارتباط الكامل بين المسجد والمجتمع بأنشطته المختلفة .

ثانيا : فى مجال الأسرة والسكان طالب المؤتمر بضرورة العمل على النهوض بالأسرة المصرية وتنظيمها ليكون النسل قويا لأن الأمم لا تفاخر بالكثرة الهزيلة الضعيفة ، كما طالب المؤتمر بضرورة تضافر الجهود وتعاون الأجهزة لضبط قدرات الأسرة الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية وذلك بالطرق العلمية والعملية تحقيقا للتوازن بين الموارد والاحتياجات .

كما طالب المؤتمر بأن تولى الدولة المرأة العاملة مزيدا من الرعاية حتى تجد الفرصة المناسبة لتربية الجيل ، وأعرب المؤتمر عن تقديره لما قدمته الدولة للمرأة فى مجالى العلم والعمل ومن فرص متكافئة فى مختلف الميادين ، وأوصى المؤتمر الأفراد باحترام المرأة وتقديرها وتقدير الدور الذى تقوم به كجناح فى حركة الحياة .

ثالثا : فى مجال الإعلام أوصى المؤتمر وسائل الإعلام بمراعاة خصوصية المجتمع المصرى وتقاليده فيما يعرض من مسلسلات وأفلام وبرامج وضرورة الحفاظ على كرامة الداعية ومكانته وألا تظهر بمظهر يسىء إليه وتنال من هيبته كما طالب الكتاب بمراعاة المبادىء الإنسانية الرفيعة فى الإسلام الحنيف والتمسك بهوية الأمة الإسلامية والتعبير عنها .

وقد أعرب المؤتمر فى ختام توصياته عن تقديره الكامل لدور القيادة السياسية الفعال فى القضايا الإسلامية .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد نشير

لبنان

أشاد الشيخ محمد رشيد قباني مفتي لبنان بدور مصر والأزهر الشريف في تقديم المساعدة للمسلمين في بلاده ، ووصفها بأنها مساعدة قيمة تستحق الإجلال والإكبار لمصر وعلماء الأزهر الأفذاذ .

جاء ذلك خلال الاحتفال الذي أقامه فضيلته لأعضاء بعثة الأزهر هناك .

بروناي

تقرر تحويل المركز الإسلامي في بروناي إلى ثلاث كليات هي كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية . وسيقوم وفد من جامعة الأزهر بوضع برامج وخطط الدراسة في هذه الكليات الوليدة كما هو متبع في جامعة الأزهر الشريف .

أندونيسيا

يقام في العشرين من أغسطس الحالي في أندونيسيا المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بحضور لفيف من العلماء المتخصصين في البحوث القرآنية من شتى أنحاء العالم .



عقد في الخرطوم مؤتمران :

المؤتمر الأول : المؤتمر الدولي لتلاوة القرآن وكان من أهدافه العمل على تخريج مليون قارىء للقرآن ، واستمر المؤتمر أسبوعا وقد شارك فيه عدد كبير من علماء المسلمين .

المؤتمر الثاني : فقد كان بعنوان : (الذكر والذاكرون) وشارك فيه ثلاثمائة من علماء المسلمين وتم خلاله عقد ندوات وإلقاء محاضرات مست قضايا الإسلام الجوهرية ، ومثل مصر في هذا المؤتمر الدكتور عبد الصبور شاهين .

تركيا

صرح رئيس المركز الإسلامي في تركيا أنه بصدد إتمام خطة طموحة بالتعاون مع الجامعات المصرية ووزارة الأوقاف ووزارة الثقافة لنشر الثقافة والوعي الإسلامي ويدخل في إطار هذه الخطة إعداد كتاب للصور الفوتوغرافية للمدن المصرية في القرن التاسع عشر لتوضيح الآثار

الإسلامية التي تذخر بها مصر ، وأضاف أن المركز سيصدر سلسلة مراجع في مجال التاريخ الإسلامي وسلسلة أخرى عن الحضارة الإسلامية يتم ترجمتها لعدة لغات لتعريف الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية بحضارة الإسلام .



عُقد في أنقره بتركيا في يوليو الماضي الملتقى الإسلامي الثاني حول (استراتيجيات) إدارة الموارد البشرية في المصارف الإسلامية .

صرح بذلك مدير عام المعهد العربي للدراسات المالية والمصرفية بعُمان وقال إن الملتقى كان يستهدف التعرف على تجارب واستراتيجيات المصارف الإسلامية في إدارة مواردها البشرية وتكوين رؤية شاملة وموضوعية حولها ..

هذا وقد نظم ذلك الملتقى ضمن خمسة برامج يقيمها المعهد المذكور .



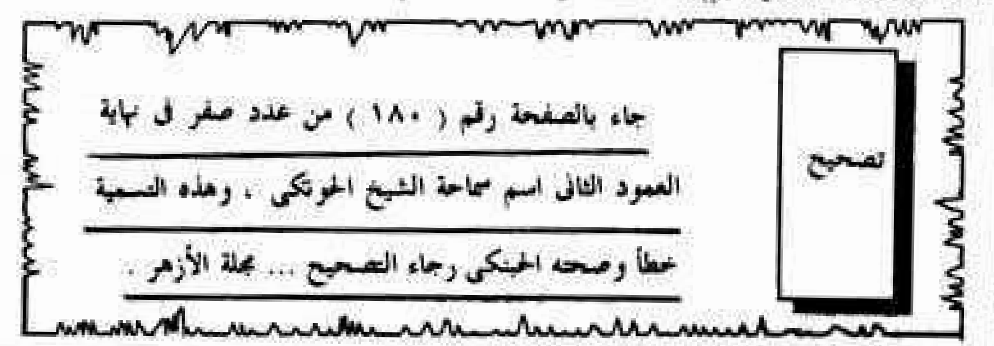
طالبت المجالس القومية المتخصصة بضرورة إنشاء معهد عال مستقل لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات إسلامية للطلاب الوافدين من غير الناطقين بالعربية . يكون تحت إشراف الأزهر حيث يقوم المتخصصون فيه بتعليم اللغة العربية ويتم تدعيمه بالإمكانات البشرية والمادية .

هذا وقد التقى رئيس جامعة الأزهر بوفد المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا حيث تناول اللقاء دعم التعامل بين الأزهر وجامعته مع مسلمي جنوب أفريقيا وزيادة المنح الدراسية للطلاب المسلمين هناك .

وقد وافق رئيس جامعة الأزهر على تلبية احتياجاتهم وإمدادهم بأعضاء هيئة التدريس والكتب ، هذا وقد أشاد الوفد بالأزهر ودوره المعروف .



قرر الرئيس التونسي إنشاء جائزة للدراسات الإسلامية بهدف تنمية البحث في العلــوم الإسلامية ، وذكر وزير الشئون الدينية بتونس أن قيمة الجائزة خمسة آلاف دولار يقوم الرئيس التونسي في احتفال يقام كل عام بجامع الزيتونه في اليوم السادس والعشرين من شهــر رمضان المعظم .



تصحيح

جاء بالصفحة رقم (١٨٠) من عدد صفر في نهاية العمود الثاني اسم سماحة الشيخ الحوتكي ، وهذه التسمية خطأ وصححه الحيتكي رجاء التصحيح ... مجلة الأزهر .

eut cessé tout commerce avec son épouse. Nous te l'avons donnée pour femme afin qu'il n'y ait plus de faute à reprocher aux croyants au sujet des épouses de leurs fils adoptifs, quand ceux-ci ont cessé tout commerce avec elles)."(1)

L'Islam établit ainsi une nouvelle règle de conduite concernant les fils adoptifs et réalisa également des réformes de portée lointaine, dans sa façon d'agir envers les esclaves et les affranchis. En effet Muhammad Hamidullah déclare :

> *"Je ne connais pas, par exemple, de cas de dynasties de roi esclaves-affranchis dans des communautés autres que l'Islam: les Mamlouks en Egypte, Les Ghulâmâns dans l'Inde du Nord les Adil Ghâhides et les Qutb-Châhides dans l'Inde du Sud, étaient de vrais esclaves affranchis qui s'élevèrent jusqu'à fonder des dynasties impériales, et furent acceptés comme rois sans la moindre hésitation de la part de Musulmans nés libres, sans parler des affranchis remplissant des fonctions moins élevées, comme ministres, commandants, etc ..."*(2)

Djuwayriyya fille d'al-Harith, de la tribu Banu-l-Mustalik, hostile aux Musulmans. Lors de la bataille du Fossé, le Prophète fit des centaines de prisonniers pour la plupart, des femmes et des enfants. Djuwayriyya était la fille du chef vaincu, elle déclara sa conversion à l'Islam au Prophète (b.s.) et demanda son aide pour acheter sa liberté. Le Prophète eut pitié d'elle et lui proposa le mariage, elle consentit sans la moindre hésitation. A cette nouvelle, aucun combattant musulman ne voulut retenir un parent du Prophète (b.s.) en esclavage: tous les prisonniers furent libérés, ceux qui avaient fui même, se rendirent et embrassèrent l'Islam. Par la suite Djuwayriyya fut une bonne musulmane, réputée par sa piété, ses prières et ses jeûnes. Ainsi, par ce mariage, le Prophète (b.s.) réalisa deux buts d'une grande importance pour l'Islam. Tous les Arabes prisonniers de guerre furent libérés et la grande tribu des Banul-Mustalik adhéra à l'Islam.

Ôm Habiba fille de Abu Sufyan de la tribu des Banou Umayya... Elle fut parmi les premières femmes à se convertir à l'Islam et se réfugia avec son mari en Abyssinie. Là-bas son époux se fit chrétien et usa de tous les moyens pour la pousser à faire de même. Lorsqu'il mourut, le Prophète (b.s.) épousa sa veuve. Le père d'Om Habiba, Abu Sufyan menait une lutte acharnée contre l'Islam, après le mariage de sa fille il devint moins hostile comme l'avait prévu le Coran dans ce verset :

> *(Allah établira peut-être de l'amitié entre vous et ceux d'entre eux que vous considérez comme des ennemis. Allah est tout Puissant, Il est Celui qui pardonne, Il est Miséricordieux).*(3)

Ôm Habiba fut une bonne musulmane et elle rapporta à la postérité un certain nombre de traditions.

---

1) XXXIII — Les Factions — 37.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

2) Muhammad Hamidullah — Le Prophète De l'Islam, Sa vie, Son Oeuvre — op. cit. Volume II — p. 621.

3) LX — L'Epreuve — 7.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الممتحنة : عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(Ô vous, les hommes: Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle. Nous vous avons constitué en peuples et en tribus pour que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous, auprès d'Allah, est le plus pieux d'entre vous). (1)

Le prophète (b.s.) voulut aussi imposer ce mariage à Zaynab et à son frère qui tous deux le refusaient.

(Lorsqu'Allah et Son Prophète ont pris une décision, il ne convient ni à un croyant ni à une croyante de maintenir son choix sur cette affaire. Celui qui désobéit à Allah et à Son Prophète s'égare totalement et manifestement). (2)

Zaynab se jugeant supérieure à Zayd par son origine et sa beauté, accepta ce mariage à contre-coeur, mais comme elle dédaignait son mari, elle le maltraita et finalement ils divorcèrent.

Après le divorce, le Prophète l'épousa, mais non parce qu'il fut ébloui par sa beauté, puisqu'elle était sa propre cousine: il la connaissait depuis toujours et si elle lui plaisait tellement il aurait pu l'épouser au lieu de la donner en mariage à Zayd. Le Prophète (b.s.) l''épousa pour établir une nouvelle règle parmi les Musulmans: pendant la ''djahiliyya'' les fils adoptifs jouissaient des mêmes droits que les vrais fils, l'Islam vint alors abolir la coutume qui défendait au père adoptif de prendre en mariage la femme du fils adoptif.

(Il n'a pas fait que vos épouses que vous pouvez répudier soient pour vous comme vos mères, ni que vos enfants adoptifs soient comme vos propres enfants). (3)

Cette ancienne coutume était ancrée depuis des siècles en Arabie, les hommes ne pouvaient l'ignorer après la révélation de ce verset, il fallait une application pratique par le Prophète, modèle pour tous les musulmans[4]. Muhammad (b.s.) devait donc donner l'exemple aux autres hommes mais il craignait de le faire. A cette occasion ce verset fut révélé :

(Quand tu disais à celui qu'Allah avait comblé de bienfaits et que tu avais comblé de bienfaits : ''garde ton épouse et crains Allah'', tu cachais en toi-même, par crainte des hommes, ce que Allah allait rendre public : mais Allah est plus redoutable qu'eux, puis quand Zayd

---

1) XLIX — Les Appartements Privés — 13.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

2) XXXIII — les Factions 36.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا

3) XXXIII — Les Factions — 4.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب

وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

4) Ahmed Al-Hufy - Limadha Adada Al-Nabiyu Zawgatahu (Pourquoi Le Prophète Eu-il Plusieurs Epouses) Le caire — Al-Khalidi al-Arabi — 1989 — 1409 — voir page 41.

de l'Islam auprès des femmes; 'Aisha avait toutes ces qualités. D'aute part, elle était la fille de son plus grand ami. Pendant neuf ans, elle fut la personne la plus intime du Popbète (b.s.) et un grand nombre de traditions sur la vie de Muhammad (b.s.) nous sont parvenues grâce à elle.

Hafsa bint 'Omar ibn al-Khattab, mecquoise de la tribu 'Adiy. Elle était mariée à Khunays Ibn Hudhafa. Ils devinrent musulmans de très bonne heure et se réfugièrent en Abyssinie. Son époux mourut plus tard, à la bataille d'Ohud et Hafsa devint veuve à l'âge de vingt deux ans. Son père, 'Omar Ibn al-Khattab, un des compagnons les plus proches du Prophète chercha pour elle un mari parmi les plus éminents des Musulmans, mais ni Abu Bakr ni 'Othman Ibn 'Affan n'acceptèrent la proposition de 'Omar. Celui-ci en fut chagriné, se plaignit au Prophète (b.s.) qui l'épousa. Hafsa était une des rares femmes de son époque qui savait lire et écrire. Elle aussi nous rapporta un grand nombre de traditions.

Zaynab fille de Khuzayma, une nadjdite vivant à la Mecque. Sa tribu, 'Amir ibn Sa'sa'a était une des tribus les plus puissantes de l'Arabie à cette époque. Les rapports du Prophète avec cette tribu étaient troublés à cause du massacre par traîtrise des missionnaires musulmans envoyés à cette tribu et aussi à cause du meurtre de deux des convertis de cette tribu par un missionnaire échappé au massacre qui ignorait qu'ils étaient musulmans. Zaynab venait aussi de perdre son époux, un Musulman tué dans le combat de Badr. Le Prophète l'épousa pour mettre fin à l'hostilité des membres de cette tribu vis-à-vis de l'Islam.

Om Salama — fille de Abou Omayya ibn al-Moghira, est une mecquoise de la tribu Makhzum. Elle et son mari avaient embrassé l'Islam et s'étaient réfugiés en Abyssinie. Son mari fut tué dans un combat et elle en fut très malheureuse. Le Prophète (b.s.) eut pitié d'elle et bien qu'elle fût d'un certain âge et qu'elle eût plusieurs enfants, il l'épousa.

Zaynab bint Djahsh, le mariage du Prophète (b.s.) avec sa cousine Zaynab fut parmi tous ses autres mariages, celui qui a été le plus controversé par les Orientalistes pour qui ce mariage semble prouver que le Prophète (b.s.) ne recherchait que les plaisirs des sens. D'après Maxime Rodinson[1], le Prophète (b.s.) après le mariage de Zaynab avec Zayd fut attiré par sa remarquable beauté et manifesta le désir de l'épouser et c'est pour cette raison que Zayd la répudia. Telles sont les circonstances qui menèrent à ce mariage.

Le Prophète (b.s.) avait en effet poussé sa cousine Zaynab à épouser son fils adoptif Zayd Ibn Haritha, un esclave affranchi, pour réaliser ainsi l'égalité sociale entre tous les membres de sa communauté, les esclaves, les affranchis et les nobles. Zaynab, la cousine du Prophète (b.s.) jeune, belle, et issue d'une bonne famille épousait ainsi Zayd l'affranchi. Le Prophète (b.s.) avait choisi sa propre cousine pour abolir cette ancienne coutume qui interdisait qu'une noble épousât un esclave affranchi et afin de mettre en application le verset coranique établissant l'égalité entre tous les hommes.

---

1) Maxime Rodinson — Mohamed — op. cit. p. 150.

«La polygamie en Islam»

par Dr. Magda Mahmoud Salem

Nous pouvons distinguer dans la vie privée du Prophète quatre périodes. Depuis sa naissance jusqu'à l'âge de vingt cinq ans, il resta célibataire et était réputé pour sa vertu parmi les membres de sa tribu.

A l'âge de vingt cinq ans, il épousa Khadidja et fut pendant plus de vingt ans monogame et le mari exemplaire d'une femme de quinze ans son ainée, jusqu'à sa mort.

Après la mort de Khadidja, il vécut plusieurs années dans une continence totale et ce n'est qu'à cinquante trois ans qu'il commença à être polygame. Il contracta de nombreux mariages soit avec les filles de ses principaux compagnons, soit avec des veuves de martyrs ou encore avec les filles de certains chefs de tribus.

Une fois l'Islam bien établi, le Prophète (b.s.) offrit à ses épouses de choisir entre une vie austère avec lui ou la séparation.

> *(Ô Prophète ! Dis à tes épouses : "Si vous désirez la vie de ce monde et son faste, venez: je vous procurerai quelques avantages puis je vous donnerai un généreux congé)*(1)

Aucune, bien sûr, ne choisit la séparation. Elles préférèrent toutes mener une vie austère avec lui.

Nous passerons alors en revue les mariages du Prophète afin de connaitre les raisons qui le poussèrent à être polygame.

Khadidja bint Khuwaylid, mecquoise de la tribu Assad, fut la première épouse du Prophète (b.s.) Au moment du mariage elle avait quarante ans et Mohammad en avait vingt cinq. Pendant vingt cinq ans et jusqu'à la mort de Khadidja il resta monogame. Elle lui donna trois fils qui moururent en bas âge et quatre filles.

Sawda bint Zam'a, mecquoise de la tribu 'Amir ibn Lu'ay. Elle s'était convertie à l'Islam, poussa son mari à se convertir. Lors de la persécution des Musulmans à la Mecque, ils furent parmi les premiers à se réfugier en Abyssinie où son époux se fit chrétien et mourut. Sawda dut rentrer à la Mecque mais ne pouvait rejoindre sa famille dont elle craignait la persécution. La fermeté de sa foi impressionna fortement le Prophète (b.s.); il voulut lui témoigner son estime en l'épousant. Elle avait à cette époque cinquante ans.

'Aisha fille de Abu Bakr, mecquoise de la tribu Taym, n'avait que sept ans lorsque le Prophète (b.s.) l'épousa et ne se rendit chez lui qu'après avoir atteint l'âge de la puberté. Il avait besoin d'une femme intelligente et enthousiaste pour répandre les lois

---

1) XXXIII — Les Factions-28

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨)

Au mois de Chawwal en l'an 35 de l'Hégire, les révoltés quittèrent Baçra, Koufa et l'Egypte par petits groupes. Ils étaient environ un millier de personnes par province. Ils marchèrent sur Médine et campèrent à quelques kilomètres de la ville. Certains d'entre eux vinrent retrouver Âli pour qu'il accepte d'être leur chef, mais Ali refusa. Quant à Othman, lorsqu'il fut informé de leur présence, il tenta de les persuader de sa sincérité, et demanda à Ali de les persuader de se retirer en promettant d'apporter les changements nécessaires.

Ali alla à la rencontre des insurgés et les convainquit de se retirer; il leur donna l'assurance que, dorénavant, les choses iraient mieux. Ils furent satisfaits, et les gens de Baçra se retirèrent, suivis de ceux de Koufa et d'Egypte. Mais voilà qu'une lettre mystérieuse fut interceptée par ceux d'Egypte : c'était soi-disant un courrier du calife adressé à son gouverneur d'Egypte et qui contenait l'ordre de tuer les chefs révoltés à leur arrivée au pays. Ces derniers, pleins de colère, rebroussèrent chemin et retournèrent à Médine. Ceux de Koufa et de Baçra les rejoignirent de nouveau. C'était la pleine révolte. Médine fut investie ses artères occupées et la maison du calife assiégée.

La situation s'aggravait de jour en jour, et Othman refusait de donner l'ordre à ceux qui le gardaient de combattre. Il tenta à maintes reprises de parler aux insurgés, du haut de sa maison. Il leur rappela qui il était, et comment il s'était joint au messager d'Allah (b.s.), mais personne ne voulait l'écouter. Comme la saison du pèlerinage allait bientôt s'achever, les insurgés craignirent que le calife ne reçoive de l'aide, ils décidèrent donc d'attaquer la maison du calife. Ils escaladèrent la maison par derrière sans que ceux qui gardaient la maison ne s'en aperçoivent, et ils se précipitèrent dans la chambre du calife qui venait de faire ses ablutions et de prier deux Rakaas et qui s'était mis à lire du Coran. Un des insurgés lui plongea le poignard dans le cou, près de l'oreille. Le sang jaillit sur le Coran ouvert et sur ce verset : "certes Allah vous suffit. Il entend et sait tout". (1)

Un autre des insurgés nommé 'Omar Ibn Al Hamiq se jeta sur lui et lui asséna neuf coups de poignard.

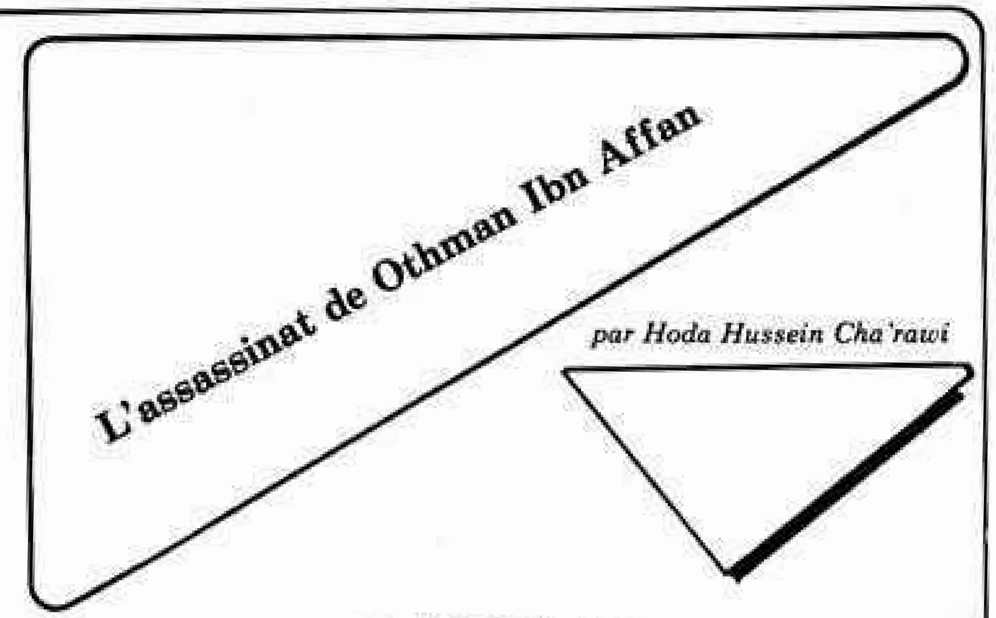
Le jour de sa mort, Othman jeûnait. La veille, il avait vu en rêve le Messager D'Allah (salut et bénédiction sur lui) qui l'invitait à dîner avec lui le soir-même.

La nouvelle de l'assassinat de Othman laissa perplexes les compagnons du Prophète, (b.s.) car personne, a-t-on dit, ne s'imaginait que les insurgés pourraient commettre un acte aussi ignoble.

Othman mourut victime de l'injustice en se refusant d'être une cause de violence et de division entre musulmans, et fut enterré au cimetière d'Al-Baqui. La mort du calife Othman (qu'Allah soit satisfait de lui) est survenue le 18 du mois de Dhoul-Hidja en l'an 35 de l'Hégire après la prière d'Al 'Asr; il était âgé de 82 ans et son califat a duré 12 ans. Qu'Allah bénisse le calife Othman. Nous prions Allah le Tout-puissant de le combler de Ses Bienfaits.

La mort de Othman a affecté l'union des musulmans et n'engendra que désolation et division dans la communauté et le quatrième calife Ali Ibn Al Tâlib en paiera les frais.

Note : On peut voir au musée Topkapi d'Istamboul (Turquie) le Moshaf taché du sang de Othman qui a été poignardé pendant qu'il lisait.



Nous sommes à Médine, en l'an 35 de l'Hégire, au mois de Dhoul-Hidjja, des insurgés assiègent la maison du calife Othman Ebn Affan et le privent d'eau et de provisions. C'est la pleine révolte ! Mais pourquoi le calife Othman n'ordonne-t-il pas de les réprimer? Car, Othman refuse d'être une cause de violence et de division entre les musulmans. Il veut que la nation de califat reste intacte, et ce au prix de sa vie.

Mais que lui reprochent les insurgés?

1 — La politique financière du calife.

2 — La gestion administrative de l'Etat que Othman confia à ses proches parents. Essayons d'examiner de près ces reproches. Quand Othman accède au califat, c'était dans la période la plus difficile qu'ait connu ce jeune Etat : le territoire venait de s'agrandir énormément, des éthnies et cultures variées se trouvaient rassemblées, et aux frontières, Perses, Romains et Turcs se soulevaient.

D'un côté, les peuples nouvellement acquis à l'Islam craignaient de retomber sous la coupe de seigneurs et de rois injustes, et se montraient à priori suspicieux envers le calife et les agents de l'Etat.

D'un autre côté, les anciens chefs de clan de Qoraïch, à qui Othman a permis de s'installer dans les territoires nouvellement acquis, se sont enrichis et n'ont plus respecté l'autorité du calife, alors que l'intention du calife, en leur autorisant ce que Omar Ibn Al-Khattab leur avait interdit, était de faire d'eux des éléments de stabilité et de bon conseil dans l'Etat.

Pris entre deux feux, Othman a choisi une position qui était logique, mais peut-être critiquable dans son principe : il s'est mis à compter sur ceux qui ne pouvaient pas le trahir : les membres de sa famille. Quand il a compris l'ampleur des critiques à ce sujet, il a décidé de changer de politique : mais on ne lui laissa pas la possibilité de le faire.

REVUE
AL AZHAR

Vol. 67, Part III
Rabiu Awal, 1415 Hijrah

Section Française

It is also understood that Islam, in its method to reconcile between the husband and wife, insists on the principle that divorce is the last thing a couple should resort to. Besides, keeping his divorcee under his sight as a notice for the reunion, the discovery that the woman is pregnant may make the husband forget everything and revoke divorce.

THE WISDOM BEHIND MAKING DIVORCE REVOCABLE TWICE :

The wisdom behind the legislation of making divorce revocabe twice is that repudiation may be due to a quick decision made by an unexperienced husband in a moment of tension which is usually, and especially, in the case of the youngesters, followed by individual or reciprocal feeling of sorrow, repentance and forgiveness.

The second repudiation is a decisive warning to both parties that they should avoid the causes of marital breach, that the husband should be careful in taking the decision of separation : and that their married life is henceforth endangered, otherwise they would encounter in irrevocable divorce.

It is from these two chances of reconciliation that Islam is persistent on protecting the whole family from disintegration and on keeping in particular the children from vegrancy and corruption.

MINOR IRREVOCABILITY (BAYNUNA SUGHRA) :

Minor irrevocability or (baynuna sughra) is the term given to the case of divorce in which the husband loses the power of recantation of the marital rights and duties. If the couple wish to return to each other, a fresh marriage of a new contract, dowry and witnesses is necessary for them to reunite.

This type of divorce is applicable in the following cases :

a. When a woman is divorced before the marriage is consummated with her husband. The woman so divorced is entitled to the half of the dowry.

b. When the husband pronounces one or two repudiations, after the consummation of marriage, and does not exercise the right of return on his repudiated wife within the waiting period.

c. In the case of Khul' (REDEMPTION OR DIVORCE OF COMPENSATION) in which the woman gives the husband a sort of compensation to let him divorce her, provided the proposal of divorce does only emanate from the wife not from the husband.

MAJOR IRREVOCABILITY (BAYNUNA KUBRA) :

Major irrevocability (baynuna kubra or final divorce is the case in which the three repudiations have been exhausted. The phase of divorce dissolves marriage finally. The woman so divorced cannot be made a lawful wife again to her former husband unless she first marries a different man and is then divorced by the man of his own free will and her waiting period after the second marriage has been observed.

No doubt the final divorce is so binding that the reunion is extremely difficult. The resort to the third repudiation is but a clear evidence that the disagreement between the couple has reached its culmination and all attempts to bring the couple together again have failed.

The wisdom of this restriction lies in the fact that an honourable person prefers to restrain himself to the best extent and refrains from propouncing the third repudiation rather than to divorce his wife finally and then take her back after being dealth with sexually by another husband.

DIVORCE IN ISLAM (7)

CLASSIFICATION OF DIVORCE :

by : Muhammad Hijab

Islam has not legislated divorce to be final separation. On the contrary, it has taken into consideration the fact that man and woman are human beings of different dispositions, tempers and tastes. Therefore, it has constituted divorce in the form of three phases :

a. The phase of revocability,
b. The phase of Minor irrevocability, and
c. The phase of major irrevocability

The revocable divorce is that in which its repudiation takes place after an actual consummation of marriage between the husband and wife, provided the repuidation is not counted the third one, and the proposal of divorce has not emanated from the wife.

The rules laid down for the revocable divorce are :

1. Marriage subsists between the two parties during the waiting period.
2. The husband retains his marital authority over his wife, and he may have access to her and treat her as his wife, but this actually amounts to his exercising the right of return.
3. The husband is under legal obligation to maintain his wife in his house.
4. The couple are still entitled to inherit their due share of each other's property on the death of either of them.
5. The husband can exercise the right of return with his wife by word of mouth such as : "I take you back." or by action which is the sexual communication.

It is clear from this point that the reunion between the man and woman during the waiting period may take place with neither dowry nor entering into a fresh marriage contract. In this respect, the Qur'an says :

> *"Divorced women must wait, keeping themselves from men, three menstrual courses. It is unlawful for them, if they believe in Allah and the Last Day, to hide what He has created in their wombs : in which case their husbands would do well to take them back, should they desire reconciliation." (Sura 2:228)*

It is understood from the text quoted above that the divorced woman who is observing her iddah (waiting period) may happen to be with child, in which case she should inform her husband who is exhorted by the Qur'an to take her back if she appears to have been pregnant. Such a reunion, recommended by the Qur'an, is not only to take place because of the wife, but also because of the new comer who might bring about happiness and comfort to the couple.

But if you do not abstain from usurious dealings, then Allah, the Almighty, and His Messenger will wage war against you! How horrible such a war may be with man, that helpless weak creature on the one side and Allah, the Omnipotent and the Allpowerful on the other ! The imam in a Muslim society is commissioned to fight those who insist on usury dealings and disobey God in the same way as the Caliph Abu Bakr fouht those who refused to pay alms. Our Prophet Muhammad — Allah glorifies him — ordered his servant in Mecca to fight those who insist on usurious dealings.

However, the war waged by Allah and His Messenger against usurers is of a more general character. It is a war declared against every communjity that adopts usury as the basis for its economic and social order. It is an all-out and overrriding war : war on nerves and hearts, war on blessing and welfare, war on happiness and reassurance. Allah instigates those who are disobedient to His order and course against each other. War breaks out among them because of oppression and defraudation brought about by usury. Usurers who own world capitals set fire to such wars directly and indirectly.

Lenders have right to their principals i.e. the sums they lent. This is fairness. Money augmentation has its clean and innocent means in Islam. There are joint-ventures based on the Islamic principle of risk-sharing under which the owner of the capital (the lendet) and the investor (the borrower) both share profits and losses. Money may be deposited in banks — but without interest; and banks may submit such money to commercial and industrial enterprises provided that these dealings be based on the risk-sharing principle. Banks may take appointed wages for management.

But what about the insolvent who can not pay their debts ?

> *"If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay.*
> *But if ye remit it by way of charity, that is best for you if ye only knew.*[1]

Verse 280 — The Cow (2)

Here is the dewy clemency of Islam. Islam is the shady shelter to which humanity resorts from the stifling heat of egocentrism, niggardliness and greediness and rapaciousness. In Islam, a debtor in difficulty may not be harassed by his creditor who is called by Allah to give up his debt in charity if he volunteers. Moreover, the insolvent are entitled by verse 60 of Repentance sura (9) to part of charities.

> *"Alms are for the poor and the needy, and those employed to collect them; For those who have recently been converted to Islam and need encouragement.*[1]*; For those in bondage and those in debt; In the cause of God; and for the wayfarer; so God ordains; God is All-knowing, All-wise."*[2]

(1) *to consolidate their faith*
(2) *I relied here on the Translation of the Glorious Qur'an by Yusuf Ali.*

Usurers at the time of our Prophet Muhammad - Allah glorifies him — objected to the prohibition of usury saying that trafficking is like usury. They argued that trafficking brings profit and interest in the same way as usury does. Their reasoning, however, is corrupt because trafficking transactions are subject to profit and loss while usury transactions have in every case predetermined and guaranteed profit. Herein lies the main difference between trafficking and usury which makes the first legal and the second illegal.

Islam handled the economic conditions prevailing at the time of its advent in a realistic way and without making an economic or social shock. It did not confiscate any property in whose making usury played a part. The application of its order began after the promulgation of its legislation :

> *"Whosoever receives an admonition from his lord and gives over, he shall have his past gains, and his affair is committed to God. "verse 275, The Cow.*

According to Islam, legisation is enforced only after its promulgation. Under Islam there may be no retroactive laws — a principle adopted by modern legislation.

But many people may be tempted to carry on usurious dealings because the time of the day of reckoning is unknown. The Glorious Koran, however, warns them that Allah will blot out usurers both in this life and in the next world. It states that only freewill offerings may grow. "God blots out usury, but freewill offerings He augments with interest. God loves not sinful unblievers." verse 276-The Cow. God's warning and promise came to be true. Any community dealing with usury suffers the absence of blessing, of welfare, of happiness and of feelings of security and reassurance. Allah blots out usury so that it may produce nothing but leanness, dearth and misery. Life has become burdensome and people's nerves have been overstrained; their money, their lifetime and their health are not blessed; and they accordingly, lost their peace of mind. The end of the verse is noteworthy : "God loves not guilty unbelievers." It is definitive and decisive : those who carry on usury dealings are guilty unbelievers whom God does not love.

We come to verses 278 and 279 of the same sura (The Cow) :

> *"O believers, fear you God; and give up the usury that is outstanding, if you are believers.*
> *But if you do not, then take notice that God shall war with you, and His Mesenger; yet if you repent, you shall have your principal, unwronging and unwronged."*

The text makes the truthfulness of the faith of the believers dependent upon abandoning whatsoever remains of their usurious dealings. They are not believers unless they fear God and give up usury. The text excites and stirs in their hearts the feeling of God-fearing — this feeling which Islam inculcates within the human soul as the inherent guarantee for the fulfilment of its legislation in addition to external control.

ISLAM'S OUTRIGHT PROHIBITION OF USURY

"Why Western Banks are pondering the applicability of Islamic finance"

PART III

by : Muhammad Atris Ebrahim

Koranic verses dealing with usury :

"Those who devour usury shall not rise again except as he rises, whom Satan of the touch prostrates; that is because they say, 'Trafficking is like usury'. God has permitted trafficking, and forbidden usury. Whosoever receives an admonition from his lord and gives over, he shall have his past gains, and his affair is committed to God; but whosoever reverts- those are the inhabitants of the fire, therein dwelling forever." (1)

Verse 275-The Cow (2)

Those who devour usury are not only those who receive usurious interest. They include also all the individuals of usurious community. The Prophet Muhammad — Allah glorifies him — cursed those who devour usury, serve it, testify to it and write it; and said : "All of them are equal" i.e. in bearing responsibility and punishment. Those people rise and move only like mentally deranged persons since they live in tension and anxiety; and never enjoy peace of mind, serenity or tranquility.

Our world today suffers from inner conflict, stress, depression, dejection and fear. Neurotic and psychological diseases are spreading everywhere despite the superficial materialistic prosperity which is of no value. It does not provide repose, satisfaction or reassurance. In the most prosperous countries — and especially the U.S.A. and Sweden — people are wretched and miserable. They are savaged by anxiety, worry and concern. Monotony feeds on their life and they try to dump it in boisterousness, profligacy, eccentric fashions and in sexual perversion. They feel irresistible need to flee from themselves and from the psychological emptiness and dreariness they live in — they flee to perversion, to madness and to suicide.

The main reason of their misery is the hollowness of their souls. These are empty of belief in Allah and lack the sublime humanitarian feelings and principles established by such belief in the souls of the faithful. Economy based on usury develops for the benefit of a handful of usurious financiers who lend trade and commerce at predetermined and guaranteed interest regardless of the devastation such lending may cause to millions and millions of people and the suspicions and fears it plants in their lives.

Under Secretary The People's Assembly

1 relied here on : "The Koran Interpreted" by : Arthur J. Arberry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part III
Rabiu Awal, 1415 Hijrah

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير
عادل فاضي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ - ٦٣٨٥٩٩٩
• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

الغرب والنسل في العالم الثالث

هلا تساءلنا — في مودة وإخلاص — عن سر اهتمام الغرب بكثرة النسل في العالم الثالث .. ؟

وهلا تساءلنا : لماذا — في إخلاص أيضا — عما يضيره من هذا النسل .. ؟

ثم تساءلنا : لماذا يقفز — بعد قضية النسل — إلى هدفه المستميت في إرادته إشاعة العلاقات الشاذة بين أبناء المجتمع الاسلامي .. وإباحة ما سماه بـ « الأسر المثلية » التي تنشأ بين رجلين ، أو بين امرأتين .. إلى إباحة الإجهاض .. إلى ما هو أضل سبيلا من هذا وذلك حتى ينتهي الحال بالمجتمع الإسلامي أن يكون طبقا للأصل من العالم الغربي في ظل قوانينه الوضعية التي جعلت الجسد ملكا لصاحبه : رجلا كان أو امرأة .. ؟.

لماذا كل ذلك : أعطفا على العالم الثالث ، أتحضرا له ، أتخلصا من ثقله السياسى وامتداده الجغراق ، أخوفا منه ، أتدميرا له .. ؟

الأسئلة كثيرة ، والشك مرتقب ، والإخلاص من الغرب ـــ معدوم ، حتى على ألسنة العامة من شعب مصر التى تردد : « ما جاء من الغرب ما يسر القلب » .

والإجابة عما تقدم من أسئلة سهل يسير ، يمكن أن نسوقه فى هذه الكلمات ، التى تضع الإجابة واضحة بين أيدينا :

تقلص موارد الغرب الطبيعية :

هذا التقلص الذى خطط الغرب لملافاته منذ عام (١٩٠٧ م) على يد رئيس وزراء بريطانيا « كامبل بترمان » الذى قام بتشكيل لجنة علمية مكونة من أساتذة فى التاريخ ، ورجال فى القانون والسياسة ليس من بريطانيا وحدها ، وإنما من دول غربية عدة ووجه إليهم خطابا حدد فيه مهمتهم ، جاء فيه[1] :

إن الأمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر إلى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا وتزول ، والتاريخ ملىء بمثل هذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لأية إمبراطورية ، أو أمة ، فهناك إمبراطوريات : روما وأثينا والهند والصين وقبلها : بابل وآشور والفراعنة وغيرها ، فهل يمكن الحصول على (أسباب) أو (وسائل) تحول دون سقوط الاستعمار الأوربى وانهياره ، أو تؤخر مصيره المظلم **بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها ، وشاخت معالمها** ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ... ؟ .

وبعد سبعة أشهر من الدراسة قدم العلماء نتيجة أعمالهم فى هيئة تقرير سرى إلى وزارة الخارجية نقتطف منه باختصار ـ نقلا عن نفس المصدر بتصرف ـ ما يأتى :

(١) يراجع للأستاذ الدكتور أحمد شلبى « مقارنة الأديان ـ اليهودية » ص ١٠٠ ط ٨ عام ٨٨ مطابع سجل العرب .

(أ) يكمن الخطر على الاستعمار في شواطئ البحر الأبيض: جنوبه وشرقه حيث توجد أمة تتوافر لها وحدة الدين والتاريخ واللسان، وكل مقومات التجمع والترابط فضلا عما لها من ثروات طبيعية ونزعات ثورية، ستكون خطرا ماحقا على الغرب إذا استخدمت الوسائل الحديثة وإمكانيات الصناعة الأوربية، وانتشر بها التعليم ــ ستكون خطرا تحل به الضربة القاضية على الاستعمار الغربي.

(ب) على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتخلف.

(جـ) ضرورة فصل الجزء الإفريقي بهذه المنطقة عن الأسيوي بإقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر الرابط آسيا بإفريقيا، وعلى مقربة من قناة السويس، ليكون قوة صديقة للاستعمار ومعادية لسكان المنطقة ... اهـ.

في ضوء ما قدمنا نتبين ــ بإقرار مسئول ــ لنقص موارد أوربا، ثم نعلم لماذا قامت إسرائيل، وزرع هذا الجسم الغريب صديق الاستعمار في المنطقة.

نقص التعداد البشرى:

في ظل التطبيق الدقيق لوصايا التقرير، تحولت الثروات الطبيعية البكر الغنية للعالم الثالث لتصب في الغرب، وليعيش غرب أوربا بالذات في رفاهية لا مثيل لها، وفي ظلال قوانين ودساتير ساقت الحرية لشعوبها دون روابط خلقية جملت نقمة الله العزيز الخفية على هذا العالم، فبدأ تعداده البشرى في تناقص مستمر: نالت المرأة من الحرية ما جعلت جسدها ملكا يخصها فاندفعت بأكثرية ساحقة إلى شهوات الدنيا وزينتها متخلصة من أعباء الحمل والولادة وواجب الأمومة .. الأمر الذى كان سببا مباشرا في نقص التعداد عاما بعد عام .. ثم صحب هذا الوضع إقرار العلاقات الجنسية المثلية فزاد الطين بلة .. وتمردت عجلة القيادة على الصراط المستقيم، وتزايدت السرعة في طريقها

المظلم الملىء بالعثرات .. ولم تنجح مظاهرة طالبت فيها نساء السويد أن يعُدْن إلى عصر الحداثة ، ولم تجد لها نظيرا يعضدها فيما حولها من بلاد الغرب ، بل فوجىء العالم بما هو أنكى وأمر .. بمباركة بعض الكنائس للزواج المثلى ، وفى ٦٦/٢/١١ وافق مجلس العموم البريطانى بأغلبية أربعة وستين ومائة صوت ضد سبع ومائة على جعل الشذوذ الجنسى بين البالغين من الذكور قانونيا بعد موافقة مجلس اللوردات عليه فى ٢٣ من المحرم ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥/٥/٢٤ ، وكان من أشد معارضيه « رجال » على رأسهم « لورد مونتجمرى أوف علمين » الذى ضاع صوته وأمثاله أمام طلب إقرار هذا الشذوذ من خمسة من الأساقفة جحوا فى ضم أصوات ثلاثة من اللوردات إليهم فى ١٠ من المحرم ١٣٨٥ ــ ٦٥/٥/١١ ، وفى نفس الشهر تقدم نساء بريطانيات إلى الحكومة طالبات إباحة الإجهاض فى ٢٠ من المحرم ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥/٥/٢١(٢) .

وبدأ التعداد البشرى فى التنازل ، ثم استشرى ، كانت السويد فى أوائل الدول التى تنبهت لخطورته وسعت لعلاجه ، وبذلت مكافآت سخية لمن تنجب طفلا ، إذ لم تعد تنجب الأطفال إلا من يشتد شوقها لإشباع غريزة الأمومة ، وفى الحق ليس كل الغرب فى هذا النقص سواء ، فقد يكون وجوده ضئيلا جدا فى شرق أوربا ، لكنه موجود على أية حال ، ولتدارك النقص سعت بعض الدول الغربية إلى إيواء اللقطاء من بعض دول العالم الثالث ، إذ اللقيط ــ من وجهة نظرها ــ يتمتع بميزتين : أولاهما : أنه ــ حتما ــ لا يعرف والديه ، وثانيهما : أنه يكون أشد ولاء للدولة التى احتضنته ، وفى اللقطاء ــ إن أمكن ــ ما يكفل طرح فكرة شراء الأطفال ، فليست ذات نتيجة مرجوة ثم ألقى الفاتيكان بثقله فى القضية فأعلن رئيسه عن تشكيل لجنة لدراسة تحديد النسل فى ٦٦/٢/١٣(٣) ، وفى ختام عام ١٩٦٨ أعلن تحريم التحديد ، واستمع العالم الكاثوليكى ، وتبعته كنائس آخر صيحة بابا الفاتيكان :

« الولد نعمة من الله ملعون من رفض نعمة الله » .

وبرغم احتضان الكنائس لهذا الصوت ظل الحال على ما هو فى الغرب .

وذلك الموقف يفسر حملة الفاتيكان العنيفة على مؤتمر السكان ، وعلى تحديد النسل

(٢) انظر على الترتيب :
الأهرام صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٦/٢/١٢ .
الأخبار صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٥/٥/٢٥ .
والأخبار ص ١ عمود ٦ فى ١٩٦٥/٥/٢٦ .
الأهرام صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٥/٥/١٢ .
الأخبار صفحة ٩ عمود ٧ فى ١٩٦٥/٥/٢٢ .

(٣) الأهرام فى ٦٦/٢/١٤ ص ٥ عمود ١

وتنظيمه ، وإعطاء المرأة وحدها حق الإجهاض .. الخ وإن كانت حملته قد تأخرت ربع قرن عما قرره مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى المنعقد بالقاهرة فى المحرم ١٣٨٥ ـ مايو ١٩٦٥[4] ، وأذاعت لندن حملة الفاتيكان هذه صباح الأربعاء الثانى من صفر ١٤١٥ ـ ١٠/٨/١٩٩٤ .

وباللعجب : هوجم الأزهر بشراسة ، ولم يهاجم الفاتيكان مع أن الموقف واحد. والقضية واحدة .

هجرة نحو الغرب :

وفى ظل قوانين الهجرة منذ أكثر من ربع قرن ـ وأمام استمساك الدول الاستعمارية بروابط مع دول استقلت عنها سياسيا سمحت ـ لأمر أو لآخر ـ بالهجرة إلى بلادها حتى بلغت الملايين .. متمثلة هذه الهجرة فى رجال أو نساء يعلمون ويعلمن حق الوطن الأم[5] ، ونشأ من الجميع جاليات ضخمة كسبت ـ بمرور الوقت .. ثقلا سياسيا فامتدت أصواتها بمطالب تتفق وقوميتها ، واستجابت بعض الحكوميات لشيء منها ... ثم بدأت أوربا تضيق بهذا الوضع ، وتعتبره كابوسا أو استعمارا لبلادها أحق بنعمه أبناؤها ، وظهر ذلك جليا فى شعار الانتخابات فى الغرب التى كتبت وخطيت تعلن خطتها لمواجهة (الغرباء) وبدأت قوانين الهجرة تنكمش عما كانت عليه ، وزاد الضنك الاقتصادى من اتساع هذه النظرة ثم عمقها ثم النظر ـ بعيدا ـ إلى نسل العالم الثالث بترقب وحذر تحت شعارات جديدة تدور حول مخزون الغذاء العالمى ... !!!!

ونحمد الله الجليل الحفيظ على أن مؤتمر السكان هذا لا يستطيع أن يفرض على مصر ما يخالف دينها وشريعته كما قال السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد ...

د. على أحمد الخطيب

(٤) تجد القرار منشوراً بصفحة من هذا العدد .
(٥) على العكس من النقيض .



الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الأخوة والأخوات : ليس من لقاء أحب إلى نفسي من هذا اللقاء الروحي الحميم ، الذي تجمعنا فيه مناسبة تعتبر من أمجد معالم تاريخنا العظيم .. إنها مناسبة ذكرى ميلاد منقذ البشرية ورسول الإنسانية ، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى إخوته أنبياء الله ورسله أجمعين .

إن الاحتفال بهذه الذكرى العطرة ، يعبر عن الوفاء والعرفان ، لم قدم لنا - وللإنسانية معنا - ما يستحق منا أجزل الحمد وأعظم الثناء .. كما أن الاحتفال بهذه الذكرى المتجددة يوقظ ضمائر الضالين ، وينبه قلوب الغافلين ، يجسد أمامنا المثل الأعلى الذي يشحذ الهمم للانطلاق إلى ما فيه خير الحياة ، ويدفع المسيرة إلى المضي في الطريق المستقيم

الإحتفال بهذه الذكرى العطرة المتجددة ، استحضار لشخصية صاحبها الباهرة ، واستجلاء لسيرته الطاهرة ، وقراءة متجددة لتاريخه الحافل ، وتمجيد واجب لنضاله الباسل ، من أجل نجاح دعوته وتحقيق غاية رسالته . على أن ذلك كله لا يتحقق على وجهه الصحيح ، إلا من منطلق الحب للرسول الكريم ، الذي هو أهل لأصدق الحب وأسمى الإجلال والتعظيم .

رسالة الإسلام منقذة وحضارية

والرسول العظيم سيرة قدوة ، ودعوة منقذة ، ورسالة حضارية خالدة ، والاستجابة لدعوة صاحب الذكرى تكون بالتأسي بسيرته القدوة ، وبالتلبية لدعوته المنقذة ، وبالأخذ بقيم رسالته

الحضارية الخالدة ، وسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الرجولة والكهولة .. مثل أعلى إذا اقتدينا به ربحنا لأمتنا طفولة صحيحة نقية ، وصبا واعدا سويا ، وشبابا قويما قويا ، ورجولة فاضلة مثالية ، وكهولة باهرة عبقرية . ودعوة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، دعوة إلهية ، تقصد إلى خير البشر فى دنياهم وأخرتهم ، لأنها دعوة خالق البشر ، الذى يعلم ما فيه صلاحهم وسعادتهم ، ويدرك ظاهرهم وباطنهم ، ولا تخفى عنه نزعات نفوسهم وهواجس ضمائرهم .

هذه الدعوة الإلهية قد كرمت الإنسان ووضعته فى أعلى مكان وجعلته خليفة الله فى أرضه ، وسخرت كل شيء فى الوجود من أجله .

مبادىء إنسانية سامية

ومن أبرز مظاهر هذا التكريم ، الدعوة إلى تحرير الإنسان جسدا وروحا ، وعقلا ونفسا .

ومن مظاهر هذا التكريم ـ أيضا ـ ، الدعوة إلى بناء الإنسان ماديا ومعنويا ، وخلقا وسلوكا . ومن مظاهر هذا التكريم كذلك ، الدعوة إلى توجيه الإنسان إلى ما يرقى به ويرفعه ، وإلى ما يحقق له السعادة فى الحياة ، وما يرجى معه فى الأخرة الفوز والنجاة . كل ذلك جاءت به دعوة الإسلام التى أنزلت على محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تلك الدعوة التى تنظم العقيدة الصحيحة ، والشريعة السمحة ، والعبادات التى تربط الإنسان بربه ، وتجعله دائما مستشعرا مراقبة خالقه ، ملتزما بالحدود التى رسمها له من أجل سعادته فى دنياه وآخرته .

ورسالة الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد جاءت بمبادىء إنسانية سامية ، وقيم حضارية عالية ، وأرست الأسس الثابتة والأهداف الأساسية التى فيها خير البشرية وسعادة الإنسانية ، وتركت للناس حرية التفكير والاجتهاد فى اختيار ما يحقق هذه الثوابت ، ويوصل إلى تلك الأهداف . بهذا تميزت الرسالة المحمدية بالحيوية ، وملاءمة التطور ، والمساعدة دائما على الحركة والتقدم ، حيث فتحت الطريق رحبا للاجتهادات الواعية والتطبيقات الصحيحة ، التى لا تخرج عن الأصول المقررة والنصوص القطعية ، التى جاء بها الكتاب الكريم ، ودعمتها سنة الرسول العظيم .

السنة : ركائز ومنطلقات

ومن أدق وأعظم ما جاء فى رسالة نبينا فاتحا لباب الاجتهاد المواكب للتطور ، قوله ﷺ « ما رآه المسلمون حسنا ، فهو عند الله حسن » ، وقوله لأصحابه ، فى أمر دنيوى لا علاقة له

بالدين : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . هكذا كانت سيرة الرسول القدوة ، ودعوته المنقذة ، ورسالته الخالدة هي المنطلقات الصحيحة الرشيدة ، التي انطلق منها المسلمون الأوائل ، فخرجوا بها من ظلمات الجاهلية البائدة ، إلى نور الإسلام الهادى ومن القبلية التي تفرق بين الناس بالصراع والعداء ، إلى المدنية التي تؤلف بين القلوب بالسلام والمحبة والإخاء .

كانت سيرة الرسول هي الركائز التي جذبت إلى الإسلام شعوبا شتى ، دخلت جميعا في دين الله أفواجا ، اقتداء بسيرة محمد ، واستجابة لدعوته ، وإيمانا برسالته ، كانت تلك الركائز هي التي أقامت المجتمع الإسلامي على دعائم الحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل ، وأرست العلاقات بين أبنائها على الإخاء والتراحم ، والتعاون والتكافل ، وأسست الحياة على مبادىء إجلال العلم النافع ، واحترام الفن الرفيع ، وتقديس العمل الجاد ، وتقدير الإنتاج الجيد الوفير . على هذه القيم والركائز ، قامت حركات التنوير والتحرير منذ القرن الماضي ، التي قادها مفكرون مستنيرون ، وعلماء مجتهدون ، ومصلحون واعون ، وزعماء مخلصون عملوا جميعا على تصحيح مسيرة الأمة نحو أهدافها الجليلة ، عن طريق الأخذ بالقيم الإسلامية النبيلة ، فهي القيم التي كانت أساسا لنهضة الآباء ، وهي خير ضمان لنهضة الأبناء ، وضمان التقدم لهم والرقى والسعادة .

جوهر الدين الحنيف

وإذا كانت أمتنا تقترب من غاياتها في استعادة مكانتها ، بدأت من جديد .. وبكل أسف .. بعض عوامل النكوص وبعض ظواهر الانحراف . تلك العوامل والظواهر أبعدت الأمة ـ أو بعض أبنائها ـ عن جوهر الدين الحنيف ، الذى يدعو إلى الترابط والتآزر ؛ ويحض على الإخاء والتراحم ، ويدفع إلى المحبة والتسامح ، ويحث على نبذ العصبيات القبلية ورفض الصراعات المذهبية والدعاوى الجاهلية ، كما يحث على التشبث بأسباب الحضارة الراقية ، والأخذ بأساليب المدنية السامية ، التي هي غاية الرسالة الإسلامية الإنسانية الخالدة . وهكذا مالبثنا أن رأينا على ساحة أمتنا في السنوات الأخيرة ، سلبيات خطيرة ، أعاقت مسيرتها ، وغرست الأشواك في طريق استكمال نهضتها واسترداد مكانتها ، ومن أبرز هذه السلبيات ، التورط في الصراعات ، وتزييف الشعارات ، وإهمال ترتيب الأولولويات ، ثم الجمود والانغلاق على الذات .

أما التورط في الصراعات ، فقد أخذ أشكالا شتى وأدت إلى دوافع مختلفة .. فهو أحيانا صراع قبلي من أجل تحقيق السيطرة ، وأحيانا صراع مذهبي من أجل فرض الرأى ، وهو تارة

صراع سياسي من أجل الوثوب إلى السلطة ، وتارة أخرى صراع أناني من أجل العدوان على حقوق الغير .

بل قد وصل الأمر – كما رأينا – إلى نشوب الحرب بين الأخوة في البلد الواحد ، وإلى عدوان الجار على الجار في الأقليم الواحد ، وإلى ترويع الشقيق للشقيق من أبناء الدين الواحد .

دعوة إلى الاعتصـام

ولعل أشد ما يوجع ويخجل في هذا الذي يجرى ، أن مقترفيه ينتسبون إلى أمة الإسلام ، ويزعمون أنهم يفعلون ما يفعلون من أجل الإسلام . بل أنهم يلوون النصوص الدينية لتأييد مزاعمهم ، ويحرفون الكلم عن مواضعه لتبرير أعمالهم . ويعرف كل من له حظ من الفكر الإسلامى الصحيح ، أن هذه الصراعات – بكل أشكالها المتعددة ودوافعها المختلفة – بعيدة كل البعد عن مبادىء ديننا الحنيف ، الذى نعرف جميعا – من سيرة نبيه وتعاليم القرآن – أنه دين التوحيد والتوحد ، دين الحرية والديمقراطية ، دين المحبة والتسامح والإخاء ، لا دين الكراهية والصراع والعداء ، هذه الصراعات إثم كبير ، وتسترها بالدين إثم أكبر .

فالدين قد أكدت نصوصه المطهرة الدعوة إلى الترابط والتآخى ، طلبا للقوة والعزة ، وتحقيقا للأمن والأمان ، ورفضا للضعف والضياع والهوان .

حسبنا أن نتذكر قول ربنا جل شأنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ . وحسبنا كذلك أن نتدبر قول نبينا صلوات الله وسلامه عليه : « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله** » .

وأما تزييف الشعارات ، فقد جاء مرتبطا بالداء السابق ، لأنه مبرر من مبرراته وداعية من دعاته ، فالذين يتورطون في الصراعات يلجأون إلى تبرير مسالكهم بشعارات زائفة ، يرفعونها خداعا وتضليلا ، أو يضعونها أقنعة على وجوههم لتستر رغباتهم الطائشة ، ونزعاتهم الطامعة .

ففي مجال السياسة يرفعون مثلا شعار « الحرية » بينما هم يصادرون كل حرية إلا حريتهم هم في العدوان والبطش وفرض الرأى ، وفى مجال الدين يرفعون مثلا شعارات زائفة عن الحكم بأصول الدين والشرع ، بينما هم يريدون الحكم لأنفسهم ، ويبتعدون عن كل ما يريده الله للناس من أمن واستقرار ، وللحياة من تقدم وازدهار .

وفى مجال الإصلاح يرفعون أيضا شعار « الأصولية » ويزعمون أنهم يريدون أن تكون كل شئون المجتمع وفق الأصول التى أقرها وعاش عليها السلف ، بينما هم في الواقع بعيدون كل البعد عن « الأصول » الحقة ومنابعها المتفتحة ، لأنهم يريدون أن يسجنوا المجتمع في سجن مظلم من أفكارهم

البالية المتخلفة ، ومزاعمهم الرجعية المتجمدة ، التى هى أبعد ما تكون عن روح الإسلام وتعاليمه وهى أبعد ما تكون عن مآثر السلف الصالح .

فأصول الإسلام الحق ، لا ترفض التطور ، ولا تقف فى وجه التقدم ولا تعادى المعاصرة والتحضير .

الجهاد وإكراه الآخرين

وفى مجال الدعوة يرفعون كذلك شعار « الجهاد » وهو فى زعمهم : إرغام الآخرين على اعتناق الدين ، وقهر المخالفين ليغيروا سلوكهم صاغرين ، وهذا الإرغام أو القهر يصل إلى حد قتل المخالف فى العقيدة أو المغاير فى المسلك .

شعار « الجهاد » على هذا الوجه شعار مضلل زائف ، لأن الجهاد الأكبر ـ كما عرفناه من سيرة الرسول ودعوته ورسالته ـ هو جهاد النفس وتطهير الذات وتنقية السريرة ، وهو لا يصل إلى حد القتال ، إلا أن يكون حربا دفاعية أو وقائية ، أو تحريرية ضد طغاة يستعبدون الناس ويحولون بينهم وبين الحرية فى اختيار الدين الذى يرتضونه .

والجهاد الحق لا يعنى أبدا العداء للمجتمع بسبب المخالفة فى الرأى كما يفعل المتطرفون ، ولا يصل ـ من باب أولى ـ إلى درجة الصدام والترويع والقتل من أجل فرض الرأى كما يفعل الإرهابيون . فلا التطرف جهاد ، ولا الإرهاب جهاد ، وإنما الأول انحراف فى الفكر يحتاج إلى تصويب وإصلاح ، والثانى جنوح فى السلوك يستحق العقوبة والقصاص ، حسبنا أن نتذكر ما فاضت به الآيات القرآنية المقدسة والأحاديث النبوية المطهرة من نصوص ترفض فرض الدين أو فرض الرأى ، أو الدعوة إلى الله عن طريق العنف ، فضلا عن الترويع والإرهاب والقتل حسبنا أن نتذكر قول الله جل علاه : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ، وقوله الكريم لنبيه العظيم : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر** ﴾ .. وحسبنا أيضا أن نتذكر قول ربنا لنبيه ولكل داعية يسير على نهجه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

وأما إهمال الأولويات ، فقد ابتليت به أمتنا كداء متصل بالداءين السابقين ـ داء هذا الداء فى كثير من المظاهر وعديد من التصرفات التى تحيد بالبعض عن الطريق الصحيح ، وتجرهم إلى متاهات تبدد الجهد ، وتضيع الفرص ، وتهدر الطاقة . كثير هم الذين لا يسعون إلى تلبية ضرورات الأمة الرئيسية ، ولا يهتمون باحتياجاتها الملحة ومطالبها الأساسية ، وإنما يقفزون إلى أمور وتطلعات لا مكان لها إلا بعد تحقيق الضرورات والوصول إلى الأساسى من الغايات كثير هم الذين يهملون ضرورة تعليم الأمة العلم الراقى ، ويتجنبون إنماء اقتصادها الإنماء الكافى ويستهينون باستقرار الأمة الاستقرار المطمئن ، ويستهجنون سعى الأمة إلى السلام العادل ويقفزون إلى أمور لا تخرج الأمة من

أمية الغالبية من أبنائها ، ولا تمحيا تهديد الفقر والمجاعات لكثير من بقاعها ، ولا تحول بينها وبين القلاقل والصراعات ، التي تريق الدماء في عديد من أصقاعها .

حاجتنا إلى العلم النافع

إن هؤلاء ينسون ـ أو يتناسون ـ الأولويات وترتيبها ، والضرورات والحاجات ووجوب البدء بها ، وبذل أقصى الجهد في سبيل تحقيقها هؤلاء ينسون ـ أو يتناسون ـ أن أمتنا تحتاج ـ أو ما تحتاج ـ إلى علم نافع ينير العقول ويضيء السبل أمام مسيرة التقدم ، فمن العار أن تظل نسبة الأمية في أمتنا من أعلى النسب في العالم ، على حين دعا ديننا إلى العلم ، وكانت أولى سور كتابنا المقدس هي سورة العلق ، التي تبدأ بقول المولى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ . كذلك ينسى أو يتناسى الذين يهملون الأولويات ، أن أمتنا تحتاج ـ بالدرجة الأولى ـ إلى اقتصاد قوى ، يتحقق بالعمل الجاد ، والانتاج الجيد الوفير ، والإفادة من كل ما منح الله للناس من ثروات طبيعية ، وقوى بشرية ، وخبرات علمية ، حتى يتحقق للأمة حظها من الكفاية والوفرة ، وحتى تتهيأ لها الحياة الكريمة الجديرة بأمة عريقة عظيمة .

والقرآن الكريم يحث في كثير من آياته على ما يحقق هذه الغاية الحياتية الضرورية . وكذلك السنة النبوية المطهرة ، التي تزخر نصوصها بكل ما يوصل إلى هذه التنمية الاقتصادية الأساسية ، وما أروع قول الرسول العظيم : « **إذا قامت الساعة ، وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل** » .

كذلك ينسى أو يتناسى المهملون للأولويات ، أن الأمة لكي ترقى علميا وتزدهر اقتصاديا ، لابد لها من الأمن والاستقرار الذى يسمح بالرقى والازدهار ، ولا استقرار إلا بالسلام العادل ، الذى يمكن المجتمع من مواصلة السير إلى الأمام .

وليس أضيع للفرص من القلاقل ، وليس أضر بالأمم من الحروب التي لا يربح فيها إلا تجار السلاح ، وهواة إراقة الدماء وإزهاق الأرواح .

حول مؤتمر السكان
والمنزلة الدولية لمصر

والرسول الكريم صاحب الذكرى العطرة قد دعا إلى الاستقرار وبجد السلام فسيرته صلوات الله عليه تفيض بالتعايش السلمى مع الآخرين ، ولم يلجأ إلى الحرب إلا استثناء لرد عدوان غادر أو

إبطال تأمر مدبر ، والله تعالى يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ويقول : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ . وأما الانغلاق والجمود ، فداء مزمن ومظهر سلبى مؤسف أدى إليه التشدد الجامد ، والادعاء المظهرى المزايد ، وهو ـ أيا كانت أسبابه ـ يتنافى مع الحرية العقلية والسماحة الفكرية والرحابة الحضارية ، التى عرفتها أمتنا الإسلامية فى عهود الازدهار .

هذا الداء المعوق يغلق نوافذ النور عن أمتنا ، ويقطع الجسور بينها وبين العالم الذى نعيش فيه ، بل كثيرا ما يفوت عليها فرص الانتفاع بما وصل إليه الآخرون من عوامل سمت بالفكر وارتقت بالاقتصاد ونهضت بالمجتمع ووفرت له صحة البدن ورق العقل وعافية النفس ، وسعادة القلب . لقد وصل الأمر بهذا الداء إلى أن حدا بالبعض إلى رفض مجرد الحوار مع الغير ، أو الاستماع إلى ما يطرح من آراء وما يقدم من أفكار ، خشية أن يكون فى تلك الآراء والأفكار ما يخالف قيمنا أو يغاير بعض مبادئنا .

وأقرب صورة لهذه الظاهرة السلبية المؤسفة تلك الزوبعة التى أثيرت حول « مؤتمر السكان » الذى سوف يعقد بالقاهرة فى الشهر القادم ، وهو مؤتمر علمى تنموى عالمى وإنسانى يهتم ببحث قضايا البشر والأرض . اختيار أرض مصر ليعقد هذا المؤتمر عليها ، شهادة لها بالمنزلة الدولية المرموقة التى تحتلها ، وبالمكانة العلمية الرفيعة التى تمثلها ، وبالقوة الفكرية الصلبة التى تتسلح بها فلا تخشى الحوار ، ولا تضعف أمام رأى أو فكر مهما كان .

استند المعترضون على هذا المؤتمر إلى أن ورقة الإعداد له ـ التى طرحتها الأمم المتحدة ـ قد تضمنت بعض محاور للبحث قد تصطدم مع مبادئنا وتتنافى مع أخلاقياتنا . نسى هؤلاء المعترضون ـ أو فاتهم ـ أن هذا المؤتمر هو : أساس للحوار حول أنجع السبل لتجنب خطر الانفجار السكانى ، وللربط بين حجم السكان وبين أهداف التنمية ، وبين نمو البشر ، وتنمية الموارد الطبيعية .

وسوف تطرح فى هذا المؤتمر ـ من غير شك ـ حلول مقبولة لهذه المشكلة السكانية ، تفيدنا وتساعدنا فى تجنب هذا الخطر الذى يهددنا ، وليس من المستبعد أن تطرح فى المؤتمر أفكار وآراء غير مقبولة بالنسبة لنا . ولا يمكن أن يتصور أحد أننا سوف نقر هذه الأفكار أو نأخذ بهذه الآراء ، بل إننا على أتم الاستعداد لكى نرد على كل ما يخالف ديننا أو يمس أخلاقياتنا ومبادئنا ، نحن على أتم الاستعداد لإحقاق الحق ، وإبراز جوهر ديننا المضىء ، ومبادىء إسلامنا الإنسانية الحضارية المشرقة .

نحن على أتم الاستعداد لهذا كله بفضل مفكرينا الواعين المستنيرين وبفضل علمائنا الأجلاء الراشدين . لا توجد قوة تفرض علينا رأيا لا يرضاه ديننا ولا يستطيع أحد ـ مهما كان ـ أن يجبرنا

على حل مشكلة بما يتفق مع شريعتنا الغراء ومبادئنا القويمة . وليس مجرد عقد المؤتمر على أرضنا بملزم لنا بكل الأفكار التى تطرح فيه ولا بجميع الآراء التى تبدى على ساحته .

لامساس بمبادئ الدين والأخلاق

اننا من منطلق التفتح والثقة بالنفس وعدم الخشية من أى حوار .. ومن منطلق الإيمان بديننا والتشبث بمبادئنا ، واستشعار القدرة على عرض ما لدينا من مبادئ، ديننا الخالد وشريعتنا السمحة .. ومن منطلق حرصنا على المكانة التى عرفها المجتمع الدولى لمصر ، والتقدير الذى أقره العالم لعلم مصر وعلماء مصر .. ومن منطلق الأمل فى أن يساعدنا العالم فى التغلب على مشكلة من أخطر مشاكلنا - دون أن يكون فى ذلك أى مساس بمبادئنا وديننا وأخلاقياتنا - من هذه المنطلقات جميعا ، رحبنا بعقد هذا المؤتمر على أرضنا .. ونرجو أن نظفر بخير ما يقدم ، وأن نفيد من هذا الخير فى معالجة تلك المشكلة الاجتماعية والاقتصادية والتنموية الخطيرة .

وما أظن - ولا يظن أحد يعرف جوهر دينه - أن إهمال هذه المشكلة أو التغاضى عنها مما يرضى الله أو مما يقره الدين الحنيف ، فالله جل شأنه ، يريد لعباده أن يكونوا أقوياء أسوياء ، وأن يعيشوا موفورين سعداء والدين الحنيف لا يرضى لأتباعه أن يكونوا ضعافا ، ولا أن يعيشوا محتاجين تعساء . فالنبى الكريم قد قال : « **المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » وقال أيضا : « **لأن تدع أبناءك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس** » .

فإذا كان الانفجار السكانى مؤديا إلى الضعف والفقر كانت مقاومته من الأمور المباحة ؛ بل يصل الأمر إلى أن يكون من الأمور الواجبة فقد استعاذ النبى - صلوات الله وسلامه عليه - من « جهد البلاء » وحين سئل عنه قال ما معناه : « هو كثرة العيال مع قلة المال » .

ولن أخوض هنا فى بحث علمى لبيان كيفية مواجهة تلك المشكلة فهذا شأن العلماء الأجلاء ولكنى أردت أن أشير إشارة عابرة بمناسبة تلك الزوبعة التى أثيرت مؤخرا حول « مؤتمر السكان » وأحب أن أذكر بما سبق أن أشرت إليه من أن ديننا الحنيف قد أرسى ثوابت وأصولا يجب ألا تمس ورسم غايات يجب أن تقصد ، وترك للمسلمين حرية الاجتهاد فيما يوصل إلى هذه الغايات ولا يتعارض مع الأصول الثوابت . من هنا فتح باب الاجتهاد فيما لا يمس الأصول الثابتة والنصوص القطعية الواضحة وأذكركم مرة أخرى بقول الرسول الكريم : « **ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن** » وقوله لأصحابه فى أمر من الأمور الدنيوية التنموية « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر العلماء الأجلاء .. الأخوة والأخوات .. هذه السلبيات الأربع - التى أبرزتها على سبيل المثال - قد أضعفت الأمة وأخرتها حضاريا وشوهت صورتها عالميا لهذا

لابد من تصويب هذه السلبيات وعلاج هذه الأدواء والبحث لها عن ناجع الدواء .. لابد من صحوة جديدة لأمتنا ذات الحضارة المجيدة ، إن أهم ما يحقق هذه الصحوة المأمولة لأمتنا هو التمسك بجوهر الإسلام الذى يتمثل فى سيرة الرسول القدوة ودعوته المنقذة ورسالته الخالدة ، أجل .. سيرة الرسول بكل ما تحمل من مثل عليا فى الخلق والسلوك والعطاء ، ودعوة الرسول بكل ما تضم من قيم عظمى تسمو بالإنسان وتضمن له التقدم .

ورسالة الرسول بكل ما تحوى من شريعة حضارية إنسانية ، تتآزر مبادؤها لصنع الفرد الصالح فى المجتمع الصالح فى الأمة الصالحة الجديرة بأن توصف بأنها « خير أمة اخرجت للناس » .

مسئولية الدعوة الإسلامية

هكذا يكون انتفاعنا بالذكرى ويكون احتفالنا بها استعادة لسيرة صاحبها واستحضارا لمبادىء دعوته وجوهر رسالته ، ثم استضاءة بهذا كله فى مراجعة أمور أمتنا وتصحيح مسيرتها وتصويب خطاها لتحقيق صحوتها والوصول ـ بعون الله ـ إلى عزتها ونهضتها ولعلكم توافقوننى فى أنه على كل واحد من أبناء أمتنا واجب ـ بقدر طاقته ـ فى تحقيق هذه الأهداف النبيلة والوصول إلى هذه الغاية الجليلة .

ولعلكم توافقوننى بعد هذا كله على أن أول من يتحمل شرف هذه المسئولية هم الدعاة والعلماء والمفكرون والأدباء ، فعليهم جميعا ان يبصروا الأمة بما يهددها من هذه السلبيات وبما يصيبها من هذه الأمراض حتى تنجو من ويلاتها وتعود إلى مسيرتها الظافرة ، وحتى يغلق الطريق أمام المتورطين فى الصراعات والرافعين لزائف الشعارات ، والناسين ـ أو المتناسين ـ لترتيب الأولويات ، والمصرين على الجمود والانغلاق على الذات .

هذه دعوة أوجهها إلى جميع أخوتى المسلمين بمناسبة احتفالنا بذكرى ميلاد رسولنا الأمين .. وأتوجه بدعوتى بصفة خاصة إلى كل المسئولين فى أمة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها كما أتوجه بدعوتى بصفة أخص إلى المتورطين فى الصراعات وحمل الشعارات وأعمال العنف وأقول لهؤلاء : اتقوا الله فى شعوبكم واتقوا الله فى أمتكم ، واتقوا الله فى دينكم ..

الأخوة والأخوات أبناء أمتنا فى كل مكان ..

انتهز هذه الفرصة لأهنكم بذكرى مولد رسولنا ولأناشدكم أن تتأملوا السلبيات التى تعوق مسيرتنا ولأدعوكم أن تنتفعوا بهذه الذكرى العطرة للرسول الكريم بالعمل على تحقيق الصحوة لأمتنا أملا فى استعادة نهضتنا ومكانتنا « ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » ..!! وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بالإسكندرية

آن لنا أن نتبع الأسوة الحسنة للرسول صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

السيد الرئيس محمد حسني مبارك ....

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

اعتاد الناس أن يحتفلوا بذكرى مولد الرسول ﷺ في شهره شهر ربيع الأول ـ هذه الذكرى التي تمر بالمسلمين تذكرهم بأن الرسول ﷺ كان قدوة لهم حسنها قال الله : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » كان صادقا وأمينا قبل النبوة وشاع صدقه وأمانته بين قومه . فكانوا مع خلفهم معه فيما يدعو إليه لا يكذبونه ويأتمنونه على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم حتى إنه ليلة الهجرة استخلف عليا ـ رضي الله ـ عنه مكانه ليفي بالأمانات التي بيته فأين نحن من صدقه وأمانته .. هل شاع بيننا الصدق في التعامل ؟ وفي القول وفي أداء الأمانات ؟ العمل أمانة والعبادة أمانة « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

الرسول ﷺ كان عفا عفيفا ما نطق بكلمة سوء وما سخر من أحد . وما اعتدى على أحد فهل اقتدينا به في هذا ؟ أم أن قالة السوء قد انتشرت بيننا ؟ وسخرية بعضنا من بعض قد أساءت الصلة التي ينبغي أن تكون نقية طاهرة ؟ فهل تخلقنا للأسوة به كسبنا وربحنا أم خسرنا ؟ .

هذا رسول الله ﷺ يعلمنا الأمانة في كل شيء .

حين جاءه أحد ولاته ومعه أموال جمعها من المسلمين من زكاة وغيرها ثم قال : ما بال الرجل توليه مما ولانا الله . فيقول هذا لكم وهذا لي هلا جلس في بيت أبيه وأمه لينظر ما يهدى إليه .

هل اقتدينا برسول الله ﷺ في هذا . في حرصنا على العفة والعفاف ؟ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فهل لنا أن نتبع الأسوة الحسنة ؟ كل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....



في التحكيم في شئون المضاربة

وبيان ما إذا كان الحكَم ملزماً ، ومتى يكون ذلك ، وهل لأطراف النزاع الالتجاء إلى القضاء في شأن موضوع التحكيم ، وهل يختلف نظام التحكيم في القانون الخاص به برقم ٢٧ لسنة ١٩٩٤م عما جاء في الفقة الإسلامي ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الدكتور مهندس/إبراهيم مصطفى كامل ، جاء بها :

مقدمة : مضاربة إسلامية أقرضت جزءا من رأس مالها لطرف آخر وجارى تحصيل قيمته ، وعلما بأن شروط المضاربة نصت على التحكيم حسب الشريعة الإسلامية أمام جهة محددة عليه .

السؤال الأول :

هل يحق لكل أو أى من أرباب المال أو المضارب تجاهل التحكيم واستصدار أوامر على عريضة من أى محكمة معنية ؟

وما موقف المضارب من تلك الأوامر على عريضة أيا كان مضمونها ؟

السؤال الثاني :

هل يحق لكل أو أى من أرباب المال أو المضارب توزيع حصيلة تسديد القرض الحسن أو أى من أموال المضاربة على أرباب المال قبل تسديد ديونها للغير وكلفة عمل المضارب ؟

وما هو الموقف لو كان هناك شرط بهذا في شروط المضاربة ؟

السؤال الثالث :

رغم استمرارها في مباشرة نشاطها هل يحق لأى من أطراف المضاربة دون الاتفاق مع الطرف الآخر أو التحكيم استصدار أمر على عريضة من محكمة مدنية بتصفية المضاربة وتعيين مصفى قانونى لها ؟

السؤال الرابع :

إذا ثبت أن تصرفا لأحد أو مجموعة من أرباب المال أضرت ماليا ومعنويا بمصالح المضارب وباقى أرباب المال فهل يحق لمن أضر في ماله تعويض خسارته خصما من نصيب من أضر به في أموال المضاربة ؟

السؤال الخامس :

هل يحق لأطراف المضاربة فى حالة عدم القدرة على اللجوء إلى جهة التحكيم المتفق عليها أن تطلب من فضيلتكم تعيين ثلاثة محكمين للتحكيم بين الأطراف المتنازعة فى المضاربة ؟

شاكرين لفضيلتكم تفضلكم بالإجابة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توقيع عن المضاربة

دكتور مهندس/ابراهيم مصطفى كامل

(والجــواب)

التحكيم لغة : مصدر حَكَّمَهُ فى الأمر والشىء ، أى جعله حكما ، وفوض الحكم إليه .

وهو مشروع فى الإسلام ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى جوازه بقوله تعالى فى سورة النساء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1]

ومن معانى التحكيم فى اللغة : الحكم .

وفى الاصطلاح : التحكيم : تولية الخصمين حاكما يحكم بينهما .

مشروعية التحكيم :

يدل على هذا قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[2]

وفى السنة النبوية ما يدل على مشروعية التحكيم وجوازه ، فقد رضى رسول الله ﷺ بتحكيم سعد بن معاذ – رضى الله عنه – فى أمر اليهود حين جنحوا إلى ذلك ورضوا بالنزول على حكمه كما جاء فى البخارى .

ومقتضى فقه مذاهب الأئمة الأربعة جواز التحكيم فى النزاع فى شأن الأموال كالمسألة المعروضة فى مقدمة هذا السؤال .

ومتى أصدر الْحَكَمُ حكمه صار الحكم ملزما لأطراف النزاع وتعين إنفاذه دون توقف على رضا الخصمين ، وقد جرت بذلك أقوال فقهاء المذاهب وقالوا : إن حكم الْمُحَكَّم كحكم القاضى متى استوفى شرائطه .

وهذا الإلزام الذى يتصف به حكم المحكم ينحصر فى الخصمين فقط ولا يتعدى إلى غيرهما ؛ ذلك لأنه صدر بحقهما عن ولاية شرعية خاصة نشأت عن اختيارهما الحكم المحكم فى النزاع فيما بينهما .

وتجيز نصوص الفقه لمن لم يرض بالحكم من الخصمين أن يرفع الأمر إلى القضاء ، وللقضاء أن يقر حُكم المُحكم أو نقضه فى نطاق الأحكام الصحيحة تماما كما يطعن على حكم القضاء أمام الدرجة الثانية ولم يختلف أحد فى هذا من الفقهاء .

لمَّا كان ذلك كان الجواب عن السؤال الأول : أنه يحق لأى من أرباب المال فى المضاربة

---

(1) من الآية رقم ٦٥ سورة النساء .

(2) من الآية رقم ٣٥ سورة النساء .

والمضارب الالتجاء إلى القضاء بالطرق المقررة فى القانون وحسب قواعد الاختصاص النوعى والمكانى أو حسب الاتفاق إن كان ، ولكل من الطرفين تبادل الدفاع بالإجراءات القانونية .

وعن السؤال الثانى :

لا يحق لأى من أرباب المال أو المضارب التصرف فى شيء من أموال المضاربة أو القرض الحسن المشار إليه فى مقدمة السؤال إلا بعد الوفاء بديون الغير على أموال المضاربة ومن هذه الديون نفقات المضارب ، ويستوى فى هذا أن يكون فى المضاربة شرط نص بهذا المعنى أو لم يكن .

وعن السؤال الثالث :

أنه متى طرأ نزاع بين أطراف المضاربة كان لمن شاء منهم عرض النزاع على القضاء أو بالتحكيم إذا اشترط ذلك ، وكان له سلوك كل الطرق القانونية ومنها طلب تصفية المضاربة وتعيين مصف قانونى لها مالم يحدد صك المضاربة طريقا أو طرقا محددة ؛ لأن المسلمين عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا كما ورد عن رسول الله ﷺ[3] .

وعن السؤال الرابع :

إن ثبوت هذا يقتضى الالتجاء إلى القضاء الذى يدقق فى واقعات النزاع ويستظهر الأدلة ويطبق القاعدة الشرعية التى هى نص حديث شريف (لا ضرر ولا ضرار)[4] ولكن ليس لأحد الطرفين أن يكون خصما وحكما فى وقت واحد .

وعن السؤال الخامس :

إن الأصل فى الالتجاء إلى التحكيم هو التراضى بين الخصوم على مبدأ التحكيم ، ثم على اختيار المحكمين أو المحكم أو التفويض إلى طرف آخر فى اختيار الحكم .

فإذا حدث واتفق أرباب النزاع على أن يطلبوا إلى الأزهر تعيين ثلاثة محكمين جاز النظر فى ذلك متى كتبوا بطلب التحكيم وبالرضا بثمرته التزاما بذلك .

هذا وقد نظم القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٩٤ فى شأن التحكيم فى المواد المدنية والتجارية قواعد التحكيم وإجراءاته بما لا يتناقض مع أحكام الفقه الإسلامى فى الجملة ويحسن الرجوع إليها قبل أو بعد تحرير مشارطة التحكيم استهارا لضوابطه وإجراءاته باعتباره عملا قانونيا نظاميا ترجى فائدته فى فحص النزاع والوصول إلى العدالة فيه .

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ ٣ ص ٦٣٤ ، ٦٣٥ ط/دار الكتب العلمية .

(٤) رواه أحمد وابن ماجة ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٧ ص ٣٦٩ .





بشأن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية

المؤتمر يستهدف فى أكثر من مادة :

- **تبنى نقيض ما شرع الإسلام لمقومات الأسرة الأساسية .**
- **وحماية العلاقات الجنسية الشاذة بين الجنس الواحد — أو الجنسين المختلفين دون علاقة شرعية .**
- **وهدم قيم الأديان السماوية لإشاعة الفاحشة والأمراض الخبيثة .**

توشك الأمم المتحدة أن تعقد فى القاهرة خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤ م ، مؤتمرها الدولى للسكان والتنمية ؛ لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول فى شق منه

بعض أحكام الأسرة .

والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم .

ومدى الحق فى الإجهاض .

وحق المراهقين فى النشاط الجنسى .

والمطلع على هذا المشروع يرى أن مازخر به من تعبيرات فضفاضة ، وعبارات مطلقة ، ومصطلحات مبتدعة ، يوحى بأنه يرمى إلى تبنى نقيض ماوضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض فى غير الحالات التى تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف إلى حماية العلاقات الجنسية التى تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعى ، بما يهدم القيم التى تحرص عليها الأديان السماوية جميعاً ، ويؤدى إلى أن تشيع الفاحشة ، وتتفشى الأمراض الوبيلة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، انطلاقاً من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن دوافع مسئوليته عن بيان الرأى فيما يحدث من مشكلات اجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع فى يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤ م للنظر فى مشروع برنامج العمل المشار إليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولا : فيما يتصل بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة(١) ، ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما فى الإنسانية(٢) ، ويعطى لكل منهما الحق فى إنشاء الزواج واستمراره ما وسعهما أن يقيما حدود الله(٣) ، مع أمرهما بالصبر على ماقد يكرهون فيه عسى أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا(٤) ، ويطالب بتنشئة الناشئة فى الأسرة على الإيمان بالله والثقة فى حكمته وحكمه ؛ ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته من طفولته إلى شيخوخته(٥) ، ويجعل الرجل قواما على الأسرة بحكم مسئوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها(٦) ، وحماية النشء ، وحملهم على الصلاة(٧) ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك فى اعتبار الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء فى المبدأ رقم ١٠ من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضاء عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأى منهم التدخل فيه ، بما يعمل على إغراء المراهقين بالاندفاع وراء غرائزهم ، ويعرضهم بالتالى للأمراض الفتاكة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى(٨) .

ثانيا : فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لا يقر الإسلام أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى ، الذى يقوم بين الرجل والمرأة ، بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط ، ولو تم بالرضا من الراشدين ، ويمنع المقدمات التى تفضى إليهما كالخلوة والاختلاط الفاجر ، بل وإنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال(٩) ، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص — كما حرصت سائر الأديان السماوية — على استقرار المجتمع على الطريق القويم

---

(١) انظر الآية رقم ٢١ من سورة الروم

(٢) انظر الآية رقم ٧١ من سورة التوبة ، والآيات أرقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة النجم .

(٣) انظر الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة

(٤) انظر الآية رقم ١٩ من سورة النساء

(٥) انظر توصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية

(٦) انظر الآية رقم ٣٤ من سورة النساء

(٧) انظر الآية رقم ١٣٢ من سورة طه والآية رقم ٢٩ من سورة العنكبوت

(٨) انظر على سبيل المثال المادة السابعة من مشروع برنامج عمل المؤتمر فى فقراته الثانية والثالثة ، والثالثة والأربعين والخامسة والأربعين

(٩) انظر الآيتين ٣٠ ، ٣١ من سورة النور

الذى يكفل له القوة والمنعة صحيا ونفسيا واجتماعيا .

ومن ثمّ فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران أخرى غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع ، أو تتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية ، كما تشير إلى ذلك المادة السابعة فى فقرتيها الأولى والثانية ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية ــ بما فى ذلك تنظيم الأسرة ــ فى متناول الجميع دون اشتراط الزواج كما توحى بذلك المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

ثالثا : فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل يحرم إسقاطه مطلقا ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب) ، إلا إذا كان هناك سبب طبى يقتضى المحافظة على حياة الأم ــ لأنها أصل وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته بعد ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها [10] ومن ثم فإن إباحة الإجهاض فى غير الحالة الموضحة آنفا ، يتناقض مع حكم الإسلام ، ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية [11] .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر ما يتصل بالمسائل الثلاث السابقة ، فذلك لا يعنى أن المشروع قد برىء من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التى توحى بأمور غير مقبولة ، من أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث الذى تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر ، كما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة إلى تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته حتى لا تشتمل ــ ولو فى مفهومها ــ على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ــ وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية ــ وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور . ويلفت النظر بشكل خاص إلى ما حوته المادة السابعة بفقراتها المتعددة ، وما انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطا للصياغة وإحكاما لها ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تُلزَم الأمة الإسلامية بشىء منه .

شيخ الجامع الأزهر الشريف

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٠) انظر قرار مجمع البحوث الإسلامية الصادر فى جلسته رقم ٧ دورة ٣٠ المنعقدة بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٤ هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٩٤م .

(١١) انظر على سبيل المثال ما تشير إليه المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة

من قرارات مجمع البحوث الإسلامية

بشأن تحديد النسل وتنظيمه

فى مؤتمره الثانى

المحرم ١٣٨٥هـ - مايو ١٩٦٥م

وهو المؤتمر الذى مثل علماؤه المسلمين من اليابان حتى البرازيل
وأجمعت هذه الصفوة على الآتى

يقرر المؤتمر ما يلى:

١ - أن الإسلام رغب فى زيادة النسل وتكثيره ، لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً وحربياً وتزيدها عزة ومنعة .

٢ - إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه .

٣ - لايصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ - أن الإجهاض بقصد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التى تؤدى إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

بيان من جبهة علماء الأزهر

بشأن

برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه .

اطلعت جبهة علماء الأزهر على البيان الذى أصدره « مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف » فى شأن برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة فى المدة من ٥ ـ ١٣ سبتمبر ١٩٩٤ .. وعلى البيانات الأخرى لبعض هيئات الأزهر ، وعلى برنامج عمل المؤتمر (فى نسخته باللغة العربية) .

والجبهة أداءً منها لواجب الأمانة الدينية والعلمية ، وانطلاقاً من واجباتها التى نصّت عليها لائحة تأسيسها منذ إنشائها فى سنة ١٩٤٦ ، والتى منها العملُ على إعزاز الإسلام والمسلمين ، وتوجيه القوانين فى مصر الوجهة الإسلامية التى تتفق مع « الإسلام » دينها الرسمى ، ونشر الثقافة الإسلامية بكل الطرق المشروعة ـ تُصْدِرُ هذا البيانَ بلاغاً منها لكل المسلمين والمتدينين .

إن برنامج عمل المؤتمر فى بعض بنوده يمثل تهديداً لمقومات الأمة الإسلامية وقيمها الأصلية الراسخة ، مما يعنى التدرج إلى طمس الهوية الذاتية لكل المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية .

وقد رأت الجبهة أن تساند وتؤكد ما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية وبعض هيئاته من بيانات ومناشدات .

وفى الوقت نفسه تعتز الجبهة بما صدر عن السيد رئيس الجمهورية من تصريح يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن مصر لا يمكن أن توافق على ما يخالف الشرائع السماوية ، وهذا التصريح معدود فى حسنات سيادته إن شاء الله .

وتطرح الجبهة عدداً من الأمور والمسائل التى تناولها برنامج المؤتمر :

أولًا : أشار البرنامج إلى الربط بين الزيادة السكانية والفقر على أنه نتيجة حتمية لها ، وفى مواجهة ذلك تبرز جبهة علماء الأزهر ما قررته العقيدة الإسلامية من أنَّ الله ـ عز وجل ـ قدَّرَ الأقوات وضمن الأرزاق لكل ما يدب فى الأرض ، ولكن واقع ما تعانيه البشرية الآن من فقر وحرمان مرده الأساسى إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستغلاله إياه ، فضلًا عن الاستهلاك

المفرط في البلاد الغنية واستنزافها موارد البلاد النامية .

ثانياً : حتم البرنامج ضرورة حماية جميع أشكال الأسرة ومنها الأسر التي تنشأ بين رجلين أو بين امرأتين أو بين رجل وامرأة بدون زواج شرعي .

وجبهة علماء الأزهر تعلن أن الإسلام لا يقر مفهوم الأسرة إلا إذا نشأت بين زوجين بعقد شرعي يتوافر فيه التراضي وإقامة حدود الله .

ثالثاً : توجّه البرنامج إلى رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية ، والتربية السويّة ، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس ، والاحتفاظ بسلوكياتهم الشخصية في سرّية عن آبائهم ، وتنبه الجبهة إلى أن تعاليم الإسلام تجعل الرجل راعياً في أهله وهو مسئول عن رعيته ، وليس من الرعاية المسئولة تركهم للشذوذ الجنسي .

رابعاً : دعا البرنامج إلى ضرورة المساواة بين الذكر والأنثى في الميراث ، وهذا أمر قد حسمه القرآن الكريم وحكم فيه حين قال : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ولا تنازل عن حكم الله ومفاده ـ ليعلم القاصي والداني ـ التزام الرجل بالنفقة والقوامة ، وهي قوامةُ مسئولية ، وليست قوامة تسلط .

خامساً : روّج المشروع لما أسماه (الإجهاض الآمن) من منطلق صحة التكاثر ، وإننا نؤكد على حكم الإسلام في تحريم الإجهاض ، واعتباره عدواناً على نفس بشرية تقررت العقوبة الشرعية على اقترافه ، ما لم يكن لضرورة معتبرة شرعاً لإنقاذ الأم الحامل من ضرر مُحقّق يقرره الطبيب المعالج وليس أحدٌ غيرُه .

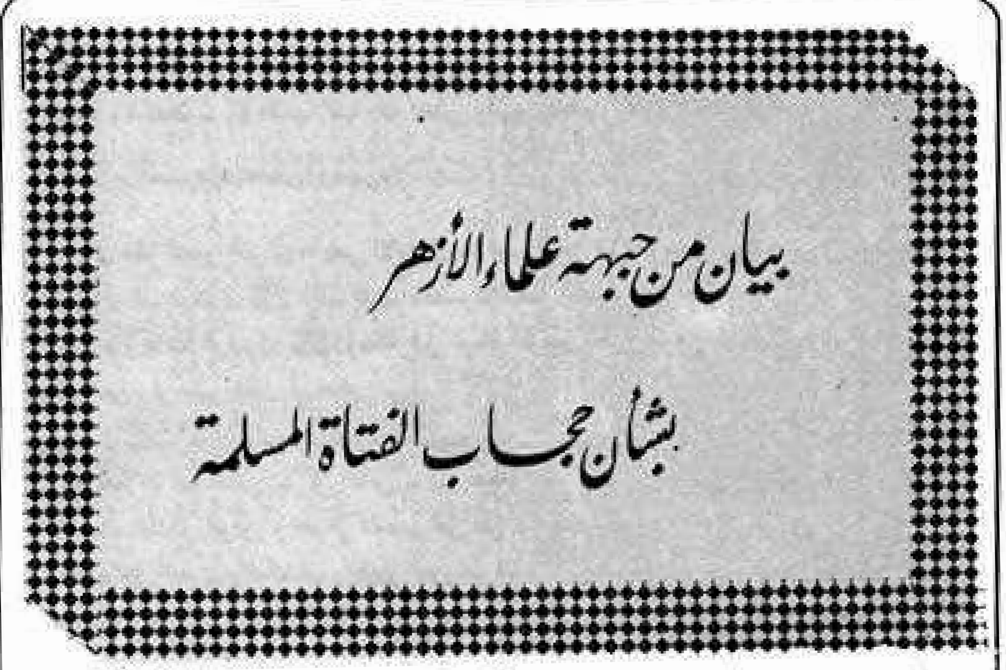
سادساً : دعا البرنامج إلى رفع الحد الأدنى لسنّ الزواج ، والإسلام من تعاليمه تشجيعُ الزواج المشروع عند قيام القدرة والاستطاعة ، وذلك من منطلق حرصه على قيام مجتمع العفة والطهارة ، وتصفية ثغرات الفساد والشذوذ الجنسي ، بحيث لا يوجد في المجتمع المسلم عزبٌ ولا عانسٌ ، وذلك فضلاً عن أنّ تأخير سن الزواج يؤدي إلى زيادة الأطفال اللقطاء ، وانتشار الاقتران غير المشروع الذي يؤدي إلى ضياع حقوق النساء والأطفال وتفاقم مشكلاتهم .

وإنّ جبهة علماء الأزهر وهي تضع هذه الحقائق تحت سمع الأمة وبصرها ـ تأمل من ممثل الدول الإسلامية الأعضاء في هذا المؤتمر ضرورة التصدي لكل ما يناهض قيم أمتها الحضارية ، ويمس معتقداتها الدينية ، وتهيب بحكومة مصر ـ بما لها من دور ريادي ـ أن تحشد إلى جانبها من يناصرون الفضيلة ومجتمعاتها .

والله ولي التوفيق

رئيس الجبهة

الأستاذ الدكتور / محمد السعدي فرهود



أصحاب الفضيلة أعضاء الجبهة ـ علماء الأزهر الشريف .

نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

وبعد ، فقد رأى مجلس إدارة الجبهة فى اجتماعه بتاريخ ٦ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ١٤ من أغسطس ١٩٩٤ م إصدار هذا البيان ، وهو البيان الأول والوحيد الذى تصدره الجبهة فى شأن الفتاة المسلمة ، بمناسبة القرار المنسوب إلى السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم خاصاً بالزى المدرسى .

ثم أما بعد :

فإن الإيمان بالإسلام ديناً ، وبالقرآن وحياً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً يقتضى التسليم والرضا بحكم الله ، ولا سيما إذا كان نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾
[سورة النور]

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) ﴾ سورة الأحزاب

وقد جاء القرآن الكريم بالأمر الصريح للرجل وللمرأة أن يغض كل منهما البصر ويحفظ

الفرج ، وزاد بالنسبة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها ـ وهو عند الجمهور الوجه والكفان ـ كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار فقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ سورة النور ٣١

وفى هذا التعبير القرآنى ما يعنى الامتثال والخضوع من قبل المؤمنين والمؤمنات ، فهم بمجرد أن يقول لهم الرسول ﷺ ذلك فإنهم يغضون البصر ويحفظون مواطن العفة . وقد بدأ الله عز وجل بزوجات الرسول ﷺ وبناته قبل نساء المؤمنين حين أمرهن بأن يرخين ثيابهن ستراً لسيقانهن وأرجلهن فقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

وبعد أن نبه الناس ـ كل الناس ـ إلى نعمة الستر واللباس أوصى بتقوى القلب ليتحقق للإنسان الشكلُ الوقورُ والجوهرُ المستنيرُ من فتن الشيطان ومحاولاته المستميتة فى إغراء بنى آدم وحثهم على التعرى والتكشف وإظهار العورات المؤدى إلى فساد الأخلاق وشيوع الفاحشة فقال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعـــراف ٢٧]

وأمام هذه النصوص الواضحة استقر فى ضمير الأمة المسلمة ، وفى سلوكها على مدى الأجيال أنّ هذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة لا يجادل فيه مسلم يدين بكتاب الله . واعتماداً على هذه النصوص وغيرها أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانها لضرورة الالتزام بشرع الله فى ستر الرأس والصدر والسيقان بثياب لا تكشف ولا تصف لكل فتاة بلغت سن المحيض ، وبأن هذا الأمر لا يحتاج إلى إقرار من ولى الأمر أو إذنٍ من إدارة التعليم ، إذ أن الأمر به هو رب العالمين ، ولا يعقل أن يُستأذن عبد فى أمر صدر من ربه ، ثم إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وما كان للجنة الفتوى أن تخفى حكم الله ، أو تقول على الحرام حلالاً ، وإلا دخلت فيمن يفترى على الله الكذب ، وفيمن يكتمون ما أنزل الله .

وبإزاء ما شغل به بعضُ الكُتاب أنفسهم وأقلامهم ، قاصدين الخوض فى هذه المسألة على غير وجه من الحقِّ والحقيقة ، حتى إنّ عدداً منهم نفخ فيها نار الفتنة والإرهاب ، وهؤلاء ندعوهم إلى أن يراجعوا أنفسهم وموقفهم من الله وآياته ، وأن يفيئوا إلى الحق ـ والحق أحق أن يتبع ـ ونسأل الله لنا ولهم وللجميع الهدى ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦]

والله ولى التوفيق

رئيس جبهة علماء الأزهر

الأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود

تعقيب وإيضاح لفضيلة الإمام الأكبر

على ما نشرته .... أكتوبر

نشرت مجلة أكتوبر فى عددها الصادر يوم الأحد ٧ من أغسطس ١٩٩٤ م مقالا بعنوان (هل هى خومينية جديدة ؟) تحدث فيه الكاتب عن البيان الذى نشرته إحدى الصحف عن قرار وزير التعليم بخصوص الزى المدرسى ورأى لجنة الفتوى فيه .

وبصرف النظر عن رأى الكاتب ـ فى هذه الصحيفة وفى الاتجاه الدينى وفى الحجاب ، الذى نشره من قبل ونشرت آراء تعارضه ـ فقد تناول فى آخر المقال رأى لجنة الفتوى ، ووصفه بأنه خومينية جديدة آتية لا محالة « أى أمام دولة دينية يتحكم فيها رجال الدين ويفرضون على مجتمعنا ما يشاءون عن طريق الفتاوى فتستطيع لجنة الفتوى بالأزهر أن تفرض وصايتها على نظامنا السياسى وترسم له ما تراه متفقا مع الدين وما تعتبره مخالفا للدين .. فتخضع الدولة لهذه الفتوى وتكون الخطوة التالية أن يزيح رئيس لجنة فتوى الأزهر رئيس الدولة من مكانه ويمارس سلطاته الدستورية من خلال الفتاوى ، ثم تصدر لجنة الفتوى بالأزهر فتوى بإعادة مجتمعنا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فإذا لم يعد اعتبر كافرا » .

ونود أن يعرف الجميع أن علماء الأزهر الشريف حين يبينون للناس حكم الدين فيما يجد من الأمور إنما ينطلقون فى ذلك من عدة منطلقات :

المنطلق الأول دينى ، حيث فرض الله عليهم الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال سبحانه « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » سورة آل عمران : ١٠٤ .

وكما قال « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » سورة التوبة : ٧١ .

والمنطلق الثانى وطنى ، فهم يؤدون واجبهم نحو الوطن العام وهو ما تعيش فيه الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها قال تعالى « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » سورة

الأنبياء : ٩٢ ونحو الوطن الخاص وهو مصر ذات المركز الممتاز فى العالم ، والذى اختاره الله ليكون فيه الأزهر الشريف الذى ربط به العالم الاسلامى كله .

والمنطلق الثالث دستورى ، حيث إن الدستور المصرى جعل الدين الإسلامى هو الدين الرسمى ، فهم يباشرون مهمتهم الدينية فى ظل الدستور .

والمنطلق الرابع قانونى ، حيث جاء فى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م أن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وأن شيخ الأزهر الشريف هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية .

من هذه المنطلقات أعلن علماء الأزهر الشريف ويعلنون وسيظلون يعلنون حكم الدين فى كل ما يجد من الأمور حتى لا تحق عليهم اللعنة التى حقت على من فرطوا فى ذلك من الأمم السابقة ، وحتى يؤدوا الضريبة الواجبة عليهم نحو الوطن ، ويحافظوا على شخصيتهم المتميزة التى امتازوا بها منذ أكثر من عشرة قرون ، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله .

والتاريخ على ذلك خير شهيد .

إن الأزهر الشريف حين ينشر هذا البيان — كما يخول له القانون — « يدفع بالتى هى أحسن الاتهامات التى وجهت إليه فى المقال المشار اليه » يعلن ما يأتى :

١ — إن لجنة الفتوى جزء من الأزهر الشريف مسئولة عن كل ما يصدر عنها من فتاوى وعلماؤها موثوق بعلمهم وأمانتهم وإخلاصهم ، ورئيسها معروف بحكمته واعتداله وهو محل ثقة فى كل الأوساط التى يعمل بها فالاتهام الوارد فى المقال دسيسة رخيصة .

٢ — يستنكر الأزهر الشريف ما جاء فى المقال المذكور شكلا وموضوعا ، أسلوبا ومادة ، فالأزهر الشريف فيما يصدر عنه من أحكام دينية هو متخصص فيها يعرض ولا يفرض ، ويعرف لكل إنسان قدره ، ويحترم اختصاصه ، مؤمنا بتوزيع المسئولية وحتمية التعاون . ورجاله مشتركون فى المجالس التشريعية التى ترسم سياسة الدولة بما يتفق مع الشريعة كما ينص الدستور ، الذى لا يعد الرجوع إلى الشريعة رجوعا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فكيف يتهم الأزهر وحده بذلك ؟ وهو يحارب التكفير العشوائى ، ويصحح الأفكار التى تؤدى إلى انحراف السلوك .

٣ ـ إن المسئولين في أهم القطاعات يصرحون برفض كل فكر يأتى من الخارج ويكون معارضا للشريعة ، وأولى أن يكون هذا الرفض لأى فكر ينبع من الداخل احتراما للدستور ، وتوجيها لحرية الرأى حتى لا تضل الطريق .

٤ ـ الأزهر الشريف في دعوته إلى الحق يلتزم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن دون عنف أو إكراه أو إرهاب . وفى بيانه للأحكام الشرعية يتحرى الصدق ويتخير الرأى الاجتهادى المناسب ، بعيدا عن الظنون والخيالات ، وينشره بأسلوب نظيف ليس فيه إثارة ولا إسفاف ولا اتهام بالباطل فكل إناء بالذى فيه ينضح ، وإناؤه بحمد الله نقى طاهر نزيه .

٥ ـ إن حب الوطن يفرض على كل مواطن ، بالقدر المناسب والجهد المستطاع أن يرشد غيره إلى الخير ، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم كما صح في الحديث الشريف ، وأن يضىء شمعة تتفادى بها العقبات التى تعترض مسيرة الإصلاح ، فالتخاذل والسلبية والتضليل وتزيين الباطل وإيثار المصلحة الشخصية كل ذلك خيانة صريحة للوطن لا تخفيها المسوح والشعارات ، فالحق أبلج والباطل لجلج ، وستبدى الأيام كل مجهول ، والله بكل شىء عليم .

« وبعــــد »

فلنتق الله في ديننا ووطننا ولنتعاون جميعا على ما فيه الخير ، ولنتأدب بأدب الإسلام فيما نقول ونفعل ، ولنعلم ــ كما صح عن الرسول ﷺ أن من أراد الله به خيرا جعل له صاحبا يأمره بالخير ويحضه عليه ، إن نسىَ ذكّرَهُ ، وإن ذكر أعانه ، ولنضع أمام أعيننا قول الله سبحانه «مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» سورة فصلت : ٤٦

وقوله « وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » سورة الأحزاب : ٥٨ .

نرجو الله أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير ..



كلمة أخيرة

للأستاذ/ السيد عبد الرؤف

فى الكلمة التى ألقاها الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ، تحدث الرئيس طويلا عن : مؤتمر السكان والتنمية المقرر عقده بالقاهرة يوم ٥ سبتمبر القادم .. وكان الرئيس حريصا فى كلمته على أن يحسم الخلاف حول هذا الموضوع بكلمات واضحة محددة رغم أنه سبق أن تحدث فى الموضوع وأدلى بتصريح أثناء عودته من زيارته السريعة للسعودية ، قال فيه : أن مصر لن تسمح بأن يصدر عن المؤتمر ما يخالف الشريعة الإسلامية أو يصادم القيم والأخلاق المستمدة من الإسلام .

ورغم هذا التصريح فإن الجدل حول المؤتمر لم يتوقف .. المؤسسات الدينية فى مصر وبصفة خاصة « مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى والمركز العالمى لبحوث السكان بجامعة الأزهر » حذرت من بعض ما حوته وثيقة المؤتمر .. بينما ارتفعت أصوات أخرى معروفة التوجهات والاتجاهات تدافع عن المؤتمر دون تمييز بين الحرص على التنمية ورفاهية الإنسان وحقه فى نصيب عادل من الثروة والخدمات الصحية والتعليمية وفرص العمل كمبادىء وأهداف لا خلاف عليها وبين السبل والوسائل التى يمكن اتباعها لتحقيق هذه المبادىء والوصول إلى تلك الأهداف .. جاهلين أو متجاهلين أنه من الناحية الدينية والأخلاقية فإن الغاية لا تبرر الوسيلة ، وأن الغايات النبيلة لا يتم التوصل إليها بطرق أو وسائل غير نبيلة .. أو بمعنى آخر فإن الأهداف المادية التى تحقق الرفاهية العادية لا يصح ولا ينبغى أن يكون الوصول إليها بطرق منافية للأخلاق متجاهلة للفضيلة .. ولم تتوقف هذه الأصوات والأقلام عن الدفاع عن المؤتمر وتبرير الصياغات المرفوضة عن وثيقته بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فهاجمت المؤسسات والهيئات التى أبدت رأيا معارضا فى هذا الشأن .

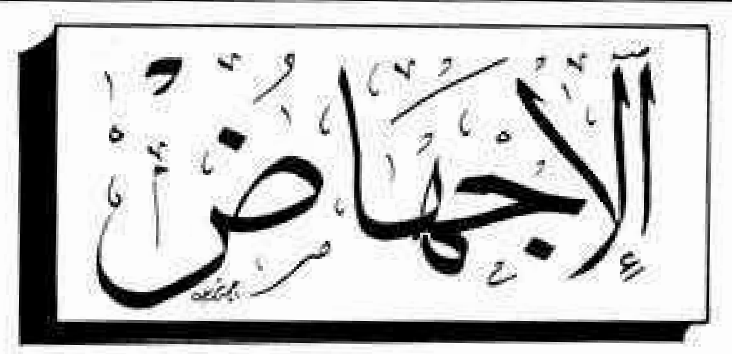
وكان المؤتمر السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد بالاسكندرية الأسبوع الماضى .. ورغم أنه كانت للمؤتمر محاور محددة سلفا وأبحاثا أعدت مسبقا ، ورغم أن العنوان العريض

للمؤتمر كان « واقع الأمة الإسلامية ومستقبلها » .. ورغم أن كل البحوث وأوراق العمل كانت تتعامل مع هموم الأمة الإسلامية العامة والخاصة فإن أحد الهواجس الرئيسية التي سيطرت على المؤتمر كان هاجس مؤتمر السكان ووثيقته وما يمكن أن يصدر عنه من قرارات وتوصيات . وقد تناولته بعض أوراق العمل بشكل غير مباشر وتناوله بعض المتحدثين بشكل مباشر .. البعض رأوا أن الوثيقة صيغة وضعتها عقول غربية للقضاء على الأمة الإسلامية في المدى الطويل .. وآخرون رأوا أنها تعبير عن رغبة الغرب في الاستئثار بثروات العالم والحفاظ على رفاهية المواطن الغربي على حساب أبناء الدول النامية ومن بينها الدول الإسلامية بالطبع .. ولكن كل المتحدثين أجمعوا على أن مصر الإسلامية لا يمكن أن تسمح بأن يصدر عن مؤتمر يعقد في عاصمتها عاصمة الأزهر الشريف ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية أو يضر بالأمة الإسلامية .

وكانت المفاجأة أن ممثل الكنائس المصرية المشاركين في المؤتمر قدموا ورقة للمؤتمر تلاها الأنبا يوحنا أكد فيها إجماع ممثل الكنائس على تأييد كل جهد مبذول من أجل رفاهية الإنسان والحفاظ على مستوى من التنمية المتواصلة وإقرار تنظيم الأسرة بما لا يتعارض مع القيم والأخلاق المستمدة من الدين والحرص على الأسرة باعتبارها الصيغة الشرعية المحترمة والمعترف بها لإقامة العلاقات الجنسية السوية من ناحية ، وباعتبارها الخلية الأولى في المجتمع من ناحية ثانية .. وأكدت الورقة أن الكنائس تتفق في ذلك مع ما أعلنه الأزهر الشريف .

ولم يكن مفاجئا ولا غريبا أن يؤكد الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف لأعضاء المؤتمر حرص الرئيس مبارك على الالتزام بالشريعة الإسلامية وعدم صدور ما يناقض الشريعة أو المبادىء والأخلاق الإسلامية من مؤتمر تحتضنه مصر ، رغم أن توصيات المؤتمر ليست قوانين ملزمة ، وأن للدول حرية الأخذ منها بما يناسب شرائعها بل وظروفها المحلية .

وكانت تأكيدات الرئيس حاسمة فيما يخص التزامات مصر نحو دينها وأمتها ومستقبل أجيالها .. وكانت واضحة فيما يتعلق باستقلال القرار المصرى في هذا الشأن .. ولعلنا بعد ذلك لم نعد بحاجة لمزيد من الجدل .. ولعل الأقلام والأصوات التي ارتفعت بالهجوم على الأزهر تعود إلى جحورها .. ولعل الوفود العربية والإسلامية في المؤتمر تصر على أن تعاد صياغة الوثيقة المقترحة للمؤتمر بما يحافظ على أهداف التنمية دون المساس من قريب أو بعيد بالأسس العقائدية والهياكل الأساسية للمجتمع .. ولعلنا تدرك أن الأمم المتحدة : ليست هي مجلس إدارة الكرة الأرضية ، وأن قراراتها العامة أو الخاصة كثيرا ما اتصفت بالعجز وكثيرا ما اتصفت بالنفاق .. وأنه من حقنا بل ومن واجبنا أن نقول : لا .. لما نراه غير متفق مع مصالحنا أو مع مبادئنا ..



لقاء صحفي مع الأستاذ الدكتور الجميلي

أجراه الأستاذ/ عادل رفاعي عبد الحميد

كان لابد لنا من أن نلقى نظرة طبية على الإجهاض ، لاسيما وقد علمنا حكم الإسلام بشأنه ، فقد حرمه ولو كان الحمل من سفاح ، فكيف به إذا كان من نكاح شرعى ارتضاه الله وشرعه ، ودعا الناس إليه ، ورغب رسول الله ﷺ فيه . حتى أصبح من المعلوم بالضرورة لكل مسلم أن الإجهاض لا يباح إلا فى حالة واحدة أن يكون فى الحمل ضررٌ أكيد على صحة الأم بحيث يتوقف أمر نجاتها منه على الإجهاض .

من هذا المنطلق ، وأمام ما يحمله مؤتمر السكان من بند أو أكثر يتعلق بالإجهاض رأت المجلة أن تعود إلى الطب لتضع بين يدى القارىء آثار الإجهاض العضوية والنفسية التى تصاب بها المرأة المجهضة .

من هنا التقيت بالسيد الأستاذ الدكتور/السيد إبراهيم الجميلى أخصائى واستشارى الأمراض الباطنية والقلب ليضع بين أيدينا الحقائق الطبية التى تصاب بها المرأة المجهضة كان فى مقدمة أسئلتى للأستاذ الدكتور هذا السؤال :

نرجو تعريفاً دقيقاً للإجهاض ...؟

قال سيادته : الإجهاض : إنزال الجنين قبل اكتمال نموه ، وللإجهاض أسباب عديدة وملابسات غامضة فى كثير من الأحيان ، وفى حالة السواء الطبيعية لا يلجأ إليه ، وقد تكون ـ فى حالات محددة ـ أمراً مشروعاً إذا كان بتحفظات مخصوصة ، وفى إطار المباحات التى تقررها الضرورات ؛ فقد يكون الإجهاض

مشروعاً في أي طور من أطوار الحمل، حتى ولو كان الجنين مكتمل النمو، لإنقاذ حياة الأم، وكل ما يتصل بحالات الإباحة يكون أيضاً مقيداً بضوابط أخرى. فإن الضوابط محكومة بضوابط فلا يترك لآحاد الناس أن يقرروا ضروراتهم بأنفسهم في حالات كهذه، فلابد أن يكون المبيح ثقة طبيباً خبيراً بمهنته، عارفاً بالضوابط الشرعية المرعية. ودقيق التقدير للحالة الصحية للأم ومدى احتياجها للإجهاض.

● السيد الدكتور: تستخدم النساء أحياناً وسائل من عند أنفسهن للإجهاض، فما تلك الوسائل المعتادة لدى المرأة عندما تمارس إجهاض نفسها؟

يجب ألا أفصح عن هذه الوسائل سواء كانت يدوية أو باستعمال أدوات مخصوصة وأعتذر عن بسط القول فيها، حتى لا يتيسر العلم بها عند من لا يعرفها، وحتى لا تقع المرأة في الأخطار التي قد يتعرض لها في مثل هاتيك المحاولات من نزيف حاد يصعب التحكم فيه أو إنفجار الرحم... الخ.

● سيادة الدكتور نرجو تحديداً دقيقاً لما يصيب المرأة عضوياً عند إجهاضها لنفسها

أولا: النزيف الحاد الذي قد يهدد الحياة كلية

ثانيا: الالتهابات الرحمية التعفنية التي قد تمتد من الرحم إلى باقي أجزاء الجسم.

ثالثا: الجلطة الرئوية وهي شائعة الحدوث بعد عديد من حالات الإجهاض الذاتي. والأنيميا الحادة وفقر الدم ـ وإنهاك القوى.

● وتحديداً دقيقاً أيضاً ـ من سيادة الدكتور ـ لما يصيب المرأة نفسياً إزاء هذه الجريمة. وإلى أي مدى تظل المرأة مصابة بالأمراض العضوية والنفسية عقب الإجهاض؟

تشعر المرأة المجهضة ذاتياً بالإثم في قرارة نفسها وإن كانت تبدو متماسكة في بعض الأحيان إلا أن مخالفتها للفطرة والناموس الطبيعي يجعلها تلوم نفسها بنفسها بدليل ان النساء يستفتين العلماء بعد الإجهاض وكان المفروض الاستفتاء قبله.

● هل هناك حالات تسعى ـ إزاءها ـ المرأة للإجهاض في غير حال التخلص من الجنين السفاح؟

هناك حالات تسعى النسوة فيها إلى الإجهاض غير حالات السفاح المعروفة:

أهم هذه الحالات:

(أ) اتفاق الزوجة والزوج على تنظيم الأسرة بأسلوبهما الخاص من غير استشارة طبية أو فتوى شرعية أو رقابة ومتابعة من المعالجين الأطباء الأخصائيين.

(ب) بعض النساء يلجأن إلى الإجهاض كوسيلة للمحافظة على الوزن والرشاقة؛ لأن أوزانهن تزيد مع الحمل.

(جـ) بعضهن يلجأن إلى هذه الوسيلة لمجرد الشعور بشيء من التعب أو ظهور بعض المضاعفات لبعض الأمراض المزمنة. كتسمم الحمل ودوالي الساقين وارتفاع ضغط الدم وتكرار الفشل القلبي، وبعض حالات الالتهابات الكلوية المزمنة.

ولو أن هناك طبيباً مشرفاً لأمكن علاج مثل هذه الحالات . والأهم أن يعمد كثير منهن إلى ذلك خوفاً من المستقبل وحرصاً على الرزق وهذا يتعارض مع قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾

سورة الأنعام الآية ١٥١

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾

سورة الإسراء الآية ٣١

● لم لا توجهون مبادئكم إلى المرأة لإقناعها بخطورة الإجهاض ؟

نظراً للأخطار التى أسلفنا الكلام عليها فإذا كانت المرأة قد رأت وجهاً مقبولاً يجيز الإجهاض أو سبباً سائغاً لذلك أو كانت متفقة مع زوجها على ذلك فعليها أن تستفتى العلماء أولا لتقرير وجه الضرورة ، لأن الضرورة تقدر بقدرها . ثم بعد إباحة العلماء ترجع إلى الأطباء للإشراف وتعهد المسألة . حتى تكون فى جانب الأمان .

● هل تودون إضافة شىء دينى بهذا الموضوع ؟ أمام الدعوة الغربية ، إجهاض حسب الطلب ، .

نحن محكومون بضوابطنا الشرعية المستقاة من كتاب الله وسنة المعصوم ﷺ فما كان موافقاً لهذين الأصلين الثابتين قبلناه على العين والرأس وما كان متعارضاً معهما طرحناه ولا نبالى . وليس معنى هذا أننا أعداء خصوميون للغرب ولا للشرق ولا لمؤتمر بذاته فنحن لنا عقائدنا ولهم عقائدهم وكما لا نتدخل فى عقائدهم فنحن فى حل من توصياتهم التى لا تتفق ومبادىء ديننا الحنيف ، وأهلا بهم وليتخذوا ما شاءوا من قرارات ولنطرح نحن ما نشاء من قرارات فكما أن الحرية مكفولة فى إقرار التوصيات فهى أيضاً مكفولة .. على كل الأصعدة من حيث أنها وحدة واحدة .

ولا يمنع أن نأخذ بالتوصيات النافعة التى نستفيد بها ، وكلمة الرئيس فى هذا الصدد وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تعطينا اطمئناناً لسلامة جانبنا من أى من المخاوف .



التيسير في العبادة

د. محمد زين العابدين العزازي

« إن ديننا الحنيف نهى عن الغلو وحث المؤمنين على الاقتصاد في الأعمال ورسم لهم طريق العمل الموصل إلى الخير » .

قال الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) ﴾ سورة المائدة

والأشياء جمع شيء أو اسم جمع ، وهي أعم الألفاظ الدالة على الوجود .

قال الإمام البخاري : حدثنا شعبة عن موسى بن أنس بن مالك قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، وقال فيها : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . قال : فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين ويروى خنين[1] « بالخاء » . فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية « لا تسألوا عن أشياء » .

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » الآية ١٠١ / المائدة

قال : (إن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال : « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لافا رأسه

وهي تشمل السؤال عن الأحكام الشرعية ، والعقائد والأسرار المتعلقة بالأعراض وغير ذلك من الأشياء التي يحتمل أن يكون إظهارها سببا للمساءة : إما بشدة التكاليف وكثرتها ، وإما بظهور حقائق تفضح أهلها .

وحذف مفعول لا تسألوا يدل على العموم فيتضمن النهي عن السؤال النهي عن الفضول وما لا يعني المؤمن .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أسباب كثيرة منها ما ذكره ابن كثير في تفسيره من أن : هذا تأديب من الله لعباده ، ونهي لهم عن أن

(1) الحنين : هو خروج الصوت من الفم ، والخنين هو خروجه من الأنف . وكلاهما نوعان من البكاء .

يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم فى السؤال والتنقيب عنها ، لأنها إن ظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءهم إظهارها وشق عليهم سماعها ، كما جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : لا يبلغنى أحد عن أحد شيئا إنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر — رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وروى عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال :

خرج رسول الله — ﷺ — وهو غضبان محمارٌ وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال : أين أبى ؟ قال : فى النار ، فقام آخر فقال : من أبى ؟ فقال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ، وبالقرآن إماما ، إنا يا رسول الله — حديثو عهد جاهلية وشرك — والله أعلم من آباؤنا ، وقال : فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية : « ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾

وفى تفسير القرطبى بعد أن ذكر الحديث مختصرا كما روى البخارى ومسلم قال : قال ابن عبد البر : عبد الله بن حذافة أسلم قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدرا وكانت فيه دعابة ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى كسرى بكتاب له ، ولما قال : من أبى يا رسول الله قال أبوك حذافة : قالت أمه ، ما سمعت بابن أعق منك . آمنت أن تكون أمك قارفت ما يقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس . فقال : والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقت به .

وفى الحديث أيضا أن رجلا قال : أين مدخلى يا رسول الله ؟ قال النار .

وقد أخرج الدار قطنى عن أبى عياض عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال ، قال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقام رجل فقال : فى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، ثم عاد فقال : فى كل عام يا رسول الله ؟ فقال من القائل ؟ قالوا : فلان . قال : والذى نفسى بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتموها ولو لم تطيقوها لكفرتم ، فاتركونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه) .

وقال الحسن البصرى فى هذه الآية ، سألوا رسول الله ﷺ عن أمور الجاهلية التى عفا الله عنها ، ولا وجه للسؤال عما عفا الله .

وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ : (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

قال كثير من العلماء : المراد بقوله « وكثرة السؤال » التكثير من السؤال فى المسائل الفقهية تنطعا وتكلفا فيما لم ينزل . وقد كان السلف يكرهون ذلك ، ويرونه من التكليف ، وترك هذا إعلاء للمؤمن .

قال مالك : أدركت هذا البلد وما عندهم علم غير الكتاب والسنة ، فاذا نزلت نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه أنفذه وأنتم تكثرون المسائل ، وقد كرهها رسول الله ﷺ

وذكر الزهري قال : « بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول اذا سئل عن الأمر : أكان هذا ؟ فان قالوا : نعم قد كان . حدث فيه بالذي يعلم . وان قالوا : لم يكن قال فذروه حتى يكون .

قال الدرامي : حدثنا ابن فضيل عن عطاء عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن في القرآن ، منهن (يسألونك عن الشهر الحرام) ويسألونك عن الحيض) وشبهه ما كانوا يسألون إلا ما ينفعهم .

قال ابن عبد البر : السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم أو تحليل من أجله فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ، ونفي الجهل عن نفسه باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه فلا بأس به ، فشفاء العي السؤال ، ومن سأل متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره .

قال ابن العربي : الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة ، وإيضاح سبل النظر وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد فإذا عرضت نازلة . أتيت من بابها ، ونشدت في مظانها ، والله يفتح في صوابها .

ثم يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي : ان تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على رسول الله ﷺ تبين لكم ، وقيل : لا تسألوا عن اشياء قد ينزل بسبب سؤالكم عنها تشديد أو تضييق ، فقد روى مسلم عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته) قال أبو الفرج الجوزي . هذا محمول على من سأل عن الشيء عنتا وعبثا فعوقب بسوء قصده .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وغيره (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها) ..

ثم قال : **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** أي : قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ، ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا كافرين أي : بسببها بعد أن بينت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء والعناد .

وذكر عكرمة — رحمه الله — أن المراد بهذا النهي عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قريش رسول الله ﷺ أن يجري لهم أنهارا ، وأن يجعل لهم الصفا ذهبا وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا الى غير ذلك .

لما كان ذلك وكان ديننا الحنيف نهجه التيسير لا التعسير ؛ نهى المؤمنين عن الغلو في العبادة لئلا يهلك الناس لعدم استطاعتهم .

عن عائشة — رضي الله عنها — أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، فقال : من هذه ؟ قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها ، فقال : عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .. أخرجه البخاري .

وأحاديث النبي عن الغلو كثيرة :

منها حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالّوها أى : عدوها قليلة ، فقال أحدهم : أنا أصلى الليل ولا أرقد ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج . فقال لهم رسول الله ﷺ : (أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) أخرجه الشيخان .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة) ـــ متفق عليه .

ومن هذا يتبين لنا أن أساس هذا الدين : اليسر فى عقائده وأخلاقه ، واليسر فى أعماله وأفعاله وفى تركه .

أما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به رسول الله ﷺ ولا بما علمه للأمة وأرشدها إليه ، وأوغل فى العبادات . فإن الدين يغلبه ، ويكون آخر أمره العجز والانقطاع ، ثم أوصى بالتسديد والمقاربة وتقوية النفوس بالبشارة بالخير وعدم اليأس ؛ ليصل الإنسان إلى ما يبغى من رحمة الله ، ثم قال : (واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة) ، وهذه الأوقات الثلاثة من الأسباب التى تصل الإنسان بخالقه وهى فى مجملها سهلة ميسرة معتدلة . قال الله تعالى : (وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا) ـــ آية ٧٧ من سورة القصص .

أباح الله سبحانه الطيبات من الرزق والزينة والتوسع فى التمتع بدون إسراف ولا كبرياء وبشرط الاعتدال والقصد مع حسن النية .

قال ـــ تعالى :

(يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾) سورة الأعراف

فقد أرشد الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى استعمال المال فى الأمور النافعة ، لأن الله ـ تعالى ـ جعله قواما للعباد تقوم به أحوالهم الخاصة والعامة ، فجعل استعماله فى المأكل والمشرب والملبس والأمور التى يحتاج إليها الإنسان ومن تجب عليه نفقته بدون إسراف ولا فخر قال ـ سبحانه ـ : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾) سورة الفرقان

أى : ليسوا مبذرين فى إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون فى حقهم فلا يكفونهم ، بل عدلا خيارا وخير الأمور أوسطها ، كما قال ـــ سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ) آية ٢٩ من سورة الأسراء

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنا وإياكم من المعتدلين المقتصدين فى أعمالنا وأقوالنا فى غير إفراط ولا تفريط . ولا إسراف ولا تقتير ، لأنه مولانا وهو نعم المولى ونعم النصير .



لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

روى أحمد بسنده الى محمد بن المنكدر ، قال:كانت أسماء تحدث عن النبى ﷺ قالت : قال ﷺ :

« إذا دخل الإنسان قبره ، فإن كان مؤمنا أحفَّ به عمله : الصلاة والصيام ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه : اجلس فيجلس ، فيقول له : ماذا تقول فى هذا الرجل ؟ ـ يعنى النبى ﷺ ـ قال:من ؟ قال:محمد ، فيقول : أشهد أنه رسول الله ، فيقول : وما يدريك،أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله،يقول : على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث .

قال : وإن كان فاجرا أو كافرا جاءه الملك ، وليس بينه وبينه شىء يرده فأجلسه ويقول : ما تقول فى هذا الرجل ؟ قال : وأى رجل ؟ قال : محمد ، فيقول : والله ما أدرى ؟ سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، فيقول له الملك : على ذلك عشت وعليه مت ، وعليه تبعث .

قال : وتسلط عليه دابة فى قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل غرب البعير[1] ـ تضربه ما شاء الله ، صماء لا تسمع صوته فترحمه .

رواه أحمد والطبرانى

إذا كان الموت نهاية كل حى ، وإذا كانت كل نفس ذائقة الموت ، وإذا كان كل من مات فقد قامت قيامته ، فإن هذا القبر أول مراحل الآخرة وإنه كما قال رسول الله ﷺ ـ فيما رواه الترمذى : القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة .

ويرحل الإنسان عن هذه الدنيا ويصحبه عمله إلى قبره ، فيسأل عنه ، ويحاسب عليه ، ويستقر يصحبته فيه على أحسن صورة إذا كان العمل عمل خير وبر وطاعة لله رب العالمين ، وعلى أسوأ هيئة إذا كان عمله عمل فجر وظلم ومعصية للخلاق العظيم .

ومَنْ تمثَّل نهايته لابد منها ـ طال عمره أو قصر ـ سارع إلى عمل الصالحات فى دار العمل ليكون عمله أنيسه فى قبره فملأه عليه نورا ، ومنجيا له من فتنة القبر وعذابه وعند البعث وشدة

(١) الغرْبُ : الدلو العظيمة .

الموقف بين يدى الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

روى ابن ماجه قال : قال ﷺ : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل صالحا قالت : اخرجى أيتها النفس الطيبة فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : فلان فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان .. فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له : فيم كنت ، فيقول : كنت فى الإسلام ، فيقال له : ماهذا الرجل ، فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه .. ثم يفرج له فرجه قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ـ إن شاء الله ..

يقال له ذلك : لأنه آمن ايمانا ممتزجا باليقين ، إيمانا ملتزما بالطاعة ، إيمانا متصلا بالعمل الصالح الذى يثمر سلوكا طيبا مع الله ، ومع الناس ، ورضا الله هو الغاية فى النهاية ، يؤدى الفرائض مخلصا لله رب العالمين .

والعمل الصالح كما يكون فى أداء الفرائض ، يكون كذلك فى كل عمل اجتماعى ما دام صاحبه قصد به تفريج كربة مكروب ، أو تضميد جرح مجروح ، أو شدّ أزر مظلوم ، أو أقال عثرة مغلوب ، أو أخذ بيد فقير ذى عيال ، أو علّم جاهلا ، أو أبعد أذى عن طريق . كل ذلك عبادة وقربة الى الله عز وجل .

ومن معانى الحكمة فى المؤمن : إنَّ من أخلاق المؤمن : قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصا فى علم .. وشفقة فى مقة (محبة) وحلما فى علم .. وقصدا فى غنى .. وتجملا فى فاقة .. وتحرجا عن طمع .. وكسبا فى حلال .. وبرا فى استقامة .. ونشاطا فى هدى .. ونهيا عن شهوة .. ورحمة للمجهود .. وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض .. ولا يأثم فيمن يحب .. ولا يضيع ما استودع .. ولا يحسد .. ولا يطعن .. ولا يلعن .. ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه .. ولا يتنابز بالألقاب .. فى الصلاة متخشعا .. إلى الزكاة مسرعا .. فى الزلازل وقورا ، فى الرخاء شكورا قانعا بالذى له .. لا يدعى ما ليس له .. ولا يجمح فى الغيظ ، ولايغلبه الشح عن معروف يريده ، يخالط الناس كى يعلم ، ويناطق الناس كى يفهم .. وإن ظُلِم وبُغى عليه صبر ، حتى يكون الرحمن هو الذى ينتصر له » .

إن العبد المؤمن الذى عمل بما أمر الله وانتهى عن محارم الله تحف به الصالحات وتقول لملائكة العذاب : لا سبيل لكم عليه ، إليكم عنه .

جاء فى إحياء علوم الدين[2] : قال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة : الصلاة والصيام ، والحج ، والجهاد ، والصدقة .. قال : فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فلا سبيل لكم عليه ، فقد أطال بى القيام لله عليهما ، فيأتونه من

(٢) الجزء الخامس عشر ص ٢٩٣٤ .

قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أظمأ نفسه لله في دار الدنيا ، فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده ؛ يقول الحج والجهاد: فقد أنصب نفسه ، وأتعب بدنه وحج وجاهد لله ؛ فلا سبيل لكم عليه . قال : فيأتونه من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبي ؛ فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه ، فلا سبيل لكم عليه .

قال : فيقال له : هنيئا طبت حيا وطبت ميتا . قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ، ودثارا من الجنة ، ويفسح له في قبره مد بصره ، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى أن يبعثه الله من قبره .

هذا حال المؤمن قدم أعمالا صالحة ، وابتغى بها وجه الله ، وغالب نفسه وهواه ، وانتصر على شياطين الإنس والجن ، واستقام على ذلك . أما غير المؤمن ، أما رجل السوء ، أما المنافق والفاجر والكافر فيقال لروحه كما جاء في حديث ابن ماجه : « اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم — الشديد الحرارة — وغساق — ضده — أي الشديد البرودة — وآخر من شكله أزواج — ألوان من العذاب — فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج .. ثم تصير إلى القبر .. فيجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول: لا أدرى . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك .

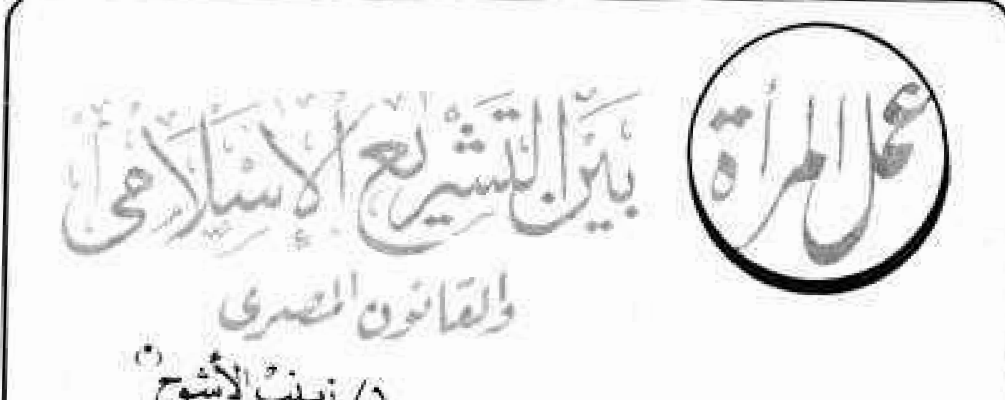
ويفرج له فرجة إلى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال : هذا مقعدك على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله .

— وفي رواية أحمد وأبي داود والحاكم — « فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى فقال : فيقولان له : ما دينك فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ؛ فينادى مناد من السماء . أن كذب فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف — تتداخل — فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ؛ فيقول : أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث » .

فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى .. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى . الآيات من ٣٧ — ٤١ .

وإنما خص حديث الباب فريضة الصلاة لأن فريضة الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت فاز ونجح وإن فسدت خاب وخسر .

وأما الصيام فهو السر الذى يدل على مدى مراقبة العبد لربه وقوة يقينه وحين قال من سأل عن الفرائض وأرشده الرسول إلى فريضة الصلاة وفريضة الصوم والزكاة .. وهو يقول هل على غيرها .. والرسول ﷺ يقول له لا إلا أن تطوع فقال الرجل والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص فقال النبي ﷺ : أفلح إن صدق .



عمل المرأة بين التشريع الإسلامي والقانون المصري

د/ زينب الأشوح (*)

تعتبر الشريعة الإسلامية هى المهيمن الذى يجب أن يتحكم فى ضبط عملية تشغيل المرأة المسلمة وتوجيهها وفقا لما أمر به الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

هذا بينما يمكن اعتبار التشريع القانونى المحل بمثابة الأداة العملية التى يتم بواسطتها توجيه عملية تشغيل المرأة إلى مساراتها المستهدفة فى الخطط والسياسات القومية فى المجتمع . فإذا كان الوضع يتعلق بدولة إسلامية ما ، فإنه يكون من المتوقع والمنطقى أن تتم صياغة القواعد القانونية المتعلقة بتلك القضية بما يتفق والشريعة الإسلامية .

ومن هذا المنطلق ، تبدأ الدراسة الحالية باستعراض الأبعاد المختلفة لقضية عمل المرأة كما تضمنتها الشريعة الإسلامية .

ويلى ذلك محاولة التعرف على ما يراه القانون المصرى فى تشغيل النساء ، وكيفية معالجته التطبيقية لهذا الموضوع .

وذلك ما سوف يتم تناوله بالتتابع من خلال القسمين التاليين :

١ ـ النظرة الإسلامية لعمل المرأة :

كما هو متفق عليه ، فإن القرآن يعد المصدر الأساسى للتشريعات والأحكام والدراسات الإسلامية يليه السنة الصحيحة كمصدر تال أكثر تفصيلاً لا شك فى صحته . فإذا ورد نص فى أى من هذين المصدرين فعلينا ـ نحن المسلمين ـ أن نأخذه أمراً مسلماً به .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين الرجل والمرأة وقضية المساواة أو التمييز بينهما ـ فإن الدراسات التى تناولتها لم تتفق بعد حول رأى واحد بشأن تلك العلاقة ، فمنها ما يقر ـ بل يستوجب المساواة المطلقة بين الجنسين ، وفريق آخر يرى المرأة كمخلوق أدنى مرتبة من الرجل ، وبين هذا وذاك تتأرجح الآراء الأخرى !

والواقع أن الاختلاف فى هذا الأمر يثير العجب خاصة وأن الإسلام قد قدم لنا رأيا صريحاً ، واضحاً ، ومحدداً فى هذا الشأن .

ولنبدأ بقوله تعالى :

(*) مدرس الاقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الأزهر ـ بنات .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة النساء

وعن سبب نزول هذه الآية قال الإمام أحمد . حدثنا سفيان عن أبي النجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ، ولنا نصف الميراث ، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ وذلك للنهى عن تمنى عين النعمة .

وقال السدى ـ فى نفس الآية ـ إنَّ رجالا قالوا : إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء ، فإنا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ تفضيل البعض على البعض الآخر أمر محتوم ، غير أن كلاً من الجنسين سوف يجزى على عمله بحسبه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ إذن فلكل من الجنسين نصيب وله أن يتصرف فيما أعطاه الله . وتتجلى الحكمة من النهى عن تمنى ما خص الله به كلا من الجنسين أن ذلك يسبب الحسد والبغضاء مما يؤثر على الترابط الأسرى (تفسير ابـــن كثير ، جـ ١ ، من ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ـ صفـــوة التفاسير من ص ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

أما عن الآية الأخرى التى تحسم الجدل فى قضية المساواة بين الرجل والمرأة فتنص على أن

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .. ﴾
سورة النساء ـ الآية : ٣٤

وقد أكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تفضيل الرجال على النساء فى قوله تعالى :

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ .

وقد ورد عن ابـن جريـر بسنـده إلى جعفر بن محمد ، عن أبيه عن على قال : أتى رسول الله ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له ، فقالت : يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصارى ، وأنه ضربها فأثر فى وجهها ، فقال رسول الله ﷺ « ليس له ذلك » فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أى فى الأدب فقال رسول الله ﷺ : « أردت أمراً وأراد الله غيره » .

(تفسير ابن كثير ، جـ ١ ، ص ٤٩١) .

وبناء على ما سبق ، فإنه يتعين علينا أن نبدأ مناقشتنا بضرورة إقرار عدم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة . بل ويجب الإذعان إلى الحكم الإلهى بتفضيل الله ـ سبحانه وتعالى ـ للرجل على المرأة فى بعض الأمور .

فتلك هى الإرادة الإلهية التى يجب ألا تعلو عليها إرادة .

ثم بعد : فلنبدأ فى عرض أهم ما ورد فى الدراسات المتخصصة حول عمل المرأة وموقف الإسلام من تلك القضية .

بالخوض فى مجال الدراسات الإسلامية ،

نلاحظ أن هناك من يرون : أن عمل المرأة محرم فى حد ذاته لكراهة خروجها من المنزل أساساً ، قال تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب ٣٣.

غير أن فريقاً آخر من علمـــاء الإسلام يذكرون : أن عمل المرأة مباح فى ذاته ، ولكن المحرم هو أن تستخدم عملها وسيلة للانحراف ، والبعد عن أمـــر الديـــن أو للإضرار بالأسرة وبالأطفال . وما بين هذا الرأى وذاك يوجد فريق ثالث يرى : أن المرأة يباح لها العمل فى بعض الحالات ، ولكنه يحرم فى حالات أخرى . وفى محاولة لتكوين صورة إجمالية غير متحيزة عن موقف الإسلام ومعالجته لقضية عمل المرأة ، سيتم تناول الاتجاهات الثلاثة المشار إليها سابقاً بشىء من التفصيل فى الصفحات التالية .

١ ـ تحريم عمل المرأة والآثار السلبية له :

قال ـ تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ... ﴾ .

سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣

يعتبر هذا الجزء من الآية الشريفة الأساس الذى تتكىء عليه الآراء المتضمنة تحريم عمل المرأة كقاعدة عامة . كذلك تعتبر ـ تلك المجموعة من الآراء ـ المنزل هو المقر الطبيعى للمرأة ، والقيام بمهامه وإدارة شئونه على خير وجه وهو الأصل فى العمل الموكل للمرأة . كما أن تربية النشء مهمة خطيرة يمكن أن تستغرق كل وقت المرأة ، ومن ثم فما عدا ذلك يكون بمثابة شىء طارىء أو سلوك مكروه أو استثناء يمكن أن يباح فى بعض الحالات الخاصة . وفيما يلى بعض الآراء المميزة التى انتهجت هذا الاتجاه .

يذكر الشيخ متولى الشعراوى (١٩٩٠) أن الرجل والمرأة من نوعين مختلفين فى الجنس ، ولهما مهمتين مختلفتين حددهما الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومیز بين هاتين المهمتين كما ميز بين مهمتى كل من الليل والنهار ، وفرق بينهما ، وذلك فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ ﴾ .

سورة الليل ـ الآيات : ١ ـ ٤

ويدعم الشعراوى رأيه ـ فى فرضية الشريعة الإسلامية للفصل بين المهام والمسئوليات التى يجب على كل من الرجل والمرأة ـ بالحديث الشريف « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » .

ويوضح الشعراوى أن الإسلام قد وكل مهمة أساسية للمرأة ، هى أن تكون سكنا للرجل ، وأن تتولى مهمة الحفاظ على المودة والرحمة فى الأسرة ورعاية الأطفال ، أما الرجل فمهمته الأساسية هى الكفاح ، ولقد جعل الشقاء من نصيب الرجل لا المرأة مستشهدا بقوله تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾

سورة طه ـ الآية : ١١٧

وقد أجاز الشعراوى عمل المرأة فى حالات استثنائية شديدة الإلحاح على ألا يكون فيها مزاحمة

للرجال ، وأن تلتزم المرأة العاملة بالتعاليم الإسلامية .

ولقد أوجز العالم الإسلامي رأيه في قضية عمل المرأة في كلمات منطقية قوية تستلزم من أي رأى معارض أن يذكر كيف يمكن أن يكون خلاف رأى الشيخ هو الصحيح الذى يمكن أن يبقى الكيان الأسرى في شكله الطبيعي المترابط بنفس تلك القوة والمنطقية التي اتسمت بها كلمات الشعراوى الذى قال : « لا الرجل يصلح لمهمة المرأة في إنجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم ، ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى في سبيل الرزق .. لتوفر لقمة العيش للرجل .. » (محمد متولى الشعراوى ، ١٩٩٠ ، ص ١٥) .

ولقد أشار أحد مؤيدى هذا الاتجاه (عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ٩٣ - ٩٧) إلى أن المرأة تكفيها عظم المسئولية الملقاة على كاهلها في بيتها ، ولقد استدل على أنه يجب أن يمثل الموطن الرئيسي لنشاطها اتباعاً لنص الحديث الشريف الذى تضمن أن « .. المرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم »

أو كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى عن ابن عمر ، جـ ٩ ، ص ٧٧) ، ويضيف هذا الرأى إلى أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ لا يعنى عدم مغادرة المرأة للبيت على الإطلاق ، وإنما هو إشارة لطيفة إلى أن البيت هو المكان الطبيعي لوجود المرأة . وينوه إلى أن من أهم أهداف القرار في البيت للمرأة هو : أن تحقق الأنس الروحى والحس الأنثوى والسكن والمودة والرحمة التى يجب أن تكون عليها الزوجة مع زوجها ، تلك المعانى السامية التى يرى المؤلف أنها يمكن أن تضيع في زحمة العمل وإرهاقه الشديد .

السؤال الهام الذى ينتظر إجابة المتخصصين هو : ماذا إذن عن الوضع بالنسبة للمرأة غير المتزوجة ؟

وعن أهمية التزام المرأة بالقرار في بيتها ، واعتباره من أهم أعمال الجهاد في سبيل الله ، روى الحافظ البزار عن أنس - رضى الله عنه - أنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ وقلن : يا رسول الله : ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى . فقال رسول الله ﷺ : « من قعدت - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » . (أبو ذر القلمونى ، ص ١٨٤) .

وفى إحدى الدراسات التى تناولت عمل المرأة في الإسلام : (أميمة فؤاد مهنا ، ١٩٨٤ ، من ص ٦٢ - ٦٤) ، أشير إلى أن الشيخ محمد الغزالى يرى أنه لا بأس من عمل المرأة في حالات معينة مثل : تعليم الأطفال إلا أن ذلك يجب أن ينظر إليه على أنه نوع من الاستثناء ، لأن وظيفتها التى يجب أن توليها عنايتها الأساسية هى رعاية منزلها .

ويبدى كل من أبى الأعلى المودودى والشيخ أبى زهرة رأياً أكثر تشدداً مصرحين بأنه : ليس لنشاط الرجل والمرأة دائرة واحدة ، ومن ثم فهما يرفضان مشاركة المرأة للرجل في مجالات عمله مما يعد ضد واجباتها الفطرية (أميمة فؤاد مهنا ،

١٩٨٤ ، ص ٦٢ ، حسين شحاته ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٢) .

ويتوه عباس العقاد إلى أن عمل المرأة يتناقض مع مقومات المجتمع المثالى الذى ينفى أنه « ليس هو المجتمع الذي تضطر فيه المرأة إلى الكدح لقوتها وقوت أطفالها ، وليس هو المجتمع الذى تعطل فيه أمومتها وتنقطع لذاتها .. » . وفى هذا يشير السيد/ محمد فريد وجدى إلى أن عمل المرأة تأباه الفطرة ، ويحذر سيد قطب ـ فى توكيد منه للرأيين السابقين اللذين تضمنتهما دراسته ـ بأن خروج المرأة لتعمل « كارثة » على البيت قد تبيحها الضرورة ، أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح والضمائر والعقول (سيد قطب بدون تاريخ ، ص ٢٨٥٩) .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الفقهاء كان يجيز عمل المرأة ـ من وجهة نظر الإسلام ـ فى البداية ، ثم تراجعوا عن إجازتهم تلك مشيرين إلى أن عمل المرأة مكروه إلا فى الحالات الملحة . (أميمة فؤاد مهنا ، ١٩٨٤ ص ٦٤) .

ومن هؤلاء محمود بن الشريف الذى عدّل مفهومه لعمل المرأة ورأى أنه فى الواقع يحرم على المرأة أن « تهجر ميدانها الطبيعى بدون عذر ـ وهو ميدان لا يجدى فيه سواها ـ إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاية وقدرة حيث لا حاجة إليها » .

كما يصحح توفيق محمد السبع وجهته فى هذا الموضوع فيذكر أن « جذب المرأة إلى الوظائف لتغيب عن جو الأسرة وتستقر فى الوظيفة عمل عدوانى ضد طبيعتها ، وضد الدين ، وضد الحضارة ، وهروب من واجب مقدس هو تربية الأطفال وتنشئة الأجيال .. فلتعد المرأة سريعاً إلى بيتها راضية بما قسم الله لها .. ولترعى بقلبها شئون الأسرة ، وذلك أشرف وظائف المرأة » .

ومن بين الأسباب التى يستند إليها الفريق المعارض لعمل المرأة فى الدراسات الإسلامية (منها : أبـو ذر القلمـونى ، ص ١٨٤ ، عبـد المنعـم حسن ، ١٩٨٥ ، ص ٦٠ ، ١٦٥ ، الغزالى حرب عبد الرب عبد التواب ، ١٩٨٦ ، ص : ١٠٩ ـ ١١٣) يمكن أن نوجز ما يلى :

ـ إن المرأة التى تعمل خارج بيتها تحتل فى كثير من الحالات مكان الرجل الذى قد يكون زوجها أو أخاها بينما تترك فى البيت مكانا خالياً لا يملأه أحد .

ـ أن ذلك يؤدى إلى إهمال الأطفال وعدم تخصيص وقت كاف لرعايتهم .

ـ الاعتياد على ترك المرأة لمنزلها بصفة مستمرة ولفترات طويلة يضعف من روابط الأسرة ، ومن أواصر المحبة والمودة بين الأم من ناحية وزوجها وأولادها من ناحية أخرى .

ـ المرأة العاملة ، أكثر بذخاً فى إنفاقها عن غير العاملة خاصة فيما يتعلق بمظهرها الخارجى .

ـ الدورة الشهرية وأعباء الحمل وتربية الأولاد والميول العاطفية لفكر المرأة كلها ـ وما شابهها ـ عوامل ذات أثر سيء على إنتاجية المرأة فى ميدان العمل ، ويجعلها فى موقف أضعف مقارنة بالرجل الذى يمكن أن يعمل فى نفس المجال طالما أنه

لا يعانى من تلك الظواهر الطبيعية التى خلقت عليها المرأة .

- المرأة بطبيعتها تركز اهتماماتها على حالات خاصة مما يجعلها متحيزة فى تقديم خدمات عملها إلى جزء - ليس كل - من الطالبين لتلك الخدمات عكس الحال بالنسبة للرجل ، فيذكر عبد المنعم حسن (١٩٨٥) أنه عادة يهتم بتطبيق المبدأ العام مما يجعله أكثر واقعية فى التعامل مع الأمور وأقل تحيزا فى توجيه خدماته وتتجلى أهمية تلك الخاصية بشكل خاص فيما يتعلق ببعض المهن مثل أعمال القضاء .

- كما أن قوامة الرجل - كما هو ثابت فى الدين الإسلامى - تجعل من عمل المرأة فى بعض الحالات شيئاً منافياً للفطرة السليمة كإمامة الرجال فى الصلاة على سبيل المثال .

- ويرى عبد الرب عبد التواب (١٩٨٦ ص ١٠٩ - ١١٣) أن المرأة إجمالا تعانى من التقلبات وعدم الثبات فى حالاتها النفسية وتصرفاتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين نتيجة لتكوينها الفسيولوجى مما يؤدى إلى آثار سيئة على أدائها الوظيفى .

- ويؤكـد الغـزالى حرب (١٩٨٦ ، ص ٩٩) على أن الرجال هم المكلفون برعاية النساء ، وتولى جميع شئونهن ؛ ولذلك فهم الذين يجب أن يكدوا ويكدحوا لكسب المال الذى ينفق على الأسرة وليس النساء . ويؤكد ذلك الرأى عبدالرب عبدالتواب (١٩٨٦ ، ص ١٠١ - ١٠٥) ولكنه يضيف : أن المرأة لا تضطر إلى العمل إلا فى حالة عدم وجود رجل قادر على القيام به « وأبونا شيخ كبير » فكما تدل الآية الكريمة ، فإن ما دفع الفتاتين للعمل هو كبر الأب وعجزه عن العمل والتكسب . وفى حديثه عن الجدوى الاقتصادية لعمل المرأة خارج بيتها ينتهى الباحث إلى أن « الفقر » يمكن أن يمثل المبرر الوحيد لعمل المرأة المسلمة .

٢ - إنجاز عمل المرأة والآثار الإيجابية له :

وعلى جانب آخر ، نجد فريقاً ثان يشير إلى أن الشرع يعتبر عمل المرأة فى اكتساب الرزق من الأشياء المباحة ؛ بل إنه - أصلاً - حق ثابت لها ما لم يترتب على القيام به شيء محرم . وبناء على هذا الرأى فيجب فقط تحرى الأحكام الشرعية عند ممارسة أى عمل .

ومن الأشياء الطريفة التى يرى محمد سعيد البوطى (بدون تاريخ ، ص ٤٨) أنها تجعل عمل المرأة محرم أن يكون الهدف منه الاختلاط بالرجال . فذلك - كما يرى - يؤدى إلى الإخلال بالميزان الشرعى الذى يسير عليه قانون الزواج فهو يجعل المرأة - نتيجة زيادة عرضها فى سوق العمل - هى الباحثة عن الزوج والمبادرة إلى طلبه ، وذلك مما يجعل الرجل زاهدا فيها ؛ مما يؤدى بدوره إلى شيوع الفاحشة وغياب الشكل والنظام الشرعى للأسرة .

ويعدد توفيق محمد شاهين (١٩٨٨ ، ص ٤٠) الأعمال التى يجب أن تكون حكرا على المرأة مما يستوجب ضرورة دخولها فى سوق العمل فيذكر - على سبيل المثال - طب النساء، وتدريس الفقه للنساء (حيث توجد بعض المسائل التى لا يجوز للرجل شرحها للمرأة بالأسلوب المعتاد لأن الحياء شعبة من الإيمان) ، وكذا التمريض فى

أقسام النساء حتى لا تنكشف عوراتهن على الرجال .

وقد احتجت أميمة مهنا (١٩٨٤ ، ص ٩٦) على محاربة عمل المرأة على اعتبار عدم ورود نص صريح فى القرآن يحرم عمل المرأة خارج البيت . وقد اتفق معها سالم البهناوى (١٩٨٦ ، ص ٧٨) ، بل إنه أضاف أن هناك من النصوص والدلائل الشرعية ما يثبت إباحة عمل المرأة فى إجازته ربها قوله الكريم :

﴿ لا أضيع عمل(١) عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ... ﴾

سورة آل عمران ـ الآية : ١٩٥

فالآية تدل على تساوى المرأة مع الرجل فى العمل والثواب والتكاليف الشرعية .

ومن أهم العاملات فى العهد الأول(٢) من الإسلام اللاتى أدرجهن سالم البهناوى (١٩٨٦ ، ص ٧٧ ـ ٨١) فى عرضه للأدلة على إجازة عمل المرأة واعتباره شيئاً طبيعيا نورد ما يلى :

ـ اشتغال زينب بنت عبد الرحمن الجرجانى بعلوم الفقه والحديث فكانت تروى عن كبار الصحابة المحدثين ، وظلت مشغولة بالعلم حتى توفيت عام ٦١٥ هـ .

ـ زينب بنت مكى الحرانى ، كانت من المشتغلات بالعلم وقد ازدحم بيتها بطلاب العلم حتى توفيت فى عام ٦٦٨ هـ .

ـ زينب بنت محمد الغزى التى اشتهرت بالعلم وقرض الشعر حتى تفوقت على أبيها وأخيها ، ثم توفيت عام ٦٩٨ هـ .

ـ لم يكن ، كما قد يبدو من الأمثلة السابق عرضها ، خروج المرأة فى صدر الإسلام قاصراً على الفقه والعمل بل إنه امتد لأنشطة أخرى كالبيع بدليل قصة بائعة اللبن التى كانت تغشه فمنعتها ابنتها ذاكرة لها أنه إذا كان الحاكم (عمر وقتذاك) لا يراها فإن ربها يراها(٣) .

ـ وأيضاً من دلائل عمل المرأة كتاجرة فى عهد الرسول ﷺ ، ما يحكى عن تاجرة أنصارية : أنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ عند المروة يحل من عمرة له ، فجلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنى امرأة أبيع وأشترى فربما أردت أن أبيع سلعة فأستلم بها أكثر . فقال النبى ﷺ : « لا تفعلى إذا أردت أن تشترى السلعة ، فاستلمى بها الذى تريدين أن تأخذى به أعطيت أو منعت » . ولم ينهها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العمل .

ـ وأخرى اتخذت لها صنعة فتقول للنبى ﷺ : « إنى امرأة ذات صنعة أبيع منها » ولم ينهها الرسول ﷺ عما صرحت به (عن كتاب شهيد المحراب عمر بن الخطاب ، ص ٥٠٢) .

---

(١) إنى لا أبطل عمل من عمل خيراً ذكراً أو أنثى .

(٢) التى توفى فى عام ٦١٥ هـ لا يقال عنها من عاملات العهد الأول من الإسلام ، ومثلها من بعدها .

(٣) الأمانة العلمية تقرر أن نهيها للبن كان ضرورة .

ـ وقد أوضح البهناوى فى دراسته أن عدد المجاهدات فى عهد النبى ﷺ كان يزيد على ستمائة امرأة .

ـ كانت السيدة سكينة بنت الحسين ـ رضى الله عنهما ـ من أئمة العلم والأدب فى عصرها ، ولم يثبت أنها كانت تعطى العلم للنساء فقط .

وفى دراسة قام بها د. حسين شحاتـــــه (١٩٩٠ ، ص ٤١-٤٢) أشير إلى أن المرأة فى عهد الرسول ﷺ قد اشتركت فى الغزوات والتمريض والتموين ونقل الجرحى ، كما أن النساء كن يشتغلن أيضاً بالتجارة والزراعة . وإلى جانب تلك الأمثلة ، تستدل الدراسة على جواز حق المرأة فى العمل بقوله تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٣٢

وعلى عكس ما ورد من آراء فى القسم الأول من هذا الفصل : فقد نوه محمد رأفت عثمان (١٩٩٢ ، ص ١ ـ ٧) إلى أن للمرأة حقها فى العمل مثل الرجل استدل على ذلك بالآيات الكريمة :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ .

سورة تبارك ـ الآية ١٥

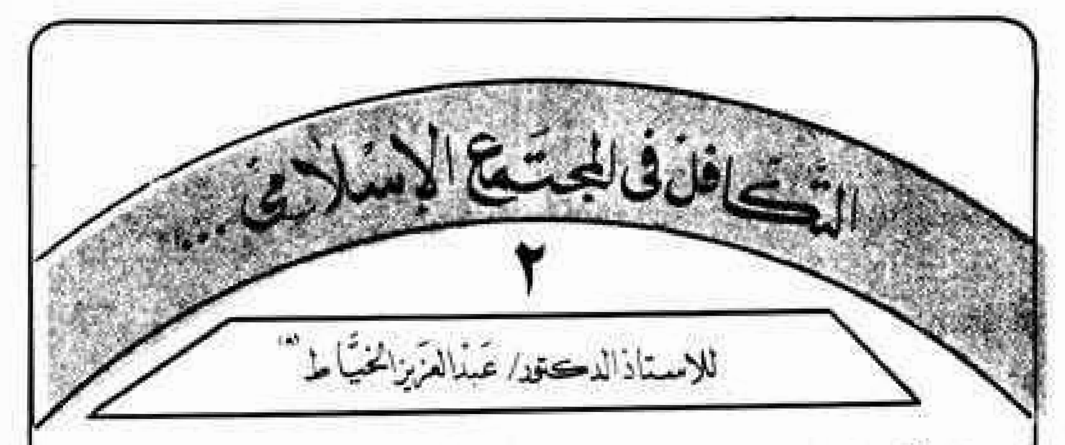
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

سورة النحل ـ الآية : ٩٧

﴿ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية : ١٩٥

ففى جميع الآيات السابقة ، يوضح المؤلف أن الأصل فى عمل المرأة هو الإباحة ، وأن العمل حق مكفول للمرأة مثل الرجل بدون تمييز بين الجنسين . إلا أنه انتهى ـ مع ذلك ـ بتحفظ حول ضرورة أن يتم عمل المرأة فى إطار الضوابط الشرعية ، فمثلا لا يتم فى خلوة مع رجل أجنبى ، ولا يؤدى إلى الجور على حق الزوج والأسرة إلى جانب مجموعة أخرى من الشروط التى سنتناول المزيد منها فى جزء لاحق من هذا الفصل .



حق الحياة الكريمة :

من حق الإنسان أن يضمن له أدنى مستوى من المعيشة وهو حق مقرر له في قوله ــ تعالى ــ : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم »(٣٠) ، وهو غير حق الزكاة المقرر في قوله ــ تعالى ــ : « والذين في أموالهم حق معلوم ﴿٢٤﴾ للسائل والمحروم »(٣١)

قال عبد الله بن عمر والشعبي والحسن ومجاهد « هو حق سوى الزكاة واجب في المال » ، وهو تأمين الضروريات من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والزواج والمواصلات ويضاف إليها اليوم ما يفرضه واقع الحياة من تأمين التعليم والتطبيب والعمل والأمن وغيرها قال ــ تعالى ــ : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون »(٣٢) .

بناء الأسرة بناء كريما :

الأسرة أهم لبنات المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع ، ولذلك جعل الإسلام العناية بالأسرة زوجا وزوجة وأبناء وأخوات وإخوانا وأمهات وآباء ، فرضا يتحقق به التكافل في المجتمع وقد قرر ذلك في أحكام شرعية نوجزها فيما يلي :

١ ــ ساوى الإسلام بين الزوجين في الحقوق والواجبات العامة وكذلك بين أفراد الأسرة جميعا .

٢ ــ بين الواجب الملقى على الزوجة باعتبارها أنثى من الإنجاب والإرضاع وتربية الأطفال وتهيئة البيت وغيرها ، كما بين الواجب الملقى على الزوج في ضرورة توفير الحياة الكريمة للزوجة والأسرة والتعاون مع زوجته في التربية والأعباء .

(*) الكاتب : أ.د. عبدالعزيز الخياط وزير الأوقاف وعميد كلية الشريعة في الأردن سابقا ، ونائب رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) وهذه الكلمة أحد بحوث المؤتمر الدولي لعلماء الدين والدراسات السكانية .

٣٠ ــ سورة الذاريات /١٩ .
٣١ ــ سورة المعارج /٢٤ ، ٢٥ .
٣٢ ــ سورة الروم /٣٨ .

٣ ـ عنى الإسلام بالأولاد ذكورا وإناثا وساوى بينهم فى التربية والحقوق المالية والسياسية والاجتماعية والوظيفية ما عدا ما يتعلق بالميراث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا كانوا إخوة وأخوات أو أبناء وبنات ، أما الأم فتتساوى مع الأب فى الميراث وتنفرد البنت بنصف الثروة والبنتان بثلثيها إذا لم يكن أخ ، وذلك لترتب الأعباء المالية على الذكر .

٤ ـ أوجب الإسلام النفقة على الزوج لزوجته وأوجب على الأب الإنفاق على الصغار حتى يكبروا ، وأوجب النفقة على الأبناء للآباء والأمهات إذا طلبوها ، وأوجب النفقة للأقارب ، وصلة الأرحام ، وندب الإنسان أن يوصى من ماله للفقراء والمساكين ومشاريع الخير ولا سيما ذوى الأرحام تحقيقا للتكافل المادى .

٥ ـ أعطى البنت حقها فى اختيار زوجها ورضاها به ، وأوجب للزوجة والبنت ذمة مالية منفصلة عن الرجل حتى تتساوى المسئولية ويتحقق التكافل .

٦ ـ طلب الإسلام من الأبناء طاعة الأبوين واحترامهما والرحمة والرفق بهما والإحسان إليهما ، كما طلب من الآباء والأمهات حسن التربية للأبناء ، كما دعا إلى التراحم والمودة بين الزوجين وبين الأقارب تحقيقا لمعنى التكافل من تحسين النسل وتربية الأولاد تربية سليمة وللحفاظ على صحة المرأة وجمالها وقدرتها على التربية فأباح العزل واستعمال الوسائل المشروعة .

٧ ـ حرصاً من الإسلام على تكافل الأسرة حرم الزنا والشذوذ الجنسى وحرم الإساءة للزوجة أو الزوج أو الأولاد .

٨ ـ أباح الإسلام الاجتماع بين الجنسين لحاجة البيع والشراء والتجارة والزراعة والمعاملات جميعها والجهاد والزيارة بين الأسر ، ومنع الخلوة أى انفراد الرجل بالمرأة وحدهما فى مكان خاص وهو الاختلاط المحرم ، ولم يجعل صوت المرأة عورة(*)

حراسة الرأى العام :

ونعنى بحراسة الرأى العام التناصر بين أفراد المجتمع ورقابتهم بعضهم على بعض والتناصح فيما بينهم والتشاور فى الأمور كلها ، بين جميع أفراد المجتمع صغارا وكبارا وبينهم وبين الدولة لقوله ـ تعالى ـ : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »(٣٣)

وهذا من أقوى ما يحقق التكافل فى المجتمع ويؤدى به إلى التماسك والسير فى طريق قويم

العدل والمساواة بين الناس :

فرض الإسلام العدل على الناس ، وجعله أساسا للملك والحكم الصالح قال ـ سبحانه ـ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ »(٣٤) ، وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ

(*) قوله : « ولم يجعل صوت المرأة عورة » ليس على إطلاقه .

٣٣ ـ سورة التوبة / ٧١

٣٤ ـ سورة النحل / ٩٠

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ »[٣٥] وقال : « وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » [٣٦] ، والعدل : أن يعطى الحاكم كل ذى حق حقه من غير تفضيل ، وأن يعاقب المسىء أو المقصر من غير نظر إلى مكانته ، والعدل : الإنصاف ولو من نفس الإنسان وتحريم الظلم .

والمساواة : عدم التميز بين الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم وأجناسهم وأديانهم قال ـ سبحانه ـ : « **إنما المؤمنون إخوة** »[٣٧] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** »[٣٨] .

منع الطبقية والعنصرية :

مما يتصل بالمساواة ويحقق التكافل فى المجتمع منع الطبقية المتميزة ، ومنع العصبية بغير حق ، وتحريم العنصريــــة ، وفى الحديث:إن الله ـ تعالى ـ **أذهب عنكم عبية الجاهلية**[٣٩] **إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلــق من تراب** »[٤٠] وقــال ـ سبحانـه ـ : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »[٤١] ، ونفى الطبقية والعنصرية يؤديان إلى تماسك المجتمع وتكافله فلا يكون فيه فرقة أو تمزق بل تعاون وإخاء .

إيجاد التوازن فى المجتمع :

المجتمع المتكافل هو المجتمع المتوازن ، المعتدل فى أموره كلها فلا غلو ولا تقصير ، ولا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير ، وإنما اعتدال وقصد وتيسير ، قال ـ تعالى ـ : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** »[٤٢] أى خياراً وعدولا ، وقال : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** »[٤٣] .

والتوازن يكون فى جميع الحياة فى العقيدة : فلا وثنية ولا انحراف ولا إيمان بالخرافات ، وفى حياة الإنسان الخاصة : الاعتدال فى المأكل والملبس والمشرب والعواطف والأخلاق ، والإحسان فى معاملة الوالدين والزوجة والأولاد والأقربين ، وفى المجتمع : التناصر بين الناس بالحق وولاية بعضهم لبعض ومنع الفساد فيما بينهم ، وفى المسلك إيجاد التوازن بين مطالب النزعة الإنسانية فى الاستمتاع بما خلقه الله للإنسان وبين مطالب الأشواق الروحية فى الزهد والجنوح إلى الرهبانية وقال ـ عليه السلام ـ : « **لا تشددوا فيشدد الله عليكم** »[٤٤] ، والتوازن فى المعاملة بإعطاء الفرص للجميع واعتبار أهل الكفاءة والإحسان إلى الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم ، غنيهم

---

٣٥ ـ سورة النساء /١٣٥

٣٦ ـ سورة النساء /٥٨

٣٧ ـ سورة الحجرات /١٠

٣٨ ـ رواه أحمد وأبو داود والنسائى

٣٩ ـ العبية : الكبر والفخر والنخوة

٤٠ ـ رواه الترمذى وحسنه ، وأبو داود وأحمد بن حنبل الترغيب والترهيب ٣/٥٧٣

٤١ ـ سورة الحجرات /١٣

٤٢ ـ سورة البقرة ١٤٣

٤٣ ـ سورة القصص /٧٧

٤٤ ـ متفق عليه

وفقيرهم ، بنعمهم ومسكينهم باللطف والرفق والرحمة ومنع تجاوز الحد فى المعاملة قال ﷺ : لا يرحم الله من لا يرحم الناس »[45] ، وقال : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله »[46] .

وحث الإسلام على :

الكسب الحلال وتقريب التفاوت بين الثروات ومنع الفقر والاحتكار والغش والأثرة ، ومن الضرورى التأكيد على أن للفقراء الحق فى المال لتأمين حاجاتهم الضرورية ، وأن جهد الناس يجب أن يحترم : « وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ »[47] ، وأن توزيع الثروات بالميراث والهبة والزكاة والتبرع والصدقة والإنفاق فى سبيل الله يؤدى إلى ارتفاع التكافل ، وزيادة التراحم وتماسك المجتمع .

إيجاد الضمير عند الفرد وعند الجماعة :

الضمير :

الضمير ما استتر فى داخل النفس ، وهو الوازع الباطنى الذى يرشد إلى الصواب ، ويمنع الإنسان أو المجتمع من الوقوع فى الخطأ ، ويوجه الناس إلى الخير ، وضمير الإنسان يتكون من عقيدته وإيمانه وأفكاره عن الحياة ، وضمير المسلم ينبع من إيمانه بدينه وتعاليمه ، وضمير الجماعة ينبع من التربية الاجتماعية المرتبطة بالدين والخلق والعرف السليم .

وإن مما يوثق تكافل المجتمع أن يكون عند الفرد وازع داخلى من خشية الله يدفعه إلى الخير ومعاونة الناس ، ويمنعه من الشر ، وأن يكون لدى الجماعة وازع داخلى من إيمانها وقيمها الثابتة يحول بينها وبين الشر ، ويجعلها فى يقظة تامة ، تحاسب به نفسها ، وتراقب مسيرتها ، وتسبر ذاتها قال - تعالى - : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »[48] ، وقال : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »[49] .

من أسباب تكافل المجتمع :

١ - الصدقات :

سواء أكانت فرضا كالزكاة أو تطوعا قال - تعالى - : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا »[50] .

وقال : « وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ »[51] وهى تكون فى جميع سبل الخير ومشاريعه .

٢ - رعاية الصغار وحضانتهم وإحسان تربيتهم والقيام بحاجتهم فى رحمة ورفق .

٣ - رعاية الأيتام « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ »[52] ، وتنمية أموالهم وحفظها لهم والإنفاق عليهم منها أو تطوعا .

٤ - رعاية اللقطاء وحمايتهم وتربيتهم ، واللقيط : هو الولد الصغير الذى لا يعرف له أب ولا أم ، فيجب إيواؤهم فى بيوت الناس أو فى الملاجىء ، وما ذنبهم إذا جاءوا للحياة نتيجة خطيئة غيرهم ؟؟

---

٤٥ - رواه البخارى ومسلم

٤٦ - رواه مسلم فى كتاب البر والصلة

٤٧ - سورة الأعراف /٨٥

٤٨ - سورة الأنفال /٢٩

٤٩ - سورة الأعراف /١٢٨

٥٠ - سورة التوبة /١٠٣

٥١ - سورة البقرة /١٧٧

٥٢ - سورة البقرة /٢٢٠

٥ ـ رعاية أبناء السبيل ، وهم المسافرون الذين لم يتمكنوا من الرجوع إلى بلدانهم فيعطون من المال ما يرجعون به إلى بلدانهم ، ولا بأس من تشغيلهم لكى يجمعوا المال لرجوعهم .

٦ ـ رعاية الشيوخ والعجزة الذين لا كافل لهم ، بإيوائهم وإطعامهم ومعالجتهم والحنو عليهم .

٧ ـ إغاثة المنكوبين والمصابين . قال ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »(٥٣) .

٨ ـ رعاية الشواذ والمنحرفين ليسلم المجتمع من فسادهم .

٩ ـ رعاية الحوامل والمطلقات لسلامة المجتمع .

١٠ ـ رعاية المصابين بسبب طوارىء العمل وأمثالهم .

١١ ـ منع البطالة والتسول والتشرد .

وكل ذلك حماية للمجتمع من سوء الأخلاق والفساد والحيلولة بينهم وبين انتشار الانحراف والمخدرات والسكر وما إلى ذلك من فساد يخل بالمجتمع ويزعزع تماسكه .

وسائل التكافل :

إذا كان التكافل وسيلة إلى سعادة المجتمع فى الدنيا وسعادة أفراده فى الأخرى ، فإن له وسائل كذلك تحققه من أهمها :ـ

أولا :

الدولة التى تقوم على رعاية أفراد المجتمع فتؤمن لهم العمل ، وتمنع عنهم البطالة ، وتشجع الإنتاج ، وتيسر أسباب التجارة والزراعة ، وتثقف الناس وتعلمهم وتبصرهم بواجباتهم وحقوقهم وتحميهم من الأعداء ، وتطبق شريعة الله عليهم وتجبى الزكوات ، وتحث على البر والصدقة والوقف وتنشىء الملاجىء للعجزة والحوامل والشيوخ ، وتمنع التسول والتشرد ، وتؤمن العيش الكريم للمحتاجين من ذوى البطالة الاضطرارية وغير ذلك من الواجبات .

ثانيا :

جمعيات البر والمساعدة والخير ، فإنشاء الجمعيات المتعددة الأغراض الاجتماعية وأهمها مساعدة الفقراء والمحتاجين وإيواء العجزة والمشردين وتأهيل المعوقين والمصابين ، ومعالجة المرضى ، وتعليم الأميين ، ورعاية المعتوهين والمجانين ومعالجتهم ومنع أذاهم عن الناس .

ثالثا :

النقابات والجمعيات الحرفية وغرف الصناعة والتجارة وأمثالها ، فإنها وسائل لتنشيط الحرفيين وتجميعهم ومعاونتهم ، وتأمين الاقتصاد وحماية الصناعة وتنظيم التجارة وحماية التجار من طمعهم والمواطنين من جشع التجار ، وتسهيل الإنتاج وغير ذلك .

رابعا :

مؤسسات الزكاة ولجانها التى تقوم بجمع الزكوات من الأصناف المختلفة وتوزيعها على المستحقين لاسيما فى حالة تخلف الدولة عن

---

٥٣ ـ رواه أحمد بن حنبل والترمذى وأبو داود والبيهقى

حمايتها .

خامسا :

بنوك الاستثمار والإقراض المشروعين وهي التي تعين المحتاجين إلى المال للاستثمار والصناعة .

سادسا :

مؤسسات الضمان الاجتماعي التي تؤمن للعاملين والمشتركين ما يعينهم في حال تركهم العمل أو شيخوختهم أو عجزهم .

سابعا :

مؤسسات الإسكان : التي تؤمن لذوي الدخل المحدود وغيرهم مساكن تؤويهم وأسرهم وتساعدهم على التخلص من أجور المساكن ولا سيما في حال ارتفاعها .

ثامنا :

مؤسسة الوقف سواء أكانت في وزارة أو جمعيات ، من مهمتها تشجيع وقف الأموال وتنميتها واستثمارها وإنفاق غلاتها في وجوه الخير .

تاسعا :

مؤسسة النذور فكثيرا ما يقوم الناس بالنذر ويحتارون في كيفية إنفاق ما ينذرون فهذه المؤسسة تنظم هذه النذور وتنفقها في وجوه البر .

عاشرا :

مؤسسة الأضاحي ، فالإسلام سن الأضحية على الأغنياء بل يرى بعض الفقهاء وجوبها كما ورد في قوله ـ تعالى ـ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ »(*) ، وكما ضحى ـ عليه السلام ـ بكبشين أقرنين(**) ، وتنظيم توزيع الأضحيات وبيع جلودها وإعطاؤها للفقراء والمساكين أو المستضعفين الذين يقاومون احتلال أعداء الإسلام لبلادهم كما هو في فلسطين أو يحاربون في أوطانهم مثل مسلمي بورما والفلبين والبوسنة والهرسك .

حادي عشر :

مؤسسات المعونة أو الإغاثة التي تنشئها بعض الدول أو الشعوب لإغاثة المكروبين في حالات الكوارث والطوارئ ، أو الحرب .

ثاني عشر :

جمعيات الهلال الأحمر التي تقوم بإسعاف الناس في حالات الإصابة والكوارث والحروب ، وحماية المدنيين من عسف العسكريين .

ثالث عشر :

المراكز والجمعيات السكانية التي تقوم بحماية الأسرة وتنظيم حياتها وإنجابها وحماية أولادها من التشرد والضياع وتثقيف أفراد المجتمع بضرورة تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية صحيحة قوية .

كل هذه وأمثالها من وسائل الخدمة الاجتماعية تؤدي إلى التكافل في المجتمع المسلم .

وهناك تكافل مهم جدا وهو أن يسلم المجتمع في عاداته وتقاليده من المنكرات والانحرافات في العقيدة والفهم والمسلك ، وأن تقوم الدولة والجمعيات على اختلاف أنواعها بتصحيح الأعراف والتقاليد ، وتنقيتها من البدع والخرافات وإلزامها بأوامر الله ونواهيه ، وتقوية الاتجاه العبادي والفكري في المجتمع .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والصالحين من أتباعه إلى يوم الدين .

---

* ـ سورة الكوثر

** ـ رواه مسلم

محمد بن القاسم

قائد عسكرى فى دولة الاسلام أضاعه أحقاد السياسة والحكم

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

شخصية إسلامية فذة وعبقرية عسكرية عالية ، كانت تجمع إلى فتاء السن حنكة الكهولة ، وإلى خشونة الجندى رقة الشاعر وإلى الحرص على الدنيا زهد الفيلسوف وطمأنينة الحكيم ، عرف بالصلابة والشجاعة كما أثر عنه الوفاء والطاعة لدولة الإسلام فلم يخن عهداً قطعه على نفسه فى سنى حياته القصيرة كما لم يغدر بأى أحد من خصومه .

ذلك هو الفتى الشهيد والفاتح العظيم والشاعر الرقيق محمد بن القاسم الثقفى ، الذى شرع فى غزو السند فى السابعة عشرة من عمره ، وأتمه ولما يتجاوز الثالثة والعشرين ، فأدخل بذلك فى بلاد شبه القارة الهندية الثقافة الإسلامية التى يدين بها الملايين فى الهند وباكستان وبنجلاديش فى زماننا المعاصر .

تاريخ مولده ونشأته :

ولد محمد بن القاسم سنة ٧٣ هجرية فى قبيلة ثقيف المشهورة فى الجاهلية والإسلام بمضاء العزيمة وقوة الدهاء وسعة الحيلة ، وتنسم رياح الصبا فى دولة الخلافة ، ونقع الحوادث مثار ، وريح الفتن فى اشتعال ، والسيوف يتجاوب صليلها فى فارس والعراق والحجاز وإفريقيا فتلقف صناعة الحرب سماعا وعيانا .

والعجيب أنه كان بجانب تلك الحياة السياسية القلقة المضطربة الخانقة حياة أخرى هادئة هى حياة الأدب الذى يتمثل فى الشعر الغنائى المأثور عن عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزة

والحميرى وغيرهم من شعراء ذلك الزمان فعشا النظر الحائر لمحمد بن القاسم إلى ذلك النور الأدفق المشرق فورده وارتوى به .

وبذلك اعتدل مزاجه ورقت حواشي نفسه وأصبح ــ وهو فى السابعة عشرة من عمره ــ أشرف ثقفى فى زمانه كما يقول أبوالفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى وقد فطن له الحجاج بن يوسف رجل الدولة الأموى القوى ، وهو الفارس المعلى فى نقد الرجال وتمييز الكفايات ، فعقد عليه الآمال الكبار فى مهمة الفتوح الإسلامية التى جدد الخلفاء الأمويون سياستها بعد سكون الفتن وركود ريحها ، فغزا قتيبة بن مسلم « بلاد ما وراء النهر » وأوغل فيها ، وتوطد سلطان دولة الخلافة ببلاد عمان ، وغزا موسى بن نصير « المغرب » ، وقرع أبواب الأندلس نفسها مع مولاه طارق بن زياد[1] .

وقد أراد الحجاج بن يوسف أن تأخذ ثقيف بنصيبها فى شرف هذه الفتوح الجسام فأغزى ابن قبيلته محمد بن القاسم الثقفى « بلاد السند » التى هى مدخل ذلك العالم الزاخر بالناس والذى يسمى بلاد الهند[2]

بلاد السند وسياسة ملوكها فى ذلك الزمان .

كانت أرض السند عبارة عن حوض نهر السند العظيم وتنزلها قبائل عديدة قوية منها الزط والسيابجه والميد والبرهة ، وكانت بلدانها الكثيرة منتشرة فى أعضام الأودية ورءوس الجبال منها « الديبل » وكانت ثغر السند ، ومنها « برهمنا باذ وراور » ، والملتان » وكانت هذه البلدان تنتشر فيها المعابد البوذية القديمة وخاصة معبد الملتان ذلك المعبد الذى كانت تهدى إليه الأموال ، وتنذر له النذور ، ويحج إليه أهل السند ، ويطوفون ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده .

أما من الناحية السياسية فكان يتوزع بلدان السند وقبائلها عدة حكام متقاطعى الكلمة مختلفى الأهواء وكان أقواهم سلطانا إبان غزو العرب ملك يقال له « داهر » تغلب على قواد الحجاج الذين حاربوه سابقا وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة عند إغاراتهم عليه[3]

سبب اندلاع الحرب بين المسلمين وملك السند

حدث أن ساءت العلاقات بين المسلمين وبين « داهر » ملك السند مما استدعى صداما مسلحا بينهما ، وسبب ذلك أن الحجاج بن يوسف والى العراق أرسل سعيد بن أسلم إلى « مكران » فخرج إليه (معاوية ومحمد) ابنا الحارث العلاف فقتلاه ، إذ كانا من الخارجين على سلطان الأمويين فى هذه الجهات ، وكانا قد لقيا عند داهر ملك السند البرهمى كل ترحيب حين لجأ إليه ومن كان معهما من الأعوان وما لبثا وقد نصراه فى بعض حروبه أن صارا من أصحاب الحظوة عنده .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الخليفة الأموى (وهو الوليد بن عبدالملك) وقتئذ أن يأذن له

---

(1) كتاب صور من التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور عبدالحميد العبادى طبعة سنة ١٩٤٨ م

(2) كتاب فتوح البلدان للإمام أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ سنة ١٩٠١ م

(3) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق

بمهاجمة السند ملجأ الخارجين على دولة الخلافة ولكن الخليفة لم يأذن له ، ثم حدث بعد ذلك أن تعرض قراصنة من « مدينة الديبل » لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (والتي دعيت جزيرة سيلان بعد ذلك) وفيها بنات وأرامل التجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، فأسر القراصنة هؤلاء النسوة ، ولما طلب الحجاج من « داهر » ملك السند تخليص نساء المسلمين من الأسر لم يستجب له وزعم أنه لا يسيطر على لصوص البحر هؤلاء فكان هذا وسواه باعثا للحجاج أن يُلحّ على الخليفة ليثأر لهذا العدوان وليؤمّن طريق التجارة ، وحدود البلاد الإسلامية من غارات المعتدين[٤]

إعداد الحملة العسكرية الإسلامية

لما استجاب الخليفة الأموى لرغبة الحجاج بن يوسف أعد حملة كبيرة لغزو بلاد السند قيل : إنها كانت عشرين ألفا من المسلمين الأشداء ، ووضع على رأس الحملة ابن قبيلته القائد الشاب محمد بن القاسم[٥] وقد انقسمت تلك الحملة إلى قسمين :

قسم منها كان أسطولا حمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة ، سار بطريق البحر ، والقسم الآخر سار بطريق البر وهو الذى قاده ابن القاسم ففتح فى طريقه بعض البلاد حتى التقى بسفنه المحملة بالجنود عند ميناء الديبل[٦] وعندئذ اتجه بجنوده إلى الشمال فخرت له الحصون والبلاد صلحا أو عنوة وأخيرا التقى بداهر ملك السند حيث كان يقود جيشا كثيفا تقدمته المئات من الفيلة واجه به جيش المسلمين فدارت بينهما معركة كبيرة انطلق فيها محمد بن القاسم كالمارد متقدما صفوف جيشه مقتحما صفوف أعدائه ضاربا بكل قوة وبمن معه من الجند تلك الجيوش .

أما الفيلة فقد اتقى شرها بقذائف النفط الملتهب يرميها بها هو وعساكره فهاجت واحترقت هوادجها بمن فيها من الجند .

وبعد اقتتال شديد قتل فيه داهر ملك السند وانهزمت جيوشه فتبعهم ابن القاسم بجيشه حتى تم له تمزيق جيوش أعدائه فاستولى على « مدينة راور » قمدينة « برهمناباذ » ثم زحف على « مدينة الراور » فحاصرها أشهرا ثم دانت له على أن يحقن دماء أهلها ، وأن يؤدوا إليه الخراج ، وقد وفى لهم بشرطهم ، وبنى بالمدينة مسجدا ثم قطع نهر بياس إلى « الملتان » أعظم بلدان السند فقاتله أهلها ولكنه هزمهم فى النهاية وفتحها .

وكان مما ساعد المسلمين على تحقيق النصر السريع ماوجدوه من عون من قبيلتى : « الميد والجات السنديتين » اللتين انضمتا للجيوش الإسلامية وأرشدتا إلى أيسر الطرق كما بذلتا عونا واضحا فى معارك القتال لما امتاز به رجالها من الشجاعة والجلد الشديد فى ميادين الحروب فضلا عن معرفتهم بمسالك السند ودروبها وأحوال أهلها وأساليبهم فى الضرب والنزال وكانت هاتان القبيلتان قد هاجر أكثر أفرادهما إلى خارج السند لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة حكومة « داهر » البرهمية إذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين

---

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية — الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا المجلد رقم ٨ تأليف الدكتور أحمد شلبى

(٥) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية تأليف الدكتور عبدالحليم عويس

(٦) الديبل هى مدينة كراتشى حاليا

لا يباح لهم من المهن والحرف إلا أحقرها كما كان يحرم عليهم ارتداء غالى الثياب أو امتطـاء الدواب[٧] .

سياسة ابن القاسم مع جنده ومع أهل البلاد التى فتحها .

لاشك أن الحجاج بن يوسف كان موفقا عندما عهد إلى محمد بن القاسم بقيادة تلك الحملة الخطيرة لفتح بلاد السند فإن ذلك القائد العربى بحداثة سنه وصدق فروسيته قد ملك زمام جنده فلم يسع واحد منهم إلى خلاف معه أو عصيان أمره .

ثم إنه بهذه الخلال نفسها وبرجاحة عقله وسعة حلمه اجتذب قلوب أهل السند أنفسهم فقد قارنوا بينه وبين ملوكهم المسرفين المتجبرين المتخاذلين فلم يتمالك كثير منهم ومن قبائلهم أن أعطاه الطاعة وناصره فى قتاله كما أكرم رؤساء المنادكة من رجال الدين عندهم ، ويروى أنه عندما شرط عليه أهل مدينة الراور ألا يقرب معبدهم وفّى لهم بذلك وقال (ما المعبد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نار المجوس) وأطلق للناس حرية العبادة وكانت حكومته إياهم عادلة رفيقة إذا قيست بحكومة ملوكهم وأمرائهم فقد تقدم إلى عماله بهذه النصيحة (أنصفوا الناس من أنفسكم وإذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية وراعوا فى فرض الخراج مقدرة الناس على أدائه ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد)[٨] .

الأعمال التى أفاد بها ابن القاسم دولة الإسلام

كان ذلك القائد النابه مدركا كل الإدراك أن عليه واجبين عظيمين :

أولهما أن عليه أن ينشر فى البلاد التى فتحها الثقافة الإسلامية .

ثانيهـا :أن يصل مابين الشرق والغـرب الإسلاميين .

من أجل ذلك كان إذا فتح مدينة أنزلها بعض أصحابه وبنى بها مسجدا ثم نقل طوائف من قبائل الزط والسيابجه إلى العراق فأنزل الحجاج بعضهم كورة كسكر بفارس ووجه بقيتهم إلى الخليفة الأموى فأنزلهم « إنطاكية » وسواحل الشام لينتفع بخبرتهم البحرية فى قتال الروم كذلك أرسل إلى الحجاج فيلة من أفيال السند سميت ببعضها مشرعة الفيل التى كانت بمدينة واسط بالعراق ، كما بعث إليه آلافا من الجواميس السندية فأطلق الحجاج بعضها فى آجام كسكر وكور دجلة وبعث كثيرا منها إلى الخليفة فأطلقها فى الآجام التى بين « إنطاكية والمصيصة » واتقى بها سباع تلك الآجام وكانت قد كثرت وأخافت السابلة وقد نمت هذه الماشية بالعراق على مر الزمن حتى أصبحت من أسباب ثروته الاقتصادية فى وقتنا الحاضر[١٠]

النهاية المحزنة لقائد حملة السند

فى الوقت الذى كان فيه ابن القاسم ينتقل من نصر إلى نصر مؤملا أن يضم إلى دولة الإسلام

---

(٧) طبعة عام ١٣٧١ هـ ـــ ١٩٥٢ م دار الكتاب العربى بمصر موسوعة التاريخ الإسلامى المجلد رقم ٨ المرجع السابق وكتاب فتوح البلدان المرجع السابق

(٨) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق

(١٠) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق ١١ ، كتاب فتوح البلدان المرجع السابق

بمملكة الهند الشمالية وعاصمتها (قنوج) جاءه خبر وفاة والى العراق « الحجاج بن يوسف » عام ٩٥ هجرية وبعده بقليل جاءه خبر وفاة « الخليفة الوليد بن عبدالملك » (وكان سنده وسند ابن قبيلته الحجاج بن يوسف) وتولية « سليمان بن عبدالملك » إمارة الخلافة الأموية وكان عدوا للحجاج وأسرته لضغائن قديمة بينهما فولى صالح ابن عبدالرحمن على العراق ــ وكان الحجاج قد قتل أخاه كما ولى الخليفة الجديد يزيد بن أبى كبشة السكسكى ولاية السند بعد أن أمر بعزل محمد بن القاسم والقبض عليه وحمله إلى العراق مقيدا بالسلاسل حيث سجن فى مدينة واسط[١١]

فكان لذلك أثره البالغ فى نفوس أهل السند فتحركت عليه قلوبهم وبكوه أحر البكاء وصوروه أهل الكيرج بمدينتهم التى كان شخوصه منها ، وانطلقت ألسنتهم ترثيه فقال أحدهم :

إن المروءة والسماحـــة والنـــدى
محمـــد بن القـــاسم بن محمـــد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
ياقـــرب ذلك سؤدداً من مولـــد

أما هو فقد رثى نفسه وهو فى سجنه فقال من شعره الرقيق :

فلئــــن ثويت بواسط وبأرضهـــا
رهن الحديـــد مكبلا مغلـــولا
فلـــرب فتيـــة فارس قد رعتها
ولـــرب قرن قد تركت قتيـــلا[١٢]

ولقد تلقى ــ رحمه الله ــ المحنة صابرا محتسبا ، والغريب أنه على إخلاص أصحابه له ، وعطف أهل السند عليه لم تحدثه نفسه بالخروج والانتقاض على سلطان دولة الخلافة ويبدو أنه أيقن أنه قد أدى واجبه فى نشر الإسلام ، وأن الحياة قد أصبحت بعد ذلك لغوا وفضولا لاطائل فيه ، ولو أراد الثورة لشق على أعدائه احتواؤه وفى ذلك يقول :

ولو كنت أجمعت القرار لوطئت
إناث أعدت للـــورى وذكـــور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا
ولا كان من عك علـــىّ أمير
ولا كنت للعبـــد المزونى تابعـــا
فيـــالك دهـــر بالكـــرام عثـــور

وهناك فى مدينة واسط بأرض العراق حبس وسجن ثم اقتيد للقتل بأمر الخليفة ليشفى غيظه بدلا من الحجاج بن يوسف الثقفى الذى لم يتمكن من الانتقام منه بعد أن حال الموت بينهما[١٣] وهكذا كانت تلك خاتمة فتى فتيان العرب وسيد فرسانهم فى وقته ولم يكن لمهارته فى القيادة أو لانتصاراته الرائعة فى الهند أى قيمة أمام السياسة التى تلعب بمصاير كبار القادة والرجال فتقضى عليهم مع أنهم كانوا رجالا عظاما خدموا دولة الإسلام خدمة كبرى وكانوا أحق بالتكريم والتبجيل من القائمين على أمورها وسياستها فى ذلك الزمان أولئك الذين نسوا قول الله ــ تعالى ــ فى قرآنه العظيم ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[١٤]

---

(١١) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م بيروت ــ لبنان

(١٣) كتاب صور من التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور عبدالحميد العبادى المرجع السابق

(١٤) سورة الإسراء الآية رقم ١٥ ــ جزء من هذه الآية

الفتاوى

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

من اليتيم ؟

كفالة الأطفال غير المسلمين

بعثت لجنة الفتوى بالأزهر هذا الرد إلى :

السيد الأستاذ الدكتور / أشرف عبدالعظيم، مدير اللجنة للإغاثة الإنسانية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فردا على الاستفتاء الوارد إلينا مع مندوبكم والخاص بشأن بيان حكم الشرع فى تحديد تعريف الطفل اليتيم ، إلى آخر الاستفتاء نفيدكم :

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول :

١ ـ اليتيم من فقد أباه وكان دون سن البلوغ لقول النبى ﷺ (لا يتم بعد حلم) .

٢ ـ الطفل الذى غاب أبوه منذ أكثر من عام لا يعتبر يتيما سواء كان أبوه معتقلا أو محاربا أو مفقودا ، ولا يعتبر الطفل يتيما إلا إذا حكم القاضى بموت أبيه ، ولكن تجوز كفالة هذا الطفل على أنه لا عائل له يتولى شئونه .

٣ ـ بالنسبة لأطفال غير مسلمين فإنهم إن لم يوجد لهم عائل من أهل دينهم يجوز أن يكفلوا من أموال المسلمين حتى لا يضيعوا ولأن عمر ـ رضى الله عنه ـ فرض ليهودى متقدم فى السن جزءا من بيت المال ، فهؤلاء الأطفال يجوز كفالتهم من بيت مال المسلمين حتى لا يضيعوا ، ولأن الأطفال إذا كانوا دون البلوغ فإنهم على فطرة الإيمان ما لم يهوّدهم آباؤهم أو ينصّروهم .

٤ ـ أطفال غير المسلمين الذين يكون آباؤهم مسالمين أو محاربين ولا يوجد لهم عائل فالكل سواء بالنسبة لوجوب كفالتهم على المسلمين ؛ لأنهم كذلك على الفطرة إلى أن يبلغوا والله تعالى أعلم .

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

ترد لنا أسئلة تتعلق بحكم المال العائد من أرباح البنوك الربوية سواء فى مصر ، وغيرها .

ما موقف الوارث لهذا المال منها ؟ نرجو إيضاحا شافيا ولكم الشكر .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الفائدة التى تعطيها البنوك للمودعين أموالا عندها تعتبر ربا محرما لا يحل لأى أحد تناوله ، وقد حذر القرآن الكريم والسنة المطهرة من أكل الربا فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ۝ ﴾ سورة البقرة

وقال النبى ﷺ : لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وقال هم فيه سواء .. رواه البخارى وغيره .

والذى يتعامل مع هذه البنوك إنما يقرضها المال المودع ويأخذ عنه فائدة ، وكل قرض جر نفعا فهو ربا ، وهذه الفائدة يجب التصدق بها على الفقراء ولا يحل تناولها لصاحب رأس المال ، وهذه الصدقة لا أجر له فيها ، إنما يفعلها ليبرىء ذمته من الله وليتخلص من هذا المال الحرام ، حتى لا يعذبه الله عليه ، والوارث لهذه الفوائد يجب عليه سرعة التصدق بها ولا يحل له تملكها والله تعالى أعلم .

السيد صاحب الفضيلة / مدير لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد .

مقدمه لفضيلتكم / س.م.م من القاهرة ..

توفيت سيدة مصرية متزوجة من رجل أردنى الجنسية وكانت تقيم بالأردن قبل الوفاة ، لها ابنة واحدة متزوجة ومعها طفلان وتقيم أيضا بالأردن وهذه السيدة المتوفاة لها : أم على قيد الحياة وأربعة أشقاء منهم اثنان ذكور ومتزوجين واثنان إناث متزوجات ومقيمات بمصر وجميعهم على قيد الحياة .

تركت هذه السيدة المتوفاة مبلغ من المال كوديعة فى بنك من بنوك مصر بالفائدة ولها منقولات بيتها بالأردن .

فما حكم الشرع فى التصرف فى هذه المتروكات التى توجد بالبنك والفوائد والمنقولات ؟ .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوج الربع فرضا وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للأخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى وذلك فى كل ما تركته المتوفاة من منقولات ومبالغ مالية وذهب إن وجد والله ـ تعالى ـ أعلم ..

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

انتشرت محلات حلاقة السيدات « الكوافير » ، وبالرغم من كثرة القضايا التى كان فى أطرافها بعض العاملين بهذه المحلات ، لا تزال فى ازدياد ..

نرجو إيضاح الحكم الشرعى فى عمل هذه المحلات ؟ .

على عبدالله المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محلات الكوافير إذا كان الذى يصفف شعر النساء رجلا فذلك عمل محرم ؛ لأن فيه لمس المرأة الأجنبية وذلك محرم لقول النبى ﷺ لأن يضرب رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له .

كما أن فى هذا الفعل تشجيعا على المعصية لأن المرأة تزين شعرها وتخرج به فى الطرقات فتغرى الناس بالنظر إليها والنظرة سهم من سهام إبليس القاتلة كما قال النبى ﷺ ، فإذا كانت التى تعمل فى محل الكوافير امرأة كان التحريم من ناحية المساعدة على الفساد ونشر الفتن فلا يحل ذلك شرعا أيضا ، أما إذا كانت العاملة امرأة والتى يزين لها شعرها إنما تفعله لزوجها فى بيتها فقط أما فى الشوارع فإنها تغطى شعرها ولا تظهره للناس فذلك جائز إذا كان بهذه الكيفية .. والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / م.ف. موسى

افتتحت أمى وخالى محلا لتصفيف الشعر وأوصت والدتى نظير إدارتى للمحل وتربية أخوتى بأن يؤول النصف الخاص بها إلى بعد وفاتها ، وقد تم بالفعل ووفيت بكل ما طلبته والدتى ولذلك أصبح نصف المحل الخاص بوالدتى ملكا لى ولا يوجد أى دليل يجعل أخوتى يرثونى فيه ، لأن المحل باسمى ولكن طالب بعض الأخوة أن يشاركونى فى هذا الميراث بعد تحمل كافة مصاريف تعليمهم ورعايتهم حسب ما أوصت به والدتى ، ما الحكم ؟ .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد : بأن ما صدر من الأم لابنها يعتبر وصية ، وهى لا تنفذ إلا إذا أجازها باقى الورثة بعد وفاتها لقول النبى ﷺ : (لا وصية لوارث إلا أن يجيزها باقى الورثة) ومن أراد من الورثة ، وهو مكلف شرعا التنازل عن حقه فى الميراث بكامل اختياره ، ورضاه فلا مانع من ذلك شرعا .

والله ولى التوفيق ..





الشيخ / سيد بن علي المرصفي

رائد النهضة الأدبية المعاصرة

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

شهد الأدب العربي الحديث ، العديد من الشخصيات المرموقة ، التي ظفرت بالدراسات المستوعبة لها ولأعمالها من جمهرة الباحثين ، غير أنه يوجد شخصيات أخرى لاتقل - إنْ لم تزد - عنها موهبة ونبوغا ، وبرغم ذلك ، لم تظفر بما هي أهل له من إنصاف وتقدير .

وفي مقدمة هؤلاء المرموقين ، شيخ الأدباء الأعلام في مصر : سيد بن علي المرصفي ، أحد أفذاذ المراصفة ، الذي يُعدُّ الامتداد الرائع ، لمواطنه الشيخ حسين المرصفي ، الذي تحدثنا عنه في العدد الماضي من الأزهر .

وكم تمنّى إعادة النظر في التأريخ لأدبائنا الكبار المعاصرين حتى لا يجرفهم تيار الجحود ومروق القومية الذي تتمتع به أحوالنا الحاضرة ! التي غفلت عن أسماء بعينها ، وغفلت أيضا عن قادة لهم مكانتهم المشهودة ، خاصة وهم يحتلون الرعيل الأول في النهضة الأدبية المعاصرة .

قضى الشيخ سيد بن على المرصفى حياته في التنقيب بأمهات كتب التراث ، باحثا وناقدا ومُمحِّصا ، وأشعل فى نفوس تلاميذه حمية الاطلاع ، وحُسْن الاستعداد ، بما أفاض عليهم وقدَّم لهم من دراسات وبحوث ، حتى اقترن اسمه بـ (المبرد) ، بعد شرحه لكتابه : (الكامل) ، فى موسوعة من ثمانية أجزاء ، تحمل اسم : (رغبة الآمل من كتاب الكامل) وطبعت عام ١٩٢٧ .

وكتاب الكامل للمبرد أحد الكتب الأربعة ، التى قال عنها ابن خلدون : «سمعنا من شيوخنا ، فى مجالس التعليم ، أن أصول هذا الفن (يعنى فن الأدب) وأركانه أربعة دواوين ، هى : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى ، وماسوى هذه الأربعة ، تبع لها ، وفروع منها» .

وبرغم أن المبرد يقول فى مقدمته : «هذا الكتاب ألفناه ، جمع ضروبا من الآداب ، مابين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بارعة ، والنية أن نفسِّر كل ماوقع فى هذا الكتاب ، من كلام غريب ، أو معنى مستغلق. وأن نشرح مايعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه ، مكتفيا .. وعن أن يرجع إلى أحد فى تفسير .. مُستغنيا» ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد قام الشيخ سيد المرصفى بشرحه شرحا وافيا لأبنائه الطلاب بالأزهر «على الطريقة التى كان يدرس بها أبو عبيدة والأصمعى ، يصل فيه المرصفى ما انقطع من أسانيد الكامل ، يُعرِّف برجاله فى إيجاز ، مع ذكر طرائف عنه ، ويورد القصائد التى استشهد المبرد بأبيات منها إذا وافقت ذوقه ، يشرح غريبها ويكشف أسرارها»[1] .

لقد قرأ الشيخ سيد المرصفى (الكامل) أمام الشيخ محمد عبده ـ كما يقول فى مقدمته ـ وجعله موضوع دراسته لتلاميذه فى الأزهر ، وكان جُلّ اهتمامه «بيان ماحاد فيه المبرد عن سنن الصواب ، من خطأ فى الدراية ..» ذلك أن المبرد «كان كثيرا مايعتمد فى لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع من غير قوسه فزاغ عن القصد سهمه ، أو صعد فى الأدب مرتقى ، نزل به إلى الحضيض قدمه» .

• • •

وحينما قام الدكتور زكى مبارك ، فيما بعد ، بتحقيق الجزء الأول من كتاب الكامل سنة ١٩٣٧ ، قال فى مقدمته : «تلقينا شرح كتاب الكامل عن أستاذنا وصاحب الفضل علينا ، سيد ابن على المرصفى ، وهو أفضل رجل عرفناه فى الأزهر الشريف ، وقد سمعنا عنه شرح الكامل مرتين ، مرة فى دروسه التى واظبنا عليها سبع سنين ، ومرة عند طبع «رغبة الآمل من كتاب الكامل» وكنا نعاونه على التصحيح» إلى أن يقول : «وقد اعتمدنا على شرحه كل الاعتماد ، فليس لنا من فضل إلا اختصار مافى شرحه

(١) انظر مقال الأستاذ عبدالغنى إسماعيل عن المرصفى وكتاب الكامل بالمجلد الثامن عشر من مجلة الأزهر عام ١٩٢٧ ص١٣٧ .

المطول ، ولم يتفق لنا الابتكار ، إلا فى مواطن قليلة جدا ؛ فإن رآنا القارىء نُصحِّح بعض أغلاط الشيخ المرصفى يرحمه الله فَلْيذكر أننا لم نصل إلى مؤاخذته ، إلا بفضل ما أخذنا عنه ، من أصول اللغة والبيان » ثم يضيف « وكنت أحب أن أتحدث هنا عن الشيخ المرصفى » ولكنى فَصَّلْتُ أخباره فى الطبعة الثانية من كتاب البدائع .

وبالرجوع إلى هذه الطبعة لم أجد بين يدى جديداً لما نبغى اضافته عن نشأة الشيخ المرصفى وحياته الأولى . ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر فى إتمامه تصحيح الجزء الثانى من (الكامل) للمبرد ، إنه قد اعتمد أيضا فى التحقيق على شرح الكامل المسمى : (رغبة الآمل) للأستاذ العلامة الكبير الشيخ سيد بن على المرصفى ــ رحمه الله ــ.

●●●

وقد اقترن اسم الشيخ سيد المرصفى أيضا بديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام من مختاراته ، وقام الشيخ المرصفى بشرحه فى كتاب اختار له عنوان : « أسرار الحماسة » ، وقال فى مقدمته (ط. عام ١٩١٣) : « رأيت نفوس القـوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلمية ، والمباحث الفقهية بما عندهم من نظر فى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال .. ولو علموا ــ (هداهم الله تعالى) ــ ما علمناه من خصائص تلك اللغة الغالية فى أساليبها ، وما أودعت من لطائف الأسرار فى تراكيبها ، لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد ، واعتنقوا لغة القرآن المجيد ، والحديث الحميد » .

صفوة القول : أن الشيخ سيد بن على المرصفى يُعدُّ من الرواد الأوائل ، الذين أدخلوا فقه اللغة ، ودراسة الأدب ، إلى الدراسات الأزهرية[١] .

« فإذ امكن الأستاذ المرصفى أن يجعل مؤلفات المبرد ، وأبى على القالى ، وأبى تمام ، وابن عبد ربه .. تجد مكانها ، بين حواشى : الأسنوى والصبان والباجورى والسيوطى والعطار ، فذلك فضل كبير »[٢] .

وقد قال عنه تلميذه الدكتور طه حسين فى كتابه : « تجديد ذكرى أبى العلاء : « أستاذنا الجليل سيد ابن على المرصفى أصح من عرفتُ بمصر : فِقْهاً فى اللغة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولاسيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام . كان يدرس الأدب فى الأزهر الشريف ، وبدأت أختلف إليه ، ولم أعد السادسة عشرة فلزمته أربع سنين ، ما أذكر أنى انقطعت عن درسه ، أو تخلفت عن مجلسه ، ولم يقف الأمر بينى وبينه على مايكون بين الأستاذ والتلميذ من صلة ، بل نشأ بيننا نوع من المحبة ، يشوبها فى نفسى الإجلال والإكبار ، وفى نفسه العطف والحنان ، وتبعث كلينا على أن يتعصَّب لصاحبه ويناضل عنه ، على نحو مايكون بين الأبناء البررة ، والآباء المثقفين .

●●●

(١) انظر كتاب (المحافظة والتجديد فى النثر العربى المعاصر فى مائة عام) للأستاذ أنور الجندى ص٢٣٣ .

(٢) انظر كتاب (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين) جـ٢ ط ١٩٨٠ للدكتور محمد رجب البيومى ص٨٣ .

« سعدت بهذا الحب قديما ، وسأظل سعيدا به طول الدهر ، لأنه صادف قلبي في غضارة الطفولة ، ونضارة الصبا ، ولأنه محبُّ مصدره العلم ، لم تفسد عنصره المادة ، ولم تكدر جوهره مآثم هذه الحياة : حب الأستاذ ودَرْسه ، قد أثّرا في نفسي تأثيرا شديدا ، فصاغاها على مثاله ، وكونا لها في الأدب والنقد ، ذوقا على مثال ذوقه »[٢] .

إلا أن الدكتور طه حسين لم يستمر على ولائه لأستاذه الشيخ سيد المرصفي ، فقد هاجمه بعد ذلك ، في أيامه الأخيرة ، لأنه ـ أي المرصفي ـ كان عضوا في هيئة كبار العلماء ، التي أصدرت حكمها على كتاب طه حسين الذي يحمل عنوان : (في الشعر الجاهلي) بالإدانة ، والاستنكار ، لما جاء به . ومن تلاميذ الشيخ سيد المرصفي : الأساتذة المنفلوطي وأحمد حسن الزيات ، وعلي عبدالرازق وعبدالعزيز البشري ، ومحمود حسن زناتي ومحمود محمد شاكر ومحمد محيي الدين عبدالحميد ، وأحمد محمد شاكر ومحمد المهياوي وعبدالرحمن البرقوقي وحسن القاياتي وعلي الجارم ، وأحمد شفيع السيد وأحمد الزين ، وإبراهيم رمزي نظيم ، وإبراهيم الدباغ ، وحسن السندوبي .. وكنا نتمنى أن يقوم الأخير بالترجمة لأستاذه ، مع من ترجم له في كتابه : (أعيان البيان في القرن الثالث عشر الهجري) إلى اليوم ط ١٩١٤ م ، فقد أجهدنا أنفسنا لنعرف تاريخ أو سنة ميلاده ، إلا أننا لم نوفق إلى ذلك ،

وقد اقتصر الأستاذ سيف النصر عبدالفتاح الطلخاوي في مقاله عن الشيخ سيد المرصفي بقوله عنه أنه : وُلد في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتعلم في كتاب والده « الشيخ علي » القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وسجّل اسمه في أحد أروقة الجامع الأزهر ، بعد امتحان اجتازه بنجاح في القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وجلس إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر ، يتلقى دروس العلم المختلفة[١] .

وعلى رغم أن الشيخ سيد المرصفي انتقل إلى رحمة الله ـ تعالى ـ في السادس من مارس سنة ١٩٣١ ، فإننا نعجب لأن أحدا من تلاميذه العديدين ، لم يفكر في سؤاله عن تاريخ ميلاده : يوما وسنة ، كما أن الشيخ سيد المرصفي لم يكتب سيرة ذاتية لحياته ، واقتصر ماذكر عن مرحلة حياته الأولى ، على أنه نشأ فقيرا معدما ، ودخل الأزهر ، وحفظ المتون ، وراجع الشروح والحواشي ، وتلقى على يد الشيخ الشربيني العلم ، واتجه إلى الأدب ، فترك النصوص الأزهرية ، ونفر من دراسة الأراجيز ونسخها وشرحها[٣] .

• • •

وقد أدى الشيخ سيد المرصفي ضريبة الوطنية ، حينما انتظم في صفوف المجاهدين ، والثائرين من شباب الأزهر ـ في الثلاثينيات من عمره ـ مؤازراً للزعيم أحمد عرابي ، وأنشد

---

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢) انظر عدد مجلة الأزهر الصادرة في شوال ١٤٠٤ هـ (يوليو ١٩٨٤ م) .

(٣) راجع النثر العربي المعاصر في مائة عام للأستاذ أنور الجندي .

قصيدة له فى هذا الصدد ، يقول فيها :

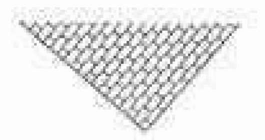
يا آل مصر تنبهو ، فمن الذى
يرضى بذلٍّ فى الخليفة أنكدِ
ياآل مصر علمتوا ما حلّ فى
هند وتونس من بلاء سرمدِ

وقد تم اعتقال الشيخ سيد المرصفى ، فيمن اعتقلوا ، بعد هزيمة الثورة العرابية .

ولاشك أن الأثر الحميد أو المأثرة الكبرى للشيخ سيد المرصفى ، تكمن - كما يقول الدكتور زكى مبارك - فى أنه كان «أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسى الأدب بالأزهر الشريف ، وكان أول رجل جعل للأديب ، مكانة بين جماعة كبار العلماء ، فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال»[١] .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه كتب الأدب - لعهد المرصفى أول هذا القرن - مجفوّة مهملة ، كما يقول الأستاذ الدكتور رجب البيومى وكان أكثرها مخطوطا منسيا ، لايجد النور فيقع بأيدى الناس . وبعض المطبوع منها - على قلته - ردىء الطبع سىء التحريف كثير التصحيف ، فعمد المرصفى إلى أكثرها صعوبة ، وأوعرها مركبا ، فأخذ نفسه بدراستها دراسة نافذة فاحصة فكان الكامل بين يديه يوم قصائده ، ويشرح غريبه ، ويعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ماتركه المبرد دون إيضاح .. وكانت أمالى أبى على القالى كذلك ، موضع اجتهاده ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث فى المخطوطات المتآكلة ، عما غاب من القصائد ، فيكمل مانقص ، وقل مثل ذلك فى حماسة أبى تمام ، وعقد ابن عبدربه ، وأراجيز رؤبة والعجاج ، مما ترك أكثره مخطوطا فى ظلمات النسيان ! حتى جعل للأدب فى الأزهر ركنا متين الدعائم[٢] .

وهكذا نجد الشيخ سيد المرصفى ينبرى - وهو مزود بعلم غزير ، واطلاع واسع عميق ، وذوق أدبى رفيع - لمناقشة آثار أقطاب وفحول العربية القدماء ، مناقشة الند للند ، فأجاد وأفاد ، بنظرة جديدة متطوّرة ، بعد الغبار والركام اللذين رانا على هذه الآثار ، خلال قرون التخلف فى العصر العثمانى فى مصر .. فاستخلص الذهب من تبره ، والألماس من منجمه .. ولولا الجهد الذى بذله فى تعبيد الطريق أمام تلاميذه ، لما استطاعوا أن يعبروه ويركضوا فيه ، ويشيدو البناء الشامخ الراسخ ، الذى أقاموه - بفضله - من بعده .



(١) انظر عدد مجلة الرسالة رقم ٢٩٨ .

(٢) انظر كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومى جـ٢ ص٨١ .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

ذكرى الرسول ﷺ

الأستاذ كامل أمين محمد(*)

ريح الحجاز هززت الطلح والبانا ... ونبه الشوق قلبا كان نعسانا
فحنت عيني وعيس الحي نازحة ... والقلب يركض خلف الظعن ولهانا
لم يبق لى غير دمع فر من مقل ... لو كان يمشى إليهم سال غدرانا
لظبية دارها كانت بذى سلم ... ياليتها تركت للحى عنوانا
أصمت فؤادى بأجفان لو انكسرت ... على الصفا رق حتى صار إنسانا

لما ذكرت رسول الله همت به ... وزادنى عشقه بالله إيمانا
وقلت للنفس تصحو من سلافتها ... لن أترك الراح بعد اليوم ظمآنا
كأس من الحب فى الهادى وعشقته ... تنسى الفؤاد الهوى فى الغيد نسيانا
ياقوم إنى بوعيى شاعر بأبى الزهراء مابالنى مازلت نشوانا
والنور بالنور أولى أينما كانا ... والحق بالحق لايحتاج برهانا
كأن غار حراء وهو يعبد فيه ... الله أصبح روضا فى حنايانا
سلنى عن العشق وانظر ما أكابده ولاتسل بعدما كابدت هيمانا
الراح من حبه بالله تسكرنى ... وجدا وإن كان مثلى لم ير الحانا

قالوا النبيل خمر قلت لا أبدا ... بل النبيل ذكرى المصطفى الآنا
لا راح تسكرنى بل فيض أهيم به ... والنور يبهر فيه العين أحيانا
من حدقت عينه فى الشمس لم يرها ... إلا ضبابا وغض الطرف حيرانا
ذوقى ونور هدى المختار يغمرنى ... أغيب آنا وأصحو بينه آنا
فما الصبابة شعر بل مكابدة ... والنبض ما كان أبياتا وأوزانا

ياسيدى يارسول الله معذرة ... إن قلت شعرا فكم رتلت قرآنا
عذرى لديك كيان العبد فى ملأ ... يلقاك جبريل فيه ليس يلقانا
شتان بين عباد يسمعون له ... وبين من جاهر بالتنزيل شنآنا
هذا إلى الله عن جبريل متصل ... وذاك يرهف للتنزيل آذانا

(*) كامل أمين محمد عضو اتحاد الكتاب صاحب ملحمة السماوات السبع وملحمة القادسية وعضو لجنة النصوص بالإذاعة .

فى رحاب النور

للأستاذ/ رشاد محمد يوسف

اشرب من النور وامسح كل ظمآن ... هذا الرحيق سماوى وربانى
اشرب من النور حتى ترتوى ألقا ... وتستحيل بفضل الله نورانى
طف بالعطاشى وصب الكأس صافية ... من منبع زاخر بالفضل ريان
طف بالحيارى ورتل فى مسامعهم ... لحن الأمان لقلب خائف عانى
ياساق الود مازالت منابعنا ... تفيض بالود من روح وريحان
عهد النبوة مازالت ذخائره ... مضيئة فى حنايا كل إنسان
مازال صوت رسول الله ينفحنا ... بأطيب القول فى بر وإحسان
وكم نداء لنا لافضل بينكم ... إلا لقلب بتقوى الله ملآن
وكم نداء لنا كونوا سواسية ... وعطروا الكون من علم وعرفان
وكم نداء لنا لو أن فاطمة ... تجاوزتْ لأقمتُ الحد بالجانى
وكم نداء لنا هبوا ولا تهنوا ... لا تركنوا لضلال أو لطغيان
وكم نداء صِلُوا فالوصل مرحمة ... وجاركم فى حماكم آمن هانى
تراحموا ترحموا كل وما كسبت ... يمينه فى سجل عند رحمن
محمدى أنا يزهو بنسبته ... إلى نبى رفيع القدر والشان
محمدى أنا تحتز قافيتى ... بأحرف الاسم فى حب وتحنان
محمدى أنا والكون يعرفنى ... مذ أشرق الغار من آيات قرآن
أقفو خطاه واستهدى بسنته ... وأعزف اللحن من أوتار حسان

ياسيدى المصطفى والقلب فى كمد ... يسوء بالعيش فى هم وأشجان
تهنا وكم ضاع منا فى متاهتنا ... وكم تبدد من مجد وسلطان
نشتاق أيامك الخضراء تسعدنا ... نهفو إلى النبع من آن إلى آن
نسقى الرضاب به عزما وتبصرة ... ونجمع الشمل فى صدق وإيمان
يابارك الله فى يوم ولدت به ... وبارك الله فى قومى وإخوانى



لفضيلة الشاعر/ سيف النصر عبد العزيز المجلى

قل للرسول تحيةً وسلاما ... ممن بحبك هام حتى هاما

من والــه بك ما تعلق قلبه ... بسواك فى هذا الوجود غراما

بك قد تسامى حبه وشعوره ... فسما وكم بك مثله يتسامى

وأكاد ما لم تلق نفسى حظها ... من فيض عطفك أن أصير رماما

فأنل فؤادى رؤية لك مرةً ... نحيا بها نفسى مُنى وذماما

أمل أؤمله فإن أنا نلته ... أدركت أحلى ما أودُّ مراما

ياسيدى .. ياخير من وطىء الثرى ... ياخير من عرف الوجود مراما

يامصطفى ـ يا أحمد ـ ومحمدا ... يامن كشفت غياهبا وظلاما

يامن ـ بُعثت لكل حيرانٍ هدى ... يهدى النهى وينوِّر الأفهاما

قد جئت بالدين الحنيف شريعة ... وضاءة فى نورها تتسامى

أنت الرسول ختمت كل رسالة ... فأتيتها للأنبياء إماما

وأزلت عن هذا الوجود دياجراً ... كم أسدلت فوق العقول قتاما

النور نورك مشرق طول المدى ... ومحقق ـ للمهتدين ـ مراما

يامن يعمُّ ضياؤه هذا الورى ... منى ـ إليك ـ تحية وسلاما

بين يدي رسول الله ﷺ

شعر/ عبد الحميد عبد المنعم فارس

يا سيدي أنا قادمٌ — والوجد راحلتي وركبي

فلقد دعوت فجئت ملـ — ـهوفاً على عجل ألبي

وقد انقطعتُ عن الديا — ر تركتُ أكبادي وصحبي

وقد انسلختُ عن الوجو — د سوى وجودك ذاك حسبي

الدفء يهمي في الطريق — فأينعت أزهار دربي

وروى فؤادي جدولاً — فاخضرَّ منه كل جنب

والطير فيه غرَّدت — لحناً من الجنات يسبي

وتنقلت بين الريا — ض تطلُّعاً في كلِّ رحب

فغدا يهيم مع الهوى — فيمن حباه الله ربي

يا سيدي أنا من يذوب — الآن في نورٍ وحبْ

قولي أحبك يا حبيـ — ـبي لا توافي ما بقلبي

فالحبُّ إن صح هوى — ذاب المُحِبُّ مع المُحَبْ

وأنا انتهيت إلى الحبيب — وذاك ما أبغيه كسبي

فى بلاط سيف الدولة الحمدانى

شعر / أسامة كامل الخربى

وَقَفْتُ عِنْد بلاطِ الشعرِ أنْتَحِبُ ... والحزنُ يخنقنى والدَّمعُ مُنسكِبُ
ياسيدى .. ما أنا بالشعرِ مُرتزِقٌ ... وما بغرضِ الفراق يُخضبُ الذَّهبُ
ما جئت أرثى لأختٍ قد رُزِئْتُ بها ... ولا لأمٍ طوى أيامها القطبُ
إلى أتيتُ لأرثى أمةً هبطتْ ... عن المعالى وداست مجدها النُّوبُ
كانت هنالك فوق الشمس عاليةً ... واليوم تضحك من مأساتها الحُقُبُ
كانت تقود زمام الأرض عادلةً ... واليوم يُنْعِين لى إذلالها ذَنَبُ
قد امتطيت خيالى بعد أن عجزت ... عنك المطايا وحالت دونها الحُجُبُ
ما كنت أعلم أنَّ الناس فى وطنى ... مُقيَّدون متى أو أينما ذهبوا
هذى هى الشام إنى قد نزلْتُ بها ... وعند بابك كم تُستعذبُ الخُطبُ
وكم تألق أفذاذٌ هنا شعروا ... حتى نما الشعر وازدانت به الشُّهُبُ
لكنما الشعر فى أوطاننا مِزَقٌ ... من التخاريف لا وزنٌ ولا أدبُ

***

الحال عندك ما زالت كحاضرنا ... ووحدة العُربِ مازالت هى الطلبُ
مازال كل مليكٍ فى دُوَيلته ... يأبى التمام والبغضاء تلتهبُ
كلٌّ يفكر فى غدرٍ بإخوته ... ويستعين بأعداء بهم شغبُ
والفُرْسُ تزحفُ والرومان قادمةٌ ... حتى القرامطة الفجَّار قد وثبوا
نفسُ التواريخ والأحداثُ عائدةٌ ... نفسُ النهاية للأيام تُرتقبُ
لا ينصر الله أشتاتاً مبعثرة ... وللهزيمة فيما بيننا سببُ

***

يا من فجرت حروباً كلها غضبٌ ... على الفضيلة ما فى أرضنا غضبُ
الخير سال بأرضٍ كنت تزرعها ... خيلاً ويأتى على أكتافك الغلبُ
وكنت تفتحُ بابَ النصر مقتدراً ... فينتشى خلفكَ الإسلامُ والعربُ
لو كنت تعلم أنَّا سوف نسكبها ... وسوف يرقى على أعناقنا لُعَبُ
وسوف نُسْلِمُ أرضَ القدس عاريةً ... إلى العدو وتجرى عنده الرُّكبُ
وسوف تزهق هذا الخير فى سَفَهٍ ... وسوف يعجب من أفعالنا العَجَبُ
لما ارتضيت بدفنى فى مهازلنا ... ولانتفضت وثارت فى الدُّنا خَلَبُ

نداء الزيتون

للشاعرة/جليلة رضا

ألا أيها اللاجئون الحيارى ... ومن شردوا في زوايا الطرق
أصيخوا، فإن النجوم العذارى ... تهدهد يلماً وشكاً .. قلق
أصيخوا إلى الجبل المشرئبّ ... يحدّق فيكم وراء الأفق
لزيتونكم، لشذا البرتقال ... إلى الحمل الأخضر المؤتلق
أصيخوا، فإنّ الهواء السجين ... يودّ - من الأسر - أن ينطلق
وفي كلّ ركن نداء حزين ... من البلد الكوكبي الألق
يقول: تعالوا تعالوا إليّ ... أكاد من الشوق أن أحترق

• • •

تعالوا إليّ أخبّئ قلبي ... رجالي، نسائي، كنوزي الخبيه
سألم منكم جراح السنين ... وأزجي إليكم وهاداً خصيبه
وأنسى بكم ذكريات الشقاء ... فإنّي من بعدكم كالغريبه
لعنتُ لعنت، إذا لم أجد ... لصرخة روحي.. قلوباً مجيبه

اللاجئ:

حنانك يا أمّ هذا النداء ... يحزّ بأضلعنا كالنصال
أنساك؟ واهاً.. أتنسى الحياة ... محال، وإن زفّ ألف محال
غداً - لا غداً في قلوب التمنّي - ... ولكن غداً.. في أكفّ الرجال
غداً - لا غداً في نشيد المغنّي - ... ولكن على ساحة للنضال
ستقضي الشتات، وتطوى السجلّ ... فإمّا حياة، وإمّا زوال
فيا أمّ لا تعجبي إننا ... مع الفجر سوف نشدّ الرحال
ومُدّي ذراعيك عبر الحدود ... وضمّي فتاك.. وقولي: تعال





بقلم الفريق / يحيى عبدالله المعلمي

من أفاضل الشعراء الذى نظموا فى الغزل بدون تحرج ، وهم على قدر كبير من الفضل والعلم والشرف الشاعر الكبير ، أبوالحسن محمد بن الحسين المعروف باسم : الشريف الرضى ، الذى ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وقد كان معروفا بالعلم والورع والتقوى إلى جانب شهرته شاعرا كبيرا ومفسرا وفقيها وكاتبا بليغا .

ومن شعره الغزلى هذه المقطوعة الجميلة التى حفظناها على مقاعد الدراسة :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمعى الباكى

هبت لنا من رياح الغور رائحة ... بعد الرقاد عرفناها برياك

سهم أصاب وراميه بذى سلم ... من بالعراق ، لقد أبعدت مرماك

أنت النعيم لقلبى والعذاب له ... فما أمرك فى قلبى وأحلاك

وله أشعار غزلية منها ما هو غاية فى الرقة والعذوبة ودفق العاطفة ، ومنها ما يثير الأشجان ويحرك كوامن المواجع ، ويحمل العيون على ذرف دموعها .

انظر إلى هذه الصورة الشجية من شعره الباكى :

قال لى صاحبى غداة التقينا تتشاكى حر القلوب الظماء :
كنت خبرتنى بأنك فى الوجد عقيدى وأن داءك دائى
ما ترى السفر والتحمل للبين فماذا انتظارنا للبكاء
لم يقلها حتى انثنيت لما بى أتلقى دمعى بفضل ردائى

ويتميز شعر الشريف الرضى بالجزالة فى اللفظ والقوة فى المعنى والروعة فى التصوير ، فهو يكاد يرسم لك لوحة تراها بعينيك عندما تسمع شعره ، فكأنك ترى الصورة ماثلة بين يديك .

وقد رأيت الصورة التى عبر عنها البيت الأخير من الأبيات السابقة .

لم يقلها حتى انثنيت لما بى أتلقى دمعى بفضل ردائى

فكأنك ترى الشريف الرضى أمام عينيك تنسكب دموعه غزيرة من عينيه فيتلقاها بردائه .

حتى عندما يتبع طريق القدامى من الشعراء الجاهليين فى الوقوف على الأطلال والديار ؛ فإنه لا يكتفى بمجرد التعبير التقليدى ، وإنما يرسم لوحة معبرة متحركة يكاد من يقرأ الشعر ، أو يسمعه يراها أمام ناظريه .

استمع إليه يقول :

ولقد مررت على ديارهم وطلولها يد البلى نهبُ
فوقفت حتى ضج من لغب نضوى ، ولج بعذلى الصحبُ
وتلفتت عينى فمذ بعدت عنى الديار تلفت القلبُ

إن البلى يبدو فى صورة شخص عات عابث ينهب الطلول ويخربها ويجردها من حسنها وجمالها فتغدو خاوية ، والشاعر يقف يتأمل الطلول وما يفعل بها البلى ، وحصانه يشكى من التعب ، ورفاقه حوله يضجون ويطلبون منه أن يسير معهم ، فيسير معهم وهو يلتفت إلى الوراء ، ويظل نظره معلقا بالطلول لا يفارقها ، حتى إذا بعدت عنه ولم يعد يراها بعينيه التفت إليها قلبه وظل يرنو إليها .

لقد صور القلب وكأنه محب مفارق ينظر إلى ديار أحبابه .

ومن الشعراء العلماء شيخ الحجاز وعالمه : « الشيخ العلامة محب الدين أبو جعفر حمد بن عبدالله بن حمد بن أبي بكر الطبري ، المكي الشافعي من علماء الشافعية وأتقيائهم ».

من شعره :

ما لطـــرف عن الجمـــال براح ولقلبـــي به غـــدو ورواح

كل معنـــى يلـــوح في كل حسن لي إليـــه تقـــلب وارتيـــاح

إلى أن يقول :

فبهمْ يعشق الجمـــال ويُهـــوى بوثـــوق الحمـــى ويُهـــوى الملاحُ

وبهم يعـــذبُ الغـــرام ويحلـــو ويطـــيب الثنـــاء والأمـــداح

لا تلـم يا خلـيُّ قلبـيَّ فيـــم ما على من هـــوى الملاح جُنـــاحُ

ويح قلبـــي وويح طرف إلى كم يكتم الحب والهـــوى فضّـــاحُ

صاح عـرّج على المضيق وسَلْـع وقبـــاب فيها الوجـــوه الصبـــاحُ

وفي هذه الأبيات من نسمات الحجاز وملامحه ما لا يخفى على القارىء الفطن .. وحسبنا أن نشير إلى بعض الكلمات والتعبيرات الحجازية ، فكلمة (براح) كلمة حجازية ما تزال مستعملة حتى الآن كجملة (الهوى فضاح) .

ومن العلماء الشعراء : « فخر الدين الشيباني » عالم فاضل من علماء القرن الهجري السادس :

من شـــعره :

كن كيـف شئت فإننـي بك مغـــرم راض بما فعـــل الهـــوى المتحكـــم

ولئن كتمت عن الوشـــاة صبابتـي بك فالجـــوانح بالهـــوى تتكلـــم

أشـتـاق من أهـــوى وأعلـــم أننـي أشتـــاق من هـــو في الفـــؤاد مخيم

يا من يصـــد عن المحـــب تدللـــا وإذا بكى وجـــدا ، غـــدا يتبســـم

أسكنتك القـلب الـذي أحرقتـه فحـــذار من نـــار به تتضـــرم

والبيت الأخير يذكرني ببيتين لا أذكر قائلهما وهما :

يا محرقا بالنـــار جســـم محبـــه مهـــلا فإن مدامعـــي (تطفيـــه)

أحـــرق بها جســـدي وكل جوارحـــي واحـــذر على قلبـــي فإنك فيـــه

ولعل من الأفضل أن نختم هذا الحديث الملتهب حتى لا تلسعنا نيرانه !!


العلوم الكونية

فريضة العلم الغائبة في العالم الإسلامي المعاصر

أ.د. أحمد فؤاد باشا

العلم النافع ومكانته في الإسلام :

إن « المعرفة العلمية » التي يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح ، ويزيد من صلته بخالقه ، ويمكنه من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى في ذلك أن يكون « موضوع » العلم دينياً أو دنيوياً ، ما دام القصد من البحث فيه هو صالح الإسلام الذي جاء أساساً لترقية الحياة وهداية الإنسان في كل زمان ومكان . فقد افتتح الله الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة التي تذكر القراءة والكتابة والقلم ، والتي تجعل من العلم على إطلاقه أساساً لقيام الإسلام وانتشاره ، دون تفريق بين مصدرىْ الآيات الإلهية في القرآن والكون . قال تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

سورة العلق

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى :

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾

سورة القلم

وفي هذه المرة الثانية من الوحي بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم وما يسطر به ، فكان أول قسم إلهي في القرآن الكريم .

أما اسم كتاب الإسلام الخالد فإنه « القرآن » . يقول الراغب الأصفهاني : « قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لا لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾
(سورة النحل : ٨٩).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم بتسميته ، وبأول ما نزل من آياته ، وبأول قسم فيه ، يوجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيحائي إلى الاتجاه نحو المعرفة العلمية : قراءة وبحثاً وتعليماً وتدويناً(١) .

كذلك ورد تحديد « العلم » النافع في دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع » (رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي) . ومقياس النفع هنا في التصور الإسلامي ليس ذلك المعيار الفردي « الذرائعي » الذي تقول به الفلسفة « البراجماتية » السائدة لدى الغرب ، وإنما هو صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الدين .

البحث العلمي والتقني فريضة إسلامية :

الواقع أن العلوم الدينية ، المعنية بأمور العقيدة والأخلاق والتشريع ، تأتي في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين ، ومعرفة الإنسان بالله عن طريق رسله هي أسمى معرفة لأنها تحيي الضمائر وتغرس الفضائل وتوفر الأمن والأمان على الدماء والأموال والأعراض . لكن القرآن الكريم بيّن لنا أن الكون كله كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى ، وأوضح لنا أن التفكر في الظواهر الكونية ، والتعرف على نواميسها الإلهية يؤدي إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الخشية منه . قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ صدق الله العظيم

لقد دفع القرآن الكريم المسلمين دفعاً إلى مختلف مجالات المعرفة في الكون ، وحثهم تسخير العلم الذي يحصلونه في ترقية حياتهم على الأرض ، والإفادة منه في تعميق إيمانهم بالخالق الواحد جل وعلا ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
(سورة فصلت : ٥٣)

وما من شك في أن هذه الآيات الكونية هي ما يتواصل إليه الباحثون من علم تقنيه بعد مشوار

(١) الإمام عبدالحليم محمود ، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

طويل من الملاحظة والتجريب والاستدلال . وبمقدار تعمق الإنسان فى العلوم الكونية على أساس من الإيمان تكون خشيته لله ، ذلك أنه يرى من نواميس الله فى الكون ، ومن الاتقان فى الخلق ، ومن الدقة فى الصنع ، ومن الحكمة فى التدبير ما يجعله يسجد لمبدع الكون ومنسقه . قال تعالى :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾

سورة الملك

ويصعب فى هذا الحيز استقصاء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث على طلب العلم والبحث العلمى والتقنى بأسلوب منهجى سليم ، ويكفى أن الحث المتكرر على طلب العلم قد جعل منه فرضاً لازماً على أمة الإسلام . فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢] . وإذا كان العلماء يصنفون العلوم الكونية ضمن الفروض الكفائية التى يحتاجها المسلمون ، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم ، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة ، والتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع ، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم ، وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

وهكذا نجد أن الواجبات الكفائية ، ومن بينها تحصيل العلوم الكونية وتقنياتها ، تتطلب من الدولة أن توفر المؤهلين الأكفاء للنهوض بهذه الواجبات كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة . وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يُختار العدد المناسب من أهل الاختصاص ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه[٣] ، وإذا لم يوجد من يقوم به على النحو المطلوب ، فإن التبعة عامة والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة ، وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة إيما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة .

ازدهار العلم فى عصر الحضارة الإسلامية :

فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بطلب العلم النافع وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض

---

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب . راجع : فضل العلم وآداب طلبه وطرق تحصيله وجمعه ، بقلم أبى عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان ، دار العلوم الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣) محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣م .

سعياً إلى الهداية واليقين . واندفع علماء الحضارة الإسلامية إلى أداء فريضة البحث العلمي كأحسن ما يكون الأداء ، وأخذوا بمنهج النظر العميق فى مختلف مجالات العلوم ، وقدموا للحضارة الحديثة رصيداً هائلاً من كتب وأبحاث واكتشافات وتقنيات ، لولاها لما وصل الإنسان إلى حضارة التقنية المعاصرة ، أو لتأخر سير المدنية عدة قرون . وسطعت فى سماء تاريخ العلوم أسماء علماء أفذاذ أمثال الكندى والبيرونى والهمدانى والخوارزمى والرازى وابن سينا وابن الهيثم وابن رشد وابن خلدون وغيرهم[٤] .

التخلف العلمى للأمة الإسلامية المعاصرة :

إن نظرة سريعة لواقع الأمة الإسلامية توضح أن جهداً ملحوظاً يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره ، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا ـ مع الواقع الملموس ـ أن هذا التطور الكمى لا يواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من عثرتها ، وتعزى الدراسات العالمية المقارنة مثل هذا العجز الذى يصيب نظم التعليم إلى أن كثيراً من الدول النامية قد غدت معرضاً عالمياً كبيراً لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعى المتقدم ، وأنها تحاول تطبيقها كما هى ، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية ، وهذا يعنى أن النظرية الإسلامية التى يجب الأخذ بها فى المجتمعات الإسلامية تكاد تكون غائبة منهجاً وتطبيقاً فيما يتعلق بإعداد الكفاءات العلمية المؤهلة لإنقاذ الأمة من مستنقع التخلف العلمى والتقنى الذى تسربلت فيه زمناً طويلاً .

وربما يكون هناك من يقول : إن الأمة الإسلامية غنية بثرواتها الطبيعية والبشرية التى تمكنها من تحقيق نهضة علمية كبيرة ، وهذا صحيح فى واقع الأمر ، فالأمة الإسلامية تمثل رُبع سكان العالم تقريباً ، وتشغل أكثر من رُبع مساحة اليابسة فى موقع متوسط من العالم يمتاز بسهولة الاتصال وتعدد الثروات وتكامل التضاريس والمناخ وتنوع مصادر المياه ، ويطل على مسطحات مائية عديدة ، كذلك يمتلك العالم الإسلامى حوالى ٧٥٪ من احتياطى النفط العالمى ، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطى الغاز الطبيعى ، بالإضافة إلى حوالى ٪ من احتياطى الفحم ونسب متفاوتة من المواد المشعة ومعادن القصدير والكروم والمنجنيز والرصاص والزنك والحديد والنحاس والألومنيوم والكوبالت والنيكل والذهب والفضة وأملاح الفوسفات والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم وغيرها .

وفى الوقت الذى تعانى فيه البشرية الآن من مشكلات التلوث البيئى ونضوب مصادر الطاقة واستنزاف الموارد الطبيعية ، نجد أن الأمة الإسلامية قد حباها الله شمساً ساطعة خلال أغلب أيام السنة ، وهى مصدر هام من مصادر الطاقة النظيفة ، بالإضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهوائية والهيدروجينية وغيرها .

(٤) د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤م .

من ناحية أخرى ، تضم الأمة الإسلامية آلاف العلماء الأكاديميين وملايين المهنيين من المهندسين والأطباء والعلميين والفنيين ، وهذا على الرغم من تفشى الأمية فى قطاعات مختلفة من المجتمع الإسلامـــى . أضف إلى ذلك آلاف المتعلمين والباحثين من الأجيال التى تتخرج من أكثر من ٢٣٠ جامعـــة و ٣٣٥ معهـــداً متخصصاً ، وتسعمائة مركز وأكاديمية للبحوث العلمية والتقنية موزعة فى مختلف دول العالم الإسلامى .

لكن هذه المقومات المادية لا تكفى وحدها لأداء فريضة البحث العلمى على النحو الذى يحقق التقدم ، ولا يمكن أن تؤتى ثمارها فى التنمية والتطوير دون بعث المقومات المعنوية والروحية . ذلك أن اجتياز حالة التخلف العلمى والتقنى يجب أن يصبح هدفاً عزيزاً على الأمة بأكملها ، ولا يمكن أن يتحقق هذا الهدف إلا إذا آمنت الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم فى صنع التقدم ودعت إلى الأخذ به بنية ومنهجاً وأسلوب حياة ، انطلاقاً من تعاليم الإسلام الحنيف الذى حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد ، وجعله فريضة على كل مسلم .

ومن الطبيعى أن يبدأ الإصلاح بنظام التعليم ومناهجه ، بحيث يكون إزكاء الطموح الدينى والقومى ومحو الأمية العلمية وإعداد كوادر الباحثين فى مقدمة العوامل التى تلهب حماس المتعلمين وتكسبهم تأهيلاً علمياً قوى الأساس فى ممارسة العلوم البحتة والتطبيقية . هذا ما حدث مثلاً فى اليابان عندما أقسم امبراطورها إبان الثورة أن يكون هدف عهده تحصيل المعرفة حيثما وجدت فى أى مكان من الأرض فى سبيل رفعة اليابان .

وهذا ، أو شيء قريب منه ، هو ما حدث منذ عهد قريب فى إسرائيل عندما نبّه المجلس الوطنى للبحث والتطوير إلى أن الدولة ستحتاج فى عام ١٩٩٥م إلى ٨٦٠٠٠ من الكوادر التى تعدها الجامعات فى مجال البحث والتطوير بالمقارنة مع ٣٤٨٠٠ فى عام ١٩٧٤م ، أى بزيادة قدرها ٥٠٪ ، وهو ما يقارب العدد الموجود فى الدول الإسلامية مجتمعة .

مقومات لا بد منها :

لا شك أن غياب التنسيق العلمى بين مختلف المؤسسات العاملة فى ميدان البحث العلمى والمتصلة به يأتى فى مقدمة المعوقات التى تحول دون نهضة علمية إسلامية متكاملة ، ويمكن التغلب على هذه العقبة بإنشاء « اتحاد علمى إسلامى » يضع السياسات العلمية والتقنية الدقيقة والمستقرة من واقع الإمكانات المتاحة للأمة الإسلامية ، ويعمل على تحقيق التكامل بين البرامج العلمية الإقليمية ، ويقضى على « العزلة » القائمة حالياً بين العلم الإسلامى والعلم العالمى ، ويسهل متابعة كل ما يستحدث فى مجال إنتاج المعرفة . وهذا يتطلب بطبيعة الحال رعاية مالية سخية من القادرين ، دولاً وأفراداً ومؤسسات ، خاصة وأن العلم فى عصرنا أصبح صناعة ثقيلة ومكلّفة .

وقبل هذا كله ، لا بد من توافر الإرادة القوية لدى أبناء الإسلام لتغيير واقعهم المرير واستيفاء أركان فريضة العلم الغائبة والجهاد من أجلها ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد : ١١)





للدكتورة/ جيهان أحمد مصطفى (*)



تطرقنا في المقال السابق ، إلى الحديث عن « الحمى الروماتيزمية » فتحدثنا عن ماهية المرض ، وكيفية حدوثه ، ونستأنف الحديث - في هذا العدد - عن أعراض المرض ووسائل تشخيصه .

أعراض الحمى الروماتيزمية :

تختلف أعراض هذا المرض وشدته من مريض لآخر ، وبالدراسة المتواصلة لأعراض هذا المرض تم تقسيمها إلى : « أعراض إكلينيكية - عظمى » ، وأخرى صغرى ، وهما :

أولا : الأعراض الإكلينيكية العظمى ، وتشمل خمسة أعراض :

١- الالتهاب المفصلي المتعدد POLYARTHCITIS :

يحدث الالتهاب المفصلي المتعدد في حوالي ٧٠٪ من المرضى ، وبالرغم من كونه أكثر الأعراض حدوثا فهو ، يُعد أقلها خصوصية في تشخيص المرض وتختلف شدة الإصابة من مريض لآخر ، ويُصاب المفصل بتورم وسخونة ، واحمرار ، مع ألم شديد يعوق القدرة على تحريك المفصل ، ويصيب هذا المرض عادة المفاصل الكبيرة ، خاصة مفصل الركبة ، والكاحل ولكن قد يصيب - أيضا - مفصل الرسغ والكوع ، وفي القليل من الأحيان ، يصيب مفصل الحوض ، ومفاصل اليد والقدم ، وتصاب المفاصل بشكل متنقل (MIGRATORY FASHION) بمعنى أن يصيب المفصل ، وبعد أن يبرأ هذا المفصل ، فإنه ينتقل لمفصل آخر ، ولكي يُعد الالتهاب المفصلي عرضا ، للمرض لابد أن يصيب على الأقل مفصلين .

ومن حسن الحظ أن إصابة المفصل مؤقتة ، حيث إنه لا يؤدي إلى تشوهات بالمفصل ، ويصبح سليما بعد عدة أيام .

٢ - التهاب القلب CARDITIS :

يحدث التهاب القلب في حوالي ٪ من

(*) ماجستير في طب الأطفال .

المرضى ، ويعد أخطر عرض ، إذ إنه قد يؤدى إلى الوفاة فى الحالات الحادة ، ويعتبر أكثر الأعراض خصوصية فى تشخيص المرض .

وفى بعض الأحيان يسبق التهاب المفاصل بأسبوع أو بأسبوعين ، وتوجد علاقة عكسية بين شدة الالتهاب المفصلى وشدة التهاب القلب ، ويظهر التهاب القلب أولا فى صورة « لغط بالقلب » بسبب الصمام الميترالى أو الأورطى أو الاثنين معا وقد لا يسبب التهاب القلب أعراضاً ، وفى هذه الحالة قد لا يتم تشخيص المرض غالبا وقد يكتشف المرض ، ويتضح الصدفة بعد فترة من الزمن عند الفحص الإكلينيكى للقلب ، وقد يؤدى إلى أعراض تتمثل فى : صعوبة التنفس ، وخفقان فى القلب PALPITATION نتيجة لزيادة سرعة نبضات القلب TACHY CARDIA ، ألم بالصدر نتيجة لالتهاب غشاء القلب PERICARDITIS ، وفى الحالات الشديدة قد تؤدى إلى هبوط فى القلب HEART FAILURE

٣ - الرقاص أو الكوريا (الاضطراب العصبى) : SYDENHAM'S CHOREA

وهو يحدث فى ١٥٪ من المرضى ، نتيجة إصابة الجهاز العصبى المركزى ، خاصة العقد القاعدية BASAL GANGLIA حيث يقع من المريض حركات لا إرادية INVOLUNTARY MOVEMENTS غير هادفة ، تصيب كل عضلات الجسد ، خاصة عضلات الوجه ، والأطراف ، حيث يصبح المريض متململا عابسا باستمرار ، وتحدث هذه الحركات اللاإرادية عندما يكون المريض مستيقظا ، خاصة عند حدوث ضغط نفسى ، وتختفى أثناء النوم ، وعندما يقوم الطفل بعمل حركات إرادية ، ويصبح المريض أيضا متوترا سريع الانفعال ، سريع البكاء .

ويحدث نقص فى التوتر العضلى HYPOTONIA ، وفى الحالات الشديدة ، يؤدى إلى عدم القدرة على الحركة .

ويصعب على المريض القيام بالأعمال الدقيقة ، مثل الكتابة ، فك الزراير ثم إعادتها للعراوى ، ويلاحظ المعلم قلة مقدرة الطفل على التركيز .

ولحسن الحظ ، إن الطفل يشفى تماما فى معظم الأحيان ، حتى بدون علاج ، فى خلال أسبوع أو أسبوعين وقد يستمر فى بعض الحالات الشديدة ، لمدة ثلاثة شهور ، ونادرا ما قد تستمر لمدة سنتين .

٤ - عقد صغيرة : تحت الجلد : SUBCUTANEOUS NODULES

وهى عقد صغيرة صلبة ، غالبا ما توجد فوق النتوءات العظمية فى الغشاء الوترى ، وعلى ظهر القدم واليد ، فى نسبة قليلة من المرضى ، ووجودها يرتبط دائما ، بحدوث التهاب القلب .

٥ - الحمامى الهامشى ERYTHEMA MARGINATUM

يعنى هذا حدوث احمرار فى الجلد ذى حافة محددة ، ومركز أبيض يتغير شكله باستمرار ، فوق الجذع أو الأطراف ، فى نسبة قليلة من المرضى ، وقد يستمر بعد اختفاء الأعراض الأخرى .

ثانيا : الأعراض الصغرى ـ وهى تفتقر إلى الخصوصية فى تشخيص المرض ـ وتشمل :

(ا) الأعراض الإكلينيكية :

١ ـ ارتفاع فى درجة الحرارة FEVER :

ويحدث فقط فى المرحلة المبكرة من المرض ، وهو لا يخضع لنموذج خاص وتتراوح درجة حرارة المريض مابين ٣٨,٥°م و ٤٠°م .

والجدير بالذكر أن ارتفاع درجة الحرارة لا يحدث لمرضى « الكوريا » .

٢ ـ ألم بالمفاصل ARTHRALGIA :

وهو مجرد ألم فقط غير مصحوب بتغيرات باثولوجية أو عضوية بالمفصل ، وهو يحدث غالبا فى المفاصل الكبيرة ، وفى بعض الأحيان يكون الألم شديدا ، بحيث إنه يعوق المريض عن الحركة .

٣ ـ أعراض أخرى نادرة الحدوث :

مثل نزيف الأنف ، وألم بالبطن ، وألم بالصدر ، وهذه الأعراض قد تصاحب المرض ، ولكنها لا تعتبر من الأعراض التى تُشخّص المرض .

(ب) معملياً :

١ ـ ارتفاع سرعة الترسيب ERYTHROCYTE SEDIMENTATION RATE (ESR) .

٢ ـ ارتفاع نسبة البروتين التفاعلى « س » ـ C REACTIVE PROTEIN (CRP) من مصل المرضى .

ويحدث هذا فى معظم الأحيان عندما يكون المريض لم يعالج بـ « الكورتيزون » أو الاسبرين بعد .

٣ ـ تغيرات فى رسم القلب ELECTRO CAR DIOGRAM (ECG) :

تحدث هذه التغيرات فى حوالى ٢٥٪ من المرضى الذين يُعانون، أو لا يعانون ، من التهاب القلب .

٤ ـ فقر الدم : ANEMIA نتيجة لأن المرض يؤدى إلى منع تكوين كرات الدم الحمراء ERYTHRO POIESIS .

ومن الجدير بالذكر أنه لتشخيص المرض لابد من توافر اثنين من الأعراض الإكلينيكية العظمى ، أو واحد من الأعراض العظمى ، واثنين من الأعراض الصغرى ، خاصة إذا كانت مسبوقة بإصابة الجسد بالبكتريا المكورة السبحية حالّة الدم ، بفترة من الزمن ، تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع .

● ● ●

تشخيص المرض :

يعتمد تشخيص المرض أساسا على أخذ تاريخ المرض بدقة من المريض ، مع التشخيص الإكلينيكى ومع القيام بعدد قليل من الاختبارات المعملية ، ومن الجدير بالذكر ، أنه لا يوجد أى اختبار معمل يجزم بالدليل القاطع على وجود المرض ..

● ● ●

أولا : الاختبارات المعملية :

١ ـ تشخيص إصابة الجسد بالبكتريا المكورة السبحية حالّة الدم : ويتم هذا بطريقتين :

(ا) أخذ مزرعة من حلق المريض ، لعزل « البكتريا » ، ولكن عند بدء حدوث المرض ،

فإن نتيجة المزرعة تكون سلبية ، وأيضا توجد هذه البكتريا فى حلوق نسبة غير قليلة من الأطفال الأصحاء .

(ب) قياس نسبة الأجسام المضادة للسموم ، التى تفرز من البكتريا حيث تكون مرتفعة ــ فيما عدا مرضى « الكوريا » ــ وأكثر الاختبــارات استخداما هو تحديد نسبة الأجسام المضادة للسم الذى يفرز من البكتريا ، ويؤدى إلى تحلل الــــدم ANTISTREPTO LYSIN —O— TITER (ASOT) وترتفع نسبة الأجسام المضادة إلى أكثر من (٣٣٣) وحدة / مليمتر فى مصل الأطفال .

٢ ــ اختبارات تدل على حدوث التهابات فى القلب والمفاصل والأنسجة الكامنة تحته وبعض أجزاء من الجهاز العصبى المركزى ، وتشمل قياس سرعة الترسيب ، والبروتين التفاعلى « أ س » حيث يرتفعان عند معظم المرضى أثناء المرحلة الحادة ، ماعدا مرضى « الكوريا » .

ومن الجدير بالذكر أن سرعة الترسيب لا ترتفع عند إصابة المريض بهبوط فى القلب ، وعندما يبرأ منه الطفل ترتفع مرة أخرى .

وقد تنخفض أيضا نسبة « الهيموجلوبين » بالدم ، مع تغيرات فى عدد كرات الدم البيضاء .

ثانياً : الاختبارات الإشعاعية وتشمل :

١ ــ أشعــة سينيــة على الصدر X – RAY CHEST :

وذلك لتحديد حجم القلب حيث إنه فى بعض المرضى يكون هناك تضخم بالقلب ، وأيضا قد يكون المرض مصحوبا بوجود سائل فى غشاء القلب PERICARDIAL EFFUSION .

ولكن عندما لا يوجد أى تغيرات فى الأشعة ، لا ينفى هذا وجود المرض .

٢ ــ موجــات فوق صوتيــة على القــلب DOPPLER ECHOCARDIOGRAPHY

ويعتبر أكثر أهمية من الأشعة السينية فى تشخيص المرض ، وقد يظهر التهاب فى عضلة القلب MYOCARDITIS عن طريق تحديد درجــة الانقباض لعضلة القلب ، ويتم كذلك تحديد حجم البطين ، وقد يظهر أيضا وجود ارتجاع بالصمام الميترالى ، أو الأورطى ، وأيضا وجود سائل فى غشاء القلب .

ثالثا : رســم القلب :

ويتم عملـــه فى البدايـــة ، عدة مرات ، للمتابعة .. وقد يظهر تغيرات مثل اضطراب فى سرعة نبضات القلب DYSRHYTHMIA وفى كثير من الأحيان لا يوجـد أية تغيرات برسم القلب ، ما عدا زيادة فى سرعة النبض ، وهذا لا ينفى وجود المرض DYSRHYTHMIA وفى كثير من الأحيان لا يوجد أية تغيرات برسم القلب ، ما عدا زيادة فى سرعة النبض ، وهذا لا ينفى وجود المرض .

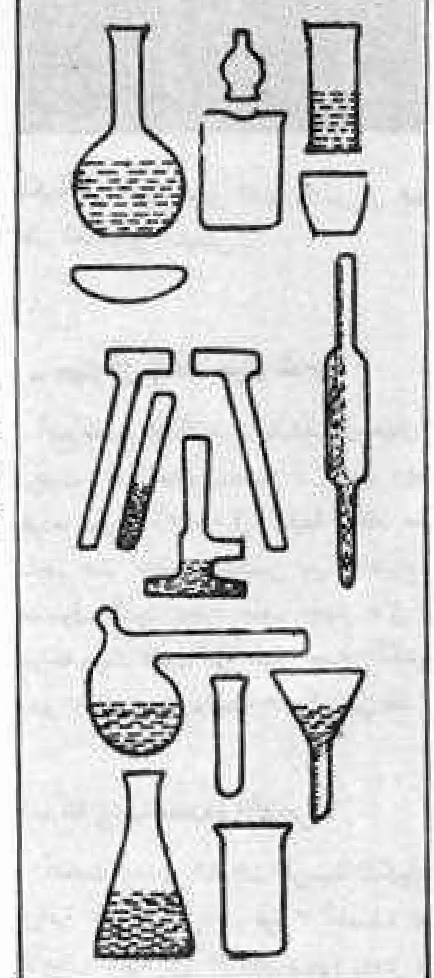
● ● ●

وفى المقال التالى سوف نلقى الضوء على طرق الوقاية من المرض والعلاج .

(يتبــع)



إعداد د/ مجدي السيد أحمد



١ ـ الطحالب البحرية للتشخيص الطبي:

قامت إحدى الشركات الفرنسية لإنتاج المستحضرات الطبية بتحضير بعض المواد الطبية من مستخلصات الطحالب البحرية عبارة عن بروتينات فلورية تعرف باسم « الفيكوبيلبروتينات » ، وعند مزجها ببروتينات أخرى وخميرة أو بأحماض أمينية معينة يمكن استخدامها في الاختبارات المتعلقة بالمناعة وفي قياس الخلايا المتدفقة . وتتميز هذه المواد بأن لها خصائص أفضل من المواد التقليدية التي تستخدم في الصبغات الطبية .

٢ ـ اكتشاف « الجين » المسئول عن أحد أشكال مرض السكر :

اكتشف باحثون فرنسيون « الجين » (المورِّث) المسئول عن أحد أشكال مرض السكر والذي يعرف باسم « الداء السكري غير المعتمد على الأنسولين » وقد دلت الدراسات على أن هذا الجين هو المسئول عن إنتاج أنزيم الجلكوكيناز **«Glucokinase»** الذي يحافظ على نسبة السكر في الدم ، فإذا

تعرض هذا « الجين » لطفرات يتأثر نشاط هذا الأنزيم ويؤدى إلى ظهور هذا النوع من مرض السكر . وسوف يؤدى هذا الاكتشاف إلى إيجاد طرق علاجية جديدة لهذا المرض .

٣ ـ الشاى مفيد طبياً للجهاز العصبى والأسنان

أكدت دراسة علمية أجراها عدد من الأطباء السوفيت أن شرب الشاى بدون غلْيه للحفاظ على المواد العضوية التى يحتويها يُؤدى إلى الوقاية من بعض الأمراض العصبية ، كما أنه مفيد فى قتل الميكروبات التى تضر بالأسنان ويقوى الجهاز العصبى للأسنان .

٤ ـ الجديد فى تقنية الخلايا الشمسية

صممت إحدى الشركات اليابانية خلايا شمسية من السليكون عديد البلورات يمكنها تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربية ، كما تتميز بانخفاض تكلفتها عن الخلايا الحالية . تم بناء الخلية الشمسية الجديدة بوضع طبقة رقيقة من السليكون عديدة البلورات بسمْك يوازى عشرات الميكرون على طبقة عازلة (الميكرون جزء من مليون جزء من المتر) .

٥ ـ إمكانية تصوير كسوف الشمس

نجح العلماء بمرصد هاواى فى تصوير كسوف الشمس بواسطة الضوء المرئى وبمساعدة موجات لاسلكية . حيث قام العلماء بمراقبة الهالة الشمسية واستخدموا المرشحات لتصوير التركيب الداخلى لهذه الهالة حيث ظهرت الأجزاء المتدفقة من الهالة



والمكونة من الغاز المتأين الذى يلاحق فى العادة المجال المغناطيسى للشمس .

٦ ـ جهاز آلى لإنقاذ عمال المناجم

أنتج مصنع للألكترونيات باليابان أول جهاز آلى « روبوت » فى العالم يستطيع أن يركب دراجة ويقودها بسرعة ٣٠ مترا فى الدقيقة لإنقاذ عمال المناجم عند الخطر . ويكمن سر الاختراع فى الصندوق الأسود الموجود خلف الجهاز الآلى على الدراجة حيث يحتوى على جهاز حساس ألكترونى صغير الحجم يعمل بواسطة التحكم عن بعد .

٧ ـ آلة زراعية متعددة الأغراض

أنتجت إحدى الشركات الروسية للتكنولوجيا الزراعية آلة صغيرة ذات قوة ٣ أحصنة تقوم بالأعمال اليدوية التى كان المزارع يقوم بها مثل قطع

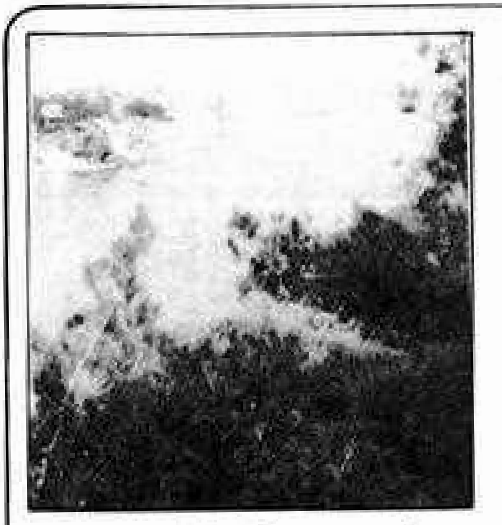
الحشائش في المساحات الصغيرة التي يصعب وصول الجرّار إليها ، وقطع الأغصان الجافة المتبقية بعد حصد المحاصيل ، وأيضا جمع أوراق الأشجار المتساقطة على الأرض ، والآلة مزودة بأدوات مختلفة ملحقة بينها سلاح القطع ووعاء قمعي الشكل ومضخة لشفط الهواء ولها خرطوم عرضه ٥ بوصات وطوله ٧ أقدام

٨ ـ الفيروسات لإنتاج المبيدات الزراعية :

اخترع العلماء في معهد العلوم البيولوجية بانجلترا مبيداً بيولوجياً جديداً يتكون من أحد الفيروسات التي تهاجم الآفات التي تضر المحاصيل الزراعية . ولزيادة فاعلية هذا المبيد أضاف العلماء « موروثاً خاصاً » إلى تركيب الفيروس الوراثي ليجعله يفرز السم القاتل فيشل حركة الحشرة فتتوقف عن مهاجمة المحاصيل الزراعية . ويتميز هذا المبيد بتأثيره على الآفة الزراعية المضرة فقط ولا يؤثر على المحاصيل الزراعية .

٩ ـ الجرعات الصغيرة من الإشعاعات تؤثر على مناعة الجسم

توصل الباحثون السوفييت إلى معلومات تؤكد تأثير الجرعات الصغيرة من الإشعاع على صحة الإنسان عكس ما كان معتقداً سابقاً . وأثبتت الأبحاث التي أجريت على مجموعة من الأفراد الذين تعرضوا لجرعات صغيرة من الإشعاعات تغيراً في مناعة أجسامهم حيث إنهم يصابون باستمرار باختلال عضلة القلب وارتفاع ضغط الدم وأمراض بالجهاز العصبي والغدد الصماء والإصابة بالأورام الخبيثة .



١٠ ـ أحدث جهاز لأشعة إكس .

تم إنتاج أحدث جهاز لأشعة إكس يمكن حمله باليد والانتقال به إلى أي مكان لتصوير الأشعات للمصابين والمرضى ويعطى نتائج لا تقل كفاءة عن أي صورة يلتقطها جهاز كبير . والجهاز الجديد يزن حوالى ٤ كيلو جرامات ولا يحتاج إلى فني أو طبيب لتشغيله .

١١ ـ غواصة متطورة لاكتشاف المحيط

يقوم حالياً فريق بحثي من اليابان باستكشاف أعماق المحيط الهادى ومعرفة أسراره باستخدام غواصة متطورة في شكل الحوت ، وتحتوى على أجهزة فيديو تقوم بالتقاط صور دقيقة لسطح قاع المحيط وما تحتويه البيئة من كائنات ، ومزودة بذراعين يسمحان لها بجمع الطين والمعادن من قاع المحيط . وقد استغرقت الغواصة حوالى ساعتين ونصف الساعة للوصول إلى عمق ٦٥٠٠ متر تحت سطح البحر .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

معنى الإنسان في مختلف الآيات

لصاحب الفضيلة الدكتور/ طه الزيني (*)

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

سيظل القرآن معجزة خالدة أنزلت على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كنزا لاتنفد عجائبه ولاتنقضي غرائبه ولايُسْبر غوره ، لأنه فوق الإحاطة وأكبر من الشمول ، وتلك خصائص انفرد بها القرآن دون باقي الكتب السماوية : فلا تكرار بغير هدف ولا إعادة دون فائدة ، فكل ما جاء موحيا بذلك فهو لغاية تغياها المولى ـ سبحانه وتعالى ـ وما على الذين يقرأون القرآن إلا أن يتدبروا معاني آياته فيتأكدوا أنه وحي يوحى فلا يلعب الشيطان بعقولهم أو يضع لهم علامات إستفهام لبعض آياته . وما كان الله ليذر عباده نها لوساوس الشيطان ، فسخر من يشاء من عباده ليجلو الغامض ويوضح المبهم ويزيل ما في النفس مما حاك بها من لبس .

قال الأستاذ رحمه الله :

من علوم القرآن :

معنى الإنسان في مختلف الآيات

أصل معنى « الإنسان » هذا الجنس البشرى الذى يعمر الأرض ، وفى تعريف المناطقة « الحيوان الناطق » . وقد أطلقت كلمة « الإنسان » فى القرآن الكريم على هذا المعنى الأصل وعلى معان أخر بينها وبين المعنى الأصل مناسبة ، وإن كان إطلاقها على غير المعنى الأصل فى بعض الآيات ليس نصا وإنما يحتمله بعض التفاسير .

* أستاذية فى النحو والصرف .

وسأذكر هنا أنواعاً من معنى الإنسان فى القرآن ، وصلت إليها بعد استقراء هذه الكلمة فى جميع الآيات ، واستعنت على ذلك بقراءة كتب التفسير المختلفة وبعض الكتب التى كتبت فى معانى القرآن .

١ ـ قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

يجوز أن يراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس البشرى كله ، ويكون الحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو مدة الحمل ، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على آدم أبى البشر عليه السلام ، لأنه لم تكن له مدة حمل . ويجوز أن يراد بالإنسان آدم عليه السلام ، والحين الذى لم يكن شيئاً مذكوراً هو المدة التى كان فيها صورة من الطين قبل أن ينفخ الله فيه الروح ، ويكون إطلاق لفظ الإنسان عليه مجازا علاقته الكلية إذ أطلق الكل وأريد به الجزء ، ولما كان آدم أبا البشر وأصله جميعاً فكأنه الجنس كله . و « هل » فى الآية معناها قد .

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ فى سورة المؤمنين

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾

ومثلها ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة الرحمن

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾

ولكن إطلاق الإنسان فى هاتين الآيتين على آدم وحقيقة وعلى آدم وبنيه مجاز ، علاقته الجزئية ، لأن آدم جزء من الجنس ، وصح إطلاق اسم الجنس كله عليه ، لأنه أصله فكأنه جميعه ، والذى يدعونا إلى اعتبار المجاز أن بنى آدم لم يخلقوا من صلصال وإنما خلقوا من نطفة ، وآدم وحده هو الذى خلق من الصلصال ومن سلالة الطين .

٢ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة ق :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، أو آدم عليه السلام . ولكن إرادة الجنس أرجح .

٣ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة الدهر :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية أولاد آدم ، لأنهم المخلوقون من النطفة .

٤ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة « التين » :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، وقيل : الوليد بن المغيرة ، وقيل : كل كافر ، ومعنى أسفل سافلين أرذل العمر على الأول ، وعلى الآخرين النار .

ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ فى سورة الزمر :

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، وقيل : الوليد بن المغيرة أو هشام بن المغيرة أو كل كافر .

٥ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة العاديات :

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله فإن من طبيعة الإنسان جحد نعمة الله عليه وعدم توفيتها حقها من الشكر ، وهو شهيد على نفسه بذلك ، وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه يجحد نعمة الله عليه فيكفر به ولا يعبده ويعبد غيره ، ويصرف إليه الشكر ، والله أولى بعبادته وشكره ، وقيل قرط بن عبد الله .

٦ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة العلق :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، أو أبو جهل بن هشام ، فإن من طبيعة الإنسان الطغيان والاستكبار عندما يستغنى بالمال والجاه عن غيره ، وكذلك أبو جهل لما وجد نفسه غنيا ذا جاه طغى واستكبر وأراد أن يكون السيد الذى لا ينازعه أحد فى رياسة قريش ، وحارب رسول الله ﷺ حربا مريرة ، ولكن الله خذله وقتله وهو قاهر الطغاة ، مذل المستكبرين .

وروى أنها نزلت فى أبى جهل حين نهى النبى ﷺ عن الصلاة ، فأمره الله بالصلاة فى المسجد وأن يقرأ باسم ربه الذى خلق .

٧ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة « الإسراء » :

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ؛ لأن من عادة الإنسان أن يدعو لنفسه بالخير إذا كان راضيا ، فإذا ضجر دعا على نفسه بالشر ، لأنه عجول لا يصبر على الشر ، ويستعجل دائما الخير ، ورب شر أنفع من خير ، ولكن الإنسان من طبعه إيثار العاجلة على الآجلة ، وقد أحسن الشاعر وصف النفس الإنسانية بقوله :

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجل

وقيل المراد بالآية النضر بن الحارث .

٨ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة الحشر :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الناس جميعاً بالكفر ، فمن كفر منهم قال له : إنى برىء منك أخاف الله رب العالمين . أو المراد بعض الجنس ، وهم الذين استجابوا لإغواء الشيطان فكفروا بربهم وقيل : المراد شخص واحد من الجنس هو برصيصا العابد الذى كان فى أيام الفترة ، وله قصة تناقلها بعض المفسرين .

٩ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة المعارج :

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ ﴾

المراد بالإنسان هنا الجنس كله ، لأن من طبيعته الهلع والجزع والضجر وعدم الصبر إذا مسه الشر ، ومن طبعه الحرص والشح ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم ، ولكن الله هذب هذه الطبيعة بما أرسل به رسوله ﷺ من الحث على الصبر وبيان جزائه العظيم والحث على الاستهانة بالدنيا في سبيل الله ، وإعطاء كل ذي حق حقه سواء كان دينا أو أجر عمل أو زكاة مال أو غير ذلك ، ولذا استثنى الله المتأدبين بأدب القرآن من هذا الحكم فقال تعالى : ﴿ إلا المصلين ... ﴾ الآيات ، وقيل : المراد الأخنس بن شريق .

١٠ ـ قال ـ تعالى ـ في سورة الانفطار :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

قيل المراد بالإنسان في الآية الجنس كله ، فإن طبيعته الطمع في رحمة الله والاغترار بما آتاه من نعمة ، وما أفاض عليه من كرمه ، فينفق صحته وماله في معصية ربه ، وكان الأجدر به أن ينظر إلى نفسه ، ويتأمل في صورته وما وهبه الله من قوة في الجسم وحسن في الصورة ، فيشكر على ذلك بالتقوى ويتقرب بالطاعات ، وقيل : المراد بعض الجنس وهم الكفار الذين اغتروا بفضل الله وكرمه عليهم فنسوه وعبدوا غيره وحاربوا رسله ، وكان الواجب عليهم عبادته وطاعته ومساعدة رسله على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، وقيل : المراد أسيد بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو أبي بن خلف .

١١ ـ قال ـ تعالى ـ في سورة البلد :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾

الكبد : المكابدة . قيل المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، فقد خلقه الله وجعله ملازما للشدة والبأس والتعب ، وسلط عليه نفسه ، وأمره بمقاومتها ، وأرسل عليه المصائب في الدنيا يبتليه بها ، ثم بعد ذلك يقاسي أهوال الآخرة من الحساب والعقاب على ما اقترف من السيئات ، وتخوفه وهمه يوم القيامة أشد مما لاقى في حياته كلها . وقيل : المراد بالإنسان كلدة بن أسيد .

١٢ ـ قال ـ تعالى ـ في سورة الفرقان :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾

قيل : المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوي الإنسان ثم يخذله بعد أن يطيعه ويتبرأ منه . وقيل : المراد بالإنسان الكافر ؛ لأنه أحب الإنسان إلى الشيطان ومع ذلك فهو يخذله ويتبرأ منه يوم القيامة ، ويقول كما حدث الله على لسانه ﴿ فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ ، وقيل : المراد عقبة بن أبي معيط ، وكان قد أسلم فرده عن الإسلام أبي بن خلف ، وعلى ذلك فهو المراد بفلان في قوله تعالى : ﴿ لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ . وعلى التفسيرين الأولين يكون المراد بفلان كل شخص يتخذه الكافر أو العاصي خليلا يخضع له في مقارفة الكفر والمعصية .

١٣ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة القيامة :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

قيل : المراد بالإنسان الجنس كله لأن الإنسان يعظم عنده ـ بحسب تفكيره الضيق ـ جمع عظامه بعد بلاها ، وعودته حياً كما كان ، وقيل : المراد عدى بن ربيعة الذى أنكر البعث وقال : أبعد أن أموت وأصير ترابا يعيدنى الله ويحاسبنى ؟ هذا حديث خرافة . وقيل : المراد كل كافر ينكر البعث ، ولا يؤمن بقدرة الله على إعادة الخلق .

١٤ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة يس

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

قيل : المراد بالإنسان فى هذه الآيات العاص بن وائل أو أبى بن خلف الجمحى على الخلاف فى ذلك ، روى أنه أنكر البعث واستعظمه على الله ، وزعم أن الإنسان بعد أن تبلى عظامه لا يحيا ، وأخذ عظماً رميماً ففتته أمام الرسول ﷺ وقال له : أترى يحيى الله هذا بعد ما بلى ورمّ ؟ فقال له ﷺ : « نعم ويدخلك النار » .

وقد رد الله تعالى عليه فى الآيات أبلغ رد فقال تعالى : ﴿ ونسى خلقه ﴾ وقال :

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

ويجوز أن يراد بالإنسان الكفار الذين ينكرون البعث ويقولون : كيف يحيى الله الناس بعد موتهم .

وينبغى أن يلاحظ أن لفظ الإنسان إذا استعمل فى الجنس كله فهو حقيقة ، وإذا استعمل فى بعض الجنس فهو مجاز وتختلف علاقات المجاز باختلاف الاستعمال كما سبق بيانه فى بعض الآيات .



للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الشهداء على الناس

الشهداء على الناس سبعة :

الأول : الملائكة لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ .

والثاني : الأرض لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ .

والثالث : الزمان كما قال في الخبر : « ينادي كل يوم : أنا يوم جديد ، وأنا على ما تعمل شهيد » .

والرابع : اللسان لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ . سورة النور

والخامس : الأركان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ سورة يس

والسادس : الملكان الكاتبان لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . سورة الانفطار

والسابع : الديوان لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ . سورة الجاثية

للمؤمن خمسة أعياد

قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : للمؤمن خمسة أعياد :

الأول : كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد .

الثاني : اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد .

والثالث : اليوم الذي يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ، ويخلص من أيدي الخصوم والزبانية فهو يوم عيد .

والرابع : اليوم الذي يدخل فيه الجنة ، ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد .

والخامس : اليوم الذي ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد .

حقاً

إن الجديدين في طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

حبر الأمة عبد الله بن العباس - رضى الله عنهما - يتحدث عن نفسه !!

همّ رسول الله ﷺ بالوضوء ذات مرة ، فما أسرع أن أعددت له الماء ، فسرّ بما صنعت .

ولما هم بالصلاة أشار إلىّ : أن أقف بإزائه فوقفت خلفه ، فلما انتهت الصلاة مال علىّ وقال : « منعك أن تكون بإزائى يا عبدالله ؟ » فقلت : أنت أجلّ فى عينى وأعز من أن أوازيك يا رسول الله .

فرفع يده إلى السماء ، وقال : « اللهم آته الحكمة » وقد استجاب الله دعوة نبيه - عليه الصلاة والسلام - فآتى الغلام الهاشمى من الحكمة ما فاق به أساطين الحكماء .

حد .. الزهد

قال أبو يزيد البسطامى : ما غلبنى أحد إلا واحد من أهل « بلْخ » قدم علينا ، فقال لى : يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم ؟ قلت : إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ؛ فقال : تفعل هذا كلاب بلخ ؛ قلت : فما حد الزهد عندكم ؟ قال : إذا فقدنا صبرنا ، وإذا وجدنا آثرنا .

نصيحة

قال شعبة : عقولنا قليلة ، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل منه عقلا فأمقته .

معنى .. الاستقامة

سئل سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك بالله شيئاً .

وقال سيدنا عمر - رضى الله عنه - : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ، ولا تروغ عنه روغان الثعالب .

وقال سيدنا عثمان - رضى الله عنه - : الاستقامة : الإخلاص .

وقال سيدنا على - رضى الله عنه - : الاستقامة أداء الفرائض .

هموم إبليس

روى عن أحد الصالحين : « أن إبليس ظهر له فى صورة شخص يعرفه ، فإذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، فقال له : ما الذى أبكى عينيك ؟

قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة .

قال : فما الذى أنحل جسمك ؟

قال : صهيل الخيل فى سبيل الله ، ولو كانت فى سبيلى كانت أحب إلىّ .

قال : فما الذى غير لونك ؟

قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة .

وأحسن الله عزاءكم

دخلت عجوز على قوم تعزيهم فى ميت لهم ، فرأت فى الدار عليلا ، فرجعت ، وقالت : أنا والله يشق علىّ المشى ، وأحسن الله عزاءكم فى هذا العليل أيضاً .



اللغة والنقد والأدب

ملاحظات على كتاب

تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة

د. صفوت حسن لطفي

د. محمد عبد العظيم علي

جلال يحيى كامل



تقديم يحيى كامل أحمد

عرض ونقد

الأستاذ الدكتور: على أحمد مرعى

قرأت الكتاب فإذا هو ملىء بالأخطاء العلمية والمزاعم الباطلة، والتشكيك فى الثوابت التى اتفق عليها العلماء وأجمعت عليها الأمة، إذ يعرض إسلاماً يتفق مع هواه، ويهاجم المخالفين لفهمه فيصفهم بما يشينهم، وينكر الاجتهاد - كما يخلط بين المعانى اللغوية والمصطلحات الخاصة ويرى استحالة الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه .. الخ. ويمكننا أن نجمل أهم ملاحظاتنا فيما يلى:

الملاحظة الأولى:

يقصر الكتاب المرجعية لمرفة الأحكام الشرعية على القرآن الكريم فيقول فى ص ١٢: «القرآن .. الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام».

وهذا كلام جد خطير، والأخطر منه هو السماح بنشره بين عوام الناس. وتكمن الخطورة فيه: أنه كلام مخالف لنصوص القرآن وإجماع الأئمة. فالقرآن الكريم أمر بطاعة الله، وطاعة الرسول، وطاعة أولى الأمر من المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

والقول بإنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار بالقرآن هو قول غالية الرافضة - على ما ذكره السيوطى فى مفتاح الجنة ص ٣ - لأنهم يعتقدون أن النبوة لعلىّ، وأن جبريل أخطأ فى نزوله على سيد المرسلين محمد - ﷺ.

قال ابن حزم ـ مبيناً خطورة القول بالاقتصار على ما جاء في القرآن :

« ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن كان كافراً بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ، ولا حدّ للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال ، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن اجتمعت الأمة على كفرهم » الأحكام لابن حزم ٢/٨٠ .

الملاحظة الثانية :

يرى الكتاب وجوب عرض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ على القرآن الكريم ، ويعتبر ذلك هو المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة ، ويرمي المخالفين لهذا المنهج بالإلحاد وسوء المقصد .

فيقول في ص ١٢ « الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام .. فكل أحاديث حضرة سيدنا رسول الله مرتبطة به ولا تنفك عنه أبداً ودليل ذلك ـ هكذا يقول ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ « إنكم ستختلفون من بعدى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى » فهذا الحديث الشريف يعد بحق المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة ..

ثم يقول ص ١٢ : « إلا أن بعض الملاحدة زعموا أن هذا الحديث « فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله .. » من وضع الزنادقة ليبيحوا لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن ، للتقول ـ في أمور الدين بما يشاءون .. الخ » .

وهكذا يموه الكتاب .. فإن كان لابد من الأحاديث فيجب أن تعرض الأحاديث على كتاب الله . فليست السنة أصلاً بذاتها ـ في نظر الكتاب . ثم يزعم استناده فيما ذهب إليه إلى حديث ينسبه للنبى ﷺ ، ومن المعلوم لدى علماء الحديث ـ وهم في نظر الكتاب ص ١٢ ملاحدة ، يبيحون لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن الكريم للتقول في أمور الدين بما يشاءون ..

أقول : من المعلوم لدى علماء الحديث أن ما ذكره الكتاب حديثاً : ليس بحديث بل هو من وضع الزنادقة والخوارج .

يقول العلامة ـ الدكتور / عبدالغنى عبدالخالق ـ في بحثه القيم : (حجية السنة) .

أما عن أحاديث العرض ـ عرض السنة ـ على كتاب الله : فكلها ضعيفة لا يصح التمسك بها ، فمنها : ماهو منقطع ، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول . ومنها ما جمع بينهما .

وقد بين ذلك ابن حزم في الأحكام جـ ٢ ص ٧٦ ـ ٧٩ ، والسيوطى في مفتاح الجنة ص ٦ ، ١٤ ، ١٩ نقلاً عن البيهقى بالتفصيل .

وقال الشافعى في الرسالة ص ٢٢٥ : « ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صَغُر ولا كَبُر » .

وقال ابن عبدالبر ـ في جامعه جـ ٢ ص ١٩١ ـ : « قال عبدالرحمن بن مهدى : « الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث » .

ثم قال : « وهذه الألفاظ ـ الآمرة بعرض السنة على القرآن ـ لا تصح عنه ـ ﷺ ـ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه » .

وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم ، وقالوا : نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله

قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك . قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله ، لأنا لم نجد في كتاب الله أن لا يقبل من حديث رسول الله - ﷺ - إلا ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به [أي بالرسول ﷺ] والأمر بطاعته ، ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال . الأحزاب ٢١.

قال الله - تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. ﴾

وقال :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٣٢]

وقال :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

سورة النور

الملاحظة الثالثة :

ينكر الكتاب الاجتهاد الذي هو بذل المجتهد وسعه وطاقته للوصول إلى حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط - ويعيب الكتاب على القائلين بمشروعيته ، ويصفهم بأشنع الصفات . فيقول ص ١٥ : « ومن ذلك كله تدرك أنه لا يؤمن بقول الاجتهاد في الفتيا هذا إلا من زاغ قلبه وأراد الإلحاد في آيات الله ، وتنكب طريق الحق وغاض من قلبه نور الهدى والإيمان ، وقبع في ظلمات نفسه فظلم نفسه وظلم غيره ..

ويقول ص ١٣ :

« ولقد توارثت الأمة الإسلامية عبر القرون الكثير جداً من المفتريات والأقوال المفسدة بقصد تقويض الإسلام من داخل الأمة الإسلامية نفسها على ألسنة الملحدين مثل قولهم (إن للمجتهد أجرين إذا أصاب ، وأجراً إذا أخطأ) .

والذي عليه الأمة سلفاً وخلفاً أن للاجتهاد أهمية بالغة في كل العصور ، وهو ضرورة ملحة ؛ لأن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية ، وما يتناهى لا يضبط مالا يتناهى ؛ فكان الاجتهاد لاستنباط أحكام ما يستجد من الحوادث ضرورياً . وقد ذهب جمع من علماء الأصول إلى أن الأرض لا تخلو من مجتهد أبداً حتى يأتيها أمر الله ؛ إذ لابد من وجود مجتهد قائم بحجج الله ، يبين للناس حكم الله في كل ما يستجد من أحداث ، ولو خلا زمان من قائم بحجة الله لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة وحاشا لله من ذلك - وقد أثنى الله - تعالى - على داود وسليمان - وهما من الأنبياء على حكمهما باجتهادهما في المسألة التي عرضت عليهما ، وذكرها القرآن الكريم في قوله - تعالى :

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

[الأنبياء : ٧٨ - ٧٩]

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

وقد وقع الاجتهاد من الصحابة في عصر النبي - ﷺ - في مواقف معينة ولم ينكر عليهم

منها : أنه لما هم النبي ﷺ - بغزو بني قريظة أمر مؤذنا في الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة ... وتحرك المسلمون نحو قريظة ، وأدركتهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا ، حتى إن رجالاً منهم صلوا العصر بعد العشاء الآخرة . وقال بعضهم : لم يُرِدْ منا ذلك . وإنما أراد سرعة الخروج ، فصلوها في الطريق ، فلم يعنف واحدة من الطائفتين . (الرحيق المختوم ٣٧١) .

وقد اشترط العلماء في المجتهد شروطاً تضمن أن يكون الاجتهاد مؤسساً على علم ، وغير صادر عن هوى أو جهل . وأهم هذه الشروط :

١ - العلم بنصوص الكتاب والسنة .

٢ - العلم بمسائل الإجماع .

٣ - العلم بلسان العرب .

٤ - العلم بأصول الفقه .

ومن أوضح ما يستدل به العلماء على مشروعية الاجتهاد في استنباط الأحكام قول الله - تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

[سورة النساء : ٨٣]

قال أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص : في هذه الآية دلالة على وجوب القول بالقياس واجتهاد الرأي في أحكام الحوادث ، وذلك لأنه أمر برد الحوادث إلى رسول الله - ﷺ - في حياته إذا كانوا بحضرته ، وإلى العلماء بعد وفاته والغيبة عن حضرته - ﷺ - وهذا لا محالة فيما لا نص فيه ، لأن المنصوص عليه لا يحتاج إلى استنباطه ، فثبت بذلك أن من أحكام الله ما هو منصوص عليه ، ومنها ما هو مودع في النص قد كلفنا الوصول إلى الاستدلال عليه واستنباطه . (أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ١٨٣) وانظـــر القرطبـــــي في تفسيره ص ١٨٦٢ ط الشعب .

الملاحظة الرابعة :

يفسر الكتاب القرآن الكريم بالهوى دون الإلتزام بقواعد التفسير وأسسه ودون النظر لأقوال المفسرين ، فتراه يحمل آيات القرآن الكريم ما لا تحتمله ، ويحملها على غير ما يدل عليه ، وهذا واقع في الكتاب في مواطن كثيرة ، بل في أكثر مواطنه ، ولا يتسع المقام هنا لذكر الأمثلة كلها ، ويكفي في هذا المقام الإشارة إلى ما يدل على ما ذكرنا . فمثلا :

١ - في ٧٣ يذكر الآية الكريمة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

[المائدة : ١٠٥]

ثم يقول - مبيناً المراد من الآية : « والذي يتبين منه - يعني من القرآن - أن المولى - عز وجل - لم يكلف الذين آمنوا بالسعي لتغيير المنكر في الذين ضلوا عن سبيل الله . وإن الذين آمنوا لن يضاروا في أنفسهم وإيمانهم بضلال الضالين » .

والكتاب - بهذا التبين الخاطيء - قد وضع الآية على غير موضعها - كما قال الصديق أبو

بكر ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه الإمام أحمد بسنده . « قام أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « إن الناس إذا أرادوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله ـ عز وجل ـ أن يعمهم بعقابه » .

كما أن حمل الآية على النحو الذى نحاه الكتاب والإستدلال بها على عدم التكليف بالسعى لتغيير المنكر يتصادم مع صريح القرآن الكريم ـ حيث يقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[آل عمران : ١١٠]

ويقول :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٤]

كذلك يتصادم منحى الكتاب لآية المائدة مع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه عن حذيفة بن اليمان أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » .

وكذلك يتصادم منحى الكتاب لآية المائدة مع روح الشريعة الإسلامية . **ووجه ذلك** :

أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ كما قال الفقيه الشافعى محمد بن محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الأخوة : هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهمة التى ابتعث الله بها النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد » .

هذا والقول فى القرآن بالرأى والهوى المخالف للحق والمجانب للصواب ظاهر فى الكتاب فى مواطن كثيرة . انظر ـ على سبيل المثال ـ ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٧ ـ ومابعدها .

الملاحظة الخامسة :

يفسر الكتاب أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ على وفق هواه ، تفسيراً لا سند له من لغة ، ولم يسبقه به أحد من العلماء بأحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ وهذه الملاحظة ـ كسابقتها مكررة فى أكثر من موضع من الكتاب ـ ونكتفى هنا بالمثال ؛ إذ لا يتسع المقام للحصر .

فى ص ٧٢ يذكـر حديث رسول الله ـ ﷺ ـ الذى أخرجه الإمام مسلم ـ وغيره ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ

ﷺ - قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . ويذكر آراء العلماء فى معنى الحديث ثم يُخطِّئ هذه الآراء ويزعم أن « الإدعاء بأن الحديث يأمر من يرى فى غيره منكراً أن يسعى لتغييره ولو بالقوة هو دعوة صريحة لإشاعة الفتنة والفوضى فى الأمة الإسلامية » .

ويعلل ذلك بقوله : « إذ أن ما يراه البعض منكراً ، قد يرى آخرون أنه من الدين ، وتختلف الآراء فى المنكر وتتعدد بتعدد الفرق فى الأمة ، وبعدد الآراء والاجتهادات ... الخ .

ثم يرى ص ٧٥ أن الأمر بتغيير المنكر - أيا كانت وسيلة التغيير - لا يستقيم مع قوله تعالى :

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

[الإسراء : ١٥]

ويتعارض كذلك مع قوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

[النحل : ١٢٥]

ويذكر غير ذلك من الآيات ، يوهم بظاهرها انحصار مسئولية المكلف فى نفسه ولا يلزم بشىء تجاه الآخرين .

وهو بذلك يضلل القارىء ويوهمه تعارض نصوص الشرع فيما بينها ويشككه فى أبجديات دينه التى استوى فى علمها الخاصة والعامة .

ثم نرى الكتاب يأتى - على حد زعمه - بالمعنى الصحيح للحديث فيأتى بالعجب العجاب الذى لم يقله واحد ممن ينتسبون إلى العلم من قريب أو من بعيد ؛ فيزعم أنه :

١ - لا يمكن فهم حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .. الخ » فهما صحيحا إلا فى ضوء الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ص ٧٩ .

٢ - أن كلمة اليد التى وردت فى الحديث تشير إلى قدرة الإنسان على تغيير ما تدعوه إليه نفسه من ارتكاب المعاصى .. فالحديث « أمر للمؤمن إذا رأى فى نفسه ولو أدنى بادرة منكر .. حيث يجب عليه أن يغير هذا المنكر الذى رآه فى نفسه بهمة الحريص على دينه مستخدماً يد القدرة التى أعطاها الله للإنسان على نفسه لتغيير ما بها من منكر » هكذا يقول ص ٨٠ ، ٨١ .

٣ - وقوله - ﷺ - فى الحديث : « فإن لم يستطع فبلسانه » خطاب لمن لم يكن له من قوة الإيمان ما يجعل من صفة القدرة يداً تعينه ويتمكن بها من تغيير ما يراه فى نفسه منكراً .. إذ يأمر سيدنا رسول الله من كان ذلك هو حاله أن يذكر نفسه بما أمر به المولى - عز وجل - لعلها ترتدع .. وأن يلوم نفسه على ما بها من منكر .. عسى أن تستجيب ويتغير ما بها من منكر بلسان الحجة فى داخل النفس هكذا يزعم . ص ٨١ .

٤ - وقول سيدنا - رسول الله ﷺ - فى نهاية

الحديث » فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » هو بيان لواقع حال من لم يكن من قوة الإيمان ما يمكنه أن يستخدم يد قدرته على نفسه ليغير ما بها من المنكر .. ولم يكن له ـ أيضاً ـ من الإيمان ما يجعل للسان الحجة أثراً فى نفسه .. فذلك يدل على أن مثل هذا الإنسان بقلبه المرض الذى هون عليه الاستمرار فى المنكر وزين له حب الشهوات وذلك ـ قطعاً ـ دليل على أن إيمانه هو أضعف الإيمان .

هكذا يحرف الكلم عن مواضعه انظر ص ٨١ ـ ٨٢ . والذى يظهر لنا أن الكتاب قد بدل وغير فى هذه القضية تبديلاً وتغييراً لا يقره عليه عالم يعول على رأيه . فمن المسلمات ـ التى حاول الكتاب أن يهيل عليها التراب ـ فى قضية إنكار المنكر ما يأتى :

١ ـ إن التغيير باليـــد : يراد به القـــوة والسلطان . وهو للحاكم وللأفراد كل فى حدود ولايته . ومن الولاية ما ذكره الجصاص فى أحكام القرآن جـ ٢ ص ٣١ قال : « وإزالته ـ يعنى المنكر ـ باليد تكون على وجوه منها : أن لا يمكنه إزالته إلا بالسيف ، وأن يأتى على نفس فاعل المنكر فعليه أن يفعل ذلك ، كمن رأى رجلاً قصده ، أو قصد غيره بقتله ، أو أخذ ماله ، أو قصد الزنا بامرأة أو نحو ذلك ، وعلم أنه لا ينتهى إن أنكر بالقول ، أو قاتله بما دون السلاح ، فعليه أن يقتله ، لقوله ـ ﷺ ـ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلا بقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضاً عليه ، وإن غلب فى ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجز له الإقدام على قتله » .

٢ ـ الأمر الثانى ـ الذى أغفله الكتاب ـ أن هناك أموراً ليس من حق الأفراد العاديين القيام فيها بالتغيير باليد ، مثل العقوبات التى قدرها الشرع حقاً لله كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر .. وغير ذلك من سائر الحدود وكذلك ليس من حق أحد أن يعاقب أحداً بعقوبة التعزير إذا لم تكن له ولاية ، وثمة فرق بين تغيير المنكر والعقوبة على منكر وقع من قبل . فلو ترك للأفراد توقيع العقوبة على المجرمين لانقلب الأمر فوضى ، وشاعت الفتن التى تؤدى فى الغالب إلى سفك الدماء والإعتداء على حقوق الآخرين . وإناطة هذا الأمر بالحاكم فيه صيانة لحقوق الناس وتوفير الحماية لهم حتى لا يعاقب برىء .

وكذلك يجب أن لا يكون التغيير باليد مؤديا إلى فتنة أو منكر أشد من المنكر الموجود .

٣ ـ الأمر الثالث ـ الذى تجاهله الكتاب ـ أنه لا إنكار فى المسائل التى اختلف فيها العلماء . وعلى ذلك فلن تهدر الحقوق او تشاع الفتن والفوضى ـ كما زعم الكتاب .

٤ ـ الأمر الرابع ـ الذى أغفله الكتاب ـ وهو فى غاية الأهمية فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ وقد اهتم به العلماء اهتماما شديدا : هو أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن لا يقوم به إلا من كان عالما بذلك حتى لا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف .

هذا ـ وفهم حديث تغيير المنكر على النحو الذى زعمه الكتاب فضلا عن مخالفته لشرح

الحديث ؛ فإنه يمثل دعوة إلى السلبية المفرطة التي تشجع المجرمين على التمادي في جرائمهم ، وإشاعة الفاحشة في المجتمع .. الأمر الذي ينتفي معه الأمن ويزول به الاستقرار وتضيع في ظله الفضيلة وتنتشر الرذيلة ؛ وإلا ، فماذا يكون حال مجتمع يرى اللص فيفسح له ، ويسمع المستغيث المعتدى عليه فلا يغيثه بل يقول نفسي نفسي ، ويرى المال العام ينهب والمرافق العامة تخرب فلا يتحرك بل يقول : عليك نفسك نفسك نفسك لا يضرك من ضل إذ اهتديت .

أقول وهل يكون المرء من المهتدين وهو يجالس المقيمين على المنكر ، يؤاكلهم ويشاربهم ويسامرهم ولا ينكر عليهم ؟

اللهم لا ؛ فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبدالله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة

ثم قال :

« كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا وتقصرنه على الحق قصرا » .

ومع وضوح النصوص الشرعية في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتفاق العلماء على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مهمة الأنبياء ، وهو ميراث هذه الأمة عن نبيها محمد ﷺ لإصلاح الفرد والمجتمع ، نرى الكتاب يغالط ويصر على مخالفة الحقائق وتغييرها فنراه يقول : في ص٧٣ : « إن المولى ــ عز وجل ــ لم يكلف الذين آمنوا بالسعي لتغيير المنكر في الذين ضلوا عن سبيل الله » . « وان الذين آمنوا لن يضاروا في أنفسهم وإيمانهم بضلال الضالين » . « وان الادعاء بأن الحديث ــ (حديث من رأى منكم منكرا فليغيره) . يأمر من يرى في غيره منكرا أن يسعى لتغييره .. فيه دعوة صريحة لإشاعة الفتنة والفوضى في الأمة الإسلامية » .

الملاحظة السادسة :

ينكر الكتاب مشروعية ما انعقد إجماع الأمة على مشروعية وبيان ذلك بإيجاز شديد كما يأتي :

أولا ــ ينكر ــ الكتاب ــ وجود الناسخ والمنسوخ ووقوع النسخ في القرآن الكريم فيقول ص ١٤٤ « ولما كان ما سمّي (بعلم الناسخ والمنسوخ) يتأسس على الافتراض الباطل بوجود تعارض حقيقي بين آيات القرآن كما ورد في كتب الناسخ والمنسوخ فإن كل ما ترتب على هذا الأساس من أقوال ودعاوى مشككة في الدين تسقط بالتبعية . فما تأسس على الباطل فهو باطل مهما ألبس ثوب الحق وأدخل على علوم القرآن ..

فضلا عن ذلك فإن قوله ـ تعالى ـ ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ سورة ق ٢٩ .

يقطع بأن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل كلامه ، ولا يستبدل أحكامه فى قوله لعباده بقول آخر .. وطالما ثبت لنا بالدليل القرآنى الذى هو قطعى الثبوت ، قطعى الدلالة أن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل لعباده .. فمن ثم فلا ناسخ ولا منسوخ » .

قلت : الصحيح ان النسخ واقع بإجماع المسلمين ، لم يخالف فيه إلا أبو مسلم الأصفهانى ، وقولـه كما قال ابـن كثير فى تفسيره جـ ١ ص١٥١ ـ ضعيف مردود مرذول . والأدلة على وقوع النسخ كثيرة فمنها :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ البقرة ١٠٦ والآية صريحة فى وقوع النسخ .

ب ـ قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ النحل ١٠١ .

والآية واضحة فى تبديل الآيات والأحكام ، وهو يشتمل على رفع واثبات .

جـ ـ أمر الله المتوفى عنها زوجها بالاعتداد حولا كاملا فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ سورة البقرة ٢٤٠ ـ ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر كما جاء به قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

سورة البقرة ٢٣٤ .

د ـ قال الله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾

الأنفال ٦٥ ، ٦٦ .

ففى الآية الأولى أمر الله ـ تعالى ـ بثبات الواحد للعشرة ، ثم جاء التخفيف فى الآية الثانية حيث الأمر بثبات الواحد للاثنين وهى صريحة فى نسخ الحكم الأول .

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ « معرفة هذا الباب (الناسخ والمنسوخ) أكيدة ، وفائدته عظيمة لا تستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء ، لما يترتب عليه فى النوازل من الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام » . (تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٥٧) .

ومن المعلوم عند علماء الأصول انه لا يجوز القول بالنسخ لمجرد دفع شبهة تعارض دليلين ، بل لابد من دليل شرعى صحيح يدل على النسخ ، كأن يكون فى أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما كما فى المثال (جـ ، د) أو ينعقد إجماع من الأمة فى أى عصر من عصورها على تعيين المتقدم نزولا من النصين والمتأخر منهما . أو يثبت من طريق صحيحة عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر أو التأخير عنه فى النزول . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .



تأليف : أ.د. محمد سيد محمد
الناشر : دار الفكر العربي
ط ١ : (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م)
عرض وتقديم:
د/ محمد عبد الحكيم محمد

كتاب يكشف للأمة مكامن الخطر ... لتأخذ الحذر

بدأ الصراع بين الغزو الثقافي والمجتمع العربي منذ «عهد محمد علي والحملة الفرنسية على مصر» ، ثم في عهد إيفاد البعثات الى أوربا وانتشار التعليم بأسلوب أوربي ومن ثم حفلت الأوساط الثقافية عندنا بصراع فكري كبير دار حول قضية جوهرية واحدة تعددت فيها الزوايا حيث برزت من خلال أفكار فرعية منها : « الأصالة والمعاصرة » و« التغريب والتعريب » و« التراث والحداثة » و« العلمانية والأصولية » الى آخر هذه المصطلحات والشعارات التي تعبر جزئيات في منظومة الغزو الثقافي وكم كان اهتمام الغرب كبيراً « بإيفاد البعثات الى أوربا » كقناة مرحلية يعتمد عليها ــ منذ زمن بعيد ــ في تصدير إعصاره الثقافي الى عالمنا العربي بغية تشويه الحياة الإسلامية وتمييع العقل المسلم وتقليص دوره تمهيداً للقضاء عليه .

ولعل في اعتراف الوجودي الفرنسي « جان بول سارتر » تحليلا أوسع لهذه الحقيقة ، إذ يشير في مقدمة صدّر بها كتاب المفكر الأفريقي « فرانس فانون » : (المعذبون في الأرض) إلى أسلوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب ومجال استخدامه ، فيقول :[1]

(١) مجلة الأمة : العدد الخمسون ـ مقال شبابنا في وجه الإعصار الغربي ـ ص٢١ .

« كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام فى امستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويتعلمون منا طريقة جديدة فى الرواح والغدو ، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا وكنا ندبر لبعضهم أحيانا زيجات أوربية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية ، كنا نضع فى أعماق قلوبهم الرغبة فى أوربا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأى بلاد !؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائما فى وجوهنا ، ولم نكن نجد منفذا إليها ، كنا بالنسبة إليها رجسا ونجسا .. لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم ، كنا نصيح من امستردام أو برلين أو باريس « الإخاء البشرى » فيرتد إلينا رجع أصواتنا من أقاصى أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا .. كنا نقول : « ليحل المذهب الإنسانى أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة » وكانوا يرددون .. هذه أصواتنا من أفواههم وحين نصمت يصمتون ! إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين (!!) لايملكون كلمة واحدة يقولونها غير ماوضعنا فى أفواههم » .

فهذه شهادة من أهلها عن كيفية صناعة المبعوثين العرب فى أوربا منذ بداية البعثات كقناة فعّالة لتغريب العقل الاسلامى ، تلك الصناعة التى أتت بعض ثمارها من خلال دعوات « سلامة موسى » و« طه حسين » وغيرهما ممن حذا حذوهما وسار على نهجها إلى يومنا هذا .

فماذا عن أساليبهم فى التغريب بعدما تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكـــز المعلومات فى السنوات التى أعقبت عهد ماسمى بالتنوير وإيفاد البعثات الى أوربا وانتشار التعليم وتحديثه ؟ لم تعد هناك حاجة لأخذ المسلم الى « لندن وباريس وأمستردام » من أجل التحكم فى عقله وعواطفه ، إذ أن وسائل إعلامهم – بشتى صورها – تغرق الآن المجتمعات العربية والإسلامية عبر الأقمار الصناعية ، بل وتقتحم عليهم بيوتهم لتسهم بدورها فى تشكيلهم وصياغة عاداتهم وتوجيه أذواقهم وعلاقاتهم بما يتفق وقيمهم ومعاييرهم .

ومن ثم تظهر أهمية جهود قادة الرأى فى مجتمعاتنا العربية من أجل مقاومة الآثار الضارة للثقافات الأجنبية الغازية من جهة ، وحماية شخصيتنا الإسلامية والحضارية من جهة أخرى ، مع توجيهها الوجهة الصحية التى تؤكد ذاتيتنا وتحافظ على هويتنا وتحشد طاقاتنا للتنمية والتطور إلى الأفضل .

ضوء على الكتاب والمؤلف

فى ضوء ماتقدم تظهر لنا أهمية القضية التى يتناولها الكتاب ، وهى كما يكشف عنها العنوان « الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر » تلك التى عالجها المؤلف فى (٤٠٠) أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، وصاغها فى إطار علمى محكم يكشف لنا عن رؤيته العربية والإسلامية لهذه القضية التى باتت تؤرق مجتمعنا المعاصر لا سيما بعد التطور الهائل فى وسائل الإعلام .

وإذا كانت القضية تناولها هذا السفر العلمى مهمة ، فإن المؤلف أيضا يكتسب أهمية خاصة من ناحيتين .

الأولى : أنه أحد خبراء الإعلام(*) المسلمين الذين يمتلكون الموهبة والقدرة على تلقى المعلومات وشرحها وتفسيرها بما يتفق مع دينه ومصالح مجتمعه وآماله .

الثانية : أنه جاب الأقطار العربية أستاذا وزائرا ومحاضرا منذ توليه أعباء مسئولية التدريس فى كلية الإعلام بجامعة القاهرة منذ أوائل السبعينيات حتى يومنا هذا ، وبذلك يكرس خبراته فى البحث العلمى والعمل الاجتماعى فى خدمة هذا البحث .

يقوم البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : إجابة عن السؤال الجوهرى « ما الغزو الثقافى » ؟

الفصل الثانى : عن وسائل الغزو الثقافى وأساليبه .

الفصل الثالث : عن المنشور الغربى وغزو العرب .

الفصل الرابع : عن استراتيجية المواجهة ووسائلها .

وتبوح فصول الكتاب بأسرارها فى معالجة تفصيلية موثقة لجوهر هذه المشكلة وأبعادها من خلال رحلة طويلة شاقة يلم عنها عدد صفحاتها الأربعمائة ، تلك التى أخرجها الكاتب الى النور وفق منهج تاريخى تحليلى قائم على الربط والاستدلال ، والذى نلمح معه من حين لآخر ملامح من المنهج المقارن . فهيا بنا نستعرض فى إطلالة سريعة محتوى هذا الكتاب .

محتوى الكتاب

أفرد المؤلف أول صفحة من الكتاب للآية : ١٠٤ من سورة الأنعام وهى قول الحق ـــ تبارك وتعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ وكأنه أراد بها دعوة العرب والمسلمين إلى إدراك مكامن الخطر حتى يأخذوا الحذر .

وفى المقدمة (من ص ٥ ـــ ١٤) تحدث عن مشكلة البحث وخطواته المنهجية وعن سعيه لتحقيق أهداف عدة من خلال هذا البحث ، الهدف الأول : رئيسى وهو توضيح الفرق بين « الغزو الثقافى » و« التفاعل الثقافى » وكيفية فرزهما بحكمة وبصيرة ، يلى ذلك : أهداف فرعية أخرى فرضتها الظروف المحيطة بالثقافة العربية المعاصرة ، كما تشير إلى حدود العلاقة بين مفهوم الغزو الثقافى ومفهوم المجتمع ومفهوم المعاصرة ، غير أن التساؤل الرئيسى الذى يطرحه الباحث (ص ٦) فى هذه المقدمة : كيف يميز القارئ العربى « الغزو الثقافى » وكيف يتجنبه ؟ وكيف يتعرف على « الاتصال الحضارى » وكيف يتفاعل معه ؟ ومن هذا التساؤل الرئيسى تنبثق عشرات الأسئلة التى تجيب عنها فصول البحث إجابات تحليلية .

الفرق بين الغزو والاتصال الثقافى

فى الفصل الأول (من ص ١٥ ـــ ٤٨) يستعرض الباحث تعريفات عدة لمفهوم « الغزو الثقافى » لدى المفكرين والكتاب المعاصرين ،

(*) تشهد بذلك مؤلفاته ودراساته المتعددة فى ميادين الإعلام والأدب والرحلة . وتوليه وكالة كلية الإعلام بالقاهرة .

لإيضاح الصورة الذهنية لهذا المفهوم ويخلص من ذلك العرض إلى أهمية التفرقة بين مفهوم « الغزو الثقافى » ونقيضه « الاتصال الثقافى » فإنهما وإن اشتركا فى « اتصال أو مزج أو تداخل ثقافة أو حضارة بثقافة أو حضارة أخرى ، باستخدام وسائل إعلام واحدة » ، إلا أن كلا منهما يختص بوسائل إعلامية مخالفة لما عليه الآخر .

على أن الباحث يجمل هذه الفروق الجوهرية بينهما (ص ٢٥) فى ثلاث :

١ ــ الإكراه والإخضاع فى الغزو الثقافى ، مقابل التلقائية والإيجابية فى الاتصال الثقافى .

فمبدأ الحرية إذن هو المبدأ الأول الذى يفرق بينهما .

٢ ــ خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارية الوطنية ، بل والتنكر لها واحتقارها فى الغزو الثقافى ، مقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة فى الاتصال الثقافى .

فمبدأ عدم التنكر للتراث الحضارى والثقافى والانتقاء فى الوقت نفسه يمثل المبدأ الثانى فى التفريق بينهما .

٣ ــ صياغة العقول فى الغزو الثقافى ، مقابل الاضافة واستكمال البناء العقلى فى الاتصال الثقافى ، وهذا هو المبدأ الثالث فى التفريق بين المفهومين .

وبينما يفرق الباحث بين مفهومى « الغزو » و « الاتصال الثقافى » نجده يرى أن مصطلح « الحرب النفسية » أكثر المصطلحات قربا وتداخلا واشتراكا مع الغزو الثقافى (صفحات ٢٥ ــ ٢٦) لأن كليهما جزء من حرب الإنسان للإنسان ، تلك التى واكبت رحلة البشرية على ظهر الأرض ، فضلا عن أن « الغزو الثقافى » يشترك مع المسميات المتعددة التى تطلق على الحرب النفسية مثل : غسيل الأدمغة أو حرب الأعصاب أو الطابور الخامس أو الحرب السياسية أو حرب الأفكار أو الحرب الباردة .

وسائل الغزو الثقافى وأساليبه :

ويختص الفصل الثانى (من ص ٤٩ ــ ١٧٦) ببحث وسائل الغزو الثقافى وأساليبه ، وحتى لايختلط المعنى ــ فى ذهن القارىء ــ بين الوسائل والأساليب ، نجد الباحث قد اهتم بكشف تباينهما قائلا (ص ٤٩) :

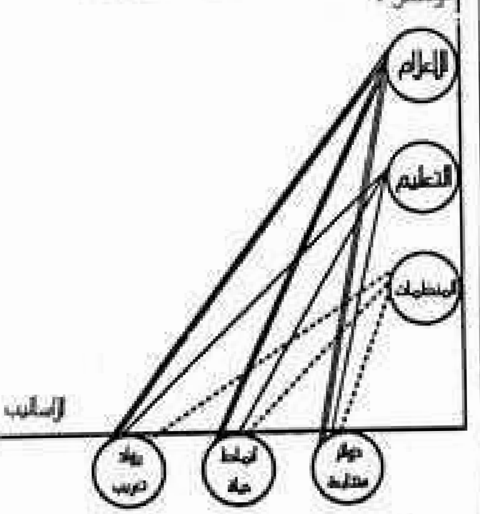
نحن نقول ــ فى لغتنا الإعلامية المعاصرة : وسائل الاعلام ونعنى بها : الصحيفة والراديو والتليفزيون والسينما والكتاب ووكالات الأنباء وما شابه ذلك من وسائل (تكنولوجية) جديدة كما نعنى بها المحاضرة والخطبة والندوة والمؤتمر وماشابه ذلك من وسائل قديمة ، ونحن نقول فى لغتنا التعليمية المعاصرة الوسائل التعليمية ، ونعنى بها الكلمة المنطوقة وأجهزة التسجيل والصور الشفافة والشرائح الفوتوغرافية والأفلام التعليمية والخرائط والرسوم وماشابه ذلك من وسائل التعليم .

أما الأساليب فهى : الطرق والاختيارات التى أفرزها التفكير وأفرزها التخطيط لتحقيق أهداف معينة ومحددة ولزيادة وضوح مدلول الكلمتين يعقب الدكتور محمد سيد على ذلك بقوله : « فإذا كنت فى النقطة (أ) وهدفك الوصول الى النقطة (ب) فإن وسائلك هى الطائرة والباخرة والقطار

والسيارة والدراجة والسير على الأقدام ، وإن أساليبك أو طرقك هي الطريق البرى أو البحرى أو الجوهرى » وهكذا يظهر ذلك التقريب الذهنى ما بين « الأساليب والوسائل » من تباين وترابط .

نموذج للتفاعل بين الوسائل والأساليب

وقد استطاع الباحث (فى ص ٥١) صياغة نموذج لوسائل الغزو الثقافى وأساليبه يقوم على محورين : رأسى وهو مخصص لثلاثة من أهم الوسائـــــل (١) الإعـــــلام (٢) التعـــــليم (٣) المنظمات ، وتشمل : الشركات والنوادى والهيئات والظواهر وماشابه ذلك ، وأفقى ، وهو مخصص لأهم الأساليب وهى ثلاثة أيضا (١) الدوائر المتتابعة (٢) أنماط الحياة (٣) رواد التغريب ، وهم حملة مشاعل أو حطب الغزو، وهو جميعا على النحو التالى :



وبالتفاعل المستمر بين الوسائل والأساليب فى هذا النموذج يحقق الغزو الثقافى أهدافه بطريقة تشبه الربح المركب أو تشبه المتوالية الهندسية ، بمعنى أن الاعلام يحقق أهداف الغزو فى الدوائر المتتابعة وفى أنماط الحياة وفى دعم رواد التغريب ، والتعليم يعمل نفس العمل فى الأساليب الثلاثة وهكذا يصبح التفاعل المستمر مثل تكاثر الجراثيم ومثل الأرباح المركبة ومثل المتوالية الهندسية ، ويصبح الجمهور المستهدف بالغزو الثقافى يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه .

عرض الوسائل

ويسهب المؤلف فى عرض وسائل الغزو الفكرى (من ص ٥٢ ــ ١٧٥) متوقفا عند كل وسيلة بما يتلاءم مع أهميتها ، ودورها فى خدمة الهدف الذى استخدمت من أجله ، ومبينا مايندرج تحت كل وسيلة رئيسية من وسائل وقنوات فرعية أخرى :

ــ فوسيلة الإعلام : تشمـــل الكتـــاب والصحافة و(الراديـــو والتليفزيـــون) والسينما والإعلان ووكالات الأنباء .

ــ ووسيلة التعليم : تشمل التعليم ومناهجه بجميع مراحله بدءا من المرحلة الأساسية حتى المرحلة الجامعية .

ــ ووسيلة المنظمات : تشمل كل حركات التحريف والتشويه وقتل روح الإعــلام ، كالعلمانيــة والماسونيــة والبهائيــة والبابيــة والاستشراق .

هذا وقد نجح الكاتب من خلال دراسته لهذه الوسائل فى بيان دورها وجاذبيتها فى الاتصال الإنسانى بصفة عامة ، وبيان خطرها وأبعادها فى

خدمة الغزو الثقافي للمجتمع العربي المعاصر بصفة خاصة ، وكيف أنها تتكامل وتتنافس في موجة التشويه العالمية لصورة الإسلام والمسلمين ، غير أننا نتوقف قليلا مع المؤلف عند وسيلتين من وسائل الإعلام هما : (التليفزيون) و(وكالات الأنباء) لما تتمتعان به من قدرة فائقة على الإخلال بالتوازن الأخلاقي والاجتماعي والإخباري .

أولا : وسيلة التلفاز

ويرجع خطر هذه الوسيلة إلى تخطي دائرة بثها حواجز الدول الجغرافية ، وكما يقول المؤلف (ص ٩٠) : أصبح نقل برامج التليفزيون في العقد الأخير من القرن العشرين عن طريق الأقمار الصناعية حافزا لمحطات تليفزيونية عديدة لأن تبث إرسالها عالميا وفضائيا ، وأن يستقبل المشاهد العادي هذه البرامج العديدة بإضافة (إيريال) — أي هوائي على شكل طبق — إلى جهاز التليفزيون العادي وأصبحت هذه الظاهرة تسمى ظاهرة الأطباق ، وصارت حديث الناس في الوطن العربي وحديث الخبراء وحديث الآباء ، لأن بعض المحطات الأوربية والتجارية منها بخاصة — تبث برامج جنسية و(أفلام) عري تضر بصحة الشباب العربي جسديا ونفسيا .

العلاقة بين التلفاز والغزو الثقافي

ويستطرد الباحث فيرى أنه على الرغم من أن الجمهور العربي الذي يتعرض لهذا البث التليفزيوني محدود إلا أن الظاهرة في سبيلها إلى الإنتشار وسوف تقدم التكنولوجيا تسهيلات جديدة تجعل البث بالأقمار الصناعية للتليفزيون قليل التكاليف ، ثم يقوم بتوضيح العلاقة بين التلفزيون والغزو الثقافي للمجتمع العربي المعاصر ويجعلها في ثلاث نقاط جوهرية :

النقطة الأولى : تكمن في البث المباشر بالأقمار الصناعية وهذا هو الأحدث والأسرع والأكثر اثارة وانتباها .

النقطة الثانية : وتكمن في البضاعة الأمريكية بصفة عامة ، والأوربية وغيرها مما تبثه محطات التلفزيون العربية والاسلامية .

النقطة الثالثة : وهي صورة العرب والمسلمين المشوهة في المحطات التلفزيونية الأمريكية والأوربية .

وفيما يتعلق «بالنقطة الأولى» المتعلقة بالبث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية وتأثيره على المشاهد العربي يتبنى الباحث فكرة «تجديد الثقافة الوطنية الراكدة»[٣] — في بعض الأحيان — وتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع ، وفكرة : تطوير وسائل الاتصال المحلية وبالذات التلفزيون حيث تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها .

سياسة وضع السم في العسل :

وفيما يتعلق «بالنقطة الثانية» المرتبطة بما تبثه محطات التلفزيون العربية والاسلامية من بضاعة أمريكية وأوربية ، نقل إلينا شهادة د. مصطفى

(٣) كنا نود تحديدا أكثر وضوحا لمدلول « الثقافة الوطنية الراكدة » وتصورا لهذه النماذج والاطلاعات العصرية ، حتى تخرج الفكرة من الاطار النظري إلى حيز التطبيق .

محمود»[4] من خطر المسلسلات الغربية التى تنقلها هذه المحطات الغربية ، وهى بحق نظرة تحليلية فاحصة تعكس لنا المردود السيء لدى المتلقى المسلم ومن ثم ننقلها بنصها :

« كل ما يتسلسل أمامنا من أحداث هى جرائم قتل واختلاس واغتصاب وانحلال وعهر وتبذل ، ولكن تلك السفالات نراها ملفوفة فى أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأرق الأجسام وأنور الوجوه وأحلى القدود وأشهى الخدود وكل ماتقع عليه العين فى المسلسل نظيف ولامع وباهر ومتألق وجذاب وخلاب فلا تملك إلا أن تبتلع الجريمة بما فيها من سموم وتحتضن المضمون بما فيه من انحلال دون أن تفطن إليه ، ويتمنى الساذج منا أن يكون مثل هؤلاء الأبطال وأن يمتلك مثل تلك البيوت ، ويرتدى مثل تلك الثياب ويعيش فى تلك الوفرة ويستمتع بذلك الثراء — وهكذا يأكل الطعم الذى يهدف إليه هذا اللون من الفن والطعم هو أن تحتال وتسرق وتقتل وتخون وتكذب وتطعن فى تخبط الظهر وتتآمر فى الظلام مثل مايفعل الأبطال الذين تراهم لتكون لك تلك الوفرة وتلك المتع ولتعيش حياة فيها كل ذلك البريق .

ويغرق الأبطال فى تلك السفالات ، مع أنهم بخير وأصحاب ملايين ، ويمرحون فى النعمة والرزق الوفير والمال الكثير . ولكن هذا ضرورى لمثل تلك الفنون . فمن الضرورى أن يكون المجرم أنيقا ومهذبا ومعطرا ، وعنده يخت ، وأسطول سيارات وفى جيبه مليون جنيه ليبدو فى عينك نموذجا ومثالا تشتهيه ، ولايجوز أن يكون مثل مجرمى الصعيد الحفاة المطاردين من البوليس .

إن شخصية بطلنا (محمود المليجى) لا تنفع لأنها قد تعطى عبرة .. وهم لايريدونك أن تخرج بعبرة بل يريدونك أن تتقمص تلك الشخصية الإجرامية فى حب وعشق وتذوب فيها .

يريدون أن يسلبوا منك هويتك ويلبسوك هويتهم وأن تلبس ثوبهم بمزاجك واختيارك ، وهذا هو التنويم الثقافى الرفيع الشيك .

ولو ارتفع صوت ينقد هذا اللون من المسلسلات ، فسوف يخرج عليه مليون صوت يرجمونه بالحجارة ، ويتهمونه بالرجعية والتخلف والانغلاق والتحجر وسوف تنتفض قبيلة من النقاد الأكابر يدافعون عن حرية الفن وحرية الإبداع وحرية الخلق .. الخ . الخ ثم يقول :

فى السوق الغربية التى تبيع هذا اللون من المسلسلات تجد ألوانا أخرى من الثقافة الجيدة والفنون الرفيعة ، وتجد ألوانا رائعة من البرامج الوثائقية والأفلام العلمية والأفلام التاريخية والدراما الراقية لا تقل عنها إقناعا مع فارق كبير أنها لاتقدم هذه النماذج الساقطة ، ولاتمتع المشاهد إمتاعا فارغا بل تثرى عقله وتفتح بصيرته وتعمق وجدانه ، وهى أولى بالاستيراد من هذه المسلسلات .

أثر الصورة المرئية :

أما ما يتعلق بالنقطة الثالثة — فى علاقة التلفزيون بالغزو الثقافى للمجتمع العربى المعاصر وهى تشويه الصورة العربية والاسلامية فى

---

(4) الأهرام : ١٩٩٢/٤/١٨

التلفزيون الأجنبي ، فيرى الباحث (ص ١٠) أنه وإن اشتركت وسائل الإعلام العربية في هذا التشويه إلا أن الصورة التلفزيونيـة لها تأثير مضاعف ، إذ أن الصورة تتعدد وتتحـور وتتشكل فتصبح صورة كاذبة .. تحمل المغالطة أكثر إحكاما من الواقع ذاته .. على أن هذه النماذج والأمثلة التى يُقدم بها الاسلام فى وسائل الإعلام الأجنبية تحاول فرض أنماط وقيم ومعلومات خاطئة تفتقد الرؤية الأصيلة والصحيحة » غير ان المؤلف كخبير إعلامى يرصد الواقع يؤكد فى ص (١٠١) على أن «الضعف المهنى فى المحطات العربية هو الذى يسهل أهداف الغزو الثقافى الذى يقدم الى المشاهدين العرب » .

ثانيا : وكالات الأنباء

كما لم يعد أمر سيطرة وكالات الأنباء العملاقة على الإعلام العربى من أمور البحث العلمى فحسب ، إنما اصبح حديث المثقف العام فى بلدان العالم الثالث ، حيث سيطرت وكالات «رويتر الانجليزية» و«الأنباء الفرنسية» و«تاس السوفيتية» و«الأسوشيتدبرس واليونيتدبرس الأمريكيتين» على سوق الأخبار فى العالم بأسره .

ويرى الباحث فى (ص ١١٤ ، ١١٦) أنه بالرغم من التوسع فى انشاء وكالات أنباء وطنية فى معظم دول العالم العربى إلا أن السيطرة باقية وتزداد يوما بعد يوم لوكالات الأنباء العملاقة ، لقد شهد الربع الأخير من القرن العشرين انشاء وكالات أنباء وطنيـة فى الـدول الحديثـة الاستقلال .. ولكن هذه الوكالات المحلية وإن تفاوتت قدرتها تظل محدودة التأثير .

إن معرفة دولة نامية أخبار جارتها تتم عن طريق وكالات الأنباء الدولية والمشكلة تتعلق بالوقاية من تحريف الأخبار والإساءة الى المخلصين مثل تسمية المجاهدين بالمخربين وماشابه ذلك ، وتتعلق بأن القارىء فى البلدان النامية أو المستمع أو المشاهد لايجد أخبارا تتعلق بواقعة إنما يجد سيلا من الأخبار المتعلقة بالدول الغنية المتقدمة والمؤسسات الدولية الكبرى .

وينص الدكتور / محمد سيد على أن هذه الوسائل الإعلامية المختلفة المستخدمة فى الغزو الثقافى قابلة للتعدد والتجدد باختلاف الظروف ، فنجد البحوث المشتركة وتأثر المبعوثين ضعاف النفوس وتأثر المتزوجين بالأجنبيات من مرضى القلوب ، وغير ذلك من الوسائل التى تتنامى كلما وهن وضعف وارتخى النسيج الثقافى فى العالم العربى .

يتبع بالجزء الأخير



إعداد الأستاذ / عبد السلام ناجح

دراسة كتب المواجهة

في رسالة قيمة بعث بها فضيلة الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد أستاذ ورئيس قسم البلاغة والأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع شبين الكوم يقترح فيها أن تقوم المجلة بدراسة ما يكتب في سلسلة المواجهة والتنوير بأيدي علماء مجمع البحوث الإسلامية وهيئة كبار العلماء لتفنيد الباطل منها على غرار كتاب الفريضة الغائبة التي تم نشره في هدية شهر المحرم عام ١٤١٤ هـ.

مع زيادة أعدادها وفتح أسواق جديدة لها في مدن الصعيد وقراه ـ ففي ذلك نفع للأمة.

والمجلة تتقدم لفضيلته بخالص الشكر والتحية على اقتراحه راجية له دوام التوفيق.

الكتب التي غيرت وجه التاريخ

كان الكتاب ـ ولا يزال ـ أول وسيلة إعلامية، وفي بحث علمي دقيق للأستاذ أحمد سلام بثقافة شبين الكوم يعدد فيه الكتب التي غيرت وجه التاريخ وعلى قمتها القرآن الكريم ثم كتب الأحاديث النبوية الشريفة والسيرة العطرة.

ولم ينس بعض كتب الغرب التي أثرت المكتبة العالمية وأثرت فيها حيث حدد منها ثماني كتب قيمة.

غير أنه يعود للتركيز على الكتب العربية القديمة التي نهل منها الأوربيون وكانت المورد لنهضتهم فيما عرف بعصر النهضة ـ حيث اختار أكثر من عشرين كتابا من أشهرها مؤلفات البيروني والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ـ ومعجم البلدان للحمودي ـ ونزهة المشتاق للإدريسي ـ ومقدمة ابن خلدون ـ وتحفة النظار لابن بطوطة.

كما اهتم بكتب الطب والكيمياء والنبات واختار منها:

كتاب المناظير لابن الهيثم ـ وميزان الحكمة لابن الخازن ـ والحاوي للرازي ـ والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي.

أما عن كتب الفلسفة والمنطق:

فقد ذكر أهل المدن الفاضلة للفارابي ـ والشفاء لابن سينا ـ وإحياء علوم الدين للغزالي.

ولم ينس كتاب الأغانى للأصفهانى ـ والبيان للجاحظ ـ وتاريخ الأمم للطبرى ولقد أنهى بحثه بالحديث عن كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوى الذى حوى أكثر من ثلاثين مقالة فى الطب فى فروع الجراحة والكسور والبتر وآلام الفاصل ـ وعلاج الشرايين ـ واستخراج الحصاوى وإخراج الجنين ، وحدد نوعية الآلات التى تستخدم فى ذلك .

ولقد طبع الكتاب بأكثر من لغة ودرس فى أكثر من جامعة وله الفضل فى بزوغ عهد النهضة .

أضرار التدخين

فى رسالة مطولة لفضيلة الشيخ مصطفى عبداللاه محمد يتحدث فيها عن أضرار التدخين ـ ويوضح فيها أن التدخين من الخبائث حيث يرى أنه محرّم ثم يعدد أضراره الصحية فيؤكد أن هناك دراسات أثبتت أنه يحمل أكثر من مائتى ميكروب منها ما هو خبيث ومنها ما هو قاتـــل ، وأن المدخن إنما يضر بصحته وصحة من حوله مخالفا قول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة ١٩٥ .

ومن أضراره المادية: إهدار المال فيما لا يجلب نفعا بل يجلب الضرر والمرض حيث يُنفق على الدخان أكثر من مليارى جنيه فى العام عدا ما يتركه من آثار سلبية فى مجالات الإنتاج .

ومن أضراره الاجتماعية: انتشار الإدمان وإفساد تربية الأبناء عن طريق تقليد الآباء المدخنين وبذر بذور الشقاق بين الأزواج بسبب رائحته الكريهة التى قد تصل إلى حد الفراق والطلاق .

ومن أضراره الدينية: إيذاء المخالطين ، والحرمان من التوبة بعدم المقدرة عن الإقلاع وبالتالى الحرمان من الدعاء .

وينهى فضيلة الشيخ مقاله بالدعاء إلى الله أن يساعد المدخنين على الإقلاع عن التدخين وأن يشفى المدمنين منهم من هذا المرض الخطير .

افريقيا

فى رسالة مطولة من السيد يحيى النجار بدمياط تحوى بحثا عن افريقيا يوضح فيها أهمية هذه القارة المظلومة التى قسـمها الاستعمار وزرع بين أقاليمها الشقاق وأشاع الفرقة بين أهلها .

ثم يطالب فى نهاية رسالته بالاهتمام بها ورعاية أهلها حتى لا تقع بلادها فى براثن التنصير .

والمجلة تشكر سيادته على هذا التنبيه وإن كان يسعدها أن تفيده بأن للأزهر بعثات رائدة فى أغلب أقطارها، وافتتح بأغلبها معاهد أزهرية وهو فى سبيله إلى إنشاء جامعة أزهرية بها، فضلا عن استقباله للكثير من أبنائها الذين يتلقون العلم فى معاهده مع تدبير الإقامة والإعاشة والرعاية لهم .

كما ينظم الأزهر دورات تدريبية لأئمتها مع أئمة مختلف دول العالم حيث لا تخلو دورة من أحد أبناء هذه القارة .. ونحن الآن فى الدورة السادسة والعشرين بمدينة البحوث الإسلامية .

ردودٌ.. وتعليقات

الأستاذ رفعت أوقودن ـ المعيد بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة ـ جامعة سليمان دى ميرال ـ تركيا .

والأستاذ طويل بن يوسف ـ من ولاية معسكر ـ الجزائر :

يمكنكما الاتصال بمؤسسة الأهرام ـ بالقاهرة ـ شارع الجلاء حيث هى الجهة التى تقوم بتسويق المجلة وتحصيل الاشتراكات .

الأستاذ ياسين كحيا المعيد بكلية الإلهيات ـ جامعة حران ـ تركيا :

المجلة ترحب بالكتابات العلمية والإسلامية وغيرها ويمكنكم الاتصال بإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر بالقاهرة لإمدادكم بما تطلبون .

الأستاذ شحاته أحمد أبوبكر ـ بنى سويف :

تتقدم المجلة بالشكر والتقدير لكم على أعمالكم المتضمنة لهذه الأفكار الإسلامية السوية ـ وتتمنى معك تحقيقها ليستقيم الأمر ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

الأستاذ ناجح جاد عبد الرحيم ـ كلية التربية ـ جامعة أسيوط :

المجلة ترحب بأى بحث علمى ـ طالما كان هدفه خدمة الدين والمجتمع ونحن فى انتظار ما تجود به قريحتك بأى لغة .

الأستاذ عادل على إسماعيل ـ قورص ـ أشمون ـ منوفية :

لعلم العروض كتبه وأساتذته ـ ولا يمكن تدريسه بالمراسلة ـ ولكن يمكنك الاستعانة بأحد أساتذته بمعهد أشمون الأزهرى ـ ويعتبر كتاب اللباب للأستاذ كامل شاهين من أحسن ما كتب فى علم العروض مادة وأدبا .

القارىء الأستاذ محمد فتحى نعيم ـ كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة :

لا نستطيع الحكم على كتاب لم نطلع عليه ـ وكنا نأمل المزيد من المعلومات عنه أو ارسال نسخة منه حتى يمكن تحويلها إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية لتحديد مدى صلاحية تداولها .

الأستاذ محمد عبد المجيد أبوالخير :

لم يصل للمجلة مع كتابكم الرقيق أى قصيدة شعرية ـ حيث لانتوانى فى نشر أى إنتاج جيد صالح للنشر .

الأستاذ حسين عبدالمطلب الأسرج ـ دراسات عليا ـ كلية التجارة ـ بنها :

يمكنك الاتصال بكلية التجارة ـ بجامعة الأزهر ـ وسوف تجد فيها ضالتك وما تصبو إليه ـ حيث أنها هى جهة الاختصاص بموضوع الاقتصاد الإسلامى ـ والله يوفق خطوك وإلى الأمام .

الأستاذ عبدالله أحمد يوسف ـ بالمملكة العربية السعودية :

ليس من مهام مجمع البحوث الإسلامية أو جامعة الأزهر منح شهادات علمية عن طريق

المراسلة – هذا وإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية – بمدينة نصر بالقاهرة تتلقى أى بحث أو مقال أو كتاب لمراجعته وتصحيح مفاهيمه وتنقيته مما قد يشوبه من أى خطأ أو تحريف – ونحن فى انتظار إنتاجكم.

الأستاذ إبراهيم حفناوى – القرين – شرقية :

اقتراحكم تحت الدراسة ونتمنى أن يتحقق لصالح الجميع بمشيئة الله.

إلى الطبيبة ل. ا – بكلية الطب – جامعة الأزهر – قسم الرمد :

لعل أسعد لحظات المرء هى لحظة أن يعطى – وان تكون يده هى العليا – فاليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى.

فمزيداً من العطاء – ولاتهتمى بما يوضع من عقبات أو بيروقراطيات فى طريقك – فالله وحده عنده حسن الثواب.

إلى القارىء الأستاذ قطب سالم عوض الادارة الصحية – أبو حمص – بحيرة :

أولياء الله عباده المختارون، لهم منا كل تقدير وإكرام، والأزهر الشريف لايقف من ولى من أولياء الله إلا كل موقف كريم، إيمانا منه بأن مايدور حول قبور الأولياء الكرام من بدع لاشأن للأولياء الكرام بها، ولايقبل الأزهر مساسا بميت مسلم مهما كان أمره، فقد أفضى إلى ماقدم، ونسأل الله – سبحانه – هُدَى لمن يزور هذه القبور، ليلتزم بسنة الزيارة كما ورثناها عن رسول الله ﷺ.

من ابداعات القراء

جاءنا من الطالبة فاتن شوق على – بقسم اللغة العربية – بكلية الآداب – جامعة المنصورة – قصيدة نقتطف منها :

أشكو لمن ؟ والحزن صار كمرأم ... واليأس يبنى عشه فى أعظمى
والعين تأسى بالدموع ترقرقت ... والنطق يشكو بثه بترنم
وطنى ! وأسأله فكيف يجيبنى ... الخطب ينزف فى الحنايا بالدم
عرب تناثر بينهم إسلامهم ... ما بالهم يتحدثون كنوم
جسد العذارى فى سرايفو غدا ... نهبا لصرب فى حضيض تهجم
يصرخن لاعمٌ يغيث ولا أخ ... اما فى شريعتنا غياث المسلم
ياقوم هبوا فالمصائب جمة ... وتدبروا أحوالنا بتفهم
بالأمس، واغوثاه معتصماه، قد ... ساقت جيوشا كالقضاء المبرم
هيا لنعلى راية الإسلام فى ... وطن العروبة باحترام الضرغم
كان الجدود شموس مجد فى الورى ... كونوا بلألاء العلا كالأنجم

مع تمنياتنا بدوام التوفيق والدقة فى مراجعة النصوص الشعرية.



أنباء وآراء

أنباء

مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى والسيد مستشار الرئيس السنغالى والسيد رئيس وزراء السنغال الأسبق

● التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٥ من صفر ١٤١٥ هـ / ٢٢ من يوليو ١٩٩٤ م وسماحة الشيخ محمد مأمون ابراهيم نياس مستشار رئيس الجمهورية السنغالى للشئون الإسلامية ومؤسس جمعية روضة القرآن والتربية الثقافية بالسنغال .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة السنغال فى مجال التعليم وتخصيص المنح وإيفاد المبعوثين من الأزهر الشريف لدولة السنغال ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الاحتياجات التى تقدم بها الضيف والعمل على تلبيتها فى أقرب فرصة .

● والتقى فضيلته صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من صفر ١٤١٥ هـ ٢٦ من يوليه ١٩٩٤ والحاج/حمادو ضيا رئيس مؤسسة السلام والتنمية ورئيس وزراء السنغال الأسبق ، والسيدة حرمه بحضور السيد محمد شمس الدين أندوى سفير السنغال بالقاهرة وعميد السلك الدبلوماسى الأفريقى بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم مؤسسة السلام والتنمية التى يرأسها الحاج حمادو ضيا فى المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية من خلال علاقات التعاون بين المؤسسة وهيئات الإغاثة الإسلامية والأزهر الشريف .

مفهوم الأمة الإسلامية موجود وباق

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف فى إحدى جلسات المؤتمر السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على أن مفهوم الأمة الإسلامية بكيانها الذى كانت عليه موجود وباق حتى الآن مشيرا إلى أن شكل الأمة الإسلامية قائم بالتزامها بدينها ، ولكنها فقدت الشكل السياسى الذى كان على رأسه أمير المؤمنين ، كان ذلك تعقيبا على ما أثاره الشيخ محمد رشيد قبانى القائم بأعمال مفتى لبنان من أن المسلم يشعر بغربة فى بلد إسلامى آخر لا يتحدث لغته وأن الشعوب الإسلامية لم تعد لديها الوحدة التى تجمعها .

ورأى فضيلة شيخ الأزهر أنه يجب على أعضاء المنظمة العالمية للأمم المتحدة القيام بواجبهم مؤكدا على أن أعضاءها هم الذين تخلوا عن حركتها ، وطالب الكتاب المخلصين لدينهم أن يساهموا فى علاج أمراض أمتهم بالحكمة والكلمة المستنيرة .

● تحدث فضيلة الإمام الأكبر فى جمع من الأئمة الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم للاشتراك فى الدورة السادسة والعشرين للأئمة والدعاة التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ، فأكد فضيلته على أن المسلمين مأمورون بمعايشة كل الناس بحب وإخلاص من خلال علاقات إنسانية على أفضل صورة دون النظر إلى جنس أو لون أو دين .

وأشار فضيلته إلى أن كل مسلم مطالب بأن يمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى كتابه العزيز .

يشارك فى هذه الدورة عدد كبير من علماء الدعوة من كل من نيجيريا وساحل العاج والكاميرون وسيريلانكا واستراليا واوزبكستان ، كما ألحق للدراسة بهذه الدورة عشر طلاب من السنوات النهائية بكليات الشريعة واللغة العربية وأصول الدين من جنسيات مختلفة .

شهد الحفل الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى الأمين العام المساعد للدعوة بالأزهر والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة .

الإمام الأكبر يلتقى
وسماحة مفتى جبل لبنان

التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح الثلاثاء الموافق ٢٤ من صفر ١٤١٥ هـ وسماحة الدكتور محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى لبنان ، وقد طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة عدد أعضاء بعثة الأزهر فى لبنان نظرا لاعتماد المؤسسات الدينية هناك اعتمادا كليا على علماء الأزهر الشريف . وذلك لما لهم من مكانة خاصة فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف للأزهر موقفه الرائد فى مطالبته برفع الحظر المفروض على تسليح المسلمين فى البوسنة والهرسك .

إيفاد علماء واساتذة من الأزهر للمشاركة فى مؤتمرات وندوات دولية

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إيفاد السيد الدكتور محمد محمد محمد رضوان أبو ليلة الاستاذ المساعد بشعبة الدراسات الاسلامية باللغة الانجليزية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر لحضور المؤتمر العالمى السادس للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم المنعقد فى باندونج باندونيسيا فى الفترة من ٢٠ ـ ٢٣ من ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ٢٨ ـ ٣١ من أغسطس ١٩٩٤م .

● كما وافق فضيلته على إيفاد كل من السيد الاستاذ الدكتور أحمد سعد الدين على البساطى عميد كلية الدراسات الاسلامية بدمياط وفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود محمد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر إلى نيامى للمشاركة فى دورة تشكيل موجهين فى مجال الأسرة المزمع عقده فى المدة من ٢١ ـ ٢٣ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ٢٩ ـ ٣١ من اغسطس ١٩٩٤م .

إنشاء كلية جديدة بمحافظة كفر الشيخ

● ووفق على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنين تابعة لجامعة الأزهر مقرها مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ .

حركة ترقيات للعاملين بالأزهر

اعتمد فضيلة الشيخ السيد سعود وكيل الأزهر الشريف حركة ترقيات واسعة شملت ٣٦٣ موظفا وعاملا بالدرجات الأولى حتى الخامسة تنفذ الحركة إعتبارا من السادس من ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ١٤/٨/١٩٩٤م .

وذلك وفق القرار رقم ١١٧٩ الذى أصدره فضيلة وكيل الأزهر الشريف فى ٦ من ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٤/٨/١٩٩٤م .

على هامش

المؤتمر السادس

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

افتتح الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء نائبا عن السيد رئيس الجمهورية المؤتمر العام السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد بمدينة الإسكندرية فى الفترة من ٨ - ١١ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ/١٦ - ١٩ من أغسطس ١٩٩٤ م، برعاية سيادته وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

بدأت أعمال المؤتمر بالجلسة الافتتاحية التى عقدت صباح يوم الثلاثاء ٨ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ/ ١٦ من أغسطس ١٩٩٤ م، وشهدها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

كذلك شهدها السادة :

- الأستاذ الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية .
- الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .
- الأستاذ الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .
- الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .
- الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأمين المؤتمر .
- السيد المستشار اسماعيل الجوسقى محافظ الاسكندرية .

وعدد من السادة الوزراء وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف وأساتذة جامعة الأزهر .

وقد افتتحت الجلسة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأمين عام المؤتمر كلمة أكد فيها على الدور المؤثر الذى يمكن أن يقوم به العالم الإسلامى فى التوازن الدولى من خلال الرسالة الإلهية التى تتميز بالشمولية والوحدة الروحية والإيمانية ، والتى يمكن أن تؤثر بقوة فى مستقبل الإنسانية بصفة عامة والعالم العربى والإسلامى بوجه خاص .

بعد ذلك تحدث الدكتور على فهد الزميع وزير أوقاف الكويت فألقى كلمة الوفود التى أكد فيها على

أن العالم الإسلامي يواجه تحولات إقليمية وعالمية جذرية مشيراً إلى بعض الأقطار الإسلامية التي تئن تحت ضغوط وصعاب هائلة تتمثل في انتشار الحروب والصراعات العرقية والدينية والمذهبية على جميع الأصعدة .

ثم تحدث السيد المستشار اسماعيل الجوسقي محافظ الإسكندرية مرحباً بالوفود المشاركة في المؤتمر على أرض الاسكندرية مشيراً إلى أن هذا الحشد الإسلامي الكبير يعكس مدى التآخي والتلاحم بين الأمة الإسلامية مؤكدا على أن المتغيرات العالمية المعاصرة من حولنا تؤكد أهمية الوحدة والتضامن بين بلدان العالم الإسلامي .

كما ألقى الدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي كلمة عبر فيها عن شكره وتقديره للرئيس مبارك لرعايته لهذا المؤتمر ودعا خلال كلمته الدول الإسلامية إلى ضرورة التضامن والتعاون وتوحيد الجهود ليكون لها دور في النظام العالمي الجديد .

ثم ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة أشار فيها إلى أن المؤتمر ينعقد في فترة من أخطر الفترات وأهمها على الاطلاق ؛ حيث اختلطت فيها المفاهيم وزاغت الأبصار عن رؤية الحق .

كما أشار سيادته إلى أن عالم اليوم هو عالم الكيانات العملاقة والتقدم العلمي الكبير الذي لا مكان فيه للضعفاء والمتخلفين .

وطالب الوزير في ختام كلمته الأمة بالتحرك في كافة الاتجاهات ؛ لتسترد مكانتها بين الأمم والشعوب .

ثم كانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التي أكد فيها فضيلته على ضرورة قيام علماء الأمة الإسلامية بوضع تشخيص دقيق لمشكلات الأمة من أجل وضع العلاج المناسب واللازم لها بما يمكنها من أداء دورها الفعال وأخذ مكانها الملائم في مصاف الأمم والمجتمعات المتقدمة بما تملكه من حضارة وثقافة .

ودعا فضيلته الإمام الأكبر إلى ضرورة التنسيق والتعاون المشترك بين الدول الإسلامية في مجالات التربية والتعليم والدعوة بهدف حسن إعداد الأجيال القادمة الواعية بأمور دينها .

وأوضح فضيلته في ختام كلمته أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام في الدول الإسلامية من أجل حماية قيم ومثل المجتمعات الإسلامية خاصة في ضوء ثورة الاتصالات والمعلومات .

بعد ذلك ألقى الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء كلمة السيد رئيس الجمهورية التي وجهها سيادته لأعضاء المؤتمر والتي دعا فيها المسلمين إلى الارتفاع فوق دواعي الأنانية وأوهام العزلة مؤكدا على أن توجيه الجهود وتنسيق الأعمال والانشغال بقضايا الأمة هو الطريق الوحيد لرعاية الأقطار المختلفة .

وقد وافق المؤتمر في جلسته الافتتاحية على الاقتراح الذي تقدم به الدكتور محمود صفر وزير الحج السعودي أن تكون كلمة السيد الرئيس وثيقة عمل للمؤتمر وذلك لما اشتملت عليه من مبادىء ومقترحات لمواجهة مشكلات العالم الإسلامي .

وقد عقد المؤتمر تحت شعار « الأمة الإسلامية حاضرها ومستقبلها » . حيث شارك فيه أكثر من مائة عالم ووزير أوقاف يمثلون أكثر من مائة دولة مسلمة ، كما شاركت فى المؤتمر بعض دول غير إسلامية منها اليابان والصين وسنغافورة ومقدونيا وبورما وكوريا الجنوبية .

كما شارك فى المؤتمر مستشارين لرؤساء دول فلسطين والسنغال وأوزبكستان .

وقد ناقش السادة الحضور على مدى أربعة أيام فى جلسات صباحية ومسائية أكثر من خمسة عشر بحثا عالجت ـ من خلال خمسة محاور أساسية ـ هموم وقضايا الأمة الإسلامية .

وقد اشتملت هذه المحاور على الجوانب الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية من خلال المنظور الإسلامى .

كما تناولت المناقشات التوجيهات العالمية الجديدة والتعاون بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم الأخرى .

وكان من أهم الموضوعات والأبحاث التى نوقشت فى اليوم الثانى للمؤتمر البحث الذى تقدمت به الدكتور أمنة محمد نصير عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية حول حقوق المرأة المسلمة بين الجمود الفكرى والمفهوم الحضارى .

كذلك البحث الذى تقدم به الدكتور عبدالصبور مرزوق حول مستقبل المسلمين فى العالم اليوم والذى انتهى فيه إلى ضرورة استمرار الحوار بين الشمال والجنوب الإسلامى لتذويب الفوارق والقضاء على التبعية لغير المسلمين ، كذلك البحث الذى تقدم به الأستاذ الدكتور السعدى فرهود والذى أكد فيه على ضرورة الاهتمام باللغة العربية « لغة القرآن الكريم » لتنشئة أجيال واعية قادرة على اتقان اللغة العربية .

كما نوقشت عدة أبحاث أخرى تقدم بها كل من الدكتور عبدالمجيد الطرابلسى وزير الأوقاف السورى ومصطفى السيسى مستشار رئيس جمهورية السنغال والدكتور محمد كريمات وزير شئون الحج فى بنجلاديش .

وفى اليوم الثالث للمؤتمر حفلت الجلسات بمناقشات هامة ومساجلات واعية وعميقة بين المشاركين حول قضايا ومشكلات العالم الإسلامى المعاصر ، وسبل حلها وكان من أبرز تلك القضايا ما أثاره الشيخ محمد رشيد قبانى القائم بأعمال مفتى لبنان أن المسلم يشعر بغربة فى بلد إسلامى آخر لا يتحدث لغته ، وأن الشعوب الإسلامية لم تعد لديها الوحدة التى تجمعها .

وقد علق فضيلة الإمام الأكبر على ما أثاره السيد رشيد قبانى مؤكدا أن مفهوم الأمة الإسلامية بكيانها وما كانت عليه موجود وباق حتى الآن مشيرا فى هذا الصدد إلى أن الأمة الإسلامية قائمة بالتزامها بدينها ولكنها فقدت الشكل السياسى الذى كان على رأسه أمير المؤمنين .

وحول اقتراح تقدم به أحد المشاركين فى المناقشات بأن يكون للمسلمين مقعد فى مجلس الأمن ، أشار فضيلته إلى أنه يجب على أعضاء المنظمة القيام بواجبهم مؤكدا على أن أعضاءها هم الذين تخلوا عن حركتها .

وطالب فضيلته الكتاب المخلصين لدينهم أن يساهموا فى علاج أمراض أمتهم بالحكمة والكلمة المستنيرة .

وقد عقد المؤتمر جلسته الختامية صباح يوم الجمعة الموافق ١٩ / ٨ / ١٩٩٤ حيث ألقى السيد الأستاذ الدكتور أمين عام المؤتمر البيان الختامى والقرارات والتوصيات الصادرة عنه .

وقد أشاد المؤتمر فى بيانه بموقف الرئيس محمد حسنى مبارك الواضح حول مؤتمر السكان والتنمية المزمع عقده فى القاهرة فى شهر سبتمبر الحالى وما أكده الرئيس مبارك من رفض مصر لكل ما يخالف الشريعة الإسلامية وما يتنافى مع قيم وتقاليد وأخلاق الشعب المصرى .

كما أعلن المؤتمر تأييده الكامل لكل ما جاء فى بيان مجمع البحوث الإسلامية الصادر حول وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ، وقد جاء هذا التأييد بعد مناقشة المؤتمر للوثيقة وموقف الأزهر ومجمع البحوث وما أثير فى الصحف حولها أثناء انعقاد المؤتمر .

وكان من أبرز القرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ما يلى :

أولا : التأكيد على أهمية وضرورة الالتزام بأحكام الإسلام السمحة بجوانبها المختلفة العقائدية والتشريعية بعيدا عن الغلو والتطرف والتعصب المذهبى ، كما طالب المؤتمر الدول الإسلامية التى تأخذ بنظام الشورى تعميق مفاهيم ذلك النظام .

ثانيا : المطالبة بتكريم لغة القرآن (اللغة العربية) بحيث تصبح لغة دولية مطالبا فى هذا الصدد الدول التى لا تتحدث العربية وتعتنق الإسلام أن تعمل على نشر اللغة العربية مستقبلا .
كما طالب المؤتمر بضرورة التنسيق بين برامج التعليم المختلفة ومنها الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاقية فى مواجهة الغزو الثقافى والوقوف أمام عمليات التغريب والأفكار الهدامة المتطرفة .

ثالثا : التأكيد على عروبة القدس وأهميتها التاريخية والدينية وتحمل المسلمين مسئولية تحريرها كعاصمة تاريخية لفلسطين وحماية الأماكن المقدسة بها وكفالة حريتها لكافة الأديان .

رابعا : مناشدة المجتمع الدولى تحمل مسئوليته بإلغاء القرار الذى يحظر مد الشعب البوسنى بالسلاح تمكينه من ممارسة حق الدفاع الشرعى وتقديم مجرمى هذه الحرب إلى المحاكمة الدولية

خامسا : دعوة منظمة المؤتمر الإسلامى وسائر المنظمات والبلدان الإسلامية والعربية إلى مضاعفة الجهد لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى لأجيال المغتربين من خارج ديار الإسلام .

سادسا : مناشدة العلماء والمفكرين وجهات النشر التصدى بالتصويب لكل ما يصدر من كتب ونشرات وأفلام وغيرها تشوه صورة الإسلام .

سابعا : الدعوة إلى مزيد من صور التآخى ومد الجسور للتعاون والتلاقى فى حوار هادف بين أبناء الديانات السماوية لاستخلاص المبادىء والقيم المشتركة بين أتباع الرسالات السماوية التى جاءت لإسعاد البشرية وإشاعة روح التسامح والمحبة والسلام بين أبناء البشر جميعا .



إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد نشير

خبر هام

قررت جامعة الأزهر اعتبار حفظ القرآن الكريم كاملا شرطا أساسيا للحصول على أى من درجتى الماجستير والدكتوراه من الأزهر .. وأصدر رئيس الجامعة قرارا بعدم السماح لطلاب الدراسات العليا بمناقشة رسائلهم إلا بعد اجتياز حفظ القرآن الكريم كاملا .

جزر القمر

أكد رئيس جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية اهتمام حكومته بالتربية الدينية والتمسك بالهوية الإسلامية .

جاء ذلك خلال اللقاء الفكرى الذى جرى بينه وبين الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى .

كما أعرب سيادته عن شكره للرابطة على اهتمامها بتوثيق علاقات التضامن مع بلاده خصوصا فى مجال التعليم والثقافة والدين .

جامعة الأزهر

يجرى حاليا البدء فى إنشاء مبنى لكلية الشريعة والقانون وآخر للدراسات الإسلامية والعربية للبنين وكذلك إنشاء مستشفى تعليمى على أحدث مستوى لتدريب طلاب وطالبات كليات طب الأزهر بمدينة نصر ، وذلك فى إطار الخطة الجديدة لموازنة جامعة الأزهر هذا العام .

كينيا

قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إنشاء مركز إسلامى فى العاصمة نيروبى بالاضافة إلى

بعض المشروعات الخيرية والجدير بالذكر أن منظمة المؤتمر الاسلامى قدمت ٦٥ ألف دولار للمساهمة فى إنجاز هذه المشاريع الهامة .

السـنغال

أقيم مؤخرا بمدينة لوغا بالسنغال احتفال بمناسبة تخرج الدفعة الأولى من الطلاب الحاصلين على شهادة الثانوية العامة والإعدادية من معهد الحنفية الإسلامى .

الهنـد

تقوم حاليا لجنة من بعض العلماء المسلمين بالهند بإعداد الدراسات اللازمة لإنشاء جامعة الشيخ مظهر الحق العربية ، وذلك فى ولاية بتنا بالهند وستقوم هذه الجامعة بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لأبناء المسلمين هناك .

باكسـتان

يعقد فى باكستان فى الفترة من السابع الى الخامس عشر من اكتوبر المقبل الاحتفال العالمى الأول للحرفيين من العالم الإسلامى ، وينظم الاحتفال مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ومقره اسطنبول بتركيا بالتعاون مع وزارة الثقافة الباكستانية ، وسيقوم منظمو المؤتمر بعقد ندوات من البحث فى كيفية الحفاظ على الحرف اليدوية فى العالم الإسلامى وتطويرها .

هذا وسيتم منح (١١) جائزة للفائزين فى المسابقات المختلفة التى ستقام على هامش الاحتفال وذلك للحرف اليدوية المختلفة .

إلى السـادة الكتـاب

على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ ـ اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

٢ ـ ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ ـ يُدَوّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .

وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .

هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الخالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير

son agresseur 'Omar dit : "Béni soit le seigneur. Qui a fait que mon assassin ne soit pas un musulman : je sais que les arabes n'auraient jamais pensé à me tuer".

On emporta le prince des croyants à sa maison et on lui dit : "permets-nous d'amener un physicien". Omar répondit : "Faites ce que vous voudrez" On fit donc chercher un physicien des Béni-Hârith, nommé Ka'b; c'était un homme savant. Cet homme lui fit boire de l'eau; elle sortit par la blessure qu'il avait sous le nombril; puis il lui fit boire du lait, qui sortit également. Alors le physicien dit : "Prince des croyants, fais ton testament, car ta fin est proche". "Omar répliqua : "Je l'ai déjà fait". Ensuite il fit appeler 'Ali, 'Othman, Zobaïr et Sa'd et leur parla en ces termes : "Le prophète, au moment de quitter ce monde, était satisfait de vous; il ne faut donc pas que vous soyez privés de cette succession. Délibérez, pendant les trois jours qui suivront ma mort avec Talha, s'il peut être présent, sinon à vous quatre, pour choisir l'un d'entre vous à qui vous imposerez la charge du gouvernement. Je recommande à celui qui aura été choisi d'être bienveillant envers les ançars, de traiter avec bonté les arabes, qui sont la force de l'islamisme. Je lui recommande aussi la bienveillance envers ceux qui appartiennent à d'autres religions". Après avoir prononcé ces paroles, 'Omar sentit faiblir ses forces; il fut hors d'état de parler, et il ferma les yeux. Il resta ainsi pendant quelque temps; puis il ouvrit les yeux et demanda à son fils 'Abdallah, qui était assis à son chevet, d'aller trouver 'Aïcha la mère des croyants (a.s.e) pour lui demander la permission de l'enterrer à côté du prophète; car cet endroit lui appartient à elle "Si elle donne la permission dit-il, enterre-moi là; si elle me la refuse, fais-moi enterrer au cimetière des musulmans". 'Omar rendit le dernier soupir et fut enterré à côté de ses deux compagnons : le Prophète (salut et bénédiction sur lui) et Abou-Bakr As-Siddik. Celui qui aura un jour le privilège de visiter Médine, qu'il salue le dernier des prophètes ainsi que ses deux fidèles compagnons enterrés à côté de lui. 'Omar (qu 'Allah soit satisfait de lui) est mort le 26 du mois de Dhoul-Hidjja de l'an 23 de l'Hégire. Il était âgé de 63 ans. Il légua à son successeur un Etat en plein essor, dont la superficie était aussi grande que la pénétration de l'Islam dans le coeur de ceux qui l'avaient rejoint.

Que «Allah bénisse Omar Ibn Al-Khattab» et le comble de Ses Bienfaits pour tout ce qu'il a fait pour la communauté.



Commentaire autour de l'assassinat

de Omar Ibn Al-Khattab

et l'assassinat de Othman Ibn Affan

par Hoda Hussein Cha'rawi

Le califat de Omar Ibn Al-Khattab a duré 10 ans et 6 mois. A la vingt-troisième année de l'Hégire Omar fit le pèlerinage et emmena avec lui toutes les femmes du prophète (salut et bénédiction sur lui) et il préleva les dépenses de leur voyage sur le trésor public. Lorsqu'il rentra à Médine, vers la fin de l'année, il fut assassiné et mourut de la main d'un esclave d'Al-Moughira nommé Faïrouz, et surnommé Abou-Lou-Loua. Mais pourquoi cet esclave tua-il le prince des croyants? Ce Faïrouz était un esclave abyssin chrétien.

Cet homme était venu trouver 'Omar pour se plaindre de son tuteur Al-Moughira qui lui avait imposé le paiement d'une somme qui lui permettrait de s'affranchir et qu'il estima à deux dirhams par jour, et qu'il jugeait trop lourde. 'Omar lui demanda ce qu'il savait faire. "Je suis, répondit l'esclave, charpentier, peintre graveur et je suis aussi forgeron 'Omar considéra que le montant de la taxe était logique par rapport à son savoir-faire. Alors Faïrouz s'en alla fâché en disant : "Tout le monde a droit à la justice sauf moi".

Lorsqu'il s'en alla, 'Omar fit remarquer à ceux qui étaient présents dans son assemblée que l'homme l'avait menacé; il ne se préoccupa plus de cela, et avait même l'intention de parler à Al-Moughira pour qu'il soit plus indulgent avec lui.

Trois jours après, un mercredi, avant la fin du mois de Dhoul-Hidjja, vers l'aube Omar se rendit à la mosquée pour la prière. Les compagnons du Prophète-salut et bénédiction sur lui-étaient tous présents et rangés en files. Abou-Lou Loua s'était placé au premier rang. Il avait un couteau abyssin, un couteau double, dont le manche est au milieu, avec une lame tranchante à chaque bout. Les Abyssins se servent de ces couteaux pour pouvoir frapper dans deux directions, vers la droite et vers la gauche. Il faisait encore sombre lorsque 'Omar passa devant Abou-Lou'Loua, qui se précipita sur le calife et le frappa de six coups de couteau, dans les côtés droite et gauche de son corps, sur le bras et sur le ventre, et un coup au-dessous du nombril, coup qui fut mortel. 'Omar était grièvement blessé mais ceci ne l'empêcha pas de désigner Abd-Arrahmâne Ibn Auf pour présider à la prière en assemblée. Lorsqu'il fut informé de l'identité de

12- L'Islam ne fait aucune différence entre le mâle et la femelle en ce qui concerne l'importance de l'éducation et de la surveillance. ils constituent les deux piliers essentiels dans la structure de la société.

D'ailleurs, l'Islam traite équitablement le mâle et la femelle en ce qui concerne les obligations et les droits prescrits par la religion selon les capacités et les responsabilités de chacun d'eux, et selon la coopération commune qui vise le bien-être de la famille et par conséquent de la société.

Le domaine des activités dans le domaine du développement pour chaque sexe est assez vaste, que ce soit au sein de leur foyer, ou à l'extérieur, tout en essayant d'harmoniser les différentes obligations.

13- L'Islam impose le maintien des bonnes moeurs, aussi bien pour les petits que pour les grands, afin de sauvegarder constamment la conduite de toute influence négative, et il réserve à l'idéal un rôle influent dans ce sujet.

Voici quelques directives qui doivent être prises en considération lors de la discussion des questions qui seront traitées au cours de la conférence sur la population et le développement.

Ces directives sont présentées par l'Azhar dans le cadre de sa mission sacrée qu'il accomplit depuis des centaines d'années.

Qu'Allah nous accorde Son Concours.

Le président du Comité de la"Fatwa"
à la Mosquée Al-Azhar.
Attia Mohammad Sakr
Membre de l'Académie des Recherches Islamiques

(1) Voir verset 21 de la Sourate "Les Romains".
(2) Voir verset 71 de la Sourate "L'immunité" et les versets 45, 46 et 47 de la Sourate "L'Etoile".
(3) Voir verset 229 de la Sourate "La Vache".
(4) Voir verset 19 de la Sourate "Les Femmes".
(5) Voir les recommandations de la 8ème conférence de l'Académie des Recherches Islamiques.
(6) Voir verset 34 de la Sourate "Les Femmes".
(7) Voir verset 132 de la Sourate "TA.HA" et le verset 29 de la Sourage "L'Araignée".
(8) Voir, comme exemple, les paragraphes 2, 3, 43 et 45 du 7ème article du projet de programme d'action de la Conférence.
(9) Voir les versets 30 et 31 de la Sourate "La Lumière".
(10) Voir la décision de l'Académie des Recherches Islamiques prise dans la séance no. 7, session no.30, tenue le 19 Chawal 1414 Hg (31 Mars 1991).
(11) Voir comme exemple, l'article 7, paragraphe 3, 4, 5, 6 et 8.

et l'autorité, déclarer les guerres qui avortent les efforts humains dans le domaine du développement, et dont les conséquences néfastes font souffrir aussi bien le vainqueuré que le vaincu; tandis que ces efforts auraient pu être orientés vers le bien-être de tous ceux qui travaillent pour vivre.

7- C'est temporairement que l'Islam approuve le contrôle des naissances, afin de résoudre les crises créées par l'extravagance du cerveaux humain, et par la suite permettre à l'Homme d'accomplir de nouveau sa mission d'une façon normale telle qu'elle lui a été prescrite par "Allah".

8- L'Islam condamne catégoriquement l'avortement - que la grossesse soit le résultat d'un mariage légitime ou d'un adultère - sauf en cas d'urgence, quand la vie de la mère est en danger.

De même, l'Islam refuse la stérilisation permanente - de l'homme ou de la femme - qui les empêche de remplir leur fonction naturelle, à savoir la préservation de l'espèce humaine.

9- L'Islam accorde un intérêt majeur à la famille, car elle constitue la première cellule dans le corps de la société. Il a procuré les lois qui lui garantissent son équilibre et sa sérénité et l'aide à accomplir sa tâche dans le cadre d'une surveillance nécessaire pour chaque groupe visant le bien-être de ses membres, assurant l'échange des points de vue et la coordination des efforts dans une atmosphère harmonieuse pour son intérêt et l'intérêt des autres groupes qui collaborent en fin de compte pour assurer l'intérêt de la société humaine.

10- La famille stable et productrice est celle qui est basée sur le mariage légitime qui préserve l'espèce humaine, et éduque les générations dans un milieu sain où les droits et les obligations sont respectés, et qui contribue affectivement au bien-être de l'humanité.

11- L'Islam rappelle constamment l'importance de l'éducation parfaite des générations pour qu'elles puissent accomplir leur mission après leurs parents. Les parents sont les premiers responsables de cette éducation basée sur la bonne conduite qui sera contrôlée minutieusement.

D'ailleurs l'Islam refuse catégoriquement d'accorder une liberté non contrôlée aux jeunes, surtout pendant les périodes critiques de leur vie, ce qui nécessite la coopération et la mobilisation de tous les services de l'Etat pour accomplir ce devoir. Certes, la conduite est influencée par plusieurs facteurs intérieurs et extérieurs. Ces différents facteurs doivent être harmonisés et orientés dans une seule voie.

direction héritée par l'humanité depuis le jour où Adam est descendu sur terre, quand "Allah" lui dit: " La Direction vous sera indiquée, de Ma part. Quiconque aura suivi Ma Direction ne s'égarera poas et il ne sera pas malheureux".

Nous trouvons aussi dans les textes de l'Islam - la religion de tous les temps et de tous les lieux - l'esprit qui nous incite au bien et à recourir toujours au meilleur, confirmant que le croyant fort est plus proche d'"Allah" que le croyant faible. C'est la religion qui nous ordonne à tenir à tout ce qui peut servir l'Homme dans le cadre de sa religion et au cours de sa vie.

2- Dans le cadre du développement économique, l'Islam invite au travail continu, prenant en considération la coordination entre le culte et les besoins de son existence par les voies légitimes, pour assurer la dignité à l'Homme d'une part et pour l'aider à accomplir sa mission réformatrice d'autre part, en dénigrant la pauvreté qui conduit à l'ignominie et à l'humiliation ou le pousse à dévier du droit chemin.

3- L'Islam affirme que les ressources créées par "Allah" sont infinies, car "Allah" l'Omniscient, le Judicieux, et le Miséricordieux a créé les moyens d'existence de chaque créature sur terre avant même sa création, et il lui en a facilité le chemin et l'a ordonné de les chercher partout sur la terre, dans la mer, ou dans quelque autre endroit.

4- Au moment où l'Islam incite l'homme au travail fructueux et sérieux par les moyens légitimes, il l'incite également à tirer le meilleur profit des ressources en les orientant aux domaines légitimes avec modération, plaçant toute chose à sa place, tout en respectant les priorités imposées par les circonstances du temps et du lieu.

5- "Allah" a imposé cette politique de développement et a chargé l'être humain de son exécution, pas de différence entre homme et femme, grand et petit, à condition qu'il ait la capacité et la compétence de l'accomplir, tout en assurant la coordination entre les efforts et les moyens, et mettre chaque personne à la place qui lui convient pour s'assurer de la perfection de sa production et de sa conduite.

6- La rationalisation de la consommation et le bon usage des ressources ne signifient pas uniquement le fait de contrôler les naissances, car la reproduction est essentielle pour que la vie continue jusqu'au jour du jugement dernier.

En effet, il y a d'autres facteurs d'une extrême importance en ce qui concerne la dilapidation des ressources et l'épuisement de l'effort humain comme l'excès du plaisir et du luxe, dépasser les limites légitimes dans la conduite comme la course incontrôlée pour l'armement, et la domination, se permettre tous les moyens en vue d'imposer le pouvoir

Au nom d'Allah
Celui qui fait miséricorde
Le - Miséricordieux.

Commentaire du Comité des consultations "Fatwa" de la Mosquée Al-Azhar à l'occasion de la Conférence sur la Polpulation et le Développement tenue au Caire.

Population et Développement sont l'une des causes importantes qui occupent actuellement le monde. Plusieurs conférences ont été tenues à ce sujet afin de créer l'équilibre entre les ressources disponibles et la croissance démographique, demande proclamée par "Malthus" et autres qui ont observé le ralentissement de l'augmentation des ressources d'une part et la croissance démographique d'autre part.

Une conférence sera tenue au Caire du 5 au 13 Septembre 1994 pour discuter ce problème, elle sera suivie par les points de vues et les commentaires relatifs à l'aspect religieux.

Cette conférence - comme les conférences précédentes - traitant du même sujet - est extrêmement importante car elle aura lieu en Egypte qui occupe une position distinguée dans le monde islamique.

Sa constitution stipule que l'Islam est sa religion officielle, en outre la Mosquée Al-Azhar, responsable de l'enseignement de la religion et sa propagation dans le monde entier siège en Egypte.

De ce qui précède, l'Azhar - vu sa position religieuse et la vocation qu'il assume de plus de mille ans - voudrait jeter la lumière sur l'opinion de la religion en ce qui concerne ces conférences: leurs décisions, ainsi que les commentaires qui les suivent.

L'Azhar a donc formé un comité des membres de l'Académie des Recherches Islamiques et des experts hautement qualifiés en la matière, afin de passer en revue les recommandations et les opinions issues de ces conférences. Ce comité a également pris connaissance du programme d'action de cette conférence qui aura lieu au Caire en Septembre 1994.

Commentaires du Comité de la "Fatwa" sur le programme d'action de cette conférence:

1- L'Islam, est une religion qui ne s'oppose pas au progrès recommandé par la loi divine, bien au contraire, l'Islam encourage le développement global de l'Homme dans tous les domaines, dans le cadre de la bonne

REVUE AL AZHAR

VOL. 67 PART IV
Rabiu AL-AKHAR, 1415 Higrah

Section Française

"Every new-born is delivered on the right path but his parents change this doctrine into Judaism, christianity or Buddhism etc".

"Qur'an emphasizes the importance of saving one's Soul and his family from deviating from Allah's commands or committing forbidden actions in this verse" O You who believe' Fear the Fire, whose fuel is men and stones.

There is no doubt that, maintaining the children's Islamic intincts by acustoming them to prayers and fasting as well as teaching them the requiered of Islamic creeds and laws, would be their safeguard which is included in the above verse. In this case, permitting Muslim children or even forcing them to attend instructions on christian doctrine or any other religion would be considered an attack on their instinctive nature and distorting it. Therefore these children must be kept away from any teachings of polytheism which might keep them away from monotheism.

This is considered a crime against these pure Muslim children sinful act that their parents would be demanded to answer for infront of Allah.

Therefore parents are forbidden to let their children learn lessons on such doctrines which violate the religion of Islam. The one who allows his children to such classes will be considered a sinful person according to the system of education in London, as stated in the letter, parents can withdraw their children from any religious lessons different to Islam. Quran 66.6.

However, the parents should take extra care of their children and keep them away from such lessons and notify the concerned schools about their wishes. We request that Islamic centres and schools in London should attract and direct the attention of Muslims. Living away from Muslim oriented societies to this duty. This will help Muslims achieve their aim to keep and maintaen the Islamic instincts and creeds of their children and help in bringing them up on the principles and virtues of Islam.

May Allah Almighty guide us to the right path.

Signed by

Sheikh Al-Azhar

Gad El Haq Ali Gad El Haq

Legal opinion (Fatwa) Regarding

EDITED BY : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY PHD.

Translated by / Sheikh : Muhammad Mustafa Gemea'h.

Duties of the parents to safeguard their children in London or non-Muslim courtries, from learning other religions besides Islam.

The office of the Grand Imam. Sheikhul-Azhar has received a letter in English from Mr. Yusuf Islam, London. England requesting urgently the Fatwa from his eminence on the following :

"1-Is it permissible for Muslim children to attend state schools when under curriculum changes to be imposed soon, all children will be forced to learn over 50% about christianity in their RE lessons? Up until now, children learned about different faiths as well as the Christian religion including Islam.

2-Is it permissible for them to continue to attend the RE lessons when it is known that the lessons will teach them about other than the pure Tawhid of Islam (i.e. shirk)?

There is allowance in the law for parents to withdraw children from their lessons on religious grounds the problem is that many parents do not understand the importance of using this allowance.

The answer

The children whether males or females, are a gift from Allah Almighty. Parents should therefore look after them spiritually and physically. Moreover, they are responsible for raising up their children according to the true religion and sound instincts as well as protecting them from deviating away from the right path, Islamic aims and requirements of Islamic laws (shari'ah).

The prophet Muhammad (PBUH) said "Be kind to your children and teach them to bhave well". He also said : "You are all (like) shepherds and you are all responsible for your flocks the ruler is a shepherd and responsible for his subjects the husband is a shepherd and responsible for his family the wife is a shepherd and responsible in her husband's house the servant is a shepherd and is responsible for his master's property you are all sphepherds and all of you are responsible for your flocks".

Prophet Muhammad (PBUH) has shown in his Hadith that the newborn begins his new life with a pure instinctive nature represented in the faith in Allah. The One and only God, the Eternal, the Absolute, He begots not. Nor was he begotten and there is none comparable to him.

This instinctive nature is not in any way changed, ultered, distorted or corrupted except by the parents or guardians if they neglect them children and expose their pure instinctive nature to Judiasm Christianity or Buddhism. The Prophet's (PBUH) Hadith states :

therein convey unacceptable notions such as equal inheritance rights of male and female as indicated in paragraph 17 of Article 4, and obliging governments and non-governmental organizations to raise the minimum age for marriage as well as providing alternatives for early marriage as mentioned in paragraph 22 of Article 4 which could be interpreted as a call for facilitating the exercise of prostitution.

The Academy, therefore, calls upon the participating countries to amend the Draft and to revise its formulation so that it may not include, even by way of connotation, anything contradicting Islâmic Shari'ah or anything cherished by revealed religions and considered part of the traditional value system of Islamic countries throughout the centuries. The Academy draws attentions, particularly, to Article 7 of the Draft which contains several paragraphs imparting to the other sections of the Draft phrases and expressions that should be reformulated in a clearer and more precise manner. In this context the Academy underlines the fact that it rejects anything that goes against Islamic Shari'ah and recommends to express reservation thereupon so that Islamic community may not be bound to accept any part thereof.

Sheikh of Al-Azhar
President of the Islamic Research Academy
Gadul Haqq Ali Gadul Haqq

1- See verse 21 of Suratur "Rym"
2- See verse 71 of Suratut "Tawbah" and verses 45, 46 and 47 of Suratun "Najm"
3- See verse 229 of Suratul "Baqarah"
4- See verse 19 of Suratun "Nisaa"
5- See Recommendations of 8th Assembly of Islamic Research Academy
6- See verse 34 of Suratun "Nisaa"
7- See verse 132 of Suratu "Ta-Ha" and verse 29 of Suratul "Ankabut"
8- See, for example, paras 2,3,43 and 45 of Article 7 of the Draft.
9- See verses 30 and 31 of Suratun "Nur"
10- See resolution of Islamic Research Academy during 7th meeting of 30 session held on Shawal 19, 1414 H., corresponding to March 31, 1994.
11- See, for example, paras 3,4,6 and 8 of Article 7.

punishments for the crimes of adultery and sodomy even in the case of mutual consent between adults. It also prohibits any advances leading to them such as outrageous association or secluded company between a man and a woman. It goes even further to order men and women to cast down their eyes in order to ward off any seductive attraction. In so doing Islam, like any other revealed religions, tries to ensure stability of societies on righteous foundations that secure health, psychological and social prowess.

Accordingly, it is against Islam to permit any modes of cohabitation other than marriage, as indicated in paragraph 5 of Article 5 of the Draft, , or to permit unmarried people to enjoy a full sexual life, as indicated by paragraphs 1 and 2 of Article 7, or finally to permit making the services of sexual and venereal care, including family planning, available to everybody regardless of marriage as a requirement for extending such services, as is understood from paragraphs 3,4,6, and 8 of Article 7.

III. Abortion:

The Islamic Research Academy of Al-Azhar has ruled definitively that abortion is absolutely illicit (even if it is the result of adultery or rape), except in cases where it is medically established that, otherwise, the mother's life is in danger, because she is the origin, and that her existence is established and her right to live is an independent one. She has certain rights and others are claimed upon her. It is logical then not to sacrifice the mother's life for the sake of an embryo whose life is not yet independent, and who is, generally considered, as one of the mother's organs. (10) It follows that permitting abortion in cases other than the abovementioned, contradicts with the rules of Islam, even if it is put under such denominations as family planning, reproductive health and sexual health. (11)

Though the Islamic Research Academy has limited this presentation to the three points discussed above, it does not, of course, mean that the Draft is free from contravening Islamic Shari'ah on other points. Certain expressions

1- **On the Family:**

Islam proclaimed the family to be the source of peace of mind and mutual affection and mercy (1), and considered male and female equal human beings in the family context (2), and granted either party the right to establish marriage and continue married life as long as the injunctions ordained by God are observed (3). In so doing both parties were ordered to put up with anything they may dislike in it for "it may be that they may dislike something, but God brings about through it a great deal of good". (4) Islam calls for bringing up children and develop their belief in God and trust in His wisdom and ruling so that this belief could serve as a hedge providing the individual with protection and security throughout his or her life from childhood to old age (5). Men are the protectors and maintainers of families by virtue of discharging responsibilities for sustaining them and meeting their needs (6), safeguardign younger generations and exhorting them to perform prayers (7) so as to be deterred from whatever is abominable or loathsome. Young Muslims thus shall not go astray because of their lack of experience, or multiple temptations surrounding them, or their growing instinctive desires.

These elements stand unquestionably against any attempt towards casting doubts upon the fact that the family is the basic unit of society; as it appears under "principle 10" of the Draft. They are also incompatible with the demand to parents to overlook extra-marital sexual activity of adolescents and accept such activity and consider it a private matter with which they may not intervene. This will inevitably push adolescents to drift with their instinctive desires thereby exposing themselves to sexually transmitted fatal diseases.

II. **Sexual Relations:**

Islam does not acknowledge any sexual relations outside legal marriage between man and woman which is governed by certain conditions without which it becomes null and void. Moreover, it prescribes most severe

In the Name of God Most Gracious, Most Merciful
Al-Azhar Al-Sharif

Statement of the Islamic Research Academy on The Occasion of The United Nations Conference on Population and Development in Cairo

The United Nations Organization is scheduled to hold, in Cairo during September 1994, the International Conference on Population and Development to discuss the Draft Programme of Action. The draft deals, inter alia, with a number of provisions governing family and sexual relations between married couples and others, the extent of the right of abortion, and the right of adolescents to sexual activity.

On perusal of the draft, one realized that it is full of undefined expressions, phraseology and coined terms which give the impression that it aims at adopting precepts contrary to those laid down by Islam as viable foundations for the family. Moreover, it aims at allowing abortion in cases other than those allowed by Shari'ah (Islamic law), protecting homosexual or heterosexual relations, outside the frame of legal marriage, thus undermining the values cherished by all revealed religions, which in turn, is conducive to the spread of fatal diseases which are sexually transmitted.

Proceeding from undertaking the responsibility to invite all to the path of God with wisdom and gracious preaching, and to give advice on social and other problems, the Islamic Research Academy of Al-Azhar held a meeting on Thursday, Safar 26, 1415 H. corresponding to August 4, 1994, to consider the above-mentioned Draft Programme of Action. The meeting reached the following conclusions:

الفهــــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٩ه٢٦٣٨ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

الأرض ومنهج المؤمنين بالله

ومنهج المؤمنين هو المعرفة بحق الله - تعالى - وسلطانه ، والتسليم - عن إيمان - بأحكامه - عز شأنه .

إنه - سبحانه « خالق كل شيء » تعالى سبحانه - ما خلق شيئا سبهللا ، بل بحكمة العليم الخبير ، قال - سبحانه :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[القمر : ٤٩]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[الفرقان : ٢]

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة يس

تكفل ـ سبحانه ـ برزق عباده من كل شيء ، قال ـ عز شأنه :

﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

[المؤمنون : ١٧]

ثم خلق الأرض ، وألزمها قوت ما دب على سطحها ، وما ترسب في صخورة من بطنها ، وسخرها لذلك تسخيرا ؛ فأدت الأمانة ، ولم تعجز عنها ، فإنها ، والسماء

﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

[فصلت : ١١]

ولن تفقد الأرض طاقة مد البشر بهذا الرزق إلى يوم الدين . قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ﴾

سورة فصلت

وقال ـ سبحانه :

﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾ [الحجر ١٩ ـ ٢١]

لقد حملت الأرض قوت الإنسان ، وقوت الحيوان ، قوت من يستطيع أن يطعمه بأيديها ، وقوت من لا يستطيع أن تطعمه ـ على ذلك آمنا وسلمنا ، وعلى ذلك أدركنا حكمة ربنا في تكليف الأرض أن تنبت في بعض أقطارها ما لا تنبته في أخرى ، ثم يبذر الشوق في نفوس خلقه إلى ما ليس بأرضهم مطلوبه ـ بسبل التجارة ـ فينمو الرزق بنمو العمل حكمة آمنا بها ، ويشهد الله ـ الجليل ـ على تسليمنا بها . قال محمد بن كعب ـ رحمه الله ـ تعالى ـ في تفسير قوله ـ سبحانه :

﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ :

قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان . أي أقواتا تنشأ منها ، بأن خص حدوث كل قوت بقطر من الأقطار .. فـ .. جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المتولد في تلك البلدة ، وبالعكس

فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال ؛ لتنظيم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض . فكان جميع ما تقدم من إبداعها وإيداعها ما ذكر من منافعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه ، ومنح بديع دبره في الأزل ، وارتضاه ، وقدره فأمضاه ، لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلا ، وإنما ينقص توصلهم ، أو توصل بعضهم إليه ، فلا يجد .. حينئذ ما يكفيه ، وفي الأرض أضعاف كفايته » حاشية الجمل ٤/٣١ .

نعم ، وفي الأرض أضعاف كفايته ..

إذن ، حديث خرافة أن يقال : البشرية يهددها الموت جوعاً ..

وخرافة أن يقال : أجهدت الزراعة الأرض ..

وخرافة أن يقال : إنتاج الغذاء مما يكفي الزيادة التناسلية سوف يدمر البيئة ويقضي على الحضارة ..

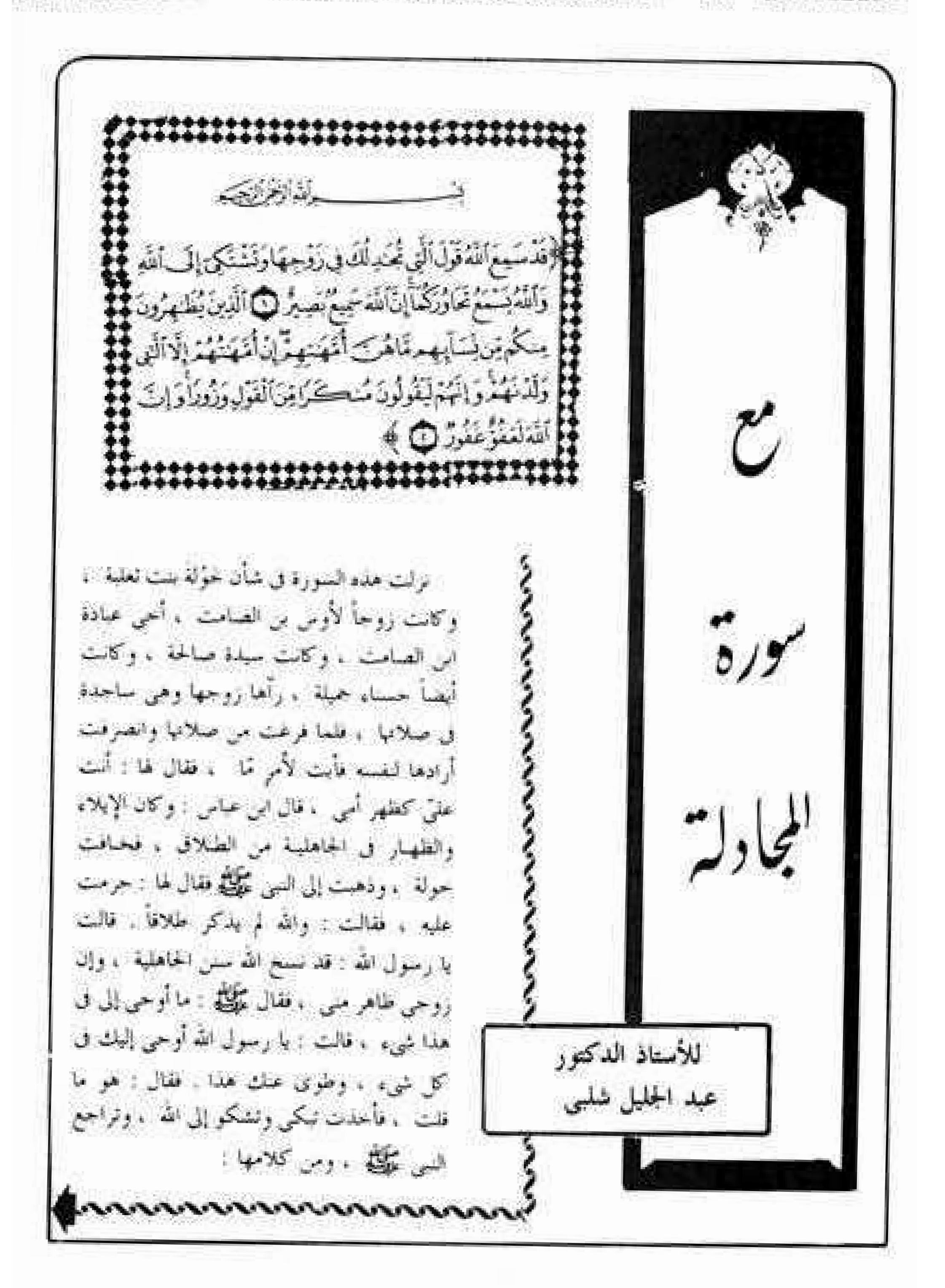
في الحق أن « الجوع » حولته أيد إلى سلعة .. أرباحها المالية تجاوزت كل تقديرات البشر .. ثم هي في المقدمة وسيلة ضغط سياسية أقوى آلاف المرات من الاحتلال العسكري .

جاء في المؤلف الغربي «Food First, The Myth of Scarcity» أي « الطعام أولاً ـ خرافة الندرة » للسيدة « فرانسيس مورلابيه » و « جوزيف كولينز » ترجمة الأستاذ أحمد حسان ـ سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٤ ص ١٤ :

« ما من بلد في العالم يعد سلة غذاء ميئوس منها » .

ثم أشار الكتاب إشارة صريحة إلى وجوب الكشف عن النظام الذي يدمر غذاء العالم الذي تدعمه حكومات وهيئات . قال : « إننا حاجة إلى اقامة حركة تكشف ـ حقيقة ـ أن نظاماً واحداً تدعمه الحكومات والهيئات ، ومجموعات النخبة المالكة للأراضي هو الذي يهدد الأمن الغذائي من بلداننا وبلدان العالم الثالث » اهـ . والله من ورائهم محيط .

د. علي أحمد الخطيب



مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (١) الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور (٢) ﴾

نزلت هذه السورة في شأن خولة بنت ثعلبة ، وكانت زوجاً لأوس بن الصامت ، أخي عبادة ابن الصامت ، وكانت سيدة صالحة ، وكانت أيضاً حسناء جميلة ، رآها زوجها وهي ساجدة في صلاتها ، فلما فرغت من صلاتها وانصرفت أرادها لنفسه فأبت لأمر ما ، فقال لها : أنت علىّ كظهر أمي . قال ابن عباس : وكان الإيلاء والظهار في الجاهلية من الطلاق ، فخافت خولة ، وذهبت إلى النبي ﷺ فقال لها : حرمت عليه ، فقالت : والله لم يذكر طلاقاً . قالت يا رسول الله : قد نسخ الله سنن الجاهلية ، وإن زوجي ظاهر مني ، فقال ﷺ : ما أوحي إلي في هذا شيء ، قالت : يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء ، وطوي عنك هذا . فقال : هو ما قلت ، فأخذت تبكي وتشكو إلى الله ، وتراجع النبي ﷺ ، ومن كلامها :

أكل شبابي ونثرت له بطني – أي أنجبت له أولاداً كثيرين – حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك . أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي ، وقد نفضت له بطني فما برحت حتى نزل جبريل – عليه السلام – بآية :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾

أي في شأنه .

قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – : تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول كذا وكذا – وفي رواية البخاري عن السيدة عائشة أنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾

وقبل أن نمضي في تفسير السورة ، وما جاء بعد آية الظهار ، نذكر ما قيل في شأن خولة نفسها ، فالمعروف أنها كانت خزرجية ، وقيل : ليست خزرجية صلبية ، وإنما هي خزرجية بالولاء ، وقد كانت أمة لعبد الله بن أبيّ – رأس النفاق – .

وكان يكرهها على الزنا ؛ ليحصل على مال من زناها ، قيل : وفيها نزل قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ سورة النور

وقد مر بها عمر بن الخطاب ، وهو راكب على حمار والناس من حوله ، فاستوقفته طويلاً ، ووعظته ، وهو يستمع إليها ، قالت له : يا عمر ، قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك : يا عمر ، ثم قيل لك : يا أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، فإنه من أيقن الموت خاف الفوت ، ومن أيقن الحساب خاف العذاب ، ووقف عمر يستمع إلى كلامها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟! فقال : وأيم الله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما زلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ – إنها خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟؟

وقال رسول الله ﷺ لأوس : أعتق رقبة ، قال : مالي بذلك يدان – أي لا أقدر – قال : فصم شهرين متتابعين . فقال : إني إذا اخطأني أن آكل في اليوم ثلاث مرات يكل بصري ، قال : فأطعم ستين مسكيناً قال : ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة ، فأعانه ﷺ بخمسة عشر صاعاً حتى جمع الله له ، إن الله سميع لكل نداء وصوت ، بصير بحال عباده .

ويؤيد حديثُ خولة قاعدة : « شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ما ينسخه » ؛ لأن رسول الله ﷺ : قال لها : ما أراك ، إلا حرمت عليه ، وقال : « ما أوحى إلى في هذا شيء » ، وكان الظهار – كما سبق – طلاقاً في الجاهلية .

والسورة تسمى سورة المجادلة (بفتح الدال) أي المحاورة والمناقشة ، وقرىء : ﴿ **قد سمع الله قول التي تحاورك** ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ .

يُظاهرون ، ويظّاهرون ، ويظَّهَّرون – كلها بمعنى، وفرقه بينٌ . والظهار : تشبيه ظهر بظهر – وهو كناية عن الركوب ، والآدمية لا يركب ظهرها ، فكني بالظهر عن البطن ؛ لأن ما يركب من الحيوانات يركب على ظهره ، فالتعبير به كناية عن الركوب ، ويقال : نزل الرجل عن امرأته بمعنى أنه طلقها ..

والظهار يقع بتشبيه الرجل امرأته بأى محرم من محارمه ، أمه أو أخته أو ابنته .. أو غيرهن ، وهو منكر من القول وزور ؛ لأن الزوجة المظاهر منها ليست أماً ، وجاء فى سورة الأحزاب :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾

أى هن لسن أمهات ، وإنما هن زوجات .

وكان الظهار كثيراً بين العرب ، ولم يكن أوس ولا خولة وحيدين فى هذا ، فقد حدث لغيرهما ، ولكن السورة نزلت فى محاورة خولة .

وجاءت قصة خولة بوجه آخر غير ما ذكرنا ، جاء أنها قالت : فىَّ وفى أوس أنزل الله صدر سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، فدخل علىّ يوماً فراجعته بشىء فغضب وقال : أنت علىّ كظهر أمى ، ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل علىّ فإذا هو يريدنى عن نفسى ، فقلت : كلا ، والذى نفس خولة بيده لا تخلص إلىّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه ، فواثبنى فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيـــف ... ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت ، حتى جئت رسول الله ﷺ ...

وجاء فى هذا الحديث وصاة رسول الله ﷺ إياها بأوس ؛ إذ أعانه بفرق من تمر ، فقالت هى : سأعينه بفرق آخر ، قال : قد أصبتِ وأحسنتِ ، فاذهبى فتصدق به عنــه ، ثم استوصى بابن عمك خيراً .

وظاهر سلمة بن صخر الأنصارى من زوجه بعد نزول سورة المجادلة ، قال : كنت أمرءاً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيرى ، فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ؛ حذراً من أن أصيب فى ليلتى شيئاً ، فأتتابع فى ذلك إلى أن يدركنى النهار ، وأنا لا أقدر أن أنزع ، فبينا هى تخدمنى من الليل تكشف لى منها شىء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحت غدوت على قومى فأخبرتهم وقلت : انطلقوا معى إلى النبى ﷺ .

ولم يذهب معه قومه ، وخشوا أن ينزل فيهم قرآن ، أو يقول لهم النبى ﷺ شيئاً يورثهم معرة . وخرج هو فأخبر النبى خبره ، فقال له : أنت بذاك ، فكررها عليه ثلاث مرات ، وهو يجيب : أنا بذاك ، أى قد فعلت ذلك ، ثم قال : هأنذا فأمض فىَّ حكم الله – عز وجل ؛ فإنى صابر له ، قال : أعتق رقبة ، فضرب سلمة صفحة عنقه بيده ، وقال : لا والذى بعثك بالحق ما أصبحت أملك غير رقبتى ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قال : وهل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ، قال فتصدق ، قال سلمة : والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء قال له : اذهب إلى صاحب صدقة بنى زُرَيق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم عنك منها من تمر ستين مسكيناً ، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك .

ورجع إلى قومه ، فقال لهم : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة ، قد أمر لى بصدقتكم فدفعوها إليه .

هذا ، وكانت هذه القصة بعد حادث أوس وخولة .

وكان الجاهليون إذا ظاهر الواحد منهم من امرأته حرمت عليه إلى الأبد ، فهذا الحكم بالكفارة تخفيف من الله ورحمة .

قال ابن عباس أول من ظاهر من امرأته (فى الإسلام) أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً ، فأتت رسول الله ﷺ .

وفرع الفقهاء على هذه الآية أحكاماً فقهية عديدة ، نذكر بعضاً منها :أن الرجل إذا قال لامرأته : أنت علىّ كأمى وأختى ، ولم يذكر كلمة ظهر كان ذلك ظهاراً ؛ لأن قوام الظهار تشبيهها بشىء محرم عليه ، وبذا لو قال : أنت محرمة على كبطن أمى أو رأسها كان ذلك ظهاراً ، والأمر كذلك لو شبه جزءاً منها بمحرم عليه فقال : فرجك أو يدك أو رجلك علىّ كظهر أمى ، وكذا لو شبهها بأى محرم عليه كالبنت والعمة والخالة ، وليس الظهار متوقفاً على كلمة الظهر ، فلو قال : أنت كأمى أو بنتى أو أختى كان ظهاراً .

وقال الإمام أبو حنيفة : إن شبهها بجزء من جسم أمه يحل له النظر إليه كالوجه واليد والرأس ، لا يقع بهذا التشبيه ظهار ، ولكن ناقشه من قالوا : إن نظر الناظر إلى يد أمه أو وجهها لا يكون على سبيل المتعة ، ولا يجوز له أن يفعل ذلك ، والمظاهر لا يقصد إلا تحريم الاستمتاع .

وإذا شبه زوجته بأجنبية ليست زوجاً له كأن قال لها : أنت علىّ كظهر فلانة ، فهى محرمة عليه أيضاً ؛ لأنه شبه محللاً بمحرم .

وفهم معظم الفقهاء من قصة خولة وأوس أن من كان له لَمَمٌ وظاهر فى حال انتظام ومعرفة الكلام يلزمه الظهار ، والأمر كذلك فى حكم الطلاق ، ــ وطلاق الغضبان يلزمه أيضاً إلا إذا خرج عن وعيه نهائياً ، حتى لا يعرف الفرق بين الجمر والتمر .

ومن ظاهر من امرأته ، ثم جامعها قبل أن يكفر من ظهاره فعليه كفارة واحدة . وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن رجلاً ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى النبى ﷺ ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : رأيت بياض خلخالها فى ضوء القمر فلم أملك نفسى أن وقعت عليها ، فضحك النبى ﷺ وأمره ألا يقربها حتى يكفر ــ وقصة سلمة بن صخر السابقة واضحة فى هذا ــ وجاء عن عمرو بن العاص : أنه إذا وطىء قبل ان يكفر فعليه كفارتان ومضى على هذا الرأى جماعة من الفقهاء .

وهذا ليس بجيد مع كثرة من أخذوا به ، وهو قد أثم فى وطئه امرأته المحرمة عليه ولا وجه لإعادة الكفارة ؛ لأنه لم يظاهر غير مرة واحدة .

وقد كان تحليل المظاهر منها بالكفارة رحمة من الله ورفقاً بهذه الأمة الإسلامية ، وقد عفا الله عنهم ما سبق من آثامهم المتصلة بالظهار .. إن الله لعفو غفور .. أى كثير العفو والمغفرة .

العمل بسهم المؤلفة قلوبهم

بقلم الدكتور عبدالله نجيب محمد

فرض الله – تعالى – فى محكم كتابه الكريم للمؤلفة قلوبهم سهما فى الزكاة . فقال – جل شأنه – :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة التوبة (٦٠)

وكان رسول الله – ﷺ – يعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم من الزكاة على هذا النحو : جماعة منهم ليسلموا ويسلم قومهم بإسلامهم ، وجماعة أسلموا بضعف إيمانهم .. فكان يعطيهم لتقوية إيمانهم وترغيبهم . وجماعة كان يعطيهم لدفع خطرهم وشرهم .

وظلت تلك سيرته حتى لحق بربه .

ولما ولى أبو بكر – رضى الله عنه – الخلافة جاء بعض من المؤلفة قلوبهم لاستيفاء سهمهم كما كان الأمر على عهد رسول الله – ﷺ – فكتب أبو بكر – رضى الله عنه – كتابا إلى عمر – رضى الله عنه – الذى كان خازن بيت المال ليعطيهم حقهم ، فذهبوا بكتابه إلى عمر – رضى الله عنه – فقال لهم : لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ، فرجعوا إلى أبى بكر ، فأقر ما فعله عمر .

راجع ذلك فى كتاب الجوهرة النيرة على مختصر القدورى فى الفقه الحنفى ص ١٦٤ من الجزء الأول – وقد ذكر هذه الحادثة غير واحد عند

حديثهم عن مناقب الخليفتين .

ومنذ ذلك الوقت استقر الأمر على منع المؤلفة قلوبهم من سهمهم هذا ، وصرفه إلى من عداهم ممن ذكروا في الآية الكريمة .

قال الدواليبي : « لعل اجتهاد عمر — رضي الله عنه — في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم ، كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعا لتغير المصلحة بتغير الأزمان .. رغم أن النص القرآني في ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ ، إيثاراً لرأيه الذي أدى إليه اجتهاده » ثم قال : « والخبر في هذا أن الله — سبحانه وتعالى — فرض في أول الإسلام — وعندما كان المسلمون ضعافا — عطاءً يعطى لبعض من يخشى شرهم ، ويرجى خيرهم ، تأليفا لقلوبهم ، وذلك في جملة من عدّدهم القرآن لينفق عليهم من أموال بيت المال الخاص بالصدقات فقال :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وهكذا قد جعل القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم نصيباً في جملة مصارف الصدقات وجعل لهم بعض المخصصات على نحو ما تفعله الدول اليوم من تخصيص بعض النفقات من ميزانيتها للدعاية السياسية قال : « غير أن الإسلام لما اشتد ساعده وتوطد سلطانه ، رأى عمر — رضي الله عنه — حرمان المؤلفة قلوبهم من هذا العطاء المفروض لهم بنصوص القرآن » ثم قال : وليس معنى ذلك أن عمر — رضي الله عنه — قد أبطل وعطل نصا قرآنيا ، ولكنه نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره ، واعتبر عطاء المؤلفة قلوبهم معللا بظروف زمنية ، أي مؤقتة ، وهي تألفهم واتقاء شرهم عندما كان الإسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الإسلام ، وتغيرت الظروف الداعية للعطاء ، كان من موجبات النص ، ومن العمل بعلته أن يمنعوا من هذا العطاء .

[محمد معروف الدواليبي في كتابه « المدخل إلى علم أصول الفقه » دار العلم ١٣٨٥ هـ ، حيث ذكر أمثلة على تغير الأحكام بتغير الأزمنة ، ص ٢٣٩] .

وعلى الرغم مما قاله الدواليبي آنفا ، وعلى الرغم من دعوى الإجماع على إلغاء هذا السهم التي ذكرت في تفسير أبي السعود أول ص ١٥٠ من هامش الجزء الخامس من تفسير الرازي ، وما ذكر مرسلا في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، ص ٥٠٢ أخرجته وزارة الأوقاف المصرية تحقيقا لرجاء الملك فؤاد الأول إلا أنني أرى رأيا آخر .

في رأيي أن الخليفتين لم يُلغيا — بعد النبي — ﷺ — سهم المؤلفة قلوبهم ولم يبطلا هذا الحق الواجب لهم بنص القرآن الكريم ، ولم يخالفا الآية ، وإن لم يعطيا المؤلفة يومئذ ، لأن الله — عز وجل — إنما جعل الأصناف الثمانية في الآية مصارف الصدقات على سبيل حصر الصرف فيها خاصة دون غيرها ، لا على سبيل توزيعها على الثمانية بأجمعها ، وعلى هذا فمن وضع صدقاته كلها في صنف واحد من الثمانية تبرأ ذمته ، ومن

وزعها على الثمانية تبرأ ذمته كذلك . وهذا مما أجمع عليه كثير من الفقهاء . فلا بأس مما فعله عمر وأمضاه أبو بكر على هذا الأساس ، دون القول بإلغائهما لهذا السهم نهائيا مما لا يتفق مع النص القرآني الصريح .

وعلى ذلك فاعتبار المصلحة المتغيرة موجبة لإلغاء نص – كما قال الدواليبي – ليست صحيحة . والقول بالإجماع على إلغاء سهم المؤلفة قلوبهم ليس صحيحا كذلك .

هذا وقد قال الشافعية : إنهم لا يعتبرون المصلحة ، في تخصيص عام ولا في تقييد مطلق ، إلا إذا كان لها في الشريعة نص خاص يشهد لها بالاعتبار فإذا لم يكن لها في الشريعة أصل شاهد باعتبارها إيجابا أو سلبا كانت عندهم وأي المصلحة ، مما لا أثر له . فوجود المصالح المرسلة وعدمها عندهم على حد سواء في هذه الحالة .

أما الحنابلة ، فإنهم وإن أخذوا بالمصالح المرسلة التي لا يكون لها في الشريعة أصل يشهد لها لكنهم مع ذلك لا يقفون بالمصالح موقف المعارضة من النصوص ، بل يؤخرون المصلحة عن النصوص .

أما المالكية ، فهم وإن أخذوا بالمصالح المرسلة ووقفوا بها موقف المعارضة للنصوص . لكنهم إنما يعارضون بها أخبار الآحاد وأمثالها مما لا يكون قطعي الثبوت . ويعارضون بها بعض العمومات القرآنية ، التي لا تكون قطعية الدلالة على العموم أما ما كان قطعي الثبوت وقطعي الدلالة فلا يمكن عندهم أن تقف المصالح المرسلة معارضة لها أبدا .

وعلى هذا فقد رأينا أن نص المؤلفة قلوبهم قطعي الثبوت والدلالة معا ، مما لا يجوز إلغاؤه تحت أي حجة . وبالجملة فإن أصول الفقه على هذه المذاهب كلها لا تبيح حرمان المؤلفة قلوبهم على مبدأ تغير المصلحة حرمانا مطلقا ، وإنما تبيح تأجيله أو صرفه لمصالح المصارف الأخرى لضرورة أو مصلحة مؤقتة لا إلغاؤه نهائيا كما قيل .

وإذا صح هذا فإنني أرى ضرورة العودة إلى العمل بهذا السهم لتغير الظروف مرة أخرى عما كانت عليه أيام الخليفتين – رضي الله عنهما – فالمسلمون الآن قد أصبحوا ضعفاء ، يتربص بهم أعداؤهم في كل سبيل وفي كل مكان من هذا العالم كما هو مشهود ومعروف . ليس ذلك فحسب بل إن الغرب قد قطع السبيل على الإسلام أن ينتشر في مجالاته الطبيعية في أفريقيا وآسيا ، ويحاول ويحاول بكل الطرق والأساليب وعلى رأسها المغريات المادية والمساعدات ، أن يحوّل ليس الوثنيين فحسب ، بل والمسلمين إلى دينهم . وقد خصصت كل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أموالا ضخمة للإنفاق على الفقراء ورعاية الأيتام وإنشاء المشاريع والمدارس في عدد من الدول الأفريقية والآسيوية بصفة خاصة ، تأليفا لقلوبهم ، وإدخالا لهم في دينهم .

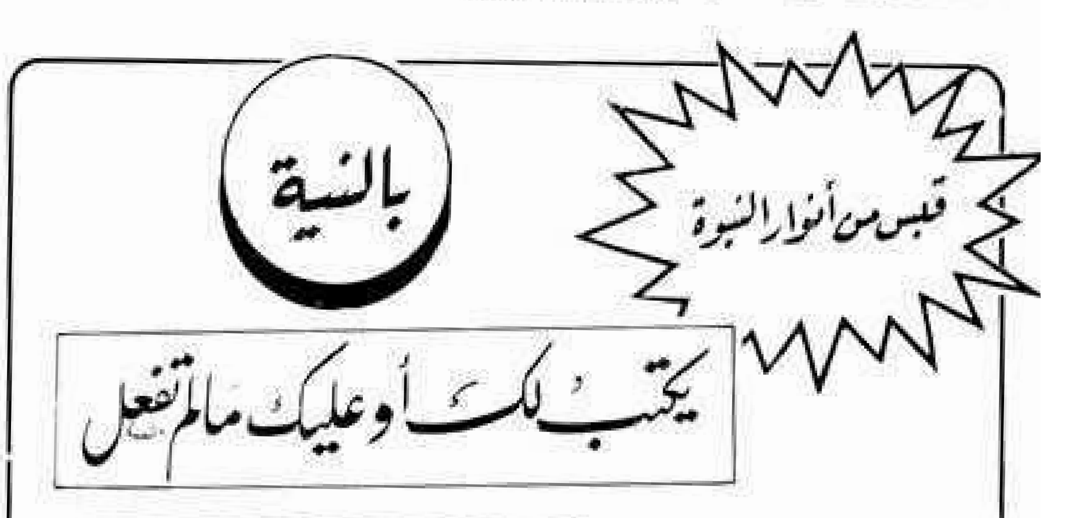
ومن تجاربي الخاصة ، عندما زرت عددا من الدول الإفريقية أننا لو تمكنا فقط من الإنفاق على عدد محدود جدا من الدعاة الذين تعلموا اللغة العربية والدين ، من أهل القبائل غير المسلمة في هذه البلاد – وهم موجودون – لأمكن إدخال

الملايين من أبناء هذه القبائل في الإسلام ، وقد رأيت بعيني رأسي - أيضا - دعاة متطوعين من أهل تلك البلاد ، لا يملكون حتى نسخا من كتاب الله الكريم لاستخدامها في تعليم الداخلين في الإسلام ، ورأيتهم أحيانا يتبادلون نسخة واحدة من القرآن الكريم .

إن الضرورة الآن تقتضي إنشاء مؤسسة خاصة ، تتبع الأزهر الشريف ، ويمثلها ملحقون دينيون في السفارات المصرية في قارات العالم ، خاصة افريقيا وآسيا ، على أن تتلقى هذه المؤسسة نسبة سهم المؤلفة قلوبهم من زكاة المسلمين والمتبرعين في كافة أنحاء الوطن الإسلامي ، وأن تقوم بالإنفاق من هذا السهم على الدعوة وتأليف القلوب ، وتجربتي الشخصية تدعوني إلى القول بضرورة التدقيق في اختيار هؤلاء الملحقين والدعاة الوطنيين بحيث تتوفر فيهم عدة شروط ، أولها : معرفة لغات القوم وتاريخهم والدراية بعلم الأنثروبولوجيا ، وأن يكونوا من الشباب القادر على الحركة والتجول ومخالطة الناس ، والقدرة على اكتسابهم واقناعهم وقيادتهم .

لو أمكن أن يتبنى الأزهر الشريف هذا الاقتراح والدعوة له ، وتأسيس مؤسساته فإننا بذلك نؤدي واجباً أهملناه طويلا ، ولا ننسى أن الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمة .

وبالله التوفيق



لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى أبو كبشة الأنمارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل .

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية ، يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل .

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء .

رواه الترمذى ٥٦٣/٤ وأحمد ٢٣١/٤ واللفظ للترمذى .وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

الناس فى هذه الحياة الدنيا فريقان :

فريق ساءت نيته فتعلق قلبه بالدنيا ، وغره زخرفها ، وسلبت له متاعها الزائل وركز همه فيها ، فبذل وسعه وأفرغ جهده فى نيلها ، منهمكا فى شهواته مستغرقا فى غفلاته ، حتى يهجم عليه هادم اللذات ، ومقطع الآمال ، فيقع فى الخسرة والندامة ويلقى يوم القيامة المذلة والملامة ، والحرمان من دار الرحمة والرضوان والكرامة .

ذكر القرآن هذا الفريق في قوله تعالى :

مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ سورة الإسراء

وفريق حسنت نيته فصاحبه التوفيق ؛ فسلك أقوم طريق ، وكان همه ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة ، جعل الدنيا سفينة موصلة لمقصوده ، ومطية تبلغه رضا الله - تبارك وتعالى - متسلحا بإيمان ثابت ، ونية صادقة ، وعمل صالح مع إخلاص لله ، وتحر لكل ما يرضى خالقه ، وما يزال مؤثرا ما يبقى على ما يفنى حتى يأتيه اليقين ؛ فيتمتع في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

تحدث القرآن عن هذا الفريق في قوله سبحانه « وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ » الإسراء

هذا الفريق المؤمن أقبل على عمل الصالحات ، مؤثرا آجل الآخرة الباقى على عاجل الدنيا الفانى .

وإذا كانت الأعمال تستمد قيمتها من النوايا التى تكمن وراءها ، وهى التى تدل على صلاح العمل وفساده ، والنية هى التى تميز المقصود بالعمل . فإن عظم النية وخطرها أنها يترتب عليها الثواب أو العقاب من غير أن يقترن بها عمل . فقد يكتب الرجل فى عداد الغزاة وهو على فراشه ، وقد يدخل فى زمرة المتعبدين وهو لم يصل ركعة .

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : كنا مع النبى - ﷺ - فى غزاة فقال : « إن بالمدينة لرجال ما سرتم سيرا ، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض » وفى رواية « إلا شركوكم فى الأجر » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

وعن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن النبى - ﷺ - قال : ما من امرىء تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم ، إلا كتب له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه .

ابو داود والترمذى

بل قد يبلغ المؤمن بنيته منازل الشهداء ؛ فعن سهل بن حنيف ، أن النبى ﷺ قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » رواه مسلم .

ولو عمل العبد عملا يرضى به ربه - سبحانه وتعالى - إلا أنه وقع فى غير موضعه ؛ فلا يضيعه الله بصدق نيته .

روى الشيخان عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : قال رجل : لأتصدقن الليلة بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ؟ فأصبحوا يتحدثون ، تصدق الليلة على سارق . فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية . فقال : اللهم لك الحمد . لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى . فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى . فقال : اللهم لك الحمد ، على سارق وعلى زانية وعلى غنى . فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن

يستعف ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغنى فلعله أن يعتبر ؛ فينفق مما أعطاه الله ـ عز وجل ».

ورب عمل يأخذ أجر عبادة ترجح به كفة الحسنات ، لأنه صدر من صاحبه بنية طيبة . روى الإمام مسلم ، أن النبي ﷺ قال : « وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

وكل عمل صالح صاحبته النية الخالصة لله يعد من الصالحات ما دام صاحبه يقصد به تفريج كربة مكروب ، أو تضميد جرح مجروح ، أو شد أزر مظلوم ، أو إقالة عثرة مغلوب ، أو أخذ بيد فقير ذى عيال ، أو علم جاهلا ، أو هدى حائرا ، أو أبعد أذى عن طريق كل هذه الأعمال عبادة وقربة إلى الله عز وجل .

بل النية الصادقة لعمل صالح لها قوة استيفاء الأجر لصاحبها إذا توقف عن عمله بضرورة أو علة حتى يقبضه الله أو يعافيه .

روى البخارى وأحمد وأبو داود عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ غير ما مرة ولا مرتين يقول : إذا كان العبد يعمل عملا صالحا ، فشغله مرض أو سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » .

والنية الخالصة لا تزال بصاحبها حتى تبلغه أعلى الجنان . ففى الحديث المتفق عليه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة والنية السيئة تخلد أهل النار فيها » .

وها هم الصالحون من عباد الله وصلوا إلى رفيع الدرجات : صنف بعمله ونيته ، وصنف بنيته فقط ، وأجرهما سواء ، وهما صنف بأفضل المنازل .

وثمة صنف عمل الشر ونوى السوء ، وصنف نوى السوء ولم يعمل فوزرهما سواء ، فهما بأخبث المنازل .

وفقنا الله تعالى إلى صالح الأعمال .. ورزقنا الإخلاص فى الأفعال وهدانا سواء السبيل .



لماذا يدرس الغرب



د. محمد محمد عتريس إبراهيم (*)

نشرت صحيفة « الإيكونوميست »[1] اللندنية العالمية ذائعة الصيت دراسة تحليلية عن الربا[2] منذ بداياته وحتى يومنا هذا . وتترك الدراسة فى نفس القارىء انطباعاً عاماً بأن الربا كان ، دوماً ، شيئاً كريهاً مقززاً ومدمراً ، وأن المرابين كانوا ــ ولايزالون ــ فى كل العصور ظلمة ومستغلين ومنعدمى الشفقة . ولنقتبس جملتين مما أوردته المجلة فى وصفهم : « إنهم يأخذون شيئاً فى مقابل لاشىء . والشعور بالاشمئزاز من الإقراض بفائدة الذى أحسته كل المجتمعات فى الماضى ، والذى تحسه كثير من المجتمعات اليوم ، هذا الشعور مازال بعضه قائماً فى الغرب » .

لقد لاقى مقرضو المال ، بصرف النظر عن الحاجة إليهم ، احتقاراً واسع النطاق . ففى العصور الوسطى كان الناس لايقتربون منهم إلا بحرص وحذر ، إذ كانــوا يفزعــون منهم ويلعنونهم ؛ لأنهم يقومون بعمل الشيطان ، إنهم يفعلون شيئاً يتعارض مع صالح المجتمع ــ إنهم يتقاضون الفائدة ثمناً لإقراض المال !

فى عام ١٣١١ أصدر مجلس فينا الكنسى مرسوماً كانت له آثاره البعيدة ، إذ وصف أى استحلال للربا بالهرطقة والضلال . وفى القرن السابع عشر حرمته بريطانيا . وفى القرن الثامن عشر ربط الخيال الشعبى بين العمل المصرفى وبين التبذير الحكومى والضرائب المرتفعة والفساد . وفى أوائل القرن التاسع عشر أدان المتدينون الثروة العقيمة غير المنتجة لرجال المال فى بريطانيا ، ووقفوا إلى جانب قيم العمل ففيها الإنتــاج والثمرة . وعلينا أن نلاحظ وصف ثروة رجال المال بأنها « عقيمة وغير منتجة » . فهذه تمثل

(*) وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

(١) ٢٩ ديسمبر ١٩٩٣ ــ ٧ يناير ١٩٩٤ .

(٢) استخدمت المجلة المصطلح الإسلامى « ربا » مكتوباً بحروف لاتينية ــ فالمصطلح الإسلامى فرض نفسه فى الغرب .

واحدة من أقوى الحجج ضد الربا ، فالمرابون يجمعون الثروات من غير جهد يبذلونه .

وتـــواصل « الإيكونومـــيست » دراستها التحليلية وتقول : « وعندما وقع الكساد العظيم الذى أعقب الانهيار الاقتصادى الأمريكى عام ١٩٢٩ ألحت أمريكا باللائمة على البنوك بحسبانها السبب فى ذلك الكساد . ونتيجة لذلك انهمرت على هذه البنوك التشريعات المقيدة لأنشطتها ، وحتى اليوم لا يزال العديد من الولايات الأمريكية يطبق قوانين الربا التى تحد من أسعار الفائدة . وفى وقتنا الحاضر لا يزال البعض على قناعته بأن رجال المصارف ـ وفى مقدمتهم اليهود والماسونيون ـ يتآمرون للسيطرة على العالم » .

وتضيف المجلة : إن الأديان السماويـــة (اليهودية والمسيحية والإسلام) حرّمت الربا . والحجج التى ساقتها ضد الربا هى :

١ ـ المرابون يأخذون شيئاً مقابل لاشيء .

٢ ـ الواجب على الإنسان أن يساعد أخاه من غير أن يرجو كسباً من وراء ذلك .

٣ ـ إنه لمن الأمور المنافية للطبيعة أن يُكثر المرء أمواله بتقاضى فائدة عليها .

« إن الربا أكثر الأعمال منافاة لروح الإخاء والمودة . وباتت العناكب والضفادع وكل المخلوقات الشيطانية استعارات يكنى بها عن المرابى » .

وعلى امتداد القرون حفلت الثقافة الأوروبية بعداء لا يلين ولا يهدأ تجاه المرابين عموما واليهود خصوصا . ولا يمكن أن يكون هناك ذكر للربا دون الإشارة إلى عبادة اليهود للمال ، وتهمهم لإقراض المال بأسعار فائدة باهظة فادحة لا أثر فيها لوازع من خلق أو ضمير .

وتورد مجلة « الإيكونوميست » هذا المقتطف من الفصل ٢٣ من السفر الخامس[٣] من الكتاب المقدس : « ... لك أن تقرض الأجانب بفائدة ، لكن لا تقرض أخاك بفائدة » ، وتصف المجلة هذا التوجيه بأنه نذير شؤم وكوارث ـ ذلك أنه يوجه اليهود صراحة إلى أن يمارسوا التفرقة العنصرية مع غير اليهود . يضاف إلى هذا مشاعر الانتقام المتأججة فى نفوسهم . هذه السمات الشريرة يجسدها شكسبير فى شخص « شايلوك » المرابى اليهودى بطل مسرحيته الشهيرة : « تاجـــر البندقية » . فحبه الطاغى للمال ملك عليه كل مشاعره وحياته إلى حد أن المعيار الخلقى عنده أصبح معياراً مالياً . فهو يكره أنطونيو ، تاجر البندقية ، لأنه نصرانى[٤] ويكرهه أكثر « لأنه يقرض المال بدون فائدة ، ويتسبب بذلك فى خفض سعر الفائدة على إقراض المال عندنا فى البندقية » . لقد دمر شره اليهودى وحبه للمال كل المشاعر الإنسانية . بل لقد دمر فى داخله مشاعر الأبوة تجاه ابنته .

---

(٣) يحوى القوانين الموسوية وحكايات قصصية .

(٤) لم يفت شيكسبير أن يشير إلى ما يكنه اليهودى من عداء وكراهية للنصرانى .

يقول شيلوك : « لو ظفرت يوماً بهذا النصرانى ، أنطونيو ، فسوف أشفى إلى حد التخمة ـ غليل حقدى القديم عليه » .

ما قاله الإيكونوميست عن الإسلام والربا :

١ ـ لايزال الأمر مختلطاً فى الأذهان حول الإجابة عن هذا السؤال : هل إقراض المال بفائدة خطأ أم صواب ؟ (أى أن المسألة لم تحسم بعد فى الغرب ـ فلايزال الربا يحوك[٥] فى النفوس وفى العقول) .

٢ ـ النظرة إلى المعادن المستخدمة كوسائط نقدية لتبادل السلع على أنها خاملة وجامدة ، ومن غير الطبيعى تكثيرها وزيادتها بتقاضى فائدة عليها . (الذهب لايلد ذهباً والفضة لاتلد فضة) .

٣ ـ سلكت المجتمعات الإسلامية درباً أيسر ، واتبع كثير من المسلمين أوامر محددة جاءت فى القرآن الكريم تحرم الربا ، وتنبع هذه الأوامر من مبدأ إسلامى أكبر هو : إن عنصر المخاطرة يجب أن يكون قسمة بين المقترض والمقرض[٦] (أى لابد وأن يشارك فيه الاثنان) .

٤ ـ العقود المالية المشابهة لتلك التى أقرها الإسلام كانت تقوم على أساس الفكرة القائلة بالمشاركة فى المخاطرة ، ففى هذه العقود لا يأخذ المقرض الفائدة إلا كثمن لمشاركته فى المخاطر التى يتعرض لها المشروع التجارى .

٥ ـ تأسست عشرات البنوك الإسلامية على امتداد المسافة من الأردن شمالاً إلى جنوب أفريقيا ، وهى تتمتع ، بفضل مبدأ المشاركة فى المخاطرة ، بمكانة اجتماعية أسمى بكثير عن المؤسسات المنافسة لها ـ إلى حد أن البنوك الغربية تدرس حاليا النظام المالى الإسلامى وتفكر بإمعان فى إمكانية تطبيقه ، وهذا نص العبارة :

Western banks are pondering the applicability of Islamic finance.

(ولربما جاء الإسلام من الغرب :

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

سورة البقرة

إنه لامناص للبشرية من أن ترجع إلى الإسلام وتعاليمه كى يتحقق لها الخلاص مما تعانيه من ويلات وعذابات .

لماذا يحارب الإسلام الربا ؟

الصدقة والزكاة تمثلان العون والرحمة ، والسماحة والنقاء ، والتعاون والتضامن ـ فهما تزول عن المال بلا عوض ولا رد . بينما يمثل الربا الشح والبخل ، والأنانية وحب الذات ـ ذلك أن الربا استرداد للدين ومعه زيادة غير مشروعة مستقطعة من جهد المدين إذا حقق كسباً ، ومن لحمه إذا لم يربح أو إذا خسر . وجاء القرآن الكريم يحث على الإيثار ويحذر من الشح :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

سورة الحشر

---

(٥) يرجع إلى حديث رسول الله ﷺ ـ عن البر والإثم : والإثم ما حاك فى صدره وكرهت أن يطلع عليه الناس .

(٦) لعل المجلة تقصد نظام المضاربة .

فالإيثار على النفس مع الحاجة قيمة عليا ، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية لها نظيراً . أما شح النفس فهو المعوق عن كل خير ؛ لأن الخير بذل : بذل في المال ، وبذل في العاطفة ، وبذل في الجهد . وما يمكن أن يصنع الخير شحيح ؛ همه دائما أن يأخذ ، ولا يهمه مرة أن يعطي .

ولقد رسم الإسلام للمرابين أشنع صورة :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾

٢٧٥ ـ البقرة

هم يعيشون في قلق وتوتر دائمين ، ويفتقدون دائما راحة البال وطمأنينة النفس . أما وعيد الله لهم فهو شر وأعظم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

٢٧٨ ، ٢٧٩ ـ البقرة

ومن يتدبر حكمة الله يرى البشرية الضالة التي تأكل الربا وقد انصبت عليها البلايا : في أخلاقها وصحتها واقتصادها ، وتتلقى حربا من الله : حربا على الأعصاب والقلــوب ، وعلى البركـــة والرخاء ، وعلى السعادة والطمأنينة ، وأخيرا حرب السلاح بين الأمم والجيوش ؛ فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالية هم الذين يوقدون هذه الحروب بطرق مباشرة وغير مباشرة . وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات ، ثم تقع فيها الشعوب والحكومات ، ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب ؛ أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم فيعم الفقر والسخط بين الكادحين ، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب[٧] .

والإسلام يقيم نظامه الاقتصادي على أساس أن الله هو خالق الكون ، وأنه المالك لكل الموارد والثروات والغذاء والطاقة .. الخ . وأنه استخلف الإنسان على الأرض بشرط أن يكون هناك تضافر وتضامن بين المؤمنين به سبحانه :

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾

سورة الحديد

فالله جعل بني الإنسان خلفاء في الأرض متصرفين فيها بأمره . وهم يُدعَوْن إلى الانفاق ، ومع الدعوة لمسة موحية : فهم لا ينفقون من عند أنفسهم ، إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه وهو الذي « **له ملك السماوات والأرض** » وهو الذي « **يحيي ويميت** » فهو الذي استخلفهم جيلا بعد جيل . فهذه الدعوة تقوم بدورها في استثارة الحياء والخجل من الله ، فماذا هم قائلون حين يدعوهم إلى انفاق شيء مما استخلفهم فيه ومما أعطاهم ؟ وتقوم بدورها في نهنهة[٨] النفوس عن الشح ، والله هو المعطي

---

(٧) وأيسر ما يقع ، إذا لم يقع هذا كله ، هو خراب النفوس ، وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سعار الشهوات وتدمير الكيان البشري بما لا تبلغه أفظع الحروب الذرية .

(٨) نهنة فلانا عن الشيء : كفه عنه وزجره .

ولا نفاد لما عنده ؛ فماذا يمسكهم عن البذل والعطاء ، وما في أيديهم رهن بعطاء الله ؟ فالأثرياء عليهم أن يعطوا جزءا من ثرواتهم للفقراء ، والفريقان مأموران بأن يعملا بأقصى الجهد في سبيل الرزق على ألا يكون هناك إسراف أو إفراط في الانفاق أو الاستمتاع .

وتنمية الثروة يجب أن يكون بوسائل مشروعة لا تنطوى على ضرر أو أذى للغير ، ولا تعوق دوران رأس المال . يقول تعالى في الآية السابعة من سورة (الحشر) :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾

فهذه الآية تضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى في المجتمع الإسلامى ، وهى : « كى لا يكون دولة[9] بين الأغنياء منكم » أى كى لا يكون الفيء (والمال عموما) شيئا يتداوله الأغنياء ويتعاورونه فلا يناله أحد من الفقراء . فالملكية الفردية معترف بها في الإسلام ، ولكنها محددة بهذه القاعدة : قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم دون الفقراء . وكل وضع ينتهى إلى ذلك يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية ، كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعى كله . وجميع المعاملات في المجتمع الإسلامى يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقى عليه إن وُجد .

ولقد أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة ، ففرض الزكاة[10] . وحرم الاحتكار والربا ، وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء[11] .

أما الربا فيقوم على أساس أنه لا صلة بين إرادة الله وحياة الإنسان . وأن الفرد حر في أن يسلك ما يشاء من السبل لجمع المال والتمتع به دونما اكتراث بمصالح الآخرين . فالمال هدفه الأول والأخير . وفى النهاية يقيم الربا نظاما يسحق البشرية (أفرادا وجماعات ودولا) لصالح حفنة من المرابين يسيطرون على كل بنى البشر . فالمرابون يملكون ، إلى جانب المال ، النفوذ والسلطان يستخدمونهما في تحقيق المزيد من استغلال الآخرين . وأسهل الطرق لزيادة ثرواتهم هى المشروعات التى تدمر الأخلاقيات وتلقى بالبشرية في مستنقع الشهوات والإثارة الجنسية التى يضيع عليها الكثير كل ممتلكاتهم .

وقد لاحظ علماء الاقتصاد في الغرب أن الربا نظام اقتصادى فاسد ومعيب . في عام ١٩٥٣ قال دكتور شاخت عضو مجلس الإدارة المنتدب لبنك الرايخ الألمانى : إن كل النقود في كوكبنا الأرضى سوف تذهب إلى جيوب عدد قليل جدا من المرابين . فالمرابى الدائن يكسب في كل عملية بينما المدين يخضع لمبدأ الربح والخسارة . وعلى هذا

---

(٩) دال يدول دَوْلاً : دار وانتقل من حال إلى حال . أدال الشيء : جعله متداولا . والدُّولة : الشيء المتداول من مال ونحوه .

(١٠) يمكن الرجوع إلى مقادير الزكاة وأنصبتها في مظانها من المراجع الفقهية .

(١١) انظر : كتاب « العدالة الاجتماعية في الإسلام » .

ستذهب كل الأموال فى نهاية المطاف إلى أولئك الذين يرابون طوال الوقت . أما المقترضون من ملاك الأراضى وأصحاب المصانع وغيرهم من الموظفين فهم لايزيدون على كونهم مجرد أجراء لدى المرابين . وأما المستهلكون فيدفعون ضريبة غير مباشرة للمرابين ، فالفوائد التى تتقاضاها البنوك لايدفعها المقترضون ، وإنما يدفعها المستهلكون لأن أسعار السلع تزاد بما يغطى تلك الفوائد على الديون .

حقائق أساسية حول إدانة الإسلام للنظام الربوى :

١ ـ لا إسلام مع قيام نظام ربوى فى مكان ؛ فالإسلام والربا متعارضان ولايمكن أن يتعايشا .

٢ ـ النظام الربوى كارثة على الإنسانية : فى إيمانها وأخلاقها ، وفى صميم اقتصادها وحياتها .

٣ ـ العلاقة وثيقة فى ظل الإسلام بين الأخلاق والحياة العملية ، ولايمكن أن يقوم اقتصاد ناجح بغير أخلاق .

٤ ـ لايمكن للمعاملات الربوية إلا أن تفسد ضمير الفرد وحياة الجماعة ؛ لأنها تنشر روح الجشع والخداع والأنانية والمقامرة . وهى توجه رؤوس الأموال لتستثمر فى مجالات الرذيلة (الأفلام والمطبوعات الإباحية والنوادى الليلية والمراقص والقوادة ... الخ) حيث الأرباح مضمونة تماما وعالية جداً ، وذلك كى يتبقى جزء منها للمدينين بعد دفع الفائدة .

٥ ـ عندما ينظم الإسلام حياة البشر طبقا لمنهجه ، ويقوم بإلغاء المعاملات الربوية ، فإنه لن يقوم بإلغاء المؤسسات الاقتصادية اللازمة ، وإنما سينقيها من دنس الربا ويضع القواعد السليمة لإدارتها .

٦ ـ على المسلم أن يعتقد اعتقادا راسخا بأن الله ، ـ جلت قدرته ـ ألا يحرم شيئا لازما لقيام الحياة وتقدمها ، وأن الخبائث لايمكن أن تكون لازمة لقيام الحياة وتقدمها . ولنأخذ المثل من أكثر البلاد رخاء وتقدما : من أمريكا ومن السويد ، فالناس هناك ليسوا سعداء . القلق يطل من عيونهم وهم أغنياء ، والملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون فى الإنتاج . وهم يغرقون هذا الملل فى العربدة والصخب تارة ، وفى « التقاليع » الغريبة الشاذة تارة ، وفى الشذوذ الجنسى والنفسى تارة . ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب ، الهرب من أنفسهم ومن الخواء الذى يعشش فيها ، ومن الشقاء الذى ليس له سبب ظاهر ـ فيهربون بالانتحار وبالجنون وبالشذوذ . لكن شبح القلق والخواء لايدعهم يستريحون أبدا !

لماذا ؟ السبب هو أن هذه الأرواح الضالة المعذبة خاوية من زاد الإيمان ومن الاطمئنان إلى الله ـ وخالية كذلك من الأهداف الإنسانية الكبيرة النبيلة التى ينشئها الإيمان بالله ، وخلافة الله فى الأرض وفق عهده وشروطه . وبسبب هذا البلاء الكبير ، (بلاء الربا) لاينمو الاقتصاد نموا سويا مستقيما تتوزع به خيرات نموه على البشرية كلها ، وإنما ينمو مائلا جانحا إلى حفنة الممولين المرابين .

وماذا عن المُعْسر الذى لايستطيع سداد ما عليه من دين ؟

خص الله ـ سبحانه ـ بعض الناس بالأموال

دون بعض نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج منهم (نصيب) يؤدونه إلى من لا مال له ، بتكليف منه سبحانه :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

سورة التوبة

وهي تبين مصارف[12] الصدقات . وقد تولى سبحانه أمرها بنفسه ولم يكل قسمها لأحد غيره ، فجزأها ثمانية أصناف . وقدم الفقراء على البقية ؛ لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور كما جاء في تفسير ابن كثير ، ويأتي بعدهم المساكين ثم العاملون عليها وهم السعاة الجباة الذين يبعثهم الإمام لتحصيل الزكاة . أما المؤلفة قلوبهم فمنهم من يُعطى ليُسْلِم ، ومنهم من يُعطى ليحسُن إسلامُه ويثبت قلبه ، ومنهم من يُعطى لما يرجى من إسلام نظرائه . أما المصرف الخامس ففي الرقاب أي : في فك الرقاب ، قال القرطبي : يجوز للإمام أن يشترى رقابا من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين ويكون ولاؤهم للمسلمين ، وإن اشتراهم صاحب الزكاة وأعتقهم جاز . والمصرف السادس « الغارمون » جمع غارم[13] وهو الذى عليه دَيْن ؛ فالغارمون المستحقون للزكاة هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به ، « اللهم إلا من ادَّان في سفاهة فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها ؛ إلا أن يتوب . وأما في سبيل الله فهم الغزاة وموضع الرِّباط ، وهو قول أكثر العلماء وأضاف بعضهم الحجاج والعُمّار . أما ابن السبيل فهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره ؛ فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده .

فالمدين المعسر له حق في الزكاة كما قضى الله في آية سورة التوبة . أما الآية رقم ٢٨٠ من سورة البقرة ، والتي تأتي في ختام الحديث عن آيات الربا ، فتبين الحكم الخاص بالمدين في حالة الإعسار ؛ فليس السبيل هو ربا النسيئة ، أي : (تأجيل السداد مقابل الزيادة في الفائدة على الدين) . ولكن السبيل هو إمهال المدين إلى حين ميسرة . بل خطا الإسلام خطوة أبعد ، فحبَّب في التصدق بالدَّيْن : « وإن كان ذو عُسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خيرلكم إن كنتم تعلمون » . إنها السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية ، إنه الظل الظليل الذى تأوى إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار .

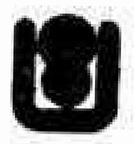
روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلْيُيَسِّرْ على معسر أو ليضع عنه »[14] . وروى مسلم في

---

(١٢) جمع مصْرِف وهو مكان الصَّرف والإنفاق .

(١٣) والفعل غرم غرما وغرامة . ويدور معنى المادة على الملازمة والملاصقة . والغرم : أداء شيء يلزم كالدين . والذى له الدين غريمٌ للزومه وإلحاحه على صاحبه .

صحيحه عن أبي قتادة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نفس[14] عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة » . وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر » . وروى البخاري ومسلم وابن ماجة عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال : ماذا عملت لي في الدنيا ؟ فقال : ما عملت لك يارب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها ـ قالها ثلاث مرات ـ قال العبد عند آخرها : يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال[16] وكنت رجلا أبايع الناس وكان من خلقي الجواز[17] فكنت أيسر على الموسر وأنظر[18] المعسر ، قال : فيقول الله عز وجل : **« أنا أحق من ييسر ، أدخل الجنة »** . وروى عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ـ فتجاوز الله عنه » .



---

(14) وضع يضع عن غريمه : نقص مما له عليه شيئا .
(15) نفس عنه كربته حتى فرجها وكشفها .
(16) فضل الشيء يفضل فضلا : زاد على الحاجة . يقال : أنفق من مالك ما فضل .
(17) الذي أراد : ما يعطاه المدين المعسر من مهلة حتى يتيسر له السداد . وقد جاء في « لسان العرب » تجاوز الله عنه أي عفا . وقولهم : اللهم تجوز عني ، وتجاوز عني بمعنى .
وفي الحديث : « كنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز » أي التساهل والتسامح في البيع والاقتضاء » .
(18) أنظر الدين : أخره وأمهله . ويقال : أنظرت الدين وأنظرته الدين . والنظرة : الانتظار .

أدب الحوار

في الإسلام

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

لقد شاء الله ـ تعالى ـ أن يجعل القرآن الكريم المعجزة الخالدة ، ليكون هذا الكتاب المبين هدى للمتقين ، ومنهاجا للمصلحين ، وهداية للحائرين ، وتقويماً لأخلاق المعوجين ، وإرشادا للضالين .

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

سورة الإسراء ـ الآية : ٩

وباتباعه تتسامى النفوس عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة وتترفع عن ارتكاب الذنوب والعيوب ، لأن القرآن أنزله الله ـ تعالى ـ ليكون شرْعَةً للناس ومنهاجا وجعله محفوظا ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير لكيلا يتبدل الناس ولا يتغيروا ، فهو الذي ينقذ الحيارى من الجهالات والمتاهات :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾

سورة إبراهيم ـ الآية : ١

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سورة الفتح ـ الآية : ٢٨

[قل آمنت بالله ثم استقم]

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام : فقال له : « قل آمنت بالله ثم استقم » : ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ قد أوتي جوامع الكلم

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

سورة النجم ـ الآيتان : ٣ ـ ٤

وقد جعل الله تعالى طاعته من طاعته فقال عز وجل :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ .. ﴾

سورة النساء ـ الآية ٨٠

وفي قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « قل آمنت بالله ثم استقم » قد جمع الإسلام في جملة واحدة وهي أن الإسلام إيمان بالله واستقامة في الحياة : فلا انحراف ولا فساد ولا عيوب ، ولا ضلال ولا التواء ، ولا غل

ولا رياء ، لكنه إيمان بالله واعتصام بحبل الله وتراحم وتعاطف ، وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، لأن المؤمنين إخوة : ربهم الله ؛ ورسولهم خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وقال له :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧

[جبريل عليه السلام يعلمنا المثل الأعلى للحوار الدينى]

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد : أخبرنى عن الإسلام : فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت : قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ! ، قال : فأخبرنى عن الساعة ؛ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل : ، قال فأخبرنى عن أماراتها : ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت مليا : ثم قال : يا عمر ، أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

هذا هو الأدب الرفيع بين السائل والمجيب كما فى هذا الحديث الشريف الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب وهو ذلكم القدوة العظيم : وكان المعلم فيه سيدنا جبريل عليه السلام أمين الوحى الكريم ، ومتلقيه وهو المجيب عن تلكم الأسئلة ، هو الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، هو خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ومنزلة هذا الحديث من السنة المطهرة كمنزلة أم الكتاب (الفاتحة) من القرآن الكريم . فمن عمل به سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

أرأيت كيف كانت هذه الأسئلة الهادئة الهادفة بإجاباتها الرشيدة السديدة منهجا تربويا متكاملا ودرسا دينيا مثاليا شاملا وحوارا أمينا بين أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام وبين سيد المرسلين صاحب الخلق العظيم خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة للعالمين الذى بعثه ربه للناس كافة .

ولقد تكلم العلماء فى شرح السؤال عن الإسلام وعن الإيمان كذلك فقالو الإسلام لغة : هو الاستسلام ، يقال أسلم له قياده إذا استسلم وخضع ولم يعارض ولم يتردد . أما الإيمان ؛ فهو التصديق والإذعان مع الجزم به وعدم التردد فيه ومع الاطمئنان واليقين ، وقد جاءت النصوص فى الآيات والأحاديث تدل على وحدتهما كقوله جل جلاله :

﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ﴿٣٥﴾ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾

سورة الذاريات ـ الآيتان : ٣٥ ، ٣٦

وتارة على تغايرهما مثل قوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ... ﴾

سورة الحجرات ـ الآية : ١٤

ولكنهم اتفقوا على أن الإيمان والإسلام هما وإن تغايرا فى معناهما فلا يعتد بأحدهما دون الآخر ، فهما متلازمان فى الشريعة وإن انفكا فى المفهوم ؛ فليس بمسلم من لا يكون مؤمناً وليس بمؤمن شرعاً من لا يكون مسلماً ، نعم قد ورد فى السنة ما ظاهره ينفى الإيمان عن مرتكب الكبيرة مثل قوله ﷺ « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهـــو مؤمن ...إلى آخر الحديث » فإن ظاهره يفيد انتفاء الإيمان عمن يفعل مثل هذا الإثم ، ولكن هذا الظاهر غير مقصود ، ; وإنما المراد هو أنه لو لاحظ معنى الإيمان المستقر فى قلبه ، الكامن فى أعماق نفسه ، واستحضر مراقبة الله الذى يعلم ما تكسب كل نفس لمنعه إيمانه ودينه ويقينه من فعل السوء وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؛ لأن هذا الإيمان حارس أمين يمنع من فعل الخبائث والنقائص ذلك لأن المؤمن حقاً يمنعه الخوف من الله والحياء منه ؛ من معصية ربه علام الغيوب القاهر فوق عباده والإيمان المنفى « هنا » : هو الإيمان الكامل الذى يتفاوت فيه المؤمنون ،

﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾

سورة الذاريات ـ الآية : ٥٥

وقد ورد فى شأن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه أنه لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه .

وأمّا الاعتقاد الجازم وهو الإيمان الحق ـ إذا نقص بالتردد أو الشك فلا يكون إيمانا حقاً . وقد أجاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه فبيّن بيانا شافيا كافيا حينما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإسلام وعن الإيمان موضحاً بذلك حقائق هذا الدين القيم وقواعد الإسلام الحنيف فى ذلكم الحديث الشريف .

وفى هذه توجيهات وعلامات من القرآن الكريم فى أوصاف وجزاء المؤمنين تقرن الإيمان بالعمل الخيرى الجاد الذى يرشد العقل السليم إلى سواء السبيل .

﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾

سورة الرعد ـ الآية : ١٩

أخبرنى عن الإحسان

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿ فإنه يعلم السر وأخفى ﴾

سورة طه ـ الآية : ٧

وفى مراقبة الله ـ تعالى ـ سر الحياء الذى يصون المرء من ارتكاب المعصية . والله سيصرف السوء والفحشاء عن المخلصين من عباده المتقين ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فاعمل أنت ليراك الله ، فإن

الله يسمع ويرى وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، والإحسان يكون متعديا بإلى كقولك أحسن إلى جارك ، ويعبر إلى كأحسن العمل ، أى أتقن العمل وهذا هو المراد هنا (وأخلص العمل فإن الناقد بصير) :

وهذا الإرشاد من أعظم طرق التربية والتعليم ، بل هو من جوامع كلم سيد المرسلين والله يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

سورة النحل ـ الآية : ١٢٨

والسؤال عن الإحسان كان للاهتمام بقيمة الإحسان ، لرفعة شأنه وعلو قدره ؛ لأن الله يحب المحسنين وهو القائل :

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾

سورة القصص ـ الآية : ٧٧

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

سورة الرحمن ـ الآية : ٦٠

وتأمل الجواب وهو « أن تعبد الله كأنك تراه » وهو معكم أينما كنتم ، فاتق الله حيثما كنت : وكن ممن يخشون ربهم ، ولتكن موصولا بالله أينما حللت وأنى وجدت .

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

سورة طه ـ الآية : ١٣٢

والله يقول :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ .

سورة النازعات ـ الآيتان ٤٠ ـ ٤١

ويقول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

سورة الأحقاف ـ الآية : ٣١

ويقول :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

سورة الزمر

والله يرى ويعلم ويسمع ويبصر ، (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وسيرى عمل كل عامل ذكرا كان أو أنثى ولا يضيع أجر من أحسن عملا : « لا يذهب العرف بين الله والناس » .

« قال فأخبرنى عن الساعة »

قال صلوات الله وسلامه عليه : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » : وهذا هو الجواب البليغ ، والذى لا يناسب جواب غيره ولا يستطيع أحد أن يأتى بجواب مثله ، من حيث البلاغة والفصاحة ودقة التعبير وقوة الإقناع ووضوح الأمر لأولى الألباب وأهل الفصاحة والبيان العالمين بأسرار البلاغة .

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ .

سورة العنكبوت ـ الآية : ٤٣

« قال فأخبرنى عن أماراتها »

فأجابه ﷺ عن الأمارات وفى رواية عن أماراتها موضحا أشراطها . فقال : أن تلد الأمة ربتها : أى سيدتها ، وكأن التأنيث جاء لمراعاة معنى النفس الآدمية ذكرا كان أو أنثى ، والأمارة (العلامة) وفسر العلماء هذا بأنه كناية عن كثرة عقوق الأولاد للأمهات فكأن المرأة بدل أن تلد إبنا بارا أو البنت

البارة – التى تتقرب إلى الله بطاعة أمها وترى أن الجنة تحت أقدام الأمهات – تلد من الأولاد من يتسلط ويتحكم فيها ويرى أنه كأنه سيدها وهى أمته وغير ذلك من أقوال الشراح باجتهادهم فى هذا : ولا شىء أكثر ارتياحا من أن علم الساعة عند الله – تعالى – وقد استأثر هو وحده بعلمه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ .

سورة لقمان – الآية : ٣٤

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

سورة النازعات

(وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان) .

وهذا يشير إلى انقلاب الأحوال ويرمز إلى انتقال الأمرة والسيادة إلى طغام الناس : ومنهم الذين يستعمرون بغدرهم أرض الإسلام ويستأثرون بخيراتها وأصحاب الأوطان المسلمة لا هون وفى غمرة ساهون ، بعد أن قد مكّن الله لهم فى الأرض حينا من الدهر وخضعت لسلطانهم جبابرة الطغيان شرقا وغربا والتاريخ يحفظ هذا جيدا ويعيه ، والله يقول :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

سورة هود – الآية : ١١٧

والله يهب النعم لمن يشاء من العباد فإذا بدلوا نعمة الله كفرا بها أخذها منهم وأعطاها لغيرهم ممن لا يعتد بهم ممن كانوا بالأمس سوقة حفاة عراة عالة أذلاء فقراء فأصبحوا يتطاولون فى البنيان ليذل الله بذلك كبرياء الذين طغوا وبغوا .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ .

سورة طه – الآية : ٦١

وقد تبين لنا أن الإسلام لا يتحقق إلا بقبول الأوامر واجتناب النواهى فلا ينفك الإسلام عن الإيمان ولا الإيمان عن الإسلام ، وثمرات الإسلام تظهر بالعمل به ، ثم ما هو السر فى مجىء جبريل عليه السلام على هذا الوجه فى هذا الحديث . ؟ : السر هو أن ينبههم على أن يسألوا عما فيه فائدة لهم فى دينهم من معنى الإسلام والإيمان والإحسان فيقيسوا عليها السؤال عن المهم فى الأحكام وألا يسترسلوا فى السؤال عن غير المهم من الأمور ، وأما سؤاله عن الساعة فليعلمهم أنه لا سبيل إلى علمها فيكفوا عن السؤال عنها : وعن موعدها : وليهتموا بتطبيق الإسلام على أنفسهم عمليا وكذلك الإحسان وهو يكون بمراقبة الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فلنقف بعقلنا المحدود – الذى لا يدرك اللا محدود – عند الحدود ؛ فما أوتينا من العلم إلا قليلا ، ولنتق الله ليعلمنا الله الذى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

سورة العلق – الآية : ٥

هذا هو الإسلام فى وضوح أدلته وشهادة بيانه ؛ لأن عقائده لم ترهق العقول بما تعيا عن فهمه ولكنها ترشد الإنسان إلى ما تدركه نفسه ، ويقع عليه حسه ، ومن مظاهر نعمة الله أن يتعهد العقل بهداة يقوّمونه إذا زل ويرشدونه إذا ضل ومعهم الأدلة الظاهرة والبراهين الساطعة والآيات الباهرة التى تدل على أنهم رسل من عند الله مبشرين ومنذرين .

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾

سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٩

وفى الشهادتين تبصير للنفس بتخليص العمل لله الذى لا يقال لغيره ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين .. اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

« سورة الفاتحة »

وفى إقام الصلاة تذكير للنفس ـ ليلا ونهارا ـ بعظمة الخالق والاستعانة به وحده فى كل شأن مع تعظيمه وإجلاله وتبجيله والخضوع مع الخشوع لله الواحد القهار ، وهو القائل :

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

سورة العنكبوت ـ الآية : ٤٥

قال ابن القيم : الذكر ثلاث درجات : أعلاها ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان ، ويليه ذكر بالقلب وحده ، ويلى هذا الذكر باللسان وحده وهو فى الدرجة الثالثة ، والله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٤١ ، ٤٢

نماذج أخرى من أدب الحوار :

سئل سيدنا أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن أحسن ما يعطى الله العبد ، قال : سعة علم . قالوا فإن لم يكن قال رجاحة عقل ، قالوا فإن لم يكن : قال صدق لسان قالوا فإن لم يكن . قال سكوت طويل قالوا فإن لم يكن . قال ميتة عاجلة .

أرسل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بصرة فيها نفقة مع عبده إلى أبى ذر ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وقال لعبده : إن قبلها فأنت حر ، وكان سيدنا أبو ذر فقير المال ، ولكنه كان أبيا عفيفا ، غنى النفس نزيها ، فأبى أن يقبلها وردها إلى العبد ، فقال له اقبلها يرحمك الله ؛ فإن فيها عتقى ، فقال إن كان فيها عتقك ففيها رقى . هذه نفوس عالية صنعها الإسلام ورباها القرآن :

يعز غنى النفس إن قل ماله

ويغنى غنى المال وهو ذليل

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم فقالوا:ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فيوسف ابن نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله . قالوا:ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألون ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا .

هذه نماذج من أدب الحوار الدينى بين السائل والمجيب تريح النفس وتطمئن القلب فلا شرود ولا شذوذ لكنه تيسير الإسلام وتوجيه القرآن وبيان سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .

سورة القمر ـ الآية : ١٧



حول حوار طاهر بن جلون عن الأزهر جامعة التعصب !

أ.د/ محمد ابراهيم الفيومي*

أحال الينا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر/جاد الحق على جاد الحق مقالا نشرته صحيفة « الربيوبليكا » الإيطالية بقلم الكاتب المغربى طاهر بن جلون مؤرخا بتاريخ ٩٤/٤/١٧ بعنوان : جامعة التعصب .. مصر الرائدة الثقافية فى العالم العربى ، ولكن عدم التسامح والرقابة التى يفرضها مركز الدراسات بالأزهر يطعن الكثير من المثقفين ، ومن بينهم نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل للسلام .

وحين طالعنا حواره مع الصحيفة لم نجد فيه سوى اتهامات مكذوبة على الله ، وعلى التاريخ ، وعلى مصر الأزهر بشعبها ، من كاتب عربى لا يملك حجة ولا برهانا ، أساء بها إلى نفسه وإلى وطنه العربى الأكبر وهو بنه الثقافية .

ولقد بدأ حواره بدعوى جدلية مغلوطة ، تحمل فى باطنها معاول هدمها ، وهو يحسب معاولها دليل برهانه على دعواه .. ودعواه تنحصر فى قضيتين .

- الأزهر جامعة التعصب .
- الإسلام نصوص غير قابلة للتغيير والتاريخ يمضى قدما .

---

* الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الأزهر جامعة التعصب :

يرى الكاتب فى مقدمة حديثه عن الأزهر : أن جامعة الأزهر بالقاهرة من أهم الجامعات الإسلامية فى العـــالم ، كما أنها من أعـــرق الجامعات . خلال الاحتلال العثمانى شكلت نخبة أدبية وبصفة خاصة استمرت تقاليد تعميق المعرفة . إنها جامعة مستقلة حيال الحكومة وأصبحت الوجدان المعنوى والثقافى للبلاد .

هذا ولا شك هو تاريخ الأزهر ، وتلك رسالته التى ما زال قائما عليها ، ويحرص على أدائها حرصا شديدا ، يتسم فى أدائها بعدم التعصب المذهبى أو الانحياز لرأى فقهى لنسبته إلى مذهب معين . إنما هو الرأى حيث الدليـــل والترجيح ، ومعياره دائما مع المذاهب والفرق : الكتاب والسنة ومناهج الاجتهاد . لكن الباحث خالف نفسه بعد ما قدم الأزهر ، حين قال : «ومع مرور الوقت وتطور الحركات الأصولية اتخذ موقف دفاع مؤكدا على تفهمها ومساندتها أيضا للمسلمين المتشددين ، واعـــتبر نفسه مستودعا للاسم» ، يتابع الباحث الإعلام الغربى والرأى الاستشراقى حين استعمل مصطلـــح الأصولية فى مقابل العلمانية .. هذه المقابلة الثنائية تعنى لدى الغرب (القرون الوسطى) ، أى عصر النزاع بين الكنيسة والعلمانية التى على أساسها أقصيت الكنيسة عن قيادة المجتمع ، وأفسحت الطريق للعلمانية واسعا .. ولاشك أن الكاتب حين استعمل مصطلح «الأصولية» يعنى نقل رؤية الغرب لتاريخه الثقافى إلى الإسلام بينما تاريخ الإسلام الحضارى والثقافى ليس فيه ما يماثل ما وقع فى القرون الوسطى من النزاع بين العقل والنقل ، وليس فيه طبقة دينية أعلنت وصايتها على الدين ، تحرم فيه ما تشاء ، أو تحلل ما تشاء ، وتعلن وصايتها على العقل ومصادر معرفته ، فالمصطلح يرتبط تاريخه فى أوروبا بالعنف والتطـــرف والإرهاب .

حقيقة للأصولية معنى تنتسب إليه لا بسبب أى نوع من الخوف ، لأنه لا يوجد دين بلا أصول ، فيستطيع كل إنسان متدين يدعى أنه أصولى ؛ لأن تدينه يرجع إلى أصول . والأصولية بهذا المعنى ليس فيها ما يثير القلق والانزعاج ، لكن اللافت أن كلمة أصولية اكتسبت فى الفترة الأخيرة معنى مغايرا لحقيقتها اللغوية ، فبات يقصد منها معنى التطرف والانغلاق ، فالأصولى هو كل من يرفض التطور والتفاعل مع المدنية الحديثة مفضلا الرجوع إلى التراث مكتفيا به عازلا نفسه عن العالم . يصر الغرب والكاتب يتابعه فى إلصاق صفة التطرف بالمسلمين والعرب ويجعل الكاتب طاهر بن جالون الأزهر هو القيم على الأصولية بهذا المعنى ، وذلك ليس تأويلا تعسفيا منا لحديث الكاتب ؛ فهو قد استعمل مصطلح «الأصولية» مقرونا «بالحركات» ، وذلك يعنى بكل تأكيد إلصاق تهم الإرهاب والتطرف والعنف بالإسلام والأزهر ، وهذا ولاشك ضلال ثقافى حين يستعير مفاهيم الغرب التاريخية ؛ ليشوه بها واقعنا المعاصر ويخطىء

الباحث خطأ شديدا فيما ساقه من شواهد ينسبها إلى الأزهر تصفه بمحاربة الفكر ومصادرة الحرية الثقافية ، من هذه الشواهد :

× قضية نصر أبوزيد ودعوى إلزامه بتطليق زوجته .

× سلمان رشدى .. أسماء أخرى .
× مسلسل بيت العائلة .
× فيلم عادل إمام

ليس للأزهر دخل فى قضية نصر أبوزيد العلمية ؛ فهو موقف أكاديمى مع اللجنة العلمية الدائمة ــ جامعة القاهرة ــ وليست جامعة الأزهر كما يذهب الكاتب ، فما قاله الكاتب عن جامعة الأزهر لاينصرف إلى جامعة الأزهر . ولاشك أن قضية نصر أبوزيد تتعلق بالتقاليد الجامعية العلمية ومنهج البحث العلمى ، فإثارتها على الرأى العام تضر كثيرا بالأبحاث العلمية وقواعد المنهج الجامعية . وقضية الدعوى عليه بتطليق زوجته لادخل للأزهر فيها ، إنما هى دعوى أقامها عليه محام . ومازال نصر أبوزيد أستاذاً مساعداً بالجامعة يكتب ويحاضر ويعيش مع زوجته دون حجر عليه .. ثم لماذا كان رأى الصحافة هو الصحيح ؟ ورأى اللجنة العلمية هو الخطأ وهو الجمود ؟! هذا وأيم الحق منطق متحيز حين ينحى أهل الاختصاص لطائفة المزيفين .

كذلك سلمان رشدى قال فيه الكاتب والمفكر والروائى أنيس منصور:الروائى البريطانى الجنسية الهندى الأصل المسلم المرتد سلمان رشدى يستحق ضرب (الجزمة) وأكثر فقد تعمد أن يسىء إلى الإسلام والقرآن والرسول ــ عليه السلام ــ ، وهذه الإساءة لم تجىء عرضا فى جملة أو فى تفسير .. إنما فى الرواية كلها من أول صفحة حتى آخر صفحة رقم ٥٤٧ وهو سافل وحقير لاشك فى ذلك . الأهرام /١٩٨٩/٧ .

وإقحام اسم نجيب محفوظ لامبرر له ، وذلك لأنه حين أبدى الأزهر وجهة نظره فى قصته : «أولاد حارتنا» تقبلها الكاتب ، وكتب بذلك وقال : أنا لاأعنى هذه المعانى .

فيلم عادل إمام .. مازال يعرض واعترضت عليه دول عربية وقالت : إنه يسىء إلى الإسلام .
مسلسل العائلة .. عرض بكامله ، وعدّل الأزهر بعض القضايا الدينية واستجاب المؤلف واعتذر .

فأين تسلط الأزهر على الحرية الفكرية وعلى مصادرة الإبداع ؟

كيف نطلب حرية الفكر للآخرين بدعوى الإبداع والحرية الثقافية فى أن يكتبوا ما يحلو لهم ، ثم ننكر على الأزهر حين يتولى مسئوليته الإسلامية ويقوم بتصحيح ما يجب تصحيحه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وندعى عليه أنه يجمد الفكر ويصادر الإبداع ، فالأزهر هو الأزهر هوية إسلامية عربية ، لامذهبية ولاعصبية ، إنما هو تاريخ مشرف ، فهل الحرية الثقافية لاتكون إلا بالطعن فى الإسلام ؟ وهل الأزهر تجاوز سلطته فحارب الفكر ! أليس للأزهر رأيه فيما

يكتب عن الإسلام ؟ ندع لطاهر بن جلون أن يحدد اختصاص الأزهر .

القضيـة الثانيـة : النـصوص الثابتـة والحيـاة المتغيرة :

يقول الكاتب : إن الإسلام فى القرن الأول للهجرة القرن السابع الميلادى ليس إسلام اليوم ، أى أن النصوص غير قابلة للتغيير ، ولكن التاريخ يمضى قدمـــا ، وربما من الضرورى إدخـــال إصلاحات على النصوص الدينية التى تنظم الحياة اليومية .

يردد الكاتب ما يأخذه العلمانيون فى الغرب على الدين وهو : أن الدين يوصف بالثبات وعدم التغيير ، بينما الحياة الاجتماعية توصف بالتغير والتبدل ... فكيف يترابط الثابت بالمتغير ... والمفروض لدينا فى الإسلام ليس الترابط فقط ، بل المطلوب أن يقود الثابت (الدين) المتحرك (الحياة الاجتماعية والسياسية .. الخ) .

هذه الإشكالية أثارها الغرب ضد الكنيسة ، فالزوت عن الحياة ؛ إذ ليس لديها برنامج لمتغيرات الحياة ، وهى كما نسب إلى السيد المسيح : «ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله» ، وليس فى الإسلام مثل هذا النص .

أما هذه الإشكالية فقد أثارها السلف الصالح وقدم لها من الحلول المناسبة من خلال حركة عقلية نشطة تعاونت فيها الجهود الفكرية والفقهية ؛ لتحفظ للعقل وظيفته الفكرية ، وللنص صلاحيته لقانون التغير المستمر .

من هنا كانت نشأة علم أصول الفقه وتطبيقاته العلمية التى عرفت باسم الفقه الإسلامى ، أو علم الفروع — علم سلوك المسلم — تلبية دينية واجتماعية وثقافية ، مسايرة لمبدأ التوازن بين الإسلام ، وتطور الحياة ومشكلاتها ؛ كى لا ينعزل المسلم بإسلامه عن الحياة ، ولا ينعزل بالحياة عن إسلامه .. وكان هذا الجهد الفقهى تطويرا لمفهوم «الرأى» الذى أخذ به معاذ ، حين أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن ، وقد رضى عنه الرسول قوله وأثنى عليه ؛ ولهذا تطور الرأى بجهود الفقهاء إلى ما يعرف بالاجتهاد فى التشريع مراعاة لقانون التغير العام . وكان مبدأ الاجتهاد فى الإسلام ضروريا ؛ ليحفظ على العقل دوره الحضارى فى الإسلام فى تطبيق كليات الشريعة وتحويلها إلى حركة اجتماعية من خلال قواعد عقلية صنعها العقل ؛ لتحفظ عليه رشده من أن يقع تحت أهواء مهللة ، أو يقع تحت تأثير رؤية ذاتية ، ومن تلك القواعـــد : القيـــاس — الإجماع — الاستحسان — المصالح المرسلة .. قواعد صاغها العقل لغاية دينية ، وذلك كله كان من جهود الفقهاء مراعاة لقانون التغير العام فى المجتمعات خلال انتقاله المستمر من زمن إلى زمن ، ومن حال إلى حال .

وبعد فقد أصبح الهجوم على الأزهر (موضة) العصر ، وهو حصن العروبة والإسلام وحامى الحرية ورمز الوطن والوطنية . فإذا ما استهدف بالنيل منه كيدا وبغضا فماذا يبقى لنا من الهوية الثقافية ؟

رحمة الله للرحماء

الرحمة ، رقة فى القلب ، تستلزم العطف بكل كائن حى ، وهى خلق يدل على نبل الطبع ، وسُمُوّ الروح ، وصفاء النفس ، ونقاء المعدن ، وكمال المروءة ، وعلوّ الهمة فى الإنسان ، تجعله يرقُّ لآلام الناس ، ويسعى لإزالتها جهد استطاعته ، ويتألم لأخطائهم ، فيتمنّى لهم الهدى .. وديننا الحنيف أمر بالتراحم العام ، وجعله من دلائل الإيمان الكامل .. فالمسلم التقى يلقى الناس وفى وجهه إشراق وانبساط ، وفى قلبه حب وعطف ، وفى معاملته لين ويسر ، فهو يُرَحِّب بهم ، ويُخفِّف عنهم ما عساه أن يكون قد ألَمَّ بهم ، من صُرُوف الدهر ، ويتعاون معهم على فعل الخير وعمل البر ، قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة عامة »[1] .

لفضيلة الشيخ /
عبدالمنصف محمود عبدالفتاح[*]

إن الإنسان : يَرِقُّ لأولاده ، حين يراهم ، ويهش لأصدقائه حين يلقاهم ، وذلك أمر يشيع عند الكثيرين من الناس ، غير أن المفروض فى المسلم : أن تكون دائرة رحمته أوسع ، لاسيما بالنسبة للضعفاء من خلق الله ؛ لكى يكون جديراً برحمة الله ، قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن لا يغفر لا يُغفَرْ له »[2] .. وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم من فى الأرض ، لا يرحمه من فى السماء »[3] .

آثار الرحمة :

الرحمة : تجعل المسلم مرهف الحس ، رقيق المشاعر ، وتباعد بينه وبين غيره من الكائنات ،

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر .
(١) رواه الطبرانى .
(٢) أخرجه البخارى .
(٣) رواه الطبرانى .

التى تنعش بها الحياة ، لأن تبلّد الحس يهوى بالإنسان إلى منزلة الحيوان الأعجم ، ويسلبه خير ما فيه ، وهى العاطفة الحية : النابضة بالحب والرأفة ، بل إن الحيوان والطير : قد تجيش فيه مشاعر مُبهمة : لعطفةٍ على ذراريه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده ، تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل فى الأرض جزءا واحداً ، فمن ذلك الجزء : تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها ؛ خشية أن تصيبه »[4] .. وروى عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ، فى سفر ، فرأينا حُمّرة[5] .. معها فرخان لها ، فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تضرب بجناحيها ، من أجل فرخيها ، فقال رسول الله ﷺ : من فجع هذه بولدها ؟ رُدُّوا ولدها إليها » .

ومن ثمّ كانت القسوة : ارتكاسا بالفطرة ، لا إلى منزلة البهائم ، بل إلى منزلة الجمادات : التى لا حِسّ فيها ولا حركة ، قال رسول الله ﷺ : « **إن أبعد الناس من الله - تعالى : القاسى القلب** »[6] .

صفة من صفات الله - تعالى :

والرحمة : فى أفقها الأعلى ، وامتدادها المطلق : صفة من صفات الله - عز وجل - ، فإن رحمته : شملت الوجود ، وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء ، أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة ، قال الله - تعالى : « وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ »[7] .

فهذه الآية الكريمة : عظيمة الشمول والعموم ، وهى كقوله - تعالى : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ »[8] .

ويقول الله - عز وجل - فى حديث قدسى : « **رحمتى سبقت غضبى ، وحلمى سبق مؤاخذتى ، وعفوى سبق انتقامى ، أنا رءوف بعبادى ، وأرحم من الوالدة بولدها** » .

عموم الرحمة :

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : « بينما النبى ﷺ جالس بين أصحابه فى خلاء ، جاءه رجل عليه كساء ، وفى يده شىء قد لَفّ عليه كساءه وقال : يارسول الله إنى لما رأيتك أقبلت ، فمررت بشجر مُلتف بعضه على بعض ، فسمعت فيه أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن ،

(٤) رواه البخارى .
(٥) طائرا أحمر اللون .
(٦) رواه الترمذى .

(٧) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٨) غافر : ٧ .

فاستدارت على رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فسقطت عليهن ، فلففتهما معهن بكسائي ، فهاهن معي يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : ضعهن ، فوضعتهن أمامه على الأرض ، وكشفت الكساء عنهن ، فأبت أمهن فراقهن ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ، قال : والذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ، قم فارجع بهن حتى تضعهن (مكانهن) وأمهن معهن »[٩] .

إن كل ما نراه فى الأرض : من توادٍّ وتحاب ، وتعاطف وتآلف ، وتعاون وتراحم : إنما هو أثر من رحمة الله التى أودع جزءاً منها فى قلوب الخلائق .. فأرقّ الناس قلبا : أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة ، وأرهفهم إحساسا بحاجات الضعفاء والعاجزين ، وأسمعهم إلى أنات الفقراء والمعوزين ، وأسرعهم إلى مساعدة اليتامى والبائسين .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال ﷺ : « امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين »[١٠] .. وفى رواية أخرى : أن رجلا جاءه يشكو قسوة قلبه ، فقال له : « أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلين قلبك ، وتدرك حاجتك »[١١] .

الرحمة بالحيوان :

ومن الرحمة المطلوبة ، الرفق بالحيوان ، روى أن النبى ﷺ رأى رجلا يحدُّ شفرته ، وقد أضجع شاته . فقال له : (منكرا عليه) « أتريد أن تميتها موتتين ، هلا أحددت شفرتك ، قبل أن تضجعها » ، وروى أن رجلا قال : يارسول الله « إنى لأرحم الشاة أن أذبحها ، فقال : « إن رحمتها رحمك الله »[١٢] .. ورأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رجلا يسحب شاة برجلها ، ليذبحها ، فقال له : « ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا » .

وليس من الرحمة : أن نقسو على الحيوان أو نستهين بآلامه ، أو نجيعه ، أو نحمله ما لا يطيق .

وقد بين ديننا الحنيف : أن الإنسان ـ مع علو قدره ، وعظم شأنه ـ يدخل النار فى إساءة يرتكبها مع دابة عجماء ، قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار فى هرة ، ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض »[١٣] .

تكفير المعاصى بالرحمة :

كما بين أن بعض المعاصى قد تكفرها نزعة رحمة تغمر القلب ، ولو كانت بإزاء كلب ، قال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يمشى بطريق ،

---

(٩) رواه أبو داود .
(١٠) أخرجه الإمام أحمد .
(١١) رواه الطبرانى .
(١٢) أخرجه الحاكم .
(١٣) رواه البخارى .

اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، وإذا كلب يلهث : يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه ، حتى رق ، فسقى الكلب فشكر الله ـ تعالى ـ له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال : فى كل ذات كبد رطبة أجر »(١٤) .

إن من آثار الرحمة وثمارها : البر والإحسان .. فالرحيم : هو البار بوالديه ، البار بأقاربه ، البار بإخوانه ، البار بجيرانه ، البار بالناس جميعا .. يقوم لكل هؤلاء بالحقوق الواجبة عليه ، وينفق من ماله : ما فرضه الله ـ تعالى ـ عليه .. يغيث الملهوفين ويفرج الكرب عن المكروبين ، ويتصدق على البؤساء والمساكين . قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله : سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جوعا ، أو تقضى عنه دينا » .

فعلى المسلم أن يؤدى حقوق أقاربه : يطعمهم من جوع ، ويؤمنهم من خوف ، ويتحمل إساءة المسىء منهم .. وأجدر الناس بجميل بره وعظيم إحسانه : **هما الوالدان** .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾(١٥)

ثم أولاده .

عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : « أتى أبو بكر عائشة ، وقد أصابتها الحمى ، فقال : كيف أنت يا بنية ، وقبل خدها »(١٦) .

والمشاهد عند بعض الناس : أن عواطفهم لا تأخذ هذا الطابع من الرقة والحنو ، ففى أخلاقهم وألفاظهم جفوة مستكرهة ..

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قبل الحسن والحسين ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : « من لا يرحم لا يرحم »(١٧) ..

وفى رواية أخرى : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » .

---

(١٤) رواه مسلم .

(١٥) الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(١٦) رواه البخارى .

(١٧) رواه البخارى .

ستمائة عام من الإسلام في يوغسلافيا

بقلم / عبده حسن التناجي (*)

دام الحكم العثماني في « كرواتيا » و« فوفودينا » ٤٠ سنة وفي « صربيا » ٣٨٠ سنة ، وفي « البوسنة والهرسك » ٤١٥ سنة وفي « الجبل الأسود » ٤٢٠ سنة وفي « كوسوفو » ٤٣٠ سنة وفي « مقدونيا » ٥٤٧ سنة .

« بلجراد » العاصمة فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣م ، ثم احتلها النمساويون سنة ١٧١٨م ثم استرجعها العثمانيون سنة ١٧٣٨م ، ثم فقدوها للمرة الأخيرة سنة ١٨٣٠م وبذلك يكون الحكم العثماني قد دام فيها ٣٥٨ سنة على وجه التقريب .

الرحالة التركي (أولى شلبي) زار بلجراد عام (١٦٠٠م) ، وكان عدد سكانها مائة ألف نسمة ، ثلاثة أرباعهم مسلمون ، وسجل وقتها أنه كان بالمدينة ٢٧٠ مسجداً ، و٧ (تكايا) ، وثماني مدارس ثانوية إسلامية وتسع دور للحديث ، و٢٧٠ من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم . وبعد أن انحسر الحكم الإسلامي عن المدينة قضى الصرب على المدارس والمساجد والكتاتيب كلها واحدة تلو الأخرى فهدم مسجد « أفندي » وأنشىء مكانه ميدان لسباق الخيل ،

وتم بناء المسرح المركزي على أنقاض مسجد القرية ، والبرلمان اليوغسلافي هو في الحقيقة مسجد « تيار » الذي كان أجمل وأكبر مسجد في بلجراد ، ومسجد البيرقة وهو أول مسجد بناه المسلمون في بلجراد حوله الصرب إلى كتدرائية سنة ١٧١٨م ثم استرجعه المسلمون عام ١٩٦٢م .

نشرت صحيفة « لوتمب » الفرنسية في أحد أعدادها في شهر أبريل سنة ١٩١٩م حديثاً لرئيس

(*) كاتب بالإذاعة .

علماء المسلمين في يوغسلافيا الشيخ (جمال الدين تشادشفيتش) قال فيه :

إنه خلال السنة الأولى من حكم الصرب للبوسنة والهرسك تم إحراق وتدمير ونهب (٣٧٠) قرية إسلامية ، وقتل آلاف المسلمين ، وصرح « موشى بيادة » اليهودى الأصل في المؤتمر التأسيسي لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف في البوسنة عام ١٩٤٦م أن المسلمين خطر على يوغسلافيا ، في وقت اعترفت فيه يوغسلافيا بالحقوق القومية والدينية للشعب اليهودى فيها ، مما يدل على أن كل قوى الشر والبغى والعدوان اجتمعت على كلمة واحدة هي القضاء على شأفة الإسلام والمسلمين من جذورها .

مؤامرة للقضاء على البوسنة وخطة تقسيم البوسنة تمنح المسلمين ١٠٪ فقط

ثمة اتفاق عام في الأوساط السياسية على أن المؤامرة مازالت مستمرة لطمس معالم البوسنة والهرسك كدولة إسلامية بعد الإعلان عن الخطة الجديدة لتقسيم البوسنة إلى ثلاث دويلات عرقية والتي ترمي إلى مكافأة الصرب بمنحه ٥٠٪ من مساحة البوسنة الكلية كما تخصص للكروات ٤٠٪ والعشرة في المائة الباقية تكون من نصيب المسلمين وتعرف الخطة بالصربو / كرواتية ، وهذه الخطة ليست جديدة فقد دعا هنرى كيسنجر ـ وزير خارجية أمريكا الأسبق ـ اليهودى الأصل ـ في مقال له نشر قبيل الإعلان عن الخطة .

في صحيفة (الديلي تلجراف) إلى تقسيم البوسنة ذات الأغلبية المسلمة إلى ثلاثة أقسام بين المجموعات الثلاث يكون قسم منها أساسا لدولة مسلمة صغيرة (!!) .

مع منفذ صغير على البحر الأدرياتيكي ويسمح للصرب والكروات على العيش في ظل حكومة واحدة مع المسلمين ، ويؤكد أن الخطأ اللامسئول للمأساة هو الاعتراف الدولى بدولة بسنية يحكمها مسلمون والبوسنة لم تكن يوما أمة ولاتوجد لها هوية ثقافية محدودة » .

وبعد تصريح كيسنجر استعداء صريحا للمجتمع الدولى على المسلمين في أوروبا ورفض استقلالهم في دولة تجمعهم ، وبمجرد ظهور الخطة أسرعت الإدارة الأمريكية بتأييدها وهى الإدارة نفسها التى رفضت خطة (فانس أوين) بدعوى أنها لا تحافظ على وحدة البوسنة وتعترف بالعدوان الصربى .

وقد عارض الرئيس البوسنى المسلم (على عزت بيجوفتش) الخطة معارضة شديدة وهو ما دفع « لورد أوين » إلى توجيه اللوم إليه قائلا : كان يجب على بيجوفتش تقبل هذه الخطة ، وبسبب تأييد المجموعة الأوروبية للتقسيم (**أطلق القائد المسلم (حازم باديتش) تهديده بأن لديه مواد كيمائية تكفى لتدمير الحياة في أوروبا .**

وقد طالب بيجوفتش المجتمع الدولى بعدم التقليل من تهديد القائد المسلم باستخدام المواد الكيمائية للدفاع عن المسلمين وأضاف « على عزت » : ليس على المضطر حرج ، وكان بهذا

الموقف للرئيس البوسنى أثره فى إحياء مجلس الرئاسة المشتركة فى البوسنة والذى يتكون من سبعة أعضاء منهم اثنان من المسلمين ، واثنان من الصرب ، واثنان من الكروات والسابع من يوغسلافيا ، وكان المجلس قد توقف عام ١٩٩٢ بعد اختيار « على عزت بيجوفتش » رئيساً وبعد اندلاع الحرب ومن بين أعضاء المجلس فكر (عبديتش مسلم) الذى يعارض موقف على عزت ويؤكد فكرة التقسيم ، ومعروف عن هذا العضو علاقاته الوثيقة بكرواتيا إلى درجة مساندته ليكون بديلا للرئيس على عزت فى رئاسة جمهورية البوسنة .

ومن ناحية ثانية تواصل الأمم المتحدة التآمر على البوسنة ومن أدلة ذلك أنها اكتفت بالموافقة على إرسال خمسة آلاف جندى إلى البوسنة بينما أكد وزير الدفاع الفرنسى أن تنفيذ مشروع حفظ السلام فى المناطق الآمنة فى البوسنة يحتاج إلى مائتى ألف جندى .

أما بالنسبة لدور العالم الإسلامى فمازال غامضاً لذلك قال « جون ميجور » رئيس وزراء بريطانيا : إن حكومات الدول الإسلامية قد فقدت قدرتها على معارضة الدول الغربية وأمريكا ، وباستطاعتنا تنفيذ أى خطة لمنع قيام دولة إسلامية فى أوروبا فى ظل حظر السلاح على البوسنة والمجموعة الأوروبية التى تسلح الصرب .

فهذه صحيفة (تايسكا فيتكيتن الدنماركية) مؤخراً تقول أن شركة يونانية تمولها المجموعة الأوروبية باعت لصربيا عتاداً حربياً من بينه عدسات متطورة جداً تستخدم فى الدبابات ومدافع الهاون ، بينما على الجانب الآخر هاهم مسئولون فى القمة الأوروبية الأخيرة المستشار الألمانى « هلموت كول » عندما أشار إلى رسالة أمريكية من الرئيس كلينتون تحض دول أوروبا على رفع حظر السلاح على البوسنة . والعجيب فى الأمر أن « الجماعة الأوروبية » مازالت تدعى أنها تدافع عن حقوق الإنسان وترفع راية العدل فى كل مكان وليس هذا إلا الضلال المبين .

التقسيم.. والجواب على الغطرسة الدولية

من الغطرسة الدولية هذا الذى عرفناه عن (ديفيد أوين) الوسيط الدولى فى هذا النزاع عندما وقف أمام الصحفيين ليعبر عن غضبه وانزعاجه الشديدين لأن الرئيس البوسنى على عزت أعلن مغادرته جنيف رافضاً خطة التقسيم التى اتفق عليها الطرفان رأسا العدوان .

لقد كان يجب على « بيجوفتش » فى نظر (أوين) أن يتقبل تلك الخطة التى تقرر للصرب والكروات فى البوسنة والهرسك قيام دولتين تنضمان حتماً إلى الأم لاحقاً « صربيا وكرواتيا » ، وتقومان على تسعين فى المائة من الأرض التى لا تزال تعيش ويلات التقتيل والتدمير والتشريد والتجويع ويبقى ١٠٪ منها لا تضم حتى بعض المدن الصامدة وسط الحصار ، والمعلنة كمناطق محمية آمنة لبقاء المسلمين ليعيشوا . إن كان هذا يسمى عيشاً فى منطقتين منفصلتين معزولتين لا تملكان أبسط أسباب البقاء فضلا عن إقامة دولة ثالثة .

وهنا يدهش منطق القوة ألا ينصاع لسياسة الأمر الواقع « الباطل » من حُرِم من السلاح كيلا يدافع عن نفسه فسيبقى يدافع بتضحياته وصموده ومن تواطأت سائر القوى الدولية ضده فانفرد في الميدان ولم يعلن استسلامه النهائي لاجتياح إرادتها على أبادته وتبلغ المهزلة ذروتها في أسلوب تقليل ذلك الإحساس بالغضب والانزعاج عبر تصريح أوين بأنه كان يجب على بيجوفتش ألا يعلن عن موقف الرفض قبل أن يتشاور مع القادة الآخرين داخل سرايفو على خطة التقسيم .

ومن تابع الأوضاع داخل سرايفو متابعة دقيقة يعلم أنه إذا وجد خلاف بين بيجوفتش وإخوانه في مواجهة المأساة الجارية فهذا صادر عن استعدادهم الأكبر للمقاومة حتى النهاية .

لقد رأى بيجوفتش ولمس ما فعلته الأسرة الدولية من وعود ؛ كان ظاهراً من البداية أنها مخادعة وكان يثبت لاحقاً باستمرار أنها كذلك بالفعل ابتداء بأول الوعود التي أعلنت أساساً للتفاوض في مؤتمر (لاهاى) ومروراً بما كان في مؤتمر (لندن) ، وانتهاء بما يسمى خطة (فانس وأوين) عبر مؤتمر جنيف . فلم ينفذ جزئياً ولا كلياً وعد واحد من ذلك المسلسل المرافق لسيل الدماء وموجات التشريد والاغتصاب والتدمير ، وكان من حلقاته :

١ ـ المحافظة على وحدة أراضي البوسنة والهرسك .

٢ ـ تطبيق القانون الدولى في التعامل المتكافىء مع سائر الأقليات في كل دولة على حدة .

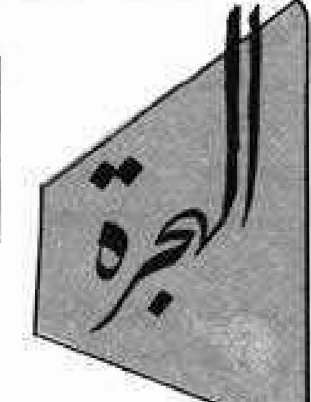
٣ ـ التدخل إذا استمر العدوان ورفع الحظر على السلاح إن لم يتوقف القتال بعد الموافقة على التقسيم إلى مقاطعات .

٤ ـ الالتزام بخطة (فانس وأوين) الجائرة إذا تمت الموافقة على المناطق الآمنة باسم الخطة الدولية الجديدة . وهذا غيض من فيض إذا ما أضيف إلى القائمة من وعود أخرى مرافقة لاتفاقيات لا تحصى على وقف إطلاق النار ، وعلى تأمين وصول القوافل الإنسانية إلى المسلمين المحاصرين ، وعلى نزع الأسلحة الثقيلة من الصربيين إذا سلم المسلمون بقايا أسلحتهم في بعض المدن المحاصرة .

لم ينقطع المسلسل الرهيب حتى الآن .. والتواطؤ الدولى ظاهر للعيان في دفعه ـ مرة بعد أخرى للقبول بأمر واقع جديد حقناً للدماء ـ دماء غير المسلمين ـ ومنعاً لتوسيع رقعة القتال ، ولامانع من استمراره على حساب المسلمين .

هذه الضغوط لاتعنى فقط القبول بالبديل الماثل في إبادة شعب وتقويض دولة وتشجيع مرتكبي الجريمة على ارتكاب المزيد في البلقان ، ولاتكشف فقط عن سياسة لاأخلاق لها ، وازدواجية لاقيم تضبطها ، وهيمنة دولية لاحدود لها تقف عندها ، بل إلى ماوراء ذلك من تدمير دولة إسلامية وليدة .

هذا وإنما يفترض بالمسلمين بالبلقان أن يمتلكوا لغة العصر واستخدامها ويستوعبوها استيعابا عميقا يتحول إلى واقع متطور في حياتنا وسياستنا وتعاملنا على سائر المستويات .





بقلم : ا . د هشام مخلوف
د . يوسف محجوب

علم السكان أو علم الديموجرافيا .. هذه الكلمة التى اشتقت من كلمتين يونانيتين الأولى معناها : الناس أو البشر DEMES والثانية معناها : تصوير أو رسم أو وصف GRAPHIA ويهتم هذا العلم بدراسة السكان من حيث الحجم والتوزيع والخصائص فى مكان ما وفى وقت معين بالإضافة إلى دراسة التغيرات التى تحدث على هذا الحجم والتوزيع والخصائص عبر الزمن .

وحجم السكان هو ببساطة عدد الوحدات من السكان أو عدد الأفراد من السكان الموجودين فى منطقة ما وفى لحظة معينة .

وتوزيع السكان يقصد به مدى انتشار السكان فى مساحة ما وفى لحظة معينة .

أما خصائص السكان فيقصد بها توزيع السكان حسب الجنس (النوع) والعمر (السن) والحالة الزواجية والحالة التعليمية أو العملية وكذا الخصائص العرقية .

فحجم السكان لدولة ما فى لحظة معينة هو نتاج لحجم السكان فى تاريخ سابق مضافا إليه عدد المواليد خلال الفترة مضافا له عدد المهاجرين إلى هذه الدولة مطروحا منه عدد الوفيات خلال الفترة وكذا عدد المهاجرين من هذه الدولة .

فالمواليد والهجرة الوافدة تؤدى إلى زيادة حجم السكان لأية دولة بينما تؤدى الوفيات والهجرة من الدولة إلى نقص حجم السكان .

وعلى هذا فعلم السكان يهتم بدراسة الهجرة الدولية ، لا . لأنها تمثل عنصرا من عناصر التغير السكانى فحسب ؛ بل لأنها تساعد على دراسة الحركة الدولية للأفراد من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى .

والمصادر الأساسية لبيانات الهجرة هى السجلات التى تحتفظ بها الهيئات القومية التى

■ تتقدم مجلة الأزهر إلى الكاتبين الجليلين برجاء تزويد إدارة المجلة بأسماء ثلاثية لكل منهما مع بيان جهة العمل حتى يمكن الاحتفاظ لهما بحقوقهما قبل المجلة . وترجو المجلة أن يحيز الكتاب الكرام ذلك رجاء لكل منهم .

تنظم الهجرة وتمنح الجنسية للمهاجرين وإحصاءات العبور التى يمكن إعدادها بالرجوع إلى البطاقات أو السجلات التى تحتفظ بها السلطات فى جميع منافذ الدولة من موانىء ومطارات .. الخ .

وبالرغم من أن الهجرة تعتبر أقل أهمية من المواليد والوفيات فى إحداث تغير فى حجم ونمو السكان فإن الهجرة غالبا ما تكون خاضعة لسياسات وقوانين حازمة تفوق تلك السياسات المتعلقة بتنظيم خصوبة السكان أو وفياتهم وذلك لما لها من آثار اقتصادية واجتماعية على كل من الدول : المهاجر منها أو إليها .

الهجرة والنمو السكانى :

حتى أواخر القرن الماضى كانت الهجرة أهم العوامل التى لها تأثير على النمو السكانى فى بعض البلدان صغيرة الحجم مثل استراليا ونيوزلندا ، كما **كان للهجرة أثر كبير على النمو السكانى لأمريكا وكندا** ، وظل الدور الواضح للهجرة على النمو السكانى فى بعض البلدان فى بداية القرن الحالى مثل استراليا ونيوزيلنده وكندا وكذلك الأرجنتين وفنزويلا وإسرائيل التى اعتمدت كليا فى نشأتها على المهاجرين .. وما زالت .

كما أدت الهجرة دورا هاما فى تقليل النمو السكانى لبعض البلدان الأوربية خلال القرن الماضى حيث قدر حجم الهجرة من أوربا ككل بخمس حجم الزيادة الطبيعية (الفرق بين المواليد والوفيات) أى أن **الهجرة أدت إلى تقليل النمو السكانى فى أوربا خلال هذه الفترة بمقدار** الخمس .. ولعل إيرلندا تعتبر من أوضح الأمثلة لأثر الهجرة على النمو السكانى حيث زادت الهجرة على الزيادة الطبيعية للسكان مما أدى إلى النقصان فى حجم سكانها من خمسة ملايين نسمة فى عام ١٨٥١م إلى أقل من ثلاثة ملايين نسمة فى عام ١٩٢٦م .

كما بلغ حجم الهجرة الدولية حوالى تسع حجم الزيادة الطبيعية فى كل من ألمانيا خلال الفترة من ١٨٤١م — ١٩١٠م وفى المملكة المتحدة خلال الفترة من ١٨٧١م إلى ١٩٣١م وخلال القرن الحالى ظهر بوضوح دور الهجرة الخارجية على النمو السكانى فى بعض البلدان مثل ألمانيا الشرقية والبرتغال واليونان وإيطاليا ويوغوسلافيا ومالطا .

وبالرغم من النقص الواضح للإحصاءات المتعلقة بالهجرة فى آسيا وإفريقيا إلا أن الدراسات أوضحت **أن دور الهجرة كان قليل الأثر على النمو السكانى** فيها وربما يرجع ذلك إلى أن الهجرة فى هاتين القارتين كانت من أجل البحث عن فرص عمل فى أوربا وأمريكا لمدة شهور أو سنوات يعود المهاجرون بعدها إلى وطنهم ومعهم أبناؤهم بعكس المهاجرين فى أوربا إذ أنّ هجرتهم دائمة .

ولما كان أغلب المهاجرين من الذكور فى أعمار الشباب فقد يكون للهجرة أثر مضاعف على النمو السكانى خاصة فى البلدان المهاجر إليها إذا ما تم زواجهم كما حدث فى فرنسا خلال العشرينيات من هذا القرن حيث أحدث المهاجرون التوازن بين الجنسين (الذكور والإناث) الذى اختل بسبب خسائر الحروب

وبصفة عامة فإنه يمكن القول : إنه — وبسبب الخصائص الديموجرافية للمهاجرين من حيث النوع والسن — يزداد النمو السكانى للدول المهاجر إليها وينخفض فى الدول المهاجر منها .

العوامل المؤثرة على الهجرة :

هناك عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية تؤدى دورا فى التأثير على الهجرة الدولية كما أن هناك عوامل شخصية تؤدى كذلك دورا هاما فى قرار الفرد بالنسبة للهجرة .

فهناك عوامل طرد اقتصادية واجتماعية وسياسية فى بعض البلدان تدفع الأفراد إلى الهجرة إلى البلدان التى تتمتع بعوامل جذب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية .

فغالبا ما يهاجر الأفراد من البلدان التى تعانى من انخفاض فى مستويات المعيشة إلى الدول التى تتمتع بمستويات معيشة مرتفعة حيث تتوفر فرص أفضل للعمل ، ومستويات صحية وثقافية وبيئية أفضل .

هذا كما قد يكون قرار الهجرة راجعا إلى أسباب سياسية أو عرقية ، وجدير بالذكر أن هناك جهوداً لتشجيع الهجرة تقوم بها :—

(أ) منظمات متخصصة كما كان يحدث فى أمريكا واستراليا وكذا لتشجيع واختيار المهاجرين وكما هو الحال فى إسرائيل .

(ب) وأصحاب الأعمال لتشجيع واختيار العمالة اللازمة لمشروعاتهم .

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة :

للهجرة تأثير على حجم السكان ومعدل نموهم وتركيبهم العمرى — كما سبق الذكر وبالتالى من المتوقع أن يكون لها تأثير على النمو الاقتصادى للدول المهاجر منها والمهاجر إليها من حيث :

١ — حجم القوى العاملة .

٢ — حجم العمالة والبطالة .

٣ — مستويات الأجور .

٤ — ميزان المدفوعات .

كما أن للهجرة آثاراً اجتماعية كذلك حيث يُحضر المهاجر عاداته وتقاليده ولغته وديانته ومعتقداته السياسية إلى الدولة المهاجر إليها كما يواجه بمشاكل تتعلق بالتأقلم مع المجتمع الجديد وعاداته ولغته .

السياسات الحكومية المتعلقة بالهجرة :

ينص إعلان (حقوق الانسان) على أن لكل إنسان الحق فى مغادرة أية دولة بما فيها وطنه — كما أن له الحق فى العودة إلى وطنه .

وبالرغم من هذا إلا أن أغلب الدول وضعت قوانين تحد من هذا الحق حيث نجد :

١ — دُوَلًا سنت قوانين تمنع الهجرة منها أو إليها كما كان الحال فى أغلب الدول الاشتراكية .

٢ — ودولًا وضعت قوانين وسياسات لتشجيع الهجرة منها مثلما حدث فى مالطة وإيطاليا بعد الحرب .

٣ — ودولًا وضعت قوانين وسياسات لتشجيع الهجرة إليها مثلما حدث فى الأرجنتين وأمريكا واستراليا وإسرائيل — بالنسبة لليهود .

كذلك وإيمانا من الدولة بأهمية الهجرة وبالتالى أهمية رعاية المهاجرين تم إنشاء وزارة للهجرة كما تم إصدار قانون الهجرة ورعاية المصريين فى الخارج رقم ١١١ لسنة ١٩٨٣م .

حيث جاء في المادة الأولى ما يلي :

« للمصريين فرادى أو جماعات حق الهجرة الدائمة أو الموقوتة إلى الخارج ، وسواء أكان الغرض من هذه الهجرة مما يقتضى الإقامة الدائمة أو الموقوتة في الخارج وفقا لأحكام هذا القانون وغيره من القوانين المعمول بها ، ويظلون محتفظين بجنسيتهم المصرية طبقا لأحكام القانون الخاص بالجنسية المصرية ولا يترتب على هجرتهم الدائمة أو الموقوتة الإخلال بحقوقهم الدستورية أو القانونية التي يتمتعون بها بوصفهم مصريين طالما ظلوا محتفظين بجنسيتهم المصرية .

كما جاء في المادة الثالثة :

يتولى الوزير المختص بشئون الهجرة بالتعاون مع الوزارات والأجهزة المعنية مباشرة الاختصاصات التالية :ــ

(أ) رعاية شئون المقيمين بالخارج .

(ب) تخطيط وتنظيم وتنفيذ ومتابعة سياسة هجرة المصريين إلى الخارج بهدف تدعيم صلاتهم بالوطن ، وخدمة أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمصالح القومية للبلاد .

(جـ) إعداد مشروعات القوانين والقرارات المتصلة بالهجرة إلى الخارج .

(د) إعداد مشروعات الاتفاقيات مع الدول الأجنبية لفتح مجالات جديدة للهجرة أمام المصريين وتيسير إقامتهم بدول المهجر وضمان حقوقهم ومصالحهم التي تكفلها لهم هذه الدول .

(هـ) اقتراح وسائل الإفادة من خبرة وكفاية العلماء وذوى الخبرة من المصريين المقيمين بالخارج في مجالات التنمية والإنتاج بالوطن .

(و) دراسة واقتراح وسائل تمكين المصريين الموجودين في الخارج من المساهمة بمدخراتهم في خدمة مشروعات التنمية الإنتاجية في مصر .

(ز) الإسهام في إجراء حصر دورى شامل لأعداد ونوعيات المصريين المقيمين في الخارج .

المراجـــــع

1- GUILLAUME J.(1978).
INTRODUCTION TO DEMOGRAPHIC ANALYSIS, PLENUM PRESS, N.Y.

2- SHRYOCK J.(1976).
THE METHODS AND MATERIALS OF DEMOGRAPHY, ACADEMIC PRESS, U.N.

3- U.N. (1973).
THE DETERMINANTES AND CONSEQUENCES OF POPULATION TRENDS, DEPARTMENT OF ECONOMIC AND SOCIAL AFFAIRS, N.Y.

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فللرد على السؤال المقدم من السيد/ م فرغلي بشأن الصفرة النازلة بعد انقطاع دم النفاس وبيان الحكم فيها نفيد بما يأتي :

إذا انقطع دم النفاس وطهرت المرأة ، وعرفت ذلك بالطريقة التي اعتادتها من جفاف المحل ، أو نزول الماء الأبيض صارت المرأة طاهرة ويجب عليها الغسل وتصوم وتصلي وتحل لزوجها .

أما نزول الماء الأصفر عليها بعد الطهر فإنه يعتبر إفرازات لا تمنع من صحة الصوم ولا الصلاة لما رواه أصحاب السنن عن إحدى أمهات المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت : كنا لا نعد الصفرة ولا الكدرة بعد الحيض حيضاً . فكذلك لا يعتد بهذا الماء الأصفر النازل بعد انقضاء أيام النفاس وكان على زوجة هذا السائل أن تصوم بقية أيام رمضان ، فإذا كانت قد أفطرت هذه الأيام بناء على ما تراءى لها من أن النازل عليها من بقية أيام النفاس فعليها أن تقضي هذه الأيام مع الأيام العشرة الأولى من رمضان التي أفطرتها بسبب نزول دم النفاس .

والله تعالى اعلم .

السؤال من السيد/ س.س.

رجل حرض امرأة على طلاقها من زوجها وبعد انقضاء عدتها تزوجها . فهل هذا الزواج صحيح أم لا ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فنفيد بأن عقد الزواج صحيح ما دام قد تم بشروطه وأركانه ، وإن كان عليهما حرمة فيما ارتكبا من عمل أدى إلى الطلاق بغير سبب والله – تعالى أعلم – .

السؤال من السيدة الدكتورة/ م. ح. سالم :

هل تجب الزكاة فى مال القاصر إذا بلغ نصاباً وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه قد ذهب الأئمة الثلاثة مالك ، والشافعى ، وأحمد – رضى الله عنهم – إلى أن القاصر تجب فى ماله الزكاة شأنه شأن البالغ إذا كان المال قد بلغ نصاباً وحال عليه الحول . غير أن الإمام أبا حنيفة – رضى الله عنه – قال : لا تجب فيه الزكاة. واللجنة تفتى بالأرجح وهو إخراج الزكاة فى مال القاصر ما دام قد بلغ نصابا ، وحال علية الحول . والله تعالى أعلم – .

السؤال من السيدة ع.م. :

أخ لزوجى مقيم فى بلد أوربى ، احتال على زوجى وحصل منه على توكيل عام بدون علمه من عشر سنوات (حصل على توقيعه بعد إقناعه بأن هذه الأوراق لمساعدته للعمل معه فى الخارج ، وهو لا يعلم اللغة الأجنبية المكتوب بها هذه الأوراق أمام قنصل البلد الأوروبى) .

ووضع أموالاً كثيرة باسم زوجى فى البنوك فى الخارج للتهرب من الضرائب فى اعتقاده أنها حلال لأنها بلد أوروبى ، ولا داعى لدفع الضرائب عنها ، واستغل هذا التوكيل فى أشياء أخرى غير قانونية تعرض زوجى للمخاطر ، وعندما علم زوجى بهذا التوكيل قام بإلغائه ، وأصبحت هذه الأموال باسم زوجى . فما حكم هذه الأموال ؟

علماً بأن أخا زوجى مليونير ، ولا يقدم يد المساعدة لزوجى – بالرغم من ظروفه المالية الضعيفة – ولا يسانده فى ظروف الحياة الصعبة .

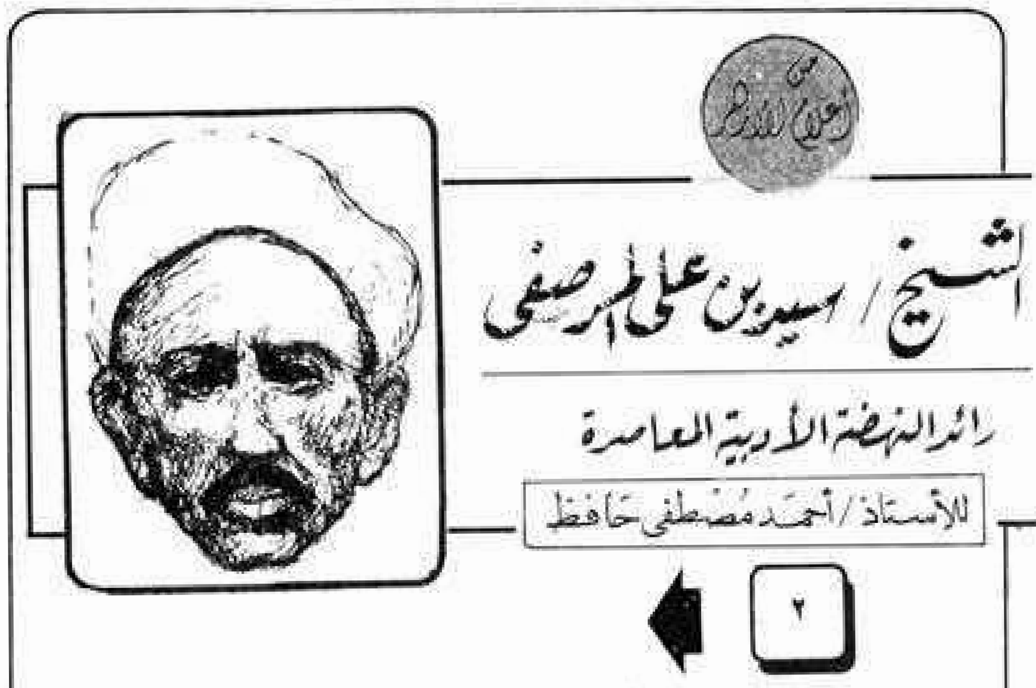
ما رأى الدين فى هذه الأموال التى أصبحت ملكاً لزوجى بعد إلغاء التوكيل ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

بسم الله الرحمن الرحيم ...

لا يحل لهذا الرجل أخذ شىء من مال أخيه الذى هربه باسمه بناء على إلغاء التوكيل لأن إلغاء التوكيل لا يحل له أخذ المال الذى أودعه أخوه باسمه ، وهذه الأموال ليست ملكاً لزوج السائلة كما تدعى . والله أعلم .



استطعنا بعون الله – تعالى – أن نحصل على بعض فقرات من الترجمة المنشودة ، لحياة الشيخ سيد بن علي المرصفي ، يتوفر فيها عنصر المفاجأة ، بالنسبة لقرية « مرصفى » وانتسابه إليها ، تلك القرية التي حسبنا أنه وُلد بها .. فقد تبين أنه ولد بدرْب (الزُكْراكي) ، بشارع باب البحر بالقاهرة ، ونشأ به[١] .. وتعلم في كُتّاب والده ، القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وسجّل اسمه في أحد أروقة الجامع الأزهر ، بعد امتحان اجتازه بنجاح ، في القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وجلس إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر ، يتلقى دروس العلم المختلفة .

درس التفسير والحديث ، قبل شروق الشمس ، ودرس الفقه ، بعد الشروق ، ودرس النحو والصرف بعد الظهر ؛ ومارس عادات الطلبة ، وتقاليد المجاورين .. فكان يقرأ الدرس مع أقرانه ، قبل حضوره درس الشيخ ، وأخذ يُطالع لإخوانه ، وهم ينصتون لقراءته ، أو يكون مع المنصتين لقراءة بعض زملائه . وتدرج « سيد بن علي » بين حلقات الدروس ، والتقح بكتب الأزهر ، وأخذ ينقب فيها ، وأخذ نفسه بالجد والتحصيل والمثابرة ، فقرأ كثيراً من كتب الأزهر ، التي كانت تدرَّس آنذاك[٢] ، « وظل يتلقى العلم في الجامع الأزهر ، حتى نضج فكره ، وآنس من

(١) انظر كتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي » للأستاذ محمد عبدالجواد ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ ص ١٣٨ – وهذا النص الذي أورده المؤلف عن الشيخ سيد بن علي المرصفي ، منقول من حديث الصيام ، لتلميذه المرحوم محمد النميسي الغزالي في شهر رمضان سنة ١٣٤٩ هـ (مارس ١٩٣١ م) عقب وفاة الشيخ سيد المرصفي .

(٢) انظر عدد مجلة الأزهر الصادر في شوال ١٤٠٤ هـ (يوليو ١٩٨٤ م) ص ١٦٥٣ .

نفسه القدرة العلمية ، فطلب من شيخه (الشيخ الشربيني) أن يمنحه (إجازة) لنشر العلم وتدريسه ، فأجازه شيخه بذلك عام ١٣١٠ هـ . وقد جاء في هذه الإجازة :

« طلب مني الإمام الكامل ، والهمام الفاضل ، اللوذعي الأريب ، والألمعي الأديب ، ولدنا الشيخ سيد بن علي المرصفي : إجازة ليتصل بسند سادتي سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، فأجبته ـ وإن لم أكن لذلك أهلا ـ رجاء أن ينشر العلم ، وأنال من الله فضلا ، وأنجو في القيامة ، مما للكاتمين من الضرر ، فقلت : أجزته بما تجوز لي روايته ، أو تصح عني درايته .. من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر .. كما أخذته عن الأئمة السادة الأكابر ، القادة مُسدِي العزائم ، في استخراج الدُرر .. » إلخ[٣] .

* * *

وبعد حصوله على إجازة شيخه الشربيني عام ١٣١٠ هـ ، عين مُدرسا للغة العربية بـ (مدرسة والدة عباس باشا الابتدائية) ، واطلع في هذه الأثناء على نظم التعليم بالمدارس ، فقال :

« ذهبنا إلى المدارس ، فوجدناها نظاماً .. بلا علم ! »

ثم عمل مدرساً بـ (مدرسة السلحدار الابتدائية) ، وتقدم بعد ذلك لامتحان الشهادة العالمية ، فحصل عليها بتقدير الدرجة الأولى الممتازة .

ثم عمل مصححا بدار الكتب ومدرسة بولاق . وبعد ذلك منحه الشيخ الإنبابي ـ شيخ الأزهر في ذلك الوقت ـ مرتب التدريس بالجامع الأزهر ، على أن يلقي درساً بين المغرب والعشاء في (جامع الزاهد) ، بجهة باب البحر ، ثم مرض الشيخ « الإنبابي » ، فجاء الشيخ حسونة النواوي وكيلاً للأزهر ، وانضم إلى مجلس إدارة الأزهر الشيخ « محمد عبده » ـ ١٣١٣ هـ ـ ١٨٩٥ م ـ ، ومع إصلاح الأزهر ، وإدخال العلوم الحديثة فيه ، طلب الأستاذ الإمام ، من ديوان الأوقاف ، مبلغاً من المال لترقية التعليم في علوم اللغة العربية ، فأجيب إلى طلبه ، وقدّر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض .. والتمس الشيخ « محمد عبده » نُبهاء الأزهر ، ليعهد بتدريس (الكامل للمبرد) إلى أحدهم ، وكان « سيد بن علي المرصفي » قد اشتهر بالتمكن من الأدب العربي ، وسعة الاطلاع على علوم اللغة العربية ، فعهد إليه بتدريس ذلك الكتاب ، مع ذخيرة من التراث العربي ..

---

(٣) استعنّا في الحصول على هذه المعلومات القيمة من المصدرين السابقين .

ـ هذا ، وقد أضاف الأستاذ محمد عبدالجواد ، في حديثه عن الشيخ سيد المرصفي ، إلى ما سبق أن ذكرناه من مؤلفات سيد المرصفي : (أسرار الحماسة) و(رغبة الآمل من كتاب الكامل) ـ أضاف سيادته : ١ ـ تحفة العصر الجديد في الفقه والتوحيد ٢ ـ الدُرّ الذي انسجم ، على لامية العرب وفيه تخميس للامية الطغرائي .

وكانت حلقة درس الأدب للمرصفي في الرواق العباسي بالجامع الأزهر ، مهرجانا يضم الأدباء والشعراء ، على اختلاف بيئاتهم وألوانهم ، فلم تكن مقصورة على الأزهريين – وحدهم – بل كانت ندوة يؤمُّها عشاق الأدب جميعاً .

وفي يوم السادس من أكتوبر من عام ١٩٢٤ م تم اختيار الشيخ سيد المرصفي عضوا بهيئة كبار العلماء ، وقد آزره في هذا الاختيار الشاعر العالم (الشيخ عبد الرحمن قراعة) ، مدير المعاهد الدينية بالأزهر في ذلك الحين[٤] .

* * *

ونستطيع أن نزداد معرفة بشخصية « سيد بن علي المرصفي » وأبعادها الثرة الفريدة ، من كتابات تلاميذه النجباء الذين عايشوه ولازموه عن كثب ، وتلقَّوْا عنه العلم والأدب ، بحب وإكبار ودأب .. ومنهم تلميذه : « زكي مبارك » الذي يقول : « عرفتُ بفضله أسرار اللغة العربية ، واستطعت بفضله أن أرفع رأسي بين أساتذة الأدب ، وحَمَلة الأقلام[٥] » . ثم يصفه وصفاً دقيقاً ، بقوله : « في سنة ١٩١٣ م رأيت في الأزهر رجلاً نحيل الجسم ، غائر العينين ، لا تفصح سيماه عن شيء ، وحوله عشرة من الطلاب ، وهو ينشد بصوت شجي حنون :

جمَاعة بطن الواديين ترنَّمي ... سقاك من الغُرّ الغوادي مطيرُها
أبيني لنا ، لازال ريشك ناعماً ... ولا زلتِ في خضراء جارٍ غديرُها

فجلست أستمع إلى إنشاده ، وما هي إلا لحظة حتى تبيَّنتُ أن الذي يُحرَم من درس ذلك الرجل ، لا يخرج من الأزهر إلا بصفقة المغبون .. »[٦] إلى أن يقول : « ثم أخذت أواظب على تلك الدروس ، في حماسة وإعجاب .. وكانت عادة الرجل أن يُلقي الأسئلة على الطلبة ، في تجاهل العارف ، ثم يتركهم يستنبطون الجواب .. »[٦] ثم يعود إلى وصفه – فيقول : « كان الشيخ خافت الصوت ، فكنت أبكّر إلى درسه لأقْرُبَ منه ، وكنت أكتب كل ما ينطق به ، حتى جمعتُ من درسه ثلاثين كُرَّاسا ، هي اليوم أنفس ما أملك من ذكريات الأزهر الشريف ... كنت أحضر دروسه ، وأصاحبه في الطريق ، وأمضي إلى بيته ، فأطَّلع على ما لديه من مكنون الذخائر الأدبية واللغوية ، وأنشده شعري ، فيقوِّمه ويُصْلح منه ، في رفق كثير . »[٧]

---

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر كتابه (البدائع) ط ١٩٣٥ م جـ ١ ص ٦٥ .

(٦) ، (٧) المصدر السابق ص ٦٦ .

ثم يعقد الدكتور زكي مبارك موازنة بين سيد بن علي المرصفي ، وحسين المرصفي ، بقوله : « المدهش حقا هو أن نرى ذلك الرجل يصل إلى تلك القمة العالية ، في فهم اللغة . والأدب ، بدون أستاذ .. وقد يُقال : إن حديث الشيخ حسين المرصفي ، بلديِّه ، هو الذي أوْحَى إليه فكرة التعمق في الدراسات اللغوية .. وليس بين الرجلين صلة ظاهرة من الناحية العقلية . » ثم يقول عن « سيد بن علي المرصفي » إنه « دخل الأزهر وعاش أزهريا حميما ، لأول عهده ، فكان يحفظ المتون ، ويراجع الشروح والحواشي والتقريرات .. فليت شعري ، كيف استطاع الشيخ سيد أن يخلص من الدراسات الأزهرية ، ويفرغ لدراسة اللغة والأدب ، بحيث أمكنه أن يكون نسيج وحده في هذا الباب ؟ »[8] .

ويستطرد الدكتور زكي مبارك في حديث الذكريات عن أستاذه سيد بن علي المرصفي ، بقوله : « عاش وحيد زمانه في مصر والشرق ، نحو ثلاثين عاما ، وكان هو الحجة البالغة في فهم اللغة والأدب والقرآن الكريم ..

وحسب القراء أن يذكروا أنه هو الرجل الفذ الذي تفرَّد بدرس الأراجيز ، ونسخها بخطه ، وشرحها شرحا وافيا ، لا زيادة بعده لمستزيد ، في عصر قلَّ فيه من يستطيع أن يواجه رُؤْبَةَ أو العجّاج ؟ .

كيف انقطع ذلك الرجل لدراسة اللغة والأدب ، في عهد كان الانقطاع فيه إلى الأدب ، من أمارات الفلاكة والجنون ؟!![9] .

[لقد وصل] بجهده إلى مقارعة الكسائي ، وسيبويه ، وابن الأعرابي ، والزمخشري ؟! .. [و] أمكنه أن يتفرَّد بتلك القوة ثلاثين عاما ..[10] .

ثم يهزنا زكي مبارك بالمعلومة التالية عن الشيخ سيد المرصفي ، بقوله : « وكان جمال القرآن الكريم يحمله أحيانا على الذهول ، وكانت له لحظات يقضيها أسير الخشوع لروعة القرآن الكريم . »[11] .

كما يحدثنا عن بعض ما أصابه من جهد المطالعة فيقول : « نظر مرة في كتاب فزاغت عينُه عن السطر المطلوب ، فقال : رحمة لك يا عيني ! لقد طال ما أقذيتُكِ تحت ضوء المصباح ! »[12] .

وثمة إجماع بين تلاميذ المقربين على ما كان يتمتع به الشيخ سيد المرصفي من : مقدرة باهرة وصبر عجيب في البحث والاستقصاء في « حديث » يريد أن يصحح الحكم فيه ، أو (لفظ) يريد أن يحققه ، أو (مقطوعة) يريد أن يتمها .

---

(8) نفسه ص ٦٧ .

(9) ، (10) ، (11) المصدر السابق ص ٦٦ ـ ٦٨ .

كذلك كانوا يستمتعون بتفسيره لمقطوعات من « ديوان الحماسة » لأبي تمام ، أو من « الأمالي » لأبي علي القالي أو غيرهما مثل « كتاب الكامل » وقد نحا في تفسيره منحى اللغويين المتقدمين الكبار ، والنقاد العمالقة الذين عرفتهم البصرة والكوفة وبغداد منصرفا ـ في شرحه ـ إلى النقد وتفسير الغريب .

ولم يحرم تلاميذه من علم النحو فاختار « المفصل » للزمخشري ، وخصص لدرسه يومين من كل أسبوع ، وما أسرع ما كلف بسماعه كبار الأدباء الذين عرفتهم مصر بعد ذلك .

وثمة ظاهرة ملموسة بين الأستاذ المرصفي وتلاميذه ، فقد كان بينه وبينهم حب متبادل عميق بدا جليا فيما كتبه هؤلاء التلاميذ ، الأدباء الكبار ، ويبدو أن إخلاص هذا العالم الجليل في أداء واجبه مع شغفه العلمي بمادته ، وما رزقه الله ـ سبحانه ـ من جمال اللفظ وروعته ، وأدائه الدقيق لنصوصه .. كل ذلك وغيره كان صراطا كريما بين فؤاده وقلوبهم .

وإنما نقول : « كل ذلك وغيره » لأن إخلاص الأستاذ المرصفي للعلم وبذله ، جعله لا يقصر درسه على أوقاته الرسمية ، بل أفسح لطلبته في النفع به فوق هذه الأوقات فدرجوا إلى بيته المتواضع الذي يتساقط التراب من حائطه كأنما يوشك أن يتهدم ، فإذا دخلوه مرّوا بممر ضيق به (دكة) خشبية ضيقة طويلة عارية من مساند أو متكآت ، يجلس معهم عليها ، وينساب بينهم حديثه العذب البريء من التكلف صادرا عن نفس راضية مطمئنة لم ينزل بها الفقر دون الكرامة ، يتناول الشعر ـ إذا تناوله ـ بنقد نزيه للشاعر ، ثم الراوي ، ثم ما تناوله البيت أو الأبيات من شروح ، ثم يستطرد إلى اللغويين بعد ذلك ويستمر في عرضه حتى يوقف طلبته على معالم الجمال في النص جملة وتفصيلا ووزنا وقافية إن كان شعراً ، وما يستدعيه المقام إن كان نثراً « أنظر الأيام جـ ٢ ص ١٦٥ » .

وقد يجلس بطلبته ـ في مقهى ـ وجلسته حيث يكون هي جلسة العلم والنفع والأدب .

وفي الدور فوق الأرضي من هذا المنزل العتيق كان مسكن الشيخ ووالدته التي عاش يرعاها ويكفيها حاجتها ويطعمها بيده ، وهو في كل من لقاءاته بطلبته المستبشر الفرح ، وإن بيته هذا ليذكرني بوصف بيت سقراط للشاعر الإيراقي : « رشيد ياسمي ١٨٩٦ ـ ١٩٥١ » وقد ترجمتها شعرا فقلت :

بيتٌ ـ بكل قاعة الحكماءِ (سقراطُ) شيده ، بصخر إباءِ
وتقاطر الخُلطاء ـ دون رويّة ـ في ضجة .. وبغارة شعواء :
يرمون مبناه بكل نقيصة ما زدْهُمُ أدبٌ وفضلُ حياءِ
هذا لضيق يزدريه ، وآخر بسقفٍ يُمثليه ، بنيل هجاءِ

بل منهمـــو مَنْ قال ـ دون لباقـــة وبـــغير توقير أو استخـــذاء ـ :
ـ أيكـون أستـاذاً لنـا ، ومُقامـه في مثل هذا الجُحْـر .. كالـرؤساء !!

● ● ●

أخـذوا طريقهمـــو إليـــه بجُـرأةٍ وأمامـــه قالـــوا ـ بكـل جلاء ـ :
ـ أيليـق يا أستاذنـا ، أن تنـزوى في مثل هذا الكوخ .. كالـجنـاء ؟!
هيهات يمكنـــا التحـــرك بمنـــة أو بنـزة فيـــه .. بغير عنـــاء
... ضحك الحكيم الفذ ، ثم أجابهم : ـ لا يا رفـــاق .. ذاك محض هُراء
خطـأ يُعـدّ الكـــوخ غير مُلائـــم أو غير متسع بعيـــن الـــرائى
يا ليت غلـــوه ، على ضيـــق به ، ـ رغـم الضياع ـ صفـــوة الخلصاء !

* * *

كان الشيخ كريماً ، على فقر مدقع ، وإنما تيسر له الرزق بعد اختياره عضوا .. بـ « هيئة كبار العلماء » .. فارتفع دخله الشهرى من ثلاثة جنيهات ونصف جنيه ، إلى أربعين جنيها كانت لها قيمتها الكريمة في هذا الوقت .

كان الشيخ سيد المرصفى وفيا لمشايخه ، وقد ذكر د/طه حسين أن الشيخ المرصفى نظم معلقة أملاها على تلاميذه يمدح فيها أستاذه الشيخ الشربينى بمناسبة توليه مشيخة الأزهر وسماها المرصفى : « ثامنة المعلقات » ، عارض بها قصيدة طرفة بن العبد ، ولكن طه حسين لم يذكر لنا شيئا من أبيات هذه القصيدة .

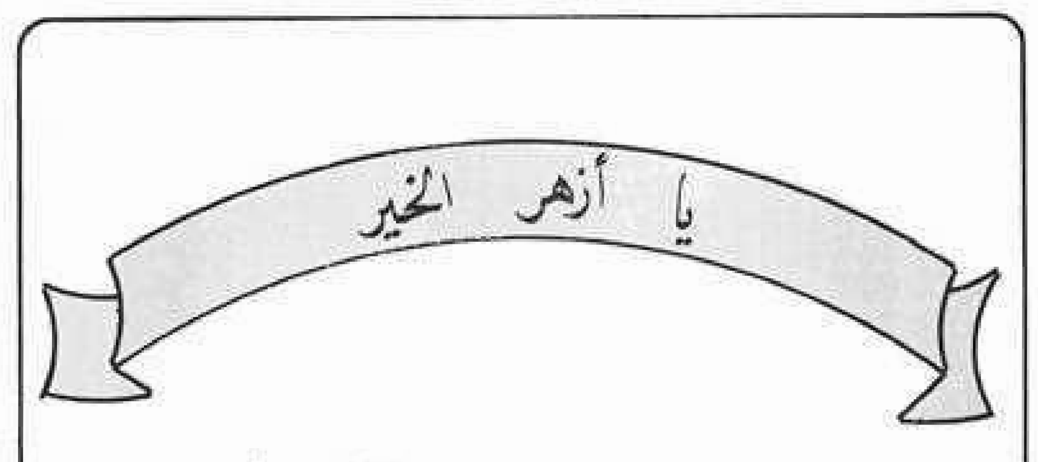
لقد كان في أحاديث تلاميذه الكفاية ، فقد سدّت هذه الأحاديث منافذ القول علينا ؛ لأنها هى الأَوْلى بالرواية ، والأكثر مناسبةً ودلالة على شخصية المرصفى الفذة ، وليس من رأى وسمع من تلاميذه ، كمَنْ بَعُدَ به الزمن عن تلك الفترة الخصبة ، التى شهدها ووعاها الدارسون بالأزهر الشريف ، في الثلث الأول من القرن الحالى .

وإلى لقاء ، بالمقال المقبل ، مع أحد نبغاء المراصفة الآخرين ، الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر ، الشيخ : محمد حسن نائل المرصفى : (١٨٨٣ ـ ١٩٣٥) .

وبالله التوفيق ..

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف



للشاعر/ رشاد محمد يوسف

يا شامخ الهام والكرامه — يا صاحب الرأى والإمامه
يا أزهر الخير سوف تبقى — موطد الجاه والزعامه
تسمو بأجوائك المعالى — تطيب فى صحنك الإقامه
تبقى على الدهر فى أمان — تبقى لركن الهدى دعامه

* * *

يا حارس الدين قد توالت — مواكبُ الإفك والجهامه
«مُسَيْلِمٌ» عاد من جديد — يُذيعُ بين الورى ظلامه
وفرطت «هند» فى حماها — وقربت مربط النعامه
وردّةٌ جاوزت مداها — وما تصدى لها «أسامه»
وجِدّةٌ لا تعى خطاها — تقيم من طيشها قيامه
حادت عن العقل لا تبالى — قواعد العقل أو صمامه
قد أفزعت فى الحمى حمامة — وأرهبت فى الدجى نيامه
وألف مفتٍ بلا دليل — «ومالك» يطلبُ السلامه
وألف قاضٍ وألف ألف — وما على المدّعى ملامه
رضيعها قد أتى فطامه — وما انحت للرضيع هامه

ونحنُ من نحن لا نبــــــــالى خلالـــــة كان أم حرامــــــه
نبــيتُ فى أرضنـــا يتامـــى قد أسْلَمُــوا أمرهـــم لئامــه
قرآنـنـــا بيننـــا مقيـمٌ فى عالم ما رَغـــى زمامــــه

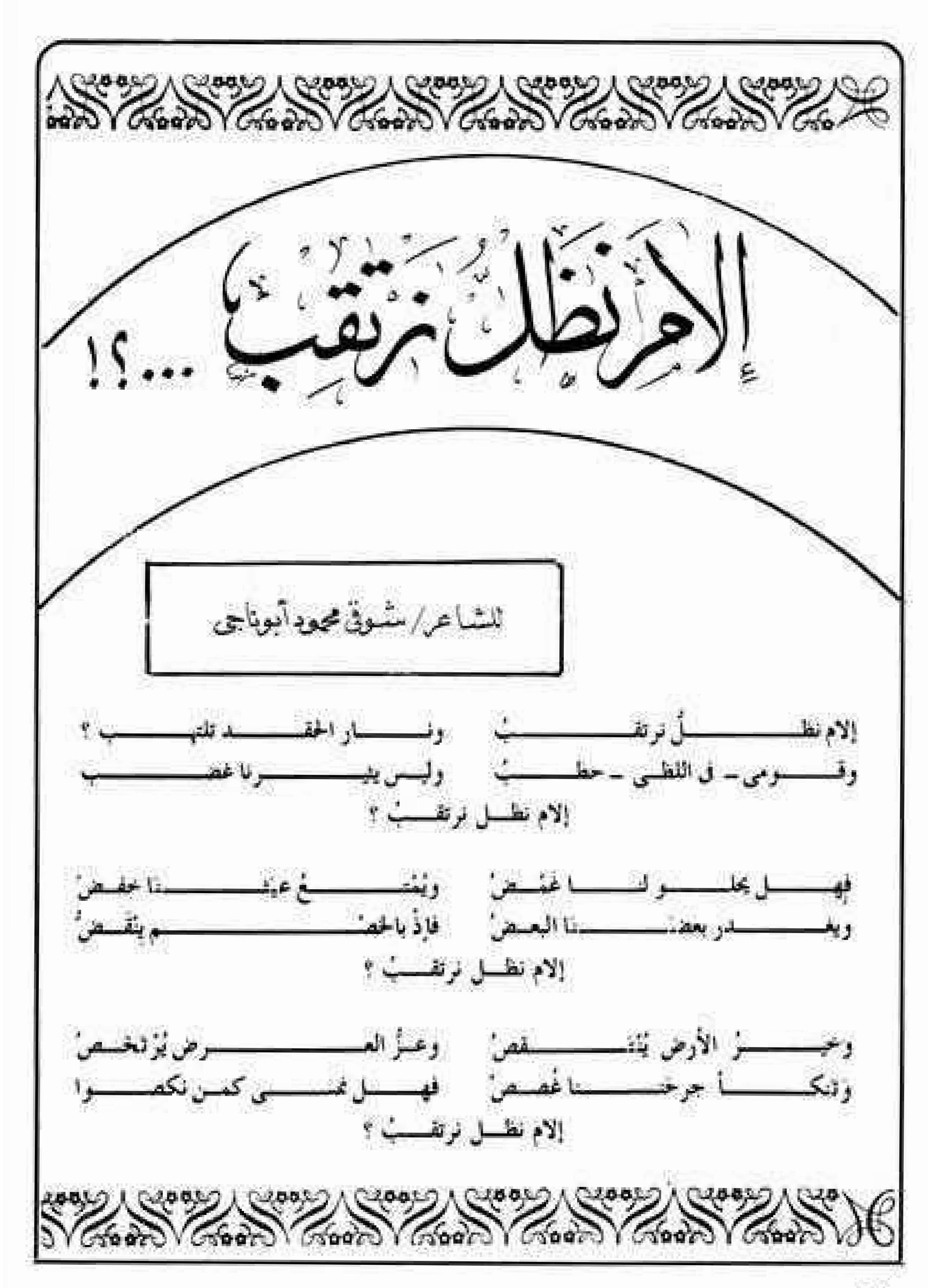
* * *

كأننـــــــا لم نرث جدودا كانـــوا بأبهائنـــا علامــــه
كانـــوا هداة الـــورى تقـــاة وحققـــوا بالتقـــى حرامــــه
وحكمـــوا العـــدل والتساوى فليس فى حكمهـــم ظلامــــه
كانـــوا حداة السرى دعـــاة لله قد رتلـــــوا كلامــــه
وجسدوا دولـــــة ودينـــا وجـــردوا للوغـــى حسامـــه
كأننــــــا لم نرث جدودا كانت لهم رايـــــة الزعامــــه
من مسّ أجواءهـــــم بسوء أصابـــه السوء والندامــــه
قد حققـــوا النصر والتسامى والعـــدل قد أكّـــدوا قيامـــه
وخاطبـــوا البحـــر والصحارى والنجـــم قد زاحموا زحامــــه
وقـــال سلطانهم فخـــورا بنعمــــة الله والإمامــــــه
فلتمطـــرى لؤلـــؤا نضيــدا وحـــيثما شئت يا غمامــــه
يا أزهـــر النـــور عش منـــارا يهدى إلى الخير والسلامـــــه
أدرك بنـــــور الهدى حماتنـــا وطّـــد بأركانـــه سلامــــه
حرر من الوهـــم كل عقــــل أعـــد لنـــا النور والكرامــــه
حرر من الخوف كل خطـــــــر أعـــد لنـــا الأمـــن والمقامــــه
ودم بأجوائنـــا ضيـــاء تزيـــل عن أفقنـــا القتامــــه
تعيـــد للديــــن كل مجد تعيـــد للمسلـــم ابتسامــــه

يا صاحب الـــــرأى والزعامـــــه

يا شامخ الهام والإمامــــــــه





إلام نظل نرتقب ...؟!

للشاعر / شوقي محمود أبو ناجي

إلام نظل نرتقب ... ونار الحقد تلتهب ؟
وقومي ـ في اللظى ـ حطب ... وليس يثيرنا غضب
إلام نظل نرتقب ؟

فهل يحلو لنا غمض ... ويمتع عيشنا خفض
ويغدر بعضنا البعض ... فإذ بالخصم ينقض
إلام نظل نرتقب ؟

وحيز الأرض ينتقص ... وعز العرض يرتخص
وتنكأ جرحنا غصص ... فهل نمضي كمن نكصوا
إلام نظل نرتقب ؟

وأولُ قبلةٍ أُسرتْ — كقرطبةَ التي انكسرتْ
وأرضُ البوسنةِ استعرتْ — فلم ندركْ وما نُصرتْ
إلام نظل نرتقبُ ؟

ويحيا الخصمُ في بلدي — حياةَ الأمنِ والرغدِ
وهمّ الخوفِ والكمدِ — ضحى يومي وفجرِ غدي
إلام نظل نرتقبُ ؟

وأعجبُ للذي يسعى — ليطلبَ من فمِ الأفعى
دواءً يبرئُ اللسعا — فيدركَ آله الصرعى
إلام نظل نرتقبُ ؟

إذا ما أحدقَ الخطرُ — وهبَّ الحقدُ يستعرُ
تطايرَ حولنا الشررُ — فلا ينجي سوى الحذرُ
إلام نظل نرتقبُ ؟

غفلنا غفلةً كبرى — فزاد الشرُ واستشرى
وحتى تقبضَ النصرا — تعالوا نسلكُ الوعرا
إلام نظل نرتقبُ ؟

يمحقُ صبحنا الليلا — تعالوْا نسرجُ الخيلا
وهيا نشحذُ النصلا — ونتقي المعتدي ويلا
إلام نظل نرتقبُ ؟

فإنا نسلُ من ورثوا — عروقاً ما بها خبثُ
ولن يلهو بنا عبثُ — وفينا المجدُ ينبعثُ
إلام نظل نرتقبُ ؟



أمنية

للشاعرة / جليلة رضا

ليت لى مرفأ به يحتمى جشى إذا ثار أو أفاض عبابه
ليت لى خبرة بكل لغات الأرض أتلو بها الورى وكتابه
فأرى حلم زهرة تتخفى وأرى عين نرجس مرتابه
وتصير الجبال والبحر والآفاق يوما لناظرى - أهدابه

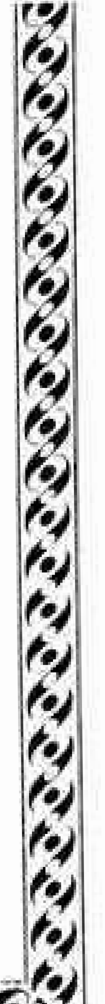
* * *

ليت للقلب - بين ألف صديق - مخلصا واحدا يواسى عذابه
ليت عبدالنفاق يصبح حرا وسجين الغرور يحطم بابه
والخفافيش تنجيب لمرأى النور والغاب ينترد ذئابه
وتوابيت حبنا تهاوى وأزاهير حبنا تتشابه
ليت للعين أن تقاوم سحر العين للقلب أن يَحُدَّ رِغابه
ليت قلب الفراغ يملؤه الله بحب لذاته .. ومهابه !





للشاعرة/ مَلك حفني ناصف



لا تخضعي بالقول أو تتبرجي أو ترفلي
مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعمل
والمرء يعمل في الحقول وعرسه في المنزل
من للوليد يعينه في لبسه والمأكل ؟
من للرضاعة والحضانة والفطام ومايلي ؟
من للمريض يحوطه أبدا بدون تململ ؟
من للأثاث يصونه .. من للذخائر والحلي ؟
من يقسم المذخور بين الحال والمستقبل ؟

لكن إذا دعت الضرورة للخروج فحيل
سيرى كسير السحب لاتأني ولاتعجلي
وتنكبي نهج الزحام وفضلي النهج الخلي
فعلام أكثرت الملامة واتهمت لعدلي
ونسبتني حينا لمذهب قاسم وأبي علي

أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأهل
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولي



بقلم الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا (*)

يبدو للكثير أن علم الوراثة Genetics ما هو إلا علم حديث النشأة ، وُلد بين علوم الحياة الأساسية الكبرى كالفسيولوجيا Physiology وعلم الأجنة Embryology وعلم الخلايا Cytology وبيولوجيا التناسل Reproductive Biology والهندسة الوراثية Genetic Engineering وغيرها ويعزى المؤرخون نشأة هذا العلم إلى الراهب النمساوى « مندل » الذى ابتكر أسسه وقوانينه ، وينسبون تطوره إلى كوكبة من علماء البيولوجيا أمثال « دى فريز » و « باتيسون » و « مورجان » وغيرهم . لكن التاريخ الحقيقى لعلم الوراثة يشهد بما لا يدع مجالاً للشك بأن علماء الحضارة الإسلامية هم أول من استخدم مصطلح « القيافة » ، وتحدثوا عن تحسين النسل والولد ، وأشاروا فى مؤلفاتهم إلى دور الفرسان العرب فى مجال الانتقاء الوراثى Heredity selection الذى مارسوه على الخيول العربية وعنوا بدراسة ظاهرة « التهجين » Crossing فى الإنسان والحيوان والطيور . وفطنوا إلى حكمة التشريع الإسلامى فى تحريم زواج الأقارب . والأدلة الدامغة على هذه الحقيقة الناصعة عن دور علماء المسلمين فى تأسيس علم الوراثة يمكن استخلاصها من أمهات الكتب التراثية للقزوينى والجاحظ وشريف الدين الدمياطى وابن قيم الجوزية وابن الجزار القيروانى وغيرهم .

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

القيافة أساس علم الوراثة :

ورد مصطلح « قيافة البشر » فى كتب التراث الإسلامى لتفسير التشابه بين الخلف والسلف ، فقد جاء فى كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزوينى ما نصه : « القيافة على ضربين : قيافة البشر ، وقيافة الأثر : أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ، وأما قيافة الأثر فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر »[1] .

وقد اشتهر بقيافة البشر قوم من العرب يقال لهم « بنو مدلج » ، يعرض على أحدهم مولود فى عشرين امرأة فيبين أمه يلحقه بها . وحكى بعض التجار قال : ورثت من أبى مملوكا أسود شيخا فكنت فى بعض أسفارى راكبا على بعير والمملوك يقوده ، فاجتاز علينا رجل من بنى مدلج أمعن فينا نظره وقال : ما أشبه الراكب بالراجل ، فوقع فى قلبى من قوله ما وقع ، حتى رجعت إلى أمى وأخبرتها بما قال المدلجى ، فقالت : صدق والله المدلجى ، اعلم يا بنى أنه كان زوجى شيخا كبيرا ذا مال لم يولد له ولد ، فخشيت أن يفوت ماله عنا بموته ، فمكنت نفسى من هذا المملوك الأسود فحملت بك ، ولولا أن هذا شيء ستعلمه فى الآخرة ما أخبرتك به فى الدنيا[2] .

علم الأجنة وبداية تكوين الكائن الحى :

من ناحية أخرى ، تعرض ابن قيم الجوزية لقضية خلق الأجنة ، حث قرر فى كتابة « تحفة المورود بأحكام المولود » أن أصل التشكيل الصحيح للكائن الحى ما هو إلا اتحاد نطفة الذكر ببيضة الأنثى[3] ، واستشهد بقوله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4]

فالولد إذن لا يكون إلا من الذكر وصاحبته .

والحق أن الخالق العليم قد أخبر بهذه الحقيقة الهامة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر « النطفة الأمشاج » كأساس لخلق الجنين وكعامل وراثى فى عملية التكاثر البشرى ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5] .

والنطفة الأمشاج تتألف من اندماج بُيَيْضة الأنثى وخلية الرجل (الحيوان المنوى) ، ويسميها العلم الحديث « الزيجوت » Zygote ،

---

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » ، شركة الحلبي بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٠٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) د. محمد مروان السبع « الوراثة علم أسسه العرب » أعمال ندوة « التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية » ، طرابلس ليبيا ، ١٧ – ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠م .

(٤) سورة الأنعام : ١٠١

(٥) سورة الإنسان : ٢

ويكون مقرها رحم المرأة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[٦] ، وقوله جل شأنه ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٧] .

وتظهر أهمية هذا التأصيل الإسلامي واضحة جلية إذا علمنا أن البشرية لم تعلم شيئاً عن النطفة الأمشاج (أو الزيجوت) المكونة من أخلاط الرجل والمرأة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعد أن تطورت طرق التشخيص وتقنية المجاهر (الميكروسكوبات) . فقد تخبط الغرب قروناً طويلة حيال موضوع تكوين الجنين ، واعتقد البعض بأن المولود الجديد يولد من بيضة الأنثى فقط ، بينما اعتقد آخرون بأن الكائن الحي ينشأ ويتطور من الحيوان المنوي فقط ، بل إن أحدهم ، وهو « هارتسوكر » Hartsoeker ، عندما كان ينظر عبر المجهر إلى السائل المنوي للرجل تخيل أنه يرى في رأس الحيوان المنوي كائناً صغيراً Homancules يذكّر بالمظهر الخارجي للرجل ، وهذا الكائن الصغير الملتف ذو أعضاء قادرة على النمو في وجود الظروف الملائمة ، ودور المرأة في تكوينه لا يعدو كونها حاضنة فقط[٨] .

الوحدات الوراثية :

ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه « تحفة المورود بأحكام المولود » أن في نطفة الرجل « عناصر » مختلفة صغيرة جداً من أجزاء الجسم كله ، وأن في بذرة الأنثى مثل ذلك[٩] .

وإذا علمنا أن ابن قيم الجوزية عاش بين ٦٩١ - ٧٥١هـ أو ١٢٩١ - ١٣٥٠م ، فإن أمانة التأريخ العلمي تفرض علينا أن ننسب نشأة هذا العلم إلى عصر الحضارة الإسلامية على عكس ما تذكره المؤلفات الغربية التي تنسبه إلى مندل ومورجان في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ويكمن جوهر النظرية التي قال بها مندل حوالي عام ١٨٦٠م في النتيجة التي توصل إليها من خلال أبحاثه على نبتة البازلاء ، وهي تدور حول الصفات الظاهرة في الكائنات الحية نتيجة وجود « وحدات غامضة » تنتقل بين أجيال النوع الواحد ، وتسبب الفروق الحادة في امتلاك صفات معينة . ذلك أن كون البازلاء طويلة أو قصيرة يتوقف على هذه الوحدات . فإذا خلطنا بين هاتين الصفتين من خلال تزاوج البازلاء فإن ظهور إحدى الصفتين بصورة غالبة يتوقف على مدى سيادة إحدى الوحدتين . ويطلق على الصفة الغالبة اسم الصفة السائدة Dominant ، أما غير الظاهرة فتسمى الصفة المتنحية Recessive .

وهذا يعني أن الجيل الجديد من البازلاء لا يزال

---

(٦) سورة المؤمنون : ١٣ .

(٧) سورة الحج : ٥ .

(٨) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(٩) المرجع السابق .

يحمل إحدى صفات الأبوين أو كليهما على أساس أن هناك صفة ظاهرة وأخرى متنحية . ومن ثم فإن الجيل الجديد يكون خليطاً من الإثنين[10] .

وقد أطلق العلم الحديث على هذه « العناصر » التى قال بها ابن قيم الجوزية . أو « الوحدات الغامضة » التى ذكرها مندل ، اسم المورّثات (أو الجينات Genes) وأثبتت أجهزة الفحص الدقيقة أن هذه المورثات تحملها أجسام بروتينية دقيقة جداً (حوالى جزء من المليون من الميللمتر) تسمى الصبغيات (أو الكروموسومات Chromosomes) . وقد أكد العلم الحديث أن هذه الكروموسومات والمورثات هى المسئولة عن الصفات والملامح التى تعطى الإنسان صفته وشكله واستعداده لكثير من الصفات البدنية والنفسية والخلقية . فقد تبين أن صفات الرجل تتضامن عن طريق الصبغات والمورثات الخاصة بها مع صفات الأنثى لتنتج جنينا يجمع بين صفاتهما ، وقد تتغلب صفة سائدة عند الأب فتظهر حسب قوانين علمية معروفة تم اكتشافها حديثا فى علم الوراثة ، ويترتب عليها فى بعض الأحيان أن يكون الشبه بين المولود ووالديه غير ظاهر ، بل ربما يكون الشبه معدوما بين الطفل ووالديه .

ومن المصطلحات العلمية الحديثة فى هذا الشأن مصطلح « النزوع إلى الأصل فى الصفات الوراثية » Atavism ، ويمكن التدليل على سبق العرب إلى معرفته بما رواه الطبرى فى كتابه « فردوس الحكمة » من أن امرأة ولدت بنتا بيضاء من رجل حبشى ، وأدركت ابنتها تلك وتزوجت من رجل أبيض فولدت ولداً أسود ، لأن الولد ـ كما يقول الطبرى ـ نزع إلى لون الجد (أى الأم)[11] .

٩

بل إن الرسول الأمى العربى محمداً ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى قال فى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »[12] . وخير دليل نسوقه من قصة الرجل الذى جاء إلى الرسول ﷺ شاكيا من أن امرأته ولدت غلاماً أسود ، فقال له الرسول ﷺ : هل لك إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ ، قال : سود ، قال : هل منها من أورق ؟ ، قال نعم : ، قال . فأنى له ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : وهذا (يعنى ولده) عسى أن يكون نزعه عرق . قال الرجل : فتقدم عجائز من بنى عجل فأخبرته أنه كان للمرأة جدة سوداء . وفسّر ابن قيم الجوزية هذا الحادث تفسيراً علمياً على أساس انتقال ما أسماه « الأجزاء » من السلف البعيد إلى الخلف ، وذلك قبل أن يأتى العلم بمصطلحات « النزوع إلى الأصل » ، و « الصفات السائدة » و « الصفات المتنحية » بزمن طويل[13] .

---

(١٠) ناهد البقصمى ، الهندسة الوراثية والأخلاق ، عالم المعرفة ، الكويت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(١١) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(١٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم .

ظاهرة التهجين وتحسين النسل :

يزخر التراث العلمي الإسلامي بالعديد من الأمثلة على أنماط التهجين المختلفة ، فنجـــد القزويني ـ على سبيل المثال ـ يشرح خصائص الحيوانات الهجينة بقوله : « إن الحيوانات المركبة تتولد بين حيوانية مختلفين في النوع ويكون شكلها عجيباً بين هذا وذاك . فاعتبر حال البغل ، فإن ما من عضو منه إلا وهو دائر بين الحمار والفرس »[14] . ويعلق الجاحظ على ظاهرة التهجين تعليقا علميا صحيحا فيقول : « إننا وجدنا بعض النتاج المركّب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل »[15] .

ويعترف العالم بإسهامات علماء المسلمين في مجال تحسين النسل عن طريق إنتقاء صفات وراثية معينة ، وذلك بحرصهم على أنساب الخيول العربية في حصر التزاوج فيما بينها وبين أفراس أصيلة ذات صفات وراثية محددة ، وتابعوا اصطفاء الصفات على الأنسال القادمة ومنعوا أي تزاوجات عشوائية مع أفراد مغمورة أو وضيعة النسب ، فكأنهم بهذا التحديد يحصرون حدود الصفات الوراثية الممتازة كالرشاقة والجمال وضمور البطن والعدو السريع والحس المرهف والذكاء المفرط والعرف الغزير المتدلي وصغر الآذان وغيرها من الصفات المرغوبة في مجموعة معينة من الأفراس ما لبثت أن كثرت وزادت أعدادها مع مرور الزمن بحيث شكلت نواة ممتازة لنشوء سلالة الخيول العربية التي عمت شهرتها العـــالم كلـــه ، وكان لهذا التكويـــن الوراثي Genotype أكبر الأثر في لفت الأنظار بعد ذلك إلى استيراد الخيول العربية ودخولها في التهجين مع سلالات أخرى لرفد مورثـــاتها بخصائصها الفذة .

زواج الأقارب والأباعد :

كان الزواج بالأقارب شائعاً عند كثير من الأقوام والشعوب ، ولما جاء الإسلام حرّم زواج الأقارب الملتصقين لحكم نفسية واجتماعية وطبية ووراثية أوضح العلم الحديث جوانب كثيرة منها . قال تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ الَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[16]

(١٣) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(١٤) زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، مرجع سابق .

(١٥) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، الحيوان ، طبعة بيروت ١٩٧٨م .

(١٦) سورة النساء : ٢٣ .

وحبب الإسلام إلى المسلمين الزواج بالأباعد في النسب ، فرغبوا فيه ، لأنه أنجب للولد وأبهى للخلقة ، واتضح ذلك من أقوالهم المأثورة وأشعارهم المنظومة ، منها قول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة
مخافة أن يضوى علىّ سليلى

ويتفق هذا المطلب الإسلامي في الحث على الزواج بالأباعد مع معطيات علم الوراثة الحديث إتفاقا كاملا . ذلك أن استمرار تزاوج الذرية بالأقارب يفضى إلى إقلال درجة التناسل حتى لقد تصل أخيرا إلى العقم ، كما يؤدى إلى إضعاف السلالة ، ويزيد من احتمال ظهور الصفات والأمراض الوراثية المتنحية التي يحصى منها المتخصصون ما يزيد عن مائة مرض معروف ، مثل البرص الوراثي ، والبول الأسود ، وبعض أمراض الشبكية ، ومرض السكر ، وارتفاع ضغط الدم ، وغير ذلك من أمراض الجهاز العصبي وأمراض التخلف العقلي وكثير من العيوب الخَلْقية والخُلقية .

وأخيراً ، لعل هذا العرض الموجز الذي قدمناه يدحض زعم القائلين بأن علم الوراثة بمباحثه المختلفة علم غربي حديث وليست له أرومة تاريخية عند العرب أو غيرهم من الأمم .

---

(١٧) جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه ابن ماجه : « اغتربوا ولا تضووا » أي تزوجوا في الأباعد ولا تتزوجوا في الأقارب لئلا تنسبوا ضعف نسلكم وهزاله .

جراحة الأنف والأذن والحنجرة عند المسلمين إبان العصر الوسيط

بقلم الأستاذ / حسني عبد الحافظ (*)

في نهاية القرن الثامن عشر ، وبالتحديد في السابع من نوفمبر ١٧٩٩م ، أصيب جورج واشنطن ، الرئيس الأمريكي الأول ، بتضخم في غدد الحلق حتى اختنق ومات .

إن مثل هذا التضخم الغددي كان يحتاج إلى تدخل جراحي عاجل ، وهذا ما كان أطباء الغرب يخافون منه(١) ، فحتى ذلك الحين كانت (الجراحة) من أحقر المهن وأدناها مرتبة ، وكانت تمارس في حدود ضيقة من قبل « الحلاقين » ، ولذا كان يطلق على الجراح في الغرب اسم Surber - Surgeon (حلاق جراح)(٢) .

(*) الكاتب حسني عبدالمعز عبدالحافظ .

(١) كانت الكنيسة آنذاك تحرم ممارسة الجراحة .

(٢) د. توفيق الطويل : في تراثنا العربي الإسلامي – ص ٣٠ .

هذا بينما كان الطبيب العربي المسلم ، منذ مئات السنين ، يواجه مثل هذه الأمراض .. وما (اكتشفته) يدعو إلى الفخر والاعتزاز بأجدادنا العلماء الذين كانوا (أول) من كتب في الجراحة العامة وفق أسس علمية يعترف بها الطب الحديث .. وكان عندهم (شهادة جراح) معترف بها ، ولا يحملها إلا من تخطى العديد من الاختبارات القاسية ، علمية وعملية .. وتقول د. زيغريد هونكة : « وكان الجراح يمتحن في مادتي التشريح وعلم الجراحة ، للتأكد من أنه قد درس كتب علي بن العباس ، والوقوف على مدى معرفته بأمور معالجة الكسور وإصلاح الخلل الصحي ، وتفتيت الحصى ، وإزالة اللوزتين الملتهبتين ، وشق الدمامل ، وبضع الأعضاء المهترئة »(٣) .

يعرف المسلمون إذن التخصص الطبي .. فكان منهم (طبيب العيون)(٤) ، و(طبيب المسالك البولية والكلى) ، و(طبيب الأمراض الخبيثة والمعدية) ، و(طبيب الأسنان) ، و(طبيب الأمراض الباطنية) .. وكان منهم أطباء نبغوا وتفوقوا في (جراحة الأنف والأذن والحنجرة) التي هي موضوع دراستنا هذه .

التخدير .. فن عربي أصيل

وقد كان أجدادنا الجراحون ، على دراية كبيرة بأن العمليات الجراحية لا مناص – أمامها – من اتخاذ مزيد من الإجراءات والاحتياطات ، قبل القيام بها ، من أهمها : – اختيار فريق طبي متكامل للمساعدة ، وأغلبهم من الأطباء الذين مازالوا في بداية مشوارهم مع الجراحة .

– فريق من الممرضين والممرضات ، ويشهد التاريخ أن أول جراح في العالم يكون مثل هذا الفريق هو : أبو القاسم خلف بن عباس القرطبي .

استدعاء مختص التخدير

وهو رجل متخصص باستحضار المخدر الموضعي المناسب للعملية الجراحية . ولنا وقفة مع التخدير عند المسلمين .

لقد كان المسلمون أول من اخترع ما يسمى بالإسفنجة المخدرة .. وقد اعترف بأسبقيتهم طائفة من المؤرخين والأطباء المنصفين في الغرب ، فهذه المؤرخة الألمانية د. زيغريد هونكه تقول : « في حين أن الحقيقة تقول والتاريخ يشهد أن فن استعمال الإسفنجة المخدرة فن عربي بحت ولم يعرف من قبلهم ، وكانت توضع هذه الإسفنجة في عصير بعض النباتات مثل (الزؤان) و(ست الحسن) وغيرهما ، ثم تجف في الشمس ، ولدى الاستعمال ترطب ثانية ، وتوضع على أنف المريض ، فتمتص الأنسجة المخاطية ما بها ، ويركن المريض إلى نوم عميق يحرره من أوجاع العملية الجراحية »(٥) .

---

(٣) د. زيغريد هونكة : أثر الحضارة العربية في أوربا – ص ٢٣٨ .

(٤) حسني عبد الحافظ (الكاتب) : المسلمون وطب العيون (مجلة منار الإسلام – س ١٠ – ع ٧ – ص ٦٠ – رجب ١٤٠٥ هـ) .

(٥) د. زيغريد هونكة : سابق – ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

أما عن أول مخترع لهذه الإسفنجة ، فيذكر المامى : « ان ابن زهر كان أول من عرفها » .. ولكن مما يؤسف أن (البعض) من ضعاف النفوس فى أوربا ، ينسبون اختراعها لأحد مواطنيهم وهو « هيكمان » ، ونسوا أو بالأحرى تناسب أفضل ابن زهر .

وكانت الدوائر والمؤسسات المعنية بالتخدير فى أوربا ، قد أقامت احتفالا بمناسبة مرور خمسين عاماً على اختراع التخدير الموضعى ، وذكرت باسهاب أسماء مثل : هيكمان ولونج وملز[6] ، وتجاهل المحتفلون ذكر طبيبنا المسلم ابن زهر ..!!

وعن التخدير وماهيته يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى قانونه : « والتخدير يزيل الوجع ؛ لأنه يذهب بحس ذلك العضو ، وإنما يذهب بحسه لأحد سببين .. إما بفرط التبريد ، وإما بسمية فيه مضادة لقوة ذلك العضو .. والتخدير من أقواه ما كان من الشوكران وعنب الثعلب وبزر الخس والبنج .. ومن جملته أيضاً الثلج والماء البارد »[7] .

آلات جراحية

وقد ابتكر المسلمون الكثير من الآلات الجراحية المهمة ، والتى ما يزال بعضها يستعمل على نطاق واسع فى المستشفيات الحديثة ، مثل : المحقن الطبى (كان العرب يسمونه الزراقة) ، والحقنة الشرجية ، وأنابيب التغذية الصناعية ، والقسطرة ، والمقص (الطبى) .. كما ابتكروا أنواع عديدة من المشارط ، والمسابر ، والمجارد ، والسنانير .. وكذا منظار المهبل ، والجفت .. وغيرها كثير .

وقد جاء فى الموسوعة الطبية الموسومة بـ (التصريف لمن عجز عن التأليف) التى ألفها أبو علم الجراحة الحديثة (الزهراوى) ، أكثر من مائة وتسعين اسما ورسما لآلات جراحية كان المؤلف يستخدمها أثناء إجراء العمليات الجراحية .

وحيث إننا نتحدث عن جراحة الأنف والأذن والحنجرة عند المسلمين ، فمن الجدير بالذكر التعريف ببعض الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك :

* منظار الأذن .
* جفت الأذن .
* المدسات .
* مقصلة اللوز .
* ملعقة الكشف عن الحلق .

أنبوبة القصبة الهوائية وكان المسلمون يصنعونها من الذهب ، وأحياناً من الفضة ، وهى مهمة جداً فى انقاذ المرضى من حالات الاختناق ، كالتى حدثت لرئيس أمريكا جورج واشنطن ، ومازال الطب الحديث يستعين بهذه الأنبوبة العربية الأصل فى انقاذ مرضى الاختناق ، وكذا فى توصيل الغازات المخدرة والأكسجين إلى صدر المريض أثناء إجراء العملية الجراحية ، وإن كانت تصنع الآن من

(6) م. دنكام : تطور التخدير بالاستنشاق ـ مطبعة أكسفورد ـ لندن 1947 (نقلا عن مجلة الفيصل الطبية ـ عدد 11 ـ ربيع الثانى 1405 هـ) .

(7) الشيخ الرئيس ابن سينا : القانون فى الطب (الكتاب الأول ـ فى الأمور الكلية فى علم الطب ـ الفن الرابع ـ الفصل الحادى والثلاثون ـ فى تسكين الأوجاع .

البلاستيك أو المطاط[8] .. وعن هذه الأنبوبة وفضل المسلمين وأسبقيتهم إلى اختراعها يقول الطبيب الأورق (سبرير) : « والغريب أن يغالط أطباء الغرب فى تاريخ الطب ، وينسبوا فضل هذا الاختراع إلى أنفسهم ، إذ يدعى كل من (مالك أيوين) و (ايزسنجر) أنهما اخترعا هذه الأنبوبة سنة ١٨٤٧ م » .

لقد كان المسلمون على دراية كبيرة بأن الهواء الجوى يحتوى على أنواع متباينة من الميكروبات الضارة .. لذا فقد كان أجدادنا الأطباء يقومون بتعقيم الآلهم الجراحية قبل استعمالها تعقيماً جيداً ، وذلك باستعمال مادة (الصفراء) التى أثبت الطب الحديث فائدتها وأهميتها فى قتل عشرات الأنواع من الميكروبات الضارة .

عملية اللحمية Nasal Polgp

ومن العلل والأمراض التى برع أجدادنا الأطباء فى علاجها ، أنواع مختلفة من اصابات الأنف .. التى كانت تعالج باحدى طريقتين :

- الأدوية والعقاقير .
- التدخل الجراحى .

فهذا أبو القاسم الزهراوى ، الذى شهد له بالنبوغ والعبقرية بوصفه أول من وضع علم الجراحة على أسس ومبادىء مستقلة مستمدة من التشريح .. قد برع فى علاج عفونة وقروح الأنف ، وكذا حكة وجفاف الأنف ، والجيوب الأنفية ، وكان له طرق دقيقة فى جراحة الأنف المشوه .

ومن العمليات الشهيرة التى نجح عدد كبير من أجدادنا الأطباء فى علاجها .. عملية استئصال اللحم النابت فى الأنف (اللحمية Nasal Polgp) .. وكان من بين أشهر الأطباء الذين أجروا هذه العملية : محمد بن زكريا الرازى الذى ذكر تفاصيلها فى مؤلفاته الطبية ، وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا ، والزهراوى .

وإليك ما قاله الزهراوى بلفظه عن خطوات إجراء العملية :

« وقد تنبت فى الأنف لحوم مختلفة زائدة ، منها شىء يشبه العقربان الكثير الأرجل ، ومنها ما يكون لحماً سرطانياً متحجراً كمد اللون ، ومنها ما يكون لحماً ليناً كمد اللون ، فما كان من هذه اللحوم لينة وليست خبيثة ولا سرطانية ، فينبغى أن تجلس العليل بين يديك مستقبل الشمس وتفتح منخره وتلقى الصنارة فى تلك اللحوم ، ثم تجذبها إلى خارج ، ثم تقطع ما أدركت منها بمبضع لطيف حاد من جهة واحدة حتى تعلم أن اللحم كله قد ذهب ، فإن بقى منها شىء لم تستطع قطعه ، فاجرده بأحد الآلات اللطاف برفق حتى لا يبقى منه شىء ، فإن غلبك الدم أو عرض ورم حاد فقابله بما ينبغى أو كان من الأورام الخبيثة ، فبادر واكوه ، حتى ينقطع الدم ، وتذهب جميع اللحوم ثم تلق فى الأنف خلا ، فان انفتح الأنف ، وسلكت منه الرطوبة إلى الحلق ، فاعلم أنه قد برىء ، فإن لم تنفذ الرطوبة على ما ينبغى ، اعلم أن داخله لحماً نابتاً فى أعلى العظام المتغلغلة لم

---

(٨) مجلة الفيصل الطبية - سابق - ص ٤٢ .

تصل الآلة بالقطع إليها ، فحينئذ ينبغى أن تأخذ خيطاً من كتان له بعض الغلظ ، وتعقد فيه عقداً كثيراً ، وتجعل بين كل عقدة قدر اصبع أو أقل ، ويتحيل العليل بدس طرف الخيط الواحد فى أنفه بمرود أو بما أمكنه بعد أن يصنعه مثل الزر ويجذب ريحه حتى يصل إلى الخيشوم ويخرج إلى حلقه ، وهو أمر سهل على من أراده ، ثم تجمع طرف الخيط ، الطرف الخارج من الفم ، والآخر الذى بقى فى الأنف ثم تستعمل نشر اللحم بالعقد التى فى الخيط ، تفعل ذلك حتى تعلم أن اللحوم قد تقطعت بعقد الخيط ، ثم تخرج الخيط وبصير فى الأنف بعد مسح الدم فتيلة قد شربتها فى المرهم المصرى تفعل ذلك ثلاثة أيام أو أكثر حتى يأكل المرهم جميع ما بقى من اللحوم ، ثم تصير آخر شىء فى الأنف أنبوبة أياماً حتى يبرأ ، فإن احتاج إلى علاج يجفف استعملت ذلك »[٩] .

وقد كان ابن سينا يسمى اللحم النابت فى الأنف باسم (بواسير الأنف) ، وهو يصنفها إلى نوعين : نوع يمكن علاجه بسهولة ، ونوع آخر يحتاج إلى تدخل جراحى دقيق وفورى .. وعن ذلك يحدثنا فيقول بلفظه :

« أما البواسير فهى لحوم زائدة تنبت ، فربما كانت لحوماً رخوة بيضاء ولا وجع معها وهذه أسهل علاجاً ، وربما كانت حمراء وكمدة شديدة الوجع ، وهذه أصعب علاجاً ، لاسيما إذا كان يسيل منها صديد منتن »[١٠] .

أمراض الأذن

وقد جمع الأطباء المسلمون فى علاج الكثير من علل الأذن .. فقد عالجوا بنجاح حكة الأذن ، عن طريق (قطرة) استحضروها من (ماء الأفسنتين) الممزوج بالقليل من الدهن .. كما عالجوا نزيف الأذن .. وتحايلوا فى استخراج الماء الداخل إلى الأذن أثناء الاستحمام واستعملوا فى ذلك آلات اخترعوها خصيصاً لهذا الغرض .

وكتبوا مباحث ودراسات قيمة حول أثر الضوضاء على السمع ، والجهاز السمعى .. وتحدثوا عن الأورام التى قد تصيب الأذن الوسطى .. ومما قالوه عن هذه الأورام : « هذه الأورام من جنس الأورام الحادثة فى اللحوم الرخوة ، وخاصة اللحوم الغددية .. ويسمى (بنات الأذن) ، وربما بلغ أحياناً من شدة ما يؤلم أن يقتل »[١١] .

وجمع أجدادنا الأطباء فى علاج انسداد الأذن ، نتيجة دخول أجسام غريبة أو أوساخ إليها .. واستعملوا لهذا نوع من (القطرة) كانت تستحضر من دهن اللوز وبعض الأعشاب

---

(٩) أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى : التصريف لمن عجز عن التأليف (كتاب الجراحة ـ الفصل الرابع والعشرين ـ فى علاج اللحم النابت فى الأنف) .

(١٠) الشيخ الرئيس : سابق ـ الكتاب الثالث ـ فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضو عضو من الفرق إلى القدم ظاهرها وباطنها ـ الفن الخامس ـ المقالة الثانية ـ فصل فى بواسير الأرياف فى الأنف) .

(١١) نفسه : الكتاب الثالث ـ الفن الرابع ـ فصل فى الأورام التى تحدث فى أصل الأذن .

الطبية . وفي أحيان كثيرة كانوا يتحايلون في استخراج هذه المواد والأوساخ بآلات خاصة لذلك . منها (جفت الأذن) ، وهو عبارة عن ذراعين ، تنتهيان بقاعدة ، ويتوسطهما أنبوبة اسطوانية دقيقة بإمكانها (شفط) – أي جذب – وسحب أي جسم غريب إلى خارج الأذن .

وقد تمكنوا أيضاً من إزالة (الصفاق) – الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر ، وغشاء ما بين الجلد والأمعاء – بالتدخل الجراحي .. ونجحوا في استئصال اللحم الزائد الذي قد يتواجد في مجرى القناة السمعية فيتسبب في انسدادها .. ويحدثنا ابن سينا ، عن كيفية تخليص الأذن من هذه الأجسام الغريبة الزائدة ، فيقول :

« وقد تكون هذه السدة في الخلقة لغشاء مخلوق على الثقب ، وقد تكون لوسخ ، وقد تكون لدم جامد ، وقد تكون للحم زائد أو ثؤلول[1] ، وقد تكون لحصاة أو نواة تقع فيها ، أو حيوان يدخلها فيموت .. أما ما كان من صفاق أو لحم يسد المجرى في الأصل الخلقي ، فالغائر منه أصعب علاجاً ، والظاهر أسهل ، وأما الباطن فيحتال له بآلة دقيقة تقطعه ثم تتبع الأدمال على ما نقوله قريب ، وإن كان ظاهراً فينبغي أن يشق بالسكين الشوكي الذي يقور به بواسير الأنف ..

ثم يقطر بما يمنع نبات اللحم ، وأما إن كانت السدة من شيء نشب فيه فيجب أن يقطر الدهن في الأذن ، مثل دهن الورد أو السوسن أو الخيري ، وإن كان ذلك الناشب مثل حيوان مات فيها فيصب فيها من الأدهان ما يفسخه ، ثم يخرج بمنقبة الأذن برفق »[12] .

استئصال اللوزتين

وقد برع الكثير من أجدادنا الأطباء في علاج اللوزتين الملتهبتين ، واستئصالهما .. ووضعوا حول هذا دراسات ومباحث مهمة ، ظلت مرجعاً وعمدة في كليات الطب الأوربية لعدة قرون .

وهذا هو الطبيب والجراح المسلم علي بن عباس يحدثنا عن (أعراض) التهاب اللوزتين ، فيقول :

« التهاب اللوزتين إذا عظم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع .. ولم تنجح فيه الأدوية والغرغرة وما يجري هذا المجرى ، فيجب أن يستعمل فيها القطع »[13] .

وهذا الكلام يقرره الجراح الشهير ابن القف ، كما أنه يضيف إليه قوله :

« أما ورم اللوزتين ، فإذا حصل فيهما ورم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع ، وضاق النفس ، ولم يزل ذلك بما يعالج به الطبائعي ، فاستعمل العلاج بالحديد (بقصد الكي) ، غير أنه يجب أن تقيم العليل قبالة الشمس ، فإن ترى لون الدم كمداً أو أسود وقوامه صلباً وهو قليل الحس

---

(١٢) نفسه : الكتاب الثالث – الفن الرابع – فصل في السدة العارضة في الأذن .

(١٣) علي بن عباس : كامل الصناعة الطبية – ج ٢ – ص ٤٦٢ .

أو عديمه فهو سرطان فلا تتعرض له بالحديد ، كذلك ان كان لونه أحمر وأله قوياً وأصله غليظاً فإنه أيضاً في مثل هذه الصورة لا تتعرض له بالحديد بل يترك إلى حين يكمل نضجه ويبط ويخرج جميع ما فيه من المادة ، وأما ان لونه أبيض وقد حصل فيه استداره ودق أصلها والحرارة هادئة ، ففى مثل هذه الحالة استعمل العلاج بالحديد »[14] .

ويحدثنا الزهراوى عن طريقته فى استئصال اللوزتين ، فيقول : « قد تعرض فى الحلق غدد تشبه الغدد التى تعرض فى خارج ، تسمى لوزتين إذا عالجتهما بما ذكرت فى التقسيم ، فلم تبرأ ، فانظر فإن كان الورم أبيض اللون مستديراً وكان أصله رقيقاً فهذا الذى ينبغى أن يقطع ، والعمل فيه : انتظر قبل العمل ، إذا كان قد سكن ورمه الحار سكوناً تاماً أو نقص بعض النقصان ، فحينئذ أجلس العليل بحذاء الشمس ورأسه فى حجرك وتفتح فمه وتأخذ خادماً بين يديك فيكبس لسانه إلى أسفل بآلة تصنع من فضة أو نحاس تكون رقيقة كالسكين فإذا كبست بها اللسان وتبين لك الورم ، ووقع عليه بصرك ، فخذ صنارة وأغرزها فى اللوزة وتجذبها إلى خارج ما أمكن من غير أن تجذب معهما شىء من الصفاقات ، ثم تقطعها بآلة .. تصنع من الحديد الهندى أو الفولاذى الدمشقى ، فإن لم تحضر هذه الآلة فاقطعها بمبضع حاد من جهة واحدة وغير حاد من الجهة الأخرى ، وبعد أن تقطع اللوزة الواحدة تقطع الأخرى على هذا النحو من القطع بعينه ، ثم بعد القطع فتغرغر العليل بماء بارد أو بخل وماء ، فإن عرض له نزيف دم تغرغر بماء قد أغلى فيه قشور الرمان أو ورق الآس أو نحو ذلك من القوابض حتى ينقطع النزيف ، ثم تعالجه حتى يبرأ »[15] .

جراحة الحنجرة

خصص الطبرى مقالة كاملة فى كتابه المعنون (فردوس الحكمة) .. شرح فيها بإسهاب أمراض الحلق ، والحنجرة ، والصدر .. وذكر كل مرض على حدة ، وتحدث عن كيفية تشخيصه سريرياً (أكلينيكياً) ، وطرق علاجه ، والوقاية منه .. وإن أكثر الموضوعات أهمية ما يتعلق بتشخيص الاختناق ، والوقت المناسب للتدخل الجراحى .

كما ذكر ابن زهر ، فى كتابه (التيسير فى المداواة والتدبير) ، الخطوات العلمية التى يجب اتباعها عند البدء فى علاج الاختناق .. ومما ذكره هذا الطبيب الجراح المسلم الحاذق ، أنه لم يكن يجرى أى عملية جراحية جديدة على الإنسان إلا بعد أن يجربها على أحد الحيوانات ، ويحدثنا هو عن ذلك فيقول : « شققت قصبة عنزة بعد أن قطعت الجلد والغشاء الذى تحته ، وقطعت من جوهر القصبة قطعاً صغيراً ، ثم التزمت غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم ، وأفاق افاقة كلية ، عاش بعدها مدة طويلة »[16] .

---

(١٤) ابن القف : العمدة فى الجراحة ـ ج ٢ ـ ص ١٩٨ .

(١٥) الزهراوى : سابق ـ الفصل السادس والثلاثون ـ فى علاج اللوزتين .

(١٦) ابن زهر : التيسير فى المداواة والتدبير ـ ص ١٤٨ .

وكان الزهراوى يجرى عملية شق القصبة الهوائية (تراكيو تومى) بنجاح كبير .. ويذكر فى موسوعته (التصريف لمن عجز عن التأليف) الطريقة التى كان يتبعها عند إجراء هذه العملية ، فيقول :

« وأما الذين بهم ورم حار فى الفم أو الحلق أو اللوزتين ، فإذا لم تكن علة فى القصبة توجب استعمال شق الحنجرة للهرب من التعطب الذى يكون من الاختناق ، فينبغى إذا أردنا ذلك أن نشق الحنجرة تحت ثلاث دوائر من القصبة أو أربع ، شقاً صغيراً بالعرض ، فيما بين دائرتين ، بقدر ما يكون الشق فى الصفاق ، لا فى الغضروف ، وهذا الموضوع موافق الشق لأنه عديم اللحم وأوعية الدم منه بعيدة ، فإن كان المعالج جباناً فينبغى أن يمد جلدة الحلق بصنارة ، ثم يشق الجلد ، حتى إذا صار إلى القصبة جنب أوعية الدم ، إن رأى منها شيئاً ، ثم يشق الصفاق الذى وصفناه ، ويستدل على شق القصبة من البلغم الذى يخرج منها .. وتترك الجرح مفتوحاً زماناً ، فإذا زال الوقت الذى كان يتخوف فيه الاختناق ، جمعت شفتى الجرح من الجلد وخطه وحده من غير الغضروف ثم تستعمل الأدوية التى تنبت اللحم ، إلى أن تبرأ »[17] .

ويرجع للأطباء المسلمين الفضل فى كونهم أول من وصف مرض تصلب الرقبة[18] .. كما أنهم نجحوا فى استئصال أكياس الغدة الدرقية[19] .. ودونوا رسائل مهمة خصوا بها أعصاب الحنجرة وعضلاتها[20] .. وقد أثبتوا ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، أن غضاريف القصبة الهوائية يمكن أن تلتئم تماماً بعد اجراء عملية جراحية فيها .

---

(١٧) الزهراوى : سابق ـ الفصل الثالث والأربعون ـ شق الحنجرة عن ورم يحدث داخل الحلق .

(١٨) هونكة : سابق ـ ص ٢٧١ .

(١٩) بول غليونجى : ابن النفيس ـ ص ٦٤ .

(٢٠) د. الطويل : سابق ـ ص ٢٢٥ .





للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

تطرقنا في المقالين السابقين ، إلى الحديث عن ماهية ، وأسباب وأعراض ، ووسائل تشخيص مرض الحمى الروماتزمية ، ونلقى الضوء في مقالنا هذا على طرق الوقاية من هذا المرض الوبيل .

● كيفية الوقاية من مرض الحمى الروماتزمية :

مما لا شك فيه ، أن الوقاية من حدوث الإصابة الأولية لهذا المرض ، وتكرار حدوثه ، تعتمد أساسا ، على القضاء على « البكتريا المكورة السبحية ، حالّة الدم » التى تغزو جسد الطفل ، مُسبّبة له التهاب اللوزتين والبلعوم TONSILLO PHARYNGITIS ، أو ، التهاب الأذن OTITIS ، أو التهاب الجيوب الأنفية SINUSITIS ، أو التهاب الحشاء (النتوء الحلمى للعظم الصدغى) MASTOIDITIS .

● ● ●

وتنقسم الوقاية من هذا المرض إلى :

١ ـ الوقاية الأولية .

٢ ـ الوقاية الثانية .

أولا : الوقايــة الأوليــة :

PRIMARY PREVENTION

وهى وقاية تعنى بالمرض قبل حدوثه ، وتعتمد على التشخيص المبكر ، والعلاج الأمثل الكافى لهذه البكتريا المسببة ـ في بعض الأحيان ـ لمرض الحمى الروماتزمية .

يبدأ معظم الأطباء في علاج المريض بدون أخذ مزرعة من الحلق ، أو قبل ظهور نتيجة المزرعة ،

(*) ماجستير في طب الأطفال .

معتمدين فى تشخيص المرض على وجود أعراضه التى تشمل : « ارتفاع فى درجة الحرارة وألم بالحلق ، وصعوبة فى البلع ، وصداع وألم بالفم ، فى معظم الأحيان » ـ وبفحص المريض ، حيث يكون الحلق أحمر اللون ، مع وجود أجزاء بيضاء من النضح WHITE PATCHES OF EXUDATE مع تورم فى الغدد الليمفاوية ، الموجودة بالجزء الأمامى العلوى من رقبة الطفل ، وتكون مؤلمة للغاية ، عندما يقوم الطبيب بفحصها .

والعلاج الأمثل لهذه البكتريا يكون بالمضادات الحيوية وهى تشمل :

١ ـ البنسلين : PENICILLIN

ويعد المضاد الحيوى الأمثل للقضاء على هذه البكتريا ويُعطى للطفل بإحدى طريقتين :

ـ بالفم لمدة عشرة أيام متتالية ، بانتظام ، مستخدمين :

● البنسلين الخام (الأوسبن) OSPEN

● أو البنسلين الشبه مُصنّع ـ SEMISYN THETIC مثل : الأمبسلين AMPICILLIN والأموكساسيلين AMOXA CILLIN

ـ أو يحقن بالعضل مرة واحدة ، مستخدمين البنسلين طويل المدى:

BENZATHINE PENICILLING

٢ ـ مضادات حيوية أخرى:

OTHER ANTIBIOTICS:

وتُعطى ، إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية ضد البنسلين ، وهى تشمل :

الإيروثروميسين ERYTHROMYCIN

الريفامبين RIFAMPIN

الليكوميسين LINCOMYCIN

الكلنداميسين CLINDAMYCIN

ومن الجدير بالذكر ، أن أدوية « السلفا » التى تستخدم فى الوقاية الثانية من المرض ، لا تفلح فى الوقاية الأولية .

● ● ●

● علاج حامل البكتريا المكورة السبحية حالة الدم STREPTO COCCAL CARRIER

حامل « البكتريا » ، هو الشخص الذى توجد « البكتريا » فى حلقه ، ولكنها لا تسبب له أى مرض ، وليس لديه أجسام مضادة فى المصل ضد « البكتريا » .

وهذه الحالة لا تسبب أى خطر على المريض ، أو على المحيطين به ، إلا فى حالة إصابة حامل « البكتريا » ، أو أحد المحيطين به ـ بالحمى الروماتزمية ؛ لأنه ـ فى هذه الحالة ـ يكون المريض عرضة لتكرار الإصابة بالمرض .

ويتم علاج حامل البكتريا ، بإعطائه البنسلين الخام (الأوسبن) ، بالفم لمدة عشرة أيام ، مع إضافة « الريفامبين » فى آخر أربعة أيام ، أو يحقن المريض مرة واحدة ، بالعضل مستخدمين « البنسلين » طويل المدى ، مع إضافة « الريفامبين » لمدة أربعة أيام .

● ● ●

ومن الجدير بالذكر ، أن الأطباء عامة ، يعتمدون فى الحكم على استجابة المريض للعلاج ، بالمضاد الحيوى ، على اختفاء أعراض المرض ـ وليس بأخذ مزرعة من حلق المريض ـ ولكن فى بعض الأحيان ، تظل البكتريا قابعة فى حلق المريض ، بالرغم من اختفاء الأعراض ، ويسمى هذا الوضع بالفشل فى القضاء على الجرثوم فقط

ويعود هذا الفشل BACTERIOLOGICAL FAILURE ويعــود هذا الــفشل لسبب من الأسباب الآتية :

١ ـ أخذ العلاج لمدة غير كافية .

٢ ـ أخذ العلاج بصورة غير منتظمة .

٣ ـ مقاومة البكتريا للمضاد الحيوى .

٤ ـ تحوّل المريض إلى حامل للبكتريا .

٥ ـ قيام البكتريا الموجــودة بالفـــم ORAL MICROFLORA ، بإفراز إنزيم ENZYME يعطل مفعول المضاد الحيوى .

● ● ●

ويحسن أن نذكر أن العمل على تصنيع مصل للوقاية من البكتريا المكوّرة السبحية حالّة الدم STREPTOCOCCAL VACCINE ، قد بدأ منذ عدة سنوات ، ولكن الذى يعوق هذا .. الأسباب الآتية :

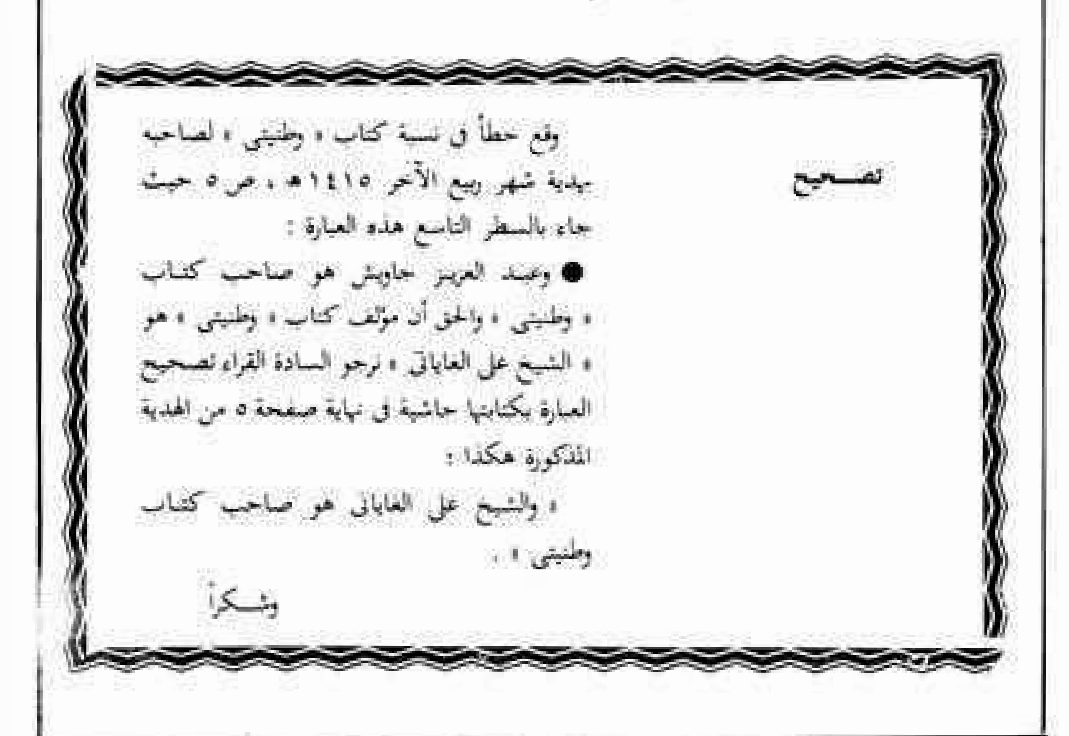
١ ـ وجود عدة أنواع من البكتريا .

٢ ـ إمكانية حدوث تفاعلات حساسية شديدة بعد أخذ المصل .

٣ ـ تكوين أجسام مضادة للبكتريا ، قد تتفاعل مع أنسجة عضلة القلب ، مؤدّية إلى إتلافها ، وذلك نظرا لتشابه مولد المضاد الخاص بالبروتين « م » الخاص بالبكتريـــا ، مع الآخر الخاص بأنسجة عضلة القلب .

● ● ●

وفى مقالنا القادم نختم الحديث ، عن « مرض الحمى الروماتزمية » ، بإلقاء الضوء على الوقاية الثانية ، من هذا المرض وعلاجه .



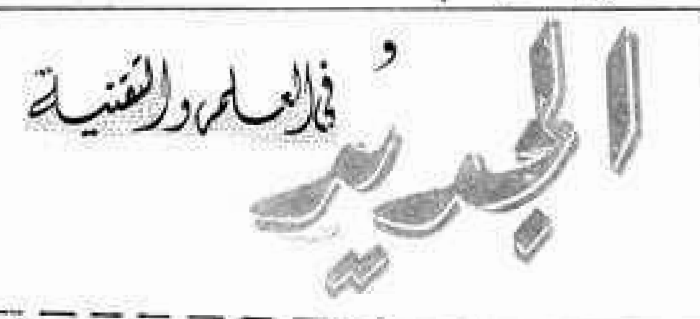
تصـحيح

وقع خطأ فى نسبة كتاب « وطنيتى » لصاحبه بهدية شهر ربيع الآخر ١٤١٥هـ ، ص٥ حيث جاء بالسطر التاسع هذه العبارة :

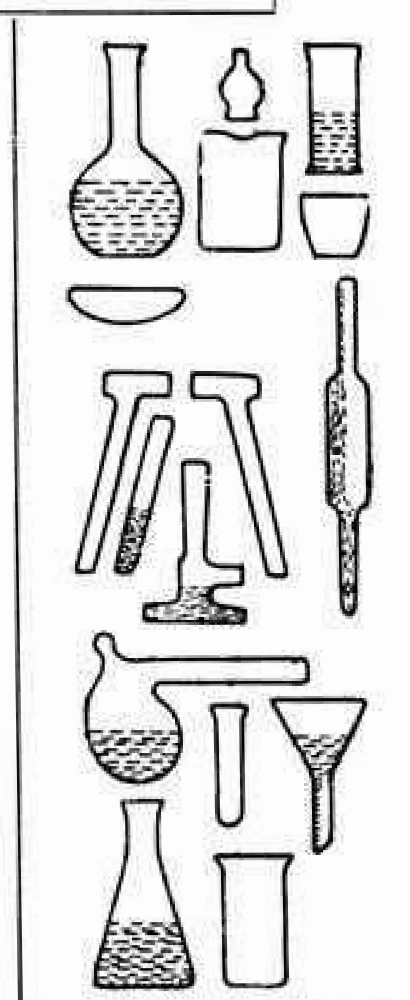
● وعبد العزيز جاويش هو صاحب كتاب « وطنيتى » والحق أن مؤلف كتاب « وطنيتى » هو « الشيخ على الغاياتى » نرجو السادة القراء تصحيح العبارة بكتابتها حاشية فى نهاية صفحة ٥ من الهدية المذكورة هكذا :

« والشيخ على الغاياتى هو صاحب كتاب وطنيتى » .

وشكراً



إعداد : د/ نجوى السيد أحمد



البروتينات الهستونية تعمل كمنظمات للجينات

أثبتت الدراسات الحديثة أن البروتينات الصغيرة المسماة « بالهستونات » أساسية في تنظيم عمل الجينات « المورثات » وكان يعتقد حتى عهد قريب أن هذه البروتينات لا تعمل شيئا يذكر أكثر من تشكيل بكرات موجبة الشحنة تلتف حولها أشرطة الدنا DNA السالبة الشحنة حتى تتمكن هذه الأشرطة من أن تحتل موقعها داخل النواة الدقيقة للخلية .

وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن البروتينات الهستونية تفيد في تنشيط الجينات ، فهي تساعد على بدء نسخ COPYING المعلومات المخزنة على شكل دنا DNA الى جزيئات من الرنا المرسل MESSENGER RNA وهذه هي القوالب TEMPLATES التي تصنع منها البروتينات كما أن « هستونات » معينة تستطيع أيضا أن تكبت الانتساخ .

مفكرة إلكترونية ناطقة

قامت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات بإنتاج أحدث مفكرة إلكترونية ناطقة ، وتحتوى على جهاز تسجيل مدمج يتلقى الأوامر والمعلومات ويسجلها ويحافظ على المواعيد من النسيان ويذكرك بأرقام التليفونات ، والمفكرة بنك معلومات متحرك يمكن حملها فى الجيب كما يمكن استخدامها كحاسبة .

● ● ●

مواد عالية الكفاءة لنقل الطاقة الكهربية

تمكنت إحدى الشركات الفرنسيـــة من استخدام نوع معين من السيراميك المكثف لإنتاج ناقلات للطاقة الكهربائية على مستوى عال من الجودة ؛ لأنها حساسة جدا ، كما تتميز بأن لها مستوى ممتاز فى عزل الصوت بين العناصر وأن درجة ارتداد الصوت ضعيفة جدا .

● ● ●

أحدث جهاز للملاحة البحرية

تم إنتاج أحدث جهاز للملاحة البحرية لإرشاد السفن ومراكب الصيد وتحديد المواقع الملاحية أمامها . والجهاز سهل التركيـب والاستخدام ومزود ببرمجة ذاتية لتخزين المعلومات الملاحية ، وحجمه صغير ، ويحتوى على بوصلة مغناطيسية ويتولى تقديم كل المعلومات الملاحية والإرشادية على خطى الطـول والعـرض والاتجاهات والمسافات وخطوط السير وغيرها من المعلومات ولديه قدرة تخزين للمعلومات عالية .

● ● ●

آلة صغيرة لامتصاص الأتربة الدقيقة

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية آلة جديدة صغيرة الحجم لامتصاص الأتربة الدقيقة جدا ، والآلة مصنوعة من الصلب ولها محرك بقوة ٢ أمبير وتدور عشرة آلاف دورة فى الدقيقة الواحدة وهى مفيدة فى الأماكن التى بها أجهزة دقيقة تتعرض للخطر نتيجة للأتربة .

● ● ●

ألياف بصرية جديدة للأشعة تحت الحمراء

تم استخدام ألياف بلورية وزجاجية جديدة لها شفافية عالية وإنفادية لأطوال موجية أكبر مما تنقله ألياف « السليكا » فى نظم الاتصالات والتشخيص الطبى و (ليزرات) الألياف البصرية . وتتميز الألياف البصرية الجديدة الناقلة للأشعة تحت الحمراء بأن لها تطبيقات عديدة فهى تستطيع نقل صور بسيطة تحت حمراء أو معلومات عن درجات حرارة أجسام فى اماكن بعيدة ، كما تستخدم كقنوات لنقل طاقة (ليزرات) يمكنها أن تقطع أو تلحم أو تثقب مكونات صناعية .. وتستخدم أيضا فى توجيه طاقة (ليزرات) الأشعة تحت الحمراء لإذابة الرواسب التى تتكون فى الشرايين ، وهى طريقة يمكن أن تصبح بديلا عن جراحة المجارى الجانبية للشريان التاجى .

قفاز يقاوم اللهب

أنتجت شركة أمريكية قفازات مقاومة للهب والحرارة الشديدة وتحمي الكف من الاحتراق مهما بلغت درجة حرارة المادة التي يمسك بها الشخص ، ويصلح القفاز الجديد لعمال المصانع والميكانيكيين ورجال المطافىء .

● ● ●

جهاز جديد يكشف تزوير النقود الورقية

تم اختراع جهاز جديد بالولايات المتحدة الامريكية للكشف عن العملات الورقية النقدية المزورة يمكن استعماله للتحقق من سلامة العملة بسهولة ودقة وله القدرة على اكتشاف الجسيمات المغناطيسية المخبأة فى أوراق العملة الأمريكية .

● ● ●

سلالات من القطن تقاوم الحشرات

أعلن مجموعة من العلماء باستراليا أن استخدام مورثات « جينات » من البكتريا شائعة الوجود فى التربة الزراعية قد أعطى نباتاتهم القدرة على إنتاج سموم تقتل الحشرات دون أن تشكل ضررا للبيئة وانهم نجحوا فى إنتاش عجيجة الوجود فى التربة الزراعية قد أعطى نباتاتهم القدرة على إنتاج سموم تقتل الحشرات دون أن تشكل ضررا للبيئة وانهم نجحوا فى إنتاج سلالات من القطن ذات انتاجية مرتفعة وتنتج مادة مقاومة للحشرات بحيث لا تحتاج إلى أى مبيدات حشرية .

● ● ●

آلة لتنقية المياه من الكائنات الدقيقة

تمكن مجموعة من العلماء البريطانيين من اختراع آلة التعرف السريع على الكائنات الدقيقة الموجودة فى المياه ومعرفة ما اذا كانت حية أم لا وتقوم بفصلها وتنقية المياه منها .. وتعتمد نظرية عمل هذه الآلة على تغير الجسيمات المشحونة كهربائيا اذا تعرضت لمجال كهربى .

● ● ●

ساعة تحذر من الإصابة بالنوبات القلبية

صممت إحدى الشركات اليابانية ساعة تنبه باقتراب الإصابة بنوبة قلبية وذلك قبل ساعة من حدوثها مما يتيح الوقت الكافى لاتخاذ الإجراءات الوقائية المطلوبة ، حيث تقوم الساعة برصد إلكترونى لاشارات القلب من خلال النبض عند الرسغ وعند حدوث أى تغييرات مفاجئة تقوم بإطلاق الجرس التحذيرى .

● ● ●

راديو للسيارة ضد السرقة

لحماية راديو وكاسيت السيارة من السرقة تم إنتاج راديو ومسجل يعمل ببطارية ذات رقم سرى خاص بصاحب السيارة فقط وبدون البطاقة والرقم لا يمكن تشغيل الجهاز . والبطاقة الخاصة لا يمكن استخدامها فى أى جهاز آخر مماثل .



للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حب صحابة رسول الله ﷺ »

قال أيوب السختيانى ـ رضى الله عنه ـ : من أحب أبا بكر ؛ فقد أقام منار الدين ، ومن أحب عمر : فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان ؛ فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليا ؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى .

ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فقد برىء من النفاق .

« عز نفسك .. »

بلغ الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أن عبدالرحمن بن مهدى ـ رحمه الله ـ مات له ابن فجزع عليه عبدالرحمن جزعا شديدا ، فبعث إليه الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ يقول :

« يا أخى عزّ نفسك بما تُعزّى به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أقضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر » ؟ .

« دعوى إلى القضاء »

قال ابن سيرين : كنا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قبة له ، وبين يديه « كانون » له فيه نار ، فجاءه رجل وجلس معه على فراشه ، فساره بشىء لا ندرى ما هو ، فقال له أبوعبيدة : ضع لى إصبعك فى هذه النار ، فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هذه النار !!

فقال له أبوعبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا ، وتسألنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم !!

قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء ..

« من مآثر الإمام على ـ رضى الله عنه ـ »

- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
- العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى .
- لا ترى الجاهل إلا مُفرطا أو مُفرِّطاً .
- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .
- من ترك قول : « لا أدرى » أصيبت مقاتله » .
- أوضع العلم ما وُقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر فى الجوارح والأركان .
- عجبت لمن يقنط ، ومعه الاستغفار .

« طبيعة الحياة »

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

« حقا »

من أراد بعلمه وجه الله – تعالى – أقبل الله عليه بوجهه ، وأقبل عليه بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه ، وصرف قلوب العباد عنه .

« نقصان العقل »

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ .

قال : إذا كثر الأدب ، ونقص العقل .

« من أقوال الحكماء »

أطول الناس همًا الحسود ، وأهنأهم عيشا القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص ، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط .

« أين نحن من هؤلاء ... ؟ »

كان محمد بن واسع يقول : « لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني » .. وكان إبراهيم النخعي إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ في المصحف غطاه .

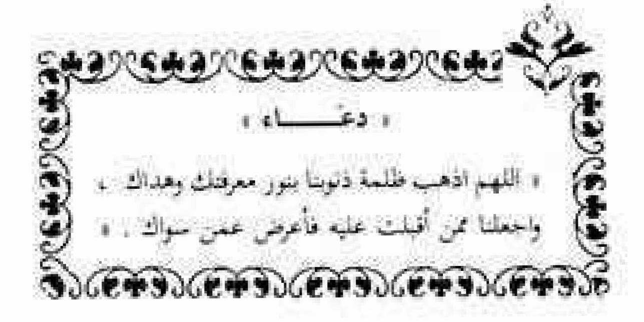
وكان أويس القرني – رضي الله عنه – وغيره من الزهاد إذا عرفوا في مكان ارتحلوا عنه .

« لحامل القرآن ينبغي »

ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون .

« كل شيء هالك .. إلا وجهه »

أين أهل الديار من قوم نوح
ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في النمارق والإستبرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا
وهو أدنى إلى الموت ممن يعود



« دعاء »

« اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك . »



روائع الماضى بمجلة الأزهـــر

إسقاط الأحكام الشرعية بالتحايل



لصاحب الفضيلة / عبد الله المراغى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

من الأخطاء المنهجية التى يقع فيها كثير من المشتغلين بالأمور الدينية التحايل على الأحكام الشرعية والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فى غير ما هى له ؛ بغية الوصول إلى رأى بعينه ينسبه الى الدين دون إدراك أو تحقق أو تمحيص لماهية هذا النص أو ذاك وهذا خطأ كبير له نتائج خطيرة فى تشويه الحقائق وإظهار الباطل فى ثوب الحق والعكس .. وتشكيك الأجيال فى الدراسات الإسلامية وشريعة هذا الدين . الأمر الذى يحدث عند المسلم فراغا أو بلبلة خاصة فى هذا الظرف الذى تمر به أمتنا الإسلامية .

قال الأستاذ رحمه الله :

شرع الله الأحكـــام الشرعيـــة ، لمصالح وحكم ، وجعلها كالأدوية لمعـــالجة أدواء البشرية ، وجعل التصرفات الصادرة من المكلف مقاصد تدل عليها الألفاظ . فكل عقد يصدر من المكلف تصاحبه نية ، فإن كانت تلك النية محققة لمقصود الشارع من العقـــد كانت معـــتبرة وصحيحة ، وإن كانت غير محققة لمقصود الشارع كانت لاغية . وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن المقصود فى العقود معتبر ، وأن القصد يؤثر فى صحة العقد

وفساده ، وفى حله وحرمته . كما يؤثر فى الفعل الذى ليس بعقد تحليلا وتحريما ، فيصير حلالا تارة ، وحراما تارة ، باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحا تارة ، وفاسدا تارة باختلافها ، فذبح الحيوان يحله إذا ذبح لأجل الأكل ، ويحرمه إذا ذبح لغير الله . وعصر العنب بنية أن يكون خمرا معصية ، وعصره بنية أن يكون خلا جائز ، إلى غير ذلك من الأحكام التى تصاحبها النية ، فتجعلها حراما . وصدق — عليه السلام — إذ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[1] .

فبين فى الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية ، وهذا لا يكون عمل إلا بنية ، ثم بين فى الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نوى . وهذا يعم العبادات ، والمعاملات والأيمان والنذور وسائر التصرفات والأفعال ، فمن نوى بالبيع عقد الربا فهو محصل للربا ، ولا تأثير لوجود صورة البيع ، ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا تأثير لوجود صورة عقد النكاح ، فنظير هذا ما إذا نهى الطبيب المريض عما يؤذيه ، وحماه منه ، فيحتال على تناول ما نهاه الطبيب عنه . وقد نهى الله اليهود عن تناول الشحوم ، فاحتالوا على الانتفاع بها فجعلوها وذكنا بإذابتها ، وباعوها وانتفعوا بأثمانها ، فحقت عليهم اللعنة .

وقد طلب الشارع من المكلف المحافظة وامتثال الأمر والنهى ، حتى يحصل مقصوده منهما ، فعمل على سد الذرائع بكل وسيلة . فإذا حرم شيئا وله طرق ووسائل تفضى إليه ، فإنه يحرمها ، ويمنع منها ، تحقيقا لتحريمه ، وتثبيتا له ، إذ لو أبيحت الوسائل والذرائع المفضية إليه لأدى ذلك إلى نقض التحريم ، وتعالى الله عن ذلك ، فقد قال تعالى : « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ »[2] فمنع النساء من الضرب بالأرجل ، وإن كان جائزا فى نفسه ، لئلا يكون سببا إلى سمع الرجال صوت الخلخال ، فيثير ذلك دواعى الشهوة إلى النساء .

وقال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ »[3] .

فقد أمر الله تعالى مماليك المؤمنين ، ومن لم يبلغ منهم الحلم ، أن يستأذنوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة ، لئلا يكون دخولهم بغير استئذان ذريعة إلى اطلاعهم على عوراتهم ، وقت التجرد من ثيابهم فى هذه الأوقات .

وكان النبى ﷺ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ، لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمدا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ، ومن لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

والمتتبع للأحكام الشرعية يرى الحرص من الشارع على سد الذرائع . وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، إذ هو أمر ، ونهى . والأمر إما

(1) رواه الشيخان والنسائى .

(2) سورة النور آية 31 .

(3) سورة النور آية 58 .

مقصود لنفسه ، وإما وسيلة الى المقصود . والنهى إما مقصود لنفسه لما فيه من المفسدة الذاتية ، أو وسيلة إلى المفسدة فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين . وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع أشد مناقضة ، وذلك لأن الشارع يسد الطرق الموصلة إلى المفاسد بكل وسيلة ، فيكون عمل المحتال فاتحا لطرق المفاسد بوسائله التى يحتال بها على تغيير أحكام الله ، والبون شاسع والفرق عظيم بين من يمتنع من فعل جائز مخافة أن يؤدى إلى الوقوع فى المحرم ، وبين من يصطنع الحيل ، ليصبغ الفعل المحرم بصبغة الفعل الجائز ، زاعماً أنه بعمله هذا ينجو من عقاب الله وأن نيته الباطنة ، وقصده المستتر ، يخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ومن تأمل أحاديث اللعن الواردة فى سد باب الحيل يقطع بتحريمها ، كقوله — عليه السلام — : « لعن الله المحلل والمحلل له ، ولعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، وباعوها ، وأكلوا ثمنها ، ولعن الله الراشى ، والمرتشى ، ولعن الله آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهده .

ومما يدل على بطلان الحيل ، وتحريمها ، أن الله — تعالى — إنما أوجب الواجبات ، وحرم المحرمات ، لما تتضمن من مصالح عباده ، فى معاشهم ومعادهم .

فالشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء الذى لابد لهم منه ، والدواء الذى لا يندفع الداء إلا به ، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرضه الله ، وتعطيل ما شرع ، كان ساعيا فى دين الله بالفساد ، فقد أبطل ما قصده الشارع من الحكمة فى الأمر المحتال عليه ، وأثبت بزعمه حكمة أخرى ، ويزيد عمله قبحا وشناعة ما يدعيه من نسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى ، والله برىء مما يعمل وما يبتدع هذا المحتال . إذ أن الله تعالى أوجب أشياء ، وحرم أشياء ، فأوجب الصلاة ، والصيام ، والحج ، وحرم الزنا ، والربا ، والقتل ، كما أوجب الزكاة ، والكفارات ، والوفاء بالنذور ، والشفعة للشريك ، وحرم المطلقة ثلاثا ، والانتفاع بالمغصوب ، والمسروق ، فإذا تسبب المكلف فى إسقاط هذه الأحكام بأن أسقط الوجوب عن نفسه ، أو أباح ذلك المحرم بأى وجه من وجوه التسبب سمى محتالا ، ووسيلته تسمى حيلة وتحيلا ، فمن ذلك ما إذا دخل وقت الصلاة عليه فى الحضر ، فعليه أن يؤديها أربعا كالظهر ، فأراد أن يتسبب فى إسقاطها كلها بتناول ما يزيل عقله حتى تخرج وقتها ، أو أراد أن يؤديها ركعتين ، فأنشأ سفرا ليقصر الصلاة ، وكما إذا دخل شهر رمضان فأنشأ السفر هروبا من الصوم ، أو أراد بيع عشرة دراهم نقدا بعشرين إلى أجل ، فجعل العشرة ثمنا لثوب ثم باع الثوب من البائع الأول بعشرين إلى أجل ، أو أرضعت الزوجة جارية زوجها أو ضرتها لتحرمها على الزوج ، فهذه وما ماثلها من الحيل ممنوعة شرعا . ودليل منعها من الكتاب ، ما وصف الله به المنافقين فى قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ »(٤) إلى آخر هذه الآيات التى فضحت سرائر المنافقين ، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، فقد أظهروا

كلمة الاسلام إحرازا لدمائهم وأموالهم ، غير ناظرين لما قصد له الاسلام من الدخول تحت طاعة الله مع الاختيار والتصديق القلبى ، وقد قال تعالى فى وصف المرائين بأعمالهم :

﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥)

الإنفاق غير قاصدين حكمته ، بل قصدوا بعملهم الدنيا ، والجاه ، وحسن الأحدوثة ، كما قال تعالى فى وصف أصحاب الجنة الذين منعوا حق المساكين ، فقصدوا قطع ثمارها فى وقت لا يتمكن المسكين من الحضور فيه :

« إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِن رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ » (٦)

وآيات كثيرة من القرآن الكريم تتوعد من أظهر بعمله خلاف ما يبطن ، قاصدا الوصول إلى نفع لم يبح له الشارع الانتفاع به بل حرمه عليه ومن الأحاديث الدالة على تحريم الحيل قوله ــ عليه السلام ــ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود والنصارى يستحلون محارم الله بأدنى الحيل » ، أى بأسهلها وأيسرها ، وأقلها عناء ومشقة ، وقال : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها وباعوها ، وأكلوا أثمانها » فقد احتال اليهود على الشحم فأذابوه ، فصار فى صورة غير صورته الأولى ، فباعوه ، وأخذوا ثمنه ، وانتفعوا به . وقال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يُعْزَف على رؤوسهم بالمعازف ، والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » وقال : « يأتى على الناس زمان يستحل فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء : يستحلون الخمر بأسماء يسمونها بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالرهبة والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وكلها سائرة على ان التحيل فى قلب الأحكام الشرعية غير جائز ، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين تعطى الاجماع على منع التحايل على الأحكام ، وفيما ذكرنا من الآيات والأحاديث غنية فى إثبات ذلك .

ومن الآثار عن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : أن عمى طلق امرأته ثلاثا . أيحلها له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه » وقال أيوب السختيانى فى أهل الحيل : « يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان ، فلو أتو الأمر عيانا كان أهون على » وقال شريك بن عبد الله القاضى فى كتاب الحيل :

(٤) سورة البقرة ٨ ، ٩ ، ١٠ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٦٤ .
(٦) القلم آية ١٧ .

« هو كتاب المخادعة . فإن الحيل المحرمة مخادعة لله ، ومخادعة الله حرام » وقد قال ــ عليه السلام ــ « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

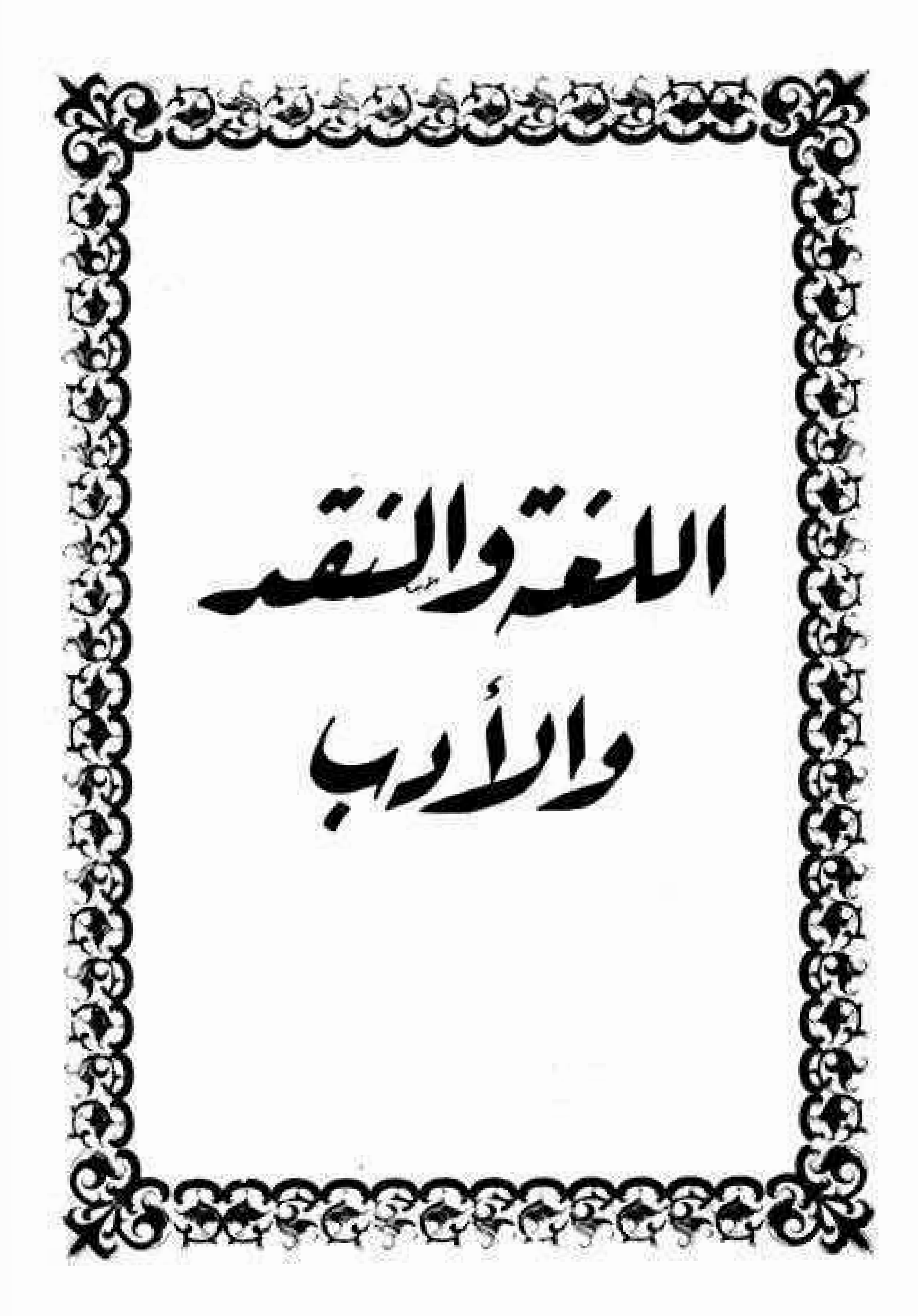
فكل حيلة هدمت أصلا شرعيا ، وناقضت مصلحة شرعية فهي حرام . وهناك بعض تصرفات تبدو لأول الأمر أنها حيلة ، وهي في الحقيقة لا احتيال فيها ، لأنها لا تهدم أصلا شرعيا ، ولا تناقض مصلحة شهد الشرع باعتبارها ، كالنطق بكلمة الكفر إكراها عليها ، فإن هذا التحايل مأذون فيه ، لكونه مصلحة دنيوية لا تشوبها مفسدة أصلا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة . فهذا الفعل لا يحل حراما ، ولا يناقض مصلحة ، فإطلاق الحيلة عليه إنما هو بضرب من التجوز ، إذ حقيقته مأذون فيها شرعا ، فليس في هذا التصرف تغيير لحكم الله . ونستطيع بكل وثوق أن نجزم بأن كل تحايل يقصد به صاحبه تحليل محرم ، أو تحريم حلال ، لا يقدم عليه إلا من لم يرتضع من ثدى الشريعة الاسلامية ، ولم يحط علما بمقاصدها ومراعاتها للمصلحة التى بها تتحقق السعادة للبشرية من التكاليف الشرعية .

ومن تأمل في التصرفات الملتوية التى يسلكها أهل الحرف والصناعات والتجار ، بل يسلكها كل من ولى امرا من الأمور العامة أو الخاصة ، يرى أن الصور التى يعطيها هؤلاء المتصرفون لأعمالهم وأفعالهم إنما هى صور براقة جذابة آخذة لمن رآها لأول وهلة بالقبول والاستحسان .

وفي حقيقتها صور خادعة كاذبة منافقة مرائية ، لا تهدف إلى تحقيق مصلحة يرتكن عليها صرح المجتمع القوى السليم ، وإنما هى حقائق تقوض نظام المجتمع وتشتت تضامنه ، وتفرق جمعه وتبدد وحدته .

ونظرة فاحصة في المجتمعات الراقية المتحضرة تجلو لنا وضوح تصرفات أفراده ، وخلوها من الزيف ، والتصنع والتحايل . فالصدق والأمانة والوضوح ، يضفى على التصرفات إشراقا وضياء ونورا يطمئن له القلب ، وتستريح له النفس ، وحبذا لو سلك الناس الطرق الواضحة في تصرفاتهم وأفعالهم ، وعلى الأخص المتصدون للفتيا ، في القرى والمدن ، وعند ذلك تتحقق حكم الشريعة الإسلامية ، وتبدو مصالحها واضحة جلية ، تحبب إليها القلوب ، وتطمئن بها الأفئدة ، فلا تكون مثار تشكيك فيها ، ولا انتقاد من بعض من يبحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ، ليظهرها بمظهر الجمود والعجز عن مسايرة التقدم والرقى والحضارة .





اللغة والنقد والأدب



فضل اللغة العربية

بقلم الدكتور/ أحمد عبده عوض (*)

اللغة العربية هى وعاء الكتاب الخالد ، بها أنزل وحفظ ، وكل معلم للعربية أو متعلم لها هو فى حاجة إلى الوعى بها ؛ لأنها أساس كل علم ومناطه ، فإنها أداة العلم ومفتاح التفقه فى الدين ، وقد اختارها الله تعالى لخير الأمم ؛ أمة النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد خصت بالإيجاز والبيان والإعراب والبلاغة ومن ثم يكتسب التأكيد على فضلها وأفضليتها أهمية خاصة ، أحاول جاهداً الكشف عنها من خلال المحاور الآتية :

أولاً - اللغة العربية بين التاريخ والمعاصرة والعالمية :

(أ) اللغة العربية لسان الحاضر :

اللغة العربية لسان عبادة ، ومعجزة نبى كريم - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا المضمون الروحى للغة العربية هو المعبر الروحى الذى انتقلت به حضارة العرب إلى أصقاع العالم فى آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وهى كذلك **قوام الشخصية العربية** ، ومناط قوميتنا ، وأساس تراثنا ، ومادة ثقافتنا وحضارتنا ، وأداة التواصل بين أبناء الأمة وبين إخوانهم فى العقيدة .

وقد عصمها الله على مر الزمن ، وتعاقب الأحداث من التمزق والضياع ، وظلت جامعة لأبنائها ، يتخاطبون بها عبر الأجيال ، ولا يشك المرء لحظة فى أن هذا الثبوت والرسوخ والخلود إنما يرجع إلى كتاب الله تعالى ؛ والذى أراد الله القدير أن تستودع اللغةُ العربية رسالته السماوية الخالدة .

ولذا فالذين يُؤرخون للغة العربية يؤكدون على أفضليتها من الناحية الدينية ، التى أكسبتها كمالاً وجلالاً وفضلاً ، وكان الفضل مظهراً من مظاهر تقديسهم لها ، وإيمانهم بكمالها ، وباختيار الله لها لتكون **لغة خير الرسل وأفضل الكتب** .

وقد جعل الله لها قبولاً وقوة ؛ فقد أصبحت اللغة الرسمية للبلاد المفتوحة ، التى هجرت لغتها القومية دون أن يجبرها أحد على ذلك .

كما لم يكرهها أحد على الدخول فى الإسلام .

وهى كذلك - إحدى اللغات التى اختيرت

(*) مدرس بجامعة طنطا .

ـ رحباً ـ للحديث بها فى دوائر الأمم المتحدة ولا يزال القرآن الكريم يفتح لها القلوب ، ويكسبها جلالاً وبهاء وحباً ونفوذاً وتفاذاً ..

(ب) العربية والمعاصرة :

اللغة العربية لغة حية ، فقد غزت أماكن كثيرة فى شتى بقاع العالم ، ودخلت أمماً مختلفة وأثرت فى لغاتها ، واستقبلت معظمُ لغات العالم مفرداتٍ كثيرة من اللغة العربية ؛ وفى ذلك دليل حيويتها .. ولكونها عُرفت بسعتها وثرائها وبما تملكه من وسائل النمو والتطور من اشتقاق ومجاز ونحت وتعريب .. إلخ ؛ **فقد استطاعت أن تستوعب الثقافات والعلوم المترجمة فى عصور الإسلام الأولى .**

ونؤكد أن استعمال اللغة العربية لا يقف حائلاً أمام الإبداع والإيضاح كما ادعى بعضهم ، فالإرث الحضارى الرائع لدى علماء المسلمين فى شتى المجالات الأدبية والدينية والعلمية شاهد على ما تقدم ، حيث ترى لغة أدبية فائقة الرقى ، وتستطيع أن تلمس ذلك فى الموسوعات العلمية والأدبية التى أبدعوا من خلالها بفكرهم ولغتهم وقوة تعبيرهم .

وفى أيامنا هذه لا يختلف الأمر كثيراً فاللغة عندما لا تساعد صاحبها فى التعبير عن أفكاره ، فهذا ليس عيباً فى اللغة ، وإنما فى ضحالة الثروة اللغوية وفقرها لديه .

(جـ) العربية والعالمية :

اللغة جوهر القومية ، والمتأمل فى تاريخ اللغة العربية قبل الإسلام يجد أنها كانت مزدهرة مكتملة النمو فى كل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وكانت مصدر تنافسهم ، وإنشادهم ، وكانت لهم أسواقهم ومساجلاتهم ومناظراتهم .. وبالطبع فهى أداة أدائهم وتعبيرهم ، ومصدر اعتزازهم ؛ **غير أن نزول القرآن الكريم بها زادها ازدهاراً فوق ازدهار ، وثبت أركانها وقوى دعائمها ..** ثم كانت الفتوحات الإسلامية فى الأمصار وما وراء الأمصار فإذا باللغة العربية ـ وهى لغة الدين التى حملت معجزته الكبرى ـ تجد إقبالاً من المناطق التى دخلت فى الإسلام ، بنفس درجة إقبالهم على الدين .

« وهكذا أصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغة عالمية تنتظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال إفريقيا وبلاد الأندلس »[1] .

وكان من البداهة أن تصطدم اللغة العربية بعد الفتح الإسلامى بلغات الدول المفتوحة ، **ولكنك تجد أن اللغات المحلية قد تقهقرت ولم تصمد أمام الهداية التى تحملها اللغة العربية ، وأمام نور الله الذى لا سبيل إلى استشراقه إلا بلغة القرآن .**

ويمكنك بعد ذلك أن ترصد سمات عالمية اللغة العربية فى :

- سعة انتشارها ، وصبغها لشعوب عدة بالصبغة العربية ، فأخذت بالطابع العربى ديناً ولغة وثقافة وحضارة ، وأصبحت من أوسع لغات العالم انتشاراً .

(١) إبراهيم أنيس : اللغة بين القومية والعالمية ، القاهرة ، دارة المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧٦ وما بعدها .

● وكذلك وهي في أوج نهضتها رحبت بكثير من الألفاظ التي دخلتها من اللغات الأخرى .

● **وصمدت كذلك في كل تاريخها** فلم يصبها ما أصاب اللاتينية من تفتت إلى لغات مستقلة .

ورغم ما أصاب الدول العربية من مآسٍ واضمحلال سياسي خلال عدة قرون ؛ إلا أن اللغة ظلت صامدة ؛ تقويها الروح الإسلامية ، وتشد أزرها .

● **لصعوبة الفصل بين الإسلام واللغة العربية** فإن الفصل بين العروبة والإسلام تفتيت لوحدة الأمة ، وجهل بحقائق الدين واللغة .. فأي دعوة للقومية والوحدة ينبغي أن تنطلق من اللغة العربية التي حملت تراثنا ، وتمثل الأساس القويم للوحدة اللغوية والدينية والثقافية والروحية ؛ فالقومية لا تستلهم وجودها إلا عن طريق هذه اللغة ، ولا يتحقق دعمها إلا على أساس ذلك اللسان العربي المبين .

ونؤكد أن الإقرار بعالمية الإسلام وعموم رسالته هو — في ذاته — إقرار بعالمية اللغة العربية ، وفي الوحي العزيز لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

سورة الأعراف : ١٥٨

ثانياً — بين القرآن الكريم واللغة العربية :

احتفظت اللغة العربية بكيانها ، وذلك لكونها لغة القرآن الكريم ؛ الذي قدر الله له الخلود

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾

سورة الحجر : ٩

ثم هي لغة الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — .

يقول بروكلمان : « بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أُحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم ؛ وبهذا اكتسبت العربية من زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى » .

وكان لنزول القرآن الكريم باللغة العربية أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطانها على الألسنة ، وتهذيبها وتنقيحها واتساع الأغراض التعبيرية وفنون القول فيها ، **ويبدو ذلك في تنوع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ** .

كما يبدو تأثر العرب بأسلوب القرآن جلياً ، إذ انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة ، **فإنه خالط قلوباً قاسية ؛ فألانها ، وطباعاً جاسية ؛ فهذبها ، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ ، ورقة أسلوب ، وسماحة تركيب ، وقوة حجة ، ورزانة منطق ، ودقة أداء وغزارة معنى[٢]** .

---

(٢) محمد كامل الفقي : فضل القرآن على اللغة العربية ، الكويت ، مجلة الوعي الإسلامي ، سبتمبر ١٩٦٧ ، ص ٢٣

وكان من فضل القرآن على اللغة تهذيبها من الحوشية ، والسير بها إلى السهولة والمتانة ، ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق ، وأجود الأساليب ، فإن المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته فى صلاتهم وعباداتهم ، واستجلوا مظاهر الأدب الرفيع المعجز فى عباراته وأمثاله ، واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيه وتمثيله . وكل ذلك حقق لهم إرهافاً فى الذوق ، ونضجاً فى الموهبة ، وسمواً فى الحاسة الفنية ، كما خلق فيهم الميل الشديد إلى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه .

وقد جاء القرآن مخالفاً لكلام العرب فى الطريقة والمذهب ، وفى المنزلة والصنعة ، وإنْ جانس لغتهم فى المادة والتركيب ، ولولا ذلك لذهب فى كلامهم . وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها . أو لتدافعته العصور والدول إن لم يذهب ، وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الإنسان .

ولكن أبى الله لآيته وإعجازه أن يكون كذلك ، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز . فكان سبباً فى جميع ما أحدث ، وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سبباً فى حفظ العربية واستخراج علومها .

وكان أصل ذلك هو التحدى بها ، الذى كان من حكمته أن ينظروا فى أساليب القرآن ووجه نظمه ليتدبروا طريقته ، ويجربوا عليها أنفسهم ويحملوها على الإتيان بما تحداهم إليه إن استطاعوا ، حتى إذا استيقنوا العجز من أنفسهم ، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعى وقيام الحاجة إليه ، ووجود المادة التى منها التألف ، كان ذلك سبباً لمن يخلفهم على اللغة إلى استبانة وجوه الإعجاز ؛ فكشف لهم ذلك عن فنون البلاغة وتأدت بهم إلى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والكشف عن محاسنه[3] .

وهكذا أضاف القرآن الكريم معانى جديدة ، وأساليب لغوية لم يعهدوها ، وتراكيب غير مألوفة على سمعهم ؛ إلى غير ذلك مما أكسبها ثراءً ودقة وجمالاً ..

ولا يخفى على القارىء الكريم أن الإنسانية لم تعرف طول تاريخها لغة خلدها كتاب إلا اللغة العربية ، وتلك إحدى مصادر إعجاز القرآن :

« فقد أعطى اللغة إكسير الحياة وسر البقاء ، واستمدت من كلماته روح الثبات ، وشجاعة المواجهة ، فكان القرآن الروح التى جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور ، وكل ما جاءنا من تراث هذه اللغة ، إنما مرده إلى القرآن ؛ الذى فجر علومها ، وأطلق عبقرية أبنائها ؛ فبقيت العربية كما كانت ، راسخة القدم مبنى ومعنى قادرة على مواكبة الحضارة ، تأخذ من غيرها ما يلزمها ، وتعطى لغيرها ما يلزمه .. » .

ونظراً للعلاقة الطبيعية بين القرآن الكريم واللغة العربية ، فقد ساعد القرآن الكريم على ازدهار العلوم اللغوية ، وأسهم فى ثراء الفكر اللغوى الأدبى والبلاغى والجمالى عند العرب .

---

(٣) محمد كامل النوهى : المرجع السابق ، ص ٢٤ ـ ٢٦

ولذا فقد نشأت علوم اللغة لخدمة القرآن الكريم ، للمحافظة على نصه ، وللمساعدة فى فهمه حق الفهم ، وهذه العلوم اللغوية العربية من قبل ومن بعد صنيعة القرآن ، وتدين له بوجودها ثم اتساعها وخلودها .

ثالثاً ـ خصائص اللغة العربية :

والمتأمل فى العلوم اللغوية يجد عظمة هذه اللغة ، وتفرد خصائصها ، وهذا ما نتناوله هنا من خلال خصيصتى السعة ، والبيان :

(أ) سعة اللغة العربية وخصوبتها :

تميزت اللغة العربية بأنها أوسع ثروة فى أصول الكلمات والمفردات من كل اللغات السامية ؛ فهى تشتمل على جميع أصول هذه اللغات وتزيد عليها بأصول كثيرة ، احتفظت بها مما لا يوجد له نظير فى أى لغة أخرى ، جُمع للأسد خمسمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم ، وللعسل ثمانون اسماً ، وللسيف ألف اسم ، وهكذا ؛ وهذا يتسق مع طبيعة العرب فى السخاء الطبيعى والمادى ، **والذى كان له مردود على سخائهم اللغوى** ، ولذا فقد وضعوا لبعض المعانى أسماء تفوق التصور والتخيل . وبذا اتسعت اللغة العربية اتساعاً عظيماً ، ويبرز ذلك فى غزارة مفرداتها ، وكثرة الاشتقاق فيها ، ووجود النحت ، والقلب والإبدال ، وسعة صدرها فى التعريب والمجاز والكناية والنقل ، واتسعت لعلوم الحضارة ، وعرفت بكفايتها النادرة ، ومنزلتها السامية وقوة أدائها .

(ب) اللغة العربية والبيان :

اختصت اللغة العربية بخصيصة (**البيان**) ، وهذا يتضح من قوله سبحانه :

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

سورة الشعراء : ١٩٥

حيث وصف الله تعالى اللسان العربى بأبلغ ما توصف به اللغة وهو (البيان) ﴿ **بلسان عربى مبين** ﴾ ، والبيانُ هو أهم وظائف اللغة وأفضل ما توصف وتختص به ، وعندما يرد الوصف من الخالق سبحانه دل ذلك على تحقق هذه الصفة فيها ، بقدر عظيم ؛ وعلى وفائها بالإبانة من أكمل الوجوه . ويتمثل بيان العربية فى كمال البيان اللغوى وليس مجرد الإبانة ؛ لأن هذا يتحقق بغير اللغة العربية ، وفى مجال العبارات العربية تجد سعتها ووضوحها وكثرة ترادفها ، وغناء ألفاظها ، وثراء مادتها ، وغزارة مفرداتها ـ وحسن تأليف مبانى الكلم ؛ فضلاً عن وجود خصيصة الاشتقاق ، والتى جعلت اللغة العربية أكثر إنتاجاً وتوكيداً .

والمتأمل فى صدر **سورة الرحمن** يجد بعض النعم والآلاء التى امتن الله بها على عباده ، ومنها (نعمة البيان) وجاءت هذه النعمة مقدمة على نعم كونية عظيمة ، حيث يقول تباركت أسماؤه

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

وهنا يبدو تفوق العربية حيث تجد الربط بين القرآن ـ الذى هو عربى ـ وبين الإنسان وبين نعمة البيان ؛ التى هى إحدى نعم الله العظمى ، وجاء فيها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى أخرجه البخارى : عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فعجب الناس

لبيانهما ، فقال – صلى الله عليه وسلم – « إن من البيان لسحراً » ، والمعنى : إن هذا البيان قد يبلغ في روعته وشدة تأثيره على النفوس واستحواذه على المشاعر ما يبلغه السحر .

وقد سأل موسى – عليه السلام – ربه – عز وجل – حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ، والحُبسة التي كانت في بيانه ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ سورة طه

وقال موسى عليه السلام

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾

سورة القصص : ٣٤

وقال :

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾

سورة الشعراء : ١٣

رغبةً منه في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع .

وقد استجاب الله – تعالى – لموسى عليه السلام وحلّ عقدة لسانه ، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾

سورة طه : ٣٦

رابعاً – لغتنا العربية اليوم :

ثم تساؤل مهم نحاول الإجابة عنه عن حال اللغة العربية هذه الأيام .

« لا يعجب المرء كثيراً عندما يتأمل في واقعنا اللغوى والتاريخى ، فيرى أن لغتنا العربية مثلت تحدياً عظيماً أمام أفكار هدامة استهدفت اللغة ، ولعل ما سُمى بمشكلة الفصحى والعامية أحد مظاهر هذه التحديات ، وهى مشكلة صنعها الاستعمار وأعوانه عندما وجدوا لغة عُليا للفكر والأدب وهى الفصحى ، وفى المقابل لغة مستعملة فى التخاطب اليومى وهى العامية ، وهذا أمر موجود فى سائر اللغات الحية ، وليس ثمة مشكلة فى ذلك .

● لكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة الطبيعية ؛ **ليحارب الفصحى ، تمزيقاً لوحدتنا اللغوية والفكرية ، فراجت دعاوى تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وتلقى عليها مسئولية تخلفنا ، وتدعو للعامية** ؛ فتزعم لها القدرة على الوفاء بحاجات وجودنا اللغوى الحديث ، وترى فيها المفتاح السحرى لتقدمنا العلمى والحضارى والوسيلة الميسرة لتثقيف الجماهير وتعليم الأميين »[*] .

والأدهى من ذلك أن اقترنت الدعوة إلى العامية بوصف بعضهم للهجة العامية المصرية بأنها لغة سابقة للغة العربية والدعوة إذن إلى التماس لغتهم القديمة ، ومنهم من قال : إن اللغة العربية لغة أجنبية ، وإنه يجب أن تُحول ؛ لتعود مصر إلى لغتها القديمة .

(*) عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة ، القاهرة ، دار المعارف ، بمصر ، ١٩٧١ ، ص ٩٣ .

وهذه الدعاوى لا حقيقة لها ، وقد ردّ عليها بعض العلماء .

وسعياً إلى تغريب اللغة العربية ، وإقصاء القرآن أساساً عن طريق اللغة شجعت حكومة الاحتلال على إنشاء جرائد باللغة الدارجة ، كما ظهرت مؤلفات تدعو للغرض ذاته . وقد أحسن شاعرنا حافظ إبراهيم عندما لخص هذه الدعاوى على لسان العربية بقوله :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى[6]

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى

ولعلك تدهش عندما يحمل بعض المثقفين لواء الإصلاح والتمصير والتيسير والتلخيص فيدعون إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية أو استبدال الخط العربى باللاتينى .. ومن ذلك دعاوى أحمد لطفى السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمى ولويس عوض . وهذه الدعاوى كلها زائفة وباطلة ومُغرضة ، وهى تصدر عن أناس يعلمون أن اللغة العربية هى حجر الزاوية فى وحدة هذه الأمة وكيانها كله ، وأن الأخذ بدعاوى التطوير والتعديل والتحسين هو فصل هذه الأمة عن تراثها ، وإبعادها عن هداية لغة القرآن الكريم .

كل هذا تحت دعوى : إصلاح اللغة ، وتيسيرها ، وتبسيطها وتهذيبها وتسهيل كتابتها .. وهى فى الواقع دعاوى لإزالتها وهدمها وإبعادها .

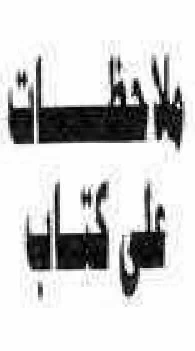
وثم مغالطات كثيرة أخرى ودعاوى باطلة أُريد بها النيل من العربية وتشويهها وبيان عجزها ، وعدم قدرتها على الوفاء بحاجات العصر ولا نجد سوى أن نقرر « أن اللغة العربية لو كانت عاجزة عن الوفاء بمطالب الحياة والعصر ما نزل بها القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[7] .

لكننا عندما نتأمل واقع اللغة العربية هذه الأيام ، نرى أنها قد هانت وأهملت على يد أبنائها ، وصح أن نقول إن هناك أزمة لغوية ، وهناك فساد للذوق اللغوى ، وهناك تغريب لغوى ولا نستطيع أن نناقش أى ظاهرة مما تقدم بمنأى عن عمليات تعليم اللغة العربية فى مدارسنا[8] .

وختاماً .. فإنه لا بد من المحافظة على اللسان العربى ـ نطقاً وكتابة دون خضوع لأية مبررات تؤدى فى النهاية إلى التخبط وفقدان الهوية .

وحفاظنا على اللغة العربية ، هو حفاظ على تراث هذه الأمة ، وعنايتنا باللسان العربى هو إعزاز وإعلاء وافتخار لنا ، وهو واجب حث عليه ديننا الحنيف .

(٦) حصاتى : عقلى .
(٧) حلال مصطفى العيسوى ، أحمد عبده عوض : اللغة العربية نماذج أدبية نقدية ، مطبعة أورفو ، ١٩٩٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٤
(٨) الواقع اللغوى والهوية العربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٩ ، ص ١١٧ .



٢



عرض ونقد

الأستاذ الدكتور علي أحمد مرعي

الملاحظة السابعة : إنكار حد الردة :

يقول الكتاب ص ١٥٨ عن القول بعقوبة حدية من يرتد عن الإسلام .. « إنه خالف صريح آيات القرآن التي تقطع بعدم وجود مثل هذا الحد » ، ويضيف « .. وإننا نعيد التأكيد على أنه ليس هناك على الإطلاق أي دليل في القرآن أو السنة الشريفة على صحة مثل هذا الحد » ، ثم يورد الكتاب بعض الآيات القرآنية ، ويفهمها على غير وجهها الصحيح : ليوهم القارىء أنه يستند إلى دليل ، فيقول ـ بعد ذكره الآيات واستنباطاته غير الصحيحة : « هذه بعض الأدلة القرآنية ـ وهي قليل من كثير ، والتي تقطع بكذب المزاعم حول ما يسمى بوجوب قتل المرتد كعقاب عن مجرد ارتداده » ص ١٦٢ ، ويقول : « ... وبعد أن أوردنا الأدلة القرآنية القطعية الثبوت القطعية الدلالة التي تؤكد بطلان دعوى ما يسمى بحد الردة .. » والردة في نظر الكتاب « عدوان على صاحبها يفعله هو بنفسه » ، « وبالنسبة للإسلام وأهله فحين يرتد عنه مرتد فالإسلام لا يتعرض بذلك لعدوان عليه .. ولكن على

العكس .. » . وحد الردة ـ فى نظر الكاتب ـ « يعتبر صورة صارخة من صور الإكراه فى الدين والذى تنهى عنه الآية مطلقاً » يعنى آية « لا إكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦ .

أقول : إنكار حد الردة مخالف لإجماع الفقهاء المستند إلى النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة .

أما مخالفته لإجماع الفقهاء ؛ فلأن الفقهاء مجمعون على مشروعية حد الردة ، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من الفقهاء .

قال ابن قدامة : « وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد . وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وابن عباس وخالد وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان إجماعا » المغنى جـ ٨ ص ١٢٣ .

وقال الإمام النووى : « وأما نفس المرتد فمهدرة فيجب قتله إن لم يتب ، سواء انتقل إلى دين أهل الكتاب أم لا ، حرا كان أو عبدا أو امرأة » . روضة الطالبين جـ ٧ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

وقال الإمام النسفى : يعرض الإسلام على المرتد وتكشف شبهته ثلاثة أيام ، فإن أسلم وإلا قتل . (كنز الدقائق مع شرحه تبيين الحقائق جـ ٣ ص ٢٨٤) .

وقال الدردير : « يستتاب المرتد ثلاثة أيام من يوم الحكم بلا جوع وعطش ومعاقبة ، فإن تاب وإلا قتل » . الشرح الصغير جـ ٤ ص ١١٧ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية .

وقد استند إجماع الفقهاء السابق إلى النصوص الصحيحة الآتية :

١ ـ بما أخرجه البخارى ـ وغيره ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « من بدل دينه فاقتلوه » .

٢ ـ بما أخرجه البخارى ـ وغيره ـ أن رسول الله ﷺ أرسل أبا موسى الأشعرى إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ألقى له وسادة ، قال : انزل . فإذا رجل عنده موثق ، قال : ما هذا ؟ قال : كان يهودياً فأسلم ثم تهود . قال اجلس . قال : لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات) فأمر به فقتل » . فهذه الأحاديث صريحة فى تعيين القتل عقوبة للمرتد عن دين الإسلام .

والإسلام ـ كما هو معلوم ـ لا يكره أحداً على الدخول فيه بأى حال ، والقرآن الكريم ـ مكيه ومدنيه ـ واضح كل الوضوح وحاسم كل الحسم . ففى المكى يقول الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

سورة يونس : ٩٩

وفى المدنى يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾

سورة البقرة : ٢٥٦

ولكن الإسلام فى نفس الوقت لا يرضى من الناس أن يجعلوا الدين « ملعبة » يدخل أحدهم فيه اليوم ليخرج منه غداً على طريقة اليهود الذين قالوا فى عهد النبوة :

﴿ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

سورة آل عمران

هذا ، وقد بنيت العقوبة في جريمة الردة إلى جانب ما تقدم من الإجماع والسنة الصحيحة الصريحة على أساسين رئيسين :

الأول : إخلال المسلم بالتزامه بأحكام الإسلام ؛ فالمسلم ملتزم بأحكام الإسلام وأصوله وعدم الخروج عليها أو هدمها . فإن فعل ذلك كان مخلاً بالتزامه فينال جزاء هذا الإخلال .

الثاني : درء المفسدة عن المجتمع . وبيان ذلك : أن إعلان الردة فيه مفسدة للجماعة تظهر في تشكيك الناس في عقائدهم ، وإحداث الاضطراب فيما بينهم ، وزعزعة لكيان الدولة التي اتخذت الإسلام أساساً لقيامها وبقائها ، فكان لا بد من عقوبة زاجرة لمنع هذه المفسدة عن مجتمع يدين بالإسلام ، وعن دولة جعلت الإسلام أساس حياتها . فالقول بأن الـردة لا اعتداء فيها على أحد قول مجانب للصواب ، وهل هناك اعتداء فوق تشكيك الناس في عقائدهم ؟

الملاحظة الثامنة - إنكار حد الحرابة :

يقول الكتاب ص ١٨٣ : « وفي الحقيقة فإن كل ما قيل من أحكام فيما أسمي بحد الحرابة ليس له أصل صحيح من القرآن أو السنة الشريفة ، وإنما يستند إلى تفسيرات متعارضة مختلفة وخاطئة للآية الكريمة السابقة - يعني قول الله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

سورة المائدة : ٣٣

و « ما قيل من تفاصيل بخصوص هذا الحد المزعوم هو محض اجتهادات شخصية وآراء تختلف باختلاف أصحابها ، بينما الأمر الذي لا خلاف فيه ولا ريبة في موافقته للشريعة الإسلامية هو أن أي جرائم ضد النفس أو المال أو إرهاب المادة تدخل في أحكام التعازير » ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

ثم يبلغ به العجب برأيه مداه ، فتراه يفسر القرآن برأيه ، ويأتي بتأويل لآية المائدة على وفق هواه ، ويزعم أنه « التأويل الصحيح للآية ٣٣ من سورة المائدة » . فيقول في تأويلها : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾

أي جزاء الذين يصدون لدعـوة الحق بإشاعة الباطل والترويج له ويعملون على نشر الفساد بين الناس وإبعادهم عن دين الله .

- « أن يقتلوا » - أي تقتل دعـوتهم بإلزامهم الحجة البالغة وتبيين ما في هذه الدعوة من الباطل والزيف .

ــ « أو يصلبوا » ــ أى يشهر بهم بأن تكشف أمام الناس جميعاً حقيقتهم كمحاربين للدين ...

ــ « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » تشير الآية بالأيدى والأرجل إلى وسائل القدرة والسعى .. بمعنى قطع سبل سعيهم ومحاولاتهم للإفساد فى قلوب الناس ... إلخ .

ــ « أو ينفوا من الأرض » ببث المعتقد السليم فى قلوب الناس بما يبعد آثار دعاة الباطل ومفاسدهم فلا يكون لهم أى أثر فى الأرض وينتهى كل دور لأباطيلهم .

ــ « ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » أى أن كل هذه الصور من محاربة دعاة الباطل تكون بمثابة الخزى لهم فى الحياة الدنيا إلى جانب ما ينتظرهم من العذاب العظيم فى الآخرة . وهكذا يخرج الكتاب بالكلمات القرآنية عن مدلولاتها اللغوية التى تعد المتاخ لمعانيها . ثم تراه يترك لنفسه العنان فيشطح بخياله ويبعد فى فهم الآية بعداً لا يقره عليه من له نصيب من فهم لآيات القرآن الكريم ومعرفة بأسس التفسير وقانون التأويل . وصدق الله العظيم .

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

سورة القصص

الملاحظة التاسعة ــ حول عقوبة السرقة :

يرى الكتاب أن تطبيق عقوبة السرقة ــ عند الفقهاء يكاد يقتصر على السارق الذى يأتى معترفاً بجريمته مصراً على اعترافه ، ومصراً على قطع يده ، رغم مراجعة القاضى له وتلقينه الإنكار . والكتاب لا يفرق بين ثبوت السرقة بالاقرار ــ حيث تكون المراجعة من القاضى وقبول الرجوع عن الإقرار بشأن إقامة الحد ــ وبين ثبوت السرقة بالبينة حيث لا عبرة بإنكار الجانى ولا تقبل ــ لدرء الحد عنه ــ شفاعة الشافعين ما دام الأمر قد رفع إلى السلطان .

ونستدل لذلك :

ــ بما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكلمه أسامة . فقال رسول الله ﷺ ــ أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : « أيها الناس . إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها » مسلم بشرح النووى جـ ١١ ص ١٨٦ .

وروى الزهرى عن ابن صفوان عن أبيه أنه قام فى المسجد وتوسد رداءه فأخذ من تحت رأسه ، فجاء بسارقه إلى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأمر به النبى ــ صلى الله عليه وسلم أن يقطع ،

فقال صفوان : يا رسول الله ، لم أرد هذا ، ردائى عليه صدقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « فهلا قبل أن تأتينى به » رواه ابن ماجة .

الملاحظة العاشرة : نسبة عدم تغيير المنكر بالقوة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

يزعم ـ الكتاب ـ أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لم يلجأوا إلى القوة لتغيير ما فى أقوامهم من منكر . وهذا مخالف لما ذكره الماوردى وإمام الحرمين وغيرهما من الإجماع ، على أن من واجبات رئيس الدولة حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين ودفع شبهات الزائغين وفصل الخصومات ، وإقامة العقوبات من حدود وتعزيرات « الأحكام السلطانية للماوردى وغياث الأمم لإمام الحرمين ص ١٨٤ وما بعدها » .

وفى قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران

دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان واجبا فى الأمم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة ـ كما قال القرطبى فى تفسيره ص ١٣٨٩ ط الشعب .

الملاحظة الحادية عشرة : إيهام أن العقوبات غير واجبة :

يذكر الكتاب أن « العقوبات قد أباحها الشارع للحاكم ليستعين بها على القيام بواجب من أهم واجباته الشرعية وهو العمل على استقرار أوضاع المجتمع .. إلخ .

أقول : التعبير بالإباحة يوهم أن للحاكم أن يمتنع عن معاقبة المجرمين متى شاء ، وهذا خطأ لا سيما إذا كانت العقوبة متعلقة بحق آدمى أو بحد من حدود الله فليس للحاكم العفو عن الجانى وذلك لتصان محارم الله ـ تعالى ـ عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من أى إتلاف أو استهلاك .

الملاحظة الثانية عشرة ـ مزاعم غير صحيحة حول الجريمة :

ينكر الكتاب أن يكون فى الجريمة ـ أيا كان نوعها ـ أى اعتداء على حق الله ـ تعالى ـ ص ٦٥ « وإن إقامة حدود الله لا علاقة لها بتوقيع عقوبات من الحاكم على مرتكبى الجرائم » ص ٦٥ أيضا . بل ما ينادى به البعض فيما أسموه (بأخذ حق الله) يتعارض ـ هكذا يقول الكتاب ـ مع آيات القرآن ويفتح بابا خطيرا إلى معتقد يصور توقيع عقوبة مثل قطع اليد أو الرجم .. إلخ على أنه حذف فى حد ذاته . ص ٦٦ . وكيف يزعم أى إنسان فى هذا الوجود أنه يسترد حق الله المغتصب وهو لا يستطيع أن يفرق بين من تقبل الله توبتهم وغفر لهم ذنوبهم وبين غيرهم ؟؟

الملاحظة الثالثة عشرة ـ بحصر العقاب فى العقاب الأخروى :

يقرر الكتاب أن العقاب الإلهى لمن يتعدى حدود الله هو فى الآخرة فقط فيقول ص ٦٥ وآيات القرآن تحدد العقاب الإلهى لمن يتعدى حدود الله .. فيقول ـ جل شأنه :

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

سورة النساء : ١٤

قلت : الآية ـ كما ذكر القرطبي ص ١٦٥١ ـ ١٦٥٢ في قسمة المواريث . ولكن الكتاب يخلط ولا يميز ؛ ومن ثم يحدث التلبيس ويتكرر .

الملاحظة الرابعة عشرة ـ إنكار الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه :

ص ٤٠ ، ٤١ يزعم الكتاب استحالة الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه ، لأن معرفة حكم الله لا يعلمه إلا الله . كما يزعم ص ٤١ بأن الادعاء في أي عصر بأن ما يقام هو حكم الله وأن ما يطبق هو شريعة الله يجعل الإنسان لا يملك أن يجهر برأى فيه إصلاح لمفسدة أو تصويب لخطأ .

الملاحظة الخامسة عشرة ـ خلط في أثر التوبة :

يرى الكتاب وجوب اعتبار التوبة مانعاً شرعياً من إقامة الحد ـ أياً كان ، وبأى حجة ثبت ، ولا يفرق بين حد هو حق لله وآخر هو حق للعبد . ص ٤٤ ومعلوم أنه من شروط صحة التوبة أداء حق العباد ـ وهو هنا يتكلم عن الحدود بمعناها الاصطلاحي ـ عقوبة مقدرة فيكشف بذلك ما قررناه من قبل أنه يخلط عن عمد بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية الخاصة ببعض العلوم .

الملاحظة السادسة عشرة ـ عدم إمكانية تقنين الشريعة :

ينفي ـ الكتاب ـ إمكانية وضع أى مشروع بقانون للشريعة الإسلامية وأن « أى مشروع بقانون للشريعة الإسلامية لن يخرج في حقيقة الأمر وواقعه عن أن يكون قانوناً لآراء ومفاهيم الأفراد أو اللجان التي وضعته وسيكون صورة أخرى لقانون وضعي جديد يحمل اسم الشريعة الإسلامية مهما بذل فيه واضعوه من جهد » ص ٥١ . وهذه دعوى يشهد على عدم صحتها الواقع .

الملاحظة السابعة عشرة ـ فهم غير صحيح للعقوبات :

يزعم أن العقوبات المعينة على جرائم معينة غير طريق الهداية .

الملاحظة الثامنة عشرة : أفكار لم يقل بها أحد :

ينفي ـ الكتاب ـ أن يكون توقيع العقوبة على المذنبين من مهمة رسل الله ـ الذين منهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ٥٢ .

الملاحظة التاسعة عشرة : تغيير أفكار معلومة من الدين بالضرورة :

يرى الكتاب أن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها وضع قانون للعقوبات لا يخرج عن الشريعة الإسلامية تتمثل في إلغاء العقوبات المقدرة والإبقاء على العقوبات غير المقدرة ـ التعازير ـ وذلك للمرونة التي تتطلبها الظروف المتغيرة ومقتضيات مصالحها . ص ٥٢ ، ٥٣ .

ملاحظـــات أخـــرى :

ثمة ملاحظات أخرى على الكتاب هي من الخطورة بمكان حيث تمضي لتحقيق الهدف الظاهر من الكتاب وهو زلزلة الثوابت التي بني عليها الأئمة الأعلام صرح الفقه الإسلامي الشامخ ،

وإشاعة الفوضى الفكرية والتحلل من ضوابط البحث العلمي ، وتشجيع التقول في الدين بالرأي والهوى .

وهذه الملاحظات وإن لم يتسع المقام لتفنيدها على نحو ما أسلفنا إلا أننا نذكرها لنوقف من يهمه الأمر على خطورة الكتاب والمفاسد التي يمكن أن يثمرها توزيعه بين عوام الناس ومثقفيهم .

من هذه الملاحظات :

١ - يخلط الكتاب عن عمد بين المصطلحات الخاصة ببعض العلوم وبين الفهم اللغوي العام لهذه المصطلحات ، وذلك كخلطه بين حدود الله بمعناها العام ، وبين الحدود التي هي عقوبات مقدرة على جرائم معينة . ونتيجة لهذا الخلط ينتهي بالوصول إلى أخطاء فاحشة . ص ٢٥ - ٣٥ .

٢ - ينكر الكتاب على القائلين بأن إقامة الحدود هي مسئولية ولاة الأمور ، ويصفهم بأنهم :

(أ) مروجو الفتن .

(ب) بأنهم ضالون مضلون .

(جـ) بأنهم أصحاب شعارات براقة لاستدراج المتحمسين لدينهم والزج بهم في الصراع على السلطة ومقاتلة الحكام ص ٢٥ - ٣٥ .

٣ - كما يقرر أن « إقامة حدود الله والثواب عليها ، وتعدى حدود الله والعقاب عليه هي أمور تتعلق بالإنسان نفسه - يعني المحسن والمسيء - وإقامتها هي مسئولية شخصية في عنق كل مسلم على نفسه . ص ٢٥ - ٣٥ .

الكتاب ومشروع قانون العقوبات

خصص جزء كبير من الكتاب لإبداء الملاحظات على مشروع قانون العقوبات الذي أعدته لجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب المصري سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م وأكثر ملاحظات الكتاب جانب الصواب :

١ - فمنها : أنه ينتقد مشروع القانون لأنه يمنع القضاة من أن يرجعوا إلى رأي فقهي غير الذي رآه المشروع . ص ٩٥ .

والمدقق يلحظ أن نقد الكتاب للمشروع في هذا الأمر غير سائغ ، بل إن ما رآه المشروع يعد هاماً وضرورياً من أجل توحيد الأحكام القضائية في الدوائر المختلفة إذا ما عرضت أمامها حوادث متشابهة .

٢ - ومنها : أن المشروع أخذ في المسألة الواحدة ببعض المذاهب أو الآراء وترك ما عداها ، وهذا في نظر الكتاب : « فرض الوصاية على مذاهب الفقهاء وضمير القضاة » وفي نظره كان « يجب مراعاة كل ما صحت نسبته للأئمة الأربعة في المسألة الواحدة .. ولا يمكن - هكذا يرى - أن يأخذ برأي واحد من آراء الأئمة الأربعة ثم يوضع في قانون ويقال إن هذا هو الشريعة الإسلامية .. » لأن « كل ما صح عن الأئمة الأربعة مأخوذ من سيدنا رسول الله .. ولا يجوز حمل الأمة على بعضه دون البعض » ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٤٩ .

وكان من الممكن قبول هذا النقد واستحسانه لو كان القضاة من أهل النظر المستجمعين لشروط الاجتهاد - من العلم بكتاب الله - عز وجل - على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام ، والعلم بسنة رسول الله - صلى الله

صلى الله عليه وسلم ـ الثابتة من أقواله وأفعاله وطرق مجيئها فى التواتر والآحاد والصحة والفساد وما كان عن سبب أو إطلاق والعلم بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ، ليتبع الإجماع ويجتهد برأيه فى الاختلاف ، وكذلك العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

أما والحال ـ كما نعلم ـ شاهد بعدم توافر هذه الشروط فى القضاة فإن المصلحة تقتضى أن ينظر أهل النظر من العلماء فى نصوص الشريعة وآراء الأئمة المجتهدين ثم يتخيروا من بين الآراء ما يسانده الدليل ويتوافق مع مقتضيات الظروف لتحقيق مقاصد الشريعة الغراء ، حتى تتوحد الأحكام ـ كما بيناه فى (١) وحتى لا يكلف القضاة من البحث ما لا يطيقون وما لا يستطيعون .

وإذا كان أمر (تكدس القضايا) على النحو الذى نعلمه رغم تبويب المواد القانونية وترتيبها ، فماذا يمكن أن يكون عليه الحال لو أخذنا بما أشار به الكتاب ووضعنا آراء الأئمة كلها أمام القاضى ليتخير منها ما يشاء .

هذا ، وقد فات الكتاب شىء هام ، كان ينبغى أن لا يفوته وهو : أن قضاء القاضى فى المسائل المختلف فيها يرفع الخلاف .

٣ ـ ومنها : أن المشروع أخذ بخلاف رأى الجمهور فى بعض المسائل . « ففى المادة ٨٧ يحكم بقطع اليد فى حالة السرقة من المال المملوك للدولة أو لإحدى الهيئات أو المؤسسات العامة أو الشركات أو المنشآت التى تسهم الدولة أو إحدى الهيئات بنصيب فى مالها » .

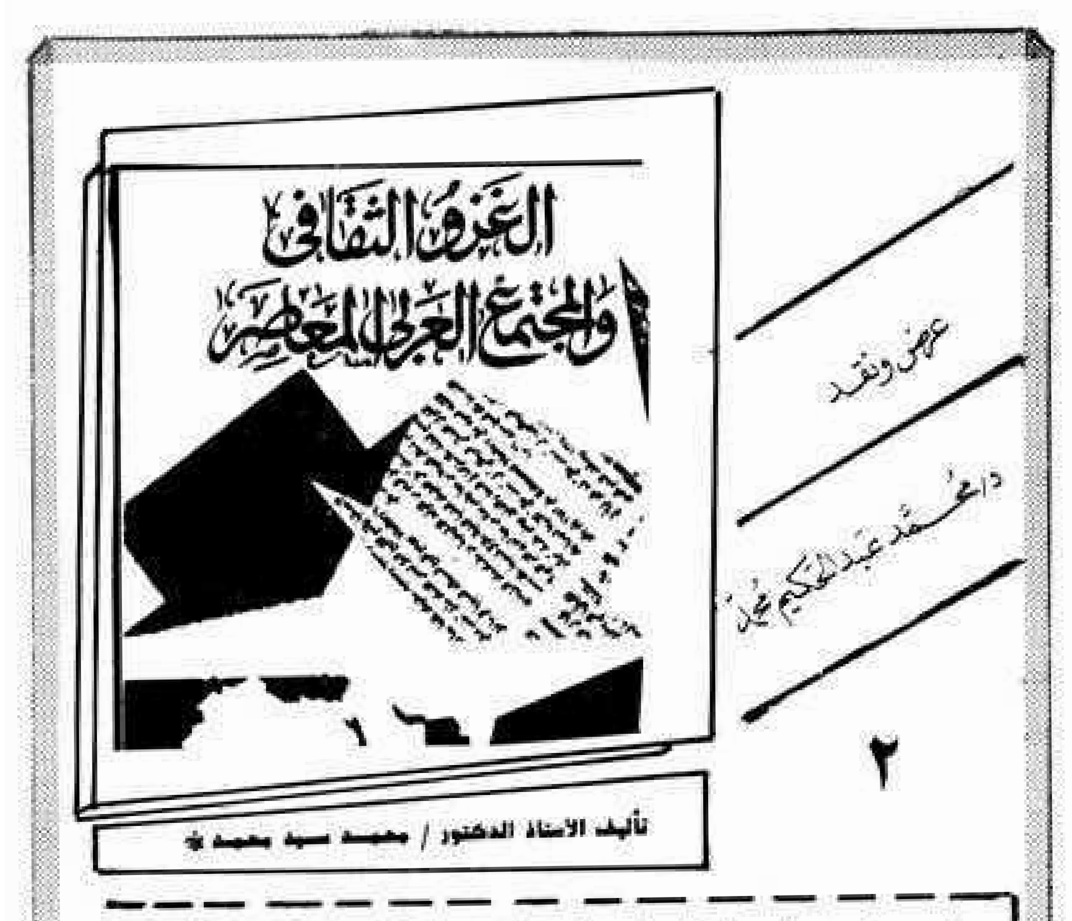
ولا حرج على المشروع أن يأخذ برأى المالكية وبعض الشافعية أو غيرهم ممن يعتد بقولهم ما دام لهم أصل معتبر قد بنوا رأيهم عليه .

وعموم النصوص يظاهر الرأى القائل بقطع السارق من المال العام مثل قول الله ـ تعالى ـ ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : «لا قطع إلا فى ربع دينار فأكثر » . ولعل كثرة السرقة من المال العام كانت وراء أخذ المشروع بالرأى القائل بالقطع لحفظ مال الأمة الذى هو قوام حياتها وعدتها فى مواجهة أعدائها والمخاطر المحدقة بها . وهو اختيار وجيه لا حرج فيه . ولم يقل أحد إن الحق دائماً وأبداً مع الجمهور من الفقهاء .

٤ ـ ومنها : إنكار الكتاب على المشروع لقوله بقطع الرجل اليسرى عند العود إلى جريمة السرقة . ويعد ذلك « من التمثيل بأجساد المسلمين وهم أحياء بقطع أطرافهم وهو ما تنهى السنة عن إتيانه حتى فى جثث الأعداء » ، والمشروع بقوله هذا « يخالف القرآن والسنة الصحيحة » .

والحق أن ما ذهب إليه المشروع هو قول فقهاء الأمصار من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو قول أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما وقد روى أبو هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال فى السارق « إذا سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله » ذكر ذلك صاحب المغنى جـ ٨ ص ٢٦٠ .

وقطع اليسرى أرفق به من قطع اليمنى ـ كما فى المحارب .



أصبحت قضية « الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر » من أهم القضايا التي تطرح نفسها بعد التطور الهائل في وسائل الاعلام ، وثورة الاتصالات والمعلومات ، وتقنيات الاتصال الجماهيرية العملاقة ، وظهور عصر الأقمار الصناعية ، ومن ثم أمكن النظر إلى هذه القضية على أنها من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في الوقت الحاضر ، وفيما نرى أن الكتاب الذي بين أيدينا إنما يمثل رؤية عربية وإسلامية ـ واضحة المعالم ـ في معالجة هذا الموضوع .

وفي العدد الماضي من (مجلة الأزهر) تحدثنا عن أهمية الكتاب ومؤلفه وتعرضنا لمحتوى الفصل الأول والثاني ، وعرفنا كيف استطاع المؤلف من خلالهما تجلية مفهوم « الغزو الثقافي » وبيان الفرق بينه وبين نقيضه « الاتصال الثقافي » ، والكشف عن وسائل الغزو الثقافي وأساليبه ، وبيان كيفية تحقيق أهداف الغزو الثقافي بالتفاعل المستمر بين الوسائل والأساليب ، وفي هذا العدد نتناول ما تبقى من فصوله .

* وكيل كلية الاعلام - جامعة القاهرة

المنشور الغربي وغزو العرب :

أراد الدكتور محمد سيد أن يدلل على الارتباط العضوى بين « الغزو الثقافى والغزو العسكرى » فأضاف للكتاب فصلا ثالثاً عن « المنشور الغربى وغزو العرب » وهو فى مجمله (صفحات ١٧٣ ـ ٢٣٠) دراسة وثائقية تتناول منشور الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨م) من حيث النص ـ نفسه ـ وخلفيته التاريخية وتحليل مضمونه ، وكذلك فعل مع منشور احتلال الجزائر عام (١٨٣٠م) ، ومع المنشور البريطانى الـــذى طبـــع ولم يوزع على مصر عام (١٩٥٢م) ، ومع المنشورات الإسرائيلية على لبنان عام (١٩٨٢م) ، ثم ذيّل هذا الفصل بملاحق خاصة به « عن خطابات الصليبيين والتتار والبرتغاليين فى غزو العرب » .

وفى الواقع أنه فصل ينم عن : خبرة بأهمية مضمون هذه المنشورات وما تنطوى عليه من دلالات ، وعن جهد قد بُذل فى العثور عليها على الرغم من تقادم عهدها ، وعن قدرة علمية فى رسم خلفياتها التاريخية وتحليل مضامينها وكشف أبعادها بأشكالها المتعددة . وهكذا نجح المؤلف ـ من خلال هذا الـــفصل ـ فى رسم صورة واضحة المعالم للارتباط العضوى بين « الغزو الثقافى والغزو العسكرى » ، أو بمعنى أوضح « للغزو العسكرى الغربى للعرب » قبل أن يتخذ الغرب قراره ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ بأن يؤدى فى المنطقة العربية دوراً جديداً مقبولا ـ بالسيطرة الثقافية والاقتحام المباشر للعقول ـ ليحل محل الاستعمار العسكرى القديم والبغيض .

أهداف الغزو الثقافى :

وقد اختص الفصل الرابع والأخير (صفحات ٣٢١ ـ ٣٦٧) بالمواجهـــة : استراتيجيـــتها ووسائلها ، وفيه بدأ الحديث عن أهداف الغزو الثقافى وتأثيره على المجتمعات العربية والإسلامية ، فساق عشرات الأهـــداف العامـــة والخاصة والمعاصرة لهذا الغزو .

وهو بينما يرى أن الأهداف العامة للغزو الثقافى تتمركز فى « السيطرة الشاملة على الشعوب المستهدفة بالغزو ، ووضعها ـ وما تملكه ـ فى نطاق التبعية الكاملة » ؛ يرى أن الهدف المحورى للغزو هو « الحيلولة بين شعوب الأمة العربية وبين عناصر بناء ذاتها بجعلها فى حالة دائمة من الاغتراب ، ثم بالتفريغ المستمر لطاقاتها حتى لا تكون منها شحنة تفجر قبلة وعيها بذاتها الثقافية » .

ثم يُلحق المؤلف بهذا الهدف المحورى هدفاً رئيسياً هو : « المحافظة على استمرارية الأسواق واستمرارية استنزاف موارد العرب » ، وبذلك تظل الأموال والموارد العربية فى قبضة الغرب .

وانطلاقاً من هذا الفهم العام لأهداف الغزو الثقافى ـ العامة والمحورية ـ للمجتمعات العربية والإسلامية تتوالى الأهداف ؛ بحيث يمكن أن تتشكل فى كل عصر وفى كل مرحلة من مراحل الهيمنة الغربية وفق طبيعة العصر والمرحلة لتشمل ـ على سبيل المثال :

١ ـ افتعال الأحداث فى هذه المجتمعات لصرف انتباهها عن تنفيذ الخطط المعادية (كإشاعة أعمال الإرهاب هنا وهناك حتى تم سرقة البوسنة والهرسك من أبنائها المسلمين) .

٢ ـ تشويه صورة الإسلام والعرب والمسلمين (كالربط بين الإسلام وبين العنف والإرهاب والقتل والتخريب) .

٣ ـ هدم اللغة العربية (بدعاوى العامية واتهام الفصحى بالعجز عن مسايرة العلوم البحتة ، كالكيمياء والفيزياء والهندسة والطب وغير ذلك) .

٤ ـ زرع الشك والقلق فى التاريخ الوطنى والقومى (كتصوير التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ عصابة إرهابية) .

٥ ـ التربص بأى صحوة إسلامية عربية وإجهاضها (كبث عناصر إرهابية فى داخلها للوصول إلى القناعة بعدم صلاحية التطبيق الإسلامى فى السياسة وإضعاف صلة الناس بالإسلام وقطع أملهم فيه) .

استراتيجية المواجهة :

ثم يخلص من أهداف الغزو وتأثيره إلى استراتيجية المواجهة مؤكداً أنها لن تؤت ثمارها إلا بتحقيق « الأمن الثقافى » ولتحقيق ذلك الأمن الثقافى فإن المواجهة تعنى مواجهتين :

الأولى : كيفية مقاومة الغزو الثقافى .

الثانية : كيفية التفاعل والاتصال الثقافى .

فالغزو الثقافى والاتصال الثقافى لا يمكن الفصل بينهما فى عالمنا المعاصر فصلاً قاطعاً ، ولم يعد فى مقدور أمة أن تقيم ستاراً حديدياً بينها وبين العالم ؛ فتستغنى عن الاتصال الثقافى وتتفرغ لمواجهة الغزو الثقافى وحسب ؛ بل إن طبيعة العصر جعلت هذين المفهومين المتناقضين تلازماً وثيقاً فى المجال والتأثير .

ويستجلى المؤلف مفهوم « الأمن الثقافى » من مناقشة وتوصيات وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم الرابع بالجزائر عام (١٩٨٣م) لبحث هذا الموضوع ، كما يستند إلى رأى خبراء الإعلام العرب لإثبات العلاقة الوثيقة بين الإعلام والثقافة التى تكاد تشكل من كليهما كياناً واحداً يتأثر كل جزء منه بالجزء الآخر ، فالثقافة فى كل الأحوال تشكل مضمون المواد التى تنشرها وسائل الإعلام المختلفة ، والمؤلف يريد أن يصل بذلك إلى : أن مفهوم « الأمن الثقافى » لا يقف عند المؤسسات التربوية والثقافية بل يمتد إلى الأنشطة التى تتولاها وسائل الإعلام فى عصرنا الحاضر ، وهو يدعو بذلك إلى أهمية التحرك لضمان ما نسميه بالأمن الثقافى من خلال هذين المسارين معاً :

(أ) المؤسسات التربوية .

(ب) المؤسسات الإعلامية .

رؤية إسلامية للمعالجة :

ثم يوجز ـ بعد ذلك ـ استراتيجية مواجهة الغزو الثقافى لعالمنا العربى المعاصر فى مبحثين رئيسيين :

١ ـ الأساس الفلسفى أو الفكرى أو العقدى .

٢ ـ الأساس التخطيطى والتطبيقى والتنفيذى .

وفيما يتصل بالأساس الأول تبدو مقدرة الباحث على ما يمكن أن نسميه : « بالتكشيف الإعلامى للقرآن الكريم » حيث يطرق بابه ويطالع سوره وآياته ، ويتوقف عند آيات ـ بعينها ـ من

عشرين سورة كركيزة أو إطار عام للأساس الفلسفي أو الفكرى أو العقدى لاستراتيجية مواجهة الغزو الثقافي ، وذلك بما تضمنته هذه السور من البيان أو التوجيه في مقاومة « الغزو الثقافي » وكشف أهدافه ومضامينه وفضح أساليب القائمين عليه ، وذلك على حسب فهم المؤلف واستنباطه للمعانى من هذه الآيات القرآنية ، وفيما يلي أنموذج واحد من تكشيفه الإعلامى في هذه الاتجاه :

سورة البقرة :

غشاوة الغزو الثقافي :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ٧)

الكذب والتلفيق في مضامين الغزو الثقافي :

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٤٢)

كشف سلوك المصدر في الغزو الثقافي :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة : ٧٥ ، ٧٦)

دور الأحاديث النبوية :

وينتقل الباحث إلى أحاديث رسول الله ﷺ ويتساءل هل تناولت السنة النبوية موضوع الغزو الثقافي ؟ ، ثم ينقل حديثاً نبوياً واحداً ـ سبق أن ـ ساقه د. يوسف القرضاوى في مقالة له عن الغزو الثقافي لجريدة الشعب ـ بدون تخريج ـ وهو « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » ويبين الدكتور محمد سيد في شرحه للحديث كيف ينكر على الأمة أن تفقد هويتها وأصالتها إلى حد تغدو فيه ذيلا تابعاً للآخرين ، وهكذا يتمثل ـ عنده ـ القرآن الكريم والسنة المطهرة كأهم ركن للأساس الفلسفي أو الفكرى لاستراتيجية المواجهة .

غير أننا ـ وإن أشدنا بجهد المؤلف في التكشيف الإعلامى للقرآن الكريم بترتيب سورة وتدبره واستنباط معانيه ـ نأخذ عليه فقدان هذا الجهد مع الكتب الصحاح في الأحاديث النبوية ، ولو أنه فعل لوجد خيراً كثيراً وتوازناً دقيقاً ، لأن الإسلام ـ كمنهج حياة ـ كتاب وسنة معاً ، وهذا ما يدركه المؤلف جيداً غير أن الوقت ـ ربما ـ لم يسعفه ، وأدعو الله ـ تعالى ـ أن ييسره له مستقبلا .

الأساس الثاني في استراتيجية المواجهة :

أما الأساس الثاني : فتتلاحم فيه ـ على حد قوله ـ الأعمدة الثلاثة : التخطيط والتنسيق والتنفيذ ، وهى متوازية ومتوحدة وأى منها يعنى الآخر أو يعنى الآخرين ، ويشير إلى أن هذا الأساس بأعمدته الثلاثة يخطط له على مستويات

متعددة : فردية ومحلية ووطنية وقومية لمواجهة الغزو وتنمية الاتصال ، غير أنه يقترح مبادىء خمسة كمنطلقات لهذا الأساس ، وهى تتعلق بديمقراطية الثقافة وقوميتها وعصريتها وإنسانيتها وعالميتها ، وفى نفس الوقت يتبنى الكاتب الأهداف الستة التى أسفرت عنها جهود جامعة الدول العربية ؛ كجهد قومى فى استراتيجية مواجهة الغزو الثقافى وحماية الثقافة العربية ، والتى تعرف « بأهداف الخطة الشاملة للثقافة العربية » (راجع صفحات ٢٦٨ ـ ٢٧٥) ولعل أهم أهدافها هو :

إبراز الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، وتنميتها والمحافظة عليها ، فالتراث الثقافى العربى الإسلامى كنز واسع من الخبرات والقيم والعطاء الحضارى والمادى والمحتوى المكتوب والشفوى ، كما أنه الأساس الذى تقوم عليه الهوية الثقافية للأمة والجذر الذى يغطى طاقاتها الإبداعية ويعطيها ثقتها بنفسها ويلهمها تطورات المستقبل .

ويتتبع الدكتور محمد سيد نشاط جامعة الدول العربية ـ فى هذا المجال منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ وما تمخضت عنه : ندواتها ومؤتمراتها من مقترحات وتوصيات عبر ما يقرب من نصف قرن من الزمان ـ هو عمر الجامعة ـ ، وكذلك ما وضعته منظمة إذاعات الدول الإسلامية (ص ٢٧٧) ، وما أسفرت عنه « المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم » عند معالجة هذه الاستراتيجية ، وكذلك أشار إلى المقترحات التى سبق أن قدمها إلى الجامعة العربية عام (١٩٨٤ م) عن إنشاء مؤسسة إعلامية مستقلة لمخاطبة العالم الخارجى بأسلوب متطور ، والصعوبات التى تعترض تحقيقها وإمكانية تذليلها .

وفى الخاتمة عمد الكاتب إلى إيجاز ما أفضى به البحث بفصوله الأربعة وصفحاته الأربعمائة ، ومن خلالها يتلمس القارىء معالم الطريق الجديد وفق رؤية عربية وإسلامية ناضجة لهذه القضية المهمة .

تعليق ونقد :

وبعد .. فإنى أعترف بأن هذا السفر العلمى قد أرهقنى عدة أيام وأنا أتصفح صفحاته الأربعمائة بنظرة الباحث الصحفى ، فكيف بجهد المؤلف ـ نفسه ـ وقد قطع فى إعداده رحلة شاقة « فى بضع سنين » ـ كما نص فى المقدمة ـ ولو لم ينص على ذلك لنمَّ عنه تنوع مراجعة وثراء مصادره ؛ بما احتوته من عشرات الكتب العربية والمصرية وعشرات البحوث والمحاضرات وعشرات المقالات والوثائق ومحاضر الاجتماعات وغيرها من الدوريات العربية والكتب والبحوث الافرنجية .

إن من يقرأ هذا البحث يخرج بقناعتين :

الأولى : قناعة المؤلف بقدرة الإسلام على إنقاذ الأرض من الغزو الثقافى أياً كان مصدره .

الثانية : القناعة بأن الغرب لن يتخلى يوماً عن الترصد للعالم الإسلامى ومعاداته وحشد كل مؤثرات الضعف وعوامل التهميش فيه ، فذلك الأمر كان ولا يزال بنداً ثابتاً يتصدر سلم الأولويات فى الاستراتيجية الغربية .

ومن ثم كان لزاماً على أهل الذكر من الباحثين والدارسين مواجهة هذا الحقد العرقى

باستراتيجيات إسلامية فعالة تتخطى بها عقبة التحدى الحضارى ، ذلك أن التجارب الماضية قد أثبتت فشل الحلول على كثرتها وتنوعها وعلمتنا أيضاً أن تسليح المسلمين ـ فى معركة المواجهة ـ لم ولن ينجح إذا كان الاعتماد على صيغ وفلسفات ومنطلقات غربية عن ذاتيتهم وعقيدتهم ، وفى تقديرى أن هذا الكتاب خطوة رائدة على هذا الطريق .

وإن كانت هناك بعض الملاحظات التى لا يخلو منها بحث فهى : كثرة النقولات وطولها ، حتى أنها طغت فى بعض الصفحات على شخصية الباحث نفسه ، ولم تسلم المقدمة من هذه النقولات على الرغم من أنها تمثل عطـــاءه الشخصى .

غير أنه يمكن الاعتذار عنه بأنه كان يتطلع ـ فى الغالب ـ إلى شمولية الرؤية التى لا تتحقق إلا من خلال هذا الثراء الكيفى والتنوع الكمى واستقراء الظواهر وتحليلها وتأصيلها ، لا إلى خصوصية الرأى الذى يصبح هو إطار مرجعه الوحيد ومعيار سلامته أو فساده ، وفرق بين رؤية مؤصلة ورأى عابر .

وفى الفصل الأول « ما الغزو الثقافى » افتقدنا ـ فى الحقيقة ـ المفهوم المحدد لهذا الغزو ووجد القارىء نفسه واقعاً فى شباك مقارنات مسهبة بين « الاتصال الثقافى » و «الغزو الثقافى » ، وبيان مدى التداخل بين « الغزو الثقافى » و « الحرب النفسية » ، وإن كان المعنى قد بات واضحاً فى ذهن القارىء فى الفصل الرابع عند شرح الكاتب لأهداف الغزو الثقافى .

ولعل الفصل الثانى هو أقوى فصول البحث إذ نجح الباحث فى صياغة نموذج لوسائل الغزو الثقافى وأساليبه يقوم على محورين رأسى وأفقى ، مع بيان التفاعل المستمر فيما بينهما بشرح واف .

والنظرة الأولى للفصل الثالث توحى بعدم الصلة بين هذه المنشورات العسكريـــة وبين موضوع « الغزو الثقافى » ، لكن القراءة المتأنية تكشف إلى أى مدى كان المؤلف يستلهم التاريخ القديم للغرب لإثبات الارتباط العضوى بين الغزو العسكرى القديم والثقافى الحديث .

ولا يقل الفصل الرابع ـ عن : استراتيجية المواجهة ووسائلها ـ فى قيمته العلمية ، غير أننا نتوقف معه عند معرض حديثه عن واقع الحال فى إعلامنا العربى المعاصر وعوامل تصحيحـــه (ص ٢٨٦ ، ٢٨٧) حيث نصَّ على أنه لابد من الوعى بطبيعة أحوالنا الثقافية وأن أول ضرورات الوعى لنا تطهير الخطاب الإعلامى والخطاب الثقافى من الاتهام العشوائى أو الجزئى لأعلام الكتاب والمفكرين العرب حتى لا يتشتت الشباب ويتشتت وعيه بكثرة الاتهامات والدمغ العمومى بالضلال ، كذلك لا ينبغى إهمال طبيعة الفترة التاريخية للكُتّاب والمفكرين والمرحلة الحضارية لمجتمعهم عندمـــا كتبـــوا وعبروا وأعلنوا » .

ولكنى أتساءل متأثراً بالدكتور/محمد سيد نفسه ، فهو رجل معروف بفن طرح التساؤلات لمزيد من وضوح الرؤية :

كيف نطهر الخطاب الثقافى من اتهام بعض رموزنا العربية من طائفة المستغربين الذين انسلخوا عن عقيدتهم وعن قوميتهم وانساقوا وراء المعسكر الشيوعى أو الرأسمالى طمعاً فى مغنم أو حباً فى منصب أو طلباً فى شهرة ، منهم من رأى فى أوربا خير أنموذج يحتذى للتقدم والتطور ، أو رأى استعمال العامية بدلاً من الفصحى لأنها لا تصلح لاستيعاب الحضارة الحديثة ؟

وكيف نطهر الخطاب الثقافى والإعلامى من اتهام دعاة المذاهب الفلسفية المنحرفة وهم يخدعون بعض المثقفين بأساليبهم البراقة ومنطقهم العلمى الزائف كالوجوديين والبراجماتيين واتباع فرويد وداروين ودور كايم وغيرهم ؟

هل من الحكمة أن نلتزم الصمت ونغض الطرف عنهم بدعوى عدم تشتيت وعى شبابنا بكثرة الاتهامات والدمغ بالضلال ؟

وإذا راعينا طبيعة الفترة التاريخية لكتابات هؤلاء المفكرين والمرحلة الحضارية لمجتمعهم عندما كتبوا وعبروا وأعلنوا ، بغية التماس المعاذير لهم ، فماذا نقول عمن تعرضوا لنفس هذه المرحلة ـ بظروفها وملابساتها ـ ولم ينساقوا فيما انساقوا إليه ، بل اتخذوا من أقلامهم أسلحة شهروها فى وجه التغريب ودعاته ، فقارعوا من وصموا العرب بالتخلف وأرادوا النيل من قوميته ، وقاوموا الدعوة إلى العامية ، وعارضوا نقل حضارة الغرب بخيرها وشرها ، وحثوا على الاهتمام باللغة والدين والتقاليد ؟

لعل من الخير لإعلامنا العربى المعاصر أن يطهر نفسه ؛ لا باتهام هذه الأقلام المأجورة أو الموتورة التى تدعى الإسلام وهى تهاجمه للقضاء عليه ـ فحسب ـ إنما بكشف عنهم وزيفهم حتى لا ينخدع الشباب بهم ، وهم عدة الأمة .

والواقع أن الإسلام قد ظل ـ منذ نشأته حتى الآن ـ يخوض حروباً فكرية متلاحقة ـ من قبل أعدائه بالداخل والخارج ـ فى محاولات يائسة لإطفاء نور الله ـ عز وجل ـ .

﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف : ٨)

وتجدر الإشارة إلى أن القارىء إن رآنى أصحح بعض الأغلاط التى لا يخلو منها كتاب بشرى ، فليذكر أننى لم أصل إلى مؤاخذته إلا بفضل ما أخذت عن مؤلف هذا الكتاب ـ فى مرحلة الدراسات العليا ـ من أصول النقد والبحث .

وفى النهاية فإن الكتاب ـ برغم دقة تخصصه وأهميته لدى المعنيين بخطط الإعلام العربى إلا أنه يجذب إليه كثيراً من (الأكاديميين) وعامة المثقفين لما بذله فيه المؤلف من جهد فى تبسيط الأفكار والمعلومات موضحاً أهدافها بما ساقه من حقائق كثيرة ترشد المسلمين إلى ما يقيهم سوء الكيد ، وفى ذلك خير الإسلام والمسلمين ، والله ـ تعالى ـ هو الهادى لأقوم سبيل .



الكتاب أحد نتاج رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة لمؤلفه الأستاذ الدكتور حسن الشرقاوى* وهو من القطع المتوسط ويقع فى مائة وثلاثين صفحة ـ وينقسم إلى خمسة فصول .

ونبدأ بالفصل الأول الذى ركز المؤلف فيه على تعريف التربية الإسلامية بأنها هى تلك المفاهيم التى تستند على المبادىء والقيم التى جاء بها الإسلام عقيدة وسلوكاً . ص ١٣ .

ويهدف إلى التربية الخلقية التى ينبثق عنها سلوك المؤمن ، ومنهجه وطريقة تفكيره ، فارتباط المسلم بدينه يحدد مساره فى دنياه .

ولقد سبقت التربية الإسلامية غيرها من فلسفات التربية الحديثة والمعاصرة فى مناداتها بالأساليب التربوية التى تنادى بها ، وهى تقرن الدين بالدنيا فى الفكر والسلوك والأخلاق بفهم رشيد ، وتركيز على الجوانب الإيجابية فى العقيدة الإسلامية التى تؤثر فى سلوك الفرد .

* ولد بالأسكندرية ١٩٣٥ وتخرج فى كلية الآداب بها وحصل منها على درجة الدكتوراه فى الفلسفة الإسلامية وهو يهتم بالفلسفة الإسلامية التى تخصص فى تدريسها بجامعات مصر والمملكة العربية السعودية ومن أهم مؤلفاته « نحو علم نفس إسلامى » و « نحو منهج علمى إسلامى » و « الثقافة الإسلامية » و « المسلمون علماء وحكماء » و « نحو التربية الإسلامية » إضافة إلى هذا الكتاب الذى بين أيدينا .

فالتربية الإسلامية تدعو الإنسان إلى أن يرتبط بخالقه ، وعلى من يسلك سلوكا يتفق مع عقيدة الإسلام ؛ بمعنى أن تشتمل على العملية التربوية والتعليمية معا .. فهى تهدف إلى تسخير الفكر التربوى فى خدمة الدين ، فإذا ما تعرف الإنسان على خالقه وفاطره وعمل بأوامره وانتهى عما نهى عنه كان جديرا بأن يكون خليفة الله فى أرضه .

الصلاح والإصلاح :

ونظرة الإسلام للعلم تواكب الفطرة – ويضرب المؤلف مثلا بتحريم الخمر فى الشريعة بمقتضى الفطرة ؛ لما تسببه من إفساد للجسم والعقل – وإباحتها لمن كاد يموت عطشا بعد أيضا من الفطرة السليمة – ففى هذا ضرران يجب تغليب أحدهما على الآخر فإذا حكمنا بمقتضى الفطرة فإننا نختار الفعل الأول لكنا قد نستغنى عنه بوجود الماء .

الفصل الثانى

التربية النفسية الإسلامية

وفى الفصل الثانى تعرض المؤلف للتربية النفسية الإسلامية التى تهتم بالتعليم وتكوين الملكات الخلقية والعقلية – ولقد أوضح المؤلف – بنظرة إلى مناهج التعليم الحالية : أن التربية الخلقية ليس لها نصيب وافر فى مراحل التعليم المختلفة ، على العكس من التربية العقلية التى تهتم بالذاكرة التى تنحصر مهمتها فى جمع المعلومات وحفظها دون ما تعمق – غير أن المحدثين من الفلاسفة اهتموا بالتربية على أنها الوسيلة التى يملكها الإنسان لتحقيق التطور الاجتماعى وتثبيت المثل والقيم الأخلاقية بدراسة الأخلاق ، على أن ترتبط بالواقع دراسة سليمة صالحة للحياة ، وترتبط بالعلاقات الإنسانية وارتباطها بعلاقتها بالله ، تستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية بالترغيب والترهيب .

ولقد وضع المؤلف آدابا للتربية النفسية منها : النصيحة الخالصة ، والشفقة والرفق ، والحكمة والعزم والمثابرة والمجاهدة ، والصدق وعدم التهوين فى ارتكاب أى خطأ أو مخالفة – وأن يعلم أن ثوابه وجزاءه على الله ، مع حفظ أسرار العمل واعتباره أمانة فى عنقه ، وأن يكون مرشدا وموجها ومنفتحاً فى تؤدة وتعقل وبصيرة مع الاهتمام بالفروق الفردية والمميزات العقلية والخلقية .

وتعتمد التربية النفسية على الثقة بالله والرجاء فيه بالعمل والاجتهاد ومجاهدة الهوى ، وهناك من الأعمال الفنية ما يمكنه أن يستعير هذا المفهوم الإسلامى لعلاج أى مرض نفسى باعتباره نتاجاً للجهل ونقصاً للتربية وهو أشق من المرض الجسدى وأقسى – وقد يتولاه حكيم أو إمام أو مجاهد أو رجل علم يقتدى بأوامر الله ويتبع خطى رسوله العظيم ﷺ الوسط العدل يفصل بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام – وعلى وسائل الإعلام دور خطير فى غرس العادات الصالحة فى نفوس الناس للقضاء على التوتر والقلق ، وذلك بتدعيم الصلة بين العبد وربه ، وغرس القوى الإيجابية فى نفسه والتركيز على أن التوبة تغفر الذنوب جميعا – لتظهر صورة الإسلام المبنية على المحبة والرحمة والعفو والتسامح .

الفصل الثالث

خصائص النفس الإنسانية ومواقفها

يعدد المؤلف خصائص متباينة ومواقف متعددة للنفس الإنسانية لكنها لو خلدت إلى طريق الله ، واتخذت سبيلها إلى مرضاته لنعمت بالأمن

والسكينة – ويوضح المؤلف هذه المواقف العديدة كالنسيان والغفلة والنفس الكذوب والاعتراض والتحدى وهى كلها خصائص مَرَضيه تساير الجبلات المودعة فى باطن النفس ، والتى تقود إنسانها إلى الضلال ، وتدخله فى زمرة الجاهلين .

أما النفس السوية فيمكن أن تسلك مواقف صحيحة فى سُلَّم نفسى نجمله فيما يلى :

أولا : التقليد أو المحاكاة للقدوة الحسنة ، وتمثل سلوكها اقتــداء برسول الله ﷺ بدءا بالآباء والمعلمين والأئمة والقدوة .

ثانيا : الاقتناع بالمربى الرشيد الذى يملك القدرة على إقناع النشء بالتوحيد ، وبالاجابات الشافية لما يدور فى ذهنه من أسئلة وغيرها .

ثالثا : الاعتقاد الذى يزداد به المؤمن تمسكا بدينه ومعتقداته ليصل إلى بر الأمان .

رابعا : الاعتناق ، وهو الاخلاص فى الاعتقاد بالله واتباع أوامره ، والانتهاء عما نهى عنه .

خامسا : الإيمان وهو الحظيرة الآمنة التى ينتهى إليها المسلم – فالإيمان مقام النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وهو غاية المسلم ومبتغاه .

آفات النفس

يرجع كثير من علماء النفس – فى رأى الكاتب – الأمراض النفسية إلى أسباب ومسببات عارضة ، لكنها ليست الأسباب الحقيقية للمرض النفسى ؛ فهناك أسباب أعمق كتجاهل الفطرة ، وظلم النفس ، واتباع الهوى ، وموافقة الغواية التى قد تقود إلى الشرك الذى يفسد موازين النفس ويوقعها فريسة للشك واليأس ، وربما يؤدى إلى الانتحار .

وأما الظروف البيئية والاجتماعية والنفسية فهى عوامل ثانوية .

الفصـــــل الرابـــــع

الفطـرة الإسـلامية للانحـــراف الخلقى

يعالج التشريع الإسلامى الجريمة بسلاح بتار يقتلعها من جذورها ، وفيه ما يوفر الأمن والاستقرار فى المجتمع ؛ فقد جعل الله لكل داء دواء ولكل جرم عقاب ، والجانب النفسى فى العقاب الإسلامى يهدف إلى إصلاح النفس بتطبيق الحدود الشرعية .

ويتدرج القصاص بالنسبة للمنحرفين لإصلاح اعوجاجهم .

فالقصاص بدنى ونفسى وهو أصلح لعلاج النفس فى الدنيا والآخرة ، ومن ثم فهو يتفوق على القوانين الوضعية فى ردع الجانى وعلاجه ، وبذا يتحقق الأمان فى المجتمع .

وظيفة الطبيب المربى

يتبع أطباء النفس الإسلاميون أسلوبا عمليا فى العلاج ، فالنفس تميل دوما إلى الأيسر وتبتعد عن الأشق ؛ لذا فإن مخالفتها تحقق نتيجة أثمر – ولو أن لكل مريض دواء – وعلى الطبيب أن يدرس حالة مريضه النفسية دراسة مستفيضة قبل الشروع فى علاجه ؛ فالنفس غايتها تحقيق اللذة أو المنفعة والعمل بضد غايتها هو الطريق إلى الصحــة النفسية ، ومن ثم فالمربى يُلزم تلميذه بأمور قد يشق عليه تنفيذها – لكن فيها منفعة صالحة ، وبرغم مرارة الدواء إلا أن فيه الشفاء ، وهذا العلاج يعتبر صالحا فى الدارين ، والله سبحانه وتعالى يعلم سر النفوس وميلها إلى التقاعس والتسويف ؛ ولذلك ألزمها بتأدية الفروض والواجبات فى مواقيت محددة .

الفصل الخامس

نماذج من السلوك الإنسانى فى القصص القرآنى

يهدف القصص القرآنى إلى نقل الوقائع والحوادث بصدق ؛ لابراز نهاية الشر وجزاء الخير بصورة تصلح لكل زمان ومكان .

ويتعرض المؤلف لقصة يوسف – عليه السلام – مع زوجة العزيز وإصرارها على إغوائه بأنها يمكن أن تكون وقائع لأحداث يومية متكررة فى الدنيا مع بعض الاختلاف فى المواقف أو السلوك وهذا الاختلاف هو ما يرمى إليه القصص القرآنى من عبر وعظات – ويظهر الضعف الإنسانى وكيف يتحول إلى قوة هائلة لو اعتمد صاحبه على الله وأسلم له القياد وأخلص له الطاعة والقنوت .

كما تظهر القصة الشخصية الشهوية بنزعاتها وميولها ووجدت لنفسها عذرا ومبرراً فى إجماع النسوة على الافتتان بيوسف .

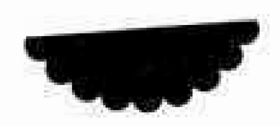
ويرسم المؤلف صورة الحقد والحسد الذى تتميز به النفس الأمارة بالسوء بما فعله إخوة يوسف حين أوغر صدورهم بالكرهُ له نتيجة حب يعقوب – عليه السلام – له وتسكين هذا الحقد بإلقائه فى البئر – ثم يوضح القرآن الكريم أن الحاقد لا ينجح فى تحقيق مآربه ، وإنما تنقلب دعواه عليه هما وكمدا ويعيش بين الناس بقلب مريض ونفس تعيسة .

ومن القصة ذاتها يلمس المؤمن موقف النفس المطمئنة التى يمدها الله بعونه ومدده ، ويكشف عنها الغمة لكظمها الغيظ وصبرها كما حدث ليعقوب عليه السلام ، إلى غير ذلك من القصص القرآنى الذى يتعرض له المؤلف فى هذا السياق .

وبعد .. فقد اهتم الكتاب بالتربية النفسية من منظور الإسلام ، فكان بمثابة استضاءة يعم بفضلها العدل والحق والرحمة جميعا .

فعلى المهتمين بشئون التربية الإسلامية أن يغرسوا بذور التربية الإسلامية فى النشء ورعايته مهتدين بهدى القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما المنارتان اللتان تغذيان سلوك الفرد والجماعة .

فالإسلام بمناهجه التربوية يتفوق كل المناهج والنظم والفلسفات البشرية والوضعية ، وهو وحده القادر على أن يعين المسلم فى سلوكه نحو التكامل الأخلاق .



بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

المرأة والزي الأمثل ....

لاشك أن الحجاب هو فى جوهرة تكريم من الله تعالى للمرأة المسلمة ، يصونها ويحميها ممن فى قلوبهم مرض ، وصدق الله العظيم فى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (الأحزاب : ٥٩) ، وما من امرأة تتعرض لمعاكسات الشباب ولمزهم إلا بسبب عدم التزامها بالحشمة والوقار فى سلوكها وملابسها .

ومن ثم فرض الإسلام الحجاب للمرأة حماية لها ، وفى المقابل أوجب على المجتمع الحرص على شرفها وكرامتها وعدم إيذائها بقول أو فعل ، كما بدا فى كثير من النصوص النقلية .

وقد تلقت المجلة نداء الأستاذ/عبدالرازق كامل مبروك ـ المدرس بفاقوس ـ شرقية ـ إلى الأخت المسلمة ؛ حيث تقع المسئولية على عاتقها فى المقام الأول :

ما أشبه الإسلام بطوق نجاة فى بحر متلاطم الأمواج تكتنفه الظلمات ، فكل ما أتت به شريعته من تعاليم وتوجيهات تدل على سعة عطائه لحياة الإنسان فى جميع مجالاتها ، وما فريضة « الحجاب » إلا واحدة من دعواته إلى العفة والطهارة :

وعلى المرأة المسلمة أن تتذكر قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

(النور : ٣١)

وألا تستمع إلى أفاك يصف الحجاب بالرجعية وعدم التحضر ، ويدعى أن السفور والاختلاط من متطلبات الحضارة الحديثة ، وليكن شعارها قول الشاعر :

فليقولوا عن حجابى   لا وربى لن أبالى
قد حمانى فيه دينى   وحبانى بالجلال
زينتى دوماً حيائى   واحتشامى هو مالى

وإلى جانب ذلك ننظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول الكريم بل المؤمنين العامة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب : ٥٩)

وفى الحديث الصحيح الذى خرجه الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عمر بسند صحيح « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العوهس فإنهن ملعونات .

وزاد فى حديث آخر .

« ولا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

مسئولية الشباب

لعل أول واجبات الشباب المسلم اليوم أن يهتموا بالعلم وتحصيله ، وأن تظهر مجهوداتهم فى مراكز البحث العلمى - فى جميع المجالات - حتى لا نظل مستوردين للتكنولوجيا والمخترعات الحديثة ، إنما موردين لها مثلما كان أسلافنا العظام .

وهذه كلمة للأستاذ/نجاح عبدالقادر سرور - المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة - يستلهم فيها من تاريخنا الإسلامى ما يمكن للشباب أن يقتدوا به فى مسيرة عطائهم المتواصل .

على عاتق الشباب ، قامت الدعوة .. وبالشباب : انتشرت الدعوة وانطلقت .

فما كان أسيادنا ، بلال وخباب وصهيب وسلمان وعلى وحمزة وخالد وعمرو وأسامة وأنس ومصعب وعثمان وطارق بن زياد وصلاح الدين ، إلا شباباً ..

كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .. كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار .. فلم يكن عجيباً أن يدعو الله رسوله أن يكون معهم .. قال تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾

(الكهف : ٢٨)

كان عنوانهم قول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾

(الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣)

فعاشوا لله .. وبالله .. ومن أجل الله رب العالمين .. وأخلصوا فى ذلك إخلاصاً كان مثار العجب .. فاستحقوا قول الله تعالى عنهم :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾
(الأحزاب : ٢٣)

دعوا إلى الله تعالى على بصيرة وعلم لا على عمى وجهل .. مقتفين أثر نبيهم ومعلمهم ﷺ الذى وصفه وخاطبه ربه قائلاً :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾
(يوسف : ١٠٨)

فما أحوجنا أيها الشباب إلى اتخاذ هؤلاء العظماء قدوة لنا .. فهم بحق « فتية آمنوا بربهم » .. فزادهم الله هدى .. وهم بحق كما قال رسول الله ﷺ « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... » (رواه مسلم) .. فهلا اقتدينا بهم ؟

تعقيبات علمية

مما تلقته المجلة تحقيقين علميين عن بعض ما نشرته المجلة فى معرض « عرض الكتب ونقدها » ، ونظراً لأهمية هذه التعقيبات وإخلاص الجهد فيها ، فإن الأمانة العلمية تقتضينا نشرها حتى يظهر لنا جيداً وجه الخلاف .

الأول : حول بعض الآراء الخلافية

وقد أجمله المهندس/جمال جمال عبدالغنى من الزقازيق فى أمرين :

الأمر الأول : رأى الإمام الرازى ـ رحمه الله ـ فى تعلم السحر بأنواعه على أنه فرض كفاية وهو فى المجلة (ص ٨٥) ضمن مقال عن كتاب (السحر الحلال !) للدكتور/حسن على ، عرضه الأستاذ/عادل خفاجة .

مع أن الحافظ ابن كثير ذكره فى تفسيره ثم كر عليه بالنقض فقال : (١/١٤٤ ـ ١٤٥) ط. التراث ـ نقلا عن الإمام الرازى ـ المسألة الخامسة : فى أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور اتفق المحققون على ذلك لأن العلم شريف لذاته وأيضاً لعموم قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
(الزمر : ٩)

ثم قال الحافظ ابن كثير :

وهذا الكلام فيه نظر من وجوه (يرجع إليها فى مظانها) .

الثانى : حول حديث موضوع

وقد وردت الكلمة باسم الأستاذ/حسين سعيد على ابراهيم ـ بكلية الدراسات

الإسلامية ـ قسم الحديث وعلومه ـ بأسوان :

نحيط سيادتكم علماً بأنه قد ورد فى مجلتكم الغراء حديث مقتبس من كتاب السحر الحلال تأليف الدكتور/حسن على العيسى الذى تصدر لعرضه وتقديمه الأستاذ/عادل خفاجة من عدد شهر المحرم لسنة ١٤١٥هـ يونيه لسنة ١٩٩٤م الجزء الأول السنة السابعة والستون ص ٨٦ نصه :

قال ﷺ : « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك هونا ما .... الخ الحديث » .

نقول وبالله التوفيق :

إن الحديث المشار إليه فى مجلتكم ، خبر تعرض له علماء الحديث وقد سبق سرده ضمن الأحاديث الموضوعة وهى :

أن يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء فينسبونه إلى الرسول ﷺ ومن ضمن تلك الأحاديث هذا الحديث وعلته فى ذلك أن الصحيح أنه من قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد ورد ذلك فى :

١ ـ سنن الترمذى كتاب البر ، الحديث رقم (٢٠٦٥) وقد بين ضعفه بقوله : الصحيح عن على موقوف .

٢ ـ الإمام البخارى فى الأدب المفرد ص (٣٧٩) بأن أحبب حبيبك هونا ما .

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ويسلك بنا سلوك عباده المتقين .

● هذا ونلفت النظر إلى أن كتاب السحر الحلال بعيد موضوعه تماماً عما تعرض له فى هذا الباب وإنما القصد منه بيان موقع الكلمة البليغة من النفس . (مجلة الأزهر) .

بأقلام القراء

وجبة دسمة فى عدد واحد

مجلة الأزهر فى كل شهر تتقدم فى جميع النواحى تقدماً يدعو إلى الإعجاب ، وعلى سبيل المثال أتناول عدد ذى القعدة ١٤١٤هـ ، وحديثى عنه تعبير عن حسن العهد وخالص الوفاء .

فالتناسق البديع بين ما نشر فيه يفيض تكاملا ففى البدء : « حفظ الله مصر » للسيد الدكتور على أحمد الخطيب ، ويتصل به بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وبيان المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة ، ومقال الإمام الأكبر شيخ الأزهر : « القرآن فى مجال التربية الأخلاقية » فى سياق التوجيه إلى المعانى الإسلامية السامية ، كذلك (فتواه) التى يحذر فيها من رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل .

كذلك « الإمام الأكبر فى فتاويه » للصديق الدكتور محمد رجب البيومى ، و « لكل أمر باب » للشيخ أحمد طاحون ، و « الرسول ﷺ يتعوذ من عذاب القبر » لفضيلة مدير التحرير الشيخ على حامد عبدالرحيم و « المبشرون بالجنة » لفضيلة الشيخ فرغلى . ولو استمر القلم فى بيان هذا التناسق فى مادة هذا العدد وأبوابه الثابتة لطال المقام . والله الموفق فى كل حال .

محمد مصطفى الغمرى

مدير سابق لادارة شبرا التعليمية

من أسباب تحريم لحم الخنزير

ومن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم تحريم أكل لحم الخنزير ذلك الحيوان القذر الذي يعيش وسط النفايات كالقمامة والدنس . ولقد أكد الله عز وجل على نجاسته وتحريم أكل لحمه في التوجيه الإلهي للرسول ﷺ في قوله : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (الأنعام : ١٤٥)

كشفت الأبحاث العلمية أن الخنزير هو أكثر الحيوانات احتواء لأكثر من خمسين نوعاً من الطفيليات الخطيرة التي تنتقل للإنسان عن طريق أكل لحمه ـ الذي حرّمه القرآن ـ ، حيث توجد الحويصلات المتكيسة داخل العضلات التي لا تقضي عليها درجة حرارة الطهي مهما كانت لا تقضي عليها .

ومن الأمراض التي ينقلها الخنزير :

١ ـ الدودة المستديرة (ثعبان البطن) وهي دودة يصل طولها إلى حوالي من ٢٠ ـ ٢٥ سنتيمتر ، وتسبب المغص والضعف العام .

٢ ـ الدودة الشريطية ، وهي أكثرها انتقالا للإنسان عن طريق أكل لحمه هذا ، وتسبب مرض الصرع إذا ما وصلت للمخ وذلك لما تحتويه من الكثير من الأمراض .

عبدالعزيز عبدالفتاح عبدالمعطي
كلية الطب البيطري بطنطا

العلم والعلماء

ما أعظم مجالسة العلماء والاستفادة منهم فإن الحق عز وجل يقول :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(فاطر : ٢٨)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

رواه أبو داود والترمذي .

وهكذا يشير الحديث إلى ارتباط طريق الجنة بالعلم ، فمن أراد أن يسهل الله له طريق الجنة فعليه أن يسلك طرق العلم ، ويجالس العلماء ويتقرب إليهم كما قال لقمان لابنه وهو يعظه : (يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء) .

عماد الدين عبدالمنعم
دار طباعة النقد

الرحمة بالحيوان

الرفق بالغير لا ينحصر فى الإنسان فقط ، بل علينا حقوق وواجبات نحو الحيوان الذى لا يستطيع التذمر والشكوى من صرامة معاملتنا له ، ولكنه يشعر بالآلام والأوجاع مثلنا ، والرفق به واجب ، ودليل بلوغ الإنسانية فينا شأناً راقياً . وإذا كان من واجب الإنسان الشعور بالرفق مع من هو أقدر منه كان أحرى به الشعور به مع الضعفاء الذين لا يتمكنون من الدفاع عن أنفسهم ، فإن الرفق بالضعيف دليل على الشهامة . وبما إن الإنسان قد فضل على سائر الحيوان بما خص به من مزية العقل الذى يتصرف به فى جميع الأشياء ، فسخر الله له الحيوان ليخدمه فى منافعه وقضاء لوازمه وأوجده ليتخذ قوته من ألبانه ولحومه ، ويصنع من أصوافه وأوبارة ملابسه وأغطيته وفرشه . فمن الواجب علينا أن نرفق به ونشفق عليه ، فلا نحمله ما لا يطيق ، ولا نعذبه بالضرب أو الجوع أو العطش بل نرحمه بإعطائه حقه .

وإن من مظاهر الرحمة بالدواب عدم إنهاك قواها بتحميلها فوق طاقتها ، وإنّ أبلغ ما قيل فى نعمة تسخير الأنعام لنا قوله ـ تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ النحل

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام

ردود .. وتعليقات

● **القارىء/محمود محمد محمود ـ طالب الأزهر بمحافظة المنيا :**

● **القارىء/عبدالله يوسف عبدالواحد .. من القاهرة :**

● **القارىء/السيد السخاوى .. من المنوفية :**

● **القارىء/مسلم يطلب كلمة حق :**

وصلت كلماتكم البليغة عن قرار « الزى المدرسى » وقد علمت الناس رأى الأزهر فيه ـ فى حينه ـ ونحمد الله ـ تعالى ـ على يقظة شعبنا وتمسكه بالدين والقيم والمبادىء ، فلا أحد يستطيع أن يفرض على الأسرة المصرية ما يخالف اعتقادها .

● **المهندس/أحمد كمال الدين عبدالرحمن ـ مساكن الحرية ببورسعيد :**

نرحب بكم صديقاً للمجلة ، وفيما يتعلق بطلبكم عن « كيفية الحصول على مجلة الأزهر بعد نفادها من الأسواق » نفيد أنه مطلب يُلحُّ عليه كثير من القراء ، وعسى أن تتغلب قريباً ـ بعون الله ـ تعالى ـ على هذه المشكلة ، وفى هذه الحالة سنعلن عن كيفيتها .

● **القارىء/حسام فتحى عبدالجواد ـ من الرمل بالإسكندرية :**

يمكنكم إنابة من يتسلم عنكم الهدية المطلوبة

من مكتب مجلة الأزهر بالجامع الأزهر - ميدان الإمام الحسين بالقاهرة .

● بعض القراء يتقلون إلينا بعض النصائح والوصايا من « التوراة » لنشرها في « إبداعات القراء » هؤلاء نرحب بهم كأصدقاء لمجلة الأزهر ، راجين ألا يفوتهم إشارة رسول الله ﷺ . بشأن هذه الكتب ، وقوله - الذي معناه : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وفي أوامر القرآن الكريم ونواهيه ووصايا سيدنا رسول الله ﷺ الكفاية .

● **القارىء/ابراهيم حفناوى - مدرس بالقرين - شرقية :**

ليس من برامج المجلة عمل المسابقات الشهرية .

وفي كلمتكم عن « خوف الغرب من الإسلام » وضعتم أيديكم على علة هذا الخوف فإنه الدين الذي اهتم بنشر العدل والرحمة والمساواة بين الناس ، وهذا ما يصادم أهواءهم . ولا يصادم فطرة الله التي فطر الناس عليها ، تلك التي تشعر الإنسان بأنه - قبل كل شيء - عبد لله ومخلوق للطاعة لا للكبرياء ، وللخضوع لا للاستعلاء ، وللبناء لا للهدم ، وللوحدة لا للتشتيت .

● **القارىء/محمد حامد مصطفى - الباحث القانوني بالفيوم :**

وصلت كلمتكم القيمة عن العلمانية ، ولكن صدور كتاب « العلمانية والإسلام » للدكتور البهي حال دون نشرها .

● **الأستاذ/عبدالعليم الزهرى - موجه سابق للغة العربية :**

الحقيقة أننا نهتم بالإسناد العلمي وتخريج الأحاديث النبوية ، أما باب « الإمام والخطيب » فهو متوقف - حالياً - لأسباب سبق إبداؤها .

● **القارئة/إيمان عبدالوهاب سالم - الطالبة المثالية بمعهد فتيات طنطا :**

عدم بيان مواقع الآيات القرآنية ، أو عدم ذكر مراجع الأحاديث النبوية يحول في مجلة الأزهر دون النشر .

● **القارىء/م. م. ع - من المنيا :**

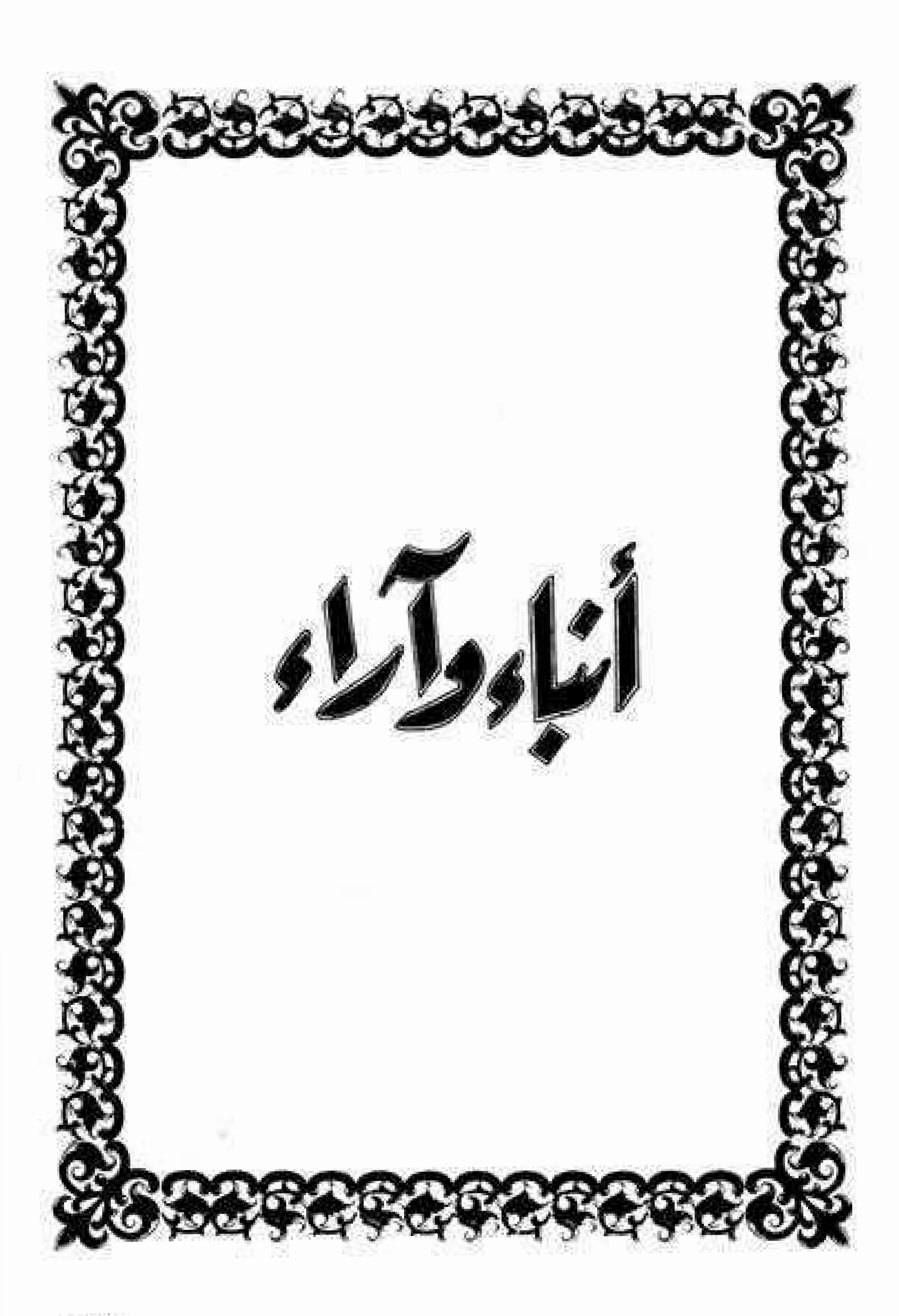
لا أحد من هؤلاء الأعلام الذين ذكرتهم ملحد ، أو متهم في عقيدته ، ثم إنهم أفضوا إلى ما قدموا ، ونسأل الله - تعالى - أن يجزيهم خير ما جازى به العلماء عن علمهم ، حتى القصيدة التي كفّر بها البعض « ابن سينا » لم يثبت النقاد أنها له ، ورأى البعض أنها منحولة باسمه .

● **القارىء/حاكم إبراهيم سراج .. من كفر سعد البلد - دمياط :**

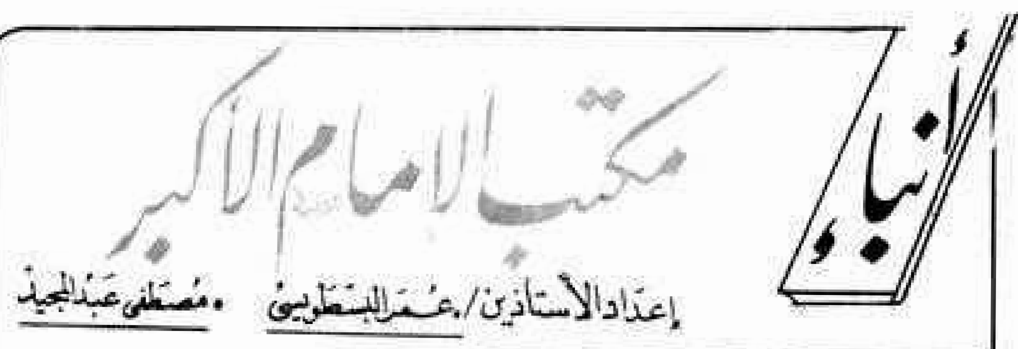
رجاء تحديد العدد الذي تشير إليه - بالضبط - حتى يمكن إجابة طلبكم ، مع ملاحظة أنكم خلطتم بين الصوفى الكبير جلال الدين الرومي ، والشاعر العباسي ابن الرومي ، فأيهما تقصدون ؟

● **القارىء/رمضان إبراهيم الأقرع - خطيب مسجد باخناواى طنطا :**

المجلة كشأن كل المجلات ، لا ترصد مكافأة لما ينشر في باب « المجلة والقارىء » على الرغم من أهميته وعمقه وإنما تقتبس فقرات قيمة غير أنها لا تأخذ شكل مقال .



أنباء وآراء



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

عالمان مصريان يشاركان في تحكيم مسابقة حفظ القرآن الكريم بتايلاند

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر على سفر كل من فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفي رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر.

وفضيلة الدكتور / أحمد عيسى حسن المعصراوي المدرس بكلية التربية جامعة الأزهر ، وعضو لجنة مراجعة المصحف الشريف إلى تايلاند ممثلين لمصر والأزهر في المسابقة الدولية السنوية الثامنة في حفظ القرآن الكريم بتايلانـد في المدة من ١٣ – ١٦ / ٩ / ١٩٩٤ .

فضيلة وكيل الأزهر يستقبل وزير التكنولوجيا السنغالي

استقبل فضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم السبت الموافق ١٠ / ٩ / ١٩٩٤ ، معالي السيد / ماجد ضيوف وزير التكنولوجيا السنغالي ، الذي زار القاهرة بدعوة من الأزهر الشريف ، لدراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، حيث قام الأزهر بتخصيص الأساتذة المتخصصين للقيام بمهمة التدريس للضيف الكبير ، واستغرقت الزيارة أسبوعين

وقد قام فضيلة وكيل الأزهر خلال اللقاء بتسليم الضيف رسالة من فضيلة الإمام الأكبر إلى فخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال .

كما قدم فضيلته للضيف مصحفا شريفا ، ومجموعة من الكتب الدينية والثقافية هدية من الأزهر الشريف بمناسبة انتهاء زيارته لمصر .

● قام فضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، يرافقه الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة بطنطا ، والدكتور القصبي زلط عميد كلية أصول الدين بطنطا بزيارة لدولة ماليزيا استغرقت أسبوعا ، قام خلالها فضيلة رئيس الجامعة بتوقيع اتفاقية لتنظيم التعاون بين جامعة الأزهر ، وولاية قدح الماليزية ، يتم بموجبها افتتاح الفرع الجديد للجامعة بالولاية ، يضم كليات أصول الدين واللغة العربية والشريعة والقانون ، وتتولى الجامعة الإشراف على هذا الفرع ، وإمداد هذه الكليات بأساتذة من جامعة الأزهر على نفقة ماليزيا .

يأتي هذا التوقيع على الاتفاقية تتويجا لجهود كبيرة ، وزيارات كبيرة قام بها مسئولون ماليزيون إلى جامعة الأزهر ؛ لتحقيق هذا الهدف .

جدير بالذكر أن سبق لجامعة الأزهر أن افتتحت فرعا لها بولاية ترنجانو بماليزيا .

الأزهر يحتفل بتكريم أوائل الشهادات الأزهرية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وبحضور فضيلة وكيل الأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية احتفل الأزهر الشريف بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر بتكريم ، أوائل الشهادات الأزهرية للعام الدراسى ٩٣ / ١٩٩٤ ، الثانوية والإعدادية والإبتدائية ، وشهادات معهد القراءات ، والمتفوقين فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والأدبية .

وقد بلغ عدد المكرمين ٨٢ طالبا وطالبة فى مختلف المراحل الدراسية .

كما تم تكريم ٣٩ معهدا أزهريا من المتميزين فى الأنشطة الطلابية .

وقد فازت منطقة المنصورة الأزهرية بالجائزة الأولى على مستوى الجمهورية .

بلغت قيمة الجوائز حوالى عشرين ألف جنيه إلى جانب شهادات التقدير والكئوس التى وزعت على المناطق .

منشآت جديدة بجامعة الأزهر

وافق فضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمحافظة قنا ، أسوة بما اتبع فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، والتى تم إنشاؤها منذ ثلاث سنوات .

وتقوم حاليا محافظة قنا باتخاذ الإجراءات الخاصة بتوفير وتخصيص قطعة لإقامة مبنى الكلية عليها ، والتبرع بثلاث عمارات سكنية كمدينة جامعية للبنات .

كما وافق فضيلة الدكتور رئيس الجامعة على افتتاح كلية الزراعة بفرع الجامعة بأسيوط لقبول أبناء الوجه القبلى .

وتقرر كذلك أن تبدأ الدراسة هذا العام بكلية الاقتصاد المنزلى للطالبات ، وتقبل الكلية ١٥٠ طالبة من شعبة العلمى بالثانوية الأزهرية .

بدأت المرحلة الثانية لإنشاء المستشفى التعليمى بطب الأزهر فرع البنين ، يقام المستشفى على مساحة ١٦ ألف متر مربع بتكلفة مالية تقدر بـ ١٧٠ مليون جنيه ، تخصص المستشفى لتعليم طلاب كلية الطب وعلاج أهالى مدينة نصر .

إعلان نتائج الدور الثانى للشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نتيجة امتحان الدور الثانى لشهادات معهد القراءات للعام الدراسى ٩٣ / ١٩٩٤ ، حيث جاءت على النحو التالى :

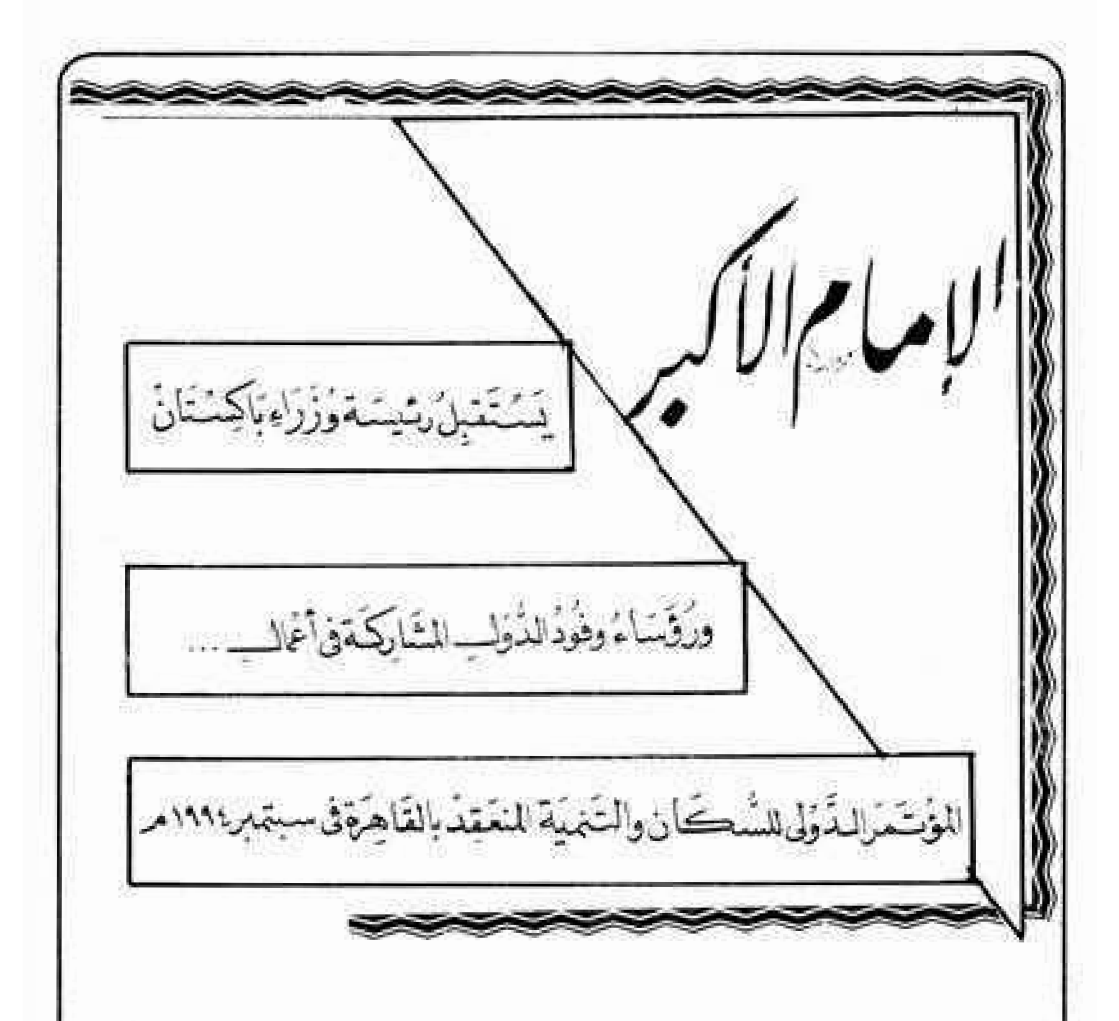
١ ـ عالية معهد القراءات : تقدم للامتحان ٢٧١ طالبا ، حضر الامتحان منهم ٢٥٣ ، وكانت نسبة النجاح ٧٠٪ .

٢ ـ إجازة التجويد : تقدم للامتحان ٨٧٦ طالبا ، حضر منهم ٧٥٠ طالبا ، وكانت نسبة النجاح ٧٢٪ .

٣ ـ شهادة التخصص : تقدم للامتحان ٧٦ طالبا ، حضر منهم ٧٠ طالبا ، وكانت نسبة النجاح ٦٢,٨٪ .

واعتمد فضيلته كذلك نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الثانوية الأزهرية ، حيث بلغت نسبة النجاح بقسميها العلمى والأدبى ٦٢٪ .

كما بلغت نسبة النجاح بدبلوم المعلمين ٨٨,٨٪ .



على مدى ثلاثة أيام متتالية عقد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عدة لقاءات هامة بالسادة رؤساء وفود الدول المشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى الثالث للسكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٥ ـ ١٣ سبتمبر ١٩٩٤ برئاسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك :

فالتقى فضيلته ، والسيدة/بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان ، والوفد المرافق لسيادتها ، وذلك بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٩٩٤/٩/٥ .

تناول اللقاء بحث أوجه التعاون الثقافى الإسلامى بين الأزهر الشريف ، ودولة باكستان فى مجالى التعليم ، والدعوة الإسلامية .

طلب سيادتها دعم البعثة الأزهرية فى باكستان ، وزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة

للطلبة الباكستانيين ، والاستفادة بخبرات الأزهر الشريف فى مجال مراجعة وإعداد المناهج الخاصة بالدراسات الإسلامية والعربية فى مراحل ما قبل التعليم الجامعى ، والدراسات العليا والماجستير .

وقد أعربت السيدة/ بينظير بوتو عن شكر وتقدير حكومة باكستان ، وشعبها للأزهر الشريف على الدور البارز الذى يضطلع به فى مجال التعليم ، ونشر الثقافة الإسلامية فى ربوع العالم ، وإتاحة الفرصة للطلاب الوافدين من أنحاء العالم ، لتلقى العلوم الإسلامية والعربية بالأزهر من خلال معاهده وجامعته ، وتقديم المنح الدراسية لكثير منهم ، وقد أشارت سيادتها فى هذا الصدد إلى الرغبة الأكيدة التى كانت لديها فى تلقى العلوم الدينية بالأزهر ، تلك الرغبة التى كانت موافقة لاتجاه والدها السيد ذو الفقار على بوتو رئيس باكستان الأسبق لإلحاقها بالأزهر ، إلا أن الظروف قد حالت دون تحقيق تلك الأمنية الغالية .

وقد وجهت السيدة/ بينظير بوتو الشكر لرئيس مصر والأزهر على إنشاء المعهد النموذجى الأزهرى فى إسلام آباد فى إطار الاتفاقية الثقافية المبرمة بين البلدين وأعربت عن رغبتها فى التوسع فى هذا المجال ، وذلك بإنشاء العديد من المعاهد النموذجية الأزهرية فى باكستان ، كما أعربت عن رغبتها ، ورغبة حكومتها فى انتظام رجال القضاء الشرعى فى باكستان فى الدورات التدريبية التى تعقد فى مصر

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة وتلبية كافة الطلبات التى تقدمت بها السيدة/ بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان .

وقد وجهت السيدة/ بينظير بوتو باسم حكومتها الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة باكستان معربة عن أملها فى أن تتم هذه الزيارة فى أقرب وقت ممكن ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة .

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر للسيدة/ بينظير بوتو هدية تذكارية ، ومصحفاً شريفاً ، ونسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية .

● كذلك التقى فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٤/٩/٦ ، والسيد هاريونوسو بوتو وزير الإسكان الأندونيسى رئيس وفد بلاده فى أعمال المؤتمر ، والوفد المرافق لسيادته .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية بين الأزهر وأندونيسيا ، وقد نقل الضيف والوفد المرافق لسيادته شكر وتقدير أندونيسيا حكومة وشعبا لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة للمسلمين فى شتى أنحاء العالم ، وبوجه خاص للمسلمين فى أندونيسيا .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء بالنهضة الشاملة التى تشهدها أندونيسيا حالياً من خلال خطط التنمية التى تتفق مع روح الشريعة الإسلامية ، وتعود نتائجها على رفاهية الفرد والمجتمع .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ظهر يوم الأربعاء ١٩٩٤/٩/٧ السيد/ إسماعيل شفيع وزير التخطيط المالديفى ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر ، حيث نقل سيادته لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تحيات فخامة الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف .

وقد تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر ، وجمهورية المالديف فى مجال التعليم والدعوة من خلال إمداد المعاهد العلمية هناك بالمناهج والكتب الدراسية ، وإيفاد الأساتذة المتخصصين دعماً للعملية التعليمية فى المالديف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر نفس اليوم السناتور/نيك بولكس وزير الهجرة والجنسية الاسترالى ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر الدولى للسكان ، وقد أعرب الضيف عن سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر مشيراً إلى اهتمامه البالغ بعقد هذا اللقاء منذ أن قدم إلى مصر لحضور المؤتمر .

تم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين الاجتماعية والدينية والاقتصادية فى استراليا ، مؤكداً أنهم يمارسون شعائرهم الدينية بحرية تامة وكاملة ، مشيراً إلى أن منهم شخصيات لها دور بارز فى المجتمع الاسترالى .

كما تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر ، ومسلمى استراليا البالغ عددهم مائة وسبعين ألف مسلم غير أسرهم .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمناقشة كافة المشكلات والعقبات التى قد تعترض المصريين فى استراليا بصفة خاصة ، والمسلمين بصفة عامة للعمل على حلها ، ومد يد المساعدة لإنهائها .

● ثم استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ/ عبد الحميد خبير نائب رئيس مجلس القضاء الإسلامى بجنوب إفريقيا ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون الثقافى ، ونشر تعاليم الإسلام بين مسلمى جنوب إفريقيا ، ودعم البعثات الدينية الموفدة إلى جنوب إفريقيا خاصة خلال شهر رمضان المعظم من كل عام ، وزيادة عدد المنح المخصصة للأئمة والدعاة من جنوب إفريقيا للاشتراك فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر على مدار العام .

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لتقديم كل عون لمسلمى جنوب إفريقيا .

● كذلك استقبل فضيلته السيدة/ نجمة هبة الله نائبة رئيس البرلمان الهندى ، ورئيسة وفد بلادها فى المؤتمر ، والوفد المرافق لسيادتها .

حيث أعربت سيادتها عن سعادتها البالغة لزيارة الأزهر الشريف منارة العلم والإسلام ، وصاحب الدور التاريخى فى النهوض بالتعليم الإسلامى واللغة العربية ، والحفاظ عليهما .

وقد تفضل الإمام الأكبر فشرح لسيادتها دور الأزهر الشريف فى نشر الثقافة الإسلامية فى جميع

أنحاء العالم من خلال إيفاد العلماء إلى البلاد الإسلامية للعمل فى مجال التعليم والدعوة الإسلامية ، وتخصيص المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة فى الأزهر وجامعته بمراحل الدراسة المختلفة ، وإمداد المدارس والمعاهد العلمية والجامعات الإسلامية فى الخارج بالأساتذة المتخصصين ، والمناهج الدراسية ، والكتب العلمية والدينية والثقافية .

وقد أعربت سيادتها عن رغبتها فى توثيق الصلة بين الأزهر الشريف ، والهند فى مجال الدعوة الإسلامية من خلال إيفاد وفد لدراسة احتياجات الهند فى هذا الشأن .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذا الطلب ، والعمل على تنفيذه من خلال قنوات الاتصال الرسمية بالعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية .

● كذلك التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٤/٩/٧ ، وفضيلة الشيخ محمد على تسخيرى كبير أئمة إيران ورئيس وفدها المشارك فى أعمال المؤتمر ، والوفد المرافق له .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه ، حيث نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات المسئولين فى إيران مشيراً إلى أنهم فى إيران ينظرون للأزهر ، ولشيخه نظرة احترام وتقدير ؛ لمواقفه القوية فى كل ما يهم المسلمين .

وأضاف قائلا : إن إصرار إيران على الحضور والمشاركة فى المؤتمر الدولى للسكان والتنمية إنما يأتى من إيمانها القوى بضرورة أن يعمل المسلمون سويا بروح التعاون للتصدى لكل ما يخالف شريعتهم مشيراً إلى أن المقاطعة لاتفيد ، بل تضر بمصالح الشعوب الإسلامية .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للضيف أن الأزهر قدم بيان مجمع البحوث الإسلامية الذى تناول رأى الأزهر فى كل ما جاء بمشروع الوثيقة المعروضة على المؤتمر مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

وقد قدم الضيف فى نهاية اللقاء الشكر لمصر والأزهر وشيخه على موقفهم الواضح الرافض للأفكار التى تخالف الشريعة الإسلامية ، وأعراف الشعوب المتمسكة بالشرائع السماوية .

● ● ●

هذا وقد تمت اللقاءات بمكتب فضيلة الإمام الأكبر بالأزهر الشريف ، وشهدها فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية بمكتب شيخ الأزهر ، ولفيف من قيادات الدعوة والمسئولين بالأزهر .

استقبال الإمام الأكبر لوفد جنوب إفريقيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته وفد المجلس الإسلامي لجنوب افريقيا برئاسة الدكتور/ رشيد محمود سالوجى وبصحبته السيد السفير إبراهيم صبرى وذلك فى تمام الساعة الواحدة ظهرا يوم الإثنين ١٨ يوليه ١٩٩٤ م .

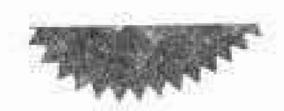
وقد دار الحوار حول شرح لوضع المسلمين الحالى فى جنوب إفريقيا بعد استقلال الدولة ودور المجلس الإسلامى هناك لتوحيد كلمة المسلمين ولتنسيق العمل فيما بينهم وبين المنظمات والجمعيات والهيئات الإسلامية فى البلاد .

ولعودة الحرية لجميع مواطنى جنوب إفريقيا يرون مد الجسور مع العالم الإسلامى وبخاصة هيئاته وجامعاته الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف المعروف بتاريخه العريق فى مجال العلوم العربية والشرعية وباعتدال منهجه فى الدعوة الإسلامية .

ورحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد وبمد جسور العلاقة مع الأزهر وأضاف أن الأزهر على استعداد دائم لمساندة ودعم الإسلام والمسلمين فى جنوب إفريقيا من النواحى العلمية والتعليمية لاسيما فى العلوم العربية والشرعية والمنح الدراسية والكتب العلمية والمنهجية وابتعاث العلماء والمدرسين، ووجه فضيلته النصيحة للقائمين على شئون المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا بأن يحافظوا على هويتهم الإسلامية وأن يكونوا دائما عند حسن ظن المسلمين هناك بهم فى السلوك والأخلاق وطلب العلم وأن تكون كلمتهم واحدة وأن يكونوا على قلب رجل واحد ليتمكنوا من الحصول على كافة حقوقهم الشرعية والسياسية فى البلاد فى ظل الأوضاع الجديدة بعد الاستقلال .

هذا وقد شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على توجيه مثل هذه النصائح ووعد سيادته بأن يأخذوا على عاتقهم العمل بها .

وقام أعضاء الوفد بعد لقاء فضيلة شيخ الأزهر بلقاء المسئولين فى الأزهر وجامعة الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقد تم بحث ودراسة أوضاع المسلمين واحتياجاتهم من المساعدات التعليمية والدينية .



رئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا

فى حوار صحفى :

مشاركة المسلمين فى النضال والتحرير قاومت العنصرية بجنوب إفريقيا

مهمتنا إزالة التمييز العنصرى من قلوب جميع مواطنى جنوب إفريقيا

انتهز الأستاذ سيد أبودومة فرصة قدوم وفد المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا هذا الوفد الكبير الذى يمثل عشرات المنظمات والجمعيات والهيئات الإسلامية فى جنوب إفريقيا ، وأجرى حواراً صحفيا مع الدكتور رشيد محمود سالوجى رئيس المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا ورئيس الوفد

كان السؤال الأول :

كيف كانت أوضاع المسلمين فى جنوب افريقيا فى ظل الدولة العنصرية السابقة ، وما الأوضاع الآن ، وما المكاسب التى استطاع المسلمون التوصل إليها بعد الاستقلال ؟

جواب : كانت الأوضاع عامة فى غاية السوء قبل الاستقلال ، وفى ظل السياسة العنصرية التى كانت سائدة ؛ فقد كانت هناك تفرقة عنصرية حتى بين أوساط المسلمين أنفسهم فالمسلمون الهنود لهم مناطق يعيشون فيها ، والمسلمون الأفارقة السود لهم مناطق أخرى ، والمسلمون البيض لهم أماكن ثالثة وهكذا ، وكانت تؤخذ أراضيهم وتصادر لصالح الحكومة ليضعوهم فى أماكن خاصة أخرى . كما أن التفرقة العنصرية البغيضة كانت تجعل لكل فئة من فئات الشعب عامة مدارس خاصة لهم ، ومساكن وأماكن معيشة وعمل وهكذا .

وقد شارك المسلمون مشاركة فعالة فى حركات النضال والتحرير ومقاومة العنصرية والتصدى لها بكافة السبل والوسائل مما أكسبهم احترام الجميع ، وجعل لهم وضعاً متميزا فى السلوك والتصرف والوطنية وبعد الاستقلال

ترجم الحوار : أحمد عبدالخالق

يستطيع المسلمون أن تنشر المجلات أكثر باستخدام العربية الإسلامية

استطاع المسلمون أن يقاربوا بين صفوفهم ، وأصبحت لهم إسهامات كبيرة فى شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وعادت للمسلمين حريتهم الدينية فى ممارسة شعائرهم وبناء مدارسهم ومساجدهم ، كما أنهم أقبلوا على مد جسور العلاقة فيما بينهم وبين العالم الإسلامى الخارجى هذه هى الأوضاع بإيجاز قبل وبعد الاستقلال وهذه هى المكاسب التى تمثلت فى الحرية عامة .

ماهى جهود المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا بعد الاستقلال فى ظل قيادتكم له فى المرحلة الحالية والمستقبلية ؟

إن المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا عليه دور حساس يتمثل فى تشجيع واستنفار كافة همم المسلمين فى جنوب إفريقيا للقيام بدورهم الكامل والاشتراك فى كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأن تكون لهم كلمتهم الواحدة وذاتيتهم القوية فى كافة الأمور فى البلاد وذلك من خلال أعمالهم وأفعالهم وليس أقوالهم فحسب ، وأن يسهموا فى إزالة التمييز العنصرى وصور الاضطهاد والاستغلال من قلوب وعقول جميع مواطنى جنوب إفريقيا بما فيهم المسلمين .

هل لديكم خلافــات مذهبيـــة ، وإن وجدت : فما وسائل التغلب عليها ؟

يتبع حاليا مسلمو جنوب إفريقيا المذهب الشافعى والمذهب الحنفى وهذا الأمر لا يتسبب فى خلق جو من الخلافات الشديدة فكل طرف يحترم الآخر ، ولكى يتم بناء إطار عمل موحد لإيجاد قانون الأحوال الشخصية لمسلمى جنوب إفريقيا كان على أتباع كل من المذهبين أن يتفقوا فيما بينهم على مخاطبة مجالس كبار العلماء للتعرف على احتياجات المجتمع الإسلامى ، ومن خلال تبادل وجهات النظر والمشورة يمكن الاتفاق على ورقة عمل واحدة فى هذا الشأن .

أما طائفة القاديانية والأحمدية وهى قلة فى البلاد فنحن نعتبرها خارجة عن تصنيف جماعة المسلمين كما أننا نعتبرها غير مسلمة .

ما أهم القضايا الإسلامية التى تشغل بالكم فى المرحلة الحالية ، وكيفية حلها ؟

أهم القضايا الإسلامية الحالية هى فى العمل على سرعة إعادة الجسور وإنهاء حالة التمزق والتفرق الموجودة بين المسلمين فى جنوب إفريقيا ، وأن نجعل منهم أمة واحدة إيجابية لها دورها فى تطوير وتنمية الحياة فى البلاد فى ظل الأوضاع الجديدة بعد الاستقلال ، وأن يشاركوا فى المجالس النيابية والدستورية فى البلاد ، وأن تتسم أعمالهم وسلوكهم بروح التسامح والتفاهم ، وأن يكون للشخصية الإسلامية ذاتيتها من خلال إعطاء المثل والقدوة للسلوك الإسلامى القويم . كذلك علينا أيضا أن نسارع فى مد جسور علاقاتنا كمسلمين بالعالم الإسلامى من حولنا من أجل وضع أفضل ، وتحسين حال المسلمين هنا من النواحى التعليمية

أهم قضايانا: إنهاء حالة التمزق وربطنا كمسلمين بالعالم الإسلامى

والصحية والتحسين كذلك فى مجال الدعوة الإسلامية الصحيحة.

هل تتابعون قضايا العالم الإسلامى خارج بلادكم ؟ وما رأيكم فيها ؟

نعم ، فنحن حقيقة نتابع قضايا العالم الإسلامى بقدر ما هو متاح ، ونعلم تماما بالإصدارات والبيانات التى تفرق بين المسلمين ، وأن هدف المجتمع الغربى هو المزيد من تفريق المسلمين ، وتحطيم الإسلام بوجه عام ، وعلينا أن نبحث عن حقوقنا ونعمل على إيجاد مجتمع يتعايش فيه الجميع فى سلام كما أنه أصبح لزاما علينا أن نعمل على احترام أنفسنا وجعل الآخرين يحترموننا من حولنا ، وأن نوحد كلمتنا كأمة إسلامية لنصرة قضايا المسلمين فى كل مكان وأن نبذل جهودنا للتخلص من صور العنف داخل المجتمعات الإسلامية حتى لا يغشانا أحد أو يبالغ فى تصوير الأوضاع فى العالم الإسلامى مما يسىء للإسلام ، وقضايا المسلمين فى الداخل والخارج.

هل لديكم تصورات لما يجب أن يكون عليه الفكر الإسلامى فى المرحلة القادمة فى ظل التحولات الدولية وطبيعة هذه المرحلة فى ضوء صور التقدم العلمى الرهيب فى العالم ، والغزو الفكرى الذى يجتاح عالم الإسلام ، ويستهدف عقل وهوية الشباب المسلم ؟

يجب على العالم الإسلامى أن يواجه تحديات التكنولوجيا الحديثة وصور التقدم العلمى الرهيب بأن يعمل على إزالة الحواجز والمعوقات والرواسب المتخلفة عن الاستعمار والاحتلال والاستغلال للعالم الإسلامى .. والإسلام يأمرنا بالتقدم والمرونة وبأن نستزيد من العلم ، وأن نعلم أنفسنا ونستفيد من علوم الآخرين ، وأن تكون لنا رؤية واضحة للتقدم ، وأن نكون دائما على استعداد للأخذ بما وصل إليه التقدم العلمى والتكنولوجى ، وأن نسترشد دائما بما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة لنستطيع مسايرة العالم المتقدم وأن نقف على قدم المساواة مع الآخرين فى شتى العلوم الحديثة التى تجعلنا مستقلين غير تابعين لغيرنا كما أن علينا أن نحقق فيما بيننا تبادل الأفكار العلمية والآراء والمعارف المختلفة ، وأن نشارك بالاقتراحات حتى يأتى كل ذلك بثماره ..

هناك حملة شرسة على الإسلام فى العالم الغربى ، واتهامه بأنه دين تطرف وعنف وإرهاب وأنه دين غير حضارى .. كيف تردون عليها ؟

نحن نقف بكل الطاقة والقوة المتاحة لنا فى جانب مبادىء الدين الإسلامى السامية .. والهجوم الحالى على الدين الإسلامى - بكل الوسائل - يهدف إلى تحطيم قوة المسلمين ، وإضعاف الإيمان والعقيدة لدينا .. ونحن نعلم تماما أن الطائفية والانقسام فى العقيدة يوجد فى العالم النصرانى وهم يريدون أن يصدروا إلينا هذه الطائفية .. وعلينا أن نعمل على تحقيق استراتيجيتنا كأمة واحدة ، وأن نسعى لتحقيق وحدة هذه الأمة ، ولا يجب أن نترك لعملية زرع التفرقة التى يسعى إليها الآخرون - أن تأخذ دورها أو وضعها فيما بيننا ؛ بل علينا أن نعمل على حل المشاكل المشتركة التى أحدثتها دعاية الغرب المغرضة التى تهدف إلى التأثير على العالم

مسئولية النظام الاجتماعى الإسلامى تكمن فى استعادة كل الحقوق

الإسلامى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفى الوقت الذى نرى فيه الانحدار الأخلاقى متفشيا فى العالم الغربى والذى ينعكس فى ذات الوقت سلوكا غير حضارى ، فإننا نرى أنه ليس لدينا كمسلمين ما نخجل منه ، أو يجلب لنا عارا بل على العكس فإن مسئولية النظام الاجتماعى الإسلامى تكمن فى استعادة كافة حقوق الفرد والأسرة والمجتمع الإنسانى ككل ، والعمل على الارتقاء بها ، وعليه مرة أخرى أقول : إنه ليس لدينا ما يشيننا ، أو يعطى الآخرين الفرصة للهجوم على الإسلام ، وأن يدّعوا باطلا بأنه دين غير متحضر .

مطلوب من الأزهر تأهيلنا لمواجهة تحدى النظام العالمى الجديد

كيف تنظرون إلى الأزهر وما المطلوب من الأزهر الآن ؟

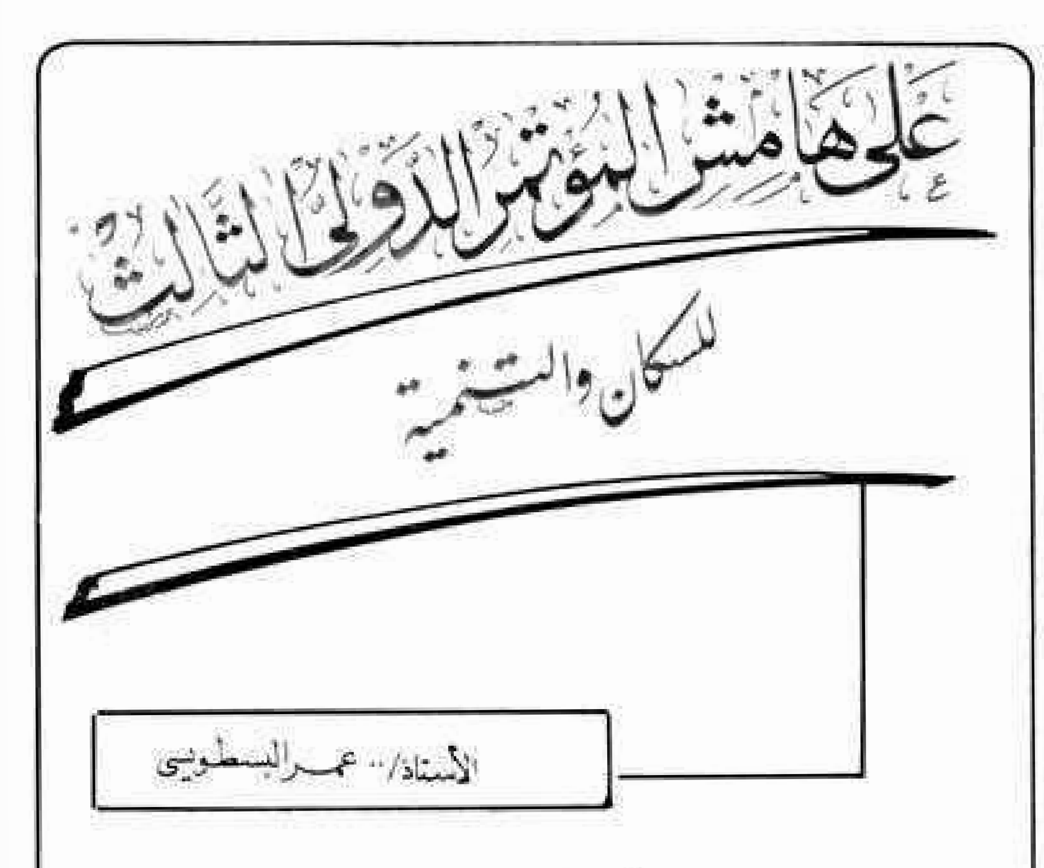
نحن نعلم تماما أن الأزهر كان مؤسسة دينية أخرى يقف بثبات فى جانب العدالة الاجتماعية ، والمساواة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، وأنه يعمل على إرشاد الناس للحق ويحمى المجتمع من الضلال والتطرف ، وبالنسبة لجنوب إفريقيا ، فإن الأزهر لابد وأن يساعد جماعة المسلمين هناك حيث إنهم فى أمس الحاجة للأخذ بأيديهم فى النواحى العلمية والتعليمية ، وتصحيح كافة مفاهيم الدين لديهم ، وأن يعدنا هناك لنكون مؤهلين لمواجهة تحديات النظام العالمى الجديد ، وأن يساعد المسلمين فى التشاور والتفاهم المتبادل مع الآخرين من أجل إيجاد روح التسامح والارتقاء بمفهوم الإسلام عامة أمام العالم أجمع .

ما طبيعة علاقتكم بالعالم الإسلامى ؟

لقد كنا نعيش فى عزلة فى ظل سياسة التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا لزمن طويل وهذه العزلة أبعدتنا كثيرا عن العالم الإسلامى من حولنا ، وهدفنا الآن هو إيجاد علاقات طيبة مع كافة شعوب العالم الإسلامى ، ونحن لا نريد أن ننحاز أو نقف فى صف أية قوى لنصرتها ضد غيرها إلا إذا كانت هناك ممارسات مضادة للدين الإسلامى عند ذلك يصبح لزاما علينا أن نظهر استياءنا ، وأن ننظم جهودنا لجعل الهيئات والسلطات المختصة تقوم بدورها للضغط على من ينتهك حرمة الدين . ولكى تعود الأمور إلى طبيعتها بما يتفق مع قواعد ونظم الإسلام ، كذلك أننا نرحب بأية مساعدات أو إرشادات إسلامية بعيدة عن أية ضغوط أو تأثيرات علينا ، فنحن نفضل أن يكون ذلك عن طريق التشاور والتفاهم المتبادل لا عن طريق الاتكالية والاعتماد على الآخرين .

ما السؤال الذى كان يجب أن أطرحه عليكم ولم أطرحه ؟

لقد سألت أسئلة فى غاية الأهمية ، وفى كافة الأمور ، ولا يمكننى الآن التفكير فى سؤال خاص لم يتم طرحه ، ولكن يمكننى أن أقول : أن ذلك ربما يكون متاحا من خلال مزيد من التشاور فى المستقبل .



افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك صباح يوم الإثنين الموافق ٥ / ٩ / ١٩٩٤ أعمال المؤتمر الدولى الثالث للسكان والتنمية الذى عقد تحت رئاسة سيادته بقاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر - القاهرة.

شهد الجلسة الافتتاحية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء ورئيسا مجلس الشعب والشورى والسادة نواب رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد كبير من العلماء والمفكرين والشخصيات العامة.

ومن خارج مصر شهدها كثير فى مقدمتهم السيدة رئيسة وزراء باكستان وعدد كبير من قادة زعماء العالم رؤساء وفود بلادهم فى المؤتمر.

وقد ألقى الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة مصر أمام المؤتمر أعرب سيادته فى بدايتها عن أمله فى أن يكون انعقاد المؤتمر على أرض مصر نقطة تحول هامة تضع فى اعتبارها وحدة المصير البشرى فوق هذا الكوكب مشيراً إلى أن دول العالم جميعاً شركاء مصير فى مواجهة التحديات التى تزداد عنفاً وضراوة فى كل أنحاء الأرض.

وأكد الرئيس مبارك على رؤيته ـ لمهمة هذا المؤتمر والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها ـ في عدد من النقاط الأساسية وهي :

أولا : أن مهمة المؤتمر في هذا المنعطف التاريخي الهام أن يتجاوب مع الآمال التي تعلقها شعوب العالم على انعقاده وأن ينجز رؤية إنسانية مشتركة وأن نقطة البدء الصحيحة في صياغة هذه الرؤية التسليم بأن نتائج المؤتمر وتوصياته يجب أن تكون محصلة لما يدور فيه من نقاش وحوار حر مفتوح للتوصل إلى قاسم مشترك بين الرؤى المتعددة كي تجيء توصيات المؤتمر إنعكاساً لمصالح الجماعة الإنسانية .

ثانياً : أن الوصول إلى هذا القاسم الإنساني المشترك يقتضي حواراً تحكمه روح التضامن والإحساس بالمسئولية المشتركة والانفتاح على آراء الآخرين حتى يكون العطاء متبادلاً ولا يقع الحوار فريسة لاستقطاب حاد بين الشمال والجنوب وبين الدول المتقدمة والدول النامية .

ثالثاً : الاعتقاد الراسخ بأنه لا تناقض بين الدين والعلم أو الروح والمادة ولا تناقض بين متطلبات التحديث وضرورات الأصالة ، لأنه لابد للإنسان من الاشباع المتوازن لحاجاته الروحية والمادية .

رابعاً : أن أية توصيات تصدر عن هذا المؤتمر سوف يتم توظيفها لصالح كل مجتمع وفقاً لظروفه الخاصة ومعتقداته الأساسية ومتفقة مع قيمه الدينية .

خامساً : سيكون من المفيد ألا ننظر إلى مؤتمر القاهرة وكأنه حدث قائم بذاته بل ينبغي أن يوضع في نطاق الجهود والمؤتمرات الدولية المتعددة في إطار واحد ، لأن مشاكل كوكبنا متشابكة ومعقدة تتطلب وجود رؤية متكاملة ومتطورة تساعد على ابتكار وإنجاز حلول صحيحة .

حرص الرئيس حسني مبارك خلال خطابه على أن يؤكد حرص مصر على الحفاظ على المبادىء الإسلامية .

كما أكد سيادته في كثير من الأحاديث التي أدلى بها للصحف العربية والعالمية قبل وأثناء المؤتمر على أن مصلحة الأمة الإسلامية أن يحضر ممثلوها المؤتمر وأن يقفوا ضد أي تفسير مخالف للدين والشريعة ، وبذلك تكون الأمة الإسلامية قوة كبيرة تستطيع أن تقول : (لا) هذا مخالف للدين ولا يمكن القبول به ، وأن يسمع هذا الموقف الرأي العام العالمي .

وأشار الرئيس إلى أن هذا المؤتمر فرصة لأن نقف ونشرح ما تقوله الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم ، ونثبت للعالم بأن المسلمين ليسوا إرهابيين وأن دينهم قدوة ، وأنه دين تسامح ومحبة وحرية .

كذلك أكد سيادته في حديث أدلى به لصحيفة (مايو) عقب انتهاء المؤتمر على أنه من المستحيل أن توقع مصر أو توافق على شيء مخالف للشريعة الإسلامية وهي عاصمة الأزهر الشريف .

وقد أكد جميع رؤساء وفود الدول الإسلامية على أن حضورهم إلى المؤتمر إنما يأتى من إيمانهم بأن المقاطعة لن تجدى ولن تفيد ، وأن الفائدة الكبرى فى الحضور والمناقشة وإبداء الرأى ورفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية حتى يسمع ويعرف العالم كله رأى الإسلام فى القضايا المطروحة ، وأن المسلمين يواجهون بكل حسم أى موقف يتعارض مع شريعتهم وقيمهم الإسلامية .

وقد كانت كلمة السيدة « بنظير بوتو » رئيسة وزراء باكستان من أقوى الكلمات التى ألقيت فى المؤتمر حيث أكدت فيها :

« أنها جاءت بصفتها امرأة وأماً وزوجة .

وبصفتها القائد المنتخب بالديمقراطية لأحد البلدان الإسلامية الكبرى وهى جمهورية باكستان الإسلامية الكبرى .

« وبصفتها قائداً لواحدة من أكبر التجمعات البشرية فى العالم .

وأنها جاءت لتعبر عن تقاليد وعادات الشعب الباكستانى المسلم الذى يعد من أكبر التجمعات البشرية فى العالم مشيرة إلى أن العالم يمر بمنعطف تاريخى هام مؤكدة على أن القرارات التى سوف تصدر عن هذا المؤتمر ستؤثر على مستقبل البشرية بصفة عامة ، والمطروح علينا فى هذا المؤتمر هو بذل الجهود من أجل رفاهيتنا سواء كانت لدينا الإرادة أم نفتقر إليها ، وأعتقد أننا لدينا القدرة لكن علينا بذل الجهد . فنحن جميعاً نقف إلى جانب الخير .

وقالت : لن أسمح بمخالفة عاداتنا وتقاليدنا ويجب أن نعبر عن رفضنا لما يخالف شرائع ديننا السماوى العظيم » .

هذا ، وقد وضعت مصر خطوطاً عامة رئيسية لتحركها داخل المؤتمر ، وانطلاقا منها تحرك الوفد المصرى بين وفود العالم حيث بدأ العمل على توحيد المجموعة العربية والإسلامية مع التركيز على الموضوعات الخلافية من خلال وضع مظلة رئيسية على الفصل الثانى الخاص بالمبادىء التى تحكم الوثيقة حيث تنص المظلة على أن تنفيذ جميع توصيات المؤتمر يجب أن تراعى القوانين الوطنية وحق سيادة الدولة فى تنفيذ السياسات السكانية مع مراعاة القيم الدينية والحضارية والتقاليد المتبعة .

وقد أكد السيد وزير الخارجية على أن الدور الذى لعبه الوفد المصرى خلال المؤتمر فى كل ما تم الاتفاق عليه أو تفاوض فى شأنه كان فى إطار الدين والقيم والدستور والقانون .

وقد أعلن السادة رؤساء الوفود العربية والإسلامية فى ختام المؤتمر أن مصر ستظل رائدة وحصناً منيعاً فى الدفاع عن كل القيم الإسلامية والأخلاق الرفيعة مؤكدة على أن موقف مصر ساهم فى تغيير (البنود) التى كانت تتعارض مع القيم الإسلامية ،وفى هذا الصدد أكد (حجة الإسلام تسخيرى) ممثل إيران على أن التنسيق الذى تم بين الدول العربية والإسلامية كان إيجابيا مشيراً إلى أن مجموعة الدول العربية والإسلامية بذلت جهداً كبيراً فى إقرار التعديلات التى توصلت إليها .

وفى ختام أعمال المؤتمر ألقى السيد عمرو موسى وزير الخارجية بيانه الذى أكد فيه على أنها سوف تتعامل مع الوثيقة فى إطار مبادىء الفصلين الأول والثانى وهى المبادىء التى أكدت على الاحترام الكامل لحقوق الإنسان وحقوق السيادة الوطنية والقيم الدينية والأخلاقية مشيراً إلى أن هذا المبدأ الهام فى الوثيقة ينفذ فى إطار سيادة الدولة والدين والأخلاق ، وهذا ما نجحت مصر فى إدخاله فى الوثيقة وهو ما يحكم تنفيذ فقراتها .

ولقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات كان من أبرزها :

● المطالبة بحظر الممارسات المهينة للمرأة مثل إجبارها على ممارسة البغاء وإعطاء عناية قصوى لبعض الفئات التى تتعرض لذلك مثل المهاجرات وخادمات المنازل وطالبات المدارس ، وحث جميع الدول على إدانة جرائم الاغتصاب وتقديم الرعاية لضحاياه ورد اعتبارهن .

● التأكيد على أن صياغة السياسات السكانية وتنفيذها حق سيادى تتمتع به كل الدول فينبغى أن يتمشى هذا الحق مع قوانينها الوطنية وأن يكون متطابقاً مع معايير حقوق الإنسان الدولية .

● المطالبة بمواصلة المجتمع الدولى لتشجيع قيام نظام تجارى دولى مفتوح ومنصف وآمن وخال من التمييز مع التأكيد على ضرورة تشجيع الاستثمارات ، وتخفيض أعباء الديون ، وتوفير موارد جديدة وإضافية وتقديمها بشروط ميسرة للدول النامية ، وقد أكدت كل الوفود العربية والإسلامية المشاركة فى المؤتمر أن مصر سوف تظل دائماً فى صدارة العالم الإسلامى ، وأنها ستظل رائدة وحصناً منيعاً فى الدفاع عن كل القيم الإسلامية والأخلاق الرفيعة ، وموقف مصر ساهم فى تغيير البنود التى كانت تتعارض مع القيم الإسلامية وقد بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة نجاح المؤتمر بفضل القيادة الحازمة والرعاية الواعية التى ارتفعت بالدين والدولة إلى القمة واحتفظت لمصر وللعالم الإسلامى بالعقيدة والشريعة عالية الراية جامعة للأمة على كلمة سواء .

وأشار فضيلته إلى أن كلمة الختام كانت بالغة الأهمية أعلت سيادة الدولة بما رتبت من نتائج قويمة ومبادئ تهدى ولا تضل واضحة مبرأة من الشك والريبة قاطعة حاسمة لا مجال فيها للتأويل حيث أعلت سيادة الدولة ؛ بل والدول جميعاً بما حوته من مبادئ قيمة .

كما بعث فضيلته برقية مماثلة للسيد عمرو موسى وزير الخارجية على ما بذله هو ومعاونوه من جهد أعلى كلمة الدين والدولة واحتفظ بالعقيدة والشريعة مظلة واقية للأمة الإسلامية . تنمى فى ظلها مجتمعاتها وتستمد منها أخلاقياتها وسلوكياتها دون أن يفرض عليها ما تأباه تقاليدها التى اكتسبتها من دينها . وفقكم الله وأعزكم بالإسلام دينا ، وبمصر وطنا ينمو فيه الخير ويزكو حتى يزداد الأمن والأمل فى مصر .

L'imam Ahmed a expliqué les questions, sujets de doutes : comme suit : "si on peut on manger le cheval ou pas ? boire le vin ou pas ?", il a ajouté que le licite et l'illicite s'entremêlent en ce qui concerne le contact avec celui qui possède "des biens illicites." L'illusion ne peut être jamais une cause d'interdiction par excemple : "celui qui cherche une épouse dans un autre pays craignant que dans son pays l'épouse soit propre soeur. le prophète (b.s.) qui ne mange pas une datte qui se trouve sur ses genoux craignant qu'elle soit une dotte d'aumône. C'est une leçon très claire pour les musulmans.

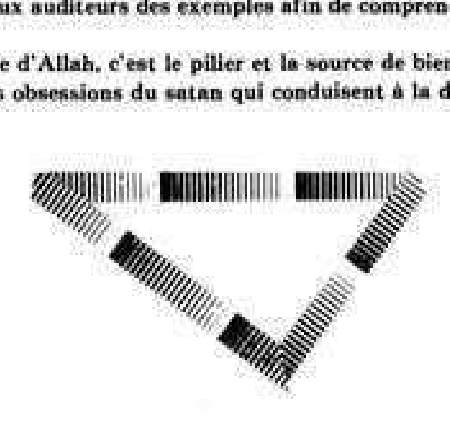
Par conséquent, celui qui redoute de commettre des actes sujet de doutes protège ainsi sa foi et son honneur et évite ainsi la torture du Jour de réssurection, mais celui qui commet ces actes tombe dans l'interdit. Ces interdictions sont : le voil, l'adultère, la diffamation, l'alcool, le mensonge, la médisance la calomnie, et l'intérêt usuraire. Allah nous montre Ses droits pour que Ses serviteurs ne les transgressent point et ne tombent pas dans la damnation.

On remarque ensuite que le coeur maîtrise tout : il conduit la personne vers la bonne voie, vers l'éternité, il méritera ainsi une meilleure vie aux cieux et sur la terre. Allah tout Puissant a dit : "Nous ressusciterons pour une vie excellente tout croyant, homme ou femme, qui fait le bien. Nous leur donnerons leur récompense en fonction de leurs meilleures actions." "Sourate les Abeilles, sens du verset 97."

Ce hadith est très important car le messager d'Allah a insisté sur la nécessité de choisir le licite dans la nourriture, des vêtements des boissons et souligne l'importance du coeur pour tout le monde, c'est le chef, le maître, s'il est pur, tout le corps sera sain par contre si il est corrumpu, tout le corps le sera.

Allah nous dirige vers la bonne voie. On en déduit ce qui suit :

— Encourager les actes licites et prohiber les actes illicites.
— Eviter les actes sujets de doute pour protéger la foi et la religion.
— Attacher de l'importance au coeur.
— Donner aux auditeurs des exemples afin de comprendre le sens pratique et légitime.
— La crainte d'Allah, c'est le pilier et la source de biens.
— Eviter les obsessions du satan qui conduisent à la damnation.





La licite et l'illicite

par Nahla Mohamed Ali

No'mân-Ebn Bâchir qu'Allah soit satisfait de lui rapporte qu'il a entendu le messager d'Allah à lui bénédiction et salut dire : "Ce qui est licite est évident et ce qui est illicite est évident, entre les deux a il y a des questions douteuses que la majorité des gens ignorent. Celui qui évite les affaires douteuses protège sa foi et son honneur, mais celui que commet des actes douteuses tombe dans l'interdit, c'est comme le berger qui laisse paitre ses bêtes aux confins privés au risque d'y tomber. N'est-il pas vrai que chaque seigneur a ses propriétés et que les interdits sont les propriétés d'Allah sur Sa terre ? Dans le corps de l'homme il y a un organe lorsqu'il est sain, tout le corps se porte bien, et mais s'il est corrompu tout le corps le sera. Cet organe est le coeur ...

Explication du Hadith

Allah tout Puissant a prescrit des actes canoniques approuvés par les juriconsultes, ces actes sont licites mais Il a prohibé d'autres actes qui sont illcites... Allah a passé d'autres actes qui sont illicites .. Allah a passé sous silence des questions sujets de doutes sur lesquels les juriconsultes ne se sont pas mis d'accord. Le prophète (à lui bénédiction et salut) a dit : "Allah qu'Il soit exalté a prescrit des obligations canoniques ne les négligez pas, et Il a fixé des limites ne les dépassez point, Il a prohibé des choses ne les violez pas. Il a passé sous silence d'autres choses par miséricorde, non par oublie, ne cherchez pas à les connaître." Allah a montré la différence entre le mal et le bien et ceux qui sont pour ou-contre son intérêt. Allah tout Puissant a dit : "Je ne trouve pas d'interdictions au sujet de la nourriture, dans-ce qui m'a été révélé, à part la bête morte, le sang versé et la viande de porc car c'est une chose impure et ce qui, par perversité, a été sacrifié à un autre qu'Allah. Sour. "Les troupeaux le sens du verset 145. Un des compagnons du prophète (à lui bénédiction et salut) lui a demandé : "qu'est-ce que le vice ? il lui a répondu en soulignant ce qui distingue la vertu du vice, selon le prophète (à lui bénédiction et salut) : "La vertu c'est tout-ce qui rend l'âme tranquille et rassure le coeur; le vice-c'est ce qui te trouble l'âme et qui fait hésiter ton coeur malgré toutes les opinions légales favorables donnés par les gens. Si certains animaux domestiques comme le chat réalise par instinct la différence entre ce qui est permis à l'interdit, donc l'être humain doit-être plus apte à distinguer cette différence. Allah tout Puissant la doué de la raison, de la clairvoyance et de la pensée. Il lui a envoyé des messagers pour le mettre sur la bonne voie.

Il convient qu'il existe des questions qui sont sujet de doutes et que la majorité des êtres humains l'ignorent.

Donc ce que la chari'a a reconnu comme licites ce sont : la parole, la marche, le pain les fruits et d'autres. Les prohibitions sont : l'ivresse, l'alcool.



Quand Abu Talha arriva, il a demanda où est l'enfant; à quoi elle répondit : son âme est en état de repos "Puis elle lui présenta le dîner il mangea et bu. Puis elle se para pour lui plaire. Quand elle vit qu'il était rassasié, elle lui dit "Abou Talha, si des gens ont prêté quelque chose à d'autres et qu'ils veulent reprendre aprés cela ce qu'ils ont prêté est-ce les premiers ont le droit de refuser ? Non dit-il. Alors elle lui répondit "c'est le même cas pour ton fils". Il se mit en colère, puis il dit : tu m'a laissé faire tout cela et puis tu me racontes que mon fils est mort, qu'il alla chez le prophète (b.s.) et lui raconte ce qui s'était passé. Le prophète lui répondit : "qu'Allah bénisse votre nuit." Om Salim tomba enceinte. De cela on peut conclure que :

1. C'est une invitation à affronter les malleurs par la patience pour obtenir la rétribution d'Allah.
2. Le vrai croyant peut passer par des épreuves difficiles qui exient la patience.
3. La récompense de la patience sera au cours de la vie terrestre et dams la vie future.
4. Allah a promis aux hommes patients d'affacer leurs péchés.
5. Il faut avec patience accepter la volonte d'Allah et accepter son destin.

Il doit donc verser l'aumône légale de bon coeur en ayant l'âme sereine et satisfaite; ce qui exige encore de la patience.

Le pélerinage est un culte qui pousse le croyant à dépenser son argent, à quitter son pays et sa famille. De même il affronte beaucoup de difficultés au cours de son voyage; ce qui met en évidence que le culte d'Allah exige le Patience.

Il faut rappeler que notre prophète (b.s;) était le modèle même du croyant patient dans la pratique du culte. Aicha (qu'Allah soit satisfait d'elle) a dit que le proppète (b.s) se réveillait le soir pour prier et qu'il priait tant que ses pieds se fendillaient et saignaient. Quand elle lui demanda:" Pourquoi O Messager d'Allah fais-tu cela; alors que tu sais qu'Allah t'a pardonné tes péchés présents et passés? Il répondit "Ne dois-je pas pour cela être un serviteur reconnaissant ?" Allah nous recommande la patience pour affronter les difficultés. (Nous vous éprouvons pas un peu de crainte, de faim; par des pertes légères de biens, d'honneur ou de récoltes) sens du verset 155. "Annonce la bonne nouvelle à coeur qui sont patients, à ceux qui disent lorsqu'un malheur les atteint "Nous sommes à Allah et nous retournons à Lui (sens du verset 156). Voilà ceux sur lequels descendent des bénédictions et une miséricorde de leur Seigneur. Ils sont bien dirigés (157) Sourate "La Vache" le sens du verset 155 à 157.

Il faut aussi que le croyant soit toujours patient même devant les gens qui ne partagent pas son culte, sa religion, ses opinions. Notre prophète (b.s.) nous a donné le meilleur exemple : il a supporté les préjudices causés par les incroyants et les juifs. Ils ont tenté de tuer à plusieurs reprises; non seulement il les a supportés, mais encore; il a essayé de les diriger vers le droit chemin, ce qui a poussé Abdallah Ebn Massoud (qu'Allah soit satisfait de lui) à dire "Je crois encore voir le prophète (b.s.) alors qu'il raconte; qu'un des prophètes fut frappé par sa nation, alors il a essuyé le sang de sa fatigure en disant : "O Allah, dirige ma nation vers le droit chemin car ils ne savent pas."

Nous avons aussi besoin de patience au moment des catastrophes : il faut aussi prier pour obtenir l'assistance d'Allah, et pour qu'Allah soit satisfait de nous et tranquillise nos coeurs, car Allah est toujours avec les gens patients. (O vous qui croyez ! Demandez l'aide de la patience et de la prière, Allah est avec ceux qui sont patients) Sourate "La Vache", le sens du verset 193.

La maladie purifie l'âme et elle est une expiation des péchés, il faut donc que la personne malade supporte la douleur avec patience afin de mériter dans l'au-delà la récompense d'Allah.

De même un des malheurs qu'il faut affronter avec patience c'est la mort; car si la personne accepte la volonté d'Allah avec une âme calme cela va soulager son chagrin; cela va prouver aussi qu'elle est vraiment croyant et Allah va lui attribuer Sa récompense.

Voici la preuve de cela, un des compagnons du prophète (b.s.) ce que fit Salim avec son mari Abu Talha un des compagnons lorsque leurs fils mourut lors de l'absence de son père. Om Salim demanda à sa famille de ne pas mentionner que son fils est mort jusqu'elle le lui dit, elle recouvrit son fils avec ses vêtements.

La patience

Par Islam Abdel Raouf Mohamed

Abou Said El Khodry qu'Allah soit satisfait de lui a rapporté que le prophète (b.s.) a dit : "Toute fatigue eu tout mal chronique, tout ennui, toute peine ou chagrin qui peut atteindre un musulman, même l'épine qui le pique n'est qu'un moyen par lequel Allah lui fait expirer ses péchés.

Transmetteur du hadith

Abou Said El Khodry est un des transmetteurs de hadiths les plus célèbres. Il a rapporté mille cent soixante hadiths; et il est mort à l'âge de quatre vingt-six ans.

Le sens du hadith :

La vie a divers aspect; les bons et les mauvais. Le vrai croyant est celui qui accepte le mal et le bien avec patience et encore, c'est celui qui croit au destin et qui sait que la victoire vient avec la patience. Le vrai croyant implore l'aide divine dans les moments difficiles et espère la rétribution d'Allah pour sa patience. Si une blessure vous atteint une même blessure atteint les peuples incrédules. Nous faisons alterner ses journée-là pour les hommes afin qu'Allah reconnaisse ceux qui croient et qu'il prennent de témoins parmi vous. Allah n'aime pas les iniustes) Sourate : La Famille d'Imrân"; le sens du verset 140.

Un vrai croyant suit les enseignements de l'Islam et remercie Allah à chaque instant et en toutes circonstances dans le but de bien vivre et de jouir à la fin du bonheur éternel.

Le prophète (b.s.) nous parle du croyant, et explique comment il tire profit de toutes les circonstances et il dit : "Ce qui est surprenant c'est que le croyant profite dans tous les cas — et cela n'est valable pour le croyant — s'il obtient quelque chose de bien; il remercie Allah alors il obtient un bien, s'il est atteint d'un mal, il est patient, alors cela est aussi bien pour lui."

La patience est un des fondements de l'Islam. L'accomplissment de la prière exige le respect de quelques règlls; la pureté corporelle l'accomplissement à son heure fixée, la direction vers la qibla. Elle implique une soumission du coeur devant Allah; tout vela nécessite la patience.

Le jeûne qui prive le croyant de satisfaire ses instincts et qui lui interdit les actions qui peuvent rompre son jeûne : Nourriture, boisson et plaisirs charnels, lui apprend aussi l'honnêteté et le contrôle de ses passions; ce qui exige la patience.

L'aumône légale est un culte qui invite l'homme à céder une partie de ses biens aux pauvres pour se purifier. Allah sait que l'argent est cher à l'âme humaine c'est pour cela qu'il est mentionné avant les enfants dans le Coran. Le sens du verset 46, Sourate La Caverne.

(...Qui se contentent de leurs rapports avec leurs épouses et leurs captives on ne peut donc les blâmer; tandis que ceux qui convoitent d'autres femmes que celles-là sont transgresseurs)[1]

D'après 'Aisha le Coran considère comme transgresseur tout homme prenant pour femme toute autre que les épouses ou les captives, il n'a pas cité le mariage temporaire[2]

Elles interprétaient et commentaient certains versets, tels que le verset concernant l'orpheline.

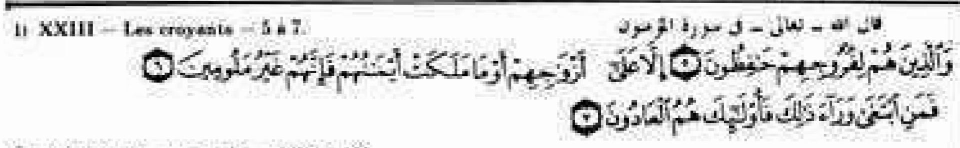
(Si vous craignez de ne pas être équitables à l'égard des orphelins ... Epousez comme il vous plaira)[3].

D'après 'Aisha, il s'agit de l'orpheline qui est à la charge de son tuteur. Si ce dernier manifeste le désir d'épouser cette orpheline, mais sans vouloir lui donner le mahr convenable au rang de cette fille, dans ce cas, il vaut mieux que le tuteur épouse une autre femme s'il ne peut être équitable envers cette orpheline.

Ainsi il devient évident que tous les mariages du Prophète (b.s.) avaient un certain but, il n'y était pas poussé par son propre plaisir. Les mariages du Prophète (b.s.) qui était devenu le chef d'une communauté dont l'influence ne cessait de croître, avaient parfois un caractère politique, il voulait atténuer l'hostilité des ennemis en épousant leurs filles. De même les alliances à cette époque étaient importantes car elles imposaient une certaine solidarité dont il avait besoin afin de propager sa prédication. D'autres fois ces unions avaient un caractère social, le Prophète (b.s.) voulait renforcer ces relations avec ses compagnons, honorer certaines femmes ou encore consoler celles qui avaient perdu leur mari dans les combats lancés contre les polythéistes. Ces unions avaient parfois pour rôle d'établir certaines législations ou de les mettre en application pour encourager les Musulmans à les suivre. Il s'agit du cas du fils adoptif, de la possibilité pour un Musulman d'épouser une scripturaire. Etant fondateur d'une nouvelle religion, le Prophète (b.s.) devait laisser des exemples de conduite servant de base à la législation des générations futures et permettant de trancher toutes les situations.

---

1) XXIII — Les croyants — 5 à 7.



2) Al-Zarkashi — Al-Idjaba — Ibid P. 172.

3) IV — Les Femmes — 3

قال الله – تعالى – في سورة النساء

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ

De même en ce qui concerne la "idda", période de continence d'une femme enceinte dont le mari est mort., 'AbdAllah Ibn 'Abbas assurait que cette période se terminait par la date la plus éloignée, que ce fut les trois mois de 'idda ou l'accouchement. Abu Salama et Abu Hurayra affirmèrent qu'elle se terminait par l'accouchement. Ils demandèrent à Om Salama épouse du Prophète (b.s.) ce qu'elle en pensait, elle soutint leur point de vue et mentionna les prescriptions du Prophète (b.s.) concernant ce sujet :

> *"Subay'a al-Aslamiyya mit au monde son enfant très peu après la mort de son mari. Le Prophète l'autorisa à se remarier"*.[1].

Les épouses du Prophète (b.s.) rapportèrent à la postérité un très grand nombre de traditions puisqu'elles étaient les personnes les plus proches du Prophète, (b.s.) elles avaient plus que toute autre l'occasion de rapporter les dires du Prophète (b.s.).

Elles rapportèrent également après la mort du Prophète (b.s.) tous les détails concernant la vie quotidienne du Prophète, (b.s.) même dans l'intimité. Abu Horayra racontait que celui que l'aube surprend souillé ne peut jeûner. Il revint sur ce point de vue lorsque 'Aisha affirma le contraire; le Prophète passait la nuit sans avoir entrepris le moindre rituel de purification, et le matin il jeûnait[2].

Elles corrigeaient parfois les traditions rapportees par d'autres; prenons à titre d'exemple cette tradition citée par Al Bokhari :

> *"La malchance existe dans trois choses : la maison, la femme et le cheval"*[3].

En entendant cette tradition 'Aisha dit :

> *"Abu Horayra n'a pas tout entendu, il entra alors que le Prophète d'Allah disait : qu'Allah combatte les Juifs, ils disent : trois choses portent malchance, la maison, la femme et le cheval. Il a entendu seulement la fin de cette tradition"*.[4]

De même les épouses du Prophète (b.s.) avaient un tres grand rôle en matière de fih. 'Aisha mère des croyants se spécialisa dans le droit et fut constamment consultée par la suite comme juriste même par les hommes les plus savants. 'Aisha affirma par exemple que le mariage temporaire "Nikah al-Mut'a" est illicite. Elle avança comme argument ce verset coranique

---

1) Tirmidhi — Sunnan — K — Nikah.

قالت أم سلمة رضي الله عنها : « قد وضعت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بيسير ، فأمرها رسول الله ﷺ أن تزوج »

2) Al-Zarkashi — Al-Idjaba — op. cit. p.112.

3) Bukhari — K — Nikah — B — 17

قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاث : في الدار والمرأة والفرس »

4) Al—Zarkashi — Al-Idjaba — op.cit. p. 113.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « لم يحفظ أبو هريرة ، أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقول : قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاثة : الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله »

Par ce concubinage, le Prophète (b.s.) voulait réaliser une condition avantageuse pour les esclaves. Il avait déclaré que toute esclave qui donnerait un enfant à son maître, serait affranchie à la mort de ce dernier si, bien entendu, celui-ci ne le fait pas de son vivant[1].

Le Prophète (b.s.) recourut au concubinage pour créer un précédent. Ce fut alors une bienfait pour toutes les esclaves, ce qui amena une grande amélioration de leur sort puisqu'elles pouvaient ainsi devenir libres. Cette régle constitua un des moyens d'abolir l'esclavage dans l'avenir.

De même, une des causes de la polygamie du Prophète est que ses épouses devaient apprendre et enseigner les versets du Coran ainsi que toutes les autres prescriptions recommandées par le Prophète (b.s.)

(Souvenez vous des versets d'Allah et de la Sagesse qui vous ont été récités dans vos maisons).[2]

Les épouses du Prophète (b.s.) avaient en effet un rôle très important. Le Prophète avait besoin d'être aidé pour la législation féminine, il y a des questions de la vie quotidienne sur laquelle une femme ne peut guère demander sans honte des renseignements aux hommes. Les femmes du Prophète (b.s.) faisaient fonction de jurisconsultes pour les femmes musulmanes. Les veuves du Prophète (b.s.) aprés sa mort furent considérées comme un groupe d'interprètes féminins de la plus grande autorité dans la communauté des Musulmans. Elles apportèrent beaucoup de détails précis concernant la législation féminine. Citons comme exemple cet incident rapporté par Al-Zarkashî. Ibn'Omar donnait ordre aux femmes qui faisaient le rituel de purification de défaire leurs nattes. Lorsque cet enseignement propagé par Ibn'Omar parvint à 'Aïsha, elle dit :

"Cet enseignement d'Ibn'Omar m'étonne beaucoup. Il ordonne aux femmes de défaire leurs cheveux pendant le rituel de purification. Pourquoi ne leur ordonne-t-il pas de se raser les cheveux. Je me purifiais avec le Prophète dans un même seau d'eau. Je passais la main mouillée sur les cheveux trois fois sans les défaire".[3].

---

1) Al-Bayhaki — Sunan Kubra — Beyrouth — Dar Al-Sadir-1re Edition — 1355 h. Volume 10 — pp. 342 — 343.

﴿ هي مملوكة بحالها إلا أنه لا يجوز لسيدها بيعها ولا إخراجها من ملكه بشيء غير العتق وإنها حرة إذا مات ﴾ .

2) XXXIII — Les Factions — 34.

قال الله — تعالى — في سورة الأحزاب :

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ

3) Al-Zarkashi — Alç-Idjaba — op. cit. p.111.

قالت عائشة — رضي الله عنها —

﴿ يا عجباً لابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن * لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات ﴾ .

«La polygamie en Islam»

–2–

par Dr. Magda Mahmoud Salem

Safiyya fille de Huyay, juive de Khaybar, fut une des épouses du Prophète (b.s.) lui proposa soit de rejoindre sa tribu soit de l'épouser, elle choisit la seconde proposition. Le Prophète (b.s.) par ce mariage appliqua une nouvelle loi parmi les Musulmans : ils étaient autorisés à épouser des scriptuaires. De même, en l'épousant, Muhammad (b.s.) se réconciliait avec les vaincus.

Maymuna bint al-Harith, de la tribu 'Amir ibn Sa'Sa'a. C'était une veuve de trente six ans lorsque le Prophète (b.s.) épousa. Il s'était rendu à la Mecque en l'an sept de l'Hégire pour n'y rester que trois nuits comme l'avaient stipulé les clauses de la trêve d'Al Hudaybiyya. Le Prophète voulut par cette alliance créer une détente dans les rapports entre Musulmans et et Korayshites en s'alliant par ce mariage aux seigneurs de Koraysh, parents de Maymuna[1].

Le Prophète (b.s.) eut aussi deux concubines Rayhana et Maria toutes les deux esclaves, le Coran le lui avait autorisé explicitement.

(Ô toi, le Prophète! Nous avons déclaré licites pour toi les épouses auxquelles, tu as donné leur douaire, les captives qu'Allah t'a destinées).[2]

Rayhana était une juive de la tribu médinoise, des Banou Kurayza. Elle revint au Prophète (b.s.) après la guerre et embrassa l'Islam avec quelque hésitation. Le Prophète (b.s.) lui proposa de l'épouser et de l'affranchir, mais elle refusa ne voulant pas se voiler comme les Musulmanes libres.

Quant à Maria, c'était une esclave chrétienne. Elle devint musulmane et fut la seule, à l'exception de Khadidja, à lui donner un fils, Ibrahîm, qui mourut en bas âge.

---

1) Ibn Hadjar Al-'Askalani — Al — Isaba Fi Tamyiz Al Sahaba — op. it. Volume 8 p.192.

2) XXXIII — Les Factions — 50.

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part V

Jumade Al Awal 1415 Higrah

Section Française

Islam in foreign media

By : Magdi A. Bashaeer

Foreword : in this series important subjects by outstanding Muslim thinkers in current topics will be presented with comments and explanatory notes that indicate Islam's briliant image and its validity for all times and places.

This study is presented by Dr. Zaki Badavi, the principal of the Islamic college in London for many years. It begins with refuting the assumption that Islam's validity is restricted to the Meccans in the Arab peninsula. He assures the ethical as well as pragmatic features of Islam. He goes on to face certain difficulties made by well-known western scholars.

It was pointed out to the researcher that as Islam emerged in a primitive society going back 14 centuries, it's unlikely to have much more than local and historical interest. Its rellevance to humanity will be limited to certain cultural and geographical environments. Pondering the prophet's life, his birth and growth of his mission, it was realised that Islam has come to a tribal society. Consequently outsiders were enemies. Therefore, life, property and honour here respected only within the tribe; but these were a game in tribal interrelations. As for their belief system, it was no less chaotic than their social order. They were polytheists. They worshipped the wind, lightning, the sea, the stars, the sun and the moon. In addition to major natural forces, they worshipped prominent physical objects like mountains and big trees. Though all tribes recognized Allah as supreme God they thought of him as too remote to listen or to be interested in their affairs. Their tribal gods were closer to themselves and more concerned in their own daily matters.

When the prophet's first call was that there's no God but Allah and that Muhammad is his messenger, his mission then emphasized God's Uniqueness, Oneness, Omnipotence, Omnipresence and Omniscience. All other Gods were only names devoid of true meaning. They were ineffective, incapable and insignificant.

Inspite of being reasonable and cordial, he was strongly resisted because of the, (as expressed by the researcher) theological connotation of his mission and its sociological implications. In reality, to abolish the tribal Gods meant, in effect, to abolish the tribe itself and to bring down the barriers that made life and property sanctified only through blood relations. It also meant that men and women of all tribes and of all races would have the same sanctity and be accorded the same respect in the newborn order. Further more, fear of the physical as well as natural forces was diminished. This is due to the fact that they were nothing but tools in the hands of God Almighty. These fundamental and revolutionary concepts are the foundations of Islamic system of ethics about which more reflections will be given.

To be continued.

no will power and therefore has no self-knowledge. He is a string puppet in the hand of a tyrannt God who moves him however and whenever He wishes. Accordingly a Muslim, as those people may claim,is a man who is subdued and has to tolerate and bear whatever is determined and destinied for him.

To make matters worse, some of the authors of those textbooks have formed their opinions on the basis of this mis-conception and biased mis-interpretation of Islam. They have regarded it as a proof to the backwardness of Mulims in the whole world. The following is a quotation from a geography book :

"Islam means man's submission and surrender to the will of God this is the reason why Muslims are ranked among the underdeveloped peoples of the world".

This apparent biasness against Islam and Muslim depicts — Allah the Almighty — as tyrant and unfair (May Allah forgive us) and that man is the one subjected to this injustice and tyranny.

In the articles to follow, we will continue to cite other examples given in European textbook relating to Islam.

* The writer, Abdel Gawuad Fallatouri is a professor, University of Cologne and Director of the Islamic Scientific Academy.

* Asmaau Allah al Husnaa are ninety nine attributes that are confined only to Allah the Almighty.

program to study information about Islam included in German and European textbooks.

In the forthcoming arthicles stereotypical biasness against Islam common in the European textbooks will be provided.

* * * *

In has already been mentioned that biasness and pre-judgements passed against Islam and found in Western Europe's textbooks eventually create a negative image of Islam in general. This false image is then firmly established and holds to the minds of pupils as long as they live.

Authors of European textbooks often start their books with the fact that Islam and Christianity being two unified religions — adopt similar attitudes as regards the question of Allah — the Almightly. The reason why the question of Allah has been selected is to unravel the viciousness and falsification behind the desire to picture Allah eventually and indirectly as harsh and cruel. As previously illustrated by the test given to the pupils at a German school, European textbooks do not deal with the question of the Existence and Oneness of Allah the Almighty but rather with the question regarding the relationship between Allah the Almighty and Man.

Because Man plays a major role in European beliefs and thought, it is therefore believed that everything must be at man's service.

From this prevailing thought in the west a person may shift to the meaning of Islam and came out with the following conclusion stated in some textbooks.

"Islam does not mean peace or a state of peace or whatever similar." "Islam means submission to Allah's will. Muslims in Islam are those who submit to Allah's will".

Accordingly, the question of Allah and Divinity to the characteristic feature of Islam. Everything is related to Allah, and everything and man in particular is at the service of Allah.

This definition may appear to provide an interpretation of Islam that raises no doubts about it. It indicates that Islam involves a mutual relationship between Allah and man, to the extent that some Muslims in Europe have adopted this opinion.

Taking into consideration what the authors of those textbooks conclude from these false judgements about Islam, we immediately realize the viciousness behind them. This interpretation of Islam — for instance — indicates that there is a wide gap that can by no means be bridged — between Allah and man. There is on the one hand, a tyrannt ruling God, and on the other hand, at a distance from Allah stands man who is subjected to His tyranny. Man is expected to submit, surrender and obey blindly the will of God. What actually relate between these two parties is the desire of Allah to control and dominate and the fear and submission of man.

How did such false thoughts and malicious misconception about the relationship between Allah and man and also about Islam — in general, emerge?

Obviously, the authors of those textbooks based their concepts on the linguistic lexical meaning of "'aslama" which denotes a relationship between a victorious party and a defeated party. The defeated should submit and surrender to the will of the victorious and obey him blindly. This leads to an extremely dangerous conclusion, namely, the emergence of a certain discrimination between each and every Muslim and a European, when the two are compared it becomes clear then, that the Muslim is a man with

ISLAM IN WESTERN EUROPE'S TEXT BOOKS PART (1)

Written by : Abdel Gawwad Fallatouri
Translated by Dalal El Gemei

A distorted image of Islam predominates public and cultural circles in the west. Such an image can be discerned by any Muslim who is well read in his religion. Western mass media has played an active role in distorting the image of Islam. This has widened the gap of disagreement and dissension between Muslims and Christians.

This distortion has not been confined only to an erroneous and false portrayals of some Islamic phenomena however, it has gone further to involve Islam as a whole. This distorted image results from several religious, cultural, historical and social phenomena. All of which are mis-interpreted by the west so as to create a biased and negative image of Islam in general.

No doubt there are particular objectives behind the desire to picture Islamic creed in western concept as backwarded and rigid in comparison to western beliefs which are brightly portrayed. The comparison becomes apparent when discussing topics such as: Divinity, Holy Quran, the prophet Muhammad may Allah's peace and prayers be upon him, the nation, etc.

To avoid abstract terms and generalisations, I would like to illustrate this point by giving a concrete example.

A year ago, a teacher at one of Germany's primary schools tested nine to ten-year old pupils to find out their opinions about Islam. She made an extract from one of the books I wrote about the most beautiful ninety-nine names of Allah ('Asmaau, Allah al Husnaa)*. She copied these names on a piece of paper but without writing them in order and without mentioning the Islamic reference or source from which they have been extracted. She made several copies of this paper and distributed them among the pupils. She then said to them:

"On this paper you will find various names of Allah. Underline the names of Allah in christianity with a particular colour and with a different colour underline the names of Allah in Islam..."

The teacher had deliberately refused to tell the pupils that all the names given were names of Allah in Islam.

What did these children do? Quite expectedly, the majority of the students interpreted the names indicating mercy, forgiveness, peace and love as Christian names, whereas those denoting harshness and ruthlessness were interpreted as Islamic names.

This horrifying experiment demonstrates the extent of biasness against Islam. It shows how malicious and partial judgements about Islam are carefully planned at the very early stage of primary education. The Islamic scientific Academy based in cologne has discoevered in the eighties that this distorted and false image of Islam originates from and is firmly established in school education, especially textbooks. The Academy, therefere, launched a country (Germany)-wide program, then a continent wide

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part V

Jumade Al Awal 1415 Higrah - October, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل فتحي خفاجة
المراسلات / باسم مدير التحرير - ادارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٩٥ ٦٣٨ - ٩٠٥٤٧٣
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

ألف . باء .

علم الحديث

لا شك أن بعض الناس يقلقه ــ جداً ــ أن يعارض أفكاراً سخيفة ..!

أفكاراً مروجية لها جاذبية القرن الحادى والعشرين ... حيث لا قيود ولا حدود ..!

تُرى : لماذا القلق ...؟

أغلب ظنى أن مردّ هذا القلق الشعور بأن مصادمة هذه الأفكار تعنى وضع معارضيها في قائمة الرجعيين والمتزمتين ... وما شئت من ألقاب تمنح بسخاء لطبقة محافظة أمينة على هذا الدين .

لا بأس ..!

كل امرىء بما كسب رهين ..!

غير أن من العسير ـ جداً ـ أن نرفض حديثاً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبب هذه الأفكار ! كذلك من السخف ـ جداً ـ أن نقبل فيه حكما لم يستوعب أوضاعه العلمية ..

تلك الأوضاع التى هى « ألف .. باء » علم الحديث الشريف .. وهى نفس الأوضاع التى تخطاها مُدّعى « ضعف حديث ختان البنات » ..!!

ولو كان الحديث « موضوعاً » حدَّث به من يكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانتهى الأمر ، فكيف ، وهو صحيح بشواهده ، قوى برواياته ..!

ذكر الشيخ الألبانى الحديث بكتابه « صحيح الجامع الصغير وزيادته » وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للخاتنة : « اخفضى ولا تنهكى ؛ فإنه أنضر للوجه ، وأحظى عند الزوج » ثم قال : « رواه الطبرانى والحاكم عن الضحاك بن قيس . حديث صحيح » ا هـ .

كذلك للحديث أكثر من رواية ، وأكثر من شاهد ، يعضد بعضُهُ بعضاً ، ذُكِرتْ جميعُها تفصيلاً بكتاب : « سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشىء من فقهها وفوائدها » للشيخ محمد ناصر الألبانى ، ومنها طريق حسَّنها الإمام الهيثمى ـ رحمه الله ـ مما جعل الشيخ يقول :

« وبالجملة ؛ فالحديث ـ بهذه الطرق والشواهد ـ صحيح . والله أعلم . » .

هكذا قضى العِلْمُ بقواعِدِهِ على هذا الحديث ؛ فكان مجازفة ـ أية مجازفة ـ أنْ يقال : ضعيف .

ثم بعد ، فقد قال ـ عز من قائل ـ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء ـ ٨٠

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر ـ ٧

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾ سورة النور

* * *

كذلك ، ليس من العِلْم فى شىء أن يُرَوِّج هذا الباطل بقول قائل :

ليس فى سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ختن بناته ـ رضوان الله ـ تعالى ـ عليهن .

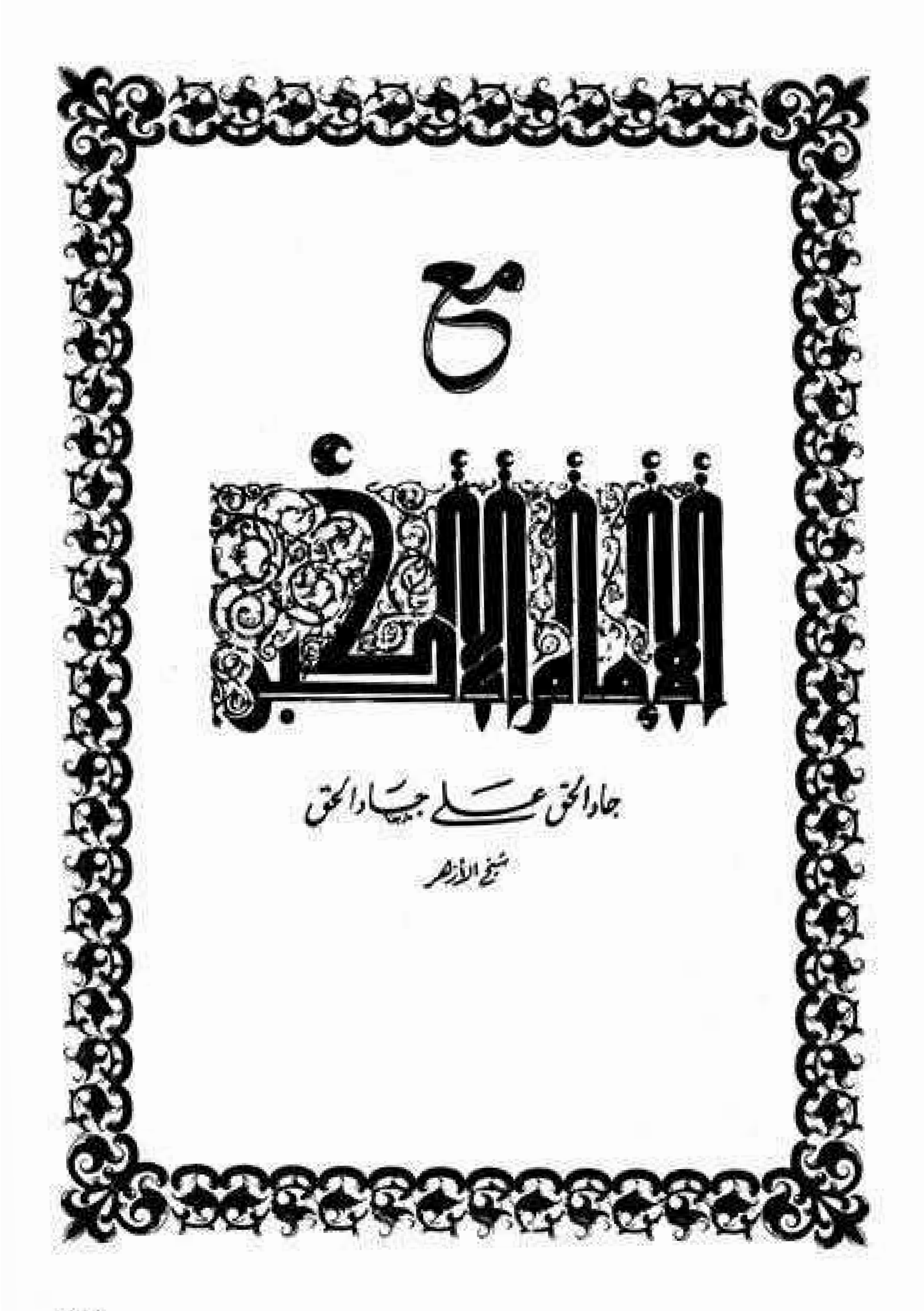
ذلك لأنه ليس فى سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً : أنه لم يختنهن .

ويعنى ذلك أن « السيرة النبوية » بشأن الختان لم تتعرض له بنفى ولا إثبات . وكان لزاماً على القائل ـ إزاء هذه القضية ـ ألا يطرق (مصدراً) لم يتعرض لقضيته أصلاً ، وكان عليه أن يجاوز « السيرة » إلى الحديث والفقه ليرى أمر قضيته إن كان يطلب علما .

ثم ماذا يضير تزويد البنت طاقة تعينها على العفة والتزام الطريق المستقيم ؟!

هل من إجابة شافية ... ؟!!

د. على أحمد الخطيب


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

سماحة الإسلام في القرآن

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر الشريف

من معانى مادة (سمح : سماحة) أى : جاد وأعطى ، وأهل التسامح : أهل الاتساع ، ومنه يقال : « فى الحق مسمح » أى : متسع ومندوحة عن الباطل ، وبهذا الاعتبار تواردت آيات كثيرة فى القرآن تعبر عن وجوه سماحة الإسلام .

من ذلك أن القرآن لم يقف من الأديان السماوية السابقة موقف تحد وجحود ، وما كان له أن يقف مثل هذا الموقف ، لأنه جاء استكمالاً لرسالة وشرائع الرسل السابقين ، وجميعها مع الإسلام من مشكاة واحدة تفيض بالنور والهدى ، لأنها رسالات الله إلى الناس ، وجاء الإسلام خاتماً مستكملاً ما تحتاجه البشرية تبعاً لتطورها فى العلوم والمعارف والسلوك والأخلاق ، ومن ثم كان تقرير الله فى القرآن الإيمان أصلاً من أصول الإسلام على الوجه الذى جاء فى الآية التالية من سورة البقرة :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥) سورة البقرة

فالإسلام الذى يقرر كتابه هذا المبدأ لا يُكْرِهُ الناس على أن يدخلوا فى حوزته ، بل يقرر القرآن فى سورة البقرة أنه .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ الآية : ٢٥٦

ويرسم فى سورة النحل أسمى وسائل الدعوة إلى الله بقوله ـ تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾
الآية : ١٢٥

فإذا كانت الدعوة متعلقة بأهل الكتاب وجه القرآن المؤمنين إلى مزيد من الرفق وإظهار المودة وحسن المجادلة والحوار نجد هذا فى قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة العنكبوت :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ الآية : ٤٦

وإذا نظرنا إلى شريعة الإسلام نجد أنها قد اشتملت على أحكام توثق علاقات الناس فى المعاملات ونظام الأسرة والمواريث والوصايا .

ولقد توخت هذه الشريعة العدل فى توزيع التركة ، وحالت بما صنعت دون تجمع الثروة فى أيد قليلة مثلما تقرره بعض القوانين التى تخص الابن الأكبر ـ وحده ـ بجمع التركة ، وتحرم الآخرين من الأبناء والبنات ، ونظم الإسلام الوصايا بما يكفل لصاحب الأموال أن يوصى من ماله بما لا يزيد على ثلث كل تركته ، وأقام الإسلام نظام التوريث على معايير القرابة والمصاهرة ، وليقرأ من يشاء آيات المواريث فى (سورة النساء) ليجد فيها حكم الإسلام الذى يمثل العدل المطلق فيما شرع .

ثم ها هو القرآن يورد مثلاً للمروءة التى هى من صنوف السماحة ، فيقص علينا موقف موسى ـ عليه السلام ـ حين ورد ماء مدين كما جاء فى (سورة القصص) فيقول الله ـ سبحانه :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

هذه المروءة التى تمثلت فى تقديم موسى ـ عليه السلام ـ معونته إلى هاتين المرأتين اللتين وقفتا بعيداً عن مورد الماء حتى ينتهى التزاحم عليه . فسقى لهما .

هذا الصنيع جاء به القرآن ليكون نموذجاً لتقديم العون من كل قادر إلى كل محتاج . وها هى سماحة الإسلام تمتد بالإحسان إلى اليتيم ، وإلى الوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل . نرى هذا صريحاً واضحاً فى الآيات التالية :

ففى سورة البقرة قول الله سبحانه :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

الآية ٢١٥

وفى سورة الإنسان :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

الآيتان : ٨ ـ ٩

وفى سورة البلد :

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ﴾

وفى سورة الفجر :

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

الآيتان : ١٧ ـ ١٨

وغير هذا من الآيات البينات التى تفيض سماحة ومودة ومروءة وإحساناً مساندة للمجتمع الإسلامى المتكافل المتعاون على البر والتقوى .

وهو يعرض على المجتمع الإنسانى المعاصر صنوفاً من سخاء وكرم السابقين من المرسلين ؛ فيتحدث عن قرى الضيف ويمتدح ذلك بطريق الإشارة .

ففى سورة الذاريات :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾

الآيات : ٢٤ ـ ٢٧

وهذا نداء من الله ـ سبحانه ـ بوجوب إكرام الضيف الطارق ، وإن كان غير معروف .

ومن هنا كان حث الإسلام ـ أيضاً ـ على الإحسان إلى ابن السبيل أى المسافر وإكرامه ، ومن سماحة الإسلام مرونة قواعده ؛ إذ أنه باعتباره الدين الخاتم ، فصل بعض الأحكام التشريعية وأجمل الأخرى فى قواعد تتسع لاحتواء كل الواقعات التى تجدُّ وتحدث فى كل زمان ومكان .. حتى لا يقع الناس فى الحرج ، ولا تضيق عليهم المسالك .

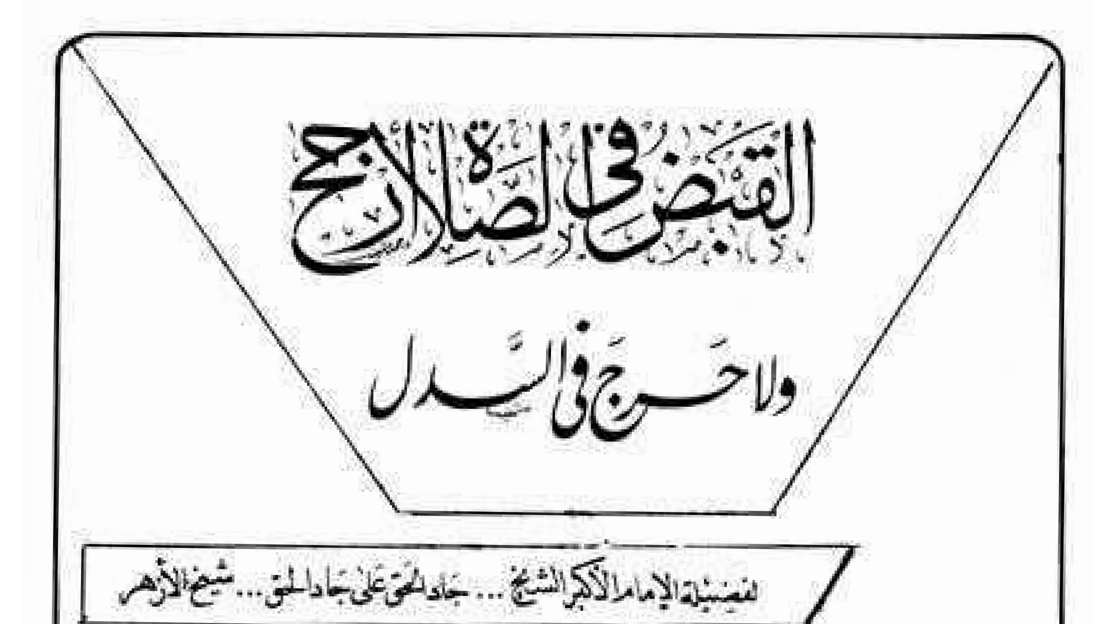
وقد كان القرآن واضحاً فى تقرير ذلك ففى (سورة المائدة) قول الله ـ سبحانه :

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ الآية : ٦

وفى سورة الحج :

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الآية : ٧٨

إن علينا نحن المسلمين أن نسعد بهذه السماحة فى عقيدة الإسلام وشريعته ، وأن نفيض بها على أنفسنا وعلى الناس ، فلا نغلو فى الدين ولا نضيق ما وسعه الله ؛ فإن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .



لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ ... جاد الحق على جاد الحق ... شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بحث فى أربع وثلاثين صفحة من القطع المتوسط وموضوعه حكم السدل والقبض فى الصلاة تحت عنوان (مشروعية ترك القبض فى الفرض أرجح من مشروعية القبض) وجاء فى صدر البحث (ولكن السدل غير فعل لم يبوب المتقدمون له فى كتبهم ، ولم يطلبوا عليه دليلاً ؛ لأنه حاصل بنفسه ، فطلب الدليل عليه من تحصيل الحاصل وهو عبث ، ولكون القبض فعلا يحتاج للدليل بوّب المتقدمون له ، وطلبوا الأدلة عليه ، فمن صلحت عنده تلك الأدلة أخذ به ومن لم تصلح عنده تلك الأدلة لم يأخذ به وتمسك بالأصل الذى هو السدل الثابت بالسنة وبالإجماع ..

وقد اعتمد الباحث صاحب هذا البحث على الأحاديث الدالة على القبض وحصرها فى ستة أحاديث مروية عن ستة من الصحابة هم :

(سهل بن سعد الساعدى فى الموطأ والبخارى) و (وائل بن حجر فى مسلم وأبى داود والنسائى) و (ابن مسعود فى أبى داود والنسائى وابن ماجة) و (على كرّم الله وجهه فى أبى داود) و (هلب الطائى فى الترمذى) و (أبو هريرة رضى الله عنه فى أبى داود) .

ولقد أورد الباحث الأحاديث الستة كما أورد على كل منها ، طعنا أو علة أو وقفاً أو إرسالاً وأضاف أنه لم يجد فى هذه الأحاديث المطعون عليها دليلاً على القبض متخذاً من تلك الطعون سنداً للقول بأرجحية الإرسال على القبض بالرغم من أنه نوّه كثيراً بأقوال الفقهاء الذين يثبتون القبض ومنها ما جاء

في حاشية البناني رحمه الله :

قال المساوى : وإذا تقرر الخلاف في أصل القبض كما ترى وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾

وقد وجدنا سنة رسول الله ﷺ حكمت بمطلوبية القبض بشهادة ما في الموطأ والصحيحين وغيرهما من الأحاديث السالمة من الطعن ، فالواجب الانتهاء إليها والوقوف عندها والعمل بمقتضاها ، أ. هـ. ولم يكتف الباحث بما أكده البناني فيما ذكره بل قال ما نصه :

فلا يخفى ما في هذا القول من القصور الواضح ، وعلل ذلك بقوله : لأن الأحاديث في الكتب التي ذكرها العلامة البناني لم يسلم منها واحد من الطعن) .

وينتهي الباحث إلى ما نصه (فالواجب ترك ما لم يثبت بذلك عن النبي ﷺ والتمسك بالأصل وبراءة الذمة وهو ترك أيّ فعل باليدين لم يثبت بما لا مطعن فيه وإنما يقرهما في موضعهما الطبيعي ، كما جاء هذا في حديث أبي حميد في صفة صلاة النبي ﷺ) .

ثم يعود الباحث ويذكر على صفحة ٢٧ ما نصه : (فتحصل من داخل المذهب المالكي ومن خارجه أن أصحاب مالك على السدل وهي الحالة الأولى ...

الثانية : استحسان القبض في الفرض والنفل معاً ، الثالثة : إباحته أي من شاء قبض ومن شاء ترك ، الرابعة : منعه وهي رواية العراقيين) .

ورغم نقل هذه الأقوال الواضحة في مذهب الإمام مالك فإن الباحث لم يكتف بواحد منها بل أصرّ على أن يصل بالأمر إلى أرجحية السدل على القبض دون أن يورد مبررا لهذا الإصرار لأن المسألة خلافية ومن قال من الفقهاء بالقبض لم ير في تركه خللاً بالصلاة) .

ثم أورد في آخر صفحة من بحثه هذا قوله :ـ

(ومما تقدم يتبين لمن أنصف وبالأدلة الواضحة أرجحية مشروعية السدل على مشروعية القبض في الفريضة) .

هــــذا :

وقد تتبعنا مسألة القبض بوضع اليد اليمنى على اليسرى أثناء القيام في الصلاة عند قراءة الفاتحة والسورة ـ وحكم ذلك ـ في كتب الحديث والفقه ، وظهر أنه قد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وصح عنه فعل القبض في الصلاة ، نختار منها ما يلي :

أولاً : عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : (كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة) ، قال أبو حازم لا أعلمه إلا أن ينمي ذلك إلى النبي ﷺ وهذا حديث صحيح[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب وضع اليمنى على اليسرى جـ ٢ ص ٢٢٤ ط مكتبة الغزالي بدمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ببيروت .

وأخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب « قصر الصلاة فى السفر[٢] » .

ومعنى « ينْمِى ذلك أى يرفعه إلى النبى ﷺ .

ثانياً : عن وائل بن حجر ــ رضى الله عنه ــ أنه رأى النبى ﷺ رفع يديه حين دخل فى الصلاة كبّر ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال (سمع الله لمن حمده) رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه) .

وهذا حديث حسن صحيح[٣] .

ثالثاً : عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن النبى ــ ﷺ قال : إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل فطرنا ونؤخر سحورنا ونضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة) .

وهذا حديث صحيح[٤] .

رابعاً : عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ (أنه كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى) وهذا حديث صحيح[٥] .

خامساً : ومن الأحاديث التى لم يذكرها الباحث ما روى عن عمرو بن حريث رضى الله عنه قال : (كان النبى ﷺ يضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة) وهذا حديث صحيح[٦] .

وإذا نظرنا فيما ثبت من أقوال الأئمة والمفتين والفقهاء وأهل السنن ظهر ما يلى :

أولاً : قال الإمام النووى ــ رحمه الله ــ السُّنَّة بعد التكبير حط اليدين ووضع اليمنى على اليسرى فيقبض بكفه اليمنى كوع اليسرى وبعض رسغها وساعدها .

قال القفال : ويتخير بين بسط أصابع اليمنى فى عرض المفصل وبين نشرها فى صوب الساعد ثم يضع يديه كما ذكرنا تحت صدره وفوق سرته على الصحيح وعلى الشاذ تحت سرته[٧] .

ثانياً : جاء فى الروضة الندية شرح الدرر البهية[٨] (والضم لليدين أى اليمنى على اليسرى حال القيام إما على الصدر أو تحت السُّرة أو بينهما ، ثبت بأحاديث تقارب العشرين فى العدد ، ولم يعارض هذه السنن معارض ولا قدح أحد من أهل العلم بالحديث فى شىء منها ، وقد رواه عن النبى ﷺ نحو ثمانية عشر صحابيا حتى قال ابن عبد البر : إنه لم يأت فيه عن النبى ﷺ خلاف .

وفى « تنوير العينين » (أن وضع اليد على الأخرى أولى من الإرسال ، لأن الإرسال لم يثبت عن

---

(٢) باب وضع اليدين احداهما على الأخرى فى الصلاة جـ ١ ص ١٥٩ ط الحلبى .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة باب وضع يده اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام جـ ٤ ص ١١٤ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) أخرجه الطيالسى والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير رقم ٢٢٨٢ .

(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة بنيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ ص ١٨٨ ط دار الحديث .

(٦) أخرجه البيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير رقم ٤٨٥١ .

(٧) روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووى جـ ١ ص ٢٣٢ ط الثانية المكتب الإسلامى ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

(٨) لصديق خان جـ ١ ص ٩٧ .

النبى ﷺ ولا عن أصحابه بل ثبت الوضع بروايات صحيحة ثابتة عن النبى ﷺ وعن أصحابه (رضى الله عنهم) .

ثالثاً : قال الإمام البغوى فى شرح السنّة (والعمل اليوم على هذا عند عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم لا يرون إرسال اليدين ..)

ثم منهم من يقول : يضع يده اليمنى على اليسرى ومنهم من قال : يأخذ كوعه الأيسر بكفه الأيمن وبه قال الشافعى .

ورأى بعضهم وضعهما فوق السرّة وبه يقول الشافعى .

ورأى بعضهم أن يضعهما تحت السرّة وهو قول أصحاب الرأى[9] .

وأما حكم القبض عن الإمام مالك : فكرهه مالك فى الفرض وأجازه فى النفل ، ذكر ذلك فى المدونة الكبرى للإمام مالك برواية سحنون[10] .

وروى ابن القاسم عن مالك الإرسال وصار إليه أكثر أصحابه ، وعنه التفرقة بين الفريضة والنافلة ومنهم من كره الإمساك .

ونقل ابن الحاجب أن ذلك حيث يمسك معتمد القصد الراحة[11] .

رابعاً : المسألة فى سبل السلام : قال الصنعانى معلقا على رواية وائل وقد ذكرها الباحث على صفحة ١٢ : والحديث دليل على مشروعية الوضع المذكور فى الصلاة ومحله على الصدر كما أفاد هذا الحديث ..

وقال النووى فى المنهاج « ويجعل يديه تحت صدره .. »

وقد ذهب إلى مشروعيته زيد بن على وأحمد بن عيسى وقد روى أحمد بن عيسى حديث وائل هذا فى كتابه الأمالى وإليه ذهبت الشافعية والحنفية ، قال ابن عبد البر لم يأت عن النبى ﷺ فيه خلاف وهو قول جمهور الصحابة والتابعين[12] .

خامساً : المسألة فى بدائع الصنائع[13] : وأما الذى يؤتى به بعد الفراغ من الافتتاح فنقول : إذا فرغ من تكبيرة الافتتاح يضع يمينه على شماله والكلام فيه فى أربعة مواضع أحدها فى أصل الوضع ، ثم قال :

أما أصل الوضع ، قال عامة العلماء إن السنّة هى وضع اليمين على الشمال وقال مالك : السنة هى الإرسال ، وجه قوله أن الإرسال أشق على البدن والوضع للاستراحة .

---

(٩) شرح السنة للبغوى - تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط جـ ٣ ص ٣٢ ط المكتب الإسلامى .

(١٠) جـ ١ ص ٧٦ ط دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(١١) ذكر ذلك ابن حجر - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - كتاب الأذان باب وضع اليمنى على اليسرى - جـ ٢ ص ٢٢٤ ط مكتبة الغزالى دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

(١٢) سبل السلام جـ ١ - السنة وضع اليدين على الصدر فى الصلاة .

(١٣) جـ ١ ص ٢٠١ فصل فى سنن الصلاة .

سادسا : المسألة في الفتاوى الهندية[14] : قال سننها رفع اليدين للتحريمة ونشر أصابعه وجهر الإمام بالتكبير والثناء والتعوذ والتسمية والتأمين سرا ووضع يمينه على يساره تحت سرته ..

سابعا : المسألة في المغني[15] قال:ثم يضع يده اليمنى على كوعه اليسرى وقال في الشرح : أما وضع اليمين على اليسار فمن سننها في قول كثير من أهل العلم يروى ذلك عن علي وأبي هريرة والنخعي وأبي مجلز وسعيد بن جبير والثوري والشافعي وأصحاب الرأي ،وحكاه ابن المنذر عن مالك ، وظاهر مذهبه الذي عليه أصحابه إرسال اليدين وروى ذلك عن ابن الزبير والحسن .

ثامناً : المسألة في حجة الله البالغة للدهلوي[16] ، قال : والهيئات المندوبة التي ترجع إلى معان منها تحقيق الخضوع وضم الأطراف والتنبيه للنفس على مثل الحالة التي تعترى السوقة عند مناجاة الملوك من الهيبة والدهش كصف القدمين ووضع اليمنى على اليسرى وقصر النظر وترك الالتفات .

تاسعاً : المسألة في المجموع[17] قال المصنف رحمه الله :

(فإذا فرغ من التكبير فالمستحب أن يضع اليمين على اليسار فيضع اليمنى على بعض الكف وبعض الرسغ ... ثم ذكر :

فرع من مذاهب العلماء في وضع اليمنى على اليسرى : قد ذكرنا أن مذهبنا أنه سنة وبه قال علي بن أبي طالب وأبو هريرة وعائشة وآخرون من الصحابة وسعيد بن جبير والنخعي وأبو مجلز وآخرون من التابعين وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وإسحق وأبو ثور وداود وجمهور العلماء قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وحكى ابن المنذر عن عبد الله بن الزبير والحسن البصري والنخعي أنه يرسل يديه ولا يضع إحداهما على الأخرى وحكاه القاضي أبو الطيب أيضاً عن ابن سيرين وقال الليث بن سعد: يرسلهما فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى للاستراحة وقال الأوزاعي:هو مخير بين الوضع والإرسال ، وروى ابن عبد الحكم عن مالك:الوضع وروى عنه ابن القاسم:الإرسال ...) .

لما كان ذلك :

وكانت مسألة كيفية وضع اليدين في الصلاة قد استظهرت في أقوال العلماء والفقهاء حتى استبانت بيانا شافياً ويمكن إجماله في أربعة أقوال على الوجه التالي :

الأول : أن يضع المصلي يده اليمنى على يده اليسرى وهو اختيار جمهور العلماء من الحنفية والشافعية

---

(14) ج ١ ص ٧٢ الفصل الثالث في سنن الصلاة وآدابها وكيفيتها .

(15) ج ١ ص ٥١٣ باب وضع اليد اليمنى على اليسرى ط دار الكتاب .

(16) جـ ٢ ص ٧ في أذكار الصلاة وهيئاتها والمندوب إليها .

(17) جـ ٣ ص ٣١٠ فصل إذا فرغ من التكبيرة فالمستحب أن يضع اليمنى على اليسار والدليل على ذلك .

والحنابلة ، وهو رواية مطرف وابن الماجشون عن مالك وقالوا : إنه السنة[١٨] مستدلين بما يلي :

(أ) ما رواه سهل بن سعد قال : (كان الناس يؤمرون أن يضع المصلي اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة) قال أبو حازم : لا أعلمه إلا ينمي[١٩] ذلك إلى النبي ﷺ[٢٠] .

(ب) ما روى عن وائل بن حجر في صفة صلاة النبي ﷺ أنه وضع يده اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد[٢١] .

(جـ) ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : مرَّ بي النبي ﷺ وأنا واضع يدي اليسرى على اليمنى فأخذ بيدي اليمنى فوضعها على اليسرى[٢٢] .

الثاني : استحباب الإرسال وكراهية القبض في الفرض ، والجواز في النفل ، قيل : مطلقاً ، وقيل : إن طوّل ، وهذه رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة ، وإليه ذهب الشيخ خليل وشراح متنه كالدردير والدسوقي ، وعللت الكراهة في الفرض بأن القبض فيه اعتماد على اليدين فأشبه الاستناد ، ولذلك قال الدردير : فلو فعله لا للاعتماد بل استناداً لم يكره ، ثم قال : وهذا التعليل هو المعتمد وعليه فيجوز في النفل مطلقاً لجواز الاعتماد فيه بلا ضرورة .

الثالث : إباحة القبض في الفرض والنفل وهو قول مالك في سماع أشهب وابن نافع ، وذكر الحطاب نقلا عن ابن فرحون : وأما إرسالهما (أي اليدين) بعد رفعهما فقال سند : لم أر فيه نصاً والأظهر عندي أن يرسلهما حال التكبير ليكون مقارناً للحركة ، وينبغي أن يرسلهما برفق[٢٣] .

هذا وقد ذكر عن الشافعية ما يؤيد قول المالكية إذ قال الشربيني ما نصه :
(والقصد من القبض المذكور – يعني قبض اليدين في الصلاة – تسكين اليدين فإن أرسلهما ولم يعبث فلا بأس[٢٤]) .

---

(١٨) بدائع الصنائع للكاساني جـ ٢ ص ٥٣٣ ط الإمام بالقاهرة – ومغني المحتاج للخطيب الشربيني جـ ١ ص ١٥٢ ط دار الفكر – وكشاف القناع على متن الإقناع للبهوتي جـ ١ ص ٣٣٣ ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

(١٩) أي يسند ذلك ويرفعه .

(٢٠) سبق تخريجه .

(٢١) (عن وائل ابن حجر أنه رأى النبي ﷺ رفع يديه حين دخل في الصلاة وكبر ثم التحف بثوبه ثم وضع اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه ثم رفعهما وكبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه . رواه أحمد ومسلم وفي رواية لأحمد وأبي داود : ثم وضع يده اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٢ ص ١٨٦ ط دار الحديث .

(٢٢) سبق تخريجه .

(٢٣) مواهب الجليل للحطاب جـ ١ ص ٥٣٧ ط مكتبة النجاح ليبيا .

(٢٤) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع جـ ١ ص ١٣١ .

الرابع : منع القبض فيهما ، حكاه الباجى وتبعه ابن عرفة ولكن قال المنساوى : هذا من الشذوذ(٢٥) .

وإذا كان ذلك كان الأرجح اختيار الجمهور بأن يضع المصلى بعد الدخول فى الصلاة أو قبل قراءة الفاتحة يده اليمنى على يده اليسرى قابضاً على معصمها أو باسطاً أصابع اليمنى على الساعد الأيسر فى اتجاه الذراع فوق السرة أو تحتها على خلاف بين الفقهاء .

ومع هذا فإنه لا حرج على وضع القبض على هذه الصورة أو سدل الذراعين دون قبض إذ لكل وجهة ، وليس الخلاف فى ركن من أركان الصلاة وإنما فى بعض الهيئة فى الصلاة .

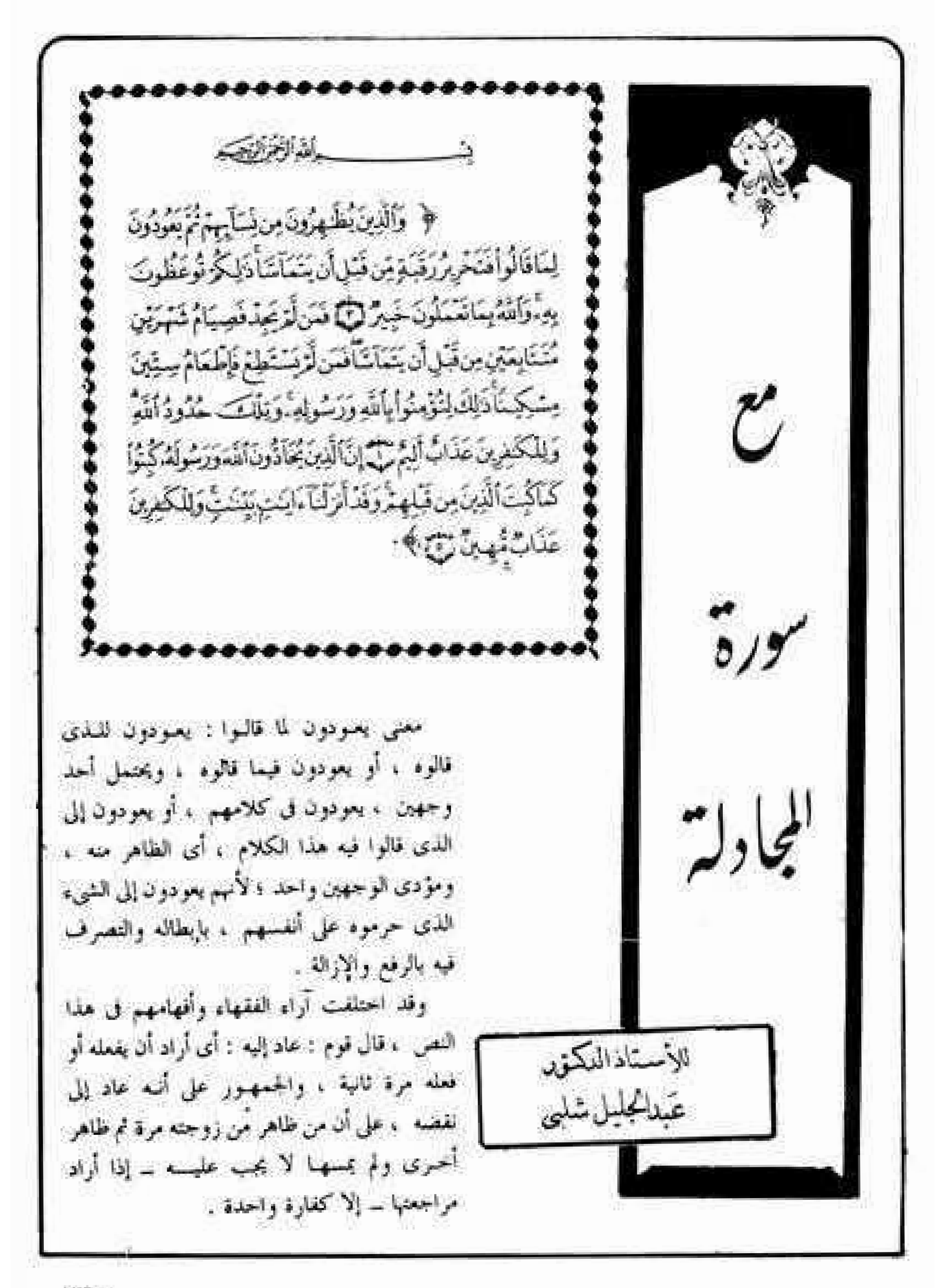
وعلى المسلمين أن يحذروا الخلاف فى مثل هذه الأمور ، وأن يعلموا أن اختلاف الفقهاء جاء رحمة بالمسلمين وصدق الله الذى علمنا فى القرآن : (... وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .
والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٢٥) حاشية الدسوقى جـ ١ ص ٢٥٠ والمدونة جـ ١ ص ٧٤ ، وبداية المجتهد جـ ١ ص ١٣٧ ، والمنتقى شرح الموطأ جـ ١ ص ٢٨١ والزرقانى جـ ١ ص ٢١٤ .



مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥) ﴾

معنى يعودون لما قالوا : يعودون للذى قالوه ، أو يعودون فيما قالوه ، ويحتمل أحد وجهين ، يعودون فى كلامهم ، أو يعودون إلى الذى قالوا فيه هذا الكلام ، أى الظاهر منه ، ومؤدى الوجهين واحد ؛ لأنهم يعودون إلى الشيء الذى حرموه على أنفسهم ، بإبطاله والتصرف فيه بالرفع والإزالة .

وقد اختلفت آراء الفقهاء وأفهامهم فى هذا النص ، قال قوم : عاد إليه : أى أراد أن يفعله أو فعله مرة ثانية ، والجمهور على أنه عاد إلى نقضه ، على أن من ظاهر من زوجته مرة ثم ظاهر أخرى ولم يمسها لا يجب عليه — إذا أراد مراجعتها — إلا كفارة واحدة .

ورأى الشافعية فى هذا المقام لا يخلو من تعسف ؛ فقد قال الشافعى : إنه إذا ظاهر ومضى زمن يمكنه أن يطلق فيه ولم يطلق ، دل ذلك على أنه ندم على هذا التحريم ، وتجب عليه الكفارة ، وإذا أردف الظهار بالطلاق فلا كفارة عليه .

وقال الإمام مالك : العود هو العزم على وطء الزوجة ، وفسر آخرون العود بأنه الجماع ، وقال ابن عباس : العود هو الندم .

وعلى أى حال : لا يجوز له أن يعاشرها معاشرة زوجية إلا بعد الكفارة ؛ والآية صريحة فى هذا إذ قالت : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ .

والظهار منكر من القول وزور ، منكر ؛ لأنه شبه زوجته بأمه ، وأمه لها احترام الوالدية ، وزور ؛ لأن الزوجة ليست ، أمًّا له ، وجاء فى سورة الأحزاب :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ .

والكفارة : عظة وتأديب ، وهى كما فى النص ثلاثة أنواع : أولها تحرير رقبة مؤمنة ، سواء كانت الرقبة عنده ، أو استخلصها من غيره ، والمراد تحرير الرقيق كله ، وخصت الرقبة بالذكر ؛ لأنها موضع الجامع الذى يقاد به الحيوان ، وذكر تحرير الرقيق من الكفارات للظهار وغيره عنوان تشوف الإسلام إلى الحرية ؛ فهو تقبّل الرق كضرورة حربية ، ولكن فتح له أبواب الحرية وهيأ لها منافذ كثيرة .

ومن لم يجد الرقيق الذى يحرره ، فكفارته صيام شهرين متتابعين ، فإن صام الشهر من أوله صام الشهر الذى يليه حتى ولو نقص أحد الشهرين يوما ، فحسبه أنه صام الشهرين ، ومن بدأ صيامه من غير أول الشهر فلا بد أن يصوم ستين يوما متتابعة ، وكلتا الكفارتين لا بد أن تكون قبل أن يمس زوجته : أى يجامعها .

ومن لم يجد رقيقا ، ولا قدرة له على الصوم فكفارته إطعام ستين مسكينا .

المراد بالمسكين : الفقير الذى لا يملك قوت عامه ، وليس منه من له راتب شهرى أو غير شهرى ، فهو لا يملك تحت يده قوت عام ، ولكنه يملكه تقديرا ؛ لأنه فى الوقت المحدد لصرف راتبه يتسلمه ويكتفى به حتى يأتى الموعد الثانى .

وقد ذكرت الآية فى تحرير الرقبة ، وصيام الشهرين قيد عدم التماس ، أى يؤدى هذه الكفارة .. من قبل أن يتماسا .. ـ ولم يذكر هذا القيد فى الإطعام ، فقال جمهور الفقهاء : إنه مفهوم مما ذكر قبله ، وقال بعض منهم : إنه يجوز للمظاهر الذى عزم على أن يكفر بالإطعام أن يباشر زوجته ، وتبقى الكفارة معلقة فى عنقه حتى يوفيها ، فإذا مات قبل وفائها فلا تخرج من تركته إلا إذا كان قد أوصى بذلك ؛ لأنه بموته انتقلت تركته إلى ورثته ، إلا ما يلزم لتجهيزه ، وإلا ما أوصى به إن كان وصية جائزة ، وإلا الدين الذى عليه ، وليس من ذلك كفارة الظهار ، ولا الحج الذى تركه وهو قادر عليه .

هذا : وأحكام الظهار مستفيضة فى كتب الفقه والخلافات فيها واسعة .

ذلكم توعظون به : أي وجوب الكفارة من أي نوع كانت ؛ ليتزجر به المؤمنون عن هذا العمل ؛ فهو عقوبة ، وليس المراد أن يكون لهم به ثواب ، ولكن الغرامات زواجر عن الجنايات ، وحسُن تذييل الآية بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، أي هو عالم بظواهر الأمور وبواطنها وهو محاسبكم على أعمالكم ، فيقتضى ذلك المحافظة على حدود الله تعالى – والبعد عما حرمه ، تحاشيا لعقابه .

﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

أى ما تقدم من الأحكام وسياق الكفارات ، ليحملكم على الإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه ، ولتدعوا ما كان عليه الجاهليون من اتخاذ الظهار أداة للطلاق ، فهو كذب وزور .

والخطاب للمؤمنين جميعا ، سواء فيه من كان موجودا عند نزول الآية ، ومن يأتي بعدهم .

وهذه هي حدود الله وعلاماته التي لا يجوز تعديها ومجاوزتها ؛ فيجب على كل مؤمن أن يقف عندها ، ومن تعداها فقد كفر بأحكام الله ، وللكافرين الذين يتعدون حدود الله عذاب أليم ، وقد يتعدى الشخص حدود الله وهو مؤمن به – سبحانه – مقر بوجوده ووحدانيته فهو ليس كافرا ، ولكن يطلق عليه اسم الكافر تغليظا ، كما قال – تعالى – :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٩٧﴾

أى ومن لم يحج وهو مستطيع ، فسمى كافرا لعصيانه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

يحادون الله .. أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أوامرهما ، وأوامر رسول الله ﷺ هي أوامر الله ؛ لأنه لم يكن ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحي يوحى ، وآثرت الآية ذكر المحادة على المشاقة والمعاداة ؛ لمناسبة ذكر حدود الله ، وأصله من وقوف المتحاربين كل في حَدٍ وجانب غير الذى فيه الآخر ، وكل من خالف حدود الله وقوانينه فهو معادٍ له .

والأمم الإسلامية في الوقت الحاضر تتبع قوانين وضعية تبيح ما حرمه الله ، وخصوصا كبائر الآثام من إباحة الربا والزنا ، ومن عصيان الله في عبادته ومعاملات الناس ، ومن آثر قانون العباد الوضعي على قانون الله الشرعي فقد كفر ؛ لأن الله – سبحانه – أكمل دينه وقال :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ سورة المائدة

فهو – سبحانه – رضي هذا الدين عبادات ومعاملات .. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

سورة آل عمران

ولا يمنع ذلك المسلمين أن يسنوا قوانين في حدود التشريع الإسلامي ، أو أن يسنوا عقوبات لم تذكر في القرآن لرد المفسدين وإقامة العدالة بين الناس ، وليس في ذلك خروج على قانون الإسلام ؛ لأن الإسلام شرع التعزير بجانب الحدود ، والتعزير متروك للإمام وللقاضى ، وقد

يكون تعذيبا أو حبسا أو قتلا ، فالهدف الأول منه هو استتباب الأمن وردع المفسدين ، وقد عاشت الأمة الإسلامية حينا من الدهر فى ظل القانون الإسلامى ، وكان الوعاظ ودعاة الدين يجبهون الخلفاء ويواجهونهم بأخطائهم ، ولا تقف عند أبى بكر وعمر بل حتى بعد القرن الأول الهجرى تجد الوعاظ يجبهون المنصور والرشيد وغيرهما من الخلفاء والولاة ... وكان كل مظلوم يذهب بظلامته إلى القاضى فيجد إنصافه ، ومنذ جارينا الغرب فى قوانينه وأخلاقه وعاداته ، فشت بيننا الرذائل وشاعت المنكرات ، فتعـرت المرأة واختلطت بالرجال وتلاصقت أجسام يحرم الإسلام التصاقها ، وأسفرت وجوه يحرم الإسلام إسفارها حتى إن الزى الإسلامى الساتر لمفاتن الفتاة صار محرما ، أو على الأقل يحتاج إلى إذن وتصريح . سبحانك اللهم !! ، ولا غرو أن صبت علينا النكبات .

وكبتوا بمعنى : أخزوا وذلوا وأهينوا ، وفسره المفسرون بمعان أخـرى متقاربـة منها رُدُّوا مخذولين ، ومنها : أهلكوا ، ومنها : معـان أخرى .

والآية دعاء عليهم ، كما فى قولهتعالى :

لعنوا ، ولعنهم الله ، كما لعن الأمم المخالفة لأنبيائها من قبل .

وقيل هى إخبار كما فى قوله تعالى :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [المائدة]

وكفارُ قريش ذلوا وأهينوا يوم بدر ويوم الأحزاب كما أهينت أمم سابقة من قبل ؛ بسبب عصيانها الأنبياء .

وقيل : هو فعل ماض بمعنى المضارع ، كما فى قوله تعالى :

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ .

فهم سيكبتون ويعانون الذلة والهوان ، وهى إذن بشارة للمؤمنين بالنصر على الكفار .

وفسر أبو عبيدة الكبت بأنه من الكبد ــ قلبت داله تاء ، وأصله « كبدوا » ، أى أصيبوا فى أكبادهم ، ويمكن أن يحمل هذا على المجاز ، فهو يعنى الذلة والهوان والإلقاء على الوجه .

﴿ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ ﴾ .

وهذه الآية حال من ضمير الفاعل فى كبتوا وهو واو الجماعة ، أى أنهم استحقوا هذه الإهانة ؛ لأنا أنزلنا عليهم آيات بينات واضحات الدلالة ، لا ينبغى أن يعارضها أحد .

نزلت الآيات محاجة لمن حاد الله ورسوله ، وهؤلاء حادوا الله ورسوله بعد هذا الوضوح فهم يستحقون الكبت بكل معانيه .

﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ .

أى للكافرين بهذه الآيات ، أو بكل ما يجب الإيمان به أو آيات الله بوجه عام ــ عذاب مهين يذل كبرياءهم ، ويذهب بكرامتهم ــ فهذا وعيد وتهديد لمعارضى نبوة محمد ﷺ ومعاندى القرآن .



لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .
(رواه أبو داود والترمذى وحسّنه ، وأبو نعيم فى الحلية)

١ ـ ما النجاة : ما أسباب النجاة فى الحياة وبعد الممات ؟

٢ ـ أمسك : ـ وفى رواية أملك ـ والمراد : احفظه من الشر والزلل لا عن الخير .

الإسلام يدعو إلى الفضيلة ، ويحث على فعل الخير وصالح الأعمال والكلم الطيب الذى يدل على طهارة القلب .

واللسان من أخطر الجوارح على الإنسان ؛ فهو المعبر عما فى القلب من الإيمان ، وإن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح إنما هو اللسان ؛ فهو أخطرها أثراً ، وأكثرها ضرراً ، وأقبحها معصية ، إذا استقام استقامت الجوارح كلها وإذا فسد فسدت الجوارح جميعها .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه البيهقى وابن خزيمة والترمذى ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا أصبح ابن آدم . فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان ـ أى تخضع وتذل ـ وفى رواية تفكر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » .

لقد وجه الشارع الحكيم إلى العناية باللسان ، وحذر من عثراته وآفاته لخفة النطق به ، وقلة الجهد فيما يصدر عنه ، وشدة الخطر فيما ينجم عن استعماله من آثار ؛ فإنه آلة طيعة لإلحاق

الأذى بالناس ، أو إيصال الخير إليهم ، ولذا قال الحكماء فيه : اللسان أمير البدن ، فإذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت ، وإذا عف عفت .

ولأهمية أمر اللسان قال الله ــ عز وجل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة / ٨٣.

والإيمان بالله يملأ قلب المؤمن نوراً وإشراقاً ، ويجعله موصولاً بربه ، مستحضراً لعظمته في كل أحواله ، فيظهر أثر ذلك على اللسان ، فلا ينطق إلا بكلمات طيبة ترفع من شأن صاحبه وتسمو به عند الله وعند الناس .

قال ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ... ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥]

والإيمان باليوم الآخر يحمل صاحبه على أن يمسك لسانه عن السوء ، فلا يقول إلا خيراً ؛ فإن كل كلمة يقولها تحسب له أو عليه ؛ لأن الله يقول في كتابه الكريم :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[سورة ق : ١٨]

ثم يجازيه ــ سبحانه ــ في يوم تشتد أهواله ، وتتعاظم أموره وأحواله :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة آل عمران

وشأن المؤمن أن ينكر المحرم ، وإن عجز عن الإنكار فارق مجلسه إن أمكنه . قال الله ــ سبحانه :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة الأنعام : ٦٨

وعلى المسلم أن ينتصر على شهوة الكلام ، وأن يخزن عليه لسانه إلا من خير ؛ فإنه بذلك يغلب الشيطان ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . فكل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله ــ عز وجل ــ .

والمسلم الصادق يخزن لسانه إلا عن حق يوضحه أو باطل يدحضه ، أو حكمة ينشرها أو فتنة يخمدها . لا يقول زوراً ، ولا يتكلم بباطل . لا يغتاب أحداً ، ولا يجعل سيرة الناس موضوع حديثه . ليس بطعان ولا لعان .

ولهذا كان أول أسباب النجاة في الدنيا والآخرة كما قال الرسول ــ ﷺ ــ في حديث الباب : « أمسك عليك لسانك » .

أى : احفظه من الزلل ، فالتزم السديد من القول ، واحذر أن ينزلق لسانك لكذبة أو طعن في الغير ، أو سباب أو شتم أو تكلم فيما لا يعني . ورب كلمة من سخط الله قالها قائلها وهو لا يلقى إليها بالاً يهوى بها في النار . وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم .

ثم قال ﷺ : ــ « وليسعك بيتك » .

أى : اقض فيه أوقات فراغك من العمل ومن العبادة ، وبلزومك بيتك تتمكن من القيام بشئون أسرتك على خير وجه مما يضمن استقرار أسرتك وأولادك ، ويعود عليهم بالخير والنفع . كما جاء في الأثر : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

وما نحل والد ولداً خيراً من أدب .. وليحذر مجالس اللهو والفراغ . أو يخوض مع الخائضين فى القيل والقال . وفى كل ما يفسد على الإنسان إيمانه ، ويحبط أعماله . والمؤمن المستقيم هو الذى يتردد فقط على مجالس الذكر والخير وما يفيده فائدة تنفعه فى دينه ودنياه .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد ؛ نتحدث فيها ، فقال رسول الله : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » متفق عليه .

وفى قول الرسول الكريم : « وابك على خطيئتك » توجيه حكيم من رسول رب العالمين للمؤمنين ، وإرشاد يشير إلى قوله ـ ﷺ ـ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ، وعلى ابن آدم أن يديم البكاء خشية من ربه وحزناً على نفسه ، فإن عين الباكى من خشية ربه لا تمسها النار ؛ كما جاء فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

وعن زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه : « قال رجل : يا رسول الله ، بم أتقى النار ؟ قال : بدموع عينيك ؛ فإن عيناً بكت من خشية الله لا تمسها النار أبداً » ـ ابن أبى الدنيا والأصبهانى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب

خرّج الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ « عن النبى ـ ﷺ ـ أن رجلاً سأله فقال : يا رسول الله ، أى الجهاد أعظم ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً ، ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كلًا ، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول : أكثرهم لله ذكراً ، فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ : ذهب الذاكرون بكل خير . فقال رسول الله ـ ﷺ : نعم » .

وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال : « آخر ما فارقت عليه رسول الله ـ ﷺ ـ أن قلت : أى الأعمال خير وأقرب إلى الله ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » .

رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره .

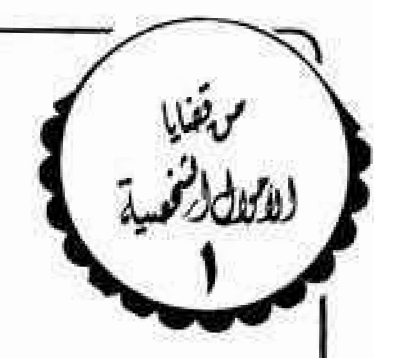
وعلينا أن نراعى هذه النصائح النبوية ؛ فبذلك نجنب أنفسنا سخط الله وغضبه ، ونأمن شرور الناس . ونلقى ربنا آمنين .

والخير كل الخير لمن ملك نفسه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته ، وذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، وانتصر على شيطانه وهواه .

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال فيما رواه الترمذى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله ـ تعالى :

﴿ يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ﴾ .

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا إنه هو الرحمن الرحيم .



حكم المحكمة الدستورية العليا

أقامت إحدى الزوجات دعوى أمام (محكمة الأحوال الشخصية) ضد زوجها طالبة الحكم بتطليقها منه إعمالا لنص المادة ١١ مكرر المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ إلى المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، وذلك لتضررها من زواجه عليها بأخرى ، وقد دفع الزوج بعدم دستورية هذه المادة ، فصرحت له (محكمة الموضوع) برفع الدعوى الدستورية أمام (المحكمة الدستورية) ، فأقامها .

وتنص المادة المشار إليها على أنه :

« على الزوج أن يقر فى وثيقة الزواج بحالته الاجتماعية ، فإذا كان متزوجاً فعليه أن يبين فى الإقرار اسم الزوجة أو الزوجات اللاتى فى عصمته ومحالّ إقامتهن ، وعلى المُوثّق اخطارهن بالزواج الجديد بكتاب مسجل بعلم الوصول ، ويجوز للزوجة التى تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق منه إذا لحقها ضرر مادى أو معنوى يتعذر معه دوام العشرة بين أمثالهما ، ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد ألا يتزوج عليها ، فإذا عجز القاضى عن الإصلاح بينهما طلقها عليه طلقة بائنة ، ويسقط حق الزوجة فى طلب التطليق لهذا السبب بمضى سنة من تاريخ علمها بالزواج بأخرى ، إلا إذا كانت قد رضيت بذلك صراحة أو ضمناً ، ويتجدد حقها فى طلب التطليق كلما تزوج بأخرى .

وإذا كانت الزوجة الجديدة لم تعلم أنه متزوج بسواها ثم ظهر أنه متزوج ، فلها أن تطلب التطليق كذلك » .

ونعى الزوج على النص المشار إليه مخالفته مبادىء الشريعة الإسلامية وهى المصدر الرئيسى للتشريع وفقاً للمادة الثانية من الدستور ، لتعارض هذا النص مع النصوص القرآنية التى تأذن بالتعدد وترخص فيه ، ولم تجز تقييده إلا بشرط العدل بين الزوجات ، فضلا عن أن النص المطعون فيه لم يبين ماهية الأضرار المعنوية التى تخول للزوجة المانعة فى الزواج الجديد حق طلب التفريق بينها وبين زوجها ، كما علق حقها فى هذا الطلب على عدم قبولها التزوج عليها صراحة أو ضمناً ، وألزمها رفع

دعوى التطليق خلال سنة من تاريخ علمها بالزواج الجديد وإلا سقط الحق فيها حال أن الضرر قد يلحقها بعد فوات هذا الميعاد . كذلك أجاز النص المطعون فيه ـ بمفهوم المخالفة ـ للزوجة أن تشترط فى عقد زواجها عدم الزواج عليها ، وهو قيد على تعدد الزوجات يناقض شرط العدل ، ولا يتصل به .

رفض طعن الزوج :

وقد قضت المحكمة الدستورية العليا برفض طعن الزوج بعدم دستورية النص سالف الذكر ، واستندت فى ذلك إلى الأسباب الآتية :ـ

١ ـ البين من النص المطعون فيه ـ المادة ١١ مكرراً من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض أحكام الأحوال الشخصية ـ أنه خول الزوجة التى تزوج عليها زوجها ـ ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى عقد الزواج ألا يتزوج عليها ـ أن تطلب الطلاق منه على ضوء شرطين موضوعيين .

أولهما : أن يكون قد لحقها ضرر من قبل زوجها ـ مادياً كان أو أدبياً ـ على أن يكون هذا الضرر موصوفاً من حيث آثاره بأن يبلغ مداه درجة من الإساءة تكون معها العشرة بين أمثالهما أمراً متعذراً .

ثانيهما : أن يكون تقدير هذا الضرر عائداً إلى القاضى ، وعليه ألا يطلقها من زوجها طلقة بائنة إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما .

قيد رفع الدعوى :

وسواء توافر هذان الشرطان أم تخلفا ، فإن الحق فى رفع دعوى التطليق ـ وفقاً لأحكام النص المطعون فيه ـ مقيد بزمن معين لا يتعداه ، إذ يتعين على الزوجة الساعية إلى التفريق بينها وبين زوجها ، أن تقيم دعواها خلال سنة من تاريخ علمها بأن زوجها تزوج بغيرها . ويسقط حقها فى إقامة دعواها هذه ، بفوات ذلك الميعاد ، وكذلك برضائها بالزواج الجديد صراحة أو ضمناً .

وهذا القيد الإجرائى ـ وأياً كان وجه الرأى فى دستوريته ـ لا يتعلق إلا بالزوجة التى تزوج عليها زوجها ، إذ هى التى قيدها النص السابق بميعاد لرفع دعواها بالتفريق بينها وبين زوجها ، واعتبر فوات هذا الميعاد مسقطاً للحق فيها ، ومن ثم لا تقوم المصلحة الشخصية المباشرة فى الطعن عليه إلا بالنسبة إليها ، كذلك ، فإن ما قرره ذلك النص من نزولها عن دعواها تلك بقبولها التزوج عليها صراحة أو ضمناً ، إنما يخصها دون غيرها ، باعتبار أن هذا النزول الذى قرره النص المطعون فيه قد تم بافتراض أن إرادتها قد اتجهت إليه ، ومن ثم تتعلق آثاره بها وحدها ، وعلى خلاف ما تقدم ، تلك المناعى التى توخى بها المدعى إبطال ذلك النص بمقولة إهداره الحق فى التعدد أو

تقييده ؛ إذ يعتبر هذا البطلان مرتبطاً بالشرطين الموضوعيين اللذين يخولان الزوجة التي تزوج زوجها عليها طلب التطليق منه ، ولا يجوز بالتالي لغير زوجها المجادلة في دستوريتهما ، وإليهما تمتد مصلحته الشخصية المباشرة التي جرى قضاء المحكمة الدستورية العليا على أنها شرط لقبول الدعوى الدستورية ، وأن مناطها أن يكون ثمة ارتباط بينها وبين المصلحة في الدعوى الموضوعية ، وذلك بأن يكون الفصل في المسألة الدستورية لازماً للفصل في النزاع المرتبط بها والمطروح على محكمة الموضوع .

الرقابة الدستورية متوازنة :

٢ ـ من المقرر أن الرقابة على الدستورية لا تستقيم موطئاً لإبطال نصوص تشريعية يمكن تأويلها ـ بمختلف طرق الدلالة المعتبرة ـ على وجه يعصمها من المخالفة الدستورية ، بل يجب ـ وبوصفها رقابة متوازنة لا يجوز التدخل بها إلا لضرورة ملحة تقتضيها ـ أن تكون مبررة بدواعيها كي لا يكون اللجوء إليها اندفاعاً ، أو الإعراض عنها تراخياً .

الأصل في تشريع تعدد الزوجات ووسطيته :

٣ ـ إن الأصل في تشريع التعدد هو النصوص القرآنية ، إذ يقول ـ تعالى ـ فيما أوحى به إلى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ سورة النساء

وكانت صيغة الأمر تفيد طلب وقوع المأمور به ، والامتناع عما يضاده ، ما لم يقم دليل على وجود قرينة تصرفها عن أصل وضعها إلى الإباحة ، وهو ما قرره بعض الفقهاء بقولهم :

إن (صيغة الأمر حقيقية في طلب الفعل ، مجاز فيما سواه) ، وأن إفادتها الإباحة بطريق المجاز يحتاج إلى قرينة ، وكانت الآية السابقة لا تفيد نهياً عن الجمع بين أكثر من زوجة ، ولا طلباً لازماً لإتيان هذا الفعل ، ولكنها إذنٌ بالتعدد ، وكان من المقرر أن الله ـ تعالى ـ ما شرع حكماً إلا لتحقيق مصالح العباد ، وما أهمل مصلحة اقتضتها أحوالهم دون أن يورد في شأنها حكماً ، وكان مسلماً كذلك أن ما كان ثابتاً بالنص هو المصلحة الحقيقية التي لا تبديل لها ، وأن العمل على خلافها ليس إلا تعدياً على حدود الله ، وكانت المصلحة التي تعارض النصوص القرآنية لا تعتبر مصلحة حقيقية ، ولكنها أدخل إلى أن تكون تشهيا وانحرافاً فلا يجوز تحكيمها ، وكان الله ـ تعالى ـ حين أذن بالتعدد ، شرع ذلك لمصلحة قدرها مستجيباً بها لأحوال النفس البشرية ،

فأقره في إطار من الوسطية التي تلتزم حد الاعتدال ، جاعلا من التعدد ـ وهو ليس إلا جمعا بين أكثر من زوجة بما لا يجاوز الأربع ـ حقاً لكل رجل ، ومحلته كل امرأة من الحرائر يستطيبها وتحل له شرعاً ـ ولو لم تكن يتيمة يتحرج من أكل أموالها وظلمها ، بل ولو لم يكن ولياً عليها ـ غير مقيد في ذلك بما وراء الأمن من الجور بين من يضمهن إليه باعتبار أن الأصل في المؤمن العدل بين من ينكحهن ليكون أعون على بقاء أصل الاستقرار والاطمئنان ، فإن لم يأمن العدل ، فعليه بواحدة لا يزيد عليها حتى لا يميل لغيرها كل الميل ، ومن ثم كان التعدد مقرراً بنصوص قرآنية صريحة لا يرتبط تطبيقها بمناسبة نزولها ، ولكنها تعد تشريعاً إلهياً لكل زمان ومكان ، جوهره العدل ، وهو ليس إلا قولا معروفاً وامتثالاً لأوامر الله ـ تعالى ـ مع مجانبة نواهيه ، وكلما استقام التعدد على قاعدة العدل ـ وهي قيد على الحق فيه ولا تعد سبباً لنشوئه ـ كان نافياً للجور والميل ، واستحال أن يتمحض ظلماً أو ينحل إلى إضرار بالزوجة التي تعارض اقتران زوجها بغيرها ، ذلك أن ما يجوز شرعاً لا يؤول إعناتاً ، **ولا وجه للقول بأن الشريعة الغراء ـ وغايتها إصلاح شئون العباد وتقويمها ـ تناقض في تطبيقاتها العملية مصالحهم وتعارضها** ، ولأن ما ينهانا الله عنه يكون ضرره راجحاً ، وما يأمرنا به وجوباً أو على سبيل الإباحة إنما يكون نفعه غالباً ، ولا يعتبر بالتالي قريناً لإيذاء أو مضارة أو سبباً لأيهما ، وإلا ابتعد عن مصالح العباد ، وكان سعياً لما يناقضها ، ومدخلا إلى مفاسد مقطوع بها أو راجحاً وقوعها بقدر الإثم الملابس لها أو المحيط بها ، وهو ما ينزه الله ـ تعالى ـ عنه حين أذن بالتعدد وجعل الحق فيه ـ مع الأمن من الجور ـ مكتملا ولو عارضته الزوجة التي على العصمة .

الطعن في النص مردود :

٤ ـ إن النص المطعون فيه قد دل بعبارته على أمرين ينفيان معاً قالة مصادرته للتعدد أو تقييد الحق فيه .

أولهما : أن حق الزوجة التي تعارض الزواج الجديد في التفريق بينها وبين زوجها ، لا يقوم على مجرد كراهيتها له أو نفورها منه لتزوجه عليها ، وليس لها كذلك أن تطلب فصم علاقتها بزوجها بادعاء أن اقترانه بغيرها يعتبر في ذاته إضراراً بها ، **وإنما** يجب عليها أن تقيم الدليل على أن ضرراً منهياً عنه شرعاً قد أصابها بفعل أو امتناع من قبل زوجها ، على أن يكون هذا الضرر حقيقياً لا متوهماً ، واقعاً لا متصوراً ، ثابتاً وليس مفترضاً ، مستقلا بعناصره عن واقعة الزواج اللاحق في ذاتها وليس مترتباً عليها ، مما لا يغتفر لتجاوزه الحدود التي يمكن التسامح فيها شرعاً ، منافياً لحسن العشرة بين أمثالهما بما يخل بمقوماتها لينحل إساءة لها ـ دون حق ـ اتصلت أسبابها بالزيجة التالية وكانت هي باعثها ، فإن لم تكن هذه الزيجة هي المناسبة التي وقع الضرر مرتبطاً بها ، فإن حقها في التفريق بينها وبين زوجها يرتد إلى القاعدة العامة في التطبيق للضرر المنصوص عليها في المادة ٦ من المرسوم بقانون

رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية .

متى كان ذلك ، فإن النص التشريعي المطعون عليه لا يكون ناهياً عن التعدد أو معدلاً لأحكامه ــ من خلال تحويرها ــ بما يخرجها عن أصل وضعها ، إذ لو كان الأمر كذلك لغدا أمراً محظوراً مجرد ولوج الطريق إليه ، ولكان مجرد الجمع بين امرأتين منشئاً لأولادهن قرينة قانونية يفترض الضرر من خلالها ، ولا يجوز التدليل على عكسها ، ويكون التفريق بين الزوجين بموجبها واقعاً بقوة القانون ، وهو ما يؤول إلى إعدام السلطة التقديرية التي يملكها القاضي في تقييم الأضرار التي تدعي الزوجة إلحاقها بها ، تحديداً من جهته لأسبابها ، ونظراً منه في بواعثها وملابساتها توطئة لتقرير حكمها على ضوء المقاييس الشرعية التي لا تتغير أو تتبدل . كذلك ليس في النص المطعون فيه ما يتضمن تعليقاً لآثار الزيجة التالية على إرادة الزوجة التي تعارض بقاءها ، إذ لو كان لها ذلك ، لجاز أن تنقض بيدها الآثار التي رتبها المشرع على عقد الزواج التالي ، وأن تعطل بإرادتها سريانها في حقها حال أن العقود ــ وإن كان تكوينها عائداً إلى إرادة أطرافها ــ إلا أن آثارها من عمل المشرع وحده .

ثانيهما : أن القاضي لا يجيبها إلى طلبها التفريق بينها وبين زوجها بتطليقها منه طلقة بائنة ، إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما . وعليه بالتالي قبل فض علاقة الزوجية أن يسعى بينهما معروفاً ، ناظراً في أحوالهما ، مستوضحاً خفاياها ، وأن يلتمس لذلك كل الوسائل التي تساق إليهما ــ توجيهاً وتبصيراً وتوفيقاً ــ توطئة لرفع الضرر عنها قدر الإمكان . ويفترض هذا الجهد من القاضي ، أن يكون الخلاف بين الزوجين مما يرجى إصلاحه بتهدئة الخواطر بينهما ، وإعانتهما على تجاوز مظاهر تفرقهما ، بعد تقصي أسبابها ، والتوصل إلى حلول يقبلانها معاً . ولا كذلك الأمر إذا كان خلافها مع زوجها راجعاً إلى مجرد الجمع عليها ، إذ يكون الشقاق بينهما عندئذ مترتباً على الزواج اللاحق في ذاته وناشئاً عنه وحده ، وليس أمام القاضي في مواجهته إلا أحد حلين يخرجان معاً عن معنى الإصلاح وينافيان مقاصده :

أولهما : أن يلزمها النزول عن طلبها التفريق بينها وبين زوجها مع بقاء الزوجة الجديدة في عصمته ، وهو ما لن ترضاه .

ثانيهما : أن يدعو زوجها إلى مفارقة زوجته الجديدة بالتخلي عنها ولو كان راغباً في بقاء علاقة الزوجية معها لمصلحة يقدرها . وليس ذلك بحال طريق الوسطية بين مطلبين ، ولا رأباً للصدع بين موقفين .

٥ ــ إن النص المطعون فيه ــ بالأحكام السابق بيانها ــ يكون قد أقام الحياة الزوجية على أسس لا تصلح إلا بها ، جاعلاً معيار الضرر الذى يولد الحق في التفريق موضوعياً لا ذاتياً ، حائلاً دون

وقوع علاقة ــ تتعدد الزوجات فيها مع الأمن من الجور ــ فى الضيق والحرج اللذين تحرص الشريعة الغراء على دفعهما ما وسعها الجهد إلى ذلك إعمالاً لقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾ ، مستبعداً من مجال تطبيقه تلك الأضرار التى تعود إلى المشاعر النفسية التى تعتمل فى صدر المرأة تجاه ضرتها باعتبار أن ما قد يقع بينهما من تباغض ، وما تحملانه لبعضهما من ضغائن تمتد إلى أولادهما ، مرجعها تلك الغيرة الطبيعية بين امرأتين تتزاحمان على رجل واحد ، ولا يخلص هو لإحداهن ، وهى بعد غيرة لا يمكن تنقية النفوس البشرية منها ، ولم يقصد النص المطعون فيه إلى إزالتها ، ولا يجوز أن تخل بمقاصد التعدد التى تربو عليها والتى يقتضيها صون عرض المرأة ونسلها حتى لا تتعرض لهوان أو ضياع أو ابتذال بما يناقض آدميتها أو يمس عفتها ويؤول ــ بحرمانها من زوج يرعاها ــ إلى عزلتها وانكفائها على نفسها بإيصاد طريقها إلى بناء أسرة تتواصل حياتها معها ، وتكون أكفل لإصلاح أمرها بما تفىء به عليها .

٦ ــ إن ما قيل من أن النص المطعون فيه أجاز بمفهوم المخالفة للزوجة أن تضمن عقد زواجها شرطاً بألا يتزوج زوجها عليها ، منشئاً بذلك قيداً جديداً على تعدد الزوجات يجاوز حدود العدل بينهن ، مردود .

أولاً : بأن إعمال النص المطعون فيه لا يستقيم إلا بافتراض أن الزوجة التى تقيم دعواها للتفريق بينها وبين زوجها لازال عقد زواجها منه قائماً .

وأن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها ليس معلقاً على إرادتها ، بل مرتبطاً بوجود ضرر محدد وفق مقاييس شرعية ، ناشئاً عما أتاه زوجها معها إخلالاً منه بحسن العشرة بما ينافى حدود إمساكها معروفاً ، وهو بعد ضرر لا يليق بأمثالهما ، وليس مترتباً على الزيجة اللاحقة فى ذاتها ، بل وقع بمناسبتها . متى كان ذلك ، فإن افتراض قيام المرأة التى تزوج زوجها عليها بحل عقدة النكاح بينها وبين زوجها عن طريق فسخها بإرادتها المنفردة إعمالاً من جانبها لشرطها بعدم التزوج عليها ــ بفرض وجوده فى عقدها ــ يكون غير متصور فى تطبيق أحكام النص المطعون فيه .

ومردودة ثانيا : بأن قاعدة الفقه الحنبلى فيما تتضمنه العقود بوجه عام من الشروط ، وما يرد منها بوجه خاص فى عقد الزواج ، هو إطلاقها لا تقييدها ، وإباحتها لا منعها ، ما لم يقم دليل شرعى على غير ذلك . وهم يفرعون هذه القاعدة على مبدأ حرية التعاقد ، وأن الناس على شروطهم لا يتحولون عنها إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً . وقد أجازوا ــ وعلى ضوء نظرتهم إلى الشروط فى الأنكحة ــ شرط المرأة على زوجها ألا ينقلها من دارها أو بلدها أو أن يكون ذا مال . وقطعوا بأن شرطها ألا يتزوج عليها لا يحرم حلالا ، ذلك أن فائدة هذا الشرط تعود إليها ومنفعتها فيه ، وما كان من مصلحة العاقد كان من مصلحة عقده ، وهو بعد شرط لا يخل بمقاصد النكاح التى قام الدليل الشرعى على طلبها . وإذا كان إنفاذ العهد مسئولاً ، وكان من المقرر أن مقاطع الحقوق عند الشروط ، فإن نكول زوجها عن تعهده بعدم الزواج عليها يكون مخالفاً لقاعدتهم فى

إطلاق الشروط وعدم تقييدها استصحاباً لأصل إباحتها ، وهي قاعدة عززوها بما نقل عن الرسول عليه السلام من أن « أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج » . ومن ثم كان لها ، ـ وقد أخل زوجها بشرطها ، وقام الدليل بالتالي على أن رضاها ـ وقد كان قواماً لعقد زواجها ـ قد اختل ، الخيار بين إبقاء علاقتها الزوجية أو حلها بفسخها .

النص المطعون فيه لا يعارض التعدد :

٧ ـ وإذا كان النص المطعون فيه لا يعارض التعدد ، ولا ينظر إليه باعتباره ذريعة إلى حرام ، ولا يتوخى كذلك بلوغ غاية بذاتها يكتنفها الإثم أو يتصل بها ، وجب القول بأن الدائرة التي يعمل في نطاقها ، هي دائرة المضار الفعلية إذا كان مرجعها فعل أو امتناع أتاه زوجها قبلها مرتبطاً بالزيجة التالية ، ومتصلا بما يكون عليه حال العشرة بينهما بعد تزوجه عليها بما لا يأذن به الشرع أو يرخص فيه ، ومن ثم يكون هذا النص منطوياً على تطبيق خاص للتطليق للضرر لإفراده صوراً بعينها يكون ذلك النص متعلقاً بها منصرفاً إليها ودائراً حولها . وهو باعتباره كذلك يعد فرعاً لأصل يرد إليه ، وليس للفرع امتياز على الأصل الذي يلحق به . ويقتضي ذلك أن يفسر النص المطعون فيه على نحو يوفق بين أحكامه وقوله تعالى :

﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ وكذلك على ضوء القاعدة الكلية التي صاغها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : ﴿ **لا ضرر ولا ضرار** ﴾ ، وهي قاعدة رئيسية من أركان الشريعة الإسلامية تعددت تطبيقاتها وإن كانت مُحكمة في إيجازها ، وتكشف عنها نصوص قرآنية مختلفة مواضعها منها قوله سبحانه : ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا** ﴾ وقوله جل علاه ﴿ **وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ** ﴾ وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف** ﴾ وحكمها يفيد دفع الضرر قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ، ورفعه بعد حدوثه بما يستطاع من التدابير التي تزيله . وعلى ضوئها لا يجوز الإضرار ـ ولو على سبيل المقابلة ـ إذا كان ثأراً محضاً يزيد من الضرر ولا يفيد إلا في توسيع دائرته . كما لا يجوز أن تقدم المنافع التي يمكن جلبها على مواجهة مخاطر المفاسد ودرء عواقبها .. وعنها فرع الفقهاء عدداً من القواعد التي تندرج تحتها ، وتعتبر تخريجاً عليها ، منها أن الضرر يدفع قدر الإمكان ، وأن الضرر يزال ، وأن الضرر لا يزال بمثله كي لا يتفاقم مداه ، وأن تزاحم ضررين يقتضي اختيار أهونهما دفعاً لأعظمهما ، وأن تحمل الضرر الخاص يكون مطلوباً كلما كان ذلك لازماً لرد ضرر عام .

متى كان ما تقدم ، وكان المالكية قد أثبتوا حدود قاعدة « لا ضرر ولا ضرار » ببيان بعض تطبيقاتها في نطاق العلاقة الزوجية ، وبتوكيدهم أن الأضرار التي تخول الزوجة حق حل عقدة

النكاح بينها وبين زوجها هي التي تكون كذلك بالمقاييس الشرعية ، ولا اعتداد في توافرها وقيام سببها بما تراه هي صواباً أو انحرافاً عن الحق ، أو بما يكون كامناً في نفسها قبل زوجها بغضاً أو ازدراءً أو نفراً ، وإنما مرد الأمر دوماً إلى ما تقرر الشريعة الغراء اعتباره ضرراً ، وكانت هذه القاعدة التي فصلها المالكية هي الأصل العام في التطليق للضرر ، فإن النص المطعون فيه يعتبر من تطبيقاتها ، وإن كان من قبيل التنظيم الخاص لبعض صورها ، وهو تنظيم لا ينحى القاعدة العامة المنصوص عليها في المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ أو يعارضها ، وإنما يتقيد بإطارها العام الذي يخول كل زوجة حق التفريق بينها وبين زوجها إذا لم يعد مستطاعاً ــ على ضوء الأضرار التي ألحقها بها ــ دوام العشرة بين أمثالهما ، ولا منافاة في ذلك كله لمبادىء الشريعة الإسلامية القطعية في ورودها ودلالتها ، بل هو التزام أمين بها ، ذلك أن ما يصدر عن الزوج ــ إيذاء وإعناتاً وقهراً ــ يعتبر تعدياً عليها يحملها مالاتطيق ، ويخرج بالتالي عن نطاق الحماية الشرعية . وما النص المطعون فيه ــ في نطاق الشرطين الموضوعيين اللذين أسلفنا بيانهما ــ إلا تفريعاً على هذا الأصل العام ، ولابد أن يُحمل على معناه .

٨ ــ القول بأن الشريعة العامة للتطليق للضرر تدل بشمول معناها وتنامي تطبيقاتها على إتساعها لكل صورة بما في ذلك تلك التي عينها النص المطعون فيه ، لا يعني ــ وبفرض صحته ــ أن التنظيم الخاص الذي أفرده ذلك النص لصور بذاتها من الأضرار تكون الزوجة التالية هي مناسبة إحداثها ويجوز التفريق بين الزوجين بموجبها ــ قد صار مخالفاً للدستور ، ذلك أن اندراج نص تشريعي معين في المفهوم العام لنص آخر ، وإمكان الاستغناء بالتالي عن الفرع لعموم الأصل ، أوثق إتصالاً بالوسائل الفنية لصياغة النصوص التشريعية ، ولا يحمل من هذه الناحية وحدها ــ بالتالي ــ إلى مخالفة دستورية .

المعنى الذى تحدده المحكمة الدستورية العليا هو الدعامة التى قام عليها الحكم :

٩ ــ من المقرر أنه إذا حددت المحكمة الدستورية العليا ــ بطرق الدلالة المختلفة ــ معنى معيناً لمضمون نص تشريعي ، منتهية من ذلك إلى الحكم برفض المطاعن الدستورية الموجهة إليه ، فإن هذا المعنى يكون هو الدعامة التي قام عليها هذا الحكم ، تمتد إليه مع المنطوق الحجية المطلقة والكاملة التي أسبغها قانون المحكمة الدستورية العليا على أحكامها في المسائل الدستورية باعتبارهما متضامين وكلا غير منقسم ، ولا يجوز بعدئذ لأية جهة ــ ولو كانت قضائية ــ أن تعطي هذا النص معنى مغايراً يجاوز تخوم الدائرة التي يعمل فيها محدد إطارها على ضوء قضاء المحكمة الدستورية العليا .

المستشار الدكتور
عوض محمد المر
رئيس المحكمة الدستورية العليا

من قضايا الأحوال الشخصية ٢

الزواج بأخرى

والمادة ١١ مكرر من القانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م

بالجلسة العلنية المنعقدة فى يوم الأحد ١٤ أغسطس ١٩٩٤ الموافق ٦ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ . برئاسة السيد المستشار الدكتور عوض محمد عوض المر رئيس المحكمة .

وحضور السادة المستشارين : فاروق عبد الرحيم غنيم ، وعبد الرحمن نصير ، والدكتور عبد المجيد فياض ، ومحمد على سيف الدين ، وعدلى محمود منصور ، ومحمد عبد القادر عبد الله ... أعضاء ، وحضور السيد المستشار الدكتور عادل عمر شريف ... المفوض .

وحضور السيد / رأفت محمد عبد الواحد ... أمين السر ..

أصدرت الحكم الآتى فى القضية المقيدة بجدول المحكمة الدستورية العليا برقم ٣٥ لسنة ٩ (دستورية) .

المقامة من السيد / عبده على أحمد عنتر ...

ضد :

١ ـ السيد / رئيس الجمهورية .

٢ ـ السيد / رئيس مجلس الوزراء .

٣ ـ السيدة / ناهد عبد القادر عبد القادر على .

الإجـراءات

بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٨٧ أودع المدعى صحيفة هذه الدعوى قلم كتاب المحكمة طالبا الحكم بعدم دستورية نص المادة ١١ مكرراً من المرسوم بقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ بتعديل بعض أحكام قوانين الأحوال الشخصية فى فقراتها الأربع .

قدمت هيئة قضايا الدولة مذكرة دفعت فيها أصليا بعدم قبول الدعوى بالنسبة للفقرتين الأولى والأخيرة من المادة ١١ مكررا المطعون عليها ، واحتياطيا ، طلبت رفض الدعوى .

وبعد تحضير الدعوى أودعت هيئة المفوضين تقريرا برأيها .

ونظرت الدعوى على الوجه المبين بمحضر الجلسة ، وقررت المحكمة إصدار الحكم فيها بجلسة اليوم .

المحكمـة

بعد الاطلاع على الأوراق والمداولة .

حيث إن الوقائع ـ على ما تبين من صحيفة الدعوى وسائر الأوراق ـ تتحصل فى أن المدعى عليها الثالثة كانت قد أقامت الدعوى رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٨٤ كلى نفس المنصورة ضد المدعى طالبة التطليق إعمالا لنص المادة ١١ مكررا المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ ، وذلك لتضررها من زواجه عليها بأخرى . وإذ دفع المدعى ـ فى الدعوى الماثلة ـ أمام محكمة الموضوع بعدم دستورية النص سالف الذكر . وكانت محكمة الموضوع قد صرحت له برفع الدعوى الدستورية ـ بعد أن قدرت جدية دفعه ـ فقد أقام الدعوى الماثلة .

وحيث إن المدعى ينعى على نص المادة ١١ مكررا المشار إليها مخالفته حكم المادة الثانية من الدستور التى تقضى بأن مبادىء الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، وذلك قولا منه بأن القوانين واللوائح التى تخالف هذه المبادىء تقع باطلة عديمة الأثر قانونا .. وأن النص المطعون عليه يتعارض مع النصوص القرآنية التى تأذن بالتعدد وترخص فيه ، ولم تجز تقييده إلا بشرط العدل بين الزوجات . فضلا عن أن النص المطعون فيه لم يبين ماهية الأضرار المعنوية التى تخول الزوجة الممانعة فى الزواج الجديد حق طلب التفريق بينها وبين زوجها . كما علق حقها فى هذا الطلب على عدم قبولها التزوج عليها صراحة أو ضمنا ، وألزمها رفع دعواها بالتطليق خلال سنة من تاريخ علمها بالزواج الجديد ، وإلا سقط الحق فيها حال أن الضرر قد يلحقها بعد فوات هذا الميعاد . كذلك أجاز النص المطعون فيه ـ بمفهوم المخالفة ـ للزوجة أن تشترط فى عقد زواجها عدم الزواج عليها ، وهو قيد على تعدد الزوجات يناقض شرط العدل بينهن ولا يتصل به .

وحيث إن المادة ١١ مكررا من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية المضافة بالمادة الأولى من القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ ، والمطعون عليها بعدم الدستورية تنص على أنه « على الزوج أن يقر فى وثيقة الزواج بحالته الاجتماعية ، فإذا كان متزوجا فعليه أن يبين فى الإقرار اسم الزوجة أو الزوجات اللاتى فى عصمته ومحال إقامتهن ، وعلى الموثق

بإخطارهن بالزواج الجديد بكتاب مسجل مقرون بعلم الوصول . ويجوز للزوجة التي تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق منه إذا لحقها ضرر مادي أو معنوي يتعذر معه دوام العشرة بين أمثالهما ، ولو لم تكن قد اشترطت عليه في العقد ألا يتزوج عليها .

فإذا عجز القاضي عن الإصلاح بينهما طلقها عليه طلقة بائنة . **ويسقط حق الزوجة في طلب التطليق لهذا السبب بمضي سنة من تاريخ علمها بالزواج بأخرى** ، إلا إذا كانت قد رضيت بذلك صراحة أو ضمنا . ويتجدد حقها في طلب التطليق كلما تزوج بأخرى .

وإذا كانت الزوجة الجديدة لم تعلم أنه متزوج بسواها ، ثم ظهر أنه متزوج ، فلها أن تطلب التطليق كذلك » .

وحيث إن من المقرر أن المحكمة الدستورية العليا لا يجوز أن تتنصل من اختصاص نيط بها ـ وفقا للدستور أو القانون أو « كلاهما » وعليها كذلك ـ وبنفس القدر ـ ألا تخوض في اختصاص ليس لها ، ذلك أن إنكارها لولايتها أو مجاوزتها لتخومها ممتنعان من الناحية الدستورية . ولا يجوز من ثم أن تترخص فيما عهد إليها به من المسائل الدستورية كلما كان تصديها لها لازما ولو لابستها صعوبات لها وزنها أو قارنتها محاذير لها خطرها . بيد أن ذلك لا يعني الاندفاع بالرقابة على الدستورية إلى آفاق تجاوز مقتضياتها أو مباشرتها دون قيود توازن بها ، بل يتعين أن تكون هذه الرقابة ـ ولضمان فاعليتها ـ محددة طرائقها ومداخلها ، جلية أسسها ومناهجها ، وأن تمارس في إطار مجموعة من الضوابط التي تصوغها الهيئة القضائية التي تتولاها ، ولا تفرضها عليها سلطة أعلى لتحد بها من حركتها ، لضمان أن تكون الرقابة على الدستورية منحصرة في حدودها المنطقية ، فلا يكون التدخل بها مؤذنا بانفلاتها من كوابحها ، بل مقيداً بما يصون موجباتها ولا يخرجها عن حقيقة مراميها كأداة تكفل في آن واحد : سيادة الدستور ، ومباشرة السلطتين التشريعية والتنفيذية لاختصاصاتها التقديرية دون عائق . ومن ثم كان اللجوء إليها مقيداً بضرورة أن يكون التدخل بها لازما ومبررا بوصفها ملاذا نهائيا ، وليس باعتبارها إجراء احتياطيا . وتتحل هذه الضوابط في واقعها إلى قيود ذاتية تفرضها على نفسها الهيئة القضائية التي عهد إليها الدستور أو المشرع برقابة الدستورية ، وذلك تقديراً منها لخطورة هذه الرقابة ودقتها ، ولأن المصالح التي تواجهها فريدة في بابها بالنظر إلى تشابكها واتساعها وتعقدها ، واتصالها المباشر بمراكز هؤلاء الذين يمسهم النص التشريعي المطعون فيه ، ولو كانوا من غير أطراف المنازعة الدستورية .

وعلى ضوء التنظيم المقارن للرقابة على الدستورية ، لا يجوز أن تفصل الهيئة التي تتولاها في دستورية نص تشريعي في غير خصومة تعكس بعضويتها حقيقة التناقض بين مصالح أطرافها ، ولا أن تقرر قاعدة دستورية لم يحن أوان إرسائها ، أو قاعدة دستورية تجاوز باتساعها أو مداها الحدود التي يستلزمها الفصل في النزاع المعروض عليها ، وليس لها كذلك الفصل في المسائل الدستورية التي يثيرها النص التشريعي المطعون عليه ، إذا كان الطاعن قد أفاد من مزاياه أو كانت الأضرار التي

رتبها لاتتصل بالمصالح التي يدعيها اتصالا شخصيا ومباشرا ، أو كان ممكنا حمل حكمها في النزاع المطروح عليها على أساس آخر . وعليها دوما - وكشرط أوّلىّ لممارستها رقابتها على الدستورية - أن تستوثق مما إذا كان ممكنا تأويل النص التشريعى المطعون عليه على نحو يجنبها الحكم بعدم دستوريته .

وحيث إن البين من النص المطعون فيه - المادة ١١ مكررا من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض أحكام الأحوال الشخصية - أنه خول الزوجة التي تزوج عليها زوجها - ولو لم تكن قد اشترطت عليه في عقد الزواج ألا يتزوج عليها - أن تطلب الطلاق منه على ضوء شرطين موضوعيين :

أولهما : أن يكون قد لحقها ضرر من قبل زوجها - ماديا كان أو أدبيا - على أن يكون هذا الضرر موصوفاً من حيث آثاره بأن يبلغ مداه درجة من الإساءة تكون معها العشرة بين أمثالهما أمراً متعذراً .

ثانيهما : أن يكون تقدير هذا الضرر عائداً إلى القاضى . وعليه ألا يطلقها من زوجها طلقة بائنة إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما .

وسواء توافر هذان الشرطان أم تخلفا ، فإن الحق في رفع دعوى التطليق - وفقاً لأحكام النص المطعون فيه - مقيد بزمن معين لايتعداه ، إذ يتعين على الزوجة الساعية إلى التفريق بينها وبين زوجها ، أن تقيم دعواها خلال سنة من تاريخ علمها بأن زوجها تزوج بغيرها ، ويسقط حقها في إقامة دعواها هذه ، بفوات ذلك الميعاد ، وكذلك برضائها بالزواج الجديد صراحة أو ضمناً

وحيث إن القيد الإجرائى المشار إليه - وأيا كان وجه الرأى في دستوريته - لايتعلق إلا بالزوجة التي تزوج عليها زوجها ، إذ هى التى قيدها النص السابق بميعاد لرفع دعواها بالتفريق بينها وبين زوجها ، واعتبر فوات هذا الميعاد مسقطا للحق فيها ، ومن ثم لاتقوم المصلحة الشخصية المباشرة في الطعن عليه إلا بالنسبة إليها . كذلك ، فإن ما قرره ذلك النص من نزولها عن دعواها تلك بقبولها للتزوج عليها صراحة أو ضمناً ، إنما يخصها دون غيرها باعتبار أن هذا النزول الذى قرره النص المطعون فيه قد تم بافتراض أن إرادتها قد اتجهت إليه ، ومن ثم تتعلق آثاره بها وحدها . وعلى خلاف ما تقدم ، تلك المناحى التى توخى بها المدعى إبطال ذلك النص بمقولة إهداره الحق في التعدد أو تقييده ، إذ يعتبر هذا البطلان مرتبطا بالشرطين الموضوعيين اللذين يخولان الزوجة التي تزوج زوجها عليها طلب التطليق منه ، ولا يجوز بالتالى لغير زوجها المجادلة في دستوريتهما ، وإليهما تمتد مصلحته الشخصية المباشرة التي جرى قضاء المحكمة الدستورية العليا على أنها شرط لقبول الدعوى الدستورية ، وأن مناطها أن يكون ثمة ارتباط بينها وبين المصلحة في الدعوى الموضوعية ، وذلك بأن يكون الفصل في المسألة الدستورية لازما للفصل في النزاع المرتبط بها ، والمطروح على محكمة الموضوع .

وحيث إن من المقرر أن الرقابة على الدستورية لاتستقيم موطئاً لإبطال نصوص تشريعية يمكن تأويلها ـ بمختلف طرق الدلالة المعتبرة ـ على وجه يعصمها من المخالفة الدستورية المدعى بها ، بل يجب ـ وبوصفها رقابة متوازنة لايجوز التدخل بها إلا لضرورة ملحة تقتضيها ـ أن تكون مبررة بدواعيها كي لا يكون اللجوء إليها اندفاعاً ، أو الإعراض عنها تراخياً .

وحيث إن الأصل في تشريع التعدد هو النصوص القرآنية ، إذ يقول ـ تعالى ـ فيما أوحى به إلى محمد ـ عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3) ﴾
سورة النساء

وكانت صيغة الأمر تفيد طلب وقوع المأمور به والامتناع عما يضاده ، ما لم يقم دليل على وجود قرينة تصرفها عن أصل وضعها إلى الإباحة ، وهو ما قرره بعض الفقهاء بقولهم : (إن صيغة الأمر حقيقة في طلب الفعل ، مجاز فيما سواه) وأن إفادتها الإباحة بطريق المجاز يحتاج إلى قرينة ، وكانت الآية السابقة لاتفيد نهيا عن الجمع بين أكثر من زوجة ، ولا طلبا لازما لإتيان هذا الفعل ، ولكنها إذن بالتعدد ، وكان من المقرر أن الله ـ تعالى ـ ما شرع حكما إلا لتحقيق مصالح العباد ، وما أهمل مصلحة اقتضتها أحوالهم دون أن يورد في شأنها حكماً ، وكان مسلما كذلك أن ما كان ثابتاً بالنص هو المصلحة الحقيقية التى لاتبديل لها . وأن العمل على خلافها ليس إلا تعدياً على حدود الله ، وكانت المصلحة التى تعارض النصوص القرآنية لاتعتبر مصلحة حقيقية ، ولكنها أدخل إلى أن تكون تشهيا وانحرافا فلا يجوز تحكيمها ، وكان الله ـ تعالى ـ حين أذن بالتعدد ، شرع ذلك لمصلحة قدرها مستجيبا بها لأحوال النفس البشرية ، فأقره في إطار من الوسطية التى تلتزم حد الاعتدال ، جاعلا من التعدد ـ وهو ليس إلا جمعا بين أكثر من زوجة بما لايجاوز الأربع ـ حقا لكل رجل ، ومحليته كل امرأة من الحرائر يستطيبها وتحل له شرعا ـ ولو لم تكن يتيمة يتحرج من أكل أموالها وظلمها ، بل ولو لم يكن وليا عليها ـ غير مقيد في ذلك بما وراء الأمن من الجور بين من يضمهن إليه باعتبار أن الأصل في المؤمن العدل بين من ينكحهن ليكون أعون على بقاء أصل الاستقرار والاطمئنان ، فإن لم يأمن العدل ، فعليه بواحدة لايزيد عليها حتى لايميل لغيرها كل الميل ، ومن ثم كان التعدد مقرراً بنصوص قرآنية صريحة لايرتبط تطبيقها بمناسبة نزولها ، ولكنها تعد تشريعاً إلهياً لكل زمان ومكان . جوهره العدل ، وهو ليس إلا قولا معروفا وامتثالا لأوامر الله ـ تعالى ـ مع مجانبة نواهيه ، وكلما استقام التعدد على قاعدة العدل ـ وهى قيد على الحق فيه ولاتعد سببا لنشوئه ـ كان نافيا للجور والميل واستحال أن يتمحض ظلما أو ينحل إلى إضرار بالزوجة التى تعارض اقتران زوجها بغيرها ، ذلك أن ما يجوز شرعا لايؤول إعناتا ، ولا وجه للقول بأن الشريعة الغراء ـ وغايتها إصلاح شئون العباد

وتقويمها ــ تناقض في تطبيقاتها العملية مصالحهــ وتعارضها . ولأن ما نهانا الله عنه يكون ضرره راجحاً ، وما يأمرنا به وجوباً ــ أو على سبيل الإباحة ــ إنما يكون نفعه غالباً ، ولا يعتبر بالتالى قريناً لإيذاء أو مضارة أو سبباً لأيهما ، وإلا ابتعد عن مصالح العباد ، وكان سعياً لما يناقضها ، ومدخلا إلى مفاسد مقطوع بها أو راجحاً وقوعها بقدر الإثم الملابس لها ، أو المحيط بها ، وهو ما يُنزّهُ الله ــ تعالى ــ عنه حين أذن بالتعدد وجعل الحق فيه ــ مع الأمن من الجور ــ مكتملا ولو عارضته الزوجة التى على العصمة .

وحيث إن النص المطعون فيه قد دل بعبارته على أمرين ينفيان معاً قالة مصادرته للتعدد أو تقييد الحق فيه :

أولهما : أن حق الزوجة التى تعارض الزواج الجديد فى التفريق بينها وبين زوجها ، لايقوم على مجرد كراهيتها له أو نفورها منه لتزوجه عليها ، وليس لها كذلك أن تطلب فصم علاقتها بزوجها بادعاء أن اقترانه بغيرها يعتبر فى ذاته إضراراً بها ، وإنما يجب عليها أن تقيم الدليل على أن ضرراً منهياً عنه شرعاً قد أصابها بفعل أو امتناع من قبل زوجها ، على أن يكون هذا الضرر حقيقياً لامتوهماً ، واقعاً لامتصوراً ، ثابتاً وليس مفترضاً ، مستقلا بعناصره عن واقعة الزواج اللاحق فى ذاتها وليس مترتباً عليها ، مما لايغتفر لتجاوزه الحدود التى يمكن التسامح فيها شرعاً ، منافياً لحسن العشرة بين أمثالهما بما يخل بمقوماتها ليتحل إساءة لها ــ دون حق ــ اتصلت أسبابها بالزيجة التالية وكانت هى باعثها ، فإن لم تكن هذه الزيجة هى المناسبة التى وقع الضرر مرتبطاً بها ، فإن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها يرتد إلى القاعدة العامة فى التطليق للضرر المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية .

متى كان ذلك ، فإن النص التشريعى المطعون عليه لايكون ناهياً عن التعدد أو معدلا لأحكامه ــ من خلال تحويرها ــ بما يخرجها عن أصل وضعها ، إذ لو كان الأمر كذلك لغدا أمراً محظوراً بمجرد ولوج الطريق إليه ، ولكان مجرد الجمع بين امرأتين منشئاً لأولاهن قرينة قانونية يفترض الضرر من خلالها ، ولايجوز التدليل على عكسها ، ويكون التفريق بين الزوجين بموجبها واقعاً بقوة القانون ، وهو ما يؤول إلى إعدام السلطة التقديرية التى يملكها القاضى فى تقييم الأضرار التى تدعى الزوجة إلحاقها بها ، تحديداً من جهته لأسبابها ، ونظراً منه فى بواعثها وملابساتها توطئة لتقرير حكمها على ضوء المقاييس الشرعية التى لاتتغير أو تتبدل ، كذلك ليس فى النص المطعون فيه ما يتضمن تعليقاً لآثار الزيجة التالية على إرادة الزوجة التى تعارض بقاءها إذ لو كان ذلك ، لجاز أن تنقض بيدها الآثار التى رتبها المشرع على عقد الزواج التالى ، وأن تعطل بإرادتها سريانها فى حقها حال أن العقود ــ وإن كان تكوينها عائداً إلى إرادة أطرافها ــ إلا أن آثارها من عمل المشرع وحده .

ثانيهما : أن القاضي لا يجيبها إلى طلبها التفريق بينها وبين زوجها بتطليقها منه طلقة بائنة ، إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما ، وعليه بالتالى قبل فض علاقة الزوجية أن يسعى بينهما معروفاً ، ناظراً فى أحوالهما ، مستوضحاً خفاياها ، وأن يلتمس لذلك كل الوسائل التى تساق إليها – توجيهاً وتبصيراً وتوفيقاً – توطئة لرفع الضرر عنها قدر الإمكان ، ويفترض هذا الجهد من القاضى أن يكون الخلاف بين الزوجين مما يرجى إصلاحه بتهدئة الخواطر بينهما ، وإعانتهما على تجاوز مظاهر تفرقهما ، بعد تقصى أسبابها ، والتوصل إلى حلول يقبلانها معا ، ولا كذلك الأمر إذا كان خلافها مع زوجها راجعا إلى مجرد الجمع عليها ، إذ يكون الشقاق بينهما عندئذ مترتباً على الزواج اللاحق فى ذاته وناشئا عنه وحده ، وليس أمام القاضى فى مواجهته إلا أحد حلين يخرجان معا عن معنى الإصلاح وينافيان مقاصده :

أولهما : أن يلزمها النزول عن طلبها التفريق بينها وبين زوجها مع بقاء الزوجة الجديدة فى عصمته ، وهى ما لن ترضاه .

ثانيهما : أن يدعو زوجها إلى مفارقة زوجته الجديدة بالتخلى عنها ولو كان راغبا فى بقاء علاقة الزوجية معها لمصلحة يقدرها ، وليس ذلك بحال طريق الوسطية بين مطلبين ، ولا رأباً للصدع بين موقفين .

وحيث إن النص المطعون فيه – بالأحكام السابق بيانها – يكون قد أقام الحياة الزوجية على أسس لا تصلح إلا بها جاعلا معيار الضرر الذى يولد الحق فى التفريق موضوعياً لا ذاتياً ، حائلا دون وقوع علاقة – تتعدد الزوجات فيها مع الأمن من الجور – فى الضيق والحرج اللذين تحرص الشريعة الغراء على دفعهما ما وسعها الجهد إلى ذلك إعمالا لقوله – تعالى : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (الحج ٧٨) مستبعداً من مجال تطبيقه تلك الأضرار التى تعود إلى المشاعر النفسية التى تعتمل فى صدر المرأة تجاه ضرتها باعتبار أن ما قد يقع بينهما من تباغض ، وما تحملانه لبعضهما من ضغائن تمتد إلى أولادهما ، مرجعها تلك الغيرة الطبيعية بين امرأتين تتزاحمان على رجل واحد ، ولا تخلص هو لإحداهن ، وهى بعد (غيرة) لا يمكن تنقية النفوس البشرية منها ، ولم يقصد النص المطعون فيه إلى إزالتها ، ولا يجوز أن تخل بمقاصد التعدد التى تربو عليها ، والتى يقتضيها صون عرض المرأة ونسلها حتى لا تتعرض لهوان أو ضياع أو ابتذال بما يناقض آدميتها ، أو يمس عفتها ويؤول – بحرمانها من زوج يرعاها – إلى عزلتها وانكفائها على نفسها بإيصاد طريقها إلى بناء أسرة تتواصل حياتها معها ، وتكون أكفل لإصلاح أمرها بما تفىء به عليها .

وحيث إن ما قيل من أن النص المطعون فيه أجاز بمفهوم المخالفة للزوجة أن تضمن عقد زواجها شرطاً بألا يتزوج زوجها عليها ، منشئا بذلك قيداً جديداً على تعدد الزوجات يجاوز حدود العدل بينهن ، مردود أولا : بأن إعمال النص المطعون فيه لا يستقيم إلا بافتراض أن الزوجة التى تقيم دعواها للتفريق بينها وبين زوجها لازال

عقد زواجها منه قائماً ، وأن حقها في التفريق بينها وبين زوجها ليس معلقاً على إرادتها ، بل مرتبطاً بوجود ضرر محدد وفق مقاييس شرعية ، ناشئا عما أتاه زوجها معها إخلالا منه بحسن العشرة بما ينافي حدود إمساكها معروفا ، وهو بعد ضرر لا يليق بأمثالها ، وليس مترتباً على الزيجة اللاحقة في ذاتها ، بل وقع بمناسبتها .

متى كان ذلك :

فإن افتراض قيام المرأة التي تزوج زوجها عليها بحل عقدة النكاح بينها وبين زوجها عن طريق فسخها بإرادتها المنفردة إعمالا من جانبها لشرطها بعدم التزوج عليها - بفرض وجوده في عقدها - يكون غير متصور في تطبيق أحكام النص المطعون فيه .

ومردود ثانيا : بأن قاعدة الفقه الحنبلي فيما تتضمنه العقود بوجه عام من الشروط ، وما يرد منها بوجه خاص في عقد الزواج ، هو إطلاقها لا تقييدها ، وإباحتها لا منعها ، مالم يقم دليل شرعي على غير ذلك ، وهم يفرعون هذه القاعدة على مبدأ حرية التعاقد ، وأن الناس على شروطهم لا يتحولون عنها إلا شرطاً حرم حلالا أو أحل حراماً ، وقد أجازوا - وعلى ضوء نظرتهم إلى الشروط في الأنكحة - شرط المرأة على زوجها ألا ينقلها من دارها أو بلدها أو أن يكون ذا مال ، **وقطعوا بأن شرطها أن لا يتزوج عليها لا يحرم حلالا** ، ذلك أن فائدة هذا الشرط تعود إليها ومنفعتها فيه ، وما كان من مصلحة العاقد كان من مصلحة عقده ، وهو بعد شرط لا يخل بمقاصد النكاح التي قام الدليل الشرعي على طلبها ، وإذ كان إنفاذ العهد مسئولا ، وكان من المقرر أن مقاطع الحقوق عقد الشروط ؛ فإن نكول زوجها عن تعهده بعدم الزواج عليها يكون مخالفاً لقاعدتهم في إطلاق الشروط وعدم تقييدها استصحابا لأصل إباحتها ، وهي قاعدة عززوها بما نقل عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - من أن « أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج » . ومن ثم كان لها - وقد أخل زوجها بشرطها - وقام الدليل بالتالي على أن رضاها - وقد كان قواما لعقد زواجها - قد اختل ، الخيار بين إبقاء علاقتها الزوجية أو حلها بفسخها .

وحيث إنه متى كان ما تقدم ، وكان النص المطعون فيه لا يعارض التعدد ، ولا ينظر إليه باعتباره ذريعة إلى حرام ، ولا يتوخى كذلك بلوغ غاية بذاتها يكتنفها الإثم أو يتصل بها ، وجب القول بأن الدائرة التي يعمل في نطاقها ، هي دائرة المضار الفعلية إذا كان مرجعها فعل أو امتناع أتاه زوجها قبلها مرتبطاً بالزيجة التالية ، ومتصلا بما يكون عليه حال العشرة بينهما بعد تزوجه عليها مما لا يأذن به الشرع أو يرخص فيه . ومن ثم يكون هذا النص منطوياً على تطبيق خاص للتطليق للضرر لإفراده صوراً بعينها يكون ذلك النص متعلقا بها منصرفاً إليها ودائراً حولها ، وهو باعتباره كذلك يعد فرعاً لأصل يرد إليه ، وليس للفرع امتياز على الأصل الذي يلحق به . ويقتضي ذلك أن يفسر النص المطعون فيه على نحو يوفق بين أحكامه وقوله - تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وكذلك على ضوء

القاعدة الكلية التى صاغها الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقولــــه : « لا ضرر ولاضرار » ، وهى قاعدة رئيسية من أركان الشريعة الإسلامية تعددت تطبيقاتها وإن كانت محكمة فى إنجازها ، وتكشف عنها نصوص قرآنية مختلفة مواضعها منها قوله - سبحانه : ﴿ ولاتمسكوهن ضراراً لتعتدوا ﴾ وقولـــه - جل علاه : ﴿ ولا تضاروهـــن لتضيقـــوا عليهن ﴾ وقوله - تعالى : ﴿ فأمسكوهـــن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ﴾ وحكمها يفيد دفع الضرر قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ، ودفعه بعد حدوثه بما يستطاع من التدابير التى تزيله . وعلى ضوئها لايجوز الإضرار - ولو على سبيل المقابلة - إذا كان ثأراً محضاً يزيد من الضرر ولا يفيد إلا فى توسيع دائرته . كما لايجوز أن تقدم المنافع التى يمكن جلبها على مواجهة مخاطر المفاسد ودرء عواقبها .

وعنها فرع الفقهاء عدداً من القواعد التى تندرج تحتها ، وتعتبر تخريجا عليها ، منها أن الضرر يدفع قدر الإمكان ، وأن الضرر يزال ، وأن الضرر لايزال بمثله كى لا يتفاقم مداه ، وأن تزاحم ضررين يقتضى اختيار أهونهما دفعا لأعظمهما ، وأن تحمل الضرر الخاص يكون مطلوباً كلما كان ذلك لازما لرد ضرر عام .

وحيث إنه متى كان ما تقدم ، وكان المالكية قد أثبتوا حدود قاعدة « لاضرر ولاضرار » ببيان بعض تطبيقاتها فى نطاق العلاقة الزوجية ، وبتوكيدهم أن الأضرار التى تخول الزوجة حق حل عقدة النكاح بينها وبين زوجها هى التى تكون كذلك بالمقاييس الشرعية ، ولا اعتداد فى توافرها وقيام سببها بما تراه هى صواباً أو انحرافاً عن الحق ، أو بما يكون كامناً فى نفسها قبل زوجها بغضاً أو ازدراء أو نفوراً ، وإنما مرد الأمر دوما إلى ما تقرر الشريعة الغراء اعتباره ضرراً . وكانت هذه القاعدة التى فصلها المالكية هى الأصل العام فى التطبيق للضرر ، فإن النص المطعون فيه يعتبر من تطبيقاتها ، وإن كان من قبيل التنظيم الخاص لبعض صورها ، وهو تنظيم لاينحى القاعدة العامة المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ أو يعارضها ، وإنما يتقيد بإطارها العام الذى يخول كل زوجة حق التفريق بينها وبين زوجها إذا لم يعد مستطاعاً - على ضوء الأضرار التى ألحقها بها - دوام العشرة بين أمثالهما ، ولا منافاة فى ذلك كله لمبادىء الشريعة الإسلامية القطعية فى ورودها ودلالتها ، بل هو التزام أمين بها ، ذلك أن ما يصدر عن الزوج - إيذاء وإعناتا وقهراً - يعتبر تعدياً عليها بحملها ما لا تطيق ، ويخرج بالتالى عن نطاق الحماية الشرعية ، وما النص المطعون فيه - فى نطاق الشرطين الموضوعيين اللذين أسلفنا بيانهما - إلا تفريعاً على هذا الأصل العام ، ولابد أن يُحمل على معناه .

وحيث إن القول بأن الشريعة العامة للتطبيق للضرر تدل بشمول معناها وتنامى تطبيقاتها على اتساعها لكل صوره بما فى ذلك تلك التى عينها النص المطعون فيه ، لايعنى - وبفرض صحته - أن التنظيم الخاص الذى أفرده ذلك النص لصور

بذاتها من الأضرار تكون الزيجة التالية هي مناسبة إحداثها ويجوز التفريق بين الزوجين بموجبها ـ قد صار مخالفا للدستور ، ذلك أن اندراج نص تشريعي معين في المفهوم العام لنص آخر ، وإمكان الاستغناء بالتالي عن الفرع لعموم الأصل ، أوثق اتصالا بالوسائل الفنية لصياغة النصوص التشريعية ، ولا ينحل من هذه الناحية وحدها ـ بالتالي ـ إلى مخالفة دستورية .

وحيث إن من المقرر أنه إذا حددت المحكمة الدستورية العليا ـ بطرق الدلالة المختلفة ـ معنى معيناً لمضمون نص تشريعي ، منتهية من ذلك إلى الحكم برفض المطاعن الدستورية الموجهة إليه ، فإن هذا المعنى يكون هو الدعامة التي قام عليها هذا الحكم ، تمتد إليه مع المنطوق الحجية المطلقة والكاملة التي أسبغها قانون المحكمة الدستورية العليا على أحكامها في المسائل الدستورية باعتبارهما متضامين وكلا غير منقسم ، ولا يجوز بعدئذ لأية جهة ـ ولو كانت قضائية ـ أن تعطى هذا النص معنى مغايراً يجاوز تخوم الدائرة التي يعمل فيها محدد إطارها على ضوء قضاء المحكمة الدستورية العليا .

وحيث إن النص المطعون عليه ـ في الحدود السالف بيانها ـ لا يتعارض مع أحكام الدستور من أوجه أخرى .

فلهذه الأسباب حكمت المحكمة برفض الدعوى وبمصادرة الكفالة وألزمت المدعى المصروفات ومائة جنيه مقابل أتعاب المحاماة .

أمين السر   رئيس المحكمة



الأثر الحضاري للهجرات

في شرق إفريقيا

بقلم الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة

كانت هجرة المؤمنين ـ دائماً ـ طلباً لرحمة الله ، وجهاداً في سبيله . يتركون أرضهم وديارهم مرضاة لله ـ ربهم .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾

(البقرة / ٢١٨)

وكان فضل الله ـ دائماً ـ ورحمته التي وسعت كل شيء تتنزل على من هاجر ومن آوى ، فيأمن من هاجر ، ويهنأ كلاهما بمغفرة ورزق كريم

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال / ٧٤)

وهكذا كان الحال في شرق إفريقيا .

لقد كان للمسلمين توجه إلى افريقيا منذ الأيام الأولى للإسلام ، حيث استشعروا فيها الأمن والأمان ، فكانت هجراتهم الأولى إلى شرق إفريقيا فراراً بدينهم من أذى المشركين ، وكانت أول هجرة إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية هي : هجرة سيدنا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت سيدنا محمد ﷺ في السنة الخامسة من البعثة أي : قبل هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب بثماني سنوات ، حيث استقر عثمان ـ رضي الله عنه ـ

وثلاثة عشر مسلماً بالحبشة لمدة أربعة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان وشوال عام ٦١٦هـ ثم عادوا إلى مكة المكرمة[١] .

ويقول محمد بن اسحق : لما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب من قبل قريش قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » فخرج من المسلمين فى مكة أحد عشر رجلا وأربع نسوة كان منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك لخمس سنين من البعثة .[٢]

لقد حظى المسلمون بمكانة مرموقة بين الأفارقة لم يحظ بها قوم آخرون ، وفى ذلك ما سجله النويرى عن المهاجرين : (فجاورنا بها خير جار ، أمناً على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه » .[٣] .

وتلك الأهمية كانت محصلة علم وخبرة بأهل إفريقيا على مر الزمن ؛ فما كان يحسن بقوم مضطهدين أن يفروا بدينهم إلى أرض لا يعلمون عنها شيئاً ، وهو ما تثبته الحقائق التاريخية ، وتؤكده الروابط القوية بين العرب وإفريقيا قبل وبعد الإسلام .

كانت هجرة سيدنا عثمان هى الأولى ولم تكن هجرة سيدنا جعفر إلى الحبشة هى الأخيرة ، فقد شهد التاريخ الإسلامى بعد ذلك عدة هجرات إلى إفريقيا نذكر منها :

● هجرة بنى مخزوم القرشيين :

وهى هجرة تمت إلى الحبشة ، وكان على رأسها « ود بن هشام المخزومى » فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

ويقال : إنهم فى سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م كانوا قد كونوا مملكة إسلامية فى منطقة من أخصب المناطق ، شرق منطقة شوة » على الهضبة الحبشية نفسها »[٤] .

● **هجرة جماعة من أهل الشام ٦٥هـ/ ٦٨٤م :**

وهم جماعة لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف الثقفى ، فرحلوا سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) إلى الجنوب فى أعداد كبيرة متجهين جنوب الساحل الشرقى لأفريقيا ، ولما وصلوا وجدوا جالية كبيرة تزيد على عشرة آلاف من الرجال المسلمين ، إذ أن الإسلام قد وصل إلى المراكز التجارية التى أنشأها العرب بشرق إفريقيا[٥] .

● هجرة سليمان وسعيد (بين عامى ٧٠٠ ـ ٧٠٤) :

وهى هجرة تمت فى عهد عبد الملك بن مروان ، إثر قيام شعب عمان بقيادة الأخوين سليمان وسعيد بن عباد الجلندى من قبيلة الأزد بثورة ضد الخليفة ، تمكن الخليفة من القضاء

---

(١) ابن حجر العسقلانى ـ فتح البارى / جـ٧ ـ ص ٢٢٧ باب هجرة الحبشة طبعة الريان ـ القاهرة ١٩٨٦م .

(٢) راجع : مجلة الأزهر ـ المحرم ١٤١٤ هـ ص ٦١ صاحب الهجرات الثلاث للمستشار محمد عزت الطهطاوى .

(٣) المرجع السابق .

(٤) د. محمد عبدالله النقيرة : انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ص ١٠٠ .

(٥) د. حسن محمود ـ الإسلام والثقافة الإسلامية فى أفريقيا ـ ص ٣٨ مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٥٨م .

عليها ، مما اضطرهما إلى الفرار مع بعض أنصارهما إلى شرق أفريقيا ، ولعلهم نزلوا فى بات Pate فى أرخبيل « لامو » عند الطرف الجنوبى للصومال أو فى مدينة « جدابو » شمال « ممبسة »[6].

وكثرت حروب عبدالملك بن مروان ضد مخالفيه ، فكثرت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق أفريقيا فى عهده وأسست مدنا على الساحل مثل : « ماليندة وزنجبار وممبسة ولامو وكلوه وبانه ... وغيرها » .

● **هجرة الإخوة السبعة من الإحساء بعد عام ٩٠٤ :**

وفدت طوائف من ولاية الإحساء إلى شرق الجزيرة العربية وكان على رأسهم سبعة إخوة من قبيلة الحارث التى كانت تقيم بساحل الخليج العربى على مقربة من البحرين ، فنزلوا على ساحل « بنادر » حيث شيدوا مدينتى « مقديشيو » و« براوه » وامتد نشاطهم حتى جنوبى ممبسة . وأدت زيادة نشاطهم إلى انحسار الزيديين وانسحابهم إلى الداخل ، ومع مر السنين تزاوج الزيدية مع القبائل الأفريقية الخالصة ونتج عن هذا التزاوج شعب عرف باسم (الأموزيدج)[7] .

٥ ـ هجرة سليمان بن مظهر النبهانى :

فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى استطاع سليمان النبهانى أحد سلاطين مسقط أن يتزوج من أميرة سواحلية هى ابنة حاكم بات Pate ثم ورث سليمان الحكم ـ كعادة هذه البلاد ـ وأصبح أميراً شرعياً ، فانتقلت إلى شرق أفريقيا ـ نتيجة لذلك ـ هجرة كبيرة كان لها أثرها فى تاريخ المنطقة[8] .

بالإضافة إلى هجرات الهنود المسلمين والهجرات الشيرازية التى كان من أشهرها هجرة على بن الحسن بن على الشيرازى . لقد أدى تزايد الهجرات إلى أفريقيا إلى تزايد المسلمين على الساحل الشرقى لافريقيا ؛ « فبذلوا غاية جهدهم واجتهادهم فى سبيل إنشاء المدارس والمساجد والمعاهد الطبية وانفقوا المال الطائل فى أعمال البر »[9] . فأصبحوا عنصراً هاماً فى حياة تلك المنطقة ، نشروا العلم فظهرت الأعمال الأدبية ، والكثير من المصنفات العربية ، منها ما يحتوى على الكثير من المعلومات عن شرق أفريقيا . نذكر منها :

١ ـ تحفة النظار فى عجائب الأمصار .. وفيه أن أهل ممبسا شافعية أهل دين وعفاف .

٢ ـ فريدة العجائب وفريدة الغرائب ؛ وفيه أن أرض سُفالا بها من التبر الكثير ، وكل تبرة مثقالان وثلاثة وأكثر ، ومع ذلك لايتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب .

٣ ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : ويعتبر أول مرجع يتحدث عن الساحل الأفريقى .

٤ ـ مسالك الممالك : وبه خرائط أوضحت فيما أوضحت الثغور والمدن التى تقع فى بلاد الزنج .

---

(٦) د. عبد الرحمن زكى ـ الإسلام والمسلمون فى أفريقيا ص٢٥٤ ـ القاهرة ١٩٧٠م .

(٧) د. محمد الفيومى ـ انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا .

(٨) د. عبد الرحمن زكى ـ المرجع السابق .

(٩) د. عبد الرحمن زكى ـ المرجع السابق ص١٤٥ .

٥ ـ البلدان : وفيه الكثير عن عادات وتقاليد الزنج .

٦ ـ المسالك والممالك : وفيه إشارات إلى بلاد الزنج .

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه المؤرخون والرحالة من أمثال : ابن حوقل والبكرى واليعقوبى وابن خلدون والقلقشندى وابن بطوطة وغيرهم قد صنفوا وكتبوا الكثير من المؤلفات عن افريقيا كانت أوربا لاتعرف شيئاً عن أحوالها .

إن الله الذى لايخلف وعده قضى أن تزدهر الحياة فى شرق أفريقيا على أيدى هؤلاء المهاجرين إليها من المسلمين ، فرأينا الكثير من الممالك والمدن الإسلامية التى تمتد على طول الساحل الشرق لأفريقيا وبالجزر المواجهة له وبالداخل أيضاً مثل :

سلطنة مقديشيو : التى أسسها المهاجرون الزيديون ، فبلغت من النمو والازدهار ما جعل ابن بطوطة يقول عنها أن أهلها على خلق ودين ، ولهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين كل يوم .

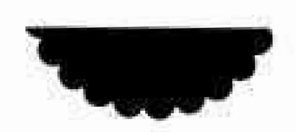
سلطنة كلوة : التى أسسها على بن الحسن بن على بن صاحب شيراز .

مملكة شوه الإسلامية : أسسها المهاجرون من قبيلة بنى مخزوم وكذلك ممالك «بالى» و«هدية» و«دارة» و«دوارو» و«أرابينى» وأهل هذه الممالك مسلمون على المذهب الحنفى .

كل هذه الممالك شاهدة شموخ المآذن التى تملؤها معلنة أن ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾

(النساء/ ١٢٢)

والحمد لله رب العالمين .



ملاحظات

حول الصياغة الإنجليزية لكلمات وردت في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية

د / محمد محمد عتريس إبراهيم (*)

كان لبعض الدول الإسلامية تحفظات على كلمات وردت فى نص البرنامج العالمى الذى أوردته وثيقة المؤتمر لتثبيت النمو السكانى فى العالم بعد عام ٢٠٠٠ . وهو برنامج معقد وباهظ التكلفة ، فقد خصصت الوثيقة مبلغ ١٧ مليار دولار لبرامج الصحة الإنجابية فى العالم فى عام ٢٠٠٠ تزاد إلى ٢١,٧ مليارا فى عام ٢٠١٥ .

وقد ثار جدل شديد حول المقصود «بالصحة الإنجابية والصحة الجنسية Reproductive and Sexual Health

إذ رأت دول إسلامية كثيرة أن هذا المفهوم الجديد يحمل من الدلالات المتعلقة بالإباحية والفسق Licentiousness مايجعلها ترفضه . وقال مارك نيكولصن مندوب صحيفة فيناتشال تايمز اللندنية فى القاهرة ، تعليقا على هذا : تركز الكثير من المفاوضات التى جرت فى المؤتمر حول تخليص هذا المفهوم من أى توريات سيئة على أن يظل محتفظا بالتعريف الدولى العام لمجال جديد تماما من مجالات الرعاية الصحية كما وضعه المتخصصون فى الشئون الصحية من أهل الغرب . وبناء على ذلك كان التحول من التركيز على الإنجاب إلى مفهوم أوسع يشمل صحة الأم وحقوق المرأة جنبا إلى جنب مع الاعتراف «باللذة والمتعة اللتين يمكن أن تعطيهما الحياة الجنسية» .

ووقف الفاتيكان ومعه عدد من الدول الكاثوليكية المتشددة يعارضون عبارة : الصحة الإنجابية Reproductive Health يريدون تخليصها مما يمكن أن ينطوى على إقرار للإجهاض .

هذه الصياغة ــ وغيرها مما سيأتى بيانه ــ يلفها الغموض والتورية والمواراة . ومن الممكن القول بأن هذا أمر مقصود ومتعمد ، فلربما أراد القائمون على أمانة المؤتمر استخدام كلمات أخف وطأة من تلك المثيرة للتقزز والاشمئزاز ؛ فعمدوا إلى إحلال كلمات مخففة وغامضة وغير مباشرة عن الكلمات الحقيقية الفعلية ؛ لأن الأخيرة تصدم المشاعر لبشاعتها ، وهذا التكتيك معروف

(*) وكيل الوزارة ــ مجلس الشعب .

فى الانجليزية باسم Euphemism أى تلطيف الصياغة .

كان مشروع الوثيقة أو التوصيات الذى قدمته أمانة المؤتمر إلى الوفود لإقراره ينص على إباحة كبائر الإثم والفواحش .

لكن المشروع استخدم كلمة : مضاجعة المثيل Homosexudlity بدلا من كلمتى اللواط Sodomy والسحاق Lesbianism ، واستخدم كلمة : ممارسة المتزوجين للجنس مع غير أزواجهم Extramarital Sex بدلا من زنا المحصن Adultery ، واستخدم كلمة : ممارسة المراهقين للجنس Adolescence Sex وكلمة : ممارسة غير المتزوجين للجنس Premarital Sex بدلا من زنا الأعزب Fornication فأمانة المؤتمر استخدمت كلمات لاتحمل من ظلال البشاعة ماتحمله كلمات : السحاق واللواط والزنا .

هذه المخاتلة والمراوغة والمداورة فى الصياغة بقصد تسويق بضاعة فاسدة مفسدة أدت إلى ضياع أسبوع كامل من مدة انعقاد المؤتمر — التى بلغت تسعة أيام — فى مناقشة فقرة واحدة هى الفقرة ٢٥ من الفصل ٨ التى قررت أن الاجهاض يجب ألا يشجع كوسيلة لتنظيم الأسرة ، لكن الحكومات يجب أن تتعامل معه وتنظر إليه على أنه واحد من الأمور الصحية الهامة ، وخاض مندوب الفاتيكان قتالا ضاريا حتى لاتحتمل صياغة هذه الفقرة أى تفسير من شأنه النص على الحق فى الاجهاض .

أما التسمية ، وهى النصف الثانى من اسم المؤتمر ، فلم يتبق لمناقشتها شىء من وقت المؤتمر ولم تحظ بشىء من مبلغ السبعة عشر مليار دولار الذى خصصته وثيقة المؤتمر لبرامج الصحة الإنجابية فى العالم ، أى برامج تحديد النسل ووسائل منع الحمل Contraceptives .

وفى مجال الصياغة والمداورة سكت أمانة المؤتمر مصطلحاً جديداً هو : الأسرة وحيدة الوالد Single - parent - family والمطالبة بالاعتراف بها . وبديهى — طبعاً — أن الأسرة لايمكن أن يتأتى لها الإنجاب إلا من والدين : الأب والأم ، لكن الحمل فى الغرب فى هذه الأيام ، يغلب عليه أن يكون سفاحا بعد أن أصبح الاتصال الجنسى غير الشرعى وغير القاصر على رجل واحد أو امرأة واحدة Promiscuity هو القاعدة . ويتصادف أن تحمل المرأة من أب غير شرعى وغير معروف الهوية أو الإقامة أو الموطن ، وتلد المرأة فينسب الولد لأمه ويحمل اسمها قانونا . وهكذا تكون الأسرة وحيدة الوالد .

اجتاح سعار الجنس بكل شذوذياته وانحرافاته أهل الغرب وبات يحصدهم حصداً — ويبدو أنهم عاقدون العزم على أن يجروا المفتونين بحضارتهم المادية إلى حمأة المستنقع الوخم .

ضوابط الحرب والسلم في الإسلام

أ.د/ سعاد إبراهيم صالح(*)

جاء الإسلام بأوامر ثابتة وأصول متنوعة منها الأمر بالعدل والإحسان وعدم الاعتداء على الناس أو على أموالهم وأعراضهم .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٩٠

فالمجتمع المسلم يوفر لكل إنسان يعيش فيه الأمن والطمأنينة والعدل والسلام .. ولذلك حرم الإسلام الاعتداء على حقوق الناس فقال ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » مجمع الزوائد ١/ ٤٥ بلفظ مقارب .

وجعل العدل هو القاعدة التى تحكم علاقة المسلمين بعضهم مع بعض ، وهم مع غيرهم .. فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٥٨

هذا أمر عام لنا إذا حكمنا سواء كان التحكيم برضا المتخاصمين أو بتفويض من الدولة .. والعدل هو حكم الله المعروف من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٩

(*) الكاتبة : أستاذ الفقه المقارن وعميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة .

وقال سبحانه – فى معرض الحديث عن اليهود – :

﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

سورة المائدة

الآية تنم عن العدل المطلق وتأمرنا بالعدل فى الحكم حتى مع اليهود على الرغم من عداوتهم وفساد أخلاقهم وسوء ما نعرفه عنهم ، ومع ذلك علينا إذا تحاكموا إلينا نحكم بينهم بالعدل .

وفى إقرار التعامل بالعدل بين المسلمين قال جل شأنه :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

سورة الحجرات

وقد يقع القتال بين المسلمين على صور متعددة ، منها أن تختصم أسرتان أو قبيلتان ، ومنها أن يقع القتال بين بلدين أو قطرين .. وفى كل حالة يقع فيها القتال يجب على بقية المسلمين أن يتدخلوا بالإصلاح الذى قوامه العدل ، فإن رفض أحد الطرفين الصلح وقبول التحكيم ؛ وقف المسلمون كلهم فى الطرف المقابل ، فإن اتفقا على الصلح والتحكيم وجب أن يكون الحكم عادلا والحاكمون عدول وأن يصدروا حكمهم غير مراعين منه إلا صفة العدل وعلى الأطراف كلها القبول ، وعدم قبول طرف بالعدل يجعله باغيا يستأهل أن يحارب حتى يخضع للعدل والقسط .

وفى مقابل الأمر بالعدل .. نهى الإسلام عن الظلم .. فالله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه وجعل الظلم محرما على عباده حيث امرهم بعدم الظلم بقوله تعالى فى الحديث القدسى : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم حراما فلا تظالموا » رواه مسلم . وحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

• • •

والأخوة بين المؤمنين ، تقوم على الإنصاف ، أى أن العدل لحمة لها وسدى قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

سورة الحجرات – آية ١٠

وحديثه – صلى الله عليه وسلم – : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما – رواه البخارى وأحمد والبيهقى فى السنن الكبرى – محدد لوجوب العدل فى علاقة الأخوة ، فقد شرح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نصرة الظالم بقوله .

وتعنى الأخوة التراحم . قال – تعالى – :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

وشدة المؤمنين على الكافرين تعنى ردعهم إذا همو أو باشروا العدوان على المسلمين .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين ما أشار إليه - عز وجل - بقوله :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

سورة آل عمران - آية : ١٥٩

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين القيام بحقوقهم .. يقول - عليه الصلاة والسلام - : « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . رواه مسلم - كتاب السلام - والبيهقى فى السنن الكبرى .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين عدم ترويعهم وعدم الإضرار بهم قال - عليه الصلاة والسلام - : « لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلما » - رواه البيهقى فى السنن الكبرى - وقال : « من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة حتى ينتهى » .

راجع شرح السنة للبيهقى ١٠/٢٦٦ - كتاب قتال أهل البغى باب : النهى عن أن يشير إلى أحد بالسلاح ، الترمذى فى الفتن .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين إذا كانوا فى دار الحرب أن نحارب من يضطهدهم وأن ننصرهم إذا استنصروا إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق ..

قال - تعالى - :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ .

سورة الأنفال - آية : ٧٢

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين تخليصهم من الظالمين والكافرين إذا تسلطوا عليهم بشكل من الأشكال .. قال ﷺ : « المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

والأصل فى الإسلام هو الدعوة إلى السلام والصلح .. قال - تعالى - :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

سورة فصلت - آية : ٣٤

وقال - سبحانه - :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ .

سورة المائدة - آية : ١٣

وقال :

﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ .

سورة المزمل - آية : ١٠

فالمسلمون مأمورون بالدعوة إلى الله بالطريقة الحسنة والإسلام يحرص على إيصال الدعوة إلى الناس بغير عنف .. ولا يلجأ إلى فرض القتال إلا فى حالة الدفاع عن النفس قال - سبحانه - :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٠

ففى هذه الحالة يفرض القتال بل ويحث عليه بقوله تعالى :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٤١

وقال ﷺ : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

ولقد عبر الله سبحانه عن القتال بأنه مكروه لهم فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢١٦

وتلك الكراهية أمر جبلى لما فيه من القتل والأسر وإتعاب البدن وتلف المال وقتل ما عسى أن يكون من الأقارب على الكفر ، وهم يحبون أن يهديهم الله إلى الإسلام وهذا لا ينافى رضاهم بما كلفهم الله به حبا فى مرضات الله وطمعا فى ثوابه كالمريض يرضى بشرب الدواء الكريه الطعم حبا فى الشفاء .

والجهاد أصلا فرض كفاية يقوم به المجندون من شباب المسلمين نائبين عن بقية المسلمين فإذا دخل العدو بلاد الإسلام غازيا فقد انعقد الاجماع على أن الجهاد فرض عين على جميع المسلمين سواء أكان بالقتال أم بالحض عليه أم بتجهيز المقاتلين أم تثبيتهم أم برعاية أسرهم أم علاجهم أم تأليب الرأى العام على المعتدين ويكون ذلك حسب طاقة المجاهد ..

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** ﴾ .

فيه دليل على النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ .. أى قاتلوا الذين هم قاتلون فعلا لقتالكم متلبسون به ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان والرهبان ، وقد روى أن رسول الله ﷺ رأى فى بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان .. إلا أن يكون لهؤلاء ولغيرهم من الرهبان والشيوخ مشاركة فى القتل فيقتلون .

فالنساء إن قاتلن قتلن ، والمرأة يمكن أن يكون لها آثار عظيمة فى القتال كالإمداد بالأموال ، والتحريض على القتال وغير ذلك وذلك يبيح قتلهن .. أما الصبيان فلا يقتلون للنهى الثابت عن قتل الذرية ، ولأنه لا تكليف عليهم فإن قاتل قتل ، والرهبان لا يقتلون ولا يسترقون بل يترك لهم ما يعيشون به من أموالهم والزمنى .. والصحيح أن تعتبر أموالهم فإن كانت منهم اذاية قتلوا والا تركوا . والشيوخ .. والذى عليه جمهور العلماء إن كان شيخا كبيرا هرما لا يطيق القتال ولا ينتفع به فى رأى ولا مدافعة فإنه لا يقتل ، كما نهى الإسلام أيضا عن قتل العسفاء وهم الأجراء والفلاحون . يقول النبى ﷺ لأحدهم : « الحق خالدا فقل له : لا تقتل ذرية ولا عسيفا » وقال عمر بن الخطاب : « اتقوا الله فى الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب » .

هذه هى بعض ضوابط الحرب والسلام المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج الخلفاء من بعده .. والله ولى التوفيق .

الإسلام .....

ووسائل الإعلام الغربية

للسيدة / عبير محمد عبد الواحد

الكذب ممقوت . لكنه ـ مع ذلك ـ يتربع عرشا من عروش إبليس ذات الألوان الزاهية التى تستهوى العديد من ذوى النفوس المغرضة ـ ولسنا ندهش إذا علمنا أن الكذب ـ فى باب السياسة ـ صار فنا ينتمى إلى جذور وأصول كان منها ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ المصطلح المعروف بـ « جذر الكذب » الذى وضع أسسه « جوبلز » المعروف بدعايته لزعيمه هتلر حيث اعتمد على لبس الحق بالباطل .

ومع ذلك يظل الكذب كذبا ، ويفتضح أمره على أى حال فتظلم ألوانه الزاهية ويستحيل إلى رماد أسود يناسبه ؛ فقد أبى الله ـ سبحانه ـ إلا أن يُحقّ الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وليس بعد الكذب جريمة .. وفى القرآن العزيز : ﴿ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٦١

ذكرت ذلك كله حين ترددت الصيحة الكاذبة التى تريد أن تروج لمقولة كاذبة تدعى « أن الإسلام انتشر بالسيف » .

قلت : أى سيف هذا الذى كان على رقبة السيد « روبرت كرين » مستشار الرئيس الأمريكى نيكسون لشئون الشرق الأوسط حين أعلن إسلامه ..؟

وأى سيف هذا الذى كان على رقبة « ويلفريد هوفمان » ـ مراد ويلفريد هوفمان .. سفير ألمانيا بالمغرب ؟ ! .

وأى سيف هذا الذى كان على رقبة « روجيه جارودى » ـ رجاء جارودى الفيلسوف الفرنسى .. ؟! .

وما قدمت هنا إلا أفرادا ذوى مكانة رفيعة فى ميادين العمل الدولى المرموق .

فإذا تصفحت شعوبا ، وتساءلت نفس السؤال :

أي جيش إسلامي حمل السيف على رقاب العباد في السنجال ، أو النيجر أو نيجيريا ، أو كل بلاد أفريقيا .. ؟

من هذا الذي يستطيع أن يدلني بمعلومة واحدة على سيف الإسلام بهذه البلاد ؟ .

هذه جنوب أفريقيا ، دولة دخلها الإسلام ... دون أن يطرق أبوابها جيش إسلامي .

دخلها الإسلام مع الدعاة المسلمين من الهند وغيرها ، ولو أن الإسلام أعمل السيف في رقاب الهنود لكانوا أسرع ارتدادا عنه ، ولم يجشموا أنفسهم مؤنة الدعوة إليه ..

كل هذه الحقائق ، ولازالت وسائل الإعلام الغربية تنفث سمومها في الإسلام باتهامه بالأباطيل .. !!

يقول « توماس أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » :

« يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الإسلام . فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة . »[1] .

وهي عبارة لا نفرح بها ، ولا نصور من كاتبها إنصافا بقدر ما نصور من ذكائه المحدود ، فقوله :

« إن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الإسلام » وهي العبارة التي اجتهد في صياغتها لا تنفي استخدام القوة في حمل الناس على الإسلام ، بل تجعل القوة عاملا بجانب شيء آخر .. حتى إذا استشهد هذا المؤرخ بعهدته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنصارى نجران ، واستيقانه من إسلامهم عن اختيار ؛ كانت عبارته أقرب إلى الصواب حيث يقول : « نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح »[2] .

كذلك برهن « أرنولد » في كتابه على أن تحول المسيحيين إلى الإسلام ـ في مصر ـ لم يكن راجعا إلى الاضطهاد حيث إنه في الوقت الذي شعر فيه كرسي البطرقية تمتع المسيحيون بالحرية التامة في إقامة شعائرهم ، وسُمح لهم بإعادة بناء كنائسهم ، بل وبناء كنائس جديدة ، وحوكموا في محاكمهم الخاصة وأعفي الرهبان من الجزية ومنحوا امتيازات معينة فماذا كانت نتيجة هذا التسامح والعدل في معاملة غير المسلمين ؟ كانت النتيجة أن أحب أهل البلاد المفتوحة المسلمين ، وفضلوهم عن المحتلين على الرغم من أنهم كانوا على دينهم ! ..

---

(1) محمد قطب ـ شبهات حول الإسلام ص ٢١١ .

(2) نفس المرجع ص ٢١١ .

يقول « أرنولد » فى كتابه : « ولما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن ، وعسكر أبو عبيدة فى فحل ، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا »[3] .

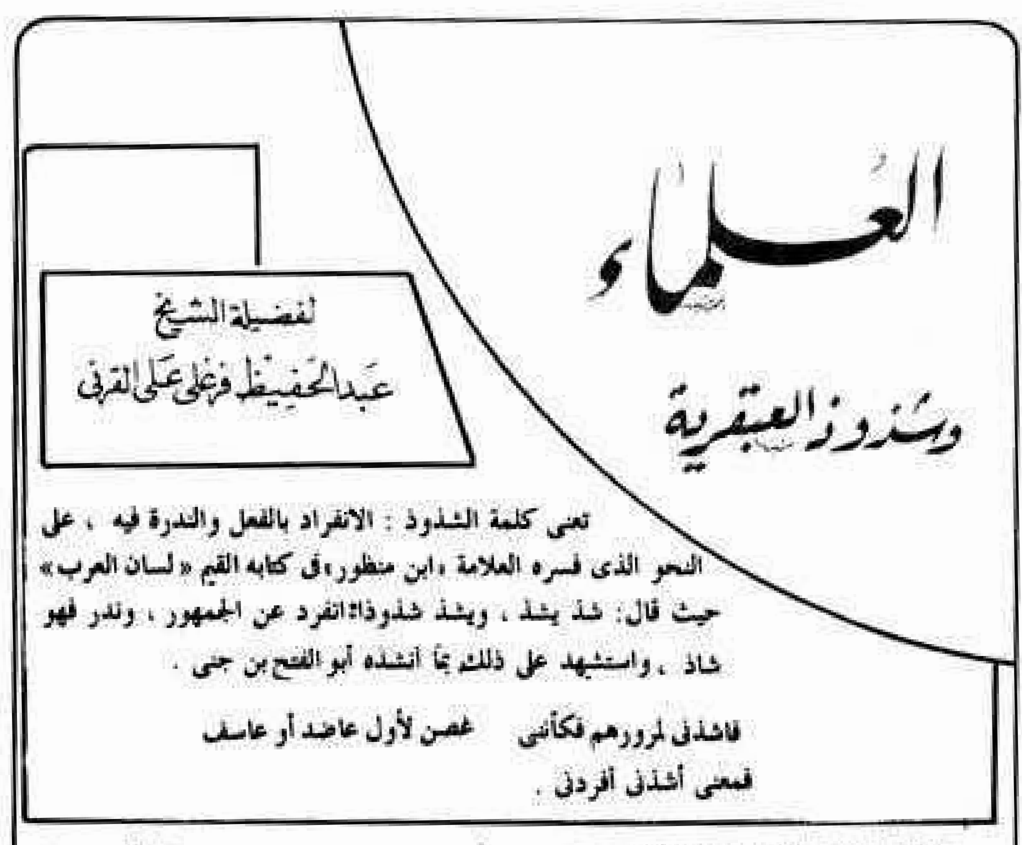
ويعترف الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بمدى تسامح الإسلام فى محاضرته التى ألقاها فى « مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية » فى ١٢ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ــ ٢٧ أكتوبـــــر ١٩٩٣ م . حيث يقول : « وعرف الناس فى العصور الوسطى سماحة الإسلام ، تلك التى كانت شيئا لافتـا للنظـر ، إذ سمح لليهود والمسيحيين بالحق فى ممارسة عباداتهم ، وضرب فى ذلك مثلا لم يحتذه الغرب ــ لسوء الحظ ــ طوال قرون من الزمان* . والشىء المدهش هو مدى صيرورة الإسلام جزءا من أوروبا ردحا طويلا من الزمان فى أسبانيا أولا ، ثم فى دول البلقان ، وإسهاماته البعيدة المدى فى الحضارة التى غالبا ما نظن خطأ أنها حضارة غربية صرفة ــ فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع مجالات السعى الإنسانى ــ ولقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة ، وهو جزء من تراثنا حتى لا انفصام له »[4] وإشارة الأمير إلى استمرار الإسلام فى أوروبا فترة طويلة من الزمن وإسهامه فى الحضارة الغربية إنما يعنى مدى تسامح الإسلام وانفتاحه وقدرته على احتواء واستيعاب مختلف الثقافات والحضارات والإسهام فيها ..

إن المرء قد يتساءل بدهشة : كل هذا التسامح الذى أمرنا به الإسلام فى تعاملنـــا مع غير المسلمين ، ما مقابله ؟ بخاصة وأن هذا التسامح لا نلاحظه بمثل هذا القدر وهذه الكيفية فى تعامل الآخرين معنا ــ نحن المسلمين ــ أو حتى فى تعاملهم مع بعضهم البعض .

---

(٣) نفس المرجع ص ٢١٦ .

(٤) مجلة الأزهر ــ عدد رجب ١٤١٤ هـ ص ١٠٠٢



العلماء وشذوذ العبقرية

لفضيلة الشيخ
عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

تعني كلمة الشذوذ: الانفراد بالفعل والندرة فيه، على النحو الذي فسره العلامة «ابن منظور» في كتابه القيم «لسان العرب» حيث قال: شذ يشذ، ويشذ شذوذاً: انفرد عن الجمهور، وندر فهو شاذ. واستشهد على ذلك بما أنشده أبو الفتح بن جني.

فاشذني لمرورهم فكأنني غصن لأول عاضد أو عاسف

فمعنى أشذني أفردني.

وقد سمى النحويون المنفرد في بابه بالشاذ، والشاذ لايقاس عليه كما يقولون.

ويقال: اشذذت يارجل، إذا جاء بقول شاذ نادر، وبالحرىّ إذا جاء بفعل شاذ أو انفرد بتصرف غريب.

وكان النقاد يلاحظون على العباقرة من العلماء والأدباء ألواناً من السلوك أو التصرفات أو العادات أو الأوصاف يتفردون دون غيرهم ويختصون بها عن سواهم، حتى قالوا عمن يوجد فيه شيء من ذلك: إن هذا من شذوذ العباقرة.

ومن هذا الشذوذ ما يوجد فطرة في صاحبه، أو يكون نتيجة عادة، أو سلوك التزمه حتى أصبح طبيعة فيه. وقد استشهد العقاد ـ رحمه الله ـ لعبقرية عمر ـ رضي الله عنه ـ بصفات نادرة كانت فطرة فيه، وذكر في معرض الاستدلال على أن هذا من سمات العبقرية برأى العالم الإيطالي «لومبروزو» ومدرسته التي تأتم برأيه، حيث يقرر بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لا تخطئها على صورة من الصور في أحد من أهلها، وهي علامات تتفق وتتناقض، ولكنها في جميع حالاتها وصورها نمط من اختلاف التركيب ومباينته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة.

فيكون العبقرى طويلاً بائن الطول ، أو قصيراً بيّن القصر ، ويعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا يديه ، ويلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة الشعر غير المعهود فى سائر الناس .

ويكثر بين العبقريين جيشان الشعور ، وفرط الحس ، وغرابة الاستجابة للطوارىء ، فيكون فيهم من تفرط سورته كما يكون فيهم من يفرط هدوؤه ، ومنهم على الجملة بعالم الغيب وخفايا الأسرار ولع على نحو يلحظ فى الزكانة ، والفراسة ، وتارة فى النظر على البعد ، وتارة فى الحماسة الدينية أو فى الخشوع لله .

ثم علق العقاد ـ رحمه الله ـ على ذلك بقوله ـ فى كتابه عبقرية عمر : « ومهما يكن من الشك فى استقصاء هذه العلامات والمطابقة بين تفصيلاتها وبين الواقع ، فهى لاريب صادقة فى حالات مقاربة فى حالات ، غير أهل فى كل حال للتصديق التام ولاللنبذ التام ، ولاسيما عندما تتفق فيها الظواهر والبواطن ، وتتلاقى فيها ملاحظات العلماء وشواهد العرف المأثور » .

ثم ذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد وضحت فيه بعض سمات العبقرية التى انفرد بها بين سائر الصحابة ـ رضوان الله عليهم .

سمات غير فطرية :

وهذه السمات المتقدمة طبيعية لا يد لصاحبها فيها ، فالطول البائن ، أو القصر الشديد ، أو غزارة الشعر ونزارته ، أو الذكاء المفرط ، أو غير ذلك مما يبدو من ملامح بعض الشخصيات العبقرية أمور فطرها الله ـ تعالى ـ فى صاحبها ، ولا مجال للكلام فيها .

ولكن الذى يهمنا هنا أنه فى معرض النظر إلى أفذاذ العلماء تعثر عند بعضهم على بعض النوادر التى تلفت الأنظار إلى نبوغهم وتفردهم ، وقد تلفت الأنظار أيضا إلى مايستغرب من تصرف يأتى من صاحبه طبيعيا ، ولكنه فى ميزان العرف والعادة قد يكون مخالفا لمعيار السلوك ، وهو من غير شك جاء نتيجة لعادة اعتادها صاحبها حتى أصبحت لازمة من لوازمه .

ونستدل على ذلك بما ورد فى تراجم بعض الشخصيات العلمية والأدبية اللامعة .

لازمة الحريرى :

كان القاسم بن على بن محمد الحريرى من أبرز العلماء فى اللغة والأدب . ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة بالبصرة ، فى خلافة المسترشد ، وتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة .

وكان كما يقول المؤرخون غاية فى الذكاء والفطنة والفصاحة ، وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بتقدمه ، ويكفيه شاهداً على ذلك كتاب « المقامات » التى أربى فيها على الأوائل وأعجز الأواخر . وكتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » الذى استدرك فيه على خاصة أهل اللغة والعلم والبلاغة أخطاءهم فى تعبيراتهم وأساليبهم ، ولكنه مع ذلك انفرد بلازمة شاذة عرفت عنه واشتهر بها . وهى أنه كان عند إعمال فكره واشتغال ذهنه يدأب على نتف لحيته ، حتى قال فى ذلك بعض شعراء عصره الذين كانوا يحسدونه :

شيخ لنا من ربيعة الفُرْس
ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد
ألجمه في العراق بالخرس

وكان هذا المنظر يثير الضحك والغيظ أحيانا ، إلى درجة أن أحد الوزراء الذين اصطفوه الزمه ترك هذه اللازمة ، فكان يضيق بذلك ذرعا ، ويتحير ويضطرب . وأعجب به الوزير يوما اثر جواب مسدد ، فقال له : تمن عليَّ شيئا اقطعك إياه . فقال : اتمنى أن تقطعنى لحيتى .

وربما كانت هذه اللازمة هينة الأمر بجانب غيره من أصحاب اللوازم الشاذة ، وقد يتلمس لها التعليل ، ولا يعجز المعتذرون عنه فى ذلك لو التمسوه ، وفى انشغال الذهن مندوحة للعالم إذا أغرب فى بعض تصرفه ، فهو فى يقظة ذهنية غلبت على يقظته الحسية ، وغاب عن ظاهره فى حضور باطنه ، فهو كالنائم الذى يتيقظ وجدانه الداخلى لما يراه من أحلام ، وإن كان مظهره مظهر النائم الوسنان ، فلا حرج عليه إن حدث منه فى غيبوبته الفكرية ما لا يحدث منه فى غيرها من الأوقات .

وما ظنك بالعالم الرياضى « ارشميدس » الذى خرج من حمامه عارياً وهو يعدو فى الطريق صائحا : وجدتها ، وجدتها . حين اكتشف وهو فى الحمام نظريته المشهورة الرياضية المعروفة بقاعدة « ارشميدس » ؟

وما ظنك بالفيلسوف القديم الذى كان يشعل شمعته فى رائعة النهار ليبحث عن المعرفة كما كان يقول ؟؟

أليس هذا من شذوذ العباقرة ؟

الأعرابى اللغوى :

ويعرض لنا الأديب الناقد ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » قصة الحسن بن أحمد الأعرابى اللغوى ، ويعرف بالأسود الغندجانى ، اللغوى النسابة ، وغندجان ــ كما يقول ياقوت ــ بلد قليل الماء ، لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح .

كان الحسن صاحب دنيا وثروة ، وكان علامة نسابة ، عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قيما بمعرفة أحوالها ، وكان له فى شهرته العلمية غناء لو أراد . ولكنَّ الشذوذ العلمى يأبى إلا أن يطل برأسه فى حياة هذا العالم ، ويترك أثره فى ترجمته . فلقب بـ « الأسود » لم يجئه من طبيعة لونه ، ولكنه جاء من ناحية أنه تكلف هذا اللون ، وأنه كان يدهن جسمه بالقطران ويقعد فى الشمس ليحقق لنفسه التلقب بالأعرابى .

أليس ذلك مما يثير العجب ؟ ولكن الأعجب اعتقاد صاحبه بسلامة تصرفه .

وللأسود الأعرابى تصانيف عدة تشهد ببراعته وفضله ، من ذلك كتاب : فرحة الأديب فى الرد على ابن السيرافى فى شرح « أبيات سيبويه » ، وكتاب : ضالة الأديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلب ، وكتاب : قيد الأوابد فى الرد على ابن السيرافى ــ أيضا ــ فى شرح أبيات إصلاح المنطق . وغير ذلك من الكتب التى تدل على ملكة نقدية وآراء صائبة فى اللغة والأدب ، وله أسلوب فى الرد على العلماء

والأدباء فقد كان لايقنع - كما يقول الحموى - بالرد الجميل حتى يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال . وتلك مقدرة أخرى فيه .

شذوذ التيه :

وربما كان فى الأعراق بعض التيه ، والتيه : شذوذ يعترى بعض العلماء ، وقد يغض من شأنهم ويصرف الناس عنهم فلا شيء يرفع من شأن العالم كالتواضع ، والعلم بحر لاساحل له .

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتيه والغض من شأن العلماء : برزخ بن محمد العروضى ، وهو من علماء الكوفة ، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء ، أنه صنف كتابا فى العرض ، نقض فيه العروض - فى زعمه - على الخليل بن أحمد وأبطل الدوائر والزحاف والعلل التى وضعها .. كان كثير الحفظ والرواية ولكنه كان كثير الاغترار بنفسه ، يأنف ممن يقول له : عمن أخذت هذا ؟ حدث المازنى قال : روى برزخ شعرا كثيرا لامرىء القيس فقال له جناد : عمن رويت هذا ؟ قال : عنى وحسبك بى .

فقال له جناد : من هذا أتيت يا غافل . وجناد هذا وكنيته أبو محمد ، وأبو واصل - أيضا - الكوفى ، من رواة الأخبار والأشعار ، وهو من علماء الكوفيين .

ولبرزخ شعر يتحدث فيه عن حاله منه ما أورده ياقوت :

ليس بينى وبين قومى إلا
إننى فاضل لهم فى الذكاء

حسدونى فزخرفوا فى قولا
تتلقاه ألسن البغضاء

كنت أرجو العلاء فيهم بعلمى
فأتانى من الرجاء بلائى

شذوذ شميم الحلى :

على أن التيه مهما بلغ فلن يبلغ مبلغه فى على بن الحسن المعروف(شميم) الحلى المتوفى سنة إحدى وستمائة .

كان عالما نحويا لغويا شاعرا أديبا . قال ياقوت : وردت إلى (آمد) سنة أربع وأربعين وخمسمائة فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ ، فقصدت مسجد الخضر ، ودخلت عليه فوجدته شيخا كبيرا قضيب الجسم - نحيف الجسم - فى حجرة من المسجد بين يديه كتب كثيرة من تصنيفه فحسب ، فسلمت عليه وجلست ، فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من بغداد ، فهش بى وأقبل يسألنى عنها وأخبره ، ثم قلت : إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئا . فقال : وأى علم تحب ؟ قلت : أحب علوم الأدب . فقال : إن تصانيفى فى الأدب كثيرة ، وذلك أن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم ، وأما أنا فكل ما عندى من نتاج فكرى . وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب استعملت فكرى وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم .

ثم شنع على أبى تمام وشتمه ، وقال عن أبى نواس : لو عاش لاستحيا أن يذكر شعر نفسه لو سمع شعرى ، وجعل يزرى على المتقدمين .

فعجبت منه وقلت له : فأنشدنى شيئا مما قلت : فأنشدنى ، فقلت له : أحسنت . فغضب

وقال : ويلك ما عندك غير الاستحسان ؟

فقلت : فما أصنع يامولانا ؟

فقال : تصنع هكذا . ثم قام يرقص ويصفق إلى أن تعب ثم جلس .

لقد بلغ من شذوذ هذا العالم أنه كان يأكل فترة طويلة « الطيب » بقصد تنشيف الرطوبة وحدة الذهن ، ويكتفى به ، وكان يرجو أن يكون الخارج منه طيبا . ولكن هيهات .

وعلى الرغم من شذوذ هذا العالم فقد كانت له مؤلفات جيدة منها : (النكت المعجمات فى شرح المقامات) و (أرى المشتار فى القريض المختار) وكتاب (الحماسة) من نظمه ، وكتاب (مناح المنى فى ايضاح الكنى) وغيرها .

أبو طال المكي :

وإقبال المرء على طعام واحد يصطفيه ولا يتعداه قد يكون الدافع إليه الصحة البدنية أو الروحية ، ولكن الإفـراط فى ذلك تجاوز للمألوف ، وانحراف إلى الشذوذ كما رأينا من الحلى ، وكما نراه أيضا فى العالم الصوفى الجليل الشيخ أبى طالب المكي صاحب كتاب (قوت القلوب فى معاملة المحبوب) وهو من الكتب الرائدة فى الفقه والتصوف . وقارئه يدرك منه مدى ما وصل إليه مؤلفه من سبق وتقدم ومعرفة .

فقد حكى ابن خلكان فى وفيات الأعيان عن المكى المتوفى سنة ست وثمان وثلثمائة أنه هجر الطعام زمنا ، واقتصر على أكل الحشائش المباحة حتى اخضر لونه من كثرة تناولها .

ولئن كان ذلك نوعا من الرياضة التى واظب عليها لتصفو نفسه إلا أنها أمر اختص به وحده وشذ فيه عن غيره ، وقد تثمر المجاهدات النفسية ثمارها ، ولكن تلك المجاهدات تحتاج إلى دراية وخبرة وإرشاد .

تيه المتنبى :

ومن الأدباء الذين بالغوا فى الاعتـداد بأنفسهم ، وسلكوا فى سبيل ذلك مسلكا شاذا عن الناس فى زيهم وسلوكهم أبو الطيب المتنبى الشاعر المشهور ، وهو إلى جانب شعره عالم باللغة والرواية فقيه فيهما ، وهكذا كان شأن الأدباء قديما ، لايكاد الشاعر ينبغ حتى يكون قد أجاد القرآن حفظا وفهما والحديث دراية ورواية .

والمتنبى كان كذلك إلا أنه كان تياها بفنه متكبرا على بنى جنسه .. استمع إليه يقول مفتخرا بنفسه وهو فى معرض مدح غيره وقد قدم إليه يستميحه العطاء .

أنا ابن من بعضه يفوق أبـا
الباحث والنجل بعض من نجله
أنا الذى بيَّن الإلـه بـه
الأقدار ، والمرء حيثما جعله

أو استمع إليه وهو يقول :

أنا الذى نظر الأعمـى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

حدث عنه أبو على الحاتمى فيما يرويه كتاب قصص العرب جـ٣ ص٣٠٨ قال : حين ورد

مدينة السلام التحف رداء الكبر ، وأذال ذيول التيه ، وصعر خده ، ونأى بجانبه .. قال : فقصدت مجلسه ، وإذا هو يلبس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلقها بتخفيف اللبس .

لاشك أن الإفراط فى التيه يؤدى إلى أن يحاول الإنسان إفراد نفسه عن غيره بلازمة من اللوازم يُعرف بها ، وتؤثر عنه ، حسبانا من أن ذلك يجعل غيره لايشاركه فى نبوغه أو تفوقه ، ولا يبعد أن يكون لقب المتنبى جاء من هذا القبيل حين شعر من نفسه أنه غريب فى قومه غربة الأنبياء فى أقوامهم . وقد قال فى ذلك :

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ولكن محاولة تمييز نفسه عن غيره بلبس سبعة أقبية مختلفة الألوان شذوذ لايعدله شذوذ . فكيف يكون حاله عند مجىء الشتاء ؟

هذه صور من شذوذ العباقرة من صنع أيديهم ، وليست من صنع الفطرة التى فطرهم الله عليها ، نسوقها مثلا للتدبر فى أحوال العلماء وتصرفاتهم ، على أن ذلك لا يحملنا على الحط من قدرهم ، فإن ما قدموه للأجيال من أفضال وخلفوه من آثار لا تجعل تلك السمات الشاذة تقدح فى جلائل تلك الأعمال ، بل ربما ذكرت فى معرض الكمال مصداقا لقول بشار بن برد

ومن ذا الذى ترجى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه





إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال مقدم من السيد/ أ.ن

وضعت إمرأة حملها بعد الشهر السادس من تاريخ الدخول بها . فهل يعتبر هذا الابن لاحقاً بنسب أبيه ؟

الجــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن المنصوص عليه شرعا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لقوله تعالى : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ ولقوله تعالى : ﴿وفصاله فى عامين﴾ فيبقى الحمل ستة أشهر .

فإذا دخل الرجل بامرأة ووضعت له ولدا بعد حملها لستة أشهر فانه حسب المنصوص عليه — شرعا — يلحق هذا الولد بأبيه .

وعليه ، فإنه إذا دخل بها ووضعت حملها لأقل من ستة أشهر فلا يثبت النسب وهو المتفق عليه عند الأئمة ومما تقدم يعلم أن هذا الولد الذى وضعته الزوجة لأكثر من ستة أشهر يلحق نسبه بأبيه شرعا .

السؤال من السيد/ ع.ر.هـ .

« لقد خطبت إبنة خال والدى ، وبعدها علمت أن عمى (شقيق والدى) قد رضع من أم خطيبتى مع أخت كانت خطيبتى وتوفيت » .

فهل يكون زواجى من هذه الخطيبة صحيحا ، مع العلم بأنه لايوجد شهود على هذا الرضاع سوى الأم فقط ولقد قال بعض فقهاء البلدة (من الأزهريين) أنها تجوز والآخر لا . فهل هناك اختلاف فى المذاهب أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب

يجوز شرعا زواج من خطب إبنة خال والده والتى رضع عمه من أم خطيبته مع أخت خطيبته التى توفيت لأن الحرمة تنحصر فى هذه المسألة فى عم الخطيب الذى رضع من أم خطيبته فيحرم عليه بنات من رضع منها وكذلك أبناؤه يحرم عليهم

بنات من رضع منها ، وذلك إذا كان الرضاع فى مدته ، ومتيقنا ، ولا يتعلل المانع من الزواج بحديث : « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » إذ أن هذه المسألة لايقاس عليها ـــ فعم الخطيب برضاعه من أم مخطوبته تحرم عليه بنات من رضع منها وكذا أبناؤه كما يحرم أبناء من أرضعت العم على بناته ـــ وعلى هذا فإن والد الخطيب يعتبر أجنبيا عمن أرضعت عمه ومن ثم يجوز شرعا الزواج من هذه الخطبة .

السؤال : من السيد/م.س.ع يقول :

معنا مساحة من الأرض تزرع محاصيل رئيسية كالقمح والشعير ولكن بأمانة نقول : ـ لو خصمنا مايأتى على الأرض من ضرائب وغرامات للرى ومخالفات عديدة لعدم وجود وسيلة رى ميسرة ، وعلى الجانب الآخر ماتتكلفه من عمالة وغير ذلك لايبقى شىء من المحصول وربما كان بخسارة ، برغم أن المحصول يفوق النصاب وفائدة الزراعة أنها تبقى الأرض محتفظة بقيمتها .

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ،

فإن زكاة الزرع والثمار ثبت فرضيتها بدليل خاص بها من الكتاب والسنة علاوة على الدليل العام فى الزكاة ، قال تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده﴾ وقول الرسول ﷺ : « ما سقت السماء ففيه العشر ، وماسقت غرب ـــ دلو ، أو دالية ، دولاب ـ ففيه نصف العشر » وهذا الحديث قد بين ماأجملته الآية السابقة .

وعند الحنفية : أن سبب وجوب الزكاة هو الأرض النامية حقيقة بالخارج منها،ورأوا أن الزكاة تجب فى كل ماتخرجه الأرض سواء كانت له ثمرة تبقى أولا ، وسواء كان قليلا أو كثيرا فلا يشترط فيها نصاب ولا حولان حول ، كما تجب فى كل الخارج بدون أن تخصم منه النفقات .

بينما رأى الشافعية : أن الزكاة تجب فيما يقتات اختيارا كالبر والشعير فإن لم يكن صالحا للاقتيات كالحلبة مثلاًفلا زكاة فيه ، وكذا كل مايقتات به عند الضرورة كالترمس ونحوه ، واشترطوا فى وجوبها بلوغ النصاب ، وهو : أربعة أرادب وكيلتين ، ووافقهم فى ذلك الحنابلة والمالكية والراجح بناء على عموم النصوص أن الزكاة فى الزرع والثمار واجبة فى الخارج من الأرض رغم ما تتكلفه من عمالة ونفقات ، ومناط الحكم فى ذلك ماذكرته فى آخر رسالتك من أن فائدة الزراعة أنها تبقى الأرض نامية ومحتفظة بقيمتها ، وهذا فى حد ذاته موجب لزكاة مايخرج منها .

السؤال : أخطب الجمعة ويصلى أبى بالناس وإن تساويا فى القراءة ويرضى الناس ذلك أفيدونا أفادكم الله ؟ .

الجـــواب

فإن الفقهاء قد اشترطوا فى صحة صلاة الجمعة الخطبتين وأن يكون الإمام من بين المصلين ومن بنيه خطيب الجمعة أولى من غيره من المصلين، وخاصة إذا كان المأمومون يرضون بذلك ومادمتما متساويين فى هذا الأمر على نحو ماذكرت فى رسالتك فإن الصلاة صحيحة وإن كان من كمال السنة أن يصلى الخطيب نفسه إماما بمن خطب فيهم لقول رسول الله ﷺ : «صلوا كما رأيتمونى أصلى» . هذا والله أعلم



الشيخ عبد الرحمن تاج

رحمه الله

فضيلة الإمام الأكبر عبد الرحمن تاج

في بحوثه العلمية

(١٨٩٦ - ١٩٧٥ م)

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

لم أحظ بمصاحبة الإمام الأكبر عبد الرحمن تاج ولا مجالسته ، ولكنّ الذين نعموا بمسامراته العلمية ، يؤكدون أنه عند تطارح الآراء في مسألة علمية يظلّ مصغياً يستمع إلى كلّ ما يدور ، حتى ليظنّ المناقشون أنه لايبدى اهتمام المتتبع اليقظ ، حتى إذا أتم كلُّ متحدث كلامه ، أخذ الرجل الدقيق يُبدى رأيه في سعة فسيحة وبرد في هدوء ، على ما لم يرتح إليه من الرأى ، فيعطى بلهجته الهادئة ، وأسلوبه الرزين انطباعاً موضوعيًا ، تُنسى به الأشخاص ، وتبقى القضايا ، ولديه بديهةٌ نادرة في الاستشهاد بمظانّ منسيّة لم يلتفت إليها أحد ، لذلك لم أعجب من قول الدكتور محمد مهدى علام عنه ، كان أخفضَنا صوتاً وأعلانا حُجةً[1] ، وخفوتُ الصوت مع ارتفاع الحجة ميزة نفسية لا تتاح إلا في النادر العزيز ، لأن صاحب الحجة العالية عادةً لا يصبرُ عن الجهر بها في سطوع يجذب الأنظار ، لأن تحمّسه لما يعلمُ يُقلقه عن الهدوء ، فيصولُ في ساحة الجدل ، وكأنه في حومة قتال ، أمّا هذا الهادئُ الساكن الوديع الذى يعلمُ ما يجهل سواه ، ثم يصبر على النقاش المضطرب حتى ينقطع مداه ، وإذ ذاك يأتى بالمنطق الفصْل في غير صلف أو مباهاة ؛ فيذكرنا بهذا المغوار العربيّ الباسل الذى قالت عنه ليلى الأخيليّة مُكبرةً مادحةً .

ومُخَرقٍ عنه القميصُ تخاله	بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رُفع اللواءُ رأيته	تحت اللواء على الخميس زعيما

هذا الخلقُ الهادئُ الوديع يتحوّل إلى جموح قاهر مغتزٍ حين يُفاجأ الشيخ بمتعاظم منتفخٍ ، يحاول أن ينتقص من قدر زملائه .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث لغوية وقرآنية ، مقدمة الكتاب ص ٨ للأستاذ أبى بكر عبد الرازق .

ترحيب وضيق :

فقد تلقى الشيخ الأكبر دعوةً من رئيس جمهورية أندونيسيا للمشاركة في احتفالات الاستقلال بها ، كما تلقت قيادة ثورة ٢٣ يوليو دعوةً مماثلة فذهب وفدان يرأسُ أحدهما شيخ الأزهر ، ويرأسُ الثاني جمال سالم ، وأقلتهما الطائرة معا ، ولكنّ الاستقبال الحار لوفد الأزهر قد طغى على كلّ استقبال في كل مطار نزل به الوفدان ، حيثُ أقيمت السرادقاتُ الزاهية ، وقُدمت عُقودُ الزهور الباسمة ، وتقاطرَ علماء الإسلام ، وطلّابُ المعاهد الإسلامية لتحيّة البعثة الأزهرية وأُلقيتْ كلماتُ الترحيب ، وأُعدت السيّاراتُ للنزهة ، وشاركَ الشعْبُ في كراتشي وجاكرتا في الترحيب البالغ على نحو رائع ، ولوْ كانَ جمال سالم ذا نظر صائب لَسُرّ بالاحتفاء بشيوخ الأزهر ، وهُمْ مواطنوه ، ولكنّه ما كادَ يُقابلُ الشيخ بعد استقبال جاكرتا ، حتّى صاحَ في غضب : مَنْ رئيسُ الوفد أنا أمْ أنت ؟! فقال الشيخ في تحدٍ واضح : كلٌّ منّا رئيسٌ فيما جاء له ! فقال جمال سالم : لابدّ من عودةِ هؤلاء الفقهاء سريعاً إلى مصر ، ويكْتفي بك : فقالَ الشيخ في إصرار ، سأعودُ معهم فوراً لو طلبتَ ذلك ! فانسحبَ جمال متضايقاً ، فقدْ تأكّد أنّه لن يحْظَى بأيّ استقبال ، إذا ذهبَ الشيخُ مع رفقائه أو لزم الاعتزالَ الصامت !

أمّا الّذين كان يودُّ الخلاصَ منهم ، فهمُ الذين ألقَوْا كلماتِ العزّة الإسلاميّة ، وأكّدوا أواصرَ الأخوّة الدّينية فيما أبدعوا من معان قُوطعتْ بالتكبير والتهليل ، همُ الأساتذة : صادق عرجون شيخ المعهد الإسكندري ، ومحمد سليمان البحيري الأستاذ بكلية اللغة العربية ، وأحمد القط مفتش الوعظ ، ويوسف الحمداني رئيس قسم البحوث ، وكلُّهمْ قد قام بواجبه الإسلاميّ مُحاضراً وخطيباً ومُفتياً ، وحين انتهت الزيارة ورجع الشيخُ إلى مصر عقد مؤتمراً صحفياً تحدّث فيه عن مكانة الأزهر في بلاد الإسلام ، وأشار إلى رَوْعة الاستقبالات التي حظيتْ بها البعثة الأزهرية ، وكان فيما قاله ؟!

« كلّفني أهلُ أندونيسيا أن أبلّغ عنهم أهل مصرَ تحياتٍ طيبةً عطرة ، وتمنياتِ خيرٍ خالصة ، وضراعةً إلى الله أن يديم الألفة والمحبة والتعاون بين الأمّتين العظيمتيْن ، وإن ما لقيناهُ في رحْلتنا هذه ، ليذكّرنا برُوح الإسلام القديْمة ، في نشأته القويّة ، ويدلّنا على تمكّن المبادىء النبيلة في هذه النفوس الطيبة » .

وقد مضت الأيام ، وقُضي من قُضي ، وعاش جمال سالم حتّى وجد نفسه منبوذاً بالعراء !

صفح غير متوقع :

هذا الشموخُ الرفيعُ في وجه المتكبّر المنتفخ يقابله تواضع حبيب في وجْه السّاذج الضعيف :

فقد كانَ الشيخ عميداً لمعهد الزقازيق الديني ، وذهب الطلّابُ لاستقبال الملك فاروق حينَ مرّ بقطاره الخاصّ إلى القصاصين ، في موكب مشهود ، وتسرّع طالبٌ أزهري يحملُ العَلم بهتاف لم يصادف موقعه ، وأحدثَ بعضَ الحرج ، وتقدّمَ المسؤولون بالمعهد إلى الشيخ ؛ كي يُحاسب الطالب ، فأحْضره وناقشَهُ مناقشة عرف منها أنّهُ سليمُ النيّة ، ساذجُ التفكير ، ولم يكُنْ ذيْلاً لأحد ، فنظر إليه في عطْف ، وسألهُ مُلاطفاً : أصلّيتَ الظهر يا بُنَي ؛ تعالَ ، اذهبْ

فتوضأ وصلّى ! وحار المجتمعون فى صنيع الشيخ ، فقال لهم : الأعمالُ بالنيّات . والطالبُ لم يُرِدْ سوءًا بما فعل!! وقد مرَّ الحادث بسلام ، فلابأس !

نشأة الشيخ :

نشأ الشيخ بالأزهر طالباً بمعهد الإسكندرية ، وزاول التعلّم فى جدّ بحيث كان الأوّل فى صفوف الدّراسة ، حتى نال شهادة العالمية سنة ١٩٢٣ ، وعُيّن مدرساً بالمعاهد ثم بقسم التخصص بكلية الشريعة ، وسافر إلى فرنسا لينال درجة الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان ، ثم عادَ ليُزاول التدريسَ بالكليّات العالية بالأزهر ، وجامعة عين شمس ، وتُوّجَ ذلك كلّه بمشيخة الأزهر الشريف ! ولم أذكُرْ هذا التاريخ الموجز إلّا لأدلّ على أن الشيخ قد درسَ بالأزهر حين كانت العلومُ الشرعية ، والعلومُ اللسانيّة تُدرسُ فيه للطلّاب على مُسْتوى واحد ، قبل أن تظهرَ الكليّات بتخصصها المحدود ، فأفاده ذلك إفادةً راسخة فيما زاوله من التأليف ؛ لأن بُحوثه الفقهية فى الكُتُب الجامعيّة قد انتفعت فى التدليل والترجيح بمسائل اللّغة والنحو والبلاغة ، وبُحوثه اللغوية فى مجمع اللّغة العربية ، وهى ذاتُ خصوبة مثمرة .. قد استندتْ إلى ركيزته الضّخمة فى علوم الفقه والتفسير والحديث !

ونحن فى زمننا الرّاهن نأسف حين نجد القنوات العلمية غير متصلة بين متخرجى الكليات اليوم ،

ولعلّ مُراجعة النّظر فى هذا الأمر تفىُ بنا إلى تعديل المناهج الدراسيّة فى الكليّات ، بحيث تكونُ بينهما دوائرُ اتصال تمنع التقاطع ! وأنا أقدم أستاذنا الكبير الدكتور عبد الرحمن تاج مثلاً لما أريدُه من شمول الثقافة الإسلامية ، وأدعُو القارىء لمراجعة بحوثه المستفيضة عن حُروف الزيادة فى القرآن ؛ ليعلم تمامَ العلم كيف تتناصرُ العلومُ المختلفة مِنْ فقهيّة ولسانيّة فى تأصيل مقرّراتٍ علميّة ذاتِ دَسامةٍ وبيان .

مؤلفات الدكتور تاج :

أصْدر الدكتور تاج مؤلّفاتٍ شتى فى الفقه المقارن والأحوال الشخصية ، وتاريخ التشريع الإسلامى ، وحكم الربا فى الشّريعة الإسلامية ، وشركاتِ التأمين مِنْ وجهة النّظر الإسلامية ، والثلاثة الأخيرة لم تُطبع ، ولكنّها أُلقيت على الطلاب فى الجامعة ، وأعيد بعضُها فى محاضراتٍ عامة . ولعلّ المؤلف كان ينتظرُ فُسْحةً للتأمل فيها وإلحاقها بما يعتقدهُ متمماً لها ، وإلا فكيف يتركها دون أن تطبع ، ومَنْ سمعوا أكثرَها كالأستاذ على الخفيف أشادُوا بها إشادة منصفة .

هذا إذا لم يكُن التواضع العلمى قد دعاه إلى تجاهلها ، فالرجلُ الكبير كان قمةً فى هذا الباب ؛ حيث لم يُلحق اسمه فى أىّ مقال كتبه بلقب الدكتور ، مع أنّه نال هذا اللقب من أرْقى الجامعاتِ الأوربيّة ؛ لأنّ الجوهر عنده أغْلى قيمة من العرَض ، وكَمْ من أناسٍ ذيّلوا أسماءهم بشتّى الألقاب . فإذا قرأتَ ما كتبوا كان اللقبُ مدعاةَ عجبٍ لا إعجاب !

سمو مناقشاته العلمية :

وأبرع ما سمق فيه الإمام الأكبر : مناقشاته العلميـة الهادئة لما يعارضه من آراء تُنشر فى الصحف أو المجلات ، فقد كانَ يحرص على

تصحيح أخطاء كثيرة يراها مصدر خطر لصدورها من بعض التابعين ، ولتقديمها فى الصحف اليومية فى هالة من الإكبار توحى بصدق أحكامها ، ومنْ ذلك ما كتبهُ ردّاً على الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السّابق ، حيث نشر مقالا بجريدة المصرى سنة ١٩٤٩ يعترضُ فيه على ما يُسمّى بمشروع « ضريبة الزكاة » ، ذاهباً إلى أنَّ مصر تجرى فى حكمةٍ واعتدال ، على فصل الدّين عن أمور السياسة ، وخلافات الحكم ، وأنّ الحركة الوطنية أورثتنا مبدأ جليلا يقضى بأن الدين لله والوطن للجميع ، ومادامَ المشروعُ مستمداً حكمته وأحكامَه من الدين الإسلامى فلابدّ من الاصطدام بالعقبة ، والوقوع فى المشكلة وهى علاقةُ الدين بالسّياسة وبالدولة » .

هذه الآراء العلمانية يرددها أصحابها ، ولا يكلفون أنفسهم بقراءة الردود الماحقة لأراجيفها ، وقد دحضها الدكتور تاج بفصْلٍ مُسهب نشرهُ بمجلة الأزهر[٢] ، أكّدَ فيه أنّ دينَ الدولة المصرية هو الإسلام وأن دستور الأمة قد قرّر ذلك دون لَبْس ، وأنّ الذى يعرفُه الناسُ فى مصر ، ولا يَخفى على أحد مِنْ أهل العلم أنّ قانون المحاكم الوطنيّة الجديد ، قد استمدّ فى كثير من مواده من أحكام الشريعة الإسلامية ، وأنّ أصحاب مشروعه ـ مشروع الزكاة .. قد اقتنعُوا بكمال الحكمة والاعتدال ، فيما اقتبسوهُ من هذه الأحكام ، ولو كانوا من أهل الاختصاص فى دراسة الشريعة الإسلامية لعثروا على ما يُريدون وأكثر مما يريدون !

ثم قال الأستاذ تاج بعد إفاضةٍ شافية مستوفاة : وإذا كان قانون ضريبة الزكاة صالحاً نافعاً ، فماذا يضيرُ الوطن أن تكونَ أحكامُه مستقاة من تعاليم الإسلام ، وهل يليقُ بإنسانٍ أن يبلغ به التعصب مبلغاً يُنفّره من قانونٍ تُستَقَى أحكامه من شريعة هذا الدين ، ولو كانَ قانوناً صالحاً نافعاً للأمّة ! »

وكنتُ أودُّ أن يُنشر الردُّ بجريدة المصرى نفسها ، ولعلّ الأستاذ رأى أنّها لا تسمحُ بنشر المقال فى عرْضه المسهب دونَ حذف ، فآثر أنْ ينشره كاملًا فى مجلة متخصصة وحَسناً فعل .

الإمام وصحيفة الأهرام :

أقولُ ذلك استناداً إلى موقف أعلمه ، فقدْ كانَ من دأب جريدة الأهرام أن تبدأ أحاديث الصيام السنوية فى شهر رمضان المبارك بكلمة للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وقد طلبتْ من الشيخ عبدالرحمن تاج كلمةً مناسبةً تبدأ بها كلماتِ الموسم ، فاعتذر بأنه كتب فصلا مسهبا عن الصيام ستنشرُه مجلةُ الأزهر فى حيّزه الممتد ، وحينَ رجعتُ إلى ما كتبهُ الإمام ، بعدد رمضان سنة ١٣٧٦ هـ قرأت بحثاً مُسهباً ذا فروع كثيرة ، تحتل تسع عشرة صفحةً كاملة ، وقد بدأه بالنصوص القرآنية والنبوية ، شارحاً ما غمض منها ، وثنّى بتوْضيح مزايا الصوم ديناً ودُنْيا ، مُفيضاً فى تحليل الآثار النفسية لهذه الشعيرة الكريمة فى تربية الفضائل وإماتة الرذائل ، وإحياء اليقظة الواعية للضمير المحاسب ، وأتبع ذلك بحديث جديد عن التدرج فى شريعة الصيام ،

---

(٢) مجلة الأزهر (رجب سنة ١٣٦٨ هـ ص ٥٢٤) .

حيث بدأت بصوم عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ، أما حكمة تخصيص رمضان بشعيرة الصيام فقد تعرض لها الكاتب بما يقنع ، منتقلاً إلى المسائل الفقهية المتعلقة بالصوم ، وكان من الطريف أن ينقل عن لجنة الفتوى بالأزهر .. وهو أحدُ أعضائها البارزين ـ ما رأتْهُ من العُذر المبيح للإفطار لطلبة كلية الطيران إذ يبدءُون تدريباتهم اليوْمية ابتداءً من الساعة الخامسة والنصف صباحاً حتى العاشرة ، ثم يتلقوْن بعد ذلك محاضراتهم في العلوم النظرية ابتداء من الساعة الحادية عشرة ، وتتوالى المحاضرات إلى الساعة الرابعة ، وإذا كانت النظم الطبيّة المتّبعة في السلاح الجوى تحتم أن يأكل الطّالب قبل أن يتمرّن بأمد مناسب ، فإن الصوم حينئذٍ يُصبح عائقًا لعمل ضرورى ؛ فيجوزُ للطلبة الإفطار مع القضاء حين ينقضي التمرين ، هكذا قالت الفتوى ، ثم تابع الباحثُ حديثه تحت عنوان جديد هو : « أشياء قد يخفى حكمها على بعض الناس وهي غير مفْسدة للصوم » وكذلك تطرقه إلى إثبات رمضان وذى الحجة عن طريق الهلال ، فأشبع القارىء في هذه الناحية إشباعًا لا مزيد عليه[٣، ٤] !

أشيرُ إلى هذا البحث لأضربَ مثلا لاهتمام الشيخ الأكبر بالمناسبات الدينية طيلة توليته مشيخة الأزهر ؛ إذ كان يتحدث في أعداد مجلة الأزهر المتوالية عن مثل الإسراء أو ليلة القدر أو الهجرة أو ثبوت الهلال أو الحج أو الصوم أو الزكاة حديثاً دقيقاً مستوعباً ، وكأنه أعدّ ليكون دراسة متصلة ، وإذا كانت بحوثه في مجلة المجمع جُمعت في كتاب خاص ، فأنا أدعو إلى أن تُجمع بحوثُ مجلة الأزهر في كتاب تال ؛ لأن الحاجة إلى هذه الدراسات تتجدد بتجدّد مناسباتها ، وهي مجموعة أيْسرُ منها متفرقة !

عود إلى صلابة شخصيته الوديعة :

أعودُ إلى حديث القوّة الصّلْبة في شخصية هذا الإنسان الهادىء الرزين ، فقد كان من الأحداث ما جعله يقفُ موقف الحزم أمام اتجاه عام تؤيدهُ الدولة ، ويحتشدُ له جمعٌ من المتحدثين يزعمونَ لأنفسهم دراية تامة بالتاريخ ومعرفةً قويّة بالتيارات المعاصرة ، وهمْ في قرارة أنفُسهم يُسايرون اتجاهاً خاصاً ، ويبرزُون في مسايرته ما يدفعُ بهم إلى البروز الاجتماعيّ والسياسيّ في مجتمع الحزب الواحد ، والرأى الوحيد ، لقد نشأت بدعة القومية العربية ؛ لا لتكون ثابتة في حضن الإسلام ورعايته ، بل لتكونَ (القومية البحتة) التي لا ترى للدين أثراً في نهضة الأمة العربية ، ووحدة الصف العربيّ ، وانتشرت المؤلفاتُ التي تبتعدُ بالدين عن مسرح العربيّة ، وتعدّهُ عاملَ ضعف للأمة ، لا عاملَ نهضة ، وفي ما يُسمّى بمؤتمر قادة التعبئة القومية ، قام من يقول[٥] : « إن الدين كالجنس لا يُعدّ مقوّماً من مقومات الأمة ؛ لأن الدين شيءٌ بين العبد وربه ، وليسَ هناك على وجه البسيطة دولةٌ ينتمي سكّانها إلى دين واحد إلّا المملكة السعوديّة ، وإسرائيلُ فيها عرب ومسلمون ومسيحيون »[٦] ، ومن

(٣) حدثت فعلًا امتناع الأهرام عن نشر ردود كتبها العلماء أثناء مشيخته رداً على ما جرى حينئذ : « الخطوة الثانية » ولعل د. / طه حسين حمد الله فيما بعد ـ على بطلانها .

(٤) مجلة الأزهر رمضان سنة ١٣٧٦ هـ .

(٥) مؤتمر قادة التعبئة القومية ص ٩٥ .

(٦) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ ص ٥٩٨ .

يقول : « القوميةُ العربية تقومُ على العروبة أولاً ، وليستْ على الدين أو على أىّ دين على الإطلاق ، وقد تنبّه العرب إلى هذا ، منذ زمن حتى إنهم رفضُوا حركة الجامعة الإسلامية التى نادى بها السلطان عبدالحميد ، والذين تولّوا الحرب الصليبية هم تُجّارُ جوة والبندقية الذين كانوا يريدُون أن يسيطروا على طريق التجارة بين الشرق والغـــرب ، ولولاهــــم لما قامت الحروب الصليبية » ! هذا الافتيات الصارخ على الحقائق الذى ينكر وضوح الشمس فى رائعة النهار حين يزعمُ أنّ إسرائيل ليستْ دولة دينيّة ، وحين يزعم أن الحروب الصليبية تدبير تجار وسماسرة ، ولم يدعُ لها البابا « أوروبا » وبطرس الناسك مما يعرفه تلاميذ المرحلة الابتدائية .

هذا الافتيات قد دفع الدكتور عبد الرحمن تاج إلى أن يقول[7] ، فى حديث عام مجابها هذا الهراء البغيض :

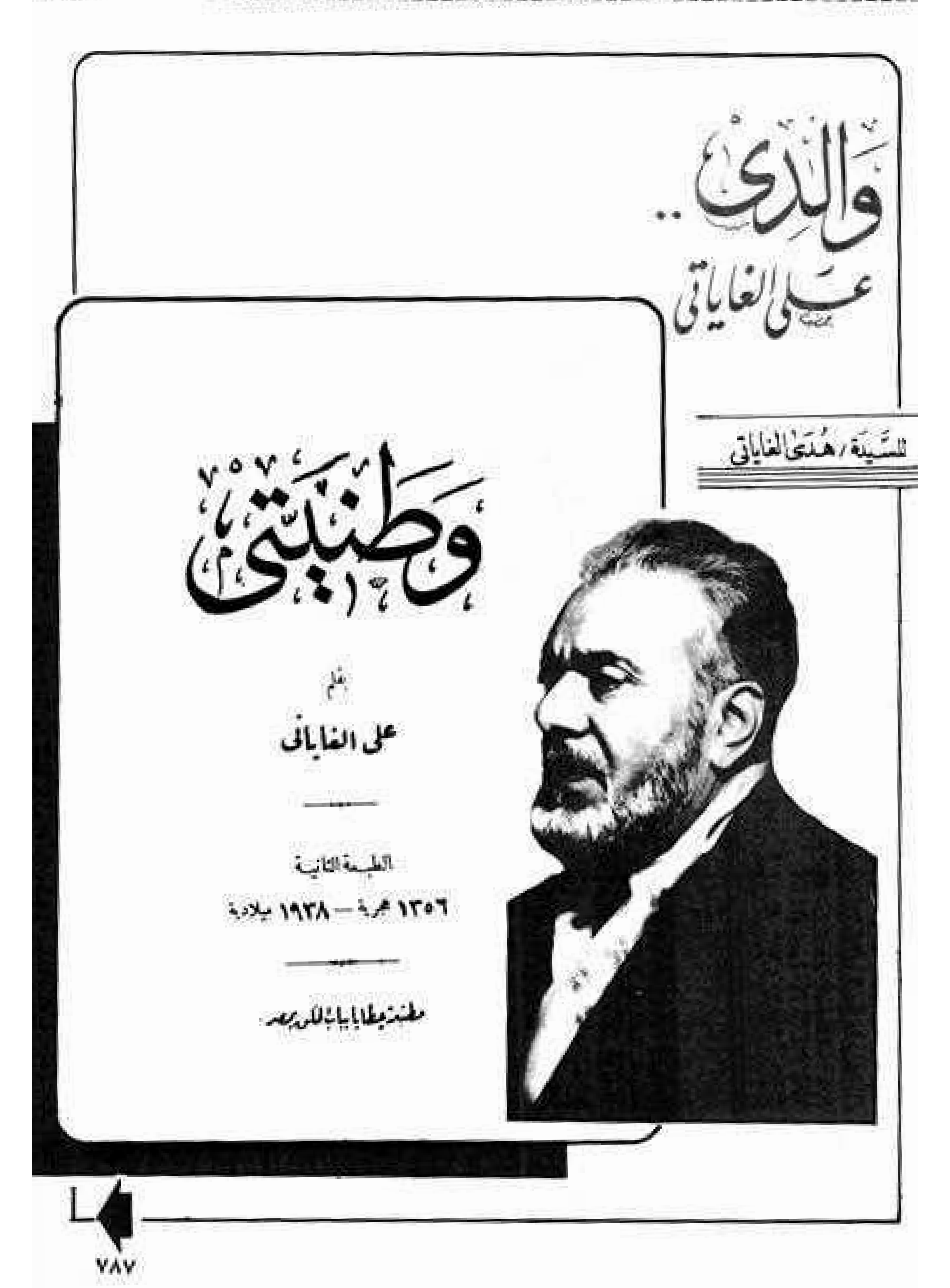
« إن القومية العربية صلة كصلة النسب والقرابة التى تجمعُ بين الإخوة وأبناء العمومة ، وهناك بعد هذا صلة روحيّة تحكم هذه الصلة ، تهيمنُ عليها ، وهى رباطُ الإسلام الروحى الذى يُعتبر أقوى من صلة القومية ؛ لأنه منها بمنزلة الروح من الجسد ، والروحُ هى التى تسيِّر الجسد ، وتسيطرُ عليه ، وهو أيضاً أوسعُ وأشملُ من رابطة القومية العربية التى تقتصر على البلاد العربية ؛ لأنه يدخل فيه كلّ من ينتمى إلى الإسلام ، وأهمُّ دليل على أن هذا الرباط الروحى أقوى من صلة القومية ، أنه إذا خرجت جماعةٌ أو دولةٌ من العرب على ما يقتضيه الرباط الروحى فإن الصلة الأخرى (صلة القومية) لا يكون لها أثر أو اعتبار حينئذ فى موقف باقى الشعوب العربية تجاهها ، والإسلام دينُ التسامح ، ولا يعتبرُ مجردُ الاختلاف فى الدين سبباً للتنازع وإثـــارة الشحناء ، وهو يحرّمُ على الأمة الإسلامية أن تبدأ بشنّ حرب عدوانية على غيرها ، ويقول : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة ـ الآية : ١٩٠) » .

ومثل هذا الكلام يصدم دعاة القومية ، ولكنه زئيرٌ غاضب فى وجوه الانتهازيين ، وفى هذه الفترة دعا الدّاعون إلى ما يسمّى بالخطوة الثانية ، التى تنادى بتوحيد التعليم فى المرحلتيْن الأولى والثانية توحيداً كاملا تُصبح به المعاهد الدينيّة مدارسَ حكوميّة تتبع المنهج العام ، فأعلن الشيخ[8] تاج معارضته المستنكرة لا بالبهتان الصاخب ، بل بالمنطق الصادم ، فأظهر أنّ دروس التعليم العام لا تُهيِّئ الطالب إلى استكمال التعليم العالى الأزهرى على الوجه المنشود ، وأنّ الدراسات العالية بكليات الأزهر تعتبر دراسات تخصص لابدّ أن يسْبقها دراسات عربيّة ودينية واسعة ينتقلُ فيها الطالب من سنة إلى سنة ومن منهج إلى منهج استعداداً لما ينتظره من دراسات أخرى ذات عمق وشمول ! وما قال الرجل غير البدهىّ الملموس لذى النظر المحايد ، ولكنّ الغرض الأعمى يطمس العقول ..

---

(٧) مؤتمر قادة النهضة القومية ص ١٣١ .

(٨) مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ص ٣٠٧ .


والدي..
علي الغاياتي
للسيدة / هدى الغاياتي
وطنيتي
بقلم
علي الغاياتي
الطبعة الثانية
١٣٥٦ هجرية — ١٩٣٨ ميلادية

تاريخ والدى تاريخ أحد كبار الوطنيين الذين ينبغى أن يُلمّ بأعمالهم أجيال من أبناء مصر دائماً .

ولد ـ رحمه الله ـ فى الرابع والعشرين من أكتوبر ١٨٨٥ بمدينة (دمياط) والتحق بـ (الكتاب) فى السادسة من عمره ليحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالمعهد الدينى فى (جامع البحر) وتلقّى فى حلقاته دروساً فى العربية والفقه والبلاغة ، وعن نشأته يقول ـ فى كتابه (وطنيتى) ص ٢٣ : إنه نشأ فى دمياط بين قوم كرام غير أنهم محافظون ..

وظل بدمياط حتى الثانية والعشرين ، ثم ارتحل إلى القاهرة ليدرس بالأزهر فى يوم الخميس الرابع من أبريل عام ١٩٠٨ ، وظل ـ فى المرة الأولى لسفره ـ حوالى مائة يوم عاد بعدها إلى دمياط وقد اشتد حنينه إليها ، فزارها فى السادس عشر من شهر يوليو عام ١٩٠٨ ، ثم عاد إلى القاهرة .

وفى القاهرة شغف بالصحافة ، فعمل بصحيفتى : « البصير والجوائب المصرية » والصحيفة الأخيرة يومية ، سياسية أدبية تجارية برأس تحريرها الشاعر خليل مطران ، الذى كان برأس « البصير » أيضاً ، فعمل فى هذا الميدان ـ جنباً إلى جنب ـ مع حسين شفيق ، وأبو بكر لطفى ، والمنفلوطى ، وغيرهم من أقطاب هذا العهد . ثم ترك العمل ـ فى الجوائب ـ عندما تولى رئاسة تحريرها : (عطا بك حسنى) صهر العائلة الخديوية ، وعمل فى (صحيفة اللواء) مع الشيخ عبدالعزيز جاويش ـ رحمه الله ـ وكان يدير (اللواء) الزعيم مصطفى كامل ، فكانت الصحيفة تحمل مبادىء الحزب الوطنى الذى انتمى إليه « الغاياتى » مصرحاً بذلك فى توقيعه بنهاية إهدائه الكتاب فى طبعته الثانية ص ٨ ، وفى عام ١٩٠٩م كتب والدى كتابه الشهير : « وطنيتى » وهو مؤلف شعرى نثرى ثورى .. تولى الزعيم محمد فريد كتابة مقدمة هذا الكتاب ، وكذلك فعل عبد العزيز جاويش ، ومما كتبه محمد فريد عن والدى قوله : « إنه لم يخدم الأغنياء ، ولم يتقرب إلى قادة الحكومة ، ولكنه سمح لنفسه أن يقوم بخدمة وطنه ، والسلام فى العالم العربى من خلال قصائده الشعرية » .

كان والدى من المطالبين بالإصلاح الدينى ، يستنكر البدع والخرافات والشعوذة ، وقد طاردته السلطة ، وسجن بقشلاق العباسية اثنى عشر يوماً

من (١٨ - إلى - ٣٠ من ديسمبر ١٩٠٧) بدعوى التهرب من الخدمة العسكرية ، ثم أفرج عنه إفراجاً يدل على تلفيق التهمة والتماس أسباب لا حق للسلطة فيها .

وعن مدة سجنه هذه ، يقول الأستاذ أحمد حافظ : ان الغاياتى نظم قصيدة يقول فيها :

إصْبِرْ لخطب الدهر غير مضعضع
وإذا رمـــاك بما يسوءك فاخضع
واتــرك عِداك فإنهم إن يشمتـــوا
بك ساعة ... رجعوا بما لم ترجع
ما الدهــر إلا ساعتــان : فهــذه
يُمْنٌ .. وتــلك لِبُؤْسِه المتوقّــع

وعندما صدر كتاب والدى (وطنيتى) فى منتصف عام ١٩١٠ م متضمناً مجموعة القصائد التى قالها تعليقاً على الحوادث الوطنية - أحدث دوياً هائلاً ، ولم يكد يصدر حتى صودر .

قال - رحمه الله - فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب التى صدرت عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م ص ٣ :

« أصدرت هذا الكتاب فى منتصف عام ١٩١٠ م ، وقد صودر إذ ذاك وحوكمتُ من أجله ، وحكم علىّ غيابياً بالحبس سنة ، ولكننى فررت سرا من مصر ، وطنى المفدى ، قبيل المحاكمة ، ويممت الآستانة . » .

ولم يسلم محمد فريد ، ولا عبد العزيز جاويش من قضاء المحاكم المختلطة ففى نفس العام حكم عليهما أيضاً بالسجن .

وأصر والدى - بعد أن ترك مصر - على مواصلة جهاده ، وفى دار الخلافة - استنبول - عمل بصحيفة « دار الخلافة » قرابة ستة أشهر ، ثم أحس بأنه مراقب ، فهرب مستقلا قطار الشرق الذى يعبر أوروبا كلها ماراً ببلغاريا وبلغراد وبودابست ، وفى « بودابست » نزل ليستأنف حياته هناك ،واستبدل بملابسه العربية ملابس أوربية ثم مر بفينا ثم بزيورخ ، ومن هناك سافر إلى جنيف حيث أقام فيها نحو سبعة وعشرين عاماً ، وكان قد وصل إلى هذه المدينة ، والتى لم يكن يعرف فيها احداً سوى (خليل مدكور) الذى كان فى إنتظاره بالمحطة ، والذى أصبح فيما بعد شاهداً على عقد قرانه .

لم يعرفه أحد فى هذه المدينة لكنه كان مفعماً بطبيعة وجدانية تلتقى بالناس ، ويتسع لهم بفكره وروحه ، ولم يأخذ وقتاً طويلاً فى تعلم اللغة الفرنسية ، وواصل دراسته فى (جامعة جنيف) حيث قبل بكلية الشئون الاجتماعية فى ١٩ يناير سنة ١٩١١ م وبعد دراسة دامت ثلاث سنوات لم يستطع أن يتقدم لأى إمتحان نظراً لأنه لم يكن يملك المال اللازم بخاصة وأنه كان متزوجاً من سويسرية من أصل فرنسى تعــرّف عليها فى مدرجات الكلية . تلك هى والدتى .

كانت هذه السيدة من عائلة مرموقة كبيرة استقبلته عائلتها فى بيتهم ، وأصبحت - بعد - رفيقة عمــره مدى خمسين عامـــا ، أنجبت - خلالها - له ولداً ، وست بنات ، كان من بينهما توأم ماتت شقيقتها فى مقتبل عمرها .

أما أمى فقد اعتنقت الإسلام ثم حصلت على الجنسية المصرية عقب وصولها إلى مصر ولازمت زوجها حباً وتقديراً ، وواصل والدى العمل بإلقاء المحاضرات فى اللغة العربية كما عمل مراسلاً لعديد من الصحف العربية وكثير من الصحف فى

(جنيف) و (لوزان) رغم حصوله على عمل منتظم بجريدة « منابر جنيف » .

كتب الأستاذ أحمد حافظ :

وفى جنيف ـ حيث مقر عصبة الأمم ـ أصدر جريدة بالفرنسية تدافع عن الإسلام وحقوق مصر ، والشرق عامة واستمر صدورها خمسة عشر عاماً ،وعندما عاد إلى الوطن مع أسرته أعاد إصدار هذه الجريدة باللغة العربية ، وأطلق عليها اسم (منبر الشرق) فى ١٩٣٨/٥/٦ وظلت مستقلة عن كل الأحزاب حتى تاريخ وفاته فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ،وقد اتخذ لها شعاراً هذين البيتين :

باسم الكنانة ، باسم شعب ناهض
لا باسم أحــــزاب ولا زعمـــــاء
كل يزول وينقضى ، أمـــا الحمى
فوديعـــــة الآباء للأبنـــــاء

ثم نشبت ثورة ١٩١٩ ، فقرر خدمة القضية وعاود العمل لكسب العيش لعائلته ، وظهرت جريدته تحت اسم « منبر الشرق » وظهرت الأعداد الأولى لها باللغة الفرنسية وقامت والدتى بتصحيح (بروفاتها) وكان بين صفحاتها صفحة كتبها والدى بالحبر الصينى ، ثم حفر الحروف العربية على (الزنكوغراف) واشترى فيما بعد الحروف العربية من برلين .

كم من تضحيات بذلها وَالِدَىَّ مع إرادة صلبه أحاطتها قسوة الظروف فى سبيل تربية أبنائهما ، مضافاً إلى ذلك كفاح والدى حتى رأت صحيفته النور تلك الصحيفة التى حملت جهاد والدى دفاعا عن الإسلام وعن مصر .

وكان والدى توّاقاً إلى حرية بلده وخلاصها من السلطة البريطانية واستيلائها على أمور البلاد لقــد كان حقــاً سفيراً للشعب المصرى فى (جنيف) وكافح من أجل الشرق كله ضد المستعمر ، وفيما بعد وضع الفرنسيون جريدته تحت المراقبة فى لبنان ، ثم فى تونس وإفريقيا الشمالية كلها ، الأمر الذى جعله يحذف الصفحة العربية منها . .

ولم تحبط من عزائمه تهديدات الخديوى عباس فقد كانت مصر معه وقد أيده جمع من زعماء الأقطار الإسلامية : الأمير شكيب أرسلان ، رياض الصلح ، جميل مردم بك ، الأمير لطف الله ، ثم عبدالرحمن عزام وعلى ماهر ، وواصف غالى بالاضافة إلى الأمير فيصل الذى زارنا بالقاهرة ـ فيما بعد .

لم يقبل والدى لصحيفته أية مساعدة مالية واكتفى بالاشتـــراكات ، ومـــا تدره بعض الإعلانات فيها ، ونال إعجاب الجالية المصرية كلها ثم صار من أعضاء عصبة الأمم ، وشارك رسمياً فى مؤتمر « مونترو » عام ١٩٣٦م ، الذى حضرته مع والدى ، وقد تابع باهتمام جلساته ، وحينئذ اعترفت (حكومة النحاس باشا) بجدارته وخبرته وبجهاده من أجل استقلال بلاده ، واستدعته ليتقلد مهام وزارة الخارجية إذا هو عاد إلى بلاده .

وشاء الله أن يعيش بعد ذلك نحو عشرين عاماً ، ثم مرض وتوفى فى السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٦م .

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته



الخصومة في الدين

قال الإمام الباقر – عليه رضوان الله – : متألما من واقع المسلمين : إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك وتورث النفاق .

والخصومة تؤدى إلى الافتراق والإعراض وضيق الفكر .

متى يكمل الطعام ؟

قال الإمام أحمد – رضى الله عنه – : إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل : إذا ذُكر اسم الله فى أوله ، وحُمد الله فى آخره ، وكثرت عليه الأيدى ، وكان من حلّ .

حقا

إذا كنت فى نعمة فارعها
فإن المعاصى تزيل النعم

أعز الناس

كان الكسائى يؤدب الأمين والمأمون ، ابنى هارون الرشيد فأراد يوما الانصراف عنهما فابتدرا إلى نعله ليقدماها له فتنازعا ! أيهما يقدمها له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة ، فلما نما الخبر إلى الرشيد وجه إلى الكسائى يدعوه ، فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس ؟ قال : لا أعلم أعز من أمير المؤمنين ؟ قال : بلى إن أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة منهما ، فأخذ الكسائى يعتذر ظنا منه أنه أخطأ ، فقال الرشيد : لو منعتهما ذلك لأوجعتك عتبا ولألزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلا من شأنهما بل رفع من قدرهما ، وبيّن قدر جوهرهما ، ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر المرء وإن كان كبيرا على ثلاثة : تواضعه لسلطانه ، ووالديه ، ومعلمه .

من كنوز الجنة

ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .

ما أبقيت لآخرتي

قال أبو الربيع الأعرج : دخلت على داود الطائي بيته ، فقرب إلىّ كسيرات يابسة من الخبز فعطشت فقمت إلى دن (وعاء) فيه ماء حار ، فقلت : يرحمك الله لو اتخذت ماء باردا .

فقال : إن كنت لا أشرب إلا ماء باردا ولا آكل إلا طيبا ، ولا ألبس إلا لينا ، فما أبقيت لآخرتي ؟ .

قلت له : أوصنى ، قال : صم عن الدنيا واجعل إفطارك فيها الموت ، وصاحب أهل التقوى ، وفر من الناس فرارك من السبع .

هل تخاف الله ...؟

قال بعض العلماء : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، لأنك إن قلت لا ، فقد كفرت ، إن قلت نعم ، فقد كذبت .

كيف ... أنتم ...؟

قال الإمام على ـ رضى الله عنه ـ لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف .

قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ، ما أدرى ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف ! وما أدرى ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو ..

أحبكم إلينا

قال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ : أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما ، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا ، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة .

من كلمات .. للمرحوم العقاد

- قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك ، وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظيره وهـو "ألأم الحاسدين" .
- لا يكفى أن تكون فى النور لترى ، بل ينبغى أن يكون فى النور ما تراه .
- الرجل الذى يغضب قد يخطىء وهو غاضب ، ولكن الرجل الذى لا يغضب أبدا يخطىء طول حياته .
- الشعر حياة أو سلعة ، إن يكن حياة فهو من الروح ، وإن يكن سلعة فهو من السوق .
- كن شريفا أمينا لا لأن الناس يستحقون الشرف والأمانة بل لأنك أنت لا تستحق الضعة والخيانة .

دعاء

« اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علىّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة » .





إلى أين ؟

المادة . الروح . العلم . الدين

لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو المكارم

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

إلى أين ؟ سؤال موجه إلى المجتمع الإنسانى بأسره ، سبق طرحه منذ عشرات السنين على صفحات « مجلة الأزهر » وها هى المجلة تعيد طرحه مرة أخرى ، إيمانا منا بخطر ما تفرزه حضارة الغرب المادية من رؤى ونظريات خلابة ، تقوم على مبدأ فصل الإنسان عن مركزه الروحى ، أو بتعبير آخر ، فصله عن طبيعته الإنسانية الأصيلة التى فطره خالقه عليها .

إن هذا المقال يعد صيحة نذير فى أهمية التوفيق بين المادة والروح ، قبل أن تبلغ الحضارة المادية ذروتها من الاتساع والشمول ، وتصبح فرصة العودة إلى الجوانب الروحية عزيزة المنال .

يقول الشيخ / محمد أبو المكارم :

يخيل للناظر فى هذا العنوان للوهلة الأولى عظم الشقة بين هذه الحقائق ، وبعد ما بين مدلولات هذه الألفاظ ، ويسبق إلى ذهنه ذلك الصراع المخيف بين الفكر والوجدان وقوانين المادة والروح ، ونظم البحث فى العلم والدين ، وتدوى فى آذانه من أعماق التاريخ تلك الصرخات المرعبة التى أطلقها العلماء بسبب ما خالط بعض الأديان من أهواء وأغراض .

لكنى مع هذا واثق بأنه ستكون بجانب هذه الصور الرهيبة صورة أخرى هادئة واعية ، تلك

التى ستدفع هذه الأوهام والأهواء ، وتوفق بين العلم والدين ، كما وفق الخالق العظيم بين المادة والروح ، وبذلك تتوارى تلك الصور القاتمة المؤلمة متخاذلة هاربة ، ويسود الوئام والوفاق بين العلم والدين .

لو شئنا أن نأتى بتعريف معيارى جامع مانع لهذه المعانى الكلية التى نتعرض للكلام عنها فإننا لن نستطيع أن نظفر بتعريف من هذا النوع ، فقد أعيى ذلك العلماء والفلاسفة حتى الآن ، إذا فإن كلامنا سيكون على كل بالقدر النسبى لمعرفة البشرية ، والبشرية محدودة ، وفوق كل ذى علم عليم ، فالعلم المطلق لهذه الكليات قد اختص به خالق المادة والروح ، وواهب العلم والعقل ، والموحى بالأديان إلى من اصطفاهم من البشر .

لا شك أننا نلمس أشياء بأيدينا ، ونسمع أصواتا بآذاننا ، ونرى أشياء بأعيننا الخ .. كل تلك الأمور أمور مادية ندركها ، وهى قريبة معلومة مدركة بالحواس المجردة ، وبعدها أمور مادية أيضا نحتاج فى إدراكها إلى آلات ، وأخرى أشد احتياجا فى إدراكها إلى آلات أدق لإمعانها فى البعد ، أو فى ضآلة الحجم .

ولا شك أننا كذلك فيما يدركه العقل من معنويات ، فمنها أمور قريبة ندركها بمجرد تفكيرنا : كالصدق ، والشجاعة ، والكرم ، والجمال ، والمساواة ، هذه معنويات قريبة مفهومة يدركها العقل العادى مجردا دون استعانة بشىء ، ويليها أمور أعمق منها نحتاج إلى صفاء الآلة المدركة سواء كانت العقل أو الروح .. ووراء هذه معنويات أشد عمقاً وخفاء لا يستطيع العقل إدراكها ، تلك هى المغيبات ، وقد جاء الوحى مبينا لكثير من هذه المعقولات .

وقد دفع البحث فى المادة والروح إلى أن يضع الإنسان لكل من الناحيتين طرقا للبحث ونظما يسير عليها ، فطرق البحث فى المادة غيرها فى المعنويات والمعقولات ، والغاية ، عند الباحثين فى المادة ، غيرها عند الباحثين فى المعنويات والمعقولات ، وعند الدارسين للنفس والروح والدين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو الطريق الذى يسلكه النوع البشرى ليحقق لنفسه حياة تجتمع فيها أسباب الهناءة المادية والسعادة والاطمئنان الروحى .

هل ينبغى للعالم البشرى إذا أراد تحقيق معانى الإنسانية العالية فى المجتمع البشرى أن يعيش فى عالم المادة ، خاضعا لنظمها ، لا يصدر فى تصرفاته إلا عن المادة ، وما توحى إليه به من أسباب ومسببات ، مهملا شأن الروح ، منكرا لها ، مجافيا كل ما تهدف إليه الروح ، وما توحى به الأديان حتى المعانى السامية ، والقوانين والنظم الراقية .

أم أنه يجب أن يستظل براية العقل ، مستهديا بنور الروح ، مستوحيا هدى رب العالمين .

الجواب على ذلك هو ما سطر على صفحات التاريخ البشرى فى جميع الحقب والعصور من صراع بين عللى المادة والروح ، وأتباع كل ، وما نسمعه ونقرؤه فى مجتمعنا اليوم فى الصحف والمجلات ، وقاعات المحاضرات والمناظرات ، صراع سجلته البشرية فى بطون التاريخ ، وسيظل هذا الصراع قائما ما بقى الإنسان ، وما بقيت المادة والروح ، وما بقى للإنسان فكر

ووجدان ، بل وما بقى الإنسان إنسانا .

ويجمل بى أن أطوف بالقارىء الكريم فى رحلة قصيرة موجزة ، لأضع أمام عينيه بعض ما سجلته البشرية من صراع بين المادة والروح ، أو بين العلم والدين ، حتى إذا ما قلنا للقارىء بعد ذلك : إن الإنسان يستطيع أن يحقق المعانى الإنسانية الرفيعة ، والتعاليم الدينية القويمة مع حياة مادية رغيدة تحت ظل راية الدين ، لا نكون قد طلبنا منه شططا أو ركبنا خطأ ، فقد سجل التاريخ حقبة من الزمان عاشت فيها البشرية على أكمل ما تكون من روحانية سامية مع عيشة مادية هادئة .

لا أذكر الصراع العنيف فى القديم بين المادة والروح عند الوثنيين من مصريين وكلدانيين وهنود ويونانيين ، ولكنى أترك هذا كله لأقف بك قليلا عند « الموسوية » كما تصفها التوراة التى بأيدينا ، فقد شددت الحصار على البحث الفكرى (العلم) إذ كل المعارف بالوحى الإلهى ، وكلها مسطور فى الكتب المقدسة وقالت : « إن الحكمة ليست من نصيب البشر وليست فى الأرض ، ولن يستطيع الإنسان - مهما بذل - الوصول إليها » .

وفى المسيحية التى عقدها ما أدخل عليها من آراء فلسفية ، يرى القائمون عليها - لحفظ سلطانهم - تضييق الخناق على البحث الفكرى (العلم) ، ليبقى منزويا ضعيفا لا يتطاول إلى هدم السلطان الروحى الذى يعقبه - ولا شك - انهيار سلطانهم المادى .

قطعت الإنسانية وقتا طويلا فى الصراع بين المادة والروح : طورا يطلق فيها للعقل سراح البحث الفكرى ، وآونة يحجر عليه فيحرم نسيم الحرية .

• • •

وقبيل مجىء الإسلام كانت الإنسانية قد تضاربت فى كل معارفها المادية والروحية ، وتشككت فى كل ما لديها من مقدسات ، وأشبهت سفينة فى مهب الريح ، تتقاذفها الأمواج فى بحر لجى تبغى مرفأ ترسو إليه .

كانت الإنسانية تتطلب دينا يشبع تفكيرها ، وينظم حياتها ، فقد عذبها ما حولها من علم ودين ، فوافاها ذلك الدواء الإلهى على لسان خير الرسل سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ ، فشفى داءها ، وأذهب شقاءها ، وبدل حياتها سعادة وهناء وسموا وارتقاء . ذلك التنزيل الذى مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنا ولم تخلق جدته ، ولم تبل محاسنه ، ولم يأت العلم بما يتنافى مع مبادئه ، ذلك الدستور الذى جمع بين المعانى الروحية ، والقوانين العلمية ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بما لم يستطع الفكر الإنسانى حتى اليوم - وقد كملت جميع وسائل البحث - أن يأتى بمثله ، فضلا عن أن يأتى بخير منه .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ .

ذلك أنه جاء وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فوافاها بكل ما تحتاجه فى حياتها المادية والروحية ، العلمية والدينية .

وفى ظل هذه الحقيقة دعا هذا الدين الناس جميعا إلى مبادئه وتعاليمه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . سورة البقرة

والناس صنفان : صنف يسهل إقناعه بالمناظرة والحجة ، فيعرف الحق ويقتنع له ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

سورة النحل ـ آية : ١٢٥

يلحق به من قصر فهمه عن المناقشة وفهم الدليل ، فوافاه الإسلام بالمعجزة التى ظهرت على يد خاتم رسل الله ، فهى عنده هذا فى مكان الدليل ، وقول الإله الحكيم :

« صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ، وصنف مكابر معاند يلحق به غبى جاهل ، وهذا الصنف كالفرس الجموح لا يمكن ترويضه إلا باستعمال ما يناسبه من الشدة ، وما هى بشدة ، وإنما هى وسيلة الإصلاح والتقويم ، وقد ندب إليها الإسلام كوسيلة للإصلاح فقال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٣

وقد أمكن لحرارة هذا الدين أن تصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المبعثرة ، وتكون من شتاتها جميعا قوة واحدة وأمة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، مما يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هذا الدين .

مجلة الأزهر : المجلد السادس والعشرون




العلوم الكونية



بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

تحتفل الأوساط العلمية فى العالم هذا العام بذكرى مرور ربع قرن على هبوط أول إنسان على سطح القمر فى عام ١٩٦٩م . وليس هناك من شك فى أن المعلومات الجديدة التى زودتنا بها أبحاث الفضاء طوال هذه الفترة قد أسهمت فى تصحيح الكثير من تصوراتنا الخاطئة عن أقرب جيراننا .

هذا ما سنعرض لإيضاحه فى هذا المقال إن شاء الله تعالى .

خاصية فريدة لقمر الأرض :

تتمتع الأرض بميزة وجود قمر وحيد يرافقها طوال رحلة المجموعة الشمسية ، وذلك بسبب كبر حجم القمر بالنسبة للأرض مقارنة بالأقمار الأخرى الموزعة حول معظم كواكب المجموعة الشمسية .

وقبل عصر ارتياد الفضاء الذى بدأ فى أواسط القرن الحالى : كان علماء الفلك يقدرون قطر القمر بحوالى ٣٢٠٠ كيلو متراً ، لكن التقدم العلمى والتقنى فى عصر الفضاء ساعد العلماء على إجراء حساباتهم بدرجة عالية جداً من الدقة ، فوجدوا أن قطر القمر يبلغ ٣٤٧٦ كيلومتراً ، وأن متوسط بعده عن الأرض يساوى ٣٨٤ ألف كيلو متر .

ومن التجارب العلمية الهامة التى تجذب انتباه الباحثين فى الوقت الحاضر ، تجربة قياس بُعد القمر عن الأرض باستخدام أشعة الليزر ، وتعرف باسم LURE ، وهى الحروف الأولى لكلمات العبارة الإنجليزية :

Lunar Laser Ranging Experiment

وقد بدأ تنفيذ هذه التجربة فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ مع أولى خطوات الإنسان على سطح القمر فى إحدى رحلات سفينة الفضاء الأمريكية « أبوللو » ، وذلك عندما قام رواد الفضاء على هذه السفينة بوضع جهاز يحوى مائة مرآة صغيرة

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

لكي تعكس نبضات أشعة الليزر الموجهة إليها من محطات أرضية فى أماكن مختلفة فوق قارات الأرض . ودون دخول فى التفاصيل الفنية لهذه التجربة يمكن القول بتبسيط شديد أن حساب بُعد القمر عن الأرض يتم بتوجيه نبضة ليزر مكثفة التركيز من الأرض إلى المرايا العاكسة على سطح القمر ، ولأن الليـزر من نوع الموجـات الكهرومغناطيسية التى تنتشر فى الفضاء بسرعة الضوء المساوية لمقدار ٣٠٠ ألف كيلو متراً فى الثانية ، فانه يمكن حساب المسافة بين الأرض والقمر بعد قياس الزمن الذى تستغرقه نبضة الليزر ذهاباً وإياباً[1] .

وكان غرض الفريق العلمى القائم على هذه التجربة هو تسجيل ودراسة متوسط بُعد القمر عن الأرض بصورة مستمرة من أماكن مختلفة على سطح الأرض على مدى عدة سنوات . وقد أثبتت القياسات ضرورة إدخال تصحيح يقدر بحوالى مائة متر على القيمة المعروفة حالياً لمتوسط بعد الأرض عن القمر (٣٨٤٠٠٠ كيلو متر) .

والأهمية البالغة لتجربة LURE لا تكمن فقط فى مجرد تحديد هذه المسافة بدقة عالية ، ولكن أيضاً فى تحليل ودراسة مدى التغير الذى يحدث فى قياس هذه المسافة مع مرور الشهور والأعوام ، فهذا من شأنه أن يساعد على فهم أعمق للقضايا المتعلقة بحركة كل من الأرض والقمر ، ومن ثم يوجب إدخال تعديلات جوهرية على كثير من النظريات والثوابت والمفاهيم العلمية كما نتصورها اليوم .

كثافة القمر وتكاثف كتلته :

فى ديسمبر عام ١٩٧٢م تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان فى رحلة « أبوللو ـ ١٧ » من قيادة « مركبة قمرية » لمسافة ٨٠ كيلومتراً فوق سطح القمر ، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية بلغ وزنها ١٥٦ كيلو جراماً ، كما سجلت أجهزة القياس التى حملاها معهما على هذه المركبة معلومات مفيدة عن تساقط النيازك والشهب ونشاط الإشعاع الشمسى وقياس الأشعة الكونية وغيرها .

وقد تم تحليل عينات القمر فى معامل الأبحاث الأرضية وتبين أن الكثافة المتوسطة للصخور الجرانيتية للقمر تبلغ ٣,٣ جرام لكل سنتيمتر مكعب (جم/سم٣) ، وهى أكبر من الكثافة المتوسطة لصخور جرانيت الأرض البالغة ٢,٨ جم/سم٣ ، مما يدل على احتواء جرانيت القمر على بعض المعادن الثقيلة نوعاً .

كذلك ثبت أن متوسط كثافة القمر ككل تبلغ ٣,٣٥ جم/سم٣ ، وهذا يعنى أن كثافته لا تزيد فى اتجاه مركزه ، كما هو الحال بالنسبة للأرض ، مما يدل على تجانس مادته . من ناحية أخرى ، يلاحظ أن قيمة متوسط كثافة القمر يمكن مقارنتها بكثافة الصخور فى القشرة الأرضية ، إلا أنها أقل

---

(١) لمعرفة التفاصيل المتعلقة بهذه التجربة واحتياطات إجرائها وخصائص المرايا العاكسة الموجودة على سطح القمر وأجهزة إرسال أشعة الليزر واستقبالها على سطح الأرض وأنواع الساعات المستخدمة لقياس الزمن بدقة تصل إلى جزء من ألف مليون جزء من الثانية يمكن الرجوع إلى المقالة التالية :

J. Faller and P. Wampler, (The Lunar Laser Reflector), pp 38 - 50, in Scientific American magayine, March 1970.

من متـــوسط كثافـــة مادة الأرض (٥,٥ جم/سم³) . ويعتقد ــ الجيولوجيون أن هذا الاختلاف يمكن إرجاعه إلى صغر حجم لبّ القمر ، ويؤيد هذا الرأى ما قام به علماء « أبوللو » أيضاً من وضع أجهزة مغناطيسية على سطح القمر لتسجيل وقياس المجال المغناطيسى القمـــرى ، ولـــكنهم لم يسجلـــوا أى مجال مغناطيسى ، مما يرجح الاعتقاد بعدم وجود « نواة » معدنية سائلة للقمر على غرار نواة الأرض التى تحتوى على الحديد والنيكل كمصدرين رئيسيين لمجالها المغناطيسى .

وهناك ملاحظة علمية أخرى توصل إليها الباحثون من خلال مراقبة التغيرات التى تطرأ على مدارات سفينة أبوللو الفضائية والمركبة القمرية المدارية . ذلك أن هذه المدارات تتوقف على كتلة القمر ، وأيضاً تعتمد على ارتفاع المركبة أو السفينة الفضائية عن سطحه . وقد استدل العلماء بوضوح على أن المركبة الفضائية تنخفض أحياناً عن مداراتها انخفاضاً طفيفاً غير متوقع تقدر قيمته بنحو أربعة أقدام ، ولاحظوا أن كل انخفاض من هذه الانخفـــاضات حدث فوق أحـــد بحور القمر[٢] ، وهذا يعنى أن مجال الجاذبية التثاقلية فوق بعض البحور على الأقل أكبر منه فوق سائر مناطق سطح القمر . وأحد التفسيرات المطروحة لتعليل هذه الظاهرة هو افتراض وجود مواد كثيفة فى أحواض هذه الأنهار (من النوع البازلتى مثلاً) ، وزيادة تكاثف الكتلة على هذا النحو يعنى قوة جذب أكبر على المركبة الفضائية .

الزلازل القمرية :

قام علماء السفينة الفضائية « أبوللو » بوضع أجهزة لتسجيل الزلازل على سطح القمر وإرسال بياناتها بصورة مستمرة إلى مراكز الاستقبال الأرضية . وقد تم تسجيل العديد من « الزلازل القمرية » التى تحدث على هيئة هزات شدتها أقل من الهزات الزلزالية الأرضية . ويعتقد أن يكون بعض هذه الهزات ناشئاً من سقوط النيازك[٣] الهائمة فى الفضاء الكونى واصطدامها العنيف بسطح القمر ، وأن يحدث البعض الآخر بسبب شقوق داخلية فى القمر يصل عمقها إلى حوالى ٨٠٠ كيلو متر . وتدل السجلات الزلزالية للقمر على أن هذه الهزات استمرت فترات زمنية تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دقيقة ، وأن قوى المد والجزر ربما تكون لها علاقة وثيقة بحدوث الهزات الناشئة عن زيادة نشاط الشقوق وتحركاتها عندما يقترب القمر من الأرض . وقد أمكن تصوير أحد أخاديد القمر الممتد من المناطق الجبلية المرتفعة حتى بحر الهدوء .

فوهات القمر :

أكثر المظاهر وضوحاً على سطح القمر هى الفوهات التى تغمر المساحات المظلمة والمساحات

---

(٢) كان جاليليو أول من رصد القمر عام ١٦١٠م من خلال منظاره الفلكى ، ومع التطور العلمى والتقنى لأجهزة الرصد والمقاريب (التلسكوبات) الفلكية أمكن وضع خريطة تفاريس تفصيلية لسطح القمر ، ظهرت فيها مساحات مظلمة وأخرى مضيئة . وقد أطلق على كل مساحة مظلمة اسم « بحر » اعتقاداً من الفلكيين القدامى بأن هذه المساحات المظلمة بحار ، ومن أمثلتها بحر الهدوء (أو السكون) الذى هبط عليه رواد « أبوللو » لأول مرة .

(٣) النيزك Meteorite جرم سماوى يدخل من الفضاء الخارجى إلى الغلاف الجوى لأى كوكب أو قمر ، فيشتعل بسبب احتكاكه ، ويسقط ككتلة صلبة كبيرة ، تاركة بصدامها على هيئة حفرة عميقة على سطح الكوكب أو القمر .

المضيئة منه على حد سواء . ويذكر العلماء سببين رئيسيين لتكوّن هذه الفوهات : أحدهما اصطدام الصخور المتنقلة بين الكواكب مع سطح القمر ، والآخر النشاط البركاني .

وأغلب الفوهات القمرية نتجت عن تصادم النيازك والشهب الذى كان أكثر شيوعاً فى التاريخ المبكر للمجموعة الشمسية مما عليه الآن وساعد على ذلك عدم وجود غلاف جوى حول القمر يحميه من هذه النيازك ويقلل من حجمها أثناء سقوطها بفعل الاحتكاك والاحتراق قبل الوصول إلى السطح ، مثلما يحدث بالنسبة للأرض . ويحدث عند اصطدام النيازك بسطح القمر أن تضغط الصخور الساقطة على الصخور السطحية التى تصطدم ، وفى نفس اللحظة تقريباً يتكون ضغط ارتدادى من قبل صخور القمر المضغوطة ، فتقذف بشعاعات من المواد إلى خارج الفوهة . وهذه العملية تشبه التناثر (أو الرش) الذى يحدث عندما يقذف بحجر كبير إلى الماء ، وأغلب المواد المقذوفة تسقط قريباً من الفوهة مكونة حافة متسعة ، أما الحرارة الناتجة عن التصادم فهى كافية لصهر بعض الصخور المتناثرة .

ولقد ساعدت الصور الفوتوغرافية التى التقطها ملاحو الفضاء على معرفة المزيد عن خصائص هذه الفوهات ، وتحققت بعثات « أبوللو » من طبيعة المواد التى تملأ أحواض البحر والمنخفضات بحيث جعلت منها مناطق منبسطة نسبياً ، حيث يعتقد أن بعض الفوهات الكبيرة قد غمرت بطبقات متتالية من طفوح الحمم البازلتية شديدة السيولة . كذلك تمكن رواد الفضاء من مشاهدة وتصوير طبيعة البحار الطباقية ، فالطبقات يزيد سمكها غالباً عن ٣٠ متراً ، ويبلغ السمك الكلى للمواد التى تملأ البحار آلاف الأمتار . ولوحظ فى عدة حالات أن طفح الحمم اجتاز حافة الفوهة غامراً المناطق المحيطة المنخفضة ، وإذا ما ظهرت بقايا الفوهة فوق الحمم فإنه بالإمكان التعرف على سمك الطفح .

ويرى أهل الاختصاص من الجيولوجيين أن الارتطامات المكونة لأحواض البحار كانت ضخمة إلى حد أنها كونت شقوقاً وأخاديد امتدت لمسافات بعيدة فى القشرة القمرية ، وأحد هذه الأحواض التى ملئت بالكامل هو « بحر الهدوء » .

وبعد ، فهذا قليل من كثير من نتائج التقدم العلمى والتقنى فى عالم الفضاء منذ الخطوات الأولى للإنسان على سطح القمر فى عام ١٩٦٩ ، ولسوف يواصل الإنسان سيره على القمر ، وربما سيمشى ذات يوم على غيره من الأجرام السماوية ، مصححاً تصوراته الخاطئة عن هيئة الكون ، وساعياً فى الوقت نفسه إلى معرفة الحقيقة الكبرى من خلال آيات الله المبثة فى جنبات الكون الفسيح .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

(سورة آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١)

الآثار الإسلامية في يوغسلافيا السابقة

بقلم الأستاذ / خالد محمد غريب

«سراى بوسنه .. موستار .. بلغراد .. سكوبيا .. جورادزى .. بانيالوقا .. قوصوه .. نوفى بازار .. مدن إسلامية فى يوغوسلافيا السابقة .. تمثل جزءًا من تراث الأمة الإسلامية الحضارى .. بعضها تحول إلى ذكريات لماض تليد صنعه العثمانيون .. فقد دمر على يد الصرب عند قيام ما يعرف بيوغوسلافيا .. حتى غدت بلغراد الإسلامية أندلساً قديمة تتغنى بأمجادها الإسلامية ، وأساليب الاستعمار ضد الإسلام واحدة ، وإن اختلفت مواقفه وأزمنته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » !!

وللمسلمين فى هذه البلاد تراث حضارى بعضه اندثر وبعضه ما زال باقياً .. ومن واجبنا أن نُعرِّف به فى محاولة للوقوف على الموروث الحضارى للأمة الإسلامية بهذه البلاد .

* المدارس :

اشتهرت هذه البلاد بكثرة عدد المدارس ، ولعل أشهرها مدرسة الغازى خسرو بك فى سراى بوسنة التى تعرف خطأً باسم سرايفو ، ويرتبط اسم الغازى خسرو بك بهذه المدينة ؛ فقد تولى مقاليد أمورها منذ النصف الأول من القرن السادس عشر (١٥٢١ ـ ١٥٤١ م) ، وأقام مجموعة المنشآت التعليمية والاجتماعية والدينية ،

وخلال فترة حكمه تحت مدينة « سراى بوسنة » وتطورت بحيث أصبحت مدينة كبيرة ومركزاً لمنطقة البوسنة والهرسك من النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية .

وأوقف الغازى خسرو بك جميع أملاكه لمدينة سراى بوسنة ، فقد ترك مطبخاً ومطعماً عمومياً وحماماً وخانقاه وسوقاً كبيرة وشبكة أنابيب لنقل المياه إلى أربعين صنبوراً عمومياً وكثيراً من المشروعات المرتبطة بالمشروع الأساسى وهو المدرسة والمسجد والمكتبة . وترك وراءه أموالاً كثيرة من أجل الإنفاق عليها والتكفل بها . وقد تم الانتهاء من تشييد هذه المدرسة فى عام ٩٤٤ هجرية الموافق ١٥٣٧ ـ ١٥٣٨ م .

ومن الناحية المعمارية شيدت المدرسة على نظام المدارس العثمانية التقليدية التى عادة ما تكون مستقلة ومغلقة ولها فناء محاط من جميع الجهات بحجرات للتلاميذ والأساتذة ، وهناك عبارة منقوشة على مدخل مدرسة الغازى خسرو بك ترحب بالزائرين والقادمين وتذكر بهدف أولئك الذين أسسوا هذا البناء الشامخ منذ ما يزيد على أربعة قرون ونصف القرن ، تقول : شيد هذا المبنى من أجل أولئك الذين يطلبون العلم[1] .

وبرزت أول مدرسة فى بلغراد فى السنوات الأولى للحكم العثمانى ، وهى مدرسة محمد باشا التى بناها محمد باشا فى إطار جامعه الذى عُرف باسمه ، وتوالى الاهتمام بعد ذلك ببناء المدارس ، ولعل من أشهرها مدرسة السلطان محمود .

ونظراً للمستوى الرفيع الذى تتمتع به هذه المدرسة ، فقد كانت الأستاذ يتقاضى فيها يومياً ما لم يتقاضاه أى أستاذ فى أشهر مدارس استنبول ، وكان عدد الطلاب بالمدرسة فى سنة (١٧٦٦)م سبعة وعشرين طالباً .

ومن المدارس التى اشتهرت فى بلغراد أيضاً ـ مدرسة « الصدر الأعظم سعيد حسن باشا « يحيى باشا خطيب زادة[2] وكانت هذه المدارس تدرس علوم اللغة وآدابها ، والفقه والتفسير والحديث والعقائد ، وغيرها من العلوم ، والمعارف ، على أن أغلب نصوص هذه المواد كانت تدرس باللغة العربية .

* الكتاتيب :

انتشرت الكتاتيب بهذه البلاد وبصفة خاصة فى « سراى بوسنة » ، وموستار التى كان بها ستة عشر كتاباً أثناء الحكم العثمانى لها ، أقدمها « كتاب » جامع كيوان كتخدا ، الذى يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٥٥٤م ، وربما وجدت كتاتيب أخرى قبل هذا التاريخ ، وأشهر الكتاتيب المعروفة بموستار فى الفترة من (١٤٦٥ ـ إلى ١٨٧٨م) كتاتيب « قرة كوزبيك » و « كيوان بك » و « درويش بك » و « بايزيد أغا زادة » و « الحاج بالى »

---

(١) د. جلال الدين سيد محمد ، تقدم مدرسة إسلامية فى يوغوسلافيا ، من ص ٨٢ : ص ٨٩ ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣١١ ذو القعدة ١٤١٠ هـ ، يونية ١٩٩٠م .

(٢) محمد موفاكو ، تاريخ بلغراد الإسلامية ، ص ٤٩ ، ٥٠ مكتبة دار العروبة ـ الكويت ، ١٩٨٧م .

و « الحاج أحمد بك » . و « سباهيتش »[٣] .

المســاجد :

تنتشر المساجد فى يوغوسلافيا السابقة ، فقد كان فى سراى بوسنة سبعة وسبعين جامعاً وثلاثة وتسعين مسجداً ، أكبرها جوامع « سلطان باشا » و « فرهاد باشا » و « خسرو باشا » و « غازى على باشا » و « عيسى باشا » ، ومن أشهر جوامع بابيتش سه جامع « سليمان خان » بالقلعة ، ومن جوامع « بانيالوقا » : « جامع فرهاد باشا » ، وهو فى فخامسة جوامــع السلاطين ، ومن جوامع « طاشليجـــه » : « جامع حسن باشا » وجامع « حاجى حسين أفندى » ، وجامعى « حاجى رضوان » وجامع « حاجى على » وجامع « أوضه باشى »[٤] .

وقد تهدم معظمها وتعرّض ما تبقى منها لأضرار شديدة خلال الحرب الأخيرة على أيدى الصرب والكروات .

وقد كان ببلغراد مساجد وجوامع كثيرة أزيل معظمها على يد الصرب بعد الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية ، ومن هذه الجوامع : جامع « إبراهيم بك » وهو من أقدم جوامع بلغراد ، حيث يرجع تاريخه إلى ما بين (١٥٧٢ ـ ١٥٨٢) م ، وجامع « إبراهيم شلبى » وقد ذكره « أوليا شلبى » فى وصفه لبلغراد سنة ١٦٦٠م ، كما ورد فى نفس المرجع تأريخ لجامع « بيرم بك » ، وهو ـ أيضاً ـ من أقدم جوامع بلغراد ، وأن تاريخ بنائه يعود إلى سنوات (١٥٣٦ ـ ١٥٦٠) م ، ويبدو أن بيرم بك كان من الشخصيات الكبيرة إذ بنى إلى جانب هذا الجامع مدرسة وحماماً وعمارة .

وقد أشاد بهذا الجامع الرحالة « أوتندروف » سنة ١٦٦٣م على اعتباره من أكبر وأشهر الجوامع فى بلغراد . وقد هدم هذا الجامع فى السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر . وقد هدم هذا الجامع فى السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر[٥] ومن جوامع بلغراد التى تعكس مأساتها « جامع الدفتردار » ، وهو يعتبر الجامع الأصلى للمدينة ، إذ يرجع تاريخه إلى نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر ، وقد أورد ذكره « شلبى » فى وصفه لبلغراد مع محلة تحمل اسم الجامع ، أصبح هذا الجامع كنيسة خلال الحكم النمساوى لبلغراد ١٧١٧ ـ ١٧٣٩م ، وبعد عودة المدينة إلى العثمانيين قام دفتر دار بلغراد « أحمد ابن إبراهيم البلغرادى » بإصلاح وتجديد هذا الجامع وأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم « جامع الدفتردار » ، وفيما بعد أصبح أحمد وزيراً ووالياً « لسالونيك » ومصر فى عهد السلطان عثمان الثالث الذى لقبه بـ« الكامل » ولذلك يرد الجامع باسم « كامل أحمد باشا » . وقد دارت حول هذا الجامع إحدى المعارك الرئيسية فى حوادث سنة ١٨٦٢ ، ومن المؤكد أنه قد تعرض لأضرار وقد ظل مهجوراً من عام ١٨٦٢ حتى هدم عام ١٨٨٠م[٦] وكان قد بقى

---

(٣) محمود السيد الدغيم ، جولة شاهد عيان فى موستار ، الحياة ، العدد ١١٢٠ ، ٢٥ يوليو ، ٦ صفر ١٤١٤هـ .

(٤) د. محمد حرب ، البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، القاهرة ١٩٩٣م .

(٥) محمد موفاكو ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

في سكوبيا عاصمة مقدونيا « ثلاثة عشر جامعاً » صالحاً للصلاة منها جامع « عيسى بابا » وجامع « يحيى أغا » وجامع « محمد بك » .. إلخ ولكن هذه الجوامع منعت السلطات اليوغوسلافية السابقة ترميمها وكان هدفها من ذلك إزالة الهوية الإسلامية للمدينة ، وكان بمدينة موستار خمسة وأربعون جامعاً ، دمر معظمها خلال الحرب الأخيرة ، ومن هذه الجوامع ، جامع سنان باشا (الجامع العتيق) بنى سنة ١٤٧٦م ، وهو أقدم جوامع موستار وأوسعها هدمه الشيوعيون سنة ١٩٤٩م ، وجامع « قرة كوز محمد بك » بنى سنة ٩٦٥ هـ - ١٥٥٧م ، وهو من أجمل جوامع الهرسك ، وهو من تصميم المعمار المشهور « سنان » ومع الأسف هدم في الحرب الأخيرة ، وجامع « نصوح أغا » ، بنى سنة ٩٣٥ هـ - ١٥١٨م ، وقبته كبرى القباب في موستار بعد قبة جامع « قرة كوز » ، وقبة جامع « كوسكى محمد باشا » . وكان جامع « نصوح أغا » عامراً حتى دمره الصرب في أبريل ١٩٩٢ م وأجهز عليه الكروات خلال الحرب الأخيرة[٧] .

* المكتبات :

وبجانب المدارس والجوامع أنشئت المكتبات التي كان الجزء الأكبر من محتوياتها مكوناً من المخطوطات العربية ، وكلما انتشر الإسلام ، انتشرت أيضاً وتزايدت هذه المؤسسات وازداد عدد الكتب المحفوظة بها ، ومن الممكن تقسيم المكتبات في هذه البلاد إلى ثلاثة أنواع هي :

١ - المكتبات الخاصة .

٢ - مكتبات الجوامع والزوايا والتكايا .

٣ - مكتبات المدارس ، وهي في الحقيقة أهم هذه المكتبات ؛ لأنها كانت مكتبات عامة ينتفع منها الأهالي ويستعيرون منها الكتب لقراءتها أو نسخها .. ومن المعروف ان الكتب آنذاك كانت غالية الثمن لأنها كانت مكتوبة باليد ومزينة بزخارف مختلفة ، ومن وثائق الأوقاف المختلفة نرى أن المدرسين كانوا يعتنون بهذه الكتب عندما تكون المكتبات صغيرة ، ويعرف أمين المكتبة في الوقفيات بهذه البلاد « بحافظ الكتب » وقد ورد في ذكره لأول مرة في وقفية « عيسى بك » سنة ١٤٦٩ ، على أن عمل حافظ الكتب كان حرفة ووظيفة يحصل بها على مرتب يومي مقابل عمله .

وتعتبر مكتبة إسحق بك التي تقع ضمن مدرسته في سكوبيا من أقدم المكتبات في هذه البلاد ؛ إذ أنشئت قبل سنة ١٤٥٥م ، وكانت تحتوى على مخطوطات جلها باللغة العربية وتشمل علوم التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى[٨] وتعتبر مكتبة « الغازى خسرو بك » في سراييفو حالياً كبرى مكتبات هذه البلاد ، فقد ازدادت ثروتها من الكتب الموقوفة من جانب أهل الخير والصلاح ، وبدعم من بعض المكتبات البوسنوية التي انضمت لهذه المكتبة من جانب آخر .. في سنة ١٩٥٠م تقل إلى مكتبة خسرو بك كثير من المكتبات الخاصة[٩] حتى أضحت هذه

---

(٧) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

(٨) حسن قلشي ، المخطوطات العربية في يوغوسلافيا ، ص ٤ ، ٦ مجلة معهد المخطوطات العربية في يوغوسلافيا ، ص ٤ ، ٦ مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٢ ، الجزء ٢ ، شعبان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٣ .

المكتبة من أغنى مكتبات المخطوطات الشرقية فى أوروبا ، كما نقل إليها فى نفس العام (١٩٥٠م) مخطوطات مكتبتى « قره كوز بك » ومكتبة « الشهيد درويش باشا » المستشهد سنة ١٠١٢هـ - ١٦٠٣م) بموستار(١٠) .

* المصاحف :

وقبل أن نغادر مكتبات البلاد لا بد لنا من وقفة مع مصاحفها المخطوطة الرائعة ، فمن حسن الحظ أن هناك مجموعة لا بأس بها من المصاحف بسرايفو فى مكتبة « الغازى خسرو بك » ومكتبة « معهد الدراسات الشرقية » ، و « المكتبة الشعبية العامة » و « خزينة الوثائق » فى سرايفو

ومن أروع هذه المصاحف مصحف كتبه « حسين البوسنوى » سنة ١٧٥٥م ، ويضم هذا المصحف ٧٣٣ صفحة من الحجم الصغير ١٦ × ١٠سم ، بكل صفحة ١٥ سطراً وبهذا المصحف تذهيب رائع لأوائل الحروف ونهايات الصفحات وأواخر الآيات وبداية كل سورة .

ومن هذه المصاحف مصحف كتبه « درويش عبد الحميد لسفويكلى » سنة ١٨٤١م - ١٢٥٧ هـ ، وقد استخدم فى كتابة عناوين السور الحبر الأزرق والأحمر . ومن هذه المصاحف أيضاً مصحف كتبه « حافظ إبراهيم السراقى » وقد انتهى من كتابته سنة ١١٩٤ هـ - ١٧٨٠ م ومقاس الصفحة ٢٧ × ٤٣سم ، وهو مكتوب بالخط النسخ وزخارفه ملونة بالأزرق والأحمر والأبيض والذهبى ، وحافظ إبراهيم السراقى كان إماماً فى مسجد السلطان بسرايفو ، وقد كتب أكثر من ٣٠ مصحفاً ، وكان ينتهى من كتابة المصحف فى أقل من سنة ، ومصاحفه هذه من أروع المصاحف من ناحية التذهيب والزخرفة .

ومن المصاحف النادرة مصحف باسم الوزير الكبير « محمد باشا » صقولو بك المتوفى سنة ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م ومصحفه هذا يعد من أروع ما كتب ، وهو يحتوى على ٢٢ جزءاً من القرآن ، ولسنا نعرف شيئاً عن الأجزاء الأخرى وكل جزء مجلد على حدة ، ويمتاز كل جزء بتنوع زخارفه وكل منها عليه عنوان مذهب بشكل رائع ، أما فواتح السور فمزينة باللونين الذهبى والأبيض على أرضية زرقاء ، وكل جزء يفوق الآخر فى تصميماته وزخارفه وتذهيبه .

وقد اشترك فى كتابة هذه المصاحف مشاهير الخطاطين أمثال « حافظ محمد السراقى » ، و « درويش عبد الحميد لسفويكلى » و « حافظ مصطفى بن عمر المسترى » و « مصطفى البوسنوى » المعروف بالكاتب و « حسين البوسنوى » و « حافظ حاجى نسيم زادة الأقحصارى » و « إبراهيم بن مصطفى » و « حسين بن على » وكثير غيرهم لم يسجلوا

---

(١٠) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

أحجابهم على أعناقهم تأدباً واحتراماً مع كلام الله تعالى .

وإلى جانب هذه المصاحف في مدينة سراى بوسنه هناك مصاحف أخرى في سكوبيا (خزينة الوثائق لجمهورية مقدونيا) وزغرب (القسم الشرقى من المعهد التاريخى) وبلغراد (مكتبة الجامعة) وموستار (خزينة الوثائق لهذه المدينة) وغيرها من المدن[11] .

تلك كانت جولة سريعة بين صفحات الموروث الحضارى للأمة الإسلامية في هذه البلاد ، ذلك الموروث الذى يؤكد هويتها الإسلامية ، ويحتاج إلى مجلدات لكى تعرِّف به تعريفاً وافياً وشافياً ، غير أن ضيق مساحة النشر تدفعنا إلى تعريف القارىء به تعريفاً سريعاً ومُركزاً راجياً أن يكون هذا التعريف بداية لدعم المؤسسات الثقافية لإخراج عمل متكامل عن هذا الموروث الحضارى للأمـــة الإسلاميـــة فى يوغوسلافيا السابقة[12] .

ويزمع مركز الثقافة والتاريخ والفنون الإسلامية باستنبول إخراج كتاب عن العمارة الإسلامية فى البوسنه والهرسك ، للدكتور عامر لاسيتش ، وآمل لو تبنت منظمة العواصم والمدن الإسلامية إخراج كتاب عن الآثار الإسلامية فى هذه البلاد وما تعرضت له من أضرار أثناء الحرب الأخيرة وحبذا لو استعين بكتب محمود السيد الدغيم الذى تخصص فى هذا النوع من الكتابات . كذلك آمل أن تتبنى المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إخراج كتاب شامل عن الحضارة الإسلامية فى هذه البلاد .

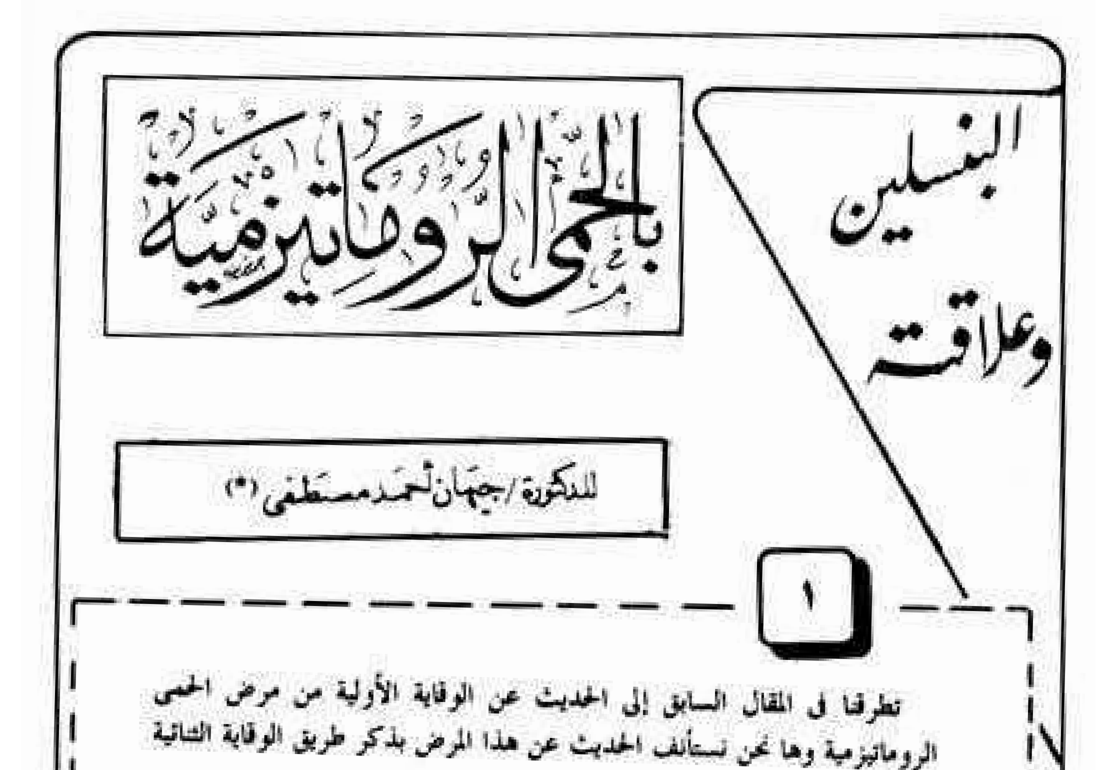
والله ولى التوفيق ...

---

(11) د. يوسف راميتش ، مخطوطات القرآن فى يوغوسلافيا ، كتاب الأصالة ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، الجزائر ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

(12) ومن الأعمال التى كتبت عن البوسنة والهرسك وتستحق النشر « رحلة الصيف إلى بلاد البوسنة والهرسك » وهى رحلة قام بها الأمير محمد على ولى عهد مصر الأسبق إلى هذه البلاد سنة ١٩٠٠م ودون فيها معلومات فى غاية الأهمية عن هذه البلاد ، وقد أشرف على إخراجها الشيخ محمد سليم البشرى .

ومما كتب بصفة عامة عن التراث الحضارى للمسلمين فى البلقان مقال « العمارة الإسلامية فى البلقان » بقلم ميكل كيل وقد ترجمته نادية عبد السلام ونشر فى مجلة الثقافة العالمية العدد ٤٣ ، السنة ٨ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٨ م .



البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

1

تطرقنا فى المقال السابق إلى الحديث عن الوقاية الأولية من مرض الحمى الروماتيزمية وها نحن نستأنف الحديث عن هذا المرض بذكر طريق الوقاية الثانية

● **الوقاية الثانية** *Secondary Prevention* :

وهى الوقاية التى يتعين اتخاذها بعد حدوث المرض ، لمنع تكرار الإصابة به ، سواء كان القلب قد تعرض للإصابة أم لا ، لأن مرضى (الكوريا) أو التهاب المفاصل يكونون عرضة للإصابة بالتهاب القلب **Carditis** عند تكرار الإصابة بالمرض .

ونتيجة لخطورة المرض وتأثيره على صحة المجتمع **Public Health** ـ والنتيجة الفعالة للمضاد الحيوى فى الوقاية الثانية ، حيث يمنع تكرار الإصابة بالمرض ـ قامت منظمة الصحة العالمية **(W H O) World Health Organization** بوضع برنامج وقائى للحمى الروماتيزمية فى الدول النامية ، ويعد البنسلين طويل المفعول هو أفضل وسيلة لتلك الوقاية عن طريق حقن المريض فى العضل ، بجرعة كافية : (٦٠٠ ألف وحدة إذا كان المريض أصغر من ٦ سنوات و ١,٢ مليون وحدة إذا كان أكبر من ٦ سنوات) كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على الأكثر ، لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، بعد حدوث الإصابة بالمرض ؛ لأن المريض يكون فى خلال هذه المدة معرضاً بدرجة كبيرة لتكرار الإصابة .

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

ما لا بد منه قبل البنسلين :

ومن الجدير بالذكر أنه قبل حقن المريض بالبنسلين طويل المدى لا بد من القيام بعمل اختبار حساسية للبنسلين Allergic Skin test وذلك لأن نسبة غير قليلة من المرضى يعانون من حدوث تفاعلات حساسية بعد تعاطى العقار .

● حساسية البنسلين *Penicilin Allergy* :

مما لا شك فيه أن البنسلين يعد من أكثر الأدوية التى تؤدى إلى حدوث تفاعلات حساسية ناجمة عن نواتج تحلل العقار ، وليس العقار نفسه وهى تنقسم إلى :

١ ـ جزء أعظم (٩٥٪) Major Deteminant يتحد مع بروتينات الجسد متسبباً فى تكوين الأجسام المضادة (هـ) Immunoglobulin E ضده مؤدية إلى حدوث تفاعلات الحساسية .

٢ ـ جزء أصغر (٥٪) Minor Determinant وهو مسئول عن حدوث تفاعلات الحساسية الشديدة .

* * *

● أنواع تفاعلات الحساسية للبنسلين *Penicillin Allergic Reactions* :

١ ـ تفاعلات نتيجة لتكوين الأجسام المضادة (هـ) ويطلق عليها النوع الأول من تفاعلات الحساسية Type I Hypersensitivity Reactions .

ومن الجدير بالذكر أن معظم تفاعلات الحساسية للبنسلين تحدث نتيجة لتكوين الأجسام المضادة (هـ) .

٢ ـ فقر دم ينجم عن انحلال الدم Hemolytic Anaemia نتيجة لتكوين أجسام مضادة لخلايا الدم الحمراء حيث يرتبط العقار بسطح هذه الخلايا ، ويطلق عليها النوع الثانى من تفاعلات الحساسية

Type II Hypersensitivity Reactions .

٣ ـ داء المصل Serum Sickness نتيجة لتكوين مركبات مناعية Immune Complex ويطلق عليه النوع الثالث من تفاعلات الحساسية

Type IV Hypersensitivity Reactions

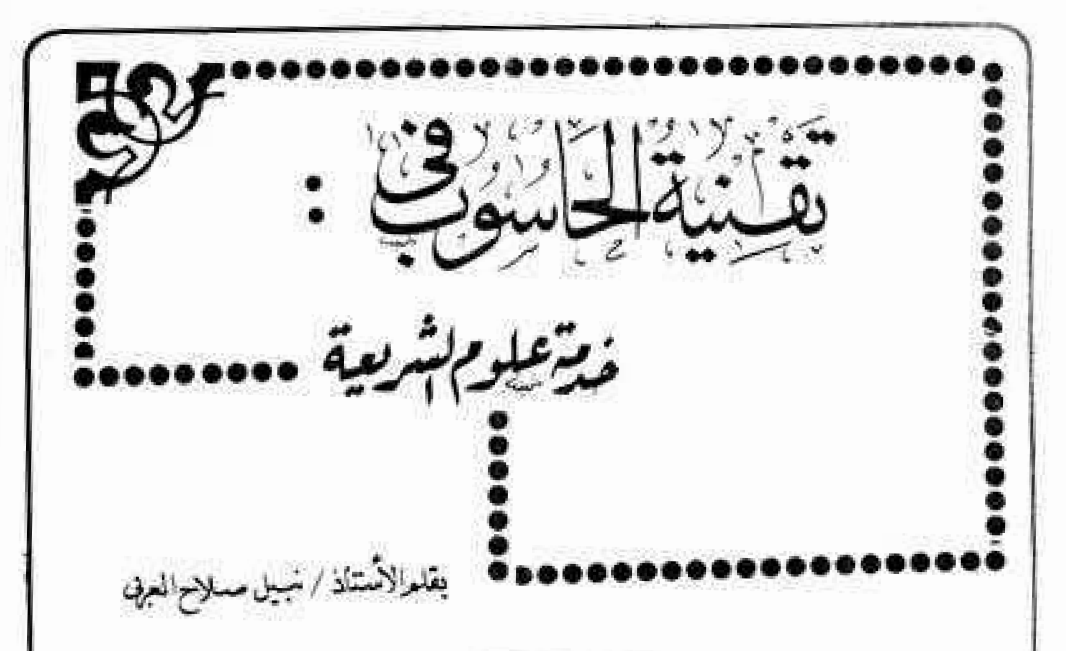
٤ ـ حساسية بالجلد Contact Dermatitis وهى « النوع الرابع » من تفاعلات الحساسية .

Type IV Hypersensitivity Reactions

● كيف تؤدى الأجسام المضادة (هـ) إلى حدوث تفاعلات الحساسية :

تؤدى الخلايا الشبْعية Mast Cells والخلايا المستقعدة Basophils دوراً رئيسياً فى حدوث هذه التفاعلات حيث ترتبط الأجسام المضادة (هـ) بسطح هذه الخلايا وعندما يؤخذ العقار يحدث اتحاد بينه وبين هذه الأجسام المضادة مؤدياً لخروج المواد الكيميائية الوسيطة Mediators وأهمها (الهستامين Histamine) مؤدية لحدوث تفاعلات الحساسية نتيجة لزيادة نفاذية الأوعية الدموية Vascular Permeability متسببة فى تورم الأنسجة Tissue Oedema .

وتنقسم تفاعلات الحساسية إلى تفاعلات مبكرة Immediate Reactions وهى تحدث فى خلال نصف ساعة إلى ساعة بعد تعاطى العقار ، وتفاعلات متأخرة accelertad Reactions وتحدث بعد الساعة الأولى من تعاطى العقار حتى ثلاثة أيام بعد تعاطيه .



بقلم الأستاذ / نبيل صلاح المغربي (*)

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وآله وصحبه .

وبعد :

فإن أهم ظاهرة شهدها العالم خلال العقود الأخيرة هى ظاهرة تزايد المعلومات بدرجة كبيرة

فى كافة فروع المعرفة وجميع أوجه النشاط الإنسانى ، وإتاحة هذا القدر الهائل من المعلومات بسهولة ويسر على نحو لم يحدث من قبل ، ولعل السبب الأساسى الذى يفسر ذلك هو التطورات المتلاحقة فى كل من صناعة الحاسوب Computer والاتصالات Communications أو ما يطلق عليه « تقنية » المعلومات Information Technology التى فتحت آفاقا واسعة فى التعامل مع المعلومات ، ويشمل ذلك القدرة على تخزين كمية هائلة من المعلومات وتراسلها واسترجاعها بسهولة وسرعة ودقة[1] .

(*) مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية ـ ماجستير فى اقتصاديات تكنولوجيا المعلومات .

(1) على سبيل المثال ، توزع الموسوعة الأمريكية الأكاديمية Academic American Encyclopedia التى تتكون من ٢١ مجلدا على قرص واحد من فئة CD ROM .

وهذه الدراسة تلقى الضوء على تقنية الحاسوب بصفة خاصة من حيث إمكانية الاعتماد عليها لخدمة الباحث فى العلوم الشرعية ، وكذلك المسلم الحريص على دينه بوجه عام .

وليسمح لنا القارىء بعرض بعض الأسئلة التى تحدد الإطار العام للموضوع :

ما الحاسوب ؟

ما أنواع « الحاسوب » والمكونات والمتطلبات اللازمة لتنفيذ تطبيقات العلوم الشرعية ؟

ما المزايا والمنافع الناجمة عن تطبيق أنظمة (محسوبة) فى خدمة القرآن والسنة ؟

ما القيود التى تمنع من استخدام الحاسوب فى مجالات معينة ؟

هل هناك تجارب نفذت فعلا لتوظيف الحاسوب فى خدمة علوم القرآن والسنة ؟

ما القيمة الفعلية لهذه التجارب والمشروعات على المستويين الفنى والشرعى ؟

ما الضوابط التى يتعين مراعاتها عند الدخول فى مشروعات جديدة أو تطوير المشروعات القائمة ؟

هذا وأرجو أن يلحظ القارىء أن الموضوع ذو جوانب متعددة شرعية تقنية واقتصادية ويصعب استيعاب كافة هذه الجوانب فى سياق واحد ، ولكن حسبنا أن نطرح الموضوع للبحث ، وأن نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة .

وعلى الله قصد السبيل .

تعريف بالحاسوب وتطوره التاريخى

المصطلح Computer مشتق من الفعل Cpmpute بمعنى يحسب ، وكان لفظ (كمبيوتر) فى اللغة الإنجليزية يكتب فى بداية الأمر بشكلين Computer و Computor وهما شكلان مقبولان لغوياً ، ثم استقر الأمر بعد ذلك على اعتبار أن Computer تشير إلى الآلة التى تقوم بالحساب بينما Computor تدل على الإنسان الذى يقوم بالحساب بدون استخدام الآلة[٢] .

أما على الصعيد العربى فقد ظهرت مصطلحات متعددة ، نظراً لغياب المؤسسات التى تعنى بهذه الاختلافات فى وقت مبكر من ظهورها ، فقد استعمل مصطلح كمبيوتر فى البداية ، وأحياناً كان يقال عقل الكترونى ، ثم انتشر مصطلح « الحاسب الآلى » و « الحاسب الالكترونى » ، إلى أن ظهر المصطلح الذى أقرته معظم مجامع اللغة العربية ، وجامعة الدول العربية وهو « الحاسوب » ويتميز هذا المصطلح بأنه على وزن الآلة[٣] .

تعريف بالحاسوب :

يُعَرَّف الحاسوب : بأنه « جهاز الكترونى ، يُغذى بالمعطيات المتاحة (البيانات بكافة أنواعها) ، ليجرى عليها المعالجات المناسبة (الحسابية والمنطقية) ، بسرعة عالية ودقة تامة ، فضلا عن القدرة على حفظ كافة المعطيات والنتائج

(٢) (عبدالإله الديوه جى) مقال : مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات ، مجلة : عالم الفكر ، المجلد ١٨ ، العدد ٣ ، الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٧ ، ص ٩٤ .

(٣) على سبيل المثال لفظ Computing بالطره حوسبة ومصطلح Computerized بالطره محوسب ، ولكن كل مصطلح رهن بالانتشار ، ولا يكفى أن يوافق قواعد اللغة ، وهذه مسئولية وسائل الإعلام العربية التى لا تريد - أو لا يراد لها - أن تصون لغة العربية الفصحى .

بصفة دائمة ، وذلك كله وفقاً للبرامج التى تعطى له[4] . وتكون مخرجاته عبارة عن معلومات أو إشارات كهربائية يمكنها التحكم (أتوماتيكياً) فى تشغيل بعض الآلات أو العمليات الأخرى[5] » .

التطور التاريخى للحاسوب :

ظهرت النماذج الأولى من الحاسوب الحديث فى الأربعينات من هذا القرن[6] ، ونظراً لسيادة أجواء الحرب العالمية الثانية فى ذلك الوقت ، فقد كانت معظم هذه النماذج موجهة للتطبيقات العسكرية . وفى العام ١٩٥١ ظهر الحاسوب المسمى « يونيفاك الأول Univac I » وهو أول حاسوب يصمم أساساً للتطبيقات التجارية ، ومنذ ذلك الوقت بدأ إنتاج الحواسيب على نطاق واسع فيما يطلق عليه أجيال الحواسيب Computer Generations .

الجيل الأول :

ساد فى الخمسينات ، وكان يرتكز على الصمامات المفرغة Vacuum Tubes ، وكانت الأجهزة كبيرة الحجم بسبب العدد الكبير من الصمامات اللازمة لتشغيل الأجهزة ، ويعيب الصمامات أنها تستهلك كمية كبيرة من الطاقة ويتولد عنها حرارة شديدة .

الجيل الثانى :

بدأ فى أوائل الستينات ، وتميز بظهور الترانزستور Transistor ، الذى كان أصغر كثيراً من الصمامات ، وأقل تكلفة ، ويحتاج إلى مقدار أقل من الطاقة الكهربية ، ويطلق حرارة أقل ، ونتج عن ذلك أن الحواسيب أصبحت أصغر حجماً وأقل تكلفة .

الجيل الثالث :

بدأ فى منتصف الستينات ، وفيه ظهرت الدارات المتكاملة Integrated Circuits حيث أمكن وضع أكثر من ألف ترانزستور على رقاقة Chip واحدة من (السيليكون) حواسيب هذا الجيل أصغر من الجيل السابق وأكثر كفاءة وأقل تكلفة .

الجيل الرابع :

منذ بداية السبعينات وحتى الآن . والميزة الأساسية لهذا الجيل هى التكامل على نطاق واسع جداً Very Large Scale Integration-VLSI . والذى يعنى دمج عدة مئات الآلاف من وحدات

---

(٤) أنظر :

Szymanski, R.A., et. al, Introduction to Computers and Information Systems, Merrill Pub. Co., USA, 1988, P.4.

أ.د. السيد عبد المقصود ود. محمد الفيومى ، مقدمة فى الحاسبات الآلية ونظم التشغيل ، الإسكندرية ١٩٩٣ ص ١٨ .

(5) ... Glossary of Computer Terms, Egypt : Central Agency for Public Mobilisation & Statistics, June 1976, P86.

(٦) ظهرت فكرة الحاسوب فى القرن التاسع عشر ، حيث قام الرياضى والمخترع البريطانى تشارلس باباج (1791 - 1871) Charls P. Babbage بابتكار الآلة التحليلية Analytical Engine التى اشتملت على المقومات الأساسية للحاسوب المعاصر (وحدة إدخال ، وحدة معالجة وذاكرة ، وحدة إخراج) . ويذكر أن هذه الآلة لم تصنع ، لأن المهندسين عجزوا عن تنفيذ المواصفات التى وضعها باباج .

أنظر فى ذلك :

« موسوعة : بهجة المعرفة ، المجموعة الأولى : الأداة والآلة ، ليبيا : الشركة العامة للنشر » ، ١٩٨١ ، ص ١٧٤ .

Szymanski, Ibid, P. 30.

الترانزستور والمكونات الالكترونية الأخرى على رقاقة واحدة Single Chip ، وهذا التطور جعل من الممكن اختراع المعالج الميكرو Micro-processor وبالتالي الحاسوب الميكرو Micro-computer . والذي يسمى أيضاً الحاسوب الشخصي . وهو النوع الذي تراه على المكاتب في المصارف والجامعات والمؤسسات المختلفة .

الجيل الخامس(٧) :

يتميز هذا الجيل بالذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence-AI . والذي يعني قدرة نظام الحاسوب على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء ، بمعنى القدرة على حل مسألة معينة ، أو اتخاذ قرار في موقف معين بناء على مجرد وصف هذا الموقف وعلى الحاسوب ــ أو بالأحرى البرنامج المكتوب له ــ أن يجد الطريقة التي يجب أن تتبع لحل المسألة أو التوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التي غُذي بها البرنامج(٨) . ومن المجالات التي يتناولها الذكاء الاصطناعي : النظم الخبيرة Expert Systems والإنسان الآلي المتفوق Advanced Robotics ومعالجة اللغة البشرية مباشرة ، والتعرف على الأصوات ، وتمييز الصور الثابتة والمتحركة والحية(٩) . وتعتبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي من المجالات الواعدة التي يمكن أن تقدم خدمات جليلة للمشتغلين بالعلوم الشرعية كما سنبين إن شاء الله .

الجيل السادس(١٠) :

يتضمن هذا الجيل ظهور الحواسيب العصبية Neuro-Computers أو بدقة أكبر الشبكات العصبية Neural Networks وتقوم فكرتها الأساسية على محاكاة بنيان الدماغ ، وطريقة أداء الخلايا العصبية الحية ، حيث تتكون الشبكة العصبية من عدد كبير من عناصر المعالجة تعمل معاً بشكل متوازي ، وتتدفق المعلومات فيما بينها . ويخطط لهذه الحواسيب أن تكون قادرة على التعلم والتفكير على نحو يقارب بعض أنماط التفكير لدى الدماغ البشري(١١) .

---

(٧) طبقت اليابان خطة قومية خلال عقد الثمانينات لإنتاج حواسيب الجيل الخامس وتكلفت ٣٧٠ مليون دولار أنظر : مقال : اليابان وحاسبات الجيل السادس ، مجلة : عربيوتر ، السنة ٣ ، العدد ٢٠ ، والناشر : الشركة العالمية لخدمات المعلومات ، سبتمبر ١٩٩١ ، ص ٢١ .

(٨) الآن بونيه ، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله ، ترجمة د. علي صبري فرغلي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٧٢ ، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أبريل ١٩٩٣ .

(٩) لمزيد من التفاصيل حول مجالات الذكاء الاصطناعي أنظر :

Gotlieb, C.C., and Borodin, A. Social Issues in Computing, New York : Academic Press, 1973, PP. 140 - 160.

(١٠) مشروع أعلنت اليابان البدء فيه منذ العام ١٩٩٢ .

(١١) أنظر

مايكل . أ. أربيب ، محاضرة : الحاسوب العصبي الذكي ، مجلة : آفاق علمية ، العدد ١٨ ، السنة ٣ ، عمّان : مؤسسة عبدالحميد شومان ، مارس ١٩٨٩ ، ص ٢٩ ــ ٣١ .

مقال اليابان وحاسبات الجيل السادس ، سبق ذكره ، نفس الموضع .

مجالات استخدام الحاسوب[١٢]:

يصعب فى الوقت الحاضر أن تجد مجالا لم يؤثر فيه الحاسوب بطريقة أو بأخرى ، سواء فى قطاع الأعمال أو التمويل أو الصناعة أو القطاع الحكومى أو الزراعة أو التعليم أو العناية الصحية أو الرياضة أو حتى التسلية ؛ بل لا يكاد يمر يوم إلا ونطالع فى وسائل الإعلام تطبيقاً جديداً يستخدم فيه الحاسوب . وفيما يلى نعرض على سبيل الإجمال والإيجاز أشهر المجالات التى يستخـــدم فيها الحاسوب :

١ ـ التطبيقـــــات الخاصة بقطـــــاع الأعمال Business Applications :

هناك أعمال كثيرة يستخدم فيها الحاسوب لخدمة رجال الأعمال ومؤسسات الأعمال الخاصة مثل : التطبيقات المحاسبية وإدارة المخازن وشئون الأفراد وإدارة مراكز البيع ، هذا فضلاً عن نظم الحجز فى شركات الطيران والملاحة والفنادق . وهناك أعمال أخرى واسعة الانتشار فى كافــة المكــاتب مثــل : معالجـــة الكلمـــات Word Processing وتــنــظيم الملفات Filing

٢ ـ التطبيقات المصرفية :

تستخدم المصارف الحديثة أنظمة محسوبة Computerized Systems لفـــحص الشيكات المصرفية ، ولمعالجة وحفظ كافة المعاملات المصرفية التى تتم على مدار اليوم .

٣ ـ التطبيقات الصناعية :

يعتمد على الحواسيب بدرجة كبيرة فى القطاع الصناعى لإدارة الكميات الكبيرة من المخزون الصناعى من المواد الأولية والوسيطة على اختلاف أنواعها ، وكذلك فى تصميم المنتجات وعمليات التصنيع وللتحكم فى الآلات .

٤ ـ التطبيقات الحكومية :

تعتمد برامج الدفاع وأبحاث الفضاء فى الدول الصناعية الغربية بدرجة كبيرة على حواسيب فائقة لإنجاز الأعمال الخاصة بها ، فضلا عن ذلك ، فإن الأجهزة الإحصائية لا تستطيع القيام بأعمالها حالياً بدون الحواسيب الحديثة . كما تستخدم الحواسيب أيضاً فى وحدات حكومية أخرى ـ مثل الأرصاد ـ بغرض التنبؤ بالظروف الجوية ، وفى وزارة الداخلية بغرض حفظ ملفات المشتبه فيهم وتسهيل تعقبهم والتعرف عليهم ، ويضاف إلى ذلك أن تنظيم حركة السير فى المدن الكبرى يتم من خلال شبكة من الإشارات المضيئة التى تديرها حواسيب خاصة تحسب معدل تدفق السيارات فى الطرق طوال ساعات النهار والليل ، بحيث تقلل لحظات الانتظار عند تقاطعات الطرق إلى أدنى حد ممكن .

٥ ـ التطبيقات الزراعية :

يستخدم أرباب المزارع الحواسيب فى إدارة الدورة الزراعية والرقابية على الإنتاج الحيوانى ، وذلك بتغذية الحاسوب بالبيانات اللازمة ،

---

(١٢) المرجع :

(12) Orilla, Lawrence S., Introduction to Business Data Processing, Second Edition, Tokyo : McGrawhill, 1982, P.7.

وبالتالى يحصلون على جداول الرى ومواعيد التسميد والتوليفة المثلى (للأعلاف) من حيث التكلفة وجودتها ، هذا فضلاً عن الحسابات الخاصة بهذه الأعمال .

٦ - التطبيقات التعليمية :

التعليم هو المجال الذى تأثر بدرجة كبيرة بتطورات الحاسوب ، حيث تستخدم الحواسيب فى كل مستويات التعليم من دور الحضانة إلى الجامعة ، فالحاسوب يقدم الخدمة التعليمية للطالب فى أى وقت وفى أى مكان ، ولا يمل من التكرار ، ويناقش الطالب ويعطيه فرصة للمحاولة عدة مرات . ويذكـــر أن عدد الحواسيب الشخصية فى المدارس الابتدائية والثانوية فى الولايات المتحدة الأمريكية ارتفع من حوالى ١٠٠ ألف وحدة عام ١٩٨٣ إلى حوالى ٢ مليون وحدة عام ١٩٨٨ . وبعض الجامعات تلزم الطالب أن يمتلك حاسوب شخصى فى المنزل لإنجاز الواجبات الدراسية التى يكلف بها .

٧ - تطبيقات الرعاية الطبية :

استخدام الحاسوب فى الطب يعتبر مجالاً متنامياً باستمرار على مستويى : التشخيص والعلاج . وأشهر أدوات التشخيص بالحاسوب معروفة حالياً هى الأشعـــــة المقطعيـــــة المحوســـــبة Computerized Axial Tomography-CAT والتى تسمح للطبيب بالحصول على مقطع واضح لأحد أعضاء الجسم أو جزء منه بواسطة أشعة إكس X-Ray التى يطلقها جهاز محوسب ، ومن ناحية أخرى يساهم الحاسوب فى تيسير الحياة على المعوقين ، فمثلاً الأفراد العاجزون عن الكلام لسبب أو لآخر يمكنهم القيام بالحادثة العادية بواسطة جهاز حاسوب يحتوى على نظام صوتى يحول اللمسات على مفاتيح الحاسوب إلى أصوات ذات دلالة .

ونعود فنؤكد أن هذه المجالات المذكورة ليست كل شىء على سبيل الحصر ، بل هى أشهر المجالات المعروفة فحسب ، ويتوقع خلال سنوات قليلة ألا يخلو أى نشاط بشرى من استخدام الحاسوب بطريقة أو بأخرى .

مكونات نظام الحاسوب(١٣)

يتألف نظام الحاسوب من مكونات مادية ملمـــوسة تسمـــى « المعـــدات Hardware » ومكونات غير مادية تتمثل فى التعليمات والبرامج اللازمة لإدارة المعدات وهــذه يطلـــق عليها « البرمجيات Software » .

المكون الأول : معدات الحاسوب :

مصطلح المعدات Hardware يطلق على : المكونات المادية الالكترونية التى تخزن ، وتعالج البيانات بتوجيه من البرمجيـــات Software ، وحيث إن معظم العمليات داخل الحاسوب مقيدة فقط بسرعة الالكترونيات فهذا يعنى أن العمليات تتم بسرعة عالية جداً بالمقياس البشرى ، وهذه

(١٣) لمزيد من التفاصيل راجع :

Fry, T.F., Computer Appreciation, London : Butterworth 1972, PP. 15-18.
Szymanski, Ibid, 1988, PP. 18 - 23.

العمليـــات أيضاً تخضع للقـــوانين الطبيعية Physical Laws وهى قوانين ثابتـة لا تتغير من عملية لأخرى وهذا يفسر الدقة الشديدة التى تتمتع بها عمليات الحاسوب ، أما إذا ظهرت أخطاء عند تشغيل الحاسوب فهذا يرجع عادة إلى خطأ البيانات أو إلى البرامج .

ويتكون الكيان المادى للحاسوب من :

وحدة إدخال تستخدم لتغذية الحاسوب بالبيانات والبرامج .

وحدة معالجة مركزية تحتوى على معالج يقوم بالعمليات الحسابية والمنطقية وذاكرة داخلية .

وحدة إخراج تتمثل فى الشاشة والطابعة لعرض وطبع مخرجات الحاسوب .

وحدة تخزين ثانوية مثل الأقراص لحفظ المعلومات والبرامج والتقارير بصفة دائمة .

المكون الثانى : برمجيات الحاسوب :

يشير مصطلح البرمجيات Software فى المعنى العـــام إلى البيانـــات Data والتعليمـات اللازمـة لتشغيـل Instructions الحاسوب ، أى أن البرمجيات هى الشق غير المادى فى نظام الحاسوب ، ولكن الشائع هو استخدام مصطلح Software بمعنى التعليمات المكتوبة للحاسوب دون البيانات ، وهذه التعليمات قد تكون معدة بمعرفة الشركة المنتجة لجهاز الحاسوب ، أو قد يشتريها المستخدم من إحدى شركات البرامج ، أو ربما يكتب البرنامج بنفسه مستخدماً إحدى لغات البرمجة .

والعلاقة بين البرمجيات والمعدات فى نظام الحاسوب مثل علاقة السائق بالسيارة ، فالمعدات بلا برمجيات لا تزيد عن مجرد مجموعة من رقائق (السيليكون) والدارات الإلكترونية المجردة من أى قيمة عملية .

خدمة العلوم الشرعية :

ولعل أبرز تطبيقات البرامج التى يمكن أن تكون ذات فائدة مباشرة للعلوم الشرعية : أنظمة إدارة قواعد البيانات وأنظمة الاتصالات .

قاعدة البيانات عبارة عن مكتبة ضخمة من المعلومات مخزنة على قرص Disk ، أو وحدة التخزين بصفة عامة ، وتستخدم لحفظ المعلومات إلى جانب عمليات الفرز والترتيب والتصنيف والبحث والاسترجاع .

أما بالنسبة لأنظمة الاتصالات فيمكـن استخدام خط الهاتف العادى للاتصال بين حاسوب وآخر عن طريق المحول Modem الذى يحول إشارات الحاسوب إلى إشارات الهاتف والعكس ، ودور برامج الاتصالات هو التحكم فى نقل المعلومات عبر خط الهاتف .

والمعنى العملى لهذا أنه يمكن إنشاء قاعدة بيانات ضخمة لاستيعاب كافة النصوص والمصنفات المتعلقة بالقرآن والسنة فى مركز أو مقر واحد ، ثم الاتصال بهذا المركز من أى مكان باستخدام خط الهاتف وحاسوب صغير للحصول على أى معلومات بصفة فورية .

الحاسوب الشخصى ذو الوسائط المتعددة :
Muti Media، Personal Computer MPC(14)

(14) ... Industry and development, No. 16, Vienna: UNIDO, P: 26.

يتعامل الحاسوب الشخصي المعتاد مع البيانات التي على شكل نصوص Text أو رسوم Graphics أما الحاسوب الشخصي ذو الوسائط المتعددة فيزود بالمعدات Hardware والبرمجيات Software اللازمة للتمكن من عرض الصور الحية الثابتة والمتحركة Still & Motion Video والرسوم المتحركة Animation فضلا عن معالجة الصوت البشري وتحليله وإذاعته(١٥).

وتتمتع الحواسيب ذات الوسائط المتعددة بجاذبية كبيرة ، لأنها لا تصف الصوت أو الصورة بل تذيع الصوت نفسه ، وتعرض الصورة نفسها ، وهكذا يمكن حفظ كافة القراءات المتواترة صوتياً على الحاسوب مع إمكانية الوصول إلى قراءة معينة لآيات معينة بحيث ترى العين رسم المصحف على الشاشة ، وتسمع الأذن القراءة الصحيحة المضبوطة .

ومثال آخر مناسك الحج والعمرة ، حيث يمكن عرض صور حية للأماكن والمواقف والإجراءات دون حاجة لإطالة الوصف والشرح والذي لا يمكن بحال أن يقارن مع المشاهدة والسماع . ولعلنا نعود إلى هذه النقطة بمزيد من التفصيل فيما بعد .

---

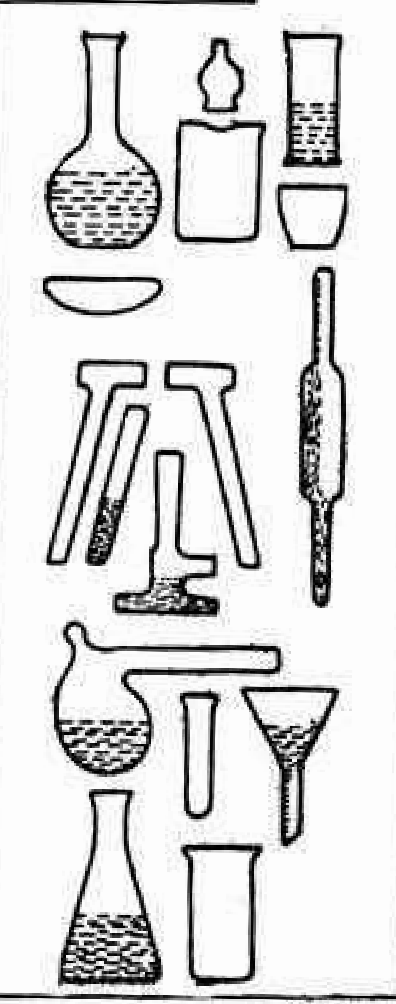
(١٥) أنظر :

Botto, Francis, Multimedia, CD-TOM and Compact Disc : a guide for users and developers, Wilmslow (England) : Sigma Press, 1992, P.2.
PC Magazine, USA, 29.10.1991, P.403.

«وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...»



إعداد . د/ نجوى السيد أحمد (*)



الليزر لإزالة تسوس الأسنان

صممت إحدى الشركات الأمريكية آلة جديدة تستخدم في علاج الأسنان بدون ألم عن طريق بث نبضات الليزر لمدة واحد على عشرة آلاف من الثانية فتزيل الأنسجة المسوسة بسرعة أكبر من السرعة التي تنتقل بها الإشارات العصبية من الأسنان إلى مراكز الإحساس بالمخ ، وبذلك لا يشعر المريض بأى ألم .

إنتاج أصغر رادار لمساعدة الطيارين

تم إنتاج أصغر رادار اخترعه معمل أبحاث السرعة في استكهولم بحيث يعمل تحت أية ظروف مختلفة وبشكل متطور عن الرادار العادى ويساعد الرادار الجديد الطيارين على مواجهة أى عوائق ومخاطر أثناء الطيران وأثناء تحليقهم في العواصف الجوية السيئة في الظلام والضباب .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

أحدث كاميرا فيديو بالحاسب الآلي

انتجت إحدى الشركات اليابانية للالكترونيات كاميرا فيديو من أدق الكاميرات التي يمكن أن يستخدمها المتخصصون وتستخدم مع أجهزة الحاسب الآلي الشخصية في تخزين الصور والمعلومات ، ويمكن بواسطتها ادخال الصور الملونة إلى ذاكرة الحاسب الآلي مباشرة ومنها إلى شاشة عرض الحاسب الآلي حيث تتاح إمكانية دمج كافة البرامج مع كتابات وصور أخرى ويمكن تشغيل الكاميرا من خلال وحدة تحكم عن بعد أو بالتحكم الذاتي التلقائي أو اليدوي وتتميز الكاميرا أيضاً بصغر حجمها وخفة وزنها .

الأقمار الصناعية لدراسة الحيوانات البرية

قريباً ستستخدم في إنجلترا شبكات الاتصال المباشر بالأقمار الصناعية والصور المركبة « بالكمبيوتر » للسماح للمشاهدين بالتعايش مع عالم الحيوان بطريقة مبتكرة حيث إن هناك تعطشاً حقيقياً من أجل فهم أفضل للحياة البرية بطريقة تختلف عما هو شائع في حدائق الحيوان التقليدية ، فالبث المباشر بالأقمار الصناعية لعالم الحيوان على الطبيعة يُمكّن المشاهد من رؤية الحياة البرية للحيوانات من زوايا كثيرة مختلفة .

أجهزة آلية متعددة الأغراض

يشهد العالم حالياً تطوراً هائلاً في عالم الكمبيوتر وصناعة الأجهزة الآلية ، فقد تم ابتكار جهاز آلي يستخدم في استعادة الأقمار الصناعية من الجو وهو عبارة عن مجموعة من الأجهزة الفرعية تتصل بمفاصل تحركها محركات خاصة بواسطة الحاسب الآلي . كذلك تم ابتكار أجهزة آلية لمواجهة الأخطار وانقاذ الأشخاص المحاصرين في الحرائق والوصول إلى مواقع النفايات النووية المشعة وجمع العينات منها ، والوصول إلى مراكز المفاعلات النووية لفحص الأضرار في حالة وقوع الكوارث بها وانتشال السفن الغارقة في قاع البحار والمحيطات .

جيل جديد من المصاعد الكهربائية السريعة

أعلنت إحدى الشركات اليابانية للأجهزة الكهربائية أنها طورت مصعداً يعمل بسرعة عالية تصل إلى ٨٠٠ متراً في الدقيقة وبذلك يكون أسرع مصعد لناطحة السحاب في العالم ، وقد صمم هذا الجيل الجديد من المصاعد لكي يتناسب مع المباني الجديدة التي سوف يصل ارتفاعها إلى حوالي ٥٠٠ متر مع بداية القرن ٢١ ، وتتميز هذه المصاعد السريعة بأنها تبعد القلق عن الركاب أثناء الصعود إلى الطوابق المرتفعة كما أنها توفر الوقت والطاقة .

سيارة سباق تعمل بالطاقة الشمسية

انتجت اليابان سيارة سباق تعمل بالطاقة الشمسية ، وهي مزودة بثلاث عجلات فقط ، اثنان في المقدمة وواحدة في الخلف وتبلغ سرعة السيارة حوالي ٧٥ ميلاً في الساعة وتحتوي على بطارية شمسية مزودة بخلايا السيكون .

عزل مورثات « جينات »
مرض الحلال البشرة

نجح العلماء البريطانيون فى عزل المورثات (Genes) المسئولة عن نوعين من مرض الحلال البشرة الذى يصيب الأطفال ويتسبب المرض نتيجة عيوب فى مادة « الكرتين » داخل الخلايا الجلدية ، وهى المادة التى تعطى الجلد تماسكه وإذا تأثرت هذه المادة وضعفت أدت إلى تهلك الجلد وتكوين الفقاعات المائية والندوب فيه مما يؤدى إلى الكثير من الألم والتشوهات . وقال العلماء إن عزل تلك المورثات « الجينات » سيفتح المجال لابتكار أدوية جديدة لعلاج المرض ويعطى الفرصة للكشف المبكر عن مورثات المرض فى العائلات ذات الاستعداد له .

فيتامين ج علاج طبيعى للأمراض

أظهرت أحدث الأبحاث العلمية الطبية أهمية فيتامين (ج) كعلاج طبيعى لكثير من الأمراض حيث إنه يقلل من خطر الإصابة بسرطان الفم والمرىء والمعدة ويقلل من خطر إصابة العيون بالمياه الزرقاء كما أنه يحمى الرئتين من عوامل التلوث ويخفف من حدة الزكام . كما أن تناول جرعات عالية من فيتامين (ج) تعمل على تعديل مستوى الكولسترول ومستوى ضغط الدم للمعدلات المناسبة . ويكثر فيتامين (ج) فى الفلفل والبرتقال والقرنبيط والفراولة والطماطم .

مادة الـ (د.د.ت) المبيدة للحشرات
تصيب البنكرياس بالسرطان

أثبتت دراسة علمية أجراها مجموعة من الباحثين الأمريكيين أن التعرض المكثف لمادة الـ (د.د.ت) المستخدمة فى ابادة الحشرات يزيد بشكل كبير من مخاطر الإصابة بمرض سرطان البنكرياس . وثبت أن مخاطر الإصابة بهذا المرض تتزايد طوال فترة التعرض وتصل نسبة الإصابة إلى نحو سبع مرات بالمقارنة بالذين لا يتعرضون لهذه المادة .

سفينة تتحول لغواصة

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية سفينة صغيرة الحجم يمكنها أن تتحول إلى غواصة وذلك عن طريق تفريغها من الهواء ، وهى مزودة بأجهزة تمكنها من الغوص والطفو والبقاء تحت سطح الماء مدة طويلة ، كما انها مزودة بمحركات تعمل على دفعها فى الأعماق وسوف تستخدم فى عمليات مد خطوط الأنابيب والكابلات تحت الماء والتنقيب عن الآثار .


اللغة والنقد
والأدب

تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة



على مقال ... ملاحظات على الكتاب ....

نشرت مجلة الأزهر فى عدد سبتمبر ١٩٩٤ مقالا للأستاذ الدكتور/ على أحمد مرعى .. تناول فيه كتابنا (تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة) تحت عنوان (ملاحظات على الكتاب ـ عرض ونقد) .. ولقد كان من المفترض أن يحوى المقال الذى يحمل هذا العنوان عرضاً موضوعياً ومناقشة تقوم على مقارعة الحجة بالحجة .. ولكننا فوجئنا ـ مع شديد الأسف بأن المقال يقوم على تقطيع سياق العبارات بالكتاب ويتجاهل كافة الحقائق التى يوردها ثم يبنى اتهاماته على الزعم بأن الكتاب ينكرها .. كما ينسب إلى الكتاب اتهامات وآراء مفتراه تسىء أبلغ الإساءة إلى الكتاب ومؤلفيه وهى لم ترد فيه من قريب أو بعيد ثم يقوم بالرد عليها !!.. ويتبين ذلك مما يلى :

أولا ـ فى ملاحظيه الأولى والثانية :

زعم المقال أن الكتاب ينكر السنة .. وهذا الاتهام ليس له أى أصل على الإطلاق .. إذ أن الكتاب ـ على العكس من ذلك ـ يدعو إلى ضرورة الاهتمام الشديد بالسنة الشريفة والالتزام بها .. والذى يستنكره الكتاب وجود بعض النصوص التى يدعى البعض نسبتها إلى سيدنا رسول الله ﷺ ـ على الرغم من تعارضها الواضح مع آيات القرآن .. ويؤكد الكتاب الحقيقة التى لا يختلف عليها اثنان من المسلمين وهى أنه لا يصح نسبة أى حديث إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ إذا كان متعارضاً مع صريح آيات القرآن ، لأن القرآن وحى من عند الله كما أن أحاديث الرسول أيضاً وحى من عند الله .. ومن ثم فإنه لا يمكن أن يكون هناك أى تعارض بينهما .. وقد أوضح الكتاب ذلك فقال بالحرف الواحد صفحة ١٢ : ولقد ظهر الإسلام ووضع قواعد التفكير السليم ومنهاج البحث والتقصى فى كتاب الله ، منها هذه القاعدة القرآنية التى نحن بصددها .. فهى ترد عقل المسلم إلى مصدر الاستنباط وهو القرآن .. الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام .. فكل أحاديث حضرة سيدنا رسول الله مرتبطة به ولا تنفك عنه أبداً .. ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: (إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه

فهو منى وما خالفه فليس عنى » فهذا الحديث الشريف يعد بحق المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة التى نسبت إلى الرسول كذباً وافتراءاً .. يصدق على هذا الحديث ويؤكد صحته قوله تعالى :

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٨٢

فآيات القرآن وحى من الله وأحاديث الرسول ﷺ أيضاً وحى من عند الله .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾

سورة النجم

إذن فليس هناك أدنى خلاف بينها .. فكل من عند الله .. وبالتالى فلابد أن يتفق الحديث الصحيح مع ما جاء فى كتاب الله .. فإن تعارض معه فهو ـ بلا أدنى تردد ـ موضوع ومدسوس على الرسول ﷺ » .

فهل يمكن أن يفهم أى قارىء لهذه العبارات أنها دعوة لإنكار السنة كما يزعم المقال؟؟ وإذا كان المقال يعارض ذلك المنهج الذى يدعو إليه الكتاب من عرض الحديث على كتاب الله .. والحكم على أى رواية تتعارض مع القرآن بأنها مدسوسة وباطلة .. فإننا نؤكد أن الغالبية العظمى من العلماء ترى غير ما يرى صاحب المقال ، ويقرر أنه من علامات الوضع فى الحديث أن يكون مخالفا لصريح القرآن .. ويكفى أن نورد فى هذا الموضع الأمثلة الآتية :ـ

١ ـ أوضح كتاب (فى رحاب السنة للشيخ محمد محمد أبو شهبة طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ديسمبر ١٩٦٩) أن الحديث إذا خالف القرآن فإنه يحكم عليه بالوضع .. وأن ذلك هو مذهب الكثير من العلماء . (راجع الكتاب المذكور ، ص ٣٨) .

٢ ـ دعا الشيخ محمد عبده إلى عدم الأخذ بأى حديث إذا تعارض مع آيات القرآن وقال بالحرف الواحد : (إن علامات الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن) ... راجع تفسير المنار الجزء الثالث طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣ ، ص ١١٧ .

٣ ـ أورد الشيخ محمد الغزالى هذه الحقائق فى كتابه : (تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل) طبعة دار الشروق عام ١٩٨١ وقال فى ص ١٥١ : (إن من علامات الوضع فى المتن مخالفته لصريح القرآن) كما قال فى تلخيصه لهذه الحقائق فى ص ١٨٤ (والخلاصة : أن السنة لا تكون إلا بياناً للقرآن ... بيان يتسق مع دلالاته القريبة والبعيدة ، ويستحيل أن تتضمن وضعاً أو حكماً يخالف القرآن الكريم) .

وإذا كان المقال يتساءل عن الحديث (إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى) ويورد قولا يتساءل عن دليل صحة ذلك الحديث من كتاب الله . فإننا نجيب بأن هذا التساؤل قد أجاب عليه الكتاب بقوله : يصدق على هذا الحديث ويؤكد صحته قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٨٢

.. فآيات القرآن وحي من عند الله وأحاديث الرسول أيضاً وحي من عند الله .

.. إذن فليس هناك أدنى خلاف بينهما .. فكل من الله ... وبالتالي فلابد وأن يتفق الحديث الشريف مع ما جاء في كتاب الله » .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العبارات التي تحمل الدليل على صحة الحديث من كتاب الله موجودة بهذا النص في الكتاب وفي نفس الموضع الذي يعلق عليه المقال ... مما يقطع بأن المقال يتجاهل مناقشة الأدلة المحددة التي يوردها الكتاب .. وفي نهاية تناولنا للملاحظتين الأولى والثانية فإننا نؤكد أننا ــ إذ نرحب أشد الترحيب بالمناقشة الموضوعية لكل ما أوردناه من أدلة وحقائق في كتابنا ــ فإننا نأسى أشد الأسى للجوء الكاتب إلى إلقاء الاتهامات جزافاً بدلاً من مقارعة الحجة بالحجة وصولاً إلى الحق ؛ فكفى ما عانته الأمة الإسلامية وتعانيه من جراء مثل هذا المسلك .

ثالثاً ــ يزعم المقال في ملاحظته الثالثة أن الكتاب ينكر الاجتهاد ..

يرد على ذلك بقوله : « إن الأرض لا تخلو من مجتهد أبداً .. إذ لابد من وجود مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس حكم الله في كل ما يستجد من أحداث » .

وإذا رجعنا إلى الكتاب لتبين لنا عدم صحة ذلك الزعم .. فالكتاب لا يدعو مطلقاً كما يزعم المقال ــ إلى إقفال باب الاجتهاد ... وإنما يدعو الكتاب ــ على العكس من ذلك ــ إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد أمام كل صاحب علم ومعرفة صحيحة مستمدة من القرآن والسنة ، والتي تؤدي بصاحبها إلى استنباط الأحكام الصحيحة في كل ما يستجد في حياة الناس من أحكام ومعاملات وفقاً لمتغيرات العصر وتطوراته ، وذلك مصداقاً لقوله ــ تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ...

سورة النساء ــ الآية : ٨٣

أما ما يستنكره الكتاب فهو الفُتيا بغير علم سواء عن جهل أو إعراض عن العلم الصحيح .. تلك الفتيا التي تؤدي إلى إضلال الناس ، ثم الزعم بأن صاحب الفتوى الخاطئة الذي يضل الناس بفتواه مأجور من الله تعالى ؛ لأنه ــ على ذلك الزعم ــ اجتهد فأخطأ فله أجر !!.. يقول الكتاب في صفحة ١٣ : « لنتحاكم إلى العقل المجرد عن الهوى ونسأل أنفسنا : كيف يكون للمخطيء في الاجتهاد أجر ، وقد أفتى بما لا علم له فيه ؟ وكيف يكون حال من اتبع هذه الفتوى الخاطئة ووقع في المحظور ، واستباح المحرمات التي حرمها الله مسترشداً بهذه الفتوى الخاطئة ؟

ألن يحاسبه الله فيما ارتكبه من ذنوب ومحرمات ؟

أم أن هناك تعطيلاً لما نص عليه شرعاً من جزاء وعقاب في كتاب الله لمن يتبع هذه الفتاوى الخاطئة ؟

كيف يكون للمحرض على ارتكاب الإثم باجتهاده الخاطىء أن يفوز بالرضى الإلهى فيكون له أجر فى حين أن المستفتى الذى يرتكب الإثم يبوء بالغضب والحرمان من الفضل الإلهى ؟...

ورب سائل يسأل هل يتفق هذا الأمر مع العدالة الإلهية ؟

وهل يتفق هذا مع آيات الله فى كتابه العظيم ؟

إن هذا القول السالف ـ فيمن يفتى بغير علم فيخطىء فيما يفتى فيه الناس ـ يتعارض تعارضاً صريحاً مع قوله الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

سورة الإسراء ـ الآية : ٣٦

.. فهذه الآية وهى قطعية الدلالة قطعية الثبوت تدحض تماماً هذا القول الذى يبيح الاجتهاد بغير علم ويعطى الأجر لصاحبه عند خطئه .

ثم يقول الكتاب : (ويتأكد هذا الأمر أيضاً من إسقاط القول السابق فى الفتيا بغير علم بما جاء فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ من قوله عن ابن عباس: « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » .

ثم يعلق الكتاب بعد ذلك على خطورة ذلك المسلك الذى يؤدى إلى انتشار الزيغ والضلال والإلحاد فى آيات الله ، وتنكب طريق الحق نتيجة إطلاق الفتاوى بغير علم ، وفتح الباب ـ تحت شعار الاجتهاد فى الفتيا ـ أمام أصحاب الفتاوى الخاطئة والباطلة الذين يضلون الناس بفتواهم فيقول : (ومن ذلك كله ندرك أنه لا يؤمن بقول الاجتهاد فى الفتيا هذا إلا من زاغ قلبه وأراد الإلحاد فى آيات الله ، وتنكب طريق الحق ، وغاض من قلبه نور الهدى والإيمان ، وقبع فى ظلمات نفسه فظلم نفسه وظلم غيره) .

وعلى الرغم من أن هذه الحقائق التى وردت فى الكتاب ـ كما يظهر من العبارات السابقة ـ واضحة أشد الوضوح وتستند إلى القرآن والسنة الشريفة إلا أن المقال قد أورد عبارة من الكتاب مقطوعة عن سياقها وزعم أن الكتاب يتحدث فى تلك العبارة عن المجتهد (الذى بذل وسعه وطاقته للوصول إلى حكم شرعى بطريق الاستنباط) .. على حين تتحدث العبارة ـ كما يتضح للقارىء فى نصها الذى أوردناه ـ عن الذى يفتى بغير علم فيضل الناس ... ثم ادعى المقال بناء على هذا الزعم أن الكتاب (يصف المجتهدين بأشنع الصفات) ...

وإننا لا نشك مطلقاً فى أن كاتب المقال قد أدرك المعنى الواضح للعبارات التى أوردناها بنصها فى هذا الرد .. ومن هنا فإننا نستنكر بشدة ما يفعله من تقطيع للسياق ثم إلقاء الاتهامات التى لا أساس لها بأن الكتاب ينكر الاجتهاد ويسىء إلى المجتهدين !!..

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من الأحاديث الشريفة تؤكد صحة هذه الحقيقة التى أوردها الكتاب عن أن كل من يفتى الناس بفتوى باطلة فيدعوهم إلى ضلالة مسئول عن إضلال كل من اتبعوه ومحاسب على فتواه الباطلة ...

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ الحديث الشريف : « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر

من عمل بها إلى يوم القيامة » .. ومن الواضح أن هذا الحديث الشريف يقطع ببطلان مقولة : إن المجتهد الذى يخطىء مأجور رغم فتواه الخاطئة ..

حيث يحذر الحديث الشريف المسلم من أن يخوض فى آيات الله بغير علم ، أو يدعو غيره دون بصيرة وإدراك وعلم كامل ، بدعوى الاجتهاد حتى لا يكون سبباً فى ضلال غيره ، وتحمل أوزارهم وحتى لا يكون موضعاً لغضب الله فى الدنيا وعذابه فى الآخرة ..

ولقد أكدت بعض الكتب التى تناولت موضوع الاجتهاد أن الاجتهاد إذا ما انتهى إلى ضلالة أو مخالفة لظاهر الشرع فإن المجتهد يستحق العذاب لا الأجر .. ويكفى فى هذا الموضوع أن نتوقف أمام ما أورده كتاب (اجتهاد الرسول ﷺ للدكتور عبد الجليل عيسى طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٩٧٩) حيث يقول بالحرف الواحد صفحة ٤٤ : (الأجر على تقدير ألا يكون خلاف ما أدى إليه الاجتهاد ظاهراً .. فأما إن كان ظاهراً فلا .. بل يستحق المجتهد العذاب .. ألا ترى أن المبتدعة قد كانوا مجتهدين ؟؟.. فحيث كان خلاف رأيهم ظاهراً استحقوا العذاب) .

ثالثاً : يتهم المقال الكتاب فى الملاحظتين الرابعة والخامسة بأنه يفسر القرآن الكريم (بالهوى) ويفسر الأحاديث الشريفة (وفق هواه) ... وذلك لمجرد مخالفة الكتاب لآراء كاتب المقال حول تغيير المنكر .. إذ يستنكر المقال ويتعجب من قول الكتاب (إن الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » لا يمكن أن يفهم فهماً صحيحاً إلا فى ضوء الحديث الشريف الآخر « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ») .

وإذا رجعنا إلى ما أورده الكتاب فى هذا الموضوع فسنجد أنه يبين أن الفهم الخاطىء للحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » كان ولم يزل سبباً للفتن والصراعات الدموية فى الأمة الإسلامية ، وذلك نتيجة لعدم إدراك حدود مسئولية المسلم تحت شعارات الإصلاح وتغيير المنكر ... ومن هنا ؛ فإن الكتاب يوضح المعنى الصحيح للحديث : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...) وارتباطه بحدود مسئولية كل مسلم عن رعيته والتى يوضحها الحديث الشريف الآخر . « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فالحديث يخاطب كل مسلم ـ حاكماً كان أو محكوماً ـ ويأمره بأن يغير ما يراه من منكر بيده .. فكل مسلم مسئول عن تغيير ما يراه من منكر فى نفسه وفى رعيته بحكم ولايته الشرعية عليهم . وتتزايد مسئولية كل مسلم فى تغيير المنكر فى نفسه وفى رعيته بازدياد هذه الرعية ... فالرجل فى بيته راع ومسئول عن تغيير المنكر فى أهل بيته .. ثم تتسع هذه المسئولية شيئاً فشيئاً بحسب مكانة كل إنسان ومسئوليته فى المجتمع الإسلامى حتى تصل إلى الحاكم .. فنجد أنه مسئول عن تغيير ما يراه من منكر فى رعيته فى حدود ما استرعاه المولى ـ عز وجل ـ عليهم ..

وقد أوضح الكتاب ببعض التفصيل مراتب المسئولية لكل مسلم عن نفسه وعن رعيته وحدود

التكليف الشرعى بأن يغير ما يراه فيهم من منكر بيده ولسانه .. وفى ضوء هذا الفهم الصحيح للحديث الذى يبين بوضوح الحدود الصحيحة لمسئولية كل مسلم عن نفسه ثم عن رعيته إستناداً إلى الحديث الشريف الآخر « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .. فإنه يتبين لنا أن أى مسلم لا يكون مسئولاً ومحاسباً أمام الله تعالى عن ضلال غيره ممن لا يقعون تحت ولايته الشرعية طالما أنه قد التزم هو بتغيير ما يراه من منكر فى نفسه وفى رعيته .. وهو ما يتضح من قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ١٠٥

وإذا كان كاتب المقال لا يتقبل هذا المفهوم للحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » ويصفه بأنه (دعوة إلى السلبية) فإننا نقول : إن ذلك هو المفهوم الصحيح للحديث الذى يتفق مع القرآن والسنة الشريفة والذى يبنى المجتمع الإسلامى السليم الذى تسوده روح الهداية وينشأ أبناؤه النشأة الدينية الصحيحة ، ويتعلمون مكارم الأخلاق على أيدى آبائهم وأهليهم ..

أما الدعوة إلى الفصل بين الحديث « من رأى منكم منكراً فليغيرة بيده ... » وبين فهم مراتب حدود المسئولية التى يوضحها الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فإنها كانت على الدوام الأساس فى استثارة مشاعر الشباب تحت شعارات تغيير المنكر لإحداث الفتن فى المجتمع الإسلامى نتيجة لعدم إدراك حدود مسئولية كل مسلم عن نفسه وعن رعيته ..

ولعل ما يعترف به كاتب المقال نفسه من خطورة المفاهيم الخاطئة للحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » كان كافياً لأن يناقش فضيلته المفهوم الذى أورده الكتاب للحديث الشريف مناقشة موضوعية تكفل الوصول إلى المعنى الصحيح الذى يتفق مع القرآن والسنة الشريفة بدلاً من الاكتفاء بإلقاء الاتهامات جزافاً رغم خطورة هذه القضايا الدينية الهامة ..

رابعاً : فى الملاحظة السادسة يزعم المقال أن الكتاب فى إنكاره لموضوع النسخ فى القرآن الكريم ، وإنما ينكر أمراً شرعياً (انعقد إجماع الأمة على مشروعيته) ، وأن (النسخ واقع بإجماع المسلمين) .

مما يؤسف له أن ما يزعمه المقال من (إجماع الأمة) أو (إجماع المسلمين) على وقوع النسخ فى القرآن هو زعم باطل ليس له أى نصيب من الصحة على الإطلاق ... ونحن نكتفى رداً على هذا الزعم بأن نورد جانباً من الحقائق عن الاختلافات الواسعة بين العلماء حول : معنى النسخ ، وجواز أو عدم جواز وقوع النسخ فى القرآن ، وكذلك الاختلافات الكثيرة والشديدة حتى بين القائلين بالناسخ والمنسوخ .. وذلك نقلاً عن (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) الذى وضعه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ـ الحزب الأول صفحة ١٦٢ الطبعة الأولى عام ١٩٧٢ فى تفسيره للآية ١٠٦ من سورة البقرة حيث أوضح أن العلماء قد اختلفوا حول النسخ ومعنى النسخ وجواز النسخ فى القرآن والسنة فانقسموا إلى ثلاثة آراء :

١ ـ فالرأى الأول يجيز النسخ فى الأحكام الشرعية والنسخ فى القرآن .

٢ ـ والرأى الثانى .. وقد أورده تحت عنوان (رأى آخر فى النسخ) حيث قال : (ومن العلماء طائفة لا يقولون بنسخ الأحكام فراراً من (البداء) المستحيل على الله .. فإن تغيير الأحكام فى الشريعة الواحدة شأن من لا يعلم المصلحة كما ينبغى حينما شرع .. فلما علمها عدل عما شرعه أولاً .. وذلك لا يليق بالله تعالى العليم الحكيم) ..

ثم تحدث عن موقفهم من الآيات التى يبدو فى ظاهرها التعارض فقال : (يؤول أصحاب هذا الرأى الآيات التى ظاهرها التعارض والنسخ بحيث يعلونها عن دائرة النسخ بمعنى تغيير الحكم) .

٣ ـ الرأى الثالث .. وقد أورده تحت عنوان (رأى ثالث فى النسخ) حيث قال : (ومن الباحثين من قال : إن المراد بالآية : المعجزة .. المراد بنسخها تغيير) ... واستفاض فى شرح ما تراه هذه الطائفة من أن معنى نسخ الآيات هو أن الله ـ تعالى ـ يؤيد كل نبى بالمعجزات التى تلائم عصره وتناسب قومه ...

وبعد أن أوضح (التفسير الوسيط) وجود الاختلافات الواسعة فى آراء العلماء ... وأتى على امتداد عدة صفحات ببعض الأقوال لكل فريق وأدلتهم واختلافاتهم فيما بينهم ـ ذكر أن هناك مطولات ضخمة تتناول هذه الاختلافات والآراء فقال فى صفحة ١٦٧ : (ومن أراد مزيداً من البيان فليرجع إلى المطولات للموازنة بين تلك الآراء) .

ولقد كان أولى بكاتب المقال أن يطلع على ما كتب عن الناسخ والمنسوخ وتفاصيله بدلاً من أن يرمى المؤلفين بالاتهامات الباطلة .. وكان أولى به أن يناقش الأدلة القرآنية التى أوردها الكتاب ، والتى تقطع ببطلان ما يقال عن الناسخ والمنسوخ .. ومن ذلك قول الكتاب : أن قوله ـ تعالى :

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ .

سورة ق ـ الآية : ٢٩

يقطع بأن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل كلامه ولا يستبدل أحكامه فى قوله لعباده بقول آخر ... وطالما ثبت لنا بالدليل القرآنى ـ الذى هو قطعى الثبوت قطعى الدلالة ـ أن المولى عز وجل لا يبدل قوله لعباده ... فمن ثم فلا ناسخ ولا منسوخ .

وفى نهاية ردنا على هذا المقال فإننا نؤكد استعدادنا الكامل للمناقشة الموضوعية لكل ما ورد فى الكتاب حتى تستقر المفاهيم الدينية الصحيحة التى تتفق مع القرآن والسنة الشريفة وتدرأ عن ديننا ومجتمعنا الإسلامى ما يراد به من فتن .

التوقيع

مؤلفو كتاب (تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة)

أ.د / صفوت حسن لطفى

أستاذ التخدير بطب القاهرة

د / محمد عبد العظيم على

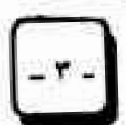
أخصائى القلب والأوعية الدموية بمستشفى مصر للطيران

محاسب / جلال يحيى كامل

الأزهر والمرصفة والأدب

الشيخ محمد نائل المرصفي

رائد الصحافة الأدبية المتطورة





للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

تكاد قرية (مَرْصَفَا) بمحافظة القليوبية ـ في مبلغ علمي ـ ، تكون منجماً لعدد لا يُحصى من علماء الشريعة وجهابذة الأدب ، ولا تماثلها في ذلك أية قرية أو مدينة في مصر ، وهي قرية كبيرة ، تحفل بمشاهد الخُضرة والنضرة ، وحقول السنابل الذهبية ، والأغصان المتهدلة ، والأزهار المُطرَّزة بالندى .. وتموج بالشادين وأعلام المربين والمثقفين ، وهي تسير قُدُماً مع خُطا الزمن ، تتجدَّد بتجدُّده ، ولا تهرم بهرمه .. وكأنها لا يقرّ قرارها حتى تلحق بركب العلم والعرفان ، وتسير معه جنباً إلى جنب ، لتستمر في تقديم ثمارها الناضجة ، من رجال العلم والمعرفة .

***

والأستاذ محمد نائل المرصفي ـ رحمه الله ـ ، هو ـ بدوره ـ أحد أعلامها البارزين .

وُلد بمرصفا ، ونشأ بالقاهرة في الحي الحُسَيْني .. ولم نستطع الوقوف على تاريخ ميلاده على وجه الدقة فيما بين أيدينا من مراجع ، وإن كانت تقرر أنه ولد في يوم ما من عام ١٨٨٣ م ، وتلقى العلم بالأزهر لفترة ما ، ثم بدار العلوم ، حتى التحق بالجامعة المصرية القديمة عند إنشائها ، وكان يزامله في طلب العلم بها رفيق صباه ، الأزهري ، الشيخ (طه حسين) .

وتولى التدريس ، بعد التخرج ، بمدارس طنطا الثانوية ، ثم عُيّن مدرساً للغة العربية بمدارس الفرير الفرنسية بالقاهرة . وصدرت له كتب ألّفها أثناء اشتغاله بالتعليم ، نذكر منها :

١ ـ الإبداع في رسم اليراع (في الإملاء) سنة ١٩٠٥م .

٢ ـ أدب اللغة العربية (في جزأين) مطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦هـ .

٣ ـ القول المراد من (بانت سعاد) مطبعة الشعب سنة ١٣٢٩هـ .

٤ ـ زهرة الرسائل سنة ١٩٠٨ وقد نسبها يوسف إلياس سركيس ، ـ خطأ ـ ، في كتابه (معجم المطبوعات ص١٧٣٥) إلى الشيخ حسين المرصفي .

٥ ـ لآلىء الإنشاء .

٦ ـ تعليقات على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده .

٧ ـ شرح الرسالتين : السينية والشينية للحريري .

٨ ـ قواعد اللغة العربية .

٩ ـ تاريخ ابن المقفع في سبع وعشرين صفحة ، مقدمة لكتاب : (حكم بيدبا وحكم ابن المقفع) .

١٠ ـ دراسة الشعراء الخمسة ، وهو آخر مؤلفاته[١] .

***

وقد اعتزل نائل المرصفي التدريس في عام قيام ثورة ١٩١٩ ، فانتضى قلمه مكافحاً ومُحلِّياً في حقل السياسة والأدب ، على صفحات : (المؤيد) و (الجريدة) ، ثم أسندت إليه إدارة المطبوعات بالإسكندرية عام ١٩٢٢ ، وأسهم في تحرير (جريدة مصر) ، وتولى منصب مدير تحرير جريدة (السياسة) حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم رأى أن يستقل لنفسه ، فأنشأ مطبعة عصرية خاصة به ، تتولى طبع مؤلفاته الخاصة ، ومجلته :

١ ـ الجديد ، التي أصدرها في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٢٨ ، وكانت تحفة فريدة في الصحافة الأدبية في ذلك الوقت ، استمرت حتى عام ١٩٣٢[٢] ، وأعاد إصدارها بعد ذلك نجله (أنور المرصفي) بعد وفاة والده .

٢ ـ مجلة شهرزاد ، التي أصدرها عام ١٩٢٨ ، وآخر أعدادها برقم ٢٨ في السنة السادسة من إصدارها . وبلغ عدد صفحاتها عشرين ألف صفحة .

٣ ـ كذلك أصدر مسامرات شهرزاد ، وهي روايات مستقلة ، تقع كل منها في حوالي ١٣٠ صفحة ، وتباع بقرش صاغ واحد ، وبلغ تعدادها خمسين ومائة رواية ، وقد قام هو نفسه بترجمة العدد ٣٦ من مسامرات شهرزاد الذي حمل عنوان (الاعتراف) ، كما وقفنا على ذلك من فهارس دار الكتب ، وقد يكون ترجم أعداداً أخرى من هذه السلسلة وإن لم يثبت اسم المترجم في سائر الأعداد .

٤ ـ مسلسلات شهرزاد ، وبلغ عددها عشرين رواية كبرى ، أخرجها بعد نشرها على حلقات بالمجلة ، وطبع كل واحدة منها على حدة .

---

(١) انظر مقال الصحافي العجوز بعدد جريدة الأهرام الصادر في ٢٦ من ذي الحجة ١٣٥٣ هـ غداة وفاة نائل المرصفي .

(٢) وقد تفضل فضيلة الأستاذ الدكتور علي أحمد الخطيب بإعارتي مجلد السنة الأولى منها من مكتبته الخاصة ، حيث اعتمدت عليها كل الاعتماد في الكتابة عن نائل المرصفي صحفيا .

كتب الأستاذ محمد نائل في افتتاحية العدد الأول من (الجديد) يقول : « بهذه الصحيفة (صحيفة الجديد) ، حاولت أن أقدم إلى قراء الصحف العربية ، مجهوداً أرجو أن أوفق فيه إلى ما أردت ، وليس لي إلا الله وحده ، أستمد منه العون والتوفيق ، فالحمد لله ، والشكر لأصدقائي جميعاً ، أولئك الذين أمدوني بما سيراه القراء من تشجيع وتأييد » « ولما كانت مُعدات ـ الجديد ـ لم تكمل حتى الآن ، فستصدر نصف شهرية مؤقتاً ، فإن تفضل حضرات القراء ، بإسداء ما يبدو لهم من ملاحظات ، أشكر لهم هذه اليد ، وأكنْ عند رأيهم فيما أستطيع » .

***

وهكذا ، نجد أن محمد نائل المرصفي ، قد شقَّ للصحافة الأدبية والعلمية طريقها ـ قبل صدور (أبوللو) لأحمد زكي أبوشادي ، و(الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، و(الثقافة) لأحمد أمين . وقد اقتحم الميدان بمجهوده الفردي ، مُدعَّماً بما حصَّل من علم وتجربة وخبرة ، وإتقان للغة الفرنسية . وقد تجلى ذلك بوضوح في صفحات (الجديد) ، فكانت أشبه بطفرة أو قفزة في عالم الصحافة ، عما حوت بين دفتيها من جهد كبير .

والحق أنه كان حريصاً ـ طوال إصداره لأعداد الجديد ـ على التنويع والابتكار ، وتقديم كل ما هو (جديد) في العلم والمعرفة ، والثقافة والأدب ، لتكون اسماً على مُسمّى بحق ، وكأني به كان يتمثل قول القائل :

لا عُذْر للشجـــر الـــذى طابت له   أعراقــه .. أنْ لا يطـــيب جنـــاه

فحرص نائل المرصفي ، أشد الحرص ، على أن يطيب جناه ـ كما طابت أعراقه وأغراسه ـ فدفعه ذلك على الانفتاح على شتى ألوان الفنون والآداب والمعرفة في زمانه ، ترفده حاسة أدبية ، ولغته العربية الأم ، ثم تلك اللغة الأجنبية التي يجيدها كل الإجادة ، لينفذ من خلالها إلى ما يريد ، وينتقي من كنوزها ما يستجيد .

ونظرة إلى مواد أعدادها ، تُدلِّل على ما نذهب إليه ، وقد حشد لها أقلام طائفة من كبار الكتاب .. وحسب القارىء أن يعلم أن من أبوابها :

في الأدب العربي ـ صور وأخلاق ـ المرأة في العالم ـ من أدب الغرب ـ طبيب العائلة ـ في زوايا التاريخ ـ بسائط العلم ـ عجائب المخلوقات ـ عالم المخترعات ـ تدبير المنزل ـ معرض الجديد ـ قصة الأسبوع الخ .

ولأنه لا يوجد توقيع تحت معظم هذه المواد والأبواب ، فإن الباحث يجد نصباً كبيراً في محاولة التعرّف على ما هو من نتاج نائل المرصفي ، وما هو لغيره .. وربما كان كل ما لا توقيع تحته ، له

شخصياً ، لاتساع مداركه وامتداد آفاق اطلاعه ، وسلاسة أسلوبه .

***

وقد استقبل النقاد والأدباء صدور هذه المجلة الفريدة باحتفاء كبير ، وهذا هو الدكتور محمد حسين هيكل يستقبل (الجديد) عند صدورها ـ بعد اطلاعه على (ملازمه) الأولى ، بما حوت من مقال وقصة ، ورسم وتصوير ، وفكاهة وشعر وطرائف ، ونقل للمكتشفات الحديثة والحوادث والأخبار وأنباء الجديد من المؤلفات ، فيقول : « يظهر اليوم أول عدد لمجلة (الجديد) ، التى أصدرها زميلنا الأستاذ محمد المرصفى ، مدير إدارة (السياسة) ، ويظهر فى ثوب صحفى جديد .

وليست تقف جدّته عند دقة الفن ، فى تصوير غلافه تصويرا تجذب النظراً ـ رقته ورشاقته ، ولاعند جمال طبع المجلة كلها ، وما فيها من صور ورسوم ، بل تتناول هذه الجدّةُ ما يعالج من موضوعات .. ففيه الجد الذى يطلبه القارىء غذاء لنفسه ، مدبجا بأقلام كبار الكتاب ، وجهابذة الأساتذة ، ويكفى أن نذكر أسماء : الدكتور مشرفة والدكتور مرتضى ، ليرى القراء دسم هذا الغذاء ، وأن نذكر كذلك اسمى الأستاذين : عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ..الخ » .

وبرغم ما نال (شوقى) على يد العقاد فى (الديوان) سنة ١٩٣٤ ، فإننا نجد المازنى فى العدد الرابع من السنة الرابعة من (الجديد) ـ الصادر فى ٩ من فبراير سنة ١٩٣١ ـ ينصف شوقياً فى مسرحية (مجنون ليلى) ـ ولو أنه أخذ على شوقى بعض المآخذ ، مثل تعمد شوقى فى الفصل الثالث من المسرحية :

تقليد خطبة (مارك أنطونيو) على جثة قيصر فى رواية شكسبير (يوليوس قيصر) .

وقلد فى الفصل الرابع منظر الجن فى رواية تليماك ، وعالج أن يجىء بمثل الشبح فى رواية (هملت) لشكسبير .

يقول المازنى : « ولو خلت الرواية ـ (أى مسرحية مجنون ليلى) ـ من كل هذه المناظر ، لما نقصت شيئا .. ثم يتحدث عن شعر المسرحية ، فيقول : « هذا من ناحية التأليف ، أما من ناحية العبارة فمتينة الأسلوب جزلة ، وأما الأداء فمحكم رصين ، لا عيب فيه ولامأخذ » ثم يضيف : « إنه ـ أى شوقى ـ ولامكابرة فى الحق ، مُفترع هذا الطريق البكر ، ولانراه إلا يزداد نضجاً على ارتفاع السن ، فإن شعره فى الجملة ـ إلا قصائد قالها مضطراً ـ بعد لبثه سنى الحرب فى الأندلس ـ خير وأجود وأرصن من شعره قبل ذلك .. » .

***

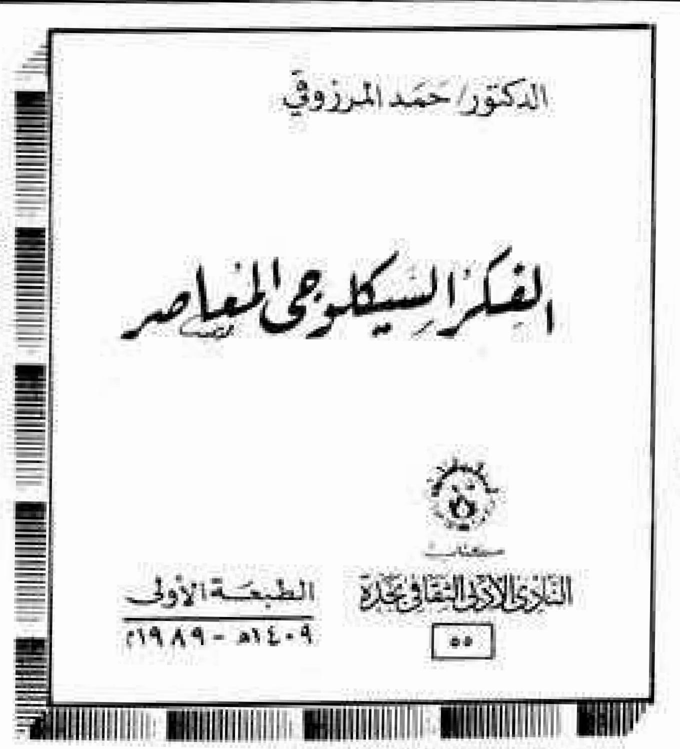
وبعد أن قطع محمد المرصفى شوطاً كبيراً فى إصدار (الجديد) نجده يقول فى مستهل العدد الأول من السنة الرابعة ، الصادر فى ١٩ من يناير سنة ١٩٣١ «تستهل الجديد عامها الرابع بهذا العدد ، وهى فى جهادها العنيف ، تحاول إرضاء فريق كبير من حضرات القراء ، فى مصر وغير مصر .. ولما كانت « الجديد » ــ من نشأتها الأولى ــ لم ترد أن تكون تاجرة ــ وإن كانت فى حاجة إلى المال ــ ولم تطمع يوما من الأيام ، أن ترضى الناس جميعاً ــ وإن كانت فى حاجة إلى القراء ــ وقد ثابرت على خطتها التى خبرها قراؤها ، والتى إنما ترمى إلى التثقيف والتنوير ، وتصوير الحضارات المختلفة ، فى العالم كافة ، ونقلها نقلا صحيحا ، يضج بمزاجها العقل ، وتنهض على شىء كثير من أصالة فى الرأى ، وبسطة فى الاطلاع » .

« لقد كان أسلوبها أبدا كثير التنويع والتبويب ، غزير المادة ، فيّاضا بما يزعم صاحبها أن فيه فائدة لا تخلو من لذة ، وتقرير نظرية لا تخلو من متعة .. » .

ثم يقول : « إن الجديد صدرها يتسع إلى غير غاية فى تقبُّل كل ملاحظة ، وكل إرشاد ، سواء فى ذلك ما كان من خصومها ، أو من مريديها » .

وصفوة القول أن محمد حسن المرصفى قد بلغ ما بلغ من نجاح وتوفيق فى إعداد وإصدار (الجديد) ، بفضل ما تميز به من ثقافة موسوعية شاملة ، تفسح له مكانا بارزا فى أنصع صفحات (المراصفه) ، فى مجال العمل الصحفى بصفة خاصة .





عرض وتقديم
عبد السلام إبراهيم ناصف

نعرض لكتاب الفكر السيكولوجي المعاصر للدكتور حمد المرزوق أحد أساتذة علم النفس المعاصرين بالمملكة العربية السعودية(*) والحاصل على هذه الدرجة العلمية من جامعة متشجان الأمريكية عام ١٩٨٠ ، والكتاب أحد سلسلة الكتب التي يُصدرها النادى الأدبي الثقافي بجدة وهو الكتاب الخامس والخمسون في هذه السلسلة والذى صدر عام ١٩٨٩ والكتاب من القطع المتوسط ويقع في مائة وخمس وعشرون صفحة وينقسم إلى أربعة فصول عدا مقدمته التي عرض فيها خلفية وظروف ومبررات إهداء هذا المؤلف والهدف منه .

الفصـــل الأول

مدخل لدراسة الإرشاد النفسي

مما لاشك فيه أن للتعريف أولوية مطلقة ـ إلا أن المؤلف يستعرض العوامل التي أدت إلى تطوره كعلم أو كفرع من فروع علم النفس .

أولا : تطور المعرفة السيكولوجية :

انتقل علم النفس من ميدان التأمل الفلسفي إلى ميدان التخصص وأصبح العمل النفسي مهنة تخصصية لها قواعد ومناهج تجريبية في تفسير السلوك الإنساني وفهم مقوماته وعناصره ـ وإن كان ذلك لم

(*) جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

يرق إلى مستوى المعرفة اليقينية certain knowlege كما هو الحال في العلوم الطبيعية ـ مما أدى إلى تعدد مدارسه التي تهتم بتفسير السلوك الإنساني من خلال المتغيرات الاجتماعية والثقافية والصراعات الأيديولوجية التي تحكم عالمنا.

ثانيا : تطور العلاج النفسي :

كان المرض النفسي خاضعا للشعوذة والسحر ـ حتى بذل « أبوقراط » جهدا استنتج منه أن هناك علاقة بين المرض العقلي والجسدي ـ وفي العصر اليوناني تم دراسة السلوك الإنساني من زوايا متعددة وتحدد تبعا لذلك مفهوم العلاج النفسي.

وعندما جاء الإسلام حاول المفكرون الإسلاميون مثل « ابن سينا » و« ابن طفيل » و« الفارابي »، أن يستخلصوا تصورا متكاملا للسلوك الإنساني.

ولقد كان لتركيز علماء العصر الحديث على اللاشعور الفضل في التمهيد لدراسة التحليل النفسي، حتى كان Games Braid الذي اهتم بالتنويم المغناطيسي كأسلوب جديد لعلاج المرض العقلي بعدما كان ينظر إليه على أنه نتيجة حتمية لأسباب عضوية أو بيولوجية، وأصبح ينظر إليه على أنه نتيجة لاختلال وظيفي وطبقي وثقافي واجتماعي.

وأصبح مفهوم « الصحة النفسية » يرتبط بمجموعة من معايير ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية إلى جانب التركيب الفسيولوجي ومكونات الفرد الذاتية.

بمعنى أن المرض والصحة بمقياس الدراسات النفسية الحديثة أصبح يرتبط بمجموعة عوامل متشابكة معقدة ومتداخلة مما أضاف إلى التحليل النفسي صفة الشمول وتنوع الميادين وتعدد الوسائل.

وأصبح مفهوماً أن الاختلاف بين السوى والمريض يتحدد في الدرجة وليس في النوع.. ومن ثم لم يعد هناك داع لعزل « المريض العقلي » كما كان متبعاً في مصحات عقلية وإمكانية علاجه بين أفراد المجتمع، بل ظهرت مراكز التوجيه والارشاد ومراكز الصحة الاجتماعية العقلية Community Mental Health التي تهتم بالعلاج في البيئة المفتوحة. ولا يحتفظ بالمريض العقلي داخل جدرانها إلا في الحالات الخطيرة.

كذلك يتجه هذا العلم لدراسة الفروق الطبقية بما تفرزه من مشاكل اجتماعية ونفسية استدعت ظهور نوع من العلاج يعرف بـ « العلاج بالعمل ».

تطور الخدمات النفسية :

وقد حاول المؤلف تحديد معنى « المرض النفسي » و « الإرشاد النفسي »، أما المرض النفسي فهو :

عدم التكيف مع البيئة. كما يرى سكوت Scott. وهناك من يقيس المرض النفسي بمقدرة الإنسان على ثقته بنفسه كما يرى الطبيب النفسي لويس Lewis إلا أن المؤلف يخلص إلى تعريف المرض النفسي بأنه استجابة لصراع نفسي بين متغيرات ذاتية وأخرى موضوعية ينشأ عنه عدم القدرة على تنظيم مجال ادراك الوقائع الذاتية والموضوعية.

وأما الارشاد النفسي فهو :

العلاقة بين المعالج والعميل يطلق فيها الأول منهما متخصصاً مرتكزاً على معرفة منظمة Systematic Knowledge فى محاولة لتحسين الصحة النفسية للعميل ، وذلك وفقاً لما يراه « باترسون » Patterson والواقع أنه لا يوجد فارق كبير بين « الإرشاد النفسى وبين العلاج النفسى » إذ يسعى كل منهما لحل مشكلة نفسية تتصل باعادة توازن الفرد ومقدرته على التوافق مع معطيات البيئة الذاتية والموضوعية لكى يصبح عضواً ناجحاً متفاعلاً مع متغيرات بيئية . وإن كان العميل فى حالة الإرشاد يتميز بنوع من الاستقلال بالرأى والمقدرة على تحمل المسئولية تفوق زميله فى حالة العلاج النفسى .

الفصل الثانى
الإطار النظرى للإرشاد

أولا ـ التحليل النفسى :

ركز « سيجموند فرويد » رائد التحليل النفسى على الحتمية البيولوجية ودورها فى تشكيل السلوك وتحديد اتجاه الشخصية ... مما يترتب عليه تفسيراً ميكانيكياً للإنسان .

فالحياة العقلية تتألف من الشعور وهو : ما ندركه وما نعيه ، واللاشعور : المختزن فى قاع النفس وما لا يدركه الفرد . وهى تتألف من الرغبات الأولية المكبوتة أو الموروثة والتى تبحث عن الأشباع بطرق ملتوية أو معدلة كالرغبات الجنسية والأفكار ذات الجذور البعيدة من الطفولة .

والعلاج النفسى يهدف إلى : تقوية (الأنا) ego لتتمكن من ادارة الصراع وتطويعه للواقع ـ وكذلك : تبصير واع بكل الدوافع ، مستعيناًبتفسير الأحلام وبحصيلة التداعى الحر المكتسب أو اللاشعورية التى يمكن أن يحولها إلى الشعور .

ثانياً ـ علم النفس الفردى :

اهتم « الفريد ادلر » بالفروق الفردية .. فنادى بالنظر إلى الإنسان كوحدة شاملة من خلال أسلوب الحياة . لأنه نتاج لطبيعة اجتماعية .

كما يفسر الاضطرابات على أنها تثبيط همه أكثر منها مرضاً نفسياً .

علم النفس التحليلى :

لم ينكر « كارل يونج » دور الغرائز فى تحريك السلوك لكنه اهتم بالدين باعتباره يحقق توازناً نفسياً للفرد ، فركز على مفهوم تحقيق الذات كغاية سلوكية يمارس الإنسان صراعاً للوصول إلى تحقيقه أما بالتقمع أو التفرد .

ويرتبط مفهوم العلاج عند يونج بعملية تربوية وتأهيلية واكتساب بصيرة ذاتية بمحتويات النفس البشرية .

ومن ثم تبدو مهمة المعالج فى إقامة توازن بين الشعور واللاشعور لاستمرار عملية التفرد أو اعادة بناء شخصيته بعد عملية تحليلية شاملة ، ولعل هذا أقرب تفسير للرؤية الإسلامية التى ترى أن الإنسان يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

التحليل النفسى الحديث :

قارن كل من « كيرن هورنى » و « ايريك

فروم » و « سليفان » بالنظر إلى الإنسان بإيجابية مع عدم التركيز على الحتمية البيولوجية كمحرك للسلوك ـ على عكس فرويد ـ وان للقيم والمثل والعوامل الحضارية دوراً مهماً في تشكيل سلوك الفرد ـ مع عدم إغفال أهمية الأهداف المستقبلية التي تتدخل لتغيير سلوكه .

الفصل الرابع

الاتجاه السلوكي :

يرتبط العلاج السلوكي بمبدأ التعليم .

لقد ركز كل من « بافلوف » و « واطسون » و « ثورنديك » و « سكنر » على بلورة الأساس النظري لهذه المدرسة بينما اهتم « لازارس » و « ايزنك » و « ولب » و « بندورا » إلى التطبيق العلاجي لهذه المدرسة .

وتهتم المدرسة السلوكية بالتجربة تقنين ملابسات الظواهر السلوكية ـ بعيداً عن الشعور واللاشعور ـ والاعتماد على معرفة السلوك الإنساني والقوانين التي تحكمه لتعديله أو تغييره التي تهتم بالبيئة الخارجية ودورها في تشكيل السلوك . واكتشاف المثير لكل استجابة ـ وأجرت العديد من التجارب المعملية على الحيوانات لاستخلاص مبادىء « الاطفاء » Exinction والتعميم Generalization وغيرها من المبادىء التي توصلوا بعدها إلى مفهوم تعديل السلوك Behavior Moditication

أما « ولب » فقد استخلص من تجاربه إمكان التخلص من استجابة وإحلال أخرى مناقضة لها . فالشخص يمكنه بالتدريب على إثبات الذات Assertive — training على تعديل سلوكه وانتهى « دولارو » و « ميللر » إلى أن التعليم هو محاولة لتعديل أو تغيير السلوك إذ لا يمارس الإنسان المتحضر سلوكه من واقع بدائي غريزي لكنه يتعلم كيف يهذبه أو يعدله أو يتسامى به مع التسليم بوجود « الكبت » ودوره في تخزين الرغبات في اللاشعور وإن كان يؤخذ عليها أنها تتعامل مع العرض دون السبب ومن ثم فهو علاج تأهيل Rehaditation أكثر من علاج نفسي .

وبعد :

فهذه نظرة على العلاج النفسي من خلال المرشد النفسي الذي استعانت به المملكة العربية السعودية بدور التعليم بمراحله المختلفة ، والذي يتم اختياره من بين الحاصلين على دراسات علمية وعملية في علم النفس وفروعه وذلك لتعديل سلوك الطلاب الغير السوي والتسامي به لمستوى يمكنه من التفاعل والعيش في بيئته الإسلامية .

ولو أنه قد تغاضى عن القصد أو النية (الحافز أو الدافع) في هذا الكتيب وهو ما يؤخذ عليه فالعمل نية وسلوك والنية تسبق السلوك وتحدد درجته ومستواه فإنما الأعمال بالنيات ، كما كنا نأمل أن يكون عنوان الكتاب أكثر دلالة على هذا المضمون المهم الخاص بالعلاج والارشاد النفسي .

والحقيقة أنه جهد مشكور من هذا المؤلف وخطوة رائدة على هذا الطريق ، نأمل في الاستفادة القصوى منه ـ وخطوة على الطريق ـ نأمل في المزيد من أمثاله .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

من أخلاقيات الإسلام

الصدق ضد الكذب ، ولا أعتقد أن هذين الضدين يجتمعان فى قلب مؤمن ، بل إنهما يتصارعان حتى يخرج أحدهما الآخر .

والصدق أنواع : هناك الصدق مع الله - عز وجل - مصداقاً لقوله - تعالى :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

وهناك الصدق مع رسول الله ﷺ : كصدق الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دون عذر ، فكان صدقهم سبباً فى توبة الله عليهم . يقول - تعالى :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

[التوبة : ١١٨]

وهناك الصدق فى الأقوال والصدق فى الأفعال والصدق فى النية ... الخ . ثم الصدق بعد هذا : كلٌ لا يتجزأ ، فمن تحرى الصدق ، صدق فى هذا كله بتوفيق من الله - تعالى .

حول هذا الخلق من أخلاق الإسلام تلقى الباب كلمات عدة تدور حول هذا المعنى ، وتحاول أن تبرز أهميته فى دنيا المسلم وآخرته .

الكلمة الأولى : من القارىء/ عصام محمد عبدالباقى ، بمؤسسة الشرق لخدمات الكمبيوتر والطباعة ، جاء فيها :

من أفضل الفضائل « الصدق » ومن أرذل الرذائل « الكذب » ولقد لقب رسولنا الكريم صلوات ربى وسلامه عليه « بالصادق الأمين » فما أعظمها من صفة يتصف بها إنسان! ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصادقين بقوله عز وجل :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بأن يكونوا صادقين ، وأن يجالسوا الصادقين . وذلك فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [١١٩ التوبة]

وفى الجانب الآخر فإن الله ـ سبحانه ـ قد ذم الكذب والكاذبين وقال ـ وقوله الحق :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

[الزمر : ٦٠]

وقد وردت ـ فى التحذير من الكذب ـ أحاديث صحيحة الإسناد صريحة النص .

فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ـ رضى الله عنهم ـ عن النبى ﷺ قال : « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له » . رواه أصحاب السنن بسند صحيح وعن سفيان بن أسيد ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت له به كاذب » رواه أبو داود والإمام أحمد .

● ● ●

● الكلمة الثانية : من المحاسب / نبيل سعيد مصيلحى بكلية التربية جامعة الزقازيق ، ويبرز فيها « أخلاق الإسلام ـ بصفة عامة ـ ودورها فى نهضة الأمة » . يقول فيها :

قال الشاعر : « إنما الأمم الأخلاق مابقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا » .. فبالأخلاق الفاضلة امتدت الأمة الاسلامية بحضارتها وعدلها وقوتها من مشارق الأرض إلى مغاربها ، وبها قامت واستقامت أمورها ، وكان لها الغلبة والنصر على أعدائها .

فالاستمساك بدين الله هو السبب الأقوى للنصر على كل متدنيات النفس الشريرة . وفى ظل أخلاق الإسلام العظيم بزغت الثقافة الإسلامية فضفاضة الأسارير ، فأينعت وترعرعت مزدانة مزدهرة كالورد فى فصل الربيع ينهل منها الناهلون رحيقاً لا ينضب .

وأقول : إن هذه الثقافة بمدلولها الجليل ، وبكل ما ابتكره وأبدعه العقل المسلم فى العصور الغابرة كان منبعها الإسلام ، ذلك الصرح الشامخ الذى يحارب فى شتى بقاع المعمورة فكريا بعد ما خابت معه الأساليب الأخرى ، تلك الأساليب الحاقدة المتدنية فى صدور أعداء الله ، هؤلاء الذين يعلمون يقيناً أن فى ديننا الحنيف منابع الأخلاق التى إذا تحلى بها شعب أصبح قمراً فى سماء الكون يمحو بضوئه ظلام المساوىء والجريمة والظلم ، إلى غير ذلك من أفعال إبليس اللعين وأعوانه .. كفانا الله شرهم ، وهدانا الله بفضله إلى سواء السبيل ، متحلين بالأخلاق التى يدعو إليها كتاب الله وتدعو لها سنة نبيه محمد ﷺ .. ناعمين فى ظل ديننا الخاتم بأعظم حضارة عمت أرجاء الكون من قبل ولاتزال .

كما تلقى الباب فى هذا الصدد ـ كلمة ثالثة من الطالب / محمد حسين يوسف على .. بمعهد إسنا الدينى ، وكلمة رابعة من الشيخ / خيرى محمد أبوالروس .. خطيب مسجد بالدقهلية ، غير أن الكلمتين تتسقان فى معناهما العام مع هذا المفهوم المتقدم ، ومن ثم اكتفينا بالتنويه عنهما ، شاكرين لهما جهدهما .

تعقيب على حرمة التدخين

كتب الأستاذ / حماد محمد أحمد من علماء الوعـــظ والإرشاد ـ الحاصلين على تخصص التدريس عام ١٩٥٦ من كلية أصول الدين ـ تعقيباً مسهباً حول ما نشرته مجلة الأزهر عن التدخين وأبعاده ، يدلى فيه بدلـــوه حول « التدخين » ومدى حرمته وأثره على النفس والعقل والمال والأبناء ، وهو إنما ينطلق من قاعدة الكليات الخمس التى يقرر الإسلام المحافظة عليها ، وهى : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، والحقيقة أنه لولا اهتمام قريب سبق من المجلة بهذا الموضوع لأفسحت المجلة مكانـــاً لكلمته ، فنشكر الله ـ تعالى ـ له .

الروتارى والماسونية

كما تلقت المجلة كلمة الأستاذ / ابراهيم حفناوى ـ من القرين شرقية ـ حول موضوع اهتـمت به ـ مؤخـراً ـ بعض الصحـــف الإسلامية ، وهو علاقة نوادى الروتـــارى بالماسونية من حيث الوحدة فى المنهج والعقيدة والهدف ، وقد سبق لمجلة الأزهر أن نشرت فتوى بتحريم الانتماء إلى هذه النوادى .

نشكر للكاتب اهتمامه بهذا الجانب وغيرته على الدين .

وصلتنا رسائلكم

السادة :

نجاح عبدالقادر سرور ، أسامة أبو حسيبه محمد ، عاشور محمد محمود أحمد ، عماد ميزار عبدالعظيم ، أحمد محمد المنشاوى ، السيد فخر الدين حسنين ، مصطفى محمود مصطفى ، يحيى السيد النجار ، أحمد زكريا عبدالعزيز ، محمود محمد أحمد أبو الدهب ، شريف صلاح مجاور ، أبو الخير سيد عبداللطيف ، عماد اسماعيل عبدالمجيد ، محمد عبدالفتاح ابراهيم حسين ، عبدالحميد فتحى ، سحر يحيى عبدالحميد ، سمير عبدالله محمد حسنين ، عاطف عبدالمنعم عمر ، أشرف صفوت أمين محمد ، عبدالله محمد عبدالله ، أحمد محمود الطباخ ، داود الطيب خليفة ، طلعت مرزوق عبدالعزيز سعد ، رمضان إبراهيم الأقرع ، ووسيم عبدالعليم عرب ، والشيخ رمضان بخيت.

بإعزاز وتقدير تلقينا رسائلكم وسنعمل بعون الله ـ تعالى ـ على تلبية رغباتكم ما وسعنا الجهد ، وسوف نتناول منها بالعرض أو التعليق ما يتصل بهذا الجانب فى أعداد لاحقة .

من دعاء النبيين

وتلك رسالة فى موضوع الدعاء ، قدم فيها صاحبها شرحاً لمفهوم الدعاء وآدابه ، وجمع جانباً من دعاء القرآن الكريم على لسان بعض النبيين عليهم السلام ، ونظراً لضيق المساحة فإننا نقصرها على دعاء النبيين للاسترشاد به :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة البقرة

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[هود : ٥٦]

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[يوسف : ١٠١]

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

[ابراهيم : ٤٠]

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة طه

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[الأنبياء : ٨٣]

عبدالعليم الزهرى
خطيب بندر البدارى بأسيوط

البلاء من أنفسنا

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

بهذه الأبيات صدَّر القارىء/ أحمد زكريا عبدالعزيز .. بكلية أصول الدين بأسيوط .. كلمته عن أهمية الوفاق العربى وخطر النزاعات وحب الذات ، كذلك كتب عما يجرى فى العالم ضد المسلمين من ظلم وفزع وترويع وسفك دماء .

ويرى الكاتب أن المسلمين هانوا على أنفسهم فيما بينهم فهانوا على عدوهم ، وأن التمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيهما العلاج الناجع .



اتخاذ موقف

كما بحث الأستاذ / يحيى السيد النجار - من دمياط - همّ المسلمين بعدما تخطت أعدادهم المليار لتكثيل الجهود من أجل اتخاذ موقف حاسم من السهام الموجهة إليهم ، لا سيما بعد أن اتسعت دائرة التحالف الشيطانى ضدهم وضد مقدساتهم ، غير أن هذا الموقف - فى تقديره - لابد أن يبدأ بالتخلص من كل صور التبعية .

العفو عند المقدرة

لقد تكشف لنا « فتح مكة » بقيادة المصطفى ـ ﷺ ـ عن خاصية « العفو عند المقدرة » فى رسول الله ـ ﷺ ـ إذ أصبحت مقاليد الأمور بيده ، وأصبح أمره ـ فيمن ناصبوه العداء هو وأصحابه ـ نافذاً ، وإذا به ـ ﷺ ـ يسألهم ـ وهو فى موقف القوة : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال لهم : لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف لأخوته : لاتثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ، أو كما قال ﷺ.

وهذه الصفة المحمدية يستهدى بها كل إنسان سوى رزقه الله ـ تعالى ـ منصباً أو جاهاً ، يستطيع من خلاله ـ بإذن الله ـ أن يلحق الضرر بمن سبق لهم أن عادوه أو كادوا له ، فإذا به يقابل السيئة بالحسنة عملاً بهدى المصطفى ﷺ ، والتزاماً بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

سورة فصلت ـ آية : ٣٤

فما أعظم هذا السلوك وما أجمل هذا الخلق « العفو عند المقدرة » ، و « العفو » فى حد ذاته صفة جميلة يحبها الله ـ عز وجل ـ لأنه عفو كريم يحب العفو ، ولكنه يكون أعظم إذا صاحبته المقدرة ، فالإنسان الذى يقدر ويعفو « أعظم من الذى يعفو بغير قدرة ، فهلا تخلقنا بهذا الخلق وطبقناه تطبيقاً عملياً فى أوجه حياتنا ؟!

عماد الدين عبدالمنعم
دار طباعة النقد



بوســــناه !!

مالى سوى قلب ينـوح وخاطـر
أرقٍ به هذا المصاب الأكبرا
عم الظلام على الذئـاب فأوسعت
فى الكون بالإذلال قسطـاً أوفـرا
وأنين طفل قد تعـالى فى الـدجى
أنّت له الأحجـار فى قلب الثرى
لفظائع حلّت عن الوصف الذى
يُنبى عن الخلق الوضيع وقد سرى
يا أمتى ضاع السبيـل فأينـا
باع الـزوال وللنعـيم قد اشتـرى

دياب قرنى أحمد
مدرس بالفيوم*

* ترجو الشاعر الصاعد بذل الجهد من العناية بأوزان الشعر

ردود وتعليقات

● **القارىء/ أسامة أبو حسيبة محمد ـ أسيوط :**

هذه الأفكار الهدامة مطروحة على الساحة ولكن المسلمين ـ ولله الحمد ـ فى منعة منها ، فهى مجرد أفكار لا صدى لها إلا فى رءوس أصحابها ، وهذه هى سنة الحياة .

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ﴾

سورة الرعد ـ آية : ١٧

● **القارىء/ ابراهيم محمد على سيد ـ حقوق القاهرة ـ بنى سويف :**

ليس فى الوسع تزويدكم بمطبوعات إنجليزية عن الإسلام ، ويمكنكم الانتفاع بما تنشره مجلة الأزهر فى قسمها الإنجليزى وما ينشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

● **القارىء/ محمد عبدالرحمن حفناوى ـ مدرس اللغة العربية بالقرين/ شرقية :**

ما أكثر النصوص النقلية ـ فى الكتاب الكريم والسنة النبوية ـ التى تحث على حسن الخلق وأدب التعامل ، ولكن ما تراه من ضعف البعض فى هذا الجانب ـ فإنما يرجع إليهم هم ، ذلك أن تعاليم الإسلام واضحة وثابتة ، ولكن ينشأ الخطأ فى الفهم وعدم التطبيق .

● **القارىء/ أحمد عبده سيد أحمد طرابيه ـ المدرس بفاقوس ـ شرقية :**

● **القارىء/ أنور السادات فتحى ـ من الشيخ المحروس ـ قنا :**

تعلمون أن رسالة الأزهر الشريف تكمن فى نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وتأهيل المسلمين بمشارق الأرض ومغاربها لمواجهة التحديات المستجدة أولا بأول ، وقد لمستم مؤخراً موقفه من « الزى المدرسى » ومن جدول أعمال مؤتمر السكان وغيرهما مما يخالف شريعة الإسلام ومن الختان ، فماذا على الأزهر بعد البلاغ ! ؟

● **الأستاذ/ عبدالوهاب عبدالعزيز سالم.. الموجه الثانوى للغة الإنجليزية بإدارة غرب طنطا :**

تلقينا عتابكم عن اختصار كلمتكم عن « الحج » وكما ترى أنها نشرت متأخرة عن مناسبتها ، فكان لابد عند عرض كلمتكم من اختيار ما يناسب مرحلة ما بعد الحج ، وتقديراً منا لما بذل فيها من جهد ووقت وعلم ، رأينا أن نشر بعضها أولى من تركها كلها .

وفيما يتعلق بطلبنا منك ـ فى هامش كلمتكم المنشورة بعدد المحرم ـ تحديد مصادر الأحاديث التى تستندون إليها ، فليس هذا تهكماً منّا أو تقليلاً من شأن كتابتكم ، إنما هو منهج انتهجته المجلة والتزمت به حرصاً على الإسناد العلمى ، ومن ثم تكررت نداءاتنا : بأن المجلة لا تلتفت إلى الكتابات

الخالية من تخريج الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ، ولعل هذا من أسباب سرعة نفاد المجلة فى الأسواق كما لمسم بأنفسكم ـ على سبيل المثال ـ فى مدينة طنطا .. ونحن نرحب بكم صديقاً للمجلة وفى انتظار مساهماتكم الفكرية .

● **القارىء/ السيد على على عمر ـ بلقاس ـ دقهلية :**

● **القارىء/ حمد عبدالله السعيد ـ المملكة العربية السعودية :**

ليس فى وسعنا تزويدكم بالأعداد السابقة لنفادها ونشكركم على تحيتكم الرقيقة ، والاشتراك هو خير طريقة لوصول المجلة إليكم بانتظام .

● **القارىء/ محمد إبراهيم محمد الدمرداش ـ مجلس مدينة بركة السبع :**

أهداف المضلين وأساليبهم ووسائلهم تحت المجهر ، ولكن كما قال ـ عز وجل ـ فى شأن الذين يفترون الكذب وهم يُدْعَوْن إلى الإسلام .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

سورة الصف ـ آية : ٨

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾

● **القارىء/ مهندس محمد فتحى نعيم ـ خريج هندسة المنصورة :**

لا ينبغى أن يكون حياء المرأة حائلاً بينها وبين طلب الدين والعلم وقد نسب إلى إحدى زوجات سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها قالت :"رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن فى الدين".

● **القارىء/ محروس عبدالفتاح يس ـ حى السلام ـ الإسماعيلية :**

سبق للمجلة نشر العديد من المقالات حول هذا الموضوع وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارىء/ عاطف محمود سليم ـ الإسماعيلية :**

يمكنكم إرسال نسخة من هذا الكتاب ، حتى يمكن اتخاذ إجراء حيال الأخطاء الواردة به .

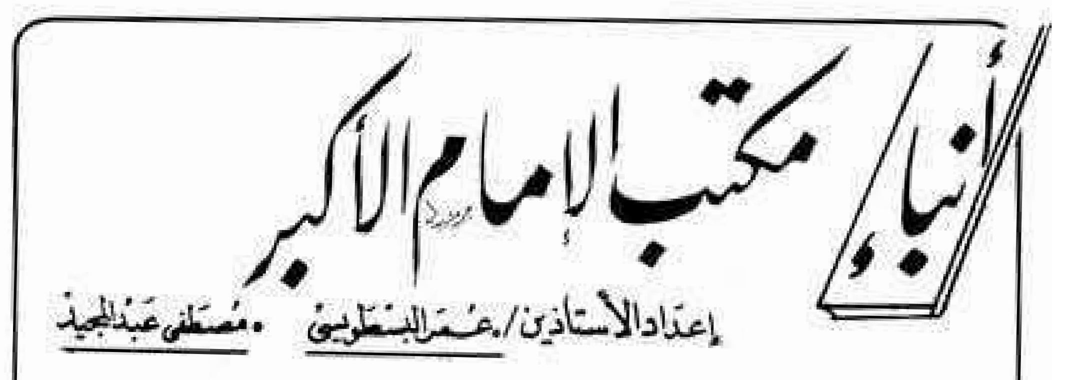
● **القارىء/ السيد على ناصر الفقى ـ مديرية التحرير :**

مثل هذا التفسير متاح فى كثير من الصحف كجريدة اللواء الإسلامى على سبيل المثال ، ولدينا البدائل لتحقيق التنوع والإفادة .

● **القارىء: عبدالحميد فتحى ـ المنشية الجديدة بكفر الدوار :**

لا يغرنك اعتراف أعداء الإسلام بفضل الإسلام أو لصالح الإسلام ، فإذا كان قد أعجبهم الإسلام حقاً فلماذا لم يسلموا ؟


أنبـــاء وآراء



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى ، مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير الخارجية بدولة إيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عباس ملكى نائب وزير الخارجية الإيرانى والوفد المرافق لسيادته وذلك صباح يوم الإثنين الموافق ١٠/١٠/١٩٩٤ بمكتب فضيلته .

تم خلال اللقاء بحث موضوع التقريب بين المذاهب الفقهية الإسلامية وما تقوم به إيران من دعم فى هذا المجال .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن سعادته للمجهودات التى تتم فى هذا المجال مؤكداً على أن الأزهر قام ويقوم بدوره فى هذا المجال من منطلق إيمانه بضرورة قيام وحدة المسلمين على أساس اتباع المصدرين الأساسيين للتشريع فى الإسلام وهما الكتاب والسنة النبوية المشرفة .

وقد دعا فضيلته إلى ضرورة التخلى عن التعصب المذهبى مؤكداً على ضرورة وجود حد أدنى يوحد ويجمع المسلمين فى مختلف قضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، مشيراً إلى أن الهدف من التقريب هو العمل على التقارب بين المسلمين فى فهم المصادر وهذا ما يجب أن تعنى به المجامع الفقهية دعما لوحدة المسلمين .

الإمام الأكبر ووفد المعهد الأرجنتينى العربى

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووفد طلاب المعهد الأرجنتينى العربى وذلك صباح يوم السبت الموافق ٨ / ١٠ / ١٩٩٤ بقاعة الاجتماعات بمكتب فضيلته .

وقد تناول اللقاء أهداف المعهد واحتياجاته فى مجال تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وبحث دعم سبل التعاون بين الأزهر والمعهد وذلك بايفاد عدد من المدرسين وتزويد المعهد بالمناهج العربية والشرعية التى تساعد المعهد فى إنجاز مهمته .

وقد عرض فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء تعريفاً للرسالات السماوية ووحدة الإنسانية التى أبرزها الإسلام مشيراً إلى أن الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أخوة فى الإنسانية مرجعهم إلى آدم وحواء .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ أدوارد ووكر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء تبادل وجهات النظر حول قضايا الإرهاب وتأثيرها على عملية السلام فى الشرق الأوسط ، كما استفسر السيد السفير عن موضوع الختان للبنات (الخفاض) وحقوق الإنسان وخاصة ما أثارته محطة (C.N.N) بإذاعتها لعملية ختان لفتاة صغيرة .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر رأى الأزهر والإسلام نحو الإرهاب والتطرف كما أبان فضيلته موقف الإسلام وشريعته من عملية الختان للأولاد والبنات مشيراً إلى أن الخطأ فى التطبيق لا يعيب القاعدة الشرعية مؤكداً على أن ما صورته محطة (C.N.N) ما هو إلا عملية استفزازية للسخرية من الشعب المصرى ، كما أنها كانت عملية مصطنعة فى وقت انعقاد المؤتمر السكانى الذى عقد فى القاهرة كرد على انتقاد ورقة قدمت للمؤتمر حول هذا الموضوع .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم بدولة المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد لطيف وزير التعليم بدولة المالديف ويرافقه السيد / ابراهيم رشيد موسى مدير معهد الدراسات الإسلامية هناك .

وقد تناول اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر ودولة المالديف فى مجال التعليم حيث أعرب الضيف عن شكر بلاده حكومة وشعباً لما يقدمه الأزهر من مساعدات وإسهامات فى شتى المجالات لدولة المالديف مشيراً فى الصدد إلى إيفاد المبعوثين من الأزهر لمعاهد المالديف العلمية وتزويدها بالمناهج والكتب الدراسية واستقبال الأزهر للأئمة والدعاة من دولة المالديف فى الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف ، وتخصيص المنح الدراسية لطلبة المالديف للدراسة بمعاهد الأزهر وجامعته .

وقد قدم السيد الوزير فى خلال اللقاء الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف كما نقل لفضيلته تحيات الرئيس مأمون عبدالقيوم .

وقد حمل فضيلة الضيف رسالة شكر للسيد الرئيس ووعد بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة ممكنة .

الإمام الأكبر يلتقى والأستاذ الدكتور وزير الصحة

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والأستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة حيث جرى الحديث حول موضوع خفاض البنات وما يدور حوله من نقاش فى الوقت الراهن وقد نفى الأستاذ الدكتور وزير الصحة أن يكون قد سعى أو فكر فى استصدار تشريع أو قانون فى هذا الشأن .

وتم خلال اللقاء كذلك مدارسة التنظيمات التى أصدرها السيد الدكتور الوزير إلى المستشفيات حتى لا يزاول هذا العمل إلا الأطباء وفى المستشفيات بطريقة طبية مسئولة تتوافر لها كافة الضمانات الصحية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير باكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد منصور علم سفير باكستان بالقاهرة حاملاً معه تحيات السيدة بينظير بوتو رئيسة الوزراء من إسهامات شتى فى مختلف القضايا الإسلامية ، مشيراً إلى أن السيدة رئيسة الوزراء قد تأثرت تأثراً شديداً لما لاقته من حفاوة وترحيب من فضيلة الإمام الأكبر خلال زيارتها لمصر والأزهر أثناء حضورها لمؤتمر السكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر الماضى .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر فى هذا الصدد بالكلمة التى ألقتها السيدة بنظير بوتو فى هذا المؤتمر حيث كان لها الأثر الكبير إلى جانب كلمة الرئيس حسنى مبارك فى توضيح موقف الإسلام وأخلاقياته ومبادئه أمام الآخرين .

كما تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وجامعته ودولة باكستان وخاصة فى مجال تخصيص المنح الدراسية وإيفاد الأساتذة والعلماء .

وقد قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شيكاً بمبلغ مائة ألف دولار مساهمة من باكستان فى إعمار الجامع الأزهر الشريف .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير رسالة شكر وتقدير للسيدة بنظير بوتو على الإسهام الذى قامت به دولة باكستان .

الإمام الأكبر يستقبل وفد ولاية جوهر بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه وفد ولاية جوهر بماليزيا برئاسة أحمد الحاج عبدالله .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر والولاية فى المجالات الثقافية والدينية والتعليمية ، حيث تقدم الوفد بطلب إنشاء كلية للدراسات الإسلامية وأخرى للشريعة والقانون .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث طلب الوفد ودراسته من خلال الجهات المعنية بالأزهر والعمل على تلبيته فى أقرب فرصة ممكنة .

كما وجه الوفد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ولاية جوهر بماليزيا حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة عندما تتاح الفرصة فى وقت قريب .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع الإسلامى بمدينة السلام

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وسفير الكويت بالقاهرة « مجمع البحر الإسلامى » بمدينة السلام بمحافظة القاهرة .

يشتمل المجمع على مسجد ومعهد دينى ومستوصف طبى كامل التجهيزات مقام على مساحة ٥٥٠٠ بتكلفة قدرها (مليون ومائة وتسعون ألف جنيه) تبرع به السيد فهد أحمد البحر .

وقد أدى فضيلة الإمام الأكبر صلاة الجمعة بعد افتتاح المسجد الذى بلغت مساحته ٨٠٠ متر مربع حيث أدى الصلاة مع فضيلته بعض القيادات السياسية والدينية والشعبية بمحافظة القاهرة .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر للنظر في جدول الأعمال المعروض عليه حيث تمت الموافقة خلال الاجتماع على الموضوعات التالية :-

● معادلة درجة الماجستير في الآداب تخصص اللغة الأردية من الجامعة الإسلامية بدلهى بالهند بدرجة الماجستير في الآداب التي تمنحها جامعة الأزهر في التخصص المناظر .

● معادلة درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم التطبيقية (هندسة مدنية) من كلية العلوم التطبيقية بجامعة لوفان الكاثوليكية ببلجيكا بدرجة دكتوراه الفلسفة في الهندسة المدنية « أشغال عامة » التي تمنحها جامعة الأزهر .

● معادلة درجة دكتوراه الفلسفة في الأقربازين من جامعة المسيسيبي بأمريكا بدرجة الدكتوراه التي تمنحها جامعة الأزهر في التخصص المناظر .

● إنشاء مركز المنتجات الزراعية وبحوثها بفرع جامعة الأزهر بأسيوط واعتماد مشروع اللائحة الداخلية المقترح له .

افتتاح أكبر مجمع لمعاهد الفتيات الأزهرية بمدينة السادات

بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر توجه وفد على أعلى مستوى من علماء الأزهر الشريف ضم فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ السيد عبدالمقصود عسكر المدير العام للدعوة والوعظ والإعلام بالأزهر إلى مدينة السادات لافتتاح أكبر مجمع لمعاهد الفتيات بالأزهر يضم مختلف المراحل التعليمية المختلفة حيث بدأت الدراسة به العام الدراسى الحالى ٩٤ / ١٩٩٥ وقد قوبل الوفد بحفاوة كبيرة حيث كان على رأس المستقبلين فضيلة الشيخ هلال سلمان مدير منطقة المنوفية الأزهرية وشيوخ المعاهد الأزهرية بالمنطقة ولفيف من أولياء الأمور والعلماء والعاملين .

برقية تهنئة من فضيلة الإمام الأكبر للرئيس مبارك بمناسبة أعياد أكتوبر

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة ذكرى أعياد أكتوبر المجيدة أكد فيها فضيلته على أن انتصار السادس من أكتوبر الذى كان السيد الرئيس فى مقدمة أبطاله ذكرى مجيدة مجددة للآمال موجهة إلى الانتماء والإخلاص لمصر .

وقد بعث الرئيس حسنى مبارك ببرقية شكر لفضيلة الإمام الأكبر جاء فيها : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يطيب لى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الكريمة بذكرى انتصارات السادس من أكتوبر المجيدة وما تضمنته من مشاعر نبيلة نعتز بها ، داعياً الله تعالى أن يوفق جهودنا لما فيه خير مصرنا العزيزة مع أطيب تمنياتى لكم بالصحة والسعادة . محمد حسنى مبارك

La conséquence fut la corruption entière de cette société où se répendait la décadence et les liens familiaux se rompirent. Dorénavant les enfants n'acceptent aucune direction du père et de la mère dès qu'ils atteignent l'âge de l'adolescence. Il n'y a plus de tendresse filiale envers le père et la mère qui commencent à vieillir et à devenir incapables de travailler ou de gagner leur vie. Par conséquent, les orphelinats sont devenus plus nombreux, ainsi que ce qu'on appelle maintenant les maisons de retraite pour le 3ème âge. Les orphelinats et les asiles de vieillards devraient être réservés à ceux qui n'ont point de parents ou pas d'enfants. Quant aux parents qui ont élevé des enfants, ils sont supposés être soignés par ces derniers auxquels ils doivent apporter assistance.

Or, la situation actuelle, avec l'augmentation du nombre d'orphelinats et d'asiles de vieillards, reflète l'image de cette situation horrible dans les sociétés occidentales, que certains essayent d'imiter, alors que nous avons le saint Coran entre nos mains et où Allah (gloire à Lui) dit dans les versets 23 et 24 de la sourate "Al Israâ": "Ton Seigneur a décrété que vous n'adorerez que Lui et que vous traiterez avec bienveillance vos parents. Si l'un d'eux ou tous deux atteignent la vieillesse, ne leur dis pas "ouf" et ne leur réponds pas brutalement, et tiens-leur un langage généreux".

Enfin, autour de la cause des femmes et des congrès nombreux qui la concernent, on peut affirmer que le sujet n'a aucun rapport avec la politique, ni avec la liberté personnelle de la femme, ni avec la contribution qu'elle apporte à la production. Toutes ces pseudo raisons ne sont en fait qu'un brouillard pour cacher les vraies intentions de pousser la femme musulmane à imiter la femme occidentale. Or, ces droits de la femme ont déjà été reconnus par l'Islam depuis plusieurs siècles, en vue de la sortir, ainsi que l'homme, des ténèbres de l'obscurantisme.

Par : Laïla El Chafei.



Nous ne dépassons pas la vérité si nous disons qu'elle n'avait le droit de vie que par l'intermédiaire de la volonte de l'homme. A sa naissance, la femme se trouve devant l'un de deux choix; ou bien on la laisse vivre, ou bien on creuse une fosse pour l'y jeter vivante et la couvrir de terre; dans les deux cas elle est soumise à la volonté de l'homme. Devant la per..de préislamique, l'homme pouvait empêcher la femme de se marier, c'est ce qu'on appelait«العضل»(c'est à dire le fait de poser un problème insurmontable à quelqu'un, ou de la rendre impuissante). L'Islam, à son arrivée, interdit tout cela et donna à la femme le droit de vivre et le droit d'agir exactement comme l'homme. Les sociétés anciennes rendaient la femme dépendante de son père ou de son tuteur, avant son mariage, d'ailleurs ses agaissements se font à travers lui; c'est lui qui lui vend, qui lui loue, qui possède pour elle et qui lui met en gage, cela veut dire qu'elle n'est jamais libre d'agir selon sa propre volonté tant qu'elle dépend de son tuteur. Si jamais elle est à la charge de son mari, ces droits, à leur tour, sont transmis au mari sans que cette femme n'aie le droit d'agir que selon des lois particulières. Si ces lois et ces principes ont stipulé que la personne chargée de la femme, que ce soit un père, un mari ou une autre personne, peut lui offrir ou lui interdire le droit de vie, raison de plus pour qu'il ait le droit de disposer de la femme durant sa vie. Il pouvait alors la vendre pour toucher son prise afin de se permettre quelque luxe. Donc la femme, pendant cette période préislamique, était juste une marchandise sans dignité, sans valeur et sans la moindre liberté d'agir.

Les sociétés occidentales, que quelques-uns essayent d'imiter, arrachent, dès son mariage, la femme à son lignage pour la subordonner à la famille de son mari dont elle porte le nom, alors que ce dernier n'a pas été à l'origine de son existence. Les sociétés occidentales ont privé la femme du droit de divorce, même si son mari la maltraite beaucoup. Sur ce, quoiqu'elle vive l'époque de la civilisation très développée, la femme est devenue prisonnière de son mari, incapable de se soustraire à sa cruauté ni à sa violence: aucun tribunal ne lui reconnaît ce droit et aucune église ne le lui octroie. Or, c'est parce que cela est contre la nature humaine que quelques sociétés occidentales ont voulu se défaire de la contrainte de l'interdiction du divorce, l'ont permis pour la femme s'inspirant en cela de l'Islam.

De telles contraintes qui ont enchaîné la femme, dans la période préislamique, et dont on voit de semblables dans les sociétés occidentales, telles que les civilisations grecque et romaine, interdisent à la femme d'agir à propos de n'importe quoi. Même la France, qu'on nomme maintenant ''la mère de la liberté'', du 17ème siècle, dans l'article 217 de la loi et dans la charte mise en application actuellement, dit que si la femme se marie, elle ne peut disposer d'aucune de ses possessions, même si elle exige cette condition dans le contrat de mariage, car c'est une condition inacceptable par le contrat chez eux, parce que seul le mari a le droit de disposer des biens de sa femme. L'incompétence de la femme, reconnue par son père ou son tuteur avant son mariage, devenait, après le mariage, un droit de son mari! Cette injustice commise à l'égard de la femme, est considérée par les sociologues comme un héritage de la pensée littéraire et philosophique, d'ailleurs quand quelques philosophes et intellectuels, comme Socrate et Platon, ont voulu donner à la femme quelques droits naturels, tout le monde s'est révolté contre eux et ils ont soulevé la colère de tous. Quelques résidus de ces situations existent encore dans les sociétés occidentales. Quand ces sociétés ont voulu rompre ces chaînes et se révolter contre cette situation, elles sont tombées dans la débauche: elles ont donné libre cours au libertinage de l'homme et de la femme sons le moindre contrôle.

De ce qui précède, on peut déduire que celui qui veut faire de l'homme et de la femme de simples individus d'une même race sans les diviser en espèces, est une personne qui s'élève contre la nature qui est la création d'Allah.

Allah (gloire à Lui) est la justice même. Quand il a créé des caractéristiques communes à l'homme et à la femme, et d'autres concernant chacun des deux sexes séparément, il leur a donné en commun la dignité humaine qui vient en premier lieu, et par leur nature même. Pour ce qui est de la dignité humaine, Allah (gloire à Lui) a rendu la femme responsable de la procréation et lui a réservé, tout comme l'homme, une rétribution pour ses actes: la récompense pour ses bonnes actions et le châtiment pour les mauvaises.

En outres Allah (gloire à Lui) les a rendus semblables par ce qu'on nomme la nature de leur création ou, en d'autres terme, l'origine de leur création; ce qui veut dire qu'Allah (gloire à Lui) n'a pas créé l'homme d'une substance particulière et la femme d'une autre, mais qu'il les a créés à partir d'une même essence. Il n'y a donc aucune distinction, dans la nature de leur constitution, entre l'homme et la femme. Allah (gloire à Lui) insiste sur ce sens aux début de la sourate "Al Nisâa": (Ô vous les humains, craignez votre seigneur qui vous a crées a partir d'une seule et même essence, et qui en a créé son épouse (sa partenaire). A partir de ces deux il fit naître une multitude d'hommes et de femmes).

Or, puisque la matiere dont ils sont créés est commune, il faut que la dignité se réalise pour chacun des deux sur un même pied d'égalité. Ce sont les bonnes actions qui distinguent la dignité de l'un d'eux deux sur l'autre. Allah (gloire a Lui) dit dans le verset (97) de la sourate "El Nahl": (Quiconque a fait une bonne action - qu'il soit homme au femme -tout en étant croyant, nous lui assurerons une vie agréable).

L'action ici ne veut pas dire seulement la prière ou l'acte de dévotion, mais aussi tout effort que l'être humain déploie aussi bien dans le domaine du culte que dans celui de la production en vue d'une amélioration de la vie.

La femme est donc semblable à l'homme, elle a droit a sa dignité humaine; elle a ses responsabilités et sera rétribuee pour ses actions. Allah (gloire à Lui) dit dans le verset 94 de la sourate "Al Anbiaâ" (les Prophètes): (celui qui fait des oeuvres de bien, tout en étant croyant, ses efforts ne seront point reniés et Nous lui écrirons Sa rétribution). Cela veut dire que comme l'homme trouvera une rétribution pour ses actes, la femme, également, est responsable des siens, fixés pour elle par Allah, et elle en est rétribuée.

L'Islam donne à la femme un avantage que n'offraient pas les législations antérieures à l'Islam, ni les lois humaines.

L'Islam a pris en considération les droits civils de la femme et il les lui a assurés.

Les droits civils, ce sont les agissements de la femme par lesquels on entend: la vente, l'achat, la possession, la donation; la location, la mise en page, etc... Elle a donc le droit de disposer de ce qu'elle possède comme elle veut, que cette propriété lui revienne par le gain, l'héritage ou le don.

Pour bien comprendre le sens de ce qui précède, on doit étudier l'état de la femme avant l'Islam, lorsqu'elle était, le plus souvent, empêchée de s'exprimer ou de se défendre; elle était même privée de tout droit de possession et de tout héritage.

Tout ce qui précède n'est pas un rabaissement de la valeur de la femme, ni un amoindrissement de son importance. Ceci montre qu'Allah (gloire à Lui) a distingué la femme par certaines qualités qui n'appartiennent pas à l'homme, et il a doué l'homme d'autres qualités qui lui appartiennent à l'exclusion de la femme. Toutefois, l'homme et la femme sont des êtres complémentaires et aucun d'entre eux ne peut subvenir tout seul aux besoins de la vie avec toutes ses exigences et ses nécessités.

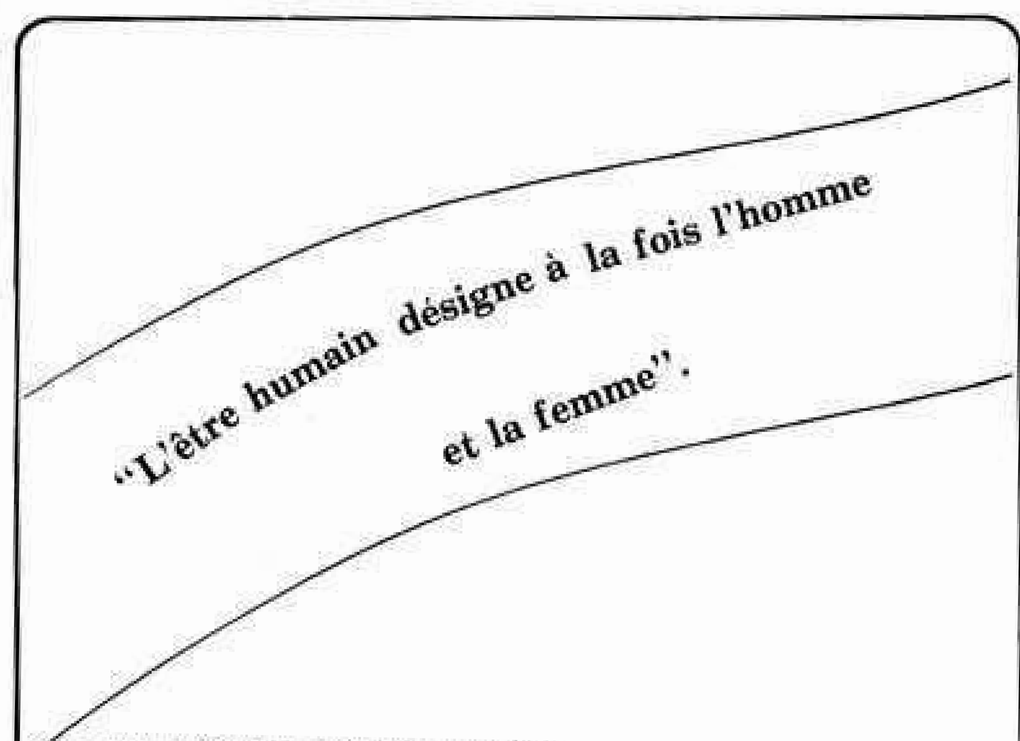
On a vu la femme, dans plusieurs pays, chargée des fonctions publiques: celle de ministre, de président de la République; mais les responsabilités de telles fonctions l'a-t-elle privée entièrement de ses fonctions premières qui sont la maternité, l'amour maternel et l'attirance envers les enfants? La réponse est certainement négative. Il suffit d'observer deux ministres dont l'un est un homme et l'autre une femme; si, par coïncidence, un enfant vient à eux en riant, en pleurant, ou en s'amusant, il suffit de regarder attentivement la réaction de chacun d'entre eux, bien sûr dans la limite du "protocole" qui régit leurs actes.

Dès le premier coup d'oeil, on trouve que la femme ministre brise les règles du protocole: elle sourit à l'enfant et lui fait bon accueil, elle peut même le prendre dans ses bras, le serrer contre son coeur, appuyer sa tête contre son épaule, avec une tendresse toute maternelle. On a même vu, dans un certain pays, une femme premier ministre en visite officielle dans un autre pays, porter son enfant dans ses bras et le serrer contre son coeur, tout à fait comme on voit les mères porter leurs enfants!

La femme peut faire un bon ministre, une bonne directrice; mais aussitôt que ses sentiments maternels entrent en jeu, elle oublie aussitôt toute réussite. Cela ne veut pas dire que la femme est inapte à se charger des fonctions publiques, sauf dans certaines limites. C'est pour cette raison qu'on voit la mère qui travaille jouir de congés dont l'homme ne jouit pas: elle a droit à un congé entièrement payé pour se préparer à l'accouchement et pour accoucher. Les congés deviennent des vacances qui durent parfois si longtemps que son poste a souvent besoin d'un remplaçant. La maternité donc est le premier rôle de la femme dans la vie, quel que soit le métier qu'elle fait. Les congrès, ayant pour thème la femme, et mettant l'accent sur ses rêves, ses espoirs, sont l'image de sa façon de vivre dans plusieurs pays non islamiques. Ce sont des congrès auxquels manquent la perspicacité et l'étude, car il faut que, durant ces congrès, la recherche soit générale et complète. Car la recherche incomplète est diminuée par l'exclusion de l'Islam et de la situation qu'il a réservée à la femme.

L'Islam n'envisage pas la femme séparément de l'homme, ni l'inverse; mais il les envisage tous deux ensemble comme deux êtres ayant un but commun en vue de la prospérité de la vie et de son épanouissement.

L'homme et la femme sont créés à partir d'une seule race, divisée en deux espèces; chacun d'entre eux (l'homme et la femme) est une espèce de la race générale. Or, puisque la race les englobe tous deux, c'est qu'ils ont des caractéristiques communes qui les qualifient sans aucune distinction. Si la race se divise en deux espèces, c'est à dire en homme et femme, c'est qu'il y a un domaine pour l'homme et un autre pour la femme. Si le domaine était le même, Allah (gloire à Lui) aurait créé une seule race, mais quand Allah a divisé la race en deux espèces, il signalait par là que si la race les unit par certaines caractéristiques communes, l'espèce les distingue par leurs caractéristiques, leur raison d'être et leurs exigences.



* Allah - gloire à lui-a créé l'homme et la femme de la même substance; dès lors il n'existe aucune distinction entre la nature de l'homme et celle de la femme !!
* L'être humain désigne à la fois l'homme et la femme *

Comme il aurait été plus juste que les congrès visent avant tout à étudier la situation de la femme en Islam ainsi que les droits dont elle jouit après avoir été longtemps traîtée comme un être inférieur. Les sociétés qui organisent ces congrès recherchent dans l'Islam un moyen correct d'assurer la stabilité dans la vie commune de l'homme et de la femme. Car c'est à partir de là que la société se stabilise, se redresse et commence à progresser !!

Par exemple, quand la possibilité d'atteindre le poste de "Omdah" (chef du village) fut accessible à la femme, on entendit aussitôt quelques femmes revendiquer ce poste.

Pourtant, la société paysanne, dans nos villages et dans tous les villages, continue à préférer que le maire soit un homme et non une femme, tout en acceptant le fait que la femme soit directrice d'école, responsable d'un jardin d'enfants, ou qu'elle occupe les fonctions de médecin ou d'infirmière dans un hôpital.

Toutes ces fonctions, acceptables pour la femme, sont spécifiques et se limitent à un petit nombre de personnes qu'elles ont sous leur surveillance. Quant au poste de "Omdah", c'est une fonction publique exigeant des qualités particulières que la personnalité de la femme ne satisfait pas.

Si hier, je n'ai pas accepté votre demande, c'est que je ne desirais point en avoir la charge. Mais vous n'avez pas voulu de mon refus; et vous avez maintenu votre désir de me voir à la tête de votre nation. Sachez alors que vous m'avez confie les clés de l'Etat et de vos liens: je ne toucherai pas un seul dirham de plus pour mon propre profit! Si vous acceptez ma politique, je maintiens mon élection, sinon cherchez quelqu'un d'autre que moi!". Alors les gens s'écrièrent tous: "nous acceptons".

Ali dit: "Seigneur, sois témoins de cela". Après son élection Ali dit: "Ceux qui m'ont élû et m'ont prêté serment d'allegeance, sont les mêmes que ceux qui auparavant avaient élu Abou Bakr, Omar et Othman! Or, ceux qui étaient absents sont aussi concernés: ils doivent savoir qu'ils n'ont pas le droit de rejeter ce qui a été conclu, car le comité consultatif des premiers musulmans étaient présent et tout homme désigné par eux à l'unanimité est agréé par Allah". Durant les 5 ans et 9 mois - la durée de son califat - il aura la lourde charge de maintenir les musulmans unis.

Dès son accession au califat, Ali Ibn Abou Talib prit la décision de destituer certains gouverneurs pour répondre à l'attente des musulmans. Cependant certains des compagnons lui avaient conseillé de ne pas toucher aux personnes que le défunt calife Othman avait désignées, avant d'avoir bien consolider son autorité et de l'avoir raffermie par l'adhésion des musulmans de toutes les provinces musulmanes: il pourrait alors destituer qui il voudrait. Mais Ali s'appuyait sur le fait qu'il ne pouvait pas être un hypocrite, ni avoir la conscience tranquille à l'égard d'Allah avant d'avoir mis à exécution ce qu'il éprouvait au fond du coeur, et qu'il jugeait meilleur pour la communauté musulmane.

L'obstacle majeur qu'allait rencontrer le calife Ali, et qui allait être la cause de tous les problèmes des musulmans, venait de Mouâwiya Ibn Abou Soufyân, le gouverneur d'Al Châm (Syrie et Liban). Ce dernier réussi à consolider son autorité sur cette région durant tous les califats de Omar et de Othman. Il avait formé un état presque indépendant, c'est pourquoi il refusa la destitution et s'opposa à l'autorité du calife. Mais pourquoi Mouâwiya refuse-t-il d'obéir au nouveau calife? Il était affecté par la mort de Othman - son cousin - et il exigeait que le calife Ali poursuive les assassins de Othman et qu'il se venge d'eux. Plusieurs s'étaient rangés du côté de Mouâwiya, si bien que la région d'Al Châm devint un essaim de conspirateurs contre Ali. Il faut noter que le refus de Mouâwiya de reconnaître le calife légitime était une position illégale et que Ali tenta par tous les moyens d'éviter la confrontation en acceptant les pourparlers auxquels aspiraient les gens pieux présents dans les deux camps. Cependant cela n'aboutissait à rien, car chacun voulait rester sur sa position. Alors, partant du principe de la nécessité d'unifier les musulmans, Ali engagea une guerre contre Mouâwiya, et pour être proche des différentes provinces musulmanes, il déplaça la capitale califale à Koufa (en Iraq). Le but principal du quatrième calife fut de sauvegarder l'unité de la communauté musulmane, il tint tête à ceux qui cherchaient à diviser la communauté et à morceler les terres d'Islam et cela lui coûtera sa vie.

(à suivre)

Ali Ibn Abou Talib.
Qu'Allah soit satisfait de lui
et qu'il honore sa face.

par Hoda Hussein Chaâraoui.

L'ELECTION DU CALIFE ALI :

Après l'assassinat du troisième calife Othman Ibn Affan, Médine la capitale de la communauté musulmane connut une grande anarchie. Les conspirateurs qui étaient derrière la crise, continuaient à semer la zizanie entre les musulmans. Certains d'entre eux se trouvaient encore à Médine, alors que d'autres étaient à la Mecque ou dans les principales contrées musulmanes.

Il était donc d'une urgence vitale pour rétablir l'unité de l'Etat de désigner dans les plus brefs délais un nouveau calife et il était normal que cela se passe à Médine, là où se trouvait le comité consultatif composé des célèbres compagnons du Prophète (b.s.). Al Tabari a rapporté que lorsque le calife Othman Ibn Affan fut assassiné, Ali ne se trouvait pas à Médine. Il a rapporté également qu'à son retour Ali fut horrifié par la nouvelle et qu'il se retira tout de suite chez lui. Les compagnons du Prophète - qu'Allah soit satisfait d'eux allèrent le trouver et lui dirent que les gens avaient besoin d'un imam, et qu'ils ne voyaient parmi eux personne qui soit plus apte que lui à gouverner les musulmans; en effet Ali faisait partie des premiers convertis à l'Islam et il était considéré comme l'un des proches du messager d'Allah (b.s.). Ali leur demanda de le laisser tranquille, et leur dit qu'il préférait être un conseiller du futur calife plutôt que de gouverner l'Etat.

Mais ils insistèrent et refusèrent de sortir de chez lui, avant de lui prêter l'acte d'allégeance. Ali ne voulait pas que son élection soit secrète, ni que les musulmans la désapprouvent; il se rendit donc à la mosquée et tous les musulmans lui firent acte d'allégeance. Le vendredi 25 du mois de Dhoul-Hiddja en l'an 35 de l'Hégire, à la suite de la cérémonie publique d'allégeance, le quatrième calife Ali Ibn Abou Talib monta sur le mimbar et prononça son premier discours.

Son premier discours reflète sa sagesse et sa clairvoyance et les grandes lignes de sa politique intérieure après avoir loué Allah il dit: "Telle a été votre décision: vous avez décidé de m'élire et c'est effectivement votre droit de choisir librement celui qui doit diriger votre nation.

REVUE
AL AZHAR

Vol. 67 Part VI

Jumada Al-Akhar, 1415 Higrah

Section Française

As we know the ethical values of a society are best measured by its care for the weak. However, this was not the case in the nomadic viewpoint and was clearly seen when it came to the female affairs. Women, being the weak sex, were not allowed to own any kind of propirty she did not even have the right to chose her partner in marriage, nor could she demand any rights from her husband. Furthermore, women were considered a burden in wars, as they were not only unable to share with men as combating knights but also needed men for their protection men who had to stay behind instead of jouning as fighters in the battle field.

These shortcomings which dominated the society reached its climax by the unhuman custom of killing female infants during this age. the killing of infants was often committed as a kind of sacrifice presented to the gods.

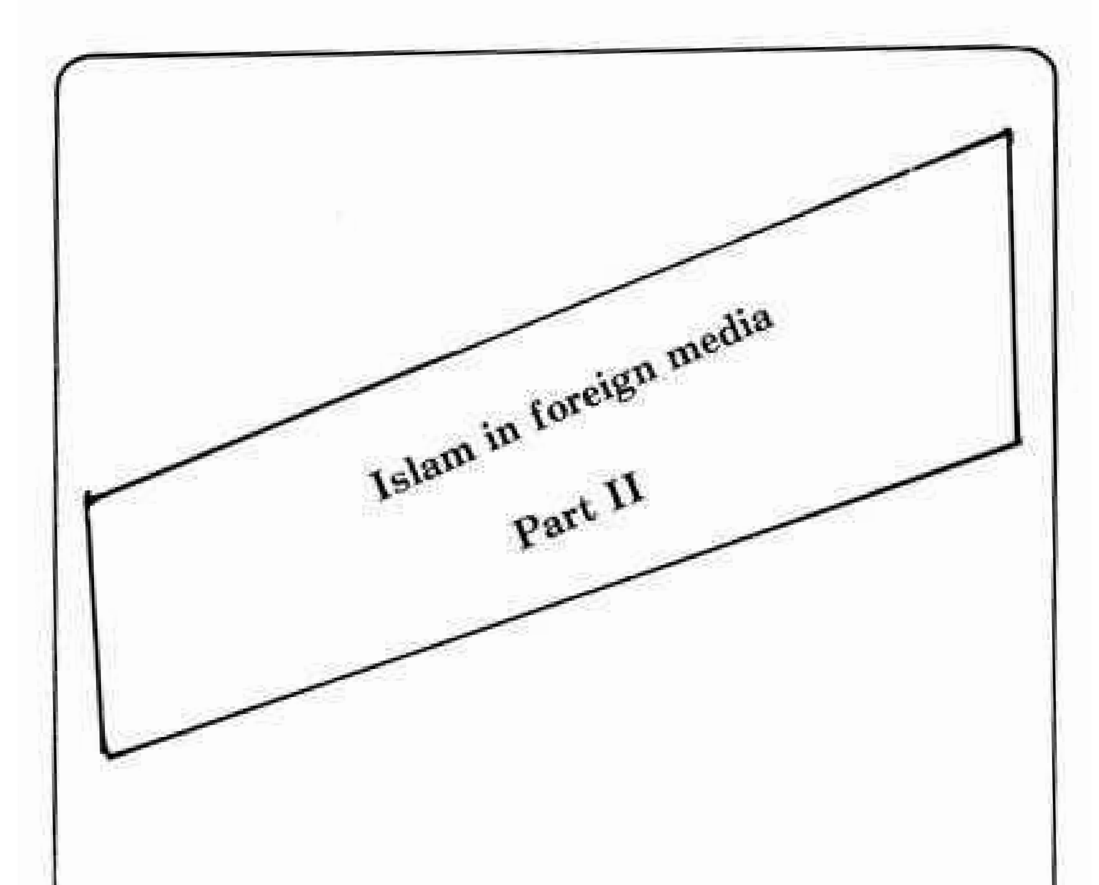
This shameful picture of the pagen society was followed by wonderful feats which, the researcher and every Muslim should be proud of. What the prophet Muhammad did for women will always remain a "monument to the ethical structure".

One of the prophet's main tasks was to protect women from the heathen custom of burrying her alive in infancy. Condemning the Arab for this savage practice the Qur'an states :

قال تعالى : وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ سورة التكوير

. This means "what if, the infant female that was burried alive was asked, for what crime had she been slain?". This barbaric conduct, as described by the researcher, was combated and stamped out by Islam. Promoting women's lives, however, was not the only thing she needed but she also needed to be economically and socially secured. Islam has therefore given her rights as well as duties. The right of owning property, similar to man, was given to women independent of father, husband and children. Islam went even one step forward by not allowing the property or the possession of the married women, through marriage, become automatically her hubsand's. In this respect the women is a partner in a contract with her husband who under the terms and prerequisites of that contract should be able to maintain and look after his wife and children without touching her property, unless she herself volunteers to contribute to the family expenditure.

In conclusion, the husband has neither the right nor the authority to force his wife to spend any money if she doesn't want to. The status of women within the context of Islamic laws rose then remarkably. This economic independent status of women was an important foundation of her social dignity no wonder then that many of the early followers of the prophet were women as well as slaves as they were the ones most severely humiliated and persecuted in the early days before Islam was revealed to the phrophet Muhammad these two classes of people found in the Islamic civilized concepts the answer to questions that remained unanswered fore epoches.



Islam in foreign media
Part II

by: Magdi A. Bashire

After reviewing religious and social order, the researcher tackled in some detail Islam's care for the weak especially. Women and slaves. He assured that the Arabs who inhabited the central part of the peninsula together with their nomadic neighbours in the north treated women with a scant respect because they were the fruit of a heartless and savage social order. To have a daughter, in their uncivilized thought, was a catastrophy. The Qur'an recorded that in verses, quoted by the researcher from "Muhammad Asad".

قال تعالى : وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ سورة النحل

It means "when ever any of them is given the glad tidings of the birth of a girl, his face darkens and he is filled with suppressed anger. He also avoids seeing people because of the alledged evils of the glad tidings he had received, and, debates with in himself, whether he can keep this child despite the contempt he feels for her? or shall he bury her in the dust? evil indeed is their judgement",

the Federal Republic of Germany in the early eighties. Following the termination of the project, its findings and results were released in eight volumes. Then, the scope of the project was extended to include textbooks in various European Countries in Austria, Belgium, France, England, Italy, Denmark, Ireland, Finland, Greece, Portugal, Spain, Switzerland, Holland, Sweden, Norway and Luxemburg.

This comprehensive study had its repercussions in various mass medias, authers and publishers of European textbooks. Several educational authorities in European countries have taken our study results into consideration. This, thus, demonstrates the effectiveness of using scientific methods in correcting misinformation and stereotypical ideas. The European way of thinking is based on reason and logic and cannot accept otherwise. Muslims should be able to understand that whatever happens in their relationship with the West may not be due to animosity and hatred. They should, rather learn to amend their stance. They should also realise that Islam cannot be served except by expounding its principles in an objective not a subjective or emotional way. Ultimately they can get involved in fruitful dialogues with non-Muslims.

It is worth mentioning that the Islamic scientific Academy, in carrying out its project has been supported by Al Azhar Al Sharif. It has relied in its work on basic Islamic references regardless of doctrinal and sectarian differences. Sheikh Gad Al Haq Ali Gad Al Haq, Grand Sheikh of Al Azhar has approved and greatly supported the method adopted by the Academy.



logy", which when applied enabled his followers to lead an organized and peaceful life. This ideology helped the Prophet - himself-(MPBUH) to become a leader. (It was not so much a matter of real religion and its principles, but rather a matter of an ideology as they claim).

The best way to achieve this goal was through money, power and Allah. The belief in an All Powerful and Wise Allah with total submission to His will secured money and power. Such a goal was fulfilled by sacrifice of the self and the money. Such sacrifice is considered the best expression of unconditional submission to Allah's will; whether such submission emanated from fear of punishment or from a desire to win eternal happiness in the Eternal Abode of Heaven.

The concept of Jihad — or the so called sacred war — has a special signifiance in textbooks because it is the meass wherebey Islam — can speedily spread. This accounts for the view that Islam and Muslim are always the strong and powerful competitors of European culture.

The authors of those books claim that the bad status of women is Islam is an evidence to the fierceness and tyranny in Islamic societies. They consider "al-huduud" (penalties laid down by Allah in Islamic "Shariah" i.e.

Islamic laws and regulations the apparent proof of the injustice prevailing the Islamic world. They provide examples of Muslims' actions in the past and present, whether inside and outside the Islamic world, to prove that violence exists in Islam. Eventually these misconceptions and others are firmly established in the minds of European pupils. Western mass media undertake daily the job to deepen these ideas in the hearts of the people all this further complicates the stance of Islam and Muslims in the west.

CORRECTING MISTAKES

The nagging question which poses itself is: if European textbooks include numerous misinformation about Islam and Muslims, how can such negative attitudes be corrected.

Undoubtedly, the mere denouncement of such misconception would not suffice in this case. Such erroneous misconception cannot be corrected except by providing strongly convincing evidence based on sound logic. Therefore, in order to be able, as Muslims, to communicate with Westeners, we have to use a reasonable, scientific and civilized language. This is the method adopted by the Islamic scientific Academy in cologne, Gemmany. The Academy has launched a project for scientific correction of the information included in textbooks about Islam and Muslims. It has songht the aid several Western experts who believed in the project and regarded it as a cultural duty.

The project started initially with an examination and analysis of the textbooks in

ISLAM IN WEST EUROPEAN TEXT BOOKS PART II

By Prof. Abdel Gawwad Fallatouri
Translated by Dalal El Gemei MA

Starting with the erroneous and biased belief -- mentioned in the article previously issued -- which indicates that the relationship between Allah, the Almighty and man is delemined by coerson and control of God, on the one hand and fear and submission of man on the other hand. Starting with this belief, the idea that crops to the mind in that the Holy Quran is the method and programme that describes this relationship and the Prophet (MPBUH) is the authoritative figure implementing this programme on earth. However, those biased authers of European textbooks do not stab the Holy Quran and the Prophet (MPBUH) directly as their ancestors used to do in the past.

The following is another example presented in the textbook illustrating the relationship between Allah and Man. The example demonstrates the authors' erroneous and biased conception of this relationship.

Here is an extract from a book on religious education.

> "God's will is written down in the Holy Book of the Muslims, that is, the Holy Quran."

Another book states that this means that

> "On the basis of the Holy Quran an obedient and true Muslim is the one who accepts everything even "tawa kuliyah" (complete dependence on Allah coupled with passivity in luring)."

Accordingly, the Holy Quran is an instrument whereby the Prophet forces his followers to submit to Allah's will; either by warning them of torture in hell or promising them rapture and Allah's grace in paradise with other obedient Muslims. Statements like these do not merely express the bad intentions of the authors of these books, but they also reveal their concern to show that the instructions of the Prophet as worldwide incentive factor constitute an imminent threat to the westem world; in particularly, as regards the duty of the Prophet which he was determined to carry out through the Holy Quran.

Therefore, those authors lay special focus on describing the different stages of the Prophet Mohammad's (MPBUH) life as a man full of vitality. Thus showing that the difficult conditions of his childhood, the experiences he gained through his youth and the effect of his surrounding enviroment has encouraged him to establish an "ideo-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

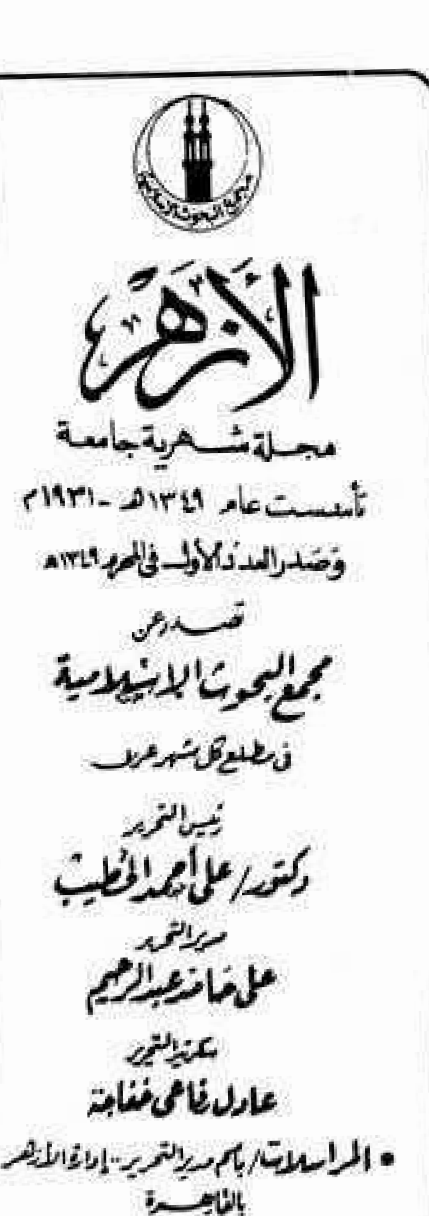
Vol. 67 Part VI
Jumada Al-Akhar 1415 Hijrah,

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY, PHD

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين



علماؤنا الكرام الذين توفروا على نشر رُوح هذا الدين ، وأتاح الله - عز وجل - لهم أن يتعرفوا إلى مراميه استطاعوا - رحمهم الله - أن يبلوروا قواعد عدة ، ومحدودة في نفس الوقت تهدى المسلم إلى سلوك طريق لا يضل فيها أبدا ، من ذلك قولهم :

« أسْرَعُ عقوبة ينالها المذنب عدم إحساسه بذنب ارتكبه »

ولقد نمر - بهذه العبارة - فلا نلتفت إليها ، ولا نحظى منا بتفكير ، ولا تصيب منا استجابة وهذا إهمال ما خطير .

رجب ١٤١٥هـ - ديسمبر ١٩٩٤م - الجزء السابع - السنة السابعة والستون

إن الواقع الذى نعيشه ، ونمارس حياتنا فيه يرينا من أنفسنا ، ومن غيرنا من الناس أمثلة عجيبة :
فنحن نرتكب الذنب من الذنوب ، ولا نهتم به ، ولا نراه ذنبا مطلقا .
ونحن نأثم بالذنب من الذنوب فنراه هينا لن يؤذينا ، أو يؤذى غيرنا من الناس .
ونحن نأتى الذنب من الذنوب بتجاوزنا ما لنا من حق ، ثم نهدد ونتوعد من يقف فى طريقنا متناسين أن ما لدينا من قوة وسلطان أو نفوذ أَوْلى أن يدعونا إلى تذكر قدرة الله - تعالى - علينا .
وقد نقترف الذنب ونفخر به ، ونعلنه ، وقد ستره الله - علينا - برحمته .
ومنا من يعمل الذنب ويرمى غيره به .

بل مِنّا - وكم يُؤْسِينا - من يعلن انه سوف يفعل (كذا) الليلة ، أو غدًا .. يعلن - ببساطة ، وقد تصحبها قهقهة أو سخرية ، أو استهزاء - عن ذنب يمارسه فى المستقبل القريب .. أو البعيد .. ويقترف - إذا طال عُمْرُه - إلى اليوم الموعود - ما وعد من خطيئة .
ومنا من يأتى الذنب ، فإذا لَفَتَّ نظره إلى تحريمه سخط وتألم ثم ثار يرميك بتَغْبِيكِه(1) وإفساد لذته .

ومنا من يقارف الذنب ويتحدى أى إنسان يمنعه منه !
ومنا من يخطى ذلك كله فيأتى الذنب يريد به أن يطمس معالم الإسلام فيلبس الحق بالباطل ، ويُزَوِّرُ على الناس فى دينهم ، فترى (الممثل) يقرأ الآية ، أو يذكر اسم الله ، وهو يؤدى عملا خبيثا ليس من الدين فى شىء .

ونظرة إلى هذه الذنوب ، وما هو فى دائرتها مما لا يستطاع حصره - أَسْرَعَتْ عقوبتُها إلى فاعليها دون أن تشعر ، وفى ذلك البلاء أى بلاء ، ذلك أن العبد الكيس مراقب لنفسه دقيق فى محاسبتها ، ولما كان لابد أن يخطىء ، كان أسرع إلى استغفار مولاه فيغفر له ، وهذا الذى فات أولئك المذنبين الذين لم يبالوا بذنوبهم ، أو عدّوها هينة ، أو تجاوزوا بها ما ليس لهم من حق ، أو افتخروا بها ، أو ضاقوا بالنصيحة فيها ، أو تحدوا بها الصالحين من عباد الله ، أو أعلنوها غشا للإسلام ، نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم .
وهذا الشعور بالذنب ، وماينبغى أن يعقبه من استغفار هو الفارق السهل جدًا والصعب جدًا .

(1) فكَّكة : فتنة وأوقعه فى مشقة ، والعامة - فى مصر - تقول : عَكَّنَنة .

وفي الكتاب العزيز :

﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ النمل ٤٦ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء (١١٠) .

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المزمل ٢٠ .

وفي النساء يخاطب المولى – عز وجل – رسوله – ﷺ – فيقول :

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الممتحنة ١٢ .

وكم أولى بنا أن نتمتع بقلوب فياضة بالمشاعر ، فنستغفر ذنوبنا عقب وقوعها فيغفرها المولى – سبحانه – لنا ، ، وكتابه الكريم فيه أكثر من أربعين موضعا قُرِنَتْ فيها المغفرة بالاستغفار ، ولن يخلف الله وعدا ولا عهدا .

وإلى أنفسنا التي تتهاون بالذنب ، أو لا تحس به نذكرها قوله – تعالى – :

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ القمر ٥٣ أي مكتوب .

وأبو هريرة – رضي الله عنه – يروي لنا تحذير رسول الله – ﷺ – من المفاخرين بالمعصية وأضرابهم ممن على شاكلتهم ، فيقول – عليه الصلاة والسلام – :

« كل أمتي مُعافاة إلا المجاهرين [أي المستهزئين بالذنوب] وإن من الإجهار أن يعمل العبدُ بالليل عملا ، ثم يصبح قد ستره ربه فيقول : يافلان قد عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ... ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه مسلم ٢٢٤/٨ .

وأما من كان منا يعلن ما سوف يرتكب من ذنب فليذكر قوله – تعالى – :

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة البقرة

قال المفسرون : (أحاطت به خطيئته أن يموت وهو يمارس الخطيئة) ومعروف أن المرء يُبعث على ما مات عليه .

نسأل الله – تعالى – توبة نصوحا ومغفرة – من فضله – لا تدع لنا ذنبا . إنه سميع مجيب لطيف خبير .

د. علي أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

فى ذكرى الإسراء والمعراج

أين ثالث المساجد ؟

بقلم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

أول الإسراء

هذه الآية من سورة الإسراء ، وغيرها مما جاء فى سورة (النجم) تهدينا إلى تلك المعجزة التى أفاء الله بها على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حين تعاهد الطغيان وتغلب على قريش ، فتعاقدت فى صحيفة قرروا فيها مقاطعة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحصاره مع من اتبعه من المؤمنين ، ونفذوا وعيدهم ثلاث سنوات متتابعات احتمى فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فى شعب من شعاب جبال مكة ، ولم يستسلموا أو تهن عزائمهم ، أو يضعف إيمانهم بالإسلام ، بل صبروا وصابروا ، وثابروا على الدعوة إلى هذا الدين القويم ..

وما أن انفك هذا الحصار حتى مات أبو طالب عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ماتت زوجه خديجة ، وقد كانا له سنداً فى دعوته . وبموتهما تكاثرت عليه ومن حوله إساءات قريش ،

فذهب إلى الطائف يدعو إلى دين الله الإسلام ، فإذا به يجد قوماً قد قست قلوبهم ، فأغروا به سفهاءهم ، فشكا إلى ربه متضرعاً بالمأثور من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ،يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ..... » .

وفى ظلال هذه الأنواء كانت رحمة الله برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإسراء والمعراج تسرية وتثبيتاً لقلبه ، وتأييداً لدعوته واستجابة لتضرعه .

كانت الرحلة المباركة تقريباً له وتكريماً ، فقد أُعطى بها وفيها ما لم يُعط أحد من الأنبياء قبله ، حيث أكرمه الله بإمامة الأنبياء فى بيت المقدس ، وفرضت الصلاة عليه وعلى أمته : خمس فى الفعل وخمسون فى الأجر ، ومنح وأمته : خواتيم سورة البقرة ومضاعفة الحسنات .

ومن ثم كان لهذه الرحلة أثران عظيمان ..

أحدهما :

تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته إلى الإسلام ، وكبت المشركين وخزيهم ، فما أن عاد من رحلته المباركة وأذاع عليهم نبأها وما شاهده من مسرات وما ناله وأمته من خيرات ورحمات ؛ حتى كذبوه وسخروا منه بالرغم من أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً ، مع أنه لم يسبق له رؤيته قبل الإسراء إليه ، بل وبالرغم من أنه أخبرهم بما ضل من رواحلهم الآتية بتجارتهم عن طريق القدس وغير هذا من واقعات ومشاهدات لوقائع يعلمونها .

والأثر الآخر لهذه الرحلة : الإسراء والمعراج ، استظهار عهد الله وميثاقه على الأنبياء من قبل ليؤمنن به ولينصرنه ، كما فى قول الله ـ سبحانه ـ من سورة آل عمران :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وكان هذا إيذاناً وإعلاناً عاماً للإنسانية بختم النبوة والرسالات بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعموم دينه وشريعته للزمان والمكان فى كل عصر وأوان .

بهذا كانت رحلة الإسراء والمعراج إبرازا لمكنون هذا العهد .

كما كانت منهجاً للحياة ، ووسيلة لتخطى العقبات ، وجهاداً للنفس حتى تستقيم فتقيم

الفرائض ، وتلتزم بالفضائل وتتزكى من أوضار الحياة .

وإذ تمر هذه الذكرى المباركة بالمسلمين اليوم ، عليهم أن يراجعوا مواقفهم بين الأمم وموقفهم من دينهم الإسلام ومبادئه وشريعته ، وما هم عليه من تراخ واستسلام لما فرضه عليهم أعداؤهم من اغتصاب القدس والأرض التى باركها الله ، وتشريد أهلها ومطاردتهم فى كل مكان واحتلالها بالغرباء .

ليذكر المسلمون أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وأنه ظل مصوناً منذ تسلمه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وظل المسلمون فى رحابه حراساً له وسدنة لأعتابه وأن فيه ازدهرت حلقات العلوم والمعارف الإسلامية .

وليذكر المسلمون حال المسجد الأقصى اليوم ، وتناقض المواقف من حوله بين أهله وأوليائه ومغتصبيه ، وليعلموا أن القصور والتقصير ـ فى شأن حمايته واسترداده آمناً مصوناً مكرماً ـ نقض لعهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وصنيع صلاح الدين الأيوبى ؛ إذ أنه فى عهدة وذمة الأمة الإسلامية بكافة شعوبها حكاماً ومحكومين ؛ سيسألون لدى أجيال الأمة القادمة لِمَ ضيعوه وتخلوا عن حمايته ؛ فهو أرض الله وديعة لديهم ، وهو عرضهم الذى عليهم حمايته ، إنه كان غاية مسرى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدء معراجه فهو تاج للأمة .

فى ذكرى الإسراء والمعراج ـ على المسلمين ـ أن يتخلوا عما وقعوا فيه من خلافات وتناقضات فرقت جمعهم وأضعفت كيانهم ؛ وليعملوا جميعاً على إنهاء هذه الفرقة استقراراً للأخوة الإسلامية ، واستمراراً لنمو الأمة وعزتها وسيادتها ، وليتدخلوا بالوفاق لإنهاء كل آثار الحروب النفسية والمادية وليتجاوزوا عما كان أملاً فيما سيكون ، وليتوقف القتل والاقتتال فى : أفغانستان ، وفى الجزائر ، وفى الصومال ، ولينزل المتقاتلون عند حكم الإسلام عقيدة وشريعة ، وليذكروا أن الله أمر بالتعاون على البر والتقوى ففى سورة المائدة قول الله ـ سبحانه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وقوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وقوله ـ سبحانه ـ فى سورة الأنفال : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

ولنذكركم بموقعة أحد حين انخلع الرماة من فوق الجبل طلباً للغنيمة ونكوصاً عن وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالبقاء فى مواقعهم ، ليأخذوا العبرة ويصبروا حتى يصلوا إلى الغاية المرتقبة بإذن الله ، ولا يختلفوا على ما هو أهون من النصر .

فى هذه الذكرى المباركة :

يحذر الأزهر الشريف الشعوب الإسلامية قاطبة من خطر الخلافات المذهبية لا سيما فى الفروع التى لا تخل بأصول العقيدة والشريعة ، فإن الله قد أمرنا فى كتابه وعلى لسان رسوله بحسن الجوار والتعامل مع غير المسلمين من المواطنين ، فأولى أن نحسن – نحن المسلمين – التعامل والحوار مع أنفسنا دون اعتبار لخلاف مذهبى أو إقليمى ، وأن على علماء الأمة وكل وسائل الإعلام فيها أن يعملوا على جمع الكلمة وصفاء القلوب ، وأن ينصحوا ويقولوا للناس حسنا ، دون أن يثيروا خلافات أو اختلافات ، فقد عانت الأمة من هذه الاختلافات والفرقة والشتات وشيوع الفتن ؛ حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وإن على الآباء والأمهات أن يرعوا الله فى أولادهم ، وأن يقوموا نحوهم بالمسئولية التى حملهم الله إياها ، فيربوا أولادهم على الدين والأخلاق والآداب الإسلامية ، إنهم من الأمانات المضيعة فى هذا العصر ، إذ ليست المسئولية نحوهم فى الطعام والشراب والكسوة فحسب ، ولكن مع هذا ، التربية وغرس الدين والفضائل . وكما ورد فى الأثر : « **ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** » .

لا تشتغلوا بالجدل الذى يوغر الصدور ويزرع البغضاء ، واطلبوا الحق من العلم : والرأى من أهله .

يا قومنا أجيبوا داعى الله، ولنعلم أننا فى حاجة إلى استرداد الاستقرار النفسى لشبابنا؛ ليحمل الأمانة التى يجب أن تؤهله لها ، ولا يكون هذا بالصورة المشوهة التى يعرض بها الإسلام وشريعته والتشكيك فى المصادر والانحراف فى التأويل .

ولنذكر أن مصر قائدة ورائدة لأمتها الإسلامية فى عالم اليوم ، فلا تنزل بمكانتها العلمية بالجدل والمراء فى أمور لا يفيد منها الإسلام .

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

فتوى للإمام الأكبر

حكم القصر في الصلاة الرباعية وجمع التقديم أو التأخير

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة السيد/ محمود محمد السعدني من الإسكندرية مساكن المتراس الشعبية بلوك (٢) مدخل (٣) شقة رقم (٤٧) يسأل عن مدى صحة ما قاله أحد الشيوخ له (بالمنوفية) التي كان مسافراً إليها من الإسكندرية وهو يصلي الصلاة العادية التي فرضت عليه ، قال له : (صلّ صلاة القصر ، ولا مانع من أن تصلي الظهر مع العصر) .

والجواب :

أنه لما كان من قواعد الإسلام العامة التيسير ورفع الحرج عن الناس في عباداتهم ومعاملاتهم فقد شرع الله (للمسافر) أن يقصر الصلاة (الرباعية) فقط وهي (الظهر ، والعصر ، والعشاء) بأن يصلي كلاً منها ركعتين بدلاً من أربع إذا بلغت مسافة سفره (ستة عشر فرسخا) ذهاباً فقط في مذاهب المالكية والشافعية والحنابلة ، وهي تقابل ٨١ كيلو متراً (واحد وثمانين متر تقريباً بالمصطلح المعاصر للمسافات) .

أما في مذهب الحنفية فالمسافة مقدرة بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة ، ويكفي أن يسافر في كل يوم منها من الصباح إلى الزوال ، والمعتبر : السير الوسط أي سير الإبل ومشي الأقدام ولا عبرة في هذا المذهب ، بتقدير المسافة بالفراسخ على المعتمد ، ولكل أدلته ويحسن لمن يرغب المزيد الرجوع إلى كتب فقه هذه المذاهب .

وقد ثبت مشروعية قصر الصلاة الرباعية بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾(١) .

والضرب في الأرض السفر فيها .

وأما السنة : فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : (قد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين بمكة فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة

(١) من الآية رقم ١٠١ من سورة النساء .

زاد مع كل ركعتين ، ركعتين ، إلا فى المغرب فإنها وتر النهار ، وصلاة الفجر لطول قراءتها وكان إذا سافر صلى الصلاة الأولى أى التى فرضت بمكة[2]) .

وقد روى عمران بن حصين قال : شهدت الفتح مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين ثم يقول لأهل البلد (صلوا أربعاً فإنا سفر)[3] .

وأما الاجماع : فقد أجمعت الأمة على مشروعية القصر من حيث المبدأ ..

وقد ذهب المالكية والشافعية والحنابلة : إلى أنه يشرع للمسافر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديماً فى وقت الظهر بأن يصلى العصر فى وقت الظهر قبل أن يدخل وقت العصر أو يجمع بينهما تأخيراً ، بأن يؤخر الظهر عن وقته ويصليه مع العصر فى وقت العصر ، ومثل الظهر والعصر فى ذلك المغرب والعشاء فيجمع بينهما تقديماً أو تأخيراً ، لا فرق فى ذلك بين كونه نازلاً أو سائراً .

ويشرع للمسافر الجمع تقديماً أو تأخيراً إذا بلغ سفره مسافة القصر أى ستة عشر فرسخاً عند الشافعية والحنابلة وأما عند المالكية فيشرع له الجمع سواء بلغ سفره مسافة القصر أى ستة عشر فرسخاً أم لا .

هذا وللمسافر أن يختار فى الجمع ما هو أيسر له وأهون عليه من جمعى التقديم والتأخير . وقد استدل هؤلاء الأئمة الثلاثة على مذهبهم بما يلى :

١ ـ ما روى عن معاذ[4] ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فى غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يجمعهما إلى العصر يصليهما جميعاً وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس . صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار وإذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب .

٢ ـ وروى مالك فى الموطأ[5] عن معاذ « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخر الصلاة فى غزوة تبوك يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً » .

قال الشافعى[6] فى الأم : قوله ثم دخل ثم خرج لا يكون إلا وهو نازل وللمسافر أن يجمع نازلاً ومسافراً وقال ابن قدامة فى المغنى[7] بعد ذكر هذا الحديث : قال ابن عبد البر هذا حديث صحيح ثابت الإسناد وأنه أوضح دليل فى الرد على من قال : إنه لا يجمع إلا من جد به السير وهو قاطع للالتباس ، وقد جاء غير ذلك من الأحاديث الدالة على مشروعية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء تقديماً أو تأخيراً بسبب السفر وغيره بشروط ذكرها الأئمة الثلاثة ودونها الفقهاء كل فى كتب مذهبه .

---

(٢) رواه أحمد والبيهقى وابن حبان وابن خزيمة ورجاله ثقات .

(٣) رواه أبو داود ـ الشرح الكبير مع المغنى جـ ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ط دار الكتاب العربى ، وانظر نيل الأوطار للشوكانى جـ ٣ ص ٢١١ ط دار الحديث .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٣ ص ٢١٣ ط دار الحديث .

(٥) من حديث رواه مالك فى الموطأ ـ الموطأ جـ ١ ص ١٤٣ ط دار احياء الكتب العربية .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٢ ص ٥٨٣ باب إذا ارتحل بعدما زاغت الشمس .

وذهب الحنفية : إلى أنه لا يجوز الجمع ـ بسفر أو غيره ـ بين صلاتين فى وقت واحد إلا بين الظهر والعصر تقديماً بعرفة للحاج الذى يصلى خلف إمام المسلمين أو نائبه ، وبين المغرب والعشاء تأخيراً بمزدلفة للحاج .

وقد استدلوا لمذهبهم :

بقول ابن مسعود[8] : « والذى لا إله غيره ما صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة قط إلا لوقتها إلا صلاتين جمع بين الظهر والعصر بعرفة وبين المغرب والعشاء بجمع أى بالمزدلفة » .

لما كان ذلك ، كان المستخلص مما تقدم :

أنه يشرع للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية وهى الظهر والعصر والعشاء دون الثنائية : وهى الصبح ودون الثلاثية : وهى المغرب اتباعاً لفعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويُعْتَبر هذا تخصيصاً لحديث جبريل فى مواقيت هذه الصلوات وعدد ركعاتها فى السفر وهذا باتفاق هؤلاء الأئمة وان كانوا قد اختلفوا فى بعض شروط القصر ، وفى حكم قصر الصلاة الرباعيـة من حيث الوجوب أو أنه سنة أو أنه مجرد رخصة : فقال الحنفية : القصر واجب ، وقال المالكية : القصر سنة مؤكدة آكد من الجماعة فإذا لم يجد المسافر مسافراً يقتدى به صلى منفرداً قاصراً ، وقال الحنابلة : القصر جائز وهو أفضل من الإتمام ، وقال الشافعية : القصر جائز وهو أفضل من الإتمام إن بلغ سفره ثلاث مراحل فأكثر ولم يُختلف فى جواز قصره فإن لم يبلغها أو اختُلف فى جواز قصره (كملاح يسافر فى البحر ومعه عياله فى سفينته وكمن يديم السفر مطلقاً) فالإتمام أفضل له .

ويشرع للمسافر ـ أيضاً ـ أن يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فى وقت أيهما شاء تقديماً أو تأخيراً فى مذاهب الأئمة مالك والشافعى وأحمد وفى مذهب أبى حنيفة لا جمع إلا فى عرفة ومزدلفة .

وأما فرض الصبح فلا يجمع مع فرض آخر بأى حال كما لا يقصر كما ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

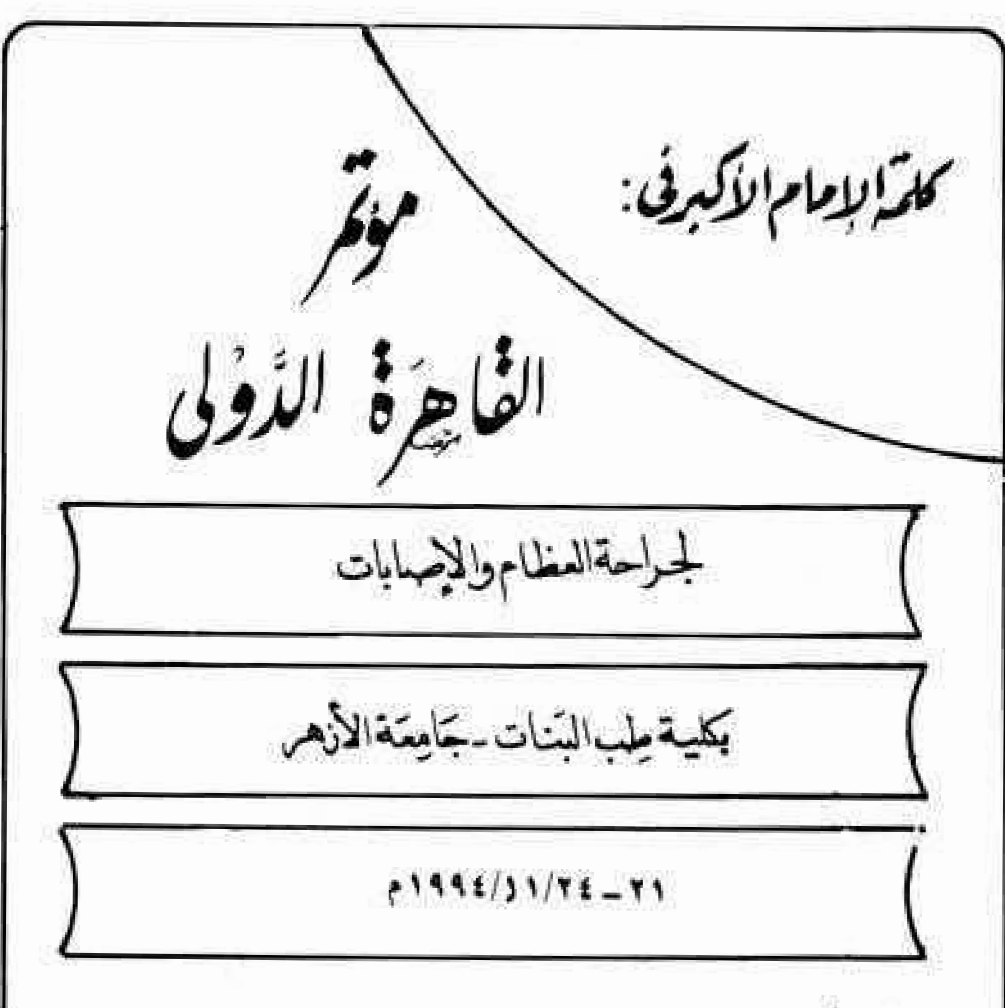
هذا :

وأنه وإن كان لكل مذهب فيما سلف دليله ووجهته وكلهم من رسول الله ملتمس ، لكن الأولى الأخذ بما ذهب إليه الشافعية والحنابلة ـ على وجه الإجمال ـ من جواز السقصر ، باعتباره رخصة فى قول الشافعية ، وليس من العزائم أى الواجبات أو الفرائض كما يقول مذهب الحنفية وإذا أخذ بهذا ـ وهذا ما أميل إلى العمل به ـ أى بأن القصر مجرد رخصة تؤتى أو تترك وتكمل الصلاة الرباعية فمن أتم هذه الصلوات الرباعية لم يجز له الجمع بين صلاتين ـ تقديماً أو تأخيراً ـ فى وقت أى منهما لارتباط الجمع بالقصر فى السفر .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

(٧) المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ ٢ ص ١١٥ وانظر الموضع السابق فى فتح البارى .

(٨) رواه الشيخان .



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .. وبعد ..

فإن المؤتمرات الطبية محافل للتبادل العلمي والتحاور في شأن الجديد المفيد مما اكتشف أو استحدث من المهارات التي توفر لصحة الإنسان قدراً أوفى من الأمن النفسي، والعافية الجسدية، وتعاونه على المواجهة والتخلص مما ينتابه من المصاعب الصحية، التي قد تعوقه عن إنجاز مهامه في إثراء الحياة الإنسانية بالعلوم والمبتكرات النافعة.

إن منهج الإسلام نحو الحفاظ على صحة الإنسان الجسدية والنفسية قد جعل للوقائيات أهمية بالغة، ولم يغفل الوسائل العلاجية وإنما زكاها ونماها، وحث على الحرص على أهمية الدقة في التشخيص للأدواء تمهيداً للتعرف على الدواء، وأنتم أيها السادة والسيدات تلتقون اليوم في هذا المؤتمر

فى رحاب الأزهر الشريف الذى زاول طلابه وعلماؤه علوم الطب المتنوعة فى مراحله التعليمية منذ أن أقيم بنيانه من أكثر من ألف عام ، وفتحت أبوابه لحلقات العلوم فى كل عصر ومن بينها الطب بوسائله المتطورة من عصر إلى عصر .

ولقد تبلورت تنظيماته الدراسية منذ عام ١٩٦١ م وصار فى جامعته ثلاث كليات للطب إحداها كلية الطب للبنات التى ينعقد مؤتمركم هذا بدعوة منها .

وإذا كانت النهضة الطبية المتواكبة ، بل والمتواثبة قد نمت نمواً باهراً ، وواكبتها الوسائل المعاونة من الصيدلة والمنتجات الدوائية إلى الأجهزة الطبية المستظهرة لما يسبح فى بحار وأنهار وعظام الجسد الإنسانى الذى هو صنع الله ــ سبحانه ــ الذى أتقن كل شيء ــ إذا كان هذا ــ فإن الله قد وجه بنى الإنسان فى القرآن إلى أن ينظروا فى جسده ليتعرفوا على خالقهم فقال ــ سبحانه ــ :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ومَنْ أحق بالاستبصار وأولى من الأطباء على تنوع التخصصات ليزدادوا معرفة بأن الله سبحانه هو الخالق للإنسان وهو الذى ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . فيزدادوا إقبالاً على الحفاظ على صحته .

إن الإنسانية تنتظر منكم المزيد من التجربة والعلم المفيد ، لتسلم مما يحيط بها فى عصر ضاقت فيه الأرض وفزعت من عمل الإنسان الذى امتطى الطائرات ومراكب الفضاء يجوب بها الآفاق بحثاً عن كواكب أخرى يستعمرها ليستثمرها إرضاء لنزواته وطموحاته .

السيدات والسادة :

ما أجمل محافل العلم والعلماء إذا استثمرت لإثراء الحياة الإنسانية بريئة من الأمراض الجسدية والنفسية ، وكانت مزدانة بالعروض العلمية النافعة .

أرحب بحضراتكم فى القاهرة بلد الأزهر الشريف ، وفى رحاب كلية الطب للبنات التى سعت إليكم مرحبة بجمعكم العلمى ، مزدهرة بمقدمكم .

ولكم من الله التوفيق .

بيان من الأزهر الشريف

بشأن المنكوبين بالسيول

نحمد الله – سبحانه – ونرضى بقضائه وقدره ولا نقول إلا ما علمنا إياه في قرآنه حيث يقول تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ سورة البقرة

ها هي السيول الجارفة قد هدمت الدور ، وأتلفت ما فيها من متاع ولباس ، وشردت المواطنين وأفزعتهم ، وصاروا بغير زاد ولا ملابس .

أضيروا في ممتلكاتهم وفي أمتعتهم وفي أنفسهم .

فيجب علينا جميعاً أن ننهض لمواساتهم ، وتخفيف مصابهم في الأنفس والأموال والثمرات .

وذلك إنما يكون بالمسارعة إلى التبرع بالأموال والأغذية والأغطية والفرش .

وفي الدولة جهات الإغاثة الموثوقة تتولى قبول الهبات والزكوات لإسعاف هؤلاء المنكوبين ، ودفع الضر الذى وقع بهم ، فعلى كل مواطن أن يهيء نفسه وأسرته بالاستغناء عن جزء من المصروفات يسعف بها هؤلاء المنكوبين ، على هؤلاء الذين ينفقون الكثير فيما يضر ولا ينفع ، كالسجائر وأمثالها أن يتبرعوا بطعام وكساء وإسكان هذه الأسر التى أصابتها السيول .

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد شبه الأمة بالجسد الواحد فقال : ﴿ **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ﴾ .

وهؤلاء المنكوبون أعضاء في جسد هذه الأمة وجزء من هذا الشعب المصرى المتعاطف المتآلف – هؤلاء – لهم حق دفع ما وقع عليهم من ضير ، بنجدتهم .

إن المسارعة إلى مواساة هؤلاء المضرورين بالسيول واجب إنسانى ووطنى ودينى .

فكونوا أيها المصريون على ما عهد فيكم من نجدة وكرم تبتغون به وجه الله وتحمون مواطنيكم المضرورين لا سيما وفصل الشتاء قادم .

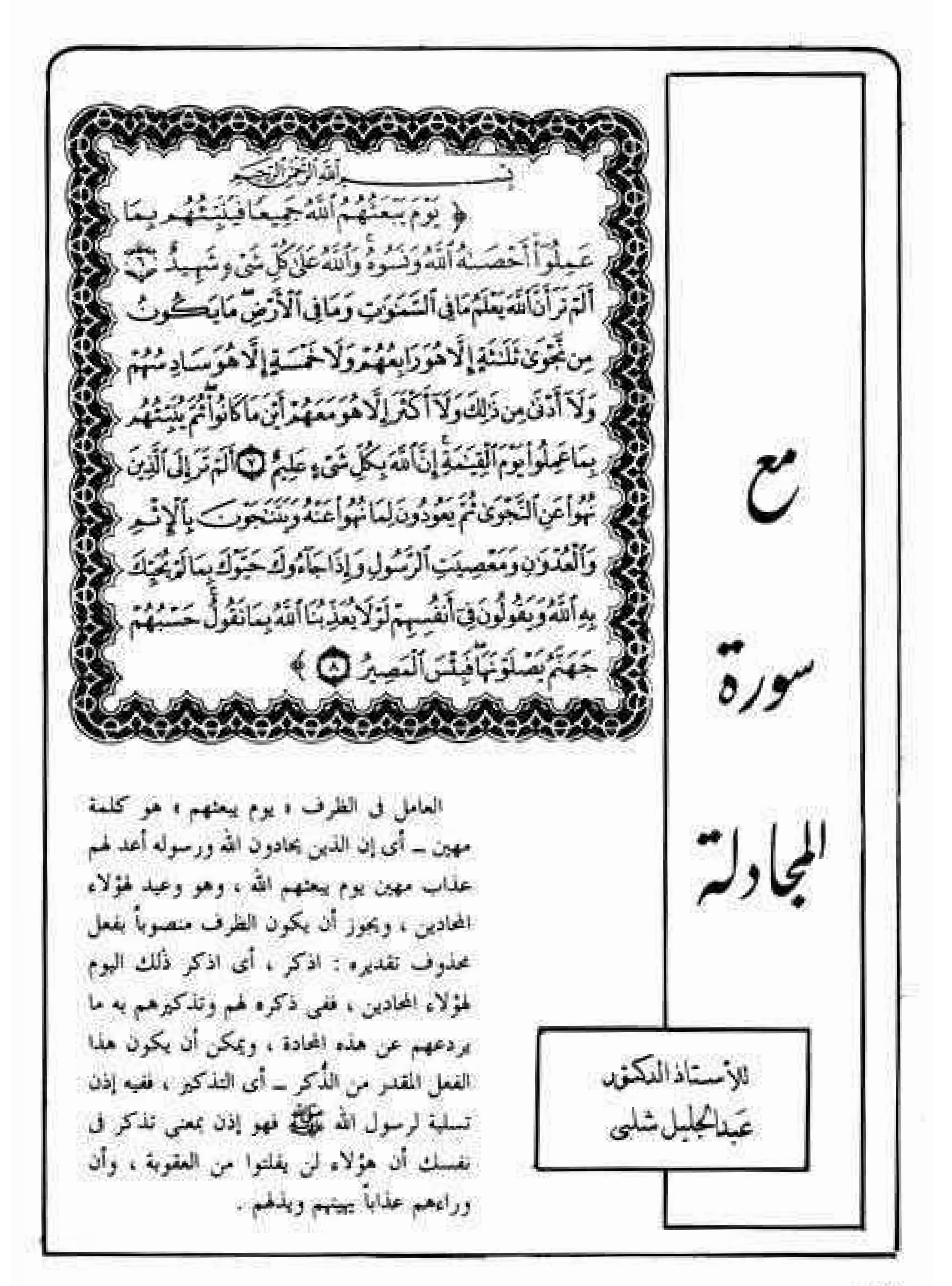
ولقد دعا القرآن الكريم الناس إلى التعاون على الخير .

فقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ .. ﴾ .

وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير .

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر



مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد (٦) ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم (٧) ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) ﴾

العامل فى الظرف « يوم يبعثهم » هو كلمة مهين – أى إن الذين يحادون الله ورسوله أعد لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله ، وهو وعيد لهؤلاء المحادين ، ويجوز أن يكون الظرف منصوباً بفعل محذوف تقديره : اذكر ، أى اذكر ذلك اليوم لهؤلاء المحادين ، ففى ذكره لهم وتذكيرهم به ما يردعهم عن هذه المحادة ، ويمكن أن يكون هذا الفعل المقدر من الذُّكر – أى التذكر ، ففيه إذن تسلية لرسول الله ﷺ فهو إذن بمعنى تذكر فى نفسك أن هؤلاء لن يفلتوا من العقوبة ، وأن وراءهم عذاباً يبيتهم ويذلهم .

« يوم يبعثهم الله ـ تعالى ـ جميعاً » : أى مجتمعين فى صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً ويتذكر كل منهم ما كان بينهم من هذا التناجى ، أو هى حال مؤكدة ، أى يبعثهم جميعهم لا يغيب منهم أحد ـ وفى هذا البعث ينبئهم بأعمالهم القبيحة السيئة ، وإنباؤهم بها إما : بكشف أسرارها على رءوس الأشهـاد ، أو بتذكيرهم بها ، بقال لهم : فعلتم كذا وكذا ، وكلا الأمرين مما يزيد فى خزيهم ويبعث الأسف والحسرة فى نفوسهم .

« أحصاه الله ونسوه » : أحصاه الله ـ سبحانه ـ وعده عدا ، وهم قد نسوه ، أو الجملة حال ، أى والحال أنهم نسوه وغاب عن ذاكرتهم ، والمؤدى واحد فى التقديرين ـ ثم ختمت الآية بما يؤكد إحصاء الله لكل أعمالهم ، لأنه على كل شىء شهيد ، أى مطلع على كل عمل لا يغيب عن علمه شىء ، وينطوى هذا التذييل على تبشير المؤمنين وتشجيعهم على العمل الصالح كما ينطوى على إخافة المحادين وتهديدهم ، فالله يعلم عمل أولئك وعمل هؤلاء لا يغيب عنه شىء ، ويجزى على كل عمل بما يستحقه من الجزاء .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » هذا تقريـر لشمـول علمـه ـ سبحانه ـ والرؤية علمية ، أى قد علمت أن الله محيط علماً بكل شىء فى السموات وفى الأرض ، وأعادت الآية لفظة « ما » تأكيداً لإحاطة العلم بكل شىء فيهما . واستؤنف الحديث بشىء تفصيلى لبيان بعض الجزئيات مما يعلمه : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ... ﴾

يكون بمعنى يوجد ، فهو فعل تام ، ومن ـ فى كلمة من نجوى زائدة ، أى : ما توجد مناجاة بين ثلاثة إلا والله رابعهم ، وزيادة « من » تفيد التوكيد أى أية نجوى قصيرة أو طويلة ، مهموسة أو مجهورة ، فالله ـ سبحانه ـ لا يغيب عنه شىء ؛ إنه يعلم السر وأخفى ، بل إنه يعلم من كل إنسان ما توسوس به نفسه ، والنجوى : مصدر من التناجى ولا فعل مجرداً له ، والكلمة مأخوذة من النجوة وهى ما ارتفع من الأرض ، وينبت وينفرد عما حوله ، لأن المتناجيين يخلوان وحدهما ، وسرهما يصان ويبتعد به عن الناس ، و « ثلاثة » ثلاثة إذن بدل أو نعت .

ومعنى إلا هو رابعهم ، وإلا هو سادسهم ، أنه معهم بعلمه واطلاعه عليهم فهو ـ سبحانه ـ لا يحل فى مكان ولا يحيط به ظرف ، والمعية هنا رهبية ، إذ هى إشعار بوجود الله مع المتناجين على أى حال أو عدد كانوا ، وذلك مستفاد من « من » الزائدة ، على نحو ما فى قوله تعالى : « ما يأتيهم من رسول » ، « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » ـ فهم معرضون عن كل آية .

وقرىء ما تكون من نجوى بتأنيث الفعل ، والتذكير أولى .

« ولا خمسة إلا هو سادسهم » ، أى نجوى خمسة إلا هو معهم سادساً لهم . وقرىء ثلاثة

وخمسة بالنصب على الحال ـ لأن كلمة نجوى تدل على مضمر أو محذوف ، تقديره يتناجون ، ويمكن أن تؤول نجوى بمتناجين .

وتخصيص الثلاثة والخمسة بالذكر ؛ لأن جماعة من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين ، وكانوا على هذا العدد ، فقيل لهم : إن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ثم قالت الآية :

« ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم »

ـ فإن كان هؤلاء الذين تحلقوا على هذا العدد فقد يكونون فى موقف آخر أكثر أو أقل ، ولكن الله ـ سبحانه ـ معهم فى أى مكان أو زمان يكونون .

جاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنها نزلت فى ربيعة وحبيب بنى عمرو ، وصفوان بن أمية ، كانوا يوماً يتحدثون ، فقال أحدهم : إن الله يعلم ما نقول، وقال آخر : يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً ، وقال الثالث : إن كان يعلم بعض ما نقول فهو يعلم الكل ، وعلى هذا فالآية لم تنزل فى المنافقين ، بل نزلت فى المشركين .

وقيل إنما ذكر هذا العدد ، لأن هذا ما جرت عليه العادة من أهل النجوى والتشاور فى كبار الأمور ، فلا يحضر كل واحد هذا الجمع وإنما يحضره طائفة مختارة من أولى النهى والأحلام ، أو ذوى التجارب ، ويبدأ عددهم باثنين ويزيد إلى خمسة أو ستة حسبما تقتضى حالهم ، ولا يكونون عادة أكثر من ذلك ، واستأنس أصحاب هذا الرأى بأن عمر بن الخطاب اختار أهل الشورى ستة وجعل ابنه معهم مرجحاً فقط إذا تساوى الجانبان .

ولست أميل لهذا الرأى ، وعمر اختار الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم ، وكان القرشيون يجتمعون فى دار الندوة أعداداً كثيرة قد تزيد على العشرين ، وإنما كانوا يمنعون الصبية الذين لم يبلغوا الحلم . وإذن فتخصيص هذا العدد إما لما كان من ابنى عمرو ، وصفوان أو لما كان من عمل المنافقين أو هو لهما ، ثم قالت الآية : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم » فدلت الآية على الاثنين والأربعة ، وما هو أكثر من ذلك أو أقل . وفى مصحف عبدالله : « إلا الله معهم » ، وقرىء أيضاً « ولا أدنى من ذلك ولا أكبر » .

« ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » : ينبئهم بعملهم على ملأ الناس إظهاراً لسبب عقوبتهم وتوبيخاً لهم .

وقد بدئت الآية بأن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وختمت بأنه بكل شىء عليم » ، وفى بداية الآية ونهايتها دليل إحاطة علم الله بكل موجود .

وكان اليهود والمنافقون ينفردون ـ على مرأى من المسلمين ـ فيتهامسون ويتغامزون بأعينهم ويشيرون إليهم ، ومـــا يقصدون من ذلك إلا إغاظتهم بوهمونهم أن أقاربهم وذويهم أصيبوا بشر ، وشكا المسلمون ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن هذه النجوى ، ولكنهم عادوا إليها . فنزل قول الله ـ تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾ إلخ .

والاستفهام إنكارى تعجبى .. أى قد رأيت حال هؤلاء القوم ، وأوثر الفعل المضارع فى

« تر » للدلالة على تكرر عودهم وتجدده ، فهم لا ينقطعون عنه ، ومناجاتهم كانت كلها آثاماً :

﴿ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾

والإثم : كل ما حرمه الله ، - وكانت مناجاتهم آثاماً ؛ لأنهم كانوا يفترون على المسلمين وينسبون إليهم من الأفعال والأقوال السيئة ما هم منه بريئون ، وعدوانهم : تعديهم قانون الله وتعديهم الحق ، وتحريض بعضهم بعضاً على إيذاء المسلمين ، وكانوا يتحاضون على مخالفة تعاليم الإسلام وما جاء به النبي الكريم ﷺ .

وآثرت الآية ذكر « الرسول » ؛ إغاظة لهم وتأكيداً لرسالته - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا معنى لا يتحقق إذا قيل : « ومعصيتك » ، وهو نص واضح على أنهم لا يتحاضون على معصية إنسان مجرد إنسان ، وإنما يتحاضون على معصية رسول بعثه الله ليطاع ، وهو لا يأتى بشيء من لدنه ، وإنما هى رسالة الله :

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

أى زيادة على تناجيهم السيىء الذى سبق كانوا إذا جاءوا إلى رسول الله ﷺ قالوا : السام عليكم . بدلاً من : السلام عليكم ، والسام : هو الموت ، فهو دعاء عليه فى ثوب تحية ، وكانوا جماعة من اليهود قالوا له ذلك فقال : وعليكم .

عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن أناساً من اليهود دخلوا على رسول ﷺ ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقال : وعليكم ، وغضبت السيدة عائشة ، فقالت : عليكم السام ولعنكم الله ، وغضب عليكم وفى رواية : « عليكم السام والذام واللعنة » ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » ، فقالت : « ألا تسمعهم يقولون : السام ؟ » ، فقال : « أو ما سمعت أقول : وعليكم » ، فأنزل الله - تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الآية .

والله - سبحانه وتعالى - حيا بالسلام ، وتكرر ذلك فى آى القرآن الكريم فى قوله : سلام على المرسلين ، قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وجاء فى التشهد : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وهى تحية أهل الجنة التى يستقبلهم بها الملائكة ، فرسول الله ﷺ دينه الإسلام وتحيته السلام .

﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .

أى يقولون فيما بينهم : هلا يعذبنا الله بسبب ما نقوله من التحية الكاذبة ، وبما نتحدث به عنه من السوء والسباب ، يريدون لو كان محمد نبياً حقاً لنزل علينا عذاب الله - تعالى - بسبب ما نقوله له وبسبب ما نتحدث به عنه .

ويمكن أن تكون جملة « فى أنفسهم » بمعنى أنهم يهمسون بذلك فى أنفسهم ، وتجول هذه الأفكار فى خواطرهم ، فقد اطلع الله - سبحانه - على هذه الخواطر وطالعهم بها وهو يعلم السر وأخفى ورد الله ذلك بقوله : ﴿ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ أى يكفيهم عذاب جهنم يدخلونها يصلون حرها ويصطلون بها فإن الله - سبحانه - لا يعاجل بالعقوبة فى الدنيا ، وبئست جهنم عاقبة لهم .



بقلم: / جمال عبد العزيز أحمد (*)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ربّ الأرباب ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشّعاب ، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب .. وبعدُ .

إن الله - سبحانه - أنزل هذا الكتاب تبياناً لكل شىء ، وجعله قيما لا عوج فيه ، وقال عنه :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت / ٤٢) .

وقال فيه :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء / ٨٢)

وبعد :

فإن القرآن الكريم لايحتاج فى بيان صحته إلى شهادة العلماء ، أو تصديق العِلْم القديم أو الحديث ، فهو فوق العلم وفوق العلماء ، بل هو مصدر العلوم والمعارف قاطبة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وفيما يتعلق بلغة القرآن الكريم ؛ فإن هذا القرآن أعجز أرباب الفصاحة وأساطين البيان ، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا وما فعلوا ؛ بل إنه تحدى الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله فقال :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الإسراء

(*) المدرس المساعد بقسم النحو والصرف كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

وبنزول هذا القرآن وصلت اللغة العربية إلى أعلى مستوى لها فى تاريخ الفصاحة ، وأصبح القرآن الكريم هو النموذج المثالى الأسنى الذى يحتذيه العلماء ، ويقتبس منه الشعراء والخطباء والبلغاء ، ويُجَمِّل به المتحدثون أحاديثهم ، حتى إنهم سَمّوا الخطبة التى تخلو من القرآن الكريم ـ أو من بعض آياته ـ بالبتراء أو العوراء . وصار القرآن الكريم فى علوم العربية محور الدرس والبحث ، ومعيار الصواب والخطأ ، فهو المصدر الأول للاستشهاد عند النحاة واللغويين فما ورد فى القرآن الكريم هو الصواب ؛ بل هو أصوب الصواب ، ثم يليه الحديث النبوى الشريف ، ثم من بعد ذلك بدرجات كلام العرب شعراً ونثراً .

فهذه المصادر كلها كانت موجودة قبل أن يأتى النحاة واللغويين ، وحين أراد علماء العربية أن يميزوا بين الخطأ والصواب فى كلام الناس ، ولاسيما بعد تطرق ظاهرة اللحن فى المجتمع الإسلامى الأول عقب مجيء الفتوحات ودخول الأعاجم بين العرب الخلص ـ كان عليهم أن يؤولوا إلى معيار معين يقيسون به هذا الكلام فهل يلتمسونه فى كلام المولدين الذين اختلطت دماؤهم بدماء غير عربية ، أم يلتمسونه فى الأجيال التى ملأ اللحن مسامعها ؟ أم فى أولئك الذين رُبُّوا فى بيئات اختلط فيها العرقى بالدخيل ، أم يلتمسونه لدى هؤلاء العرب الخلصاء الذين أخذوا اللغة من منابعها الأصيلة ؟!

لقد كان على العلماء ـ وهم بصدد البحث عن اللغة العربية الفصحى أن يأخذوها من مصادرها الصافية التى لم تتطرق إليها شائبة من شوائب اللحن أو الكلام الدخيل ، فكان القرآن الكريم هو معيارهم الأول ؛ لأنه ـ فضلا عن كونه قرآنا بلسان عربى مبين ـ هو كلام خالق السموات والأرض ، وخالق اللغات كلها . ومن ثَمَّ اتخذ العلماء على اختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم من القرآن الكريم مرجعا يحتكمون إليه عند الاختلاف ، وأصلا يبنون عليه أحكامهم ومسائلهم ، وخرجت العلوم العربية: نحوا ولغة وصرفا وبلاغة فى كنف القرآن ورحابه ، ولم يك ثمة قواعدُ للنحو أو الصرف قبل نزول القرآن ؛ بل استقاها العلماء من القرآن نفسه ثم من غيره من كلام العرب ، وجعلوها معيار الصواب والخطأ ، والقبول والرفض فيما يدرسونه من كلام الناس .

● فمن الخطأ الفادح والافتراء الواضح أن يُدَّعَى أن فى القرآن خطأ من جهة النحو ، كيف والقرآن الكريم هو المهيمن على العربية كلها ؟ ولولاه ما خرجت هذه اللغة إلى الوجود ، فإذا قيل : إن القرآن الكريم وقعت فيه بعض الأخطاء النحوية من نحو قوله ـ تعالى :

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(النساء/ ١٦٢)

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾

(المائدة/ ٣٨)

(ولم يقل يديهما على التثنية) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾

(المائدة/ ٦٩)

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾

(طه / ٦٣)

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(المنافقون / ١٠)

إذا قيل هذا فهو قول يكشف عن بُعْد عن الإلمام بقواعد العلم والمعرفة ، وخرق لقواعد الانصاف والموضوعية ؛ لأن هذه المواضع قد فرغ منها البحث العلمي وقتلها العلماء درساً واستقصاء ، وقالوا فيها كلمتهم البينة الكاشفة التي أزالت الشبهات ومحت الأباطيل ولكننا نوردها من باب « التذكير بالفائدة » وإيقاف قرائنا على باب من العلم بالقرآن يكشف عن ضروب من البيان العربي .

● أما قوله تعالى :

﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾

(النساء / ٦٢)

فقراءة الجمهور « والمقيمين » بالياء[1] ، وهو المختار لأجل الرسم مع موافقة له ، وهو منصوب على المدح والاختصاص لبيان فضل الصلاة بتقدير « أمدح وأعني » انظر (سيبويه)[2] ، تقول الخِرْنِق ــ امرأة من العرب :

لا يَبْعَدَن قومي الذين هُمُ
سُمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقِدَ الأُزُرِ

فنصب « النازلين » على المدح[3] .

قال الهمداني[4] : « والمختار قراءة الجمهور (والمقيمين) لما للعرب في النصب على الاختصاص والمدح من الانحراف والميل » .

وقال الزجاج[5] : « ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا بابٌ يسمونه باب المدح ــ يقصد قراءة « المقيمين » ــ قد بيَّنوا فيه صحة هذا وجودته » .

وقال النحويون : إذا قلت : « مررت بزيد الكريم » ، وأنت تريد أن تخلص زيدًا من غيره فالجر هو الكلام ؛ حتى يُعْرَف زيدٌ الكريمُ من زيد غير الكريم ، وإذا أردت المدح والثناء نصبت فقلت : « مررت بزيد الكريمَ » كأنك قلت : « إذكر الكريم » .. وعلى هذه الآية ؛ لأنه لما قال : « يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : و « المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » على معنى : « أذكر المقيمين الصلاة ، وهم المؤتون الزكاة » .

ومن ثم يتضح أن قراءة النصب « والمقيمين » ، والتي قيل : إن فيها خطأً نحويا هي القراءة المتواترة ، وأن قراءة الرفع

---

(١) الإتحاف ١٩٦ ، والقرطبي ١٤/٦ ومشكل إعراب القرآن ٢١٢/١ ــ ٢١٣ والتبيان ٤٠٨/١ وزاد المسير ٢٥١/٢ ــ ٢٥٣ .

(٢) الكتاب ٢٤٨/١ ــ ٢٤٩ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٨١٩/١ .

(٤) الفريد ٨١٩/١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٢ ــ ١٣٢ .

« والمقيمون » من القراءات الشاذة[6] ، وإذا صحت القراءة ، واتصل سندها فلا يجوز إنكارها أو ردها .

● وأما قوله ـ تعالى : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » فقد قيل : إن « أيديهما » بالجمع واردة على سبيل الخطأ ، وكان الصواب أن ترد على التثنية فيقول : « يديهما » ، وقد ردّ العلماء على ذلك الوهم من قبلُ بردود شافية حيث قال المنتجب بن أبى العز الهمذانى[7] : « إنما وضع الجمع موضع الاثنين لأنه ليس فى الإنسان سوى يمين واحدة كالرأس والقلب والبطن والظهر ، وما هذه سبيله يُجْعَل الجمعُ فيها مكان الاثنين لعدم اللبس ، واجتزاءً بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف ، وفى التنزيل « فقد صَغَتْ قلوبكما » ولو ثنّى ما كان فى الشيء منه واحدٌ لكان جائزا لا أعرف فى ذلك خلافا عند أهل العربية ، وقد جمعهما الشاعر فى بيت واحد ، فقال :

ومَهْمَهَيْـــن قَذَفَيْـــن مَرْتَيْـــن
ظَهْرَاهما مثل ظهور التُّرْسَيْن

فأتى بالتثنية والجمع .

● وأما عن قوله ـ تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى .. » فقيل : إنها وردت بالرفع « الصابئون » ، وكان الصواب أن تروى بالنصب « والصابئين » ، وقد بيّن العلماء ذلك بقــولهم : « إن قراءة الرفــع « الصائبون » هى قراءة الجمهور[8] ، ومن هنا لم ينصَّ عليها أحدٌ لشهرتها ، لأنهم إنما ينصّون فى القراءات على ما فيه خلاف ، أما المتفق عليه والذى لا اختلاف فيه بين أئمة القراء فلا يعولون عليه ، وقالوا ـ فى قراءة النصب « والصابئين » إنها شاذة فى الرواية ، صحيحة فى القياس[9] .

وفى توجيه قراءة الرفع « والصابئون » أقوال ، منها :

الأول : وهو قول سيبويه[10] أن النية فيه التأخير بعد خبر إن ، وتقديره : « ولا هم يحزنون والصابئون » كذلك فهو مبتدأ والخبر محذوف . ومثله :

فمن يكُ أمسى بالمدينة رَحْلُهُ
فإنى وقَيّـــارٌ بها لغـــــريب

(أى فإنى لغريب وقيار بها كذلك) .

والثانى : أن « إنّ » بمعنى « نعم » ، فما بعدها فى موضع رفع ، أى والصابئون كذلك .

والثالث : أن يكون قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » خبرا للصابئين والنصارى ، وتقدّر « للذين آمنوا والذين هادوا » خبرا مثل الذى أظهرت للصابئين والنصارى كقولك : «زيدٌ وعمروٌ قائمٌ» فيجوز أن تجعل قائما خبرا لعمر ،

(6) المحتسب ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤ ومختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ٣٠ .

(7) الفريد ٢/٣٧ ـ ٣٨ .

(8) البحر المحيط ٣/٥٣١ والكشاف ١/٦٦٠ ومشكل إعراب القرآن ١/٢٢٢ ـ ٢٢٣ ومعانى القراءات ٢/١٤٩ وزاد المسير ١/٩١ ـ ٩٢ والقرطبى ٦/٢٤٦ والبيان ١/٢٩٩ ـ ٣٠٠ والطبرى ١/١٤٧ والدر المنثور ١/٧٥ والمحتسب ١/٢١٧ .

(9) البيان ١/٤٥١ ـ ٤٥٢ .

(10) الكتاب ١/٢٩٠ .

وتقدر لزيد خبرا آخر مثل الذى أظهرته لعمرو ، ويجوز أن تجعله خبرا لزيد ، وتقدر لعمرو خبرا آخر كقول بشر بن أبي حازم ـ وهو من شواهد سيبويه .

وإلا فاعلمـــوا أنّــــا وأنتم
بُغـــاةٌ ما بقينـــا فى شقـــاق

فقوله : « بُغاةٌ » يجوز أن يكون خبرا للثانى ، ويقدر للأول خبرًا ، ويكون التقدير وإلا فاعلموا أنّا بغاة ويجوزُ أن يكون خبرا للأول ، ويقدر للثانى خبرا على ما قدمنا .

● هذا من ناحية توجيه قراءة الرفع نحويا ، لكنْ يبقى أن أورد هذه اللطيفة التى تبين وجه الاعجاز القرآنى فى قراءة الرفع « والصابئون » فإن هناك ثلاث آيـــات متشابهات وردت فيها كلمـــة الصابئين ، هى :

١ ـ « إن الذين آمنـــوا والذيـــن هادوا والنصارى والصابئين » (البقرة / ٦٢) .

٢ ـ « إن الذين آمنـــوا والذيـــن هادوا والصابئين والنصارى » (الحج / ١٧) .

٣ ـ « إن الذين آمنـــوا والذيـــن هادوا والصابئون والنصارى » (المائدة / ٦٩) وهى ما نحن بصدد الحديث عنه .

فالنصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة ؛ لأنهم أهل الكتاب ، فقدَّمهم فى البقـــرة ، والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمان ؛ لأنهم كانوا قبلهم ، فقدَّمهم فى الحج ، وراعى فى المائدة المعنيين ، فقدمهم فى اللفظ وأخرهم فى التقديـــر ، لأن تقديـــره « والصابئـــون كذلك »[11] .

● وأما قوله ـ تعالى : « إنّ هذان لساحران » بتشديد نون « إنّ » ، « وهذان » بالألف ، فهى قراءة عامة القراء (أى جمهورهم) ، وفى صحة قراءة « إنّ هذان » فى العربية وجوه كلها حجة منها[12] :

الأول : أنها وردت على لغة كنانة ، وهم بنو الحارث بن كعب الذين يجعلون ألف الاثنين فى الرفع والخفض والنصب على لفظ واحد ، كقولك : « أتانى الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وهو ما ذهب إليه الأخفش الكبير أبو الخطاب ، وأنشد الفراء[14] للمتلمس بيتا حجة فى ذلك :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى
مَساغًا لناباه الشجاع لصمَّما

---

(١١) البرهان فى متشابه القرآن بتحقيق الدكتور السيد الجميلى ونشرته مجلة الأزهر الغراء (١/ ٢٤) ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن مسألة ٣٥ ص ٣٠ والنووى مسألة ٣٣ ص ١٨٠ .

(١٢) الغاية فى القراءات العشر ٣٢٢ والاقناع فى القراءات السبع ٢/ ٦٩٩ والنشر فى القراءات العشر ٢/ ٣٠٨ والسبعة لابن مجاهد ٤١٩ والمبسوط فى القراءات العشر ٢٤٩ والتيسير للدانى ١٥١ والتذكرة فى القراءات العشر ٢/ ٥٣٤ ومعانى القراءات ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١ والحجة لابن خالويه ٢٤٣ ـ ٢٤٤ والعنوان فى القراءات ١٢٩ والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١٠٠ والبحر المحيط ٦/ ٢٥٥ وتأويل مشكل القرآن ٣٦ ـ ٣٧ وحجة القراءات لأبى زرعة ٤٥٤ ـ ٤٥٦ والبيان ٢/ ١٤٥ وزاد المسير ٥/ ٢٩٧ ، ٣/ ٢٥١ .

(١٣) إعراب النحاس ٢/ ٣٤٢ ، ٣/ ٤٤ ـ ٤٥ ومعانى القراء ٢/ ٨٣ أو معانى الأخفش ٢/ ٤٠٨ والتبيان ٢/ ٨٩٤ ـ ٨٩٥ وشذور الذهب ٥٠ ـ ٥٢ والقرطبى ١١/ ١٤٤ ومغنى اللبيب ٣٨ والكتاب لسيبويه ١/ ٤٧٥ .

(١٤) معانى القرآن ٢/ ١٨٣ .

وقال أبو عبيد : ويروى للكسائي يقول : هي لغة بلحارث بن كعب ، وأنشد :

تزوّدَ منا بين أذناه طعنة
دعته إلى هابي التراب عقيم

والثاني : وهو قول بعض النحويين إن ههنا هاءً مضمرة ، والمعنى « إنه هذان لساحران » .

والثالث : أن « إنّ » بمعنى « نعم » ، أي نعم هذان لساحران ، قال ابن قيس الرقيات :

ويقلن شيبٌ قد علاك
وقد كبرتَ فقلتُ : إنّه
(أي قلت نعم)

وفي الطبري[١٥] (عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : لا أحصي كم سمعت رسول الله ﷺ على منبره يقول : « إنّ الحمدُ لله .. » برفع الحمد ، قال أبو جعفر[١٦] : العرب تجعل « إنّ » في معنى « نعم » كأنه أراد « نعم الحمدُ لله » وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتتح في خطبتها « بنعم » قال الشاعر :

قالوا : غدرت فقلت : إنّ وربما
نال العُلى وشفى الغليلَ الغادرُ
(أي نعم وربما)

وقال أبو إسحاق الزجاج[١٧] : وأجود ما سمعت في هذا أن « إنّ » وقعت موقع « نعم » ، وأن اللام وقعت موقعها ، أو المعنى نعم هذان لهما ساحران .

وذكر ابن خالويه[١٨] : أن القراء أجمعوا على تشديد نون « إنّ » إلا ابن كثير وحفصا عن عاصم ؛ فإنهما خففاها ، وأجمعوا على لفظ الألف في « هذان » إلا أباعمرو ؛ فإنه قرأها بالياء ، فالحجة لمن شدّد في « إنّ » وأتى بالألف في « هذان » أنه احتج بخبر الضحاك عن ابن عباس « إن الله ـ تعالى ـ أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب ، وهذه اللفظة بلغة بلحارث بن كعب خاصة ؛ لأنهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه لا يقلبونها لنصب ولا خفض قال شاعرهم :

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

فلما ثبت هذه اللغة في السواد بالألف وافقت هذه اللغة فقرءوا بها ولم يغيروا ما ثبت في المصحف ، وحجة من قرأها بالياء ما روى عن عائشة ويحيى بن يعمر أنه لما رُفع المصحف إلى عثمان قال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها ، فإن قيل : فعثمان كان أولى بتغيير اللحن فقل : ليس اللحن ههنا إخطاء الصواب ، وإنما هو خروج من لغة قريش إلى لغة غيرهم .

● وأما قوله ـ تعالى ـ : « فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين » فقد أجاب العلماء عن وجه الشبهة فيه بقولهم :

(١٥) تفسير الطبري ١١/٢١٨ .
(١٦) إعراب القرآن للنحاس ١/٤٤ ـ ٤٥ .
(١٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٢ ـ ٣٦٣ .
(١٨) الحجة لابن خالويه ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

قرأ أبو عمرو وحده : « وأكون » بواو بعد الكاف مع نصب النون ، وقرأ الباقون (وهم الجمهور) « وأكنْ » بجزم النون من غير واو »[19] .

وفي توجيه قراءة « وأكنْ » قال أبو منصور[20] : « عطف » « وأكون » على قوله : « فأصدق » وأما قراءة « وأكنْ » فهو معطوف على موضع « فأصدق » ولو لم يكن فيه الفاء ، ومثله :

فأبلوني بليتكم لعلي
أصالحكم وأستدرجْ نويّا

فقوله : « وأستدرج » جزم لأنه عطفه على موضع الجزم لو لم يكن فيه « لعلي » ، فعطفه - على قراءة وأكن - على موضع « فأصدق » لأن موضعه قبل دخول الفاء جزم أي إن أخرتني أصدقْ وأكنْ[21] ، ومثل ذلك قراءة من قرأ : « من يضلل الله فلا هادي له ويذرْهم في طغيانهم يعمهون »[22] بسكون راء « ويذرهم » لما كان « فلا هادي له » في موضع فعل مجزوم حُمِلَ « يذرْهم » عليه ، وأما قول أبي عمرو « وأكون » فإنه حمله على لفظ « فأصدق » وذلك أن « لولا » معناه « هلا » ، وجواب الاستفهام بالفاء يكون منصوبا ، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره في اللفظ وقربه مما لا لفظ له في الحال .

● وإذ قد ثبت في هذه الآيات أن القراءات فيها صحيحة سبعية أو عشرية متواترة فلا مجال للطعن فيها أو ردّها لأنها استوفت أركان القراءة الصحيحة ، فقد وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فلا يحل لأحد إنكارها أو ردها ؛ لأنها الأحرف التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس جميعا قبولها ، وهذا ما صرّح به أئمة التحقيق من السلف والخلف ولا يعرف عن أحد منهم خلافه[23] .

إن أئمة العربية لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية وأنه إذا ثبت عنهم القراءة بشيء لم يرده قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

● أما إنكار الحجاج وغيره من أهل اللغة لهذه القراءات فأمر مردود ومنكور عند أهل اللغة المعتبرين الذين عليهم الاعتماد سلفا وخلفا ؛ لأنهم يوجهونها ويستدلون بها ، وأنَّى يسعهم إنكار قراءة تواترت أو استفاضت عن رسول الله ﷺ إلا قلةٌ لا اعتبار بها ولا معرفة لها بالقراءات ولا بالآثار ، جمدوا على ما علموا من القياسات ، وظنوا أنهم أحاطوا بجميع لغات العرب ، أفصحها وفصيحها . وقد نقل السيوطي عن قوم من النحاة

(19) الحجة في القراءات السبع ٣٤٧ ومعاني القراءات ٧١/٣ - ٧٢ والنشر ٣٨٨/٢ والغاية ٤١٣ والمهذب ٢٨٩/٢ .

(20) معاني القراءات ٧١/٣ - ٧٢ .

(21) معاني القراء ١٦٠/٣ .

(22) الأعراف / ١٨٥ .

(23) النشر ٩/١ ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين ١٥ .

المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية، وينسبونهم إلى اللحن قال: «وهم مخطئون فى ذلك فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لامطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جواز فى العربية، وقد رد المتأخرون ومنهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ ردّ واختار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية مستدلا به»[٢٦].

وأما ما نُقل عن السيدة عائشة وسيدنا عثمان بن عفان – رضى الله عنهما – من أن ما ورد فى هذه القراءات إنما هو لحن وستقيمه العرب بألسنتها، وأنه من عمل الكُتّاب أخطئوا فى الكتاب (يعنى فى الكتابة) فَرَدُّنا عليه أن نقول كما قال السلف من علمائنا الأجلاء[٢٥]:

«معاذ الله! كيف يُظنّ أولاً بالصحابة أنهم يلحنون فى الكلام فضلا عن القرآن، وهم الفصحاء اللُّدّ؟! ثم كيف يُظنُّ بهم ثانياً فى القرآن الذى تلقوه من النبى ﷺ كما أنزل وضبطوه وحفظوه وأتقنوه، ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ فى الكتابة؟! ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه؟! ثم كيف يُظن بعثمان – رضى الله عنه – أن يقرأه ولايغيره، ثم كيف يُظن أن القراءات استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف؟ هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة.

ثم إن هذا الأثر ضعيف والإسناد فيه اضطراب وانقطاع – كما يذكر الإمام السخاوى[٢٦] – «لأن عثمان – رضى الله عنه – جعل للناس إماما يُقتدى به، فكيف يرى لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها، وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع فكيف يقيمه غيره؟

وقد ذكر ابن تيمية[٢٧] أن هذا الخبر المنقول عنهما باطل ولايصح من وجوه:

أحدها: أن الصحابة – رضى الله عنهم – كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرّون اللحن فى القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم فى إزالته.

الثانى: أن العرب تستقبح اللحن غاية الاستقباح فى الكلام، فكيف لايستقبحون بقاءه فى المصحف.

الثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربى والعجمى.

الرابع: أنه قد ثبت فى الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوه» بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه، ورفعوه إلى عثمان – رضى الله عنه – فأمره أن يكتبه بالتاء على لغة قريش.

كذلك أنكر الطبرى[٢٨] هذه الرواية المنسوبة إلى عائشة – رضى الله عنها – وعقب بأنه «لو

---

(٢٤) الاقتراح ٤٩.
(٢٥) الإتقان ١/٧٥، ٢/٧٢ والاقتراح ٥٠ – ٥١.
(٢٦) نقلا عن ابن هشام فى شذور الذهب ٥٠.
(٢٧) انظر مجموع الفتاوى ١٥/١٥٣.
(٢٨) تفسير الطبرى ٦/١٩.

كان ذلك خطأً من الكاتب لكان الواجب إن يكون فى كل المصاحف غير مصحفنا الذى كتبه لنا الكاتب الذى أخطأ فى كتابته بخلاف ما هو فى مصحفنا .. ولو كان ذلك خطأً من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلّمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ولأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب ، وفى نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هُوَ به فى الخط مرسوما أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه وأن لا صنع فى ذلك للكاتب .

كذلك أنكرها المهدوى[29] فى شرح الهداية وذكر أنه هذا قول لم يصح ، ولا يوجد فى القرآن الكريم حرفٌ واحدٌ إلا وله وجه صحيح فى العربية وأن القرآن محفوظ من اللحن أو الزيادة أو النقصان .

ويرى ابن هشام[30] أنها رواية « بعيدة الثبوت عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ لأن هذه القراءات كلها موجهة وهى قراءة جميع السبعة ، فلا يتجه القول بأنها خطأ لصحتها فى العربية ، وثبوتها فى النقل » .

وأحسن ما يقال فى أثر عثمان ــ رضى الله ــ تعالى عنه ــ بعد تضعيفه بالاضطراب الواقع فى إسناده والانقطاع ، أنه وقع فى روايته تحريف ، فإن ابن أشته أخرجه فى كتاب المصاحف من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : « لما فرغ من المصحف ، أتى به عثمان فنظر فيه ، فقال : لقد أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا » فهذا الأثر إشكال فيه[31] ، فكأنه لما عرض عليه عند الفراغ من كتابته رأى فيه شيئا على لسان قريش كما وقع لهم فى « التابوت » و « التابوه » فوعَدَ بأنه سيقيمه على لسان قريش ــ كما ذكر ابن خالويه[32] ــ ثم وفّى بذلك كما ورد من طريق آخر أورده السيوطى .

ولعل من روى الأثر حرّفه ، ولم يتقن اللفظ الذى صدر عن عثمان فلزم ما لزم من الإشكال ، وفى الإتقان للسيوطى فصل بعنوان « معرفة على كم لغة نزل القرآن » ، وفصل آخر بعنوان « فيما وقع فى القرآن بغير لغة الحجاز » أورد فيه عدداً كبيراً من لغات القبائل ذكر منها كنانة وهذيل وحمير وجرهم وأزدشنوءة وخثعم وكندة وغيرها[33] .

وليست هذه المزاعم بجديدة على القرآن الكريم ، فقد هَرَف بها من قبل كثرةٌ من أعداء الإسلام وأهل البدع والأهواء ، وقد كان بعض المعتزلة يذهب إلى أن قراءات القرآن من قبيل اجتهاد القراء ، وتبعهم فى ذلك بعض النحاة ، فقاموا بتخطئة القرآن واتهامه باللحن والخروج عن اللغة الصحيحة المعروفة عند العرب ظنا منهم أن القرآن جاء بهذه اللغة من قبل نفسه .

(٢٩) نقلا عن شذور الذهب ٥١ .
(٣٠) شذور الذهب ٥١ .
(٣١) الاقتراح ٥١ والإتقان ١/٧٥ ، ٢/٢٧ ومابعدها .
(٣٢) الحجة فى القراءات السبع ٢٤٤ .
(٣٣) الإتقان ٢/٨٩ ــ ١٠٤ .

لكن المحققين من العلماء أجابوا عن هذه المزاعم ، وكشفوا عن وجه الحق فيما أثاروه من خلافات ، وليس كل خلاف في تراثنا العربي أو الإسلامي دليلًا على صحة الآراء المذكورة فيه ، فثمّ خلاف هو من قبيل خلاف التنوع ، وهو الذي تكون فيه كل الآراء محتملة للصواب ، مختلفة من حيث اللفظ متفقة من حيث المعنى ، كقول بعض المفسرين : إن المقصود بالصراط المستقيم في الفاتحة هو الإسلام ، وقول آخرين : إنه القرآن ، وقول فئة ثالثة : إنه طريق النبيين والمرسلين .

فهذه خلافات تكاد تكون واحدة من حيث المعنى ، وهي من قبيل التنوع ، فهذه لا بأس بها ولا غبار عليها ، وهي تعود على البحث العلمي بالخير والفائدة للمتعلمين .

وهناك خلاف آخر هو من قبيل التضاد لا تكون فيه الآراء كلها محتملة للصواب بل لابد أن يكون أحدها صائبا والآخر مخطئا ، كالخلاف في مسائل الحلال والحرام فإذا اختلف العلماء حول مسألة ، وقال بعضهم : إنها حلال ، وقال آخرون : إنها حرام ، وهي مسألة بينة واضحة فلابد أن يصح أحد الرأيين ، ويكون الآخر مخطئا .

وفي خلافات علمائنا كثيرٌ من هذا القبيل ، ومنه خلاف أهل الحق مع أهل الباطل والأهواء والبدع ، ومنه خلاف جمهور أهل السنة والجماعة مع أهل المذاهب غير السنية ، وكذلك خلاف جماعة المسلمين أو جمهرة العلماء مع الشواذ والخارجين عما اتفقت عليه الأمة .

ولا يصح أن نجعل الآراء والمعتقدات الفاسدة والأقوال الضعيفة الواهية المتهالكة أصلا نستند إليه عند الاستدلال والاحتجاج بمجرد أن أحداً من الناس قالها أو أن عالماً من العلماء ذكرها حتى ولو كان من علماء القرون الأولى ، فتلك فيها أصحاب الحق والحجة والبرهان ، وفيها كذلك أهل الباطل والكذب والبهتان .



قبس من أنوار النبوة

لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

« عن قبيصة بن مخارق الهلالى ـ رضى الله عنه ـ قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها : فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة ؛ فنأمر لك بها .

ثم قال : يا قبيصة : إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو سدادا من عيش .

ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها » .

(رواه مسلم وأبو داود والنسائى)

المفردات :

١ ـ الحمالة (بفتح الحاء) : ما يتحمله الإنسان عن غيره من مال يستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين .

٢ ـ الجائحة : الآفة التى تهلك الأموال والثمار والدور كالزلزال ، والسيل ، والإعصار ، أو غير ذلك من المصائب العظيمة .

٣ ـ قواما من عيش : القوام (بفتح القاف) ما يقوم بالحاجة وما تقوم به معيشته .

٤ ـ الفاقة : الحاجة والفقر .

٥ ـ الحجا : العقل .

جرت سنة الله فى هذا الوجود ، أن يبتلى بنى الإنسان بالخير أو الشر فتنة وامتحانا وابتلاء ، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ : « وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً » (الأنبياء / ٣٥) والابتلاء قد يكون بالسراء والضراء ، وبالنعماء والبأساء ، وبالشدة والرخاء ، وبالسعة والضيق ، وبالفرج والكرب ، وبالصحة والسقم ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والابتلاء : بما هو خير أشد وطأة ، وأثقل عبئا ـ وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر ـ حيث إن القلة هى التى تصبر وتصمد للابتلاء بالخير ؛ فقد يصبرون على الفقر والحرمان ، ولكن القليل منهم من يصبر على

الابتلاء بالغنى والعطاء والثراء ، وما يغرى به من متاع ، وما يثيره من شهوات وأطماع .

ومما أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « بلينا بالشدة فصبرنا ، وبلينا بالرخاء فلم نصبر » .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قضى أن يختبر عباده بما يعطيهم من خير أو شر ، وكان ابتلاؤه بالخير دقيقا جدا قل من ينجح فيه ؛ فإن شكروا فى الخير والنعيم ، وصبروا فى الشر والبلاء فأولئك هم الفائزون ، وإن أبطرتهم النعمة وجزعوا من الابتلاء فهؤلاء هم الخاسرون .

إن الشكر على النعماء والصبر على البلواء صفة أهل الإيمان الصادق كما قال ﷺ فيما رواه مسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

والرسول ﷺ يذكر لنا الذين يباح لهم أن يسألوا الناس المعونة والمساعدة بما يزيل كربتهم ، ويقضى حاجتهم ، ويدفع الضر عنهم .

وفى أول من تحل لهم المسألة وتجوز عليهم الصدقة ، رجل تحمل حمالة : أى أن المال الذى يتحمله الإنسان فيستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين ، ودفع نزاع قائم بين فريقين ، فيأخذ من الزكاة والصدقة ما يسد به ذلك الدين وإن كان غنيا ، وفى ذلك ترغيب فى مكارم الأخلاق ، وكانت العرب إذا تحمل أحدهم حمالة بادروا إلى معونته ودفعوا إليه ما يسد به دينه ، وتبرأ به ذمته ، وإذا سأل الناس لذلك لم يكن نقصا فى قدره ، بل يعد من مفاخره .

والرجل الثانى : ممن تحل لهم المسألة ـ أصابته جائحة ، ونزلت به مصيبة عظيمة ـ حادثة أو آفة أهلكت الزرع أو الماشية ـ أو غير ذلك ـ كالسيول والأعاصير والزلازل ؛ فيحل له أن يسأل الصدقة ويطلب المعونة ، ويجب إعطاؤه من الزكاة المفروضة وغيرها حتى يستغنى ويستقيم أمره ثم يمسك .

والثالث : رجل أصابته فاقة وحاجة وعوز بعد غنى ، وشهد ثلاثة من عقلاء قومه بفقره بعد أن كان غنيا . يباح له السؤال وأن يطلب من الناس معونته ، حتى يصيب قواما وسدادا وكفاية ، وما زاد عن الحاجة فهو سحت وحرام .

وروى أصحاب السنن : أن النبى ﷺ قال : « إن المسألة لاتصلح إلا لثلاثة : « لذى فقر مدقع » ـ ما يفضى بصاحبه إلى الدقعاء أى : التراب وهو كناية عن شدة الفقر ـ « أو لذى غرم مفظع » ـ الغرامة : الفظيعة ـ « أو لذى دم موجع » ـ هو : الدية التى تلزمه ولا يستطيع أداءها .

« لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » رواه الترمذى .

والمرة : القوة والشدة ، والسوى : الصحيح الأعضاء ، أو القادر على الكسب .

وهكذا يعلم الإسلام أبناءه التعفف والترفع ويدفعهم إلى العمل مهما كان . « ولأن يأخذ أحدكم حبله إلى الجبل فيحتطب على ظهره فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه الشيخان وغيرهما .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .





النسخ فى الشريعة الإسلامية

بقلم أ. د/ محمد سعاد جلال

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته ، وبعد :

١ - للمناسبة الملحوظة فى منهج البحث بين الدلالة اللغوية للكلمة ، والاصطلاح المؤسس عليها ، يلزمنا تحقيق الدلالة اللغوية لكلمة النسخ ، والمعنى الاصطلاحى الذى يريده علماء الأصول منها ، ذلك المعنى الذى يظل بسبيل من النظر إلى المدلول الأول دائما

بيان النسخ :

يطلق النسخ فى اللغة على الإزالة : يقال نسخت الشمس الظل إذا أزالته ، ونسخت الريح آثار القدم إذا أزالته ، ونسخ الشيب الشباب كذلك .

ويطلق على النقل والتحويل ، يقال : نسخت النحل العسل إذا نقلته من خلية إلى خلية .

ومن دلالة النسخ على النقل استعمالهم الكلمة فى تناسخ المواريث ، لانتقالها من قوم إلى قوم ، وتناسخ الأرواح لانتقالها بذاتها من بدن إلى بدن ، عند من يرون ذلك مذهبا .

وكعادة الأصوليين دائما ، أو كما هو طابع الثقافة الإسلامية ، فى اتجاهها إلى الدقة المتناهية ، والتمييز الفاحص بين الحقائق ، اختلف العلماء أى هذين المعنيين المذكورين هو المعنى الحقيقى دون الآخر ، أهو الإزالة ؟ أم هو النقل ؟ ليس للكلمة عند الاستعمال إلا هذان المعنيان ، فلابد أن يكون أحدهما هو الحقيقى دون الآخر ؛ دفعا لفرض اشتراكهما فى لفظ واحد يدل على كل منهما ؛ لأن اشتراك المعانى تحت لفظ واحد تعدد وضعه لكل منها . مما يأباه واجب الحكمة فى وضع اللغات[1].

ونحن نختار ما ذهب إليه الإمام الرازى من أن معنى النسخ هو الإبطال .

قال الرازى :

(فقد رأينا اللفظ مستعملا فى المعنيين على

(١) عبدالعزيز البخارى : شارح البزدوى .

سواء ، فالتمسنا مرجحا ، فوجدنا النقل أخص من الإبطال لأنه حيث وجد النقل فقد عدمت صفة وحل عقيبها صفة أخرى ؛ فإن مطلق العدم أعم من عدم يحصل عقيبه شيء آخر ، وإذا دار اللفظ بين العام والخاص كان جعله حقيقة فى العام أولى)[2] .

ولكن لم يقل لنا الرازى : لماذا يكون جعل اللفظ حقيقة فى المعنى العام أولى من جعله كذلك فى المعنى الخاص ؟ .

ولعله تركنا لنفهم أن المعنى العام من قبيل البسيط ، فيكون فى مراحل تطور الكلمة سابقا على المعنى الخاص الذى يعد ـ لاشتماله على المطلق وزيادة من قبيل المركب ، فيترجح أن تكون الكلمة حقيقية فى المعنى الأسبق وجودا ، وقد ورد من ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾. فليس ها هنا معنى إلا الإزالة والإبطال ، والأصل أن نفهم ذلك على أنه حقيقة اللفظ لا مجازه ؛ لأن ذلك موجب الإطلاق .

٢ ـ وقد يكون اختلاف الأصوليين فى تعريف الكلمة من الجانب اللغوى أيسر يسرا من اختلافهم الذى تقدم عليه الآن فى بيان معناها الأصولى . ولن نستطيع الدوران كثيرا وراء اختلافاتهم المتشعبة على ما نرى عند الآمدى ، وعبدالعزيز البخارى شارح البزدوى ، ولكننا سنقتصر على ذكر طائفة من التعريفات المعتبرة عند أصحاب الفن . والمقصود من ذلك إنما هو إيجاد أدلة طائلة لإيضاح الفكرة ، وتمثيل وجهات نظر أصحاب المذاهب المختلفة :

أولا : هذا التعريف الذى اختاره الغزالى ، ولعله يمثل وجهة نظر المذهب الشافعى ، وإن كان الآمدى يضع لنفسه تعريفا مستقلا عنه :

(النسخ هو : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم ، على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه) .

ويلزمنا شرح هذا التعريف المفصل ، الذى نؤثره كما آثره الغزالى ـ برغم بعض المآخذ التى وجهت إليه .

فعند استعراض عملية النسخ نفترض وجود خطابين شرعيين ، أثبت كل منهما حكما شرعيا أحدهما متقدم والآخر متأخر عنه ، إذا ظهر المتأخر من قبل الشارع دل ظهوره على زوال الحكم الثابت بالخطاب المتقدم ، وانتهاء مدته فى علم الشارع ، وأن اعتبار تكليفنا به قد بلغ أجله ، ويسمى الحكم الزائل منسوخا ، والخطاب الذى دل على زواله ناسخا .

ويشترط أن يكون الحكم المنسوخ حكما شرعيا ـ لا حكما عقليا : فرفع ما يسمى بالإباحة الأصلية ، أو براءة الذمة الثابت بحكم العقل ، إذا وقع بخطاب شرعى لا يسمى ذلك نسخا ؛ لأن إيجاب العبادات فى الشرع ابتداء يزيل حكم العقل من براءة الذمة ، ولا يسمى ذلك نسخا .

ويشترط أن يكون الخطاب الثانى ، وهو الناسخ متأخرا عن الأول فى الزمان ، فلو كان

---

(٢) الفخر الرازى ـ محمد بن عمر ـ صاحب التفسير .

موصولا به كالاستثناء ، والشرط ، والغاية ، لا يكون شيء من ذلك ناسخا ولا التقييد به نسخا . بل قد يسمى فى بعض الاصطلاحات تخصيصا ، وفى بعضها بيان تغيير .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ وقوله ـ تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ، وقوله ـ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ . إلى آخر هذه الأمثلة الجزئيات .

ونشترط أن يكون الخطاب الأول المثبت للحكم المنسوخ مصوغا بصورة تدل على استمرار الحكم الثابت ، حتى يتصور أن يكون الخطاب الناسخ دالا على عدم استمراره ، وكاشفا لما حجب عنا من انتهاء التكليف به . فلو فرضنا أن هذا الخطاب المتقدم قد كان مصوغا بصورة تفيد التأقيت لما صح أن يكون حكمه منسوخا عند زواله ، وطروء خطاب بعده يناقضه .

قال ـ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، إن هذا النص أو هذا الخطاب يفيد تأقيت الحكم الثابت به ، فلو فرضنا أن خطابا آخر لحق به من قبل الشارع عند غروب الشمس يقول : (كلوا واشربوا) لما اعتبرت هذه العملية نسخا ؛ لأن الخطاب الثانى لم يرفع شيئا باقيا من حكم الخطاب المتقدم .

كما يشترط فى هذا الخطاب الأول أيضا ألا تأخذ صياغته صورة التأبيد كقوله ﷺ : (الجهاد ماض إلى يوم القيامة) ، وكقوله ـ تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ فإن مثل هذا الخطاب لا يلحقه النسخ ؛ لأن صيغته التى أعلنها الشارع عن نفسه أبانت أنه ليس فى علمه احتمال نسخ مثل هذا الحكم .

ويضاف إلى هذا الموضع أيضا ـ أن النسخ لا يلحق واجبات العقول : فيمتنع من أمر الشارع أن يسوق خطابا يتضمن نسخ الحكم بوجود الله ، أو بوحدانيته ، أو بتنزيهه عن الولد والشركاء . أو يتضمن نسخ الحكم بوجوب شكر المنعم ، وما شاكل ذلك من الأمور التى يكون تحققها مما يحكم العقل بوجوبه . وإن خالف فى هذه المسألة التى يبدو ـ كأنها بدهية ـ بعض أصحاب المذاهب[3] .

ثانيا : عرف بعض الحنفيين النسخ بقوله : (هو بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى فى تقدير أوهامنا استمراره ، لولاه ـ أى ـ لولا هذا البيان ـ بطريق التراخى) .

ويمكن فهم هذا التعريف على ضوء شرح التعريف السابق ، وإن اختلف عنه باستعمال كلمة « البيان » بدلا من كلمة الخطاب فى التعريف السابق ، وربما كانت هذه الكلمة فى موضعها أدق من « الخطاب » ؛ لأنها أشمل لصور النسخ من جهة إذ تشمل صريحا ما كان من النسخ عمليا بفعل النبى ﷺ : كالذين رووا أن النبى ﷺ أمر بقتل شارب الخمر إذا شربها للمرة الرابعة ـ فجاؤوه بإنسان شرب الخمر للمرة الرابعة ، فلم يقتله[4] ـ فكان ذلك نسخا بالفعل لا بالخطاب ، فأولى أن يسمى النسخ بيانا ، وإن كان فعله ﷺ لا يعرى من أن يكون فى معناه خطابا .

(3) ابن حزم فى الإحكام .

(4) الآمدى ـ الإحكام ـ النسخ .

ومن جهة أخرى : فإن كلمة « البيان » أكثر كشفا لفلسفة النسخ ، وهو أنه على الحقيقة بيان من الله لما كان حجب عنا من حقيقة بعض ما كلفنا به . ويرى ابن حزم أن النسخ نوع من أنواع تأخير البيان ؛ لأن تأخير البيان عنده ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : يقع على اللفظ المجمل ، يظل على إجماله حتى يحين وقت التكليف بحكمه ، فيرد عن الشارع ما يفسره للمكلف .

وثانيهما : عمل كلفنا الله به في وقت معين لا نظنه مستمرا ـ وقد سبق في علم الله أنه سينقلنا عنه إلى التكليف بغيره في وقت آخر ، فإذا جاء هذا الوقت الآخر ، بين لنا ما كان غائبا عنا من علمه ، واستأنف تكليفنا بحكم غير هذا الحكم المتقدم .

وفي تقرير هذا المعنى ، يسوق لنا البزدوى إحدى عباراته الرصينة إذ يقول : (وهو ـ أى النسخ ـ في حق صاحب الشرع بيان محض لمدة الحكم المطلق الذى كان معلوما عند الله ، إلا أنه أطلقه فصار ظاهره البقاء ، في حق البشر ، فكان تبديلا في حقنا ، بيانا محضا في حق صاحب الشرع ، وهو كالقتل لأنه بيان محض للأجل ؛ لأنه ميت بأجله بلا شبهة في حق صاحب الشرع ، وفي حق القاتل تغيير وتبديل) .

ثالثا : وللغاية التى توحى بها كلمة « البيان » دون كلمة (الخطاب) في تفسير النسخ جاء تعريف ابن حزم الظاهرى : « النسخ : بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر . ويريد بغير المتكرر الذى يدخله النسخ ما كان الخطاب به مطلقا . ويريد بالمتكرر الذى لا يعتبر . بيان انتهاء زمانه نسخا ، ما كان الخطاب به دالا على التأقيت .

ثم نقل تعريفا آخر عن بعض العلماء ـ عرفنا عن طريق الآمدى ـ أنه من المعتزلة قال : (إن النسخ : استثناء الزمان الثانى من إطلاق الفعل على التأبيد) وهو ظاهر .

وأكثر هذه التعريفات ـ تدور على معنى واحد ، وهو أن النسخ : بيان لانتهاء حكم وضع في علم الله على قدر زمان معين ، وليس اعتراضا على حكم وضع على قدر الزمان كله .

وهو المعنى ذو الأثر الذى ستصحبه معنا إلى مناقشات قادمة .

الاستدلال على ثبوت النسخ

١ ـ يلمح الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التى نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين ، كابن عباس .. وابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم ، ومن تأصيل الأئمة ، وعلماء الأصول من سنيين وشيعة وظاهرية ومعتزلة ـ أن مسألة النسخ كانت واقعا مستقرا في التفكير الإسلامى ، وأن الجو الفكرى المتبادل بين المختلفين في مواد المسائل المنسوخة والناسخة ، إنما تنهض شاهدا على أن موضوع النسخ من الموضوعات التى سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر في الشريعة الإسلامية . وأن أية محاولة طارئة ومتأخرة في الزمان ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ في الشريعة ، أو في القرآن إنما هى محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ ، مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ، ومهما تهيأ لهم من محاولات الاستدلال .

إنه لمن الصعب أن تصدق أن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعلى بن أبى طالب وغيرهم يتكلمون فى النسخ ، ويختلفون فيما بينهم اختلافات تصل إلى حد إعلان المباهلة حول بعض الآيات .. فيقول ابن مسعود فى بعض واقعات النسخ : من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى ، أى فنسخت الآية التى بعتها . ثم يكون النسخ فى آيات القرآن أو فى السنة أمرا غريبا وخطأ واقعا فى الدين .

ومهما لاحظنا أن من المنقول عنهم فى الناسخ والمنسوخ ما لا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين ، فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثا مستقرا متبادلا فيما بينهم ، فى الوقائع إلى يتدار سونها كاف وحده فى الدلالة على وجود مبدأ النسخ ، وثباته فى الشريعة الإسلامية .

٢ ـ وحين يتحدث الكتاب المسلمون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون فى المقام الظاهر من حديثهـــم إلا اليهود ، ويشيرون بمنتهى عدم الاكتراث إلى بعض مجهل من المسلـــمين ، لا يعرف أشخاصهم ، ولا زمان وجودهم ولا مستند رأيهم على التحديد ، كقول الفخر الرازى : (ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ) ولا يعنى بالزيادة فى تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة ، وكقول الإمام البزدوى على بن محمد : وقد أنكر بعض المسلمين النسخ ، لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

وتستطيع أن تقدر فى هذه العبارة العنيفة ، من تغليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ فى الشريعة ، هذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ ـ ولنبحث عن البعض المجهل الذى أشار إليه الرازى والإمام البزدوى ـ رضى الله عنهما : إن عبدالعزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ فى نقل البزدوى وسماه ، بأنه أبو مسلم الأصفهانى محمد بن بحر الذى نتكلم عنه فيما بعد .

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجهل الذى عناه الفخر الرازى ؟ أهم جماعة آخرون غير أبى مسلم ؟. أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟

إن الفخر الرازى لا يكشف لنا عن هذه المسألة ـ وفى أثناء درسنا للآيات التى يقع فيها الاختلاف حول الناسخ والمنسوخ فى تفسيره الكبير لا يذكر لنا إلا اسم أبى مسلم فى الجانب الذى يتأول فيه للآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفى بعض المرات ذكر لنا اسما آخر هو اسم أبى بكر الأصم ، أثناء التوفيق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفى ؛ لأن نظن أن أبا بكر الأصم ،كان اسما آخر ينضم إلى اسم أبى مسلم فى إنكار النسخ ؛ لأن القائلين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التى تعطى التعارض بظاهرها ، نأيا عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه فى فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق .

على أننا وقعنا مصادفة فى الإحكام لابن حزم على نص قاطع فى تحديد موقف أبى بكر الأصم .

فى أثناء نقل ابن حزم لأقوال العلماء الذين

يهدرون العمل بخبر الواحد ، ذكر نقلا عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر كابن كيسان الأصم البصرى : لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحدا منها لا يعرف بعينه أيها هو قال : فإن الواجب التوقف عن جميعها . فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ والغلط ؟. انتهى كلام الأصم .

وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما نلتمس هو كلمته الأخيرة ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، والغلط ، فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

٤ ـ إذن نستطيع أن نجزم بأن الاستقراء العلمى إلى الآن وبحسب المصادر التى بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنا من بين علماء المسلمين اسما معينا يذهب إلى إنكار النسخ غير أبى مسلم ـ ذلك المفكر الذى يثير ضجة كبيرة فى عالم التفسير والفقه بنظريته المبتدعة فى إنكار النسخ .

وقد ترك لنا أبو مسلم من المصادر التى يتحتم أن يكون ضمنها هذه النظرية ـ كتابين أحدهما كتاب : « جامع التأويل لمحكم التنزيل » ، وهو تفسير ضخم يقع فى نحو أربعة عشر مجلدا ، كتبه على طريقة المعتزلة .

وفى تقول جولدزيهر : إنه يبلغ سبعة وعشرين مجلدا ، وقد مدحه بعض الكاتبين(*، ٦) القدماء بأنه لم يؤلف مثله ـ وهى عبارة تقليدية لا تفيد غير التزكية لكن هذا الكاتب أشار بعد هذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول .

وثانى الكتابين : كتاب الناسخ والمنسوخ ، ومبلغ علمى أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا ، وإلا كنا قد وجدنا فى رحابهما الواسعة ، ومادتهما المباشرة معرفة أوسع وأدق ، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التى خرج بها صاحبها على الناس ، فى أواخر القرن الثالث ، ومطلع القرن الرابع الهجرى .

٥ ـ وقد استطاع الفخر الرازى أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبى مسلم فى التوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد ، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذى اعتمده فى إنكار النسخ . إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير فى تكييف الموضوع والحكم فيه ، ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبى مسلم فى طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة ، ويحسبون الخطب فى ذلك سهلا ، مع أن انكشاف الأصل الذى بنى عليه أبو مسلم « منع النسخ » قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص ، كالقول بالبداء أو غيره ـ يقتضى رد مذهبه ردا قاطعا بغير التفات إلى أسلوبه فى التوفيق بين الآيات موضوع النسخ .

(*) الذريعة إلى كتب الشيعة .

(٦) فى مكتبة الأزهر مخطوط باسم أبى مسلم ـ غلط فيه بعض الناس ـ لكنه ليس هو الشيخ هنا ، بل هو رجل آخر من علماء القرن السادس .

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة ، عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقي لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده ، التي حصل التطبيق على أساسها غير المنظور .

٦ ـ والآن يتحتم علينا أن نقدم تعريفا موجزا عن أبي مسلـم هذا ويظهـر من الشذرات غير التحليلية ـ التي تنقلها كتب التراجم عنه أنه كان عقلية عميقة متعددة الجوانب . وقد يفاجئنا من أمره أنه لم يكن رجلا « أكاديميا » يعيش في محراب الدرس ، منقطعا للبحث العلمي ، على طراز الجاحظ ، أو النظام ، أو عمرو بن عبيد ، أو غيرهم من شيوخ المعتزلة ذوي المذاهب ، الذين يشاركهم نحلة الاعتزال ، بل كان رجل سياسة ودعوة وإمارة ، كما كان على حد تعريف صاحب معجم الأدباء (كاتبا بليغا مترسلا جدلا ، وكان ينظم الشعر بالفارسية فينقل للعربية) .

ومن شعره الفارسي المنقول للعربية :

بالشباب وغصنه النضر والعيش في أيامه الزهر
لو دام لي عهد الشاع به وأمنت فيه حوادث الدهر
لكنه لي معقب هرما وهو النذير بآخر العمر

ويزعم بعض كتاب الشيعة ، مثل صاحب « الذريعة » أنه كان شيعيا ؛ لأنه تولى الكتابة لمحمد بن زيد الداعي من آل البيت ـ رضي الله عنهم ـ .

ولو اعتبرنا كل محب لآل البيت ، وعاملا في خدمتهم شيعيا ـ بالاصطلاح المذهبي ـ لكان كل مسلم غير منافق القلب شيعيا .

على أن هذا الرجل كان واليا من قبل المقتدر العباسي على أصفهان وما حولها من بلاد فارس ، وظل على ولايته حتى أخرجه منها سلطان بني بويه سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . فدعوى تشيعه مع عباسيته الرسمية هذه مسألة تحتاج إلى التريث .

وإن كنا نلحظ في تاريخ الانقسامات المذهبية في الإسلام أن المعتزلة كانوا أقرب إلى الشيعة منهم إلى أهل السنة .

ومهما يكن من أمر فإن الومضات الكاشفة التي تعبر إلينا من كتب التراجم عن هذا المفسر المتكلم الأديب تقنعنا بأنه كان ـ في الثقافة الإسلامية ـ شخصية علمية خصبة ، شديدة الخصوبة ، وأنه كان من طراز تلك الشخصيات النادرة ، التي يلتقي في تكوين ملكاتها العلم والفن معا . فتكون بوسيلة الوجدان من ناحية ، وبوسيلة المنطق من ناحية أخرى ، ذات قدرة نافذة على الإدراك العميق والتأمل الشامل .

يذكره بعض أئمة المذهب الحنفي متعجبا من خلافه لعامة المسلمين في النسخ مع تقدمه في العلم والثقافة ، فيقول عنه : هو رجل معروف بالعلم وإن كان يعد من المعتزلة ، وله كتاب كبير في التفسير ، وكتب كثيرة ، فلا أدري كيف وقع هذا الخلاف منه[١] ـ أي في النسخ وقد ولد أبو مسلم سنة أربع وخمسين ومائتين وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، رحمة الله عليه .

يتبع




عمل المرأة بين المنظور الإسلامي والقانون المصري

مسائل ترجيحية في عمل المرأة

(٢)

د / زينب صالح الأشوح

يمثل ذلك الاتجاه في الوسطية بين الاتجاهين السابق عرضهما في القسمين السابقين متضمناً آراء ترجيحية ، تارة تميل إلى رفض عمل المرأة مع توخي الحذر في الرفض التام ، وأخرى تجيز العمل كحق للمرأة ، ولكن الحذر في ذلك الجواز يتضح فيما يعرض من قيود على استخدام ذلك . وذلك ما سوف نتبينه من العرض الموجز لبعض الأمثلة على هذا الاتجاه .

فنجد عبد المنعم حسن (١٩٨٥ ، ص ٥٧ ، ٥٨) يتحدث عن قدرة احتمال المرأة للألم ، وأنها تفوق قدرة الرجل وأن ذلك ليس فقط ظاهراً في آلام الحمل والوضع ، وإنما يتجلى ذلك أيضاً في مواضع أخرى ، خصوصاً في أوقات الحرب . ومع هذا ، يرى المؤلف : أن ذلك لا يخول للمرأة الحق في القيام بالأعمال التي أعد الرجل للقيام بها ـ ويقصد بها الأعمال خارج المنزل ـ إذ أن المرأة قد منحت تلك القدرة لإعانتها على القيام بالوظائف التي أعدت أصلاً لها ، وهي : الحمل والولادة وتربية النشء .

وتضيف الدراسة السابقة (عبد المنعم حسن ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٥) إن المرأة قد حرمت من أعمال الحكم والقضاء وإمامة الرجال في الصلاة ويرجع ذلك ـ وفقاً للدراسة المعنية ـ إلى أمرين هامين :

أولهما : حق الرجل في القوامة على الرجل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ النساء : ٣٣

وثانيهما : جعل شهادة امرأتين متساوية لشهادة رجل واحد ، فقد قال تعالى :

* نشر الجزء الأول بعدد ربيع الآخرة ١٤١٥ هـ .

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾

سورة البقرة : ٢٨٢

على الرغم مما يفهم سابقاً أن هناك من الوظائف ما يجب أن يكون حكراً على الرجال ، فهناك بعض من الوظائف الأخرى ما يفضل الشرع أن تقوم بها النساء دون الرجال مما يوحى بأن مسألة عمل المرأة هى قضية ترجيحية ، أى تتوقف على نوع العمل ذاته وليس على ذات العمل ! فيفضل مثلاً أن تقوم المرأة بالأعمال التى إن تولاها الرجل فإنها تؤدى إلى الاختلاط والخلوة وذلك مثل الحال فى : طب وتمريض النساء ، الحياكة ، تدريس البنات ، والتفتيش على النساء فى السجون والجمارك وغيرها (عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢) .

وقد أفتى الشيخ محمد عبد الله الخطيب (حسين شحاتــة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣) بإباحة العمل للمرأة ، على أن يكون عملاً مناسباً وبحيث يتم فى المكان المناسب لها ، مثل : تدريس البنات أو الطب . ومع هذا فقد ذكر أن عملها لا يباح لها إلا إذا ما كان الهدف من ذلك هو إعالة نفسها أو إعالة غيرها ، وكان المجتمع مقصراً فى رعايتها كمواطنة محدودة الدخل .

وعلى نقيض ما ذكر من حرمانية عمل المرأة فى الأعمال الشاقة خاصة الحروب ، فقد أشارت إحدى الدراسات (زينب عصمت راشد ، ١٩٧٥ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٩) إلى أنه وقت الحروب إذا اشتد الخطب فإنه يباح للمرأة أن تعمل فى الإمداد بالزاد وإسعاف الجرحى والمساعدة فى نقل القتلى ، وكذلك يمكنها أن تشارك فى قتال العدو بالسلاح . وقد استدلت على ذلك الحكم بما روى عن أمية بنت قيس الغفارية التى ذهبت مع بعض النسوة من بنى غفار للقاء النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يسير إلى خيبر وقالت له : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله . كما يروى : أنه فى غزوة أحد عندما اشتد الأمر واتجهت سهام المشركين إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من كل جانب نزعت نسيبة بنت كعب سيفها من غمده وانقضت على صفوف المشركين وهى تصيح : وامحمداه ، واستمرت فى دفاعها حتى أصيبت ، وقد بارك النبى - صلى الله عليه وسلم - كفاحها ودعا لها بالشفاء وحسن الجزاء . (البداية والنهاية لابن كثير) .

وقـد أشار حسين شحاتـة (١٩٩٠ ، ص ٤٢) إلى أن هناك مجالات للعمل تتناسب وطبيعة المرأة ومن ثم فيمكن للمرأة أن تعمل بها ، كضابطة شرطة نسائية أو مشرفة اجتماعية ، غير أن هناك مجالات أخرى يرى أن فيها مزاحمة للرجل فى عمله والدخول فى وضع تنافس معه ؛ مما يستدعى منها تجنب القيام بمثل تلك الأعمال ، مثل أعمال الخلافة والقضاء ، وكذا فهناك مجموعات أخرى من الأعمال التى تعتبر غير صالحة لقيام المرأة بها بحكم طبيعة تكوينها أو بحكم

قدراتها الفعلية التى لا تستطيع الوفاء بمقتضيات تلك الأعمال والمهن وذكر أمثلة لها ومنها أعمال التشريح والمراقبة ، والأعمال الشاقة التى قد تؤثر على الجنين مثل المشاركة فى الحروب والحراسة الليلية .

ويقترح عيسى عبده (عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤٢) معياراً يمكن اتباعه لتحديد العمل المناسب للمرأة ـ إن كان العمل فى حد ذاته مقبولاً لها ـ فيقول إن العمل فى الإسلام يقدر بحسب « منفعته » للفرد وللجماعة ، وبقدر « الإتقان والإجادة » فيه . وبتطبيق ذلك المعيار فى حالة عمل المرأة يشير المؤلف إلى أنها عادة ما تواجه مشاكل خاصة تؤثر على صافى المنفعة التى تقدمها من عملها لذاتها وللمجتمع ، والذى يمكن أن يؤثر بسوء على إنتاجيتها ، ومن تلك المشاكل يذكر على سبيل المثال : الحمل والوضع والرضاعة .

وفيما يتعلق بالمهن والأعمال التى اعتبرت حكراً على الرجال من وجهة النظر الشرعية كما أوضح ذلك المتخصصون ، نجد دراسات أخرى (أميمة مهنا ، ١٩٨٤ ، ص ٥٥ ، الغزالى حرب ، بدون تاريخ ، ص ٢٣١) تعرض آراء مختلفة ، فقد ذكر مثلاً : أنه بينما حرم كل من : الإمام « مالك والشافعى وابن حنبل » تولى المرأة للوظيفة القضائية لنقص النساء عن رتب الولايات فقد أجاز أبو حنيفة وأصحابه قضاء المرأة فيما تصح فيه شهادتها ـ أى فيما عدا الحدود والقصاص ـ بينما يجيز الطبرى : قضاء المرأة فى كل شيء . هذا وقد روى عن عمر بن الخطاب : أنه ولى السيدة « الشفاء بنت عبدالله » ولاية الحسبة فى السوق ، بينما اعتبر القتال غير مفروض على المرأة لأنه من المفروض عليها ان تنشغل بزوجها وبحقوقه من باب أولى .

ضوابط عمل المرأة فى الإسلام :

وأياً ما بدا ـ من خلال الاستعراض السابق ـ من رأى علماء الشريعة ودارسيها من عمل المرأة وتحريمه إلا من استثناءات قهرية أو إباحية أو وسطية بين هذا وذاك ، فهناك إجماع على وجود ضوابط وشروط لا بد للمرأة من الالتزام بها فى حالة قيامها بالعمل خارج المنزل والتى يمكن إيجاز أهمها فيما يلى :

ـ أن يتم عمل المرأة فى جماعة من النساء بحيث يمكن مراقبة سلوك كل . وألا يكون فى عمل النساء مزاحمة للرجال أو اختلاطاً بهم ، وإذا كان العمل شاقاً فعلى الرجل أن يعاون المرأة فى قضائه بسرعة وبدون مقابل (محمد متولى الشعراوى ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٤ ـ ١٠٧ ، عبد التواب تواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٣) .

ـ ويضيف تواب الدين فى دراسته السابق الاشارة إليها (ص ١١٤ ـ ١٢٤) شروطاً خمسة تم استنباطها من النصوص والمقاصد الشرعية كضوابط لعمل المرأة ، وصنفها كالآتى :

(أ) الحجاب وعدم التبرج وإبداء الزينة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(الأحزاب : ٥٩)

وذلك الشرط يقترن بضرورة تجنب العمل فى

المجالات التي تفرض الاختلاط أو السفور أو الخلوة كالعمل (سكرتيرات) للرجال أو قيادة سيارات الأجرة .

(ب) تجنب مواضع الفتنة والعمل المفضي إلى محظور شرعي ، فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **ما تركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء** » (رواه مسلم عن أسامة بن زيد ، ج ٤ ، ص ٢٠٩٧) .

(جـ) أن يكون عملها بإذن من الولي (أباً أو زوجاً) بدليل قوله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ النساء : ٣٤

(د) ألا يستغرق العمل (غير المنزلي) وقتها أو جهدها أو يتنافى مع طبيعتها ، وتجنب الأعمال الشاقة التي تنطوي على مخاطرة بحيث تؤثر على الوقت المتاح لها في القيام بأعمال المنزل أو على قدرتها في إنجاز تلك الأعمال (الموكلة والملزمة بها أساساً) على الوجه المطلوب وبالشكل الكافي الملائم . ومن تلك الأعمال الواجب على المرأة تجنب القيام بها : أعمال البناء والنجارة والحدادة والحراسة العامة .

(هـ) ألا يكون في عمل المرأة تسلطاً على الرجال أو ولاية عليهم أو قيادة لهم مثل الإمامة والوزارة والشرطة ، ويستدل على ذم مثل تلك الأعمال بالحديث الشريف « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » (أخرجه البخاري عن أبي بكرة ج ٦ ، ص ١٠) .

ـ ومن الضوابط التي يضيفها أبو ذر القلموني (بدون تاريخ ، ص ١٨٣) كحكم شرعي لقيام المرأة بعمل خارج منزلها ، عدم السير وسط الطريق وفي زحمة الرجال فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **استأخرن فإنه ليس لكن أن تحضن الطريق ، عليكن بحافات الطريق** » (أخرجه الترمذي في السنن) . وإذا تطلب العمل التعامل مع الرجال فيكون ذلك مع تجنب الصوت المغري المثير امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ الأحزاب

ـ ويؤكد سالم البهنساوي (١٩٨١ ، ص ٨٦) على ضرورة تجنب الخلوة بين الرجل والمرأة في مكان العمل مستدلاً بالحديث الشريف « **لا يخلون رجل وامرأة** » (رواه البخاري) ، كما يحذر من استمرار عمل المرأة فيما يتحقق به تسلية الرجل أو خفض إنتاجيته (ص ٨٨) .

ـ ولقد نصح الشيخ محمد عبدالله الخطيب (حسين شحاتة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣) بأنه في حالة عمل المرأة كضرورة ، يجب عليها تجنب القيام بعمل يخرجها عن خصائصها كأنثى ، ويضيف حسين شحاتة (ص ١٠٦) نصيحة أخرى : أن لا يتطلب عملها هذا السفر بدون محرم .

ـ ويعتبر استيلاء الزوج على راتب زوجته محل خلاف بين العلماء ؛ ففضيلة الشيخ الشعراوي يرى أن وقت الزوجة ملك للزوج .. ومن هنا يجيز أخذ راتبها[1] ، هذا الرأي[2] بينما يرى آخر عدم جواز أخذ مرتب الزوجة إلا برضاها ، فإذا أخذ الزوج منه شيئاً كرهاً يعتبر غصباً (محمد البهي ، ١٩٧٩ ، ص ١٢) .

(١) سماعاً من حديث تليفزيوني .

٢ ـ تشغيل المرأة فى التشريع المصرى :

بعد استعراض أهم المضامين المتعلقة بعمل المرأة فى الشريعة الإسلامية ، يثار تساؤل هام وهو : إلى أى مدى ينطبق هذا على الواقع العملى ؟ وقد وجد أن الإجابة على ذلك التساؤل يمكن استنباطها من خلال نوعين من التحليل .

أولهما : يتناول التشريع المصرى ومعالجته لتشغيل النساء .

والآخر يقوم على أساس إجراء دراسة ميدانية لرسم صورة واقعية عن طبيعة عمل المرأة فى مصر ، والآثار الفعلية المختلفة له ومدى توافق ذلك مع ما اقتضته الشريعة الإسلامية الغراء . وذلك على اعتبار (مصر كدراسة) حالة بحيث يمكن أن تكون نموذجا لدراسات مماثلة فى المستقبل فى بلدان العالم الإسلامى الأخرى . ونظرا لأن التشريع هو الأداة المباشرة التى يمكن استخدامها لتنفيذ أحكام الشريعة فسوف يتم تناول الجزء الأول من التحليل ـ المشار إليه آنفا ـ فى الفصل الحالى على أن نقوم بالجزء الآخر من التحليل فى حينه .

تشير الدراسات المختصة إلى أن الأصل فى قانون العمل والنصوص الدستورية هو المساواة بين الرجل والمرأة ، وخلافا لهذا ، فالأجزاء المستثناة فى تشريع العمل المصرى قد أعدت كمميزات إضافية تستفيد بها المرأة العاملة وحدها . (نبيلة رسلان ، ١٩٩٢ ، ص ٤ ـ ٦ ، عزت عبدالله البندارى ، ١٩٩٠ ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، أنور العمروسى ، ١٩٨٧ ، ص ٤٩ ، ٥٠) .

وكما أوضحت إحدى الدراسات (نبيلة رسلان ، ١٩٩٢) فالقانون المصرى للعمل قد تضمن نصوصا صريحة على المساواة فى معاملة المرأة العاملة مع الرجل العامل وذلك فى المواضع الآتية :

١ ـ المساواة فى التعريف ، فقد تضمنت المادة ١٤٣ من قانون العمل تعريفا واحدا لكلا الجنسين المشاركين فى مجال العمل « يعتبر حدثا فى تطبيق أحكام هذا الفصل الصبية من الإناث والذكور البالغين اثنى عشرة سنة كاملة وحتى سبع عشرة سنة كاملة » .

٢ ـ المساواة فى الأجر ، وذلك كما نصت المادة ١٥١ من قانون العمل أنه « مع عدم الإخلال بأحكام المواد التالية تسرى على النساء العاملات جميع النصوص المنظمة لتشغيل العمال دون تمييز فى العمل الواحد منهما » .

٣ ـ المساواة فى مجال العمل من الأعمال ومواعيد العمل ، فتشير الدراسة المذكورة إلى أن هناك قاعدة عامة يتضمنها القانون تجيز للمرأة القيام بممارسة جميع الأعمال التى يجوز للرجل القيام بها ، كما أن إجازة إعطاء العمال فترة راحة تتخلل ساعات العمل اليومية ينطبق على الجنسين على حد سواء .

٤ ـ المساواة فى الأجازات ، فقد تضمنت المواد ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ من القانون رقم ١٣٦ لعام ١٩٨١ قاعدة عامة تعطى المرأة حق التمتع بذات الأجازات المتاحة للرجل .

وكما أشرنا ، فإن هناك أجزاء مستثناة تم تضمينها لقانون العمل المصرى كنوع من المميزات

الإضافية التى تمنح للمرأة العاملة دون الرجل على أساس اختلاف التكوين الطبيعى للمرأة عنه للرجل مما يجعل بعض الأعمال غير مناسبة للمرأة لأنها شاقة ويمكن أن تضر بصحتها وكما أشارت الدراسات المختصة ، فقد روعى صياغة القواعد العامة والمستثناة للقانون على أساس عدم الإخلال بأحكام الشريعة الإسلامية وعدم تجاهل التقاليد والقيم الأخلاقية فى المجتمع .

وفيما يلى نستعرض صورة موجزة عن تشغيل المرأة كما ورد ونُظِّم فى قانون العمل المصرى : (أنور العربى ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، عزت عبدالله الشبراوى ، ١٩٩٠ ، نبيلة رسلان ، ١٩٩٢) .

نص القانون المصرى رقم ٨٠ لعام ١٩٣٣ على حظر تشغيل النساء فى بعض الأعمال فى مجال الصناعة والتجارة ، ثم جاء فى المادة ١٣٢ من القانون رقم ٩١ لعام ١٩٥٩ وجوب حظر تشغيل النساء فى الأعمال الضارة لهن صحيا أو أخلاقيا ، وتم تأكيد ذلك فى المادة ١٥٣ من قانون العمل الجديد، هذا وقد أصدر وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب القرار رقم ٢٢ لعام ١٩٨٢ حيث حظر فى البند الأول منه تشغيل النساء فى البارات ونوادى القمار والشقق المفروشة التى لا تخضع لإشراف وزارة السياحة والعمل فى الملاهى وصالات الرقص إلا من كن راقصات أو فنانات فى سن الرشد . ويترتب على تشغيل المرأة فى عمل من الأعمال المحظور تشغيلها فيه بطلان عقد العمل ، باعتبار أن القواعد المقررة لهذه القيود قواعد آمرة متعلقة بالنظام العام فضلا عن توقيع العقوبة الجنائية على صاحب العمل المخالف لتلك القواعد وهى غرامة لاتقل عن خمسة جنيهات ولاتزيد على عشرة .

تضمنت المادة ١٥٢ الوقت الذى يسمح فيه للمرأة أن تعمل فيه ، ذلك الوقت الذى روعى فى تحديده أن يكون وقتا مأمونا نسبيا مع تجنب الأوقات المتأخرة من الليل أو المبكرة جدا من الصباح حيث تزيد احتمالات تعرضها لمخاطر بشكل أو بآخر . فقد نصت المادة ١٥٣ على أنه لايجوز تشغيل النساء فى الفترة ما بين الساعة الثامنة مساء والسابعة صباحا إلا فى الأحوال والأعمال والمناسبات التى يصدر بتحديدها قرار من وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب .

أما المادة التالية من قانون العمل فقد تناولت المجالات التى يسمح للمرأة أن تعمل بها بحيث لا يتعارض ذلك مع قدراتها الطبيعية . فوفقا للمادة ١٥٣ لايجوز تشغيل النساء فى الأعمال الضارة لهن صحيا أو أخلاقيا وكذلك فى الأعمال الشاقة أو غيرها من الأعمال التى تحدد بقرار من وزير القوى العاملة والتدريب .

وفيما يتعلق بأجازات الوضع ذكر فى المادة ١٥٤ أن للعاملة التى أمضت ستة شهور فى خدمة صاحب العمل الحق فى إجازة وضع مدتها خمسون يوما بأجر كامل تشمل المدة التى تسبق الوضع والتى تليها بشرط أن تقدم شهادة طبية مبينا بها التاريخ الذى يرجح حصول الوضع فيه . ولاتستحق العاملة هذه الأجازة لأكثر من ثلاث مرات طوال مدة خدمتها، كما لايجوز تشغيل العاملة خلال الأربعين يوما التالية للوضع .

واستطرادا للنقطة السابقة تضيف المادة رقم

١٥٥ أنه فى خلال الثمانية عشر شهرا التالية لتاريخ الوضع يكون للعاملة التى ترضع طفلها ـ فضلا عن مدة الراحة المقررة ـ الحق فى فترتين أخريين لهذا الغرض لاتقل كل منهما عن نصف ساعة وللعاملة الحق فى ضم هاتين الفترتين، وتحسب هاتان الفترتان الإضافيتان من ساعات العمل ولا يترتب عليهما أى تخفيض فى الأجر .

فى المنشأة التى تستخدم خمسين عاملا فأكثر ، أعطت المادة ١٥٦ العاملة الحق فى الحصول على اجازة بدون مرتب / بأجر لاتزيد على سنة وذلك لرعاية طفلها وتمنح هذه الأجازة ثلاث مرات طوال مدة خدمتها .

وحتى يتوافر للعاملة حق العلم بحقوقها كعاملة ، الزم صاحب العمل ـ وفقا للمادة ١٥٧ ـ بأن يلصق فى أمكنة العمل نسخة من نظام تشغيل النساء كما ورد فى القانون المعنى وذلك فى حالة تشغيله لعاملة أو أكثر .

ولحل مشكلة تغيب المرأة العاملة عن بيتها ولديها طفل صغير ، فقد أوجبت المادة ١٥٨ على صاحب العمل الذى يستخدم مائة عاملة فأكثر فى مكان واحد أن ينشىء أو يعهد إلى دار حضانة بإيواء الأطفال بالشروط والأوضاع التى تحدد بقرار من وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب كما تلتزم المنشآت التى تستخدم أقل من مائة عاملة فى منطقة واحدة أن تشترك فى تنفيذ الالتزام المنصوص عليه فى الفقرة السابقة بالشروط والأوضاع التى يحددها وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب .

وقد أشارت المادة ١٥٩ إلى أنه يستثنى من هذا الفصل العاملات فى الزراعة البحتة) كما أنه قد ورد بداءة فى المادة ٣ من القانون أن تلك الأحكام لاتسرى على :

(أ) العاملين بالجهاز الإدارى للدولة ووحدات الإدارة المحلية والهيئات العامة .

(ب) عمال الخدمة المنزلية ومن فى حكمهم .

(جـ) أفراد أسرة صاحب العمل وهم الزوج والزوجة وأصوله وفروعه الذين يعولهم فعلا .

وفى مشروع قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة ، تضمنت المادة ٧٠ حكما يتعلق برعاية المرأة العاملة فجعل من حق « العاملة » الحصول ـ بناء على طلبها ـ على إجازة لرعاية طفلها لمدة عامين فى المرة الواحدة ولثلاث مرات طيلة حياتها الوظيفية .

وكمزيد من ضمانات حماية ورعاية الأم العاملة نصت المادة ٧١ من المشروع على مد إجازة الوضع إلى ثلاثة أشهر بحد أقصى شهرين بعد الوضع حيث إنه ثبت علميا عدم كفاية مدة « الشهر » كإجازة للوضع كما وردت مسبقا فى المادة ٤٩ من القانون رقم ٥٨ لعام ١٩٧١ .

وتحقيقاً لنفس الهدف السابق ذكره ـ أعلاه ـ ومراعاة لظروفها الاقتصادية والاجتماعية ولطبيعة تكوينها ، فقد تضمنت المادة ٧٢ حكما يجيز الترخيص للمرأة العاملة بأن تعمل نصف الأيام الرسمية للعمل مقابل نصف الأجر المستحق لها ويصبح لها نصف المستحق لها من إجازات اعتيادية ومرضية مع احتساب مدتها بالكامل فى حساب المعاش أو المكافأة على أن يخصص من أجرها المخفض قيمة اشتراكها فى المعاش على أساس أجرها الأصلى وذلك فى مقابل أن تتحمل الحكومة حصتها كاملة .

يتبع

الإسراء والمعراج

من المعجزة إلى العلم الحديث

بقلم الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

الإسراء : رحلة أرضية قدسية ، بدايتها : المسجد الحرام بمكة .. ونهايتها : المسجد الأقصى بالقدس .. فى مسافة تبلغ : ٢٥٠٠ كيلومتر تقريباً : على البراق الذى يطير ، ويضع حافره ؛ عند منتهى بصره ؛ فهو طائرة المصطفين الأخيار ، دون أن يحدث للجسد الشريف ما يعوق طبيعته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1] ..

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « أوتيتُ بالبراق ، وهو دابةٌ أبيض ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فسار بى ، حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت : فجاءنى جبريل : بإناء من خمر ، وإناء من لبن : فاخترت اللبن ، قال جبريل : أصبتَ الفطرة »[2] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « لما أتى النبى ﷺ المسجد الأقصى قام يصلى ، فإذا النبيون أجمعون يُصلُّون معه »[3] .

---

*عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

(١) الإسراء .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٤٥ كتاب الإيمان .

(٣) أخرجه الإمام أحمد .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمهم »[4] .

وفي رواية أخرى : « أخذ جبريل بيده ﷺ فقدمه فصلى بهم ركعتين ثم قال جبريل : يا محمد ، أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : لا ، قال : كل نبى بعثه الله ـ تعالى ـ فشرع يقول : الحمد لله الذى أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عَلَىَّ القرآن فيه تبيان لكل شيء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطاً ، وجعل أمتى هم الأولون والآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً خاتماً »[5] .

لقد كان الإسراء ـ بهذا المعنى الصحيح ـ حفل تتويج وتكريم للنبى محمد ﷺ فى أطهر وأقدس المقامات ، وفى مشهد من الملائكة والأنبياء ، وإشعار بنقل الريادة الدينية ، والقيادة الروحية من أنبياء بنى إسرائيل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين .

والمعراج : رحلة قدسية سماوية .. بدايتها : المسجد الأقصى إلى السموات السبع العلا إلى سدرة المنتهى ، إلى المستوى الأعلى حيث سمع صريف الأقلام ، ومناجاة الملك العلام ، وفرض الله ـ تعالى ـ عليه وعلى أمته الصلوات ، وأمده بالأنوار والنفحات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾[6] .

وعن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « ثم عُرِجَ بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام »[7] .

وكم رأى رسول الله ﷺ فى هاتين الرحلتين الأرضية والسماوية من آيات ربه ما لا يحيط به فهم ، ولا يحصره بيان فها هى صور الخير وثواب فاعلها ، وصور الشر وعقاب مقترفها كل ذلك قد تجلى له ، اعانة من الله له على تأدية ما أُمِرَ به من إصلاح وتهذيب وإقامة للأمة على الأدب الدائم والحسن القائم فيما جاء به من خير وإسعاد (هى أشبه ما تكون بوسائل إيضاح تربوية) .

لقد أطلعه الله ـ عز وجل ـ على أمثلة من عالم الأسرار ضَرَبَتْ لأنواع شتى من الحكم والحقائق التى ينتهى إليها فى عالم الظاهر من شئون العباد .. وكان ﷺ يسأل جبريل ـ عليه السلام ـ عن مغازيها فيكشف له عن أسرارها .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ « أُتِىَ بفرس يجعل كل خطوة منه أقصى بصره فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تُضَاعَفُ لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم تُرْضَخُ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يُفَتَّرُ عنهم من ذلك

---

(4) السيوطى ـ الدر المنثور ٥/٢٠١ مختصراً .

(5) نفس المصدر ٥/٢٠١ .

(6) النجم : ١٣ ـ ١٨ .

(7) أخرجه البخارى .

شيء قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد »[8] .

والإسراء معجزة قبل كل شيء ، وبما أنه معجزة فهو لا يخضع - بحال - للقوانين الطبيعية أو ما نسميه النواميس الكونية ولقد يكون جانب منه يمكن تفسيره فى ضوء ما وصل إليه العلم الحديث من تحويل المادة إلى طاقة ، واحتمال النجاح فى تحويل الطاقة إلى مادة مرة أخرى لكن الإسراء والمعراج معجزتان تخرقان كل هذه النواميس ، وإلا ما كانتا معجزتين .

ومع هذا : فقد استطاعت البشرية ، بفضل ما منحها الله تعالى من عقول متفتحة أن تجعل ما كان يُعَدُّ من قبل حلماً أو كالمعجزة أمراً واقعاً فركبت الهواء كأنها تطاول ضياء الشمس والقمر وسخَّرت الماء فى البحار والمحيطات تجرى من فوقه ومن تحته كأنها الحيتان والأسماك وأقامت من الراديو خطيباً يسمع أهل الأرض ، ونقلت إلى المستمع - مع الصوت - الصُّور والحركات بالألوان الطبيعية ، وطاولت بصواريخها وأقمارها الصناعية وسفن الفضاء وسيَّرت أدوات الهلاك والدمار فى الجو إلى مسافات بعيدة وتمكنت من إنزال الإنسان فوق القمر ثم العودة به إلى الأرض وهو يحمل بعض الأجزاء من ترابه وحاماته الطبيعية وهى الآن تحاول غزو « المريخ » بل ونقلت إلينا صوراً عن طبيعته ومعالمه .. فعلت الإنسانية هذا كله بعقلها الموهوب من خالقها ..

فهل يكون هناك أدنى شك عند عاقل منصف فى أن الله تعالى أسرى بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج بروحه وجسده إلى ما فوق السموات السبع العلا .. أفمن أسقط الرطب جنياً من النخلة الجرداء لمريم البتول بعد ولادتها عيسى عليه السلام .. ومن أبصر عمر بن الخطاب وهو يخطب على منبر النبى ﷺ بالمدينة المنورة فأراه قائده (سارية بن زنيم الكنانى) وهو فى بلاد الفرس مكشوف الجناح .. فقال له : يا سارية الجبل .. الجبل ، فسمعه قائده ، ونفَّذ مشورته فى الحال ، مِمَّا كان سبباً فى انتصار جيش المسلمين .

أمن أكرم هؤلاء ، وليسوا بأنبياء أيعجزه أن يكرم حبيبه ، ونبيه محمداً ﷺ بمعجزة الإسراء وآية المعراج !!

سبحانك ربى ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، وصدق الله العظيم إذ يقـول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[9]

ما يستفاد من رحلتى الإسراء والمعراج :

لقد جنى المسلمون من هاتين الرحلتين المباركتين أعظم الفوائد ، وأطيب الثمرات منها :

(٨) أخرجه الحافظ البزار .

(٩) فصلت : ٥٣ .

١ ـ أن الله تبارك وتعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين الصادقين مهما ألمت بهم الشدائد وأحاطت بهم المحن ، وادلهمت أمامهم الخطوب ، فقد جرت سنته معهم أن يجعل لهم من الشدة فرجاً ، ومن الضيق مخرجاً ، ومن العسر يسراً ، ومن الذل عزاً ، ومن الخوف أمناً ، ومن الهزيمة نصراً ..

٢ ـ أثبت المؤمنون أنهم أقدر من غيرهم فى التصديق والتسليم ، والإيمان والإذعان ، والنجاح فى الامتحان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (١٠) .

٣ ـ الربط بين المسجد الحرام بمكة ، والمسجد الأقصى بالقدس ، بل الربط بين الجزيرة العربية والشام برباط الإسلام جامع الرسالات السماوية ، وفى هذا إشارة إلى اتساع رقعة الإسلام ، وانتشار تعاليمه السامية ، ومبادئه الحقة ، وقوانين العدالة ، وتشريعاته الحكيمة فى ربوع البلاد وغيرها .

٤ ـ الترغيب فى الجهاد ، وبيان فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، يتجلى ذلك فى بعض المشاهد التى مُثلت للنبى ﷺ فى طريق مسراه ، والتى تضمنت الكثير من العظات والعبر تُرغّب فى الخير ، وتُنفّر من الشر ..

٥ ـ بالإسراء أصبحت مدينة القدس مهبط الرسالات جزءاً من المقدسات الإسلامية ، وأصبح مسجدها المبارك أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال .

وفى هذا إشارة إلى حمايتها ، وتطهيرها من كل رجس أو دنس أو احتلال أجنبى إلى أن يرث الله الأرض ، ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

٦ ـ الصلاة عماد الدين ، ومعراج الواصلين ، ومناجاة رب العالمين ، نور للبصائر ، وتهذيب للنفوس ، وطهارة للقلوب والجوارح ، وشكر لله ـ عز وجل ـ وصلة بين العبد وربه ، ولمكانتها فى الدين فرضت ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سموات .

٧ ـ إن الحياة عقيدة وجهاد ، ولا عقيدة بلا جهاد ، يذود عنها ويحمى حماها ، ولا جهاد بلا عقيدة يدافع عنها ، ويناضل فى سبيلها .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١٠) الإسراء : ٦٠ .



الجن وماله فى الانس

لفضيلة الشيخ / عطية صقر

الجن : كيفيتهم خلقا وحياة :

١ ـ الجن ـ : كما يقول الدميرى فى كتابه ـ حياة الحيوان الكبرى : أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة .

٢ ـ وهم خلق موجودون بالنصوص الثابتة فى القرآن والسنة والإجماع . والعقل لا يحيل ذلك .

٣ ـ وهم أصناف ، فقد روى الطبرانى بإسناد حسن عن أبى ثعلبة الخشنى أن النبى ﷺ قال : « الجن ثلاثة أصناف : فصنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء ، وصنف حيات ، وصنف يحلون ويظعنون » أى يمشون ويتحركون ، وكذلك رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وجاء فى حديث رواه ابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « خلق الله الجن ثلاثة أصناف ، صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف كبنى آدم ، عليهم الحساب والعقاب » .

الكاتب عضو مجمع البحوث الإسلامية ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وإذا كان اسم الجن يطلق على الهوام المؤذية يمكن فهم هذا الحديث بسهولة ، وهو ما رواه مسلم أن النبي ﷺ نهى عن إرسال الأطفال بعد غروب الشمس إلى العشاء ، لأن الشياطين تنبعث في هذه الفترة . وكذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي لبابة ـ رضي الله عنه ـ « أن النبي ﷺ نهى عن قتل الجنان التي في البيوت ، إلا الأبتر وذا الطُّفْيَتين ، فإنهما اللذان يخطفان البصر ويطرحان أولاد النساء » والطُّفْيَتان ـ بضم الطاء ـ الخطان الأبيضان على ظهر الحية ، والأبتر قصير الذَّنَب . وقال النضر بن شميل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب ، لا تنظر إليه حامل إلا ألقَتْ ما في بطنها . « حياة الحيوان الكبرى للدميري » .

٤ ـ والجن مستترون ، وقد يتشكلون بأشكال مختلفة ، وتحكم عليهم الصورة كما قال العلماء ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

سورة الأعراف : ٢٧

وقد تشكل شيطان في صورة آدمي أراد أن يسرق من الصدقة التي كان يحرسها أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ . ولما أخبر النبي ﷺ به عرَّفه أنه شيطان ، رواه البخاري .

٥ ـ وهم من ذرية إبليس على المشهور ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾

سورة الكهف : ٥٠

٦ ـ والجن مكلفون كالبشر ، ومحاسبون على أعمالهم كما يحاسب بنو آدم ، وجاء ذلك في القرآن الكريم مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾

سورة الأنعام : ١٣٠

وقوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾

سورة الرحمن : ٣١

٧ ـ ومنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، وقد ثبت أنهم سمعوا القرآن من النبي ﷺ ، قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾

سورة الجن : ١ ، ٢

وقال :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ .. ﴾

سورة الأحقاف : ٢٩

وقال على لسانهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾

سورة الجن : ١١

وثبت في الحديث أن النبي ﷺ ذهب إليهم وتحدث معهم ، ففي صحيح مسلم أنه قال : « أتاني راعي الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن » ، وفيه أنهم سألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، تأخذونه فيقع في أيديكم أوفر ما كان لحما ، وكل بعر علف لدوابكم » ثم قال النبي ﷺ لأصحابه ـ رضوان

الله عليهم : « فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم » .

كيف يراه البشر :

٨ ـ إن عدم رؤيتنا للجن إنما هو رؤيتهم على حقيقتهم ، وقد يخص الله نبيه بأن يراهم كذلك أحيانا ، وقد قيل : إنه لم يرهم فى أول الأمر ولم يُحِسَّ بأنهم يستمعون القرآن منه ، والله هو الذى أخبره بأنهم يستمعون . ثم بعد ذلك رآهم وكلمهم حين ذهب إليهم ، إمّا على حقيقتهم وإما بأشكال أخرى ، وذلك ممكن لغير النبى ﷺ ، كما سبق ذكره فى رؤية أبى هريرة له وهو يريد أن يسرق من زكاة رمضان . وروى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : « إن عفريتا من الجن تفلَّت علىَّ البارحة يريد أن يقطع علىَّ صلاتى ، فذَعَتُّه ـ أى خنقته ـ وأردت أن أربطه فى سارية من سوارى المسجد فذكرت قول أخى سليمان فأطلقته » ، وجاء فى رواية مسلم قوله : « والله لولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » كما جاء فى رواية النسائى بإسناد جيِّد : « أنه خنقه حتى وجد برْدَ لسانه على يده » .

٩ ـ إن إبليس أقسم حين طرد من الجنة لاستكباره على أمر الله بالسجود لآدم ـ أن يغوى الناس أجمعين ، إلا عباد الله المخلصين . ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾

سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠

وقد حذرنا الله منه بمثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

سورة فاطر : ٦

وقوله :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

سورة يس : ٦٠

علاقة الجن بالإنسان واتقاء شره

وثبت أن كل انسان يوكل به شيطان يطلق عليه اسم القرين . ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياى ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير » أى أسلَمَ القرين ، أو سَلِمَ النبى من شره .

١٠ ـ وإضرار الجن للإنس بالوسوسة ـ مؤكد كما فى نصوص كثيرة ، قال ـ تعالى ـ فى قصة آدم ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾

سورة الأعراف : ٢٠

وقال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾

سورة إبراهيم : ٢٢

وإضرارهم للإنس بغير الوسوسة أمر ممكن ، شأنهم فى ذلك شأن الإنسان مع الإنسان ، وقد ثبت أن منهم المؤمنين والكافرين ، والطائعين والعاصين ، فالإيذاء ممكن من الجميع قال

ـ تعالى ـ فى الوسوسة: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾ سورة الناس

ولم يرد دليل يحيل على الجن أن يؤذوا الإنس بغير الوسوسة، وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة والمقبولة أن الجنى سرق من الزكاة، وأنه يشارك الإنسان طعامه وشرابه والمبيت معه ولبس ملابسه، بل عند إرادة اللقاء مع زوجته؛ ولذلك حثنا النبى ﷺ أن نسمى الله عند الأكل والشرب ودخول البيت وخلع الملابس وإرادة اللقاء مع الزوجة.

١١ ـ واتقاء شر الجن فى الوسوسة يكون بمثل ما جاء فى قوله ـ تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

سورة الأعراف: ٢٠٠

كما يستعان على ذلك بقوة الإيمان بالله والمواظبة على العبادة والسلوك الحسن، حتى يكون الإنسان من عباد الله المخلصين الذين نجاهم الله من سلطان إبليس.

واتقاء شره فى (غير الوسوسة) يكون بالتحصن بذكر الله وقراءة القرآن وقول: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) عند كل أمر ذى بال، بل فى الأمور كلها، وهناك مأثورات عن النبى ﷺ ـ فى ذلك منها:

قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال ـ يعنى إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كُفيتَ وَوُقيتَ وهُديتَ، وتنحى عنه الشيطان»، رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم، وقال الترمذى: حديث حسن.

وقوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم.

وقوله ـ ﷺ ـ فى حديث محاولة الشيطان سرقة الأموال التى كان يحرسها أبو هريرة: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختمها فلا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح» رواه البخارى.

وقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه». رواه البخارى ومسلم.

مس الجن جسد الإنسان ثابت

١٢ ـ وإذا سلمنا أن الجن يمكنه أن يضر الإنسان بأكثر من الوسوسة فهل يمكنه أن يضره بالمس، أو أن يلبس جسم الإنسان كما يعبر الناس عن ذلك، بحيث يحصل له اضطراب واختلال فى حركته أو فى عقله؟ يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

سورة البقرة ٢٧٥

أثبتت الآية أن الشيطان يمس الإنسان فيحصل له خلل، وهذا أمر لا يجوز إنكاره أو الشك فيه، ولا عبرة بما يقوله بعض المعتزلة كالجبائى وأبى بكر الرازى، من استحالة دخول الجن فى بدن الإنسان والتسبب فى صرعه. حيث لا يمكن أن توجد

روحان فى جسد واحد ، وذكر المحدث الشبلى المتوفى سنة ٧٦٩ هـ فى كتابه « آكام المرجان » ص ١٠٧ أخبارا وحوادث أيام النبى - ﷺ - تدل على الصرع بسبب مس الجن ، فدخوله فى جسم الإنسان كدخول الهواء لا استحالة فيه . كما صح فى الحديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » ، على أن المس لا يتحتم أن يكون بالدخول والامتزاج . فقد يكون باللمس فى موضع حساس بالجسم يحدث الخلل . كما تتأثر الأعصاب بالإبر أو الضغط ، فيكون الشلل وعدم انتظام الحركة . والذين منعوا الصرع عن طريق ملابسة الشيطان للإنسان قالوا : إن طبيعة الإنس الترابية لا يمكن أن تعيش مع طبيعة الجن النارية وإلا أحرقتها . لكن هذا الاحتجاج مردود ، لأن الطبيعة الأولى للجن والإنس ذهبت عنها بعض خصائصها ، بدليل الحديث السابق فى إمساك الرسول للعفريت وخنقه وإحساسه - ﷺ - ببرد لعابه على يده . فلو كانت طبيعة النار باقية لأصابت يده الشريفة ، ولاشتعل البيت والمكان والملابس نارا إذا أوى إليها الشيطان عندما لم يسم الإنسان . والأشكال التى يتشكل بها الشيطان تحكم عليه وتأخذ بعض خصائصها إن لم تأخذها كلها .

يقول ابن القيم فى الطب النبوى : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الأرضية الخبيثة ، وصرع من الأخلاط الرديئة ، والثانى هو الذى يتكلم فيه الأطباء ، فى سببه وعلاجه ، وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها . ثم يقول ابن القيم : لا ينكر هذا النوع من الصرع إلا من ليس له حظ وافر من معرفة الأسرار الروحية ، وأفاض فى النعى على من ينكرون العلاج الروحى للصرع .

علاج المس

١٣ - وإذا ترجح أن الجن قد يصيب الإنس بالصرع فما العلاج ؟

ما دمنا قد عرفنا أن الصرع قد تكون له أسباب مادية فيمكن العلاج عند المختصين ، والعلاج من الأمراض والعلل مشروع ، بل أمر به الحديث « فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله » ، وقد عالج الرسول وعولج ، وأرشد إلى التداوى عند المختصين بصرف النظر عن دينهم ، كالحرث بن كلدة ، ومع مشروعية العلاج المادى شرع العلاج الروحى بالدعاء وذكر الله وقراءة القرآن ، وكل ذلك أخذ فى الأسباب ، والشفاء الحقيقى بإرادة الله - تعالى - ، وأحاديث الرقى وقراءة الفاتحة على زعيم القوم وإقرار الرسول للصحابة على ذلك ثابتة .

وإذا كان القرآن الكريم شفاء كما صرحت بذلك الآيات فإن الشفاء له مجالات متنوعة ، ومنها الأمراض التى لا يوجد لها علاج مادى أو نفسى .

وتوضيح الوسيلة التى يتم بها العلاج فيه صعوبة ، ولكن من المسلم به أن قوة الإيمان

والروح المعنوية عند المريض ، وإخلاص المعالج وقوة روحه ، وقربه من الله لها دخل كبير فى التأثير على المرض ، مع مراعاة أن الدعاء الخالص لله بشفاء المريض قد يستجاب ، وبخاصة بعد قراءة القرآن أو عمل قربة من القربات ، كمن دعوا الله بصالح أعمالهم ففرج الله الكرب فى الغار .

وقد تحدث ابن القيم « زاد المعاد ج٣ ص٨٤ » عن العلاج الروحى للصرع ، وقال : لابد من أمرين ، أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج ، وأن ما يجب على المصروع هو قوة نفسه وصدق توجهه إلى الله والتعوذ من الشيطان ، الذى لا يتم الانتصاف منه إلا بقوة السلاح وصدق من يحمله ، وما يجب على المعالج هو كذلك من قوة الإيمان والتوحيد والتوكل والتقوى ، ولا يكفى فى ذلك قول باللسان ، بل لابد من قوة القلب وصفاء الروح .

ثم ذكر ابن القيم أن أكثر تسلط الأرواح الخبيثة يكون بسبب ضعف الدين وخراب القلوب من الذكر والتحصنات النبوية والإيمانية ، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه فتظفر به .

ألوان من العلاج

١٤ ـ وردت آثار بعضها منسوب إلى النبى ﷺ فى علاج الصرع ، منها :

١ ـ ما رواه البخارى ومسلم أن امرأة قالت للنبى ـ ﷺ ـ : إنى أصرع وإنى أتكشف ، فادع الله لى فقال : « إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك » فقالت : أصبر ، قالت ، فإنى أتكشف فادع الله ألا أتكشف ، فدعا لها . وهنا يظهر أن الشفاء من هذا الصرع يكون بالدعاء ، وهذا حق ، فالالتجاء إلى الله بالدعاء مشروع بل مطلوب ، وهو سبحانه المستجيب له بتحقيق ما يدعى من أجله .

واستجابة الدعاء لها شروط لا تتحقق فى كل من يدعو ، ولعل مما يشير إلى بعضها قوله ـ تعالى ـ بعد ذكر دعاء أيوب وذى النون وزكريا واستجابة دعائهم :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

سورة الأنبياء : ٩٠

وهل كل المعالجين بالدعاء على هذا المنوال ؟

٢ ـ ذكر الشبلى فى كتابه « آكام المرجان ص١٠٦ » أن العلماء تكلموا فى علاج تسلط الجن على الإنس ، لأسباب ذكروها وقالوا : لابد لإبعاد الجنى أن يُعرَّف بأن هذا ظلم ، كنوع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك كما يُفعل مع الإنس عند ظلمه وعدوانه . وقد يستجيب فيترك المصروع .

وابن القيم « زاد المعاد ج٣ ص٨٤ » .

ذكر أن من المعالجين من يكتفى بقوله : اخرج منه ، أو يقول بسم الله ، أو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . والنبى ـ ﷺ ـ كان يقول : « اخرج عدو الله ، أنا رسول الله » .

وقال الشبلى « ص١٠٧ » إن هذا القول ورد فى حديث « أم أبان » الذى رواه أبو داود وغيره ، وكذلك حديث أسامة بن زيد .

٣ ـ جاء فى الكتب أن من وسائل إبعاد الجنى عن الإنسان المصروع الضرب . من ذلك حديث رواه أحمد وأبو داود وأبو القاسم الطبرانى من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها أن جدها انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون أو ابن أخت له وطلب أن يدعو الله له ، فقال له : « ادنه منى واجعل ظهره مما يلينى » فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى ظهر بياض إبطيه ويقول « اخرج عدو الله » فشفى الولد ، ودعا الرسول بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد أحد ـ بعد دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ يفضل عليه « آكام المرجان ص١١٣ » .

يعلق عليه الشبلى فيقول : وهذا الحديث فيه ضرب الجن . وإن لم تدع الحاجة إلى الضرب فلا يضرب . واستدل بحديث ابن عساكر عن أسامة ابن زيد ، حيث كان فى حج مع الرسول ـ ﷺ ـ وعندما هبطوا (بطن الروحاء) أتته امرأة بصبى به شبه صرع أو رعشة دائمة ، فضمه إليه وهو على الناقة وتفل فى فمه وقال : « اخرج يا عدو الله فإنى رسول الله » ثم ناولها إياه وقال « خذيه فلن ترى منه شيئا تكرهينه بعد هذا إن شاء الله » .

ثم يقول الشبلى بعد إيراد حديث رواه الدارمى فى أوائل مسنده عن أبى الزبير عن جابر بمعنى ذلك ـ : فحاصل ذلك أنه متى حصل المقصود بالأهون لا يصار إلى ما فوقه ، ومتى احتيج إلى الضرب وما هو أشد منه صير إليه .

ومن الحوادث فى الضرب أيضا ما جاء فى كتاب طبقات أصحاب الإمام أحمد « المرجع السابق ص١١٤ » أن أحمد بن حنبل عالج جارية للمتوكل كان بها صرع ، بأن أمر صاحبا له بقوله للجنى : يقول لك أحمد : إما أن تخرج من هذه الجارية وإما أن تصفع بالنعل سبعين ، فرد عليه المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا به ، إنه أطاع الله . ومن أطاع الله أطاعه كل شىء ، فتركها ، ولما مات أحمد عاودها المارد ولم يستطع أبو بكر المروزى أن يعالجها كما عالجها أحمد ؛ لأنه لم يكن مثله فى طاعة الله .

وابن القيم فى زاد المعاد يقول ما نصه : شاهدت شيخنا ـ ابن تيمية ـ يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول : قال لك الشيخ : اخرجى فإن هذا لا يحل لك ، فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا ، وذكر حادثة فى ذلك . ثم قال : وكان يعالج بآية الكرسى وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين ، وهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة « ص٨٤ ، ٨٥ » .

والقاضى عبدالجبار بعد ذكر حديث « الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » قال : إن هذه الأخبار صارت فى الشهرة والظهور كشهرة الأخبار فى الصلاة والصيام والحج

والزكاة ، ومن أنكر هذه الأخبار التي ذكرناها كان رادا ، والراد على الرسول ـ ﷺ ـ ما لا سبيل إلى علمه إلا من جهته كافر .

١٥ ـ نأخذ من كل ما تقدم :

أ ـ أن الجن قد يؤذى الإنس بأكثر من الوسوسة ، وذلك بمثل الصرع والمس .

ب ـ أن الوقاية من أذاه تكون بقوة الإيمان وعمل القربات والتحصن بقراءة القرآن والذكر المأثور في القرآن والسنة .

جـ ـ أن علاج الصرع يختلف باختلاف أسبابه ، فإن كان من الماديات عولج عند المختصين ، وإن كان من الأرواح عولج بالدعاء وقراءة القرآن وبالمأثور .

د ـ لا يفيد العلاج الروحي إلا إذا كان المعالج قوى الإيمان قريب الصلة من الله سبحانه بالتقوى بمعناها الشامل حتى يستجاب دعاؤه .

هـ ـ ليس كل المعالجين بالقرآن والدعاء على هذا المستوى ، وفشل منهم الكثير في ذلك .

و ـ ادعاء من ليس على هذا المستوى أنه يمكنه علاج المصروعين حرام . لأنه غش وتدليس ، ففيه طلب للشهرة إن لم يكن هناك مقابل للعلاج ، وابتزاز للأموال بغير وجه حق إن كان بمقابل،وكلاهما حرام .

ز ـ ما يقوم به البعض من ضرب المريض ممنوع ، ما دام لم يبلغ في السمو الروحي مبلغ من أثر عنهم ذلك ـ ولم يكن وسيلة للعلاج في كل الأحوال .

ح ـ من ينكر مس الجن للإنس بمثل الصرع لا يكون كافرا ، لعدم قطعية الدلالة عليه في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وإن كان قطعى الثبوت ، **كما أن إنكار العلاج الروحي الوارد في بعض الأحاديث لا يبرر الحكم بالكفر ، لأنها أحاديث آحاد ليست قطعية الثبوت فهي غير متواترة** ، وحكم القاضي عبدالجبار على ذلك بالكفر بناء على أنه إنكار لما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والحج ـ حكم غير مسلم عند الجميع .

ط ـ ينبغي توعية المسلمين بتقوية إيمانهم وصلتهم بالله عن طريق التمسك بالدين عقيدة وسلوكا . حتى يحفظهم الله من تسلط الجن عليهم بالأذى ، وحتى لا يستغلهم ضعاف الإيمان بعمل الأحجبة والتعاويذ التي لا يقرها الدين .

ى ـ ينبغي التنبه إلى أن ما يعرض للإنسان من أزمات نفسية وعدم نجاح في الحياة ليس كله بسبب الجن والأعمال السحرية ، الأمر الذى يجعل الكثير ممن يعرض لهم ذلك يسارعون إلى محترفى السحر ، فكثير منهم دجالون ، والواجب هو الصبر والتأنى والبحث في أسباب هذه الأزمات ، ومحاولة حلها بالطرق المشروعة عند المختصين .

دراسة في « الزار » العدد القادم

مؤسسات فى خدمة الإسلام

بقلم فضيلة الشيخ / زكريا أحمد نور

ما أكثر المؤسسات والهيئات – الرسمية والأهلية – التى تقدم خدمات مختلفة للمسلمين فى كل الأقطار العربية والإسلامية والأوربية والأمريكية ، وفى هذا المقال أتناول بشىء من التفصيل ثلاثا من هذه المؤسسات الإسلامية ، تحضرنى مادتها العلمية بحكم قربى من اهتماماتها وعضويتى بالأخيرة منها ألا وهى :

١ – الأزهر بهيئاته العلمية .

٢ – رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ – رابطة الأدب الإسلامى العالمية بالهند .

أولا : الأزهر جامعا وجامعة[1] .

يأتى الأزهر فى مقدمة المؤسسات الإسلامية التى تخدم الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض ، فهو يؤدى رسالته العلمية والروحية السامية فى خدمة العلم والدين واللغة ، منذ أكثر من عشرة قرون .

ويعتبر الأزهر أبا لجميع الجامعات الإسلامية قديما وحديثا ، وله أن يعتز بهذه الخصيصة المميزة له النابعة من ماضيه فى خدمة الإسلام ، لا ينازعه أحد فى هذا الحق ولا يخاصمه ، ولا يدانيه أحد فى هذا الاعتزاز ولا يماثله ، ذلك أنه يقدم خدماته العلمية والتعليمية بنفقات باهظة تتحملها ميزانيته وحدها .

لقد حافظ الأزهر طيلة الألف سنة – الماضية – على العلوم الإسلامية الفكرية

(١) وضع القائد جوهر الصقلى أساس الجامع الأزهر فى ٢٤ من جمادى الأولى ٣٥٩ هـ ، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة فى السابع من رمضان ٣٦١ هـ ، وعقد التدريس به فى نفس العام ، وانعقدت فيه الدراسات العليا (٣٧٨ هـ/٩٨٨ م) .

والعقلية ، وعلى اللغة العربية وآدابها محافظة لا مثيل لها في ظروف قاسية في كثير من الأحيان ، وخدم المسلمين في جميع أنحاء المعمورة بدون تمييز بين أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم الفقهية خدمة بذل فيها — ولا يزال يبذل — الغالي والنفيس .

ولعل ما يميز الأزهر إضافة على خدمته العلمية والدينية — التي سيظل يؤديها بمشيئة المتعالي — أبد الدهر — إسهامه بنصيب وافر في النهوض الحر بالبلاد الإسلامية وقد أدى دورا قياديا ضد الاستعمار بكافة ألوانه ومنابعه .

ولقد أراد الله — سبحانه وتعالى — لرسالته التعليمية أن تمتد فافتتح معاهد خارج جمهورية مصر العربية .

ثانيا : رابطة العالم الإسلامي :

أنشئت « رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م » إبان موسم الحج ، حيث انعقد مؤتمر إسلامي تدارس فيه المجتمعون ما آل إليه حال المسلمين في العالم ؛ وما ينبغي اتخاذه من خطوات إيجابية لتحقيق الأهداف التي يطمح إليها كل مسلم في هذا العصر ، ولقد توصل المجتمعون إلى قرار بوجوب تأسيس منظمة جديدة هي : (رابطة العالم الإسلامي) ، وعين المؤتمر أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة ، وكلفهم بوضع نظامها الأساسي وتحديد أهدافها ووسائلها على ضوء قرارات وتوصيات المؤتمر ، وقد أصدر المجلس التأسيسي للرابطة بيانه الأول الذي حدد أهداف الرابطة على النحو التالي بهذا النص .

نعاهد الله تعالى على : أن نؤدي فريضة الله علينا بتبليغ رسالته ونشرها في جميع أنحاء العالم وإن نؤكد من جديد إيماننا بأنه لا سلام للعالم إلا بتطبيق القواعد التي أرساها الإسلام ، وأن ندعو الأمم عامة إلى التسابق في ميدان العمل لخير البشرية وإسعادها ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفرادها وإيجاد المجتمع الإنساني الأفضل وأن نشهد الله على أننا لا نريد إفسادا لأمر أحد ولا سيطرة على أحد ولا هيمنة على أحد .

وأعلن مؤسسو «رابطة العالم الإسلامي» أنهم في سبيل تحقيق هذه الأهداف قد اعتزموا القيام بما يلي :

(أن يبذلوا قصارى جهدهم في توحيد كلمة المسلمين وإزالة عوامل التفكك المحيطة بالمجتمعات الإسلامية المنتشرة في بقاع الأرض ، وأن يستخدموا جميع ما يملكون من وسائل روحية ومادية وأدبية لتحقيق ما يصبون إليه في هذا الميثاق ، وقد قرروا أن يوحدوا جهودهم لتحقيق هذه الأغراض بطريق إيجابي سليم وأن يطرحوا كل دعوى جاهلية قديمة وحديثة وأن يعلنوا أن لا شعوبية ولا عنصرية في الإسلام .

نظام رابطة العالم الإسلامي التأسيسي :—

لقد وضع مؤسسو «رابطة العالم الإسلامي» نظاما أساسيا لها جاء فيه : إن من أهم الأهداف (الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي عام من كبار دعاة الإسلام المرموقين في العالم الإسلامي كله لتبادل الرأي وتنسيق الجهود وتطوير وسائل الدعوة والتبليغ على أساس من تجاربهم جميعا في هذا الميدان) وكان أول أمين لها تم اختياره هو فضيلة الشيخ السيد محمد سرور الصبان وذلك في عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦٢ م ، أما أمينها العام

فى الوقت الحالى فهو : الدكتور أحمد على ــ حفظه الله ــ وهو بمشيئة الله خير خلف لأحسن سلف . إن شاء الله تعالى"(٢) .

ثالثا ــ رابطة الأدب الإسلامى العالمية :

مر إنشاء «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» بمراحل عديدة إذ بدأت فكرة راودت أذهان عدد من الأدباء الإسلاميين من مختلف الجنسيات ، ثم بدأت تتجسد فى لقاءاتهم التى بدأت عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، إلى أن استقر رأيهم على تكوين هيئة تأسيسية تدرس أبعاد الفكرة وتخطط لها وتراسل من أجلها الأدباء فى سائر الأقطار الإسلامية .

رابطة الأدب الإسلامى العالمية ومولدها :

لقد كانت «الندوة العالمية للأدب الإسلامى» التى دعا اليها سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى فى (لكنــو) فى شهـــر جمادى الآخرة عام (١٤٠١ هـ ١٩٨١ م) مولدا لرابطة «الأدب الإسلامى العالمية» ، حيث دعى إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامى وفيهم كثير من المهتمين بالأدب ، وفى هذه الندوة التى أعطت دفعا قويا للأدب الإسلامى اتخذت توصية مهمة تتضمن (إقامة رابطة عالمية للآداب الإسلامية) وتعزز هذا الاتجاه فى ندوة الحوار حول «الأدب» الإسلامى التى عقدت فى رحاب الجامعة الإسلامية «بالمدينة المنورة» فى شهر رجب عام ١٤٠٢ هـ ، ثم فى ندوة الأدب الإسلامى التى عقدت فى رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى شهر رجب ١٤٠٥ هـ ، وفى خلال هذه الفترة قامت الهيئة التأسيسية للرابطة بالاتصال بسماحة الشيخ أبى الحسن الندوى وعرضت عليه ما قامت به من أعمال تمهيدية واتصالات موسعة ورغبت إليه أن يتبنى إنشاء هذه الرابطة .

واستجاب سماحته بما عرف عنه من صدر رحب وبصيرة نافذة ، ووعى وحكمة بالغين وإدراك لدور الأدب فى وجدان الأمة وترشيد مسارها وإنارة طريقها فى العود الحميد إلى الإسلام والذى هو سوغ وجودها وحضنها المنيع ، وهكذا انبثقت عن الهيئة التأسيسية لجنة تحضيرية تولت الإعلان عن قيام (رابطة الأدب الإسلامى) ونشر هذا الاعلان فى عدد من الصحف والمجلات بتـــاريخ ١٤٠٥/٥/٢٤ هـ الموافـــق ١٩٨٤/١١/٢٤ م ثم دعت الهيئة التأسيسية إلى المؤتمر العام الأول للرابطة بعد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وعقد هذا المؤتمر فى رحاب جامعة «ندوة العلماء» بلكنو فى الهند ، فى شهر ربيع الثانى ، عام ١٤٠٦ هـ الموافق لشهر كانون الثانى يناير ١٩٨٦ م حيث تم وضع النظام الأساسى للرابطة وانتخاب مجلس الأمناء ، كما انتخب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى : رئيسا للرابطة وتم الترخيص الرسمى للرابطة فى مقرها الرئيسى حاليا بمدينة «لكنو بالهند» ولها أن تفتح مكاتب وفروعا فى اى مكان فى العالم :

(٢) الموسوعة الحركية فتحى يكن دار البشر عمان ص ٩ .

أهداف رابطة الأدب الإسلامي :

تهدف «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» إلى تحقيق الغايات التالية :

١ ـ تعريف الأدباء الإسلاميين ـ على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ـ بعضهم ببعض وجمع كلمتهم وإقامة التعاون بينهم ؛ ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالإسلام .

٢ ـ وتعمل «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» على تأصيل نظرية الأدب الإسلامي وإظهار الملامح السائدة في الأدب الإسلامي ـ قديمه وحديثه ـ .

٣ ـ وتحقق الرابطة مبدأ عالمية الأدب الإسلامي وتعمل كذلك على تأصيل نظرية النقد الإسلامي على ان تتصف بالموضوعية والإنصاف والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة .

٤ ـ وترسم الرابطة منهجا إسلاميا مفصلاً للفنون الأدبية الحديثة التالية : ـ القصة ـ المسرح ـ السيرة الأدبية ـ التمثيلية المسموعة ـ التمثيلية المرئية .

٥ ـ وتهتم «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» بالتفسير الإسلامي للأدب ، وتعيد كتابة تاريخ الأدب العربي من وجهة نظر إسلامية وتظهر «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» صلة الأدب الإسلامي الحديث بالأدب القديم والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر .

٦ ـ كذلك تعمل على دراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامية وإظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامي في العالم .

٧ ـ وتقوم رابطة الأدب الإسلامي بدراسات موسعة لعدد من الادباء الإسلاميين وخاصة الذين صاغوا أدبهم بإحدى لغات الشعوب الإسلامية .

٨ ـ وتقوم رابطة الأدب الإسلامي بتعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها بعضا بترجمة آثارها الأدبية الى عدد من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى .

٩ ـ وتعمل على تشجيع الأدب الذى يهتم بقضايا المرأة المسلمة ، وتشجيع نتاج الأديبات المسلمات .

١٠ ـ وتقوم «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» برسم منهج إسلامي لأدب الأطفال واليافعين والشباب وتتصدى للدعوات الادبية المشبوهة المنحرفة .

وتقوم «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» بالتصدى للدعوات الأدبية المشبوهة والمنحرفة والدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

وجدير بالذكر أن الرابطة تصدر مجلة فصلية باسم « الأدب الإسلامي » ترجم نشاطها الفكرى في هذه الميادين ويتم توزيعها في أنحاء العالم .

وأخيراً فإن «رابطة الأدب الإسلامي» التى تنتشر أعضاؤها في مختلف الاقطار العربية والإسلامية ـ تدعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضموا تحت لوائها ، كما تهيب بكل غيور على الإسلام أن يعمل على تأييدها ودعمها حتى يصبح الأدب الإسلامي رائجاً في الأمة .

موريتانيا .. بلد المنارة والرباط

تقديم / الفاغ بن محمد ولد الشيبانى

يكاد الجيل المسلم اليوم لا يعرف شيئا عن موريتانيا ـ شنقيط ـ فمنذ عقود من الزمن صارت موريتانيا نكرة فى محيطها العربى والإسلامى ، وما ذلك إلا لأن الأمة من حولها وقعت فى وهدة تاريخية اختلت فيها الموازين وتقطعت العرا . وأصاب موريتانيا من ذلك الكثير ...

وها نحن الرابطة الوطنية لاتحاد طلبة موريتانيا ـ نلقى الضوء على موريتانيا من حيث التسمية ، والأصول التاريخية والعرقية . وعن مؤسسيها الأوائل ، المرابطين ، الذين يعود الفضل لأحد قوادهم وهو (يوسف بن تاشفين) الذى ساهم فى استمرار الحكم الإسلامى فى الأندلس ـ أسبانيا الآن ـ إلى ثمانية قرون فى إحدى المعارك الإسلامية المشهورة وهى معركة الزلاقة .

كما أننا لم ننس التاريخ المعاصر لموريتانيا فتكلمنا عن تطور النظام الحاكم فى البلاد ثم تحدثنا عن موارد موريتانيا من قطاعات مختلفة وصناعات وخدمات .

آملين أن نكون قد وفقنا فى إعطاء القارىء فكرة عن هذا البلد العربى المسلم مذكرين بأن هذه السطور إنما هى مقتطفات من تاريخ هذا البلد الذى يقول عنه د . محيى الدين الصابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للثقافة والعلوم فى علمائه ودورهم :

« كانت صورة الشناقطة وما تزال فى البلاد العربية أنهم الممثلون الأوفياء للثقافة العربية الإسلامية فى نقائها وأصالتها وأنهم سدنتها فى قاصية ديار الإسلام المرابطون فى ثغورها حفاظا عليها ونشرا لها وإشعاعا بها » .

ويقول عنهم عبداللطيف الدليشى الخالدى :

« إن من الشناقطة علماء قد لا نغالى إذا قلنا عنهم : إنهم لا يقلون أهمية عن أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وأبى الثناء الألوسى وعثمان بن سند وأضرابهم » . الفاغ



MAURITANIE

موريتانيا

بطاقة تعريف :

١ ـ موريتانيا جمهورية إسلامية عربية إفريقية ديمقراطية اجتماعية .

٢ ـ الإسلام دين الدولة والشعب .

٣ ـ اللغة العربية هي اللغة الرسمية .

٤ ـ اللهجات الوطنية هي : الحسانية والبولارية والسنكية والولفية .

٥ ـ الرمز الوطني عَلَمٌ أخضر يحمل رسم هلال ونجم ذهبيين .

٦ ـ شعار الجمهورية شرف ـ إخاء ـ عدالة .

٧ ـ عاصمة الدولة هي (نواكشوط) .

٨ ـ العملة الوطنية هي الأوقية : الدولار الأمريكي = ١٠٦ أوقية والجنيه المصري = ٤٠ أوقية .

٩ ـ عدد السكان ٢,١٠٣١٣٤ مليون نسمة .

١٠ ـ مساحة الدولة ٢,٠٣٦٠٠٠ كم٢ .

١١ ـ تاريخ الاستقلال عن فرنسا ١٩٦٠/١١/٢٨ م .

١٢ ـ أهم الموارد الاقتصادية : السمك ، الحديد ، النحاس ، الجبس .

١٣ ـ عدد المحافظات ثلاث عشرة محافظة .

١٤ ـ موريتانيا عضو بهيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الإفريقية وجامعة الدولة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومجموعة دول عدم الانحياز ، واتحاد المغرب العربي .

لمحة تاريخية

يرجع أن اسم « موريتانيا » يرجع إلى الرومان الذين كانوا أول من أطلق اسم « مورى » على سكان شمال إفريقيا كما سموا بلادهم « تانيا » فـ (موريتانيا) اسم مكون من كلمتين « مور » وتعنى باللاتينية : الأسمر ، وكلمة « تانيا » وتعنى : « بلاد » .

وقد اصطلحت كثير من المراجع العربية على أن تسمية « موريتانيا » أطلقها الاستعمار الفرنسى على هذه المنطقة بينما اسمهـــا الأصلى « بلاد شنقيط » .

وكلمة « شنقيط » تعنى عيون الخيل فى « البربرية » ، ولعل ذلك ما يرجع أنها كانت (رباطا) للجيوش التى تتقدم لفتح بلاد السودان ، أو محطا للقوافل التجارية التى كانت تجوب الصحراء ، وهكذا اشتهرت هذه المدينة فحملت اسمها واشتهرت به .

مكانتها العلمية :

وقد نالت مكانة علمية مرموقة وشهرة واسعة حمل لواءها علماؤها الأجلاء الذين كانوا منهلا علميا رحبا فى العلوم اللغوية والدينية ، وكان لاحتكاكهم بالمشرق من خلال رحلاتهم للحج الدور الأول فى إثراء المكتبة العربية بمؤلفات فذة ، ومن أشهر هؤلاء العلماء : محمد محمود ولد التلاميد الشنقيطى الذى ذاع صيته فى مصر من خلال مؤلفاته ، ومكانته العلمية التى أهلته للتدريس فى الأزهر الشريف ، وقد كان على صداقة وثيقة مع بعض علماء مصر كالشيخ محمد عبده ، وله عدد من المخطوطات فى الهيئة العامة للكتاب المصرى .

كذلك نال كل من العالمين أحمد بن الأمين الشنقيطى صاحب كتاب « الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط » وأب ولد اخطور محمد الأمين الشنقيطى صاحب كتاب « أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن » ، وله شهرة علمية فائقة فى المشرق ، واشتهر الأخير بحلقاته العلمية فى الحرم المكى .

الأصول العرقية الموريتانية

كانت موريتانيا قبل دخول الإسلام منقسمة إلى قسمين : ففى المنطقة الجنوبية التى تتبع «مملكة غانا » كانت تقيم بعض المجموعات الزنجية على ضفاف (نهر السينغال) ، أما فى الشمال فيما يدعى « صحراء الملثمين » التى تمتد شمالا حتى (الداخلة) فكانت تقيم قبائل صنهاجة ببطونها الثلاثة : لمتونة وجدالة ، ومسوفة .

هذا ، وقد اختلف المؤرخون حول نسب صنهاجة فاتجه معظم النسابة العرب إلى أنهم قبائل عربية خرجت من اليمن فى عهد خلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فوصلت إلى موريتانيا بعد مرورها على كل من مصر وإفريقية ، أو أنهم نزحوا فى عهد ملوك التبابعة فى اليمن .

ومن أشهر المؤرخين الذين قالوا (بعروبة صنهاجة) ابن الكلبى وابن الأثير وابن خلكان ، واليعقوبى والأشبيلى والمالكى .

ومن جهة أخرى رفض بعض المؤرخين عروبة صنهاجة ، واعتبروها قبائل بربرية .

ومع دخول الطلائع الأولى للفتح الإسلامى بقيادة حبيب بن عقبة بن نافع بدأت القبائل العربية تأخذ طريقها إلى موريتانيا منذ القرن الثانى للهجرة حيث بدأت عملية الاستعراب تقويا وشائج الدين ، وقد عزز ذلك بهجرة قبائل (بنى معقل) العربية المطرودة من الدولة الفاطمية فى مصر والتى دفعتها إلى الهجرة إلى شمال إفريقيا خلال القرن الحادى عشر الميلادى ، إلا أن نفوذها لم يظهر واضحا إلا فى القرن الثالث عشر حينما دخلت هذه القبائل فى خدمة دولة بنى مرين .

إذن تعتبر بداية الفترة الأولى من العصر الإسلامى بداية التركيب الحالى لسكان البلاد حيث وجدت سلالات إفريقية وأخرى عربية ، على « أن الروابط الدينية والاقتصادية والثقافية نسجت عرى وثيقة من الالتحام بين هذه المجموعات البشرية التى تشكل اليوم شعبا واحدا متحدا .

المرابطون رواد الثقافة العربية الإسلامية

كانت قبيلة صنهاجة المنتشرة فى شمال إفريقيا مقسمة إلى ثلاث مجموعات ، فكانت صنهاجة الشرقية سائدة على تونس والجزائر ، وكانت صنهاجة الشمالية سائدة على جهات من الأندلس ، أما صنهاجة الجنوبية (الملثمون) فكانت تهيمن على الصحراء الغربية الموريتانية .

وقد تهيأت بعض الظروف التى منحت صنهاجة الجنوبية مقومات للظهور فقد انهزمت صنهاجة الشرقية أمام زحف الهلاليين على ليبيا وتونس .

أما فى الشمال فقد تنامى الصراع بين الدويلات التى توارثت الخلافة الأموية فيما سمى بدول الطوائف ، كذلك انقسم المغرب بعد القضاء على (الأدارسة) ، وترتب على هذه الفوضى السياسية تدهور اقتصادى واجتماعى ودينى وأصبح الأمر يحتاج إلى إصلاح ؛ ولذا فقد كانت المقومات كلها تؤهل صنهاجة الجنوبية لذلك ، خصوصا بعد أن انتشر بينهم الإسلام عقب فتح الأندلس مما أدى إلى قيام حلف قوى جمع الملثمين جميعهم بزعامة (لمتونة) وكان هذا التوحيد فى ظل الإسلام نذيرا بموجة من التوسع صوب الجنوب حماية لهذا الحلف من عدوان (غانا) الماثل ، ثم نشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربى ، وتمت مواجهة مملكة غانا الوثنية التى وصلت فى ذلك الحين إلى أوج قوتها وتوسعها . وبرغم هذا نجح الملثمون فى منازلة (غانا) ، وأمعنوا فى زحفهم حتى دخلوا « اوداغوست » واتخذوها حاضرة لهم .

استمر جهاد الملثمين الذى حمل لواءه أبو عبدالله محمد بن تومارت اللمتونى إلى أن وصل إلى يحيى بن إبراهيم الجدالى زعيم قبيلة (جدالة) ثم من بعده ابنه إبراهيم بن يحيى ، وقد رأى هذا الأخير أن الإخفاق والبلاء يرجع إلى عدم الشعور بالوحدة وسرعة تفرق الجماعة ، وأن الوحدة والجهاد لن يتحققا إلا فى ظل دعوة دينية صادقة توحد الناس وتزكى نفوسهم ؛ ولذا فقد استقدم عبدالله بن ياسين الجزولى إلى الصحراء فاغتبطت بمقدمه لمتونة وجدالة واستقبلوه بالحفاوة

والتكريم ، وبذلك بدأت أولى مراحل قيام المرابطين عندما أقام عبدالله رباطا دينيا أعلن منه الجهاد ضد القبائل الخارجة على تعاليم الإسلام ، والتى كانت تهدد الدولة الإسلامية باستمرار ، وبعد أن استقر الأمر للطائفة المؤمنة بدأت تتطلع للجهاد نحو الجنوب فى غانة والشمال فى المغرب ابتداء من سنة ٤٣٤ هـ/١٠٤٢ م .

فبسط ابن ياسين سلطانه الروحى على سائر قبائل الصحراء ، وجعل السلطة الزمنية ليحيى بن إبراهيم الجدالى ، وهكذا خرج المرابطون وعلى رأسهم ابن ياسين وساروا إلى (سلجماسة) ففتحوها سنة ٤٧٧ هـ . وقاموا بإزالة المنكرات ، ورفع المكوس الجائرة ، وتطبيق أحكام الدين ، وندب لحكم سلجماسة عاملا من (اللمتونيين) .

وكانت هذه الواقعة بداية لفتح المرابطين للمغرب ، وبعد وفاة عبدالله بن ياسين اتفق رأى المرابطين على اختيار قائدهم أبى بكر بن عمر اللمتونى للرئاسة مكان إمامهم المتوفى .

وقد وكل أبو بكر شئون المغرب لابن عمه (يوسف بن تاشفين) واتجه هو للجهاد فى الجنوب ضد القبائل السودانية ، ولم يكن إخضاعها بالشىء اليسير فقد استغرق جهود عشرة أعوام فى جهاد مستمر .

أما الجزء الشمالى بقيادة (يوسف بن تاشفين) فقد تابع فتوحاته الظافرة ضد المهددين للدولة ، وهَبَّ لنجدة الوجود الإسلامى فى الأندلس ، وانتصر على الفرنجة فى (معركة الزلاقة المشهورة) مما أطال النفوذ الإسلامى لقرون ثمانية .

لقد كانت (دولة المرابطين) بحق دولة قوية نشرت الإسلام ، وأقامت صرح الثقافة العربية الإسلامية من المغرب إلى أدغال السودان .

وكان المسلمون هم روادها المؤمنون المخلصون المجاهدون ، وإليهم يرجع فضل انتشار الحضارة الإسلامية العربية ، ومن بعدهم سار على ذلك أحفادهم فظلوا على مر العصور قنطرة التواصل ، وأداة الاستمرار الثقافى فى جهادهم ودعوتهم وقد حملت الخطرة* الموريتانية ، ولا زالت تحمل لواءها وترفعه عاليا حتى اليوم .

الموقع والمساحة :

تقع موريتانيا فى الشمال الغربى للقارة الإفريقية وفى أقصى الجنوب الغربى للوطن العربى ، وتمتد الأراضى الموريتانية بين دائرتى عرض ٣٠° و١٤° غربا وبين ٢٤° و٢٧° شمالا .

وأغلب الأراضى الموريتانية تقع إلى الجنوب من مدار السرطان ، وتبلغ مساحتها ١,٠٣٠٦٠٠ مليون كم٢ وهو ما يوازى ضعف مساحة فرنسا .

ويحدها من الغرب المحيط الأطلسى ومن الشمال الغربى الصحراء الغربية ومن الشمال الشرقى (الجمهورية الجزائرية) ، ومن الشرق والجنوب الشرقى (جمهورية مالى) ومن الجنوب الغربى (جمهورية السنغال) .

ويتميز السطح الموريتانى بظاهرة السهول المتسعة ، فهو عبارة عن سهل متسع يتضرس شيئا ما فى الاتجاه الشمالى الشرقى والجنوب الغربى ، ويظهر فوقه بين الحين والآخر مناطق مرتفعة تأخذ شكل هضاب . ذلك فضلا عن سلسلة من

الحافات المرتفعة بعض الشيء وهي تتجه نحو الغرب وتفصل هذه الحافات بين هضاب يصل ارتفاعها حوالي ٥٠٠ كم فوق سطح البحر، ويزيد الارتفاع عن ذلك في هضبة « آدرار » و« تكانت » و« لعصابة ».

وفيما عدا هذه الأجزاء المرتفعة نسبيا في الشرق والشمال ؛ فإن بقية أجزاء موريتانيا عبارة عن أراض منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠٠ م فوق سطح البحر.

وبرغم أن معظم أراضي موريتانيا صحراوية إلا أنها تتميز بساحلها المطل على المحيط الأطلنطي، والذي يبلغ طوله نحو (٦٥٠ كم)، ويعتبر هذا الساحل بالنسبة للصحراء المترامية بمثابة نافذة لها على البحر، وقد زادت هذه الجهة البحرية من أهمية موقع موريتانيا وفتحت لها آفاقا للاتصال بالعالم الخارجي.

تطورات النظام السياسي في موريتانيا

١ ـ مرحلة ما قبل الاستقلال :

خضعت موريتانيا للاستعمار الفرنسي واعتبرت مستعمرة ملحقة بإفريقيا الغربية الفرنسية في شهر يناير سنة ١٩٢٠ م. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت خاضعة للقانون الداخلي الفرنسي على غرار أقاليم ما وراء البحار.

ويرأس الإقليم من هذه الأقاليم طبقا للقانون (وال) يمثل الحكومة الفرنسية كما يتمتع بحق انتخاب نائب في الجمعية الوطنية الفرنسية. وقد مثلت موريتانيا في هذه الجمعية من طرف النائب : أحمد ولد حُرْمه ولد ببّانا الذي فاز على منافسه الفرنسي رازاك يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٦.

وبعد إصدار (قانون الإطار) الذي صوتت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية في ٢٣ يوليو ١٩٥٦ منحت موريتانيا شكلا من الاستقلال السياسي، وتمثل في نظام شبه نيابي قائم على مجلس حكومة منتخب من طرف الجمعية الإقليمية، وقد نظمت انتخابات في موريتانيا في شهر مارس ١٩٥٧. فاز فيها الاتحاد التقدمي الموريتاني حيث حصل على ٢٣ من ٢٤ مقعدا، وتم انتخاب أول مجلس للحكومة في مايو ١٩٥٧ من طرف الجمعية الإقليمية التي انتخبت أول رئيس لموريتانيا كنائب لرئيس المجلس المرؤوس من طرف الوالي الفرنسي.

ونتيجة للهزات التي عرفتها المستعمرات الفرنسية، والمطالب المتصاعدة بمنحها الاستقلال. فقد نص الدستور الفرنسي الصادر في ٤ أكتوبر ١٩٥٨ على إجراء استفتاء داخل المستعمرات لتحديد رغبتها في الاستقلال.

ونتيجة للتزوير في الانتخابات بقيت موريتانيا تحت السيطرة الفرنسية مع تمتعها بالاستقلال الذاتي، وتحولت الجمعية الإقليمية إلى جمعية تأسيسية أصدرت (الدستور الموريتاني) الأول في ٢٢ مارس ١٩٥٩.

وقد أقام هذا الدستور نظاما برلمانيا، نص على تعدد الأحزاب السياسية فظهرت للساحة أربعة أحزاب هي :

ا ـ حزب التجمع الموريتاني.

ب ـ حزب النهضة الموريتاني.

جـ ـ حزب الاتحاد الوطنى .

د ـ حزب الاشتراكيين المسلمين الموريتانيين .

إلا أن العمل بدستور ٢٢ مارس ١٩٥٩ لم يدم طويلا ، فقد جرت مفاوضات فى باريس بين الحكومتين الموريتانية والفرنسية ، انتهت بتوقيع اتفاقية فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٠ تم بموجبها نقل سلطات الاتحاد إلى حكومة موريتانيا ، وأصبحت الدولة مستقلة فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠م .

٢ ـ مرحلة ما بعد الاستقلال :

إذا كان دستور ٢٢ مارس ١٩٥٩ م قد أقام نظاما برلمانيا ، فإن دستور ٢٠ مايو ١٩٦١م قد أقر نظاما رآسيا ينتخب به الرئيس لمدة خمس سنوات بالاقتراع العام المباشر ، ويتمتع الرئيس المنتخب فى ظله بصلاحيات هامة تتمثل فى تعيين الوزراء وإقالتهم ، وممارسة السلطة التنظيمية وغيرها . وبعد اتحاد الأحزاب الموريتانية فى حزب واحد هو (حزب الشعب الموريتانى) إثر مؤتمر « ألاك » سنة ١٩٦٥ تم تعديل مادة ترشيح رئيس الجمهورية حيث اشترط تعديل ١٩٦٦ أن يكون المرشح لرئاسة الجمهورية حائزا على الترشيح من الحزب الآنف الذكر .

وهكذا استمر الحكم المدنى مدة ثمانى عشرة سنة ، وربما ساعده على ذلك تغلغل الحزب الحاكم فى الأوساط الموريتانية . برغم ما واجه حكمه من تذمر تزعمته فئات مثقفة تبنت الاشتراك كحل للمشاكل الاقتصادية ، إلا أنها فى النهاية دخلت فى مفاوضات مع الحكم جرى على إثرها الاتفاق بعد قيام الحكومة بإصلاحات اقتصادية تمثلت فى تحرير الاقتصاد الوطنى بتأميم بعض الشركات الوطنية من الاستغلال الفرنسى وصك عملة وطنية قطعت التبعية النقدية للمستعمر الفرنسى .

وفى ١٠ يوليو سنة ١٩٧٨ تحركت القوات المسلحة فى انقلاب أطاح بالحكم المدنى ، وألغى الانقلابيون العمل بالدستور ، وحلوا المؤسسات السياسية وأخضعوا البلاد للحكم الاستثنائى ، وفى ظل هذا الحكم صدرت ٦ مواثيق ومشروع دستور نيابى فى سنة ١٩٨٠ ، وقد أكدت كل هذه المواثيق طابعها المؤقت باعتبارها فترة انتقالية ينتهى العمل بها فور إقامة مؤسسات ديموقراطية ، وقد كانت تتولى اللجنة العسكرية السلطة التشريعية ، ويتمتع أعضاؤها بالحصانة البرلمانية .

وقد رافق هذا الاختصار فى المؤسسات اختصار فى الحياة السياسية ، وإن كانت قد جرت محاولة لإشراك السكان فى تسيير شئونهم من خلال تنظيم هياكل (تهذيب الجماهير) ابتداء من ١٩٨١ ، كذلك شهدت البلاد فى فترة الحكم الاستثنائى إقامة (مجالس بلدية) شملت عواصم الولايات والمقاطعات والمراكز الإدارية ، وكذلك البلديات الريفية .

٣ ـ المؤسسات الديمقراطية :

نتيجة للتغيرات العالمية التى ألقت بظلالها على مناطق عديدة من العالم ، والتى حملت متغيرا هاما تمثل فى رياح التغيير الديمقراطى ، عرفت بلادنا ـ ضمن الدول التى عرفت التوجه نحو النظام الديمقراطى ـ ميلاد دستور فى ٢٠ يوليو ١٩٩١ حاز على نسبة ٩٧,٩٤٪ من الأصوات فى

الاستفتاء الذى أجرى فى ١٢ يوليو من نفس السنة .

ويمكن اعتبار هذا الدستور دستورا شبه رئاسى ، تميز عن دستور ١٩٦١ بإقراره التعددية السياسية ، وإقرار ثنائية السلطة التنفيذية فى شخص رئيس الدولة ورئيس الوزراء كما تميز كذلك بثنائية السلطة التشريعية المشكلة من مجلسين هما : الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ ، وإنشاء مجلس دستورى له اختصاصات قضائية ، وأخيرا : النص على تشكيل هيئات استشارية كما يقر هذا الدستور مجموعة من الحقوق والحريات الأساسية للإنسان كحق المساواة وحق الملكية والحريات السياسية والثقافية والاجتماعية .

وينتخب الرئيس طبقا لهذا الدستور عن طريق الاقتراع العام المباشر لمدة ست سنوات على ألا يقل عمره عن أربعين سنة ولا يقبل الترشيح إلا إذا عضده خمسون ٥٠ مستشارا بلديا على الأقل على ألا يكونوا منتخبين فى الدوائر الانتخابية لولاية واحدة .

أما السلطة التشريعية : فهى تتألف من (٧٩ نائبا) فى الجمعية الوطنية ينتخبون لمدة خمس سنوات عن طريق الاقتراع العام المباشر .

أما مجلس الشيوخ فينتخب أعضاؤه لمدة ست سنوات ويبلغ عددهم الحالى ٥٦ عضوا .

ومنذ صدور القانون المنظم للأحزاب ، برز – حتى الآن – إلى الساحة ثمانية عشر حزبا تمثل جميع الفعاليات والاتجاهات السياسية فى البلاد ، وقد راعى القانون فى هذه الأحزاب أن تؤسس على طابع وطنى ، وحظر أى حزب يقوم على أساس عرقى أو عنصرى أو طائفى .

كذلك وجدت حرية الصحافة صداها فصدرت أكثر من عشر صحف ناطقة باسم أحزاب أو مستقلة ، وقد تجلت حرية الصحافة هذه من خلال معالجتها للقضايا الوطنية ، ونقد السياسات الحكومية ، وإيصال رأى المواطن فى جو من الحرية التامة .

ويكفى التجربة الديمقراطية الموريتانية فخرا أنها جرت فى جو سلمى وانسجام تام ، واستطاع الشعب الموريتانى أن يثبت أنه قادر على استيعاب المنحى الديمقراطى ، وتسخيره للمصلحة الوطنية فى جو ديمقراطى رزين .

الموارد الاقتصادية

تشبه البنية الاقتصادية الموريتانية غيرها من بنى الدول النامية من اعتمادها على قطاع زراعى ، واستخراجى بدرجة أولى وصناعى بدرجة ثانية ، وخدمى بدرجة ثالثة .

القطاع الزراعى :

يسود المجتمع الموريتانى بصفة عامة الطابع الزراعى وتحتل موريتانيا المرتبة الثالثة فى الوطن العربى بعد السودان والصومال .

١ – النباتى :

تمتلك موريتانيا سهولا كبيرة على نهر السنغال تقدر بـ ١٥٠ ألف هكتار و٢٠٠ ألف هكتار أراض مطرية ، بالإضافة إلى وحدات النخيل التى تستخدم الزراعة والخضروات ، ورصيدها هائل

من البحيرات الجوفية مثل (بحيرة إركيز ، وبحيرة الالث ، وبحيرة مال ، وبحيرة ادبنى) .. بالإضافة إلى ما قامت به الدولة ضمن خططها الرامية إلى تطوير هذا القطاع بإنشاء مجموعة كبيرة من السدود ذات أغراض متعددة مثل التراكم فى المياه والرفع من مستوى الاحتياطى ، وتوسيع الأراضى الصالحة للزراعة . وتوليد الكهرباء ، وإنتاج أسماك المياه العذبة ، ويشتغل بالزراعة فى موريتانيا حوالى ٧١٪ من السكان .

وهذا دليل على أنها ما زالت تعتمد الوسائل البدائية ؛ مما جعل مساهمتها ضئيلة بالمقارنة مع الموارد المتاحة .

لقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما خاصا بالزراعة حتى أصبحت تمثل نسبة لا بأس بها من الاستثمارات المحلية ونظمت طرق الملكيــة ، وخصصت مبالغ كبيرة للقرض الزراعــى ، وأعدت برامج لإعادة المزارعين إلى مواطنهم الأصلية ، وإيقاف زحف الرمال ، وإدخال نظام الميكنة فى الزراعة ، وقد أدت هذه الإجراءات وغيرها إلى تطوير القطاع والرفع من إنتاجيته ؛ مما خفف الضغط على ميزان مدفوعات الدولة ، وقلل من حاجة البلاد إلى الاستيراد .

ب ــ الحيوانى :

إن طبيعة الأرض الموريتانية ومناخها الجغرافى فرض عليها أن تكون ذات أهمية كبيرة ويمكن أن تقسم إلى :

١ ــ تربية الحيوانات :

تمتلك موريتانيا مساحات شاسعة من المراعى والحشائش التى تعتمد على الأمطار . وتعتمد عليها الحيوانات من بقر وإبل وماعز كمصدر للعيش الطبيعى ، ويساهم هذا القطاع بـ ٨٠٪ من دخل القطاع السكانى الذى يعتمد عليه و ٦٠٪ من دخل القطاع الريفى .

ويتركز هذا النشاط فى الجنوب والوسط وهو مصدر دخل للقائمين عليه حيث يوفر لهم (اللحــوم) و(الألبــان) ومشتقــاتها ، و(الصوف) وهى موجهة غالبا إلى الاستهلاك المحلى باستثناء اللحوم التى تصدر إلى الدول المجاورة ، وتوجد خطة مهمة لتطوير القطاع ، وإنشاء بعض الصناعات المحلية التى تعتمد عليه ــ كمادة أولية ــ مما سيرفع إنتاجية القطاع ، ويزيد من قابليته للتصدير بعد أن كانت تعترضه مصاعب جمه أدت إلى التقليل من إنتاجيتــه ومساهمته فى الناتج المحلى .

٢ ــ الصيد :

تمتلك موريتانيا شواطىء غنية بالأسماك نتيجة مرور (تيار كناريا) البارد وتعامد أشعة الشمس فترة طويلة من السنة مما يثبت بيئة سحرية ملائمة فى البحر . وتصنف هذه الشواطىء ضمن الشواطىء الغنية عالميا وتعتبر هذه الثروة الهائلة موجهة إلى التصدير وبالذات السوق الأوربية المشتركة واليابان ويقدر معدل الاستغلال بحوالى ٧٠٠ ألف طن . وقد كانت طرق الاستغلال فى البداية غير منظمة مما جعلها تخضع لعمليات نهب كبيرة من طرف أساطيل أجنبية مما قلل العائد من هذا القطاع . إلا أن السنوات الأخيرة شهدت إعادة صياغة القوانين ، وخطط الصيد حيث

أعدت قوات بحرية وطنية لمراقبة السواحل ورفع مستوى كفاية المراقبة وقننت طرق التصدير ، ورُخّص لشركات وطنية باستغلال هذه الثروة الهائلة ، وإنشاء بعض المصانع الصغيرة وتطوير طرق إصدار رخص الصيد .

وأقيمت بعض الدوريات والمؤسسات التأهيلية للرفع من كفاية العمالة ومستوى الخبرة .

وعلى الرغم من كافة الإجراءات التى اتخذت إلا أنها ما زالت حتى الآن دون المطلوب نتيجة نقص رؤوس الأموال الموجهة إلى هذا القطاع الهام الذى باستغلاله استغلالا كاملا يمكن أن يغطى حاجات الوطن العربى من الأسماك .

ويضاف إلى أسماك المياه المالحة أسماك المياه العذبة التى توجد فى نهر صنهاجة (النهر الفاصل بين موريتانيا والسنغال بصفة طبيعية ، وبالإضافة إلى بعض التجارب فى (بحيرة اركيز) و(منطقة كوركول) .

القطاع الصناعى

يمكن تقسيم هذا القطاع إلى :

أ ـ استخراجى :

حيث يتوفر لموريتانيا ثروة معدنية هائلة تعرضت ـ لسنوات ـ من الاستغلال البشع من طرف مؤسسات أجنبية ، وإن كانت مازالت مصدرا ـ أوليًا ـ فى تمويل الميزانية العامة وهى :

١ ـ الحديد :

وقد اكتشف سنة ١٩٠٠ واستغل من طرف (شركة ميفرقا) الأجنبية سنة ١٩٥٢ ثم أصبح خاضعا لشركة وطنية هى (اسنيم) فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤ م وتعتبر (كدية الجل) هى المنبع الأول لهذه الثروة سواء من حيث جودة الحديد المستخرج ، أو من حيث نسبة الحديد فى الصخور ، والتى تعتبر طبقا للمقاييس العالمية أكبر النسب .

وتنقل هذه الخامات عبر أطول سكة حديدية لنقل الحديد فى العالم ويصدر عبر ميناء شحن خاص فى (أنواذيبو) ويبلغ حجم الإنتاج حوالى ١٢ مليون طن ، ويعتبر هذا القطاع القلب النابض فى الشمال من حيث العمالة المستخدمة أو الخدمات المقدمة .

وقد استخدم كمصدر للمادة الأولية لمصانع أنجزت فعلا مثل (مصنع البلورات الحديدية) فى (انواذيبو) الوحيد من نوعه فى العالم العربى ـ ومصانع فى طور الإنجاز لإعادة صناعة الحديد، وبعض الأدوات الصغيرة .

٢ ـ النحاس :

اكتشف قرب (أكجوجت) وتقدر الاحتياطيات بحوالى ٢٣ مليون طن منها ٨ مليون طن (مكسدة) بالنحاس ، وقد كانت الشركة المكلفة باستغلال هذا المنجم تقوم بتقديم الكثير من الخدمات مجانا مثل الكهرباء والماء ... لسكان المنطقة .

٣ ـ المعادن الثمينة :

ويأتى الذهب على رأسها وإن كان استغلاله ما زال ضئيلا وتعترضه كثرة التكاليف .

٤ ـ الجبس :

الذى اكتشف فى شمال (نواكشوط) ويقدر مخزونه بحوالى ٤ مليار طن ، وتستغله الشركة العربية للمعادن (سامبا) وقد أصبح من الصناعات التى أصبحت تحتل مركزا مهما فى الناتج المحلى من جهة وفى سلم الصناعات من جهة ثانية .

ب ـ التحويل :

لقد جربت موريتانيا ما عرف فى البلاد النامية بسياسة الإحلال على الواردات والصناعات الموجهة إلى التصدير وأقيمت عدة صناعات تحويلية تقوم بصناعة بعض السلع التى تستهلك مباشرة أو بعض السلع الوسيطة وقد وجهت الاستثمارات الخاصة والمختلطة إلى هذا المجال مما أدى إلى ظهور مشاريع كان لها البقاء ، وأخرى ماتت نتيجة عوامل عدة كان أهمها عامل (ضيق السوق) حيث أصبحت هذه المصانع مخيرة بين الإنتاج بسعر أعلى من سعر السلعة المستوردة ، أو تتحمل خسارة ناجمة عن ضيق توزيع التكاليف الثابتة ، ولا تستطيع تحملها ، ولم يعد أمام هذه المصانع إلا التوقف ، أو البحث عن أسواق عربية ، أو مجاورة ما زالت تحتاج إلى إرادة عربية شاملة .

ويشتغل بالصناعة حوالى ٩٪ من السكان ، وما زالت هذه الصناعة النسبية منخفضة مما جعل الاهتمامات الحالية توجه إلى الرفع من إنتاجية هذا القطاع ونسبة المستخدمين والفنيين الوطنيين .

قطاع الخدمات :

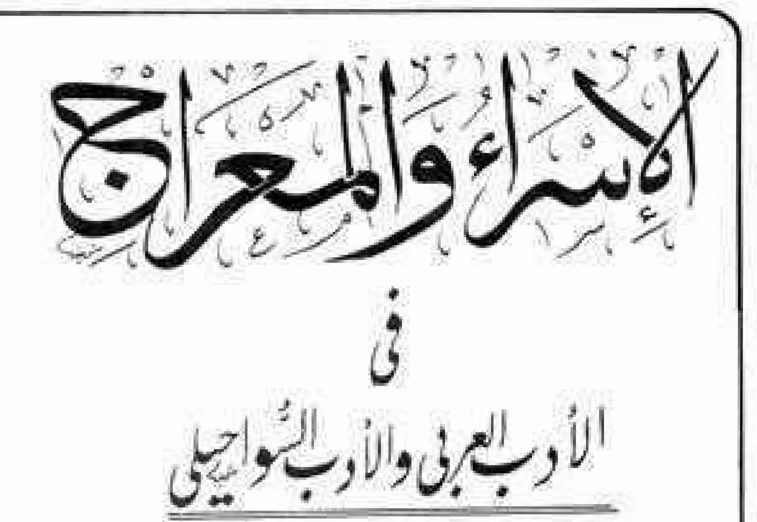
ما زال (قطاع الخدمات) ضيقا فى المجتمع فهو يستوعب حاليا حوالى ٣٠٪ من السكان .

وموريتانيا تمتلك طبيعة خلابة تجمع بين الشمس المدارية والصحراء الهلالية وواحات النخيل التى خرجت من الجبال والوديان والتربة المتنقلة مما يجسد المجد العريق والتراث الشنقيطى .

بالإضافة إلى الآثار القديمة التى تزخر بها المنطقة والتى تعتبر أثرا للشناقطة ودورهم فى نشر الإسلام فى إفريقيا السوداء .

فى الحق إن موريتانيا تعتبر أرضا زراعية خصبة ذات معادن وفيرة وعمالة متوفرة وقوانين استثمار وحماية ملائمة لا ينقصها إلا رؤوس الأموال التى بتوفرها يمكن أن تستغل هذه الموارد بطاقاتها القصوى مما يعود بالفضل على الدول العربية بشكل عام . وسط برنامج عربى شامل يهدف التعاون العربى المشترك .

الرابطة الوطنية لاتحاد طلبة موريتانيا



بقلم الأستاذ/ عادل رفاعي خفاجة

زاد عناد المشركين واشتد أذاهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبخاصة بعد موت عمه أبي طالب وزوجته خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ، وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتوجه إلى الله يدعوه : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

فكانت رحلة الإسراء والمعراج تسرية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفاً ونظرة حانية من رب العزة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينطلق في طريق الدعوة إلى الله بكل قواه .

وقد نالت قصة « الإسراء والمعراج » حظاً وافراً من اهتمام الكتاب والشعراء في العالم العربي والإسلامي ، فألهمت العديد منهم ؛ فصاغوا قصائد تعتبر من عيون الشعر الإسلامي ، ويمكننا القول أن كثيراً من الكتاب والشعراء المسلمين ـ قديماً وحديثاً ـ كان حريصاً على تناول تلك المعجزة ؛ حتى يعطر قلمه بالحديث عنها . فممن كتب ـ قديماً ـ عن الإسراء والمعراج في السيرة النبوية : ابن هشام ، وابن كثير وابن الأثير وغيرهم .

وحديثاً تناول الكثير تلك الرحلة القدسية ، ومنهم من أفرد لها مؤلفاً مستقلاً ، نذكر منهم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم وغيرهم كثير .

أما أشهر من تناولها شعراً فهو الإمام شرف الدين أبو عبدالله محمد البوصيرى فى بردة المديح المباركة ، وهى قصيدة تقع فى مائة واثنين وثمانين بيتاً مطلعها :

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذى سلَـــم
مَزَجْتَ دمْعًا جرى مِنْ مُقْلةٍ بدمِ

ولعل البردة أعظم قصائد المديح على الإطلاق ، وقد سماها المؤلف « الكواكب الدرية فى مدح خير البريــة » خصص بعض أبيــاتها عن الإسراء والمعراج .

وقد نالت البردة اهتمام الكتاب والشعراء على السواء ، فقدم كثير من الكتاب شروحاً لها . أما الشعراء الذين عارضوها[1] فيعدون بالعشرات ومن أشهر مَنْ عارضوا البردة ربُّ السيف والقلم محمد سامى البارودى الذى سمى قصيدته « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » ومطلعها :

يا رائد البرق يمم دارَة العلــم
واحْدُ الغمام إلى حيّ بذى سلم

وأمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدته « نهج البردة » التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وقد قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ سليم البشرى شرحاً لها تحت عنوان « وضح النهج » . وقد تناولت هذه القصائد جميعها الإسراء والمعراج كعنصر من عناصر المديح فى أبياتها .

أما فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فقد كتب قصيدته التى مطلعها :

يا ليلــة المعــراج والإسراء
وحى الجلال وفتــة الشعــراء

وهى قصيدة تتكون من (٢٢٤) مائتين وعشرين وأربعة أبيات ، وقد تناولت القصيدة بشكل رئيسى مراحل الإسراء والمعراج وإنكار قريش لها وتصديق المؤمنين بها فى شكل مبهر أخاذ يحوطه جلال المناسبة وقدسية المشاهد والمواقف .

وفيها يستعطــف الشاعــر ليلــة الإسراء ويستحلفها بالله أن تقص عليه هذا الحديث العطر عن رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلــم ــ وألا تضن بالحديث ؛ لأن البخل ليس من شيمة الكرام .

---

(١) عارضه فى الشعر أى باراه وأتى بمثل ما أتى به (لسان العرب ــ مادة عارض) .

فيقول :

قصى بربك لا تضنـــــى

فالبخل يمقوت لدى الكرمـــاء

قصى حديث رسولنـــا خير الملا

قصى علينـــا أطيـب الأنبـــاء

وعلى مدى ثمانية عشر بيتاً يستمر الاستعطاف من الشاعر حتى ترق ليلة الإسراء بعد طول دلال .

فيقول :

رقَّت ولبَّت والتحت طربا معى

قد أمطرتنــى سحرهـــا ودواقى

ثم تنساب أبيات القصيدة فى رقة وعذوبة وجلال فى مثل قوله :

ساروا إلى الأقصى يُثـــارُ بركبهم

كالشمس فوق القبـــة الزرقـــاء

قطعوا الفيافى والقفار كطرفـــة

للـــــعين أو كإشارة الإيماء

وقوله :

دخل النبى البيت بدرا ساطعا

فأعـــاره نورا يراه الثـــانى

وكذلك فى قوله :

وإذا بموسى بينهم متهلـــــل

ومحمـــد كالزهـــرة الفيحـــاء

الإسراء والمعراج فى الأدب السـواحيلى :

وكما نجد فى الأدب العربى تلك الوفرة من الإنتاج الأدبى التى تتناول الإسراء والمعراج نثراً وشعراً ، فإننا نجد ما لا يقل عن ذلك النتاج الأدبى فى الأدب السواحيلى .

وإن المطلع على الأدب السـواحيلى ليدهشه هذا الكم الهائل من القصائد التى تتناول مدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتسجل غزواته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولعل الإسراء والمعراج من أهم المناسبات التى حظيت باهتمام الشعراء السواحيليين فكتبوا فيها العديد من القصائد ، وتفاخروا فى إلقائها فى الاحتفالات الشعبية والدينية .

ومن هذه القصائد التى خصَّت الإسراء والمعراج بالذكر ووظفت كل أبياتها لهذا الغرض .

قصيدة (محمد كيجوما) وتقع فى (٦٦) ستمائة وستين بيتاً ، وقصيدة (يوسف أولينجا) التى تتكون من (٥٣٧) خمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً .

أما قصيدة (محمد جامبينى) فقد اكتملت فى (٣٠٠) ثلاثمائة بيت .

وتأتى أقصر هذه القصائد فى النهاية (لمحى الدين البروى) وهى أكثرها تركيزاً على الأحداث دون إطالة ، وتقع فى (١١٣) مائة وثلاثة عشر بيتاً . يقدمها الشاعر فى وزن (Ukawafi) وهو من الأشكال القديمة للشعر السواحيلى ويتكون البيت من أربعة أسطر ، ويشتمل السطر على

خمسة عشر مقطعاً وهو وزن شائع ، وأكثر استخدامه فى الشعر الدينى .

وفيها يبدأ الشاعر ــ كما هو معتاد فى القصائد الدينية ــ بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وأصحابه .

ثم يقول فى البيت الرابع :

عندما حان الوقت لتجلى ربنا
لجاه النبى ، نزل جبريل
وكان النبى نائما ، فجاءه وأيقظه :
استيقظ ولا تنم ، فالمولى يطلبك سريعا

ويستعرض الشاعر المراحل التى تضمنتها رحلة الإسراء والمعراج فى أسلوب سهل ميسور ، يبعد عن الصنعة اللفظية ــ التى قد تخرج المعنى عن الصحة طلباً لرونق اللفظ ــ مستعينا باللفظ السهل الجزل واستخدام بعض المحسنات الجمالية والوزن الدقيق والقافية المتقنة ليجذب سامعه ويشد انتباهه كما فى البيت السادس والثلاثين :

ثم ذهبوا[٢] ورأوا جميع الأنبياء
فحيوه بالسلام الجميل
ثم وصلوا إلى البيت العظيم ، ودخلوا
بيت المقدس ، البيت المعظم

و البيت التاسع والثلاثين :

قال جبريل : تقدم فأنت الإمام
الأنبياء خلفك ، تقدم للأمام
السعادة لك ، والشرف والتعظيم
فأنت الشفيع المختار ، لكل الطيبين الأخيار

وبعد ، فذلك بعض ما فى هذه القصيدة ، وقد تحاشينا إثبات أبيات لا توحى للوهلة الأولى بمراد التكريم الذى يريده الشاعر فبدا لفظها على غير ما يتوقعه الأسلوب العربى .

وما سقنا إلا نموذجاً من نماذج عديدة للشعر السواحيلى الملىء بالقصائد الدينية التى إن دلت على شىء فإنما تدل على روح إسلامية عالية ونفوس ورعة نقية .

* * *

(٢) الأصل أن يكون الفعل مسنداً إلى المثنى : سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسيدنا جبريل ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، لكن ضمير المثنى نادر فى غير العربية حيث يستخدم الجمع ليدل على المثنى أيضاً .

يتوقعه الأسلوب العربى .



إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال :

جدتي لها ثلاثة بنين وبنتان ، والتركة ٨ ثمانية قراريط أرض زراعية كتبت هذه الأرض للبنتين فقط بعقد بيع مسجل في الشهر العقاري ، وهذه الأرض أخذها أخ للبنتين بالإيجار القانوني . فهل من حق البنتين التصرف في هذه الأرض ، وهل لباقي الأخوة الحق في هذه الأرض أم لا ؟

عبده بن محمد الجوايدى
إسنا - الجوايدة

الجواب :

فما دام العقد مسجلاً فلا كلام لأحد في هذا .

السؤال :

إذا توفت الزوجة ولم يكن لها ولد أو بنت وتركت عفش حجرة نوم قائمة باسمها فهل من حق الزوج أن يأخذها أم هي من حق أهلها ؟

ع.م.ب - إسنا

الجواب :

للزوج النصف فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقي للأم السدس إن كان لها أخوة وللأب الباقي ، وإن لم يكن لها أم فللأب النصف الباقي كله ، وإن لم يكن لها أب ولها أم ولها أخوة فللأم السدس ، والباقي للأخوة تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ، وإن لم يكن لها أب ولا أم فالباقي وهو النصف يكون للأخوة للذكر ضعف الأنثى .

والله أعلم .

السؤال :

ما حكم تسوية أحد القبور بالأرض وبناء مسجد عليه دون الإشارة إلى اسم صاحبه ؟ أفيدونا أفادكم الله .

و . ع . ع

الجــــواب :

المنصوص عليه شرعاً أن الجبانة إذا بطل الدفن فيها بالاستغناء عنها بأرض أخرى أو بأى سبب آخر ، فإن كان لا يزال بها عظام فهى على ما هى عليه ، لبقاء المنفعة التى من أجلها وقفت ، إذ لا يجوز نبشها شرعاً فى هذه الحالة .

وإن اندثرت بحيث لم يبق بها عظام أو لم يدفن فيها أو فى بعضها ، ولا يرجى أن يعود الدفن فيها فى وقت من الأوقات فإنه يجوز لولى الأمر أن يتصرف فيها بما فيه المصلحة العامة للمسلمين .

ومن ثم يقاس على هذا القبر المنوه عنه بالسؤال إذا كان لا يزال به عظام للميت فهو على ما عليه ولا يجوز نبش القبر شرعاً فى هذه الحالة .

أما إذا اندثر بحيث لم يبق به عظام ولم يدفن فيه أحد بعد ذلك فإنه على رأى الإمام محمد بن الحسن والذى رؤى به العمل فى هذا الشأن فإنه يجوز لولى الأمر أن يتصرف فى هذه المقبرة بما فيه المصلحة العامة للمسلمين والتى منها بناء المسجد .

السـؤال :

هل إبليس كان من الملائكة أم أنه شيطان منذ بداية خلقه ؟

أفيدونا أفادكم الله

سعيد على البرقانى

الجــواب :

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : **﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ... ﴾** الآية ٥٠ من سورة الكهف . فقوله ـ تعالى ـ : **﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾** أى خانه أصله ، فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل الملائكة من نور ، كما ثبت فى صحيح مسلم : « **خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** » ونبه ـ سبحانه وتعالى ـ ههنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار ، كما قال : **﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾** قال الحسن البصرى : « **ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، ولأنه أصل الجن . كما أن آدم ـ عليه السلام ـ أصل البشر** . » **رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه** .

والله أعلم .

السـؤال :

ما حكم الشرع فى صندوق التكافل الاجتماعى الخاص بنقابة التجاريين ؟

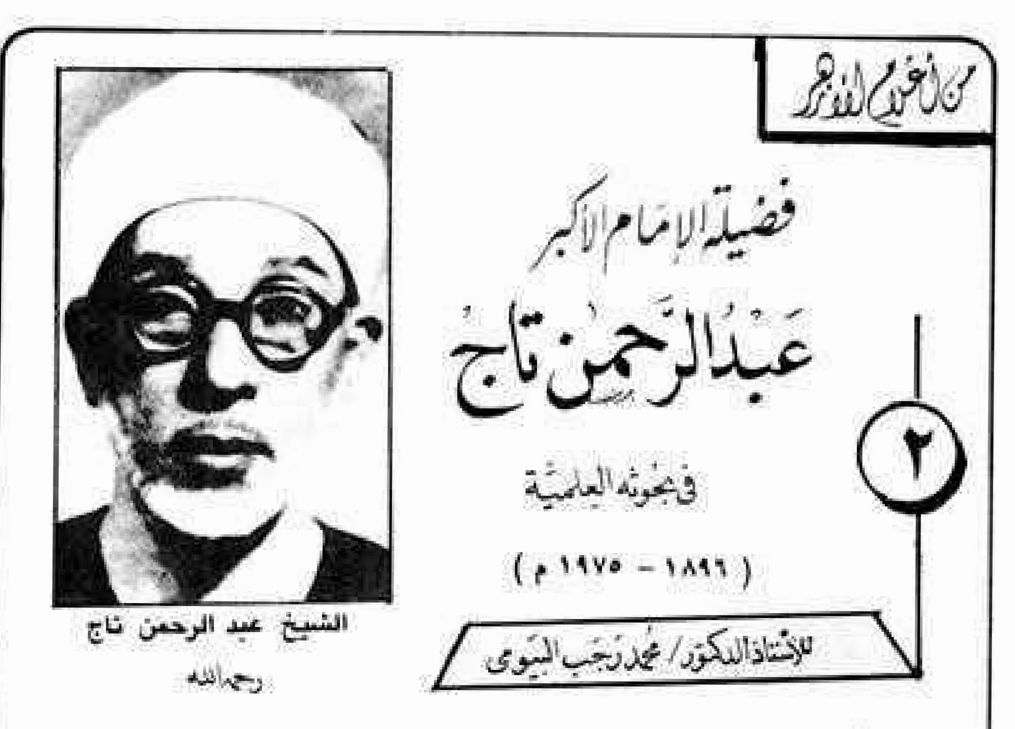
أولاً : تم تخفيض مبلغ التكافل بنسبة ٢٥٪ نتيجة انخفاض معدل العائد على الاستثمار وذلك بعد مضى عام واحد من إنشاء الصندوق ، مع وعد بإعادة النظر كل خمس سنوات كما هو موضح على الوجه الأول من صورة الصك المرفق بهذا الخطاب .

ثانياً : يبدو أن النقابة لا تستثمر هذه الأموال فى عمل ما ، وذلك بدليل أن القائمين على الصندوق قاموا بتخفيض مبلغ التكافل عندما انخفض سعر الفائدة ؟

خالد محمود عبده شبرا الخيمة

الجــواب :

التكافل الاجتماعى نوع من التعاون الذى يقوم على التسامح ـ فهو جائز شرعاً ، أما التعامل فى المال الذى يجمع ويدخر للمشتركين فى التعاون ـ فالمسئول عن كيفية التعامل فيه هو المشرف عليه لا على أعضاء التكافل ـ والله أعلم .



الشيخ عبد الرحمن تاج
رحمه الله

قرأ الدكتور عبد الرحمن تاج كتب التراث قراءة الفاحص المتأمل ، لذلك تدور بُحوثه العلميّة على مناقشة كثير من آراء السابقين مناقشة النظير للنظير ، وليس ذلك عن ادعاء مُتطاول ، بل عن ثقة بما يعلم ويقرر . ونحن نُحبُّ أن يكثر فينا من يناقشون الآراء الموازنة عن دراية فاحصة ، وعن ثقة بالغة لها ما يؤكدها ، من طول النظر ، وسعة الاطلاع واستقلال الفهم ، أما الثقة التي لا تعتمد على الاطلاع وبُعد النظر ، فأهونْ بها ، إذ لا تنتج غير الهباء .

وقد لحظتُ أنّ الدكتور فيما يعالجُ من مسائل الفقه والتفسير يميل إلى تأييد ما قرره الفاقهون من الأسلاف ، أمّا في مسائل اللغة والأدب والنحو فهو ذو صيالٍ والب ، إذ يُخطِّئُ الأئمة من أعلام هذه الفنون في قوة لا تعرف التراجع ! قد ناقش نفراً من أعلام المعاصرين منهم الأستاذ الإمام محمد عبده ، والأستاذ الفقيه عبد الوهاب خلاف ، والعلامة المجدد الشيخ محمود شلتوت ، ويطولُ البحثُ لو تتبعتُ مناقشته لهؤلاء الكبار ولكني أكتفي بمثلين مُوجزين لمناقشته للأستاذ الإمام ، وإن كنتُ أجدني بعد المُراجعة الدقيقة لآراء الشيخ عبد الرحمن أميلَ إلى ما قرر الأستاذ الإمام ، ولا عليه ، ولا عليّ .

يقول(١) الإمام محمد عبده في شرح الطير الأبابيل بسورة الفيل ؛ ببعض التصرف :

---

(١) تفسير جزء عم للأستاذ الإمام ـ سورة الفيل .

« وفى اليوم التالى فشافى جند الجيش داء الجدرى والحصبة ، قال عكرمة : وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب ، وقد فعل الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه ، وولوا هاربين ، وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق

عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه ، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يُعد من أعظم

جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها ، وهو فِرَق وجماعات لا يُحصى عددها إلا بارئها ، ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله ــ تعالى ــ فى قهر الباغين على أن يكون الطير فى ضخامة رءوس الجبال ، فللّه جندٌ من كل شيء » .

أما الأستاذ عبد الرحمن تاج فيقول[2] : لكنْ هل يمكنُ أن يحمل لفظ الطَّير على البعوض والذباب ؟ وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما

يعلق بأرجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد المسمومة ، التى تشتمل على جراثيم الأمراض الفتاكة ، ثم تكونُ ملامسةُ أرجل البعوض أو الذبـــاب لجسم الإنسان هى المرادُ بالرمـــى بالحجارة !! لا تظنّ أحداً من أئمة التفسير يُجيز مثل هذه الاحتمالات ، لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ... إلى أنْ قال : إن حادثة مرض الجدرى أو الحصبة وفشوّه فى الجيش لم تتفق عليه الروايات » .

وإذا لم أكن ممن يجوز أن يتصدّر للفصل فى خلاف بين إمامين كبيريـــن فإننـــى أتساءلُ فحسب : لماذا لا يُمكن حملُ لفظ الطَّيْر على البعوض أو الذباب ؟ ولماذا لا تحملُ هذه الطيور الصغيرة تراباً مسموماً يصل إلى الجسم عن طريق المسام فيأتى عليه ؟ وإذا كان أئمة التفسير من السابقين لم يهتدُوا إلى مِثْل ما اهتدى إليه الإمام ، فماذا عليه إذا تحدث بما فتح الله عليه به دون أن يُخطِّيءَ أحداً من سابقيه ؟ وأن يقول فى مَبْدأ تفسيره « يجوزُ » بمعنى أنّه لا يجزم بتخطئة تفسير سابق !؟

على أنّ الاحتياطَ الدقيق فى قبول هذا الرأى قد عبّر عنه الأستاذ عباس محمود العقاد حين قال[3] : قد تكون محاولات التوفيق مأمونةً معقولة كقول

(٢) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية لغوية ص ٨٠ وما بعدها .

(٣) مجلة الرسالة ــ العدد ٧٤٧ ــ ٢٧/١٠/١٩٤٧م .

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمّى بالميكروبات ، فالميكروبات موجودة لا شك

فيها ، والإصابة بها محققة لذلك فى مشاهدات مجرّبة ، لا تقبل الجدال ، فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام : إنّ هزيمة أصحاب الفيل كانت من فعل هذه الجراثيم ، فذلك قولٌ مأمونٌ على سبيل الجواز والترجيح ، لا على سبيل الجزم والتوكيد ، لأنّ الحفريّات التاريخيّة قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل ، أُصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول » .

٢ ـ ذهب الأستاذ الإمام فى تفسير سورة القدر إلى أنّ هذه الليلة المباركة قد امتازت بالسموّ والشرف والرفعة ، لأن القرآن قد نزل فيها ، ولولا ذلك لكانت مثل غيرها من الليالى ، وهو فى هذا المنحى قد تابع نفراً من سابقيه ، ولكنّ الأستاذ عبد الرحمن تاج ألحّ فى إبطال هذا الاتجاه ، ليُثبت أنّ لهذه الليلة شرفها وقدرها قبل أن يُشرق نور القرآن بها ، وأنها لهذا الشرف قد اختيرت من بين الليالى لينزل فيها كتاب الله ، فهى معروفةٌ بمكانتها قبل أن تُختار لنزول القرآن ؛ هذه ناحية ، أما الناحية الأخرى فقدْ ذهب الإمام إلى أنها سُميت ليلة القدر من التقدير ، لأنّ الله قد ابتدأ فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطّة لنبيّه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ، ولم يرتض لشيخ عبد الرحمن هذا القول وقال فى تفنيده :

وغريبٌ جدا أن يُحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عمّا يتعلّق بالوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة ! وكأنّى بالدكتور قد ظنّ أنّ ما يتعلّق بالوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة شىءٌ أقلُّ مما تتسّع له ليلة القدر ؟ وهل كانت أعمال رسول الله جميعها خارجةً عن نطاق الوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة ! أىّ شىء أكبر من الوحى والرسالة ! وعلى أى ركيزة قام الإسلام بغير الوحى ؟ لقد كتب الدكتور أربع عشرة صحيفة من مجلة الأزهر[٣] ليبسط الرأى المخالف وما كانت المسألة من الغموض بحيث تستدعى هذا الإسهاب ، ولا أنكرُ أنّه ألمّ إلماماً شافيا بما توجّه لبسطه ، ولكنّ الأمر من الوضوح بحيث لا يستدعى الإطناب .

فإذا تركْنا ما ننقده من آراء الشيخ إلى ما نحبّذه ونرتضيه ، فإنّنا نجد فُنونا مبتكرة متعددة من الآراء الدقيقة والبحوث العميقة ، أُحسَن الأستاذ إبداعها على نحو شافٍ مستوعب ، والاستيعابُ الشافى من أوضح مزاياه فهو يكتب المقال ، وكأنّه يشرحُ درساً للطلاب ، إذ يبتدىء غالبا بتحديد مناطه ، وتلخيص عناصره ، ثم يُوالى الحديث عنها عُنصراً عُنصراً فى قوة استشهاد ، وبراعة استدلال ، وقد يَشعُر القارىء ببعض التكرار ، ولكنه يعذر الكاتبَ فى نهجه المدرسىّ إذ يحاول أن يُقنع كلّ قارىء بما يُبديه من رأى ، فإذا توهّم غُموضَ عبارة ، أعادَ معناها على وجهٍ أيسر

(٣) مجلة الأزهر شوال ١٣٧٢ هـ .

وأوضح ، حتى يتيقن من الامتلاء والارتواء ، وهذا منحى أعهده فى كثير من الدارسين .

كتب الشيخ بحثاً ضافيا عن السجع وتناسب الفواصل ، وما يكون من ذلك فى القرآن الكريم ، وقد ارتضى وجهة من يثبت وجود السجع فى القرآن ، وأيدها بما بسط من أدلة شافية ، وأنا أعجب كيف صارت هذه القضية مع وضوحها السافر مجالاً لتشعب الجدل ، وانشقاق الأفكار ، إذ أن من يتعرض لها بالحديث يتبع التسلسل التاريخى لأقوال المخالفين ، ويرد عليها ، ثم يجيء من يزيد القول ومن يقوم بالرد عليه فتتراكم أحمال ثقيلة بعضها فوق بعض ، والأمر بالنظرة الواعية لا يحتمل كل هذا العناء ! وأنا قد درست هذه القضية فى بعض ما كتبت[4] ، ولكنى أفدت الجديد فيما كتبه الشيخ حين تساءل : بماذا نفسر موقف الذى ينكر إنكاراً شديداً أن يكون فى القرآن سجع أو تناسب فواصل ؟ ثم أجابه بأن الانتصار إلى مذهب الأشاعرة هو الذى دعا الأعلام من أنصار هذا المذهب مثل « الباقلانى » وسواه إلى التمسك بهذا الإنكار ، قال الأستاذ تاج ـ رحمه الله :[5] إن فى جو مسألة السجع مسألة أخرى هى مسألة خلق القرآن ، وما جرى فيها من الخلاف القديم الذى كان شؤماً على فريق من الناس ، وفتنة لآخرين ، وليس فى هذا الذى نقوله شىء من المبالغة ، فهذا بعض ما يقولونه فى تلك الكلمات « هل يجوز استعمال السجع فى القرآن ؟ خلاف ! والجمهور على المنع ، لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن عن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه من مشاركة غيره الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته ـ تعالى ـ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها ، يقول الشيخ : وهذه كلماتهم بنصها ليست فى حاجة إلى شرح وتعليق ، غير أنا نقول إنها لم تبعد بالانتصار والغلبة حتى فى أصل موطنها ، وهو موضوع خلق القرآن » .

هذا ما أضافه الرجل مما لا يعرفه نفر من الدارسين ، وقد أصاب مقطع الصواب حين قرر[6] أن سجع القرآن وتناسب فواصله مبرأ من التكلف والعسر ، ومبرأ من أن يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به ، أعظم من الاهتمام بالمعنى ، ولذلك لا يسار إليه فى القرآن من طريق إرادة معنى بعيد الاحتمال ، أو معنى يكون غيره أقرب وأولى بالمقام ، ومحال أن تستخدم فى سبيله ألفاظ جوفاء ، أو ملتوية لا تستقيم فى دلالاتها على المعنى المراد » .

ومن الفصول الطريفة ذات الصلة الوثيقة بكتاب الله ما نشره الشيخ تحت عنوان (اللؤلؤ والمرجان ومن أى البحار يستخرجان) تفسيرا

(4) البيان القرآنى للدكتور محمد رجب البيومى ص ١٥١ وما بعدها .

(5) عبد الرحمن تاج ، بحوث لغوية وقرآنية ص ١١٥ للأستاذ أبى بكر عبد الرازق .

(6) عبدالرحمن تاج بحوث لغوية وقرآنية ص ١١٦ للأستاذ أبى بكر عبدالرازق .

لقول الله - عز وجل - :

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾[7]

ومناطُ هذا البحث الطريف يدورُ حولَ مرجع الضمير في قوله - تعالى - : « منهما » إذ الظاهرُ الواضح أنّه يعود إلى البحرين معا ، وقد اتفق أهلُ الاختصاص من علماء الطبيعة والأحياء ، ومعهم المفسّرون على أنّ المرجانَ لا يكونُ إلاّ في البحر الملح ، أما اللؤلؤُ فقد قالوا قديماً إنه لا يُستخرج إلا من الملح أيضاً ، فاضطروا إلى تأويل الآية بما يفيد أن المراد بالخروج منهما هو الخروجُ من أحدهما ، وهو استعمالٌ سائغ في اللغة ، وقد قال الشيخ - رحمه الله - إنه تأويلٌ بعيد كما لا يخفى ، ولا ينبغي أن تحمل عليه الآية الكريمة ، وأبعد منه ما قيل : من أن مياهَ البحار جميعها سواءٌ كانت ملحةً أو عذبةً فهي من ماء السماء وهو ماءٌ عذب فيمكن أن يكون اللؤلؤُ مستخرجاً من هذه العذوبة ! وقفّى الشيخ بتأويل ثالث لم يجز قبوله أيضاً ، ثم جهر الشيخ بالجديد الطريف حين قال تعقيباً على ما تقدم[8] : لا يجبُ أن نقف عندما وقف عنده المفسّرون ، بل نرجع لأهل الذكر من ذوى الاختصاص ، وقد قرروا اليوم في صراحةٍ كاشفةٍ أنّ اللؤلؤ كما يُستخرجُ من الماء الملح في البحار والمحيطات ، يستخرجُ أيضاً من الأنهار ، إذ تعيشُ قواقعُه في مجارى الأنهار الجبلية في المناطق المعتدلة من نصف الكرة الشمالي ، وتشتهر بذلك اسكتلندة وويلز وأيرلنده وسكسونيا وبوهيميا ولابلاند وكذا وجهات كثيرة في الولايات المتحدة ، وأيضاً في جهاتٍ من الصين واليابان ، وهكذا يصل العلم أخيراً إلى الحقيقة ، ويقرر العلماء في تلك الشئون الكونية قضايا خلصتْ لهم بالبحث والتنقيب والتحليل والمشاهدة ، وهي قضايا قال فيها القرآن كلمته قبل ذلك بقرون وقرون ، وفي البحث إفاضةٌ وإشباع لا يُغني عنهما هذا الإيجاز .

أما المجهود الرائع الذى استغرقَ وقتا حافلا من حياته المباركة قبل خمس سنواتٍ من رحيله ، فهو ما خص به حروف الزيادة ، التى أكد النحاة وقوعها في كتاب الله الكريم ، إذ رأى الدكتور أن كثيراً مما قيل عن زيادة هذه الحروف موضعُ نظرٍ جادّ قد يعصف به ، إذ توسّع النحاة ومعهم المفسّرون في هذا الباب توسُّعاً لا مبرر له إذ استسهلوا القول بالزيادة عن النظر في أسرار التركيب الأسلوبّي للآية ! والدكتور لا يمنع أن يرد في القرآن شيءٌ مما عُهد في اللغة زيادتُه للتوكيد أو غيره ، ولكنّه يمنع أن نستسهل القولَ بالزيادة دون فحص ، وقد أكد أنّه يمتنع القول - في أى آية قرآنية - بأنّ كلمةً ما زِيدتْ لمجرد تحقيق التناسب بين الفواصل أو رءوس الآية فهذا لغوٌ يتنزه عنه القول المعتاد لدى البلغاء فضلاً عن القول المعجز في كتاب الله ، كما أنّ القائلين بالزيادة

(٧) سورة الرحمن ١٩ - ٢٣ .

(٨) البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين سنة ١٩٦٧ م ص ٩٨ .

لا يعنون أنَّ نقصها لا يخلّ بتمام المعنى ، فهي ليستْ مهملةً على نية السقوط ، بل لا بد لها من نكتة بلاغية .

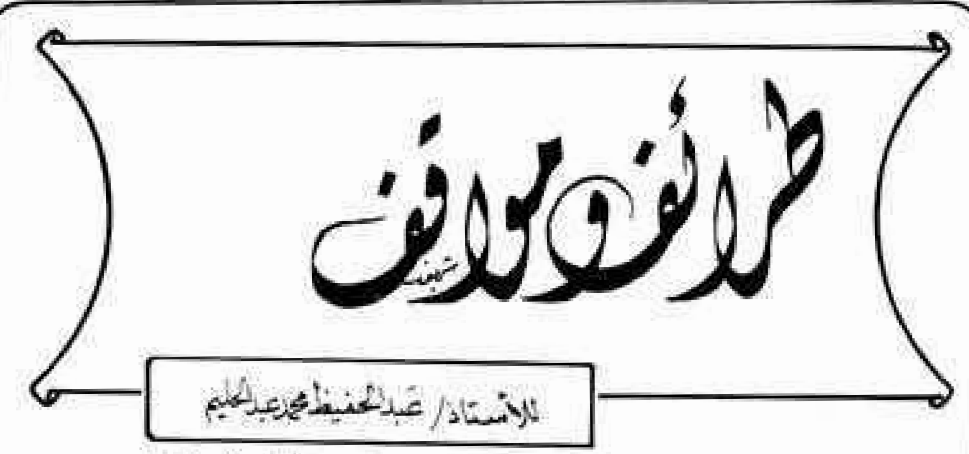
وفي هذا النطاق كتب الشيخ بُحوثا مسمة حول « لا التي قيل : إنها زائدة وليست كذلك » وكذلكَ حول دعوى الزيادة في (مَا) و (إذْ) (وإذا) والواو ، والفاء ، (ثمّ) وهي بحوث شاقّة مضنيةٌ استوجبت مُنازلة الفحول من أعلام النحو واللّغة والتفسير ، كما استلزمت حصر الآراء المتضاربة ، ومحاولة الترجيح بينها ، بل استلزمتْ مناقشة مفسّرٍ واحد في رأيين متعارضين ساقهما سهوا في نصّ واحد ! ولا نستطيعُ أن نلخص زبدةً لما قيل في كلمة واحدة ، لأن تلخيص الحقائق النحوّية والبلاغية مما يتعذر ، فليس المجالُ مجالَ إسهاب يُوجز ويكثر ، ولكنه مجال علمي شاقّ وضعت ألفاظه وضعاً دقيقاً يخلّ بها أنْ يَغيب منها حرف واحد ، ولكنّي يقف القارىء على دقائق فصلٍ واحد أكتفي بذكر رءوس العناصر الخاصة بباب (لا) التي قيل إنها زائدة وليست كذلك » حيث بُدِيء البحثُ بمقدمةٍ دقيقةٍ تُفصح عن تحرير المقصود من الزيادة ، ويلي ذلك فصولٌ عن « لا التي ذُكِرت في الجملة الواحدة مرتين ، مع الفصل بينهما ، ومناقشة الزمخشري والفخر الرازي والطبري فيما قالوه مشفوعةً بترجيح رأي جديد ، ثم فصلٌ عن (لا) الواقعة مع أن المصدرية بعد فعل (منع) ومناقشة الطبريّ وابن يعيش والطبرسي والزمخشري والفخر الرازي على النسق السابق وقد طال هذا الفصل حتى شمل بضع صفحات من مجلة مجمع اللغة العربية ذات القطع الكبير ، فإذا انتهى الدارس من هذا الفصل قصد إلى البحث فيما قيل عن (لا الزائدة للتوكيد) جاريا على سننه في المناقشة والترجيح ومساجلة الأئمة من المفسرين ، ثم ينتقل إلى (لا الواقعة بعد أن المصدرية المسبوقة بلام التعليل) فيفيض بالمساجلة كديدنه ويختم القول بالقسم الخامس الخاص بما ذكرت فيه (أداة النفي (لا) مرتين جاءت ثانيتهما مع ثاني الأمرين في مجال التسْوية) وهو أفْسحُ الفصول مدى في تعقب الآراء ، وَهذا مثلٌ واحد ، لباب واحد يشمل ما قيل عن لا الزائدة وحدها وقد توالت الأبواب الأخرى عن حروف الزيادة على هذا النسق المشبع المستفيض ، وفي مجال التعقيب بمؤتمر المجمع ، حظى البحث بالتقدير المنصف ، ودعا المتحدثون فضيلة الدكتور تاج إلى مواصلة البحث في حروف الزيادة جميعها على هذا الطراز الشامل المستوعب ، وقال الدكتور إبراهيم مدكور[9] : إن الشيخ قدّم لنا ما يجب أن ندرسه على مهل لأن فيه من الاستيعاب والعمق ما يستأهل معاودة النظر إليه إذ يضيف سنداً جديداً إلى مصادر التفسير ، ويفتح باباً هامّا فيه » .

وبملاحظة آثار الدكتور تاج العلمية نلمس أنه لا يكتب غير الجديد ، إذ لا بد من إضافة علمية تشع فيما يقول ، وقد كان أثناء مشيخته للأزهر يخطب في المناسبات الدينية كالهجرة والمولد وما

(٩) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية ولغوية ص ٥٢ ، للأستاذ أبي بكر عبد الرازق .

ينحو منحاهما ، وتلك المناسبات المتكررة في محافلها الخطابية لا تتسع لدقائق البحث المبتكر ، ولكن الرجل كان يضمن كلماته هذه معاني جديدة ، وآراء قشيبة مما يصور اهتمامه بالقول الجاد ، وأصحاب هذا الاتجاه لا تكثر مؤلفاتهم العلمية ، لأنهم يحاسبون أنفسهم على ما يدونونه من معارف ، فإذا لم يجد ما يستحق أن يضاف من المبتكر الطريف ، آثروا السكوت دون أن يسودوا صحائف مشتهرة تجمع المعارف المتداولة ، وحبذا لو سادت هذه النظرة بين من يتصدون للتأليف العلمي ، فلخير للكاتب أن يصدر كتابا واحدا يحمل طابعه الخاص من أن يصدر عشرين كتابا تنقل المسلمات المشتهرة دون إضافة ، ولأصحاب المؤلفات القليلة من الأئمة وزنهم الراجح لأن ما أبدعوه على قلته يستعاد ويستجاد .

وقد أخبرني بعض من تلقوا دروس التشريع بكلية الحقوق جامعة عين شمس على الدكتور عبد الرحمن تاج أنه كان يؤلف كل عام كتاباً يجمع محاضراته المنهجية ، ويفرقه على هيئة (ملازم) يتلقاها الطلاب أثناء العام تباعاً دون أن تجلد في سفر مستقل ، فليت الذين يجمعون هذه المذكرات يقدمونها للنشر ، حرصاً على ما تنفرد به من مسائل في قضايا الشفعة والبيوع والمواريث والطلاق ، وقد أشار الأستاذ على الخفيف إلى هذه البحوث المخطوطة في كلمته المجمعية ، إشارة من يضعها موضع التقدير ، فهل سترى النور من جديد ؟



«القضاة ثلاثة»

دعا الخليفة سيدنا عثمان - رضى الله عنه - عبدالله بن عمر وطلب إليه أن يشغل منصب القضاء ، فاعتذر وألح عليه الخليفة - رضوان الله عليه - فثابر على اعتذاره ؛ وهنا سأله سيدنا عثمان - رضى الله عنه - أتعصينى ؟؟

فأجاب ابن عمر - رضى الله عنه -: كلا ؛ ولكن بلغنى أن القضاة ثلاثة :

قاض يقضى بجهل فهو فى النار .

وقاض يقضى بهوى فهو فى النار .

وقاض يجتهد ويصيب فهو كفاف ، لا وزر ، ولا أجر .

وإنى لسائلك بالله أن تعفينى .

وأعفاه سيدنا عثمان بعد أن أخذ عليه العهد ألا يخبر بهذا أحداً ، وذلك لعلم سيدنا عثمان بمكانة ابن عمر فى أفئدة الناس ؛ وإنه ليخشى إذا عرف الأتقياء الصالحون عزوفه عن القضاء أن يتابعوه وينهجوا نهجه ، وعندئذ لا يجد الخليفة تقياً يعمل قاضياً .

حذار من الشرك الأصغر

قال الإمام على - رضى الله عنه -: « يعطى العبد على نيته ما لا يعطى على عمله ؛ لأن النية لا رياء فيها » .

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لمن رآه يطأطىء رقبته خشوعاً : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب ، وإنما الخشوع فى القلب .

ورأى أبو أمامة رجلا يبكى فى المسجد فى سجوده فقال : « أنت تفعل ذلك لو كان هذا فى بيتك » .

وقال إبراهيم بن أدهم : ما صدق الله - تعالى - من أراد أن يشتهر .

«ياليتها كانت القاضية»

مرض أحد النحويين ، فزاره أحد أقاربه من الأعراب ، فسأله عما يشكو منه ؟

فقال النحوى : حمى جاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهية ، والعظام بالية .

فقال له الأعرابي :
لا شفاك الله بعافية ، يا ليتها كانت القاضية .

حقيقة

أمتُّ مطامعي فأرحتُ نفسي
فإن النفسَ ما طمعت تهون
وأحييتُ القنوع وكان ميتاً
ففي إحيائه عرضي مصون

لماذا لا تستغفر ؟

حج أعرابي فكان لا يستغفر والناس يستغفرون ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : كما أن تركي الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله ورحمته ضعف ، كذلك استغفاري مع ما أعلم من إصراري لؤم .

حقاً

قالوا : جالس العلماء ، فإنك إن أصبت حمدوك ، وإن أخطأت علموك ، وإن جهلت لم يعنفوك ، ولا تجالس الجهلاء ، فإنك إن أصبت لم يحمدوك ، وإن أخطأت لم يعلموك ، وإن جهلت عنفوك وإن شهدوا لك لم ينفعوك .

الصديق يعرف عند الضيق

قيل لبعض الفضلاء ، كم لك من صديق ؟
قال : لا أعلم لأن الدنيا مقبلة عليَّ والأموال موفورة لديَّ .. ولكن أعرف ذلك عند زوالها .

ما بقي من لذات الدنيا

قال ابن المنكدر :
ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث :
قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، وصلاة الجماعة .

حتى تفوز

قال يحيى بن معاذ : من أقر لله بإساءته جاد الله عليه بمغفرته .
ومن لم يَمُنَّ على الله بطاعته أوصله إلى جنته .
ومن أخلص لله في دعوته منَّ الله عليه بإجابته .

الأعرابي ... والأدب

قال أعرابي لابنه : يا بني ، الأدب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب ، والعاقل لا يستغني - وإن صحت غريزته - عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغني الأرض - وإن عذبت - عن الماء المخرج ثمرتها .

دعاء

اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، وأعوذ بك من شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر .



روائع الماضي بمجلة الأزهر

مشكلة التشرد والأوضاع الاجتماعية

م / أحمد طه السنوسي

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

فى المجتمع آفات ثلاث هى الجهل والفقر والمرض ، ويعتبر التشرد الابن الشرعى لهذه الآفات الثلاث . وعنه تتولد آفات لا حصر لها لا تقل خطراً عنها والأمة الإسلامية ـ شأن كل أمة ـ تريد أن ترتقى بأبنائها مراقى النجاح والفلاح والنفع العام .

غير أن الأمر قد يخرج من يدها أحياناً لقصور فى الإمكانات أو ضعف فى الموارد ، فينحرف بعض أبنائها عن الجادة ، ويتشردون فالتشرد أسهل السبل التى لا تكلف المتشرد شيئاً ، وفى التشرد إظهار الدولة بمظهر منحط ولكن الإسلام عالج هذه المشكلة كما تبين من كلمة فضيلة الأستاذ

لكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته ، والتشرد داء من أدواء المجتمع ، ومشكلة من مشكلاته ، ولا يحدث هذا الداء فى مجتمع ما اعتباطاً دون سبب ، إنما يأتى نتيجة لمجموعة من الدواعى والعلل ، كلها ترجع لاعتبار واحد ، ليس يعدو اضمحلال الأحوال الاقتصادية ؛ إذ المجتمع كتلة متجانسة متساندة ، فإن اختل وضع من أوضاعه أثر ذلك فى سائر أوضاعه .

والسبب الأول لوجود التشرد ، هو انتشار الفقر ، بما يلحقه من انخفاض المستوى المعيشى ؛ لأن قلة الدخول تضطر بعض الناس إلى سلوك طريق التشرد ، ويتعلق بذلك ضعف الانتاج ، وتفاوت الثروات ، إذ من مقتضى ذلك أن تقل وسائل التعيش ، ولا تتلاءم مع الزيـادة فى السكان ، وتقتصر أماكن العمل على فئات قليلة من الأفراد ، فتحل البطالة بين الفئات الأخرى ،

والنتيجة الطبيعية للبطالة تشرد العاطلين ؛ إذ العاطل لا يجد أمامه إلا أحد سبيلين : إما أن ينتهج سبيل الجريمة ليحصل على قوته وقوت من يعوله ، وإما أن يشرد فى دروب المجتمع هو ومن يتبعه من الأطفال .

وكذلك انتشار الجهل يؤدى - كنتيجة منطقية - للتشرد ، وذلك أن الجهل وانتشاره يشجع بعض الأفراد على استغلاله فى الآخرين من الجهال ، وذلك باحتراف الشعوذة بطرقها المختلفة ، وباتباع التسول فى أنحاء البلاد .

ولا تقتصر أسباب التشرد على الفقر والبطالة والجهل ، بل الواقع أن انخفاض المستوى الخلقى له أكبر الدخل فى خلق نوع يعتبر من أهم أنواع التشرد ، ونقصد به تشرد الأحداث ؛ وذلك أن من شأن الانحطاط الخلقى نشوء مرض آخر من أمراض المجتمع ، هو مرض (الدعارة) ، وهذا المرض أهم ممول للتشرد ، ويتبين هذا من الإشارة إلى ما يترتب على الدعارة من الاتصال الجنسى بين الغاوين والفساق ، وينشأ من ذلك مجموعة من الثمرات البشرية غير الشرعية التى يكتب عليها القدر أن تكون تلك المشكلة الحالة التى تهدم كيان الأوضاع الاجتماعية ، ونقصد بها مشكلة تشرد الأحداث .

ولا شك أن العقيدة والدين يتعلقان تعلقاً مباشراً بالحالة الخلقية ، إذ الوازع الدينى هو « المنظم » الطبيعى والأساسى لنشاط الأفراد الاجتماعى ، ومن مقتضى وجوده وتأصله فى نفوسهم رفع المستوى الخلقى الذى يؤدى بدوره إلى القضاء على التشرد باعتباره مرضاً اجتماعياً خطيراً .

والمجتمع عادة لا يخلو من عجزة لا يستطيعون العيش ولا الكسب ، لنقص فى أعضائهم الجسمية ، أو لانهدام فى قواهم البدنية أو العقلية ، وهؤلاء إذا لم توجد لهم سبل العيش والتنظيم ، يصبحون عنصراً حيوياً من عناصر التشرد ، ومن هذا يتبين أن مشكلة التشرد تتشعب إلى شعبتين : أولاهما مشكلة تشرد الأحداث ، وثانيهما مشكلة تشرد البالغين ، ونعنى بذلك من يتعدون الخامسة عشرة من أعمارهم ، ويدخل فيهم صحاح الأجسام وناقصوها كما يدخل ضمنهم العجزة والضعفاء .

أما عن تشرد الأحداث ، فله مظاهر وحالات متعددة ، منها أن يوجد الحدث متسولاً سواء فى الطريق أمام المحال العامة ، ومن التسول أن يعرض سلعاً تافهة يتظاهر بالاتجار فيها ، ومنه كذلك أن يقوم بألعاب بهلوانية يحاول بها استدرار عطف الناس فى الطرقات والمقاهى ، ومن مظاهر تشرد الحدث أن يمارس جمع أعقاب لفائف التبغ والأوراق والقمامة المهملة فى الطرقات ، أو أن يقوم بالأعمال المتصلة بالفسق والدعارة أو القمار أو القيام بخدمة القائمين بهذه الأعمال ، وكذلك يعد من الأحداث المشردين:الصغير الذى يعرف بسوء السلوك ويكون مارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه . ويدخل كذلك ضمنهم من لا يكون له محل مستقر من الصغار ، أو من يعتاد منهم على المبيت فى الطرقات ، أو من لا يكون له وسيلة مشروعة يتعيش منها ، أما المتشردون البالغون ، فهم أولئك الذين ليست لهم وسائل مشروعة يتعيشون منها ، فلا ينطبق وصف التشرد

على من كان من ذوى الحرف والصناعات المعروفة ولايجد فى يوم من الأيام له عملا .

***

والوسائل غير المشروعة للتعيش كثيرة ومتنوعة :

منها أعمال وألعاب القمار التافهة ، ومنها الشعوذة ، ومنها العرافة ، ومنها التسول والشحاذة ، ولايخفى انطباق كل هذه الوسائل على ما يلقاه الفرد فى الطرقات والمحلات العامة من تسول المتسولين متظاهرين بأداء الخدمات للغير ، أو بعرض الألعاب المختلفة ، أو بيع الأشياء التافهة ، وما يلقاه من اكتناه الغيب بضرب الرمال ، وقراءة الأكف ، واستطلاع النجم ، وفتح الكتب ، وقلب أوراق اللعب ، وكشف الأثر (الأطر) !

ويتبين خطر التشرد وضرره فى وجهين : أحدهما معنوية ، والأخرى مادية ، أما الوجهة المعنوية فتتلخص فى أن المجتمع يحكم على أحواله من رقى أو انحطاط بما يكون فى أنحائه من متشردين أو خلوه منهم ، وأن المجتمع الذى يهمل أمر هؤلاء المتشردين إنما هو مجتمع مضطرب ، وأن وجود أمثال هؤلاء فيه يعطى صورة سليمة عن حالته المالية والاقتصادية ، إذ لو كان فى بحبوحة من العيش لندر فيه هؤلاء ، كما أن وجودهم يعنى انخفاض المستوى العلمى والثقافى ، كما تتلخص فى أن هؤلاء المتشردين من البشر ، وهم كذلك مواطنون فى المجتمع ، لهم حقوقهم التى يجدر أن ينالوها كما ينالها سواهم من أفراده ، كما يلاحظ أن وجود تلك الطائفة من الأفراد المشردين أضحى من الأمور التى يشمئز منها المواطنون ، لأنهم قذى فى عين الدولة ، ووصمة فى جبين الميادين والطرقات والمحلات العامة ، تلك الوصمة التى لاترتضيها دولة ناهضة ترغب أن تعطى للأجانب إذا نزحوا أو وفدوا إليها صورة طيبة عن نهضتها وكرامة أبنائها ورفعة مجتمعها وعدالة التنظيم الاجتماعى الذى تسير عليه باعتبارها أمة متحضرة ، إلى غير ذلك من الاعتبارات المعنوية .

أما الوجهة المادية ، فيلاحظ بشأنها أن المجتمع مجموعة معينة من الأفراد ، يعيشون سويا فى إقليمه ، على أساس من تقسيم العمل والتعاون فيما بينهم ، وأن دخلهم وعيشهم منوط بما يقومون به من أعمال وخدمات ، فإذا تخلف واحد منهم عن العمل وظل باقيا بين ظهرانيهم ، فإنما يعنى ذلك أن يعيش عالة على تلك المجموعة التى تحيا وإياه ، ومن شأن ذلك أن ثمرات الإنتاج والعمل تعود أو توزع على المشتغلين وغير المشتغلين ، ومعنى ذلك انخفاض المستوى المعيشى ، نظرا لقلة طاقة العمل وكثرة الأفراد الذين يوزع عليهم الدخل الناتج من هذه الطاقة ، كما أن تسليم بهبة العيش لهؤلاء المشردين العالة - وهم قادرون على العمل - يدعو إلى التكاسل من جانب القائمين بالعمل والإنتاج ، لأنه يستوى فى نظرهم أن يعملوا وألا يعملوا ، وهذا الكلام لاينطبق إلا بالنسبة لتلك الفئة من المشردين التى تستطيع القيام بالعمل والمساهمة فيه مع سواها من الفئات ، ولاينطبق إذا وضعنا فى الاعتبار طبقة العجزة مثلا ، أو طبقة النساء الضعيفات أو ذوى العاهات التى تعوق عن الكد والعمل ، ويظهر كل ذلك فى صورة واضحة ، إذا ذكرنا أن القضاء على مشكلة التشرد بتجنيد المشردين القادرين فى المساهمة فى الأعمال

والخدمات فى المجتمع من شأنه أن يزيد الإنتاج ، ويؤدى ذلك إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للأفراد أو رفع مستوى معيشتهم ، ومن شأن هذا ــ فضلا عن سعادة كل أفراد المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية بينهم ــ أن يرفع الدولة إلى الذروة التى تليق بالكرامة ، والنهضة التى يرضاها التطور والمدنية الحديثة .

كما أنه يلاحظ أن انتشار المشردين فى أرجاء البلاد ، يشجع على انتشار الأوبئة والأمراض العامة ، لأن المشردين سواء أكانوا صغاراً أو كباراً نساء أم رجالا هم مرتع خصب لتفشى الأمراض ، لما يحوط حالتهم من انحطاط ووهن فى القوى الجسمية والذهنية ، بما يترتب على ذلك من إهمال القواعد الصحية ، أو مراعاة الصحة البدنية ، ولاشك أن الإنتاج القومى يتوقف على صحة أبدان القائمين بالعمل ، ومن شأن القضاء على التشرد المحافظة على هذه الصحة لمنع عدوى الأمراض التى ينشرها المشردون ــ من الانتشار .

***

ولقد حاول المسلمون هنا وهناك علاج مشكلة التشرد بوسائل شتى . منها فرض النظام الخاص بالإجراءات التقويمية بالنسبة للمشردين الأحداث ، ومنها إنشاء الملاجىء فى أنحاء البلاد لضم المشردين والمعوزين . على أننا نرى أن هذه الإجراءات التقويمية لم تكف ولن تكفى لحل مشكلة تشرد الأحداث ، كما أن إنشاء الملاجىء لايعدو فى نظرنا إلا أن يكون علاجا لصنف خاص من فئات المشردين ، ونقصد به العجزة وذوى العاهات ، بل إن ناقصى الأعضاء انتشلت مشكلتهم البلاد الراقية ، وأوجدت لهم من الأعمال ومن صنوف الراحة ما يهىء لهم حياة سعيدة ، وما يجعلهم مصدر خير وفائدة لا مصدر شقاء وضرر للمجتمع . مثال تهيئة الأعمال :

ما نسمعه ونقرأه من قيام كفيفى البصر بأعمال يدوية منتجة يأتونها فى حذق ومهارة بعد تمرين وتوجيه . ومثال تهيئة الراحة :

وما نسمعه ونقرأه من نضوج المبتكرات والمخترعات إلى الحد الذى تستطيع أن تقدم لنا فيه طرقا وآلات لتقويم فاقدى السمع والنطق المعلومات والتعبيرات ، وأخرى لتعليم العميان القراءة والكتابة ومعرفة الأوقات بوساطة ساعات ابتكرت خصيصا لهم ، إلى غيرذلك من الآلات والمبتكرات !

ويتلخص علاج مشكلة التشرد والقضاء عليها ــ فى نظرنا ــ فى القضاء على الأسباب التى أوجدتها وساعدت على نشرها ، وعلى هذا يكون العلاج عن طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدى إلى رفع مستوى العيش ، ومن شأن هذا الأخير رفع المستوى الخلقى والتربوى ، ولابد للوصول إلى كل ذلك من الاهتمام بالدين والعقيدة ، وغرسها فى نفوس النشىء والاهتمام بها فى المدارس والمعاهد والمصانع ، فضلا عن مكافحة الدعارة والفسق ، وإيجاد الوسائل الكفيلة بالتطوح بالبطالة ، والعمل على زيادة الإنتاج ، وهذا الأخير يؤدى إلى القضاء على الفقر والجهل ، وهما من الأسباب الرئيسية لتفاقم مشكلة التشرد فى مختلف المجتمعات !

به أتغنى

شعر : أ. محمد عبد الرحمن صان الدين

تغنيت بالإسلام حين عرفته ... وإنى لعرق المسلمين سليل(1)

على ملة الإسلام بين عشيرتى ... نشأت ، ووعيى للأمور كليل

فلما نما عقلى وزادت حصيلتى ... من العلم والعرفان بان السبيل

فهمت به حبا تملك مهجتى ... وهل تجحد النور المبين عقول ؟

ولكن دين الله ليس توارثا ... ولا نحلة دقت عليها طبول

بل الدين آيات تجلى جلالها ... على صدقها قد قام فيها دليل

ألا إنه الوحى الذى مد ظله ... وللوحى ظل فى العقول ظليل

أجل إنه الينبوع فاض نميره ... به يرتوى فى الظامئين غليل

وكل إلى سلساله العذب ظامىء ... وكل بعيد عن هداه ضليل

لقد خط للدنيا نظام حياتها ... وليس له فى العالمين مثيل

ودين على الإنصاف قام بناؤه ... لدين له الطبع السليم يميل

رأيت به الإنسان يسمو ويرتقى ... ففيه إلى عز الحياة سبيل

يسوس بنى الدنيا برفق ورحمة ... وزجر بحزم ليس عنه بديل

نظام وتشريع ، وضبط بحكمة ... بظل فروع قد نمتها أصول

وحسب بنى الإنسان أن شريعة ... أتتهم من الرحمن فيها شمول

فما صد عن ينبوعها غير جاحد ... وما عابها إلا غبى جهول

* * * * *

فقل للذى يحيا بغير عقيدة ... شريدا بصحراء الحياة يجول

كئيبا من الأهوال يقتل نفسه ... فرارا ، كأن العيش غول تغول

تعال إلى الإسلام تظفر براحة ... ففيه من القيظ الممض مقيل

إذا مد فى هذى الحياة رواقه ... أحس بعز النفس فيه ذليل

ولا تنظر الإسلام فى أدعيائه ... فما كل من يطلق الجبين جميل

وما كل منسوب إليه بصادق ... ولا كل من أبدى الخلال جليل

ولكن خلق المرء عنوان دينه ... وليس من الإسلام إلا نبيل



شعر د/ محمد عبد المنعم خفاجي

ليلة أى ليلة هى بالنور وبالعطر ذكرها علوى
كل ساعاتها عظيم جليل وعظيم صباحها والعشى
وقف الدهر خاشعاً فى حماها وهدى الأرض نورها الأحدى
رحلة حفها الضياء وصارت فى الليالى ـ بهاؤها أبدى
واصطفاها رب السماء وجبريل هو الحادى والبراق المطى
رحلة جندها الملائك والله اجتباها وسرٌّ فيها النبىّ
والنبيون خشع والسماء ازينت والصحراء ماء ورى
سدرة المنتهى مداها وكل الكون بالحمد والثناء دوى
ولصوب السماء طار وجبريل على ركبه الأمين القوى
يا رسول الإله شرعك بالهدى وبالحق والخلود حرى
يا نبى السماء دينك للحب وللعدل والإخاء سمىُّ

سبحان من أسرى به

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

سار البراق تحفه الأنوار ... يحدو خطاه ملائك أطهار

يسرى على اسم الله لا متخوفاً ... خطراً تسببه له الأسفار

كلا ولا اهتز الفؤاد للحظة ... فالقلب نبض كيانه استقرار

لله أنت مسافر قد ذللت ... لركابه العقبات والأخطار

لله أنت مسافر وعناؤه ... أمن وظلمة ليله أنوار

ألقى على الرحمن كل عنائه ... فالله جل جلاله القهار

يتأمل الملكوت في إطلالة ... تسمو بها الخلجات والأفكار

هذى السموات العوالى والفضا ... والبيد والفلوات والأغوار

هذى الرواسى والينابيع التى ... قد فجرت والنبت والأنهار

والليل في حلل الضياء نجومه ... متألقات والمدى الدوار

سبحان من خلق الوجود بحكمة ... وعنت له الأقدار والأسرار

والقدس محراب الصلاة كأنها ... عند اللقاء الروضة المعطار

المرسلون وهم حداة مسيرة ... هي خير ما جادت به الأقدار

يستقبلون محمداً وقلوبهم ... يطغى عليها الحب والإكبار

صلى بهم فتعانقت أرواحهم ... أبناء آدم إخوة أبرار

حتى إذا شاء الكريم تفتحت ... لقدومه الأبواب والأستار

يرقى على اسم الله تأنس روحه ... ويحيطه التكريم والإيثار

يدنو فتمتلئ الجوانح بالهدى ... والضيف يغمر قلبه استبشار

والله ما كذب الفؤاد ولا طغى ... كلا ولا زاغت به الأبصار

والله ما ضل الرسول ولا غوى ... كلا ولا جمحت به الأفكار

والله ما نطق الرسول عن الهوى ... فالقول فصل والحديث منار

أوحى إليه الله ما أوحى فلا ... زيف ولا لغو لديه يثار

ورأى من الآيات ما يسع الورى ... علما به تواتر الأخبار

ماذا يقول المنكرون وقد خبت ... أوهامهم وتبدد الإنكار ؟

ورأوا على متن الفضاء سفائنا ... تسرى وتبحر في المدى الأقمار

هل يدركون مصيرهم ومسيرهم ... هل يدركون الكون كيف يدار

سبحان من أسرى به فتشبثت ... بالنور مهجته وطاب جوار

الآن يرحمني الله

شعر / مجدى حسين الشافعى

أترنح كالطير جريحاً .. مكلوم القلب
أتقاسى زفرات حرى .. كالذنب الصب
والصمت يصيح بأعماقى .. يخترق الدرب
.. وأكاد أمزق .. إلا أن يرحمنى الرب

* * *

الضيق يكاد يمزقنى أتشح تمزيق
.. أظلمت الدنيا فى وجهى من فرط الضيق
ما عدت أرى فى دنياى المعتمة بريق
أمسيت كأنى فى لجج الأمواج غريق

* * *

نادانى صوت : لا تيأس من روح الله
ولربك فاصبر .. وتضرع فى كل صلاة
مازلت صغيراً لا تدرى مدلول (الآه)
..للكون إله .. فتذكر : للكون إله ..

* * *

ناديت .. وقلبى منفطر .. ألتمس العذر
يارب العزة سبحانك .. ألهمنى الصبر
... فأتانى الفرج من المولى بطلوع الفجر
وخرجت من المحنة بطلا .. أتقاضى الأجر ..



لفضيلة الشيخ / صالح محمد سيد علي (*)

قلت فيها :

قل لمن بالأسفار يطوى الرحابا ... حط « بالأزهر الشريف » الركابا

وإذا رحت للرياض ورودًا ... فرد النيل عذبه المستطابا

واغتنم في « مصر العروبة » علمًا ... فهي بالعلم فاقت الأترابا

كعبة المجد في ثراها وأضحى الـ ... ـمجد من برجها يباهي السحابا

أنا في تربها لقد ذبت حُبًّا ... وعلى حبها رضيت العتابا

سجل التاريخ المجيد علاها ... وطوت في تاريخها الأحقابا

تجتلى درها وتكشف في أطـ ... ـوارها ما يحير الألبابا

وبدت بالسخا تمد سناها ... طبق السهل نوره والشعابا

هذه دورة الأئمة والوعـ ... ـاظ تسقى الرواد شهدًا مذابا

ديننا منبع السلام وحصن الـ ... أمن يحمي الحجا ويفدى الرقابا

إنما العز وحدة الصف والإسـ ... ـلام يأبى في هديه الأحزابا

فلنحافظ على سماحته والـ ... ـدين رفق لا يقبل الإرهابا

واقبلوا هذه القواف لكم من ... وفد كينيا يرجو بها انتسابا

صغتها كي أشارك الحفل شكرا ... فاعذروني إن جاء مدحي اقتضابا

وإلينا أتت رعاية شيخ الـ ... ـجامع الأزهر الشريف احتسابا

شيد العلم مجد الفهم حتى ... قد تنشى به فعز وطابا

نحن في ظله نباهي ونفد ... يه فداء لا يعتريه اضطرابا

بل ونفدى أمانة الله حتى ... تورث المجد شيبا والشبابا

(*) الشاعر خطيب وإمام مسجد الرياض بمدينة (لامو كينيا) وعضو الدورة السابعة والعشرين للأئمة والوعاظ التي نظمتها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف في الفترة من ١٩٩٤/١١/١م إلى ١٩٩٥/١/٣١م .


العلوم الكونية



بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

نبذة عن حياة ابن سينا :

هو : أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا ، ويلقب بألقاب عديدة لنبوغه فى كثير من فروع المعرفة ، لكن لقب « الشيخ الرئيس » أصبح علمًا عليه لا ينصرف إلى سواه ، ويُعرف عند الافرنج باسم « أفيسينا » Avicenna .

ولد ابن سينا فى قرية « خرميثن » من ضياع « بخارى » سنة ٣٧١ هـ/ ٩٨٠ م ، وتوفى فى « همذان » فى يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م . وكان ابن سينا يحب الحياة عريضة قصيرة ولا يحبها ضيقة طويلة ، فأقبل على طلب العلم بحماس منقطع النظير ، وتعمق فى مختلف مجالات المعرفة ، واشتهر بين أقرانه وتلاميذه بسرعة الفهم وقوة الذاكرة وكثرة الإنتاج العلمى ، فصنّف من المؤلفات والرسائل ما جعله من أشهر العلماء على مر العصور .

ولقد ترجمت بعض هذه المؤلفات إلى اللاتينية وسائر اللغات الأجنبية مثل : الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والعبرية وغيرها ، وبقيت لعدة قرون المرجع الأول والرئيسى لدراسى الفلسفة والطب فى جامعات الغرب .

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

منهجه العلمي :

يتضح من دراسة المؤلفات العلمية العديدة التي خلفها علماء الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبي في أدق تفاصيله المعروفة لنا حالياً كان هو أسلوب البحث عن الحقيقة في مجالات العلوم الكونية ، وكان ابن سينا الطبيب الفيلسوف يرى أن التجربة علم له أصول وفروع ، ويجب على الطبيب أن يلم بها قبل أن يشرع في تشخيص المرض وعلاجه ، بحيث تكون ممارسة الطب وفق أسلوب منطقي ، وكان هذا الاتجاه العلمي التجريبي أثره البالغ في محاربة الشعوذة والتنجيم ومكافحة تجار الطب الذين كانوا يدعون معرفة المرض ، والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ، ويستعينون على ذلك بإرسال الجواسيس لاستكشاف أخبار مرضاهم البسطاء والتقاط أسرارهم ، حتى إذا ما جاء هؤلاء المرضى إليهم أسروا لهم بما عرفوه مدعين أن البول فضاح الأسرار ، لذلك حذر ابن سينا تلاميذه من المبالغة في أمر استعراض البول ، وأكد على أهمية اتباع المنهج التجريبي والتريث قبل استخلاص النتائج فيقول : « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية : أن يكون البول أول بول من المريض ، ـ أي بول الصباح ـ ، على ألا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة أو أكل ما يمكنه تلوين بوله « كالزعفران » . كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة أو يتبع نظاماً على غير عاداته كالتأخر في النهوض أو الإمعان في التعب ، لأن مثل هذا يؤثر كثيراً في تركيب البول ، كما أن القيء والدوخة يؤثران على تركيبه .. إذن فالنتائج التي نصل إليها من تحليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ورائحته ، ورغوته ومدى صفائه أو تعكره » .

ومن الطبيعي أن لا يقتصر استخدام المنهج التجريبي على علم دون آخر ، فقد احتكم ابن سينا إلى هذا المنهج في مختلف الميادين المتعلقة بالعلوم الكونية ، حيث ألف كتاباً في « إبطال النجوم » ، وأقام الحجة على بطلان دعاوى المشتغلين بالصنعة التي تحول المعادن الخسيسة كالرصاص إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، فذكر في كتابه « الشفاء » أن أصحاب الصنعة ليس في أيديهم أن يقلبوا الأنواع قلباً حقيقياً ، لأن جواهرها تكون محفوظة ، وإنما تغلب عليها كيفيات مستفادة بحيث يغلط في أمرها ، وقد يصل هذا التغيير حدًا من الإتقان بحيث يظن معه أن المعدن قد تحول بالفعل وبجوهره إلى غيره .

ويوضح ابن سينا أن ما يبدو لنا بعد الصبغ أنه ذهب أو فضة ليس في الحقيقة ذهباً أو فضة ولكنه شديد الشبه بالذهب والفضة في احمرار لونه أو بياضه ، وما الصفات التي يقال عنها إنها إذا أضيفت أو حذفت تحولت الأشياء إلى بعضها البعض ، إلا صفات محسوسة عرضية ، وليست فواصل حقيقية تميز نوعاً من نوع .

وأكد ابن سينا منهجه التجريبي في البحث العلمي باستخدام الأجهزة والأدوات التي تيسر القياس الدقيق ، مثل: آلة الرصد ، وأدوات العمليات الكيميائية كالتقطير والترشيح والتصعيد وغيرها ، وأشار في مؤلفاته إلى عدد كبير من المركبات الكيميائية التي تم تحضيرها من أصول نباتية أو حيوانية أو معدنية .

طابعه الإيمانى :

من فضل الله على عبقرى الحضارة الإسلامية أن هيأ له بيئة طيبة للتربية الدينية السليمة ، فحفظ « القرآن الكريم » ، وأتقن اللغة العربية وهو فى العاشرة من عمره ، وكتب أكثر مؤلفاته باللغة العربية ، وتعمق فى علوم الشريعة والحكمة ، وكان يقول متعبداً : « وكلما كنت أتحير فى مسألة أو لم أكن أظفر بالحد الأوسط فى قياس ، ترددت إلى الجامع ، وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لى المغلق ، وتيسر المتعسر .. وكنت أرجع بالليل إلى دارى وأضع السراج بين يدى أشتغل بالقراءة والكتابة .. ومتى أخذنى أدنى نوم أحلم بتلك المسألة بعينها ، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لى وجوهها فى المنام » .

ويذكر أن ابن سينا اتجه فى أواخر حياته إلى قراءة « القرآن الكريم » وتفسيره ، فكان يختمه مرة كل ثلاثة أيام ، وتخلى عن الدنيا وحطامها ، فباع جميع ممتلكاته وتصدق بها على الفقراء والمساكين ، وتفرغ لعبادة ربه إلى أن وافاه الأجل المحتوم .

وحديثنا عن الطابع الإيمانى لدى ابن سينا يؤكد ما تميز به المنهج العلمى الإسلامى من نضج وعقلانية فى الجمع بين مختلف الملكات الإدراكية التى منحها الله للإنسان ليفيد منها فى تحصيل العلم النافع .

أهم مؤلفاته :

مؤلفات ابن سينا كثيرة ومتنوعة[1] ، وهى بصفة عامة تمتاز بالدقة والتعمق والسلاسة وحسن الترتيب ، وتتناول قضايا المنطق والفلسفة والرياضيات ، والإلهيات والطب والموسيقى والفيزياء ، والفلك وعلوم الأرض ، والنبات والحيوان والمعادن وغيرها ، ويعتبر كتاب « القانون » فى الطب وملخصه « أرجوزة فى الطب » أشهر مؤلفات ابن سينا على الإطلاق . وقد أحصيت كلمات « القانون » فبلغت مليون كلمة ، بينما صيغت « الأرجوزة » فى ١٣٢٩ بيتاً .

ويعتبر كتاب « القانون » لابن سينا نموذجاً رائداً فى فن التأليف الطبى من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب ، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة ، فالكتاب يقع فى خمسة أجزاء تتناول علوم التشريح ووظائف الأعضاء وطبائع الأمراض والصحة والعلاج ، وينقسم كل جزء إلى أبواب ، أسماها ابن سينا فنوناً ، والفنون مقسمة إلى مقالات أو تعاليم ، والتعاليم مقسمة إلى فصول .

ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون منهجه العلمى فى مقدمة الكتاب بقوله : « رأيت أن أتكلم أولا فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمىْ الطب ، أعنى القسم النظرى والقسم العملى ، ثم

(١) أحصى المؤرخون مائتين وثلاثة وعشرين كتاباً لابن سينا توجد فى ست وخمسين مكتبة باستانبول ، بالإضافة إلى العديد من الشروح والترجمات لهذه الكتب ، كذلك يذكر المؤرخون أسماء عدد من مؤلفات ابن سينا المفقودة ، منها : الموسوعة الضخمة التى سماها « كتاب الإنصاف » وكانت تقع فى عشرين مجلداً وتضم ثمانية وعشرين ألف مسألة من المسائل الفلسفية ، ولم يبق منها إلا نتف قليلة (راجع أسانيد المقال) .

بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم جزئياتها ، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو : ابتدىء أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته ، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها ، وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها .. فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى أكثرها أيضاً على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله ، ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية ، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية » .

واشتهر كتاب القانون فى أوربا شهرة عظيمة ، حيث ترجم إلى اللاتينية كاملا ، وطبعت أجزاء من هذه الترجمة عدة مرات قبل القرن السادس عشر ، وترجم الكتاب أيضاً إلى العبرية ، ولا تزال طبعات كثيرة منه تظهر فى الشرق والغرب .

من مآثره فى العلوم الكونية :

حظى مجال الطب والصيدلة بالعديد من الاكتشافات التى تمت على يد الشيخ الرئيس ابن سينا ، حيث يعزى إليه ، على سبيل المثال لا الحصر : اكتشاف داء « الفيلاريا » المعروف باسم « مرض الفيل » ، ومرض الحمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية ، كما فرق بين الأمراض المتشابهة فى أعراضها ، مثل الالتهاب الرئوى والبللورى ، والمغص المعوى والكلوى ، وحصى الكلى والمثانة .

وأظهرت الدراسات الحديثة فى تاريخ علم الطب **أن ابن سينا كان أول من اكتشف طفيلية** « الأنكلستوما » وسماها « الـدودة **المستديرة** » ، وتحدث عن أعراض المرض الذى تسببه فى الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابه « القانون » .

وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا التصحيح فى المؤلفات الحديثة ، كما أخذت به مؤسسة « روكفلر » الأمريكية التى تعنى بجمع كل ما يكتب عن هذا المرض الذى أعاد « دوبينى » اكتشافه بايطاليا عام ١٨٣٨م ، أى بعد ابن سينا بنحو ثمانمائة عام .

وكذلك أولى ابن سينا أهمية خاصة لطب الأمراض العصبية وأثر الوهم والعوامل النفسية فى إحداث الأمراض العضوية ، ودرس النبض وحالاته دراسة وافية ، وقال : « علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجعها هى العلاجات التى تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه وأسماعه بما عذب من الموسيقى ، وجمعه بالناس الذين يحبهم » ، وقد أكدت الدراسات الحديثة لنشاط الخلايا العصبية بواسطة التخطيط الكهربائى للمخ انفعال هذه الخلايا مع سماع النغم .

وفى مجال الفيزياء حدد ابن سينا عناصر الحركة وأنواعها ، وفرق فى كتاب « الشفاء » بين الحركة الطبيعية والحركة القسرية فقال : « .. وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب من نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إذا كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير فيسمى طبيعة » .

وعن مقاومة الوسط الذى يتحرك فيه الجسم يقول ابن سينا فى طبيعيات كتابه «الشفاء» : « فإنك ستعلم أن مقاومة المنفوذ فيه هى المبطل للقوة المحركة » . وبالنسبة لقانون « القصور الذاتى » المنسوب لاسحق نيوتن فى القرن السابع عشر الميلادى؛ فقد سبق ابن سينا إلى القول بفكرته لتفسير مدافعة الجسم عن استمراره فى الحركـة المنتظمـــة ، وذلك فى « الإشارات والتنبيهات » حيث ذكر ما نصه : « إنك لتعلم أن الجسم إذا خلى وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فإذن فى طباعه مبدأ استيجاب (الثبات فى) ذلك » . ويقول أيضاً : « الجسم له فى حال تحركه ميل (أى مدافعة) يتحرك به ، ويحس به الممانع ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره فيبطل المنبعث عن طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه » .

ويقول فى موضع آخـر من طبيعيـــات « الشفـاء » ، المقالة الرابعة : « ... وليست المعاوقة للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكان أو الوضع »[٢] .

وأثبت ابن سينا أن التصور المعروف عن المادة حتى عصره ضلال لاشك فيه ، فقال : « إننا لو قسمنا جسماً إلى نصفين ، ثم قسمنا كل نصف إلى نصفين ومضينا فى القسمة هكذا فلابد أن نمضى إلى غير نهاية ، وهو مستحيل ، أو لابد أن نصل إلى جزء لا يتجزأ وهو كذلك مستحيل ، وكل تصور محال فهو باطل بلا جدال » .

وقد ظهر أن عبقرى حضارة الإسلام كان على حق لأننا توصلنا فى عصرنا إلى أن أجزاء المادة تنتهى إلى جزء صغير يتجزأ ولكنه ينقلب إلى حركة إشعاع لا يحدها الجسم الذى كانت فيه .

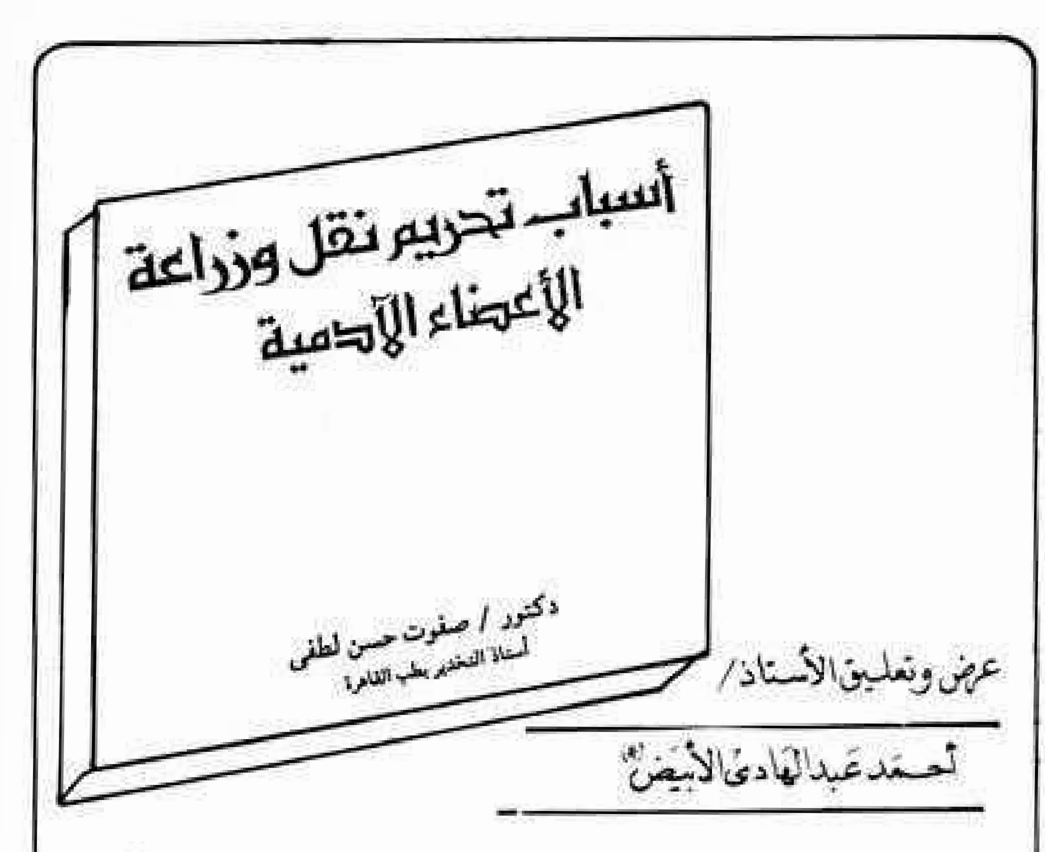
ولابن سينا آراء أخرى متقدمة فى مختلف الظواهر الكونية مثل :الضوء والشفق وقوس الألوان والهالة الشمسية ، والزلازل والبراكين وغيرها .

ولقد شهد بفضله كثير من مؤرخى العلم المنصفين أمثال « ماكس مايرهوف » و« دى بور » و« سيجريــد هونكـــه » و« جورج سارتون » وغيرهم .

وما أحوج الناشئة من أبناء أمتنا الإسلامية إلى معرفة هذه الجوانب المضيئة من حياة أسلافهم الذين شيدوا واحدة من أطول الحضارات التى عرفها التاريخ البشرى ، حتى يشعروا بحجم المسئولية الملقاة على عاتقهم فى النهوض بأمتهم من مستنقع التخلف الذى تسربلت فيه زمناً طويلاً ، واللحاق بركب الحضارة المعاصرة وترشيد مسيرتها لما فيه خير البشر أجمعين .

---

(٢) يمكن الوقوف على أهمية هذه النصوص عندما نقارنها بقانون الحركة الأول المنسوب لاسحق نيوتن ونصه : « كل جسم يظل على حالته من السكون أو الحركة المنتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير من حالته » .



عرض وتعليق الأستاذ/

أحمد عبد الهادى الأبيض (*)

يقع الكتاب فى (٧٢) صفحة من القطع الوسط ١٧٨×٢٤ سم برقم الايداع ٩٢/٧٧٦٦٢

فى المقدمة يتحدث المؤلف عن قضية نقل وزراعة الأعضاء الآدمية وأسباب تحريم ذلك . لما يترتب عليها من خطورة لتعلقها بالجسد الإنسانى الذى خصه الله سبحانه وتعالى بالتكريم حيا وميتا ، وبيان مخالفة مثل هذه العمليات لظاهر الشرع ، ومبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، علاوة على مخالفتها للحقائق الطبية ، وآداب المهنة وتعارضها مع المبادىء الخلقية والعرف الجارى بين الناس . وبيان خطورة هذه العملية سواء على الإنسان المنقولة إليه هذه الأعضاء ، أو المنقولة منه .. الخ .

فى الفصل الأول : يتحدث المؤلف الطبيب عن مكونات الإنسان من جسم وروح ، وقلب ، وأن أعضاء الإنسان من سمع وبصر وغيرها تتساوى مع جميع البشر فى كل موقع وزمان .

والروح : هبة من الله لجسم الإنسان . ومثلها الباحث بالحرارة فى داخل الجسم بحيث إذا

(*) اخصائى أول إعلام دينى بإدارة إحياء التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

مات الإنسان برد جسمه وأصبح لا حرارة فيه .

والقلب : هو تلك المضغة الصغيرة . وصلاحها يكون بتقوى الله سبحانه وتعالى وفسادها فى البعد عن تقواه .. ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ـ الرعد آية ٢٨ .

وأورد الباحث كثيرا من الآيات القرآنية التى تؤيد بحثه ، وأن الإنسان ليس ملك لنفسه ، بل ملك لخالقه ، وما دام لا يملك نفسه فلا يجوز له أن يتصرف فى جسده أو أعضائه بما لا يرضى خالقه سواء كان ذلك فى حالة حياته أو وصية تنفذ بعد مماته .

الفصل الثانى : يوضح الباحث أن الإنسان لا يملك من جسده شيئا مطلقا حيا أو ميتا وإنما هو ملك خالص لله ـ تعالى ـ ، ولا يجوز له أن يتصرف فيه حيا وميتا ؛ لأنه بذلك يكون قد خان الأمانة التى استأمنه الله عليها وهى جسده قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس ، الآية ٨٣ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ المائدة الآية ١٢٠

ثم بين فى هذا الفصل بعض الحقائق والجوانب الشرعية والطبية التى تتعلق بموضوع نقل الأعضاء الآدمية ، وهى :

أولا : تحريم نقل الأعضاء المأخوذة من الأحياء : أكد الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء ذلك التحريم مصداقا لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء الآية ٧٠)

والله نهى عباده عن ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة الآية ١٩٥) ، ونهى الرسول ـ ﷺ ـ أيضا عن ذلك بقوله ﷺ : « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء تداووا ولا تداووا بحرام .

ثانيا : تحريم نهب الأعضاء من المريض الذى يكون فى حالة غيبوبة عميقة أو توقف المخ عن العمل وهو ما يسمى بالموت (الإكلينكى) أو موت المخ وذلك على الرغم من الغيبوبة العميقة إلا أنه ما زال حيا بدليل أن الروح ما زالت تبعث الحرارة فى جسم ذلك الإنسان ، وإن الذى يقوم بهذا العمل يكون عقابه عقاب القاتل الحقيقى من وجهة نظر الإسلام والقانون الجنائى .

ثالثا : تحريم أخذ الأعضاء من المحكوم عليهم بالإعدام . وصورته أن يقوم الطبيب بنقل قلب المحكوم عليهم بالإعدام قبل موتهم المحقق ومفارقة أرواحهم لأجسادهم ؛ وهذا مخالف للقانون الجنائى « ٤٧٣ ، ٤٧٤ » علاوة على مخالفته للائحة السجون مخالفة جسيمة ، والتى تنص على : (أن يقوم طبيب السجن مع الطبيب المندوب من النائب العام بجس نبض المحكوم عليه بالاعدام لمعرفة المدة التى استمر فيها النبض ملموسا بعد الشنق ثم تترك الجثة معلقة لمدة ثلاثين دقيقة بعد وقوف حركة النبض ، ثم تنقل إلى المشرحة للغسل والتجهيز مع عدم تشريح الجثة إلا إذا طلبت النيابة العامة ذلك) .

رابعا : تحريم أخذ الأعضاء من الجسد بعد الوفاة إلى أجساد الاحياء لأن ذلك يعتبر من المثلة التى

جرمها الرسول - ﷺ - بقوله : « إياكم والمثلة » وكان صلوات الله عليه وسلامه يأمر المسلمين فى غزواته بسرعة دفن القتلى من المسلمين والكفار على السواء لحرمة الميت ؛ ولأن الجسد ملك لله تعالى .

أما من يقول : إن نقل الأعضاء يماثل فى عمله نقل الدم ، فإن الدم يعوضه الجسد ويتجدد ، والعضو ليس كذلك . وليس الحال فى العضو كذلك

الفصل الثالث : وفيه يتحدث المؤلف عن المفاسد والفتن والمآسى المرتبطة بنقل الأعضاء الآدمية والمترتبة عليها :

من ذلك ظهور سوق قذرة لتلك الأعضاء للتجارة فيها بالبيع والشراء ، هذا إذا كانت بين الفقراء والأغنياء ، أو بين ناس لاتربطهم ببعضهم رابطة قرابة .

أما بين الأقرباء فيترتب عليها إضافة مريض جديد إلى الأسرة فضلا عن انتشار عدم الثقة فى الأطباء المعالجين ، وبخاصة عندما تنتشر إشاعات حول بعض الأطباء مما يؤدى إلى حوادث كثيرة لا يعلم مداها إلا الله - سبحانه - علاوة على انتشار كثير من الأمراض التى تصيب المجتمع من جراء هذه العملية . وقد ذكر المؤلف عديدا من هذه الأمراض ص ٣٦ ، ٣٧ ، فمنها :

● مضاعفة جراحة الأوعية الدموية فى عمليتى انتزاع العضو - أولا - ثم زراعته فى جسم المريض الثانى .

● الالتهابات فى الأعضاء المختلفة .. ومنها الالتهاب الرئوى المتقدم الذى يحدث بعد زرع الكلى .

● تزايد الأورام السرطانية فى أعضاء الجسم المختلفة فى حالات ما بعد زراعة الأعضاء بأكثر من مائة ضعف عن الحالات العادية لأسباب غير معروفة .

● والعديد من المضاعفات الأخرى بالقلب والغدد الصماء والجلد وغيرها .. الخ .

فى الفصل الرابع والأخير : ركز الباحث فى هذا الفصل على النقاط التالية :

أولا : فى محاولة زرع الأعضاء يقوم بعض الأطباء بإخفاء المخاطر والمضاعفات التى تنشأ عن عمليات زرع الأعضاء عن مرضاهم حتى يتصور بعض هؤلاء المرضى أن زرع عضو لهم هو نهاية متاعبهم ، وبداية لعودة الحياة الطبيعية لهم . بينما يكون هذا بداية المتاعب للمريض لأن بعض الأجسام ترفض قبول العضو المزروع وإذا قبله الجسم فإن الأدوية التى تعطى للجسم لمنع رفضه لذلك العضو المزروع تسبب كثيرا من المخاطر الصحية للمريض - وقد تقدم شىء منها - وبالنسبة لمن أخذ منه العضو يصيبه كثيرا من الأمراض نتيجة ضعف جسمه وتعرضه للأمراض لقلة المناعة عنده .

ثانيا : الحاجة إلى توجيه اهتمام الدوائر العلمية والطبية لتحديد سبل الوقاية والعلاج للفشل الكلوى والكبدى نظرا لازديادهما وغيرهما من الأمراض ؛ إذ يجب توجيه النظر إلى مسببات تلك الأمراض وهى :

(١) إلقاء المخلفات الصناعية ومخلفات الصرف الصحى وغيرها فى نهر النيل .
(٢) رش ثمار الفاكهة كالخوخ والعنب والتفاح وغيرها بالهرمونات التى تصل إلى جسم الإنسان فتحدث به الضرر .
(٣) استخدام مكسبات الطعم واللون التى ينشأ عنها الأمراض .
(٤) استخدام المواد الحافظة كالتى تحفظ الألبان والجبن التى يترتب عليها ضرر بالجسم .
(٥) انتشار النفايات الكيماوية والصناعية والمشعة التى يجرى تلويث المياه بها فى مصر .
(٦) الإفراط فى استخدام الأدوية الضارة وبخاصة المضادات الحيوية . لما يترتب على ذلك من ضرر للجسم .
(٧) عدم التوعية المستمرة بهذه الأمراض وغيرها وعدم العمل على الاكتشاف المبكر لها حتى يمكن علاجها .

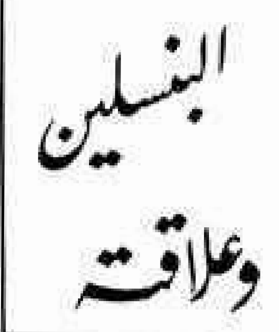
ثالثا : اختلاف علماء الدين حول حكم نقل الأعضاء .

أورد الباحث آراء بعض علماء الدين الذين يؤيدون ويجيزون .. نقل هذه الأعضاء من جسم الإنسان إلى إنسان آخر وهؤلاء قلة ورأيهم لا يعتمد على دليل قطعى بالحوار وآراء هذا الفريق يناقض بعضهما بعضا وذكر أيضا آراء الجمهور من علماء الدين الذين يمنعون نقل الأعضاء ويعتبرونه حراما وقد أورد لهم الأدلة القطعية .. عكس رأى الآخرين .

الفصل الخامس : فى هذا الفصل أورد وثائق بآراء بعض علماء الدين القائلين بجواز نقل الأعضاء ، والرد عليها مع اثبات المؤلف للوثائق المبينة لهذا التناقض من الاجازة تارة والمنع أخرى .

كذلك أورد أيضا آراء المانعين وذكر أدلتهم التى تتسم بالقوة والرجحان اللذان يحفظان المجتمع ويقويان بنيانه ، والذى أميل إليه ما ذهب فريق المانعين ، ومعهم المؤلف الذى قدم حقائق طبية بحتة لما يترتب عليه نقل الأعضاء .

والله ولى التوفيق





البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

٢

تطرقنا فى المقال السابق ، إلى الحديث عن الوقاية الثانية ، من مرض الحمى الروماتزمية . وتحدثنا عن حساسية البنسلين المستخدم فى هذه الوقاية ، ونستأنف الحديث ـ فى هذا العدد ـ عن حساسية البنسلين .

أعراضها :

يشعر المريض فى البداية بتوقُّع حدوث خطر شديد وشيك : Impending Doom ، مع زيادة فى سرعة نبضات القلب : Tachycardia ، وفى معظم الحالات قد يظهر طَفَحٌ جلدى Skin Rash ، وقد يكون مصحوباً بـ (هرش)[1] : Itching ، فى جميع أجزاء الجسم ، أو فى أجزاء معيَّنة منه ، خاصة فى الجزء الداخلى من الفخذ : Inner aspect of the thigh وفى الأعضاء التناسلية : Genital Region .

وفى الحالات الشديـــدة ، قد يحدث تَوَرُّم بالحنجـــرة ، laryngeal Oedema ، مؤديـــاً إلى الاختناق ، وحشرجة الصوت ، وقد يحدث أيضاً ضيق فى الشعب الهوائية Brochospasm مما يؤدى

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

(١) يعبر هذا اللفظ فى عامية مصر استخدام الإنسان إحدى يديه أو كلتيهما فى حك جزء من جسده . ومنه المثل : « ما حك جلدك مثل ظُفرك » .

إلى صعوبة فى التنفس Respiratory distress ، كذلك يحدث أيضا احتقـــان بالأنـــف Nasal congestion أو تورُّم بالغشاء الغاطى المبطـــن للأمعاء Gastrointestinal swelling ، مؤدياً لحدوث إسهـــال Diarrhea وآلام بالبطـــن Abdominal Cramps .

وفى بعض الأحيان يحدث اتساع بالأوعية الدموية Vasodilatation مؤدياً للإصابة بالصداع Headache وهبـــوط فى الضغـــط الدمـــوى Hypotension وإغماء Syncope .

ونظراً لأن الإصابة بتفاعلات الحساسية قد تتكرر ـ بعد اختفاء الأعراض ـ فى خلال (٨ ـ ٢٤) ساعة بعد تعاطى العقار ، يلزم حجْز المريض بالمستشفى لمدة ٢٤ ساعة ، مع وضعه تحت الملاحظة الدقيقة إذا أُصيب بحساسيـــة البنسلين .

● **كيفية تشخيص إمكانية حدوث حساسية البنسلين :**

قبل حقن المريض بالبنسلين لابد من التأكد من عدم إمكانية حدوث حساسية من العقار بعد حقنه وذلك عن طريق :

١ ـ الاستفسار عن حدوث تفاعـــلات حساسية سابقة بعد تعاطى هذا العقار ، وذلك بسؤال المريض عن حدوث أعراض تفاعلات الحساسية هذه فى خلال الثلاثة أيام الأولى بعد الحقن بالعقار .

ويعد هذا الاستفسار غاية فى الأهمية نظراً لقلة الاختبارات التشخيصية الموجودة .

أو :

٢ ـ القيام بعمل اختبار حساسية الجلد للبنسلين : Penicillin Allergic Skin Test ويتم هذا عن طريق حقن ٣ مفاعلات Reagents فى الجلد Intradermal فى الجزء الداخلى من أحد الذراعيْن بكمية ضئيلة تتراوح بين (٠,٠٢ ـ ٠,١ سم٣) ، وهذه المفاعلات تشمل :

(١) البنسلين طويل المدى غير المُطوَّر .

(٢) المكـــون الأساسى (الجزء الأعظـــم) للبنسلين طويل المدى .

(٣) المكون غير الأساسى (الجزء الأصغر) للبنسلين طويل المدى .

ويتم حقن مُفاعليْن للضبط Control فى الجزء الداخلى من الذراع الآخر هما :

(١) الهستامين (كضابط موجب) Positive Control .

(٢) محلول ملح (كضابط سالب) Negative Control .

وذلك حتى لا يحدث خطأ فى [illegible] ص إمكانية حدوث حساسية البنسلين .

وتتم قراءة اختبار حساسية البنسلين بعد حوالى عشرين دقيقة من الحقن ، ويُعدُّ الاختبار موجباً (أى مشيراً لإمكانية حدوث تفاعلات حساسية بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى) عندما يحدث

إحمرار Erythema ، يحيط بمكان الحقن بمساحة لا تقل عن ١ ـ ٢ م (ملليمتر) (طولا وعرضاً) ، ويعد الاختبار سالباً (أى مشيرا لعدم إمكانية حدوث حساسية بعد الحقن بالبنسلين) إذا لم يحدث إحمرار حول مكان الحقن .

* * *

ومن الجدير بالذكر أن اختبار حساسية الجلد للبنسلين طويل المدى يستطيع تشخيص إمكانية حدوث حساسية للعقار فى خلال عشرين دقيقة بسهولة ، إذ هو ذو حساسية عالية ، ولكنه قد يحمل خطر حدوث تفاعلات حساسية ـ بسيطة أو شديدة ـ نتيجة لحقن واحد أو أكثر ، من المفاعلات الثلاثة فى الجلد .

* * *

من المؤسف أن اختبار الحساسية فى (مصر) يتم بحقن مفاعل واحد فقط فى الجلد ، وهو البنسلين الخام غير مُطوّر كعنصر وحيد لإجراء اختبار الحساسية ، نظراً لعدم توافر المفاعلين الآخرين ، مما يُقلل كثيراً من حساسية وأهمية اختبار حساسية البنسلين ، كوسيلة لتشخيص إمكانية حدوث تفاعلات حساسية بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى .

طريقة اختبار أخرى :

من الجدير بالذكر أيضاً ، وجود طريقة أخرى للقيام باختبار حساسية البنسلين ـ غير الحقن فى الجلد ـ وذلك عن طريق وضع نقطة من المفاعلات الثلاثة على الجلد ، ثم يتم وخز أو خدش الجلد فى مكان نقطة العقار . وهذه الطريقة أقل حساسية من طريقة حقن المفاعلات فى الجلد ، ولكنها أقل خطورة منها فى تسبب حدوث تفاعلات حساسية .

ويتم اللجوء إلى هذه الطريقة الأخيرة (قبل طريقة الحقن) ، إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية شديدة سابقة ، بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى ، لتجنب حدوث تفاعلات حساسية شديدة ، بعد إجراء اختبار حساسية البنسلين بواسطة الحقن الجلدى ، وإذا كان الاختبار سالباً يتم إجراء الاختبار بواسطة الحقن الجلدى .

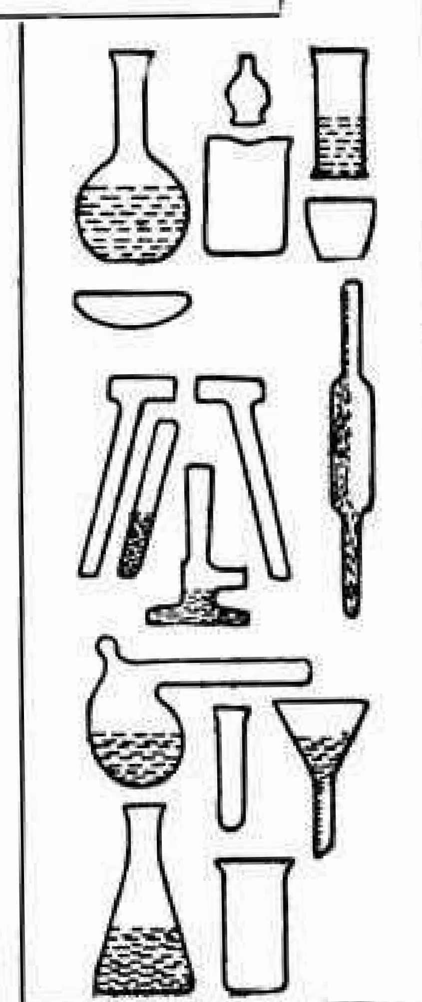
٣ ـ قياس نسبة الأجسام المضادة «هـ» الخاصة بالبنسلين : Penicilloyl Specific ige فى المصل . والاختبار المستخدم حاليا يعد ذا أهمية محدودة ، ولهذا يعد ـ فى الوقت الحاضر ـ أفضل وسيلة حسّاسة ، فعالة ، سهلة ، لتشخيص إمكانية حدوث تفاعلات حساسية للبنسلين ، وذلك بالجمع بينها ، وبين الاستفسار ، عن سابقة حدوث تفاعلات حساسية ، فى خلال الثلاثة أيام الأولى بعد الحقن بالعقار .

وإلى مقالنا التالى حيث نختم هذه الحلقات بالحديث عن مرض الحمى الروماتزمية ، بإلقاء الضوء على علاج حساسية البنسلين ، وعلاج مرض الحمى الروماتزمية معاً .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ نجوى السيد أحمد



سيارة تعمل بالطاقة الشمسية

قامت إحدى شركات الطاقة الكهربائية فى ولاية «تكساس» بتطوير سيارة شمسية ذات مقعدين يمكنها أن تستخدم الخلايا الشمسية وتسير بسرعة ٦٠ كيلومتراً فى الساعة ، أما إذا استخدمت معها محركات من الطاقة الكهربائية والتى يتحكم فيها كمبيوتر فيمكنها أن تسير بسرعة ١٢٠ كيلومتراً فى الساعة ، وهذه السرعة تجعل السيارة ضمن السيارات المسرعة فى العالم .

مدفع لإطفاء الحريق

تم إنتاج أحدث مدفع يتم استخدامه لإطفاء النار فى أماكن الحرائق الكبيرة ، ويحمل المدفع فوق سيارة الاطفاء ويمكن توجيهه نحو مركز النيران بسهولة وبدون أى توقع للخطأ ، ويتميز المدفع بأنه يتحكم فى سرعة وصول مادة الإطفاء إلى الحريق كما أنه يحمى رجال الإطفاء من التعرض للنيران ، ويعطى مجالا أكبر لرؤية واضحة لموقع الحريق خلال مكافحة النيران .

(*) باحثة بالمركز القومي للبحوث .

تليفون للرأس

اخترع خبراء الاتصالات في « السويد » تليفوناً جديداً يريح اليدين خلال المحادثات التليفونية ، ولايسبب أية أضرار للجسد ، وهو عبارة عن سماعة تعلق بالقرب من الأذن ومتصلة بزر كبير مزود بمفتاح تحكم إلكتروني لرفع أو خفض الصوت القادم عبر السماعة إلى جانب ميكرفون صغير لنقل الكلام إلى الطرف الآخر .

آلة حديثة لقطع الخزف

تم تصنيع أحدث آلة لقطع الخزف بسرعة كبيرة وبدقة متناهية ، والآلة مزودة بشوكة الخدش ذات الحافة المدببة المصنوعة من « التنجستون » ، حيث يتم خدش القطعة الخزفية المراد تشكيلها ثم تفصل بسهولة .

الليزر لتحسين إنتاجية الحبوب

أعلنت أكاديمية العلوم السوفيتية أن إنتاجية القمح والشوفان يمكن زيادتها ـ إلى حد كبير ـ بعد تعريض التقاوي إلى نبضات من أشعة الليزر ، حيث يتم تعريض تقاوي الحبوب لأشعة الليزر الزرقاء الناتجة من « الهليوم » « والكادميوم » لمدة ساعتين ثم تعرض التقاوي لأشعة الليزر الحمراء الناتجة من « الهليوم » «والنيون » لمدة ساعتين ، وبهذه الطريقة يمكن الحصول على إنتاجية أكبر للقمح بجانب احتواء حبوبه على نسبة عالية من البروتين .

الهندسة الوراثية لإيقاف نمو الخلايا السرطانية

أعلن فريق من العلماء الاستراليين أنهم تمكنوا بعد تجارب استمرت عدة سنوات من وقف نمو الخلايا السرطانية بواسطة وقف عمل الجينات المسببة للمرض ، وذكر أحد الأساتذة بالجامعة القومية الاسترالية أن إحدى عمليات الهندسة الوراثية التي طورها فريقه أوقفت بدرجة كبيرة الورم الليفي في المعمل حتى أن الخلايا السرطانية عادت إلى حالتها الطبيعية الحميدة ، وقد استخدم الفريق البحثي مورِّثًا (جيناً) يشبه « الجين » المسبب للأورام ودعموه بمادة كيميائية حيوية لتنشيطه فأدى ذلك إلى حدوث معركة جينات تمكن خلالها من الجين المسبب للسرطان وحوله إلى جين خامل .

الحيوانات الصدفية لرصد تلوث المياه

ابتكرت « هولندا » جهازاً جديداً لقياس التلوث في المياه يعتمد على استخدام الحيوانات الصدفية المعروفة « ببلح البحر » في رصد التلوث . والجهاز الجديد يتألف من ثمانية من هذه الحيوانات الصدفية مزودة بآلة « إلكترونية » تقيس مقدار انفراج صدفات « حيوان » « البحر » عن بعضها ، وعندما تظل ست من أصل الثماني صدفات مقفلة لمدة خمس دقائق ينطلق جرس إنذار منبهاً إلى أن تغيرا قد حدث في الماء ، ويعتمد الابتكار الجديد على طبيعة حيوان « بلح البحر » وحيث يترك صدفتيه منفرجتين لدخول الماء وخروجه ولكنه بمجرد أن يشعر بتغير في البيئة مثل التلوث يقوم بإغلاقهما .

دواء جديد لعلاج الصدفية

حصلت إحدى الشركات الأمريكية للمستحضرات الطبية على موافقة إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية بالبدء فى إجراء تجارب إكلينيكية على استخدام دواء جديد موضعى لعلاج داء « الصدفية » الجلدى عن الإنسان الذى يتميز بظهور بقع حمراء وقشور على الجلد .

وقالت الشركة : إن هذه هى المرة الأولى التى يصل فيها دواء إلى المرحلة التجريبية من النوع الذى ينتج بالاستعانة بأساليب متطورة باستخدام الكمبيوتر .

برامج « كمبيوتر » لاكتشاف الخلل الذى يحدث فى الآلات

تمكنت إحدى الشركات البريطانية من إنتاج برامج كمبيوتر يمكنها اكتشاف الأخطاء والعيوب فى الآلات الضخمة والأجهزة التى تعمل بمحركات توربينية أو غازية وتجنب الكوارث الناتجة عن هذه الأخطاء ، تقوم البرامج على فكرة إيجاد التشخيص الهندسى وتدوينها فى برنامج « كمبيوتر » شخصى حيث يتم تركيب أدوات الاستشعار الالكترونية فى الجهاز أو الماكينة وتوصل « بالكمبيوتر » ، وتم تطوير البرنامج لتقييم المعلومات الناتجة عن هذا التوصيل ، وبذلك يتم توفير تكاليف الإصلاح الباهظة لهذه الآلات .

تربة جديدة تقاوم الآفات

اكتشف العلماء فى مجال الزراعة باستراليا نوعاً جديداً من التربة أطلق عليها اسم « الطين الأحمر المعقم » يحمى جذور النبات من الآفات ويساعدها على النمو ، مما يجعله وسيلة المستقبل للسيطرة على الآفات والأمراض التى تهاجم النباتات ، ذكر العلماء أن هذا الطين يتم إنتاجه عن طريق تحرك المورثات « الجينات » فتتكون مادة بيولوجية قادرة على إبادة الحشرات التى يتعرض لها النبات ويعطيه مقاومة طبيعية ومستمرة .

أحدث جرار زراعى صغير

صمم الاتحاد الصناعى بـ « لينجراد » جراراً صغيراً يمكنه تنفيذ ٩٠ عملية مختلفة فى مجال الزراعة والمرافق العامة مثل : حش الحشائش والأعشاب ونشر الخشب وتنفيذ أعمال التحميل والتفريغ وتسوية الطرق ونقل المشحونات .

والجرار سهل القيادة ؛ لأن جميع عجلاته موجهة تدور إلى اليسار واليمين فيتحرك بدون دوران وله ٨ سرعات ، وتبلغ أقصى سرعة له ٢٥ كم فى الساعة ، وتتيح وحدة تغيير الاتجاه الخاصة به فرصة الانتقال مباشرة من الأمام إلى الخلف مهما كانت سرعته ، كما أنه يوفر الراحة للسائق ، وتحتوى « كبينته » على ثلاجة .


اللغة والنقد
والأدب



عرض وتقديم
عبد السلام إبراهيم ناصف

تعرض المجلة فى هذا العدد لكتاب الأستاذ الدكتور على عبدالواحد واف ، أستاذ علم الاجتماع ، بالجامعة المصرية ، وأحد عمده ـ رحمه الله ـ .

والكتاب بعنوان : (عبدالرحمن بن خلدون) ـ حياته ، وآثاره ، ومظاهر عبقريته ، ويقع فى ثلثمائة وثمانية وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، ويحتوى على بابين .

الأول منه على أربعة فصول يتحدث فيه المؤلف عن حياة ابن خلدون بدءاً من مولده ونشأته وتلمذته وتحصيله العلمى ، ثم عرج إلى مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية ، فمرحلة التفرغ للتأليف ، وأخيراً مرحلة التدريس والقضاء .

وفى الباب الثانى ويشتمل على تسعة فصول ، يوضح فيها آثار ابن خلدون ، ومظاهر عظمته وخصص الفصل الأول فيه لتقرير أن ابن خلدون منشىء « علم الاجتماع » ، وبقية الفصول لإظهار عبقريته فى العلوم والمعارف الأخرى

ويجدر بنا ـ ابتداء ـ أن نتعرف على المؤلف فهو الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى أحد رواد « علم الاجتماع » فى مصر وأحد أعلامه .

الذى ولد فى ٣ من مارس ١٩٠١ « بأم درمان بالسودان » ، حيث كان والده يعمل بها ـ ثم التحق بالمعاهد الأزهرية عقب عودته ـ ثم بكلية دار العلــوم وتخرج فيها عام ١٩٢٥ . وكان أول الناجحين بها فأوفدته وزارة المعارف إلى « جامعة السوربون » التى حصل منها على درجة « الليسانس فى الفلسفة » ثم حصل على درجة الدكتوراه فى

«علم الاجتماع» في مايو ١٩٣١ـ بعدها عين مدرسا لعلم النفس والتربية والاجتماع في «كلية دار العلوم» وكليات الآداب ـ وأنشأ بها قسم الاجتماع ـ وله فيه مؤلفات فاقت الخمسة والأربعين مؤلفا، ولقد انضم لمجمع اللغة العربية في مايو ١٩٨٤.

وظل يعمل في خدمة العلم ـ حتى وافته المنية في أواخر عام ١٩٩٠ ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة.

مهد المؤلف للكتاب بمقدمة قصيرة تنحصر في رغبة المؤلف في كشف عبقرية ابن خلدون التي أرست (قواعد علم الاجتماع) أو (السيسولوجيا Sociology) وفيما خلفه من آثار في كل ميادين المعرفة والعلوم ـ برغم ما تعرض له من فتن ومكايد ومؤامرات طوال حياته المضطربة، ورغم انشغاله بالعديد من الوظائف السياسية والديوانية والقضائية، فقد خلف تراثا في كل ميادين المعرفة لا يجاريه فيه أحد قبله ولا بعده ـ فقد كان فريداً في عبقريته.

ولننتقل إلى الكتاب حيث الباب الأول الذي يتحدث فيه: عن حياة ابن خلدون، وفيه الفصول الأربعة التي أشرنا إليها.

وفي الفصل الأول يتحدث عن مرحلة المولد والنشأة والتلمذة والتحصيل العلمي.

التعريف به: هو أبو زيد ولي الدين عبدالرحمن بن خلدون المالكي الحضرمي من أصل عربي عاشت أسرته بالأندلس ـ ثم نزحت منها إلى تونس بعد اضطراب أحوالها.

مولده: ولد ابن خلدون بـ (تونس) العاصمة في غرة رمضان عام (٧٣٣) سبعمائة وثلاثة وثلاثين للهجرة النبوية، والذي وافق يوم السابع والعشرين من مايو عام اثنين وثلاثين وثلثمائة وألف للميلاد (١٣٣٢م)، ولازالت الدار التي ولد بها قائمة حتى الآن تشغلها مدرسة الإدارة العليا بتونس.

نشأته: نشأ ابن خلدون في بيئة دينية اهتمت بتحفيظه القرآن الكريم وتجويده بأحد مساجد تونس القديمة الذي لايزال قائماً بها، ويعرف بمسجد «القبة» ـ وكان أبوه ـ رحمه الله ـ هو مُدرسُه الأول إلى جانب العديد من العلماء والمشايخ الذين نزحوا من الأندلس إلى تونس واستقروا بها ـ وقد درس على أيديهم العلوم العربية والشرعية، والفلسفية والطبيعية والرياضية وتعمق في دراسة أمهات كتب: التفسير والسنة والفقه المالكي، والتاريخ والأدب والشعر، وغيره من فنون العرب وعلومهم في سن لا يجاوز العشرين من عمره ـ حتى نكبت تونس ـ مع بقية بلاد المشرق والمغرب ـ بمرض الطاعون الجارف عام ٧٤٩هـ فهجرها علماؤها ومشايخها ـ مما أدى إلى انقطاعه عن الدرس والتحصيل.

وفي الفصل الثاني الذي يتحدث عن مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية في المغرب والأندلس (٧٥١ ـ ٧٧٦هـ) (١٣٥١ ـ ١٣٧٤) نعلم أن ابن خلدون اتجه إلى العمل بعد انصرافه عن التعليم ـ فتبوأ العديد من وظائف المغرب أدناه

والوسطه وأقصاه ، غير أنه كان يحلم بمناصب أعلى فيتوق لوظيفة «الحجابة» التي تماثل وظيفة رئيس الوزراء .

وتلك النزعة جعلت البعض يلومه ، وعندما لم يُشبع المغرب طموحاته ورغباته ، وضاق عليه بالمناصب الرفيعة هاجر منه إلى الأندلس موطن أسرته ونزل « بغرناطة » التي كان بينه وبين حاكمها ووزيره علاقة وطيدة وصداقة متينة فاستخدماه سفيراً لهما ، وقرباه من مجلسيهما ، لأكثر من ثلاثين شهراً غادر الأندلس بعدها إلى « بتجاية » في المغرب الأوسط حيث مُنِحَ (وظيفة الحجابة) التي كان يحلم بها - إلا أن عدم الاستقرار السياسي الذي غير الحكومات وبدل الدول أجبره على النزوح إلى « بسكره » على مشارف صحراء « الجزائر » الكبرى فلجأ إلى المطالعة والبحث من جديد بعيداً عن مهاترات السياسة والدسائس والمؤامرات - لكن الحنين إلى الجاه والسلطان في الوظائف جعله يهاجر عام ٧٧٦ هـ إلى الأندلس مرة أخرى - فــنــزل «بغرناطة » ولم يجد ضالته المنشودة فغادرها في نفس العام وعاد من حيث أتى .

وفي الفصل الثالث : مرحلة التفرغ للتأليف ٧٧٦ - ٧٨٤ هـ ١٣٧٤ - ١٣٨٢ م .. تبين أن ابن خلدون نزل « بتلمسان » حيث كان أخوه في خدمة أميرها - وقد رغب في القراءة والتحصيل والتفرغ للتأليف ، واستطاع أن يهرب بأسرته إلى قلعة بني سلامة في مقاطعة « وهران » وتبعد نحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينة « فرندا » الحالية Fenda بدولة الجزائر ، فاستقر بها مع أسرته زهاء أربعة أعوام ألف فيها كتابه الشهير « العبر » وقدم لهذا المؤلف ببحث عام في شئون الاجتماع الإنساني وقوانينه - وهو الذي اشتهر فيما بعد باسم (مقدمة ابن خلدون) - وكان يشتمل على خطبة الكتاب (مقدمة) في سبع صفحات ، ومقدمة في فضل علم التاريخ في ثلاثين صفحة ، وستة أبواب في شئون العمران في ستمائة وخمسين صفحة .

كان ابن خلدون يود أن يقتصر بحثه على تاريخ المغرب - لكنه عاد ووسع نطاقه ليشمل تاريخ جميع الأمم الشهيرة - ولــذا أطلق عليه اسم « العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

استغرق إعداد الكتاب نحو أربع سنوات (٧٧٦ هـ - ٧٧٩ هـ) ولما كانت القلعة شحيحة المراجع فقد انتقل منها إلى تونس (٧٨٠ هـ) حيث عكف على البحث والتأليف والتدريس لكثرة المخطوطات والمؤلفات والكتب ، وحيث يكثر العلماء والمشايخ المهاجرون من الأندلس بالإضافة إلى راحته النفسية ؛ إذ هي موطنه ومسقط رأسه - وفيها نقح كتابه الشهير ثم أهداه لسلطانها اعترافاً منه بفضله وفضل تونس - وطلب منه السماح له بأداء فريضة الحج عن طريق مصر فوافقه وأعانه عليها وأبحر إلى الإسكندرية عام ٧٨٤ هـ وقوبل بترحاب وتعظيم ، ولم يمكث بها كثيراً ولم يجهز

نفسه للحج وإنما اتجه إلى القاهرة حيث المعرفة والعلم والثقافة وحيث «الأزهر» فاتخذ من أروقته مدرسة يلتقى فيها بتلاميذه ومريديه ـ وتصدر حلقة الدرس ، وكان يدرس الحديث والفقه المالكى إلى جانب تدريس نظرياته الاجتماعية التى لاقت قبولا وصل مداه إلى السلطان « برقوق » الذى عينه فى منصب تدريس الفقه المالكى بمدرسة القمحية عام ٧٨٩ هـ .

وفى عام ستة وثمانين وسبعمائة للهجرة خلع عليه السلطان لقب « ولى الدين » وأولاه منصب (قاضى قضاة المالكية فى مصر) .

توخى ابن خلدون فى أحكامه العدالة وعدم المحاباة والمساواة بين الجميع ؛ مما أثار حفيظة الحاقدين الذين وَشَوْا به عند السلطان فما لبث أن عَزَلَهُ فى العام التالى ، وعندما عزم على أداء فريضة الحج عام ٧٨٩ هـ ووفقه الله إلى أدائها ، عاد فى العام التالى إلى القاهرة ؛ حيث عين فى منصب كرسى الحديث بمدرسة « صرغتمش » بجوار جامع ابن طولون ، ثم ولى إلى جانبه وظيفة (شيخ خانقاه) بيبرس « تكية بيبرس » وفى عام ٨٠١ هـ عين فى منصب (قاضى قضاة المالكية) للمرة الثانية ـ وقد تمكن من زيارة (بيت المقدس) والأماكن المقدسة بها خلال شغله لهذا المنصب الذى عزل منه عام ٨٠٣ هـ وكان الوضع السياسى المتقلب يؤثر على استقراره بهذا المنصب ـ فكان يعزل منه بعد تعيينه فيه ـ إلا أنه كان مع تلاميذه ومريديه لا ينقطع عنهم ولا عن حلقة التدريس والبحث والتأليف حتى وافته المنية .

وفاته : توفى ابن خلدون فى السادس والعشرين من رمضان عام ٨٠٨ هـ الذى يوافق ١٦ مارس ١٤٠٦م ـ كان يعيش فى حى (بين القصرين) وحى الروضة بالنيل .

مدفنه : دفن ابن خلدون فى مقابر الصوفيين خارج باب النصر فى اتجاه الريدانية « العباسية » ولا يعرف موقع قبره بهذه المنطقة على وجه اليقين .



الأزهر والمراصفة والأدب

مراصفة آخرون .. نابغون



للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الشيخ : زين المرصفى
الشيخ : أحمد شرف الدين المرصفى
الشيخ : محمد أبو سليمان المرصفى
الشيخ : محمد عبد الوهاب المرصفى
الشيخ : محمد أنور المرصفى

مازال فى جعبة قرية (مرصفى) الكثير من الأعلام من نجباء أبنائها ، وهم ، كما يقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، فى التأليف العرق ، ليسوا أبناء أسرة واحدة ، كما قد يخطر على البال لأول وهلة ، ولكنهم أبناء قرية واحدة .. وقد لا يكون بينهم من القرابة أكثر مما يكون بين أهل القرية الواحدة ، ولكن هذه النسبة تضمهم جميعا فى الفضل ، إلى سلك واحد ، وهم يرجعون ذلك إلى مئات من السنين ، منذ قام للأزهر جدار للتعليم الدينى فى مصر[1] .

وقد قام الأستاذ محمد عبد الجواد ـ وهو يعد كتابه عن الشيخ حسين المرصفى ـ بزيارة قرية (مرصفى) ، واتصل بكثير من علمائها ومتعلميها ، وقد صحح نسبة كتاب (القول المراد من بانت سعاد) الذى نسبه (سركيس) فى معجمه ص(١٧٣٧) إلى الأستاذ محمد حسن نائل المرصفى ، والحقيقة أنه من تصنيف (السيد محمد حسن قدوسة المرصفى) ـ خريج دار العلوم سنة ١٨٩٤ ـ الذى كان مدرسا بالمدرسة السعدية وقد قال الشيخ محمد عبد الوهاب حلاوة فى تقريظه :

شرحت ـ وشرحك القـــــول المراد قبان الشعـر عن : (بانت سعـــاد ..)

(١) انظر كتابه أعلام من الشرق والغرب ، ص ٧٠

ويقول الشيخ التفتازانى بعدد الأهرام الصادر فى فبراير سنة ١٩٣١م - فى حديث الصيام - عن أستاذه الشيخ سيد بن على المرصفى : « هذه القرية الكبيرة ، الواقعة إلى جوار (بنها) أخرجت لمصر - وللعلم والعربية - منذ أجيال ، عشرات من حملة ألوية الأدب والفضل .. فمن يذكر المرحوم الشيخ زين المرصفى ، يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضى ، ومن يذكر الشيخ حسين المرصفى ، يذكر النبوغ والعبقرية .. وكذلك أهل (مرصفى) ، من المشتغلين بطلب العلم أو خدمته ، يتقنون كل ما يعرضون له بالدرس»[٢] .

١ - والشيخ زين المرصفى الذى تحدث عنه التفتازانى ، ترجم له أحمد تيمور باشا فى كتابه : (تراجم أعيان القرن الثالث عشر) ، وكان يجيد الفرنسية ، التى تعلمها حين ذهب مع الأمير حسين كامل - تلميذه - إلى (فرنسا) ، كما اتفق ذلك من قبل لرفاعة الطهطاوى حينما ذهب إليها إماماً للبعثة التى أوفدها محمد على إلى فرنسا ، وقد جاء زين المرصفى إلى القاهرة مع أبيه الشيخ أحمد ، أيام عباس الأول ، ليتولى الأب وظيفة فى دائرة هذا الخديوى ، فحفظ القرآن والمتون ، وطلب العلم بالأزهر ، حتى صار علما من الأعلام ، وله مع الشيخ جمال الدين الأفغانى مواقف مشرفة . وقد اختير عضوا بالمجلس العالى بنظارة المعارف ، مع الشيوخ : حسين المرصفى ، ومحمد عبده ، وحسّونة النواوى ، وذلك بمقتضى الأمر العالى الصادر فى ٢٨ من مارس سنة ١٨٨١م وكان له أخ أديب وشاعر ، هو : عثمان المرصفى ، وللشيخ زين المرصفى من المؤلفات :

١ - منظومة من ٣٣ بيتا ، فى آداب البحث .

٢ - التحفة الحسينية فى القواعد النحوية (نظم) وضعها وهو بباريس سنة ١٨٧٥م ويقول فى آخرها :

واقطف ثمار النحـو من هذا ، وقـل جنح الدجى استغفر لزين المرصفـى[٣]

٢ - ومن نوابغ (مرصفى) فضيلة الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى :

كان مدرساً بالأزهر ، وانتدب محاضراً بدار العلوم ، فى التفسير والحديث ، ويُقال إن الزعيم (سعد زغلول) كان من تلاميذه النجباء[٤] .

٣ - ومنهم أيضا الشيخ محمد أبو سليمان المرصفى : تلقى العلم بالأزهر ، الذى تخرج عليه جمع من العلماء ، فمن تلاميذه : العلامة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، والشيخ محمد البنا السبكى ، والشيخ مؤمن الشبلنجى ، مؤرخ عصره ، صاحب كتاب (نور الأبصار فى مناقب بيت النبى المختار)[٥] .

---

(٢) انظر كتاب (الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى) للأستاذ محمد عبد الجواد ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ ص ٢٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٤) المصدر السابق . (٥) المصدر السابق ص ١٢٨ .

ويقول الأستاذ محمد عبد الجواد ، الذى شاهد أهل قرية (مرصفى) عن كثب : « يظهر أن ظاهرة حفظ القرآن الكريم ، لاتزال سائدة فى (مرصفى) ، فترى الفلاح فى حقله ، لاينفك عن تلاوة القرآن ، وهو يسوق الساقية ، أو يشتغل بضفر الخوص وجدله »[6] .

« والقرية - كما ذكر صاحب الخطط - تمتلىء بالمساجد ، وتكتظ بالجماعات الصوفية ، ويكثر فيها الأولياء الصالحون » .

ويذكر على مبارك فى الخطط (جـ١٢ ص ٤٠) عن قرية (مرصفى) أن لأهلها اعتناءً زائداً بتعليم أولادهم القراءة والكتابة ، فيعلمونهم فى المكتب ، ثم يُلحق كثير منهم بالأزهر .

ويتحدث الأستاذ محمد عبد الجواد عن أعلام قرية (مرصفى) فى القرن العشرين ، فيذكر منهم الشيخ محمد عبد الوهاب حلاوة المرصفى ، وكان الشيخ محمد هذا من العلماء الأفاضل ، فقيها ومحدثا ، وشاعراً .. حفظ القرآن والمتون وهو ابن عشر سنين ، وألحقه والده بالأزهر ، وأشرف عليه ابن عمه : الشيخ الحسين المرصفى ، وتلقى عنه ، وعن مشايخه ، ومن مؤلفات هذا العالم الجليل :

(أ) كتاب الشمائل النبوية .

(ب) نصرة الدين فى الرد على المبشرين .

(جـ) تخميس همزية البوصيرى ، التى يستهلها بقوله :

كيف ترقى رقيّك الأنبياء يا سماء ماطاولتها سماء ، وكان تخميسه فنيا رائعا ، وقد قرظه الشيخ حمزة فتح الله .

(د) تشطير البردة ، وله قصائد أخرى رائعة فى مدح الرسول ﷺ .

٥ - وآخر من تحدث عنهم الأستاذ محمد عبد الجواد - السيد محمد أنور المرصفى ، نجل محمد حسن نائل المرصفى ، الذى تحدثنا عنه فى العدد الماضى من الأزهر .

وقد والى : محمد أنور المرصفى إصدار المجلات التى كان يصدرها والده ، بعد وفاته .

ويذكر الأستاذ عبد الجواد ، فى ختام كتابه عن الشيخ حسين المرصفى ، مرجعا حيًّا بالقرية ، هو الشيخ الصياد حواش المرصفى ، مأذون قرية مرصفى ، إذ يعتبر بحق قاموسا تاريخيا لأهل مرصفى ، وعلمائها خاصة ، وأعيانها عامة ، يقول : وقد لازمنى فى رحلتى إلى مرصفى يوما وليلة ، فعلمت عن القرية ما لم يعلمه كثير من أهلها[7] .

ونختم الحديث عن المراصفة والأدب والأزهر ، ونحن نتمنى أن يقوم الكرام الكاتبون ، فى شتى أنحاء القرى والمدن ، بالكتابة عن أساطينهم فى شتى العلوم والمعارف والآداب ، لتظفر المكتبة العربية بموسوعة عن أعلام مصر ، الذين نعتز بهم ، ونحرص على السير على منوالهم ، لاتقليدا حرفيا لهم ، ولكن للاحتذاء بهديهم العلياء ، والانتفاع بتراثهم الباقى على مر الزمن .

---

(٦) المصدر السابق ص ٢١ .　(٧) المصدر السابق ص ١٤٣

بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم د / محمد عبد الحكيم محمد

الأخلاق المحمدية وآثارها فى التربية

تعتبر مدحة الكبير المتعال لسيدنا رسول الله ﷺ بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » سورة (ن / ٤) ، شهادة عظمى له ﷺ بالخلق الرفيع ، فهذا الجانب فيه ﷺ كالخيط الممتد الذى كلما أرجعت فيه البصر لم تجد له نهاية ، وكم كان « هرقل » امبراطور الروم فطناً عندما سأل « أباسفيان » عن رسول الله ﷺ أمام نفر من قومه : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا ، فعلق هرقل قائلا : « إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » وهكذا .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

حول أثر الأخلاق المحمدية فى التربية والتوجيه كتب الشيخ / مصطفى فتح الباب ، أحد أئمة المساجد فى بنى مزار بالمنيا :

ربى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ صحابته على أن قوام الإسلام « حسن الخلق » فهو الحارس الأمين ، والسياج المتين ، الداعى إلى الصدق فى القول ، والوفاء بالوعد ، والإخلاص فى العمل ، وأداء الواجب ، ومساعدة الضعيف ، والاعتماد على النفس ، والمثابرة على العمل ، والمحافظة على الوقت ، ومراعاة العدالة فى أمورهم ، وطاعة الله ورسوله ، والأخوة للمؤمنين ، وإعظام الجار وتكريمه ، والسمو عن صغائر النفس الإنسانية كالحقد والشحناء والتمادى فى الباطل .

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنموذجاً فريداً فى كل أقواله وأفعاله ، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط

بسخطه[1] ولم تبالغ السيدة عائشة – رضى الله عنها – لأن القرآن لم يذكر آية قيمة من القيم الأخلاقية إلا وكان لها مكانها الثابت فى شخصية الرسول – عليه الصلاة والسلام –.

ووصفه ابن أبى هالة بقوله : « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولاصخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح[2] ، وكان ﷺ أصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، وأشد حياء من العذراء فى خدرها ، خافض الطرف ، أكثر نظره التفكير ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، وكان ﷺ يحفظ جاره ويكرم ضيفه ، لا يمضى له وقت فى غير عمل لله.

يُحب التفاؤل ويكره التشاؤم ، وكان أرحم الناس وأشدهم إكراماً لأصحابه ، متواضعاً جمّ التواضع ، يعود المريض ، ويحب المساكين ، ويجالسهم ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يتميز على أحد من أصحابه ، فضرب لهم أروع الأمثلة العملية فى أفعاله وأقواله حتى أحبوه أكثر من أولادهم وأزواجهم ، بل أكثر من أنفسهم فجزاه الله – تعالى – خيرما جازى به نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه ، ولقد انعكست هذه التربية النبوية العملية على أصحابه – رضوان الله عليهم – مما لا يتسع المقام لذكره.

العين حق

اختلفت الأقوال – بين مؤيد ومعارض – فى تأثير ضرر عين العائن للمعيون ، وكذلك الضرر الذى يقع على المحسود من الحاسد ، وهذه محاولة طيبة من الأستاذ / محمد نجيب لطفى – من الفيوم – العدوة – لإثبات أثر العائن والحاسد وتأييده بالأحاديث النبوية الصحيحة :

لن أتعرض فى هذه العجالة لأقوال أهل العلم من المحدثين والفقهاء الذين يؤيدون أثر العين والحسد فى المعيون والمحسود ، إنما أكتفى بقول الله – تبارك وتعالى – على لسان سيدنا يعقوب : « وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ » (يوسف / ٦٧) ، وبقوله – تعالى – : « وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » (الفلق / ٥) ، ومن الأحاديث النبوية اكتفى بما يلى :

١ – عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ قال : « استعيذوا بالله من العين فإن العين حق » رواه ابن ماجة ، الحديث برقم (٣٥٠٨).

ولو لم يكن للعين ضرر من العائن للمعيون لما أمر النبى ﷺ أمته أن تستعيذ بالله من العين ولما أكد أن العين حق.

(١ ، ٢) راجع « شرح الشفا » للقاضى عياض.

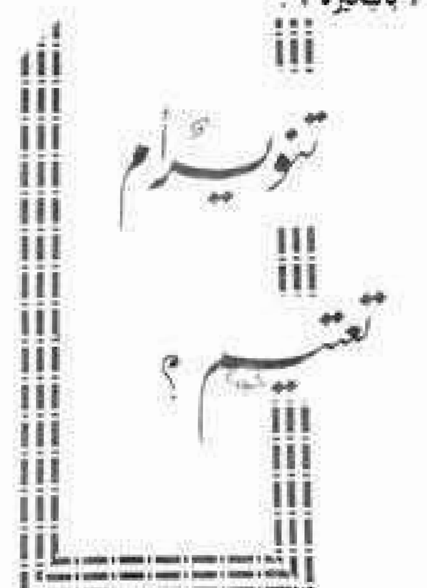
٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق » . الحديث متفق عليه . رواه البخاري (١٠/٢٠٣) ومسلم في السلام « باب الطب » ، وهذا الحديث ـ أيضا ـ دليل على تأثير عين العائن في المعيون .

ولو لم يصح عن النبي ﷺ سوى هذا الحديث بهذا اللفظ البليغ المعبر لكان كافياً للإيمان بتأثير عين العائن في المعيون ، لكن ينبغي العلم بأن إصابة المعيون كشفائه ، كل بتقديـــر الله ـ تعالى .. فأما أن تكون العين ذات أثر ذاتي .. فلا .

قال ـ تعالى : « وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ » (البقرة / ١٠٢) فإنه لا يقع في ملك الله ـ تعالى ـ إلا ما يريده .

لا يطلب تطبيق المذاهب الهدامة في مجتمع إسلامي إلا من كان قاصراً في معرفة الإسلام ، أو هارباً من المسئولية التي يلقيها الإسلام على كاهله في طلب الاستقامة ، وأداء الأمانة وتحقيق العدل ، والمساواة بين الناس .

من أجل هذا لا يملُّ دعاة الباطل من مهاجمة الإسلام ، ورميه بالجمود تارة ، وباتهام رموزه وعلمائه تارة أخرى ، حول هذا المعنى كتب الأستاذ/ أحمد محمود الطباخ المدرس الأزهري « بالبحيرة » :



إنهم يتهورون واقعنا الذي نعيشه في تلك المرحلة العصيبة الراهنة ثم يمزجون الأمور ويخلطون المفاهيم ويبشرون الظلام باسم النور والجهل باسم العلم ، والكفر باسم الإسلام هؤلاء .. أما يكفيهم ما تعانيه الأمة من ويلات وعلل وأدواء ؟

أما يرون أعداء الإسلام من خارجه لم يتركوا فرصة لمستزيد من داخله ؟

لقد ابتلي الإسلام بتيارات هدامة وقوى باغية ، وجهل من بعض أبنائه يدفعهم إلى تصرف غير مسئول .

نسأل الله ـ عز وجل ـ معرفة سليمة بدينه الذي تكفل بحفظ كتابه الكريم .

من الهدى النبوى فى الشراب

وأسهم الطالب / داود الطيب خليفة ـ معهد أبو تشت الأزهرى بقنا ـ بهذه الفوائد فى مجال الطب النبوى .

أخرج الإمام أحمد فى مسند ١/ ٣٣٨ عن ابن عباس أن النبى ﷺ سئل : أى الشراب أطيب ؟ قال : الحلو البارد .

كذلك قالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها : كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ : الحلو البارد .

وكان من هديه ﷺ الشرب قاعداً ، وصح عنه أنه نهى عن الشرب قائماً ، وذكر ابن قيم الجوزيه فى كتاب « الطب النبوى » بعض آفات الشرب قائماً ، منها : أنه لا يحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى يستفيد منه الكبد على الوجه الأكمل .

من ابداعات القراء

صرخة الأقصى

فاضت شجونى حين حلّ الموعد
يا مسجداً أسرى إليه محمد
كم من سنين وقد مضت يا أمتى
والمسجد الأقصى بنا يستنجد
لكننى رغم العداوة كلها
فى ساحتى طفل شجاع ساجد

نجاح عبد القادر سرور(*)
مدرس ثانوى بكوم حمادة / بحيرة

(*) نرحب بالشاعر الصاعد صديقاً للمجلة وفى انتظار إبداعات أخرى .

ردود وتعليقات

● **القارىء / أشرف صفوت أمين محمد ـ بتجارة القاهرة فرع بنى سويف :**

فى كلمتكم « خطبة النساء » تناولتم كثيراً من السلبيات التى تعوق إتمام الزواج فى مجتمعنا وتفتح الباب لغوائل الشهوة ، كنقض العهود والمغالاة فى المهور ، والحقيقة أنها مشكلة تواجه مجتمعاتنا وتحتاج من الآباء فهماً مستوعباً لأبعادها حتى يمكنهم تذليل عقباتها .

● **القارىء / عاطف عبد المنعم عصر ـ منيا القمح شرقية :**

ما أثرته من نقاط تتناقض مع البديهيات المسلم بها والمعلومة من الدين بالضرورة ، ولا تحتاج التحويل إلى لجنة الفتوى .

● **القارىء / محمود محمد أحمد أبو الدهب ـ بكلية التربية ـ جامعة الأزهر :**

مرحباً بك صديقاً دائماً وفى انتظار أفكاركم ،

مع الاهتمام بالإسناد العلمي وتخريج الأحاديث .

● القــارىء/ ش . ع . ا ـ أبــو حماد ـ شرقية :

● القارىء/ شريف صلاح مجاور خليفة ـ جامعة الاسكندرية :

أحلنا رسائلكم إلى جهة الاختصاص .

● القارىء/ أبو الخير سيد عبداللطيف مرسى ـ إهناسيا الخضراء ـ بنى سويف :

تلقينا كلمتكم عن « حرمة استحلال أموال الناس » .. ونرجو أن يتسع المجال لنشرها .

● القارئة/ سحر يحيى عبدالحميد ـ كلية أصول الدين ـ أسيوط :

محاولتك الشعرية طيبة من ناحية التعبير ، وتحتاج إلى بذل المزيد من الجهد فى دراسة أوزان الشعر وبحوره .

● القارىء/ عماد إسماعيل عبد المجيد ـ طب الأزهر ـ بأسيوط :

نرحب بكم صديقاً للمجلة وفى انتظار مشاركتكم ، والعمل على إصدار صحيفة أخرى تعضد رسالة « مجلة الأزهر » قيد البحث وأما عن الحديث الذى أشرتم إليه فسوف نعود إلى تحقيق مكانته من الصحة فى مراجعه ، إلى جانب دراسة أخرى ستقدم فى القضية فى أعداد قريبة .. مع خالص التقدير .

● القارىء/ عماد عبد العظيم ـ الفيوم ـ قرية الأعلام :

مرحباً بكم وبرسائلكم ، ونرجو الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية كاهتمامكم ببيان موقع الآيات القرآنية .

● القارىء/ السيد فخر الدين حسنين ـ الحاصل على إجازة التدريس ـ جامعة الأزهر :

كلمتكم « معنى آية من كتاب الله » كلمة جيدة ولكن نرجو الاهتمام بالإسناد العلمى فى الفكــرة والآية والحديث ، وفى انتظــار إسهاماتكم .

● القارىء/ عاشور محمد محمود أحمد ـ نجع حمادى ـ قنا :

نشكركم على تحيتكم الرقيقة ويمكنكم الاتصال بأى مكتبة إسلامية كبرى فى المركز أو المحافظة بشأن أسماء الكتب المطلوبة وأسعارها ، ونرجو المعذرة فيما طلبت لأنه خارج عن حدود تخصص المجلة .

● القارىء/ السيد على على عمر ـ بلقاس ـ دقهلية :

نأسف .. فليس لدينا قسم لمبيعات المجلة بعد نفادها من الأسواق ، كما أنها فى الغالب يتم توزيعها دون مرتجعات .. رجاء المعذرة .

● الشاعر/ سمير عبـدالله محمـد حسنين ـ المدرس الثانوى بالأزهر :

مرحباً بكم صديقاً دائماً للمجلة ورجاء إرسال المزيد من نتاجكم الشعرى .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى وسفير «الولايات المتحدة الأمريكية» بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته السيد / إدوارد بوكر «سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة» ، وقد استوضح السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء حكم الإسلام فى تأثير الإرهاب والتطرف على قضية السلام فى الشرق الأوسط ، وحقوق الإنسان إزاء موضوع الختان مشيراً إلى ما أثارته محطة «CNN» بإذاعتها لفيلم عن هذا الموضوع .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن تلك الاستفسارات بأن : الإسلام يحترم حقوق الأفراد والشعوب فى الحرية والاستقلال وتحرير الأرض المغتصبة مؤكداً على أن الإسلام لا يقر أية عمليات إرهابية من أى طرف من الأطراف ، وأنه يدين أية محاولة لعرقلة السلام وعدم استتباب الأمن .

وحول موضوع الختان (الخفاض للبنات) قال فضيلته : بأن الختان مقرر فى الإسلام حيث أوضحته السنة النبوية المطهرة ، وأن الأزهر قد أعلن موقف الإسلام من تلك القضية ، وأن الخطأ فى التطبيق لا يعيب القاعدة المقررة فى هذا الشأن .

كذلك أشار فضيلته إلى أن ما فعلته محطة «CNN» من إذاعتها وعرضها لفيلم تجرى خلاله عملية «ختان» وتزامن هذا مع انعقاد «المؤتمر الدولى للسكان والتنمية» فى القاهرة ما هو إلا استفزاز لمشاعر المسلمين ، وسخرية من شعب مصر ، وهو عمل مصطنع من هذه المحطة خاصة وأن مصر تقدمت إلى المؤتمر بورقة بما تراه فى هذا الموضوع مؤكداً على أن هذا الصنيع الذى أقدمت عليه تلك القناة التليفزيونية يعد أمراً لا يجوز فى ممارسة العمل الإعلامى .

الإمام الأكبر يستقبل الأمير بندر آل سعود

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سمو الأمير بندر آل سعود سفير «المملكة العربية السعودية» فى «واشنطن» ومدير جائزة الملك فيصل يرافقه الدكتور العثيمين الأمين العام للجائزة حيث تم خلال اللقاء بحث فكرة إقامة ندوة بالقاهرة فى رحاب الأزهر الشريف ، يتم خلالها لقاء الفائزين بجوائز جائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام ، وفى الدراسات الإسلامية ، والأدب العربى .

وقد اتفق على الإجراءات التى تتبع نحو تحقيق هذه الفكرة .

خطة جديدة للتوعية الدينية بالمحافظات

تقرر أن يبدأ خلال الشهر الحالى تنفيذ خطة جديدة للتوعية الدينية بجميع المحافظات من خلال عقد الندوات الدينيــة والفكريــة بالمدارس والجامعات والتجمعات الشبابية .

جاء ذلك فى الاجتماع الموسع الذى عقد بقاعة الاجتماعات ـ بالأزهر الشريف ـ برياسة فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ ، وحضور السادة : وزراء التعليم والأوقاف والإدارة المحلية والسيد الأستاذ رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة وممثلــو وزارات قطــاع الأعمــال والداخلية ، والشبــاب والرياضة والشئـــون الاجتماعية .

طالب فضيلة الإمام الأكبر خلال الاجتماع كافة الوزارات والمؤســسات والهيئات المعنية فى الدولة بمساندة خطة التوعية الدينية الشاملة باعتبارها خطة قومية لنشر الفكر الدينى المستنير فى شتى أنحاء البلاد .

كذلك طالب فضيلته القائمين على تنفيذ الخطة بضرورة الالتحام بالجماهير ومناقشة القضايا المثارة على الساحة مشيراً فى هذا الصدد إلى أن مصر مستهدفة بما لها من ثقل فى العالم الإسلامى بأزهرها ، وعلمائها .

ثم طالب فضيلته العلماء برصد محاولات خلخلة الصفوف وإثارة الفتنة مؤكداً على ضرورة مواجهة ذلك بالحجة المؤصلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفــة بعيــداً عن الخطب والمحاضرات التقليدية حتى تأتى الخطة بالنتائج المرجوة .

وسوف تتحرك قوافل التوعية الدينية والفكرية التى تضم صفوة كبيرة من العلماء فى كافة التخصصات لإجراء حوارات مفتوحة مع الشباب فى المدارس ، والجامعـــــات ، والشركات ، والمصانع ، والأندية ، ومراكز الشباب والسجون فى مختلف المحافظات على مستوى الجمهورية .

شهد الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود ـ وكيل الأزهر ـ ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف ، ووزارة الأوقاف .

الإمام الأكبر يلتقى والسيد وزير خارجية «جزر القمر»

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير / السيد محمد سقاف وزير خارجية « جزر القمر » وذلك بمكتب فضيلته .

تناول اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية « جزر القمر » فى المجالين : الدينى والتعليمى ، ومدى إسهام الأزهر فى عملية تعريب « جزر القمر » بعد انضمامها لجامعة الدول العربية لإحلال اللغة العربية تدريجياً محل اللغة الفرنسية فى شتى المجالات .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر فى ختام اللقاء عن سعادته للقاء السيد الوزير ، ووعد ببحث ودراسة كافة الأمور التى تم طرحها خلال اللقاء بمعرفة الجهات المعنية فى الأزهر الشريف تمهيداً لدعم سبل التعاون بين الأزهر ، وجمهورية « جزر القمر » فى مجالى التعليم والدعوة .

الإمام الأكبر يتفقد أحوال المتضررين

من السيول بصعيد مصر

قام فضيلة الإمام الأكبر على رأس وفد على مستو عال ضم فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد يوسف رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف ، وعدد من أساتذة الطب البشرى بجامعة الأزهر بزيارة محافظات : المنيا وأسيوط وسوهاج وقنا ، ومدينة الأقصر للوقوف - على الطبيعة - على الآثار التى خلفتها السيول التى تعرضت لها محافظات الصعيد خلال شهر نوفمبر الماضى .

وقد بدأ الوفد جولته بزيارة معسكرات الإيواء العاجل التى أقامتها وزارة الدفاع بتلك المحافظات حيث قام فضيلة الإمام الأكبر ، وفضيلة وزير الأوقاف بتسليم الأسر المتضررة بكل محافظة الإعانات اللازمة التى خصصت لهذا الغرض ، وقد بلغت تلك الإعانات نحواً من مليون جنيه بواقع خمسمائة جنيه لكل أسرة متضررة بتلك المحافظات .

كذلك عقد الوفد عدة لقاءات مع القيادات الدينية والشعبية والتنفيذية بالمحافظات ، شهدها السادة المحافظون حيث قاموا بالشرح للآثار التى خلفتها السيول وجهود الدولة والمجتمع لمواجهتها .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى جميع اللقاءات على ضرورة قيام القادرين بمد يد العون والمساهمة إلى جانب جهود الدولة التى لم تدخر جهداً فى مواجهة آثار تلك الكارثة ، وعلى ضرورة بدء العمل فى كافة المواقع مشيراً إلى أن اليسر لابد أن يأتى دائما بعد العسر كما أوضح ذلك القرآن الكريم .

وطالب فضيلته الكافة بالتعاون على بناء الدور التى تهدمت وإصلاح المزارع التى أهلكت ، وأشار إلى أن أمتنا - شأنها دائماً - أن تكون مع الحوادث أكثر تضامناً ومع الضرر أكثر نفعاً وألمح فضيلته فى هذا الصدد إلى أن هذه المحنة يجب أن تدعونا إلى أن نذكر ونتذكر ما وقع من أخطاء فى حياتنا أو فى صلاتنا بالله - سبحانه وتعالى - مؤكداً على ضرورة أن نراجع أعمالنا وأقوالنا .

استغرقت زيارة الوفد للمحافظات التى أصابتها السيول ثلاثة أيام فى ختامها قام الوفد بزيارة لمدينة الأقصر ، وهناك تم عقد لقاء دينى مع علماء الدعوة شهده السيد رئيس المجلس الأعلى لمدينة الأقصر .

الإمام الأكبر يشهد الحفل الختامى

لتدريب : « الأئمة والوعاظ » الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى للدورة التدريبية السادسة والعشرين « للأئمة والوعاظ » الوافدين من العالم الإسلامى ليكونوا قادرين على مواجهة التيارات الفكرية والتصدى لحملات التشكيك ضد الإسلام .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة : دعا فيها الأئمة والدعاة من الدارسين أن يكونوا قدوة حسنة فى أقوالهم وأفعالهم وأن يستفيدوا من العلم الذى نهلوا منه ، مؤكداً على أنه لا خير فى علم لا عمل به . كما أوصى فضيلته بأن يعملوا لله جاهدين فى نشر رسالة الإسلام ، وأن يكونوا دائماً على صلة فيما بينهم وألا تنقطع صلتهم ببعضهم بمجرد عودتهم إلى أوطانهم .

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع الشهادات على الأئمة المشاركين فى الدورة ، كما أهدى فضيلة الإمام الأكبر لكل دارس « مكتبة إسلامية » تحوى العديد من أمهات الكتب والمراجع .

شارك فى الدورة أكثر من أربعين داعية يمثلون دول : سيرلانكا ، والكاميرون ، ونيجيريا ، وساحل العاج ، وروسيا ورواندا ، واستراليا .

حضر الحفل السيد مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والدينية ، وفضيلة الشيخ محمد يوسف عقيقى الأمين العام للجنة العليا للدعوة ورئيس الإدارة المركزية ، ومدير مكتب ـ شيخ الأزهر ـ وفضيلة الشيخ المشرف على مدينة البعوث ، وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

علماء الأزهر الشريف يشاركون فى تطوير التعليم العام

عقد فضيلة الإمام الأكبر اجتماعاً موسعاً حضره السادة جمع من علماء الأزهر والجامعة الذين وقع عليهم الاختيار للمشاركة فى أعمال لجان تطوير مناهج التعليم بوزارة التربية .

وقد تدارس فضيلته معهم المهمة الموكلة إليهم فى تلك اللجان مؤكداً على ضرورة الاهتمام بمناهج « التربية الدينية » و« اللغة العربية » من خلال مراعاة الأصول التربوية وحضور الشخصية الإسلامية والعربية فى المناهج التى تقرر تطويرها .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود ـ وكيل الأزهر الشريف ـ ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية ـ لمكتب شيخ الأزهر ـ .

الإمام الأكبر يلتقي وقيادات

التعليم بالأزهر الشريف

عقد فضيلة الإمام الأكبر اجتماعاً موسعاً حضره مديرو المناطق الأزهرية والإدارات ومستشارو المواد المختلفة ؛ تم خلاله استعراض ومناقشة كل ما يتعلق بأمور التعليم بالمعاهد الأزهرية والوقوف على المعوقات التي تعترض مسيرتها .

كان من بين الموضوعات التي تمت مناقشتها ما تم تنفيذه من القرارات التي اتخذت في الاجتماع السابق ـ خاصة ـ ما يتعلق منها بموضوع الأبنية التعليمية التي اسندت إلى « شركات المقاولات » والوقوف على مدى انجاز تلك الشركات أو تقاعسها .

كذلك تمت مناقشة ضرورة مشاركة مجالس الآباء بالمناطق الأزهرية وقيامها بدور فعال في حل المشكلات التي تواجه الطلاب بالمعاهد الأزهرية .

كما تمت مناقشة الخطة الشاملة لمتابعة الدراسة بالمعاهد الأزهرية التي أعدها قطاع المعاهد ويتم تنفيذها بمعرفة المناطق التعليمية الأزهرية للوقوف على مدى التزام المعاهد وانضباط العملية التعليمية طوال العام الدراسي ، حيث تقرر في هذا الصدد أن يخطر قطاع المعاهد بنتائج الزيارات الميدانية التي يقوم بها مديرو المناطق وموجهو العموم بصفة منتظمة .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب ـ شيخ الأزهر ـ والسادة وكلاء الوزارة لقطاع المعاهد .

الإمام الأكبر يستقبل « سفير أندونيسيا » في القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد (بوري مونا) سفير أندونيسيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وأندونيسيا حيث عرض السيد السفير موضوع المنح الدراسية ، ومعادلة الشهادات الدراسية للمدارس الإسلامية في أندونيسيا .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث الموضوع بعد موافاة الأزهر بأسماء الطلاب وشهاداتهم وعرضها على لجنة المعادلات بالأزهر الشريف .

وفي نهاية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ تحيات بلاده حكومة وشعباً ، وشكره وتقديره على ما يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامي .

على هامش أعمال المجلس الإسلامى العالمى

للدعوة والإغاثة

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى ، مصطفى عبد المجيد

عقدت « الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » اجتماعها السادس بالقاهرة بتاريخ ٩ – ١٠ نوفمبر ١٩٩٤ برعاية السيد/ الرئيس محمد حسنى مبارك ، وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق – شيخ الأزهر – ورئيس المجلس ، وشهدها الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف نائباً عن الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء ، والأستاذ الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالأردن ، ونائب الأستاذ الدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى .

حضر الاجتماع وفود ثمان وأربعين منظمة وهيئة دولية إسلامية وخيرية ونحو عشرين ومائة هيئة ومنظمة دولية ، وقد بلغ عدد الحاضرين نحو ثلاثمائة مشارك يمثلون تلك المنظمات .

بدأت الجلسة الافتتاحية بآيات الذكر الحكيم

وقد ترأس فضيلة الإمام الأكبر – شيخ الأزهر – ورئيس المجلس الجلسة حيث ألقى فضيلته كلمة جاء فيها : أرحب بحضراتكم جميعاً فى هذا اليوم المبارك الذى نفتتح فيه أعمال « الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » فى دورتها السادسة ، هذا المجلس الذى كان أملا فأصبح واقعاً يجتمع تحت لوائه أكثر من أربعين هيئة ووزارة تعمل فى سبيل الخير والتنوير للعقول ، ونشر الدعوة الإسلامية ، هذه الهيئات التى يكتمل بها هذا المجلس تسعى فى الأرض للخير دائماً ونسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يزيدها قوة وترابطاً .

إن مهمة المجلس الأولى هى التنسيق فى عمل الدعوة والإغاثة وسائر مصالح المسلمين الاجتماعية ويشارك المجلس فى أنشطة الهيئات الدولية جميعاً . تلك التى تسعى لصالح الإنسانية وتعمل على جمع الكلمة ، وعلى وحدة الصف حتى يقف العالم الإسلامى شامخاً متضامناً متكاملا ؛ هذا ما يسعى إليه هذا المجلس ويود أن يكون تنسيقه عملا

وعاملا مهما فى إنجاح هذه المهمة ، مهمة التنسيق حتى تصل إلى الأهداف التى نرتجيها إن شاء الله .

كذلك ألقى السيد المشير / عبد الرحمن سوار الذهب كلمة أوضح فيها سيادته أهداف المجلس . والدور الذى يقوم به فى مجالات تبليغ الدعوة الإسلامية ، ونشر قيمها الإنسانية فى العالم ، وطالب سيادته بتدعيم المجلس بكل الوسائل حتى يستطيع القيام بالدور الهام المنوط به .

ثم ألقى بعد ذلك السيد السفير / الهادى حنيتش كلمة الأستاذ الدكتور حامد الغابد « أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى » التى أكد فيها على تضامن المنظمة وتعاونها مع المجلس فى سبيل خدمة مصالح الأمة الإسلامية .

ثم ألقى الأستاذ كامل الشريف « الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » بيان الأمانة العامة الذى رحب فيه بالحاضرين فى القاهرة ، بلد ــ الأزهر الشريف ــ والحضارة العربية الإسلامية ، وأعرب سيادته عن شكره وشكر المنظمات الإسلامية الأعضاء بالمجلس لحكومة مصر الرشيدة برياسة الرئيس محمد حسنى مبارك للدعم الكبير الذى تقدمه مصر لكل القضايا الإسلامية ، ولاسيما احتضانها للمجلس كمنظمة دولية مما أكسبه مكانة عالية ، وأعانه على السير فى سبيل تحقيق أهدافه ، كما قدم سيادته الشكر للأزهر الشريف ، ولفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وإلى وزارة الأوقاف لما يجده المجلس من تدعيم ورعاية .

وفى ختام كلمته قدم سيادته تعازيه وتعازى المنظمات الإسلامية العالمية فى أنحاء العالم إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى ضحايا الكوارث الطبيعية الأخيرة حيث أعلن سيادته عن تضامن المنظمات الإسلامية الإغاثية مع الضحايا والمتضررين ، ومد يد المساعدة الممكنة لهم .

وفى ختام الجلسة ألقى الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة الأستاذ الدكتور عاطف صدقى ــ رئيس مجلس الوزراء ــ التى وجهها سيادته للحاضرين ورحب فيها بضيوف مصر التى تؤيد كل عمل إسلامى مخلص يعلى مبادىء الإسلام والتسامح والحب والسلام ، ويحفظ حقوق الإنسان فى الأمن والحرية والكرامة ، وأشاد سيادته بدور المجلس فى مجالات الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتقديم المساعدات الإنسانية إلى المتضررين والمحتاجين متمنياً للمجلس والاجتماع كل النجاح والتوفيق .

أعمال الهيئة

ثم واصلت « الهيئة التأسيسية للمجلس » اجتماعاتها التى استغرقت على مدى يومين أربع جلسات ، ناقشت فيها بيان الأمانة العامة وتقارير السادة رؤساء اللجان المتخصصة حيث استعرضت عدداً من القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة ، وجهود المجلس فى مجالات الاتصالات الخارجية والندوات الدولية والمشروعات الإسلامية المشتركة ، وبعض المشروعات المالية والإدارية ، منها مناقشة : إعادة انتخاب الأستاذ/ كامل الشريف أميناً عاماً للمجلس للمرة الثالثة ولفترة جديدة .

بيان بالإنجازات

هذا وقد استمعت الهيئة التأسيسية إلى بيان الأمانة العامة للمجلس الذى تناول ما تم انجازه فى عدد من الدول الإسلامية فى مجال الإغاثة بأنواعها المختلفة من إغاثة عينية : كالغذاء والكساء والدواء والإيواء والخدمات الإنسانية : ككفالة الأيتام والأرامل والمهاجرين ، والخدمات الثقافية والتعليمية : كبناء المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس والخدمات الأساسية : كالطرق والمياه والمنازل واستصلاح الأراضى الزراعية ومراكز التأهيل .

عدوان صهيونى على الحرم الإبراهيمى

كذلك استمعت الهيئة إلى تقرير المؤتمر العام لبيت المقدس « بشأن » الإجراءات العدوانية التى ارتكبتها السلطات الإسرائيلية بالاستيلاء على جزء من الحرم الإبراهيمى فى الخليل ، وتحويله إلى كنيس يهودى ، كما استمعت الهيئة إلى بيان « الأمانة العامة » فى هذا الشأن وناقشت باهتمام بالغ أبعاد وأخطار هذه الجريمة وأصدرت بيانا فى هذا الشأن طالبت فيه حكومات الدول الإسلامية باتخاذ الإجراءات الكفيلة بدفع هذا العدوان ورد الحق إلى نصابه ، والحفاظ على وحدة الحرم الإبراهيمى الشريف مسجداً لا يجوز تجزئته أو سلب أى جزء منه باعتباره وقفا على المسلمين لأداء الصلاة ، وطلب العلم .

كما ناشد البيان « جامعة الدول العربية » « ومنظمة المؤتمر الإسلامى » « ومنظمة الأمم المتحدة » إدانة هذا العدوان الذى يستفز مشاعر المسلمين ، وأن تتخذ الإجراءات العملية الكفيلة بإيقاف هذا العدوان ، وفقا للصلاحيات المقررة فى مواثيقها ، كما ناشد البيان الشعوب والهيئات والمنظمات الإسلامية دعم الشعب الفلسطينى بكل وسائل الدعم الممكنة للوقوف فى وجه هذا العدوان الصهيونى الصارخ ، وأشار البيان إلى أن المسلمين كانوا — وما يزالون عبر العصور — يحافظون على المقدسات الدينية لغير المسلمين ويكفلون حرية ممارسة الشعائر الدينية للجميع إيمانا منهم بتعاليم الإسلام الحنيف ، وأنهم يتوقعون من الدول الغربية أن تقف بحزم ضد الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المقدسات الإسلامية والنصرانية فى فلسطين حرصا على الحق وتأكيدا لاحترام الأديان السماوية ومقدساتها .

المنح الدراسية ومشكلات الوافدين

كذلك ناقشت « الهيئة التأسيسية » المقترحات التى تقدمت بها « لجنة التعليم والدعوة » بشأن المنح الدراسية ومشكلات الوافدين فى الجامعات المصرية ، وما يتعلق بها من : مسكن وإعاشة وعلاج ، كذلك مشكلات الخريجين وتأهيلهم وتوفير المال اللازم لعودتهم إلى بلادهم بعد التخرج ووسائل الاتصال بهم بعد التخرج حيث قررت الهيئة الموافقة على مقترحات اللجنة ودعوة المنظمات المعنية بالمنح الدراسية إلى لقاء لمتابعة هذه التوصيات ووضع الخطوات لتنفيذها .

كذلك قررت « الهيئة التأسيسية » احالة المشروعات الأخرى المقدمة من اللجان المتخصصة إلى المنظمات الأعضاء لدراستها ، والنظر فى تمويلها أو التعاون مع المنظمات فى تنفيذها وإخطار الأمانة العامة بما يتم .

وعهدت إلى الأمانة العامة تقديم كل مشروع على حدة مرفقا به الدراسة المتوفرة عنه ثم إرساله إلى المنظمات المعنية .

الحملة ضد المسلمين فى فرنسا

كذلك استعرضت « الهيئة التأسيسية » أبعاد الحملة الإعلامية فى فرنسا ضد المسلمين الفرنسيين وما تبع ذلك من إجراءات إدارية ، وخاصة ما يتصل بقضية « الحجاب » حيث دعت الهيئة التأسيسية الحكومة الفرنسية إلى مراجعة هذه الإجراءات على ضوء تاريخها العريق فى الحرية الشخصية وحقوق الإنسان ، وطالبت الهيئة الحكومة الإسلامية ، والمنظمات الشعبية بذل المساعى لدى الحكومات الفرنسية من أجل احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

مؤتمر من أجل القدس

وبشأن عقد مؤتمر خاص « بالقدس » اطلعت الهيئة التأسيسية على بيان الأمانة العامة فى هذا الشأن وإلى تقرير السيد الأمين العام وإلى مداخلات الأعضاء والمشاركين فى الاجتماع ، وانتهت إلى إصدار عدة توصيات كان من أهمها : التأكيد على ضرورة عقد هذا المؤتمر لبحث ما تتعرض له من أخطار التهويد والحفريات وتغيير البنية الأساسية ، وعزلها بغرس المستوطنات حولها ، ولوضع « القدس » فى مكانتها الأثقة فى ضمير واهتمامات الشعوب الإسلامية على أن يتم عقد المؤتمر قبل مؤتمر القمة الإسلامية فى « كراتشى » فى العاشر من ديسمبر ١٩٩٤ ؛ وعهدت الهيئة إلى المؤتمر العام « لبيت المقدس » ومؤتمر العالم الإسلامى « بكراتشى » « والأمانة العامة » لوضع خطة عقد المؤتمر .

وقد أصدر المجلس بيانا بشأن « القدس » ناشدت فيه « الهيئة التأسيسية » الدول الإسلامية والعربية أن تنسق جهودها مع المنظمات الدولية لإيقاف الإجراءات الإسرائيلية وتأكيد الحقوق العربية الإسلامية فى القدس ، وأكد البيان أنه على إسرائيل ان تدرك أن العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يتعلقون « بالقدس » قبلة المسلمين الأولى وحرمهم الثالث ، ومسرى رسولهم الكريم ﷺ ، وأحد العواصم التاريخية ومركز الحضارة الإسلامية عبر عصور متعددة .

قرارات الهيئة التأسيسية

هذا وقد اصدرت « الهيئة التأسيسية » العديد من القرارات والتوصيات وكان أهمها :

- دعم وتكثيف المشاريع الصحية والتعليمية والإغاثية فى فلسطين المحتلة .
- دعم وتمويل مشروع « بناء كلية الدعوة والعلوم الإسلامية » (بام الفحم) .
- دعم وتمويل مشروع « كلية القدس المفتوحة » .
- دعم « مدرسة النهضة الإسلامية » فى مدينة القدس
- الإشادة بجهود مكتب التنسيق الإسلامى فى (زغرب) و(بيشاور) وغيرها من المكاتب وبالدور التنسيقى القائم بين المنظمات المشاركة فيها وبتوجيهاته الإيجابية فى التعاون مع المنظمات الدولية الإنسانية العاملة فى البوسنة والهرسك .

● حث المنظمات الأعضاء على تدعيم نشاطات مكاتب التنسيق الإسلامية لأداء رسالتها الإنسانية .

● التأكيد على ضرورة استمرار تقديم الإغاثة الإنسانية العاجلة إلى المهجرين الأفغان « والطاجيك » من خلال مكتب التنسيق الإسلامي في « بيشاور » وخاصة مع قدوم الشتاء وتعرض هؤلاء المهجرين إلى ظروف قاسية .

● التأكيد على ضرورة متابعة (قضية كشمير) وتمكين الشعب الكشميري من ممارسة حقه في تقرير مصيره بالوسائل التي أقرتها الأمم المتحدة ، ودعوة الهند إلى الانصياع لقرارات الأمم المتحدة تجنبا للفتن الطائفية ، وحفاظا على علاقاتهما الطيبة العريقة بالعالم الإسلامي .

● الإشادة بدور الأزهر الشريف ولجنة مسلمي إفريقيا في ميدان توفير احتياجات « نيجيريا » من الإغاثة العاجلة للمساعدة في إعادة ما دمرته الحرب الأهلية هناك .

● أعربت الهيئة عن اهتمامها بتأكيد الهوية العربية الإسلامية في (إرتريا) والإشادة باستعداد الأزهر لتوفير المدرسين والمعلمين إلى المدارس الإسلامية في إرتريا .

● أعربت الهيئة عن تمسكها بوحدة الأراضي السودانية ورفضها لكل الدعاوى والمؤامرات الرامية إلى تقسيم السودان ، وفصل الجنوب السوداني عن الشمال ، ودعت الشعب السوداني إلى إحباط مؤامرات التقسيم والانفصال بتمسكه بوحدته القومية ووحدة ترابه الوطني .

هذا وقد وافقت « الهيئة التأسيسية » بالإجماع على تجديد انتخاب السيد الأستاذ كامل الشريف أمينا عاما « للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة » للمرة الثالثة ولفترة جديدة .

برقية ورسالة إلى السيد الرئيس

وقد بعثت « الهيئة التأسيسية » في ختام أعمالها برقية شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسني مبارك على جهود مصر الكريمة في رعاية المجلس منذ إنشائه وتبرعها بالأرض اللازمة لبناء مقر المجلس ، ومنحه الحصانات والامتيازات كمنظمة دولية تعمل في القاهرة مما أكسبه المكانة العالمية المرموقة .

كما بعثت برسالة أخرى لسيادته أعربت فيها عن مشاعر الحزن والأسى لما أصاب الشعب المصري الكريم من جراء الكوارث الطبيعية التي ألمت به ، والإعلان عن تعاطف وتضامن الهيئات والمنظمات الأعضاء بالمجلس مع المتضررين والمصابين وأسر الشهداء ، معربة عن استعدادها لتقديم المساعدات الإنسانية الممكنة استجابة لواجبات الأخوة والتضامن مع الشعب المصري الشقيق .

برقية لسمو الأمير محمد الفيصل

كما بعثت الهيئة التأسيسية « برقية شكر لسمو الأمير محمد الفيصل آل سعود على تبرعه السخي لإقامة المرحلة الأولى من مقر المجلس بالحي العاشر » بمدينة نصر « بالقاهرة .

وفي ختام المؤتمر أدى السادة الحضور صلاة الجمعة في الجامع الأزهر الشريف بحضور فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ والأستاذ الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف .

أنبـــاء وآراء

د/ محمد محمد عتريس إبراهيم

من القدس بعث الكاتب نيجل سيفى / Spivey / إلى الملحق الأسبوعى لصحيفة « فايانشال تايمز » الشهيرة رسالة بعنوان : « رحلة إلى قلب الصهيونية » جاء فيها من الأنباء الهامة ما يشعر بأننا فى غفلة ، وما يدعونا إلى مراجعة النفس .

(١) قال الكاتب إنه سافر إلى الجزء الشمالى من صحراء النقب مدعواً لإلقاء محاضرة فى جامعة بن جوريون بمدينة بير شيبا[٢] . وكانت التعليمات الصادرة إليه ألا يرتدى سترة ولا رباط عنق ، ويكتفى بالقميص احتراماً لشخصية ابن جوريون[٣] الزعيم الإسرائيلى الذى كانت الجدية ديدنه (كما يقول الكاتب) والذى نبذ السترة ورباط العنق فلا يكونا عائقين عن التشمير عن ساعد الجد . وهكذا صبغ ابن جوريون رائد بناء هذه المدينة بصبغته الشخصية .

(٢) هذه المدينة أنموذج للأهداف الصهيونية : سكان جدد يصلون إليها كل أسبوع بانتظام ، والعمل يجرى تبعاً لذلك فى إقامة مساكن جديدة ومدارس جديدة وطرق جديدة ، والجامعة متخصصة فى البحث عن كيفية استخراج المياه ، وفى « بير شيبا الصحراء تتراجع أمام الزراعة » .

(٣) اليهود الروس يتدفقون على إسرائيل بأعداد ضخمة إلى حد أن علب اللبن فى محال البقالة تحمل إرشادات الاستعمال مكتوبة بالحروف الروسية ؛ ورغم هذا السيل المستديم من اليهود الروس المتدفقين على إسرائيل ، فليست هناك دلائل واضحة على وجود بطالة رغم الاستمرار فى استخدام العمالة العربية الرخيصة فى الأعمال اليدوية .

(٤) يجرى تعليم اللغة العبرية وفق أسلوب فنى مكثف ناجح نجاحاً جلياً .

(٥) مع أن اليهود مشهورون بالخشونة وذلاقة اللسان وحدته ، إلا أن الشقاق بينهم ضئيل إلى أدنى حد !

(٦) أخذوا الكاتب إلى إحدى المزارع الجماعية (كيبوتسيم ، وحدتها كيبوتس) . « لقد تعلمت من قبل كيف أتعرف على أعضاء هذه المزارع ، أعرفهم بسيماهم : الجدية والصرامة اللذين يولدهما نظام الحياة في الكيبوتسيم » .

(٧) كثير من هؤلاء الذين تربوا في هذه المزارع (أو المستوطنات) الجماعية يواصلون الطريق إلى المناصب العليا في إسرائيل . وكثير من أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلي مظهرهم يعطى الإحساس بأنهم أشخاص يعرفون كيف يحرثون الحقل ، والسبب في ذلك أن الكثيرين منهم قضوا حقيقةً سنوات الشباب في حراثة الأرض وزرع الصحراء .

(٨) منذ عام ١٩٦٧ ، وبعد احتلال الضفة الغربية ، لم يعد مطابقاً للحال وصف هذه المزارع الجماعية (أو بالأحرى : (المعسكرات) بأنها مستوطنات حدود (أى تقع على حدود الدولة) ، لكن العاملين داخلها يعيشون بعقلية المحارب (المتخندق) في معسكر تحوطه المدرعات . وهم يتبادلون جميعاً نوبات الحراسة على امتداد ساعات اليوم . وكل مدرسة يلاصقها مخبأ تحت الأرض مبنى بالخرسانة المسلحة .

أثارت هذه الأنباء الأشجان والفكر . في اجتماع استضاف رئيس وزراء اسرائيل كان بعض مرافقيه يرتدون « الطاقية » ، ولما سئلوا عن سبب ارتدائها قالوا إنها لباس أعضاء الحزب الديني في إسرائيل لا يخلعونه أبداً . فالطاقية وكذا القميص الذى اكتفى به ابن جوريون ؛ باتا رمزاً لمعنى معين يمثل الهوية ويحقق لها البروز ، ويبعث على الاحترام . فالزى ليس مجرد شكل وحسب ، كما يروج سيئو النوايا ، وإنما هو جزء جوهرى من المضمون .

وما بالنا لا نبدأ بأنفسنا ؟ ترى هل يضيق البعض بنقد الذات ؟

إلى صحراء النقب يصل إسرائيليون جدد كل يوم ، والحقول تزحف على الصحراء التى تتراجع وتنحسر . أما نحن ففى سباق محموم إلى تدمير الرقعة الخصيبة التى ساقها الله لنا من هضاب البحيرات والحبشة عبر النيل العظيم وعبر آلاف السنين . زرعناها أعمدة خرسانية وامتدت مبانى المدن والقرى من جميع الجهات لينصل بعضها ببعض ملتهمة ومدمرة كيلو مترات من الحقول الخضراء كانت تنتج لنا الطعام !

وجامعة ابن جوريون في صحراء النقب متخصصة في البحث عن استخراج المياه . أما نهر النيل وفروعه وقنواته فألقينا فيها العوادم والنفايات السامة المتخلفة عن المصانع ومجارى الصرف الصحى ، وأصبحت خطراً محدقاً بصحة النبات والحيوان والإنسان ـ أنخرب بيوتنا بأيدينا ؟

سيل اليهود الروس ينهمر ـ الآن ـ كل يوم ـ

على إسرائيل ، تلك البقعة الصغيرة المساحة ، المحدودة الموارد - أنّى لها أن تستوعب كل تلك الملايين ؟ أما برح أهلها عاكفين على حلم إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل ؟ وهل السوق الشرق أوسطية ، التى تعنى فتح أسواق المشرق العربى والمغرب العربى للاستثمارات الإسرائيلية وللمنتجات الإسرائيلية ، جزء من برنامج استيعاب ملايين الإسرائيليين ؟ أما الناس فى المساحات الشاسعة من الأراضى العربية من حول إسرائيل فضائقون ذرعاً بمواليدهم لا يريدون لهم أن يأتوا إلى الدنيا ، وضائقون ذرعاً بشبابهم ويأبون عليهم أن يتزوجوا وأن ينجبوا .

البرامج مكثفة لتعليم اللغة العبرية لكل إسرائيلى . إسرائيل تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت ، تفرضها على نفسها لغة رسمية : لا تخاطُب ولا تكاتُب بغيرها . لقد رأى جارنا اللدود أن أصوله ، أى لغته ودينه ، إذا فرضهما على نفسه فإنهما سيمكنانه من أن يفرض نفسه على من حوله ؛ هذا فى الوقت الذى تخرج فيه على صفوفنا طغمة العلمانيين وفلول الشيوعيين ، تروج للكتابة بالعامية ، إسهاماً إجرامياً من جانبهم فى العمل على تفريق الأمة العربية وضرب وحدتها - ذلك أن العربية الفصحى توحد بين الدول العربية ؛ أما اللهجات المحلية فيها فمختلفة لا يفهمها إلا أبناؤها المتحدثون فى دولتهم .

ويبغى هؤلاء الكيد للقرآن الكريم بالكيد للغته .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فما وهنت وأوهى قرنه الوعل

واليهود رغم أنهم مشهورون بالخشونة وحدة اللسان ، إلا أن الشقاق بينهم ضئيل إلى أدنى حد . قبل إنشاء دولتهم كان الشقاق بينهم قد بلغ مداه ، لكنهم رفضوا أن يسيل دم يهودى بيد يهودى آخر ، وأقاموا على هذا المبدأ لا يحيدون عنه . ولا عيب أن نتعلم من أعدائنا - غير أننا لسنا بحاجة لأن نتعلم من يهود ؟ فعندنا كتاب الله وسنة نبينا الكريم :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾

سورة النساء : ٥٩

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »

ألم يأن لنا أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ؟ هل نتعلم أن يصبر بعضنا على بعض عندما نختلف فى الرأى ؟ وهل نتعلم كيف نتعايش ويطيق بعضنا بعضاً .

الإسرائيليون يتسمون بالجدية ، وهمهم منصرف إلى تحقيق طموحات قومية كبيرة . وعلى الجانب الآخر نجد أنفسنا منغمسين فى اهتمامات صغيرة .

الإسرائيليون يتبادلون نوبات الحراسة على امتداد ساعات اليوم . ما هذا الرباط[1] الذى تعيشه يهود ؟ وكأنما نما إلى علمهم قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

سورة البقرة : ١٩٥

قال الزمخشرى فى « الكشاف » : روى أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصارى : نحن أعلم بهذه الآية ، وإنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا ، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها ، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ، فكانت التهلكة الإقامة فى الأهل والمال وترك الجهاد . جاء فى « التفسير الوسيط » لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر : الآية تحذير للمسلمين من التقصير فى الإعداد للقاء الأعداء ، حتى لا يصيبهم بغتة مكروه يهلكون فيه . والمعنى : ولا تتسببوا - بتهاونكم وغفلتكم - فى إلقاء أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، ومن ذلك ترك الغزو ، والتقصير فى إعداد الجنود والقادة ، وإهمال التحصين والتهاون فى الإنفاق .

بالأمس القريب وجه الرئيس مبارك فى خطاب له حديثاً إلى منتدى عملية السلام مع يهود ، فقال إن ثمانين بالمائة من قوات الجيش الإسرائيلى ترابط فى صحراء النقب على حدود سيناء ، فرئيس البلاد على علم بحقائق الأمور ، وينبه أبناء الوطن إليها .

هل نغرق فى حب الدنيا ، ونحن نلهث فى صفوف طويلة للحصول على « الآيس كريم » المستورد من أمريكا ، ونبنى أبراجاً تبلغ مساحة الشقة فيها مئات الأمتار وثمن الواحدة ملايين من الدولارات (الأهرام الاقتصادى ، ٣ أكتوبر ١٩٩٤) ؟ وهل نهدر الوقت والاهتمام والجهد فيما لا طائل من ورائه فى زمان وعالم لا مكان فيهما لمستهتر أو لاهٍ - ألا فليحذر الغافل أن يؤخذ على غرة !

---

(١) رابط مُرابطة ورباطاً : لازم الثغر وموضع المخافة .
والمرابطة : الجماعة من الناس والخيلة تلزم الثغر مما يلى العدو .
والثغر : الموضع يُخاف منه هجوم العدو

Le Sens Global de la Surate Al Fatiha

par Islam Abdel Raouf
Rania Nabil El Moghazy

Allah, dont Les Noms sont sacrés, nous a enseigné comment il faut Le louer, Le glorifier et Lui rendre l'hommage dont Il est digne. Il a dit ce qui a comme signification:

Oh Mes servituers, si vous voulez M'exprimer votre gratitude et Me rendre hommage, alors dite: Louanges à Allah Seigneur des deux mondes. Remerciez-Moi pour Mes bienfaitset Mes faveurs envers vous; Je suis Allah Le Majestieux, Le Glorieux, Le Maitre, L'Unique Créateur, Seigneur des humains, des dinnes et des anges, Seigneur des cieux et des deux mondes.

Je suis Le Miséricordieux, Plein de Miséricorde, dont La Clémence englobe toute chose, et dont La Grâce s'est répandue sur toutes les créatures.

Qu'Allah, Seigneur des deux mondes, - exclusivement digne d'adoration -, Soit honoré et remercié, en raison des bienfaits accordés à Ses serviteurs: en les créant, en leur assurant la subsistance et la perfection des sens, en guidant les créatures vers la joie en ce monde et dans celui de l'Au-delà.

Allah est en effet Le Maitre dont nul ne peut atteindre La Souveraineté; Il est celui qui reforme les affaires de Ses serviteurs, grâce à un système établit dans cet Univers, entièrement profitable au monde des humains, des plantes et des animaux: Un soleil sans lequel il n'y aurait ni vie ni mort, une nourriture apportant la subsistance aux humains, des eaux assurant la vie des plantes et des animaux.

Il est Le Maitre de la rémunération et du jugement , disposant du Jour Dernier tel un propriétaire disposant de ses biens; Il dit: «Que votre culte Me soit vouée exclusivement; et dites: Oh pour Toi notre Seigneur nous nous humilions, nous nous soumettons, nous nous apaisons, nous nous recueillons, nous Te vouons exclusivement le culte.

De Toi notre Seigneur nous implorons l'assistance pour T'obéir et pour être agrée par Toi, car Tu est Le Seul digne de tout honneur et toute glorification. Nul autre que Toi ne possède la pouvoir de nous venir en aide.»

Oh Allah, affermis notre cœur dans l'Islam, Ta religion véridique, avec laquelle Tu as envoyé Tes Prophètes et Tes Messagers, ainsi que le dernier des Prophètes.

Affermis notre foi, et fais que nous suivions la voie des élus, celle des Prophètes, des justes, des martyrs, des saints, quelle belle compagnie!

Oh Allah, fais que nous ne soyons pas parmis les désorientés qui se sont écartés de la bonne voie, ceux qui ne suivent pas la voie droite, ni parmi ceux qui se sont égarés de Ta juste Jurisprudence, ceux qui ont renié Tes Signes, Tes Messagers et Tes Prophètes, ils ont donc mérité Ta malédiction et Ta colère jusqu'au Jour Dernier.

Soumission sont dûes à Allah - qu'il soit éxalté - Il est celui qui soulage les peines , Il est le maître des âmes, Il les dirige et apaise en cas de préoccupation et de peine .

Quand tous les échappatoires sont bloquees dévant le Musulman , il fait ses ablutions , demande la protection d'Allah contre Satan et se di-ritge vers lui en disant : " Allahou Akbar " , Alors Satan s'éloigne de lui et la miséricorde d'Allah arrive à son aide, car il est près de ses bienfai-teurs .

La prière est l'un des fruits de la nuit du voyage nocturne et l'Ascension du Prophète Mohammad (b.s) dont il faut se rappeler en nous soumettent encore plus à Allah , Le Créateur , Le Bienfaiteur , Possesseur de l'immense grâce et cela en lisant le Coran qui nous guide à suivre la voie droite du Prophète (b.s) et à nous soumettre aux ordres d'Allah .

C'est grâce à cela que la nation Islamique assure son unité pour être comme le corps lorsque l'un de ses organes se plaint tout le reste du corps est en fièvre et en éveil .

La Bénédiction et le salut sont dûs a notre maître Mohammad et le dernier des Prophètes et des Messagers .

Note :

(1) " Il l'a vu " il s'agit de Gibril .
(2) Une Rak'a : unité de prière composée de deux géneflexions et de deux prosternations .

*****

la rapidité d'un éclair et qui a étè découvert actuellement] .

Ce voyage est un des signes d'Allah dont tous les actes sont parfaits . Le Coran nous explique dans la Sourate , " La Famille de ' Imran , 81 " , comment tous les messages d'Allah se confirment mutuellement, et comment les premiers ont aplanis le chemin à ceux, qui vont les suivre . Selon les hadiths de la Sunna concernant ce voyage , le Prophète (b.s) a présidè à une prière de deux Rak'as (2) avec les autres prophètes dans la Mosquée de Jérusalem .

Cette Imamat confié au Prophète Mohammad (b.s) était une preuve concrète de l'adhésion des autres prophètes à l'Islam qui était le dernier mot d'Allah envoye aux humains , après tous les autres messagers qui ont preparé les humains a le recevoir .

Le voyage nocturne (Al Israa) et l' Ascension (Al Mi'rag) constituent un évènement miracleux , qui à eu lieu a peu près vers la moitié du Message de Mohammad qui a durée 23 ans . Ce voyage agit comme un remedè qui a dissipé les maux précedents , et l' élement qui a aidé à la consolidation du Message dans l'avenir .

Le Prophète (b.s) a vu quelques- uns des miracles divins dans les royaumes des cieux et de la terre , ce qui l'a aidé a affronter les complots des incroyants en minimisant leur force . La résultat de ce voyage dont Mohammad (b.s) a été témoin , est que la prière a étè décreteé dans le plus haut des cieux et sur le point cumulaut de l'Arbre lotus de l'Aboutissement .

A cet égard le Prophète a dit : " Ce qui m'est le plus cher c'est la prière " . Ainsi lorsqu'il était préoccupé , il avait recours à la Prière , et disait : " Belal , apaise nos âmes par la prière " . La vraie dévotion et la

les écritures des arabes .

C'est ainsi que l' état de siège imposé aux musulmans prit fin . Au fil des jours , divers incidents se succédèrent jusqu' à ce que l'évènement grandisce du voyage nocturne et l'ascension du prophète eurent lui . En fait , Allah , par miséricorde à l'égard de Son Prophète , a voulu qu' il soit témoin de certains de Ses Signes .

L'axension du Prophète a étè en effet soulignée par le Coran dans la surate de Al Najm (L'étoile) : (Il l'a vu (1) en verité , une autre fois à coté de l'Arbrelotus de l'Aboutissement auprès duquel se trouve Le Jardin de la Demeure ; au moment oû l'Arbrelotus était enveloppé par ce qui le couvrait ... Il a vu les plus grands Signes de son Seigneur) [V.13 a 18] .

De tels verset affirment en effet la véracité de cet évènement : le Prophète (b.s.) , corps et ame , a bel et bien fait ce voyage au cours duquel les limites séparant les forces spirituelles des forces physiques commencaient a se dissiper . Tout ce qu' on considerè comme possible dans le monde spirituel n'est pas impossible dans les mondes matériels . A notre époque , grâce aux découvertes de la science moderne concernant les mystères de l'existence , la nature de la matière , est devenue aussi mysterieuse que celle de l'âme . Nul autre qu' Allah , Souverain de la terre et des cieux , ne connait l'étendue de l'une ni de l'autre .

Nous les musulmans nou croyons au voyage nocturne du Prophète Mohammad (b.s.) de la Mosquée Sacrée de la Mecque a la Mosquée très eloignée de Jérusalem , voyage durant lequel il fut emporté sur le dos d' "Al Boraq" [le mot Boraq est dérivè du mot "éclair", c'est à dire la charge électrique utilisée dans ce voyage , cela veut dire que le Prophète (b.s) a voyage grâce à un moyen de transport qui avance avec

société tous ceux qui s'étaient convertis à l'Islam ; il était interdit de leur acheter ou de leur vendre , ou de contracter des mariages avec eux .

Un document à cet égard , affirmant leur convention , fut suspendu à l'intérieur de la ka'ba .

En vue de mettre en application un tel traité, ces impitoyables arrogants voulurent imposer leurs croyances a leurs compatriotes, obligeant ainsi le Prophète (b.s.) et ses alliés à chercher refuge auprès de la tribu de Banou Hashem .

Tous les membres de la tribu de Abdel Motalib, qu'ils soient musulmans ou non , prirent leur parti , à l'exception de abou Lahab qui, s'opposant à la tribu de Banou Hachem , se joignit au Qoraichites .

Quoiqu'ils souffraient du manque des moyens de subsistance , les musulmans assiégés , aspiraient au soutient qu'Allah a promis à ceux dont la foi est sincère et font preuve d'endurance .

En effet, la ferme foi en Allah et dans le message de Mohammad remplissant le coeur des musulmans assiégés , les incitait à supporter une telle épreuve avec patience durant trois ans . Ils tenaient meme, en dépit de leur souffrance , à convertir les pèlerins à l'Islam en leur transmettant le message de Mohammad (b.s) .

Ainsi, leurs efforts furent courronnés de succés : les alliés de l'Islam devinrent de plus en plus nombreux alors que les puissants , s'opposant les uns aux autres , connurent des dissidenses . Les uns, s'interrogant sur la justesse de leur jugement revinrent sur leur engagement . Un Qoraichite alla meme jusqu' à déchirer le document du traité que les termites avaient entièrement rongé , à l'exception des mots " Au nom d'Allah notre Seigneur " , employés souvent comme prélude dans

En Commemoration du Voyage nocturne et de l'Ascension du Prophète Mohammad

Par : Rania Nabil el Moghazi
Eslam abdel Raouf Mohammad

Le voyage nocturne de la Mecque juisqu'à Jesusalem fait par le Prophète (B.S) , puis l'ascension du Prophète (b.s) au septième ciel constitiuent un évènement marquant dans l'histoire de son message .

Le coran a en effet souligné cet évènement grandiose dans le vesset 1 de la surate AL ISRAÂ :

(Gloire à celui qui a fait voyager de nuit Son serirteur de la Mosquée Sacrée (la Ka' ba) a la Mosquée très éloignée à Jerusalem dont nous awons béni l'enceinte, afin de lui montrer certains de Nos Sigines)

Cet évènement a en fait eu lieu alors que les grands et les puissants de la Mecque avaient cherché à resserrer l'étau autour des musulmans , en voyant l'Islam prendre plus de vigueur et sa réputation dépasser les frontierès de la Mecque .

Les Qoraichites , se rendant compte que les pérsecutions perpétrées et les souffrances qu'ils faisaient endurer aux disciples de Mohammad n'avaient - pas réussi à affaibbir la foi des musulmans , ni à arretêr l'extension de l'Islam , eurent recours à un moyen plus efficace : un traité , dont les clauses etaient signées par leurs chefs , banissait de la

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part VII

Rajab 1415 Hijrah, December 1994

Section Française

In a preliminary introduction to giving alms, the researcher makes sure that in every society there are two kinds of people: the able and the unable, the fortunate and the unfortunate. The highly productive and the unproductive and so on, All these should have the right to enjoy the fruits for their own work. However, the society should not forget the rights of the poor and those in need because they are the responsibility of the entire community. They have a right in the wealth of the rich. The researcher reiterates the word <u>right</u> not a charity



24. And those in whose wealth is recognized right
25.for the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking).

From this verse, it is concluded that it is not within the power of the wealthy to deny the poor "Zakat" which means purity and increasing. This implies that "Zakat" or alms giving is to purify the wealth from illegal gains.If however, after alms giving is collected from the wealthy, it was found that the needs of the poor has been fulfilled, it then becomes mandatory on the those wealthy people to pay more in the form of charity or benevolence until the re quirements of the poor are completely satisfied. Charity is a matter entirely left to the intention of the believers, whereas, "Zakat" is a matter imposed on the state.

the researcher ends by saying that the poor may not be able to appeal to the authorities for help. This is clearly seen in many Muslim and modern societies where social benefits go unclaimed by the needy and the deserving . The Muslim is made to feel responsible for the poor whom he knows. It is a well known fact in Islamic tradition that : He whoever goes to bed on a full stomach while his neighbour goes hungry , is not a Muslim ."

Islam in foreign media

Part III

by: Magdi A. Bashire

The researcher, in these few lines offers an exiting image of economic freedom in Islam, a product of economic justice. Islam's instance on this kind of freedom stems form the fact that every individual is responsipole for the results of his behaviour. Therefore it lays emphasis on the right to property and ownership, a matter inherent in the teachings of the prophet Islam, however, has restricted the means of gaining wealth. A good wealth could be formed either by hard work or by using and risking one's capital in legitimate means of trading. The absence of these legal means would make gains illegal except, of course, if acquiring the fortune by inheritance or being a gift.

The need for risking one's wealth should never be achieved by the monopoly of essential commodities. It is equally unacceptable and illegal to make vast and tremendous profits by exploiting innocent people. This is clear in the prohibition of salesmen from the town selling their products at higher price than that of ,the market to nomads or villagers outside the city relying basically on the ignorance of those buyers. The profit made from such transactions is illegal. When one gathers a lot of wealth through acceptable means, this wealth is not to be his property but, rather, as the researcher explains, he is a trustee of this wealth whose the real owner is 'Allah' the Almighty with this concept, one can use, enjoy or spend money but not to waste or destroy it. Ownership, however is considered in Islam to be ultimately that of the community and therefore, the interests of society have to be protected against and from the greediness of powerful individuals.

than those that are revolting and disgusting. And by so doing, they would have substituted the real actual words for ones that are ambiguous and indirect, since the former are quite offensive being loathsome. This technique is known in English as Euphemism, that is using pleasant wording.

The draft or the recommendations presented by the secretariat of the conference to the delegations to be admitted, stipulate the permission of great offenses and vile deeds.

But the draft used the word Homosexuality in place of both the two words Somody and Lesbianism, Extramarital Sex instead of Adultery and the term Premarital Sex in place of Fornication. Thus the secretariat of the conference used words that do not carry any shadow of revolting connotations found in such words as Lesbianism, Somody and Adultery.

This deceitful, sly and wily methods used in the wording with the intention of propagating foul goods that is in itself corrupting, led to a waste of time. A whole week or even nine days from the period of the conference has been spent in discussing one paragraph only : paragraph 25, chapter 8. This paragaraph stipulated that abortion should not be encouraged as a means of family control, rather governments should deal with abortion and regard it as one of the most important matters concerned with health. The representative of the Vatican city state went through a vicious fight in order that the wording of this paragraph should not carry any interpretation that could be taken as a stipulation of the right to abortion.

As for development, which is the second part of the title of the conference, hardly any time was left for its discussion and was given nothing out of the sum of the 17 billion dollars allocated by the document of the conference to the program of Reproductive Health in the world, that is the programs of birth control and contraceptives.

In the field of wording and ambiguity, the secretariat of the conference coined a new term which is "Single-parent-family" and asked for its recognition. Of course it is taken for granted that a family cannot have a child without the existence of both parents : the father and the mother. However, pregnancy nowadays in the west, is mostly fornication after illegal sexual intercourse and promiscuity became very common. A woman could now get pregnant by an illegal father whose identity, place of residence and country are unknown. When she gives birth, the child is named after his mother and legally carries her name, and that's how the family becomes a single-parent-family.

The blaze of sex, with all its abnormalities and pervertiness, has overwhelmed the people of the west and it started now to harvest their lives. It also seems that the west is fully intended on dragging with it those that are facinated by its materialistic civilization, dragging them into the swarthiness of the stinking swamp.

ON THE ENGLISH WORDING OF TERMS

MENTIONED AT THE ICPD HELD IN CAIRO

Written by Mohamed M. Atris Ibrahim
Translated by : Dr. Laila Abdel Rasik

Some Islamic countries had reservations concerning some of the words that were used in the text dealing with the world program mentioned in the documents of the conference concerning the stabilization of the population increase after the year 2000. This is a very complicated program and highly costing. The document has alloted a sum of 17 billion dollars for the program of reproductive health in the world in the year 2000 to be increased to 21.7 billion in the year 2015.

A lot of arguments have been raised about what is meant by reproductive and sexual health. Some Islamic countries are of the opinion that the new meaning has many connotations related to pornography and licentiousness, which made them refuse that term. Commenting on this point, the financial representative of the London Times, Mark Nicholson said : "Most of the negotiations that took place in the conference concentrated on how to get rid of the bad connotations while, at the same time, using the international definition as set by the western specialists in health affairs; this definition being important for a completely new field, the field of health care." Consequently, we find the transference of interest from the concentration on reproduction to a broader notion that includes mother's health and woman's rights together with the recognition of both the pleasure and rapture necessary for their sexual life.

The Vatican city state, together with some other stern Catholic countries have protested against using the expression of Reproductive Health with the aim of getting rid of what could be taken as an acknowledgment of abortion.

This wording and others that will be mentioned later, entail ambiguity and equivocation. It could be said taht this is done intentionally. For perhaps those heading the secretariat of the conference aimed at using words that bear pleasant connotations

Only believers could accept and comprehend the Prophet's (MPBUH).

Holy Journey, up held by Allah the great, to watch the seven skys. In the first sky, he saw Adam (PBUH), the second, Jesus and John (PBUTH), the third, Joseph (PBUH); the fourth, Idris (PBUH); the fifth, Harun (PBUH); the six, Moses (PBUH); the seventh and last sky, Ibrahim (PBUH), "the father of all prophets". Moreover, Prophet Muhammad was able to watch many seens of doomsday and the conditions of people designated to Heavens and those designated to Hell. The most important incident, on that night, was the assigning of the five prayer to every muslims.

On one hand, disbelievers would say that it is impossible for such a story to have happened. On the other hand, believers find it logical and could have easily happened. Believing doesn't envolve hearts only, but involves minds together with hearts. Hearts of believers say that Allah can do anything at anytime, regardless of how and why he does it. Innate and pure intellects confirm this fact, too. For it is a false asumption to believe that the sense of man is the measure of things. This would be a subjective way of viewing reality, while the modern scientific view is merely objective. To clarify; if we can percieve what happened to prophet Muhammad (MPBUH), with our narrow individual materialistic measures, we are hence using a false mirror which receives rays in an irregular manner, distorting and discolouring the true vision of reality. What happened is something beyond our sensual perceptions and the laws ruling nature on earth. However, since science says that "velocity - speed — is directly proportional to power", therefore, Allah the Most Powerful can easily let overwhelming actions happen in no time.

If we are talking about "Allah", we are talking about the Eternal and the Most Great Creator of the Universe Who manipulats laws of nature according to His own will. His manipulation of laws of nature is limitless, and since he is the Sole Creator Who has no partner, therefore, no contradictions may occur. Thus, Prophet Muhammad's (MPBUH) "Journey by night and his bodily ascension" is a phenomena that deserves investigation. It could lead us to construct higher correlations among the various scientific methods of measuring the validity of any phenomena which may happen in our universe. At the end, science will be a firmly consolidating asset to Faith.

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

"Glory to (Allah) Who did take His servant for a Journey by Night from the Sacred Mosque to the Farthest Mosque, Whose precinds We did bless-in order that We might show him some of Our signs for He is the one Who Heareth and Seeth (all things)." * Sura XVII Bani Isra-il, or Al Israa'." Verse number 1.

---

* The Holy Quran — An Interpretation of A. Yusuf Ali English translated version.

A JOURNEY BY NIGHT
(Al Israa' & Al Mi'raj)

Presented by : Wiaam Kamal Gabr

One day, Abu Jahl — one of Prophet Muhammad's Uncles - passed by the messenger of Allah (MPBUH) while he was sitting in the mosque and asked him cunningly if he had learned something new last night. Prophet Muhammad (NPBUH) answered positively that Allah the Great had taken him on a journey by night to the "Farthest Mosque".

Abu Jahl unbelievingly said : "But how come you are among us at this moment ?!"

When Abu Jahl announced that to the rest of the tribe; some believed and others accused the Prophet (MPBUH) of lying. The disbelievers couldn't comprehend that prophet Muhammad (MPBUH) could have gone on a journey from Mecca to Palestine and return the same night. This is quite a long journey, that even a caravan would take at least two months to complete. In fact, they denied the great Divine Poetency and Allah support to his messenger, who did not travel all this journey on the back of a camel but rather on the back of a unique Mystic courser accompanied by Angle Gabriel (PUH).

It wasn't a fakery but a true story with more than one indicator to ascertain it's authenticity. For example; Prophet Muhammad (MPBUH) sold them about a camel that ran away from the caravan in a specific place in the desert.

Moreover; the messenger (MPBUH) told them about Quraish's merchant caravan that was preceeded by a grey camel with two different blazes in forehead.

The Prophet's truthfulness was then proved after the disbelievers sent their men to find out, and confirmed despite this confirmation of what he said. The Prophet's (MPBUH) truthfulness, the disbelievers couldn't understand how Muhammad (MPBUH) was able to spend only one night going to the "Farthest Mosque" and returning to Mecca, let alone comprehending the ascension journey, Mi'raj which also occured in the same night.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part VII

Rajab 1415 Hijrah.

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهــــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين



من ساداتنا التابعين الأوائل محمد بن كعب ابن سليم بن أسد القرظي ، رأى جمعاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع منهم وروى عنهم .

تميز - رحمه الله - تعالى - بأكثر من ميزة ، حسبنا منها هنا ثنتان :

دراسته في القرآن الكريم دراسة واعية ذات مقدرة على الجمع والإحاطة والشمول ، ثم طرحه تلك الدراسة في كلمات جامعة تستمد صدقها من كتاب الله - تعالى - تحسبها إذ تقرؤها - أنها من أيسر السهل لكنها - بحق - السهل الممتنع ، إلا على من أنعم الله - سبحانه - عليه من أمثال محمد بن كعب القرظي الذى قال عنه ابن سعد - صاحب الطبقات : كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً .

الثانية : حصيلته ـ في الحديث الشريف .

ونحن ـ بصدد دراسته في كتاب الله ـ تعالى ـ نقول ـ نقلاً عن ابن حجر[1] :

« جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من طرق ـ أنه قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« يخرج من أحد الكاهنَيْن رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحدٌ يكون بعده » .

قال ربيعة : فكنا نقول : هو محمد بن كعب .

والكاهنان الواردان في الحديث هما : قريظة والنضير .

من روائع ابن كعب ونظراته في الكتاب العزيز قوله :

« ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البَغْي والمكر والنَّكْث ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[2]

أسندها النسفي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ مع الآية الأولى في موقعها من سورة يونس إلى محمد بن كعب ، وذكرها ابن قتيبة في (عيون الأخبار) غير مسندة ١١٦/١ .

ونشط ابن قتيبة ـ رحمه الله فجمع ـ في نسقها ـ ضروباً من الحكم ، فقال :

« وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي ، ولا صحة مع نَهَم ، ولا ثناء مع كِبْر ، ولا صداقة مع خِبٍّ[3] ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا بِرّ مع شُحّ ، ولا اجتناب مُحَرَّم مع حرص ، ولا محبة مع زَهْو ، ولا ولاية حُكْم مع عدم فقه ، ولا عُذْر مع إصرار ، ولا سلامة مع ريبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سُؤدد مع انتقام ، ولا رياسة مع غرارة وعُجْب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات مُلْك مع تهاون وجهالة وزراء » .

وليس عسيراً رَدُّ ما نقل ابن قتيبة إلى الثلاث من كتاب الله ـ عز وجل ـ فإن البغي ـ وحده ـ كفيل بجمع معظمها من كِبْر ولؤم وشح وسوء أدب ووُلوغ في الحرمات وزهو وجهل ... إلخ .

نسأل الله ـ تعالى ـ غفراناً ورشداً .

د. علي أحمد الخطيب

---

(١) التهذيب : ٩ / ٤٢١ .

(٢) الآيات على الترتيب : يونس ٢٣ ، فاطر ٤٣ ، الفتح ١٠ .

(٣) الخِبّ : الغاشّ الخادع .


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر





بقلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان .

وفي رواية لأبي داود قالت :

كان أحب الشهور إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت :

لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان .

وفي هذا دليل على ما كان لشهر شعبان في الإسلام من مكانة خاصة بين الشهور فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

وفي الحديث الذي رواه النسائي عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال :

قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : ﴿ ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ﴾ .

قال الشوكاني : ولعل الحكمة في صوم شهر شعبان أنه يتعقبه شهر رمضان ، وصومه مفترض فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين من غيره لما يفوته من التطوع الذي يعتاده بسبب صوم رمضان .

ومن الأحداث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر المبارك تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة .

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال :

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾

البقرة ـ ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود :

﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ ..

سورة البقرة

فصلى مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال وهو يشهد أنه صلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :

« بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة » .

وفي رواية للنسائي عن سعيد بن المعلى ، أن أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت : (صلاة الظهر) .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان في شعبان من السنة الثانية للهجرة .

وقد امتن الله على المسلمين باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل ، فقال تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ..

البقرة ـ ١٤٤

ومن مكارم هذا الشهر المبارك ما روى عن ليلة النصف منه ، وما كان يخصها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعبادة متميزة تبيانا لفضائلها .

ففي الحديث الذي رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » ..

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« يطّلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : ياعائشة ، أو ياحميراء : أظننت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خاس بك ؟ قلت : لا والله يارسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .. رواه البيهقى وقال إنه مرسل جيد .

ومعنى (خاس بك) أى غدر ، وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لها : « أظننت أنى قد غدرت بك وذهبت إلى إحـــدى نسائى فى ليلتك ! .. »

هذه الأحاديث وغيرها تُعْلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها وصوم يومها ؛ طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يُتعبد به فى هذه الليلة المباركة الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به فى هذه الليلة المباركة على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ماعلّمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة والصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا ولم يؤثر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعاء خاص فى هذه الليلة .

ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جوامع الدعاء إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء : الإخلاص ، والإقبال على الله ، فادعو الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله ـ لاسيما ـ فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم بالحفظ والرعاية والتوفيق .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

فتوى للإمام الأكبر

فيما إذا كان عدم الإنجاب يجيز فسخ الزواج

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / أحمد .م.ا ـ قال المستفتى :

بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢ تم عقد قرانى على آنسة ، على مؤخر صداق قدره ألفا جنيه مصرى ، وتم تحرير قائمة منقولات زوجية بمبلغ وقدره ثمانية آلاف جنيه . وتم الدخول وعاشرتها معاشرة الأزواج مدة تزيد على العام ونصف العام ، وكانت طيلة هذه الفترة تخبرنى باستمرار بنزول دم الحيض عليها وكان والداها يؤكدان ذلك بإخبارى بأنها مرهقة من الحيض كلما قمنا بزيارتهما .

وذات يوم فوجئت بها تصارحنى القول بأنها مريضة بمرض خلقى وهى قد ولدت به وهو عبارة عن ضمور بالرحم ، ووجود مبيض واحد فقط وتكيّس بالمبيض الآخر ، مما نتج عنه عدم نزول دم الحيض عليها مطلقا طيلة حياتها ، وبالتالى انقطاع الأمل بتاتا فى الإنجاب لعدم حدوث حمل ، وهذا ثابت بتقارير قدمتها لى بتواريخ سابقة على زواجنا بأكثر من سبع سنوات ، ومن هول المفاجئة لم أصدق ما سمعت فقمت بعرضها على صفوة الأطباء المختصين بأمراض النساء فأكدوا لى بعد التحاليل والمناظير باستحالة الحمل والإنجاب .

لذلك نلتمس من سيادتكم إصدار فتواكم طبقا للرأى الراجح من الجمهور وشرح الأدلة الثابتة له فى الأسئلة الآتية :

١ ـ هل هذا العقد به غرر وتدليس وغش ؟ وهل يجوز فسخ العقد لذلك ؟ .

٢ ـ هل هذا العقد لازم أم غير لازم لتخلف خيار العيب ؟

وهل ما بالزوجة من عيب يجيز فسخ العقد مع العلم أن ما بها لا يمنع الاستمتاع ولكنه يتعدى إلى عدم الإنجاب وهو الهدف الأول من الزواج ، وخصوصا أن الإنجاب من الأصول الشرعية التى حافظت عليها الشريعة الإسلامية ؟

وهل احتمال الغرر والتدليس والغش والعيب يعطى الحق للزوج فى ردّ هذه الزوجة ؟ مع الرجوع على وليها الذى غرّر بالزوج بالمهر ؟

٤ ـ وما هو حق الزوجة فيما دون بقائمة المنقولات مع العلم أن الزوج تكفل بها كلها إلا

أدوات المطبخ الخفيفة ، وهو عبارة عن أثاث لثلاث حجرات وصالة والأدوات الكهربائية ؟

٥ - وماهي الحقوق المالية التي تستحقها هذه الزوجة من نفقات ؟

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

(أحمد م.ا)

(والجواب)

أولا :

المبادىء :

شرع الله سبحانه وتعالى الزواج سكنا للزوجين ، ومودة ورحمة بينهما قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك[2]

فينبغي أن يكون أهم ما يقصده الرجل عند تخيره الزوجة ، أن يتخير ذات الدين والخلق ، فإن اجتمع مع الدين جمال أو مال أو حسب كان ذلك خيرا وأهنأ ، وشأن الدين أن يدفع الافتتان بالجمال والمال والحسب .

ندبت الشريعة الإسلامية إلى أن يرى الخاطب وجه مخطوبته وكفيها لتصح رغبته فيها ويطمئن إلى التزوج بها من غرر أو تدليس تجعله يندم أو يعدل عن خطبتها قبل إتمام الزواج بها ، فقد روى عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم : « **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** »[3] أي يصطلح الزواج بذلك ويكون به الألفة والوفاق وتحصين النفس إعفافها .

عني فقهاء الإسلام ببيان معنى الزواج ، ففي المذاهب الأربعة اختلفت عباراتهم في تحديد معنى النكاح ، ولكنها كلها ترجع إلى معنى واحد : « وهو أن عقد النكاح وضعه الشرع ليرتب عليه انتفاع الزوج ببضع الزوجة وسائر بدنها ، من حيث التلذذ »[1] .

فأثر عقد الزواج حل استمتاع كل من الزوج والزوجة بالآخر الاستمتاع الطبيعي الذي تدعو إليه الفطرة ، وليس أثره ملك الزوجة ذاتها ، ولا ملك منفعتها .

ذكر الفقهاء من شروط انعقاد الزواج أنه يشترط في المعقود عليها أن تكون محلا لعقد الزواج ومحلية المعقود عليها عقد الزواج أن تكون أنثى محققة الأنوثة فلا ينعقد الزواج بالخنثى المشكل وهو الذي لا يستبين أمره ، فلا هو رجل حتى يلحق بالرجال ولا أنثى فيلحق بالنساء ، فلو أجرى عقد الزواج على خنثى مشكل كان عقدا باطلا من أساسه لعدم تحقق شروط الانعقاد وهو محلية المعقود عليها للزواج .

كما يشترط في المعقود عليها ألا تكون محرمة على العاقد تحريما قطعيا لا شبهة فيه ، فإذا كانت محرمة عليه كان زواجه بها باطلا ، لعدم المحلية الأصلية أيضا وذلك مثل المرأة التي هي للرجل كأمه وبنته

---

(١) الآية ٢١ من سورة الروم .

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح .

(٣) كتاب أحكام الأحوال الشخصية للدكتور / عبد الرحمن تاج ص ١١ .

(١) الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الرابع ص ٢ قسم الأحوال الشخصية .

وأخته وعمته وخالته ومثل المرأة المتزوجة بزوج آخر وكذلك من أساسه[٥].

جاء في الفقه الإسلامي، من شروط الزواج أن تكون المرأة المعقود عليها محلا للعقد بالمعنى الخاص وهو ما يسمى بالمحلية الفرعية، وهذه المحلية غير تلك المحلية الأصلية التي جعلت شرطا في الانعقاد، فإذا لم تتحقق هذه المحلية الفرعية كان العقد فاسدا، وذلك بأن تكون المرأة المراد العقد عليها من المحرمات على الرجل بدليل ظني، أو كان تحريمها مما يخفى ويشتبه أمره. وذلك كتزوج المعتدة من طلاق بائن وتزوج أخت المطلقة التي لا تزال في العدة، وكالجمع بين امرأتين كلتاهما محرم للأخرى كالعمة وبنت أخيها. فالزواج في هذه الحالات فاسد لعدم المحلية الخاصة، ولا يحل فيه الدخول بالمرأة، ويجب التفريق جبرا إن لم يتفرقا اختيارا[٦] .....

قال فقهاء المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة: أن للزوج خيار فسخ الزواج إذا كان بالزوجة عيب من العيوب الآتية: «البرص - الجذام - الجنون - الرتق - القرن» لأن تلك العيوب مانعة من استيفاء المنافع التي من أجلها شرع الزواج إما حسا كما في «الرتق والقرن» وأما طبعا كما في الجذام والبرص والجنون، ومعنى الرتق انسداد مدخل الذكر من الفرج فلا يمكن من الجماع سواء كان الانسداد بغدة لحم أو بعظم، والقرن شيء يبرز في الفرج - كقرن الشاة[٧]، أو معناه غدة تمنع المخالطة.

أما الفقه الحنفي فيقرر أنه لا خيار للزوج بسبب عيوب الزوجة مطلقا، فلا ينفسخ بها الزواج، لأنها غير مانعة من حصول المقصود من الزواج ثم هي عيوب قد ينفع فيها العلاج، فيزول به المانع، هذا إلى أن الزوج يستطيع فراق زوجته بالطلاق، فلا حاجة إلى الفسخ[٨].

اتفق فقهاء الإسلام على أن عقم المرأة وعدم انجابها ليس عيبا فيها يمنع الزوج من حصوله على حقه في الاستمتاع ببضعها أو التلذذ بجميع بدنها، لذلك فليس للزوج خيار فسخ عقد زواج زوجته التي لا تنجب لأن الإنجاب وعدمه مرده إلى إرادة الله القائل في كتابه الحكيم:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٩].

ثانيا:

على ما تقدم من مبادىء نجيب على أسئلة السائل بما يلي:

أ - ليس بعقد زواج السيد / أحمد . م . ا . والسيدة التي تزوجها غرر وتدليس وغش لأن كلا الزوجين مكلف بالبحث عن الآخر لتتحقق رغبتهما باختيار كامل، وما ذكره الزوج من عدم إنجاب زوجته لعدم حيضها لا يعد من العيوب التي تجيز للزوج فسخ العقد، ولأن الزوج لم

---

(٥) أحكام الأحوال الشخصية للمرحوم الدكتور عبد الرحمن تاج ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٧) الجزء الرابع من فقه المذاهب الأربعة ص ١٨٣ .

(٨) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٩) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الشورى .

يذكر في سؤاله أنه سأل الزوجة أو أهلها قبل العقد عن حالة الحيض أو الإنجاب فأجيب بخلاف ما ظهر له بعد العقد ، لهذا فلا يفسخ عقد الزواج المسئول عنه ، لا اختيارا ولا جبرا لأن الزوج يملك طلاق زوجته ولا يوجد وجه شرعي للفسخ في هذه الواقعة .

ب ـ هذا العقد لازم لاستكماله شرط انعقاده وشرط صحته المبينين فيما سبق ، وليس هناك عيب يجيز خيار الفسخ للزوج حيث اعترف باستمتاعه بزوجته ، وحصوله على المقصود من الزواج بها ، وعدم الحيض والإنجاب لا يعتبران عيبا كما سبق بيانه .

ـ ليس في الزوجة المسئول عنها عيب (من العيوب المبينة فيما سبق) أو غش أو تدليس يعطي الحق للزوج في رد زوجته ، والرجوع على وليها بالمهر ، بل مهر الزوجة وجب بالعقد وتأكد بدخول الزوج واستمتاعه بها وتمكينها إياه من نفسها كما قرر الزوج في سؤاله ، واعترف به مما يؤكد به أن الدخول الشرعي بها تحقق بينهما في الماضي .

د ـ ما يوجد في بيت الزوجية من أثاث ومنقولات هو على ما اتفق عليه الزوجان ، وما أقر به الزوج خاصا بالزوجة فهو لها ، ومن حقها دون منازع .

هـ ـ طالما أن الزوجية قائمة بين الزوجين ، والزوجة سلمت نفسها محتسبة لحقه ولم تمنع نفسها عنه فهي مستحقة للنفقة ـ بأنواعها وفقا للعرف ـ اعتبارا بحال الزوج يسرا وعسرا لقول الله ـ تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾[10]

وقوله : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[11]

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه أبو داود :

﴿ أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن ﴾[12] .

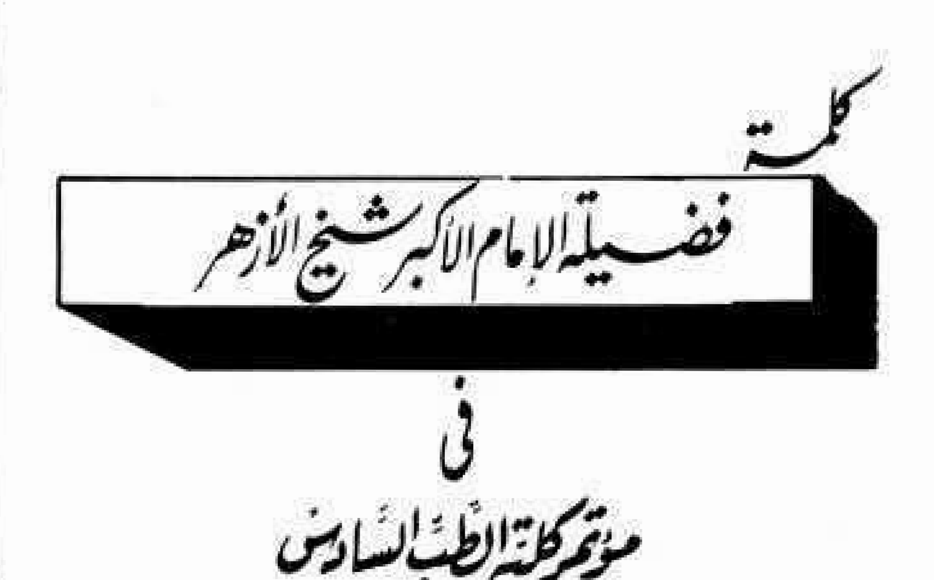
هذا هو ما يجرى عليه قضاء الأحوال الشخصية في مصر بنص المادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية .

هذا إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٣ جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ
٢٧ نوفمبر ١٩٩٤ م

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

(١٠) من الآية ٦ من سورة الطلاق .
(١١) الآية رقم ٧ من سورة الطلاق .
(١٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢١٦ .



لجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

السيد الأستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة .
السيد الأستاذ الدكتور نقيب الأطباء السيد الأستاذ الدكتور عميد كلية الطب .
السادة الحضور السلام عليكم ..

أرحب بكم جميعا وأشكر السيد الدكتور وزير الصحة على تشريفه وحضوره وكلمته ولعل عنوان المؤتمر يدعونا إلى أن نداوى ما يجرى فى مجتمعنا من الدخول فى حوارات ومناوشات دون التثبت من أصل الموضوع سواء أكان تحديد الطبيب للمرض أو الكشف عن المكان الذى به المرض وتحديده ، هو تماما أصل القضية المعروضة فى الاجتماعات الأخرى للحوار أو النزاع وبكل أسف ساد مجتمعنا الآن حوارات ومهاترات دون التثبت من القضية التى تناقش ، وينبغى أن نعود إلى أصولنا وإلى أن نترك المجالات دائما لأهل العلم يتحدثون فى فروعهم التى تخصصوا فيها وأن لا تكون القضايا العلمية مثار جدل على المستوى العام لمن يدرك ومن لا يدرك ، بل إنى أوصى المتخصصين بأن

لا يتحدثوا في قضية من القضايا قبل أن يحددوا موضوعها وأن يعرفوا جوهره وأطرافه ومحاذيره حتى لا يضل الناس مما يقرءون أو يسمعون .

إن في مجتمعنا الآن مهاترات كثيرة في وسائل الأعلام ومقترحات متضاربة تشكك الناس في معلوماتهم الأولية في سائر القضايا .

نحن الآن في حاجة إلى ترتيب أوضاعنا الاجتماعية والصحية والإنسانية ، وكل هذا يدعو أهل العلم في كل فرع أن يدرسوا وأن يعرضوا على الناس ما تثبتوا من صحته وفائدته ، وأن يكف هؤلاء الذين يتحدثون بغير علم عما يقولون أو ما يعدون له حتى تستقر أفهام الناس على ما ينفعهم وحتى لا تشكك الناس في دينهم أو في عقائدهم وفي عاداتهم المستقرة .

أمر آخر : ينبغي أن ننظر إلى الوارد إلينا حذر سواء كان عادات أو تقاليد ، وأن تكون لنا سماتنا التي نعرف بها ، فما رأينا أحدا يتخلى عن عاداته أو أخلاقياته التي اكتسبها سواء في دينه أو تراثه وينحو نحو الآخر لمجرد التقليد ، وإلا فما أشبها بالغراب الذي حاول أن يقلد العصفور فلم يعد غرابا ولم يصر عصفورا .

نحن الآن في تقليدنا لما يفد إلينا تماما أشبه بالغراب في قدراته ، فليس بغراب ولم يتحول إلى عصفور كما أراد .

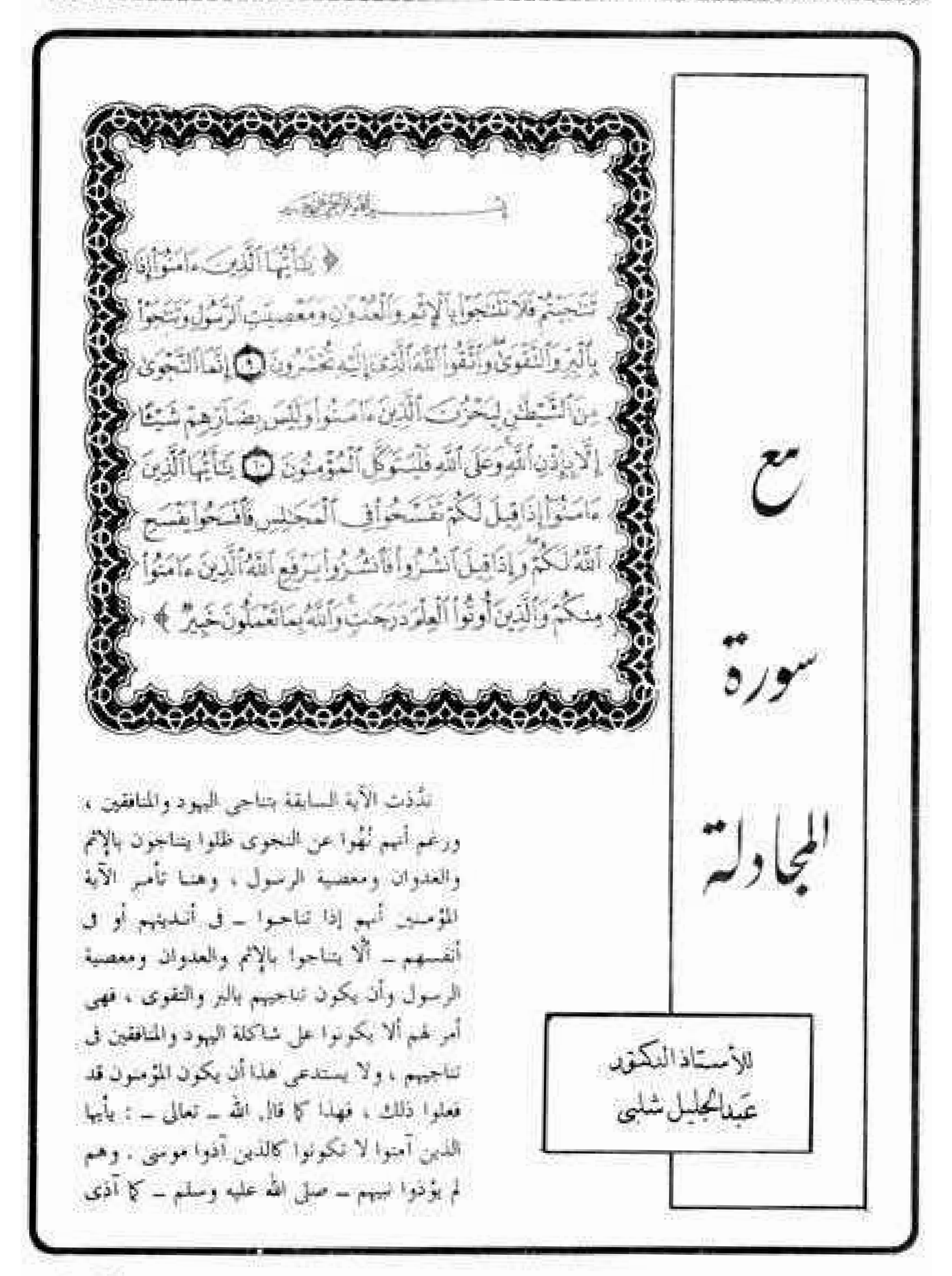
نحن في حاجة أن نحذر من تفجير قضايا في مجتمعنا لتشغل الناس بها وتشغل عن إصلاح أنفسنا وإصلاح بلدنا في كل مساراتها التي تحتاج إلى توافق وتكاتف وإلى التواصي بالحق وبالعدل في سبيل أن نصلح أنفسنا .

أيها السادة أرحب بكم في هذا اليوم الطيب وأوصيكم أهل الاختصاص بأن تقبلوا على موضوعكم بجدية ، وأن تعلنوا على الناس ثمرات بحوثكم لتطمئنوا إلى أن هذه المؤتمرات التي تعقد هنا في هذه الكلية ليست مجرد مظهر وإنما هي للبحث وللحقيقة ولإفادة الناس .

مرة أخرى أرحب بكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق علي جاد الحق)



مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩) إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٠) يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

تحدثت الآية السابقة بتناجي اليهود والمنافقين ، ورغم أنهم نُهوا عن النجوى ظلوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وهنا تأمر الآية المؤمنين أنهم إذا تناجوا — في أنديتهم أو في أنفسهم — ألا يتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى ، فهي أمر لهم ألا يكونوا على شاكلة اليهود والمنافقين في تناجيهم ، ولا يستدعي هذا أن يكون المؤمنون قد فعلوا ذلك ، فهذا كما قال الله — تعالى — : يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى . وهم لم يؤذوا نبيهم — صلى الله عليه وسلم — كما آذى

اليهود موسى ولكن هذا نهى لهم عن أى إيذاء ، وقريب منه ـ يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان . فالمؤمنون لا يتبعون خطوات الشيطان ولكن هذا تحذير من اتباعه ، فالخطاب فى الآية للمؤمنين الخلص ، وفيه تلميح بأفعال غير المؤمنين من المنافقين واليهود ، ومن حذا حذوهم .

وجرى الإمام الزمخشرى على أن الخطاب للمنافقين الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وتسميتهم مؤمنين جرى على ما ادعوه وتظاهروا به من الإيمان . فهذا نهى صريح لهم بعد بيان ما كانوا عليه وما هم عليه من السوء .

والإثم هو : المخالفة والمعصية الخاصة بهم ، والعدوان : ما يتعلق بغيرهم والعدوان إثم أيضا ولكنه نوع منه يعنى الاعتداء على الآخرين ، أما معصية الرسول فهى تعنى ما كانوا يدبرونه ويتواصون به من مخالفة رسول الله ﷺ سواء فى ذلك اعتراضهم على ما يقول ، وما يتلو من القرآن ، أو يأمر به أصحابه ـ وقد بينا فيما سبق معنى النجوى ، ويقال تناجى القوم وانتجوا ..

﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ .

والبر هو : الخير الجامع لأنواع الخير ، فكل ما كان فيه خير للناس فهو بر ، والتقوى هى : طاعة المأمورات واجتناب المنهيات ، لأن طاعة الله وقاية من الوقوع فى السوء .

فهذا إرشاد لما ينبغى أن يتناجوا به بعد النهى عن التناجى بالإثم والعدوان ، واتقوا الله فى كل ما تأتون وما تذرون ، فهذا على أى حال إرشاد لما ينبغى أن يكون به التناجى سواء كان الخطاب للمؤمنين الخلص أو كان للمنافقين ليرجعوا عما هم عليه من الآثام إلى ما هو فضل وذو مثوبة من الله .

وقول الله ـ تعالى ﴿ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يذكر بالمثوبة والعقاب فى الدار الآخرة ؛ لأن الرجوع إليه وحده ، إذ تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ .

تعريف النجوى بالألف واللام يفيد أنها النجوى المعهودة السابقة فى الكلام هذه النجوى المتلبسة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول إنما تأتى من الشيطان فهو الذى يوسوس بها ، وتحذير بالمؤمنين ألا يصغوا لوساوسه ، وإذا جرينا على أن الخطاب للمنافقين فهذا تنبيه لهم أنهم منقادون للشيطان الذى لا يأمر إلا بالسوء ، فهى تشديد لتحذيرهم من الوقوع فى هذه النجوى الآثمة ، والشيطان يفعل ذلك ليحزن المؤمنين ، وقد كان المسلمون يؤسفهم أن يروا هؤلاء المنافقين يتغامزون عليهم ، والشيطان يريد أن يدخل الحزن عليهم ، وقرئت الآية ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ـ فالاسم الموصول إذن فاعل ، أى لتبعث الحزن فى نفوسهم ، وليس الشيطان إذ يوحى بهذه النجوى بضار المؤمنين شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الضرر ـ فالكلمة تحتمل أن تكون مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً ، (إلا بإذن الله) ، أى إلا بإرادته ومشيئته . والأولى أن يكون الاستثناء منقطعاً ، فيكون المعنى : لكن الضرر بمشيئة الله ـ تعالى ـ وإرادته ، وعلى كونه استثناء متصلاً ، يكون المعنى : لا يمسهم الشيطان بشىء من الضرر إلا بمشيئة الله ، فهو ـ سبحانه ـ هو الذى يضر

وينفع وهو الذى يقضى بالموت وبالغلبة ، وكان المنافقون يتناجون بقتل المسلمين يوم أحد .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

أى إذا كان الأمر كذلك من أن الله وحده بيده النفع والضرر ، ولا يملك الشيطان من أمر الناس شيئاً ، فليكن ركون المسلمين واعتمادهم على الله وحده ، ولا يبالون بنجوى أعدائهم ، فالآية إزالة وإذهاب لحزن المسلمين من هذا التناجى .

ولا ينبغى أن يخطر بالبال أن التناجى مباح للمؤمنين حيث يكون خالياً من الإثم والعدوان ومعصية الرسول ، فقد يكون مجرد التناجى والتسار بين اثنين أمام ثالث لهما أو أكثر ، فإن ذلك يؤذى من يكون معهما ، وقد جاء فى الحديث : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ؛ من أجل أن ذلك يحزنه » .

قال الشيخ الألوسى : « ومثل التناجى فى ذلك أن يتكلم اثنان بحضور ثالث بلغة لا يفهمها الثالث » . وهذا واضح لأنهما تكلما أمامه فى شىء يريدان إخفاءه عنه ، وهذا يحزنه غالباً ، أما إذا كان جمع من الناس فلا بأس أن ينفرد اثنان بنجوى فى شىء يخصهما .

بينت هذه الآية آداب المحادثة ، فناسب بعدها أن تذكر آداب المجالسة .

فقال الله ـ جل وعلا ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

فهذا بيان لما ينشىء المحبة والتواد ، بعد ذكر ما ينشىء التباغض وضيق النفس والفسح بمعنى : التنحى والتوسعة ، يقال افسح أى : تنح أو وسع ، وهو فى فسحة من العمر أو الأمر أى فى متسع ، والمعنى إذا قال لكم قائل ، أياً كان وضعه أو مكانته توسعوا فى مجلسكم فاستجيبوا له ، ووسعوا المكان ولا تضاموا فيه ، وقرىء تفاسحوا كما قرىء فى المجلس ، والمراد : مجالس رسول الله ﷺ وجواب الشرط « يفسح الله لكم » أى يوسع لكم فى رحمته وفى نعمه عليكم ، وجاء التعبير هكذا : مشاكلة للشرط ، وهذا دارج مألوف فى الكلام كما فى الحديث : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة » .

نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر ، وقد كانوا إذا رأوا شخصا مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمرهم الله ـ تعالى ـ أن يفسح بعضهم لبعض .

وقال مقاتل : أنزلت هذه الآية يوم جمعة ، وقد كان رسول الله ﷺ جالساً فى الصفة وفى المكان ضيق ، فجاء نفر من أهل بدر ـ وكان ﷺ يكرم أهل بدر ـ فلم يجدوا لهم مكاناً ، فوقفوا حيال رسول الله ﷺ ، فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فرد النبى عليهم السلام ، ثم سلموا على القوم ، ووقفوا مترقبين أن يوسع لهم ، وعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام ولكن لم يفسح لهم أحد ، وشق ذلك على النبى فقال لمن حوله من غير البدريين : قم يا فلان وقم يا فلان ، ولم يزل يقيم واحداً بعد الآخر حتى أقام بعدد الذين بين الواقفين ، فشق ذلك على الذين

أقيموا ، وقال المنافقون : ألم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ، والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء ، قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه ، فأنزلت الآية فى اليوم نفسه ــ يوم الجمعة .

وقيل : كان الصحابة يتشاحون فى مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة فى الشهادة فنزلت هذه الآية .

ولا يشكل على هذا الأحاديث الأخرى التى تنهى عن إقامة الرجل غيره ليجلس هو فى مكانه . ومنها حديث ابن عمر : « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » ــ وأيضاً حديث جابر : « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ، ولكن ليقل : افسحوا » وجاء الحديث نفسه عن أبى هريرة : « لا يقم الرجلَ الرجلُ من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم » .

ليس فى شىء من ذلك كله إشكال ومخالفة ، لأن الموقف السابق خاص بأهل بدر ، وقاس عليهم بعض الفقهاء كل ذى فضل وكل من له سبب يدعو إلى القيام له ، ومن هنا جاء اختلاف الفقهاء ، فمنهم من رخص فى ذلك مستنداً إلى ما حدث من رسول الله ﷺ عندما استدعى سعد ابن معاذ حاكماً فى بنى قريظة ، فلما رآه قادماً قال للمسلمين : « قوموا إلى سيدكم » ، فهذا كان لحكمه ، فقاسوا على ذلك القيام للحاكم أياً كان ، ثم لكل ذى جاه ومنصب .

ومن الفقهاء من منع ذلك محتجاً بحديث : « من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . وبعض أورد تفصيلاً فقال : يجوز القيام عند القدوم من السفر ، وللحاكم خصوصاً فى محل ولايته ، ولا يتخذ ذلك عادة وديدنا ، فتلك عادة العجم .

ويبدو أن هذا الرأى أولى بالاعتبار ، فلا ينبغى لكبير القوم أن يجلس فى طرف المجلس أو مؤخرته بينما الغوغاء ومن لا شأن لهم فى القوم يتبوأون الصدارة . ومكان الجلوس غير القيام ، وقد كان الصحابة لا يقومون إذا جاء رسول الله ﷺ لما يعلمونه من كراهته القيام .

وكان الصحابة يجلسون منه على مراتبهم ، فأبو بكر كان يجلس عن يمينه وعمر عن يساره ، وعثمان وعلى بين يديه لأنهما كانا من كتاب الوحى . وكان ﷺ يقول : « ليلينى منكم أولو الأرحام والنهى ثم الذين يلونهم » أى ثم الذين يلونهم ، وهذا ليعقلوا عنه ما يقوله ، وقد كان أبىّ بن كعب سيد القراء إذا جاء يوم الجمعة فوجد الصف الأول قد اكتمل أقام شخصا من الأغمار وجلس مكانه محتجاً بهذا الحديث .

واختلفت آراء الفقهاء أيضاً فى قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾

فالذين قالوا : إن المجالس التى أمروا أن يتفسحوا فيها هى مجالس الحرب قالوا : إن معنى انشزوا انهضوا للقتال .

وقال قتادة : معناه إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال مقاتل : معناه إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد : كانوا إذا كانوا عند

النبى ﷺ فى بيته وأرادوا الانصراف أحب كل واحد منهم أن يكون آخر المنصرفين ، فيدعوهم ذلك إلى الإبطاء ، وقد يشق ذلك على رسول الله ﷺ لما يريده من أموره ، فأمروا أن ينصرفوا إذا قيل لهم ذلك .

والأكثرون - على أى حال - على أن المجالس مطلقة ، وأن معنى انشزوا : قوموا ، والكلمة من النشز وهو ما ارتفع من الأرض ، ومن يقوم من مكانه يرفع جسمه ، وناسب لذلك أن يأتى بعدها :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

وعطف الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا من عطف العام على الخاص ؛ لأن الذين أوتوا العلم من المؤمنين ، وعطف العام على الخاص يؤذن بأفضلية المعطوف على ما قبله ، وخصت الآية أهل العلم بالذكر ، لما للعلم من أثر فى نفوس أصحابه ولما للعلماء من آثار فى توجيه الناس وإرشادهم إلى طريق الخير .

قال الآلوسى : « واستدل غير واحد بالآية على تقديم العالم ولو باهليا (من قبيلة باهلة) شاباً على الجاهل ولو هاشمياً شيخاً ، ثم إن الآية تفيد أن الله - سبحانه - يرفع العالم على غيره يوم القيامة ، لأن الرفعة يوم القيامة هى الجديرة بالاعتبار ، والآية ذكرت أن الله يرفعه درجات ، وليس درجة واحدة ، ولذا ينبغى أن يكون محله فى الدنيا رفيعاً ، وأن يولى صدر المجلس ، وأن يتنحى له الجاهل عن مجلسه ، وهذا أيضاً يوجب على العالم أن يرعى مكانة نفسه سواء فى مجالسه أو معاملاته وسلوكياته ، لينال الرفعة من الله - تعالى - فى الدار الآخرة .

وذيلت الآية بقوله - تعالى - :

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

تخويفاً للمخاطبين ، وزجراً لهم عن مخالفة ما أرشدوا إليه ؛ لأن الله - سبحانه - ذو خبرة وعلم بأعمالهم .



النص القرآني هو الفيصل



أ.د/ محمد رجب البيومي

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾
سورة النمل

نقرأ بعض الدراسات التاريخية التي تمتُّ إلى كتاب الله ، إذ تحدّث القرآن عن فحواها ، بما يجب أن يكون منطقاً فصلاً لا جدال فيه ، فلا نجد ما يدل على أن الباحث قدبذل جهده في إيضاح الحقيقة على وجهها الذى جاء به القرآن الكريم بل نراه وهو المسلم العربى يذكر عدة روايات تخالف ماجاء في الذكر الحكيم ، ويترك المسألة دون حسم ، بل يترك القارىء غير البصير في حيرة مما يقرأ لا يدرى إلى أى منحى يتجه ، إذا لم يكن لديه من الحصانة الإسلامية ما يرد عنه الأوهام المتخيلة ، وأنت تحار في تعليل ذلك النهج المريب ، إذ لو صح أن يُسلك من قوم يضطغنون على الإسلام فإنّ اضطغانهم عليه يفضح ما يقومون به من تدليس ، أمّا أن نكتب البحوث التاريخية ذات الاتصال الأكيد بنصوص القرآن ، ثم نبتر النتائج بتراً ، أو نلوى المقدمات ليّاً ، لندع القارىء في مهب الريح ، فهذا ما ينكره أسلوب البحث النزيه ؛ لأن حقائق القرآن ثابتة أكيدة ، وما عرفنا في كتاب الله نصاً واحداً يجانب الصواب الواضح ؛ حتى نهرب عامدين من ترجيح النص الكريم ، وإبطال ماعداه ، لاسيما إذا كان لدينا الدليل الحاسم من الآثار الشاهدة المنقوشة على الجدران ، والتى لم تستطع الدهور المتطاولة أن تطمس حقائقها المتفقة مع ما ينطق به كتاب الله ، نقول هذا لمن يترددون في التصديق من غير المسلمين ، أمّا الباحث المسلم فلا مجال لديه للانتظار حتى نعثر على أثر قديم ؛ لأنه يعلم يقيناً أن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

مثل كاشف

نعلم جميعاً أن سبأ مملكة يمنية من بلاد العرب السعيدة ، وأن ملكتها قد زارت سليمان ــ عليه السلام ــ وقد حكى القرآن الكريم في سورة النمل حديث هذه الزيارة وما انتهت إليه من إسلام الملكة بعد اقتناع ، إذ تسلسلت الأحداث مبتدئة بغيبة الهدهد عن موضعه ، حين تفقد سليمان ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ الطير فلم يجده ، فسأل عنه متوعداً ، ولكنّ الغائب قد جاء بخبر جديد عن سبأ ، إذ رأى الهدهد امرأة تملك الناس ، وقد أوتيت من كل شيء حظّاً ؛ ولكنها كقومها يعبدون الشمس من دون الله ، وهذا ما شغل سليمان فبعث إليها بكتابه يدعوها إلى مملكته مسلمة طائعة ، ولم تكن بلقيس ذات استبداد وتفرد ، فجمعت قومها؛ لتقول لهم : ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ، وطمعيَ أن يبدوا استعدادهم للدفاع ، ولكن الملكة الحازمة آثرت السلام فأرسلت بهدية ثمينة إلى الملك الحكيم ، ظانة أنها بهديتها ، تمنع الشقاق . ولكن سليمان كان يصر على أن ينقذ سبأ من الشرك ، فحذر وتوعد بجنود لا قبل للقوم بها ، فأذعنت لمشيئة الملك ، وحضرت إليه لترى وتسمع ما أقنعها بفضلها فقالت : ربّ إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، هذا بعض ما أشار إليه القرآن من حديث بلقيس ، وقد أكدت الآثار السبئية حقائق مما سنشير إليه بعد، وما أظن باحثاً صادق النظر ، يرى الأثر الشاهد ، ثم يلجأ إلى الإنكار ، فإذا كان الباحث مسلماً ، وألم بالقصة في كتاب الله ، وما بسطه المؤرخون في الكتب الثابتة ، وتأكد مما سجلته النقوش منذ عشرات القرون ، فليس له أن يترك الأمر دون ترجيح .

ولكننا نرى الباحث يذكر الرواية الإسلامية ، ويصفها بالرواية العربية ليقرنها بأسطورة تزعم أن الملكة حبشية جاءت من إفريقيا إلى أورشليم ؛ لتزور سليمان ، وموجز هذه الأسطورة التى سردها الباحث سرد التاريخ الواقعى الذى لم يزخرفه الخيال الواهم ، أن ملكة إثيوبيا كانت ذات حظ باهر من الجمال ، وأنها سمعت من التجارة الذين يترددون على أورشليم بحكمة سليمان وعظمة سلطانه ، وكان لها من ثرائها الطائل وإبلها القوية وسفنها الواسعة التى تكون أسطولاً بحرياً ضخماً ما حبّب إليها أن تزور سليمان ، حاشدة مايبهر من الخيول والبغال والإبل محملة بغرائب الهدايا ونفائس الأعلاق ، وقد رحب بها سليمان أبلغ ترحيب ، وأفرد لها جناحاً خاصاً فى قصره ، وجعل يكثر من زياراتها متحدثاً بما أنعم الله عليه من السلطان ؛ إذ عرف منطق الطير وملك أمر الريح ، وسخر الجن والشياطين لبناء هيكله ، ثم تزوجها وأنجبت منه ولداً أسمته : (منيليك) ومعناه (ابن الحكيم) وقد شب فى كنف والده فتعلم منه الحكمة حتى إذا اشتد عوده رجع إلى الحبشة ؛ ليكون ملكاً بعد وفاة أمه ، ومن نسله جاءت الأسرة الحاكمة فى الحبشة التى كان آخر ملوكها الامبراطور هيلا سلاسى ، وقد جاء فى نص الدستور الإثيوبى ــ لعهده ــ أنه من سلالة سليمان الحكيم ابن داود ، من سبط يهوذا ، وهو الأسد القاهر المختار من الرب ، ملك ملوك إثيوبيا) !.

هذه خلاصة مركزة لما ذكره الباحث ، عقب الرواية الأولى ، وقد ترك الأمر دون تعقيب !!

فهل كان يظن أن الأسطورة الملفقة ، تقف مع النص القرآنى فى مستوى واحد ، وإذا جاز لمن كتبوا سير ملوك الحبشة أن يبتدعوا من الأوهام ما يشاءون أيجوز لنا أن ننظر إلى النص القرآنى وكأنه تأليف بشرى يخطىء ويصيب !

ضباب كثيف

على أن ما ملأ به الباحث كتابه من شكوك متكررة فى أكثر ما بأيدينا من تاريخ اليمن ، يلقى ضباباً كثيفاً يغمر الحقائق الثابتة ، فمن الجائز أن تكون المصادر العربية لم تستوف هذا التاريخ فى عصوره البعيدة ، شأن أكثر التواريخ فى العالم القديم ، ومن الجائز أن يكون فيما كتب عن هذا التاريخ البعيد تضارب يقذف بالحيرة الشديدة فى نفس من لم يألف هذا التضارب المتكرر فى الروايات المتناقضة ، ومن الجائز أن يصح قول ابن خلدون فى مقدمة الجزء الأول من تاريخه أن : من الأخبار الواهية ما ينقله المؤرخون عن أخبار التبابعة إذ كانوا يغزون بلاد البربر بإفريقيا ، وأنهم امتدوا بالغزو إلى أقصى بلاد الصين ، ودوّخوا بلاد الروم ، لأن وقوع اليمن بين بحر الهند من الجنوب ، وبحر فارس من الشرق وبحر السويس من الغرب ، مما يبعد أن تنتقل الجيوش إلى إفريقيا وأقاصى آسيا دون أن تحتل ما تزحف عليه من الممالك ، ولم ينقل أحد من مؤرخى هذه البلاد أن التبابعة قد عبروا بها فضلاً عن أن يملكوها ! أقول : من الجائز أن يكون ما ذكره ابن خلدون(١) ، وأكده الأستاذ « نيكلسون » فيما بعد صحيحاً لا لبس فيه ، ولكن ذلك كله بعيد كل البعد عن الحقائق الثابتة فى تاريخ سليمان وبلقيس ، وما قامت به الملكة المسلمة من رحلة استكشافية انتقلت بها من الكفر إلى الإيمان ،وقد كان انتقالها من سبأ لأمن الحبشة حيث يمتد الطريق فى الجزيرة العربية بين صنعاء وأورشليم ، دون أن توجد العوائق التى أشار إليها ابن خلدون فى حديثه عن التبابعة، وأين حديث التبابعة من حديث بلقيس ! فهذا الضباب الذى يثيره الباحث حول التاريخ اليمنى ، لايعصف بالحقائق التى تسطع فى نور الشمس واضحة سافرة ، وإذا كان التاريخ فى عصره القديم قد تعرض للتزيد ، فليس جميعه ملفقاً أوجه القصص الخيالية ، ولكن منه ما يستعصى على الهدم ، وما يخضع للشك والتوهين .

ليسوا وحدهم

على أن العرب ليسوا وحدهم الذين دوّنوا تاريخ اليمن القديم ، فنحن نعلم أن المؤرخ اليونانى (استرابون) قد كتب فصلاً رائعاً عن مدن العرب ، وهو من أوائل من أسموا بلاد اليمن بالبلاد السعيدة ، ذاكراً ماحفلت به قديماً من الرفاهية والازدهار الحضارى ، حتى إن اليمنيين كانوا يحرقون الأعواد الفوّاحة فى الوقود ذات الرائحة الجذابة بدلاً من الأعشاب ، كما أن (بطليموس) المؤرخ الجغرافى قد خصّ هذه الربوع بتفصيل شاف لما أجمله « استرابون » ، وتوالى المحدثون من الرحالة الأوربيين كى يكتشفوا الآثار فى مأرب ، ومنهم من نقل كثيراً من الألواح والأحجار لتجد مكانها فى المتاحف الأثرية شاهدة بالحضارة

(١) الجزء الأول من المقدمة ص ١٢ .

السبئية ، وقد تحدث (أرنود) سنة ١٨٤٣ وهاليفى (١٨٦٠) (وجلازر) سنة ١٨٨٠ عن آثار بلقيس ، وعن الأودية العظيمة التى قام حولها سد مأرب ليحفظ المياه ، إذ رأوا آثار السّد ورسموا موقعه ، ووصفوا ما غمره من الأتربة بعد تقادم العهد ، وفى متحف (ترمى) بروما كثير من آثار السبئيين ، وقد أفردت كتب أوربية تتحدث عن آثار سبأ ، حيث يضيف التالى لسابقه جديداً مما يتمخض عنه الكشف العلمى ، إلى أن ظهرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٤/١٠/١٩٨٣ معلنة الكشف الجديد عن معبد بلقيس ، ناقلة صورتين للمعبد والسد وذلك تحت عنوان جهير يقول (آثار سبأ تتأكد بالدليل المادى كما وردت فى القرآن الكريم) وقد أكدت هذه الآثار رحلة بلقيس إلى بيت المقدس ، وعبادة السبئيين للشمس قبل أن يهتدوا لعبادة الله ، فماذا عسى أن يقول من يتجاهلون الحقائق ، وقد أيدت بالدليل ، وإذا كان أباطرة الحبشة يجدون فى انتسابهم إلى بلقيس وسليمان الحكيم ، ما يثبت عراقتهم الأصيلة فى حكم أثيوبيا ، فيؤكدون أسطورة لاتنهض على أساس ما ، أفما يكون من حق المؤرخ أن يكشف الرغوة عن الصريح .

سد مأرب

يرجح كثير من المؤرخين والمفسرين معا أن بلقيس هى التى أشارت ببناء سد مأرب ، إذ عمدت إلى الجبال المنفرجة ذات الشعب ، فأقامت السدود الحائلة دون تدفق المياه وضياعها فى القفار ، لتظل زاخرة وراء السدود ، وقد أقيمت على هيئة أبواب ثلاثة بعضها فوق بعض ، فيفتح الباب الأعلى عند ارتفاع المدّ ، ثم يفتح الباب التالى عند توسطه ، فإذا انخفض المستوى فتح الباب الثالث ، فاستمرت المياه بهذا الترتيب على مدى العام ، حتى تسقط الأمطار فى العام التالى فتتكرر الدورة دون انقطاع ، هذه السدود لها آثارها الباقية إلى اليوم ، وقد أحدث لها المصوّرات المتعدّدة لتحدث عن تاريخها الغابر ، ولولا ما أحدثه السد من ازدهار حيوى ما كانت سبأ فى ماضيها الغابر ذات حدائق ومروج تصديقاً لقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (٢)

والجنتان هما الضفتان المتقابلتان على ضفاف السدّ الممتد ، فكلُّ ناحية تعتبر جنة قائمة بذاتها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ثم مضت بلقيس ، وتقلبت الأيام بالسد فلم يقو على الصدع المتوالى بقوة المياه الزاخرة ، ولو وجد من أرباب الحكم والعلم من رأبوا الصدوع قبل أن تنهار لدام لهذه البلاد عمرانها الزاهر ، ولكنّ ساكنيها قد أعرضوا عن الحق ، وأهملوا الرعاية الحافظة فجاءهم سيل العرم ليشردهم فى البلاد النائية ولعل المناسبة واضحة جلية بين هذه الآيات المبتدئة بقول الله ـ عز وجل ـ :

---

(٢) سبأ : ١٥ .

﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾(٣)

وبين ما سبقها من حديث سليمان – عليه السلام – إذ قال الله عز وجل :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾(٤)

إلى قوله – عز وجل – :

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾(٥)

لأن سبأ المزدهرة العامرة في عهد بلقيس كانت ثمرة من ثمار نبي الله سليمان ، حيث أنقذهم من عبادة الشمس وهداهم إلى الإسلام ، فاستطاعت الملكة المؤمنة أن تؤدي دورها العمراني والثقة من فضل الله ورعايته ، فلما تحدثت الآيات السابقة عن سلطان سليمان ، توالى الحديث القرآني عن سبأ التي سعدت بالإيمان على يده ، فازدهرت وأينعت ، ثم حادت عن السبيل بعد أمد ما فلاقت سوء المصير ، وهذا ما ينطق به قول الله :

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾(٦)

ولسنا بعد هذا كله في حاجة إلى أن نقول إن حديث الملكة الحبشية من أساطير الأولين* .

• إلى أخي د. محمد رجب البيومي

ما كتبه حق ، فذلك هو النهج لمن أراد البحث عن الحق ، فإن كتاب الله – سبحانه – فصل ليس بالهزل ، وما دونه هؤلاء الذين تنكبوا هذا الطريق لم يفد البحث في شيء ، ولم يرجع إليه باحث ويطمئن إليه . بغيت (بلقيس) يا أخي الكريم . وكم نود أن نعلم عن خبر تقوم به حجة أن اسم الملكة الوارد في الكتاب العزيز هو (بلقيس) .

• الخطيب •

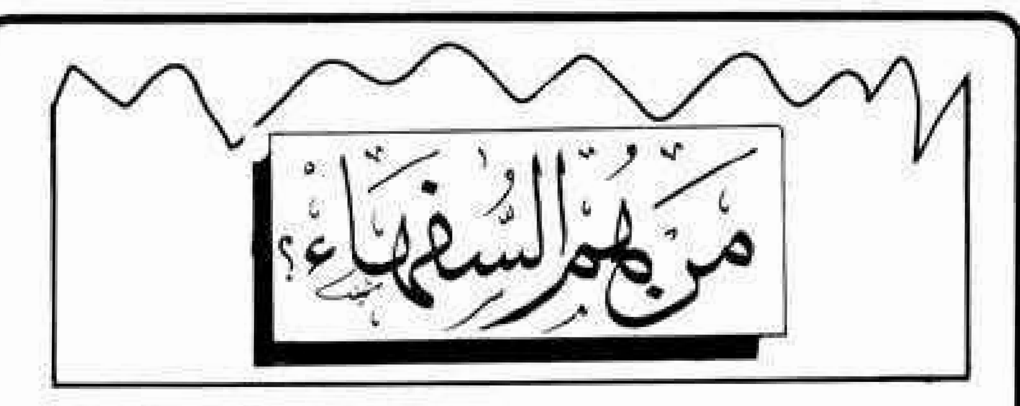
---

(٣) سبأ : ١٥ .

(٤) سبأ : ١٢ .

(٥) سبأ : ١٤ .

(٦) سبأ : ١٦ ، ١٧ .



للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لما استجاب الله لحبيبه محمد ﷺ وحوّل له القبلة من المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله إلى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ونزل قول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

لما حدث ذلك هاج اليهود وماجوا ، وتقوّلوا على رسول الله ﷺ الأقاويل ، وأشاعوا عن دينه الأكاذيب والأباطيل ، وعملوا على تشكيك المسلمين فى دينهم باختراع الشبهات ونشر الترّهات

وأخذ مشركو العرب موقفا مشابها لكنهم على كل حال كانوا أقل لؤما ، وأدق خبثا ومكرا .

ومال المنافقون بطبعهم إلى الفريق المعادى للإسلام وانحازوا إليهم ، وإن كان ذلك قد تم بطريقتهم الخاصة التى عبر عنها القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[2] .

وفى هؤلاء الأعداء الذين اختلفت مشاربهم وتعددت منطلقاتهم واتحدوا فى بغض الإسلام وكراهيـــة رسول الله ﷺ جاء قول الله ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]

قيل المراد بالسفهاء هنا : مشركو العرب وقيل : أحبار اليهود ، وقيل : المنافقون . والواقع أن الآية عامة فى هؤلاء كلهم .

---

(1) البقرة : ١٤٤ .
(2) البقرة : ١٤ .
(3) البقرة : ١٤٢ .

ذلك لأن السفاهة : خفة وسخافة رأى ناشئة عن نقصان العقل ؛ أو هى : الحمق والجهل .

والسفيه هو : الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ، وهو الذى يضر نفسه من حيث يظن أنه ينفعها .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[4] .

يقول الإمام ابن كثير : (ينهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن تمكين السفهاء من التصرف فى الأموال ، ومن هنا يؤخذ حكم الحجر على السفهاء ، وهم أقسام : فتارة يكون الحجر للصغر ، فإن الصغير مسلوب العبارة ، وتارة يكون الحجر للجنون ، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين ، وتارة للفلس وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه) .

وعلى هذا نقول : إن أولئك الذين أعرضوا عن سلوك طريق الحق واتبعوا الباطل سفهاء فاقدوا العقل وإن كانوا ـ فى نظر الناس ـ من كبار المفكرين وعلية القوم لأنهم لم ينتفعوا بعقولهم ، ولم يتبصروا فى الأمور ولم يدركوا العواقب ، فكانوا ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولو كانوا من الراشدين لجدوا فى طلب ما ينفعهم والهرب مما يضرهم ، وفى هؤلاء جاء قول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[5]

ونستطيع أن نقول : إن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويعيشون مع المؤمنين بأجسامهم وظواهرهم ، وفى الوقت نفسه يوالون الكافرين ويحبونهم ويظنون أن هذا التصرف دليل على الحنكة والذكاء .

نستطيع أن نقول : إنهم حمقى وسفهاء لأنهم آثروا العاجلة على الآجلة وفضلوا الفانية على الباقية وأوردوا أنفسهم موارد الهلاك واختاروا مصيراً بائسا تعساً عبر عنه القرآن الكريم فى قول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[6]

وهم فى الحقيقة ليسوا أهل حنكة وذكاء لأنهم مكشوفون مفضوحون من الله ـ سبحانه ـ ومن عباده المؤمنين .

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[7] .

ومن عجب أن هؤلاء المنافقين يزعمون أنهم أعقل الناس وأحكم الناس وأخبر الناس بما ينفع وبما يضر .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ

(٤) النساء : ٥ ـ ٦ .
(٥) الأعراف : ١٧٩ .
(٦) النساء : ١٤٥ .
(٧) البقرة : ٩ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[8] .

والمنافقون اليوم يسيرون على درب أسلافهم يزعمون أنهم وحدهم دعاة الإصلاح وحداة الركب على طريق الفلاح مع أنهم يتخبطون فى الظلمات ، وكل تصرفاتهم فساد وإفساد ، وضلال وإضلال .

ولقد بلغ بهم الكبر والغرور إلى أن رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ كما آمن به أصحابه الأطهار الأبرار ـ وفى الإيمان عز الدنيا والآخرة ـ ولم يكتفوا برفض الدخول فيما دخل فيه المؤمنون من الخير والفلاح وإنما رموا المؤمنين بالسفاهة والجهل ، وعند هذا الحد فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يكلف عباده المؤمنين عناء الرد على هؤلاء وإنما تصدى ـ سبحانه ـ للرد عليهم قائلا :

« ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

حصر الله السفاهة فيهم وأكد ذلك بعدة مؤكدات ونبه أنهم تمام جهلهم وحمقهم لا يعلمون بحالهم فى الضلالة والجهل .

وتطبيقاً للمثل العرفى المشهور : (رمتنى بدائها وانسلت) ؛ فإن أقواما من الكافرين اتهموا بالسفاهة أئمة الهدى من الأنبياء والمرسلين ، وهاهو القرآن الكريم يحكى لنا ما قاله الكافرون من قبيلة عاد لنبيهم هود ـ عليه السلام ـ ، قال الملأ الذين كفروا من قومه ﴿ إنا لنريك ﴾ فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، فيرد عليهم بالحكمة والصواب قائلا :

﴿ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[9] .

إذا فهمنا هذا أدركنا أن مشركى العرب سفهاء ، لأنهم يعرفون أن محمداً ﷺ صادق ومع هذا كذبوه جحوداً وحاربوه عناداً وأخرجوه من بلده عدوانا عليه وعلى الحق الذى جاء به ، وليس هذا تصرف العقلاء الحكماء الراشدين . يقول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[10] .

وكذلك فإن أحبار اليهود سفهاء ؛ لأنهم يعرفون محمداً حق المعرفة ويجدون صفته مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، ومع هذا يكذبونه عامدين متعمدين يدفعهم إلى ذلك الحقد والحسد والضغينة ؛ يقول الله ـ تعالى :

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[11]

---

(8) البقرة : ١١ ـ ١٣ .
(9) الأعراف .
(10) الأنعام : ٣٣ .
(11) البقرة : ٩٠ .

وهذا يعنى أن تكذيبهم لرسول الله ﷺ وعداوتهم له ولدعوته ليس بسبب الجهل وعدم المعرفة فهم فى الواقع أعرف الناس به وهم يعلمون تمام العلم أنه نبى حقا . والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٢) .

وكفى بذلك حمقا وسفها ولهذا فهم أحق الناس بوصف السفهاء ولا يخفى على عاقل لبيب أن من سارع فى رضا السفهاء وطلب ودهم واستجلاب محبتهم كان سفيها مثلهم ، وهذا شأن المنافقين الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون .

يقول الله ـ سبحانه ـ شارحا حال أولئك المنافقين السفهاء الذين يوالون أعداء الله :

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(١٣)

ومن الواجب على جماعة المؤمنين أن يكونوا دائما على حذر من كيد السفهاء ومكرهم وألا يأمنوا لهم أبداً .

والقرآن الكريم حافل بشرح أساليبهم وطرائقهم فى الكيد والتآمر ، وفى قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام دروس كثيرة شرحتها الآيات فى (سورة البقرة) يذكرنا بها (شهر شعبان) ، ونحن من جانبنا نذكر أنفسنا ونذكر الناس بهذه الحقائق تنفيذاً لقول الله ـ تعالى :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٤)

ونسأل الله أن يجعلنا منهم وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

(١٢) البقرة : ١٤٦ .
(١٣) المائدة : ٥٢ .
(١٤) الذاريات : ٥٥ .





المرد على منكرى النسخ

-٢-

بقلم أ. د/ محمد سعاد جلال

١ - اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماماً كبيراً ، كما يظهر ذلك فى كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبى مسلم لكافتهم ، لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقا على حياة أبى مسلم ، ولأن أبا مسلم لم يعتبر هو الشخصية الخطيرة ، فى إنكار النسخ عند المسلمين .

بل قد أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذى حمله رأيه عن إنكار النسخ ، بعد ما استقر الأمر فى القرن الأول والثانى والثالث عند علماء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

وإنما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه ، بسبب عمل اليهود ، لأنهم من أول أمر الإسلام أظهروا طعنهم على النبى - ﷺ - من أجل النسخ ، واعتبروا ظاهرة وجود النسخ دليلا على بشرية القرآن .

كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبى - ﷺ - فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطعن من القرشيين لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار ، فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بظهور الإسلام وانتصاره فى الجزيرة العربية كلها .

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك ، رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المعتمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

٢ ـ تفصيل بعد إجمال :

تعترف الفــرق المسيحيــة كلهــا بجواز النسخ[1] ، والمسلمون أجمع يقولون بجواز النسخ وصحته ، وافترقت اليهود من هذا الرأى ثلاث طوائف : طائفة منعت إمكان النسخ عقلا وسمعا ، وطائفة جوزت إمكانه عقلاً ومنعت وقوعه سمعاً ، وطائفة ثالثة سوغت إمكانه عقلاً واعترفت بوقوعه سمعا ، على مثل ما يقوله عامة المسلمين . ويقول كتاب الأصول : وهذه الطائفة وتسمى العيسوية تؤمن بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، لكن ترى أنه مبعوث إلى العرب خاصة .

ويضاف إلى جماعة القائلين بمنع النسخ إن أمكن اسم أبى مسلم الأصفهــانى من بين المسلمين ، فإنه لا يجوز النسخ فى شريعة واحدة ، ويمنع وقوع النسخ فى القرآن .

وقد عنينا بالنص على استبعاد اسم أبى مسلم من نطاق الخلافات فى هذا الموضوع ؛ لأن علماء المسلمين لا يحتفلون بخلافه بينهم ، ويصرح الإمام « البزدوى » بقوله : النسخ فى أحكام الشرع جائز صحيح عند المسلمين أجمع ، ويعلق على هذه العبارة شارحه بما يفيد أن نص الإمام على أن نسبة القول بإجازة النسخ وصحته إلى المسلمين أجمع ، مع وجود من أنكر النسخ منهم . كأبى مسلم المذكور ، معناه عدم الاعتداد بمثل هذا المخالف ، ويصرح بأنه لا يعتبر مسلما حقيقيا ، فمن ثم لم يتخدش به الإجماع ، وإن كان ممن انتحل الإسلام .

نعم نحن نرى أن هذا القول تغليظ شديد على من ينكر النسخ ، إذا لم يعرف أساس فكرته بالضبط ، ولكن دلالته لا تخفى على استقرار فكرة النسخ فى الشريعة عند المسلمين .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها اليهود فى منع القول بإمكان النسخ هى أن النسخ من قبيل البداء ، والبداء على الله محال فما هو البداء ؟

٣ ـ البداء : فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء .. يقال بدا سور المدينة بعد أن كان خافيا ، ومنه قوله ـ تعالى ـ : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشىء يدل على حسن المأمور به ، والنهى عن الشىء يدل على قبح المنهى عنه .

فإذا أمرنا الله بشىء كان ذلك الشىء المأمور به حسنا وصالحا ، فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك ، كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا ، وفاسدا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ، ثم بدا له من بعد ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه : فهذا هو البداء وهو يستلزم إدخال النقص على علم الله ووصفه بالجهل بعواقب الأمور ، فما أدى إليه من النسخ يكون باطلا وممنوعا .

٤ ـ وقد كان الجواب عن هذه الشبهة حاضرا

(١) هذه كانت وجهة النظر القديمة ـ اما فى هذا العصر فالمسيحيون ينكرون النسخ

ميسورا عند علماء المسلمين : ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للمكلفين : فقد يكون الشيء حسناً بالنسبة للمكلف فى زمان وصالحا له ، فيأمره الله به ، ثم يكون نفس الشيء فى زمان آخر بالنسبة للمكلف شرا وفسادا فينهى الله عنه ، وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم : الرياضة البدنية ، مثل : الكرة والمصارعة وحمل الأثقال ، فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة فى زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الآمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هلاكا محققا فينهى عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكيم الخبير ؟ .

فقد ظهر لكم أن الشبهة التى تعلق بها اليهود فى إنكار النسخ ، وقد يتعلق بها غيرهم ليست شيئا يصح التعلق به .

ه ــ وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلته لم تنقل إلينا ، وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، وليس من المحتمل فى نظرنا أنه قد كان لهذا الرجل فى إنكار النسخ فلسفة مقبولة ، ولا أدلة صحيحة ، لأن استقرار رأى الأمة على وقوع النسخ فى القرون الثلاثة الأولى ، ثم متابعة العلماء على هذا الرأى فى القرون من بعد ذلك ، يجعل من الصعب إمكان وجود أدلة أو فلسفة تصور واقع الشريعة على غير ما أدركه علماء الأمة قاطبة ، ولاسيما بعد أن ظهر من مخالفة أبى مسلم لهم ما من شأنه أن ينبههم على احتمال الخطأ ، ويثيرهم إلى طلب الحقيقة ، ومع ذلك فإن خلاف أبى مسلم لم يجد من واقع الشريعة ، فى أمر النسخ مكانا يحمل العلماء على تعديل رأيهم أو بعض رأيهم ، أو حتى على محاولة التوفيق بينهم وبينه فى أمر يلتقون عنده ، وإنه لبعيد جدا ــ من أجل ذلك ــ أن نفترض أنه قد كان لأبى مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا . وأقصى ما نجد فى الباب ، أنهم ذكروا حجة فى الجانب الذى يتجه إليه . وهى قوله ــ تعالى ــ فى وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

قالوا عنه فى تقرير هذه الحجة : إن النسخ إبطال لحكم القرآن ، والقرآن منزه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن فى وجوب التنزه عن الإبطال لعدم القائل بالفصل بينهما ، فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول ــ فمعنى الآية أن هذا الكتاب العزيز منزه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة جوانبه فى أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناوله الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن وهى قائمة على تقريرها وعملها ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ــ كما قلنا ذلك ــ فى أثناء البحث مرارا ، وكذلك شأن السنة فلم يسند إذن لأبى مسلم فى الاستدلال على مذهبه شيء يمكن النظر إليه .

لا نجد فى الاستدلال على إنكار النسخ من الحجج غير ما ذكرنا إلا بعض تفريعات ومحاورات لفظية أعرضنا عن ذكرها .

وذلك ما ينبغى أن يلفت أنظارنا إذا وجدنا فى الناس اليوم أو بالأمس قلة ، من يصر على القول بإنكار النسخ فى الشريعة . فقيم ، ولم يكون هذا الإصرار الشديد .. ؟ لا ندرى .

أدلة النســخ

بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ .

١ ـ أثبتوا جوازه بالعقل ، وبنص القرآن على وقوعه ، وباستخراج مواد وقوعه فى القرآن فعلا فهذه ثلاثة أدلة :

(١) دلالة العقل على النسخ :

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ؛ لأنه ممكن لذاته إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا .

وبهذا تثبت الخطوة الأولى فى إثبات الإمكان العقلى ، ويطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما تفترض وقوعه فى حيز الوجود فعلا من الأشياء التى تدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب فى الاستدلال مما لا يشيع معرفته عند مثقفى العصر ، حيث يشتبه على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله على المسألة لتزداد وضوحا ، وليتقرر بمنهجها صحة الاستدلال فى نفوس السائلين فى مواضع كثيرة .

والأمور التى ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمور ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها ، أو لم يألف نفيها فى تاريخ تجاربه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها فى حال الوقوع أو فى حال النفى بالمستحيلات ، فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب الخبط ذهبا ، ولا أن يتحول الجبل زئبقا ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه ممكن فى ذاته ويحتمل حصوله ، وإن كان العقل قبل التأمل والنظر ـ يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام : عن عجائب الراديــو والتليفزيون والعقل الالكترونى لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب من تصوراته العاديــة ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن ـ بعد انكشاف قوانين كونية جديدة ـ أن هذه ـ المستحيلات فى بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا ـ إنما هى ممكنات فى ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة ، فمثل هذه الأمور الممكنة فى ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف العقل من سير الأحداث الكونية الرتيبة ، يسميه علماؤنا ـ رضى الله عنهم ـ مستحيلا عاديا .

وأمور أخرى يحكم العقل باستحالتها لذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعتبرة لذلك ، وكاستحالة إله آخر مع الله ، فكل من هذين المثلين يسمى مستحيلا عقليا ، وهو المستحيل الحقيقى فى استعمالات البرهان ، والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستحيل العقلى غير قابل للوجود

من حيث ذاته ، فلا يكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ثان ؛ فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهبا ، فلن يترتب على تحقق هذا الفرض فى الوجود محال . بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض - إن تحقق - يستلزم محالا ثانيا يترتب على تحققه وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمامنا حسا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلحظ ما يحكم العقل باستحالته وما لا يحكم العقل باستحالته من الأشياء . وأمكننا أن نلحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها ، أمر ليس من شأنه أن يؤدى إلى إنكار وقوعه ، وقد دلت نصوص الشريعة ، وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلا :

ورد من آيات القرآن فى إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع ، وقد استدل بهما عامة العلماء أولهما -

قوله - تعالى - :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾

المراد بالآية هنا الآية القرآنية ، وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين ، وعلماء الأصول والمراد بالنسخ : الإزالة أو التبديل .

والمراد بلفظ « ننسها » فى أقرب التفاسير أحد معنيين : إما ذهابها عن الذكر ، وإما تركها على موضعها .

ويكون بيان الآية على المعنى الأول كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين : ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونه أو ننسها - أى نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم ، نأت بخير منها أو مثلها .

ويكون بيان الآية على المعنى الثانى حين نفسر النسخ بالتبديل ، والإنساء بالترك : ما نبدل من آية على وجه من وجوه التبديل ، أو نقرها فى مكانها نأت ، بخير منها أو مثلها .

والمراد بالخير على الوجهين فى الآية - على ما نختار - هو ما كان أكثر مصلحة للمكلف ، سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام ؛ لأن الله يصرف المكلف فى أنواع التكاليف ، على حسب ما يرى له من المصلحة ، لا بحسب هوى المكلف وداعية نفسه .

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم - كما ذهب إليه جمهور المفسرين والأصوليين - حجة تامة فى إثبات النسخ جوازا ووقوعا .

لكن الشيخ محمد عبده أخذا ببعض كلام محيى الدين بن عربى المتصوف الاتحادى المشهور ، أورد تشكيكا على مفاد الآية .. قال : إن المراد بالآية فى هذا الموضع إنما هو « المعجزة » ، وهو أولا قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم : إن الآية حين تذكر فى القرآن يراد بها عرفا الآية القرآنية . وأبين من ذلك أن سبب النزول الذى نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية .

ذلك أن سبب نزول الآية كما نص علماء التفسير هو طعن اليهود على النبى ﷺ فى أمر النسخ .. قالوا : (ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ،

ويقول اليوم قولا يرجع عنه ؟ فنزلت الآية) إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة .

والآية إذا وردت على سبب من أسباب النزول لا يجوز اطراح سبب نزولها فى فهم معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول بغير حجة ظاهرة ، لأن الأصل فى أسباب النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم الموثوق بهم ، الصحة والقبول حتى يقوم دليل على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية من هذه الروايات التى ينقلها إلينا أهل العلم بالتشهى ومخالفة المزاج ، لرفضنا كثيراً من النقول الدينية المعتبرة .

وأما الآية الثانية فهى أقطع نص يكون فى الدلالة على غرض ، قال الله ــ تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

سورة النحل

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس ، ــ رضى الله عنهما ــ قال : كان إذا نزلت آية فيها شدة ، ثم نزلت آية فيها لين ، تقول كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه : اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه ، فأنزل الله قوله ــ تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾

ويلاحظ أن ذلك كان فى مكة ، وأن وقائع النسخ قد بدأت فى مكة أيضاً كما نبه على ذلك الإمام الشاطبى .

التبديل معناه : رفع الشىء مع وضع غيره محله ، وتبديل الآية رفعها ووضع غيرها مكانها وهو النسخ ، ويستحيل أن يكون معنى « الآية » فى هذا الموضع غير الآية القرآنية من قبل سبعة أوجه :

أولاً : سبب النزول كما قدمنا .

ثانياً : التبادر الهاجم على النفس الذى لا ينكره من نفسه كل عالم باللغة .

ثالثاً : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت مفتر » . فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه لا يكون متعلقاً إلا بما هو من جنس الكلام ، ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقاً بالآيات إذا فسرت الآية بالمعجزة . ويساعدنا على ذلك الاستعمال المستمر فى القرآن ، وفى كلام العرب ، كقوله :

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾

رابعاً : قوله ــ تعالى :

﴿ قل نزله روح القدس ﴾

فإن المعروف عن روح القدس أو الروح المقدس وهو جبريل ، أنه كان ينزل بالآيات القرآنية ، بدلالة نص القرآن فى موضع آخر :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾

سورة الشعراء

خامساً : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية مباشرة وهى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » . فإن هذا السياق يدل على وحدة الموضوع ، وأن طعن قريش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه .

فلا محل لدلالة « الآية » : على غير الآية الكلامية فى هذا السياق .

سادساً : ومن ناحية أخرى فلا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات ، ثم يبدلها فيرفع معجزة ويحل محلها معجزة أخرى ؛ بل كانت سنة القرآن أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية ، وقد ثبت هذا المعنى فى مختلف سور القرآن قريباً من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعاً : وأيضاً فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، ومجىء آية أخرى ، أو معجزة أخرى لا يكون تبديلاً لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها .

وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأطنبنا فيها لكى نقطع عن طريقها كل تكلف شاذ ، وكل تأويل باطل .

(جـ) وأما بيان مواد الآيات المنسوخة فعلاً ، فقد عقدنا له فصلاً مستقلاً سيأتيك قريباً .

العلاقة بين الناسخ والمنسوخ فى الإثبات :

١ - يتردد فى كلام بعض العلماء كابن حزم والإمام الشاطبى أن الناسخ لا يكون إلا بيقين ، أو لا يكون إلا بأمر محقق فربما يتعلق بعض من يحاولون إنكار النسخ بمثل هذه الأقوال ، ويزعمون أن النسخ لا يكون إلا بدليل قطعى ، ثم يشككون بعد ذلك فى كل الدلالات الخطابات الناسخة على إفادة النسخ لأحكام الخطابات المقابلة لها .

وعبارة الإمام الشاطبى قال : « إن الأحكام إذا ثبتت على المكلف فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق لأن ثبوتها على المكلف أولا محقق ، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق ، ولذلك أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن ولا الخبر المتواتر » .

ونريد أن نفهم الأمر المحقق من كلام الشاطبى ما المراد به .

أهو اليقين على الإطلاق ، أم هو الظن الراجح الذى اعتبرته الأمة مناطاً للأحكام التكليفية العملية ؟ لا سبيل إلى أن نفهم الأمر المحقق من كلام الشاطبى على أنه اليقين وحده ؛ لأن مجال النسخ إنما هو الأحكام الشرعية العملية ، وهذه لا يتعين ثبوتها باليقين ؛ لأنها تثبت بالنص العام غير المخصص عند الشافعية ، وبالنص العام المخصص عند الحنفية ، وتثبت بخبر الواحد ، وبالقياس وبالإجماع السكوتى عند الحنفية ، وكل هذه الطرق التى ذكرناها طرق ظنية لا تثبت بها الأحكام إلا ظناً وعليها تدور عامة أحكام الفقه .

وقد يثبت الحكم الشرعى العملى باليقين ، إذا دل على إثباته دليل قطعى لا شبهة فيه لا من جهة الدلالة ولا من جهة الثبوت ، كالقرآن والسنة المتواترة ، ومثل هذا النوع من الأحكام الفقهية بالنسبة إلى مجموعة الأحكام الفقهية الثابتة براجح الظن قليل جداً ، وإذن فلا سبيل لأن يدعى للشاطبى ولا لغيره من أحد من العلماء ، أن الحكم الشرعى العملى لا يثبت على المكلف حين يثبت عليه إلا بدليل يقينى ، فلا يرفعه بعد ثبوته إلا يقين مثله .

(١) جـ ١ ص ١١٩ - الإحكام .

وعندئذ ترى أن يكون المراد بالأمر « المحقق » فى كلام الشاطبى الدليل المعتبر فى اصطلاح أهل الفن يقينا كان أم ظناً ، لا خصوص اليقين .

٢ ـ والتحقيق فى هذه المسألة أن الحكم التكليفى إذا ثبت باليقين الذى لا شبهة فيه ـ كالنص القرآنى والسنة المتواترة ، اللذين لا شبهة فى دلالة ألفاظهما على الأحكام ، امتنع نسخه إلا بيقين من طبقته لأن بناء النسخ على ثبوت صحة المعارضة بين كل من الناسخ والمنسوخ ، فلا بد أن يقعا فى رتبة واحدة من مراتب الثبوت .

وإذا كان الحكم المنسوخ من قبيل ما هو ثابت بالظن فلا يشترط فى الخطاب الناسخ له أن يكون قطعياً ، بل يصح أن يكون قطعياً ، كما يصح أن يكون ظنياً فى مثل درجته ؛ لأن مبنى النسخ ـ كما نقول إمكان صحة قيام المعارضة بين النصين .

ومعقولية المعارضة صحيحة بين نصين كل منهما ظنى .

ويؤيد هذا المعنى من كلام الشاطبى نفسه الفقرة الأخيرة من النص الذى قدمناه آنفاً : « وقد أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن ولا السنة المتواترة » . فلماذا اقتصر إجماع المحققين على ذلك فقط ؟ إن السبب واضح فيما قدمناه ـ من أن مبنى النسخ على صحة المعارضة عقلاً بين الدليلين المتقابلين ، وخبر الواحد ـ كما هو معلوم ـ دليل ظنى عند عامة العلماء ، فلا يدخل فى طوقه أن يعدو على ما هو أشد منه ثبوتا فيكسره ، فإذا وجدت المعارضة بين قطعى وظنى بطل الظنى فى نفسه وسلم القطعى عن المعارضة .

٣ ـ وأما اليقين الذى ورد فى كلام ابن حزم حيث قال : « لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول فى شىء من القرآن هو منسوخ إلا بيقين »[1] فلا يصعب علينا أمره .

إن بعض اليقين عند ابن حزم هو ظن عند عامة علماء الأمة : ذلك أن ابن حزم ، والحسين بن على الكرابيسى ، والحارث بن أسد المحاسبى ، وغيرهم ، يرون أن موجب خبر الواحد ، إفادة العلم والعمل : فاليقين الذى يعنيه ابن حزم فى باب النسخ ، ليس هو موجب النص المتواتر فقط ، ولكنه موجب خبر الواحد أيضاً على غير ما عهدنا فى ثقافتنا الفقهية التى جرى عليها العمل ، ويثبت ذلك على ابن حزم أنه قال فى الفصل الذى عقده لأدوات النسخ : « وسواء عندنا السنة المنقولة بالتواتر والسنة المنقولة بأخبار الآحاد ، كل ذلك ينسخ بعضه بعضاً ، وينسخ الآيات من القرآن وينسخه الآيات من القرآن »[1] .

فقد رأيت مبلغ اليقين الذى يشترطه ابن حزم فى إفادة النسخ .

وأظن أن هذه النكتة خفيت على بعض الكاتبين فى الأصول فكانوا يعرضون فكرة إمكان قدرة خبر الواحد على إيقاع النسخ موضع الاستغراب من قائليه ، ولكن حين نفهم مذهبهم على الوجه الذى أسفرنا عنه ، وهو أن خبر الواحد عند هؤلاء يفيد اليقين يزيل وجه الغرابة .

ويبقى النزاع مع أصحاب هذا المذهب ، لا فى كون خبر الواحد ناسخاً أو غير ناسخ ، ولكن فى أنه هل يفيد اليقين أو لا يفيد اليقين ؟

(١) جـ ٤ ص ١٠٧ ـ الإحكام .

وإذن لا يبقى فى كلام ابن حزم ولا الشاطبى متعلق لمن يحاول إنكار النسخ أو التشكيك فى أدلته .

وقد عقد الإمام الآمدى فصلاً صغيراً ذا بال عن شروط النسخ الشرعى ، فذكر الشروط المعتد بها وذكر جملة شروط أخرى ، من بينها « أن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قطعيين » ، ثم كر عليها فى آخر الفصل بقوله : « والحق أن هذه الأمور غير معتبرة »[٢] .

خطأ التأويل القاضى برفع النسخ :

١ ــ وقد رأيتم نهوض الدليل من خبر القرآن على وقوع النسخ والتبديل فى آيات الكتاب العزيز ، فكان لا بد أن نجد فى واقع القرآن آيات منسوخة ، وآيات أخرى ناسخة .

والجدل فى ثبوت هذا المبدأ جدل فى غير طائل ، فمن المستحيل أن يخبر القرآن عن وجود نسخ وتبديل فى آياته ، ثم نفحص المصحف الشريف ، فلا نجد فيه هذا النسخ ولا هذا التبديل الذى أخبر عنه .

وغاية ما فى الأمر أن يقع خلاف بين الناظرين فى تحقيق مناط النسخ فى الآيات التى يحكم عليها بالنسخ ، وهذا مقبول .

وقد حاول أبو مسلم ، كما حاول من ارتضى تقليده من أهل العصر أن ينظر للآيات التى تمثل مواضع النسخ فى حكم العلماء الأقدمين فيردها ، وينشىء بين ناسخها ومنسوخها توفيقات وتأويلات تخرج بها عن حد النسخ ، وهذا الصنيع من هؤلاء العلماء خطأ ولا ضرورة له ، بعد أن بينا أن وقوع النسخ فى الشريعة وفى آيات القرآن ، لا يعيب القرآن ولا الشريعة ، وأن لذلك من حكمة الشرع وإرادته لمصلحة المكلفين ما يجعله أبداً مستساغاً فى حكم العقل والمصلحة . وأنه رد لخبر القرآن عن نفسه ، أن فيه نسخاً وتبديلاً لبعض الآيات ببعض .

ثم إن العلماء المقرين لمبدأ النسخ ــ وهم جميع علماء الأمة ــ ما عدا أبا مسلم ــ على قدر ما وسعنا من العلم ــ لا يفرقون بين السنة والقرآن فى وقوع النسخ فى كل منهما : إنما وقع اختلافهم فى موضع آخر .

فقال الشافعى : لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن ، ولا ينسخ السنة إلا سنة ولا ينسخ أحدهما الآخر .

وقالت الجماعة : بل كلاهما وحى ويجوز لكل منهما أن ينسخ الآخر بالشروط المعتبرة لذلك .

فقول من يقول من الناس بوقوع النسخ أو جوازه فى السنة النبوية وحدها وامتناعه فى آيات القرآن ، زعم ليس عليه برهان ، وليس له إمام .

وتحرير مذهب أبى مسلم ــ أنه ينكر النسخ مطلقاً فى شريعة واحدة ، وإنكاره لوقوع النسخ فى القرآن إنما هو تفريع منه على إنكاره الأول . والظاهر من الناقلين لمذهبه بهذه الصياغة ــ كما فعل عبد العزيز البخارى ــ أنه ينكر وقوع النسخ أو جوازه فى السنة أيضاً .

الحديث موصول

---

(٢) جـ ٣ ص ١٦٤ ــ الآمدى .

حديث حول



للأستاذ/
أحمد عبد الفتاح
عبد المعطى*

قرأت مقال (ردّ من مؤلفى كتاب تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة) فى مجلة الأزهر[1] . فوجدت حديثاً منسوباً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفظه :

« إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى » .

● والحق أن هذا الحديث موضوع ، وكل حديث يدور فى هذا المعنى فهو باطل بشهادة علماء هذا الفن .

● قال البيهقى فى (معرفة السنن والآثار ج ٢٣/١) : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد ابن أبى عمرو فى كتاب السير ، قالا : أخبرنا أبو العباس ، قال : أخبرنا الربيع ، قال : أخبرنا الشافعى ، قال : قال أبو يوسف : حدثنا خالد بن أبى كريمة ، عن أبى جعفر عن رسول - الله صلى الله عليه وسلم - : أنه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى - عليه السلام - فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس ، فقال :

« إن الحديث سَيَفْشُو عنى ، فما أتاكم عنّى يوافق القرآن فهو عنى ، وما أتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى » .

● قال البيهقى : قال الشيخ أحمد : هذه الرواية منقطعة كما قال الشافعى فى الرسالة وكأنه أراد بالمجهول حديث خالد بن أبى كريمة ولم يعرف من حاله ما يثبت به خبره .

● قلت : ولهذا الخبر المنكر لفظ آخر : ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله .

قال السيد أحمد صقر فى (دلائل النبوة ٥٥/١) : حديث موضوع : أورده العقيلى فى ترجمة أشعث بن براز من روايته .

وقال : إسناد لا يصح وللأشعث هذا غير حديث منكر . وذكر السخاوى أنه (حديث منكر جداً) وأن ابن حجر قال : إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال ، وذكر العجلونى أن الصغانى قال : إن الحديث موضوع .

وفى عون المعبود عن يحيى بن معين : أن هذا حديث وضعته الزنادقة .

---

* المقصرة - بلقاس - دقهلية .

(١) الجزء السادس/ سنة ٦٧ عدد جمادى الآخرة .

وقال أيضاً في (معرفة السنن والآثار ٢٣/١) : والخبر أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢٥٨/١ وقال : لا أصل له .

قلت : نقل السيوطي في مفتاح الجنة ص (١٥) عن البيهقي في حديث أبي جعفر مرفوعاً « إن الحديث سيفشوا عني .... » .

● قال البيهقي : رواه خالد بن أبي كريمة جعفر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخالد مجهول ، وأبو جعفر ليس بصحابي . فالحديث منقطع .

وهكذا قال الشافعي (الرسالة/ ص ٢٢٥) . ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء ، صغير ولا كبير ، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء .

قال الشيخ عبد المتعال محمد الجبرى في (المشتهر من الحديث ٧١) : ومن رواة هذا الحديث ، من بعض طرقه ، الحسين بن عبد الله ، قال فيه ابن حزم : « الحسين بن عبد الله ساقط ، متهم بالزندقة » .

وقال البيهقي : والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

إنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب فقد ذكر أئمة الحديث أنه موضوع وضعته الزنادقة .

قال عبد الرحمن بن مهدى : « الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ، ونعتمد على ذلك ، قالوا فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله ، لأنا لم نجد في كتاب الله أنه لا يقبل من حديث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلا ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر المخالفة عن أمره » .

(جامع بيان العلم وفضله ١٩٠/٢)

قال الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة (دفاع عن السنة ١٨) « أما الحديث الذي يرويه القائلون بعدم استقلال السنة بالتشريع ... فقد بين أئمة الحديث وصيارفته أنه « موضوع » مختلق على النبي ـ صلى الله عليه وسلم، وضعته الزنادقة كي يصلوا إلى غرضهم الدنيء من إهمال الأحاديث أ.هـ .

وأخيراً : فليتق الله كل من نصَّب نفسه كاتباً في محراب العلم وليعلم حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري ج ٣/رقم ١٢٩١ ـ ٣٤٦١ ـ ٦١٩٧ ، ومسلم ج ٤/ ص ٢٢٩٨ ، وأبو داود كتاب العلم باب ٤ ، وابن ماجة في مقدمة السنن ، والدارمي في المقدمة ٢٥ ـ ٢٦ ورواه أحمد في المسند ج ١/ ص ١١٣ ـ ج ٤/١٥٠/٢٢٥ ـ (منهجية الإسلام في نقل الحديث والأخبار) د : الطاهر محمد الدرديرى .



لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

١ ـ أخرج الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال : « من اطلع فى بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه » .

٢ ـ وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ، صب فى أذنه الآنك » (الرصاص المذاب) .

٣ ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » . (رواه أبو داود) .

إن الإسلام سياج منيع يقى الإنسان من كل جوانبه ، ويحوطه بالعناية والرعاية من كل ما يؤذيه .. وهو عندما يحرم عليه أمراً من الأمور فهو كذلك يحرمه على غيره حتى لا يؤذى غيره ولا يؤذيه الغير .

وإن نظرة فى الأحاديث التى بين أيدينا تظهر فى جلاء ووضوح أن الله ـ عز وجل ـ ينفى الإيمان الكامل عن كل من يتتبع عورات المسلمين ويؤذيهم بلسانه ، أو بإشاعة الفاحشة عنهم ، كما تعطيهم الحق فى فقء عينه ، ووضع الرصاص المذاب فى أذنه حتى لا يرى ولا يسمع ، فضلاً عن العذاب الذى ينتظره من الله فى الدنيا بالفضيحة ولو فى جوف بيته ، وفى الآخرة بعذاب النار وبئس القرار . ولنتدبر ، قول الله عز وجل ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) ﴾ سورة النور

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ سورة النور

صعد النبي - ﷺ - المنبر ونادى بصوت رفيع « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » [أخرجه الترمذي].

إن للمسلم حرمات تجب رعايتها ، ويحرم انتهاكها .

لقد نظر عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - إلى الكعبة واستحضر في ذهنه تكريم الله - تعالى - وتعظيمه لمكانتها حيث وضعها الله في الأرض لعبادته وتقديسه ، ولهذا قال :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران : ٩٦ - ٩٧) .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

(البقرة/١٢٥) .

حين استحضر عبدالله بن عمر تلك الحرمات التي أحاط الله بها الكعبة ، قفز إلى ذهنه صورة أخرى هي صورة الكيان الكامل لتكريم الشخصية الإسلامية فقال : فيما أخرجه الترمذي - في حال نظره إلى الكعبة « ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » .

إن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله ، ولكن والأسى يفتت الأكباد - نرى كثيراً ممن ينتسبون إلى الإسلام لاهمّ لهم إلا التجسس على المسلمين وتتبع عوراتهم ، وإشاعة الشائعات عنهم ، والخوض في أعراضهم ، والعجيب أن هؤلاء الذين يعنيهم التجسس على عورات الناس هم أنفسهم لم يبرءوا من العورات ، وليتهم يشتغلون بعوراتهم وعيوبهم عن عورات الناس وعيوبهم ، لو فعلوا ذلك لأراحوا واستراحوا . ولقد جاء في مأثور القول : «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» . ولن تجد مسلماً نظيفاً طاهر القلب والعرض ، إلا وهو مشغول بعيوبه عن عيوب الناس .

إن شأن المسلم أن يبتعد عن صفات النفاق فهي أشنع ما يوصف به العباد فإذا اختلف ما وقر في القلب عما ينطق به اللسان فقد شاهت الصورة الإيمانية وقبح منظرها . بل إن هذا من أمارات الطرد من حظيرة الإيمان ، والبعد عن راية الإسلام .

وإن المسلم مأمور بالحفاظ على أخيه المسلم ، وعلى كل ما يتعلق به من أمور الدنيا والآخرة ، فهذا شأن الأخوة الإسلامية ، وتلك هي مبادىء الدين القويم؛ لتظل الأخلاق الإسلامية ، ولتبقى راية الفضيلة ترفرف في سماء المجتمع كله ، فلا يجترىء إنسان على الجهر بالمعصية .

روى عن عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية وذما في آخر ، فقال له عمر : إن شئت حققنا هذا

الأمر الذى تقوله فيه ؛ فنظرنا فيما نسبته إليه ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات ٦).

وإن كنت صادقـــاً فأنت ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ (ن ١١).

وإن شئت عفونا عنك . فقال الرجل : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى ذلك أبداً .

فليت المسلـــمين يلتزمـــون هذا الهدى الإسلامى - وبخاصة - الذين يلون أمور الناس منهم ، حين يستمعون لهذا الصنف الرخيص من الفساق الذين يحبون أن تشيع الفاحشة والفوضى بين المؤمنين . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا . فيضربون على أيديهم ليطهروا المجتمع منهم .

وليت أولئك الذين يريدون أن يشفوا غل صدورهم ، وحقد قلوبهم بإشاعة الشائعات ، ليتهم يعلمون أن هذه صفات تتنافى مع الإيمان ، والمؤمن ليس بفاحش ، ولا طعان ولا سباب ولا نمام . ولا مغتاب . وبحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المؤمن .



تصــويب

وقع خطأ مطبعى فى قصيدة تحية الأزهر للشيخ صالح محمد سيد على فى البيت قبل الأخير وصحته :

نحن فى ظلـــه نباهـــى ونفديـــــ ـــه فداء لا نعـــرف الإرتيابـــا

آداب الاستئذان وكرامة الإنسان

بقلم الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

سورة النور

إن الله الذى خلق النفوس فسواها ، وألهمها فجورها وتقواها هو الذى يعلم ظاهرها وخباياها وسرها ونجواها ، وهو الله الذى يريد للمسلمين أن يكون خلقهم مستقيماً ، وسلوكهم قويماً ، امتثالاً لأمر الرحمن ، وحفظاً لكرامة الإنسان .

وبعداً عن معصية الله الذى أنزل القرآن لسعادة البشر ، وبمراعاة آداب الاستئذان تحفظ للبيوت حرياتها وتصان حرماتها ؛ لأن للناس فى بيوتهم شئوناً خاصة بهم لايشاركهم فيها ضيف تبلد حسه فهانت عليه نفسه ، فجاءت تلكم الآيات البينات لكى تقول : لاتدخلوا بيوت الناس بغير إذنهم ولو كنتم قد اعتدتم هذا من قبل ، وتقولون نحن ذوو قربى ؛ لكن شريعة القرآن جاءت لسيادة الناس على مساكنهم تحفظ أمنهم وعزهم وتحمى استقلالهم واستقرارهم : فلا تقتحم البيوت بفوضى الاختلاط الذى يصنعه الأرذلون !!!

ذكروا أن سبب نزول هذه الآيات : أن امرأة شكت إلى النبى ﷺ أنها تكون فى بيتها على حالة لا تحب أن يراها فيها أحد لا والد ولا ولد فيأتيها آت فيدخل ، فماذا تصنع مع مثل هذا ، فنزلت تلكم الآيات الحاسمات البينات التى لاتقبل تبديلاً ولا تعديلاً ولا تعطيلاً ولا تأويلاً يصنعه الشاردون من الهدى ودين الحق ، وراحوا يقلدون أقواماً نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون :

فهل تسمى المجحية مدنية ؟ والدعارة حضارة ؟ والإباحية حرية ؟... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا : والله يقول : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(الآية ٤٢ من سورة البقرة) .

فماذا يصنع الشرّاح فى قول فصلى وماهو بالهزل ــ يقول للمسلمين :

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾

فقد يكون البيت فى حالة ــ لاتسمح بزيارة أحد ولاضيافته ــ قد يدركها أهل الذوق السليم والخلق الكريم استنتاجاً من قول الخلاق العليم ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ لأن الله يحذر من فقدان الإحساس وعدم مراعاة شعور الناس ، وهذا مايمقته مَنْ رزقهم الله حُبَّ الحيطة والعفة ، وهم الذين يعرفون من دينهم وفطرتهم السليمة أن الله العليم الخبير قد حرم على المؤمنين والمؤمنات التسيب والاستهتار ، ففرض عليهم أن يستأذنوا قبل دخول بيوت الناس بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فى سورة النور التى وصفها الله بقوله :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

الاستئذان حق شرعى

وفى الإسلام الحنيف تثبيت لحقوق الإنسان الأدبية والمادية ، وبمراعاة الأخلاق الدينية تسمو النفوس وتتيقظ الضمائر وتستنير البصائر ويقف كل إنسان عند حده وبهذا يستتب الأمن والسلم ، وتسود المودة بين المسلمين ، ويتعاون المؤمنون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وويل لمن غلبته نفسه بهواها ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الشمس

لذلك أمر الله المسلمين بالاستقامة والاعتدال فى كل شىء :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(آية ٩٠ من سورة النحل)

ولكن فريقاً يستهتر بذلك ويستهين بآيات الله ويتخذها هزواً ، ويقول : إن الاستئذان لا يؤمر به الأقارب وأولوا الأرحام ، إنما جاءت هذه الأوامر لزمان غير زماننا ، ولكن هذا سفه وجهالة ، وهذا مما يتنافى مع عزة الرجال وعفتهم ، وشهامتهم ومروءتهم ونخوتهم وفطرتهم ، وتقاليد المسلمين وشريعتهم : ورد أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وقال له : « أأستأذن على أمى ؟ قال نعم : قال : ليس لها خادم غيرى ، أأستأذن عليها كلما دخلت ؟؟ قال : أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا قال : فاستأذن عليها » . وبهذا يحفظ للبيت جلاله واحترامه ، فكان تشريع الاستئذان رحمة بالإنسان حيث وضع الإسلام للزيارة حدوداً ، ورسم لها قيوداً ، ومنع الاختلاط المريب الذى يثير الظنون والشكوك ، وللشيطان فى هذا المجال ألاعيب وأساليب تغرى بالإثم ، وتحض على الفتنة والوقيعة والشر والدسيسة (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) .

وليس أعز على الأحرار من صيانة الأعراض وسلامة الأنساب وطهارة السيرة ونظافة السمعة ؛ لذلك كان الإسلام حريصاً أشد الحرص على وجوب الاستئذان قبل دخول المساكن الأخرى ؛ صوناً للشرف واتقاء للشبهات وتجنباً للزلات والهفوات ؛ ليعيش الناس حياة منزلية نقية ، نظيفة أبية ، عزيزة عفيفة : فلا ضرر على الأسرة ولا خطر ولايقال : إن للأهل مناعة تعصم من الخطيئات (ولصديق الأسرة) ثقة وأمانات لاتكون معها شبهات ، ولكن الله يقول :

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ... ﴾ بعد قوله – عز وجل – في سورة النور : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وبهذه الأوامر والنواهي يلتزم المؤمن بالتوجيهات ويعمل بالعظات البالغات لكيلا تجد الرذيلة إلى أصحاب النفوس الهزيلة سبيلاً يبرر لها فوضى الاختلاط وإباحة اقتحام البيوت ذات الحرمات :

« وما معنى حتى تستأنسوا ؟ ».

قال علماؤنا : أى حتى تطلبوا الأنس بالإذن لكم بالدخول : وبالأنس تزول الوحشة وتتبدل بها طمأنينة وأمنا فالأنس ضد الوحشة ، والوحشة يحس بها من يدخل بيت غيره بدون إذن ، وعلى الزائر أن يتلمس الأنس والرغبة ، وهل هو مقبول في زيارته ؟ أم غير مرغوب فيه ؟ أم أنهم لايريدونه ؟ أم سيقابلونه بالبشر والبشاشة والشعور الكريم والترحاب الجميل ؟ وعلى الزائر أن يقرع الباب بهدوء ورفق أو يمس « الجرس » الخارجي كذلك : فلا إزعاج بقلق ولا ينادى بصوت منكر ليفتح له الباب بسرعة : وأدوات الإعلام معروفة لمن شاء أن يُعْلِمَ بالزيارة والقدوم قبل الدخول وطلب الإذن بذلك : وطلب الإذن واضح بيِّن بوسائله المعهودة المعتادة .

ولقد كان تشريع الاستئذان نوراً يضيء الطريق لحماية القيم الإنسانية والأسرة الإسلامية من كل ريبة تثير الشك ؛ ولهذا كان هذا التشريع خيراً لكم فلنتذكر هذه الخيرية ولنتدبرها ولنحرص عليها أشد الحرص ففيها ضمان العزة والعفة وحسن السمعة ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من عزة كاذبة إذ كان بعضهم يقول : في انتظار الإذن ذلة ومهانة لمن ينتظر الموافقة على صدور الإذن ، وكذبوا وجهلوا أن الإسلام الذى يمنعكم من دخول بيوت غيركم بغير إذن هو الإسلام الذى يمنع غيركم من دخول بيوتكم إلا أن يؤذن لهم ، لأن الخطاب لجميع المؤمنين ذكراناً وإناثاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ولايدرك الخير في الاستئذان إلا المتقون ولا يجحده إلا المجرمون الذين هيمن الهوى عليهم فاتبعوا أهواءهم ، وانقادوا وراء شياطينهم الذين زينوا لهم سوء عملهم فرأوه حسناً

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

سورة الروم

أفضل الزيارة :

وقد يدخل البيت بدون إذن أحد الأقارب ويطيل المكث فيشق هذا على أصحاب البيت ولو

كان هذا من الأصهار أو أولى الأرحام الذين لا يؤمنون بالاستئذان المفروض عليهم ، ولكنهم يقولون : إنما جعل الاستئذان من أجل النظر كما ورد هذا فلا نظر يصدر منا والمراد بالنظر المعلم بالاطلاع على ما يكرهه أهل البيت من الزائر ، ألا ترى أن الأعمى مفروض عليه الاستئذان فقد يدرك بحسه وحدسه ما لا يخطر على بال المبصر وقد يكون فى البيت أشياء لايباح له معرفتها لأنها خاصة بأهله فيجب احترام شعور الناس ويجب العمل بالقرآن كله ففيه السعادة فى الدنيا والآخرة .

ثم أرأيت ما يكتب فى الصحف من حوادث وقضايا أخلاقية ، وفيها من المخازى ، والمآسى ما فيها؟ بسببها الخروج عن حدود شريعة الله واتباع خطوات الشيطان عدو الإنسان من أجل هذا يقول الله جل جلاله : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تعقيباً وتحذيراً من تقليد الذين انقادوا وراء شهواتهم من غير قيود فلا وازع يزيعهم ولارادع يصدهم عن غيهم وبغيهم وسوف يلقون غيا .

وإنه ليحزننا أن يتردد إنسان على بيت غيره فى غيبة صاحب الدار ويتظاهر بصداقته ومودته ثم لا يلبث أن يظهر خبث طويته وسوء نيته ودناءة نفسه وخسته ، وقد يتسبب تطفله وتسفله دماره وبواره ، وويل لمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ ؟
سورة الشورى

إن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولكن الذين فسدت ضمائرهم وانطمست بصائرهم وعميت أبصارهم عن رؤية الحق غلبت عليهم شقوتهم فلا مروءة ولاإحساس ولا ذوق تراعى به مشاعر الناس فى الآداب العامة ومنها آداب الزيارة كما فى القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين ﷺ .

« بيوت غير مسكونة »

ولاحرج فى دخول الأماكن العامة بغير إذن لأنها ليست مسكونة وإنما جعلت لمصالح الناس ومنافعهم التجارية «بيعاً وشراء» أو الصناعية أو الزراعية التى تفتح للناس دائماً لاستقبال الجماهير أصحاب المنفعة كالأسواق العامة ، وأماكن الإيواء (الفنادق) والحمامات وعيادات الأطباء ودور الاستشفاء، إلا عندما يتخذ الإنسان فيها وضعه داخل بيته ، والمتنزهات العامة والمطاعم التجارية وكالمقاهى و «النوادى» إلى غير ذلك من الأماكن العامة «لا الخاصة» والله يقول :

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾
سورة النور

قالوا : سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ لما نزلت الآية التى سبقتها قال : يارسول الله ، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة وبيت المقدس والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان فنزلت تلك الآية : وقوله : ﴿فيها متاع لكم﴾ صفة للبيوت ، فإن فيها متاعاً لكم أو مستأنف كتعليل لنفى الجناح عن تلكم البيوت التى لم يفرض الإذن لدخولها : وهذا للصالح العام ، فلا حرج فى الدين ولكنه اليسر فى التشريع ، واختتمت الآية بقوله ـ جل جلاله :

﴿ والله يعلم ماتبدون وما تكتمون ﴾ لأن الأعمال بالنيات والله لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو يعلم التحركات السيئة ذات المقاصد الخبيثة ، وإن كان ظاهرها حسناً ولكن الله عليم بذات الصدور .

استئذان الأطفال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) ﴾

وهذا نوع من التأديب المثالى لأطفال المسلمين جاء فى هاتين الآيتين الكريمتين الهادفتين إلى السمو والاحتشام فى أوقات حرجة وحساسة سماها القرآن ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾ وفى هذه الأوقات يلجأ الناس إلى طلب الاستجمام والراحة وتخفيف الملابس وقت الظهيرة وفى وقت الإيواء إلى حجرات النوم ، فلا ينبغى أن يطلع فيها أحد على أحد ولو كان طفلاً لم يبلغ الحلم : وهذه الأوقات هى :

١ ـ من قبل صلاة الفجر .

٢ ـ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة .

٣ ـ ومن بعد صلاة العشاء .

فلا يُحبّ فيها الوالدان دخول أطفالهما عليهما أو أطفال غيرهما ، ويجب أن تقوم التربية على هذه القواعد القرآنية الخالدة ليستأذن الأطفال بتوجيه من ذويهم وأهليهم على ضوء هذه التوجيهات الإسلامية التى تتمشى مع الفطرة الإنسانية النظيفة ، فهل رأيت كنظام الإسلام نظاماً دقيقاً رفيقاً يصون العفة والكرامة لبيوت الناس .

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ سورة الأنعام

درس تأديب وتأنيب

يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾ سورة الأحزاب

هذا درس تربوى وتأديب إلهى وتوجيه قرآنى أنزله الله على رسوله الكريم لتهذيب المشاعر وتنمية الإحساس فى قلوب الناس ولإعطاء العزة حقها فلا قيمة لإنسان بغير كرامة يكون بها إنساناً فى صورته ، ملكا كريماً فى سيرته .

تكون نفسه عالية وأخلاقه سامية ، ليكون قوياً فى غير عنف ، ليناً فى غير ضعف ، يمشى سوياً على صراط مستقيم ، والله يقول :

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الآية ٢٢ سورة الملك)

والمؤمن يكون ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف يصون النفس ويحملها على ما يزينها وذلك لأن الإنسان إنسان بشهامته وهمته ومروءته وعفته لا بهيئته وطول قامته، إنسان بإيمانه السليم وسلوكه المستقيم، إنسان برجاحة عقله وطهارة نفسه، ورحم الله القائل :

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

واستكمال فضائل النفس أزكى وأطهر من دنس الدناءة والثقل والرذالة والتطفل والتسفل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وقد كان ناس يدخلون بيوت النبي ﷺ بدون إذن، فعلمهم القرآن آداب الاستئذان ونهاهم عن ترقب أوقات طهي الطعام أو إعداده فإذا دعوا إلى الدخول فليدخلوا : فإذا طعموا فلينتشروا ولا يمكثون يؤذون النبي ﷺ فأنقذ الله رسوله بقرآن يتلى يرشد الضالين ويوقظ الغافلين وليعرف الناس في كل زمان ومكان آداب الزيارة ويقدروا لها المناسبات ويختاروا لها الأوقات فإذا طعموا فلينتشروا في الأرض الواسعة : ويتركوا البيوت لأصحابها وكذلك كانوا إذا سمعوا الحديث استسلموا واستكانوا واستقروا وأقاموا : فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ فيستحيي منهم ويتحامل على نفسه مستعيناً عليهم بالصبر الجميل فخفف الله - تعالى - على نبيه أمرهم وأوقفهم عند حدهم .

قسوة الإيذاء النفسي

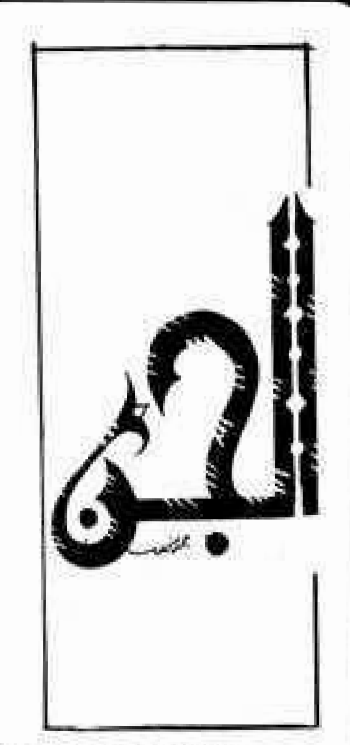
ولا ريب أن الإيذاء النفسي أشد قسوة من أذى الأبدان على الإنسان، والله قد حرم كل أنواع الأذى ومنها إيلام الناس في مساكنهم بالمضايقات المريبة كأن يقلب الزائر الثقيل عينيه ذات اليمين وذات الشمال ليختلس نظرة حقيرة دنيئة، ومنها أن يمد يده إلى شيء ما . كالكتب مثلاً، وقد يطلب إعارته كتاباً فإذا أخذه لم يرده وقد يدعي فقدانه، ومنها أن يسأل عن أشياء إن تبد له تسؤه، وعليه أن يجلس جلسة مؤدبة لا التواء فيها ولا كبرياء وألا يرهق صاحب المسكن بمطالب كثيرة يضيق بها ذرعاً، ومنها أن ينطق بالكلم الطيب فلا يكون فظاً (جلفاً) غليظ القلب .

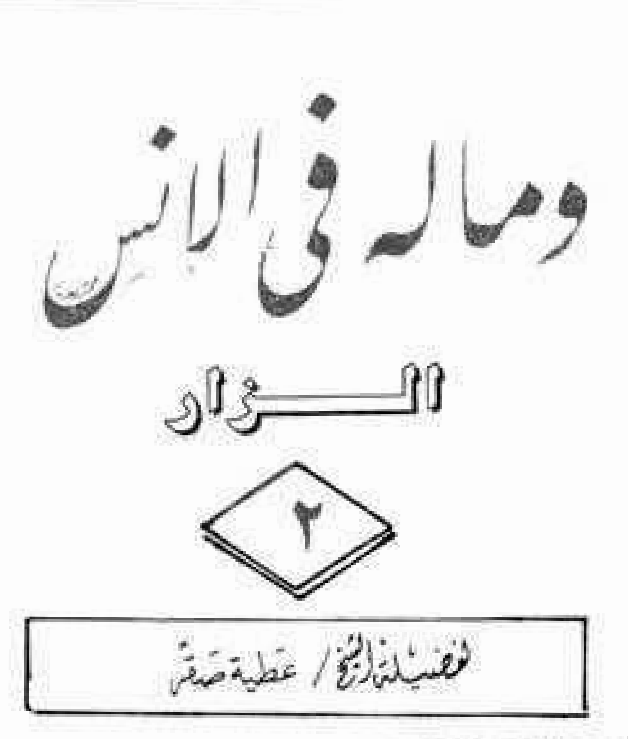
ومن الأمور المؤلمة أن يذهب زائر بصحبة أطفاله الصغار ويتكرر منه هذا لحاجة في نفسه وقد يذهب في وقت لا تحمد فيه الزيارة !! وهذا مما يؤلم صاحب البيت : ومن الأمور المؤذية أن يأوي مريض «بمرض معد» إلى بيت غيره كضيف يفرض نفسه ومرضه على غيره ليؤلم الناس في مستقرهم ومكان أمنهم وراحة بالهم، ولا يقبل مثل هذه البلايا المؤذية !! و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» والله - تبارك وتعالى - حرم إيذاء الناس :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾
سورة الأحزاب

وعلى المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم وعلى المؤمنات أن يغضضن من أبصارهن أينما حلوا وأنى وجدوا، والله يقول :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
سورة النور





١ — كلمة الزار ليست عربية الأصل ، وإنما أصلها «كوشيي» وهى عادة وثنية فى أثيوبيا ، أخذها الأحباش من أفريقيا السوداء عند «البورى» ولذلك يسمى الزار «زار دى بورى» .

٢ — هذه العادة قديمة ظهرت قبل الإسلام وكان أصلها فى أفريقيا ثم انتشرت فى غيرها ، وقيل : كانت فى فارس وعبرت النيل حتى وصلت أفريقيا .

٣ — يقول المستشرق الفرنسى «مكسيم» إن الزار دخل مصر من الحبشة سنة ١٨٧٠ م ثم انتقل إلى أفريقيا الوسطى وأمريكا الجنوبية والوسطى ، ويقول البعض : إن الزار لم يوصف فى كتاب «وصف مصر» الذى صدر سنة ١٨٣٠ م بعد حملة نابليون .

٤ — ترجع هذه العادة إلى ، عدة أسباب :

(أ) فقد تكون لعقائد دينية ، تسلط فيها الأرواح الشريرة على الإنسان .

(ب) وقد تكون بسبب طاقات مكبوتة ، ولدتها ظروف ضاغطة تسبب ألما نفسيا وعصبيا ينفس عنه بالزار .

الكاتب عضو مجمع البحوث الإسلامية ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

(حـ) وقد تكون بسبب إجهاد عقلي يحتاج الى الراحة والإنطلاق بعمل هذه الطقوس .
(د) وقد تكون بسبب مس الجن .

(هـ) وقد تكون بسبب الوهم حين يشير بعض الجهلة على مريضة بأنها ممسوسة ولا يشفيها إلا الزار .

٥ ــ طقوس الزار هي :
(أ) الموسيقى العنيفة بالضرب على الرق ، وقد يستمر ذلك عدة أيام .
(ب) الحركات الهيسترية ورقص المريض مع مشاركة الأصدقاء للتخفيف من محنته بعد الرقص ..
(حـ) إحضار ديك وبخور وذبح خروف وشرب المريض لدمه والارتماء على الأرض .
٦ ــ تعالج الطاقات المكبوتة علاجا نفسيا وهذا العلاج معروف ومايزال يمارس ، وأهل «سارسينا» موطن موسوليني بإيطاليا يتبعون طريقة تشبه الزار داخل كنيسة «سان فيتشو» حيث يضع القسيس طوقا من حديد حول عنق المريض ويستجوبه وهو فى حالة عدم سيطرة على جسمه ثم يطلب القسيس على أصوات المزامير ــ من العفريت أن يترك المريض فى سلام فيشفى من المرض «أخبار من روما نشرتها آخر ساعة فى ١٩٥٨/١٢/٨م وله فى أمريكا معاهد تطبق العلاج علميا .
والعلاج النفسى الصحيح يخلق الثقة والأمل فى نفس المريض ويقوى شخصيته ومع اعتقاد أن المرض من عند الله لابد من الصبر والرضا والتوجه إلى الله بالطاعة والدعاء ليكشف الكرب .
والإجهاد العقلى يحتاج إلى الراحة والترويح والحديث صريح فى أن لله حقا وللبدن حقا والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ، والدين ينهى عن الغلو حتى فى الطاعات إذا ترتب عليها ضرر « فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » والنصوص كثيرة فى يسر الإسلام ومراعاة الوسع فى التكاليف .
وأما الوهم فيجب التخلص منه ويجب الاعتماد على الحقائق فى كل الأمور . ومس الجن علاجه مذكور فى بحث الجن : يقول ابن تيمية فى كتابه «إيضاح الدلالة ص ١٤٦» : الناس فى مس الجن أصناف ثلاثة : قوم يكذبون بدخول الجن فى الإنس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة ، فهؤلاء يكذبون الموجود،وهؤلاء يعصون ، بل يكفرون بالمعبود ، والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود ، وتؤمن بالإله المعبود وبعبادته وذكره وأسمائه وكلامه ، فتدفع شياطين الإنس والجن .
٧ ــ وحكم الدين فى المظاهر التى يقوم عليها الزار الآن : أن الموسيقى فى حد ذاتها قد تكون مؤثرة على الأعصاب ، فلا يحكم عليها إلا بالعوارض التى تصحبها واستعملها أطباء الغرب فى الصرع البدنى والعصبى وفى ذلك إيحاء للمريض بالشفاء .

أما الرقص الجماعي أو المختلط فهو حرام ، وكذلك الذبح باسم الجان يعتبر ميتة محرمة كما أن شرب الدم حرام ، واحتيال القائمين بذلك على الكسب والتغرير حرام .

ولزيادة المعلومات يمكن الرجوع الى :

١ ـ مقال في مجلة نهضة أفريقيا للكاتب «ربتيه خورى» عدد ٩ في يوليو ١٩٥١م .

٢ ـ رسالة للسيدة هدى بدران كعلاج بطريقة بدائية .

٣ ـ رسالة ماجستير عن الزار للسيدة فاطمة المصرى .

٤ ـ كتاب عن الزار للمستشرق الألمانى «باول كاله» زار مصر سنة ١٩٠٣م وعمل راعيا للكنيسة الألمانية .

تحضير الأرواح

هو تحضير للقرين ، وفيه بحث في الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» ص ٣٣٢ .

السحر

مذكور في الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» ص ١٤٥ ويزاد عليه ما يأتى : تحدث ابن القيم «زاد المعاد ج ٣ ص ١٠٤» عن علاج السحر وهو يتمثل في أمرين :

أولهما : استخراج المادة التى عمل بها السحر ، كما صح أن النبى ﷺ سأل ربه سبحانه فيما سحره به اليهود فدله عليه واستخرجه من بئر ، فكان في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال . فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب أى المسحور .

ثانيهما : معالجة المكان الذى أثر فيه السحر كالحجامة عند دوار الرأس ، وقد لجأ إليها النبى ﷺ قبل أن يعرف أنه مسحور فلما عرف استخرج السحر من البئر كما ذكر .

ثم قال ابن القيم : ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية بل هى أدويته النافعة بالذات فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلها وتأثيرها ، وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ في النشرة ، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه ، فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له ، فالقلب إذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره ، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه .

وعند السحرة أن سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات ، ولهذا غالباً ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال وأهل البوادى ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية .

وبالجملة فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة التى يكون ميلها إلى السفليات قالوا : والمسحور هو الذى يعين على نفسه ، فإن من كان قلبه متعلقا بشيء كان كثير الالتفات إليه ، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات ، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة وبفراغها من القوة الإلهية وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها،فتجدها فارغة لا عدة معها وفيها ميل إلى ما يناسبها ، فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم .

الحســـد بالعـــين

الحسد بالعين حقيقة ملموسة وموجودة من قديم الزمان ، وإن عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيرا علمياً ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم ــ وقد اتخذ النبى ﷺ لها إجراء وقائيا وإجراء علاجيا ، فقد ورد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، كما روى الترمذى وصححه أن أسماء بنت عميس قالت : يارسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ولو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء فى مسند أبى داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن ــ أى الحاسد ــ فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المعين ــ أى المحسود ــ وروى مالك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامرا وتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت ، اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه داخلة إزاره فى قدح ، ثم صب عليه فراح مع الناس .

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد ج ٣ ص ١٦ » عدة أحاديث فى هذا الموضوع وعلق عليها بقوله : أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجابا وأكثفهم طباعا وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها ، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره ، وإن اختلفوا فى سببه ووجهة تأثير العين .

ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة وتفسيرات متعددة لكيفية الإصابة بالعين ، منها قوله : إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر ، قالوا : ولا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك ، وهذا أمر قد اشتهر

عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك فكذلك العائن . ثم قال : وهو يلتقي مع قول النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين من الحيات أنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل .

ويؤمن ابن القيم بذلك حتى قال : إن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له شيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره . وذكر علاج الإصابة بالعين مستوحى من الأحاديث النبوية مع أدعية واردة تفيد في هذا الموضوع أفاض في بيان تأثير العلاج النبوي بالاغتسال بالماء الذي اغتسل به العائن بما لا يدع مجالا للشك في أهميته .

هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر أثر العين ، بل أثر القوى الأخرى ، وهي تثبت صدق الرسول ﷺ في قوله ، وأثر الاستعاذة والتحصين في تقوية الروح لتدفع خطر العين .

ومما جاء في كلام ابن القيم في المرجع المذكور أن النبي ﷺ قال « إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر » كما ذكره جابر : وأن تأثير الأرواح في الأجسام معروف ، ومنه أنك ترى الوجه كيف تحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه ، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه ، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه ، وهذا كله بتأثير الأرواح ، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها ، وليست هي الفاعلة وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها ، وذكر لدفع أذى عين الحاسد تعوذات كثيرة ، منها : قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي ، والتعوذات النبوية التي منها « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، ومنها : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . وذكر أن من الاحتراز من الحسد ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه ، كما ذكر البغوي في كتاب شرح السنة أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ رأى صبيا مليحا فقال : دسّموا نونته لئلا تصيبه العين ، ومعنى دسّموا نونته : أي سودوا النقرة التي في ذقن الصبي الصغير ثم ذكر أن العائن إذا كان يخشى ضرر عينه على المعين ، يدفع شرها بقوله : اللهم بارك عليه ، كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة « ألا بركت » أي قلت : اللهم بارك عليه . وكذلك قول العائن : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهي من الأشياء التي تدفع شر العين ، أو تدفعه رقية جبريل للنبي ﷺ كما رواها مسلم في صحيحه عندما قال : « باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك باسم الله أرقيك » .

إن ما أثر عن النبي ﷺ بشأن الحسد بالعين والوقاية منه وعلاجه جدير بأن يحرص عليه الناس ، ولا يلجأوا إلى الأساليب الأخرى التي قد تدفع إليها عقيدة باطلة مأثورة عن الجاهلية من التمائم والخرزات والودع وما إليها ، ففي المشروع غنى وكفاية عن الباطل الذي يروج له من لا يتورعون عن الحرام .



د/ محمد حسن عبد الخالق

يؤمن اليهود بمجيء (المسيح) المنتظر ، وهذه الدعوى بظهور المسيح ، لم تكن معروفة قبل كتب التوراة ، وتفسيراتها «كالمشنا» و «الجمارا» و«التلمود» وغيره ، كما أن هذه التسمية تعود إلى تلك الشعائر الدينية التي وردت في التوراة المتداولة في سفرى ، التكوين والخروج ، وما يليهما من أسفار العهد القديم .

وتدل دراسة المقارنة بين الأديان على أن شيوع الإيمان بالخلاص ، وظهور المسيح «المخلص» في زمن مقبل لم يكن أمراً جديداً على اليهود ، وكلما تعاظمت المحن زاد الأمل في الخلاص .

وكلمة « المخلص » أو « المنقذ » أو « جوئيل » بالعبرية تعني ذلك الفارس الذي يصل في الوقت المناسب ليخلص اليهود من آلامهم .

وإذا رجعنا إلى التاريخ القديم للشعوب ، وجدنا الفكرة قد استعارها اليهود ممن سبقهم ، فقد كان « البابليون » يؤمنون بعودة « مردخ » إلى الأرض لتطهيرها من الفساد ، وحتى المجوس كانوا يؤمنون بظهور « رسول » كل ألف عام ، يُبعث في جسد إنسان .

الحياة اللغوية للكلمة :

وقد بدأت كلمة « مسيح » وبالعبرية « ماشيَخ » حياتها اللغوية بمدلول مادى عادى ،

(*) الكاتب يعمل بمجمع البحوث الإسلامية .

فالفعل « مسح » كان يستعمل لمبايعة الملوك ، إذ يأتى الكاهن الأكبر الذى يقوم بطقوس التتويج ويضع فى كفه قليلًا من الزيت الذى يعتبرونه (مقدساً) فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج ، إذاً فهذه التسمية تعود إلى الشعائر التى وردت فى التوراة . فالمسح بهذا الزيت شعيرة من شعائر التقديس والتكريم .

كذلك ورد فى الإصحاح السادس عشر من سفر الأيام : « لاتمسوا مسحائى ، ولاتؤذوا أنبيائى » وكان مسح الملوك بهذا الزيت أول شعائر التتوج والمبايعة عند اليهود ، وبعدها أطلقت كلمة « مسيح » مجازاً على كل مختار ومنذور ثم أصبحت بعد ذلك تعنى (المختار) أو (المنذور) للهداية والصلاح .

وطوال سنى النفى الطويلة حاول اليهود أن يحققوا الفكرة الصهيونية بثلاث طرق أو بالمعنى الأدق على ثلاث مراحل وصولًا لأهدافهم وتحقيقاً لغاياتها وهى :

١ ـ المسيحانية .

٢ ـ العمل السياسى .

٣ ـ احتلال فلسطين .

وتاريخ اليهود ملىء بالعديد من المحاولات المريرة التى كانت الغاية منها أولًا وأخيراً تحقيق الهدف الصهيونى .

وقد عاش اليهود فكرياً وروحياً داخل مجموعة النصوص الدينية التى لديهم وبعد تعرضهم للسبى البابلى ، ثم التشتيت فى الأرض على أيدى الرومان اتخذ تفكيرهم فى الغيبيات اتجاهين محددين هما :

١ ـ نهاية العالم .

٢ ـ الخلاص على يد المسيح المنتظر .

وتأتى فكرة الخلاص أو المسيح مقترنة بفكرة تجديد العهد ـ أو العهد الجديد ولكننا لانجد بين أسفار التوارة الموجودة بين أيدى اليهود مايشعر بفكرة انتظار المسيح المخلص ، ولكن اليهود تأولوا ذلك كما سوف يتبين القارىء من المقال .وإذا نظرنا إلى ماورد فيها نجده لايدل على شىء .

وجملة القول أنهم صاغوا أفكارهم هذه وصولًا لغايات كانوا يحلمون بها ويريدون تحقيقها .

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن المسيح المنتظر والبناء الفكرى المعقد الذى ارتبط بهذا الأمل وأصبح عالماً مليئاً بالحكايات والأساطير وأشهرها ما يراه اليهود فى المسيح وهو شخصية النبى (إلياس) والذى يسميه اليهود « إيليا التشبى » أو « إلياهو النبى » وأخبار معجزات هذا النبى فى العهد القديم كثيرة .

وأذكر إحدى قصص « إلياهو » : فقد وجد الفساد قد تفشى فى فلسطين ، فقام ينادى بالاصلاح ، ثم تأتى قصته مع إمرأة أرملة تعيش هى وابنها فى (صرفة) وهى إحدى قرى الشمال التى تسيطر عليها « صيدا » ويمرض ابن الأرملة ويموت .. وتمضى أحداث القصة فيأخذه إيليا ويصعد إلى السطح ويطلب من الرب إعادة الحياة إلى الولد ، فتعود إليه الحياة .. كذا ورد فى القصة .

ونحن نعلم أن تلك إحدي معجزات الرسول « عيسى » ـ عليه السلام ـ وهو ما كان يحيى ويميت بإرادته بل بإذن الله وقدرته للتدليل على نبوته فحسب ، واعتقد اليهود أن « إلياهو » سيأتى مبشراً بمجىء المسيح ، وقال بعضهم : إن المسيح هو ابن الأرملة الذى أعاده « إلياهو »

للحياة ، ومنهم من قال : إن إلياهو وابن الأرملة شيء واحد .

وتراهم جميعاً يؤمنون بأنه سيأتى ، بل إنه ينزل على فترات إلى الدنيا ليطمئن على أنه مازال هناك يهود يقيمون الشعائر الدينية .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو :

لماذا لم يؤمن اليهود بالمسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ عند قيامه بدعوته فيما بينهم .

والإجابة باختصار أن هناك مواصفات خاصة وشروطا معينة للمسيح المنتظر عند اليهود ، وعندهم أن النبى « أشعيا » فى سفره ـ الإصحاح الحادى عشر ـ وصف المسيح بقوله :

« ويخرج فرع من جذر « يَسّىَ » يقضى بالعدل للمساكين . فيسكن الذئب مع الحمل ، ويربض النمر مع الجدى والعجل ، وشبل الأسد مع دابة العلف .. إلخ؟؟

ويقول اليهود إنه لم يتحقق شىء من هذا على عهد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فالذئب مازال يأكل الحمل .. إلخ ، فلم يؤمنوا بعيسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لما هو محفور فى قلوبهم نحو مسيح هم ينتظرونه بمواصفات وأوصاف خاصة عندهم ؟

ولم يكتفوا بهذا بل حرفوا اسم المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ من (يسوع) التى تنطق بالعبرية « يشوع » بمعنى المخلص وأسموه باسم آخر « مرذول » فعليهم لعنة الله .

وقالوا عنه ـ فى غير لياقة :

« عرفنا عنه القليل وكنا نتمنى ألا نعرف عنه شيئاً ، ولم يكن بالنسبة لنا أمير السلام ، بل كل المآسى التى حدثت لنا كانت ترتكب باسمه » .

وهذا هو رأى اليهود فى المسيح ـ عليه السلام .

وهكذا داعب « الحلم المسيحانى » خيال اليهود منذ السبى البابلى وحتى الآن . وقد تناقلت الأجيال هذه الفكرة ، كل يزيد إليها حسب هواه أو حسب متطلبات الجيل الذى عاش فيه حتى أصبحت فكرة الخلاص ومجيىء المسيح المخلص هى نبوءة الغد والشريعة الكاملة لدى اليهود كما أصبحت من بين الأسس الثلاثة عشر التى حددها موسى بن ميمون ـ حجتهم فى الدين ـ وجعلها ركن من أركان الديانة اليهودية . وهى :

« أنا أؤمن إيمانا كاملاً بمجىء المسيح ، ومهما تأخر فإننى أنتظره كل يوم » .

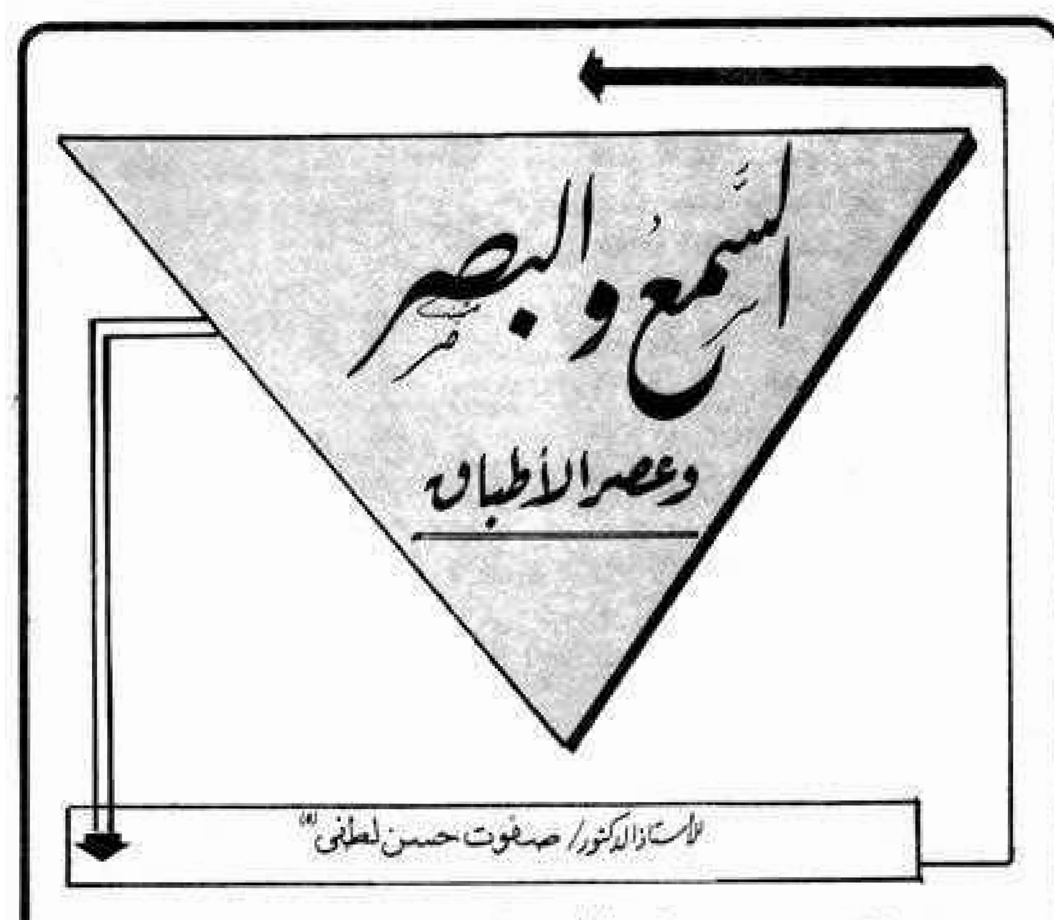
وبالطبع مهما انتظره « ابن ميمون » وغيره من أتباعه ومن حملة دعوته آلاف السنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لن تتحقق نبوءته هذه لأنها وهم ونسج خيال ، وما أكثر الواهمين والعابثين وأصحاب الخرافات المقبولة وغير المقبولة لدى اليهود .

وقد كثر أدعياء المسيحانية لدى اليهود على مر العصور واكتشف أمرهم جميعاً ، فمنهم من قتل ومنهم من هرب .

كما يعمد أدباء اليهود فى معظم كتاباتهم إلى إبراز مفهوم عالم « القبالة » ـ أى التصرف اليهودى ـ والرؤى وكلها تدور حول نقطة واحدة هى مجيىء المسيح المخلص ، وكلما زادت الآلام أصبح مجيىء المسيح وشيكاً .

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

سورة البقرة



إن المولى ـ عز وجل ـ إذا أحل أمراً فلابد أن يكون في أدائه وإتيانه ثمرة طيبة تعود على صاحبها بالخير في حياته الدنيا قبل أن ينعم بثواب الله وجنته في الآخرة .

وإذا حرم الله ـ تعالى ـ أمراً فإن ارتكاب هذا الأمر المحرم لابد أن يكون له أثره الخبيث الذي يجلب على صاحبه أشد الأضرار في حياته الدنيا قبل أن يلحقه عذاب الله في الآخرة .

وفي قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأعراف : ١٥٧) يتبين لنا أن كل ما أحله الله للمسلم هو من الطيبات التي تصلح بها حياته في الدنيا ، وأن كل ما حرمه الله هو من الخبائث التي تفسد حياة مرتكبها لتصبح نقمة عليه في حياته الدنيا

وإذا تناولنا أثر بعض المحرمات على الإنسان فسندرك أن التردي في إتيان المحرمات والمعاصي يحدث أخطر الآثار وأسوأها على صفاته وعلى جسده وعلى تفكيره وبصيرته .

(*) الأستاذ الدكتور صفوت حسن لطفي ـ أستاذ التخدير بطب القاهرة .

خطر النظر إلى ما حرم الله :

وسنتوقف أمام أمر المولى - عز وجل - بالمحافظة على جارحتي السمع والبصر والابتعاد بهما عن المحرمات لنتبين أثر المخالفة المعصية لأمر الله - تعالى - في هذا الشأن .. فالمولى - عز وجل - يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر يقول تعالى :

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

سورة النور

في هذه الآية يأمر المولى - عز وجل - المؤمنين بتجنب النظر إلى المحرمات كما يبين - سبحانه وتعالى - في قوله : (ذلك أزكى لهم) أن من يطع هذا الأمر ينعم بثمرة الطاعة في حياته الدنيا حيث تتزكى نفسه بغضه لبصره .

أما من يسلك سبيل المخالفة فإن ضررها لا يقتصر أثره على صفة البصر - وحدها - وإنما يمتد إلى ما أودعه الله فيه من صفات الفطرة كلها ليصيبها بأسوأ الأضرار .

كذلك لا يقتصر هذا الأثر على زمن ارتكاب هذه المخالفة ولكنه يمتد عضوياً ونفسياً إذا ما استمر في هذه المعصية .. إلى زمن أبعد ، إذ أن إطالة النظر إلى المحرمات تؤدى إلى آثار عضوية ضارة على الكثير من أجهزة الجسم حيث تؤدى إلى التأثيرات وردود الأفعال الانعكاسية العصبية الضارة وإلى احتقان بعض الأجهزة والغدد خاصة (غدة البروستاتا) مما ينتهي إلى بعض الرغبات الجامحة التي قد تدفع إلى الوقوع في الفاحشة أو ممارسة العادات المرذولة التي نهى الشرع عنها .

كذلك تؤدى إلى ضعف التركيز العقلي وضعف القدرة على التمييز الواعي في مجالات العمل والتحصيل العلمي وغيرها .

كما تصيب صاحبها بالمرض النفسي فيزداد تلهفا على النظر إلى المزيد من المحرمات ولا تشبع عيناه المريضة من الوقوع في هذا المنكر ، بل يتحول إلى إنسان أسير لأهواء نفسه وشهواتها لا يبحث إلا عن النظر إلى الفواحش ولا يرى غيرها فيما حوله ، ويصبح اهتمامه موجهاً إليها دون غيرها كما يوجه همته وإرادته إلى البحث عن المزيد منها .. فإذا مضى في هذا السلـــوك واستمرأه ، فإنه يصاب بغشاوة على بصره تعميه عن رؤية الحق ، وعن اتباع سبيل الطاعة وعن سلوك طريق الهداية .

خطر التفكير في المحرمات :

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع أن التفكير وإطلاق العنان للخيال تفكيراً في الفواحش وانتهاك المحرمات حتى ولو كان الإنسان داخل غرفته المغلقة لا يرى أحداً بعينيه ولا ينظر إلى صورة بذاتها ، يؤدى إلى نفس النتائج الضارة نفسياً ، ودينياً ، وجسدياً ، إذ أن هذا التفكير ينتهي به حتى ولو كان مغمض العينين إلى نفس الأثر الذي يحدثه النظر إلى الفواحش .

مراتب في غض البصر :

وتشير الآية الكريمة أيضاً إلى مراتب أخرى من غض البصر .. فالمسلم الذي يسلك طريق الطاعة ويرتقي في تقواه - لله تعالى - يجب عليه أن يلتزم بغض بصره عن عيوب الآخرين ونقائصهم .. وألا ينظر كذلك إلى ما في أيدي غيره من النعم أو الأفضال التي وهبها الله لهم .

ولقد نهى المولى ـ عز وجل ـ الإنسان المسلم أن يمتد ببصره إلى أى فضل أو نعمة أنعم الله بها على غيره ـ جاء ذلك ـ فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ سورة طه

لقد جاءت آيات القرآن لتأمر المسلم بأن يتجنب كل سبيل يؤدى به إلى الوقوع فى الفواحش حيث يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة ـ ١٦٨). إذ أن السبيل إلى اتباع الشيطان إنما يكون باتباع خطواته فى تنكب صراط الله المستقيم واقتراف المعاصى والفواحش خطوة بعد خطوة حتى يصبح هو ذاته شيطاناً يدعو غيره إلى الفواحش والموبقات .. ومن هنا كان ضرورياً أن يبتعد المسلم عن كل سبيل يؤدى إلى المعصية والفاحشة ، وعن النزول فى أى منزل فيه خروج عن طاعة الله واتباع للشيطان .

لقد بينت الآيات القرآنية أن المسلم مسئول أمام ـ الله تعالى ـ عن المحافظة على (صفات فطرته) التى فطره الله عليها ، وأن ارتكاب السيئات يصيب النفس بالعلل والأمراض حتى إذا ما تتابعت وتكاثرت خرجت هذه النفس عن الفطرة السليمة وتحولت إلى المعصية .

قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجاثية

ومن هنا كان الأساس أن يقى الإنسان نفسه من الوقوع فى هذه المخالفات مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأنعام : ١٥١ .

وإذا كان المسلم مطالباً بأن يحافظ على بصره فلا تبصر عيناه إلا ما فيه طاعة الله ـ تعالى ـ فإنه مطالب أيضاً بأن يحافظ على سمعه فلا تسمع أذناه إلا قول الحق : وإنما ينطلق ذلك من مسئوليته عنهما : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) . إذ أن دوام الاستماع إلى الطاعة يؤدى إلى تأثر الصفات الإنسانية بذلك المسلك إلى أن يتحول المسلم إلى مؤمن طائع يسارع فى كل أموره إلى طاعة المولى ـ عز وجل ـ حتى يكون لسان حاله فى حياته كلها هو قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ سورة البقرة

كما أن مداومة الاستماع إلى المخالفات والمعاصى تؤدى بالإنسان إلى الابتعاد عن الطاعة والتعود على المخالفة والمعصية .. حتى تكون حياته كلها هى قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وقالوا سمعنا وعصينا** ﴾ وينتهى به أمره أن يصير من الفريق القائل : (سمعنا وعصينا) .

كذلك فإن المسلم إذا استمرأ الاستماع والنظر إلى المحرمات فإنه يفقد بصيرة المؤمن الذى ينبغى أن يأمن الناس بوائقه ، فإذا هو لا يبصر الحق ولا يسمع ويتدنى بذلك إلى منزلة دون منزلة الأنعام ، بصرفه سمعه وبصره إلى الفواحش . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (الأعراف : ١٧٩)

وهذه حقائق تكتسب أهميتها بالنظر إلى ما ظهر فى العصر الحديث من المستحدثات والمخترعات فى مجال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة التى تدخل كل بيت وتصل إلى كل إنسان داخل جدران منزله وتنقل إرسالها عبر آلاف الكيلو مترات عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها .. إذ أن بعض ما تنقله هذه الوسائل يمثل أشد المخاطر على جوارح الإنسان وخاصة « السمع والبصر » بما فيها من فحش وعرى .. وإذا كانت هذه المخترعات تحمل الكثير من المنافع للإنسان ويمكن توجيهها لخير الفرد والمجتمع فى كافة جوانب الحياة فإن نفس هذه الوسائل يمكن أن تكون وبالاً ، ودماراً ، وخراباً على الأفراد والمجتمعات .

ويكفى فى هذا الصدد أن سوء الاستخدام قد وصل إلى أعظم منجزات العصر العلمية وأكثرها فائدة للبشرة كالكمبيوتر ، والفيديو وغيرهما حيث امتدت الأيدى العابثة لتجعل منها وسيلة لعرض الصور الفاحشة بما يمثل أشد الأخطار على أبنائنا منذ نعومة أظافرهم ، وكان ينبغى استخدام المخترع العلمى استخداماً يعود بالخير على الإنسان من مثل نشر العلوم والمعارف ، لا لنشر المعاصى والمخالفات ، وهدم القيم الدينية التى جاء بها رسل الله الكرام .

وفى ضوء ما أوردناه من حقائق يتضح لنا أن المسلم لابد أن يدرك مدى مسئوليته الشخصية أمام المولى ـ عز وجل ـ فى تعامله مع المخترعات العلمية الحديثة ، وذلك فى ضوء قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦)..

حيث تبين لنا الآية الكريمة عظم مسئولية المسلم فى اختياره لما يسمع ، أو يرى ، وفى تجنبه لكل ما يتعارض منها مع طاعة الله .. ومن الطبيعى أن هذه المسئولية تقتضى ضرورة مجاهدة المسلم لنفسه على الدوام والاستمرار فى طاعته ـ سبحانه وتعالى ـ حتى لا يقع فى هذه المعاصى ولا يتبع خطوات الشيطان .. كما تقتضى هذه المسئولية أن يحسن المسلم رعاية أهله ، وتربية أبنائه وتوجيههم إلى السلوك السوى نحو كل ما يسمعون أو يبصرون بحكم مسئوليته عن رعيته مصداقاً للحديث الشريف : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[1].

وأن يمثل لهم سلوكه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة إذ أن سلوكه سينعكس حتماً على أهل بيته مصداقاً للحديث الشريف « عفوا تعف نساؤكم »[2].

---

(١) رواه البخارى .

(٢) الكامل لابن عدى .



الخريطة عن أهرام عدد يوم ١٩/ ١٢/ ١٩٩٤

معلومات أساسية لفهم المسألة الشاشانية

بقلم الدكتور/ محمد حرب**

تقع جمهورية الشاشان في الشمال الشرقي من القوقاز ، وتبلغ مساحتها ١٣,٣٠٠ كم٢ . وعدد سكانها ـ حسب إحصاء ديسمبر ١٩٩١ م ـ ١,٤٥٠,٠٠٠ نسمة . والبلاد المجاورة لها والمحيطة بها هي : داغستان في الشمال ، وفي الشرق ، وجمهورية الانجوش ، وأوسيتيا الشمالية في الغرب ، وجورجيا في الجنوب .

كان الشاشان يعيشون في : « جمهورية الشاشان ـ إنكوش » ذات الاستقلال الذاتي ، وهي جمهورية كانت تابعة لروسيا الاتحادية منذ عام ١٩٥٧م إلا أن الشاشان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أسسوا جمهورية الشاشانات Nohqi Respublika . وإن لم تعترف أي دولة حتى الآن باستقلال هذه الجمهورية .

وأشهر مدن جمهورية الشاشان : كروزني « العاصمة » وكوديرميس ، ومالكوبيك وأركون .

** الكاتب : رئيس المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان .

وأشهر أنهار بلاد الشاشان : نهر تراك ، وهو ينبع من بلاد القوقاز ويصب فى نهر الخزر (قزوين) ويتفرع من تراك هذا فروع هامة هى : صونجا ، وأركون ، وآصا .

نوعيـة السـكان

هناك مليون شاشانى من مجموع عدد السكان الذى يقارب المليون ونصف مليون نسمة كما أن فى بلاد الشاشان (شاشانستان) ٣٠٠ ألف روسى و ١٠٠ ألف إنكوشى ، والأنكوش : أقارب الشاشان عرقياً ، و ٢٠ ألف من الشعــوب الداغستانية (القاموق والنوكاى والأوار واللاق والدارگون وغيرهم) و ١٤ ألف أرمنى و ١٢ ألف أوكرانى و ٥٠٠٠ تتارى و ٥٠٠٠ يهودى و ٤٠٠٠ تركى من أتراك الأحسقا ، وهؤلاء الأخرون كان الروس قد هجروهم عنوة عام ١٩٨٨م من آسيا الوسطى .

وينتمى الشاشان فى تقاليدهم الوطنية إلى الأوار والقاموق والشعوب المجاورة لهم ، واللغة الرسمية فى الجمهورية الشاشانية هى اللغـة الشاشانية .

يعيش الشاشان فى بلادهم ، ولكن منهم مهاجرون موزعون على البلاد المجاورة لهم مثل : جمهورية الأنكوش ، وفى داغستان والبلاد المجاورة الأخرى مثل : تركيا وسوريا والأردن وقازاقستان وبعض البلدان الأوروبية .

نفـى ستـالين ، شعب الشاشان فى عام ١٩٤٤ م - نفاهم إلى قازاقستان لكن بعضهم أخذ فى العودة إلى بلاده اعتباراً من عام ١٩٨٨ م

الـدين

ليست لدينا معلومات كافية عن الديانة التى كانت بين الشاشان قبل إسلامهم وإن كانت بعض حفريات تقول : إن النصرانية كانت هناك خاصة عقب النشاط المكثف الذى قام به ملك جورجيا (داود) الذى مات عام ١٨٢٥م ، و (الملكة تمارا) لنشر النصرانية بين الشاشان لكن هذا الشعب لم يتحمس لاعتناق هذه الديانة حتى تعارفوا على الإسلام فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أثناء الغزوات العربية فى هذه الأقاليم .

بدأ الشاشان فى دخول الإسلام ببطء لكن بثبات وصلابة ، وواصلوا اعتناقهم الإسلام خاصة فى عهد (خانية آلتون أوردا) فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، حقيقة أن تيمور قضى على هذه الدولة بين عامى ١٣٩١ - ١٣٩٥م لكنه أراد أن يغرس علم الإسلام هناك إلا أن سلوكه الذى اتسم بالشدة أحدث آثاراً سلبية على الشاشان ، وبعد انسحاب تيمور من هناك أخذ انتشار الإسلام يسرى مرة أخرى فى شاشانستان بتأثير مسلمى (خانية آلتون أوردا) ومسلمى (آذربيجان) ووصل إلى نهايته فى القرن الثامن عشر ، وفى أواسط ذلك القرن أخذ الإسلام ينتشر بين (الأنكوش) أقارب الشاشان فأصبح الإسلام هو الدين السائد فى منطقتى الشاشان والأنكوش .

هذا وقد أريد للإسلام الاحتجاب عن الحياة العامة فى هذه المنطقة من القوقاز بعد عام ١٨٥٩م وهو عام الاستيلاء الروسى على كل بلاد القوقاز التى يشكل الشاشان جزءاً مهماً منها واستمرت هذه السياسة حتى القرن العشرين .

الإسـلام والشاشـان

الشاشان سُنّيُّون يتبعون المذهب الحنفى .

وقد انتشرت الصوفية بطريقتيها : النقشبندية والقادرية خاصة بعد الاحتلال الروسي لبلاد الشاشان ، والحق أن كان لهاتين الطريقتين دور هام لأقصى حدود الأهمية في الجهاد ضد الروس .

قامت روسيا بعد قضائها على جمهورية شمال القوقاز عام ١٩٢٤م فضمت الشاشان إدارياً إلى دولة روسيا الاتحادية ، ونكاية بالشاشان ، ولتقطع روابطها بالعالم الإسلامي عامة والعالم التركي خاصة ؛ قامت السلطات في موسكو بإلغاء استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة الشاشانية . ويفسر هذا الإجراء على أنه كان يستهدف بالدرجة الأولى الحد من نفوذ الزعماء الدينيين الذين كانوا في حركة مقاومة قوية ومستمرة ضد الاستعمار الروسي .

غيّر الروس حروف اللغة الشاشانية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية في ذلك الوقت .

والواقع أن الروس قد اتبعوا سياسة مضادة للإسلام خاصة في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ، وجاءت أعوام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩م لتشهد إجراءات قمعية روسية ضد الإسلام والمدافعين عن الإسلام راح ضحيتها آلاف مؤلفة من الشاشان بعد عمليات واسعة من الإعدام الجماعي رمياً بالرصاص .

وقد أرادت السلطات الروسية الحد من الصحوة الإسلامية الدائمة لدى الشاشان بنشر السياسة الإلحادية واسعة النطاق بين هذا الشعب ، استمرت هذه السياسة حتى إصلاحات جورباتشوف الأخيرة .

ويلاحظ أنه كان في بلاد الشاشان في عام ١٨٣٧م (٣١٠) جامعاً مفتوحاً للعبادة ، وقد وصل هذا العدد عام ١٩٧٨م في أثناء الحكم الشيوعي إلى النصف يعني إلى (١٥٥) جامعاً . إلا أن هذا العدد الأخير أخذ في الصعود مرة أخرى في عهد جورباتشوف .

أعلن الشاشان استقلالهم عن دولة روسيا الاتحادية ، وبالتالي أعلنوا دستور الجمهورية الشاشانية ، ونصوا فيه على أن الأديان منفصلة عن أعمال الدولة ، ومقابل ذلك تتمتع جميع الفاعليات وكل الأنشطة الدينية بدعم الدولة وتأييدها ، وبالتالي أعلن تأسيس « معهد الدولة للدراسات الإسلامية » في العاصمة كروزني ، ودعمت الحكومة المركز الثقافي الإسلامي في العاصمة .

واحتراماً للأقليات الدينية الموجودة في جمهورية الشاشان أعلنت الدولة إعادة فتح كنيسة كروزني والمعبد اليهودي فيها وذلك بعد أن فتحت الدولة كل الجوامع التي أغلقها الروس .

الاقتصـــاد

يشكل البترول الدعامة الكبرى للاقتصاد الشاشاني ، البترول في كل مكان بشاشانستان ، كما أن عمليات استخراج وتكرير البترول ومصانعه تتكثف على الأغلب في المنطقة الواقعة بين كروزني وكوديرميس وبجوار مالكوبيك ، أما أكبر مصانع تكرير البترول فتقع في العاصمة .

إن الشاشان يصدرون البترول ومنتجاته إلى البلاد الأخرى ، وتصل خطوط أنابيب البترول من هناك إلى (محج قلعة) في داغستان على شاطىء بحر قزوين وإلى (توآبه) على ساحل البحر الأسود ، وإلى حوض الفحم في دونيتس .

إن مصانع إنتاج الماكينات والأجهزة الضرورية لصناعات البترول والصناعات البتروكيماوية تحتل مكاناً واضحاً حول العاصمة الشاشانية .

وبجانب البترول وصناعاته هناك صناعات شاشانية مؤثرة فى الاقتصاد الشاشانى مثل : الصناعات الغذائية ، وقطع الأخشاب ، والأجهزة الموسيقية ، ويشكل الفحم والغاز الطبيعى أهم الثروات الطبيعية لدى الشاشان بعد البترول .

أما الزراعة فهى على الأكثر فى حوض نهر تراك وتحتل زراعة الفواكه والدخان أهمية واضحة بين الإنتاج الزراعى المختلف ، كما أن الإنتاج الحيوانى فى الشاشان يتطور بشكل واضح .

التاريخ

الشاشان أهل حضارات قديمة عريقة تشهد لهم بعلو كعبهم بين حضارات أمم العالم القديم .

بدأ الإسلام ينتشر فى ربوع البلاد وفى داغستان المجاورة بعد استقرار الحاكمية الإسلامية فيهما منذ الغزوات التى قام بها (مروان بن محمد) والى الأمويين فى (أرمينيا) أثناء الغزوات العربية الخزرية بين عامى ٧٣٦ ــ ٧٣٨م ، على بلاد الشاشان ، ومروان بن محمد هذا هو الذى أصبح بعد ذلك الخليفة الأموى مروان الثانى .

وفى القرن الثامن الميلادى تعرضت بلاد الشاشان لاعتداء المغول ، وانتصر الشاشان على المغول وإن اضطروا للانسحاب إلى الجبال بين عامى ١٢٣٨ ــ ١٢٤٠ م ، ولم يستطع (تيمور) أثناء حكمه لهذه البلاد أن يسيطر على المناطق الجبلية التى اتخذها الشاشان مناطق جديدة ووطناً جديداً ، ونجح الشاشان فى الحفاظ على استقلالهم فى الفترة التى أخضع المغول فيها (مناطق الأستسن) فى القوقاز الشمالى ، وسيطرتهم مدة قرنين كاملين .

بدأ الروس فى اتباع سياسة منظمة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى لاحتلال القوقاز الشمالى ، وأخذوا فى توطين الكازاك الروسى على امتداد نهر تراك .

ولما تصور بطرس الأول قيصر روسيا المشهور أنه أخضع بلاد الشاشان ؛ ثار شعبها ضد المحتلين الروسى ، وقوات الاحتلال الروسية ، وكانت هذه الثورة فى ٧ من يوليو ١٧٣٢م وهى أول الحروب الشاشانية الروسية ، وألحق الشاشان بالقوات الروسية ــ تحت قيادة الجنرال الروسى الشهير كوه ــ هزيمة نكراء .

أخذ الشاشان يحاربون الروس معلنين الجهاد ضدهم وتمكنوا بالفعل من هزيمة القوات الروسية مراراً وتكراراً تحت قيادة شخصيات شاشانية اتسمت بالبطولة والفداء مثل : (بيبولاط طاى ميف) والشيخ منصور .

عندما انسحب الشاشان إلى المناطق الجبلية تاركين الأرض الزراعية للتمكن من مقاومة القوات الروسية ، وزع الروس أراضى الشاشان الخصبة على الكازاك الروسى ، فووجهوا بمقاومة بارزة قام بها حمزة بك (غزوات) والشيخ شامل ، وهما من خلفاء الإمام الغازى محمد الذى توفى عام ١٨٣٢م ، وتوفى حمزة غزوات بك عام ١٨٣٤م ، وتوفى الشيخ شامل عام ١٨٧١م .

وجهاد الشيخ شامل ومعاركه ضد الروس طوال (٣٥) عاماً مشهورة فى التاريخ خاصة التاريخ الروسى ؛ لأن الروس عانوا منه كثيراً عندما

كانت لديهم أحدث أجهزة العصر والقوة العددية الكثيفة، ولم تكن قوات الشيخ شامل تملك إلا أسلحة تقليدية قديمة، وفي عدد قليل لا يمكن مقارنته بعدد القوات الروسية، والجدير بالذكر أن حركة الشيخ شامل الجهادية لم تلق دعماً ولا تأييداً من العالم الإسلامي.

وبرغم إحكام السيطرة الروسية الاستعمارية على المنطقة في حوالي عام ١٨٦٠م وانطلاق هجرات واسعة من الشاشان إلى سوريا وفلسطين وتركيا، فإن حركات جهاد واسعة ومنظمة قامت ضد القوات الروسية في البلاد مثل: حركة الزعيم الشاشاني (باي صونقور) وحركة الزعيم الشاشاني (أومادوييف) ثم حركة (آطاي آطاييف) ثم حركة (دادو زالمايف). أما أكبر حركات الجهاد الشاشانية ضد الروس في تلك الفترة فهي حركة الزعيم الشاشاني (علي بك حاجي) الذي قضى الروس على حركته وأعدموه في العاصمة كروزني عام ١٨٧٨م.

لم يهدأ الشاشان ــ وهم أمة لم تعرف الهدوء أمام أي خطر استعماري ــ في أثناء الحكم الشيوعي عادت حركات الجهاد ضد روسيا قوية، وأسست شعوب شمال القوقاز جمهورية ضمت الشاشان فيما ضمت، وكانوا برئاسة (الشيخ أوزون حاجي) عام ١٩١٧م وأعلنت هذه الجمهورية استقلالها في ١١ من مايو عام ١٩١٨م باسم دولة القوقاز، وبعد عام واحد اجتاحها الجنرال دانيكين واحتل أراضيها وأسس هناك نظاماً عسكرياً صارماً وبذلك أحيا هذا الجنرال، المؤسسات الديكتاتورية العسكرية التي سادت في العهد القيصري.

ورداً على هذا قامت الشعوب المسلمة ومن بينها الشاشان في الاتحاد في حركة جهادية ضخمة، وقضوا على كل مراكز السلطة العسكرية التي أقامها الجنرال دانكين، وأسس المجاهدون مرات أخرى جمهورية داغستان المستقلة.

في هذه الأثناء كانت القوات البلشفية الشيوعية قد خانت المسلمين وتنصلت السلطة الشيوعية الجديدة من وعودها للمسلمين فاجتاحت القوات الروسية الشيوعية أراضي داغستان الحرة واحتلوها عام ١٩٢٠م. واتبعت روسيا سياسة (جمهورية ذات استقلال ذاتي لكل مجموعة عرقية) فقسم الروس داغستان إلى جمهوريات قومية صغيرة مفككة ذات استقلال ذاتي حتى تحول دون اتحاد مسلمي القوقاز مرة أخرى، واتحاد مسلمي القوقاز هو الحلم المفزع الذي تخشاه روسيا الاتحادية حتى يومنا هذا.

أصبحت داغستان بالشمال جمهورية ذات استقلال ذاتي تابعة لروسيا الاتحادية الاشتراكية، وأصبح الأنكوش كذلك، وكذلك صار الشاشان والأوستينيون (من أوستيا) ثم وحد الروس كلا من الشاشان والأنكوش في جمهورية ذات استقلال ذاتي باسم جمهورية الشاشان والأنكوش الاشتراكية السوفيتية ذات الاستقلال الذاتي وذلك عام ١٩٣٩م.

وبموجب سياسة ستالين تجاه المسلمين أثناء الحرب العالمية الثانية قررت الحكومة الروسية الحاكمة للاتحاد السوفيتي وقتها عام ١٩٤٣م إعدام ٥٠٠,٠٠٠ نسمة (نصف مليون) من

المسلمين لكنها ولظروف سياسية خففت القرار وحولته إلى تهجير إجبارى ، يعنى النفى ، فنفت السلطة السوفيتية شعب الشاشان إلى منطقتى آسيا الوسطى وقازاقستان .

كان السبب الرئيسى فى هذا النفى رغبة ستالين فى الاستيلاء على منطقتى قارص وأردخان ، وحرمان تركيا منهما ، وخوفه من قيام شعوب القوقاز المسلمة بالاتحاد فيما بينها مرة أخرى لمناصرة مسلمى تركيا ، وبالتالى مقاومة الحكومة الشيوعية ومنعها من قرارها .

فسخ الروس بالقوة الإجبارية اتحاد الشاشان والأنكوش وحلوا جمهورية الشاشان ـ الأنكوش ذات الاستقلال الذاتى وكان ذلك عام ١٩٤٤ وقسموا أراضيها بين أوسيتيا الشمالية ، وداغستان ثم أعاد الروس وحدة هذه الجمهورية يعنى الشاشان ـ انكوش مرة أخرى فى ٩ من يناير ١٩٥٧م .

يلاحظ أن الشاشان المهجرين قد أخذوا بعد ذلك التاريخ فى العودة إلى أوطانهم .

وفى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩١م ومع موجة تحرر الشعوب المسلمة من الاتحاد السوفيتى بعد انهيار هذا الاتحاد أجرى الشاشان انتخابات برلمانية وانتخابات رياسة الجمهورية وحصل جاهار داودايف (جوهر بن داود) على نسبة ٨٥٪ من الأصوات وكان هذا الزعيم الوطنى وقتها رئيساً لمجلس إدارة المؤتمر الوطنى للشعب الشاشانى .

تم إعلان استقلال جمهورية الشاشان فى أول نوفمبر عام ١٩٩١م ، ولم تقبل موسكو هذا الاستقلال ولم تعترف به كما لم تعترف به أية دولة إسلامية ولا غير إسلامية .

وفى ٧ من نوفمبر ١٩٩١م أعلنت الحكومة الروسية حالة الطوارىء ، وأرسلت قوات روسية إلى دولة الشاشان لكنها اضطرت للتراجع عن موقفها .

ورجع الأنكوش فى ٣٠ من نوفمبر عام ١٩٩١م البقاء تابعين لروسيا ، إلا أنه بعد قرار الرئيس الروسى يلتسين استخدام كل الوسائل للقضاء على استقلال الشاشان فى ديسمبر عام ١٩٩٤م أعلن الأنكوش وقوفهم مع أبناء عمومتهم الشاشان فى حربهم ضد روسيا ، وكذلك أعلنت داغستان[1] .

---

(١) اعتمد هذا المقال على دراسة قام بها يانوجانوف سليمان سلطانوفش بعنوان : « شاشانستان » والمعلومات التى أوردتها دائرة ميدان لاروس التركية ـ الفرنسية .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

ورد إلى مجلة الأزهر السؤالان :

١ ـ ما حكم الإسلام فى مشاركة المسلم فى جنازة غير المسلم ؟ فى الغسل والمشى خلفه ودخوله الكنائس ؟ .

٢ ـ دخلت مع الإمام فى صلاة العصر ، وكان يصلى الركعة الثانية وسُهى على الإمام وقام للركعة الخامسة سهوا ـ ما حكم متابعتى له فى الخامسة علما بأنها تكون الركعة الرابعة لى .

طارق محمد أحمد

مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله أما بعد فنجيب بأنه :

يجوز للمسلم أن يشارك فى تشييع جنازة غير المسلم والمشى خلفه ودخول الكنيسة مع المعزين لكن لا يشهد تغسيله .

• • •

والإمام الذى قام لركعة خامسة سهوا إذا استمر على سهوه فصلاته صحيحة ويسجد للسهو بعد انتهاء الصلاة .

أما المأمومون فمن وثق منهم بأن هذه خامسة وجب عليه الانتظار جالسا حتى يأتى الإمام بالتشهد ويسلّم معه أما إذا كانوا فى شك من هذه الركعة هل هى رابعة أو خامسة فإنهم يتبعونه .

وأنت أيها السائل إذا تأكدت أن هذه هي الركعة الخامسة فإن الواجب عليك أن تبقى جالسا ولا تتابع الإمام فإذا سلّم من صلاته قمت أنت لأداء الركعة التي فاتتك ولا يجزئك أن تقوم معه في الخامسة لتكمل صلاتك أربعا فإن كنت فعلت ذلك فأعد الصلاة والله يهديك سواء السبيل .

سؤال من السيد / م . ع - حلوان :

- هل يجوز لامرأة متزوجة بلغت من العمر خمسين عاما أن تتمدد على الفراش بملابسها العادية بدون غطاء (ملاءة - بطانية - لحاف) أمام ابن شقيقتها البالغ من العمر عشرين عاما ؟ .

- إذا كانت الاجابة بالنفي ، هل للزوج أن يمنعها من ذلك ؟ .

- إذا رفضت الامتثال لأمر الزوج فما الوسائل التي عليه أن يتبعها وفقا للشرع حيال رفضها ؟ .

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فنفيد بأنه ما دامت الخالة لابسة ثيابا لا تشف ولا تصف وتستر عورتها وفي وضع تؤمن فيه الفتنة وعدم إثارة الشهوة فلا مانع من أن يراها ابن أختها وهي على هذه الحال . هذا وبالله التوفيق .

سؤال من السيد / ح . م . ج - بنها :

- بعض الجرائد بل كلها يذكر فيها لفظ الجلالة أو بعض آيات القرآن الكريم ومعظم الناس يستخدمون هذه الجرائد في تغليف بعض الأشياء أو وضعها كمفارش أو يأكل عليها أو أية صورة تعرضها للإهانة وفي النهاية ترمى هذه الأوراق في القمامة أو تستخدم في دورات المياه .. الخ ..

- فما هي الوسيلة المثلى التي تحفظ تعرضها للاستهزاء بكلام الله - عز وجل - أو صفاته الجليلة من التدليس حتى لا يعاقبنا الله على جهلنا ؟ .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد ..

فنفيد بأنه لا يجوز للمسلم أن يستعمل ورقة فيها اسم من أسماء الله أو آية من القرآن ، أو الحديث النبوي ، أو القدسي على وجه ينبىء عن الإهانة وعدم التعظيم لذلك ، وعلى المسلم إذا أراد استعمال هذه الأوراق أن ينزع منها ما فيه ذلك ، ويقوم بحرقه أو بدفنه في مكان طاهر ، والله تعالى أعلم ، وبه الهداية .. ومنه التوفيق ...

من أعلام الأزهر



فضيلة الدكتور



عبد العزيز عيسى

وزير شئون الأزهر .. وفقيد الأزهر ... والعروبة ... والإسلام

بقلم المستشار/ سيف النصر عبد العزيز المجلى (*)

من حق أستاذنا المرحوم الشيخ/ عبد العزيز محمد عيسى ـ علينا ـ وقد انتقل إلى جوار ربه الكريم ـ أن نتحدث عنه وعن ذكرياتنا الجيدة معه فى خلال عملنا الوظيفى وأيام كنا نتلقى العلم على يديه فى كلية الشريعة الغراء بالأزهر الشريف .

مسيرة حياته طالباً :

وقبل أن نتحدث عن تأثير البيئة فيه ـ البيئة العائلية والبيئة الأزهرية ـ يجدر بنا أن نسير على خطة المترجمين للعظماء من الخالدين ـ فنذكر أنه ولد فى ٨ أغسطس عام ١٩٠٨ ـ وليس فى عام ١٩٠٩ ـ كما تحدث عنه بعض الصحفيين .

وقد رزق به والده المرحوم ـ محمد عيسى ـ الذى كان يقيم بمدينة (شبراخيت) من أعمال (محافظة البحيرة) ، كان والده عالماً من علماء الأزهر الأفاضل وواحداً من علماء (علم القراءات) المعروفين فى عهده ، ومن حفظة القرآن الكريم ومحفظيه القائمين على تحفيظه وأدائه ، وعلى معرفة رواياته وأحكامه وترتيل وتجويد آياته ..

ويبدو ـ أنه كان لوالده ـ أملاً معقوداً عليه مرتقباً فيه فما أن رزقه الله ـ تعالى ـ به حتى تعهده بالعناية ، وشمله بالرعاية ودعا الله ـ تعالى ـ له أن يجعله قرة عين لوالديه ـ فى الدنيا والآخرة ، وأن يؤدى من بعده رسالته وينشر

(*) الكاتب مدير عام ومستشار بالأزهر الشريف سابقاً .

دعوته ويقوم لله فى الأسرة . بما يقوم به والده ـ من تعليم للقراءات ، وتجويد وتحفيظ للقرآن الكريم .

ولذلك ـ ماإن بلغ الصبى سنّ التلقين ـ حتى أخذه والده ـ يلقنه حفظ صغار السور ـ وكان الصبى مباركاً . تظهر عليه بركة دعاء والديه ـ فلاحظ عليه ـ والده ـ أنه يحفظ بسرعة ، ويتقبل منهم ـ كل ما يتلقنه من السور ـ فطمحت نفس والده أن لا يقتصر به على دراسة علم القراءات على يديه ، وحفزته مواهب النبوغ المبكر التى لاحظها على نجله ـ أن يجعل منه عالماً فحولياً من علماء الأزهر الكبار فاستخار الله ـ تعالى ـ وسأله تحقيق الأمل .. وما ذلك على الله بعزيز ـ وبدأ فى تحفيظ نجله بعض المتون التى كان شائعاً حفظها فى ذلك الزمان بين من يتأهل للالتحاق بالأزهر والدراسة فيه .

وما إن بلغت سنه العاشرة من عمره أو مايقاربها ـ حتى بادر والده بإلحاقه بمشيخة علماء الإسكندرية (معهد الأسكندرية الدينى) فى أوائل العشرينيات من هذا القرن .

وقد تابع الدراسة فى هذا المعهد وفى معهد القاهرة . حتى حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية ، وبعد خمس سنوات قضاها فى هذين المعهدين العريقين بنجاح متتابع وتفوق رائع . التحق بالقسم العالى بالأزهر وحصل منه على (العالمية النظامية) بعد أربع سنوات دراسية ـ كان فيها أول الناجحين ـ وفور حصوله على هذه الشهادة عام ١٩٣٢/١٩٣١م ـ التحق بقسم (التخصص) وتخصص لمدة ثلاث سنوات (فى البلاغة والأدب والتربية وعلم النفس) ونال عقبها شهادة التخصص بلقب (علّامة) وهو لقب كان يعادل فى ذلك الزمان ـ لقب الدكتوراه ـ وكان كعادته أول فرقته فى هذا التخصص الذى حصل عليه عام ١٩٣٥م .

وقد سبقته شهرته العلمية إلى (مشيخة الأزهر) أثناء طلبه للعلم ـ فكافأته بتعيينه مدرساً فى معهد القاهرة الثانوى فور تخرجه من الأزهر الشريف .

وكأنى الآن أشعر بفرحة (والديه) واغتباطهما به وبما أحرزه من نجاح دراسى وتوفيق وظيفى منقطع النظير فى زمن كانت لا تنال الوظيفة والشهادة فيه إلا بخرط القتاد .

ولكن النية الخالصة لله ـ تعالى ـ والأمل الصادق فى قلب والديه والدعاء الذى لا ينقطع رجاؤه فى الله ـ تعالى ـ أن يجعل من ولدهما داعية لدينه حامياً له ـ غيوراً عليه ـ قد جعل الله يقبل منهما الدعاء ويستجيب الرجاء ، ويعقد لواء الأزهر ودعوته على رأس ـ ولدهما الشيخ (عبد العزيز عيسى) كما تمنيا لأنفسهما فى هذه الحياة .

مسيرة حياته موظفاً :

هذه سطور مشرقة من حياته الدراسية تكشف لنا عن مسيرة حياته طالباً .

أما مسيرة حياته موظفاً ـ فهى العظمة فى النفس والهمة فى الدرس ، والحرص على أداء الواجب ـ ورعاية مصلحة الطلاب والاهتمام بشئونهم .

أعرف عنه ـ طيب الله ثراه ـ وقد كنت وثيق الصلة به شديد المودة له ـ أنه كان حدباً على طلابه عطوفاً عليهم يعمل لصالحهم ، وقد ظل يؤدى عمله فى معهد القاهرة الثانوى منذ بدء

تعيينه – مدة تبلغ نحواً من اثنى عشر عاماً – كان يدرس فيها اللغة العربية والعلوم الشرعية – حتى اختير لتدريس (الفقه) فى كلية الشريعة الإسلامية سنة ١٩٤٣ وفى سنة ١٩٥٠ – أضيف إلى عمله بكلية الشريعة عمل آخر هو الإشراف على طلبة البعوث الإسلامية الوافدين إلى الأزهر – من مختلف أقطار دول العروبة والإسلام .

وكان كثير من هؤلاء الطلاب لايعرفون اللغة العربية – فاعتنى بهم عناية بالغة . حتى أنطقهم إياها وتظم لهم سائر شئونهم الأخرى فى روح إسلامية حانية ، وهمة عربية عالية .

كان الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله – يشغل فى وقت من أوقات حياته – منصب (المراقب العام) للبحوث والثقافة الإسلامية – فعين الأزهر أستاذنا المرحوم الشيخ (عبد العزيز عيسى) أميناً مساعداً له – ثم عاد فعينه مفتشاً للعلوم الدينية والعربية بالمعاهد الأزهرية .

وكانت هذه الوظيفة – ذات شأن وأهمية بين الوظائف الأزهرية فى عهد الإمام الأكبر أستاذنا الشيخ (عبد المجيد سليم) شيخ الإسلام وشيخ الأزهر – رحمه الله .

وقد انتدب من درجات التفتيش ووظائفه التى تنقل فيها على اختلاف أنواعها ومستوياتها .. شيخاً لمعهد القاهرة الثانوى ثم شيخاً لمعهد البعوث الإسلامية – ثم صدر قرار الأزهر بتعيينه مديراً عاماً للتعليم الإعدادى – ثم من هذا المنصب مديراً عاماً لتفتيش العلوم الدينية والعربية ..

وقد أحسَّ الأزهر بتوخى (الشيخ) للحق وتحريه للعدل ، وعلمه الدائب للصالح العام ورقىّ الأزهر والارتفاع بمستوى طلابه – فعينه وكيلاً عاماً لإدارة المعاهد الأزهرية – فى ١٥ مارس سنة ١٩٦٦ صدر القرار الوزارى بندبه لهذه الوظيفة – ثم صدر القرار الجمهوري فى ١٩٦٨/٣/٧ بتعيينه فيها .

سطوع شخصيته الإدارية :

ومن خلال هذه الوظيفة وما شغله من وظائف فنية وإدارية سابقة – سطعت – أمام علماء الأزهر (الشخصية الإدارية) فصدر فى ١٩٦٩/٥/٢٤ – القرار الجمهورى رقم ٨٠٧ بتعيينه (مديراً عاماً للمعاهد الأزهرية بدرجة وكيل وزارة) مع ندبه أميناً عاماً للمجلس الأعلى للأزهر .

وبعد فترة من صدور هذا القرار – صدر قرار وزارى بتعيين فضيلته (عضواً بمجمع البحوث الإسلامية) كما تم صدور القرار الجمهورى فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٢ بتعيينه (وكيلاً للأزهر) .

البيئة العائلية وتأثيرها فى فضيلته :

ومن خصائص حفظ القرآن الكريم .. أنه يعطى صاحبه صفاء فى النفس ، ونقاء فى القلب ، وقوة فى العزم ، وشدة فى الحزم ، ومضاء فى الإدارة ، وجرأة فى القرار ، وتصميماً على إنفاذه ،وهدوءا ورزانة ووقارا وسكينة ، وحباً للخير ، وإشاعة له ، واستقامة على طريق الإسلام ، وغيرة على شريعته ، وانتصاراً للحق ، وصبراً على شدائده ، وعدم الخوف أو التهيب من وقوعها ، واحتمال الأذى ، مهما تصاعدت أو علت درجاته فى سبيل الذود عنه والانتصار لشرع الله ورسوله .

وهذه الخصائص هي خصائص أستاذنا المرحوم الشيخ (عبد العزيز عيسى) التي غرسها فيه (القرآن الكريم) .

وقد علمنا من قبل أن والده ـ رحمه الله ـ في أصله البعيد من (فاس) ببلاد المغرب قد رحلت أسرته إلى مصر مع أولئك الذين نزحت أصولهم إليها منذ زمان بعيد ـ فهو إذن من أصل عربي وربما كانت أصول أسرتـــه من الأشراف ، ولايستبعد أن تكون في أعراقهم دماء من البيت النبوى الشريف ـ لما نلمسه في صفات الشيخ (عبد العزيز عيسى) من خصائص من شأنها أن لاتجرى إلا في دماء الأحرار الأطهار ، وأيضاً لما رأيناه من حرص ـ والده ـ حين أراد تزويجه أن يختار لابنه زوجة من أسرة تجرى في دمها عراقة الأنساب ، وتحمل في نسبها ـ أصالة العروبة ـ فاختار لنجله الشيخ (عبد العزيز عيسى) بنتاً كريماً وزوجه حسيبة ـ تشاركه في مسيرة حياته ، ودفعه إلى الطموح وحب المعالي وشجعه على الاستمرار في أداء رسالة الإسلام ، وإعلاء كلمة الأزهر وشخصيته بين الأنام .. فكان اختيار والده الموفق حين بنى لولده من أسرة (بنى الأحمر) من أمراء الأندلس وتفاعلت الدماء العريقة مع الخصائص الوثيقة من كتاب الله وسنة رسوله وأظهرت عظمة الشيخ (عبد العزيز عيسى) وأعانت على بروز شخصيته إماماً مسلماً وفقيهاً عالماً وإدارياً حازماً ووزيراً لشئون الأزهر ـ يفخر به الأزهريون ويحمد سيرته المسلمون .

البيئة الأزهرية وتأثيرها في فضيلته :

وكما أن من خصائص القرآن الكريم ... أنه يخلق في المؤمن صفات الكمال ، وأخلاق الرجال ـ فكذلك يصنع بأبنائه ويغرس فيهم محاسن الشرف ـ كما ينفى عنهم مساوىء الترف .

فهم حفظة حديث رسول الله ﷺ إلى جانب أنهم حفظة كتابه الكريم ، وهم قراء الأدب العربي ـ شعره ونثره ـ كما هم رواة حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام وأدبه ـ ولولا كتاب الله الكريم وشرح علماء الإسلام له ـ ماازدهر الأدب العربي ولولا الكتاب العزيز والحديث النبوى الشريف ما ظهرت علوم الإسلام .

لهذا رأينا الأزهر الشريف يتوافد على الالتحاق به من مشارق الأرض ومغاربها كثير من أبناء الإسلام والعروبة لينهلوا من معينه ، ويتزودوا من زاده لكل مايشبعهم أدباً ويحييهم تديناً .

بين هاتين البيئتين بين بيئة عائلية ، وبيئة أزهرية نشأ المرحوم أستاذنا الشيخ (عبد العزيز محمد عيسى) فوجد نفسه بين بيئة عائلية صقلت صفات رجولته ، وصنعت بتحفيظه القرآن الكريم ـ معالى همته ومكونات شخصيته ومقومات مروءته ، وبين بيئة أزهرية ـ سلّحته بكل قدراتها العلمية فزودته بمعارفها العربية ، وكونته بعلومها الدينية حتى تخرج مع بداية نهضة الأزهر وتطوره الحديث ـ فتى قوياً وعالماً جليلًا لم تمض عليه شهور قليلة . إلا وذاعت بين الأزهر شهرته وعرفت بين أساتذته وطلابه مكانته ..

هذا هو فضيلة أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ (عبد العزيز محمد عيسى) وزير شئون الأزهر السابق في حلقة من حلقات حياته .

وبالله التوفيق ...

يا أمة العلماء والشهداء*

فى رثاء الشيخ عبد العزيز عيسى

قصيدة للدكتور سعد ظلام(*)

حملت إلىَّ فواجع الأنباء ... ما هز وجدانى .. وهد بنائى
خطف الردى سفراً ونجماً ثاقباً ... ومشى بأحناقى كمشى الداء
ياموت أنت قتلتنى فى نعيه ... والخلت فىَّ شجاعة الصرحاء
سممت أجوائى .. فلا أحيا بها ... إلا على سقم .. وطول عناء

●●●

شيخى فديتك أى سهم غالنى ... لما نعيت إلىَّ فى الأنباء
بعداً ليومك .. إنه قد هدنى ... وهدها بهول خطوبه أحنائى
قد كنت حتى عند نعيك شامخاً ... وأراك فى كفن من الأضواء
تبل من خلف الغلائل نظرة ... فيها وداعك للوجود الفانى
وكأن نظرتك الشهيدة لخصت ... كل الحياة دوائها والداء
حلوك نعشاً ماج فى أكفانه ... بحر العلوم ودرها اللألاء
وقلوبنا اللهفى .. تودع أمة ... فى نعشك المنضور بالآلاء

●●●

قد كنت يا عبد العزيز منارة ... ولواء حب .. بل أعز لواء
فى أزهر العلماء كنت مجنحاً ... وسماء أمجاد وركن إباء
قد كنت أستاذاً .. وكنت معلماً ... لأئمة فى الرأى والإفتاء
أستاذ أجيال .. وعى فى صدره ... سراً من الأسرار والإيحاء
قد كنت من جيل وفى رائد ... فى البحث والتنقيب والإعطاء
جيل من العلماء كان لشأنه ... شأن .. وكان قلادة العلماء
جيل من العلماء أدى دوره ... فى الكون بين ضراوة .. وعناء
عانى .. ولكن من خلال عنائه ... أفضى الصباح به إلى الأضواء
نقشوا مهابتهم بوجه زمانهم ... نقش الربيع بدوحة عطراء

●●●

أبدا يسافر فى الزمان زمانهم ... سفر العزيز على شموس إباء
أبدا تسافر فى الحياة حياتهم ... سفر الحجيج إلى ذرا البطحاء
فى دوحهم فرحى وفى آثارهم ... ترحى .. وجرحى وانتكاسة دائى

(*) الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ورئيس قسم الأدب والنقد

من ذلك الجيل العظيم وفضله ... « عبد العزيز » الساتر الأصداء
ليس المصيبة فقد فذ نابه ... أدهى المصائب كان فى البغاء

● ● ●

الى أجلُ أئمتى .. وأحبهم ... وأرى عليهم عزتى وسمائى
وأحب فاكهة الشيوخ وعطرهم ... وتوهج العزمات والأسماء
وأشم فى خطواتهم إشراقتى ... ونبوغ شعبى واحتشاد ذكائى

● ● ●

والناس منهم من يمر على الدنى ... وكأنه نبأ من الأنباء
مَيْتٌ أتاها .. ثم مر بظلها ... من غير ما أثر .. ولا ضوضاء
لم يدر ما الدنيا ولا إيقاعها ... ما دوره فى عالم الأحياء
لا تشعر الدنيا ولم يشعر به ... إلا الردى ودفاتر الإحصاء
والبعض يثرى أو يثير حياتنا ... بالرأى والتوجيه والإحياء
فهم الحياة وغاص فى أعماقها ... ووعى رسالتها بكل ثراء
فأثارها فى كل ندة خاطر ... أذكى من الإبراق والإشذاء
ماجت به شطآنها ورياضها ... والمهرجان وبوحة الإعطاء
تلقاه فى أبهائها ودروبها ... والقاع والساحات والأجواء
فإذا مضى تلقاه فى إيقاعها ... فى شكلها فى روحها المعطاء
قد كنت ياعبد العزيز رسالة ... وإثارة للمهجة الصماء
من لى بمثلك حجة ورجاحة ... وتثبتا فى الرأى والإفتاء
يدعى فينضو علمه وبيانه ... متدفقا كالسيل عذب الماء

● ● ●

ويحى إذا الغراب خنّ لشيخه ... والقبلتان .. وخالد الابناء
وتلعثمت أيامنا وظروفنا ... وتبعثرت فى القول والإفضاء
ستقول أين ؟ وأين مقتلة النبى ... والأين إفلاس بغير عطاء
ياراحلا لسنا البقيع .. وطهره ... متدثرا بالفضل والآلاء
معراجك الأسنى إليه رسالة ... أديتها بنبالة الشرفاء
علمتنا فقه الابناء وروحه ... ومعانى الأفعال والأسماء
لم تغن من جاه الوزير ووشيه ... أو تجتذبك مفاتن الإغراء
بل كنت « كالصديق » ألطف معشرا ... ونزاهة « الفاروق » فى الخلفاء
لا يقرب الدانى وضاءة وجهكم ... أو جاهكم قبل القصى النائى
فعدلت بينهم .. ومن يعدل إذا ... لم يعدل العلماء فى الأبناء
نم فى جوار الله أكرم منزل ... ياقمة العلماء والفقهاء



للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ





★ د. عبد الوهاب عزام ★
رحمه الله تعالى

أحد أساطين الأدب العربي الحديث ، وقد أتيحت لى معرفة قدر هذا الرجل ، لأول مرة ، منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما ، حينما أتيح نشر أول مقال لى بمجلة (الرسالة) ، بعددها الصادر فى الثلاثين من مايو سنة ١٩٤٩ م ، فقد استوقفنى فى صدر هذا العدد من الرسالة ، المقال الافتتاحى بها ، وكان بعنوان : (أمم حائرة) للدكتور عبد الوهاب عزام ــ وهذا المقال هو الخامس من سلسلة مقالات له بهذا العنوان فى (الرسالة) وفيه يقول : « لا أجحد فضل الكتابة على الحضارة ، ونعمتها على البشر ، ولكنى آخذ على الناس هذا الغلوّ فى إعظامها ، والغلو فى احتقار ما سواها من الوسائل ولا أنكر أن الوسائل الأخرى ، فى أكثر الأحيان ، راجعة إليها ، مستمدة منها ــ لا أنكر هذا ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ــ ولكنى أدعو إلى أن يستحل الناس معارفهم ، ثم ينتفعوا بها ، بكل وسيلة ، من إقراء أو إشهاد ، أو إسماع .. إلى أن تعمّ الكتابةُ كل فرد ، وكم فى تاريخ العلم من نابغ ضرير لم يقرأ .؟ » .

وقد أضفتُ ــ فيما بينى وبين نفسى ــ لقول الدكتور عزام : « وكم فى تاريخ الأدب من عبقرى ، كالرافعى ــ الذى كُتبتْ عنه بالعدد ذاته من الرسالة ــ لم يستمع إلى أفذاذ الأساتذة الجامعيين ، أو كبار المتخصصين المتحدثين فى فنون الأدب .. » .

وازددتُ تأثرا واقتناعا بما أورده الدكتور عزام ، بعد ذلك ، بالمقال ذاته ، مستطردا فى حديثه عن دور العلم : « ..وانتهينا ، فراعنا أنّ شفقة الآباء ، وبرّ الأبناء ــ وكانا عماد مابين التلميذ وأستاذه ــ قد ضلّا فى هذه الضوضاء (يعنى دعاوى الحرية والانطلاق) وامّحيا فى هذا الشقاء ..

وإذا آلات كآلات (الميكنة) ، تدور لا عقل لها ولا قلب ، ولا سمع ولا بصر .. فنقول : ــ رحم الله زماننا ، كان سرور التلميذ وفخره ، بأن يكلمه أستاذه ، وأن يكتب على يد أستاذه يقبلها ، في المدرسة وغير المدرسة » .

وزاد إعجابي بالدكتور عبد الوهاب عزام ، وحرصي على التلمذة على أدبه ، والأخذ عن سُمُوّ توجُّهه .. حينما نشر الحلقة السادسة من مقالات : (أمم حائرة) في الرسالة ، في العدد الأسبوعيّ التالي ، وتحدث فيه هذه المرة عن (الأسرة) ، وخاصة حينما انتهيتُ إلى قوله : « **إلى أرى الأمّ تُخدع عن سُلطانها في البيت ، وتنزل عن عرشها في الأسرة ، فيقال لها : ــ دعى البيت إلى السوق ، واهجرى الأولاد إلى المصنع ، واتركى تدبير الأسرة ، إلى تدبير الشئون العامة ..** » .

ويزيد القول إيضاحاً ، في الحلقة السابعة من (أمم حائرة) ، حينما يتحدث عن (المرأة في هذا العصر) ، ويقدم الحجة الدامغة ، والدليل القاطع ، على ما نال المرأة الأوربية من مهانة ــ وهي التي قلدتها المرأة الشرقية تقليدا أعمى في كل شيء ــ فيقول مُعللاً لما مرّت به :

« **إنما أخرج المرأة الأوربية من معقلها ، وأنزلها من عرشها : هذه الوحشيّة المُدمّرة ، التي قتلتْ الرجال (ولعله كان يعنى الحرب العالمية الثانية ، التي واكبت زمن تحرير المقال) ، فحرمتْ المرأةُ عائلها ، فخرجت تسعى لنفسها ، وتكدح لقوتها ــ ولو خُيِّرتْ ــ ما اختارت هذا الشقاء .. وما على وجه الأرض امرأة تُؤثر السوق والمصنع ، على سكينة البيت ، ونعيم الأسرة ..** » .

إن هذه ضرورات أدّى إليها تعاسة الإنسان وشقاوته ــ والضرورة تقدّر بقدرها ــ وينبغي السعي لدفعها ، وألا نُقرّ لها ، ونخضع لسلطانها ، ونجعلها قانونا تسير عليه المعيشة .

ثم يتوجه الدكتور عزام ــ رحمه الله ــ بما يؤلم ويفحم ، قائلا عن المرأة الشرقية :

« **جعلتموها وسيلة إلى كل كسب ، وشركا لكل صيد .. وجلتم بها المشترين إلى متاجركم ، ونشرتم صُوَرها في آلاف الأشكال ، للترويج لبضائعكم ، وجذب القرّاء إلى صُحُفكم .. وأخذتموها إلى سواحل البحار ، وإلى مسابح الملاهي ، فعرّيتموها ولهوتم بها ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، وكذبتم على أنفسكم وعلى الحقائق ، فقلتم : حرّرناها وأسعدناها ، وليس للمرأة ، في هذا كله تحريرٌ ، ولا لها من السعادة نصيب .. إنها مُسخرة مُسيّرة بأهواء الرجال ، وأشراك عُبّاد المال ..** » .

وكان من أثر ذلك ، أن ــ كتب (الزيات) في العدد ٨٤ من (الرسالة) الصادر في ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٩ م ــ ، في افتتاحية العدد ، (أخي عزام !) :

« **قرأت فصولك الأربعة عشر[1] ، التي كتبتها لقرّاء الرسالة ، بقلم المؤمن الصادق ، والمصلح الحكيم ، والخبير المجرب ، والكاتب المُبين .. عن هذه الحيرة الاجتماعية التي عرّفتْ**

---

(١) لم تجمع هذه المقالات بعد في كتاب ، وكذلك مقالاته عن : (أخلاق القرآن) .

الأمم ، وهذا القلق النفسى الذى أشقى الأفراد ووصفت لها طبابا واحدا ، هو : هُدى الله .. فلم تدع فضلة يناقشها أديب ، ولا علّة يعالجها طبيب » ..

● ● ●

وما سُقْناه من حديث ، حتى الآن ، هو فى تقديرنا المدخل المناسب للحديث عن هذه الشخصية المؤمنة الفذة ، التى وضعت نصب عينيها دائما ، رسالة سامية ، فحواها وسبيلها : الإسلام وفضائله وسمو غاياته وتعاليمه ، ثم العمل على إعلاء شأن العرب والعروبة ، وقد أوضح ذلك القصد النبيل ، فى تقدمته لكتابه : (الأوابد) بقوله : « إنها مقالات ومنظومات ، تقصد إلى ما أقصد إليه فى كل كتبى ، من رفيع الأسلوب الأدبى فى اللغة العربية ، وتيسيره ، وإعلاء المستوى الروحى والخلقى ، والاعتزاز بأنفسنا ، والاعتداد بتاريخنا .. » .

حيـــاته ونشـــأته :

ولد فى بلدة (الشوبك) الغربى ، بمركز العياط فى محافظة الجيزة ، فى الأول من أغسطس سنة ١٨٩٤ م ، وحفظ القرآن الكريم فى مكتب القرية ، ثم التحق بالأزهر ، وانتقل بعد ذلك إلى إتمام تعليمه بمدرسة القضاء الشرعى ، وعُيِّن مدرسًا بها بعد تخرجه فيها ، لأنه كان (الأول) على الخريجين .. ولم يقف طموحه عند هذا الحد ، بل سارع إلى الالتحاق بالجامعة الأهليّة ، ونال منها شهادة (الليسانس) فى الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣ م ، واختير بعد ذلك للعمل بالسفارة المصرية فى لندن ، فاهتبل الفرصة لإرواء ظمئه إلى العلم والمعرفة ، فالتحق بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن ، وحصل منها على درجة (الماجستير) فى اللغات الشرقية ، وكان موضوع الرسالة : (التصوف فى رأى فريد العطار) .

وعند عودته إلى أرض الوطن ، قام بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، بعد حصوله على درجة الدكتوراه التى كان موضوعها : (شاهنامة الفردوسى) ، واستمر فى عمله بالكلية المذكورة ، حتى أصبح عميدا لها ، ورئيسا لقسم اللغات الشرقية سنة ١٩٤٦ م ، وانتدب خلال تلك الفترة مرتين ، للتدريس فى (جامعة بغداد) .

ثم عمل وزيرا مفوضا لمصر ، فى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٤٧ م ثم سفيرا لمصر فى الباكستان سنة ١٩٥٠ م ، وعاد مرة أخرى إلى السعودية ، ليعمل سفيرا لمصر بها ، وفى تلك الأثناء ، تم اختياره لتأسيس وإدارة الجامعة فى الرياض ، وظل بها حتى نهاية عمره .

● ● ●

وقد شغل الدكتور عبدالوهاب عزام ، خلال سنوات عمره المثمر ، العديد من المراكز الرفيعة ، فكان عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب سنة ١٩٤٤ م ، كما كان عضوا بالمجمع اللغوى سنة ١٩٤٦ م ، وعضوا بالمجامع العلمية فى العراق وإيران وسورية ، وحصل على وسام الأرز الوطنى من لبنان سنة ١٩٤٧ م ، ومنحته جامعة (دكا) بالباكستان الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٥٢ م ، كما مثّل جامعة

القاهرة فى العديد من المؤتمرات الثقافية ، كمؤتمر العيد الألفى للفردوسى سنة ١٩٣٤ م ، ومؤتمر المتنبى ببغداد سنة ١٩٣٦ م ، ومؤتمر أبى العلاء المعرى بسوريا سنة ١٩٤٤ م ، ورأس مؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات فى (جامعة البنجاب) بـ (لاهور) سنة ١٩٥٧ م ـ وكان ممثلا فى الوقت نفسه ، بهذه الندوة ، لجامعتى القاهرة والرياض معا .. ثم أخذ إنتاجه الخصب يتدفق ، فى العربية والفارسية والتركية ، كما يقول الدكتور محمد مهدى علام[2] وهو فى كل ذلك كما يقول الأستاذ « أنور الجندى »[3] :

« رقيق هادىء ، فى روحه الحسرة على الأمجاد التى انطوت وغابت ، وفى بيانه الأمل فى المستقبل الذى يكاد يتألق ويشرق » إلى أن يقول :

« وقفاته عند المسجد الأقصى ، وعند جامع دمشق ، وعند قبر المأمون ، وعند مثوى الغزالى ، وفى تاج محل .. كلها شاهدة على ذلك الحب الأكيد لأمجاد العرب ، وتراث الإسلام ، وروح الشرق .. » .

وكلماته المنوعة فى الاجتماع والتاريخ والسياسة ، كلها خلاصات ذهن مُرتّب ، ونفس عاملة ، وقلب مضىء .. وقد أثمر ذلك كله روعة فى الأسلوب والتعبير .. ففى وصف رحلاته ، يقول : « أتاحت لى الأسفار رؤية كثير من البلاد التى قرأت عنها ، ومكنتنى من التوسع فى درس اللغات (أى : الفرنسية والانجليزية والفارسية ، والتركية والأردية) ، والآداب التى عرفتُها من قبل .. وقد حرصت على أن أرى كل الآثار التاريخية فى البلاد الإسلامية ، والعربية ، ولا سيما ما ذُكر فى القرآن الكريم ، والسيرة والتاريخ الإسلامى ، وكتب الأدب .. » .

وكم يأسرنا ببلاغة التعبير وصدقه وعمقه ، حينما يذكر مشاعره أثناء طوافه مع الحجيج ، بقوله تحت عنوان : (فى الحجاز) :

« كم قلب محزون حمل إلى هذا الجناب شكواه ، وفؤاد معذَّب يبث هذه الساحة نجواه .

وكم آثم خطَّ فى هذا الفناء الأوزار يمحقها بالتوبة والاستغفار .

كم نفس مظلومة ترفع ظلاماتها .

وكم مكلوم جاء بجراحاته ، وأرسل آهاته وأنّاته .

كل ضارع على هذا الباب .. ووراء هؤلاء من المشرق والمغرب ، قلوب توجهت شطر البيت ، كما تتوجّه الإبر إلى القطب ، وتنزع إليه ، نزوع الغريب إلى ولده وداره .. » ، إلى أن يقول بوجْد مُذيب :

« أترى الدعوات تهفو على الكعبة مع هذا النسيم ، والصلوات تنزل عليها فى هذا الضوء ، وأسراب الآمال طارت فى المغرب والصين ، لتطوف مع الطائفين .. ؟ .

ما أروع هذا مشهدا : صلاة ودعاء ، وطواف وبكاء ، يسيل بها الإصْباح والإمساء .. مَنْ لى بخلوة فى هذا الزحام ، والوحدة فى هذه الكثرة ، والسكون فى هذا العباب ، والقرار فى هذا المحشر .. مَنْ لى بأن أقف على الساحل من هذا البحر ، لأرى وأسمع » .

---

(٢) انظر كتاب (المجْمعيون فى خمسين عاما) ـ إصدار مجمع اللغة العربية ط ١٩٨٦ م ص ١٨٧ .
(٣) انظر كتابه (الكتاب المعاصرون ـ أضواء على حياتهم) ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

ويبلغ الدكتور عزام الذروة ، حينما يصوِّر (الحياة) بقوله :

« إن الحياة تضيق على الإنسان ، إذا حَدُّها بجسمه الضئيل ، فهى محدودة اللذَّات مُملة ، ضيقة المجال مُسْئمة ، لا تفى لذَّاتها بآلامها ، ولا سعادتها بشقائها .. فإذا عرف الإنسان نفسه ، ووَصلها بالعالم غير المحدود ، ثم بالله رب الوجود .. وجد فيها أملا وعملا ، ونجاحا ورُقيا دائما .. وعُرُوجا دائما .. ورأى أنه الكون ، وأنه لا يُحد ولا ينتهى ، فتهون عنده الآلام ، بل تضيع فى الآمال العظيمة ، وتمَّحى فى الحياة الروحية ، التى تسْمُو على صغائر الدنيا . » .

● ● ●

ويُجمل تلميذه الدكتور يحيى الخشاب وصف سماته وقوة شخصيته ، وتواضعه ، بقوله : « ما رأيت عالما فيه السماحة والتواضع ، وإجلال العلم ، كما رأيته .. » .

وأشهد أنى ما جلست مجلس علماء فيه (الأستاذ) ، إلا وكان أميلهم إلى الصمت ، وأحرصهم على السمع ، وأقلَّهم شوقا إلى الكلام .. ومع ذلك ، فكان هو الذى ترنو إليه الأنظار ، وتُوجَّه إليه الأسئلة ؛ وكان كلامه هو المُرْتجى ، وحديثه هو المنشود . » إلى أن يقول : « قلَّ أن تقرأ للأستاذ بحثا ، أو كتابا ، لا يكون مدار الحديث فيه : الإسلام ، أو العربية .. »[4] .

معـارکه الأدبيـــــة :

إختلاف الرأى لا يُفْسد للود قضية ، بين الدكتور عبدالوهاب عزام والدكتور أحمد أمين ، فى مسائل عامة ، تعرَّض لها الدكتور أحمد أمين فى (الرسالة) أولا ، وفى (الثقافة) ثانيا ، ورأى فيها عزام ما يدعو إلى النقاش الجاد ، فيما ذهب إليه أحمد أمين من الدعوة إلى اصطناع لغة عربية ، خالية من الإعراب ، ومن الألفاظ الضخمة ، ومستعملة للكلمات العامية ، ذات الأصل العربى ، لتكون لغة الجمهور ..

قال عزام ــ فى تفسير هذه الدعوى : « إنى أرُدُّ هذا الرأى من وجهين : ــ

الأولى : أنه يجعل للأمة لُغتين حقا ، ويبقى هذا الفرق البيِّن بين الخاصة والعامة ، ويُلزم الأديب أن يكتب مرة للعامة ، ومرة للخاصة .. إلخ » .

وثانيهما : (إهمال الإعراب) ، فقال عزام بصدده : « وأنا أزعم أن العامىَّ يستوى عنده أن تكتب له ألفاظاً معربة ، أو غير معربة ، طالما كان اللفظ معروفاً عنده ... »[5] .

وكذلك اختلاف وجهة نظره ، قبل هذه المعركة ، مع الدكتور أحمد أمين ، أيضا ، بسبب رأى أحمد أمين فى مقالاته التى تحمل عنوان : (جناية الشعر الجاهلى ، على الأدب العربى) .. يقول الدكتور عزام :

---

(٤) أنظر عدد مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ــ المجلد التاسع عشر جـ ١ ط ١٩٦٠ م .

(٥) انظر كتاب الدكتور محمد رجب البيومى بعنوان : (النهضة الإسلامية) فى سير أعلامها المعاصرين) ط ١٩٨٠ جـ ٢ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .

« ومما يحضرني الآن ، أنه . (أي الدكتور أحمد أمين) ، كتب مقالات عن الأدب الجاهلي ، في مجلة الرسالة . فخالفته بمقالات في المجلة نفسها ، وقلت لنفسي : ــ ولعلي قلت له أيضا ــ سأجعل هذه المقالات مثلا للجدال الخالص من الشوائب ، الذي لا يقصد إلا الحق ، ولا يبخس المخالف حقه ، ولا يحيد قيد شعرة ، عن أدب المناظرة .

وهناك معركة أدبية أخرى مشهورة ، بين الدكتور عزام ، وعبدالعزيز فهمي (باشا) حينما تقدم الأخير باقتراحه الخاص باستعمال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية إلى المجمع اللغوى ، وانبرى له الدكتور عزام ، يدحض رأيه ويرد دعواه ، لأن عزاماً كان يعرف ما لا يعرفه عبدالعزيز فهمي ، فيما كان من أمر التراث الإسلامي في بلاد الترك ــ كما يقول الدكتور يحيى الخشاب ــ بعد أن ألغى مصطفى كمال الحروف العربية ، واستبدل بها الحرف اللاتيني .

وانتهت هذه المعركة ، إلى انتصار الدكتور عزام على عبدالعزيز فهمي ، وانتهت فكرة الحرف اللاتيني ، وتنبه الناس لما يمكن أن تحدثه من تأثير سلبي ، على لغة القرآن الكريم ، والحضارة العربية والإسلامية .

مؤلفـــاته :

نورد فيما يلي ثبتاً بأسماء كتبه ، في حقلي : التأليف والترجمة ، بل وفي ميدان النشر أيضا .

فمن مؤلفاته :

١ ــ الأوابد (وهو مجموعة مقالات ومنظومات) .

٢ ــ التصوف وفريد الدين العطار .

٣ ــ الشوارد .

٤ ــ مهد العرب .

٥ ــ النفحات .

٦ ــ المعتمد بن عباد .

٧ ــ اللمعات .

٨ ــ نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية .

٩ ــ ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام .

١٠ ــ محمد إقبال (حياته وشعره) .

١١ ــ مدخل الشهنامة العربية للبنداري .

١٢ ــ الأدب الفارسي « بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب » .

١٣ ــ رحلات عبدالوهاب عزام .

مترجماته :

١ ـ ديوان الأسرار والرموز (عن الدكتور محمد إقبال) .

٢ ـ فصول من المثنوى (عن الفارسية لجلال الدين الرومى) .

٣ ـ جهار مقالة وعروض (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب .

٤ ـ اتحاد المسلمين (عن التركية / لجلال نورى) .

٥ ـ پيام مشرق (عن الفارسية / للدكتور محمد إقبال) .

٦ ـ ضرب الكليم (عن الفارسية / للدكتور محمد إقبال) .

٧ ـ مقتطفات كثيرة ترجمها شعرا ونثرا ، عن الشعر الفارسى والتركى ، ونشرت بمجلة (الرسالة) وغيرها ـ وهى بحاجة لمن يقوم بجمعها وإصدارها بين دفتى كتاب أو أكثر .

ومما قام بتحقيقه ونشره :

١ ـ ديوان المتنبى .

٢ ـ مجالس السلطان الغورى .

٣ ـ كليلة ودمنة .

٤ ـ رسائل الصاحب بن عباد (بالاشتراك مع الدكتور شوقى ضيف) .

٥ ـ الورقة لمحمد بن الجراح (بالاشتراك مع الأستاذ عبد الستار فراج) .

● ● ●

شعره :

كان الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ صاحب الصناعتين والصياغتين : النثرية والشعرية ، ونقتصر فى هذا المقام على تقديم بعض نماذج من شاعريته المحلقة ، بعد أن طال بنا نَفَس القول .. وهى تدور فى إطار إسلامى بحت ، كقوله عن أبطال الإسلام الأوائل :

سلاحهُم عزيمة الجهاد
وقوتهم ما سلبوا الأعادى
يُصابرون الأكْبُد الصوادى
ويأكُلون الجوع .. فى البوادى
قد يئسوا يأسا من الإمداد
إلا ثبات القلب والجلاد
ونصرة الرحمن للعِبَاد

وقوله في ديوانه : (اشتاق) :

أحب البدر ساطعا .. ثم ماء
فأرجى لديه تطهير ذنبي
وأراه من الأشعة فيضا
أتمنى - لديه تنوير قلبي

وقوله :

لا يبالي الأحرار في هذه الأر ض حدود البقاع والأوطان
ومن الناس من يجوز حتى لا ترى نفسه حدود الزمان

وبعد :

في ختام هذا البحث ، لا يسعني إلا أن أقول عن (عزام) ، ما قاله هو نفسه عن (الرافعي) ، حين انتقل الأخير إلى الرفيق الأعلى : « إني لأعترف للقارىء بأني - في غير تزيد ولا تصنع - أجد في نفسي وقلمي تهيبا ، للكتابة عن (الرافعي) ، وأرى جوانبه تتسع وتتسع ، حتى يضيق المجال .. ولقد حاولت أن أنظم ، فكنت كلما أخذت القلم ، تذكرت هذه الأبيات من منظومتي « اللمعات » ، فقلت : - إنها تمثل الرجل الحر الذي كان :

حبذا الصوت ، فمن هذا الشجي ؟ ومن الهاتف بالقلب الكبير ؟
لاح كالغرة في هذا السواد بض كالجمرة في هذا الرماد

إنه ليصدق من يجيب كل سؤال في هذه الأبيات ، بهذا الاسم الكبير : « مصطفى صادق الرافعي » .. ونحن نضيف : و « عبدالوهاب عزام » - أيضا -.

وغداة رحيل الدكتور عزام .. قال عنه الأستاذ محمد أبو زهرة :

« عرفت المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام منذ أكثر من أربعين سنة ، كان في السنين العالية في مدرسة القضاء الشرعي ، وكنت في السنين الأولى ، فعرفت شخصا مستقيما عف اللسان ، يغار على الإسلام والمسلمين ، ويحب أن يجتمع المسلمون ، وإني لأذكر أنه في السنة النهائية بمدرسة القضاء الشرعي اتجه إلى تعلم التركية ، ليتخذ من طريق تعلمها وسيلة للعمل على جمع المسلمين » .

وقال الدكتور منصور فهمي :

« تذكر للدكتور عزام كل الفضائل التي تتصل بخدماته للإسلام والعروبة ، وأستطيع أن أتحدث عن كثير من فضائله وحسناته في المجمع اللغوي ، وفي خدماته للغة ، وأستطيع كذلك - كزميل له - أن أذكر الكثير من فضائله ، كمرب يرقى بالمثل العالي في أخلاقه ووده لأصدقائه ، وصدقه في العمل وضميره المرهف الحساس » .

كما قال الأستاذ صبرى عابدين :

« قبل أسبوعين التقيت بالمرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، في مسجده الذى بناه قرب داره ، فقد كان - رحمه الله - يفيض حيوية ونشاطا كما كان يفيض بالموعظة على من حوله .

وقد عرفته - رحمه الله - قبل خمس وعشرين سنة - وكان برا تقيا - جاء إلى بيت المقدس عام ١٩٤٣ دارسا ليكتب عن المسجد الأقصى بحوثا علمية ، بالتدقيق والمشاهدة ، كعادته ، واجتمعنا به في المسجد الأقصى ، وكم كان خاشعا في صلاته ، وأخذ يطوف أرجاء المسجد الأقصى ، ليدرس آثاره ، ويقيد ملاحظاته ، حتى عاد إلى مصر ، وكتب سلسلة من المقالات عن المسجد الأقصى ، جمعها في كتاب ... ولم تشغله وظائفه في الجامعة عن القيام بواجب أسمى ، وهو أن يكون مؤديا لواجبه الإسلامي ، وواجبه العرق .

وقد أقام - رحمه الله - في القاهرة (جمعية الأخوة الإسلامية) وكان يجمع فيها أبناء الشعوب الإسلامية القادمين لطلب العلم في الأزهر ، أو في غيره من الجامعات ، وكان موجها لهم توجيها سديدا ... »[٦] .

وهذا قليل من كثير ، من المناقب التي تروى عنه - رحمه الله رحمة واسعة - .

---

(٦) أنظر عدد مجلة (لواء الإسلام) الصادر في شعبان ١٣٧٨ هـ ص ٧٤٥ وما بعدها .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وألزمهم كلمة التقوى

كلمة التقوى : قيل : هي « لا إله إلا الله » ، روى مرفوعا من حديث أبيّ بن كعب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قول الإمام علي وابن عمرو وابن عباس وعمرو بن ميمون ، ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ، وبعض من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقاله : عطاء الخراساني وزاد « محمد رسول الله » .

وعن علي وابن عمر - أيضا - هي : « لا إله إلا الله والله أكبر » .

وقال عطاء بن أبي رباح ومجاهد - أيضا - : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وقال الزهري : « بسم الله الرحمن الرحيم » يعني أن المشركين لم يُقروا بهذه الكلمة ، فخص الله بها المؤمنين .

وكلمة « التقوى » هي التي يتقي بها من الشرك .

وعن مجاهد - أيضا - أن كلمة « التقوى » هي الإخلاص .

« نفس كريمة »

إذا نالك الدهر بالحادثات
فكن رابط الجأش صعب الشكيمة
ولا تهن النفس عند الخطوب
إذا كان عندك للنفس قيمة
فوالله ما لقي الشامتون
بأحسن من صبر نفس كريمة

« باب العمل »

قال معروف الكرخيّ : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل ، وإذا أراد بعبد شرا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل . .

صفة مالك بن أنس رضي الله عنه

قيل في مالك بن أنس رأس المالكية - رضي الله عنه - :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
هَدْىُ التقى ، وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

من توجيهات سيدنا عمر إلى الولاة

عن عمر بن مجاشع أن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ يقول له : ... فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة ،وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى .

وعد مرضى المسلمين ، وأشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها همة إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن .

واعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا زاغ زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته ، والسلام ..



سئل واعظ وهو يخطب عن مسألة .

فقال : لا أدرى !! .

فقيل له : ليس المنبر موضع جهل .

فقال : إنما علوت بقدر علمى ، ولو علوت بقدر جهلى ، لبلغت السماء .

« زن الكلام قبل النطق به »

اشتهر أحد الأمراء بالنجابة والفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره ، ولما بلغ السابعة من عمره رآه رجل كبير السن .

فقال له : إن من كان هذا ذكاؤه فى صغره ، يصير بليدا أحمق فى كبره .

فأجابه الأمير على الفور : إذنْ كنتَ أذكى الناس فى صغرك .

فأسكته ، وخجل الرجل من كلامه وانصرف .

« قاسطٌ عادل »

روى عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ أن الحجاج بن يوسف الثقفى ـ قال لسعيد حين أراد قتله :

ما تقول فىَّ ؟ قال سعيد : قاسط عادل .

فقال القوم : ما أحسن ما قال ، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل .

فقال الحجاج : يا جهلة ، إنه سمانى ظالما مشركا ، وتلا لهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾ .

وقوله ـ عز شأنه ـ :

﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ .

دعاء :

« اللهم صب على الخير صبًا ، ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى أبدا ، ولا تجعل معيشتى كدًا ، واجعل لى فى الأرض جدًا » .



للأستاذ محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

ليس هناك علم بدون تعلم ، وليس ثمة تعلم بدون معلم ، والتعليم رسالة وأمانة يضطلع بها كل من هيأه الله لذلك .

النابه من المعلمين هو الشخص الذى يعتقد فى نفسه أن المعلم إذا أعطى وبذل ووفى واستوفى فذلكم هو المعلم الربانى . أما المعلم الآلة فهو : الذى تنعدم فيه روح العطاء ، فيجعل التعليم وسيلة لا غاية ، واضعاً نصب عينيه هم الدنيا وزخرفها ، فيلقى الكلام إلقاء ويرسله إرسالا بدون إدراك ، أو إحساس ، فهو بالجماد أشبه فتنفصم عرى الترابط بينه وبين ما يؤديه وتصبح العلاقة بينه وبين تلاميذه علاقة شوهاء ذات آصرة بتراء ، ويصدق عليه قول العرب : « شنشنة ولا أرى طحنا » .

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالمئات إن لم يعدوا بالألوف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة الشاعر :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وهم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم ـ مع قيامهم بمهمة التعليم ـ يحملون رسالة من رسالات الله ، يتوسلون بها إلى مرضاة الله .

وإذا كان فيهم من أجهد نفسه فى طلب العلم من نعومة أظفاره فى مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشىء فى معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له ـ ولا هو يعترف لنفسه ـ بأنه أحد الذين أثنى عليهم الشاعر ، لاضطلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلى يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة فى التعليم يؤدى عمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين ، وكلا الفريقين يؤدى عمله ، ويبذل فى سبيله من جهد ووقت مثل الذى يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول : تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤدى لله واجبه فى تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول اسطوانة تتحرك وهى لاتشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم وائتمنه عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها — ومصر فى جملتها — تجاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهى منه على مفترق الطرق ، والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا فى سن الرجولة أو الكهولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التى فى سن الطفولة إلى المراهقين الذين يملئون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعى ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم — فى عشرات السنين الآتية — أتفه أمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أُخرجت للناس . وفى يد المعلم : المعلم الذى يجهل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذى يعلم رسالته ويؤمن بها ، فى يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتى ، وإعداده لمستقبل الأمة والوطن جيلا تافهاً ، أو جيلا خيراً نافعاً .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم — فيما مضى كان حشو ألفاظ من المعارف فى أمخاخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوى ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة فى دواوين الحكومة ، فكان يكفى لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هى الطريقة التى اختطها (دانلوب) لوزارة المعارف) ، وسارت عليها (وزارة المعارف) فى النصف الماضى من هذا القرن ، أما الآن أى فى السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت (وزارة المعارف) إلى شىء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » إشعاراً للمعلم بأن عمله الفردى السابق أصبح الآن عملا مزدوجاً : كان معلماً فصار معلماً ومربياً ، كان موظفاً مكلفاً بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيرين نافعين ، كانت مهمته تنتهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشىء صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كأبنائه ائتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليتركهم هملا يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندنا — للمرة الأولى — من آلة أو اسطوانة تردد مناهج (وزارة المعارف) ،

إلى مرب يرى فى نفسه أنه سفير (وزارة التربية والتعليم) ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين يملئون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سليمة فى بنيان الجيل الحبيب فى المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرته ، وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم (الدنلوبى) والمعلم (الاستقلالى) هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولا عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكلما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المهذب الذى تعتز به الأمة ، ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخُلق فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة ـ فى عشرات السنين التالية ـ من أهل الصدق ، والتعـــاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون :

أنتم الذين تروون للناس قول الشاعر : « الأمم الأخلاق » وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالألسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتنا وتصرفاتنا وتعاملنا فيما بيننا ؛ لنكون قدوة لهم ، ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبلغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيراً من لسان المقال ، وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فما منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان التغنى بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق » لم تنتفع به من طريق الكلام ، فهلا ترون أن الأوان قد آن لنجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جيلى أنا وأمثالى من الذين شبوا عن الطوق ، فهلا تبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هذه البراعم المتفتحة للحياة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدار ، والبضاعة التى كانت ترضى (وزارة المعارف) فيما مضى ، لن تكتفى بها (وزارة التربية والتعليم) فيما سيأتى ، وقد أصبحت الأمة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقى مساخطه ، ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الأخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الأمة الغنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارعها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الغنى بالفضائل لإعداد

المستقبل إعداداً صالحاً تتصل أخراه بأولاه ، فستأنف سيرتنا الطيبة في التاريخ .

عرفوا الأحفاد بفضائل الأجداد .

إبعثوا في الحاضر مآثر الماضي .

إربطوا قافلة الغد بقافلة الأمس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ : « كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع » فعلموا تلاميذكم ما ينفعهم في تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الأمم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، وتجويد ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضي حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الأمم .

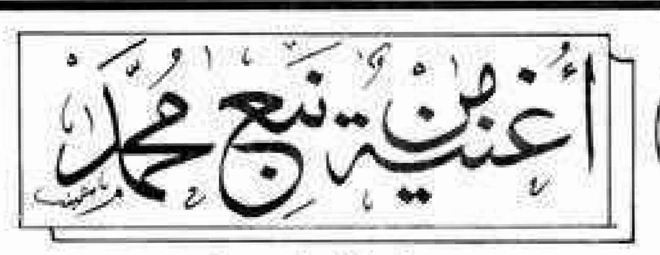
هذه هي رسالة المعلم ، والذي يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذي يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هي رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون في العمل بها ، بقدر تفاوتهم في الإيمان بها ، والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه في التعليم : فهل هو موظف في (وزارة المعارف الدنلوبية) ، أم هو سفير (وزارة التربية والتعليم) ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخلقه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الأمة الاجتماعي إلى ما يرضي الله وتعم به في الأوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هي رسالة الدليل للأمة الحائرة وهي على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أي طريق أنتم ذاهبون بها .



الشعر
إعداد الأستاذ
رشاد يوسف



ـ صلى الله عليه وسلم ـ

د/ محمد كمال الدين إمام

لولاك لما ارتفعت فينا مئذنة أو كبر مسجد
لولاك لما نطقت فينا لغة الإيمان ولم تسجد
لولاك لما عرف الإنسان الدرب إلى الله الأوحد
ولظل يسبح للأوثان ويؤمن بالحجر الجلمد

• • •

لكن في قلبي أغنية تتفجر من نبع «محمد»
تتساءل كيف يضل الناس حيارى قد فقدوا المرشد
ما بال القوم كأنهم ذابوا في الفكر المستورد
وضياؤك فينا مثل الشمس بقاء بل منها أخلد

• • •

ويقول القلب تعود تعود ونبدأ من باب المسجد
فبرغم عدو شاء لنا الأغلال وشيطان عربد
وبرغم المحنة علمنا ما فيها روعة ما تفقد
مازلنا نبصر فوق الدرب خطانا من خلف «محمد»

• • •

يا قومي في دمنا التهبت أشواق النور ولن تخمد
كبرنا باسم الله الفرد فكان النصر على موعد

تنوير.. وتضليل

شعر: أ. / محمد عبد الرحمن صان الدين

أيها التاريخ هل كل الذى ترويه كانا ؟
أم ترى الإنسان فيما خط فى الأوراق مانا
فيك تزوير وزيف منهما المرتاد عانى
فيك أوهام وخلط فوق نور العقل رانا
كم طرحت الدر أرضا والحصى أعليت شانا

• • •

فى بطون الكتب والأسفار كم تاهت عقول
ما لها عند السُّرى فى ليلها الداجى دليل
ذاك نبع ماؤه رنق ، وهذا سلسبيل
قد وعاها حاطب بالليل أفاق يجول
بعض ما فيها غُثاء أو دخيل أو جليل

• • •

كم كلام من هواة القول محبوك النسيج
يقرع الأسماع فى صبح وليل بالعجيج
ما به شىء من المضمون للفكر النضيج
إنه فى كفة الميزان ضرب من تبيج(1)
إنما يؤذى العقول القول وراف الأريج

• • •

إن من يرتاد فى التجوال أدغال الرقيم
ينبغى أن يمسك المصباح مصباح العلوم
والموازين التى قامت على النهج القويم
أو فإن المرء يحيا فى غيابات الوهوم
ليس كل القول فى الأسفار من وحى الحكيم( )

---

(1) تبيج : صياح وضوضاء.

( ) نعتذر عن نشر الخماسية الأخيرة لضيق المساحة

شاهدُ زورٍ !!!

شعر/ السيد الصديق حافظ

« خمسون عاما قضاها بعظ الناس ، وفى لحظة صارت الأعوام ركاماً أمام تجربة وجد فيها الحق يطالبه بأن يؤدى الشهادة على أخيه .. فكان للمجرمين ظهيرا ! » .

سُقوطُك قِمَّةٌ تُؤذى الشعورا !   أتحلف كاذباً وتقولُ زورا ؟ !
وتأمرُنا بمعروفٍ وتأتى   من الأفعال منكوراً حقيراً ؟!
كأنك لمْ تعد ترجو حساباً   ولا بعثاً هناك ولا نشورا ؟!
أتنصرُ باغياً فظاً غشوماً   وترضى أن تكونَ له ظهيرا ؟!
وتخذلُ حقَّ مظلومٍ برىءٍ   وتُصبحَ أنت للباغى نصيرا ؟ !

• • •

كتمتَ شهادةً وغمطتَ حقاً   لتُرضىَ عُصبةً فقدوا الضميرا !
ومن كتم الشهادة خُسْر خزياً   ومَنْ خابى أتى حُوباً كبيرا !
أتخشى الناس ؟! .. ويلك ! كنت أولى   بأنْ تخشى العذاب المستطيرا !
إذا وقف الخلائق يوم حشرٍ   وقارف شاهد الزُّورِ السعيرا !

• • •

لقد وجد الطُغاة لديك رِدءاً   لأزدانهم وأسْرتهم بصيرا !
بدينك تشترى دُنيا ضلالٍ   كأنك لن تموت ولن تحورا !
خلائقُ لو تمثلهنَّ قبرٌ   لنفَّر منه من سكنوا القبورا !

يا ملهم الشعر

د. عبدالفتاح
محمود عمرو
شعيب[*]

يا ملهمَ الشعرِ ما للشعرِ ينحرفُ
عما ألفناهُ والأسماعُ تنصرفُ
وراح يخبط في رمزٍ وتعميةٍ
خبطَ العَييِّ الذى في رأسه خرَفُ
يا ليت شعرىَ هل غامتْ معالمنا
فلم تعُدْ لعيونِ الشعْرِ تنكشفُ ؟
أم المعانى احتوتها بطنُ شاعرها
وما تخلّفَ عنها راحَ يرتجفُ ؟
أم أنَّ ألهما منا ضلّتْ مسارتها
وضاع في ظلمات المَهْمَهِ الهدفُ ؟
ماذا أقولُ وقد أجفلتُ منصرفاً
عن ساحةِ الشِّعرِ ، والمهمومُ يعتكفُ ؟
ولستُ متشائما مما يجدُّ له
فالفن يزهو إذا أربابه اختلفوا
وآية الدهر حطٌّ ثم مُرتحلٌ
يُطوى النهارُ ويطوى بعده السُّدف
حتى وقفتُ بنبعٍ سلسلٍ صدحت
أطيارُه من هُيامٍ وهى ترتشفُ
يشكو لى العشق .. أحيتْ من سلاسته
مكامنَ الشعْرِ عندى فانبرت تقفُ
تشدو بلحنٍ طروبٍ شدَّنى شغفا
بل كاد شوقاً إليه الكون ينعطفُ
فالعجبُ لشاعرنا إذ طاب منبعُه
كأنه من مساق الخلدِ يغترفُ
ما أروع الشعرَ إن غنتْ بلابلُه
وأروعُ الشعرِ ما غنّى به السلفُ

(*) وكيل معهد الفاروق الأزهرى بمدينة نصر

العلوم الكونية

من آيات الله في الكون (*)

المذنبات والشهب والنيازك

بقلم أ. د
أحمد فؤاد باشا

تابع الناس فى جميع أنحاء العالم خلال شهر يوليو الماضى أنباء سقوط شظايا المذنب « شوميكر ـ ليفى » على كوكب المشترى ، وسجلت المراصد الفلكية آثار ارتطام هذه الشظايا التى تفوق فى شدتها قوة انفجار جميع الأسلحة النووية الموجودة فى « ترسانات » العالم فى وقت واحد عدة مرات ، وذكر بعض العلماء آنذاك أن كوكب المشترى أنقذ الأرض عندما سحب بقوة جاذبيته الجبارة هذا المذنب واجتذبه إليه بعيدا عن الأرض ، فكان هذا من لطف الله بعباده .

وسوف نعرض فى هذا المقال ـ إن شاء الله ـ لسرد بعض ما توصل إليه العلم من حقائق تتعلق بالمذنبات والنيازك والشهب كأجرام سماوية طائرة فى الفضاء الكونى .

(*) بدائع الكون الفسيح : للدكتور محمد فهيم والدكتور محمد سليمان ـ أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عام ١٩٩٢

أولا : المذنبات :

تعود تسمية «المذنّبات» Comets إلى الإغريق ومعناها النجوم ذات الشعور الغازية الطويلة ، وهو وصف عام لما تراه العين المجردة عندما تلمح مذنباً لامعاً يظهر فى السماء بين وقت وآخر متنقلا بين كواكب المجموعة الشمسية . ويعتقد العلماء أن نشأة المذنبات تعود إلى بداية نشوء المجموعة الشمسية ، وهى عبارة عن كرات ضخمة من الصخر والثلج ، وتقضى أكثر الوقت فى الفضاء العميق فيما وراء الكواكب حيث لا نحس بها إلا عندما تندفع واحدة منها مقتربة من مجال رؤيتنا فى مسار حلقى متجه للشمس وملتف من ورائها عائداً مرة أخرى إلى أعماق الفضاء .

أما من حيث درجة لمعان المذنب فإنها تزداد كلما ازداد المذنب قربا من الشمس وتقل عندما يبعد عنها ويعود إلى « منازله » الباردة خلف الكواكب بعد أن يكون قد قطع فى رحلة الذهاب والإياب مسافة تزيد على شهر ضوئى (أى تزيد على المسافة التى يقطعها الضوء فى شهر كامل ، علما بأن سرعة الضوء تقدر بنحو ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية) . ويتجمد رأس المذنب تجمدا شديدا وهو بعيد من الشمس حيث تصل درجة الحرارة السائدة فى أعماق الفضاء إلى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وعندما تقترب المذنبات من الشمس فإن حرارتها تبخر الثلج ، وينبجس الغاز والغبار فيعكسان ضوء الشمس ويبدو المذنب لنا على الأرض كرأس لامع ، وتقوم الرياح الشمسية والإشعاع بدفع جسيمات غبار دقيقة جدا من رأس المذنب ، كما يندفع منه غاز متأين ، مما يشكل ذيلا طويلا يشير دائما إلى الاتجاه البعيد عن الشمس . وهذا الذيل يمكن أن يمتد لمسافات هائلة تبلغ طول المسافة بين الشمس والأرض .

ويطلق الثلج الذائب قطع الحجارة وتكون النتيجة أن يتحول المذنب فى النهاية إلى كرة ضخمة من الصخر يزيد وزنها على ألف مليون طن . ورغم ما يبدو من ضخامة هذا الوزن فإنه يعد صغيراً جداً إذا قيس بوزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية .

وتختلف المذنبات فيما بينها ، فمنها ما هو طويل الذيل ضخم الرأس ، ومنها ما هو عكس ذلك ، ومنها ما هو متعدد الرءوس أو الأنوية . ويحدث أن تمر بعض المذنبات بالقرب من الكواكب الكبرى ، أى المشترى وزحل ، فتنجذب إليها وتتحطم قطع صغيرة منها لتنفصل بعيدا مخلفة ذيلاً وراء الكتلة الرئيسية . والحلقات الجميلة المحيطة بكوكب زحل هى فيما يحتمل قطع من مذنبات خامدة ، وكذلك الحلقات المحيطة بالمشترى ، والتى لم تعرف إلا بعد وصول سفينة الفضاء « فويجير » إلى هناك ، وفى يناير ١٩٨٦ م وصلت « فويجير » إلى « أورانوس » وكشفت لنا عن وجود حلقات هناك .

وهكذا فإن شظايا المذنبات موجودة فى كل مكان لكنها ــ فى حدود ما نعلم ــ لا تثير الاضطراب قط فى حركات الكواكب أو حتى أقمارها . أما الأمر الخطير حقا فهو الضربة المباشرة . ذلك أن المذنبات تتحرك بسرعة عدة أميال فى الثانية ، وهو ما ينطبق أيضاً على كوكب مثل الأرض ، ومن ثم فإن اصطدام مذنب مباشرة بالأرض ــ إذا ما حدث ــ لن يكون أمراً هيناً .

وعلى أية حال ، فإن المذنبات من الظواهر الفلكية القليلة الحدوث والتى تحتاج فى دراستها إلى إمكانات متقدمة وعصور مديدة للتعرف على تاريخها وأنواعها وتكوينها ونشأتها . ولعل فى قصة المذنب « هالى » Halley's Comet ــ وهو أحد المذنبات الشهيرة ــ ما يوضح مدى الجهد الهائل الذى يبذله العلماء فى تفسير هذه الظاهرة الفلكية المثيرة . ففى عام ١٦٨٢ ، اكتشف عالم الفلك البريطانى « إدموند هالى » Edmond Halley المذنب الذى سمى فيما بعد باسمه ، واستطاع أن يحدد مداراته ومواعيد اقترابه من كوكب الأرض بفاصل زمنى ثابت تقريباً يقدر بنحو ٧٦ عاما . ومن ثم توقع « إدموند هالى » أن يعود هذا المذنب بعد أن يكمل دورته فى سنة ١٧٥٨ م ، ولكن موت « هالى » عام ١٧٤٢ م لم يمهله لكى يرصد المذنب عند عودته فى موعده ، واضطلع ثلاثة من الفلكيين الفرنسيين بالمهمة من بعده ، وتابعوا مسار المذنب بمزيد من الدقة وحددوا شهر يناير من عام ١٧٥٩م موعداً لرصده . وقد شاركت مراصد العالم المختلفة فى رصد ودراسة هذا المذنب أثناء زيارته للأرض سنة ١٨٣٥م وسنة ١٩١٠م وسنة ١٩٨٦م . كذلك أمكن التوغل فى أعماق التاريخ وتحديد مواعيد الزيارات السابقة أعوام ٤٥١م و ٧٦٠م و ١٣٧٨م .

وإن أكثر ما يثير شغف العلماء فى دراسة المذنبات هى حركتها المدارية ، وكذلك التركيب الكيميائى والتغير فى درجة اللمعان والتغير فى طول الذيل وحجم الرأس ، والظواهر المختلفة المصاحبة لكل هذه التغيرات . ومع تقدم أبحاث الفضاء الكونى وإطلاق المراصد الفضائية العملاقة يتوقع العلماء معرفة المزيد عن حياة المذنبات التى هى جزء من حياة الكون بأثره .

ثانياً : النيازك والشهب :

تضم المجموعة الشمسية أعداداً كبيرة من أجسام صغيرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، تدور فرادى أو فى جماعات خلال مدارات حول الشمس . وتتراوح أقطار هذه الأجسام بين عدة أمتار وجزء من عشرة أجزاء من الميلليمتر ، وتسمى « نيازك » Meteorites . ونحن نشعر بالنيزك فقط عندما يسقط داخل الغلاف الجوى للأرض ، حيث يتسبب الاحتكاك مع جزيئات الهواء فى تسخين الجسم الساقط حتى يصل إلى درجة التوهج ويشاهد على هيئة « شهاب » Meteor . إن هذا يحدث كل ليلة ، فى كل وقت وفى كل مكان على سطح الأرض ، وكثيراً ما نلاحظ فى الليالى الصافية أجساماً شديدة اللمعان باهية الضياء ، تندفع فى السماء فى خط واضح بين النجوم المختلفة ثم تختفى سريعاً ، وما هى إلا أجسام كونية اندفعت نحو الأرض بفعل جاذبيتها ، ولكن سرعاتها الكبيرة واحتكاكها المستمر بطبقات الغلاف الجوى ترفع من درجة حرارتها بسرعة تؤدى إلى تبخر المواد التى تتكون منها ، وبالتالى لا تسقط إلى الأرض .

وقد يتبخر النيزك جزئيا ليترك وراءه سحابة رمادية لامعة تختفى بعد فترة ، ويتحطم الجزء الباقى متحولاً إلى فتات يأخذ وقتاً طويلاً حتى يسقط على الأرض كغبار مخصب للتربة ، أو يحمل فى الجو كأنوية تتكاثف عليها قطرات المطر فتساعد على هطوله .

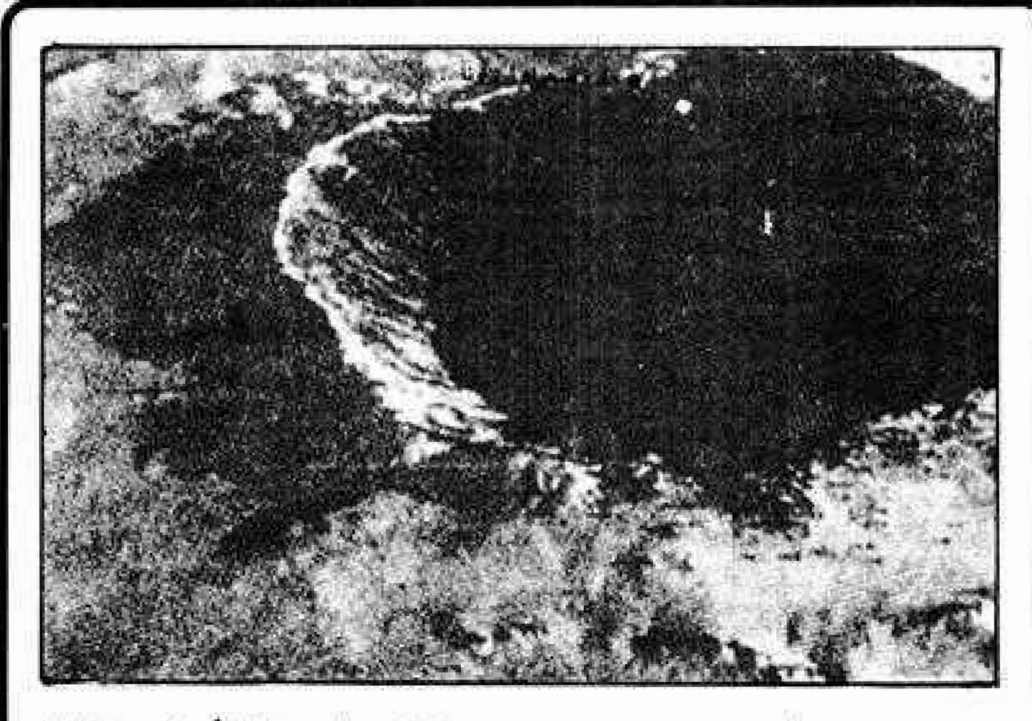
وحين تكون النيازك كبيرة الحجم فإن الساقط منها يرتطم بالأرض بعنف ، ويصاحب ذلك انفجار وضوضاء وشظايا ودمار يتوقف على حجم الساقط ، وتترك هذه الحوادث بصماتها على سطح الأرض على هيئة حفر عميقة بداخلها كتل معدنية سوداء ، ثبت أنها تتكون في الأغلب من الحديد والنيكل ، وهما آخر العناصر المتبقية بعد تبخر العناصر الأخرى . ذلك هو النيزك الحديدى الذى استطاع أن يقاوم صدمة الارتطام وقوة الاحتكاك بالغلاف الجوى للأرض .

وقد تتشكل النيازك من الحجر وعندئذ فإنها تميل إلى التفتت عند دخولها الغلاف الجوى للأرض . وإذا حدث الانفجار عند ارتفاعات عالية فإن الوابل قد يصبح هائلاً . فخلال عام ١٨٦٨م تهاوت فى بولندا مائة ألف قطعة حجرية فى وابل واحد ، أما فى سنة ١٩١٢م فتهاوى فى « هولبروك » بأريزونا وابل من عشرة آلاف قطعة . كما يهبط الكثير من الغبار ، وقد يظهر كمسحوق أسود إذا سقط على أرض خلاء مغطاة بالثلج . وأكبر النيازك الحجرية المعروفة هى تلك التى تهاوت فى وابل من مائة قطعة فوق « كانساس » عام ١٩٤٨م ، وتضمنت قطعة حجرية وزنها طن واحد . وثمة نيازك ضخمة أخرى مسجلة بما فيها نيزك وزنه يزيد على نصف طن فى « لونج أيلاند » بنيويورك ، وآخر وزنه ثلث طن فى فنلندا ، وآخر من وزن مماثل فى تشيكوسلوفاكيا[1] .

وكان علماء الحضارة الإسلامية أول من حاولوا تقديم تفسير علمى لظاهرة النيازك والشهب ، فذكر « ابن سينا » فى موسوعته « الشفاء » أن النيازك نوعان : نوع حجرى ونوع حديدى ، وقد أثبت العلم الحديث أن النوع الحجرى شبيه بقشرة الأرض ، وهو أكثر أنواع النيازك شيوعاً حيث يحدث بنسبة ٩٣,٥٪ ، أما النيازك الحديدية فتحدث بنسبة ٥٪ ، وهناك نوعان نادران من النيازك الحديدية الحجرية والنيازك الزجاجية يحدثان بنسبة ١,٥٪ فقط ، ويعتقد بنشأة النيازك عموماً كحطام للكويكبات حينما تتصادم .

ويقدر عدد الشهب التى يمكن أن يشاهدها من يرقب السماء كلها فى نفس الوقت بنحو ٢٥ شهاب كل ساعة فى المتوسط . أما إجمالى ما يدخل الغلاف الجوى الأرضى كل يوم فيقدر بنحو مائة مليون نيزك ، أغلبها صغير الحجم ، ولا تشاهد الشهب موزعة توزيعاً منتظماً على صفحة السماء ، وإنما ترى كما لو كانت تنتشر من مركز معين ، وذلك لدخول تيار من النيازك جو الأرض أثناء دورانه حول الشمس . وتقدر كتلة ما يصل إلى الأرض يوميا بعشرات الأطنان من البقايا الساقطة من النيازك مختلفة الحجم ، وإذا وزعت

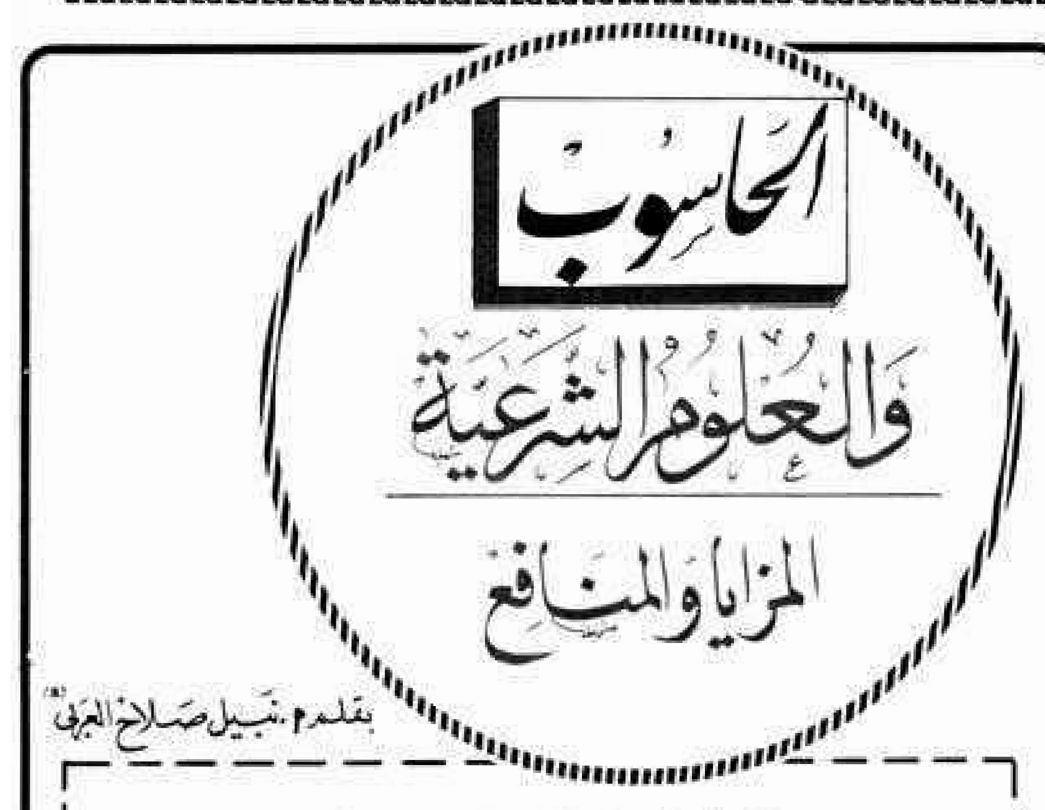
(١) فرانك كلوز ، « النهاية . الكوارث الكونية وأثرها فى مسار الكون » ، ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمى ومراجعة : عبد السلام رضوان ، عالم المعرفة ، الكويت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .



بالتساوى على سطح الأرض تنتج زيادة تبلغ ٠,٧ إلى ٧ كيلو جرامات لكل كيلو متر مربع كل يوم .

ومما يهون من كوارث النيازك ويخفف من دمارها أنها تفقد الكثير من سرعتها نتيجة احتكاكها بالهواء فى أثناء اندفاعها نحو الأرض ، إذ تبلغ سرعة النيزك فى الفضاء أحياناً ما يقرب من ٧٠ كيلو متراً فى الثانية الواحدة ، وإذا وصلت قرب الأرض تصل سرعتها إلى بضعة كيلو مترات فقط فى الثانية . ومن فضل الله على عباده أن معظم النيازك الكبيرة التى سقطت على الأرض عبر التاريخ لا تصيب البشر إلا نادراً ، ومن أشهر النيازك ذلك الذى سقط فى صحراء الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث خلف حفرة قطرها حوالى ١٢٦٠ متراً وعمقها ٢٠٠ متر ومساحتها حوالى ٣٥٠ فداناً ويقدر وزن النيزك بأكثر من عشرين ألف طن ، كما يقدر عمر هذا الحدث بحوالى خمسين ألف عام . ومن النيازك التى شوهدت وهى تهوى إلى الأرض حديثاً ذلك الذى سقط فى المجر عام ١٨٦٦م وكان يزن ¼ طن فقط . كما أن هناك عشرات من الفجوات الأخرى الأرضية التى اكتشفت فى أماكن متفرقة من العالم ، تم تحديدها من خلال المسح الجوى بالطائرات والأقمار الصناعية .

فسبحان الذى جعل الغلاف الجوى للأرض سقفاً حافظاً للأحياء يعمل على تفتيت النيازك الكبيرة فيخفف من أثرها التدميرى ، وينفعنا بها كرذاذ ترابى مخصب للتربة الزراعية ، أو كنويات تكاثف تساعد على تكون الأمطار .



الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم
والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وعالم ومتعلم

وبعد ..

فى مقالنا السابق[1] عرضنا لبعض المفاهيم الأساسية فى تقنية المعلومات تضمنت تعريفا بالحاسوب (الكمبيوتر) وتطوره التاريخى ومجالات استخدامه ، ثم بيان مفهوم نظام الحاسوب بشقيه : المادى والذهنى[2] ، وفى هذا المقال نعود إلى أحد الأسئلة التى طرحناها فى مقدمة المقال السابق .

ما المزايا والمنافع الناجمة عن اعتماد أنظمة (مُحَوْسَبَة) فى خدمة العلوم الشرعية ؟

(*) مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية

(1) نشر فى العدد الصادر فى جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٩٤ م .

(2) يمكنك ـ إن شئت ـ أن تراجع ذلك المقال حتى يتيسر متابعة المادة العلمية فى المقال الذى بين يديك .

مزايا الحاســـوب

يتمتع الحاسوب بالعديد من المزايا التى تؤهله ليكون فى صدر أبرز التطورات الحديثة فى تقنيات القرن العشرين الميلادى ، ومن أهم هذه المزايا ما يلى :

أولا : السرعة الفائقة :

يعمل الحاسوب بسرعة عالية جدا ، وهذه السرعة هى أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يقال لك : إن عملا ما تم إنجازه بواسطة الحاسوب .

كان الحاسوب المسمـــى (إنيـــاك ENIAC)[3] يؤدى فى يوم واحد عمليات حسابية يتطلب إتمامها حوالى ثلاثمائة يوم من العمل البشرى . كان ذلك إنجازا عظيما فى منتصف الأربعينات ، أما اليوم فإن سرعة الحاسوب تقاس بعدد ملايين العمليات التى يؤديها فى الثانية الواحـــدة Million Instructions Per Second (MIPS) وتقدر سرعة الحاسوب الشخصى Personal Cpmputer ببضعــة وحدات MIPS بينما تتجاوز سرعة الحاسوب الفائق Super Computer ٢٥٠ وحـــدة (MIPS) أى يمكنه إنجاز أكثر من ٢٥٠ مليون عملية فى ثانية واحدة .

ويقدر زمن رد الفعل للعناصر[4] بالنسبة للدماغ البشرى بحوالى جزء من مائة من الثانية ، بينما يقدر هذا الزمن بالنسبة للحواسيب التقليدية الصغيرة بحوالى جزء من عشرة مليون من الثانية ، أى أن أحد هذه الحواسيب أسرع بمائة ألف مرة من الدماغ البشرى .

والسؤال هنا : لماذا يكون الحاسوب أسرع من الدماغ البشرى بهذا المعدل الهائل ؟

يفسر أحد الكتاب ذلك[5] بأن الإشارات والأوامر فى الدماغ البشرى عبارة عن تيار كهربائى يمر من خلال ممرات مائية مالحة (الخلايا

---

(٣) أول حاسوب تم تصميمه وبناؤه كمشروع حربى سرى فى الفترة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ فى جامعة بنسلفانيا بأمريكا لصالح الجيش الأمريكى بغرض حساب جداول قذائف المدفعية ، ويذكر أن الحاسوب إنياك كان وزنه ثلاثين طنا واحتل مساحة ١٥٠٠ قدم مربع فى حين أن نفس قدرة الحوسبة Computing يمكن أن تتيحها اليوم رقاقة Chip تشبه طابع البريد وتقاس مساحتها ببضعة أجزاء من المائة من البوصة المربعة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

(٥) د . محمد السعيد خشبة ، مقدمة فى الحاسبات الإلكترونية ١٩٨٨ ، ص ١٦ .

Szymanski, R. A., et al., INTRODUCTION TO COMPUTERS AND INFORMATION SYSTEMS. MERRILL Pub. Co., 1988 P. 142.

(٤) زمن رد الفعل للعناصر هو الزمن الذى ينقضى بين تلقى إشارة معينة والاستجابة لها ، مثال ذلك : عندما تلقى صديقا لك فى الطريق ترى العين صورة شخص فترسل إشارة إلى المخ يبحث فى الذاكرة حتى يتعرف على صورة هذا الشخص بوصفه صديق ، فيرسل الإشارات اللازمة للوجه حتى يبتسم واليد كى تصافح وما إلى ذلك . والزمن الذى ينقضى بين تلقى المخ لإشارة معينة والاستجابة لها بإشارة أخرى يطلق عليه زمن رد الفعل للعناصر .

(٥) سامى محمد حمرون ، العقل البشرى والآلى بين الثروات والتنظيم ، مجلة الكمبيوتر ، العدد ٧ ، المجلد ٢ ، يناير ، فبراير ١٩٨٣ ، ص ١٣ ـ ١٦ .

العصبية الحية) ، أما إشارات الحاسوب فإنها تمر من خلال موصلات نحاسية وأجسام من سبائك معدنية ضئيلة مقاومتها لمرور التيار الكهربي ضعيفة جدا ، وبالتالي تكون سرعة نقل الإشارات أعلى كثيراً .

ثانياً : الدقة التامة :

يعاني الإنسان في أحيان كثيرة من تشتت أفكاره ؛ بسبب وجود البعد العاطفي والانفعالي ضمن مكونات شخصيته ، هذا في حين أن الحاسوب في جوهره عبارة عن ملايين الدوائر والمكونات الإلكترونية المتناهية في الصغر ، والدائرة الإلكترونية إما أن تكون مفتوحة أو مغلقة[6] ولهذا يمكن القول : إن نسبة الخطأ في العمليات الداخلية للحاسوب تؤول إلى الصفر . ولكن هل معنى هذا أن الحاسوب لا يخطيء ؟

قولنا « العمليات الداخلية » لا ينفي وجود مصادر أخرى للأخطاء ، فإن استخدام الحاسوب في أي غرض ينطوي على الأعمال التالية :

☐ إعداد البيانات الرقمية والنصية وكافة المعطيات التي تتعلق بالمهمة المطلوبة .

☐ تصميم وإعداد البرنامج أو مجموعة البرامج اللازمة لإنجاز المهمة المطلوبة .

☐ تغذية الحاسوب – من خلال وحدة الإدخال – بكافة المعطيات والبرامج .

☐ تنفيذ البرامج واستخراج النتائج والتقارير .

والمتأمل في هذه الخطوات يلاحظ على الفور أنها تعتمد على الجهد البشري متمثلا في مصممي النظم و (المبرمجين) ومدخلي البيانات ، وهكذا فلا مفر من الأخطاء البشرية الناجمة عن السأم والمؤثرات العاطفية والنفسية . هذا عن أخطاء السهو والنسيان .

أما الأخطاء المتعمدة فهي واردة بلا شك ولا معنى لتجاهلها[7] ولكن للإنصاف نقول : إنه تم تطوير آليات للعمل تجعل الأخطاء بنوعيها عند حدها الأدنى .

وحتى مع استبعاد العمليات التي تنطوي على تدخل مباشر من الإنسان في أداء الحاسوب لا يمكن القول : إن عمليات الحاسوب الداخلية تخلو من الأخطاء بنسبة ١٠٠٪ . ولإيضاح هذا المعنى نفترض أن المطلوب حساب الجذر التربيعي للعدد (٩) فباستخدام الحاسوب وبرنامج مناسب نتوقع الناتج ٣ . ولكن افترض أن الناتج الفعلي هو ٣,٠٠٠٠٠١ فهل هذا الناتج صواب أم خطأ ؟

الحكم على هذا الناتج يتوقف على درجة الدقة المطلوبة : فإذا كانت درجة الدقة المقبولة هي رقم عشري واحد أو رقمين إلى ستة أرقام عشرية تكون هذه النتيجة مقبولة وصحيحة تماما ، بينما إذا كانت درجة الدقة المطلوبة سبعة أرقام عشرية أو درجة دقة مطلقة تكون هذه النتيجة خطأ[8] .

---

(٦) اعتذر للقاريء المتخصص عن هذا التبسيط الذي قد يصل إلى التساهل ولكن غرضي ألا يفقد القاريء العام المتابعة .

(٧) الجرائم المتعلقة بالحاسوب وتقنية المعلومات وجوانبها القانونية والشرعية موضوع جدير بدارسة مستقلة نعد القاريء بالمساهمة فيها قريبا بإذن الله .

(٨) هذا المثال لتقريب الفكرة فقط إذ أن الخطأ الحسابي لدى الحاسوب لا يقع في الرقم السابع بين العلامة العشرية وإنما قد يكون الرقم الألف أو الرقم المليون بين العلامة العشرية على حسب كفاءة ودقة التقنية المستخدمة ، ومن جهة أخرى فالمقياس الحقيقي للدقة يكون في عمليات معقدة أو غير منتهية مثل حساب النسبة التقريبية « ط » واللوغاريتمات .

وعلى هذا فقولنا : إن نسبة الخطأ فى العمليات الداخلية للحاسوب تؤول إلى الصفر أدق من القول بأن نسبة الخطأ تساوى صفراً ، فدرجة الدقة التى يمنحها لنا الحاسوب هى دقة نسبية وليست الدقة المطلقة المستحيلة ، فالكمال لله وحده .

ثالثاً : الحفظ والاسترجاع :

يوفر الحاسوب قدرة تكاد تكون غير محدودة فى مجال حفظ واسترجاع المعلومات . ويحتوى نظام الحاسوب على ذاكرة أولية يطلق عليها ذاكرة Memory وذاكرة ثانوية (يطلق عليها وحدة التخزين الخارجية External storage unit . وتستخدم (الذاكرة الأولية) أساسا أثناء المعالجة الفعلية للبيانات ، بينما تستخدم (الذاكرة الثانوية) لحفظ البيانات والمعلومات والبرامج بصفة دائمة على نحو يمكن من استعادتها عند الحاجة .

تقاس سعة الذاكرة فى نظام الحاسوب بوحدة (البايت Byte) . ويناظر البايت أحد حروف الهجاء فى لغتنا البشرية ، فمثلا : كلمة « محمد » تشغل (أربع وحدات بايت) فى ذاكرة الحاسوب ، وجملة « جاء زيد » تحتاج إلى سبع وحدات بايت (بما فى ذلك المسافة بين الكلمتين) ، ولكن البايت وحدة صغيرة ولذلك تم اشتقاق وحدات أخرى أكبر لتعبر عن السعات الكبيرة[9] مثل الكيلو بايت Kilo Byte الذى يساوى تقريبا ألف بايت والميجا بايت Mega Byte الذى يساوى تقريبا مليون بايت والجيجا بايت Giga Byte الذى يساوى تقريبا بليون (ألف مليون) بايت[10] .

ومع التطور الكبير فى صناعة مكونات الحاسوب غدت وحدات التخزين أصغر حجما وأكبر سعة ، وتوجد أنواع متعددة من وحدات التخزين الخارجية أكثرها ـ شيوعا ـ القرص المرن Floppy Disk ذو القطر ٥,٢٥ بوصة بسعة (١,٢ ميجا بايت) والآخر ذو القطر (٣,٥ بوصة بسعة ١,٤٤ ميجا بايت) والقرص الصلب Hard Disk بقطر ٣,٥ بوصة ولكن بسعة تتراوح بين (١٧٠ ميجا بايت) و (٣٤٠ ميجا بايت) و (٥٤٠ ميجا بايت إلى ١,٢ جيجا بايت) إلى أكثر من هذا[11] وحيث يمكنك دائما

---

(٩) السعات جمع سعة ، يناظر هذا أنه عند قياس المسافات القصيرة يمكن استخدام وحدة المتر ، ولكن لقياس المسافة بين مدينتين يكون الأنسب هو استخدام وحدة الكيلو متر .

(١٠) إن شئت الدقة فإن ١ كيلو بايت = ١٠٢٤ بايت و ١ ميجا بايت = ١٠٢٤ كيلو بايت و ١ جيجا بايت = ١٠٢٤ ميجا بايت .

(١١) فى بداية تعاملى مع الحاسوب منذ عشر سنين لم استوعب فكرة الكيلو بايت والميجا بايت حيث إن المألوف هو قياس حجم المعلومات بعدد الصفحات التى تحمل المعلومات فمثلا نقول : أن هذا الكتاب يحتوى على مائتى صفحة فهو يحمل قدراً من المعلومات أكبر بمقدار الضعف ـ كميا ـ من كتاب آخر يحتوى على مائة صفحة فقط ، ولذلك حاولت قياس سعة قرص الحاسوب بعدد الصفحات ، حيث قمت بالكتابة على الحاسوب وحفظ المادة المكتوبة على قرص فارغ واستمررت فى الكتابة حتى امتلأ القرص تماما وبقسمة سعة القرص بالكيلو بايت على عدد الصفحات وجدت أن كل صفحة (فولسكاب) تحتاج إلى ٢ كيلو بايت على القرص وعلى هذا فالقرص الذى سعته (١,٤٤ ميجا بايت) يستوعب ٧٢٠ صفحة والقرص ذو (٥٤٠ ميجا بايت) يمكنه أن يحمل ٢٧٠ ألف صفحة أى ما يعادل ٥٤٠ مجلداً كل منها ٥٠٠ صفحة (فولسكاب) والقرص (١,٢ جيجا بايت) يمكنه استيعاب ١٢٠٠ مجلداً ، وهكذا يمكنك وضع عدة مكتبات كاملة على قرص واحد ، فسبحان من علم الإنسان .

اقتناء المزيد من الأقراص ووضع المعلومات عليها ، لانجد حرجا فى القول ــ بدون تحفظ كبير ــ إن قدرة الحاسوب على حفظ المعلومات تكاد تكون غير محدودة فى إطار شروط وضوابط معينة .

ومن حيث سرعة استرجاع المعلومات نجد أن زمن الوصول Access Time للمعلومة فى الذاكرة الأولية تقدر ببضعة أجزاء من مائة ألف من الثانية[١٢] ، وفى الذاكرة الثانوية (القرص الصلب) لاتتجاوز بضعة أجزاء من ألف من الثانية[١٣] .

أما الدماغ البشرى ، فيقول بعض علماء الأعصاب[١٤] : إن قدرته النظرية على حفظ المعلومات تتجاوز (١٥ تريليون[١٥] بايت) (حرف) ولكن لم يحدثنا التاريخ عن أى أحد استطاع أن يوظف هذه القدرة الهائلة على حفظ المعلومات ، باستثناء كبار علماء السلف وخاصة فى مجال حفظ الحديث النبوى الشريف وتمييز الرجال ، فالإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ كان يحفظ مليون حديث (سندا ومتنا بطبيعة الحال)[١٦] علما بأن عدد خلايا المخ لدى هؤلاء الأعلام هو نفسه لدى كل واحد منا ولكن هذا فضل الله أولا وآخرا يؤتيه من يشاء من عباده ، ثم هو سعى واجتهاد فى طلب العلم وتقوى وورع لامزيد عليهما ، وبهذا سبقوا والله المستعان .

وهكذا فقدرة المخ البشرى العادى على حفظ المعلومات ، وتذكرها محدودة من الوجهة العملية بل إن بعض الأبحاث تقرر أن الإنسان الذى يعيش ستين عاما يعمل بنسبة لاتزيد عن ٥٪ من كافة المعلومات التى اكتسبها طوال حياته من البيت والأقران والمدرسة والجامعة والخبرات العملية ، أما الباقى فيذهب فى طى النسيان .

واليوم تلوح فرصة جديدة لتعويض النقص فى ذاكرتك حيث يمكنك أن تصطحب حاسوبا دفتريا Notebook Computer ــ صغيرا بحجم الكتيب ــ ذا ذاكرة ثابتة تستوعب نصوص الكتاب العزيز ومدونات الحديث النبوى الشريف إلى جانب أقوال العلماء واجتهاداتهم فى كافة فروع العلوم الشرعية ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟ وما الضوابط والمحاذير التى يتعين أخذها فى الاعتبار لكى يتحقق هذا الأمل الذى يراود الفقهاء والمفتين والمشتغلين بالعلوم الشرعية بوجه عام ؟ نأمل أن يكون هذا موضوع مقالنا القادم بإذن الله .

والحمد لله أولا وآخرا .

---

(١٢) يتراوح زمن الوصول بين ٦٠ و ٧٠ نانو ثانية Nano Second (النانو ثانية ــ جزء من مليون من الثانية) .

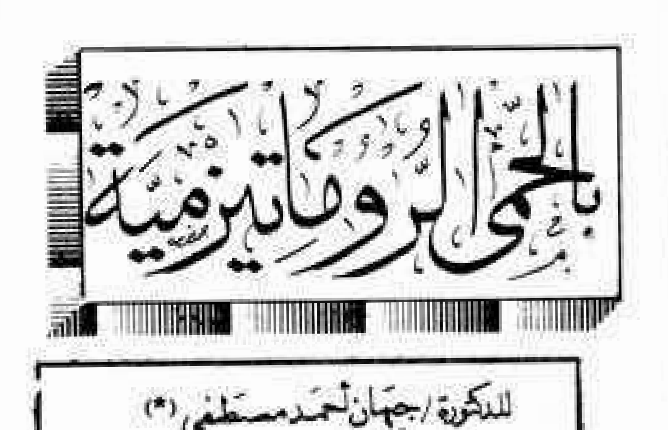
(١٣) يتراوح زمن الوصول بين ٩ و ١١ ميلل ثانية Milli Second (الميلل ثانية ــ جزء من ألف من الثانية) .

(١٤) انظر : سامى محمد جبروت ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(١٥) لكى نكتب هذا الرقم اكتب الرقم ١٥ وإلى يمينه جمع ثمانية عشر صفرا .

(١٦) قال أبو زرعة لعبد الله ولد الإمام أحمد : « كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث » ، فقال له عبد الله : « وما يدريك » ، قال : « ذاكرته فأخذت عليه الأبواب » ، انظر ترجمة الإمام أحمد فى مقدمة كتاب الزهد طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

البنسلين وعلاقته



للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

٣

تطرقنا في المقال السابق إلى الحديث عن أعراض ووسائل تشخيص حساسية البنسلين ، ونختم حديثنا عن مرض الحمى الروماتزمية ، بإلقاء الضوء على كيفية التغلب على حدوث حساسية البنسلين وعلاج هذه الحساسية ـ إذا حدثت ـ ثم نتبع هذا بالحديث عن علاج مرض الحمى الروماتزمية ..

● **كيفية منع حدوث حساسية البنسلين :**

يتم هذا عن طريق تقليل حساسية المريض للعقار desensitization بإعطاء المريض جرعات صغيرة متضاعفة من العقار (كل ١٥ دقيقة) حتى نصل للجرعة المعالجة ، ويعطى البنسلين عن طريق الفم ، أو بواسطة الحقن (في العضل أو في الوريد) .

ونظراً لإمكانية حدوث تفاعلات حساسية شديدة ، يجب أن يتم هذا في وحدات الرعاية المركزة :

intensive care units

● **علاج حساسية البنسلين :**

يجب أن يتم هذا العلاج بسرعة شديدة ، عن طريق (حقن الأدرينالين Adrenaline) في الجلد ، حيث يؤدى إلى تقليل إفراز (المواد الكيميائية الواسطة Mediators) ـ التى تؤدى إلى حدوث الحساسية ـ من الخلايا الشبعية ، ويقوم (الأدرينالين) أيضا بالمحافظة على الضغط الدموى مانعاً لحدوث هبوطه .

ويتم أيضاً حقن المريض (بمضادات الهستامين) ، مثل (السيمتدين cimetidine) ، وعندما يكون هناك تورم بالحنجرة ، وضيق في الشعب الهوائية ، فإنه يتم استنشاق الأدرينالين والحقن الوريدى (بالميوفلين) ، وفي الحالات الشديدة ، قد يتم تركيب أنبوبة في القصبة الهوائية : Tracheal intubation ، أو عمل فتحة بها

(*) ماجستير في طب الأطفال .

Tracheostomy :

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الكورتيزون لايؤثر في الحال ، إلا أنه يُستخدم لمنع حدوث تفاعلات حساسية متكررة .

● **علاج مرض الحمى الروماتزمية :**

Trearment oF Acute rheumatic Fever

يهدف علاج مرض الحمى الروماتزمية إلى تحقيق :

١ ـ علاج البكتريا المكورة السبحية حالَّة الدم المسببة للمرض .

٢ ـ علاج الأعراض الإكلينكية للمرض .

٣ ـ علاج مضاعفات المرض : (هبوط القلب) .

١ ـ علاج البكتريا المكورة السبحية حالة الدم :

يجب أن يبدأ علاج هذه البكتريا بعد تشخيص المرض مباشرة سواء تم عزل هذه البكتيريا من المريض أم لا ، لأن المرض يحدث بعد غزو جسد الطفل بالبكتريا ـ بفترة زمنية ، تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع .

ويتم علاج هذه البكتريا ـ كما سبق وذكرنا ـ بالمضادات الحيوية ، مثل البنسلين ، أو المضادات الحيوية الأخرى ـ إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية ضد البنسلين ـ مثل : (الإريثروميسين أو الريفامبين أو الكلنداميسين وغيرها) لمدة ١٠ أيام متتالية ، عن طريق الفم .

وأيضاً يمكن علاج هذه البكتريا عن طريق حقن المريض ـ مرة واحدة في العضل ـ بالبنسلين طويل المدى .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطباء يفضلون علاج المرضى بالبنسلين عن طريق الفم ـ وليس باستخدام البنسلين طويل المدى ـ لأنه قد يؤدى إلى زيادة نسبة سرعة الترسيب التي يُعتمد عليها في الحكم على مدى فاعلية الأدوية المضادة للالتهاب ، التي يعالج بها المريض .

٢ ـ علاج الأعراض الإكلينكية للمرض :

(أ) ـ علاج الالتهاب المفصلى المتنقل :

ويتم هذا بواسطة الأسبرين ، عن طريق الفم ، ويؤدى هذا إلى اختفاء هذا العرض سريعاً ـ في خلال (١٢ ـ ٢٤ ساعة) ولهذا : إذا تم علاج المريض ـ قبل التشخيص الأكيد للمرض ـ بالأسبرين فقط يؤدى هذا إلى منع حدوث الالتهاب المفصلى بصورته المميزة للمرض ـ (بشكل متنقل) ـ مؤدياً إلى عدم تشخيص المرض .. ولهذا يجب تأجيل استخدام الأسبرين ، إلى أن يتم تشخيص المرض . ولهذا ـ أيضا ـ إذا كان المريض يعانى من حدوث التهاب مفصلى مؤلم ، ولم يتم التأكد من تشخيص الحمى الروماتزمية بعد ، يمكن استخدام جرعات ضئيلة من الكودين Codeine أو الأدوية المشابهة له ، وهذا العقار لا يتعارض مع حدوث المرض ، بصورته المعروفة ، وبالتالى مع إمكانية تشخيصه .

ومن الجدير بالذكر ، أنه من النادر جداً أن يستخدم (الكورتيزون) في علاج هذا العرض .

(ب) ـ علاج التهاب القلب :

ويتم هذا عن طريق العلاج بـ (الكورتيزون) لمدة أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع (والبعض ينصح بإعطائه لمدة شهر كامل) ويمكننا الحكم على مدى استجابة المريض للعلاج (إكلينيكيا) بـ (سرعة

النبض ، وفحص القلب) ومعملياً عن طريق قياس سرعة الترسيب ، والبروتين التفاعلى : س)
ويتم وقف العلاج بالعقار تدريجياً ، على مدى أسبوعين ، بتقليل الجرعة (الأسبرين) عند بداية تقليل جرعة (الكورتيزون) ويستمر العلاج (بالأسبرين) لمدة أسبوعين آخرين ، بعد وقف (الكورتيزون) .

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن (الكورتيزون) يستخدم لفترة قصيرة ، إلا أن أعراضه الجانبية قد تحدث مثل ارتفاع ضغط الدم ، وارتفاع نسبة (الجلوكوز) فى الدم . ويمكن تقليل هذه المضاعفات ، باستخدام (الكورتيزون) بطريقة (العلاج يوماً بعد يوم) Alternate day Therapy وهذه الطريقة تعنى العلاج بالعقار يوماً ، مع عدم استخدامه فى اليوم الذى يليه ، وهكذا .. ولكن من سوء الحظ أنه لم تُجر دراسات كافية ، لمقارنة فاعلية العقار ، إذا استخدم بهذه الطريقة .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه لا يوجد دليل مؤكد على أن (الأسبرين - أو - الكورتيزون) يمكنهما منع حدوث إصابة القلب الدائمة ، بعد حدوث إصابة القلب الأولية .

(جـ) علاج الكوريا :

يجب أن يعالج المريض فى جو هادىء مع توفير الراحة النفسية له ، ومن الجدير بالذكر أن (الفينوباربيتال Phenobarbital) و (الكوربرومازين Chorpromazine) اللذين كانا يستخدمان فى الوقت الماضى قد تم استبدال (الديازيبام Diazepam) بهما فى الحالات البسيطة ، وبـ (الهالوبيريدول Haloperidol) فى الحالات الشديدة .

ومن الجدير بالذكر أن العقد تحت الجلدية ، والطفح الجلدى ، ليس لهما علاج محُدَّد .

٣ - علاج هبوط القلب :

ويتلخص فى الآتى :

(أ) راحة تامة بالفراش (حتى تصل سرعة الترسيب إلى معدلها الطبيعى مع تحسُّن المريض) ، ولكن يجب ألا تطول مدة الراحة ، لمنع حدوث مضاعفة راحة الفراش الطويلة ، مثل حدوث قرح الفراش Bed sores .

(ب) غذاء بدون ملح .

(جـ) . وبالعقارات الآتية :

- مدرات البول Diuretics .

- الأدوية المساعدة على زيادة قوة انقباض عضلة القلب مثل الديجيتاليس Digitalis وغيره .

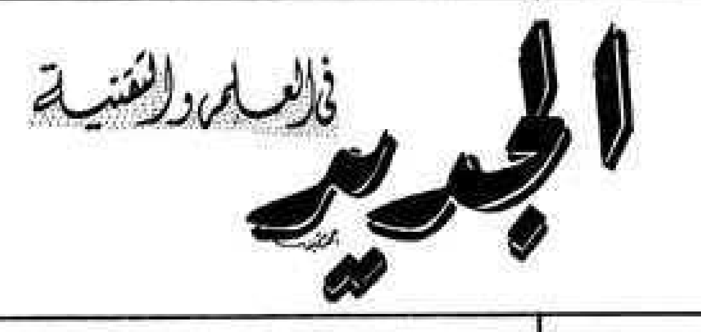
- موسعات شرايين أو أوردة الجسم ، أو الاثنين معاً : Vasodilators .

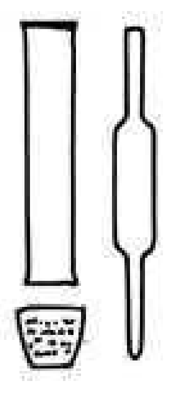
- موسعات الشعب الهوائية مثل الأمينوفيلين : Aminophylline .

ومن الجدير بالذكر أنه فى الحالات الشديدة - عندما لا يستطيع الكورتيزون والأدوية الأخرى المستخدمة فى علاج هبوط القلب التحكم فى المرض - فإن علاج المرض يتم بالتدخل الجراحى لاستبدال أحد الصمامات التالفة أو بإصلاحها .

وسوف نتحدث فى مقالاتنا القادمة بإذن الله تعالى عن بعض أمراض الطفولة الأخرى مثل أمراض الدم وغيرها التى قد تصيب فلذات أكبادنا .

«وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...»





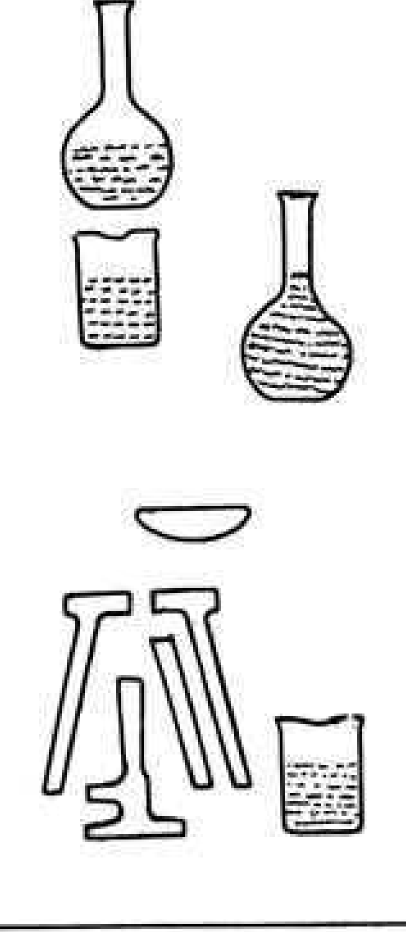
إعداد د/ نجوى السيد أحمد

«ميكروسكوب»
جديد للأبحاث الطبية

استطاعت شركة استرالية إنتاج «ميكروسكوب» جديد يعمل بأشعة الليزر، ويتميز بسهولة نقله وإمكانية تشغيله. و«الميكروسكوب» الجديد يساعد الباحثين والأطباء على تحقيق طفرة في الأبحاث الخاصة بالأورام السرطانية والعظام والأعصاب.

حزام للنيازك على حافة
المجموعة الشمسية

أعلن اثنان من علماء الفلك الأمريكيين أنهما عثرا على أدلة تشير إلى وجود حزام من الأجسام الفضائية يقع على الحافة القصوى للمجموعة الشمسية ويمكن أن يكون مصدرا لأنواع معينة من النيازك حيث رصدا جسمين يشبهان النيازك فيما وراء مدار كوكب «نبتون» وأكد العالمان أن هذا يمثل أول رصد لأجرام سماوية في حزام للنيازك قصيرة العمر.



(*) باحثة بالمركز القومي للبحوث.

مادة سائلة لحماية
إطارات السيارات

تم طرح إنتاج جديد فى الأسواق العالمية عبارة عن مادة سائلة متعادلة كيميائيا توضع على الوجه الداخلى لإطار السيارة وتكفى عبوة واحدة منها لأربعة إطارات وتبقى فى الإطار على الدوام بصورة سائلة دون إلتصاق على الوجه الداخلى للإطار وأثناء الدوران يكون طبقة واقية فعالة على الإطار الداخلى وإذا حدث ثقب أثناء السير يندفع السائل إلى مكان الثقب ويغلقه فى الحال وبصورة دائمة ، ويستطيع الفرد تعبئته بنفسه أو فى محطة الوقود .

جهاز آلى لاكتشاف
الخلل فى أنابيب البترول

تمكن معهد البحوث الغازية فى « شيكاغو » من تطوير جهاز آلى يستطيع أن يمر خلال أنابيب البترول بحثا عن الأجزاء المتصدعة والصدئة والتى يتسرب منها البترول وينقل المعلومات من خلال « كابل » من الألياف الضوئية .

استحداث عقاقير
باستخدام الحواسيب

تم اكتشاف معظم العقاقير المتداولة حاليا إما بالملاحظة العرضية أو بالمسح المنهجى لأعداد كبيرة من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية الطبيعية والصناعية .

والآن تستخدم الحواسيب لاستحداث عقاقير جديدة حسب الطلب على أساس المعلومات المفصلة للبنية الكيميائية . وقد نجح هذا الاتجاه الجديد فى إنتاج علاج لمرضى الصدفية ويجرى اختبار علاجات أخرى لالتهاب المفاصل والسرطان ونقص المناعة المكتسبة . وتشير الدلائل إلى أن أسلوب التصميم على أساس البنية سوف يقدم إسهاما جوهريا فى تصنيع العقاقير .

رقائق الماس الصناعى تدخل
عالم « الالكترونيات »

الماس هو الحالة الأكثر استقرارا من أنماط الكربون ، ويحضر صناعيا من الجرافيت تحت ضغوط عالية تقارب ٦٠٠٠٠ جو ودرجات حرارة تفوق ١٥٠٠°م . وقد نجح العلماء حديثا فى تطوير أغشية رقيقة من الماس يتراوح سمكها بين المليمتر وما لا يتجاوز بضع مئات من الذرات وتصلح هذه الرقائق كأساس لتطوير جيل جديد من الأجهزة الالكترونية تفوق نظائرها المصنوعة من السليكون وتتحمل درجات حرارة تبلغ ٧٠٠ درجة مئوية .

التبريد باستخدام
الطاقة الصوتية

بعد أن تأكد دور مركبات الكلوروفلور كربون فى حدوث ما يسمى بثقب « الأوزون » اتجه العلماء حديثا إلى البحث عن بدائل تستخدم فى عملية التبريد . ومن أحدث الانجازات التى ظهرت فى هذا المجال البرادات (الثلاجات) الصوتيـــــــة Acoustic Refrigerators للاستخدام فى الأغراض المنزلية ، وكان قد سبق تصميمها بنجاح على المركبة الفضائية الأمريكية لتخفيض حرارة معدات إلكترونية صغيرة الحجم نحو مائة درجة .

خوذة للرؤية من خلال الضباب والظلام

تم ابتكار خوذة جديدة لحماية طيارى الطائرات المروحية الذين يطيرون فى أجواء تنعدم فيها الرؤية ، وهى مزودة بآلة تصوير تعمل بالأشعة دون الحمراء وجهاز لعرض الصور البصرية مكبرة ، ويستطيع الطيارون الذين يرتدون هذه الخوذة العالية التكنولوجيا الرؤية من خلال السحاب والظلام .

طريقة جديدة لطبع الرسومات على الملابس الجلدية

نجحت شركة فرنسية متخصصة فى مجال التحاليل والأبحاث الخاصة بصناعة الجلود فى ابتكار أسلوب جديد لطبع الرسومات على الملابس الجلدية بواسطة شريط كيميائى رقيق جداً ومطاطى أسود اللون أو عديم اللون يوضع فوق الورق على المصنوعات الجلدية ويُسحب بسرعة خمسة أمتار فى الدقيقة تحت ضغط ودرجة حرارة مناسبتين ، فينتقل رسم الشريط إلى الجلد ، وتتميز هذه الطريقة بالبساطة والسرعة وعدم الاضرار بالبيئة ، لأنها لا تحتوى على مواد كيميائية ولا تنبعث منها أى غازات .

غواصة للبحث عن الآثار فى أعماق البحار

توصل العلماء فى معمل أبحاث الهندسة البحرية بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تصميم جهاز آلى « روبوت » ــ على هيئة غواصة متدبرة ــ يستطيع الغوص إلى أعمق الأماكن فى قيعان المحيطات ويتحمل ضغوط الماء الهائلة فى الأعماق البعيدة ، ومن ثم يستطيع العمل بدون الحاجة إلى توجيه العلماء الذين يتابعون عمله من فوق ظهر سفينة الأبحاث ، وبواسطته سيتمكن الباحثون من الوصول إلى آثار المدن التى دمرتها الزلازل والبراكين ، وغطتها منذ آلاف السنين مياه البحار ، وإلى السفن الغارقة منذ زمن طويل ، وسوف يساعد ذلك على تفهم أكثر لكثير من الوقائع التاريخية التى لا تزال غامضة حتى الآن .

« ترانزستور » من مواد موصلة

من المعروف أن المواد تنقسم من حيث توصيلها للكهربية إلى مواد عازلة ومواد جيدة التوصيل ومواد شبه موصلة ، وكانت الأخيرة هى الأساس فى صناعة « الترانزستور » خلال العقود الأخيرة . وقد قامت حديثا شركة يابانية للالكترونيات بإنتاج أول « ترانزستور » متطور من مواد موصلة ، وتقدر سرعة « الترانزستور » الجديد بمقدار عشرة أضعاف شبه الموصل ، ويستهلك أقل من ١ ٪ من الطاقة الكهربائية . ويتميز بقدرته الفائقة على التحكم فى توجيه الصواريخ ، وخدمة المواصلات والميكروويف وأجهزة المزج الكهربائى المغناطيسى لرصد المصادر الطبيعية وأنظمة مسح البيئة .

اللغة والأدب والنقد

الأثر العربي في اللغة السواحلية

بقلم الأستاذ / عادل خفاجة

لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنه ـ باستثناء اللغة الأوردية ـ لم تتأثر لغة بغيرها مثلما تأثرت اللغة السواحلية بالعربية ؛ فالأثر العربي يتضح بجلاء في اللغة السواحلية ؛ وما ذلك إلا لأن الحوار لم ينقطع بين اللغتين العربية والسواحلية ، مثلما لم تنقطع الوشائج الحضارية والعلاقات التجارية بين أهليهما .

ولعل في تناول هذا الموضوع ما يرفع اللثام عن علاقة العرب بإخوانهم في شرق إفريقيا التي لم تنفصم يوما عراها ، وتزداد قوة يوما بعد يوم .

لمحة تاريخية لمنطقة شرق إفريقيا :

* لقد كان للبرتغاليين وجود في المنطقة تبع رحلة فاسكو دى جاما ، ويذكر المؤرخون أن البرتغاليين لم يجدوا إلا الكراهية الشديدة من أهل الساحل الإفريقي ، لم يستطع إنكارها بعض الكتاب البرتغاليين ـ أنفسهم ـ مثل : « دوارت بربوسا » .

* كذلك كان للألمان وجود حققوه بانتهاج المنهج البرتغالي ، وبترسّم خطواته ؛ فبدأوا برحلات استكشافية ثم تلا ذلك تأسيس « الجمعية الألمانية للاستعمار » التي أسسها الدكتور « كارل بيترز » Carl Peters في نوفمبر ١٨٨٤م .

* أعلنت إيطاليا في الخامس عشر من نوفمبر ١٨٨٩ حمايتها على الساحل الشرقي من الحدود الشمالية لـ(قسمايو) حتى نهاية (سلطنة أوبيا) .

ـ أما بريطانيا فقد شمل نفوذها زنجبار وكينيا وأوغندا والساحل الصومالي ، ويكفي أن نقول : إن منطقة شرق إفريقيا التي تضم تنزانيا وأوغندا وكينيا بالإضافة إلى رواندا وبوروندي كان يطلق عليها جميعا اسم (شرق إفريقيا البريطانية) .

* كان للعرب وجود سبق هؤلاء جميعاً أشار إليه أحد الرحالة اليونانيين في كتابه : « الرحلة الدائرية « Periplus » الذى صدر في القرن الأول الميلادى[1] » .

وقد أشاد بالوجود العربي في الساحل الشرقي لإفريقيا ، كما أشاد بكثرة السفن العربية في المحيط الهندى ، وبقدرة العرب على العيش مع الأفارقة دون حساسية ؛ حيث وجدهم يتزاوجون مع الأفارقة ويعرفون لغاتهم ويتاجرون معهم ولا يجد الخلاف سبيلا بينهم وبين أهل الساحل[2] .

ولعلنا نرى « صراع اللغات » ـ الذى يطلقه علماء اللغة على ما يحدث بين لغتين فرضت الحروب والاستعمار وجودهما معا ـ قد أدى إلى دخول بعض المفردات في السواحيلية من كل من : البرتغالية والإنجليزية والألمانية والإيطالية بالإضافة إلى الفارسية والهندية « لا تتعدى نسبتها ـ في هذه اللغات مجتمعة ـ ٦٪ من مفردات اللغة السواحيلية »[3] .

في حين نرى حوارا ـ بدلا من ذلك الصراع ـ قد تم بين اللغة العربية واللغة السواحيلية . كان نتيجته هذا الكم الهائل من المفردات العربية التي بين دفتي المعجم السواحيلي ، « والتي تصل إلى ٢٢,٠٩ ٪ »[4] .

ولم يكن هذا الأثر للغة العربية ـ الذى يعادل أضعاف الأثر الذى تركته اللغات الأجنبية الأخرى ـ إلا وليد هذا الاتصال السلمي الهادئ للعرب بإخوانهم الأفارقة على الساحل الشرقي للقارة .

فنرى الألفاظ العربية تسرى في المجالات المختلفة التالية :

١ ـ مجال شئون المنزل والحياة العائلية :

الأماكن مثل : سقف (sakafu)[*]

غرفة (ghorofa)

الأشخاص مثل : عم (ami)

بنت (benti)

صديق (sadiki)

الأدوات مثل : صحن (sahani)

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

أدب (adabu)

أهل (ahali)

هدية (zawadi)

بركة (baraka)

(١) سبنسر ترمنجهام الإسلام في شرق إفريقيا ، ترجمة عاطف النواوى ص ١٨ .

(٢) د. رأفت غنيمي الشيخ : إفريقيا في التاريخ المعاصر ص ٢٩٩ .

(٣) ، (٤) د / سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية .

(*) مع التطور التاريخي للفظ أصبحت تطلق على « الدور العلوى » .

٣ ـ مجال الإدارة :

الوالى (liwali)

قوانين (sheren)

أمة (taifa) umma

سياسة (siasa)

٤ ـ المجال التجارى :

بيع (bei)

فائدة (faida)

خسارة (hasara)

رهن (rehani)

رخيص (rahisi)

غالى (ghali)

٥ ـ الأعداد :

ستة (sita)

سبعة (saba)

تسعة (tisa)

بالإضافة إلى العقود ابتداء من

عشرين (ishrini)

حتى مائة (mia)

٦ ـ مجال الدين :

وهو المجال الذى استأثر بالنصيب الأوفر ، فيضم مجموعة من المفردات التى تتناول كل شئون الدين مثل :

الزكاة (zaka)

التوبة (toba)

الرحمة (rehema)

الفجر (al fajir)

الصبح (asubuhi)

الظهر (adhuhuri)

ولعل هذه الوفرة فى المفردات العربية بين مفردات اللغة السواحلية تعتبر منطقية إذا علمنا أن اللغة العربية ارتبطت بالسواحلية منذ نشأتها الأولى ـ التى تشير بعض الوثائق إلى أن احتمال ظهورها يرجع للقرن الثالث عشر[٥] .

نشأة اللغة السواحلية :

هناك عدة آراء حول نشأة اللغة السواحلية أهمها :

(أ) أنها مزيج من لغــات عدة من أصل بانتوى[*]، تطورت فأصبحت اللغة المشتركة التى تيسر الاتصالات والمعاملات التجارية بين الأفارقة وبعضهم البعض . وبينهم وبين العرب .

(ب) نشأت اللغة السواحلية نتيجة لاختلاط وتفاعل اللغة العربية بإحدى لغات (البانتو)[٦] .

(جـ) نشأت نتيجة لاختلاط وتفاعل اللغة العربية بعدة لهجات من لغة البانتو[٧] .

(د) استعمل العرب ـ الذين هاجروا من الجنوب والخليج العربى إلى شرق إفريقيا ـ لغة السكان المحليين وغزوها بكلمات وعبارات عربية ، ونتج عن ذلك اللغة السواحلية[٨] .

---

5. A.H. Prins : The Swahili Speaking Peoples of Zinzibar and the East African Coast, P. 25.

(*) نسبة إلى قبائل البانتو .. ولغتهم تمثل أصل للغات الأفريقية .

(٦) د/ سيد حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحلية ص ٨٦ .

(٧) ، (٨) المرجع السابق : ص ٨٧ .

هذه الآراء تلتقى جميعها وتجمع على أن تطور اللغة السواحيلية كان مواكبا ومتزامنا مع اتصال العرب بأهل الساحل الشرق لإفريقيا .

وأيا كانت النظريات حول نشأة اللغة السواحيلية فإن الرأى الصائب أنها (بانتوية) الأصل .

والدارس للغة السواحيلية يمكنه أن يلاحظ مدى حفاظها على السمات البانتوية ، فعلى الرغم من الكم الهائل من المفردات العربية ، إلا أنها طوعت كل تلك المفردات وفقا لقواعد وأصول النحو البانتوى حتى تتناسق وتتناسب مع اللسان السواحيلى .

أثر العربية على النظام الصوتى :

لم يقتصر أثر العربية على المفردات المقترضة فقط ، بل تعداه إلى النظام الصوتى ؛ فعرفت السواحيلية عددا من الصوامت غير الموجودة فى اللغة البانتوية الأم مثل : الثاء والذال والضاد والظاء والغين .

وإن كانت هذه الأصوات فى طريقها للانقراض بعد توقف استخدام الحروف العربية ، واستبدال الحروف اللاتينية بها . وذلك إثر حملة محاربة الأثر العربى والإسلامى فى شرق إفريقيا . وبخاصة من قبل المنصِّرين ؛ فعلى سبيل المثال : نجد أن المنصِّر (يوليوس ريشتر Julius Richter) يخاطب مؤتمر المستعمرات الألمانية المنعقد عام ١٩٠٥ ، فيذكر المؤتمرين بأن الإسلام ينتشر حيثما انتشرت اللغات المرتبطة به ، ويدعو إلى الحد من انتشار هذه اللغات بتحريم استعمال اللغة السواحيلية فى دواوين الحكومة . وفى عام ١٩٠٧ أى بعد مضى عامين من هذه الدعوة ، نجد أن الإدارة الألمانية فى شرق إفريقيا تجعل استعمال الكتابة العربية فى الدوائر الرسمية والوثائق الحكومية أمرا يحرمه القانون »[9] .

وقد أوضح إحصاء أجراه مستر ولسن ونشرته جريدة « الفلق » الصادرة فى زنجبار فى عدد ٣ من رجب ١٣٥٨هـ الموافق ١٩ من أغسطس ١٩٣٩م أن :

- خمسة وخمسين شخصا من بين كل مائة فى جزيرة زنجبار يكتبون بالحروف العربية ؛
- وشخصا واحدا يكتب بالحروف اللاتينية .
- وسبعة أشخاص يكتبون بكل من الحروف العربية واللاتينية .
- وسبعة وثلاثين شخصا أميا[10] .

ولعل نظرة إلى هذه الإحصائية ، وإلى ما آل إليه الوضع فى أيامنا هذه ، تحثنا على بذل الجهود لاستنقاذ البقية الباقية من الأثر العربى فى السواحيلية ، وبخاصة أن جهود المنصرين تتجه الآن إلى التربص بالمفردات العربية فى تلك اللغة وهم بصدد إسقاط كل الأصول العربية بحجة الوصول إلى لغة سواحيلية بانتوية خالصة .

---

(٩) د / سيد حامد حريز : المرجع السابق ص ٩٥ .
نقلا عن :
Temu, OP. Cot.

(١٠) المرجع السابق ص ٩٧ .
C.W. Temu, "Swhaili vocabulary expansion : A preliminary observation" Kiswahili Vol. 42 March 1972, P.9.



بقلم الشاعر محمد عبدالوهاب

حفل الأدب العربي في العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، وكذلك في العصر الأموي ، والعباسي والمملوكي والعثماني ، بنخبة ممتازة من الشاعرات المجيدات ، إلا أن العصر الحديث أنجب عدداً من الشاعرات ، يفوق عدد مثلهن في العصور السابقة جمعاء ، ومنهن رائدات يتميزن بالإبداع والتفوق ، بعد ما شهده الأدب العربي من تطور وارتقاء ، بفضل انتشار التعليم ، ونهضة الفنون والآداب بصفة عامة .. وفي طليعتهن ، الشاعرات : جليلة رضا وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وغيرهن من الشاعرات النوابغ ، ومن ثم نحاول في مقال اليوم أن نبرز عطاء واحدة منهن تقلدت وسام الشعر بدرجة الاستحقاق الأولى .. وفي الحقيقة ، فجليلة رضا في ديوانها : (العودة إلى الحارة) تقدمت الكثير من الشعراء ، حسا وشعورا ، وصقلا وتعبيرا .

وصاحبة (العودة إلى الحارة) قد سبق لها إصدار عدة دواوين أخرى منها :

اللحن الباكي و (اللحن الثائر) و (الأجنحة البيضاء) هذا خلاف ما نشرته في مجال الدراسات الأدبية في مجلات : الأزهر والجديد وغيرهما ، وكذلك كتابها : (وقفة مع الشعر والشعراء) الذي صدر في جزأين منذ سنوات ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وكذلك قصتها الطويلة (شجرة الجميز) طبعة المجلس الأعلى للثقافة وغيرها .

وقد تكفل نتاج شاعرتنا الكبيرة الأدبى بكتابات متعددة عنه ، بأقلام الأساتذة مصطفى عبداللطيف السحرتى وأحمد مصطفى حافظ وكمال النجمى والدكتور عبدالمنعم خفاجى والدكتور محمد رجب البيومى ، وغيرهم ، وأعدت عنها رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد أمين الصواف .

وإذا أردنا تحديد نوعية نتاجها الشعرى سنجده أقرب إلى الرومانسية ، التى تشيع فيها العاطفة الجياشة ، ونُدلل على ذلك باختيار نموذج يؤيد ما ذهبنا إليه ، ففى قولها فى (نجوى الوطن) ، بعد العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ م ، تقول :

وطنى غفرتُ لك التغلغل فى دمى والنـار ـ نار هواك ـ بى لم ترحـم
وعفوت عمّا قد بعثت من الأسـى فى مهجتى ، يوم اعتداء المجـرم
قد كان إحسـاسا نديًّـا ناعمـاً ونشيد أطفـال ، ودرس معلـم
حتى إذا شاهدت محنتـك التـى عانيتهـا ، بعزيمـة لم تهـزم
أججْتَ ـ ويا للهـول ـ نارك فى دمى وكأنهـا حمَمٌ بجـوف جهنـم

كما أن محنتها بابنها الوحيد الذى ذُهل فى مرحلة الطفولة ، وظل تحت العلاج بشتى المستشفيات النفسية ، إلى أن لقى حتفه أثناء سيره مع شقيقته بالطريق العام ، وهو فى سن الثلاثين تقريباً .. قد ترك ذلك أثره البعيد والعميق فى شخصية شاعرتنا ، حتى قالت تناجيه :

بُنىَّ جعلتنـى أهـوى بقائـى فعشْتُ لغصنك الغضّ النضير
وجرّعنى الزمـانُ كئوسَ همٍّ وضـنَّ علىَّ بالعيش القريـر
ولكنـى سقيتك مـاء قلبـى وجُدتُ عليك بالحبّ الوفيـر
وكان الشوك فى الدنيا نصيبى وكـان لك الزهور مع العبيـر
أخـاف على خطـاك حصاة أرض وقد أعلو الهضاب مع الصخور
وما للمـوج يلطمنـى ، فأرضـى وأخشـى فيك لمسات الحريـر
وأجـزع إذ أراك مرضـت يومـاً فيحوينـى ظـلامٌ من قبـور

وتصور الفجيعة فى قصيدة أخرى ، فيما يأتى به وحيدها من حركات غريبة ، بقولها :

ولدى الوحيد علام تضحك فى الفراش وتبتسمْ؟
ولمن تشير ؟ وما أمامك ها هنا غير الظلَمْ
ثم هادئا .. أقلقتنى .. متحركا .. دعنى أنمْ
عذّبتَ أمك يا فتى .. عذبتنى .. حتى العدمْ

ورغم ذلك ، نراها تفىء إلى حظيرة الإيمان والصبر على قضاء الله - تعالى - فتقول فى قصيدة أخرى :

وعرفــتُ الديــن فى دربــى أساســاً للبقــاء
غير أن العصر ظنّــره عــــزاء البسطاء
كيف نحيــا دون إيمــــان بمن أحيــا الوجــود
وكذا الإيمــان تسـليمٌ بأحكــام القضـــاء

وتبلغ الذروة فى اختلاجه إيمانية أخرى ، تقول فيها :

أجــل هو الله . أهــواه وأهـــواه ... أنّــى أســير . فإنّ القــلب مأواه
عانقــتُ فيــه رغابــا جاوزت أمــلى ... لا الحمدُ يبلغها قــدرًا ولا الجــاه
هيهــات للقلــب أن تغتــاله بارقــة ... وأن يئــنّ وأن يفضــى بشــكــواه
من أين ينفــذ ســهم فى جوانحــه ... وهو المليء بنــور الله مــولاه
الشمس تسـطع فى جنبيــه ضاحكــةً ... والعطر يقطر مســكا من زوايــاه
اليــوم يا قلــب لا أنــوار ترهبنــى ... ولا ريــاح ولا بحــرٌ وأمــواه
إنى على شــاطىء الإيمــان آمنـــة ... معى المنجّى ، معى الحامى ، معى الله

وتقول شاعرتنا الكبيرة من فيض حبها لرسول الله ﷺ ، فى ميلاده الشريف :

إنى اتخــذتك واحــةً فى ظلّهـــا ... أســتاف عطــر الديــن من مغناكــا
وبرغــم ما أصبــو إليــه من التقــى ... أنا لســتُ يا خيــر الأنــام (ملاكا)[1]
يا مؤنــل المهمــوم يــوم بلائـــه ... كُنْ لى شفيعا ، فى رحاب سماكا

* * * *

وترى الشاعرة فى ديوانها الأخير ، (العودة إلى المغارة) ، الذى نالت به جائزة الدولة للشعر عام ١٩٨٢ م . تبلغ قمة الإبداع ، بعد الدُّرْبة على نظم الشعر والاستجابة لهواتفه ودواعيه لمدة تناهز نصف قرن من الزمان ، تُوِّجتها بعضويتها لاتحاد الكتاب ولجنة الشعر بكل من المجلس الأعلى للثقافة ، والمجالس القومية المتخصصة ، وتعطى مثالاً لما تذهب إليه ، بقصيدتها الرمزية ، ذات النزعة الإنسانية : (مأساة عصفورة) التى تقول فيها على لسان العصفورة بعد أن حطّم الحطّاب عشّها :

مســاء الخيــر يا أختى . مســاء الخيــر يا جــاره
وقفــتُ هنــا على الشبّاك أستجديك منهــاره

---

(١) لم ترد كلمة (ملاك) فى العربية بمعنى (ملك)

فهل ترضين أن تصغي بلا ضيق .. إلى ألمي
وترتاحين آونة من الأوراق والقلم
وتستمعين في عطف إلى شكواي يا جاره

ثم تصف لنا تفاصيل هذه المأساة ، بقولها :

لقد غادرتُ أبنائي لأغلو الأفق مسروره
فرغم أمومتي إنبي - كما تدرين - عصفوره
أجل حلقتُ في الآفاق صاعدةً ومنحدره
وحين رجعتُ بعد العصر لم أعثرْ على الشجرة
فأين أريح أجنحتي ؟ وأين أنام يا جاره ؟

وتشرح حقيقة ما حدث ، فتقول :

وحين رجعت يا ويحى ولم أعثر على بيتي
رأيت على الثرى شبحا تمدد في دجى الصمت
فكيف وكيف يا أختي - وأنت أمامها دهرا -
سمحت لساعد الحطاب أن يغتالها قهرا
ويذبح كائنا حيا أوى الأحياء يا جاره

وتجتر العصفورة المسكينة ذكرياتها الماضية مع أفراخها في دفء العش ، تماماً كما كانت الشاعرة مع وحيدها قبل موته الفجائي فتقول :

لقد كانت لأبنائي مع الأحلام أرجوحه
وكل وعودها كانت لهم بالأمس ممنوحة
وكانت بالثياب الخضر تخفيهم من العين
وتعقد ندوة بالليل بين الغصن والغصن
فيستمعون للأسرار (منسجمين) .. يا جاره

وتحدد العصفورة شكواها ، أو نجواها الآسية ، بقولها بلسان الشاعرة :

أجيبي .. هل أعيد اليوم إشعال الهوى الخالي
وأرفع رأسي المنكوس فوق رفات أجيالي
وأنسى قسوة الماضي وأصنع لي «غداً» مزهر
وأبني هاهنا عشا على شباكك الأخضر
أجيبي إنني حيرى أريد الحل .. يا جاره

وهكذا ، بمفردات لغوية بسيطة - وإن كانت عميقة المغزى - استطاعت جليلة رضا أن تقدم لنا أحاسيسها ومشاعرها في هذه اللوحة الفنية الحية ، التي تموج بالحيوية والروعة .

* * *

وللحق ، فقد شعرت وأنا أتصفح ديوان (العودة إلى المحارة) أنني أمام شاعرة كبيرة حقا ، استكملت أدواتها التعبيرية ، فحملتني معها في رحلة جميلة مع المشاعر الدفاقة ، والمعاني الآسرة ، والكلمات المنتقاة بعناية فائقة ، مما جعلني أعترف بأنها شاعرة تقدمت الكثير من الشاعرات والشعراء : حسًا وشعورا ، وصقلا وتعبيرا .

ومع ذلك أرى من حق شاعرتنا الكبيرة أن أعطي النقد حقه ، وأن أبين بعض الهنات البسيطة من حيث إن الكمال المطلق لله ـ جل وعلا ـ وإن كان ذلك لا يقلل مطلقاً من قدر الشاعرة جليلة رضا .

تقول شاعرتنا في قصيدة (جاء الخريف) :

كأنك لم تعد تشكو على الدنيا من الناس

ونرى أن الشكوى لا تكون (على) فهي (من) أو (إلى) ، أما القصيدة ذاتها فهي مليئة بالصور الحية النابضة ، وتصور مرحلة هامة من مراحل العمر ، ألا وهي مرحلة الكهولة ، فتظهر لنا الشاعرة مدى جزعها وحزنها لدخولها تلك المرحلة ، أو لدخول تلك المرحلة إليها ، فهي لا ترحب بها مطلقاً ، وإنما ترفضها من داخلها .

وفي قصيدة (عيد الربيع) تصف لنا الشاعرة الربيع الذي يطالعنا في مصر دائماً برياح الخماسين وما يصاحبها من تقلُّب للجو ومن غبار ورياح هوج .

ونصل إلى قصيدة (الزيارة الرهيبة) التي تبدو وكأنها سرد لكابوس حقيقي عرض لها فتناولته الشاعرة تناولاً فنيا ، أما قصيدتي : (عصفورة وعملاق) و (الرواق الحالمة) فهما من تداعيات الخاطر ونرى أنهما تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر .

وفي قصيدة (الضيف الدائم) نرى الشاعرة وقد تلاعبت بأعصابنا أمام لغز ضيفها الدائم ، ولم تكشف لنا عن هويته إلا في آخر كلمات القصيدة ، اذا اتضح لنا أنها تعني : (القلق) .

وفي قصيدة (إهداء) تحادث الشاعرة ذاتها ـ التي تعتز بها أيما اعتزاز ـ وتطلب منها أن تتسامح وأن تلين مع من تحب ، وهم : الأبناء .

وفي قصيدة (الشاعرة) تؤكد لنا الشاعرة بأن المرأة دائماً هي المرأة ، والمرأة الشاعرة هي أقدر من غيرها من النساء على التعبير عن مكنون فؤادها ، فهي تبدأ القصيدة بقولها : (انتهيا) ، وعظمة كلمة (انتهيا) انها أتت في البداية ، فكيف نبدأ بالنهاية ؟! والكلمة تعبير رائع عن الحسرة والألم ، وتقول الشاعرة ـ إثر هذه الكلمة : صدئت كل حليٍّ في الصوان ،

إذ أنها أهملت حُليّها بعد من كانت ترتديها لأجله ، ألا وهو زوجها ـ وتحتفظ إلى جانب ذلك ببعض بقايا ذلك الحبيب الغائب ، مثل الخطابات والصورة والروب الأزرق الممزّق ثم المنديل ،

وتصور الشاعرة تلك الأشياء البالية بأنها : (أشلاء عمرها) بعد أن تحوّلت إلى ضحايا ، وقد كانت كائنات حيّة فى تصوّرها المبدع ..

ونصل إلى قصيدة (الحلم المنتصر) فنجدها قصيدة ذات جرس عال ، مثل الكثير من القصائد الوطنية الحماسية التى توصف بأنها تقريرية ومباشرة .

وفى قصيدة (الأصل والصورة) ، تصور لنا شاعرتنا الكبيرة أنها بينما تصاحبها الأحزان والدموع طوال اليوم إلا أنها فى الليل ، وحينما تشرع فى النوم تتذكر حبيبها - (روحها الغائب) -.

وفى قصيدة (مأساة عصفورة) لاحظنا فيها خطأً لغويا فى قول الشاعرة :

لقد غادرت أبنائى لأعلو الأفق مسرورة

نرى أنه يتعين نصب كلمة (لأعلو) المسبوقة بلام التعليل ، ولم تنصبها الشاعرة حتى لا تخلّ بالوزن ، وهذا خطأ ، لا تقبله الضرورات الشعرية ، ولا تجيزه ، أما فى قصيدة (العابر والحمار) فتقول شاعرتنا الكبيرة عن الحمار :

حين ولّى الصبر عنه وانقضى ورأى دنياه سيئا وملامه
حين لم يقدر على آلامه واستقرت فوق عينيه غمامه
نام فوق الأرض يغفو مأمنا حاضنا فى الموت أضواء السلامة
حطم القيد الذى كم غلّه وغدا حراطليقا كالحمامه

لقد قدمت لنا الشاعرة من خلال أبيات هذه القصيدة صورة وجدانية مؤثرة للحمار الذى أنقذته يد الموت من العذاب الذى كان يلقاه من سائقه ، ثم نرى روح الإيمان الكامنة فى وجدان الشاعرة ، وهى تشرق فى قولها :

أيها القاتل - هذا المفتدى - لك ربّ سوف يصليك انتقامه

أما فى قصيدة (إلى ولدى) فإننا نرى لوعة الأم التى منيت بفقد ولدها ، تتجلى فى قول الشاعرة:

ما أقسى أن يصمت قلبى ويضنّ عليك بأنغامه
لا بخلا .. لكن يا ولدى خوفا من لوعة آلامه
هل أنظم شعرا فى حبك وهواك النبع لأشعارى
لا أقوى .. سأظل أؤجل حتى تتراخى أوتارى

وفى ختام هذا المقال ، يطيب لى أن أحيى الشاعرة الكبيرة جليلة رضا على ما قدمته لنا من زاد شعرى وفكرى متميز يشكل لبنة طيبة فى صرح الحب والخير والجمال ، فى عالم متطاحن طغت عليه الماديات .

والله ولى التوفيق



صناعة الجوع

(خرافة الندرة)

تأليف: فرانسيس مورلابيه
جوزيف كولينز
ترجمة: أحمد حسان
مراجعة: د. فؤاد زكريا

جمادى الآخرة - رجب ١٤٠٣هـ / ابريل - نيسان ١٩٨٣م

عرض وتحليل الأستاذ مصطفى دسوقي كسبة *

الكتاب الذى بين أيدينا يتناول بالبحث والدراسة مشكلة تؤرق كل إنسان يعيش فى المعمورة سواء من حيث كمية مايقدم له من طعام أم نوعيته .

وبالرغم من أن هذا الكتاب ألف وترجم إلى العربية فى بداية العقد الثامن من القرن العشرين إلا أن السياسات والأساليب التى تعرض لها الكتاب بالتحليل والنقد منذ بداية العهد الاستعمارى لدول العالم الثالث ـ ومنها بلدان العالم الإسلامى ـ مازالت سارية حتى الآن سواء فى مجال إنتاج الطعام أم توزيعه .

ومن ثم كانت أهمية دراسة وتحليل هذا الكتاب لما يمثله من قيمة علمية تثرى فكر أبناء العالم الثالث بصفة عامة ، وأبناء العالم الاسلامى بصفة خاصة فى مجال عمارة الأرض ، فضلا عن الاستفادة من خبرات وتجارب الأمم الأخرى فى إيجاد الحلول لمشكلة الطعام .

يقع الكتاب فى (٤٧٧) صفحة من الحجم المتوسط ، وقسمه المؤلفان إلى تسعة أبواب : شملت تسعة وعشرين فصلا .

* رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر

يستهل المؤلفان الكتاب بمقولتين .

المقولة الأولى :

« يقال لنا : إننا فى سباق حياة أو موت ، بين الأعداد المتزايدة من البشر ، وكميات الطعام المحدودة ، إننا فى سباق ولا بد أن يخسر البعض . والرسالة الضمنية هى : لن يكون كل فرد قادرا على الحصول على ما يكفيه من طعام ، ... ونظرا لأن هناك بالفعل الكثير من الجوعى فى العالم ، قد يعتقد الكثير أن من البديهى ألا يكون لدينا الآن غذاء يكفى الجميع .. وأنه لا طريق للإفلات من الندرة إلا بأن نجعل أطفالنا يدفعون الثمن ، ويقال لنا : إننا يجب أن نتعلم أخلاقاً جديدة هى أخلاق العقل المجرد لابد أن نتعلم كيف ندع الناس يموتون من أجل البقاء النهائى للجنس البشرى »[1]

المقولة الثانية :

« الغذاء أولا يبدو لنا أنه الاختيار الأولى لنظام اقتصادى واجتماعى عادل وفعال . فقد استند أمن أى شعب من الشعوب — تاريخيا — على تلبية احتياجاته الأساسية من الغذاء ، فلا بد لكل بلد أن يعبىء موارده الغذائية ليسد حاجاته أولا ، عندها فقط يمكن للتبادل التجارى أن يفيد فى زيادة الاختيارات بدلا من أن يحرم الناس مكاسب الموارد التى تخصهم عن حق »[2]

ويخلص المؤلفان من دراستهما وقراءتهما ورحلاتهما إلى أنهما وجدا أن : « مفاهيم الندرة ، والـــذنب ، والخوف تقـــوم على أساس الخرافات »[3] .

ويطالبان بكشف حقيقة ما يهدد الأمن الغذائى فى كل من بلدان العالم المتقدم ، وبلدان العالم الثالث ، ومن وجهة نظرهما أن القوى التى تخرج الناس من عملية الإنتاج فى أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، وفى نفس الوقت تخرجهم من عملية الاستهلاك هى نفس القوى التى حولت النظام الغذائى إلى واحد من أكثر القطاعات الغذائية خضوعا للسيطرة المحكمة وأن حفنة متناقصة من مستثمرى الأرض والشركات الغذائية تسيطر على جزء يتزايد أكثر فأكثر من غذائنا .

ويؤكد المؤلفات على أننا نتعرض لتصنيع متزايد وغير ضرورى ونتعرض لمواد كيماوية خطرة ولتغذية أقل ولأسعار مرتفعة باستمرار ينتج عنها جوع البعض وسوء تغذية الكثير .

وبمحاربة القوى التى تحكم قبضتها على اقتصادياتنا الغذائية ، فإننا نحارب بذلك بعض القوى التى تصنع الجوع .

وفى محاولتنا لدراسة موضوعية لهذا الكتاب ينبغى أن نستخلص نتائج بحثه أولا بأول ففى :

الفصل الأول :

والمعنون بشر أكثر مما يجب ، وأرض أقل مما يجب !!

يرفض المؤلفان أن يكون تشخيص الجوع نتيجة لندرة الغذاء ويريان ذلك لوما للطبيعة على مشكلات من صنع البشر ذلك أن هذا الجوع يوجد فى مواجهة الوفرة وهنا تكمن الإهانة ويقدم المؤلفان طريقتين يمكن بهما إثبات أن ندرة الأرض

---

(١) انظر الكتاب : ص ١٠ — ١٢ بتصرف

(٢) انظر الكتاب : ص ١٤

(٣) انظر الكتاب : ص ١٤

والغذاء ليست هي السبب الحقيقي للجوع .

الأولى : توضيح أنه لا توجد ندرة فى الأرض ولا فى الغذاء .

والثانية : هى شرح ما يسبب الجوع فعلا .

ويثبتان أن الموارد موجودة لكنها تعانى دائما من قلة الاستخدام أو من سوء الاستخدام مما يخلق الجوع المكثر والمتخمة المقلة .

ولقياس الإمكانية التى لم تستغل يبين المؤلفان أنه لا يزرع الآن ـــ أى وقت تأليف الكتاب ـــ سوى ٤٤ ٪ من الأراضى الصالحة للزراعة فى العالم ، وفى كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية لا يزرع سوى أقل من ٢٠ ٪ من الأراضى التى يمكن زراعتها .

بالإضافة إلى أنه لا يوجد سبب فيزيائى يحول دون أن يفوق إنتاج الفدان فى معظم البلدان النامية الإنتاج فى الدول الصناعية وفى العديد من البلدان النامية يمكن للأرض التى تقدم الآن محصولا واحداً فى السنة أن تقدم محصولين أو أكثر .

والعقبات أمام تحرير هذه الطاقة الإنتاجية ليست فى معظم الحالات فيزيائية بل اجتماعية فحيثما كان هناك سيطرة غير عادلة وغير ديمقراطية على الموارد الانتاجية فإن تطورها يعاق .

هذا عن قلة الاستخدام .

وماذا عن سوء الاستخدام ؟

يرى المؤلفان أن الموارد الزراعية تتجه إلى خدمة أولئك الذين يمكنهم أن يدفعوا ـــ أى الطبقات العليا المحلية والأسواق الخارجية ـــ ثمنا مرتفعا ومن ثم تتسع المحاصيل الترفيهية بينما تجرى إهمال المحاصيل الغذائية ، وهكذا حين تخضع طاقة الأرض الإنتاجية لقلة الاستخدام وحين يستنزف إنتاجها بصورة متزايدة بما لا يخدم المحاصيل الغذائية فإنه لا يمكن اعتبار الندرة سببا للجوع ويعنى ذلك كله أن الندرة وهم .

كذلك يتساءل المؤلفان : هل صحيح أن أكثر البلدان كثافة سكانية هى أكثر البلدان جوعا ؟

أوضح المؤلفان فى ردهما على هذا السؤال أن الدراسات فى كل أنحاء العالم لا تبين مثل هذا النسق فبعض الدول شديدة الكثافة السكانية ينال سكانها تغذية مناسبة ، ومن ناحية أخرى بعض الدول التى بها تعداد قليل نسبيا من السكان يصاب معظم الناس بسوء التغذية ، أى لا توجد علاقة ظاهرية بين كمية الأرض المتاحة لكل فرد وبين مدى انتشار الجوع .

هذا وقد أفرد المؤلفان دراسة مفصلة « لبنجلاديش » باعتبارها النموذج النمطى لبلد طغى تعداده السكانى ببساطة على موارده لإنتاج الغذاء ، خلصا فيها إلى أن « بنجلاديش » غنية بما يكفى من الأراضى الخصبة والماء والقوة العاملة والغاز الطبيعى للأسمدة لا لتصبح مكتفية بذاتها غذائيا فقط بل لتصبح كذلك مصدرا لتصدير الغذاء ، حتى مع حجم سكانها السريع التزايد .

إذن ما المشكلة ؟

كانت إجابتهما : أن التفاوت فى السيطرة على موارد البلاد الإنتاجية يعوق إمكانياتها الغذائية .

وفى الفصل الثانى : هل البشر عقبة أم مورد ؟

يعكس هذا السؤال معتقدات شائعة عديدة

وجد المؤلفان أنها خرافات :

الخرافة الأولى : الزراعة فى البلدان المتخلفة متأخرة لأن فى الريف بشراً أكثر مما يلزم للعمل بصورة منتجة .

الخرافة الثانية : لما كانت الزراعة لا تستطيع استيعاب أى بشر أكثر ، فإن الفائض من المناطق الريفية لابد أن يذهب إلى المدن حيث لابد من خلق وظائف جديدة لهم فى الصناعة .

الخرافة الثالثة : النمو السكانى عبء هائل على اقتصاديات العالم الثالث حيث إنه يعنى ضرورة خلق وظائف جديدة بينما ماتتراوح بين ١٥ ٪ ـ ٣٠ ٪ من السكان هم بلا عمل فعلا وكثير ممن يسمون عاملين يعانون فى الحقيقة من البطالة المقنعة .. والنتيجة هى أعداد متزايدة من الهامشيين شبه الجائعين يعيشون خارج الاقتصاد .

ورداً على الخرافة الأولى ، أورد المؤلفان أدلة لدحض هذه الخرافة تمثلت فى (اليابان وتايوان) كلاهما ناجح زراعيا ويكل منهما من العمال الزراعيين لكل فدان أكثر من ضعف ما فى الفلبين والهند ، وقيمة إنتاج الفدان فى اليابان سبعة أمثال قيمته فى الفلبين وعشرة أمثال قيمته فى الهند ، كما أن الصين استطاعت زيادة الإنتاج بصورة مربحة بعد أن ضاعفت كمية العمل المبذول فى الفدان ثلاث أو أربع مرات ، فمن الواضح أن التعداد الكبير للسكان الريفيين بعيد تماما عن كونه العائق الذى يعتقد دائما أنهم يمثلونه .

وبشأن الخرافة الثانية تلك التى كانت عاملا فى إهمال الزراعة وتنشيط الصناعة من جانب مخططى التنمية فى الخمسينات والستينات حيث ساهمت الشركات الأجنبية فى مضاعفة أزمة الوظائف المزمنة باستخدامها (تقنيات) توفير العمل المأخوذ من بلدان تكاليف العمل فيها عالية ويرى المؤلفان : أن حل مشكلة البطالة بخلق الوظائف فى مناطق مدنية مركزية هى جهود فى غير موضعها ، ولقد نجحت الصين فى تقليل نسبة قوتها العاملة المتفرغة لوظائف زراعية وتحقق ذلك بتطوير المصانع والورش الصغيرة فى أرجاء الريف لصناعة الأدوات الزراعية والسلع الاستهلاكية الأساسية ، كذلك يمثل السكان الريفيون غير الزراعيين احتياطيا كبيرا من قوة العمل للزراعة متاحة لمواجهة اختناقات العمل فى الزراعة فى قمة الموسم وهى الحجة الشائعة فى عديد من البلدان للميكنة التى تبدد الموارد القليلة وتحرم الناس من وظائف لا يوجد غيرها .

وبشأن الخرافة الثالثة يستشهد المؤلفان بقولهما : إن القوى الاستعمارية اختزلت نظم الزراعة الشديدة التنوع إلى زراعة المحصول الواحد أو الاثنين ومن ثم تحددت فرص العمل بدورة محصول أو محصولى التصدير ، كما أن مايحدث اليوم فى معظم البلدان المتخلفة يجعل الناس يبدون هامشيين .

فالزراعة التى كانت مصدر حياة الملايين من الزراعيين الذين يطعمون أنفسهم ، أصبحت أساس ربح المقاولين التجاريين ذو النفوذ وهؤلاء المقاولون الزراعيون الجدد يستخدمون أرباحهم لزيادة ممتلكاتهم من الأراضى على حساب المزارع الصغيرة والمعدمين ، وكذلك لميكنة الإنتاج على حساب وظائف العمال .

ومع استمرار هذه العملية فالنتيجة هى المزيد من البطالة ، ومن ثم يأتى استنتاج أن هناك بشراً أكثر مما يجب .

وفى الفصل الثالث : حديث عن تحديد النسل وتحديد الثروة .

وهنا يقول المؤلفان : « إننا نقف بحزم ضد برامج « تنظيم الأسرة » التى تزعم تخفيف مشكلة الجوع لأنها تحمل رسالة أن الفقراء هم الملامون على جوعهم ، مخفية الجذور الاقتصادية والسياسية الحقيقية لمعاناتهم ... إلا أن الخطأ هو تحويل مشكلة السكان — وهى عرض — إلى سبب للجوع »[1] .

وفى الفصل الرابع : ضغط السكان على البيئة .

يوضح المؤلفان فى هذا الفصل أن مشكلة تآكل التربة خطيرة فعلا لكن تآكل التربة يحدث غالبا بسبب احتكار قلة للأرض الخصبة مجبرين أغلبية الزراع على الإفراط فى استخدام تربة معرضة للخطر ، وأكثر من ذلك فإن افقار التربة ينتج ليس عن جهد لتلبية احتياجات الغذاء الأساسية لسكان يتزايدون بل ينتج بصورة متزايدة من ضغط الزراعة الدائمة لمحاصيل التصدير الترفيهية وغير الغذائية فوق مساحات ضخمة مع إغفال الأساليب التقليدية التى كانت تحفظ التربة من قبل .

وفى الفصل الخامس : رعب الأسعار :

فى هذا الفصل يدحض المؤلفان النظرية القائلة ب (أننا ندخل عصر الندرة المحتومة لأن أعدادنا قد تخطت حداً مفترضاً) هى نظرية لايمكن إثباتها .

ففى عالم تتعمد فيه قوى كبرى تبنى سياسات من شأنها التحكم فى الكمية المعروضة من المواد الغذائية عن طريق الاحتكار ، وتخفيض المساحة المزروعة من الأراضى وبالتالى إحداث فجوة بين الكمية المطلوبة والكمية المعروضة مما يؤدى إلى ارتفاع الأسعار ليس بسبب الندرة وإنما بسبب السياسات ذات الأهداف السياسية .

وفى الفصل السادس : الغذاء فى مقابل ترويج السموم .

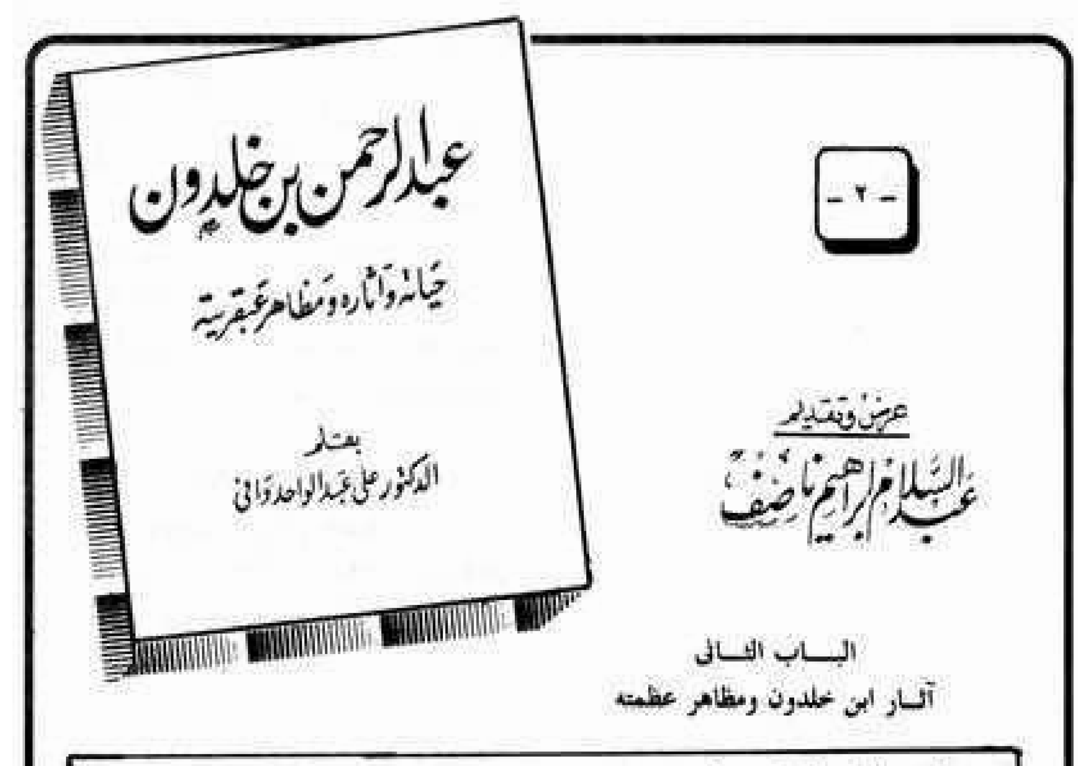
فقد تبين من الدراسات أن الأغلبية الساحقة من أنواع الحشرات لاتحدث أبداً ضرراً كافيا يبرر تكلفة المعالجة بالمبيدات الحشرية ، وتظل أعداد الحشرات أدنى من مستويات الضرر الاقتصادى بفعل الطفيليات والحشرات آكلة الحشرات ، لكن حين يقتل مبيد حشرى بعض هذه الطفيليات والحشرات آكلة الحشرات ، فإن العديد من الحشرات العادية العديمة الأهمية يكون بإمكانها أن تتكاثر بطريقة أسرع ، فضلا عن أنه كلما زادت فعالية مبيد حشرى فى قتل الأفراد الحساسة زادت سرعة تطور الأفراد المقاومة .

وبدلاً من أن تعمل منظمة الأغذية والزراعة (فاو) على تطوير وتعميم البدائل المناسبة أو حتى المعلومات حول الاستخدام الملائم للمبيدات أخذت تصبح شريكا فى الترويج للشركات الكيمائية التى همها الأول والأخير تحقيق أكبر قدر من الربح .

يتبع

---

(1) انظر الكتاب : ص ٤٧



ـ ٢ ـ

عرض وتقديم
عبد السلام إبراهيم ناصف

الباب الثاني
آثار ابن خلدون ومظاهر عظمته

ينقسم الباب الثاني من كتاب « عبدالرحمن بن خلدون » لمؤلفه الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ رحمهما الله ـ إلى تسعة فصول توضح عبقرية ابن خلدون ومظاهر عظمته وما خلفه من آثار في الفكر الإنساني على النحو التالي :

١ ـ أنه المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

٢ ـ أنه أمام ومجدد في علم التاريخ والأنثروبوجرافيا وفي أسلوب الكتابة العربية .

٣ ـ أنه أمام ومجدد في بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوي والتعليمي .

٤ ـ أنه راسخ القدم في علوم الحديث والفقه المالكي .

الفصل الأول

ابن خلدون هو المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

فقد احتوت مقدمته ـ لكتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ـ على ستة بحوث رئيسية تهتم بـ :

(أ) دراسة العمران البشري وأثر البيئة الجغرافية في ألوان البشر وأخلاقهم وطرق معيشتهم وفي الرؤيا وحقيقة النبوة والكهانة ويقع في تسعين صفحة .

(ب) بحث في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل من حيث نشأتها وبعض شئونها الاجتماعية ونظم الحكم والسياسة بها في نحو أربعين صفحة .

(جـ) بحث في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية ويعرض لنظم الحكم وشئون

السياسة بها ، ويقع فى نحو مائتى صفحة .

(د) بحث فى البلدان والأمصار وسائر العمران ويعرض لنشأة المدن ومواطن التجمع وما تمتاز به من مختلف الوجوه العمرانية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية ويقع فى نحو أربعين صفحة .

(هـ) بحث فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض لمختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم فى نحو مائتين وعشرين صفحة .

● ● ●

الظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون :

phono menes sociaux

تعتبر الظواهر الاجتماعية محور مقدمة ابن خلدون ـ وقد أطلق عليها (واقعات العمران البشرى) أو (أحوال المجتمع الإنسانى) وهى التى تعرف بأنها : القواعد والاتجاهات التى يتخذها أفراد مجتمع ما أساسا لتنظيم شئونهم وتنسيق العلاقات بينهم كالنظم العائلية والسياسية والاقتصادية والقضائية والخلقية والدينية واللغوية والتربوية والجمالية ، ونظم البنية الاجتماعية .

وهى عبارة عن قواعد وقوالب للتفكير والعمل وهى إما استاتيكية (مستقرة) أو ديناميكية (متغيرة) ولقد درسها ابن خلدون فى حالتى الاستقرار (الاستاتيكية) والتغير (الديناميكية) ومزج بينهما بهدف البحث عن القوانين التى تخضع لها فى نشأتها وتطورها أى التى تربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ـ كما هو الحال فى العلوم الطبيعية والرياضية .

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يفطن أحد قبل ابن خلدون إلى ما يعرف بجبرية حدوث الظواهر الاجتماعية وخضوعها لقوانين ثابتة مطردة ـ ولم يُعْنَ أحد قبله بالكشف عن هذه القوانين ، فكل من سبقوه كانوا لا يهتمون إلا بوصف الظواهر كما فعل (ابن حزم) فى كتابه (الملل) أو الدعوة والترغيب فى تثبيت المبادىء والمثل والمعتقدات فى نفوس الناس كما جاء فى كتاب (إحياء العلوم) (للغزالى) أو ما ينبغى أن تكون عليه هذه الظواهر كما جاء بكتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) (للفارابى) أو كتاب (الجمهورية) (لأفلاطون) وكتاب (الأخلاق) لـ (أرسطو) .

ولذا فقد درس هذه الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية مركزاً على أن التطور هو سنة الحياة الاجتماعية وقد تمثل منهجه فى البحث عن جمع المعلومات لموضوع البحث من مشاهداته ومن قراءاته فى بطون التاريخ ، ثم يجرى عليها عمليات عقلية لكشف ما يحكم هذه الظواهرالاجتماعية من قوانين أو قواعد جبرية هى ما يعرف بعلم « الاجتماع » أو (السوسيولوجيا) sociology sociologie) وهى كلمة مؤلفة من كلمتين (societas) بمعنى (الجماعة) وكلمة (logos) بمعنى (البحث أو المقال) ، وهذا المنهج هو المتبع فى دراسة علم الاجتماع حتى اليوم .

وإنما دعاه إلى إنشاء هذا العلم الجديد حرصه على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة ، وتجنيب المشكوك فيه والكاذب مما يلاحظه مما يقع من شئون الاجتماع الإنسانى وحوادثه .

فقد كان يهدف أن تكون دراسته وسيلة لتصحيح الأخبار التاريخية ومن ثم جاءت قوانينه وأفكاره مستمدة من ملاحظاته لظواهر الأمم التى شاهدها ، أو درس تاريخها دون أن يتأثر بفكر مسبق أو رأى مبيّت ومن ثم كان منهجه أدنى إلى

المنهج العلمى الحديث .

ولقد شهد له الكثير من علماء الاجتماع الحديث بأنه هو منشىء علم الاجتماع .

وفى الفصل الثالث : ابن خلدون إمام ومجدد فى علم التاريخ :

إن أهم أثر – فى رأى المؤلف – لابن خلدون هو كتابه الكبير فى التاريخ الذى سماه (كتاب العبر) والذى تشغل البحوث التاريخية مجلدات ستة منه :

أوقف المجلد الثانى على أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى عهده – بما فى ذلك من عاصرهم من الأمم المشاهير كالفرس والقبط وبنى إسرائيل والروم والترك والفرنجة وقد بدأه بالحديث عن أصل الخليقة وأنساب الأمم المختلفة معتمداً على الروايات المنقولة عن العهد القديم والاسرائيليات وعما كتبه المؤرخ اليونانى « هيرودوت » ثم انتقل إلى الحديث عن تاريخ العرب فى الجاهلية واليهود واليونان والفرس ناقلا معظم رواياته عن « ابن العميد » ثم دراسة الأمم الإسلامية حيث تحدث عن ظهور الإسلام وحياة الرسول – عليه الصلاة والسلام – وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية وعصر بنى العباس وتاريخ الفاطميين فى مصر والمغرب وتاريخ الأندلس وتاريخ الترك والسلاجقة والحروب الصليبية دولة المماليك فى مصر . وقد راجع ابن خلدون مؤلفاته بعد هجرته إلى مصر ونقحها وزاد عليها وأضاف إليها حقائق جديدة .

وكتابه الثالث وقفه على تاريخ البربر فى شمال إفريقيا وتبدو أصالة ابن خلدون فى بحوث التاريخ فى أوجه عديدة يجملها – المؤلف – فيما يلى :

١ – تحقيق الوقائع واستبعاد المختلق والمشكوك فيه .

٢ – الاعتماد على البحوث التاريخية الدقيقة التى استمدها من مشاهداته وقراءاته الخاصة ، أو من مصادر موثوق بها .

٣ – الدقة فى التسجيل خاصة فى تاريخ البربر الذى اعتمد فيه ابن خلدون على المشاهدة الشخصية أثناء اتصاله بالقبائل وتنقله بين دول المغرب .

٤ – التبويب والتقسيم الدقيق فى المؤلفات حيث قسمها إلى كتب ثم إلى فصول – ومتابعة تاريخ كل دولة على حدة مع مراعاة الوصل والتداخل بين الدول .

ويمتاز ابن خلدون ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك فى التأليف التاريخى مع الوضوح والدقة فى التبويب وعمل الفهارس ، مما جعل المؤرخ الانجليزى (روبرت فلينت) يشهد له : بأنه « منقطع النظير فى كل زمان ومكان » .

● ● ●

وفى الفصل الرابع : ابن خلدون إمام ومجدد فى فن الأوتــو – بيوجرافيــا — Auto Biographic أى ترجمة المؤلف لنفسه :

يعتبر ابن خلدون مجليا فى هذا الفن من بين مؤرخى العرب والمسلمين بما كتبه عن تاريخ حياته فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » فهو أول بحث مستفيض ملىء بالتفاصيل الدقيقة عن حياته بما فيها من أحداث واعترافات مدعما بالوثائق والخطب والرسائل والتقاريــر والقصائد وافتتاحيات مجالس التدريس ومقتطفات من بعض الدروس كما يشتمل على تراجم قيمة لكثير من رجالات السياسة والأدب والعلم فى عصره .

وقد أدخل عليها تعديلات وتنقيحات وزيادات

وأخبار جديدة واستبدل بعنوانه القديم عنوانا آخر سماه : (التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غربا وشرقا) وتحتفظ (تركيا) بنسختين منه فى مكتبة (أيا صوفيا) و (أحمد الثالث) باسطنبول .

● ● ●

أما الفصل الخامس : ابن خلدون إمام ومجدد فى أسلوب الكتابة العربية :

فإن المؤلف يعد ابن خلدون من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربى ، ومن أبرز المجددين فى أسلوب الكتابة العربية ، فقد سلك أسلوبا جديدا يتميز بالسهولة واليسر والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق وقوة التدليل وترابط الفكرة وحسن الأداء والتناسق وتخير المفردات والتراكيب العربية السليمة والتخلص من قيود السجع والأزدواج والمحسنات البديعية التى كانت تكبل النثر ، فقد أهتم بالمعنى دون تزويق اللفظ والإطناب فى الوصف وكثرة التشبيهات والاستعارات .

ولقد تأثرت بأسلوبه أقلام الكتاب والمؤلفين حتى سيطر على جميع مناحى الكتابة وبفضله عاد للكتابة العربية رصانتها وصفاؤهـا وسلاستها وانطلاقها ـ كما أنه اشتق كثيرا من المفردات والعبارات فى معان علمية جديدة لكنها ، تمت إلى معانيها الأصلية فى علم البيان .

● ● ●

وفى الفصل السادس : ابن خلدون إمام ومجدد فى بحوث التربية والتعليم وفى علم النفس التربوى والتعليمى :

يبين المؤلف أن لابن خلدون فى مسائل التربية والتعليم وتاريخها وفى علم النفس التربوى والتعليمى بحوثا قيمة أصيلة تضعه فى مصاف كبار الأئمة المجددين فقد اهتم بدراسة مواد الخط العربى والكتابة وأسرار الحروف ، ووسع فى تاريخ التربية والتعليم مع توضيحه ما ينبغى أن تسير عليه التربية فى مختلف مراحل التعليم ـ مع عرض للنفس البشرية وطرق إدراكها للحسيات والمعنويات ومظاهرها الإدراكية والوجدانية والنزوعية والتصرفات السلوكية وطبيعة الفكر الإنسانى وطريقة اكتساب المعلومات الحديثة التى تعتمد عليها بحوث علم النفس التربوى .

كما نادى بتدريس القرآن الكريم للأطفال قبل غيره من العلوم لما له من أهمية فى تقويم لسان الطفل ، وبث الأخلاق والمثل العليا فى نفسه قبل غيرها وهو الذى نادى بعدم الشدة عليهم فى التعليم وعدم الاستبداد فى تأديبهم .

وجاء الفصل السابع : رسوخ قدم ابن خلدون فى علم الحديث :

إن ابن خلدون كثير الإطلاع فى كل كتب الحديث قاطبة ـ وكان متمكنا كل التمكن من علوم مصطلح الحديث ورجالاته وأسانيده ـ فقد درس على علماء أجلاء كبار ـ وقد أجيز فى موطأ مالك وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومقدمة ابن الصلاح فى الحديث .

وقد كتب فى مقدمته فصلا كاملا عن علوم الحديث يدل على عظيم تمكنه من هذه العلوم بمختلف فروعها وواسع إطلاعه على ما ألف فيها ـ ولقد عين أستاذا للحديث فى أرقى المدارس العالية بمصر ، ووضع ترجمة دقيقة للإمام مالك بن أنس رضى الله عنه .

● ● ●

وفى الفصل الثامن : رسوخ قدم ابن خلدون فى الفقه المالكى :

تبين أن شهرة ابن خلدون فى علم الفقه المالكى

أوسع من شهرته فى علوم الحديث فقد وجه أكبر قسط من جهده للفقه ـ ودرس مختصر ابن الحاجب وما عليه من شروح وكتاب التهذيب ومختصر (المدونة) و (العتبية) و (الأسدية) وغيرها ولقد أفرد فصلين فى مقدمته الرائعة لعلوم الفقه والفرائض وقد تبوأ منصب أستاذ الفقه المالكى فى أرقى المدارس العالية بمصر ـ كما أنه احتل منصب قاضى قضاة المالكية بها ست مرات .

وفى الفصل التاسع : ابن خلدون وفروع العلوم الأخرى :

تبين حفظ ابن خلدون للقرآن الكريم فى صباه وتجويده فقد درس (الشاطبية) فى القراءات و (العقيلة) فى رسم المصحف ـ وخصص لهذين الفرعين فصلين فى مقدمته .

كما خصص بابا للتفسير وتعرض لبعض التفاسير وعلق عليها بما يوضح مدى اهتمامه ومعرفته بهذا الفرع .

وخصص لعلم الكلام (التوحيد) فصلين طويلين فى مقدمته تحدث فيهما عن نشأة هذا العلم وتطوره وأهم مسائله خاصة ما يتعلق بالإيمان وصفات الله ـ تعالى ـ والمؤلفات فيه ، ونقاط الخلاف بين مذاهبه وطوائفه ، مما يوضح بجلاء سعة اطلاعه فى هذا الميدان ، ولقد اختط ابن خلدون مخطوطا بيده ولمّا يبلغ التاسعة عشرة من عمره وهو (اللباب المحصل) وهى النسخة الفريدة المحفوظة بمكتبة (الاسكوريال) بأسبانيا .

كما أن له مؤلفات فى التصوّف وأصول الفقه والأدب العربى إلى جانب أنه كان شاعرا وملما بعلوم الفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية والرياضية .

وبعد ..

فقد عقد المؤلف مقارنة بين كل من (ابن خلدون) و (أوجست كونت) فى **الفصل الأول** فى الأسباب التى دعت كل منهما إلى إنشاء هذا العلم ، وموضوع الدراسة عند كل منهما ، وأغراضها ومنهجها ، وأقسامها ، والنتائج التى انتهى إليها كل منهما وهى مقارنة علمية تخصصية تغنى القارىء من سبر أغوارها .

كما أننا نعتبر أن المآخذ التى أخذت على ابن خلدون فى الفصل الثانى بسيطة يمكن تدارك آثارها وعدم تأثيرها فى دقة هذا العمل المحكم والجهد الخارق إذ أنه ما كان لينشئه مبرءا من كل عيب .. فإن الكمال لله وحده ـ وحسبه أنه أقام علما جديدا على دعائم قوية ورسم منهجه فى صورة واضحة حيث عرض لكل مسائله بالدراسة الدقيقة وقدم نماذج رائعة لما ينبغى أن يكون عليه البحث الصحيح فجاءت دراسته فى كثير من تفاصيلها كاملة أو أقرب ما تكون إلى الكمال وفى هذا يقول بنفسه فى ختام مقدمته : لقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاء له ولعل من يأتى من بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم متين أن يغوص فى مسائله على أكثر ما كتبناه فليس على مستنبط الفن استقصاء مسائله ، وإنما عليه تعيين موضوع العلم وتنويع فصوله ، وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا إلى أن يكمل » .

ونحن لا نملك إلا أن نسلم بأنه كان نسيجا فريدا فى عالم العبقريات فقد أتى بجميع ما أتى به ووصل إلى ما وصل إليه من شأو رفيع فى عالم المعرفة مع اضطراب حياته وكثرة كوارثها وعدم إلمامه بأية لغة أجنبية تتيح له الاحتكاك بثقافة أخرى ـ غير العربية .

فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مسئولية الإنسان عن الشكر

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، وليس هناك عبارات يمكن أن توفيها ولا أن توفى نعم الله ـ تعالى ـ علينا حقها من الحمد والثناء ، ولكن الله ـ تعالى ـ علمنا حمده وشكره ، وأحبَّ لنا أن نكون من عباده الشاكرين ليديم علينا فضله ويزيدنا من نعمه .

حول خلق الشكر وأهميته كتب لنا الأستاذ/ نجاح عبد القادر سرور ـ المدرس الثانوى بكوم حمادة ـ محافظة البحيرة :

الشكر قرين الذكر .. يقول ـ سبحانه ـ مخاطباً عباده المؤمنين :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة/١٥٢

فالمؤمن ذاكر لله ؛ شاكر لله .. يشكره ـ سبحانه ـ لا لشيء إلا لأنه عبد لله ..وهذا شرف ما بعده شرف .. ولا لشيء إلا أنه ـ سبحانه ـ خالقنا وموجدنا وربنا ، ويشكره ـ سبحانه ـ لأنه رازقنا وواهبنا نعماً لا تحصى ، منها أنه :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ إبراهيم/٣٢ـ٣٤

وقد أثنى الله ـ تعالى ـ على عباده الشاكرين ، فهذا نوح ـ عليه السلام ـ ؛ يقول عنه رب العزة :

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء/٣

وهذا خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ؛ يقول عنه ـ عز وجل ـ : ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ النحل/١٢١

وهذا سليمان ـ عليه السلام ـ يقول عنه الله ـ تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل

وأمر سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحدث بنعمة ربه عليه :

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى/١١

وها هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسجد لله تعالى ليلة ويطيل السجود حتى تتورم قدماه وحين تسأله السيدة عائشة : ـ رضي الله عنها ـ أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .. يقول ـ صلى الله عليه وسلم : ﴿ أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ﴾ رواه البخاري

إننا سنسأل عن كل نعمة .. فهل شكرنا الله تعالى على نعمه التي لا تحصى ؟؟ . إننا لو شكرنا الله تعالى لزادنا من فضله ، وإن جحدنا فليس هناك إلا العذاب .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ابراهيم/٧

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صفة الرحمة

الرحمة سمة جميلة من سمات الأخيار وصفة يتحلى بها عباد الله الأبرار ، وهي رقة في القلب تعين على إسداء المعروف وإغاثة الملهوف ومعاونة المحتاج ، والرحمة لها جوانب كثيرة وشعب متعددة تغطي حياة الإنسان إذا ما تمثلها في جميع أحواله . ورسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ التفت حوله القلوب وهفت إليه النفوس لوضوح هذا الجانب في شخصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان ذا حنان وعطف وبر وإحسان ، والله سبحانه يقول فيه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » الأنبياء / ١٠٧ . حول هذا المعنى كتب لنا القارىء/ محمد حسين يوسف على ـ معهد إسنا :

روى أبو داوود عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وما أعظم أن نبدأ أي عمل نعمله « بسم الله الرحمن الرحيم » ، حتى نتمثلها ونتخلق بها في معاملاتنا مع خلق الله ـ تعالى ـ فنكون أهلاً لرحمته ـ عز وجل ـ في الدنيا والآخرة ، روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » وعن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال ـ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من لا يرحم لا يُرحم » وليست الرحمة قاصرة على الولد أو الأهل والأحبة بل هي عامة تشمل كل شيء حتى الحيوانات ولقد بيَّن لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جزاء المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها ، وجزاء الرجل الذي غفر الله له بسقيا كلب فإذا كان هذا هو جزاء من رحم الحيوان أو أساء إليه ، فكيف بجزاء من رحم الإنسان أو أساء إليه . اللهم اجعلنا من عبادك الرحماء يا أرحم الراحمين .

بأقلام القراء

نعم الحاكم ... ونعم الرجل

تنسب إلى سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنه وصف الخليفة الراشد سيدنا أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - بقوله : « رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا ، وعن الميل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف آمراً ، وإليه صائراً ، وفى الأحوال شاكراً ، ولله فى الرواح والغدو ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبراً وزهادة وكفاية » .

وهو : أبو بكر الصديق بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ولقبه : عبد الله كما يقول ابن هشام : فى سيرته ، وقد نزل فيه قرآن يتلى :

« ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » (التوبة / ٤٠)

رمضان إبراهيم الأقرع
اخناواى - طنطا



الكلمة الطيبة

الكلمة ثمرة ، إما أن تكون ناضجة ، لها ريح طيب ، أو عطبة ريحها خبيث ، وعندما ينطق الإنسان باللفظ فعليه أن يتخير الألفاظ الطيبة التى تثمر الخير والبر والمودة بينه وبين من يخاطبه ، ولا ينزلق لسانه باللفظ السيىء الذى يولد الحقد والكراهية بين الناس ، وعليه أن يكون حذراً ، فلا يحدث مخاطبه إلا بما يحب أن يحدثه به ، وبذلك يتم التآلف بين الناس والمجتمعات .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الكلمة الطيبة وضرب لها مثلا ، والكلمة الخبيثة وضرب لها مثلا ، فقال : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (إبراهيم / ٢٤) .

عماد الدين عبد المنعم
دار طباعة النقد



فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه :

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك الناسى فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك الأحمق فارفضوه .

وفى (البيان والتبيين) للجاحظ :

قال دغفل بن حنظلة : إن للعلم أربعا : آفة ونكدا وإضاعة واستجاعة ، فآفته النسيان ونكده الكذب وإضاعته وضعه فى غير موضعه واستجاعته أنك لا تشبع منه .

وفى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى :

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ الكبائر أربعة فى القلب : الشرك بالله ، والإصرار على المعصية ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره ، وأربعة فى اللسان : شهادة الزور ، وقذف المحصنة ، واليمين الباطل ، والسحر .

محمد ابراهيم الدمرداش
مجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية

رسالة جامعية

« الإتجاه الدينى فى شعر مدرسة الديوان »

نوقشت بكلية اللغة العربية بالزقازيق ـ جامعة الأزهر ـ بشهر ربيع الآخر ١٤١٥هـ رسالة (الماجستير) المقدمة من الباحث / أحمد مصطفى عبد الحميد ، عن الاتجاه الدينى فى شعر مدرسة الديوان ، تلك المدرسة التى تضم « العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى » تناول البحث الجوانب الدينية والاجتماعية فى حياة هؤلاء الشعراء .

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة :

الدكتور / حسن أحمد الكبير .. مشرفا

الدكتور / ابراهيم محمد عوضين .. عضوا

الدكتور / عبدالغفور الأسود .. عضوا

توصلت الدارسة إلى نتائج علمية عدة .

قرر الباحث أن اللجنة منحته درجة « الماجستير » فى اللغة العربية « الأدب والنقد » بتقدير جيد جداً[1] .

---

(١) ترجو المجلة من الباحث تزويد مكتبها بنسخة من الرسالة تكون مرجعا للباحثين .

من إبداعات القراء

هلم ... إلى البوسنة

بمناسبة البيان الذى أصدره مؤتمر الرباط لصالح البوسنة والهرسك وإنقاذها من براثن الصرب، نظم الشاعر / مصطفى محمود مصطفى - من كفر ربيع - منوفية - هذه الأبيات

إخواننـــا فى (بوسنـــة) فى محنـــة
هيـــا هنـــاك ، لنجـــدة الإخـــوان

لم لم تهبـــوا كلكـــم من أجلهـــم ؟
لم لم تثـــوروا ثورة البركان ؟

لم لم تعيروا سمعكـــم لندائهـــم
وصراخهـــم دوّى بكـــل مكـــان ؟

ما لى أرانـــا قد غفلنـــا عنهم
هل ، يا تـــرى سقطـــوا من الحسبـــان ؟

أم قد أعضاءنا فاحبُّ الحيـــاة
وعشقنـــا للهـــو كالصبيـــان ؟

إن التقـــاعس ، لايليـــق بمسلـــم
ورث الحميـــة من ذُرا عدنـــان

قم يا (صلاح الديـــن) أنقـــذ إخـــوة
فى (بوسنـــة) من قبضة العـــدوان

بل أيـــن (خالـــد) كى يصول بسيفـــه
ويجـــدل الأعـــداء فى الميـــدان

يا مسلمـــون : تماسكـــوا فى وحـــدة
فبقـــاؤكم بتماسك البنيـــان

ردود وتعليقات

● القارىء/ فخر الدين حسنين - كلية الشريعة - جامعة الأزهر

نود الاهتمام بالإسناد العلمى فيما كتبت ، مع بيان موقع الآية القرآنية ومصدر الحديث النبوى لأهمية ذلك فى مجلة « الأزهر » .

● القارىء/أمين عبد القادر السيد - دمنهور/بحيرة .

● القارىء/مهدى منصور على - الدلنجات/بحيرة .

● القارىء/عبد اللاه سقاو مراد ــ كلية التربية ــ بقنا .

● القارئة/سارة سمير محمد ــ بدون عنوان .

تلقينا رسائلكم بتقدير بالغ ، ونرى أنه لا شكر على قيام « مجلة الأزهر » بواجبها إزاء تصحيح المفاهيم الخاطئة والتصدى للأباطيل أولا بأول .

● القارىء/شحاتة أحمد أبو بكر ــ بنى سويف ــ ببا .

ليس من شك فى أهمية جهود العلماء والمفكرين فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية من أجل مقاومة الآثار الضارة للثقافات الأجنبية الغازية وحماية شخصيتنا الإسلامية والحضارية ، بل وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى تؤكد ذاتيتنا وتحافظ على هويتنا وتحشد طاقاتنا للتنمية ، ولعل هذا السبيل الهادف هو أفضل سبل المواجهة .

● القارىء/هانى مهنى عبد العليم طه ــ إدكو ــ بحيرة :

لا ننصح شبابنا بقراءة أى كتاب سماوى ، سوى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ذلك أن الله تعالى تكفل بحفظ « القرآن الكريم » دون غيره « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر /٩ ولا عجب من إساءة الأدب فى العهد القديم المتداول مع نبى الله (لوط) وغيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فقد أساء اليهود الأدب مع خالقهم ، وقالوا « يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » المائدة/٦٤ .

● القارىء/الشيخ عبد العزيز فرج إسماعيل ــ زهراء عين شمس بالقاهرة :

مرحبا بكم صديقا لمجلة الأزهر ولكم كل تقدير على هذه المتابعة البناءة .

● القاهرة/عاطف كريم عبد الله ــ بولاق الدكرور/جيزة :

● القارىء/ابراهيم محمد على ــ كلية الحقوق/جامعة القاهرة :

● القارىء/عبد العال فؤاد أحمد ــ روض الفرج/القاهرة :

يمكنكم الحضور إلى مكتب المجلة بالجامع الأزهر ــ بالدراسة ــ لتسلم الهدية الناقصة لديكم .

● القارىء/ياسر محمد حافظ عبد الجواد كلية الزراعة بكفر الشيخ :

تلقينا كلمتكم عن التحليل العلمى والفوائد العلاجية الكثيرة لنبات « البصل » وأثره كمضاد حيوى قوى للعديد من الأمراض ، ولا شك أنه من الخير هذا الاهتمام العالمى به من جانب شركات الأدوية .

● القارى/فؤاد السيد شعيب ــ المدرس بمعهد لقانة الثانوى الأزهرى :

كلمتكم عن « دعاة الباطل » وتساؤلكم أين هم من أخلاق الإسلام ؟ ذكرنى بالحديث النبوى الذى رواه الترمذى وأحمد : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون

على هامش مؤتمر القمة الإسلامى السابع

المنعقد بالدار البيضاء ... المغرب

فى الفترة من ١٣ ــ ١٥/١٢/١٩٩٤م

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

شارك الرئيس محمد حسنى مبارك فى أعمال القمة الإسلامية السابعة التى عقدت بالدار البيضاء بحضور رؤساء دول وحكومات ووفود أكثر من خمسين دولة فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

وقد ناقشت القمة قضايا العالم الإسلامى الراهنة ــ مساء الثلاثاء الموافق ١٠ من رجب ١٤١٥ هـ الموافق ١٣/١٢/١٩٩٤ ــ بالجلسة الافتتاحية التى ترأسها الملك الحسن الثانى عاهل المغرب الذى وجه كلمة إلى المؤتمر أشار فيها إلى أهمية وخطورة المرحلة التى تنعقد فيها القمة موضحاً أن مليار مسلم من مختلف قارات العالم يتطلعون إلى تلك اللحظة التاريخية والنتائج الإيجابية التى يمكن أن تصـ[illegible] القمة .

وقد طالب العاهل المغربى فى ختام كلمته بإنشاء هيئة عليا تنبثق عن المؤتمر الإسلامى تتولى مهمة التعريف بأحكام الإسلام لتجنب الخلط والالتباس فى الدين الحنيف .

وقد ألقى الرئيس محمد حسنى مبارك فى تلك الجلسة كلمة جامعة عن كل الأزمات التى تواجه الأمة الإسلامية وأبرزت الكلمة دور مصر الرائد فى دائرتها الإسلامية ، وقيامها بمبادرات لتقديم حلول عملية وممكنة للتغلب على هذه الأزمات .

وقد ركز الرئيس مبارك فى خطابه على النقاط الرئيسية التالية :

● الدعوة إلى صياغة موقف موحد للدول الإسلامية فى مواجهة الحملات الباغية والظالمة التى يتعرض لها الإسلام حتى لا يكون دور هذه الدول سلبياً ومقصوراً على تلقى ما يصدر عن غيرها من النظم والقواعد المستحدثة .

● التحذير من التداعيات فى وضع الدول الإسلامية وتعرضها لمآس مروعة منها: حرب الإبادة العرقية فى البوسنة والهرسك ، مشيراً إلى أن العالم الإسلامى يمر اليوم بمنعطــــف تاريخى

ومن هنا فإنه يتعرض لاختبار بالغ الدقة والصعوبة .

ودعا سيادته فى هذا الصدد إلى إلقاء نظرة موضوعية فاحصة على أحوال المسلمين من أجل التوصل إلى صياغة رؤية أفضل لمستقبل العمل الإسلامى .

● المطالبة بنبذ الخلافات بين الدول الإسلامية بعضها البعض ، والعمل على حماية الفكر الإسلامى من الأباطيل وتصحيح صورة الإسلام لدى غير المسلمين ، وإقامة العلاقات بين الدول الإسلامية والدول الأخرى على أسس سليمة تقوم على احترام حقوق المسلمين ومشاعرهم .

وقد طرح الرئيس فى خطابه أمام المؤتمر برنامجاً شاملاً لمواجهة أوجه الضعف بحيث تتغلب الأمة على تلك العثرات التى تعترض مسيرتها ، ويقوم هذا البرنامج على أربعة عناصر أساسية وهى :

أولاً : التزام الجميع وبدون استثناء بكل ما تملك من قوة وبأس للحفاظ على عناصر القوة الذاتية لجميع المجتمعات الإسلامية وأن يسعى الجميع إلى تحقيق هذه القوة الذاتية لجميع المجتمعات الإسلامية على امتدادها بدءاً به .

ثانياً : يتعين على الجميع بذل الجهد الصادق والحثيث لحماية الفكر الإسلامى من الأباطيل والخرافات وتصحيح صورة الإسلام لدى غير المسلمين وتنقيتها من الشوائب التى علقت بها بفعل الجهل والتعصب .

ثالثاً : أهمية التزام الأقطار الإسلامية بالتعامل فيما بينها بالحسنى والحق ، فلا بغى ولا عدوان ولا سعى للسيطرة وإقامة مناطق للنفوذ .

رابعاً : التأكيد على ضرورة أن تسعى الدول الإسلامية إلى إدارة العلاقات بينها وبين دول العالم الأخرى على أسس سليمة .

وأشار الرئيس فى ختام خطابه الجامع أمام المؤتمر إلى أن القمة الإسلامية تنعقد هذه المرة فى ظل ظروف حساسة للغاية ومهمة ، تقتضى توحيد الصف ونبذ الخلافات .

ـ ولقد برز اتجاه مصر لتحقيق ذلك الهدف بدءاً من الاجتماعات التحضيرية لوزراء خارجية الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى دعماً لاستمرار مسيرة العمل الإسلامى لمواجهة التحديات التى تعترض طريقها .

وكان مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية قد أنهى أعماله التحضيرية للقمة الإسلامية فى ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء ١٩٩٤/١٢/١٣ حيث دعا المؤتمر فى بيانه الختامى الدول الأعضاء إلى مواصلة الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية ودعم مواقفها فى المفاوضات القادمة من أجل نقل جميع السلطات الوطنية الفلسطينية بما فيها القدس الشريف إليها .

وأشار البيان إلى أن نجاح عملية السلام تتوقف على استنادها لقرارات الشرعية الدولية والالتزام بتطبيقها .

وأكد المؤتمر فى بيانه الختامى أن القدس الشريف جزء لا يتجزأ من الأراضى الفلسطينية كعاصمة لدولة فلسطين ، وأدان المؤتمر بشدة قرار المحكمة العليا فى إسرائيل بإعلان المسجد الأقصى المبارك جزء من دولة اسرائيل ، ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى التزام بتغطية ميزانية كل من صندوق القدس ووقفيته ، وأن تبادر الدول بتسديد مساهمتها فيه .

وأكد المؤتمر التزامه بحماية سيادة جمهورية البوسنة والهرسك وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي وأدان استمرار العدوان الصربي على أهلها ورفض الصرب لخطة السلام الخماسية .

كما دعا البيان إلى نشر مراقبين دوليين على الحدود بين كل من البوسنة والهرسك من جهة وصربيا والجبل الأسود من جهـة أخـرى والاعتراف بالحدود المعترف بها دولياً لجمهوريتي البوسنة والهرسك وكرواتيا وتعليق تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٩٤٣ لسنة ١٩٩٤ وتطبيق العقوبات المفروضة على صربيا والجبل الأسود .

وعلى مدى ثلاثة أيام ناقشت القمة الإسلامية القرارات والتوصيات المرفوعة لها من مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في شأن القضايا الإسلامية المختلفة المطروحة على الساحة حالياً ، تجاه قضايا البوسنة والهرسك والقدس والجولان وقضية لوكربي .

وقرر المؤتمر في ختام أعماله بالاجماع انضمام جمهورية البوسنة والهرسك بصفة مراقب إلى منظمة المؤتمر الإسلامي .

ـ كما أكد البيان الختامي على ضرورة إقرار السلام الشامل والعادل في الشرق الأوسط وطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة الفلسطينية ومرتفعات الجولان السورية وجنوب لبنان . ودعا البيان إلى أهمية تحقيق تقدم على المسارين السوري واللبناني حتى يتحقق السلام الشامل والعادل في منطقة الشرق الأوسط .

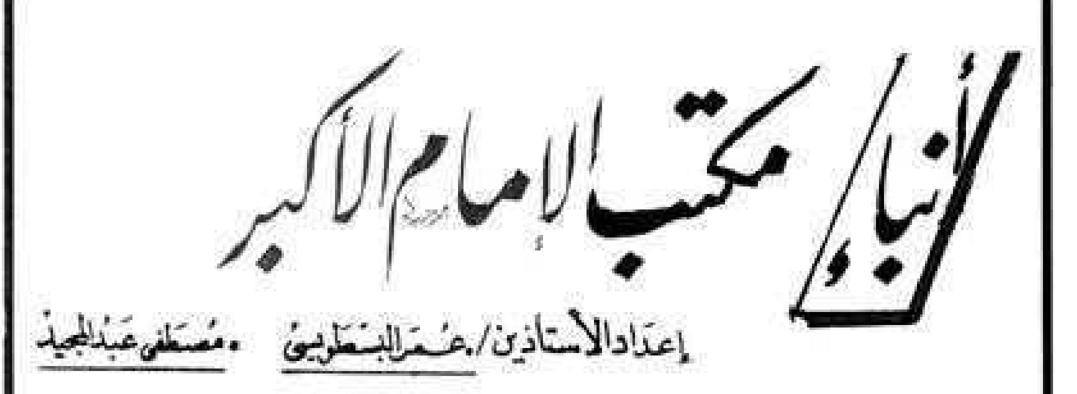
ـ وأيد البيان الجهود التي تبذلها السلطة الفلسطينية برئاسة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات لاستعادة الأراضي الفلسطينية وفي مقدمتها القدس .

ـ كما أيد البيان رؤية الجامعة العربية لحل مشكلة « لوكربي » وأهتم البيان بقضية التضامن مع ليبيا في دفاعها المشروع عن استقلالها وسيادتها على أراضيها .

وقد أعلن الرئيس مبارك في تصريحات صحفية لسيادته عقب انتهاء المؤتمر أن القمة الإسلامية سادها شعور عام بالتضامن ضد الهجمة على الإسلام ومحاولة تشويه صورته .

وقال أن القمة اهتمت أيضاً بقضية البوسنة والهرسك وسياسة التفرقة ضد المسلمين والتى تتبعها بعض القوى الكبرى فضلاً عن الاحساس العام بانعدام العدالة وبالظلم الفادح وسياسة الوجهين في هذه القضية .

وأوضح سيادته أن جميع الـدول أدانت الإرهـاب المبـاشر وغير المبـاشر مؤكـداً التزام جميع الدول الإسلامية بعدم مساندة أى حركة تتستر « باسم الديـن لتساعـد على الإرهاب » ، وقال سيادته إن كل الدول اعتنقت وجهة النظر القائلة بأن الارهاب والتطرف يؤثران سلبيات على الاستقرار ويعرقلان جهود التنمية في الدول الإسلامية .



تكريم فضيلة الإمام الأكبر في احتفال ثقافي كبير بمحافظة الدقهلية

كرمت محافظة الدقهلية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر باعتباره شخصية المحافظة الفكرية والثقافية لهذا العام ، وذلك خلال الاحتفال الكبير الذى شهده العلماء وقادة الفكر والسياسة من أبناء محافظة الدقهلية ، وقد قام فضيلته على مدى ثلاثة أيام بافتتاح العديد من المشروعات التعليمية من معاهد ومدارس وكليات جامعية تابعة لوزارة التربية والتعليم والأزهر الشريف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر في كلمة ألقاها في احتفال التكريم أن موقف مصر من الدفاع عن قضية البوسنة والهرسك موقف مشرف حيث تقوم مصر بدورها حيال هذه القضية في كافة المحافل الدولية بالمطالبة باسترداد المسلمين لحقوقهم وطالب فضيلته الأمة الإسلامية بتوحيد صفوفها تجاه تلك القضية وغيرها من القضايا التى تواجه الأمة الإسلامية .

وأشار فضيلته إلى موقف الأمم المتحدة من تلك القضية ووصفه بأنه موقف سلبى ومتخاذل ، كذلك وصف فضيلته موقف الدول الغربية من تلك القضية بأنه لا يزال متراخياً فى ردع الصرب .

شهد حفل تكريم فضيلة الإمام الأكبر : السيد اللواء إبراهيم حسن الشيخ محافظ الدقهلية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الأستاذ المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر وفضيلة مدير عام الوعظ بالأزهر ولفيف من علماء الأزهر ووزارة الأوقاف والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة .

وسوف تقدم المجلة فى عددها القادم ــ إن شاء الله تعالى ــ تغطية كاملة لمهرجان تكريم فضيلة الإمام الأكبر ومتابعة لافتتاح فضيلته للمشروعات التعليمية الجديدة بالمحافظة .

الإمام الأكبر يشهد حفل افتتاح الدورة التدريبية للأئمة والدعاة الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل افتتاح الدورة التدريبية السابعة والعشرين للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي .

تأتي هذه الدورة ضمن الدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر الشريف لأئمة ودعاة العالم الإسلامي لرفع مستواهم الثقافي وإعدادهم ليكونوا قادرين على مواجهة التيارات الفكرية والتصدي لحملات التشكيك ضد الإسلام .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة حذر فيها من العصبية المذهبية باعتبارها دعوة للفرقة بين الأمة الإسلامية مؤكداً على أن الإسلام لا يقر هذه العصبية مشيراً إلى وحدة المصادر الإسلامية .

كذلك أوضح فضيلته أن الإسلام يدعو للسلام مع الله والأسرة والمجتمع .

يشارك في هذه الدورة (٢٧) داعية يمثلون (١١) دولة هي أمريكا - أوزبكستان - الصين - ألبانيا - الكاميرون - أثيوبيا - كينيا - الكونغو - بلجيكا - نيبال - نيجريا .

شهد حفل الافتتاح السيد السفير مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والسادة سفراء الدول المشاركة في الدورة ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

إعلان مواعيد امتحانات المعاهد الأزهرية

وافق فضيلة الإمام الأكبر على بدء امتحانات الشهادات الأزهرية لدورها الأول يوم السبت الموافق ١٠ يونيو ١٩٩٥ على أن يكون امتحان الدور الثاني يوم السبت الموافق ١٩ أغسطس ١٩٩٥ ، وذلك للشهادات الأربع (الإعدادية والثانوية والمعلمين وعالية القراءات) أما الشهادة الابتدائية فقد تحدد للدور الأول يوم السبت الموافق ٣ يونيو ١٩٩٥م والدور الثاني السبت الموافق ٥ أغسطس ١٩٩٥م .

كما وافق فضيلته على بدء امتحانات النقل بمختلف المراحل بالمعاهد الأزهرية على النحو التالي :

المعاهد الابتدائية « الدور الأول » الأثنين الموافق ١٥ مايو ١٩٩٥م . « الدور الثاني » السبت ١٥ يوليو ١٩٩٥ م .

المعاهد الثانوية والقراءات والمعلمين « الدور الأول » السبت ٢٠ مايو ١٩٩٥م . « الدور الثاني » السبت ٢٩ يوليو ١٩٩٥ م

مع أطيب التمنيات لجميع الطلاب بالتوفيق والنجاح .

الإمام الأكبر يستقبل سفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ محمد شمس الدين سفير جمهورية السنغال بالقاهرة ورئيس السلك الدبلوماسي الإفريقي بالقاهرة ، حيث نقل لفضيلته تحيات الرئيس السنغالي عبده ضيوف وتحيات وتقدير بلاده حكومة وشعباً لمواقف الأزهر المشرفة وتعاونه المثمر دائماً مع الشعب السنغالي المسلم ، وقد جدد السيد السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث وعد فضيلته بتلبيتها في أقرب فرصة ممكنة .

ويستقبل سفير كندا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد/ (مايكل بل) سفير كندا بالقاهرة الذى تولى منصبه الجديد سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر

وقد تناول اللقاء دور الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى باعتباره أكبر هيئة علمية دينية معروفة عالمياً ، كما استوضح الضيف عن مساعدة الأزهر للأقليات الإسلامية فى الدول المختلفة ، حيث أوضح فضيلة الإمام الأكبر مدى استجابة الأزهر لاحتياجات الأقليات ودعمها على مستوى العالم ، وقد أبدى السيد السفير إعجابه الشديد وتقديره الكامل لهذا الدور العظيم الذى يقوم به الأزهر وعلماؤه لخدمة الإسلام والمسلمين ، وخاصة فى ايجاد الحلول والفتاوى الدينية للقضايا المعاصرة .

الإمام الأكبر ووزير الصحة يفتتحان المؤتمر الثانى للعظام والإصابات

افتتح فضيلة الإمام الأكبر والدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة المؤتمر الدولى الثانى للعظام والإصابات بكلية الطب جامعة الأزهر ، والذى عقد تحت رعاية الرئيس / محمد حسنى مبارك .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للمؤتمر أوضح فيها أن منهج الإسلام نحو الحفاظ على سلامة الإنسان جسديا ونفسيا ، جعل للوقاية أهمية بالغة ولم يغفل الوسائل العلاجية .

من ناحية أخرى أشاد الأستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة بالمستوى العلمى والعالمى الذى وصل إليه أطباء العظام المصريين الذين سجل البعض منهم مخترعات علمية بأسمائهم ، تضيف إلى سجلات التفوق المصرى الكثير .

إنشاء وضم معاهد أزهرية جديدة

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم تسعة عشر معهداً بمختلف محافظات الجمهورية إلى الأزهر الشريف وتشمل مراحل التعليم المختلفة الابتدائية والإعدادية والثانوية .

كذلك انتهت الإدارة الهندسية بالأزهر من إعداد الرسومات الهندسية لسبعة معاهد أزهرية يقوم الأزهر بإنشائها على نفقته الخاصة بمحافظات الفيوم والمنوفية والجيزة والدقهلية وبنى سويف والمنيا والإسماعيلية .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اجتماع مجلس الآباء والمعلمين الذى عقد بقاعة الاجتماعات بالأزهر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٤/١٢/١٣ حيث تم خلال الاجتماع الموافقة على خطة المجلس فيما يتعلق بالنشاطات والخدمات الطلابية حتى نهاية العام المالى الحالى .

كذلك أوصى المجلس بالتخفيف عن كاهل أولياء الأمور والطلاب ، والاهتمام بالمستوى العلمى للطلاب ، ورفع كفاية المعلمين دعماً للمكانة التى تليق بالأزهر الشريف .

وقد أعطى فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته للمسئولين عن وضع أسئلة الامتحانات بأن تكون فى مستوى الطالب المتوسط وأن تكون بعيدة عن الغموض والتعقيد .

الإمام الأكبر يشارك فى اجتماعات المجلس الأعلى العالمى للمساجد

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة السادسة عشرة للمجلس العالمى للمساجد بمكة المكرمة ، حيث ناقش المجلس عدة قضايا هامة فى مقدمتها : قضايا القدس ، والمسجد الأقصى ، والحرم الإبراهيمى ، وأوضاع المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وأفغانستان ، والصومال ، وكشمير ، والفلبين ، وتايلاند ، وبورما ، والهند .

كذلك ناقش المجلس بعض القضايا الخاصة بالنحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية ، وبعض القضايا التى تهم المسلمين مثل : مناهج التربية ووسائل الإعلام فى الدول الإسلامية ، ودور المسجد فى توحيد كلمة المسلمين .

وقد شهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الجلسة الافتتاحية لأعمال المجلس ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى تلك الجلسة أن رسالة المسجد هى عصب الدعوة الإسلامية مشيراً إلى أن صلاح هذه الأمة لن يكون إلا من خلال المسجد ، فهو القادر على جمع كلمة المسلمين وتضميد جراحهم وتوحيد كلمتهم وهويتهم موضحا أن علو الأمة يعلو مساجدها كما كانت فى سيرتها الأولى .

أشار فضيلته إلى أن قضايا الأمة كثرت وتكاثرت وأن أعداء الأمة كثير يناهضونها بكل الطرق مؤكدا على ضرورة أن ترتقى منابر الأمة لتقودها إلى حل مشاكلها .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الشورى السعودى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر سماحة الشيخ محمد بن جبير رئيس مجلس الشورى السعودى والوفد المرافق لسماحته .

تم خلال اللقاء بحث عدد من القضايا الإسلامية ومهام الأزهر وهيئاته المختلفة فى الماضى والحاضر .

شهد اللقاء السيد أسعد أبو النصر سفير المملكة العربية السعودية فى القاهرة والأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس لجنة الشئون العربية والخارجية بمجلس الشورى ورئيس جامعة القاهرة .

مجمع البحوث الإسلامية يناشد الفلسطينين الوحدة

ناشدت لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية الفصائل الوطنية الفلسطينية فى غزة أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم على الهدف الواحد .

ووصفت الخلافات التى وقعت بينهم ـ وراح ضحيتها قتلى وجرحى ـ بأنها معول هدم لقضيتهم من الداخل وفتنة بعيدة المدى وخيمة الأثر .

وطالبت اللجنة ـ فى بيان أصدرته عقب الأحداث الأخيرة المؤسفة التى وقعت فى قطاع غزة بين الفلسطينيين ـ ذوى الحمية الإسلامية والعربية أن تكون عيونهم على هذه الفصائل تجمع شملها وتبصرها بأن المؤامرات ضد قضيتهم لاتزال مستمرة وتتطلب التماسك والوحدة بعيداً عن الخلافات .



إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

جامعة الأزهر

صرح الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر أنه قد تم توقيع العديد من الاتفاقيات ، لإنشاء مراكز إسلامية وكليات جامعية لتدريس الدين الإسلامي بالجمهوريات الإسلامية بروسيا ، بالإضافة إلى تنظيم قوافل التوعية الدينية/والدعوة لمساعدة المسلمين في تلك البلاد .

هذا وقد قدمت الجامعة خلال العام الحالي ٣٥٠ منحة دراسية لطلاب من أزربيجان وكازاخستان وغيرهما من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى .

كازاخستان

أكد رئيس كازاخستان : أن حكومته استطاعت خلال السنوات الماضية إنشاء العديد من المدارس الإسلامية ، وزيادة عدد المساجد والتوسع في عقد الندوات واللقاءات في مدن وقرى الجمهورية ترسيخا للعقيدة الإسلامية ومكافحة للتيارات الشيوعية المتخلفة عن العهود البائدة التي لاتزال تحاول التغلغل في تلك الجمهوريات الإسلامية الوليدة .

عن صحيفة المدينة السعودية

البحيرة

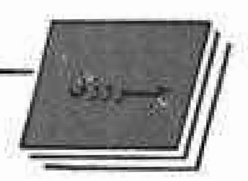
طالبت لجنة التوعية الدينية بمحافظة البحيرة من محافظات جمهورية مصر العربية بإرسال المقترحات المقدمة من موجهي التربية الدينية الإسلامية بمديريات التربية والتعليم بالمحافظة ، لتطوير منهج التربية الإسلامية في مراحل التعليم المختلفة إلى وزارة التعليم ، وذلك لدراستها وإمكانية الأخذ بها .

من أخبار المسابقات

بدأت يوم الأحد ٢٢ رجب ١٤١٥ هـ المسابقة العلمية والثقافية لشباب الجامعات ـ التي تنظمها كلية الطب بجامعة الأزهر ـ في مركز الشيخ صالح كامل بمدينة نصر .

صرح بذلك الدكتور زكريا شيحة عميد طب الأزهر والمشرف على المسابقة التي تشتمل على التنافس بين الطلاب المتفوقين في تجويد وحفظ القرآن الكريم ، والمعلومات العامة ، ومجلات الحائط .

هذا وقد شارك في حفل الافتتاح رئيس جامعة الأزهر ورئيسا جامعتي القاهرة وعين شمس ولفيف من الأساتذة والطلاب .



أفادت الأنباء أن القوات الروسية اقتربت من العاصمة الشيشانية (جروزنى) . وقد دار معظم القتال حول بلدة (آرجون) الواقعة على مسافة حوالى ١٥ ك متر إلى الشرق من عاصمة جمهورية الشيشان المسلمة ، التى أعلنت استقلالها من جانب واحد عام ١٩٩١م ، وذلك تحت قيادة الرئيس المسلم جوهر داوود .

ويتزايد القلق الدولى من جراء التدخل العسكرى الروسى ، وذلك لازدياد الخسائر بين الأرواح فى المدينتين ، الناشىء عن القصف العشوائى البربرى العنيف .

وأبرزت الصحف البريطانية المناورات السياسية فى موسكو مؤكدة أن القيادة العليا للجيش الروسى منقسمة على نفسها وذلك بسبب تدخل الجنرالات فى السياسة ، وبعض الاستقالات التى قُدمت احتجاجا على الغزو الروسى غير المبرر .

وأكدت الصحف : استمرار التحدى الشيشانى القوى الذى تسانده معظم شعوب القوقاز فى حرب عصابات تتخذ من الجبال مستقراً لها .

الإســلام فى أفريقيــا

عقدت الجمعية الأفريقية بالقاهرة ندوة بعنوان « الإسلام فى أفريقيا » وذلك فى ختام دورتها الثقافية الخامسة عشرة .

حضر الندوة : لفيف من المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والأفريقية ، حيث ناقشوا مشاكل المسلمين فى إفريقيا والحلول المقترحة فى حدود الموارد المتاحة .



قال الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش : إن وقف إطلاق النار الذى يسرى مفعوله ظهر يوم السبت الحادى والعشرين من رجب ١٤١٥ هـ قد يمثل الخطوة الأولى نحو استتباب الأمن وأن الجانب البوسنى سيلتزم بذلك الاتفاق التزاما كليا . هذا وقد وافقت الحكومة البوسنية على وقف إطلاق النار فى مختلف أنحاء الجمهورية اعتبارا من ظهر السبت وكانت قيادة حرب البوسنة قد أعلنت موافقتها على نفس الاتفاقية يوم الجمعة .

يقول مراسل هيئة الإذاعة البريطانية إن الوثيقة الجديدة للمفاوضات خلت من شرط المفاوضات المستقبلية على أساس خطة مجموعة الاتصال الدولية ، وهو ما يعد تنازلا من حكومة البوسنة نتيجة مماطلات القوى الكبرى المستمرة فى تطبيق الاتفاقيات كما تم إسقاط بند تبادل أسرى الحرب .

l'homme de la foule ignorant et sans scrupule, prêt a suivre n'importe quel harangueur... Ô Kumail! La science a plus de valeur que la richesse! C'est la science qui monte la garde pour te protéger, tandis que c'est toi qui montes la garde pour protéger ta richesse! La richesse diminue quand on la dépense, tandis que la science croît quand on la dépense".

On rapporte également de lui ces propos: "accorder beaucoup d'importance au monde d'ici bas, malgré tout ce que l'on voit, c'est de l'ignorance! N'agir que partiellement en faveur du bien, alors que la rétribution et certaine, c'est de la négligence! De même, placer sa confiance en quelqu'un sans l'avoir mis à l'épreuve auparavant, c'est de la faiblesse!".

L'éloquence de l'Imam Ali - qu'Allah soit satisfait de lui - ne se limitait pas à la prose. Chi'bi a rapporté que Abou Bekr et Omar - qu'Allah soit satisfait d'eux - savaient tous les deux composer des poémés, mais que Ali était encore meilleur poète.

Voici quelques vers d'un poème attribué à l'Imam Ali

"Certes, les actes nobles sont des vertus morales purifiées;

La religion en est la première, et la sagesse la deuxième

La science en est la troisième, et l'indulgence la quatrième.

La générosité en est la cinquième et l'obligeance la sixième

La bonté la septième et la patience la huitième

La reconnaissance la neuvième et la douceur les parachève

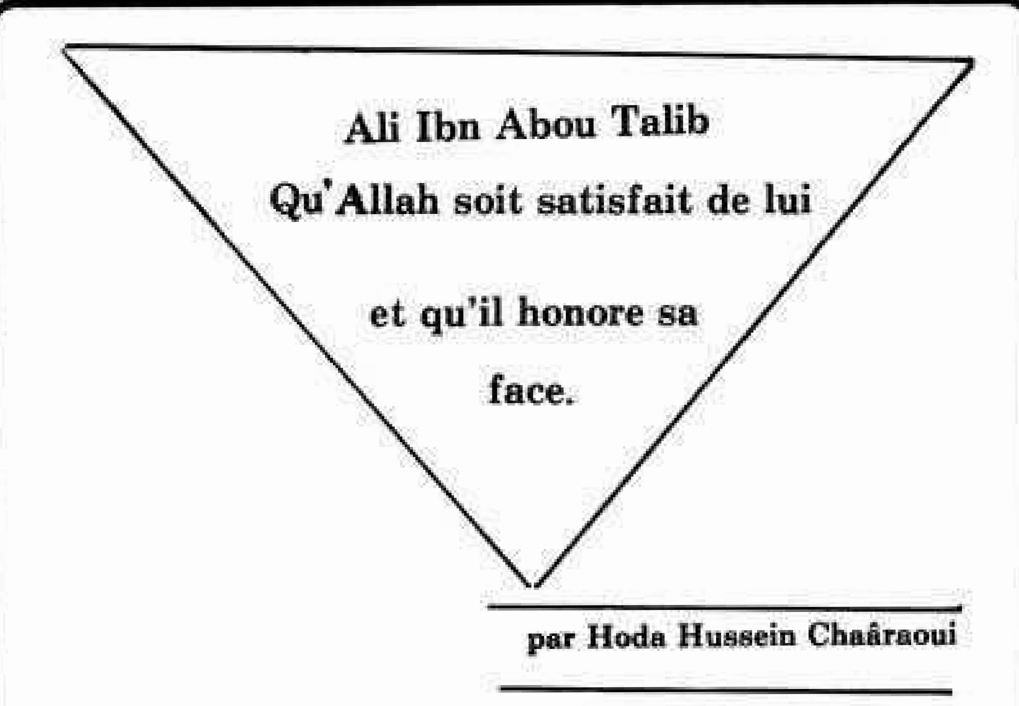
Et mon âme sait bien que pour atteindre la sagesse, je dois lui désobéir".

Il a dit aussi: "L'orphelin n'est pas celui qui n'a point de père, le vrai orphelin est celui qui n'a ni science, ni éducation".

Ali, était un homme que les biens de ce monde n'intéressaient pas. Quelqu'un qui s'était aperçu que le calife portait des vêtements raccomodés lui en fit la remarque pour qu'il les change, mais Ali lui répondit: "C'est un vêtement qui pousse à réfléchir et qui incite le coeur au recueillement et à la piété". Omar Ibn Abd Al Aziz a dit: "Ali Ibn Abou Taleb était l'homme le plus ascète de ce monde".

En effet Ali était un homme exceptionnel. Ainsi il a émis des avis qui font autorité en droit, en morale, en littérature et en politique... Sa capacité en matière juridique était telle que le calife Omar Ibn Al Khattab avait recours à lui dans les affaires litigeuses et difficiles. On rapporte que le calife Omar dit un jour: "Si Ali n'avait pas été là, Omar aurait couru à sa perte".On raconte aussi, qu'aucun des compagnons du Prophète - (b.s) n'aimait qu'on le questionne excepté Ali, qui disait: "Interrogez - moi". Ali a transmis 586 Hadiths du Prophète (b.s). Quand on lui demanda comment il parvenait à retenir un si grand nombre de Hadiths, il répondit: "J'ai pris l'habitude de questionner le messager d'Allah, et il me répondait; quand je me taisais c'était le messager d'Allah qui m'interpelait et prenait l'initiative de m'apprendre quelque chose". Le savoir de Ali est devenu aussi légendaire que la personne. Combien l'imagination populaire n'a-t-elle pas rapporté d'histoires extraordinaires... Mais cette imagination populaire ne peut ignorer la réalité de sa science, sa modestie et son ascétisme.

Qu'Allah bénisse le calife Ali Ibn Abou Talib, et qu'il le comble de ses bienfaits, qu'il honore sa face et qu'il soit satisfait de lui pour tout le bien et toute la science qu'il apporta à la communauté



par Hoda Hussein Chaâraoui

L'éloquence de Ali

Le calife Ali Ibn Abou Talib - qu'Allah soit satisfait de lui et qu'il honore sa face - était réputé pour son éloquence, sa science et sa sagesse. Ali était de ceux qui avaient appris par coeur tout le Coran et ainsi que la façon de le réciter comme le Prophète (b.s.). En décrivant la connaissance qu'il avait du livre d'Allah, il a dit: "Il n'y a pas un seul verset dont je ne connaisse la raison pour laquelle il a été révélé, la cause et le lieu de sa révélation. En vérité, mon seigneur m'a donné un coeur qui mémorise bien les choses, et une langue qui s'exprime facilement". Parmi les paroles du quatrième calife qu'Allah soit satisfait de lui on a rapporté ce qui suit: "Sachez que ce Coran est le meilleur des conseillers: il vous conseillera sans jamais vous léser et il vous guidera sans jamais vous égarer. Il est l'interlocuteur qui ne ment jamais. Quiconque s'assied en sa campagnie en sort guidé vers le bon chemin".

Il a dit aussi: "Le destin dépend des jours: un jour pour toi, un jour contre toi! Alors, quand il est en ta faveur, ne sois pas trop fier et sois modeste, et quand il est contre toi, sois patient'.

Kumaïl Ibn Ziyad, son disciple, a raconté que l'Imam Ali, l'avait pris par la main pour aller visiter les morts dans le cimetière et qu'ils s'étaient ensuite retirés dans un coin isolé du désert, l'Imam avait alors respiré profondément, puis lui dit: "Kumaïl Ibn Ziyad!, Les coeurs sont comme des réceptacles et les meilleurs d'entre eux sont ceux qui sont les plus conscients, les plus éveillés! Alors sois bien attentif à ce que je vais te dire. Il y a trois sortes d'hommes: le savant qui est guidé par Allah, et tout proche de Lui; celui qui cherche à acquérir la science pour se préserver de l'égarement, puis

cela : Il vous rassemblera le Jour de la Résurrection où que vous soyez et nul ne lui échappera. Allah détient toute chose y compris le pouvoir de donner la vie et la mort, de ressusciter et de ramener à la vie.

149- Où que tu sois, tourne ta face en direction de la Mosquée Sacrée, que tu sois dans ton lieu de séjour, au cours d'un voyage ou en quittant ta demeure. Ceci est la Vérité conforme à la sagesse d'**Allah** qui est compâtissant à ton égard. Veille à exécuter cela, toi et ton peuple; car **Allah** vous rétribuera de la meilleure des façons. **Allah** est omniscient et aucune de vos actions n'échappe à Son savoir.

150- Conforme - toi à l'ordre d'**Allah**, au sujet de la Qibla et veille à l'exécuter toi et ton peuple. Tourne ta face du coté de la Mosquée Sacrée, quel que soit le lieu par lequel tu pars durant tes voyages. Où que vous soyez dans tous les coins de la terre, que vous soyez résidents ou voyageurs, tournez - vous vers cette Qibla, pour couper court à tous les arguments par lesquels les opposants vous critiquent si vous ne respectez pas cet ordre de changer votre orientation. Les juifs diront : *"Comment Mohammad prie-t-il ; en se tournant vers le Temple de Jérusalem, alors que le prophète décrit par nos Livres devrait changer son orientation vers la Ka'ba?"* De leur côté, les polythéistes arabes diront : *"Comment prétend - il appartenir à la race d'Abraham, tout en ne respectant pas sa Qibla ?"* Toutefois, les injustes qui sont loin de la Vérité ne cesserront ' urs discussions ni leur égarement, mais diront : *"Il ne s'est tourné vers la Ka'ba que par penchant pour la religion de son peuple et par amour pour son pays.*

Ne leur prêtez aucune attention car leurs objections ne vous causent aucun tort. Mais craignez-moi et ne désobéissez pas à mes ordres. Nous avons voulu par cet ordre parfaire nos bienfaits envers vous et pour que cette Qibla vers laquelle Nous vous avons dirigés soit plus aptes pour vous affermir dans le Droit Chemin.

151- Votre orientation vers la Mosquée Sacrée a eu lieu au moyen d'un messager choisi parmi vous et envoyé par Nous pour vous réciter des signes (versets) qui vous apprennent que Nous avons parachevé nos bienfaits pour vous, tout comme Nous avons parachevé pour vous ce bienfait-le Coran- Il purifie pratiquement vos âmes des souillures du polythéisme, des défauts de caractère et de coutumes et il s'adresse à vous d'une manière scientifique grâce au savoir contenu dans le Coran et aux sciences utiles et il vous enseigne ce que vous ignoriez. Vous viviez avant cela dans l'obscurantisme des ignorants et l'égarement des aveugles.

C'est ainsi que le Coran confirme que le changement d'orientation vers la Ka'ba dans la prière des musulmans était une révélation d'**Allah**.

De plus, c'est là que se trouve le sanctuaire d'Abraham, c'est donc une Qibla universelle bien qu'elle diffère de la Qibla des juifs. Voilà donc que Nous t'accordons ce que tu as demandé : dans ta prière tourne-toi vers la Mosquée Sacrée et vous les croyants, également, où que vous soyez faites de même. Quant aux gens du Livre qui désapprouvent que vous abandonniez la Qibla du Temple de Jérusalem, ils savent par leurs Livres que vous êtes les gens de la Ka'ba et ils savent également qu'**Allah** a voulu spécifier pour chaque religion une orientation qui lui est propre. C'est là la Vérité de la part de votre Seigneur. Pourtant ils veulent vous séduire et vous faire douter de votre religion. **Allah** ne les perd pas de vue et il les châtiera pour leurs actions.

145- Ce désaveu des gens du Livre n'est pas dû à un doute qu'un argument peut dissiper, mais c'est un refus par obstination et orgueil. Ô Messager, si même tu leur apportais tous les arguments formels que ta Qibla est la vraie, ils n'adopteront pas ta Qibla. Si les juifs parmi eux espèrent que tu reviendras à leur Qibla et s'ils disent que c'est là la condition de leur conversion à l'Islam, ils seront bien déçus : tu n'adopteras point leur Qibla. D'ailleurs, les gens du Livre eux - mêmes tiennent chacun à sa Qibla : ni les chrétiens adoptent la Qibla ... (des juifs), ni les juifs adoptent celle des chrétiens, et chaque parti est convaincu que l'autre a tort. Conforme - toi à ta Qibla et ne suis pas leurs désirs; celui qui se conforme à leurs désirs après avoir su qu'ils sont dans l'erreur et que ce que tu suis est la Vérité, sera considéré comme un injuste, profondément ancré dans l'injustice.

146- Les gens du Livre savent bien que le changement d'orientation de la Qibla est vrai et ils reconnaissent que tu es bien le prophète mentionné dans leurs Livres et, parmi ce qui est dit de toi c'est que ce prophète prie en se dirigeant vers la Ka'ba. Ils connaissent ta prophétie et ta Qibla aussi clairement qu'ils connaissent leurs propres enfants. Toutefois, certains d'entre eux, cachent cette vérité qu'ils connaissent pour suivre leurs passions et par fanatisme erroné pour leur race afin de conserver leur puissance; c'est pourquoi ils essaient de vous égarer.

147- La Vérité c'est ce qui t'es venu de la part d'**Allah** - le Très - Haut - et non ce que disent les gens du Livre pour vous égarer. Ayez la certitude de cela et ne soyez point parmi les sceptiques et les hésitants. La question de la Qibla fait partie de cette Vérité, adoptez - la sans vous soucier des opposants.

148- Cette Qibla vers laquelle Nous t'avons orienté est ta Qibla et celle de ta communauté; ainsi chaque communauté a une Qibla vers laquelle elle s'oriente dans ses prières selon sa religion précédente, et il n'y a là aucune préférence; mais la préférence sera en fonction de l'obéissance et des actes pieux : empressez - vous donc de faire le bien et surpassez - vous dans ce domaine. **Allah** vous jugera sur

Le changement d'orientation de la Qibla

par Dr Rokeya GABR

Voici ce qu'on trouve dans le Coran , d'après les versets 142 à 151 de la Sourate "Al Baqara " (La Vache) au sujet du changement d'orientation de la "Qibla".

142 - Les simples d'esprit, parmi les juifs, les polythéistes et les hypocrites, que leurs passions ont égarés en les empêchant de penser et de réfléchir, critiqueront les croyants parce qu'ils ont changé l'orientation de leurs prières (Al Qibla) du Temple de Jérusalem vers lequel ils se dirigeaient en priant, à une autre Qibla qui est la Ka'ba. Dis-leur, ô Prophète, que toutes les direction appartiennent **à Allah** et qu'aucune n'est préférable à l'autre et que c'est **Allah** qui choisit l'orientation qu'Il veut pour être une Qibla pour la prière. C'est par Sa volonté qu'Il guide chaque peuple vers une voie droite qu'Il lui choisit en particulier. Le Message de Mohammad a abrogé tous les messages qui l'ont précédé; ainsi la vraie Qibla est devenue la Ka'ba [1].

143- C'est par cette volonté que Nous vous avons guidés vers la Voie la plus droite et que Nous avons fait de vous une communauté modérée et élue meilleure grâce à la religion authentique et aux actions pieuses vers lesquels Nous vous avons guidés afin que vous confirmiez la Vérité au sujet des religions précédentes et afin que le Messager ait la suprématie sur vous en vous corrigeant par ses directives durant sa vie et par son exemple et sa tradition après sa mort. Quant à l'orientation (Qibla) vers le Temple de Jérusalem que Nous t'avons prescrit d'adopter durant un certain temps, elle était une épreuve pour les musulmans afin de distinguer ceux qui sont soumis et qui s'y plient docilement de ceux qui, dominés par leur fanatisme arabe pour le patimoine d'Abraham, se rebellent contre les ordres d'**Allah** et qui égaré de la Voie Droite. Or, l'ordre de se tourner vers le Temple de Jérusalem était parmi les choses qui étaient pénibles, sauf pour celui qu'**Allah** avait guidé. Le fait de se plier à cet ordre faisait partie des fondements de la foi. Celui qui s'était tourné vers le Temple de Jérusalem au moment où l'ordre fut révélé (de se tourner vers la Ka'ba) sera tojours considéré comme un croyant, et cela par la clémence et la miséricorde d'**Allah**.

144- Nous avons vu comment tu te tournais vers le ciel avec l'espoir de recevoir une révélation relative au changement d'orientation de la prière du Temple de Jérusalem à la Ka'ba que tu aimes parce qu'elle était la Qibla d'Abraham, le père des prophètes, l'ancêtre des juifs et des arabes.

Note 1 (v 142) : Le changement d'orientation de la Qibla eut lieu environ dix -sept mois après l'arrivée du Prophète Mohammad (b.o.) à Médine.

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part VIII

Shaban 1415 Hijrah

Section Française

(4) Causing people to feel frustrated about Islam and its callers to the extent that they feel deep in their hearts that there is no use in any Islamic action as long as it is going to be hit from the outside or corroded from the inside.

(5) It is better for those reforms, who seek perfection without destruction, killing or sabotaging, to read God's saying to the prophet's (MPBUH) companions after the battle of Uhud :

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

"What ! when a single Dissater smites you, Although ye smote (your enemies) with one turice as great, Do ye say? "whence is this?" Say (to them) : "It is from yourselves : For Allah hath power over all things."

"Surat : Ali 'Imran, 165"
(Yusuf Ali, P. 171)

Therefae, you our Muslim youth be faithful soliders to the Islamic call (Al Daawa) be aware of your mission and perform your call discerningly. Try to ease and not to complicate or discourage people. Have faith in people and trust them. Follow the path of those who are well known for their wide knowledge, sincerity, faithfulness, piety and moderation in order to enable the Muslims understand the truth of their religion and its aims.

* This essay is bassed on the essay written by Soliman Abdel Hamid El Fiki (Al-Azhar magazine)

"Invite (all) to the way of thy lord with wisdom And beautiful preaching: And argue with them In ways that are best And most gracious".

"Surat : Al Nahl, 125"
(Yusuf Ali; P. 669)

As well as in this saying :

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين

"Say thou : "this is my Way : I do invite unto Allah.
On evidence clear as the seeing with one's eyes. I and whoever follows me. Glory to Allah ! and never will I join gods with Allah"

"Surat : Yusuf, 108"
(Yusuf Ali, P. 582)

Thus, exaggeration and fanaticism are legislatively refused whatever the reasons may be, for they are disgusting matters and they cause destruction. Fanaticism is a phenomenan that had prevailed among the followers of the previous religions and had caused them complete destruction. God, the Most Exalted, says about them :

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

"Say : "People of the book ! Exceed not in your religion the bounds (of what is proper) Trespassing beyond the truth, Nor follow the vain desires Of people who went wrong In times goneby-who misled Many, and strayed (themselves) From the even Way."

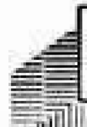
"Surat : Al Ma'idah, 77"
(Yusuf Ali, P. 273)

Hence, this means that there is no extermism or fanaticism or exaggeration in Islam. If the enemies of Islam wanted really to fight extermism they would not unjustly disgrace the religion of moderation by describing it as being the religion of extermism and rigidity. Their real aim is to defame Islam by several means :

(1) Dicouraging Muslims from abiding by their religion as a system of ruling and a method of life for its being, as they claim, a religion of extermism, complexity and severity.

(2) Preoccupying the minds of the Muslim youth with trivial matters and wasting their intellectual efforts and their energy in heartily calling for these matters, arguing about them, and even fighting over them so as to be preoccuppied with anything other than the decisive issues.

(3) Spreading division among the different Islamic powers so as not to direct their efforts against their common enemy but to conflict among themselves and exchange accusations to the extent that they may accuse one another of atrocity and infidelity. Thus, they destroy one another and undermine one another by their own hands. Meanwhile, the lurking enemy is happily watching what is going on among these conflicting powers and it is possible, when necessary, to interfere to finish off their remanents.



Malicious Slogans*

By : Nahed Muhamad Wasfi Ph.D.

There are many of those who want to distort the image of Islam by falsehood and deception in the name of enlightnment and renovation, or development and modernization, or extermism and terrorism, or under the pretext of protecting art and creativeness, or fighting rigidity, or under any other allegations or glittering slogans by which the proponents of obscurantism and darkness sweeten their poisons, wrap their dissipation and their abandonment of virtues. Thus, the fields of confrantation have become numerous, the forms of conspiracy have varied, and the aim is quite clear and quite known :

وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا

"Fighting you until they turn you back from your faith If they can"

"Surat : Al Baqarah, 217"
(Yusuf Ali, P. 87)

Those aliens who claim to be supporting and protecting Islam are much in need to abide by the guidance of Islam in their call (Daawa) and in their behairour. Also those who seek real enlightnment are much in need to benefit from Islam as a religion based on moderation. It is only then that the nation can unite, can line up its soliders and can mobilize itself to confront its greatest enemy.

Islam is a religion which is justly balanced. It is the religion of moderation, easiness and not complexity :

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

"Allah intends every facility for you; he does not want to put you to difficulties"

"Surat : Al Baqarah, 185"
(Yusuf Ali, P. 74)

The Islamic nation is a nation that has been described as being a justly balanced nation :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

"Thus we have made of you An Ummah justly balanced that ye might be witnesses over the nations, And the Messenger a witness over yourselves."

"Surat : Al Baqarah, 143"
(Yusuf Ali, P. 58)

The call for Islam (Al Daawa) is governed by a number of fixed and precise criteria which do not change or alter. God, the Most Dignified and Glorified, clarifies these criteria in this saying :

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

سورة النحل (١٢٥)

the Book at a higher rank and treated them more honourably. Allah, the Almighty, says in the Surah of the Spider:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

"And argue not with the People of the Scripture unless it be in (a way) that is better, save with such of them as do wrong; and say: We believe in that which has been revealed unto us and revealed unto you; our God and your God is One, and unto Him we surrender".

(Surah The Spider-ayah: 46)

Islam distinguishes three categories of non-Muslims: the fighters, those who have a treaty with the Muslims and the Ahlu-l-zimmah.

As regards fighters, Islam has ruled that Muslims should fight them back if they attack them. If, on the other hand, they plan to attack Muslims, then Muslims should take initiative to prevent them. Muslims are to correct them if they violate what is right till they resort once more to justice. Allah, the Almighty says in Surah Al Hajj (The Pilgrimage).



"Sanction in given unto those who fight (who are fought by the aggressors) because they have been wronged (their enemies have treated them unfairly); and Allah is indeed able to give them victory.").

(Surah The Pilgrimage-ayah: 39).

Allah, the Almighty, also says in Surah Al Baqarah (The Cow):



"Fight in the way of Allah against those who fight against you, but begin not hostilities. Lo! Allah loveth not aggressors".

(Surah The Cow-ayah: 190).

Fighting cannot be considered for the cause of Allah, unless Muslims abide by the gratification of Allah. Nothing but equity, justice, mercy, preferrence of what is right over what is wrong and of good over evil in all deeds gratifies Allah, the Almighty. He who trangresses this shall not be regarded as following his way; neither would be considered by Muslims as legal. Details of Islamic legislation concering war and fighting parties, as found in the Holy Quran and the Traditions of the Prophet. (MPBUH) indicate that Islam has prescribed sublime human principles be implemented in battle fields. It has regarded it as a debt to be accounted for before Allah, the Almighty, in addition to shame inflicted upon them if this world if they violate these sublime principles. No other nation has reached a level equal to that of Muslims in this respect. For Muslims have carried out these principles with mercy and kindness since fourteen centuries ago.

To be continued

How does Islam consider those foreigners? What are Islam's orders towards them?

His Eminence replied :

Islam considers all Messages of Allah as one religion with common principles, spirit and aims regardless of their different forms, manifestations and development. Islam was therefore, the sole religion known to human beings as calling for honouring all Messengers and Prophets of Allah. Allah, the Almighty says at the end of Surah "BAQARAH" (THE COW) :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

"The messenger believeth in that which has been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels and His scriptures and His messengers — Marmaduke Pikthal.

(Surah THE COW, Ayah : 285).

Such an Islamic view of all Allah's religions and messages as characterised by a common origin and common objective, first resulted in that Muslims do not bear any grudges nor hostility to any of the religions of Allah. Furthermore, Muslims are to mention those who conveyed the Messages of Allah to people on earth with grandeur, reverence and honour. If they are to mention any of the prophets names, it must be preceded by the term "Sayedna" (our master) such as in Sayedna Ibrahim. (MPBUH), Sayedna Moussa (al Kaleem (the mouth piece of Allah) (MPBUH) and Sayedna Eissa Al Massih (MPBUH). This term is uttered out of deep faith and belief because our Holy Quran has demanded us to believe in that and to reiterate, after him:



"We make no distinction between any of His messengers" (Surah The Cow, ayah: 285).

Undoubtedly, Islam was the first of all world religions to declare this principle in Surah "BAQARAH":

There is no compulsion in religion. The right direction is henceforth distinct from error" (Surah The Cow, ayah: 256).

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ

Humanity has never heard of the call for such a belief in any country on earth, until it was imposed in Al Hagaz and until it was stipulated for as one of the basic tenets related to essence of Islamic faith.

Any Muslim who defies or transgresses such a tenet, he will be considered as transgressing one of the great pillars of his belief in Islam.

The Holy Quran refers to those who follow the Torah (The Old Testment) or the Injeel (the bible) as Ahlu-l- Kitab (The People of the Book). Islam showning an unprecedent and surprising tolerance towards all human beings, has placed the People of

ISLAM'S TOLERANCE IN DEALING WITH NON-MUSLIMS

Part I

by : Dalal Mahmoud El Gemei

Islam in these days, is surrounded by a number of false allegations and false rumours. These rumours are spread by malicious people or who those are full of hatred towards Islam and its followers. Such people come up with false claims and lies that Islam adopts a hostile attitude towards non-Muslims.

Islam is a religion of tolerance and sublime principles that forbids injustice and deceit while prescribing the fulfillment of pledges. It obligates upon us rights for the 'ahlu-l-zimmah (Free non-Muslims subjects living in Muslim countries who, in return for paying the capital tax, enjoyed protection and safety), since they are in our neighbourhood and are under protection of Allah, the Almighty, the Prophet (MPBUH) and of the religion of Islam.

The late Grand Sheikh Muhammed El Khedr, the former Grand Sheikh of Al Azhar elaborated on the tolerance of Islam in an interview with AL AHRAM reporter. The reporter asked the Grand Sheikh of Al Azhar.

Q : What is to become of foreigners living in Egypt? What are Islamic Shariah (legislation) rulings?

* This essay is based on the essay written by AL - Kheidr Husein Grand Sheikh of Al-Azhar

turned his back to their religion and his face to their "Qibla". The will of Allah the Supreme was to let Islam include all the previous religions and provide sanctity to the whole. That was why Allah the Most Great took His prophet Muhammad (MPBUH) in a journey by night from Mecca to the "Farthest Mosque". He aimed by this to include the "Farthest Mosque" within the Islamic domain. His will not to let "Al Kaba" be the "Qibla" of Muslims at first because it was considered the House of Arabs. Arabs used to put their sacred statues inside it to give them sanctity.

That was a clear confession of the holyness of "Al Kaba" by itself not by their statues.

Allah the most Merciful wants Muslims to obey His orders without questioning. He wants faith to dominate over their minds as well as their hearts. If He tells us the reasons of every order, then no need to have faith and, thus it becomes a matter of discussion and convincement. If we face the "Farthest Mosque" in our prayers, we are then obeying the order of Allah the Supreme. If He says direct your faces to "Al Kaba", we will obediantly face "Al Kaba".

The Attitude of Disbelievers and Jews.

Both, the disbelievers and the Jews made a joke about the shift in Qibla. They told Prophet Muhammad (MPBUH) that his prayers were not valid when he used to pray in the direction of Jerusalem. They also said that, if the Qibla was to Jerusalem, then his prayers in the direction of "Mecca" were not valid. We tell them; do not separate the command from it's time-limit. The "Farthest Mosque' was "Al Qibla" of Muslims during a certain period of time and "Al Kaba" is the "Qibla" in the time-being. There is no overlap between them. A lot of people died before the shift in Qibla, they used to pray in the direction of Jerusalem.

Those were obedient and faithful to Allah the All-knowing, and therefore; He will never undermine their worship.

The shift of the Qibla confirmed Prophet Muhammad's (MPBUH) Mission Authenticity.

Inspite of the fact that the people of the Book "Ahl Al Ketab" knew the traits qnd signs of the last prophet, yet they denied Muhammad's (MPBUH) prophesy. Among the signs of the coming of the last prophet is that he would turn his "Qibla" from the "Farthest Mosque" to "Al Kaba". That was supposed to be a consolidator to their belief in Prophet Muhammad's (MPBUH) mission, but it led them to Further disobedience and disbelief.

It was a clear command from Allah the Supreme to His apostle and prophet to make the shift in the direction of "Al Kaba". The prophet's (MPBUH) desire for the shift was implied in the verse, and his sentiments toward "Al Kaba" were harmonized and emphasized by the divine decree.

The revelation of the previous verse happened in "Bani Salama" mosque in "Al Medina", as a result, Muslims turned their faces automatically from one direction to the other. This mosque now, is known by "The Mosque of The Two Qiblas."

In order not to understand that the shift in direction of Qibla was in the mosque only, Allah the Supreme made it clear by saying :

Wherever ye are, turn your faces in that direction"

The Jews were unsatisfied and denied what the prophet (MPBUH) said as a "Quranic" truth, so they tried to seduce prophet Muhammad (MPBUH) by promising him loyalty, if he would turn back to the first "Qibla" (the Farthest Mosque in Jerusalem). As a result, the following verse was revealed :

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)

"Thus have We made of you An Umma justly balanced, that ye might be witnesses over the Nations, And the Apostle a witness over yourselves; and We appointed the Qibla to which thou wast used, only to test those Who followed the Apostle from Those who would turn on their Heels (from the Faith) Indeed it was (A change) Momentous, except to those Guided by Allah, and never Would Allah make your faith of no effect. For Allah is to all people Most Surelyfull Of Kindness, Most Merciful." Sura II verse 143.

THE FOOLS WILL ARGUE

Allah the All-Knowing told His messenger Muhammad, (MPBUH), that the shift in Qibla direction would be a cause to a vigorous shake and to a useless argument.

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)

"The fools among the people Will say : "What hath turned Them from the Qibla to which They were used ? Say : To Allah belong both East and West : He guideth Whom He Will to a way that is straight."

Sura II, verse 142

It was what happened excactly. The disbelievers in Mecca claimed that "Al Kaba" was their own House and that of their ancestors. They denied it's belongingness to Allah the Supreme. Thus, the prime divine choice of Qibla was to be "Farthest Mosque" in Jerusalem. However, the Jews too argued that prophet Muhammad (MPBHU),

If one meditates, first, in the word "House", one will get all what the word implies. A House is a place where one finds shelter and wormth. By choosing the word "House" Allah, the supreme tells us that all creatures find their shelter and relief in that particular place. Secondly, the word "Assembly" in the Arabic context is "Mathaba" meaning the desire for a repetative assembly or gathering again. That is why, the pilgrims that go there once develop the desire to go there again and again. Therefore, the on-going flow of pilgrims never ends and people love to visit there several times.

"Al Kaba" is the House of Allah by His Own choice, but all the other mosques of the world are Houses of Allah chosen by Muslim people. It is thus logical that "Al Kaba", the House of Allah by (His) Own choice be "Al Qibla" of all mosques.

The Historical dimension of "Al Qibla" :

In the name of Allah, Most Gracious Most Merciful.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾

"The first House (of worship) Appointed for men was that of Bakka : Full of blessing And of guidance for all kinds of beings." Sura III verse 96.

Allah, the All knowing, tells us that "Al Kaba" had been the first "Qibla" and then the shift from it was to the "Farthest Mosque" in Jerusalem. It continued to be "Al Qibla" since prophet Moses, peace be upon him until prophet Muhammad, peace be upon him.

Even after the prophet's immigration from Mecca to Al Medina, the Jews of Al Medina never stop their sneaky and envious ways of questioning prophet Muhammad, peace be upon him. They aimed at expelling him and the rest of the Muslims from "Al Medina".

In order to realize their aim, they tried to convince the prophet to leave "Al Madina." They referred to the fact that all the previous messengers went to Jerusalem and settled there.

Thus as a true messenger, he had to do the same, and to consider his immigration to "Al Medina" a mid-way from Mecca to the "Farthest Mosque" city (Jerusalem).

However, Muhammad (MPBUH) did not need much time to understand that the Jews were using their slyness to expel him out of "Al Medina".

After being in "Al Medina" for seventeen months and in the fifteenth of Sha'ban, the following Quranic verse was revealed to prophet Muhammad (MPBUH) : In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

"We see the turning of thy face (for guidance) to the Heavens : now shall We turn thee to a Qibla that shall please thee. Turn then Thy face in the direction of the Sacred Mosque : Wherever ye Are, turn your face in that Direction. The people of the Book know well that that is the Truth from their Lord. Nor is Allah unmindful of what they do."

Sura II verse 144.

THE PREDESTINATION

OF THE SHIFT OF THE QIBLA

By : Wiaam Kamal Gabr

The Qibla is the direction to which Muslims turn their faces in prayers, of course, it has been set forth by a divine decree. One of its major aims , is to unify the direction of Muslims in prayers implying that Allah, the Supreme, wants Muslims to be duected to the same center. We should differentiate between the direction in prayers and that away from prayers. In praying we have to turn our faces and direct our bodies toward a specific place that had been chosen by Allah, the Supreme, (Qbila).

Muslims all around the world pray towards the direction of 'Al Ka'ba'. 'Al Ka'ba' does not change its position, but our directions differ from one place to another. Some turn their faces to the North, others to the south, others to the East and the rest to the West. Each one turns to a different direction according to his location on earth in relation to "Mecca". Although we Muslims are scattered all around the world but we meet in the turning of our faces to a single center.

In the name of Allah, Most Gracious Most Merciful.

ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴿١١٥﴾

* *"To Allah belong the East and The West : whithersoever ye turn, There is the presence of Allah, For Allah is All-pervading, All-knowing"* Sura II. verse 115.

Allah, the Creator of All beings wants us to know that East is not one direction but many, each place on earth has its East and West directions. When the sun rises in a place, it simultaneously sets in another and after a minute it rises in a different place and sets in another and so on. Besides, if one observes East and West in relation to the apparent sunrise and sunset, he will find that it is an endless process of sunset and sunrise taking place every minute.

The direction of "Al Qibla" is to "Al Ka'ba" which has been named by Allah the Supreme "Bayt Allah Al Haram", or "The Sacred House of Allah."

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴿١٢٥﴾

"Remember We made the House A place of assembly for men and A place of safety; and take ye the station of Abraham as a place of prayer; and We covenanted with Abraham and Isma'il, that they should sanctify My House for those Who compass it round, or use it as a retreat, or bow, or prostrate themselves (therein in prayer)" Sura II verse 125.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

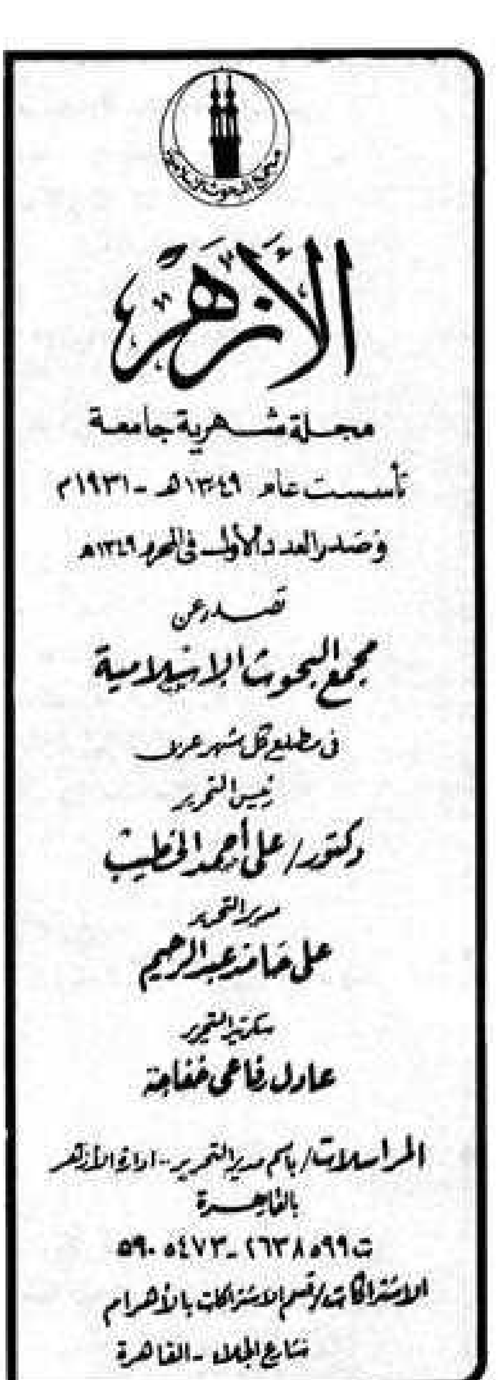
Vol. 67 Part VIII

Shaban 1415 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

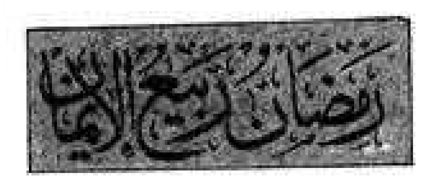
"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .



« ربيع الإيمان » هذا العنوان إحدى إشراقات حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو سعيد الخدرى فقال ، قال رسول الله ﷺ : « الشتاء ربيع المؤمن »[1] .

من هذا الحديث الشريف كانت استعارة هذا العنوان لافتتاحية « رمضان » المبارك الذى جاء فى جوف الشتاء .

وإذا لم يكن رمضان - وقد أتانا هذا العام فى جوف الشتاء - ربيع الإيمان فما يكون ..؟!

رمضان الذى يصبغ بملائكته نفوس المؤمنين ، ويمنع عنهم فيح جهنم ، ويغل عنهم الشياطين ويهديهم إلى طاعات تراشقت أصولها فازدان ثوابها بمضاعفات لا تخطر لهم على بال ، فالصلاة فى نهاره قد تمت فى صوم فقدمت من خلال فريضة ، والصيام فيه توج بالصلاة فتميز بالذكر وازداد فيه الإيمان ، وكثرت فيه الصدقة على أى قدر كانت .

---

(١) مسند أحمد ٣/٧٥ .

وجرى على لسان المسلمين تهنئة حلوة بحياة كثيرة بالخير والسعادة والعودة لمثله على خير حال ، ولم تخل لياليه من قرآن وذكر وقيام ، فتواصل خيره وتلاحقت حيويته حتى ازدهرت فيه القلوب بثمار الإيمان ــ صفاته ورحمته ، وجوده ورفقه ــ إنه رمضان وكفى .. !

و (رمضاننا) هذا العام جاء فى جوف الشتاء .. ربيع المؤمن ، فاجتمعت له فضائل الشتاء إلى فضيلته فحاز الحُسنيين :

زَخَرَ حديث رسول الله ﷺ : « الشتاء ربيع المؤمن » بضروب من البلاغة ذات الواقع الرائع فى حياة كثير من المؤمنين :

معلوم موقع الربيع من فصول العام ، وما يحدثه فى الأرض وكل ما يدب عليها .

إنه ــ بداية ــ يتمتع بجو لطيف ، قد خلا من صقيع البرد وسموم الحر ، فاعتدل نسيمه رطبا فى غير عنف ، سهلا بكل لطف .

ويشاء الله أن يُسْرِى فيه حيوية ناضرة تبدو ألوانا رائعة فى الزهور والأشجار ، بل وفى الإنسان والحيوان فتستمد فيه الحياة شبابا يطيل فى خيرها ، ويكثر من عمرانها .

كل هذا الجمال يستعيره رسول الله ﷺ لطاعة المؤمن حين يمارسها عبادة فى وقت يتيسر له فيه ممارسة الطاعات ، وهو فى أتم حال من النشاط والراحة ؛ ذلك لأن ليل الشتاء طويل ، ليس كليل الصيف مما يتيح للإنسان فيه أن ينام بملء جفنيه ، ثم يقوم ولا زال الليل باقيا ، وهو بهذه الخاصية يتيح للمؤمن أن يلتقى بخالقه ــ عز وجل ــ فى جوف الليل ، أو فى أواخره ، بصلاة وذكر وقرآن لاسيما فى وقت السَّحر . خير أوقات الإجابة لكل ما يريده الإنسان من خير ومغفرة ، وزوال كرب ، والتماس فرج .

روى مسلم ــ فى صحيحه ــ هذا الحديث القدسى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ــ حين يمضى ثُلثُ الليل الأول ، فيقول :

(أنا المَلِكُ ، أنا المَلِكُ

من ذا الذى يدعونى فأستجيب له .

من ذا الذى يسألنى فأعطيه .

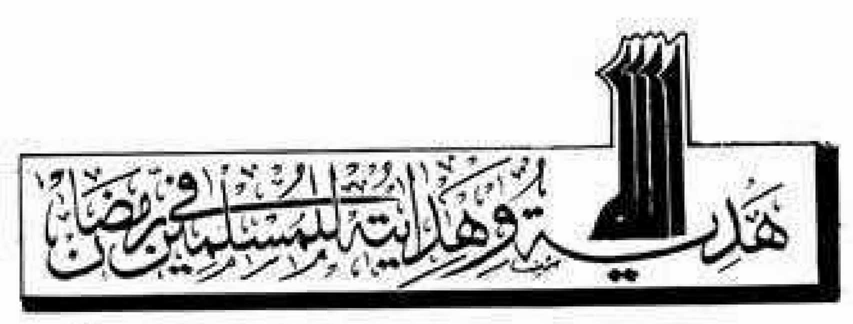
من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له) .

فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » .

والحديث القدسى عام يتناول الشتاء كما يتناول الصيف ، والفرصة فيه تتوفر فى ليل الشتاء أكثر وأسهل من توفرها فى ليل الصيف ، وعسى أن يكون افتراصها سببا لممارستها دائما فيستمر إحسانها بالإجابة والعطاء والمغفرة،فإن العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله ، صدق رسول الله ﷺ .

د. على أحمد الخطيب


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر



بقلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

من عظمة الإسلام أنه دين العقل والعلم .. وأنه دستور الحياة وقانون الوجود .. ولذلك أشاد بالعلم بعد أن جعل القراءة له طريقا وسبيلا .. قاصدا من وراء ذلك إبعاد الإنسان عن الجهالة والضلال .. وإقصاءه عن الخرافات والأساطير .. موجهاله إلى آفاق المعرفة الوضيئة المشرقة .. التى تقودة إلى الإيمان .. إذ أن رحلة المعرفة تبدأ بالنظر الذى يعمق وتتسع دائرته حتى يكون استقراء يصل به إلى استدلال يثمر الايمان .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى العلم ، فإنما يعنى العلم الصادق النافع النابع من العلم الذى يرق بالإنسان فى دنياه وأخراه .. أما إذا انحرف العلم عن هذه الحقيقة كان جهلا مظلما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الأخرة هم غافلون ﴾ (الروم ٧)

ومن هنا كانت أول آيات القرآن نزولا :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾

ثم كيف تقرأ .. ؟ . وماذا تقرأ .. ؟

إقرأ : أربعة حروف كانت فاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم ، فكانت نورا أنار بصيرة الإنسان وشدت قلبه إلى ما فيه من خيره ، وهذاه ضياءُ هذا النور إلى أوثق طريق للمعرفة . إقرأ :

هذا هو السبيل الموصل جيدا إلى علم اليقين فى كل ما تريد التعرف عليه وأيا كانت درجة ثقافتك وإجادتك .

إن : إقرأ : نزلت على رسول أمي لم يعرف قراءة الكتب ولا كتابتها فما هو الكتاب الذى طلب منه قراءته . ؟

إنه الإنسان : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ .

هذا النبي الذى لم يجلس إلى معلم يستكتبه ويستقرؤه ، يقرأ خلق الإنسان ويكرر لفظ إقرأ : عناية ومزيد اهتمام ليقرأ الإنسان ويأتي القلم وسيلة الكتابة والتدوين للعلم الذى يفتحه ويمنحه بني الإنسان . هل استمع الناس إلى هذا التوجيه . ؟ . أم ضلوا السبيل ؟ .

حين ننظر في طرائقهم إلى المعرفة نجدها قد سلكت مناحي شتى فمن الناس من أهدر الحواس والعقل وأنكر حتى وجود نفسه ، ومنهم من اتخذ الشك والهدم وسيلة لليقين ، ومنهم من اعتمد على الحواس وحدها ، ومنهم من رفع العقل فوق كل ذلك وجعل حُكمه نافذا وتصوراته هي صواب الأمر وسداده ، ثم كان أولئك الذين فرقوا بين عالم الحس التجريبي وعالم الشعور وجعلوا لكل منهما مجالا ومنهاجا في القراءة والإفادة .

ولكن إقرأ : في القرآن كانت على غير كل ذلك وفوق كل أولئك .

إقرأ : هذا نهج علمي تطبيقي بعيد عن جدل النظريات وظنون الفروض التى تضل فيها الأفهام وتتفاوت في مقاييسها العقول .

إقرأ : استفد من علم الغير وتجربته معاصرا لك أو سابقا عليك ثم اطلب الحقيقة بالعقل والتجربة محترسا من الانحراف والزلل ومتحسسا مواقع قدمك وبهذا تتوارث الإنسانية العلم الذى يعلمه الله الإنسان ، وينهض جيل الآباء بتعليم جيل الأبناء والأحفاد ، وتتقدم الإنسانية إلى مدارج الرقي والكمال الإنساني .

إقرأ : أيها الإنسان أميا كنت أو قارئا أو كاتبا ، فلكل حظه في القراءة والتعلم ، وكل إنسان على نفسه بصيرة يعرفها طريق النور والخير ويصرفها عن الهوى والغواية والشر .

ومن هنا : كان التوجيه في القرآن : إقرأ : هذه الموجودات وأولها الإنسان مم خلق ؟ ثم هذا العلم الذى علمه الله الإنسان بالقلم وبهذا كانت القراءة والقلم والعلم من لوازم رقي الإنسان وبلوغه شأوا بعيدا من الكمال في حياته وفي السيطرة على سائر الموجودات من حوله بالرغم من أنه أضعفها بناء .

إقرأ : بالرغم من تنوع وسائل تحصيل الثقافة والعلم فما تزال القراءة أوثق هذه الوسائل وأكثرها نماء وبقاء ونقاء ، يزود القارىء غيره بما حصله بعد أن يمحصه قولا صحيحا أو علما مفيدا أو تجربة مثمرة .

هذه القراءة : نشأت فحول العلماء ، وطوعت الفصاحة على ألسنة البلغاء ، وزودت الشعراء وأفاضت الغزير من المعرفة على الأدباء .

هذه القراءة : جعلت من الطبيب أديبا ، ومن المهندس شاعرا مجيدا ، ومن الشاعر ناثرا وخطيبا .

ولو ذهبنا نستعيد التاريخ بعض ما حواه وطواه ، لوجدنا مثلا فريدة فى الدأب والسهر قارئين مستوعبين ملأوا خزائن الكتب وأسواق الوراقين علما نافعا تقدم بالإنسان فكرا وعقلا وجسدا فهذه القطارات وتلك السيارات ، والطائرات والبواخر السابحات بين السحب والمتلاطم من الأمواج ، وهذا الطب ، وتلك الصناعات ، ثم هذا الأدب وتلك الفلسفة من أين وإلى أين !؟ .

من إقرأ : وإلى إقرأ . فهذه الكلمة النيرة يتطور العلم وتسمو مراتبه وتحقق أهدافه ولكن كيف نقرأ . ؟

إن غاية الإنسان دائما الارتقاء بنفسه وبمن حوله ولكن أفراده دائما متفاوتون فى الفهم والعقل ، وإن كان من الخير لكل فرد أن يتعرف إلى أيسر الطرق ليقرأ ويستزيد من العلم والمعرفة ، بحيث يقف أولا على مايحوى من علوم وثقافة وما تتفتح له وبه مواهبه العقلية بل والنفسية حتى يقبل على ما يزيد نهمه للقراءة واستيعابه للعلم معرضا عن عويص المقروءات التى لم تهيأ له موهبته أو تتقبله ملكاته راغبا فى اختيار ما يجدى من المعلومات وما يصلح حال الإنسان من الثقافات دون تضييع للوقت فيما لا يجدى نفعا من المناقشات المتناقضات .

وليست هذه دعوة للانغلاق والبعد عن تبادل الحوار المقروء والمسموع ، وإنما خذ الجرعة التى تحييك وتنمى فيك الحياة وكن كالطبيب الذى يتدرج مع المريض فى العلاج بالدواء فيسقيه النافع المناسب حتى تذوب علته ويستقيم عوده وعندئذ يطعمه الغذاء بديلا عن الدواء بعد ذهاب الداء ، إقرأ قول الله عز وجل :

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١٨ ﴾

سورة الزمر

عود على بدء إلى أول حروف القرآن الكريم نزولا .. نورا وبصيرة ، هذه الحروف تقول إقرأ تجربة وعلما ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

سورة العلق

هذا الإنسان وغيره من الموجودات إقرأه أيها الإنسان ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الآية ٢١ من سورة الذاريات .

فمن خلْق الإنسان وتكوينه تعرف الإنسان إلى صنع كثير مما علمه الله فاستحدث من الآلات والأدوات ما استعان به فى حياته وتغلب بمقتضاه على صعابها ومشاقها .

وبالعلم الذى انبثق نورا وإلهاما من الله الخالق ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

تقدمت الإنسانية فانقادت للإنسان كل المخلوقات فها هو ذا بالعلم يغزو أعماق البحار ويركب متن الفضاء ويعلو فوق السحاب والشهب ويقف بقدميه فوق القمر ويستقدم معلومات وإشارات من الكواكب السيارة يتعرف بها عليها ويصل منها إليها . ماذا تقرأ أيها الإنسان ؟ .

إقرأ ما تفتحت له مداركك واستطاب له قلبك وكلما جهلت فقرأت فعلمت كنت مفيدا للإنسانية من حيث إفادتك نفسك .

إن الطفل يحبو قبل أن يقف على قدميه وحين يجازف بالمشى يقع على الأرض ولكنه ينسى ما حدث .. ويحاول مرة ومرات حتى تحمله قدماه وتخطو به فى مدارج هذه الحياة .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾

من الآية ٥٤ سورة الروم

وهكذا تتدرج بالمعرفة عن طريق « القلم والقراءة » اللذين قد نوّه بهما القرآن الكريم فى الكثير من آياته لما لهما من دور فعال . وأثر فى مجال الثقافة والرقى بالإنسان .

فكونوا أيها المسلمون فى « شهر رمضان » قرّاءا له متفقهين فى نصوصه مستطبين من الخير الذى حواه فى الدين والدنيا ما تبرأ به صدوركم مما انطوت عليه من هوى جمح بكم بعيدا عن سواء السبيل وعن هدى الله وطريقه المستقيم .

وقولوا لهؤلاء المستوردين لكل فكر سقيم وجدل عقيم ما قال القرآن :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ ﴾ .

سورة الجاثية

هذا شهر رمضان إقرأوا فيه أيها المسلمون وأصلحوا أنفسكم ونقوا صدوركم وتوبوا إلى ربكم ولن تفلحوا إلا بالقرآن ، ولن تصحوا إذا انحرفت بكم الأهواء وانغمستم فى بحار هذا الجدل المضلل واتبعتم أولئك الذين ابتدعوا فنونا من الضلال وذهبوا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، فحصنوا أنفسكم وأهلكم بالقرآن وأتخذوا منه زادا ومددا تثبت به الأقدام وتعلو به الهام وتنشرح به الصدور وتنفرج الكروب وتجمع القلوب وتتقارب الأفهام فتعتصم بحبل

الله وتنجاب عن الأمة الظلمات التي حجبت عنها العلوم والمعارف حتى صارت تابعة بعد أن كانت متبوعة ، وحاذروا أيها المسلمون أن يفرط عليكم أو يطغى هؤلاء الذين يلحون بمعارف منحولة ليست من ثقافتنا وهي مضادة لعقيدتنا وشريعتنا ولا تيمموا الخبيث مما ينفثون ولا تصيخوا له سمعا ، فتكســوا به وزرا وقد خاب من افترى .

هذا هو شهر رمضان قد أظلكم بخيره ، بقرآنه ، بقيامه ، فأخلصوا لله فيه العمل للدين وللدنيا ، ونموا في أولادكم نوازع الخير والالتزام بأدب الإسلام وأخلاقه فإن هذا خير وأبقى وادفعوهم إلى طلب العلم كل العلم حتى ينتفعوا بخيره ويحذروا الانحراف عنه .

نعم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ﴾ و ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فقد أقسم الله بالقلم ارتفاعا بقدرة وتوجيها لعظم شأنه فكلما قرأت ازدادت معارفك وعلومك وتثبت نفسك بحب القراءة راغبة في العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ولا تنسى أن الله ـ سبحانه :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

سورة البقرة ـ آية ﴿٢٦٩﴾ .

في استقبال شهر رمضان أهنيء أمة الإسلام في كافة أنحاء الأرض بل والإنسانية بهذا الشهر الذي اختصه الله بالفضل والفضائل وأي فضل أعلى وأغلى من إنزال القرآن فيه على خاتم الرسل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى إخوانه الأنبياء ورسل الله في ليلة مباركة هي خير من ألف شهر ، ولنعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلنتخذ من صوم رمضان زاداً نتقرب به إلى الله ـ تعالى ، ومن القرآن مددا وعلاجا لأدوائنا وجمعا لكلمتنا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

محمد الخطاب

فتوى للإمام الأكبر

بما يثبت دخول شهر رمضان

وبما يدخل شهر شوال ويوم عيد الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الأستاذ/ الدكتور غياث الشلح متضمنة السؤال عن كيفية إثبات شهر رمضان والعيدين بالأدلة النقلية من علماء المذاهب الأربعة .

والجـواب

روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وقد بين هذا الحديث أنه متى ثبتت رؤية هلال رمضان فإن الصوم فى هذه الحالة يجب على جميع المسلمين بالإجماع ، أما إذا لم تثبت رؤية الهلال ـ ولم يكن هناك مانع بالسماء يحول دون رؤيته ـ ففى هذه الحالة يجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما .

وكذلك إذا حالت دون رؤية الهلال سحب أو غيم أو نحوه مما يجعل رؤيته مستحيلة يجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما .

وفى سبيل توحيد بدء صيام رمضان وانتهائه ، قال جمهور الفقهاء : إنه لا عبرة باختلاف المطالع فى إثبات رؤية هلال رمضان ، وأنه إذا رؤى الهلال فى بلد ولم يره أهل بلد آخر ـ يجب على أهل البلد الآخر الذين لم يروه أن يصوموا برؤية أولئك الذين رأوه .

قال الكمال بن الهمام الحنفى صاحب « الفتح » : « وإذا ثبت فى مصر لزم سائر الناس ، فيلزم أهل المشرق برؤية أهل المغرب فى ظاهر المذهب لعموم الخطاب فى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « صوموا لرؤيته » وقيل : يختلف باختلاف المطالع ، لأن السبب الشهر وانعقاده فى

حق قوم للرؤية لا يستلزم انعقاده فى حق آخرين مع اختلاف المطالع ..

وممن قال بهذا الرأى الشافعية ، فقد جاء فى « المجموع شرح المهذب » ما ملخصه : — « وإن رأوا هلال رمضان فى بلد ، ولم يروه فى آخر ، فإن تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد . ويلزم أهل البلد الآخر الصوم بلا خلاف ، وإن تباعدا فالصحيح أنه لايجب الصوم على أهل البلد الأخرى » .

والراجح رأى الجمهور وهو أنه لا عبرة باختلاف المطالع لقوة دليله ، ولأنه يتفق مع ما يقصد إليه الشارع من وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ، وأنه متى تحققت رؤية الهلال فى أى بلد من البلاد الإسلامية يمكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل .

هذا وقد استقر رأى علماء « مجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر فى المؤتمر الثالث المنعقد بتاريخ ١٣ من رجب ١٣٨٦هـ — الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٦٦م بشأن تحديد أوائل الشهور القمرية على ما يلى :

١ — يقرر المؤتمر :

(أ) أن الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل عليه الحديث الشريف . فالرؤية هى الأساس ، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .

(ب) يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكرا كان أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة فى إخباره لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر ممن يوثق به .

(جـ) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر فى ذلك .

(د) يعتمد على الحساب فى إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول إلى تمام الشهر السابق ثلاثين يوما .

٢ — يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة .

٣ — يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية أن يكون فى كل إقليم إسلامى « هيئة إسلامية » يناط بها إثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمراصد والفلكيين الموثوق بهم .

هذا ونميل إلى الفتوى برأى الجمهور فى هذا الموضع لقوة أدلتهم وتمشيا مع ما وصلت إليه « الاتصالات السلكية واللاسلكية » بين الدول الإسلامية المختلفة المتباعدة ، وما تطورت إليه وسائل الإعلام الحديثة المسموعة والمرئية ، وماترتب على ذلك من يسر الاتصالات بين البلاد الإسلامية فى شتى البقاع ، حيث أصبح من الميسور جدا أن ينقل الخبر فى لحظات من دولة إلى أخرى ، عن طريق وكالات الأنباء المختلفة بواسطة : المذياع والتليفزيون ، أو عن طريق البرق والهاتف .

وبهذا يكون العمل بما قال به جمهور الفقهاء سهلا ميسورا فى متناول أى مسلم فى أى بلد إسلامى ، وهذا بدوره يؤدى إلى اتفاق المسلمين وتوافقهم فى الرأى والعمل .

عن ثبوت رؤية هلال شهر شوال

يثبت شهر شوال برؤية هلاله على الوجه التالى :

ففى الفقه الحنفى :

يثبت هلال شوال بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين - كذلك - إن كانت السماء بها علة كغيم ونحوه ، أما إن كانت صحوا فلا بد من رؤية جماعة كثيرين ، ويلزم أن يقول الشاهد : أشهد .

وفى الفقه المالكى :

يثبت هلال شوال برؤية العدلين أو الجماعة المستفيضة وهى : الجماعة الكثيرة التى يؤمن تواطؤها على الكذب ، ويفيد خبرها العلم ولا يشترط فيها الحرية ولا الذكورة ، كما تقدم فى ثبوت هلال رمضان ، وتكفى رؤية العدل الواحد فى حق نفسه ، ويجب عليه أن يفطر بالنية فلا ينوى الصوم ، ولكنه لا يجوز له أن يأكل أو يشرب أو نحو ذلك من المفطرات ، ولو أمن اطلاع الناس عليه ، نعم إن طرأ له ما يبيح السفر أو طرأ عليه مرض فإنه يجوز له أن يأكل ويشرب وغير ذلك ، وإذا أفطر بغير عذر مبيح ، بالأكل ونحوه وعظ وشدد عليه إن كان ظاهر الصلاح فإن لم يكن ظاهر الصلاح عاقبه القاضى بما يراه تعزيرا .

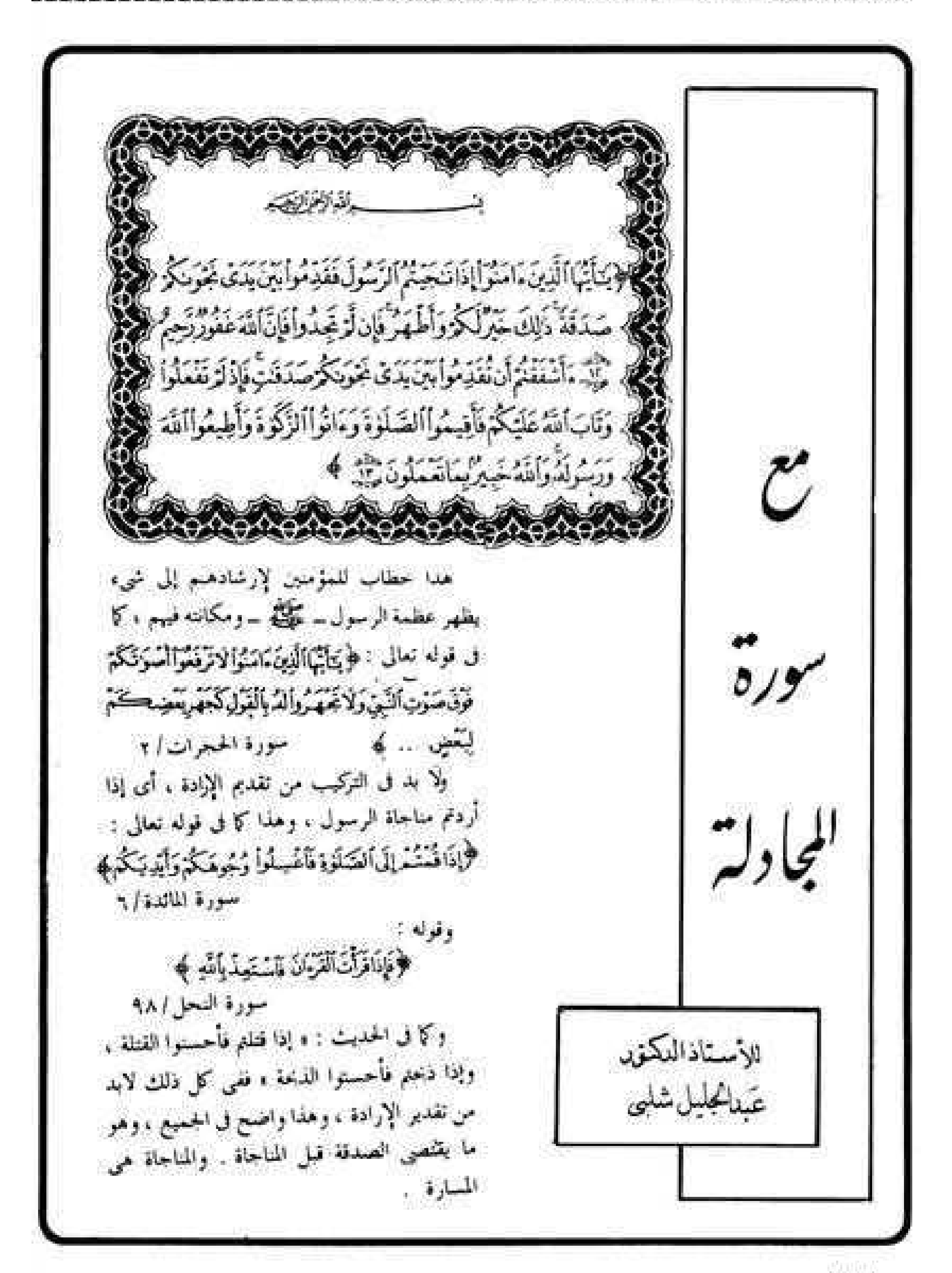
وفى الفقه الشافعى :

تكفى شهادة العدل الواحد فى ثبوت هلال شوال فهو كرمضان على الراجح ، ويلزم أن يقول الشاهد : أشهد ، فلفظ الشهادة متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة ماعدا المالكية .

وفى الفقه الحنبلى :

لا يقبل فى ثبوت شوال إلا رجلان عدلان يشهدان بلفظ الشهادة .. ومتى ثبت رؤية هلال شوال تكون صلاة عيد الفطر فى صبيحة اليوم التالى لليلة الثبوت فى ميقاتها الشرعى .

والله سبحانه وتعالى أعلم .



مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

هذا خطاب للمؤمنين لإرشادهم إلى شيء يظهر عظمة الرسول - ﷺ - ومكانته فيهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ... ﴾ سورة الحجرات / ٢

ولا بد في التركيب من تقدير الإرادة ، أي إذا أردتم مناجاة الرسول ، وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾
سورة المائدة / ٦

وقوله :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾
سورة النحل / ٩٨

وكما في الحديث : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » ففي كل ذلك لابد من تقدير الإرادة ، وهذا واضح في الجميع ، وهو ما يقتضي الصدقة قبل المناجاة . والمناجاة هي المسارة .

وللمفسرين في هذا أقوال قد تكون كلها سليمة جيدة يؤخذ بها . ففيها عدا إعظام الرسول - ﷺ - ، في هذه الصدقة ، نفع للفقراء ، وبه يتميز المؤمن المخلص من غير المخلص ، والصادق الإيمان من المنافق ، ومحب الآخرة من محب الدنيا ، فالذين يشحون بالصدقة عليلو الصدور على أي حال .

وجاء في قتادة وابن عباس : أن قوما من المسلمين أكثروا من مناجاتهم رسول الله - ﷺ - في غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم ، وكان سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت هذه الآية ، وأيضاً هم لم يقدروا وقته الذي كان مكرسا للعبادة وللبلاغ والإرشاد .

وقيل أيضاً : إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجالسته - ﷺ - حتى كره طول مكثهم . فنزلت هذه الآية فكفوا عن الزيارة . ولست أميل إلى هذا القول . فقد كان ثمّ أغنياء أثرياء من الصحابة لا تثنيهم هذه الصدقة عن مناجاه رسول الله - ﷺ - .

ولم تكن الصدقة التي تقدم بين يدى مناجاة الرسول - ﷺ - محددة ، فقد جاءت في الآية منكرة ، مما يؤذن بأن أي صدقة تكفي . وقد روى عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - أنه قال : لما نزلت الآية دعاني رسول الله - ﷺ - فقال : ما تقول في دينار ؟ قلت لايطيقونه . قال : كم قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة أي وزن حبة أو شعيرة من الذهب ، إنك لزهيد ، أي قليل المال فقدرت على حسب حالك وجاء عنه - عليه السلام - أنه قال : إن في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى ، وهي آية النجوى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾

كان عندى دينار فبعته - أي صرفته - بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت النبي - ﷺ - قدمت بين يدى نجواى درهما ثم نسخت الآية فلم يعمل بها أحد .

ويفهم من هذا أن آية النسخ وهي :

﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ ﴾

لم تنزل عقب آية النجوى مباشرة ، فلابد من زمن يتسع لبيع الدينار وشراء الدراهم ، ثم لعشرة أسئلة ، وبطبيعة الحال لم تكن الأسئلة العشرة كلها في موقف واحد ، فلو كانت في موقف واحد لأغنى إنفاق درهم واحد ، لأن الصدقة عن المناجاة وليست لكل سؤال على حدة ،

واختلف الرواة في مدة بقاء هذه الصدقة ، قيل إنها كانت عشر ليال ، وقيل إن هذا الحكم نسخ توا قبل العمل به ! وليس من اليسير أن نقطع بأحد القولين فمن البعيد البعيد أن تمر عشر ليال ولا يسأل أحد من الصحابة رسول الله - ﷺ - سؤالا ، وعلى الأخص كبار الصحابة المقربين أمثال : أبي بكر وعمر والزبير ...... وهم ذوو مقدرة على الصدقة ، ومن البعيد أيضاً أن تنزل آية وتنسخ في الحال !! هذا أمر تدعه لتحقيق أوسع وأدق ، ولم أر المفسرين جاءوا بشيء شاف في هذا الموضوع .

وهل كان الأمر بالصدقة أمر وجوب أم أمر ندب ؟

إختلفوا في هذا أيضا ، والذين قالوا : إن الأمر للوجوب قالوا إن هذا هو الشأن في الأمر ، وأن الأمر أتبع بجملة : فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم

وهذا لا يقال : إلا فيما يزول وجوبه لفقده والذين قالوا إنه أمر ندب استدلوا بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾

وهذا فيما هو يقال : للتطوع الذى يترتب عليه الخير والأفضلية ، ولو كان الأمر للوجوب ما نسخ بجملة متصلة به ، وهى : أأشفقتم أن تقدموا .. الخ

وليس هذا الاحتجاج بذى قوة ، لأن الواجب يوصف أيضاً بأنه خير وأطهر ، وآيـة .. أشفقتم .. تالية فى التلاوة ، وليست متصلة فى النزول .

ولا يدعو الأمر لوقوف طويل لدى هذه التحقيقات لأنه حكم نسخ .

وتقديم الصدقة خير ، لأنه يزيد ثواب المتصدق ، وفيه نفع للمتصدق عليهم ، وهو طهرة وزيادة فى طهارة النفس بتنزهها عن الماديات وترفعها عن حطام الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ سورة التوبة / ١٠٣

(فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أى إذا لم يكن لديكم ما تتصدقون به فناجوا الرسول بدون صدقة ، ولا إثم عليكم ولا عقوبة لأن الله ــ سبحانه ــ متصف بالغفران وبالرحمة ، فهو يسامحكم فى هذا .

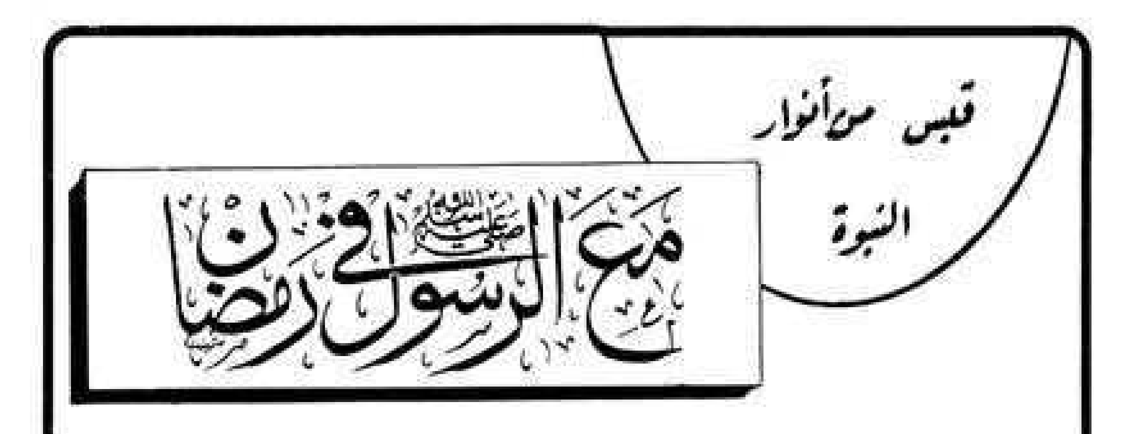
وقيل : إن هذا التكليف كان محددا بوقت معين ، لأن المنافقين كانوا يدعون الإسلام قولا بأفواههم ، ويكرهون الإنفاق ، ثم أخلص بعض منهم إسلامه ، وهؤلاء كانوا ينفقون ، فكان الأمر بتقديم الصدقة على النجوى ، ليتميز المخلص فى إسلامه عمن بقى على نفاقه ، ثم زال هذا التكليف بزوال السبب الذى شرع له ، وقد استحسن الفخر الرازى هذا الرأى ، ولست أراه يستحق الاستحسان ؟ فإن ساعة من نهار أو عشرة أيام لا تكفى لهذه الإبانة ، ثم أنه لم يتصدق ، ولم يناج أحد غير على ــ رضى الله عنه ــ وجمهور المفسرين على أن الآية منسوخة .

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

ومعنى الإشفاق : الخوف من إنفاق المال ، فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به ، وتاب الله عليكم ورخص لكم فى المناجاة بدون إنفاق ، فاحرصوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى كل ما أمركم به ، وبطلب إقامة الصلاة وايتاء الزكاة استدل قوم على أن الصدقة كانت واجبة ، وتوبة الله ــ تعالى ــ تؤذن بأنه كان ثمت ذنب عفا الله عنه ، وقد يكون الإشفاق وحرج الصدور من النفقة مما يستدعى عفو الله ومسامحته ، وطلب إقامة الصلاة يعنى المثابرة عليها وأداءها كاملة مستوفاة الشروط والأركان ، وهى رأس العبادة وأساس القربى إلى الله ، ولذلك تلى بطلب إيتاء الزكاة لأن إخراج الزكاة دليل على عدم التعلق بماديات الحياة الدنيا والرغبة فيما عند الله ، وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

أى هو ــ سبحانه ــ محيط بكل أعمالكم ونياتكم ، ومنها صلواتكم وزكواتكم ، وتفسحكم فى المجالس .

السورة الكريمة . بدأت بذكر حكم الظهار ، وسمع الله تعالى مجادلة « خولة » وتشريع حل للظهار ، وثنت بذكر حال الذين يحادون الله ورسوله وبيان عاقبتهم فى الآخرة ثم تحدثت عن ذكر النجوى بين المنافقين وإرشاد . وبهذه الآية تنتهى مرحلة من مراحل هذه السورة الكريمة .



لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

١ ــ عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : « كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله .. أجود بالخير من الريح المرسلة » « متفق عليه » .

٢ ــ وعن على ــ كرم الله وجهه ــ قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أجود الناس كفا ، وأشرحهم صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ــ طبيعة ــ وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده ، مثله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .. « رواه الترمذى » .

إن المسلمين ــ اليوم ــ فى أمسّ الحاجة إلى معرفة نبيهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ معرفة تردهم إلى الصواب ، وتهديهم سبيل الرشاد ، وتعيدهم سيرتهم الأولى ، خير أمة أخرجت للناس ، لهم العزة فى أنفسهم ، والسيادة فى أوطانهم ، والصدارة بين الأمم ، والكلمة العليا المفروضة ؛ كلمة الله على من ناوأهم ، وذلك بنصرتهم لله واتباعهم هدى رسوله العظيم ﷺ ، وتعاليمه الخالدة ؛ واعتصامهم بحبل الله جميعا وتواصيهم بالحق والصبر .

وليكن لهم فى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسوة حسنة ــ فهو النور والمنار الهادى إلى الطريق المستقيم أبدا ، ما داموا تحت لوائه ، مترسمين خطاه ، وجادين فى السير فى ركابه ؛ فإن الفلاح فى اتباعه ، والخسران فى مخالفته مصداقا لقول الله سبحانه ــ فى محكم كتابه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

﴿... فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)﴾

سورة الأعراف

قصر ـ سبحانه ـ الفلاح على الذين آمنوا به ، وآزروه ، ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أما غيرهم من جميع الناس فجزاؤه الخسران المبين .

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

سورة العصر

وإذا كنا نريد لأنفسنا ولأمتنا ولديننا عزة ونصرة وفلاحا . فعلينا أن ننهج منهج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس كفا ، وأسخاهم يدا ، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، تتضاءل كل العطايا أمام عطاياه . جاءه رجل فسأله ، فأعطاه غنما تسد ما بين الجبلين ، فرجع إلى قومه ـ وهو يقول : يا قوم ـ أسلموا ؛ فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . وما سئل ﷺ شيئا قط فقال : لا ، سأله رجل والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس لديه شيء ، فقال له : « ما عندى شيء ، ولكن ابتع علىّ » ـ اشتر على حسابى فإذا جاءنا شيء قضيناه ، وكان بالمجلس عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : يا رسول الله ، ما كلفك الله ما لا تطيق ـ فلم يلتفت إليه الرسول ـ فقال رجل من الأنصار : أنفق ، يا رسول الله ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا ـ فتبسم رسول الله ، وأشرق وجهه وقال : « بهذا أمرت » ـ لأنه ينفق من عطاء الله الذى يقول :

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٣٩

وما عند الله لا يتناهى ؛ لذلك كان النبى يُعطى وينفق فى سبيل الله سرا وجهرا ليلا ونهارا ؛ مع أنه اختار أن تكون حياته الخاصة كفافا وقناعة وزهدا فكان مثلا تصبر عليه أمته ، وتقنع لقناعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

أما كفه ويده وبذله فى سبيل الله فهو أسرع بالخير من الريح المرسلة وكان الناس يأخذون من كفه الشريف ما يغنيهم ، ويجعلهم يعيشون عيشة الأغنياء .

ـ روى البخارى ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بمال من البحرين فقال : انثروه ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المسجد ولم يلتفت إليه ؛ فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحد إلا أعطاه ، وما قام ﷺ وثَمّ منها درهم .

وفى رواية : « ولما فتحت البحرين وجاءوا بأموالها ، ووضعت أكواما ، وأخذ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوزعها على المسلمين غنيهم وفقيرهم ، حتى إن عمه العباس ملأ عباءته ، ولما هم يحملها ثقلت عليه ، فتبسم النبى وقال : خفف عنك يا عماه ، فوزع النبى كل هذا المال ، ولم يبق لبيته منه شيئا غير درهم لم يجد أحدا من الناس يأخذه ، فحمله معه إلى البيت ، ووضعه تحت الوسادة ، ونام ثم قام ، ثم نام ثم قام ، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما يقلقك ؟ فمد يده تحت الوسادة ، وأخرج

الدرهم وقال : ما أقلقنى إلا هذا الدرهم ! لم أجد أحدا من الناس يأخذه وخشيت أن يقبضنى الله قبل أن أنفقه فى سبيله » .

وذلك لأن مال الصدقة حرام عليه وعلى آله .

قال صفوان بن أمية : لقد أعطانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أعطانى وإنه لمن أبغض الناس إلىّ ، فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىّ .. إنى لأشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى .

روى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - تصدقت بمائة ألف درهم على الفقراء والمحتاجين فى يوم واحد . وكانت يومئذ صائمة ، فنسيت نفسها ، فقالت لها صاحبة لها ، يقال لها أم درة ، ألم يكن أولى بك أن تحتفظى بدرهم تشترين به لحما تفطرين عليه ؟ فقالت لها:قد نسيت ولو كنت أذكرتنى لفعلت .

جاء رجل من الأنصار إلى عبدالله بن عباس ، فقال : يا ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وإنى حييته باسمك تبركا منى به ، وإن أمه ماتت ، فقال عبدالله : بارك الله لك فى الهبة ؛ وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، وقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عد إلينا بعد أيام ؛ فإنك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة .

فقال الأنصارى : لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ؛ وأنا أشهد أن عفوك - أى قليلك - أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله .

ولم يزل - رضى الله عنه - يبر الأنصارى حتى مات .

هذه صفة الجود التى كانت مضرب الأمثال فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتى أثرت فى وصحابته . وكانت تأخذ صبغة خاصة فى رمضان ويدعو أمته إلى الإنفاق ، روى ابن خزيمة وغيره عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال : « من فطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء » .

وفى كونه - صلى الله عليه وسلم - أجود من الريح المرسلة فى رمضان ربْط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة ؛ ففى ذلك الدليل الواضح على أن الصوم والقرآن قد أثرا فى النفس الجود والكرم ؛ فإن الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ، أما فى الآخرة ؛ فإنها كما قال النبى - صلى الله عليه وسلم - « تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » . - عن الترمذى .

روى الطبرانى عن عبادة ؛ أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر إلى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله - عز وجل - » .





الموازين الصحيحة للتفاوت

لفضيلة الشيخ/ أحمد بن محمد طاحون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أكرم ؟ قال : « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قالَ : « فأكرمُ الناس يوسف نبيُّ الله ابنُ نبي الله ، ابن خليل الله » .

قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » .

« أخرجه البخارى ومسلم »

أكرم : اسم تفضيل من الكرم بفتح وسطه ، وهو اسم جامع لأنواع الخير مع الشرف والفضائل ، وأصل الكرم : كثرة الخير ويطلق على أخلاق الإنسان ومحامده وأفعاله المشكورة والإنسان إذا كان تقيا كان كثير الخير ، وكثير الفائدة فى الدنيا ، ويبشر – بفضل الله – بالدرجات العلى فى الآخرة .

فى طريق أهل الكرم :

وإن الشرف حقا هو التقوى التى تبعث الإنسان على التزام الخير ، واجتناب الشر ، فهو فى نفسه صالح ، وهو فى تفاعله مع غيره مصلح .

وإن العاقل البصير يختار الإيمان والتقوى ، ويلزم طريق القدوة الحسنة ، يكتسب المزيد من الفضائل ، ويُدْئِبُ جوارحه فى طاعة مولاه ، ويصرف الهمة إلى الأعمال الصالحة ، ويصبر على المداومة عليها ، ويتحمل المشاق فى ميدان المبرات والخيرات معرضا عن الملاذ التى تمنع عنها ، مُوطِّناً العزم على مفارقة المعاصى كابحا عنانه عن أسباب الوقوع فى الآثام .

ولقد كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ـ ورضى عنهم ـ حريصين على الخير ، يسألون عنه ، ويلزمونه ، وفى هذا الحديث سألـوه ـ ﷺ ـ : عن أكرم الناس ؟ إذ الناس تتفاوت منازلهم بتفاوت ما هم عليه من الشرف والفضائل وما يتزينون به من الآداب والقيم السامية الثابتة المستمدة من الوحى السماوى .

فبين لهم الحبيب المصطفى ﷺ فى جوابه : أن أكرم الناس عند الله أتقاهم لله ، وأخشاهم له فى السر والعلانية ، وأبعدهم عن مواطن سخطه ـ سبحانه ـ وهم أهل الإحسان والمراقبة ، يستحضرون عظمة الله فى قلوبهم دومـا ، لا يلتفتون إلى الناس ، يضىء لهم نور الشريعة السمحة طريقهم فيـه يسيرون ، وبهدايتـه يتصرفون .

فمن كان شريف النسب ، عظيم الحسب تقيا نقيا صالحا فقد جمع الحسنيين وتوج بتاجين ، وازدان بشرفين ، ويا بشراه .

نسب بلا تقوى مصباح بلا ضوء :

وقد نبه القرآن العظيم إلى هذه القضية كى لا يغتر أحد بنسب أو حسب أو قرب من نبى أو ولى فيسلك بسبب الغرور مسالك أهل الجهل ، فيتخبط فى الظلمات ، ويحشر فى زمرة الهالكين ، إذا قضى عمره بلا تقوى ، ولا عمل صالح ولنسمع لله ـ عز وجل ـ قوله : من سورة الحجرات : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[٣] وقد كان الحبيب الهادى ـ ﷺ ـ نفسه أخشى الناس لله ، وأتقاهم له ، وأطولهم قياما بالليل ، وأكثرهم مراقبة ، وأعظمهم ملازمة للخوف حتى فاضت روحه إلى بارئها ، وهو من هو عند الله ـ عز وجل ـ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ولذا نبه الرسول الحبيب ـ ﷺ ـ إلى أن شرف النسب وحده لا يغنى صاحبه عند ربه ، ولا يكفيه لنيل الدرجات والشمول بالرحمات فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وماذا إذن ؟

لكى يحظى أهل البصيرة والنهى بنجاة مهجهم ، وتخليص أرواحهم ، ونيل ما عند الله من الرحمة ، لابد لهم من سلوك طريقها ، واتخاذ الأسباب المؤدية إليها بفضله ـ سبحانـه ـ

وإحسانه ، لابد من الإيمان الصحيح ، واليقين الصادق ، والعلم ، واكتساب العمل الصالح وترك الكسل ، ونبذ التراخي والراحة ، والتشمير عن ساعد الجد في تحصيل الخيرات والفضائل ، والثبات على طريق الاستقامة : الايمان والعمل الصالح .

لذا لما سألوا عن أكرم الناس ؟ ذكر رسول الله ﷺ ما هو أحرى بالتقديم ، وهو المعنى الذى يحتاج إليه كل راغب في النجاة فقال : « أكرمهم أتقاهم » أى من غير انتماء إلى شرف الآباء والافتخار بفضائلهم .

نموذج ومثال من البشر :

فلما قالوا : ليس عن هذا نسألك ، ضرب لهم مثلا التقت فيه أسباب الشرف في ذاته وخصاله ونسبه وعلمه وفقهه وكرم أخلاقه مع مجد الآباء ، وجمال الصورة ، وحسن السيرة فقال : « أكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » فقد أعطاه الله من كمال الصفات البدنية ، والنفسية ، والعقلية ، والروحية ما أعطاه ، مما جعله مضرب الأمثال : في الصبر ، والعفة ، والطهر ، والحكمة ، وبعد النظر ، وجمال الخلق حتى قلن « مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ » سورة يوسف

لقد كان ملكا كريما في سمو نفسه وتقواه وفي عفافه ووفائه وصفاء قلبه من نوازع الحسد والعداوات . وفي دأبه على إصلاح أحوال الناس بما أوتى من الفقه والفطنة والعلم وفي حسن مخاطبته للنفوس البشرية لاستمالتها إلى الحق وخالص الإيمان إلى جانب ما عرف عنه من العفو والصفح وصلة الأرحام والبر بهم — على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — حقا : إنه نموذج كريم لشرف النسب وشرف الحسب الذى هو التقوى وصالح الأعمال ،وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

الناس معادن :

ثم إن السائلين أرادوا أن يتوجه القول نحو الحال الذى هم فيها ليستزيدوا معرفة وتبصرة بمواقف العرب من الدعوة وأيهم يكون الأكرم بعد أن أكرمهم الله باصطفاء خاتم رسله منهم وازدانت حياتهم بنور دعوته — ﷺ — .

ولما قالوا : لا تسأل عن أمر يوسف عليه السلام ، لأنهم علموا من أمر يوسف ما جاء به الوحى ، وبلغه الحبيب المصطفى — ﷺ — وبه وبجميع الأنبياء والمرسلين آمنوا وصدّقوا .

فأجابهم : « فعن معادن العرب تسألونى » قالوا : نعم ونحن نعلم أن العرب في جاهليتهم كانت لهم مفاخرهم ، ولكل قبيلة أيامها وأمجاد آبائها ، وبذلك كان فخرهم ، وبالكثرة والوفرة كان اعتزازهم ، وحفلت قصائد شعرائهم فخرا ، واعتزازا ، ومنها أخذت آدابهم وأخلاقهم ومكارمهم بل وأنسابهم ، لأنهم لم يكونوا يعرفون الإسراف في المبالغة ولا الإيغال في التصوير ، ولا الكذب في نسبة ما يضاف إلى الشاعر وقبيله حين يفخر أو يمدح إلا ما صوروه في حدود تشعر فيها بنقاء الفطرة لا تعقيد الفلسفة وامتزاج المدنيات كما صار إليه الأمر في الشعر العربى بدءا من العصر العباسى فكان فخرهم في الجاهلية ومدحهم يدور حول الكرم ، والنجدة وإغاثة الملهوف ، والشجاعة والإقدام ، ونصر

المغلوب ولو تسلطا وبغيا ، وإجارة المستجير ، وحماية الحوزة ، وكثرة العدد ، وما كان للآباء من نحو هذه المفاخر التى تتفاوت أقدارهم فيها ، مثل الاتجاه الجاهلى فى قول الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعتنا ياجرير المجامع

تلك نزعة جاهلية برزت مرة أخرى فى العصر الأموى لأسباب سياسية ودواع شخصية .

بعد الإسلام اعتدلت الموازين :

أما بعد الإسلام ـ بغض النظر عما برز فى العصر الأموى من اتجاه جاهلى ـ فقد اعتدل الميزان ، وتهذبت المقاييس :

والمراد : بمعادن العرب : أصولهم التى ينتسبون إليها ، ويتفاخرون بها ، ففيه تمثيل القبائل والأنساب بالمعادن ، ووجه الشبه : الاستعداد المتفاوت .

أو شبههم بالمعادن من ناحية أنهم أوعية للشرف كما أن المعادن تكون أوعية للجواهر الثمينة ، وهذه الأوعية مقادير ، وكذلك هم فى قبول إسلامهم ، وأخذهم ما جاء به الوحى ، وفقههم فيه على مراتب لا تحصى .

فرق :

« ولا يخفى أن الجواهر لا اختيار لها فى تفاضلها وإزالة الرداءة وإقلال الثمن وانتقاصه ، أو زيادة الجودة والبهاء ، وإغلاء الثمن .

بخلاف الإنسان فإنه إن كان كالمعادن فى تفاوت أصوله أو خساسة عناصره إلا أنه إذا اختار الإيمان ، واكتسب الأعمال الصالحة ، وتوجه بالنية الصحيحة ارتفعت درجاته من فضل الله ـ تعالى ـ ولا يكون رهينا فى درجة وُلِد فيها » .

« من شرح الأدب المفرد »

شرف النسب والدين :

نعم : إن شرف النسب وحده لا يغنى الإنسان لا فى دنياه ، ولا فى أخراه .

والمرء منزلتان : منزلة من بيت ولد فيه وتربى ، ومنزلة باختيار الإيمان والنية الصالحة ، وإفراغ الجهد فى الأعمال الحسنة وجهاد النفس لله ، وبذل المال لوجهه الكريم ـ سبحانه ـ وطلب العلم ، والازدياد والتمرن فى الفقه .

فمن شاء أن يستحق رفع درجاته عن المنزلة التى ولد فيها ، أو يستوجب الحط عنها فإنما ذلك بمقتضى سلامة الإيمان أو تركه ، وبمقتضى العمل الصالح الذى به ينمو الإيمان أو تركه .. فكل إنسان بما اختار لنفسه وبما عمل ، على حدّ المثل :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

ومن أقبل على الإسلام برغبة وصدق وإخلاص فإنه يزكيه ويطهره ويرفعه إلى مقام الملائكة حسبما هو عليه من الحال والعبادة والتحرز عن الشبهات والشهوات الدنيئة ، والنقاء منهما .

وعلى هذا :

فما معنى « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام وبالمثال يتضح الحال : فإن العباس بن عبد المطلب – رضى الله عنه – غير أبى لهب بن عبد المطلب وهما أخوان : فالأول جمع مع النسب الشريف صحة الإيمان وسلامة اليقين والجهاد فى سبيل الله والعمل الصالح والعلم فى الدين فهو من الخيار فى الجاهلية الخيار فى الإسلام ، والآخر لم ينفعه نسبه والألسنة تلعنه لسوء إختياره وضلاله : « تبت يدا أبى لهب وتب » .

وكذا : الوليد بن المغيرة أضاع نفسه بحسده وحقده.وسوء اختياره مع مالولديه الوليد بن الوليد وخالد بن الوليد من المنزلة الكريمة والشرف العظيم بالانتساب إلى دين الله وجهادهما فى سبيله واقتدائهما برسول الله ﷺ فاجتمع لهما الشرفان ، والأمثلة كثيرة .

إن الإنسان إذا دخل فى دين الله ، وانسلك فى سمط الإيمان ، وفقه فى الدين ، وكان – قبل الإسلام من ذوى المآثر – مثل أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وغيرهم رضوان الله عليهم – فإنه من خيار الناس فى الإسلام كما كان من خيارهم قبله ، وبقدر تقواه يكون له الفضل على أقرانه ، ثم إن مكانته بعد قبول الإسلام تتباعد عما يكون لمثله ممن لصق بالتراب وأبى الإيمان كما يتباعد المشرق عن المغرب ، إذ بالإسلام يتغير جوهر الإنسان ويصبح له عالم نورانى يحرك عالمه الطينى على مقتضى أوامر الله ونواهيه .

ولا شك أن التفاوت أمر مقرر فى الهبات والذكاء ومراتب النسب بل ودرجات الإيمان ومنازل الصالحين ، قال الله تعالى :

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾

« النساء : ٩٥ »

فهذا نوع تفاوت لا يخفى ، وفى سورة الحديد : « لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ » سورة الحديد

وفى تحريم الصدقة على بنى هاشم نوع تفاوت وطوبى للجامع منهم بين شرف النسب وشرف التقوى والعمل الصالح .

تخصيص بعد تعميم لتأكيد أن النسب وحده لا يكفى :

ولما نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء : ٢١٤]

قال ﷺ : « يا معشر قريش » أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » [أخرجه البخارى ورواه أبو هريرة] .

قال ذلك رسول الله ﷺ وهو قائم منتصب على قدميه الشريفتين فوق الصفا امتثالا للأمر بإنذار عشيرته الأقربين وتخويفهم عقوبة الله إن لم يبادروا إلى شرف الدخول فى الإسلام ، وقد

خصصوا بالدعوة ـ بعد أمره ﷺ ـ بالإنذار العام للناس أجمعين بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ » المدثر ١ ، ٢ لئلا يتوهم أحد أن قرابة رسول الله ﷺ ـ يتميزون عن غير قرابته فكان هذا الموقف لبيان أنهم وغيرهم في التكليف سواء والنداء يؤكد هذه الحقيقة .

تنبيه :

وإذا كان هذا بالنسبة لابنة الرسول نفسه وأهله وخاصته منهم فمن باب أولى يكون الأمر بالنسبة للمنتسبين لبنى هاشم وقد تفرعوا ، وكذا الذين ينتسبون الى بعض أصحاب الفرق أو الطرق أو المشايخ إذ التكليف لا يسقط عن أحد أبداً حتى أشرف الخلق رسول الله ﷺ فقد كان أعبد الناس وفي الحديث : « ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه »

[أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة]

شرف النسب :

إن شرف النسب مع التواضع والتدين يزدهر مع شرف التدين والإخلاص لله في السر والعلن .

إن القرآن والسنة الصحيحة يوضحان ويؤكدان : أن الناس وإن اختلفوا في المنزلة ، وتباينوا في الدرجة فإنهم يتساوون فيما أمرهم الله به ، ونهاهم عنه ، يتساوون في الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأوربي على أفريقي إلا بالتقوى والعمل الصالح

فمن ناله شرف الانتساب أو نحو ذلك من أسباب التفاوت الظاهر لا يضع عن أحد منهم ما شرع الله له من أمور الدين على اختلاف مراتب الأحكام ، ولا يعطيه حق الخروج على القيم والفضائل الإسلامية ، ولقد كان الرسول ﷺ نفسه أشد الناس تواضعا لله ، وكان ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه الشريف وكان يصغى للصغير والكبير والغنى والفقير ، والحر والعبد ، ويقبل دعوة الجميع ويقبل هداياهم ، ويبش في وجوههم ، ويشاركهم العمل في السفر ولا يقبل أن يجلس وهم يشتغلون ، كما كان يشارك خادمه في عمله خصوصا في حالة تعبه ، ويعمل في مهنة أهله من كنس أو رقع ثوب ، ورفع دلو ، وإعدادٍ لطبخ ونحو ذلك .

وقل ما شئت من التواضع والرفق والرحمة والحلم وبسط الوجه الشريف .

العلم والاستنباط :

ودائما يعطى الإسلام العلم والفقه في الدين بالقدرة على الفهم والاستنباط الحظ الأوفى من التكريم ، لذا فإن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق والمواساة والنجدة في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا أى جمعوا بين العلم والفهم والعمل مع الإخلاص فهؤلاء هم خيار الناس وأفاضلهم : « فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » أى صاروا فقهاء ذوى قدرة على استنباط الأحكام وفي الحديث الذى رواه معاوية : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » والله اعلم والصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .



د. عبد الوهاب عزام

رحمه الله تعالى

مع فضيلة الدكتور



عبد الوهاب عزام في نفحات رمضان

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الأديب ــ أولا وقبل كل شيء ــ فردٌ في مجتمع ، يعطى ويأخذ ، ويؤثر ويتأثر ..

يعيش بين ظهرانيه ، ويشرب من منابعه ، ويصدر عن آلامه وآماله ، ويصور أدق مشاعره وأحاسيسه ..

وإذا أتيح لسائر أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه منظار عادى ، كان هو ــ وحده ــ الذى يملك « التليسكوب » ، ليعرف عن مجتمعه ما لا يعرفه غيره ..

والدكتور عبدالوهاب عزام ــ رحمه الله ــ كان ابن مجتمعه الإسلامى بحق ، يسمو بغاياته وتعاليمه ..

وقد كان لشهر رمضان فى نفسه منزلة خاصة ، يحتشد له بطاقته الفنية ، ليصف ما يزخر به من المعانى الرفيعة ، والذكريات الحبيبة إلى كل نفس مؤمنة ، سواء فى ذلك المجتمع الصغير ، وهو مجتمع الأسرة ، أو المجتمع الكبير ، وهو مجتمع الوطن ، أو المجتمع الأكبر من هذين ، وهو المجتمع الإسلامى بأسره ، ثم الإنسانية جمعاء ..

• • •

لهذا الأديب كتاب : (النفحات) خصه بالحديث عن رمضان ، فهو يسرى بنا ــ من ألفه إلى يائه ــ فى آفاق رمضانية ، رُوحية نَدِيَّة ، ننسى بها أوضار عالمنا المادى المتطاحن ، ونهفو إلى المعانى الإسلامية النبيلة ، التى تطل على الدنيا : إطلال مغفرة على آثام ..

فى مشهد مهيب ، نرى المساجد حالية بالمصابيح ، شادية بالتسابيح ــ كما يقول الزيات ــ لترسل فى أعماق الوجود ، نور الله وكلمته ..

يوضح الدكتور عزام خطته ومنهجه فى إعداد (النفحات) بقوله ـ فى مقدمة الكتاب : « بدا لى وأنا فى « كراچى » أثناء عمل سفيراً لمصر فى دولة الباكستان ـ أول رمضان ، عام سبعين وثلاثمائة وألف ، أن أخط كل ليلة مقالا قصيرا ، فيما يخطر من خاطرات الوقت ، وما يسنح من سانحات الفكر .. ويسَّر الله الكتابة ، فوفيت بما وعدْتُ به نفسى .

وكرّت الأيام كرورها ، ومرت الشهور مرورها ، فإذا رمضان من عام واحد وسبعين ، وإذا أنا لا أزال فى « كراچى » فرأيت أن أعالج كل ليلة أبياتا أقيّد بها خطرة شاردة ، وأسجل فيها فكرة واردة ؛ فنظمت أبياتا كل ليلة ، ثم « أقبل رمضان الثالث ، رمضان سنة اثنين وسبعين ، فبدا لى أن أكتب كلمات بين النظم والنثر كل ليلة .. ومضى رمضان وقد وفيت بما التزمت » .

إلى أن يقول ـ موضحا السبب فى اختيار عنوان الكتاب : « وسمَّيت هذه الطوائف الثلاث من الكلِم : « النفحات » .. أوْحَى إلىَّ هذه التسمية كتاب الشيخ عبدالرحمن الجامى المُسمَّى : « نفحات الأنس ، من جناب القُدس » .

• • •

ولو طاوعت القلم ، لنقلت صفحات الكتاب كلها ؛ لأنها جنات فى صفحات ، لما اشتملت عليه من حديث طلى ، وإيمان جَلى ، وتعبير بليغ .. إلا أن مالا يُدرك كله ، لا يترك ما يمكن اختياره منه ، وبخاصة ذلك الذى يجعلنا نقف على خصائص وميزات الدكتور عزام النفسية ، التى تتسم بالنُّبل والسمو ، من خلال حديثه عن النفس الإنسانية عامة : « الإنسان له نفسه ، عليه تقْويها ، وتزكيتها ، وإنماء مواهبها ، واستخراج أحسن ما فى فطرتها » ، وعليه وقايتها والدَّفع عنها ، فيما يعرض لها من عوامل حِسِّية أو معنوية » .

وفى حديث عن (مواضع الاجتماع والافتراق) يقول :

« صليت العشاء والتراويح الليلة ، وراء إمام يمنى عاش فى الشام ، وعلى يمينى وشمالى خدم السفارة ، وكم صلى الأغنياء وراء الفقراء أو فى صفِّهم ، وصلى الرؤساء فى صف المرءوسين أو وراءهم ، وسجد السادة مع المَسُودين أو خلفهم ، سُنة الإسلام فى المؤاخاة والمساواة .... هم عند الله سواء ، وفى الشرع سواسية ، وفى القانون شرعٌ ، ولكن هذه المساواة لا تُحرِّم أن يكون فى الناس قائد ومقود ، وسائد ومَسُود ، وخادم ومخدوم ، وآمر ومأمور .. فإن ائتلاف الجماعة لا يكون إلا بهذا الاختلاف ، كآلات الساعة : فيها الكبير والصغير ، والمستقيم ، والمُنْحنى ، والمستدير ، والدافع والمدفوع ، ولكنها تأتلف فى الحركة المؤدِّية إلى سيرها السَّيْر المقدر لها .. » .

ويعود الدكتور عزام إلى إشباع هذا المعنى من التواضع فى مجال الأخوَّة الإنسانية بين البشر ، بقوله فى خاطرة رمضانية أخرى : « نزلت لصلاة العشاء حين أذَّن مُؤذِّن السفارة ، فوجدت الخدم حاضرين للصلاة ، وكنتُ قد دعوتهم إلى صلاة الجماعة .... ووقد انشرح صدرى لاستجابة الخدم للدعوة ،

وأنست بهم ، ورأيت معنى الأخوة الإسلامية جليا فى هذا المجمع ، ونظرت إلى المصلين أتوسّمهم : فوجدتُ آخرَ الصف إلى اليمين (سُلطانا) .. هذا الشيخ الذى يعمل بين الحين والحين فى المضخة التى ترفع الماء إلى الطبقات العالية من دار السفارة ــ ورأيت آخر الصف إلى اليسار (كوثرا) .. الكنّاس الذى يتعهد دار السفارة بالتنظيف كل صباح ومساء .. وسرّنى أن رأيته مُعَمّماً ، فى غير ثياب المهنة التى يعمل فيها . » ..

« وجاوزت هذا الظاهر الجميل المتناسق ، إلى ما هو أعظم ، إلى التناسق الباطن فى الفكر والروح ، والخلوص من الصور المختلفة ، والجزئيات المتعددة .. إلى المعنى الذى لا يحُدُّه زمان ولا مكان ، ولا يختلف فيه فكر ولا قلب : اتصل هذه الأرواح ، بالله الواحد . » ..

• • •

وفى خاطرة أخرى رمضانية ، تحمل نفس المعنى ــ شعرا ــ يقول فيها تحت عنوان : (الجمع والفرق) :

قد تساوينا جميعا	حين قُمنا للصلاه
وركعنا وسجدنا	فاستوت منا الجباه
إنما نحن سواء	غمّنا شَرْعُ الإله
جمعتنا واجبات	وحقوق .. فى الحياه

• • •

غير أنا فى فنون العيش ، ما فينا اشتباه

من ذكى وغبى	وأخى جِدٍّ .. ولاه
ذاك مأمور ، وهذا	آمر فينا .. وتاه
ذاك محروس ، وهذا	حارسٌ يرعى حِماه
ذاك مخدوم ، وهذا	خادم يبغى رضاه
.. وإذا حقّقْتَ فالخا	دمُ مخدومٌ سواه
كلهم مؤلىً ، ولكن	قيل : مولى .. وفتاه
ذلك الخُلْف نظام	أحْكَمَتْ فيه .. قُواه

• • •

عجلات دائرات	محكمات .. فى تناه
كلها يدفع والمدا	فع مدفوعاً .. تراه
وإذا غيرت هذا النظام	أزهَقْتَ قُواه

• • •

وينتقل الدكتور عزام ، بعد ذلك ، إلى خاطرة أخرى ، يتحدث فيها عن (التكليف .. والحب) ، فيقول : « يطيع كثير من الناس أوامر الدين والقانون : قانون السلطان أو قانون الأخلاق ، ويؤدون ما

يَكْلَفون لا يرخّصون لأنفسهم في مخالفة ، وإن خالفوا .. أُسِفوا ، ووَدُّوا أنهم لم يخالفوا ، ورجوا ألا يخالفوا من بعد ..... وأعْلى من هؤلاء منزلة ، وأبلغ في الخير مكانة ، وأعظم للحق إدراكا : مَنْ تُخالط نفوسَهم حلاوةُ العمل الطيب ، وتُغرم بجمال الخير ، وتشرق بنور الحق .. فهي تهشُّ له ، وتنزع إليه ، وترغب فيه ، وتراه نابعا من سرائرها ، ساطعا من وجدانها .... وما تزال النفس تصفو بالجمال ، وتعلو بالحق .. حتى تكون قانونا في الخير ، لا يصدر عنها غيره .. ومرآة للجمال ، لا يُرى فيها سواه ، وحتى تتصل نزعاتها وخلَجاتها بالحق والخير والعدل :

آي الله تعالى :

وتلكم منزلة الأبرار والمقربين ، ومن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ثم يتحدث عن مزايا رمضان ، فيقول :

« يُحبِّب إليَّ رمضانَ أمورٌ غير ما فيه من عبادة وفكر ورياضة ؛ منها :

أن فيه تغييرا في عيشنا المطّرد على نسق واحد ، فنحن أكثر شعورا به وتنبُّها له ، بما فيه من خصائص ، وبما يحدث في عيشنا من تغيير .. » .

ويعجبني في هذا المعنى ـ بتداعي المعاني ـ بيت للرافعي ، يقول فيه :

ولـيس يُطـرِبُ صوتُ الماء .. مُنْحـدِرا   كما ترى وقعـه .. في سمـع ظمـآن

ثم يستطرد الدكتور عزام قائلا : « ويتصل بهذا ، أن الإنسان ـ في رمضان ـ شاعر بما يمضي وما يأتي من أوقاته ، راجٍ آمل كل حين ، يرجو مواقيت الإفطار ، ويرجو مواقيت الصلاة .... ثم الناس لا يشهدون السَّحَر والفجر إلا قليلا ، وفي رمضان .. يوفّون أوقات اليوم كلها ، ويستوفون ساعاته جميعها .. » .

• • •

وحينما يمضي ثلثا رمضان ، يُلهمه ذلك أن يقول :

« لا أدري كيف مَضَيا ، إلا كما أدري كيف يمضي الزمان سريعا ، نشعر به أو لا نشعر ، لا حيلة لنا فيه ، وليس لنا من الأمر شيء .. » .

والسعيد السعيد من لا تمر ساعاته فارغة ، ولا منقوصة ، ومن لا تحمل ساعاته إلا الكلمة الطيبة ، والفَعْلة الخيِّرة ، والنية الحسنة ، جهد طاقته .. مَنْ تمر ساعاته به ، كما تمر الريح على الروض المِمطار ، ترى خضرة ونضرة ، وزهرا ونورا ، وتحمل شذى عاطرا ، ونفحا طيبا ..

• • •

وفي حميلة الشعر لدى الدكتور عزام ، أثناء الصيام ، يهمس لنا بهذه الأبيات ، عن (خلوته) وكيف يراها :

إن في خلوة النفوس لأنسا ... ليس تُلْفيه خلوة كل نفس
هي في ضجة الأنام .. سكون ... يسمع القلب عنده كل همس
وهي في فرقة النفوس .. اجتماع ... تُرهف النفسُ عنده كل حس
وهي في فسحة الخيال .. انطلاق ... دون قيد .. من الجليس وحَبْس
وهي في ظلمة الليالي .. ضياء ... لا تراه النفوس ، في ضوء شمس
مَنْ يضقْ بالخلاء نفسا ، فإني ... أجد الخلوة الطويلة .. أُنسي

ونستطيع أن نقف على طبيعة الدكتور عزام المترنة القاصية المَرَاح ، في الحوار التالي :

قال اللائمون : لست طروبا ... لك - حقا - إلى الصخور انتماء !
كم تثير الأوتار لحنا فلحنا ... وتهزّ الأوتار فينا غناء
وترى الناس مائجين ، ولكن ... أنت في الموج .. صخرة صمّاء

ويجيب اللائم بقوله :

حسبك الله ، قد بلغتَ الملاما ... وحماك الصوابَ هذا المراء
طرَبُ الطفل وثبةٌ وصياحٌ ... ومن الشيخ .. بسمةٌ خرساء
ومن الغصن ، في الرياح ، اهتزاز ... ومن الطود .. عزة قعساء
.. ضاق قلبٌ عن الجمال ، فأفشى ... فإذا كلُّ سرِّه أصداء
رُبّ قلب وعى الجمال ، ولكن ... عزّ فيه لِسِرّه ، إفشاء
رُبّ قلب حوى العوالمَ طرًّا ... تصغر الأرض عنده والسماء

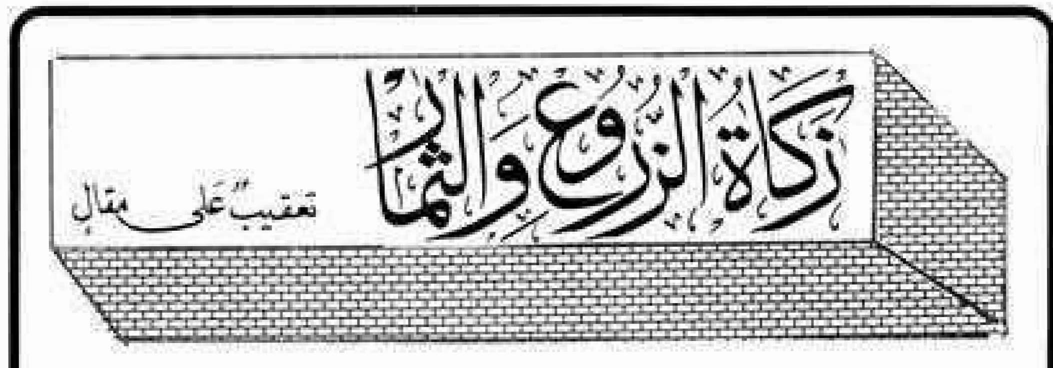
وبعد ، ألم أقل : إنني لو طاوعت القلم لنقلت صفحات (النفحات) برمتها ؟ فلا أقل من أن أثبت بعض أبيات الدكتور عزام بقصيدته الواردة بالنفحات التي تحمل عنوان : (نبع في فلاه ..) لأنها تصوّر شخصيته ، وأثره فينا خير تصوير :

رأيت بقفرة نبعا ثريّا ... يشق الصخر في سفح الجبال
وقامت حوله دَوْح عظام ... تُجير من الهجيرة كلَّ صال
تمر به القوافل وهْيَ عطشى ... فتحيا بالمياه وبالظلال
وقام لديه بستان نضير ... من الأزهار والثمرات حال

• • •

كذلكم في قفار الناس تجري ... حياة المصلحين من الرجال

رحم الله عزّاما رحمة واسعة ...



د. / عبد الرحمن العدوي

فرض الله على الأغنياء من المسلمين أن يؤدوا زكاة أموالهم التى استخلفهم الله فيها وجعل هذه الزكاة حقاً واجب الأداء وفريضة محكمة يأثم تاركها ويعاقب على تركها فى الدنيا والآخرة فقال جل شأنه مخاطباً رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ ﴾

المؤمنون : ١ ـ ٤

وقد قرنت الزكاة بالصلاة فى اثنين وثمانين آية من القرآن الكريم .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة : ١٠٣

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان[1] يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه[2] ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٨٠ ﴾

رواه الخمسة إلا أبا داود .

---

(١) شجاعاً : ثعباناً كبيراً ، والأقرع : الذى ذهب شعره لكثرة سمه ، وزبيبتان : نكتتان سوداوان فوق عينيه ، وهذا النوع أخطر أنواع الحيات سماً وفتكاً .

(٢) بلهزمتيه : يعنى بشدقيه .

ولما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذ بن جبل إلى اليمن كان من بين ما قاله له : « أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم ؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » .

وأجمعت الأمة على فرضية الزكاة من غير خلاف من أحد من المسلمين ، ويكفر من جحد فرضيتها ؛ لأنها فريضة معلومة من الديـن بالضرورة ، وقد حارب الخليفة الأول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ والصحابة معه مانعى الزكاة وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يعطونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها » وارتضى منه الصحابة ذلك دون نكير وقاتلوا معه حتى استقر هذا الركن من أركان الإسلام ومبانيه .

والزروع والثمار من الأموال التى تجب فيها الزكاة لقول الله ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الأنعام : ١٤١

وقد بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقدار الزكاة الواجبة فى الزروع والثمار فقال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا[٣] العشر ، وفيما سقى بالنضح نصف العشر » أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى .

وعن جابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « فيما سقت السماء والغيم العشور وفيما سقى بالسانية[٤] نصف العشور » رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود .

قال الإمام الشوكانى : والحديثان يدلان على أنه يجب العشر فيما سقى بماء السماء والأنهار ونحوها مما ليس فيه مؤنة كثيرة ، ونصف العشر فيما سقى بالنواضح ونحوها مما فيه مؤنة كثيرة . قال النووى : وهذا متفق عليه .

ومصارف زكاة الزروع والثمار وغيرها من زكاة الأموال التى تجب فيها الزكاة حددها الله ـ تعالى ـ فى قوله :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة التوبة

فهذه الأصناف الثمانية هى مصارف الزكاة جميع أنواعها ليس لأحد أن يتجاوز ذلك ، فقد روى زياد بن الحارث الصدائى قال : أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعته ، فأتى رجل فقال أعطنى من الصدقة . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو

---

(٣) العثرى بفتح العين المهملة والثاء المثلثة : هو ما يشرب بعروقه من غير سقى .

(٤) السانية : هى البعير الذى يستقى به الماء من البئر ويقال له : الناضح .

فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » رواه أبو داود .

من لا حق لهم فى الزكاة :

ولا يدفع المزكى زكاته إلى أصوله أو فروعه فلا يصرفها إلى والديه وأجداده وجداته من جهة الأب أو الأم وإن علوًا ، ولا إلى أولاده وأولاد الأولاد ذكوراً وإناثاً وإن سفلوا ؛ لأنه يجب على المزكى الإنفاق عليهم إن كانوا فقراء فكفايتهم فى ماله ، فإذا دفع زكاته إليهم فقد صار نفعها إليه بما توفر له من النفقة فصار كأنه دفعها إلى نفسه ، ولهذا لا يدفعها الزوج إلى زوجته ؛ لأن نفقتها واجبة عليه ؛ فإن دفع الزكاة إليها كان نفعها عائداً إليه .

ولا تدفع الزكاة إلى غنى ليس فى حاجة إليها فإن مصرفها للفقراء والمساكين ، وفى الحديث الشريف : « من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خموشا أو خدوشا أو كدوحا فى وجهه ... » .

وفى الزكاة أحكام كثيرة ذكرنا منها ما تدعو الحاجة إلى معرفته للتعقيب على مقال نشرته جريدة الأهرام لأحد أساتذة كلية التجارة بجامعة الأزهر والمقال بعنوان : « رؤية اقتصادية من داخل جامعة الأزهر تقدم الحلول لمشكلات : رفع الدعم عن الإنتاج الزراعى ، ولبنوك القـرى ، ولعلاقـات أمثـل بين المالك والمستأجر » .

وقد اقترح الأستاذ الكاتب عدداً من المقترحات التى تتصل بزكاة الزروع والثمار ومقدارها وطريقة إنفاقها والاستفادة منها . وقد رأت لجنة البحوث الفقهية إحدى ـ لجان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ـ أن تحيل إلىّ هذا الموضوع لدراسته وبيان وجه الحق والصواب فيما تعرض له هذا المقال .

وبدراسة المقترحات التى قدمها الأستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر وجدت فيها بعض الأخطاء فى الأحكام الشرعية التى تحتاج إلى تصويب على النحو التالى :

أولاً : حدد سيادته مقدار زكاة الزروع والثمار بمبلغ ٥٪ من إجمالى المحصول الناتج لكل مزارع .

وتحديد مقدار الزكاة على هذا النحو لكل الزراعات خطأ من الناحية الشرعية فإن مقدار زكاة الزروع والثمار كما حددها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العشر (١٠٪) لما سقى بغير مؤنة وتكلفة ، ونصف العشر (٥٪) لما سقى بمؤنة وتكلفة وقد سبق بيان ذلك بأدلته من الحديث الشريف .

ثانيا : اقترح سيادته أن تصرف حصيلة هذه الزكاة على النحو التالى :

٣٪ من الحصيلة لدعم مستلزمات الإنتاج الزراعى .

٢٪ من الحصيلة لمواجهة الكوارث التى تصيب بعض المزارعين .

والخطأ فى هذا الاقتراح أنه يصرف زكاة الزروع والثمار فى غير المصارف التى حددها الله ـ تعالى ـ فى القرآن الكريم ، والتى قال عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء » وليس من بين هذه الأجزاء الثمانية التى حكم الله بها ـ شراء

مستلزمات الإنتاج الزراعى من آلات وجرارات وخلافه .

والخطأ الثانى : أن إنفاق جزء من الزكاة فى شراء آلات يستفيد بها المزكى وغيره يؤدى إلى أن يعود بعض النفع من أموال الزكاة إلى المزكى نفسه وهذا ممنوع شرعاً كما شرحنا فى منع أداء الزكاة إلى أصول المزكى وفروعه وزوجه حتى لا يعود النفع إليه .

والخطأ الثالث : أنه يصرف جزءاً من أموال الزكاة لمواجهة كوارث المزارعين وقد يكون من أصابته الكارثة ممن يؤدى الزكاة أو من غير المحتاجين فيترتب على هذا الاقتراح أن تصرف أموال الزكاة فى غير مصرفها الشرعى ولمن لا يستحقها .

ثالثاً : يقترح الأستاذ فى مقاله المذكور الأخذ بأسلوب المزارعة بحيث يتقاسم المالك والمزارع الناتج بينهما سواء كان قليلاً أم كثيراً .

وهذا اقتراح لا اعتراض عليه فإن المزارعة من العقود الشرعية التى تكون بين مالك الأرض والزارع والتى يتحدد فيها نصيب كل منهما بنسبة من الخارج (النصف أو الثلث أو الربع) ـ مثلاً ـ دون تحديد قدر معين حتى لا يفسد هذا العقد .

ولكن الاعتراض على ما ذكره فى شأن تأجير الأرض بإيجار نقدى حيث يقول : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع لأن فيه غنماً وبعداً عن الغرم ، والأسلوب الشرعى الحلال هو المزارعة ، وهذا يحقق مبدأ « الغنم بالغرم » .

فقوله : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع ... إلخ » قول بعيد عن الصواب . فإن الذى قال ذلك هو ابن حزم ـ وحده ـ ولم يوافقه واحد من الأئمة الأربعة على ذلك وإليك النصوص :

قال ابن حزم فى كتابه « المحلى » جـ ٨ ص ٢١١ مسألة رقم ١٣٣٠ مايلى :

« ولا يجوز كراء الأرض أى إجارتها ـ بشىء أصلاً لا بدنانير ولا بدراهم ولا بعرض ، ولا بطعام مسمى ولا بشىء أصلاً . ولا يحل فى زرع الأرض إلا أحد ثلاثة أوجه :

إما أن يزرعها المرء بآلته وأعوانه وبذره وحيوانه .

وإما أن يبيح لغيره زرعها ولا يأخذ منه شيئاً ...

وإما أن يعطى أرضه لمن يزرعها ببذره وحيوانه وأعوانه وآلته بجزء ويكون لصاحب الأرض مما يخرج الله ـ تعالى ـ منها مسمى إما نصف وإما ثلث أو ربع أو نحو ذلك أكثر أو أقل ، ولا يشترط على صاحب الأرض البتة شىء له ولا شىء عليه . فهذه الوجوه جائزة فمن أبى فليمسك أرضه » اهـ .

واستدل ابن حزم لرأيه بعدد من الأحاديث والآثار عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكن جمهور الأئمة لم يوافقوا ابن حزم فيما ذهب إليه واتفقوا على جواز إجارة الأرض للزراعة أو غرس

الأشجار فيها واستدلوا لذلك بما رواه مسلم عن حنظلة بن قيس الزرق قال : سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق (الفضة) فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على (الماذيانات) وأقبال الجداول(*) ، وأشياء من الزرع ـ أى معينة ـ فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، فلم يكن للناس كراء إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ، فأما شيء مضمون معلوم فلا بأس به .

وفى رواية عن سعد بن أبى وقاص قال : أرخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كراء الأرض بالذهب والورق ـ أى الفضة . » وغير ذلك من الأحاديث الشريفة .

ويرد جمهور الأئمة على ما استدل به ابن حزم فى النهى عن إجارة الأرض بما يجعل قول الجمهور هو الراجح ، وعليه العمل إلى يومنا هذا ، ومن أراد تفصيل الأدلة ومناقشتها فليرجع إلى كتب الفقه .

وبعد هذا البيان يكون قول الأستاذ : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع » قولاً غير صحيح فهم لم يجمعوا على ذلك ولا كادوا يجمعون .

واستدل الأستاذ بقوله بأن فى الإيجار النقدى غنما بعيداً عن الغرم وهو استدلال غير صحيح فإن مالك الأرض عندما يؤجرها بالنقد يملك المستأجر منافع الأرض ويأخذ المالك الأجر فى مقابل هذه المنافع فهو عقد معاوضة بين المالك والمستأجر . والأرض عين يمكن استيفاء المنفعة المباحة منها مع بقائها فجازت إجارتها بالأثمان ونحوها كالدور والحوانيت ولا فرق .

وعقد الإجارة ـ سواء فى الدور أو الأرض ـ تمليك المنافع بعوض فالمالك صاحب الأرض يملّك المنفعة للمستأجر ويأخذ الأجرة فى مقابل ذلك ، والمستأجر يتملك المنفعة ويعطى الأجرة فى مقابل ذلك ، فليس فى هذا غنم بعيد عن الغرم ، لأى من المتعاقدين فى إجارة الأرض بالثمن .

وقوله : (الأسلوب الشرعى الحلال هو المزارعة) يشعر بأن إجارة الأرض بالنقد أسلوب غير شرعى وغير حلال فقد جاءت عبارته تفيد قصر الحل والشرعية على عقد المزارعة وحده ، وذلك خبط فى الحل والحرمة بغير علم .

ومما يزيد الوضع سوءاً أن الأستاذ فى إحدى كليات جامعة الأزهر .

ويبدو أن سيادته اعتمد على ما لديه من ثقافة عامة فجاءت أقواله بعيدة عن الدقة الواجبة فى الحديث عن الأحكام الشرعية والعقود التى تحل والتى تحرم ، وكان الأجدر بسيادته أن يتحدث فيما تخصص فيه من أمور التجارة والمحاسبات حتى لا يعرض نفسه للنقد والمؤاخذة على القول فيما لا علم له به .

(*) أى على ما تنتجه شواطىء الأنهار ورؤوس الجداول .

شهادة الأصول للفروع والعكس

أ. د/ سعاد إبراهيم صالح (*)

تمهيـد :

الشهادة : هى الإخبار بما علمته .. وقال بعضهم : تكون بلفظ (أشهد) ، أو (شهدت) والفاعل : شاهد وشهيد ، والجمع شهود وشهداء وشاهدون .

والشهادة : سبب موجب للحق ، وحيث امتنع أداؤها امتنعت كتابتها ، ويحرم كتمانها ، ولو كان بين إنسان شىء لا يستحقه ولا يصل إلى مستحقه إلا بالشهادة لزمه أداؤها وتعيّن .. ولو كان الشهود أكثر من نصاب الشهادة وطلب أحدهم وجب عليه أداؤها فى أصح قولى العلماء ، وأما إذا كان المطلوب لا يتم نصاب الشهادة إلا به فقد تعينت عليه إجماعا .

والأصل فى الشهادة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ سورة البقرة (٢٨٢) أى للتحمل فعليهم الإجابة وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ سورة البقرة (٢٨٢) أى أشهدوا على حقكم سواء كان فيه أجل أم لم يكن . والجمهور على أن الأمر للندب والإرشاد لا على الوجوب ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ سورة البقرة (٢٨٣) أى إذا دعيتم إلى إقامتها فلا تخفوها ولا تغلوها بل أظهروها .. قال ابن عباس : « شهادة الزور من أكبر الكبائر ، وكتمان الشهادة كذلك ، وفى الآية وعيد شديد لكاتم الشهادة » .

وأما السنة : فقوله ﷺ فى نحلة بشير لابنه النعمان : ﴿ لا تشهدنى على جور ﴾[1] وأجمعت الأمة على تعين أدائها وحرمة كتمانها .

أركان الشهادة :

تقوم الشهادة على ثلاثة أركان :

الأول : العدالة .

الثانى : نفى التهمة وإن كان عدلا ، أو انتفاء الموانع ، ومن الموانع البعضية أو قرابة الولادة .

الثالث : التيقظ والحفظ وقلة الغفلة .

(*) أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر .

(١) الحديث : (فإنى لا أشهد على جور) انظر صحيح مسلم (هبات) ومسند أحمد ٢٦٨/٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ .

أما العدالة : فأصلها الإيمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله — عز وجل — فى الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة والأمانة ، وألا يكون محدودا فى قذف .

وأما نفى التهمة : فألا يكون المشهود له والدا ولا ولداً أو زوجا وزوجة .

وأما التيقظ والحفظ وقلة الغفلة ، فألا يكون غفولا غير مجرب للأمور فإن مثله ربما لُقِّن الشىء فلقنه وربما جُوز عليه التزوير فشهد به .

والذى يهمنا هنا هو الركن الثانى : وهو نفى التهمة عن الشهادة وإن كان الشاهد عدلا .. فذهب أكثر الفقهاء الى اشتراطها وذهب البعض منهم الى عدم اشتراطها على النحو المبين فيما يلى :

آراء الفقهاء فى حكم شهادة الأصول للفروع والعكس :

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ سورة النساء

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة المائدة (٨)

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يؤدوا الشهادة ابتغاء وجه الله ولو كان ذلك على أنفسهم ، وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها ، أو الوالدين والأقربين ، فلا ينبغى مراعاتهم فيها ، بل تجب الشهادة بالحق .. ولا يتنافى ذلك مع وجوب برهما وعظم قدرهما ، وإنما خصَّ الله الوالدين والأقربين بهذا الحكم لأنهم مظنة المودة والتعصب ، ولاحتمال أن يؤثر ذلك فى صحة الشهادة وإقامتها .

ولذلك ختم الله الآية بقوله :

﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ، أى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم إلى ترك العدل فى أموركم وشؤونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان ، كما قال — تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة المائدة

وقال النبى ﷺ : « **خير الشهداء الذى يأتى بالشهادة قبل ان يسألها**[٣] » ..

حكم شهادة الأقارب بعضهم لبعض

ومن هنا اختلف الفقهاء فى حكم شهادة الفروع للأصول ، والأصول للفروع ، فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية ، والمشهور عن الحنابلة إلى أنه لا تجوز شهادة الوالدين — وإن علوا — للولد — وإن سفل — ، ولا شهادة الولد — وأن سفل — لهما — وإن علوا — ، لشبهة التهمة بسبب ما بينهما من العصبية والنفع والمودة بينهم .

ويروى عن الظاهرية أنه تجوز شهادة الولد لوالديه وشهادة الأب لابنه وامرأته إذا كانوا

---

(٣) رواه ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ من سورة المائدة .
ولم يسنده فى هذا الموضع ، ٥٦٥/١ ط دار إحياء الكتب العربية .

عدولا مهذبين معروفين بالفضل ولعموم الآيات الواردة فى الشهادة .

واستدل جمهور الفقهاء القائلين بمنع قبول الشهادة بأدلة من الكتاب والسنة والمعقول .

أما الكتاب فقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾

سورة النور (٦١) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية : أن الله سبحانه ذكر جواز الأكل من بيوت الآباء ولم يذكر بيوت الأبناء لأن قوله تعالى : ﴿ من بيوتكم ﴾ قد انتظمها .. ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ « أنت ومالك لأبيك »[٣] فأضاف الملك إليه .. وقال ﷺ : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فكلوا من كسب أولادكم »[٤] فلما أضاف ملك الابن الى الأب وأباح أكله له وسماه له كسبا ؛ كان المثبت لإبنه حقا بشهادته بمنزلة مثبتة لنفسه ومعلوم بطلان الشهادة لنفسه فكذلك لابنه واذا ثبت ذلك فى الابن كان ذلك حكم شهادة الابن لأبيه إذ لم يفرق أحد بينهما .

وأما السنة فاستدلوا بأحاديث منها : قوله ﷺ : « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولاذى الغمر على أخيه ، ولا ظنين فى قرابة ولا ولاء »[٥]

والغمر : الشحناء .

وأما ذو الغمر : فهو الذى بينه وبين المشهود عليه عداوة ظاهرة .

والظنين : المتهم ، والأب متهم لولده لأن ماله كماله ، ولأن بينهما بعضية فكأنه يشهد لنفسه .. ولهذا قال عليه السلام : « فاطمة بضعة منى يريبنى مارابها » والخبر أخص من الآيات فتُخَصُّ به وقوله ﷺ « لا تقبل شهادة الولد لوالده ولا شهادة الوالد لولده ولا المرأة لزوجها ولا الزوج لزوجته » والحديث صريح فى المنع .

وأما المعقول فلمعان كثيرة :

أولها : أن ما بين الأب والابن من البعضية والجزئية يمنع من قبول الشهادة ، كما منع من إعطائه من الزكاة ، ومن قتله إذا قتل ولده ومن حده بالقذف إذا حدّ ولده ، ومن عدم قطعه إذا سرق من مال ولده .

ثانيا : أن الإنسان متهم فى ولده مفتون به كما قال تعالى : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » سورة التغابن (١٥) فكيف تقبل شهادة المرء لِمَنْ فُتن به ، والفتنة محل التهمة !!

والراجح عندنا رأى الجمهور بمنع قبول شهادة الوالد لابنه والابن لأبيه ، وذلك لقوة أدلتهم ، ولأن معانى الأبوة والبنوة والشفقة الرابطة بين الأصول والفروع تجعل شبهة التهمة بالمنفعة موجودة .. فالأولى منع قبول الشهادة سدا للشبهة بالمنفعة المترتبة على الإدلاء بتلك الشهادة .

أما شهادة أحدهما على الآخر فتقبل وهذا الأمر محل اتفاق جميع الفقهاء وذلك لقول الله تعالى :

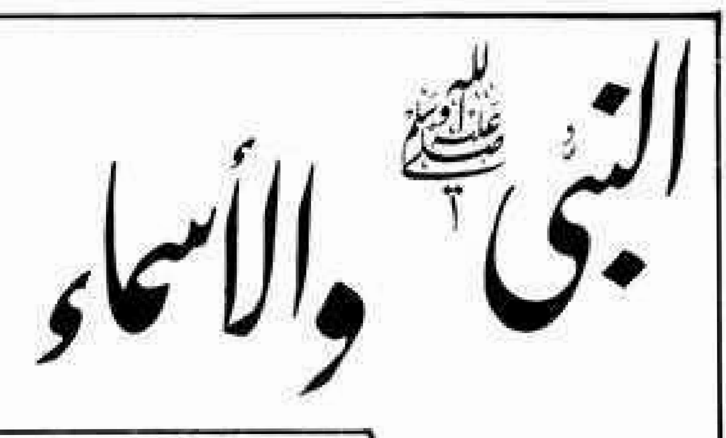
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ سورة النساء آية (١٣٥) فأمر سبحانه بالشهادة عليهم ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد .

(٥) راجع سنن أبى داود : أقضية ، وسنن الترمذى : شهادات وسنن ابن ماجة : أحكام ، وسنن أحمد ١٨١/٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ .



النبي ﷺ والأسماء

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

تذكر لنا كتب السيرة والطبقات : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتفاءل بالأسماء الحسنة ويدعو إلى التسمي بها ، وقد رُوى عن أبي الدرداء ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنكم تُدعَوْن يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم » .

الترغيب والترهيب للمنذرى حـ ٣ ص ٦٩ .

وقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « أحب الأسماء إلى الله ما تُعُبِّد له به ، وأصدق الأسماء همام وحارث » ـ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : أخرجه الشيرازي و الطبراني عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

وفي حديث آخر يقول : « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ .

وفي دعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التسمي بالأسماء الحسنة لفتة كريمة إلى ما يجب أن يسود المجتمع من علاقات طيبة وتواصل محمود ؛ ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يدأبون على تسمية أبنائهم بأسماء تنبيء بالشر وتنذر بالحرب ، وقد كثر بين أسمائهم : حرب ، وصخر ، ومرة ، وأسد ، وعلقمة ، وما شابه ذلك .

وقد سئل بعضهم في ذلك : ما لكم تسمون أبناءكم بأسماء فيها شدة ، وتسمون عبيدكم بأسماء فيها رقة ؟ فأجاب : ذلك أننا نسمي أبناءنا لأعدائنا ، ونسمي عبيدنا لنا .

فلما جاء الإسلام جاء بالحب والسلام ، والترغيب في المودة بين الناس ، وبنى قواعد دولته على الإخاء والتسامح ، وهذه نعمة الإسلام الكبرى التي يذكرنا الله ـ تعالى ـ بها في قوله :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

آل عمران : ١٠٣

التفاؤل والتطير بالأسماء :

وكان العرب قديماً يتفاءلون بالأسماء الطيبة ويتطيرون بعكسهـا ، ولهم في ذلك قصص وأخبار ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف أن من طبيعة النفوس الإقبال على كل ما هو حسن ، والنفور من كل قبيح ، ومن أوجه الإقبال على الحسن : الاستبشار بالإسم الجميل الذي يقع من قلب السامع موقعاً جميلاً ، ولذلك ورد عنه فيما يرويه ابن قتيبة في كتابه : « عيون الأخبار » ، مروياً عن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ : « إذا أبردتم إلى بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » ـ « عيون الأخبار » جـ ١ ص ١٤٨ .

ومما يروى عن تفاؤل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصاحب الاسم الحسن ما يرويه ابن الأثير في كتابه « أسد الغابة » في ترجمة بريدة بن الحصيب . قال عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتفاءل ولا يتطير ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فلقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : ممن أنت ؟ قال : ممن أسلم ، فقال لأبي بكر : سلمنا ، ثم قال : « ممن ؟ » ، قال : من بني سهم . قال : خرج سهمك ـ « أسد الغابة » جـ ١ ص ٢٠٩ .

وروى هذا الخبر ابـــن عبـــدالبر في « الاستيعاب » برواية أخرى : فقال له : « من أنت ؟ » قال : أنا بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر ، فقال : يا أبا بكر ، برد أمرنا وصلح ، ثم قال له : ممن أنت ؟ فقلت : من بني سهم . قال : خرج سهمك ـ الاستيعاب جـ ١ ص ١٨٥ .

وقد تفاءل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسحاب ، فقد روى هشام بن حبيش : أن خزاعة استنجدت بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قريش التي أعانت بكراً عليهم ، ونقضت بذلك صلح الحديبية ، فرأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سحاباً بالبادية فقال : « هذا مما يستهل بنصر بني كعب » ؛ « الطبقات الكبرى » لابن سعد ١٢٢/٦ ـ أسد الغابة ٣٩٧/٥ .

وعلى الرغم من تفاؤل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأشياء الحسنة إلا أنه كان يحذر من التطير والتشاؤم ، ومما يشير إلى ذلك ما رواه عروة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره يقول : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ، لا حول ولا قوة إلا بك » ، « أسد الغابة » ٢٨/٤ .

التفاؤل من طبيعة النفس :

والتفاؤل من طبيعة النفس ، وقد حدث الرياشي عن الأصمعي قال : سألت ابن عون عن الفأل فقال : هو أن تكون مريضاً فتسمع : يا سالم ، أو باغياً ـ يعني : طالباً للرزق ـ فتسمع : يا واجد ، وفي الحديث المرفـــوع « أصدق الطيرة : الفأل » وفيه « الطير تجري بقدر » ـ أخرجه السيوطي في « الجامع الصغير » عن عائشة .

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فمر طائر يصيح ، فقال

رجل من القوم : خير ، خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ، قال كعب الأحبار لابن عباس : ما تقول في الطيرة ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيها ؟ لا طير إلا طير الله ، ولا خير إلا خير الله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال كعب : إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل (يعني التوراة) ـ « عيون الأخبار » لابن قتيبة جـ ١ ص ١٤٦ .

ولأن ذلك من طبيعة النفوس فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفيقاً بعلاج ما يتركه ذلك من آثار ، وكان علاجه بالتوجيه إلى الثقة بالله والركون إليه والتوكل عليه والأخذ بالأسباب ، فإن رأى الإنسان شيئاً يكرهه بالتجربة فليتركه .

قال سلمة بن حارثة : جاء قوم فشكوا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : سكنا هذه الدار ونحن ذوو عدد ففنوا . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفلا تركتموها وهي ذميمة ؟ » ـ أسد الغابة ٤/٤١٥ .

وما يقال من أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الشؤم قد يكون في الدابة والمرأة والدار » فهو من الأخبار المحرفة ، وصحته ما روته عائشة ـ وحرره ابن قتيبة في « عيون الأخبار » ـ : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة » ثم قرأت : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ الحديد/٢٢

ذكر ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار جـ ١ ص ١٢٦ .

النبي وتغيير الأسماء :

إلا أن تغيير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء بعض أصحابه واستبدال أسماء طيبة بها لم يكن بسبب التطير والتشاؤم ، ولكن بسبب رغبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أن يظهر المسلم في أجمل صورة اسماً ولقباً ومظهراً وسلوكاً ، وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من أن يتنابزوا بالألقاب حيث قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

الحجرات : ١١

جاء في تفسير « القرطبي » : تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره ، ويجوز تلقيبه بما يحب ، ألا ترى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقب عمر : بالفاروق ، وأبا بكر : بالصديق ، وعثمان : بذي النورين ، وخزيمة : بذي الشهادتين ، وأبا هريرة : بذي الشمالين وبذي اليدين في أشباه ذلك ؟

ونقل عن الزمخشري قوله : روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه » ولهذا كانت التكنية من السنة ، والأدب الحسن .

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : أشيعوا الكنى فإنها منبهة ، ولقد لقب أبو بكر : بالعتيق والصديق ، وعمر : بالفاروق ، وحمزة : بأسد الله ، وخالد : بسيف الله ، وقلّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب .

ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجرى في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ـ تفسير القرطبي جـ ٩ ص ٦١٥٠ ط « دار الشعب » .

وجاء في كتابه « أدب الدنيا والدين » للماوردي : وأما ما يستحب ويستحسن من الألقاب فلا يكره ، وقد وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدداً من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجلّ الألقاب .

وقد غير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء كثير من أصحابه ، والمجال يضيق عن استقصاء ذلك ، ولذلك نكتفي بإيراد بعض الأمثلة .

كثير بن الصلت :

من الذين غير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهم : كثيراً بن الصلت بن معد يكرب الكندي ، وكنيته أبو عبد الله . ولد كثير على عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أخو زبير بن الصلت .

وكان كثير هذا قد سماه أهله « قليلا » فلما جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سماه « كثيرا » روى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن كثير بن الصلت كان اسمه قليلا ، فسماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كثير) ، وأن مطيع بن الأسود كان اسمه العاصي فسماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مطيعا » ... وكان ـ أى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتفاءل بالاسم ـ الاستيعاب : ١٣٠٨/٣ .

مطيع بن الأسود :

أما مطيع فهو ابن الأسود بن حارثة العدوى . من قبيلة عدى بن كعب القرشية . وكان اسمه « العاصي » فسماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطيعا ، كما جاء في نسب قريش ص ٣٨٣ .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر بن الخطاب : « إن ابن عمك العاصي ليس بعاص ، ولكنه والله مطيع » .

وهناك قصة تشهد بصدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك ، فقد « روى عنه ابنه عبد الملك بن مطيع أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلس على المنبر وقال للناس : اجلسوا . فجاء العاصي بن الأسود فسمع قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجلسوا ؛ فجلس مكانه خارج المسجد .

فلما نزل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء العاصي ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا عاصي ما لى لم أرك في الصلاة ؟ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ دخلت فسمعتك تقول : اجلسوا فجلست حيث انتهى بي السمع ، فقال : لست بالعاصي ولكنك مطيع . ـ « أسد الغابة » ١٩١/٥ .

الحسن والحسين :

وغير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسمى سبطيه ، فسماهما : الحسن والحسين ، وكان أبوهما على بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قد سمى كلاً منهما : حرباً ، ذكر ابن الأثير في مسند

متصل بأبى نعيم الفضل بن دكين ، وعبد الله بن موسى قالا : « حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لما ولد الحسن سميته حربا ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلنا : حربا ، قال : بل حسن . فلما ولد الحسين سميته حرباً ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . قال : بل حسين ، فلما ولد الثالث سميته حربا ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . قال : بل هو مُحسِّن ، ثم قال : سميتهم بأسماء ولد هارون : شبر وشُبَيْر ومُشَبِّر » .. « أسد الغابة » جـ ٢ ص ١٠ ، ص ١٨ وقد مات محسن صغيراً .

والحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا فى الجاهلية ، كما أخبربذلك عمران بن سليمان فيما يرويه ابن الأثير فى المرجع المذكور .

تغيير أسماء بعض النساء

جميلة بنت ثابت الأنصارية :

ولم يقتصر تغيير الأسماء على الرجال فقط ، فقد غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء بعض النساء ، ومن النساء اللاتى غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهن : أم عاصم ، وقد ورد ذلك فى « الاستيعاب » فيما رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر .. حيث قال : وأن أم عاصم كان اسمها عاصية فسماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميلة ، وكان يتفاءل بالاسم ـ « الاستيعاب » ١٣٠٨/٣ .

وأم عاصم هى : بنت ثابت بن أبى الأقلح الأنصارية أخت عاصم بن ثابت الذى يطلق عليه : حَمِىُّ الدَّبْرِ ـ والدَّبْرُ هو : النحل ـ حيث حَوَّم النحل فوقه ليحول بينه وبين الكفار الذين أرادوا احتزاز رأسه فى موقعة « الرجيع » المشهورة .

وأم عاصم هى زوجة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان اسمها فى الجاهلية عاصية فلما أسلمت سماها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : جميلة .

وكُنِيت باسم ابنها عاصم بن عمر الذى زوجه أبوه من الفتاة التى رفضت أن تشوب اللبن بالماء فى القصة المشهورة ، فولدت لعاصم فتاة تزوجها عبدالعزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبدالعزيز الذى نزع إلى جده عمر بن الخطاب فى العدل ، فسمى خامس الخلفاء الراشدين .

زينب بنت أبى سلمة :

ومن النساء اللاتى غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهن : زينب بنت أبى سلمة ربيبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اسمها « بَرَّة » ـ صفة مشبهة من البر ـ وسماها زينب ، وتعليل ذلك فيما يرويه أبو هريرة : أن زينب بنت أبى سلمة كان اسمها برة ، فقيل : تزكِّى نفسها ، فسماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب .

وروى محمد بن عمرو بن عطاء ـ رضى الله عنه ـ قال : سميت ابنتى : برة ، فقالت زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيتُ برة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تزكوا

أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا : بم نسميها ؟ فقال : « سموها زينب » ــ رواه مسلم وأبو داوود ، وذكره المنذرى فى « الترغيب والترهيب » جـ ٣ ص ٧١ .

جويرية بنت الحارث ، وميمونة بنت الحارث :

وكانت جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اسمها أيضاً بَرَّة ، كما جاء فى « طبقات ابن سعد » ٨٤/٨ ، فسماها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ جويرية .

وروى ابن عباس قال : كان اسم ميمونة بنت الحارث زوج النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : بَرَّة فسماها ــ صلى الله عليه وسلم ــ ميمونة ــ وهى خالة ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ « أسد الغابة » ٢٧٢/٧ ، « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر ١٢٦/٨ .

هدى تربوى خلقى :

لقد كان تغيير الأسماء كما ذكرت هذه الروايات يهدف تربوى وأخلاق سليم ، ولعل الإمام الخطابى ــ فيما ذكره المنذرى ــ فى تعليقه على ما رواه أبو داود قال : وغيّر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اسم العاصى ، وعزيز ، وعتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب ، وكذلك شهاب ، فسماه هشاما ، وسمي حربا سلما ، وسمي المضطجع المنبعث ، وأرضاً تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى .. وسمى بنى مغويه بنى رشدة ، قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصاراً .

قال الخطابى معلقاً : أما العاصى : فإنما غيرّه كراهية لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام ، والعزيز : إنما غيره لأن العزة لله ، وشعار العبد الذلة والاستكانة ، وعتلة : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عتل أى شديد غليظ ، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة ، وشيطان : اشتقاقه من الشطن وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس ، والحكم : هو الحاكم الذى لا يرد حكمه ، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله .

وغراب : مأخوذ من الغرب وهو البعد ، ثم هو حيوان خبيث المطعم أباح الله قتله فى الحل والحرم ، وحباب : نوع من الحيات ، وروى أنه اسم : شيطان ، والشهاب : شعلة من نار ، والنار عقوبة الله .

أما عفرة : فهى نعت الأرض التى لا تنبت شيئاً سماها خضرة على معنى التفاؤل « الترغيب والترهيب » جـ ٣ ص ٧٢ .

وهكذا يظهر مما تقدم : أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان حكيماً فى توجيهه ، رحيماً بأمته ، يأخذ بيدها إلى معالى الأمور ، لأنه إنما بعث ليتمم لها مكارم الأخلاق ــ صلى الله عليه وسلم ــ .





بين المنظور الإسلامي والقانون المصري

مسائل ترجيحية

د/ زينب صالح الأشوح

الجزء الأخير

٣ - نظرة تحليلية مقارنة حول معالجة عمل المرأة بين الشريعة الإسلامية والتشريع المصري :

بعد استعراض أهم ما ورد في الشريعة الإسلامية والتشريعية حول تشغيل المرأة يأتي دور الباحثة في التعليق والتحليل المقارن للعرض السابق .

بادىء ذي بدء ، طالما نحن بصدد الحديث عن موضوع يتعلق بالشريعة الإسلامية فحتى إذا كان هذا الموضوع يحلل من المنظور الاقتصادي فلابد أن يوجه ذلك المنظور فقط من خلال قنوات تلك الشريعة وأحكامها ، ولعل هذا ما يميز الاقتصاد الإسلامي وأبحاثه عن الدراسات الأخرى .

حدود عمل المرأة

حقيقة الأمر أن الرجل هو المكلف بأداء المسئوليات التي تتضمن مشقة أو مخاطرة كبيرة مثلما أشارت سورة القصص عندما رأى موسى عليه السلام نارا على البعد وكان وقتئذ مع زوجته التي تركها في مكان آمن وذهب ليتفقد أخبار تلك النار وليحضر ما ينفع منها للتدفئة إن أمكن ذلك وفي ذلك يقول الله - تعالى - :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص : ٢٩)

وبالقرار في البيت يمكن للمرأة أن تحتمي من منغصات الشمس والمعاناة من البرد القارص الذي عادة ما يكون أقوى في خارج المنزل عنه في داخله وبذلك تكون المرأة قد اختصت في الإسلام عند أمرها بالقرار في المنزل - بنعمة التمتع في الدنيا ببعض ما سوف يتمتع به أهل الجنة حيث تقول الآية الكريمة :

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان : ١٣)

وبناء على ما سبق ، ومن المنظور الاقتصادي قد نستطيع استنباط قاعدة هامة لاستخدام المرأة - كعنصر من عناصر الإنتاج - الاستخدام الأمثل وذلك بأن (تكلف بالقيام بالأعمال غير الشاقة بدنيا والتي لاتنطوي على مخاطرة وقد يكون منزلها - وما يمكن أن يقوم مقامه - المكان المثالي للقيام بعملها ونشاطها) .

وفي أحد مواضع العرض السابق اتضح أن ابنتي الرجل الصالح كانتا تعملان لكبر أبيهما ، ولكن

بعد زواج إحداهما من موسى – عليه السلام – وعندما أصبح هناك رجل يقوم عنهما بالعمل توقفتا عن العمل وتركتاه له على أن يؤجر في مقابل ذلك العمل . وتلك القصة تذكرنا بالسيدة خديجة التي كانت تعمل بالتجارة ثم وكلت سيدنا محمد ﷺ بعد زواجها منه لاستثمار أموالها والقيام هو بالتجارة بدلا منها . ومن ذلك نستنتج أن المرأة لا تعمل في حالة وجود الرجل القادر على تحمل عبء العمل عنها . وبإضافة تلك الجزئية إلى القاعدة السابقة للاستخدام الأمثل للمرأة تصبح تلك القاعدة في مضمونها الأشمل أن المرأة يمكن أن (تكلف بالقيام بالأعمال الميسرة بدنيا ، والتي لا تنطوي على مخاطرة ، وقد يكون مجال العمل منزلها – أو ما قد يقوم مقامه – المكان المثالي للقيام بعملها أو بنشاطها وأن لا يكون هناك رجل بديل يمكن أن يحل محلها في القيام بهذا العمل) .

مضاعفات عمل المرأة:

أما عن التأثير السيء الذي قد يتركه عمل المرأة خارج منزلها على الروابط الأسرية فقد جاء مثال يتحدث عن نفسه في صورة سؤال على لسان إحدى النساء العاملات في باب الفتاوى (مجلة الأزهـر ، ج١٢ ، ذو الحجـة ١٤١٣هـ ص١٨٧٩) تذكر فيه أن زوجها مسافر للعمل بالخارج بينما هي تعمل بالوطن وعندما علم زوجها بأنها ركبت مع مديرها في رحلة عمل قال لها « تحرمي على ليوم الدين إذا ركبت مع هذا الرجل .. » ولكن (ظروف عملها) اضطرتها لمعاودة الركوب مع نفس الشخص وهي تتساءل عن (صحة يمين) زوجها !! أما أنا فأتساءل – في ضوء الاستعراض السابق لأحكام الشريعة الإسلامية – عن صحة عملها في حد ذاته ؟! ومع هذا فمن الحكمة التريث بعض الشيء قبل أن نضيف (إذن الزوج) كجزئية لقاعدة التشغيل الأمثل للمرأة المسلمة .

فقد تبين مما تقدم أن الزوج لا يجبر على قبول عمل زوجته .. فهل – في المقابل – يجوز شرعا أن يجبر الزوج زوجته على القيام بالعمل ؟ الواقع أن الوضع الأخير أصبح ظاهرة متنامية ولا يخفى تواجدها مهما تعددت أشكالها ، فقد أصبح عمل المرأة ، بل عملها في مهنة معينة من أهم شروط الزوجة الملائمة وأصدق الأمثلة على ذلك ما ترد في باب (أريد زوجة) فنجد مثلا في جريدة الجمهورية (الأحد ١٦ أغسطس ١٩٩٢ ، ص٩) شخصا في الثانية والخمسين من العمر متدينا ولا يعول يحمل مؤهلاً عالياً ، وآخر يطلب زوجة من شروطها أن تكون (موظفة حكومية) ويفضل من (لديها شقة) . وفي مقالة لمى شاهين حول الأسباب المختلفة للسعادة الزوجية (جريدة الأخبار (٩٢/٩/٦ ، ص ١٤) لا يخجل زوج من أن يصرح بأن عدم مشاركة الزوجة في نفقات المنزل (خطأ جسيم) لأن الزواج شركة بين الزوجين ومن ثم فيجب أن يتحملا معا أعباء المنزل متضمنة الانفاق على الأسرة !! وسوف يتضح المزيد من الأمثلة في جزء لاحق مما يؤكد أن الرجل المصري يفضلها (عاملة) كشرط مسبق للزواج . وفي أحيان عديدة جدا لاستمرار الحياة الزوجية السعيدة . بل ان الزوج في أحيان كثيرة يستخدم حقه الشرعي في ضرورة (إذنه بالعمل) لزوجته كوسيلة للضغط على الزوجة حتى تفضي إليه بكل ما يحتويه جرابها من نقود .. !!

وبتتبع الاتجاه العام للمعالجة الإسلامية لقضية عمل المرأة نلاحظ أن الآراء تتناول دائما المرأة المتزوجة التي لزوجها حق رعايتها له والأم التي لأولادها حق تربيتهم وبيت الزوجية هو عادة مكان الحوار والنقاش هل على المرأة أن تبقى فيه أو مسموح لها بالعمل خارجه ؟! وقد يبدو من خلال تتبع تلك الآراء في إجمالها أن المرأة غير المتزوجة تأخذ حكم الرجل فيما يتعلق بحق العمل خارج المنزل . وقد يبدو الرأى الأخير منطقيا إلى حد بعيد لأن عدم زواجها يعنى ـ في الأحوال العادية ـ عدم وجود مسئوليات منزلية ملحة إلى جانب أنها تتطلب من يرعاها ماديا

فإذا كانت بغير زواج ولا تعمل ولا تجد من يرعاها فإن ذلك بلا شك يؤلها نفسياً ، كذلك تعتبر موردًا معطلًا لايستفاد منه ، ويجب بالفعل الاستفادة منه . كذلك قد يكون الحال للأم ذات الأولاد ولكن بلا زوج يتكفل بالانفاق عليهم ، ويمكن أيضا أن ينطبق الرأى على الأم التي تزوج أولادها وفقدت زوجها ومازالت لديها المقدرة على العمل والعطاء . وبناء عليه يمكن أن نضيف إلى القاعدة العامة المقترحة عبارة (وأن تكتسب المرأة غير المتزوجة ـ أو التي لاتجد من ينفق عليها أو من يحتاج إلى رعايتها من الأبنا أو الزوج في المنزل ـ حقا تلقائيا في العمل خارج المنزل)

وإذا كان عمل المرأة يستهدف منه : التكسب والمشاركة في الانفاق على الأسرة مع الزوج ـ وذلك كما يسود حدوثه في الوقت الحالى ، فهذا ينافى القاعدة الشرعية التي تلقى مسئولية التكسب والانفاق على الرجل لا على المرأة .

كما أن ذلك يتنافى مع الرأى الذى يرى أن (الفقر) هو المبرر الوحيد الجوهرى لعمل المرأة المسلمة (مثلما قال عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٣) .

ضوابط للأعمال المستحبة :

والواقع أن الكثير من الدراسات المتخصصة لم تتعرض لنقطة هامة تتركز في حكم عمل المرأة التي تعمل لمساعدة زوجها الذى لم يستطع الوفاء باحتياجات الأسرة ، وماذا عن عمل المرأة الذى يساعد بوجه عام على أن تسير الأمور الشرعية في مجراها الطبيعى ؟ فعلى سبيل المثال إذا كان الزوج يعمل عملاً ربوياً وتاب ولكنه لا يستطيع أن يجد عملا بديلا هل يفضل أن يستمر في عمله هذا ام أن تعمل الزوجة وتنفق على الأسرة بينما يقوم الزوج بالتفرغ لعملية البحث عن عمل آخر حلال ويتناسب مع قدراته وخبراته . وعمل الممرضة فهو مستحب لرعاية النساء حتى لا ينكشفن على الرجال . ولكن ذلك العمل يتطلب منها المبيات خارج منزلها وترك أطفالها الصغار فهل من الأفضل أن تستمر في عملها مضحية بالحياة الطبيعية للأسرة والأطفال على وجه الخصوص ام تتفرغ لرعاية الأسرة ويقوم الرجال بعملية التمريض في الفترة المسائية على الأقل ؟

وبخصوص الرأى القائل بإن أحد الآثار السيئة لعمل المرأة أنه يؤدى إلى انقلاب الأمور بالنسبة للمسئوليات الملقاة على كل من الرجل والمرأة وأن الرجل يضطر للعمل بالمنزل ، الواقع أن ذلك ليس بالشيء المشين أو المستجد وليس بشرط أن يحدث في حالة عمل المرأة فقط ، فعن الأسود : سئلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما يصنع الرسول في بيته ؟ قالت : كان في مهنة أهله حتى إذا حضرت

الصلاة خرج إلى الصلاة ـ كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه (الإمام أحمد بن حنبل ، وصحيح البخارى) . ويتأكد هذا المعنى برواية أخرى من هشام عن أبيه قال : قيل لعائشة ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته قالت : كما يصنع أحدكم يخصف نعله ويرقع ثوبه (أحمد بن حنبل وصحيح البخارى) وهناك رواية أخرى : أنه كان ﷺ يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويقول من رغب عن سنتى فليس منى .

أما عن اتهام المرأة العاملة بأنها تزاحم مع الرجل فى ميدان عمله ، فقد يكون هذا صحيحا إلى حد ما ، ولكن السؤال هنا : هل إحلال المرأة مكان الرجل يتم على غير أساس عادل أم أن ذلك يحدث نتيجة تكاسل الرجل وتركه للمرأة أن تسبقه بينما هو يعتمد فقط على مجرد أن له حقوقا طبيعية فى الانفراد بالعمل ولم يبذل الجهود اللازمة للاستمرار منفردا فى مجال العمل ؟ وماذا عن مهن مثل (الطباخ والسفرجى والترزى والسائق) ألا تعتبر وظائف مزاحمة لمهام المرأة الفطرية ؟

وبالتأمل فيما ورد فى التشريع المصرى من نصوص متعلقة بعمل المرأة ثم بالرجوع إلى الضوابط والأحكام التى وضعتها الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد ، يكون من الطبيعى أن يبرز لنا السؤال الآتى : هل يتطابق التشريع المصرى مع أصول وقواعد الشريعة الإسلامية عند معالجة تشغيل المرأة ؟

بعقد مقارنة سريعة وشاملة بين ما جاء فى كل من الشريعة الإسلامية والتشريع المصرى حول تشغيل المرأة ، قد نلاحظ أن بعض مواد القانون يتطابق مع الضوابط التى نظمها الإسلام لكى تحكم عمل المرأة ومع هذا فيبدو واضحا أن هذا التطابق أو التماثل لم يقصد عمداً من قبل القانون المصرى ، وإنما قد حدث ـ فى الواقع ـ من خلال هدف أصلى ـ ذكر صراحة ـ فى القانون هو حماية المرأة العاملة والمساعدة على الحفاظ على الكيان الأسرى المترابط وذلك بمنح الأم بعض الوقت المطلوب لرعاية الأطفال وتنشئتهم فى ذلك الجو الأسرى . كما تجدر الاشارة أيضا إلى أن القانون قد وضع بشكل يساعد على تشجيع تحديد النسل حيث قيدت الأجازات والامتيازات التى تمنح للعاملة بهدف رعاية النشىء على أن يكون ذلك فى حدود انجاب ثلاثة أطفال طوال حياتها كحد أقصى .

ولقد لوحظ تشابه آخر ـ غير متعمد فى الغالب أيضا ـ بين شقى المقارنة من ناحية المساواة فى التعريف وفى الأجر . فبالنسبة للوجه الأول من المقارنة (المساواة فى التعريف) نجد أنه فى الشريعة الإسلامية يجمع الذكر العامل والأنثى العاملة على صفة واحدة بدون تمييز (مثل المؤمنون والمؤمنات والسائحون والسائحات ..) أو أن تذكر الصفة للذكر باعتبارها متضمنة نفس الصفة للأنثى فى صيغة واحدة (مثل : إنما المؤمنون إخوة ..) وذلك التوحيد فى تعريف المشارك فى العمل فى قانون العمل المصرى كما تبين فى القسم الثانى من هذا الفصل . وكذا فكما تساوى الشريعة بين الرجل والمرأة فى الأجر والجزاء (مثلما يتضح فى قوله تعالى :

﴿ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾

(آل عمران : ١٩٥)

نجد أن قانون العمل يساوى بين الرجل والمرأة فى الأجر .

وفيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين فى مجالات العمل فذلك يختلف عما قررته الشريعة حيث جعلت بعض المجالات حكرا على الرجل مثل القضاء والإمامة والقوامة . والواقع أن القانون عندما يساوى بين الجنسين فى الأجازات فإنه يعطى المرأة حقا إضافيا فى اجازات أخرى خاصة بالولادة والرضاعة وما شابهها ، وبلغة الاقتصاد فإن هذا يعنى إن الأجر لا يصح مقابل الإنتاجية وأن عنصر الرجال - فى العمل - أفضل من عنصر النساء طالما أنه يعطى إنتاجية أكبر (فى خلال فترة أطول من العمل لانخفاض فترة الاجازات) بتكلفة أقل (لأن الاجازات الإضافية للمرأة تؤدى إلى عرقلة استمرار العمل على نفس الدرجة التى كانت المرأة تعمل عليها قبل الحصول على الاجازة والذى يستلزم فى كثير من الأحيان توظيف شخص آخر محلها وقد يكون ذلك على حساب عمل آخر يقوم به هذا الفرد الاحتياطى وكل هذا يعتبر تكلفة وخسارة على العمل المؤدى .

وبالرجوع إلى قرار وزير القوى العاملة (رقم ٢٢ لعام ١٩٨٢) فى القسم الثانى نجد أنه يحظر تشغيل النساء فى البارات .. التى لا تخضع لإشراف وزارة السياحة .. ويعتبر الرقص والفن قاصران على من بلغن سن الرشد . ترى إلى أى مدى يمكن أن يتوافق هذا مع أحكام الشريعة ، وما هو نوع الإنتاجية التى تقدمها الراقصة أو الفنانة أو تلك التى تعمل فى بار مثلا بحيث تقتضى الضرورة أن تقوم بها المرأة أيا كان دينها وبحيث تحتل مكانا وحيزا فى سطور قانون العمل المصرى . ألا يضر هذا النوع من العمل بالمرأة صحيا أو أخلاقيا وهو ما يتنافى مع شروط تشغيل النساء كما سبق وعرضناها فى جزء سابق ؟

وكما ذكرنا من قبل فإن القانون اتاح للأم فرصة الحصول على اجازات تكفى لرعاية ثلاثة أطفال فقط طوال حياتها . وماذا عن الرابع وما بعده إذا أراد الله - تعالى - إيجاده فى الدنيا وهو الذى يقول للشيء كن فيكون ؟ هل فى إهمال رعايتهم حفاظ على الكيان الأسرى هل يستطيع المجتمع ذاته أن يفلت من الآثار السيئة للطفولة المهملة ؟

أما عن الفترة المسموح بها للعمل النسائى خارج المنزل (من السابعة صباحا إلى الثامنة مساء) فقد تكون ملائمة لأحد ضوابط العمل فى الإسلام كما استعرضنا أهمها فى القسم الأول من هذا الفصل لأنها فى خلال تلك الفترة يمكن أن تكون فى صحبة جماعية مأمونة مع السائرين فى الطرق وكذا فإن شروط توفير دور الحضانة فى أماكن العمل له أثر ايجابى فى تواجد الطفل فى نفس مكان تواجد الأم . ولو أن مشكلة رعاية بقية الأطفال الذين يضطرون لانتظار الأم فى المنزل قائمة تدعو لايجاد حل ايجابى .

وفى قرار وزير القوى العاملة والتدريب انه يترتب على تشغيل المرأة فى عمل من الأعمال المحظور تشغيلها فيها غرامة صاحب العمل بما لا يقل عن خمسة جنيهات ولا يزيد عن عشرة جنيهات فإذا كان ذلك العمل المحظور يجلب على صاحب العمل آلاف الجنيهات ، ترى كم تمثل قيمة الحد الأقصى للغرامة (العشرة جنيهات) من تلك المبالغ الهائلة التى عادة ما تدرها مثل تلك الأعمال المحرمة ؟

قائمة المراجع

- أبو ذر القلموني (بدون تاريخ) . ففروا إلى الله . الشركة الدولية للطباعة والإعلان . القاهرة .
- ابن كثير . (بدون تاريخ) . صفوة التفاسير . جـ١
- ابن كثير . البداية والنهاية
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى . (٦٣١هـ ١٩٧٦م) . رياض الصالحين . مكتبة دار التراث . القاهرة
- الأزهر . جـ١٢ . ذو الحجة ١٤١٣هـ
- أحمد طه محمد (١٩٧٩) . المرأة المصرية بين الماضي والحاضر . مطبعة دار التأليف . القاهرة .
- د. أمينة فؤاد مهنا . (١٩٨٤) المرأة والوظيفة العامة - دار النهضة العربية . القاهرة .
- د. آمال مذكور . د. محمد سيولى . (١٩٩٠) .
- آمنة نصير . (١٩٩٢) . الحوادث . ٤ . ٦ . ١٩٩٢
- . آدم فى مواجهة حواء . . ندوة منعقدة فى أخبار الحوادث . الخميس ١٩٩٢/٦/٤ . القاهرة .
- أنور العرفى . (١٩٨٧) . قانون العمل الموحد . المذكرات الإيضاحية وتقارير مجلس الشعب - القرارات الوزارية التنفيذية . بنك القوانين . المندبان . القاهرة .
- أنور العرفى . (١٩٨٧) . قانون العمل والقوانين المعدلة والمكملة له والقرارات الوزارية المنفذة لأحكامه . ملحق العددين الخامس والسادس للسنة السابعة والستين . دار الطباعة الحديثة . القاهرة
- أنور العرفى . (١٩٨٧) . الموسوعة الشاملة لقوانين العاملين بالقطاع العام وقوانين الإصلاح الوظيفى وتشريعات البدلات . بنك القوانين . المندبان . القاهرة
- أنور العرفى (١٩٨٧) . الموسوعة الشاملة بالدولة - المذكرات الإيضاحية وتقارير مجلس الشعب والكتب الدورية للجهاز المركزى للتنظيم والإدارة . بنك القوانين . المندبان . القاهرة
- أنور العرفى . (١٩٨٨) . مجموعة قوانين العاملين المدنيين بالدولة واللائحة التنفيذية . بنك القوانين . المندبان . القاهرة
- أنور العرفى (١٩٨٨) . قانون العاملين بالقطاع العام حسب آخر التعديلات . بنك القوانين . المندبان . القاهرة .
- أ. د. بدر الدحى . (١٩٨٧) . . تنمية الثروة البشرية فى العالم الإسلامى . مؤتمر السكان فى العالم الإسلامى . المركز العالمى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية جامعة الأزهر . ١ - ٤ رجب ١٤٠٧هـ/ ١ - ٤ مارس ١٩٨٧ . القاهرة .
- البخارى . جـ٩

بحث العمالة بالعينة فى جمهورية مصر العربية . الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء . نتائج دورة مايو ١٩٨٢ . نوفمبر ١٩٨٣

- باب الفتاوى مجلة الأزهر . جـ١٢ ذو الحجة ١٤١٣هـ يونيه ١٩٩٣ .
- تفسير ابن كثير جـ١
- توفيق محمد شاهين . (سبتمبر ١٩٨٨) . . وضع الأسرة فى الإسلام . الأزهر . القاهرة .
- جريدة الأهرام . الجمعة ١٤ . ٨ . ١٩٩٢
- جريدة الجمهورية . الأحد ١٦ . ٨ . ١٩٩٢
- جريدة الأخبار . ٦ . ٩ . ١٩٩٢ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء التعداد العام ١٩٨٦ . خصائص السكان والظروف السكنية (إجمالى الجمهورية) . المجلد الأول . مرجع رقم ٨٦١ ٨٩/ أ م ب .
- أ. د. حسين شحاته . (١٩٩٠) . اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية . دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة .

(*) نشرت المجلة من المراجع ما اتسعت له المساحة



الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

● السؤال من السيد مصطفى الوصيف :

بعض السادة الأفاضل الذين يؤمون الناس يمسك بيده الميكروفون (المايك) ويتحرك به فى الصلاة فضلا عن اشتغاله بالحرص على ألا يقع وبهذا فلا هو مرسل ولا هو قابض ، والآخر يعلق الجهاز فى ثوبه أثناء الصلاة وبعضهم يتحرك عمداً نحو الميكرفون ليسمع صوته نرجو بيان الحكم شرعا .

الجواب :

الحركات الكثيرة فى الصلاة تبطلها وأيسر قول فى ذلك ماذهب إليه الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ بأن الكثرة مرجعها العرف وهى التى تخيل لمن يراه أنه ليس فى صلاة فإذا كانت الحركات مع الميكرفون كثيرة بطلت الصلاة ، وكذلك التحرك عمدا أمام الميكرفون ليسمع الناس إن كثر ذلك منه بطلت الصلاة ، وإلا لم تبطل والله أعلم .

السؤال من السيد/س . ع . ا

نحن فى قرية ريفية يجمع طوائفنا من مختلف مراحل التعليم مسجد القرية . ولكن هناك موضوع لفت نظرى ، ولفت أنظار من يوجد بالمسجد من المصلين من أبنائنا الكرام ممن لم يلتحقوا بمراحل التعليم وما لفت نظرى هو :

تعدد الطوائف فى الوقوف فى الصلاة : فمنهم من يضع يديه على صدره ، ومنهم من يضع يديه على الجانب الأيمن ، ومنهم من يضع يديه أسفل ذقنه ، ومنهم من يضعهما بحذاء منكبيه .

وهذه الوقفات تثير القيل والقال فى الصلاة وفى نظرى أنه لا أصل لهذه الوقفات من الذين يتأولون بها ، ومنهم من يحلق بذراعيه على صدره ، وكل هذه الوقفات تدل على انتفاء الخشوع والخضوع لله ـ عز وجل ـ فضلا عن التمايل فى الصلاة .

فنرجو التكرم بالرد على هذا السؤال وهو الحديث عن الوقفة الصحيحة للمسلم فى صلاته . وهذا لكى يكون فتوى شرعية ويسد بها الباب على هؤلاء المتأولين بهذه الوقفات .

وهل هناك وقفات حددها الشرع ؟ وهل هذه الوقفات لها أصل ؟ أم أنها بدع انتشرت بين هذه الطوائف ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

المطلوب من المصلى هو وقوفه مستقيما غير مستند لشىء ، وأن يكون خاشعا فى صلاته بقدر ما يستطيع ، أما وضع اليد على الصدر أو إرسالها جانبيه فهذا لا يؤثر ولا يبطل الصلاة أو يجعلها مكروهة ـــ وحيث إن المذاهب الفقهية تختلف فى هذه المسألة فكل وضع منها صحيح ، وليس من الفقهاء من يحكم ببطلان الصلاة فى أى وضع والمكروه الممنوع إنما هو الخلاف فى مثل هذه الأشياء الواردة فى السؤال .

السؤال من السيد/مجدى محمد عثمـــان ـ العريش ـ شمال سيناء .

● هل يجوز للمسلم تشييع جنازة المسيحى ومشاهدة مراسم الدفن ؟

● هنـــاك شخص عقب كل صلاة جماعـــة بالمسجد يقوم بالانضمام لأى صلاة جماعة أخرى بالمسجد فهل يجوز ذلك أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـــ ﷺ ـــ وبعد :

فنفيد عن السؤال الأول بأنه لا مانع شرعا من أن يشيع المسلم جنازة يهودى أو مسيحى فقد ثبت أن جنازة غير مسلم مرت برسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقام لها فقيل له : إنها جنازة كافر .

فقال : « إنها روح رجعت الى الله ـــ عز وجل » .

والله سبحانه وتعالى يقول : «

لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

وتشييع الجنازة نوع من أنواع البر بهم .

وعن السؤال الثانى : فإنه لا مانع شرعا من إعادة الصلاة فى جماعة وتكون الأولى فرضا والمعادة نفلا والله ـــ تعالى ـــ أعلم

السؤال :

ـ ما حكم إضافة « سيدنا » قبل الرسول ـ ﷺ ـــ فى الأذان ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

الأذان : هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة مأثورة ، وهو سنة محكمة وألفاظ الأذان تربيع التكبير الأول وتثنية باقى الأذان بلا ترجيع ، ما عدا كلمة التوحيد فيكون عدد كلماته خمس عشرة كلمة لحديث عبد الله بن زيد والأذان عبادة ، ومدار الأمر فى العبادات على الاتباع فلا يجوز لنا أن نزيد شيئا فى عبادتنا أو ننـــقص منها ـ فقـــول المؤذن حين الأذان أو الإقامة : أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . رأى الحافظ ابن حجر : أنه لا يزاد ذلك فى الكلمات المأثورة ويجوز أن يزاد فى غيرها ، والله أعلم ..

الشعر
إعداد الأستاذ
رشاد يوسف

يا الله

يا إلهي .. ظمِىءَ الشوقُ .. ولي قلبٌ مُوَحِّد
وأنا طينٌ ورُوحٌ .. ووجودٌ يتمرَّد
فإذا كبّلني ثِقلُ الخطايا وتجدَّد
أشرقَ الإيمانُ في آفاقِ أيامي وغرَّد
ورأيتُ الكونَ في ذاتي إلى ذاتك يسجُد

● ● ●

يا سخيَّ الفضل .. لما قلتَ كنْ - للطين - كُنّا
وبروحي طائرُ السرِّ إلى نبعك حَنّا
وقدرْتَ الخيرَ والشرَّ بما تعلم منّا
وأنا في نورك الرحمن أحيا مطمئنّا
ورحيمٌ أنت يا ربي بما تدفعُ عنّا

● ● ●

نعمةٌ كل الذي قد شئتَ من منحٍ ومنعِ
رُبَّ منعٍ فيه منحٌ .. وعطاءٍ فيه نعيِ
وظلامٍ فيه نورٌ لا يراه ليلُ طبعي
حائرُ الأنجم لما تاه في الأيام صُنعي
إنما كم ترتزُ الحرفُ .. وكم نوَّحَ دمعي

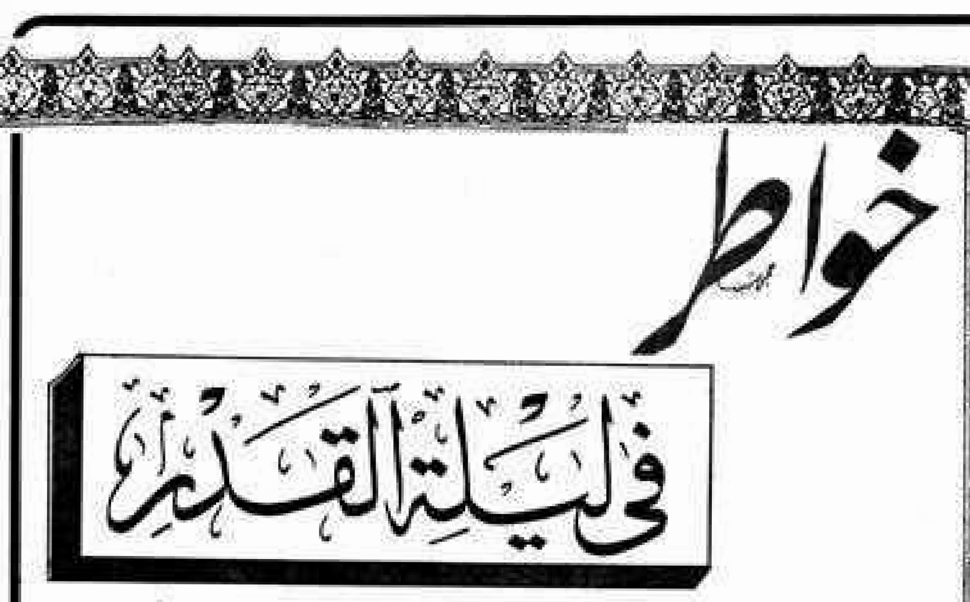
● ● ●

يا إلهي .. والليالي بفؤادي مُتعبِّده
وخطايا العمر من زيف الأماني مُتعمَّده
وأنا أسأل - والقلب يرى في الليل قيدَه
هل تمسُّ النارُ عبداً قال : ربي الله وحّده ؟
وسما في الكون لما صار للرحمن عبدَه ؟

● ● ●

فإذا ما حان بعثٌ وحسابٌ للبرايا
ثم جاءتني ذنوبي ساحباتٍ في بكايا
لستُ أخشى النارَ هولاً وجحيماً وشظايا
لا .. ولا أرجو من الجنّة أنهاراً ونايا
إنما أرجو سنا وجهك يا ربَّ العطايا





شعر البسيوني قنصان

غار، وبيداء، ودرب حان ... وصفاء ليل عامر الوجدان !!
والكون محراب على جنباته ... عرف الأنام حرارة الإيمان
وكأنما صار الوجود بأسره ... أنشودة قدسية الألحان
وكأن ما في الكون صار معانيا ... شفافة هامت بهن معان
وافتر عرش الله جل جلاله ... فسرى شعاع الله في الأكوان
وإذا السماء تفتحت أبوابها ... واصطف كل ملائك الرحمن
وإذا بجبريل الأمين وقد دنا ... والنور بين يمينه متدان
وإذا المؤذن في سماء المنتهى ... يدعو ويهتف أيها الثقلان
اليوم يوم البدء في تاريخكم ... اليوم يوم تنزل القرآن
يا ليلتي يا ليلة الوحي المُنضّر ... بالهدى، بالنور، بالعرفان
يا ليلة سرق البغاة شعاعها ... مني، وغامت في الدجى أجفاني
ورأيت قومي من خلال حديثها ... أضحوا كألفاظ بغير معان
يا ليلتي ورأيت قوما منهمُ ... ذهبوا إلى التقليد كل مكان
في الكفر دانوا للفرنج، ومالهم ... في كل ما فعل الفرنج يدان

فالدين جهل ، والتزندق فطنة ... والحق ما قد قاله (الروماني)
يا من رأى المغرور لاك لسانه ... متواضعا متعاليا في آن
لو كان دين الله غريبًا إذن ... أضحى له من أعبد الرهبان
لكنه ـ أن كان منه تراثنا ـ ... رجعية ، وتخلف ، وتوان

• • •

أعداء قرآني كثير ، بعضهم ... من أهله ، وألدهم خصمان
عقل تسربل بالجمود ، فعاقه ... عن فهمه وتراثه قيدان
فغدا عن الإسلام أسوأ أسوة ... وغدا على القرآن أخطر جان
والآخر المزورّ عنه ، وعقله ... في أذنيه وإمامه العلماني

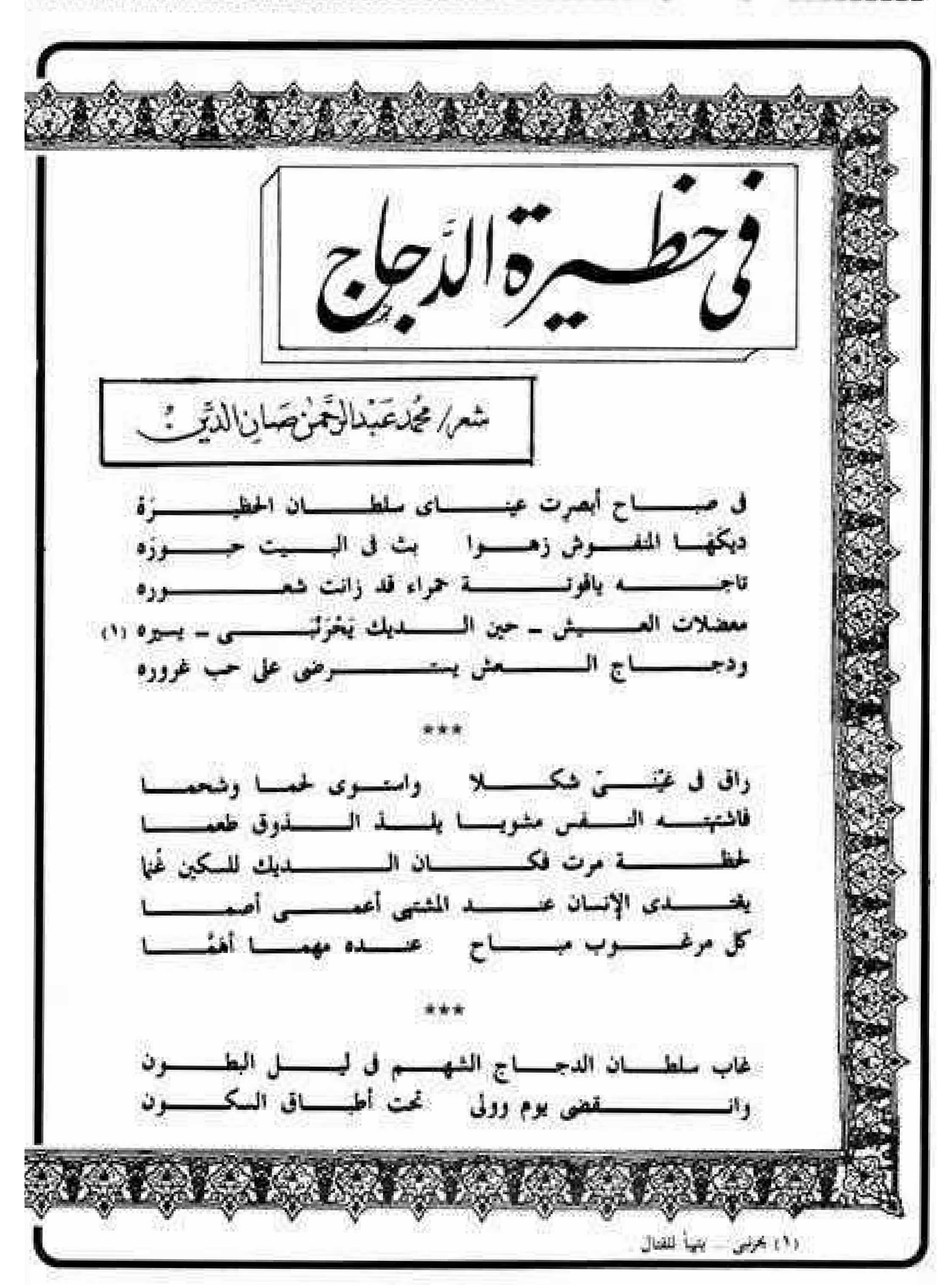
يا قومنا فلتسمعوها صيحة ... أخذت عليّ زمام قلبي العاني
العز في الإسلام فرض ، والعلاء ... لأهله ركن من الأركان
والخلد في الأخرى لنا ، وخلودنا ... في هذه الدنيا من الإيمان

• • •

يا قومنا فلتسمعوها صيحة ... أخذت عليّ زمام قلبي العاني
الحق أنا مذ نسينا ديننا ... قذف الزمان بنا إلى النسيان
وبنى الشهيد بأرضنا وطنا له ... وأنا المشرّد عن ثرى أوطاني

يا ليتني هذا الزمان لماجد ... يقظان يخطو للغد اليقظان
يا ليتني إن كنت جئتك عابسا ... وعلى شفاهي نبوة الأحزان

ولهت وجهي للقرون أبثها ... حزني ، وأدعو المجد من مروان
وأسوق أمجاد القرون لحاضر ... (متأمان) يأكل من غدى المتأمان
فلتعذروني إنما أنا شاعر ... قد أرهفت ذكرى العلا أشجاني



فى حظيرة الدجاج

شعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

فى صبـــاح أبصرت عينـــاى سلطـــان الحظيـــرة
ديكهـــا المنفـــوش زهـــوا بث فى البـــيت حـــوزه
تاجـــه ياقوتـــــة حمراء قد زانت شعـــــوره
معضلات العـــيش - حين الـــديك يحرنبــــى - يسيره (١)
ودجـــاج الـــعش يتـــعرض على حب غروره

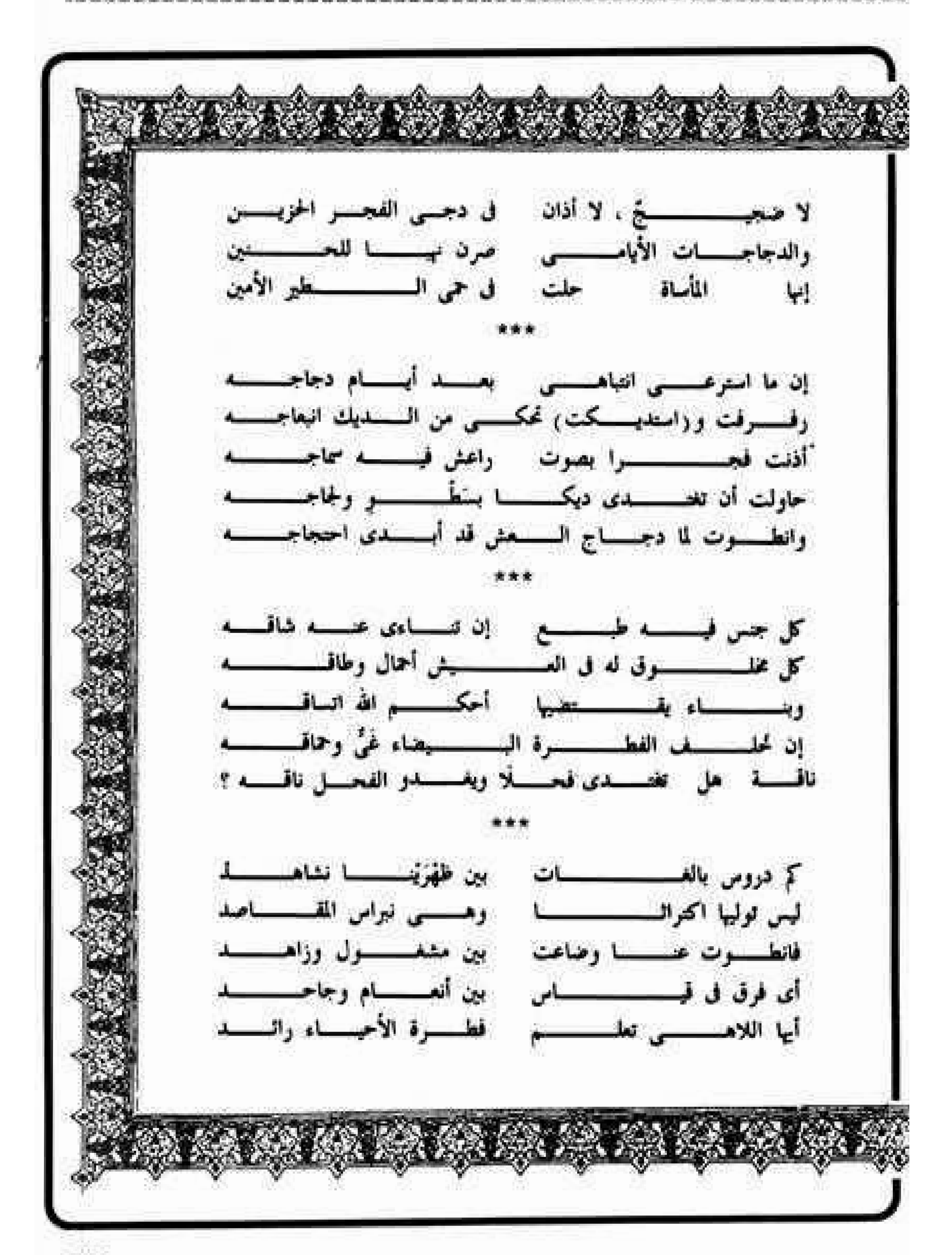
***

راق فى عينـــىّ شكـــلا واستـــوى لحمـــا وشحمـــا
فاشتهتـــه الـــنفس مشويـــا بلـــذ الـــذوق طعمـــا
لحظـــة مرت فكـــان الـــديك للسكين غنما
يغـــدى الإنسان عنـــد المشتهى أعمـــى أصمـــا
كل مرغـــوب مبـــاح عنـــده مهمـــا أغمّـــا

***

غاب سلطـــان الدجـــاج الشهـــم فى ليـــل البطـــون
وانـــقضى يوم وولى تحت أطبـــاق السكـــون

(١) يحرنبى — يتهيأ للقتال .



لا ضجيجَ ، لا أذان   في دجى الفجر الحزين
والدجاجات الأيامى   صرن نهبا للحنين
إنها المأساة حلت   في حمى الطير الأمين

***

إن ما استرعى انتباهي   بعد أيام دجاجه
رفرفت و(استديكت) تحكي من الديك ابعاجه
أذنت فجرا بصوت   راعش فيه سماجه
حاولت أن تغتدي ديكا بسطوٍ ولجاجه
وانطوت لما دجاج العش قد أبدى احتجاجه

***

كل جنس فيه طبع   إن تناءى عنه شاقه
كل مخلوق له في العيش أحال وطاقه
وبناء يقتضيها   أحكم الله اتساقه
إن تخلف الفطرة البيضاء غيٌّ وحماقه
ناقة هل تغتدي فحلا ويغدو الفحل ناقه ؟

***

كم دروس بالغات   بين ظهرَينا نشاهد
ليس نوليها اكتراثا   وهي نبراس المقاصد
فانطوت عنا وضاعت   بين مشغول وزاهد
أي فرق في قياس   بين أنعام وجاحد
أيها اللاهي تعلم   فطرة الأحياء رائد

تقدموا أخوة الشيشان

شعر / رشاد محمد يوسف

تقدموا يا حماة الحق وانطلقوا … فالله ينصر من في زحفهم صدقوا

تقدموا إخوة الشيشان واتحدوا … وبددوا كل ماقالوا وما اختلقوا

شدوا عليهم فخيل الله تصحبكم … والله أكبر في الآفاق تأتلق

شدوا عليهم فما للأمر قائمة … إلا بأرض بها الإسلام يحتق

الرُّوسُ إن دنّسوا أرضاً فموئلها … إلى الدمار فكم خانوا وكم سرقوا

كم أهدرُوا قيمة الإنسان واتضحت … عقيدةٌ روجوها كلُّها ملق

قالوا شيوعية شاعت مفاسدُها … فلا ضميرٌ ولا عدلٌ ولا خُلُقُ

في الشرق والغرب قد بانت حقيقتهم … فكم شعوب بنير الظلم قد سحقوا

وكونوا فرق التعذيب ضاريةً … تخضب الأرض أو يندى بها الأفق

قد استباحوا عباد الله في صلف … دقوا العظام بها أو دُقَّت العُنق

كم أضمروا الشر بالإسلام من قدم … وكم أشاعوا شعارات بها وثقوا

فالدين أسطورة والكَوْنُ مبتدع … وفي الضلال إلى أعناقهم غرقُوا

من خالق الكون غير الله ويحهمُ … وهل يجيب لسانٌ ملحدٌ زلق ؟

واليوم إسلامكم صبح يؤرقهم … على مشارف البيضاء قد صعقوا

عشتم به طاقةً في القلب كامنةً … واليوم تزهو به الأهدابُ والمقلُ

يامسلمون حمى الإسلام ينتهكُ … أمسلمون وأرضُ الله تحترق ؟

أمسلمون وفي الشيشان كارثةٌ … بالمسلمين وبالإسلام تنزلق ؟

إخوانكم في فجاج الأرض في محن … سُدَّت أمامهم الوديان والطرق

هيا انفروا في سبيل الله واعتصموا … واستيقظوا من سبات طال وانطلقوا

يا مسلمون وللإسلام آصرةٌ … بها المشاعرُ والوجدانُ تعتنق

إن تسقط اليوم في الشيشان مئذنةٌ … تساقطت بعدها الرايات تنسحق

أجدادكم اركبُوا التاريخ خلفهمُ … وجاهدوا ، ورؤى الأمجاد تستبق

باعوا ذخائرهم لله فانتصروا … وبالشهادة والرضوان قد رُزِقُوا

ففي الرسول وفي أصحابه مثلٌ … وكل من في سبيل الله قد لحقوا

يا إخوتي في رُبَا الشيشان معذرة … إن قصَّر الخطو فالوجدان يلتحق

فجرحكم جُرحُنا والله وحدنا … حاشا لمن وَحَّد الرحمن مفترق

تقدموا ياجنود الله لاتهنوا … فالله غايتكم والحق والألق



للشاعر / بهاء الدين رجب إبراهيم (*)

أسبغ على الكون إشراقاً وإيماناً ... وانثر عليه من الرحمن ريحانا

ياأيها القادم الميمون موكبه ... حار القصيد وبات الفكر حيرانا

ماذا أقول وقد أسديت منزلة ... فى محكم الذكر قد زانتك رجحانا

يارحمة من رحاب الله حانية ... على القلوب أنرت العام دنيانا

يابسمة لفقير جئت تسعده ... يا وحدة جمعت فى الله أكوانا

قال البشير : هلال الصوم شرفنا ... قلنا : سلامٌ هلال الخير بشرانا

إنا انتظرناك نمحى أنفساً صدئت ... أخنى عليها الهوى قبحاً وأدرانا

يامن يطل على الدنيا بطلعته ... فيصبح القفر للأرواح بستانا

يامهبط الوحى ياضيفاً أناخ بنا ... يارحمة فى دجى الأيام تغشانا

يا نفحة الخير فى الأرواح معذرة ... إنا اقترفنا ودرب الغى أعيانا

لكن فينا بذور الخير كامنة ... إن زلت النفس زدنا عفو مولانا

هذا بشير ومن يدرى أندركه ... عاماً سيأتى فما بالغنم أحرانا

ياأمة ما خنت للناس هامتها ... كانت ولاءً لوجه الله أزمانا

عودى كما كنت شرع الله يجمعنا ... بئس التفرق أضنانا وأشقانا

لنا كتاب به نور وتبصرة ... من ليلة القدر شعّ الرشد تبيانا

هيا أفيقوا عباد الله وانتبهوا ... عودوا إلى الله توحيداً وعرفانا

هيا إلى وحدة كبرى نعز بها ... فى الخافقين نعيد المجد والشانا

يا لله يا شهرنا لا تنس فرقتنا ... وامدد لنا من رحاب الله تحنانا

وزغرد إلينا على الأعوام مزحمة ... وقد أفضت على الأرواح إيمانا

(*) موجه لغة إنجليزية بإدارة أجا التعليمية .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الصيام والقرآن الكريم

قال الرسول ﷺ الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .

يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه .

ويقول القرآن : أى رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه .

قال : فيشفعان : ــ رواه أحمد وغيره ــ

من نوادر رمضان

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فقالت :

يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل .

وأخذت تكرر ذلك وعمر يقول فى كل مرة :

ــ جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها . فقال له أحد الجالسين : إنها يا أمير المؤمنين تطالب بحق الفراش . فقال له عمر : حيث فهمت ذلك فاقض بينهما .

حقيقة

الله يغضب إن تركت سؤالــــــــه
وبُنـــىّ آدم حين يسأل يغضب

سلوا الله

روى ابن ماجه بسنده إلى محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « سلوا الله عِلْماً نافعا ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » .

ما ينبغى لقارئ القرآن الكريم

ينبغى لقارىء القرآن الكريم .. كما قال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ : أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مستيقظون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

خراب القرية وهى عامرة

قال سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ توشك القرى أن تخرب وهى عامرة : إذا علا فجارها على أبرارها ، وساد القبيلة منافقوها .

في عيد الفطر

مر بعض الصالحين على شباب في عيد الفطر ، وقد انصرفوا إلى اللهو والمجون . فقال لهم : يا هؤلاء إن كان صومكم قد قبل فليس هذا عمل الشاكرين ، وإن لم يكن صومكم قد قبل فليس هذا عمل المحزونين ، فأثر ذلك فيهم فتركوا لهوهم ولعبهم ، وأقبلوا على ربهم .

يا أمير المؤمنين ... اسيغ لقمتك

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك :

فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام ، دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين : احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .

قال : ما هن ، قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وإن للأمور بغتات فكن على حذر .

وقال عيسى بن دأب فحدثت بهذا الحديث المهدى وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها ، وقال : ويحك أعد على ، فقلت : يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك .

فقال : حديثك أعجب إلى .

« قالوا ... »

- البهتان على البرىء أثقل من السموات .
- والحق أوسع من الأرض .
- والقلب القانع أغنى من البحر .
- والحرص والحسد أحر من النار .
- والحاجة إلى القريب إن لم تنجح أبرد من الزمهرير .
- وقلب الكافر أقسى من الحجر .
- والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

حقـــا

تعمدنى بنصحك بانفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

« الحسنات ... والسيئات »

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسن الحسنات في أثر السيئات ، وأقبح السيئات في أثر الحسنات ، وأحسن من هذا وأقبح من ذلك : الحسنات في أثر الحسنات ، والسيئات في أثر السيئات .

دعاء ...

« اللهم اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى في عينى صغيرا ، وفى أعين الناس كبيرا » .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أولادنا

لفضيلة الأستاذ الدكتور / على محمد العماري

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

أولادنا هم عنصر الحياة المتدفقة . عنصر الفاعلية الوثابة والأمل الباسم والغد المشرق ، هم العنصر الذى تبنى عليه الأمة مستقبلها وتسجل بهم فى التاريخ أنقى وأنصع صفحاته ، وتعيد بهم ماضيها الزاهر . من أجل ذلك لابد من تنشئتهم على النقاء والطهارة والفضيلة وأن نغرس فيهم القيم الإسلامية الأصيلة وأن نكون لهم بمثابة الملاح الماهر الذى يأخذ بأيديهم ويوجههم نحو بر الأمان فى الدين والدنيا .

إنها رسالة وأمانة فطوبى لمن قدرها وتدبرها وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[1] » رواه مسلم .

قال الأستاذ :

لا أعجب لشىء فى هذه الحياة ما أعجب لعاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التى تحمل الأم على أن تستهين بشتى المتاعب فى سبيل راحة طفلها ، والتى تهون عليها الشدائد فى حمله ورضاعه وتربيته .

وقريب من هذه العاطفة عاطفة الأبوة ، فإن الرجل يكد بياض يومه ، وربما سهر أكثر ليله ، لا يمل ، ولا يتوجع ، ويجهد الجهد البالغ فى السعى على أطفاله ، وتيسير سبل الراحة لهم .

وليس العجب أن يكدح الإنسان فى سبيل المحافظة على حياته وتوفير أسباب الرزق لنفسه ، ولكن العجب أن يجمع المال جامعه ، وأن يكنز الذهب

والقصة كاظمها ، وأن يبيت الليل سهران أرقا ، مفكراً مهموما ، كل ذلك في سبيل أبنائه !

والحق أنه لولا هاتان العاطفتان لانقرض الجنس البشرى ، بل لانقرض كل جنس حى على وجه الأرض ، فمتاعب الأولاد ثقيلة شاقة لا يصبر عليها إلا من وفقه الله . والحياة ميدان جهاد كبير ، وحياة الأسرة ميدان جهاد صغير ، ولكنه لا يقل في متاعبه ومزالقه عن ميدان الحياة الأكبر ، وكل فتى يعزف عن الزواج ، إنما هو إنسان رخو ضعيف ، هارب من الميدان ، يؤثر الراحة ، ويخلد الى الحياة الدون ولا يجد في نفسه من الشجاعة ما يحمله على دخول المعترك .

نعم "الولد مجبنة ، مبخلة ، مجهلة" فالرجل قد يكون شجاعا مقداما ، ولكنه حين يذكر أطفاله وحاجتهم إليه ، يتأنى ، ويتقبل مالم يكن يتقبل أيسره ، ويغضى على القذى ، وقد يكون مسرفا متلافا ، فإذا فكر في أولاده أمسك يده ، بل ربما بخل وشح :

لولا بنيـــات كزغب القطـــا
حجمـــن من بعض إلى بعض
لكـــان لى مضطـــرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنـــا بيننـــا
أكبادنـــا تمشى على الأرض

وما بال هذا الذى تعود أن يخوض المعارك ، لايبالى على أى جنبيه يصرع ، ولا من أى النواحى أتته منيته ، يتمسك بأذيال الحياة ، ويرغب فيها رغبة الجبان الرعديد ، إنهن بنات ضعاف ، يخشى عليهن الذل :

لقـــد زاد الحيـــاة إلى حبـــا
بنـــاتى ، أنهن من الضعـــاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى
وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين إن كسى الجوارى
فتنبو العين عن كرم عجاف

وإذ وصل بنا الحديث عن البنات الضعاف ، فإننا نتمنى أن يفهم أولئك الذين يكرهون البنات وإنجابهن أنهم يجهلون قوانين الحياة ، ويريدون أن يسير العالم على وفق رغباتهم ، وهم بعد ذلك ضعاف الإيمان بالله قصار النظر ، يؤثرون العاجلة على الآجلة ، وينسون جاهلين أو متجاهلين ، أن البنات حسنات ، وأن البنين نعم ، والحسنات مثاب عليها ، والنعم مسئول عنها ، كما يغفلون عن قول النبى ﷺ : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين ، فاشترى شيئا فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه» وقوله : « من كان له ابنة ، فأدبها فأحسن تأديبها ، وغذاها ، وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه ، كانت له منعة وستراً من النار إلى الجنة » رواه الطبرانى والخرائطى .

ومشهور ما كان من أمر العرب في الجاهلية ، من كراهية البنات :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

سورة النحل الآيات : ٥٨ ، ٥٩

ونشأ عن ذلك : إنهم كانوا يسلكون معهن ما يتنافى مع أبسط مبادئ الإنسانية والإيمان ، فكان

بعضهم يدفنونهن أحياء تحت ضغط بعض الظروف القاسية ، وقد حرت ـــ والله ـــ فى فهم السر فى دفنهن أحياء ، ولم لا يقتلونهن ، ويعفونهن من هذا العذاب الأليم ، ألا إن الغيظ أحد العوامل القوية فى هذا العمل الذميم .

وقد أرشدهم القرآن إلى موضع الضلال فى نفوسهم ، فليسوا هم الذين يرزقون بناتهم ، وإنما الرازق الله « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم » وقد انقضت الجاهلية وحذر الله من عاداتها ، وتقدم العقل البشرى ، ولكن الناس ظلوا فى هذا الأمر عندما يفهمه الجاهليون ، فلا يزالون ـــ أو على الأصح ـــ لا يزال عدد كثير منهم ، يكتئبون حين تطرق المرأة بأنثى ، ويفرحون أشد الفرح حين يبشر أحدهم بمولود ذكر ، مع ان تجارب الحياة أثبتت أن البنت قد تكون أكثر بركة على أبويها من الولد ، وأن حنانها وعطفها على أبويها لا يقاس بهما ولا يدانيهما عطف الولد وحنانه .

ولطالما أعجبتنى هذه الأعرابية الظريفة التى هجرها زوجها لكثرة ولادة البنات ، فالتمست إذنه يوما وجعلت ترقص طفلتها على هذا النشيد :

ما لأبى حمزة لا يأتينـــا
يظل فى البيت الذى يلينـا
غضبـان ألا نلـــد البنيـا
والله ما ذلك فى أيدينـــا
وإنما نأخـــذ ما أعطينـــا
ونحن كالأرض لزارعينـــا
تنبت ما قد بذروه فينا

فحدثوا أن الرجل حين سمع النشيد ثاب إليه عقله ، ورجع إلى رشده ، وورثت فى أذنه الكلمة الصادقة القوية « والله ما ذلك فى أيدينا » وأدرك أن كل شىء فى يد الله :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

سورة الشورى ـ ٤٩ ، ٥٠

أعرف شبانا يتمنى آباؤهم لو أنهم كانوا فتيات ، بل يتمنون لو أنهم لم يكونوا . وأعرف فتيات يفقن الرجال عقلا وخلقا ونفعا .

فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهـــلال

ولكن متى يرجع الناس إلى العقل الراشد ، ويوقنون أن الخير فيما اختاره الله ؟

على العمارى





أ.د/ محمد رجب البيومي

من يعرف الدكتور محمد البهي معرفة خلاط ومدارسة ، لا يمكن أن ينساه ؛ لأنه نمط نادر من أنماط الرجولة الأصيلة ، فقد جمع بين بسالة العلم وبسالة العمل جمعا متوازنا لا يتيسّر للكثر ، بل للقلّة الممتازة فهو فى مجال الدرس والتحصيل والتعمّق النظرى قدوة لزملائه ومناظريه ، وفى مجال الإدارة الحازمة ـ التى تُقدر المصلحة العامة دون اعتبار لخصوصيات تفرض نفسها على العدالة المحايدة كى تميل بالميزان عن وجهه المستقيم ـ يكاد يكون فريداً فى بابه وقد لاقى فى تحقيق مبدئه عنتاً كاربا من الأصدقاء الأدنين فضلاً عن الغرباء الذين لا يعرفون غير قضاء المآرب وإرضاء الشهوات وقد اشتد اللغط حوله حين كان وزيرا ، فمديرا للجامعة لا لشىء إلّا لأنّ له منهجا فكريا يسعى إلى تحقيقه ، هذا المنهج لا يشجع الخامل ولا يأخذ بيد المتطفل بل يلزم كل إنسان بأداء واجبه عالماً ومتعلما ، أستاذاً وطالبا ، والواجب العلمى فى نظر الدكتور البهى ليس اجتراراً للألفاظ ونقلاً للمفردات المتعالمة ولكنه ابتكار وإبداع ، فإذا لم يتحقق هذان ، فإخلاص دائب وسعى إلى بلوغ الكمال قدر المستطاع ، والرجل نفسه مثل رائع بما قدم فى ميدان الثقافة الإسلامية الواعية وكان فى طليعة من جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب ـ من مبعوثى الأزهر الشريف ـ جمعاً مستنيراً ينفى الدخل وينشد اللباب ، وله عين الصقر حين يطالع الافتراءات الاستشراقية فى نتاج أساتذة تتشح بالبحث لتضل عن سبيل الإسلام فيهجم بمنطقه الفاصل على أراجيف هؤلاء هجوم المتسلح بالفكر والعقيدة والذكاء ، وقد كتب الله لمؤلفاته الذيوع ؛ فسدت مسدّا شفى صدور المؤمنين ، وألهب حقد المرجفين ، وسنلمّ ببعض مآثره فى هذا المجال ؛ لنقدم الشاهد الصريح .

لقد التحق الطالب الصغير بالأزهر فى سن التاسعة ، وعرف بالسبق الظافر فى كل سنواته التعليمية ، إذ كانت الأولية من نصيبه عن جدارة

وكان من أساتذة المعهد الاسكندرى من يسهرون الليل فى التحصيل ترقبا لأسئلة الطالب العالم فى حلقة الدرس ، وشاء له نبوغه أن يختصر القسم العالى فى عام واحد بدل أربعة أعوام ، إذ سمح القانون لمثله أن يتقدم للامتحان النهائى وهو فى السنة الأولى ، فكان مجليا سابقا وأحد أربعة من أربعمائة كتب لهم النجاح ! وإذا دلّت هذه النتيجة على وفرة التحصيل وقوة الذكاء فقد دلّت على بعد الهمة وسعة الأمل ، هذه الهمة التى جعلته فيما بعد قائد مسيرة ورجل إصلاح وتوجيه .

لقد ظفر الطالب بالعالمية النظامية بعد أن درس فى معهدى « دسوق والاسكندرية » ثم التحق بقسم التخصص ليدرس البلاغة والأدب فى سنوات ثلاث ، وانتهى من مرحلة الطلب جميعها وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ؛ ليكون عضوا فى البعثة الأزهرية التى رصدتها مديرية البحيرة تخليداً لذكرى الإمام محمد عبده ، فاتجه فى سبتمبر سنة ١٩٣١ لدراسة الفلسفة فى ألمانيا ، ورجع عام ١٩٣٦ وقد حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس بدرجة ممتاز فاستقبلته كليات الأزهر مدرسا للفلسفة وعلم النفس ، والثقافة الإسلامية ليقدم النموذج الرائع لأستاذ يملك موضوعه العلمى ملك الثرى المفضال الذى ينفق عن سعة وإغداق ، عالماً أن ذخيرته لن تنفد ـــ بمشيئة الله تعالى ـــ مهما كثر البذل وتنوع العطاء .

لقد كانت روح الفارس الصوال تصحب المبعوث الناهض فى قاعات الدرس بألمانيا ، فلم يطق الصبر على استماع مفتريات تلصق بالإسلام عن مكيدة ، وقائلو هذه المفتريات هم أساتذته الذين سيتولون امتحانه وتقدير كفايته العلمية ، ومحاولة الهجوم على آرائهم خطر لا يعبأ به من أخلص قلبه لدينه وقد استمع البهى إلى آراء أستاذه « بوك » فى محاضراته عن فلسفة التاريخ لهيجل فوجد من الأقوال الخاصة بالإسلام ما يحتاج إلى تصويب ، وكـــذلك صدم بآراء أستـــاذه « شتروتمان » التى تنظر إلى الإسلام كما تنظر إلى معتقدات البدائيين !! وهنا أصر البهى على أن يؤلف باللغة الألمانية كتابا تحت عنوان « رسالة الإسلام بين هيجل ومحمد عبده » وقد اختار الأستاذ الإمام بالذات ؛ لأن ما كتبه فى الإسلام والنصرانية يصلح رداً شافيا على أخطاء الفيلسوف الألمانى الكبير التى عزاها إلى الإسلام وكان الدكتور البهى لبقاً حين أعلن أن المسيحية لا تؤاخذ بأخطاء المسيحيين ، وذكر من هذه الأخطاء ما يعد تحديا للإنجيل ، ذكر ذلك فى إسهاب ؛ ليقول إن أخطاء بعض المسلمين كذلك لا تحسب على الإسلام ، وقد ناقش الفيلسوف فى مسائل عدة أهمها : ما توهمه من أن الفردية فى الإسلام هى العمل للآخرة وحدها مع الانقطاع عن الحياة ؛ فساق البهى من النصوص الدينية ومن أعمال الرسول ﷺ وصحابته ـ رضى الله عنهم ـ ما يدحض ذلك ، وإذا كان هيجل قد قرر اعتماد الإسلام فى انتشاره على السيف دون الرأى فإن المؤلف قد عصف بما قرره مستندا إلى أقوال المنصفين من أساتذة أوربا أنفسهم كما أطال الحديث عن دعوى التعصب التى ألصقها الفيلسوف الألمانى بالإسلام ، فعرض صفحة ناصعة من التاريخ الإسلامى فى أزهى عصوره تكذب بالشاهد الملموس مايقال عن التعصب ،

أما تقهقر المسلمين فى العصور الأخيرة فقد جاء نتيجة للابتعاد عن تعاليم الإسلام ، ولم يجىء بسبب تعاليم الإسلام كما شاء هيجل أن يقول ، وبعد أن كشف عن حقيقة ما قاله هيجل امتد به الحديث إلى كتاب « الإسلام والنصرانية » للأستاذ الإمام ؛ ليقف فى وضع مقارن بما قاله الفيلسوف وليصحح فكرة هيجل حين قرر أن قوة الإسلام قد اختفت كعامل فى قيادة العالم ، وهذا البحث المنهجى لا علاقة له برسالة الدكتور الجامعية ولكنه اقتطع من وقته ما يراه ضروريا ؛ لتصحيح الأفهام الخاطئة المخبطة عن الإسلام ، **وقد رأينا من أبناء المسلمين من وفدوا إلى أوربا لينالوا الدرجات العلمية فسمعوا عن الإسلام أكثر مما سمع البهى ولكنهم لاذوا بالصمت وفيهم من عشيت عينه عن الهدى فاعتنق كل فكر مارق ؛ لينال حظوة أساتذته ، ولو أردت تسجيل الأسماء لأزعجت جسوما فى لحودها تحت الرقاد .**

حين زاول البهى التدريس فى الكلية لم يجعل عمله الرسمى وحده ميدان تفكيره بل امتد إلى المحيط الثقافى العام فى المجلات الأدبية المستنيرة يكتب المقالات الاجتماعية والفلسفية آناً ، ويناقش الفكر المخالف لكبار الكتاب مناقشة فاحصة آنا آخر ، وله فى هذا المجال سبق ظافر ، إذ تصدى لكثير من الآراء تصدى من يملك الإقناع الملزم عن كفاءة ذات علم وإتقان ومن يطالع مجلات : « الثقافة والرسالة والأزهر وجريدة الأهرام » يرى بعض ما نعنيه مما اتجه إليه الباحث فى إخلاص يمده البصر الصائب والشمول المتسع لشتى الأنظار وأذكر فى هذا الموضع مناقشته للأستاذين الكبيرين أحمد أمين وتوفيق الحكيم إذ كتب الأول مقالاً بمجلة الثقافة عما سماه « الدين الصناعى » فذكر عنه أنه كصناعة الحياكة والنجارة وأنه يلوى الدين الحق ليخدم مصلحة السلطان ومظهره عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام ، وهو نحو وصرف وإعراب وتأويل وهو تحسين علاقة صاحبه بالإنسان لاستدرار الرزق أو كسب الجاه إلى آخر ما ينحو هذا المنحى ، وقد رأى البهى فى هذا النمط غلوا يميل إلى الاستهزاء ولا يبحث عن الحقيقة فكتب ردا يقول فيه :

ما ذكره الأستاذ على أنه مظهر الدين الصناعى ليس صفة عامة فى كل بلد يدين بالإسلام فالعمامة الكبيرة والقباء اللامع والفرجية المتسعة الأكمام ليست من مظاهر التدين الحقيقى أو الصناعى بين مسلمى الهند أو مسلمى شرق أوربا ، ولم أعرف أن النحو والصرف وإعراب الكلام والتأويل رمز العمل الذى يتناوله محترف الدين أو صاحب الدين الصناعى فى أى بلد إسلامى فى مصر أو فى غيرها من البلدان الأخرى ، كما لم أعرف أن الشهادة عنده هى إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح ، ومضى الناقد فى رده الحاسم لينتهى إلى قوله « لم أتبين الظاهرة الاجتماعية التى أراد الأستاذ أن يعالجها فى الدين الصناعى وحده كما لم أحبح فى تكوين طابع علمى لمقاله هذا[1] » .

أما الأستاذ توفيق الحكيم فقد كتب مقالا ينعى فيه على شيخ الأزهر اعتراضه على تقرير رواية إنجليزية بكلية الآداب تحمل طعنا فى نبى الإسلام ورأى ذلك امتدادا لسلطان الكنيسة فى أوربا حين حاربت حرية الفكر وقد وجد الحكيم من يعاضده

(١) مجلة الثقافة/العدد ٣٥ ــ ٢٠/٦/١٩٣٩ .

فى اتجاهه لأن الهجوم على الإسلام فى منطق هؤلاء آية من آيات التحرر الفكرى وقد نسوا أن أوربا التى يقلدونها فى كل شيء تافه لا توجد فيها جامعة واحدة فى غير البلاد الشيوعية تطعن فى الدين ، ومن المحال أن تقرر رواية ملحدة فى جامعات فرنسا وانجلترا وأمريكا ، نسوا ذلك واتجهوا إلى معارضة شيخ الأزهر حين يحاول أن يعصم الشباب الجامعى من نزق يضر ولا ينفع وكان الدكتور البهى أحد الذين جابهوا الحكيم عقال عاصف قال فيه :

من الذى يقارن مهمة الأزهر فى حياته المجيدة التى كلها فخر للشرق بسلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ؟ ومن الذى حدثنا أن جامعة كمبردج أو أكسفورد تضع أمام طلابها للنقاش وأمام بحثها العلمى كتابا أو كتبا تطعن فى المسيح من مؤلف شرقى أو غربى ؟

إن الأزهر لا يطلب سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ولم يطلبه يوما ما ، وإنما يؤدى مهمته الروحية فوق مهمته العلمية وهى المحافظة على الأمة وعلى شبابها المثقفين ليس فى منع التهجم على الدين فقط بل فى ضمان التدين به ، وشيخ الأزهر الإمام المراغى لا يحد من حرية البحث الجامعى إذا ما حاول أن ينزع الأمة وبالأخص شبابها من تحكم فئة تدعى لنفسها من الألقاب الثقافية ما تشاء مستغلة جهل الشعب وعدم سمو المستوى العلمى فيه .

وقد اتسعت مجلة الأزهر لمناقشات ممتدة بين « الأستاذ محمد فريد وجدى » و« الدكتور محمد البهى » حول الفلسفة وصلتها بالحكمة إذ كتب الدكتور بحوثا عن فلسفة الإغريق جعلها تمهيدا لدراسة الفكر الإنسانى فى تطوره التاريخى ورأى الأستاذ وجدى أن يشفع كل قول يونانى بما يرد عليه من الفكر الإسلامى المعارض لكثير من الاتجاهات الوثنية ، والمناقشة فى هذا المجال خصبة مفيدة؛ لأن كل مناظر يرعى حقوق مناظره ويخيل إلى أن هذه المقالات لو بسطت فى كتاب ممتد لجاء دور الفكر الإسلامى فيما بعد مصححا ما سبقه من المفاهيم ، ولم يقصر الدكتور البهى فى هذا المنحى إذ كتب مؤلفا كبيرا فى جزأين تحت عنوان « الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى فاستقبله الأستاذ محمد فريد وجدى استقبالا رائعا حيث بسط عنه حديثا شافيا قال فى مقدمته[2] : « هذا كتاب جليل قدره ، عظيمة فائدته ، طريف موضعه ، قام بتأليفه حضرة الأستاذ الألمعى الدكتور محمد البهى مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين واسمه يدل على المجهود المضنى الذى يقتضيه إبراز مثل هذا العمل الفذ فى اللغة العربية ، وبمجرد استكمال المراجع العربية التى اعتمد عليها ونقل ملاحظات قيمة منها يدل وحده على مبلغ ما عاناه الأستاذ المؤلف من الجهد الجاهد فى سبيل إقامة هذا الصرح الفلسفى فى أدق المواضيع وأحوجها العناية والتدقيق إذ يعرض موقف فلاسفة المسلمين فى الشرق من التراث العقلى الإغريقى فيما وراء الطبيعة ولأجل الوصول إلى هذه الغاية جعل يذكر آراء المدارس الفلسفية ، ويوضح أن رأيهم فى تصورهم الوجود وتصويرهم له يتمثل فى التوفيق بين الدين والفلسفة أكثر من أن يعبر عن بناء جديد

(٢) مجلة الأزهر ـــ عدد ربيع الأول سنة ١٣٥٨ هـ وقد أشرت إليها فى مقدمة كتاب (مناقشات وردود) .

فى التفكير الفلسفى فيما وراء الطبيعة ، ثم قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى نهاية المقال :

« هذا خضم متلاطم الأمواج من البحوث استطاع ممثل النبوغ الأزهرى فى الفلسفة الحديثة أن يحصره فى ٢٩٣ صفحة حافلة بالنظريات القيمة والتعليقات الثمينة فنثنى على مؤلفه النابغة أطيب الثناء أكثر الله من أمثاله فى النبغاء[٣] » .

وكلمة (ممثل النبوغ الأزهرى) صادفت موضعها حين وصف بها الأستاذ وجدى صاحب الكتاب ومن باب العظة النافعة فى دنيا الأخلاق الرفيعة أن نذكر أن الدكتور البهى هاجم آراء الأستاذ وجدى مهاجمة عنيفة على صفحات مجلة الرسالة من قبل ولم يمنع ذلك مقرظه الكبير أن يقول فيه ما يعتقد من الثناء الجاد ، وهو مثل يحتذى ! فأين من يستمع ؟

وإذا كان الأزهر يدرس الفلسفة الأغريقية وأثرها فى فلاسفة الإسلام أمثال : ابن سينا والفارابى وابن رشد فإن ذلك لم يمنع نقد هذه الفلسفة ، بل لم يمنع نقد كثير من الآراء التى اتجه إليها فلاسفة الإسلام حين تشيعوا بهذه الفلسفة دون أن يقفوا منها موقف الناقد البصير ، وقد ظن كثير ممن لم يدرسوا مناهج الأزهر أن ما يقال فى كلياته ترديد تقليدى لأقوال السابقين ، وقد عبر عن هذا المنحى سيد قطب ـ حين قال بصدد هذه الفلسفة الإغريقية فى خطاب نقدى وجهه إلى الأستاذ توفيق الحكيم[٤] ـ :

« إن فكرة الإسلام الصحيحة الكلية عن الكون والحياة والإنسان هى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة ولم يتمثله الأوربيون ، وتبعا لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون ثقافتهم عن الأوربيين ، ومالى ألومكم أنتم ، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام » .

لم يفت الدكتور البهى أن يعقب على هذا القول بما ينقضه فقد نشر بالرسالة خطابا للأستاذ سيد قطب[٥] قال فيه « أود أن أطمئن الأستاذ على أن الأزهر فى تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية على اعتبار أنها تمثل فلسفة الإسلام أو تحكى مبدأ من مبادئه أو هدفا من أهدافه ، ففى ماضيه كان يحرم دراسة النوع الإلهى من الفلسفة الإسلامية ، لأنه كان يرى فى هذا النوع انحرافا واضحا عن الإسلام .. وفى العصر الحديث يدرس الأزهر فى كلياته الفلسفة الإسلامية كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية إلى الدينية فى القرون الوسطى إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة على أنها اتجاهات للفكر الإنسانى فى أزمنة متعاقبة ، وفى بيئات مختلفة ، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض ويسعدنى أن أقدم له كتابى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » وسيلة يعرف بها هذه الروح فى الأزهر » .

هذا وأساتذة الفلسفة فى الأزهر أمثال الدكتور محمد غلاب والدكتور محمد يوسف موسى والدكتور سليمان دنيا والدكتور محمود حب الله وغيرهم من الفضلاء ينحون هذا المنحى الحميد فلا ملام .

---

(٣) مجلة الأزهر عدد محرم سنة ١٣٦٧هـ .
(٤) مجلة الرسالة ١٦/٥/١٩٤٩م .
(٥) مجلة الرسالة ٢٣/٥/١٩٤٩م .



العلوم الكونية

قراءة إسلامية في كتاب الكون

وفي الأرض آيات للموقنين (*)

بقلم أ. د.
أحمد فؤاد باشا (**)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١)

يحث القرآن الكريم في كثير من آياته على تأمل الظواهر الكونية ويدعو إلى اتباع المنهج الصحيح في التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة وشاهد صدق على وحدانية الخالق العظيم الذى أودع فيه من الآيات ما يدل عليه وينادى بعلمه وحكمته .

(*) الذاريات ـ ٢٠

(**) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١ .

وإن شئنا مثالا من واقع الإنجازات التي حققها الإنسان من خلال بحثه في مواد الكون وظواهره ، فلنتأمل تلك الأرض التي سخرها الله لخدمة الإنسان فهي أصل وجوده ، من ترابها ومائها خلق ، وعلى صدرها وخيراتها يعيش ، وإليها يعود ويتلاشى ترابا في ترابها ، ومنها يبعث تارة أخرى .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٢)

وقال عز من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٣)

إن كوكب الأرض هو أحد الكواكب التسعة المعروفة التي تدور حول الشمس وهي ـ حسب بعدها عن الشمس ـ عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . ويقدر العلماء عمر الأرض بنحو (٤٦٠٠) مليون سنة ، منها حوالى أربعة آلاف مليون سنة تسمى « حقبة الحياة غير المعلومة » ، وتمثل أكثر من ٨٥ ٪ من الزمن الجيولوجي للأرض ، في حين يطلق على الحقبة ـ منذ (٦٠٠) مليون سنة مضت إلى الزمن الحديث ـ اسم « حقبة الحياة المعلومة » ، وتمثل الفترة التي نعيشها حاليا ، والتي بدأت منذ حوالى (١٥) ألف سنة ، مسيرة تطور الجنس البشري معرفيا وحضاريا .

تركيب الأرض :

تتكون مادة كوكب الأرض من ثلاثة نطاقات رئيسية هي : القلب والوشاح (الدثار) والقشرة . أما القلب فينقسم إلى قسمين : أحدهما داخلي صلب ، ويعتقد أنه مكون من فلزات ثقيلة مثل الحديد والنيكل ، والآخر حار سائل ويبلغ سمكه حوالى (٢٢٧٠) كيلومترا ، وأما الوشاح فهو الطبقة الصخرية الصلبة التي تغلف القلب الخارجي ويبلغ سمكها حدا أقصى قدره نحو (٢٨٨٥) كيلومترا ، والنطاق الثالث هو طبقة السطح الخارجي للأرض ، وتسمى القشرة ويتراوح سمكها بين خمسة كيلومترات وخمسين كيلومترا .

وتنقسم قشرة الأرض إلى قطع هائلة تسمى الصفائح (أو الألواح) ، تفصل بينها شقوق عريضة ، وتستقر فوقها القارات والمحيطات ، كما أن تلك الصفائح تكون في حالة حركة بطيئة مستمرة ، غير أن هذه الحركة من الضآلة بحيث لا يمكن ملاحظتها خلال فترات زمنية قصيرة ، وتحدث معظم الزلازل في الأماكن التي تكون قريبة من حواف تلك الصفائح ، كما يشيع حدوث البراكين أيضا في تلك الأماكن .(٤)

وقد استدل العلماء على أن درجة الحرارة ترتفع

---

(٢) سورة طه : ٥٥ .

(٣) سورة الملك : ١٥ .

(٤) مزيد من التفصيل راجع :

ـ دائرة سفير للمعارف الإسلامية ، العدد ١٣ ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

ـ د . أحمد فؤاد باشا ، فصل المقال في ظاهرة الزلازل ، هدية مجلة الأزهر ، رجب ١٤١٣ هـ .

درجة واحدة كلما نزلنا إلى باطن الأرض ثلاثة وثلاثين مترا ، أى أن درجة الحرارة على عمق ثلاثين كيلو مترا فى باطن الأرض تزيد على درجة حرارة قشرتها ألف درجة ، وعند اللب ترتفع كثيرا ، وربما تزيد على درجة حرارة سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة مئوية) .

ومن الجدير بالذكر أن أعمق نقطة وصل إليها الإنسان تحت سطح الأرض هى قاع منجـــم « المستويات الغربية العميقة » ، وهو منجم ذهب بالقرب من « جوهانسبرج » بجنوب إفريقيا ، يبلغ عمقه (٣٧٧٧) مترا ، ومزود بوحدات تبريد عملاقة للمحافظة على درجة حرارة مناسبة يحتملها العاملون فيه .

حـــركات الأرض :

ساعد العلم الحديث على إظهار نوعين من حركة الأرض هما : دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار ، ودورانها حول الشمس لحدوث الفصول الأربعة ، وكشف العلم المعاصر عن حركات أخرى معقدة لا يشعر بها الإنسان ، لأنها تتم بصورة دورية على فترات زمنية طويلة ، فبالإضافة إلى معرفتنا أن محور الدوران اليومى للأرض يميل الآن بمقدار ثلاث وعشرين درجة ونصف الدرجة (٢٣,٥°) على المستوى المدارى ، نجد أن أحدث النتائج العلمية تخبرنا بوجود حركة أرضية بطيئة تغيِّر من مقدار هذا الميل فيما بين ٢٤,٥° و ٢٢,١° على فترات زمنية دورية كل حوالى (٤١٠٠٠) سنة ، وإذا كنا نعلم أن بُعد الأرض عن الشمس يبلغ فى المتوسط (١٥٠) مليون كيلومترا ، حيث إن مسارها يأخذ شكلا بيضاويا يبلغ نصف قطره الأطول (١٥٣) مليون كيلو متر ، والأقصر (١٤٧) مليون كيلومتر ، فإن أحدث الحسابات الفلكية أظهرت أن هناك حركة أرضية أخرى غير محسوسة تجعل هذا المدار البيضاوى يدور ببطء شديد متعرضا لتغيرات فى اختلافه المركزى (أى فى مقدار حياده عن الشكل الدائرى) على فترات دورية تبلغ حوالى مائة ألف سنة . وتؤدى هذه الحركات المخروطية مجتمعة إلى إزاحة مواضع الاعتدالين الربيعى والخريفى (٢٠ مارس و ٢٢ سبتمبر) والانقلابين الصيفى والشتوى (٢١ يونية و ٢١ ديسمبر) ، حيث تستغرق « مبـــادرة الاعتـــدالين » هذه حوالى (٢٤٠٠٠) سنة ويطلق عليها اسم « السنة العظمى » .

ويعتقد العلماء أن هذه الحركات الدورية تأتى فى مقدمة أسباب تسلسل الأحداث المناخية المصاحبة للعصور الجليدية على مدى عدة مئات من آلاف السنين فى الزمن السحيق .

وحركة الأرض على هذا النحو جزء من الحركة الكونية العامة التى تشمل حركة مجموعتنا الشمسية ، بما فيها الأرض ، حول مجرة « درب التبانة » ، وحركة هذه المجرة حول مركز مجموعة المجرات المحلية ، ثم حركة كونية عظمى لكل مجموعات المجرات حول مركز الكون الذى لا يعلم العلم البشرى عنه شيئا ، ومع كل هذا الحشد الهائل من الأجرام وأفلاكها السابحة فى أرجاء الكون يبقى هناك عاملان لهما تأثير حاسم فى تهيئة الأرض لاحتضان الحياة والمحافظة عليها :

العامل الأول : هو كتلة الأرض التى تحدد عجلة جاذبيتها بالقدر الذى يساعدها على الإمساك

بكل ما على ظهرها من التطاير ، والاحتفاظ بالمواد المكونة لكل من غلافها المائى والهوائى .

والعامل الآخر : هو متوسط بعد الأرض عن الشمس الذى يسمح بسيادة مدى معين من درجات الحرارة السطحية يتيح الفرصة لتوفر الحالة السائلة للماء الذى تقوم عليه الحياة .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (*)

علـوم الأرض :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة « كوكب الأرض » والظواهر المتعلقة به قبل أن ينقلوا معارف الحضارات القديمة إلى اللغة العربية ، وجاءت المعلومات التى عرفوها مبثة فى مؤلفاتهم العديدة ، مثل : كتاب « صورة الأرض » للخوارزمى ، وكتاب « البلدان » لليعقوبى ، وكتاب « المسالك والممالك » لابن حوقل ، وكتاب « الشفاء » لابن سينا ، وكتاب « الجماهر فى معرفة الجواهر » للبيرونى ، وكتاب « الجبال والأمكنة والمياه » للزمخشرى ، وكتاب « الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » لابن ماجد ، وغيرها[6] . وقد كانت هذه المعارف عن الأرض أساسا لعلمين رئيسيين عرفا فيما بعد : بعلم « الجغرافيا » ، وعلم « الجيولوجيا » .

أما « الجغرافيا » : فتعنى عموما بدراسة كل مظاهر سطح الكرة الأرضية ، وخصائص البلدان والأقاليم وسكانها ، وقد تفرعت الآن إلى مباحث عديدة تشمل الجغرافيا الفلكية والطبيعية والحيوية والبشرية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

أما « الجيولوجيا » : فتعنى بالبحث فى تاريخ الأرض ودراسة المواد والطبقات المكونة لها ، والتعرف على كل ما يرتبط بذلك من ظواهر تحدث تحت سطحها أو فوقها ، وقد تطورت مجالات هذا العلم ، حتى أصبح يستخدم فى عصرنا بصيغة الجمع ـ علوم الأرض ـ ليعبر عن مباحث عديدة شبه مستقلة تشمل : علم المعادن ، وعلم الصخور ، وعلم دراسة التربة ، وعلم شكل الأرض ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الحياة الأرضية القديمة (الحفريات) ، وعلم المساحة الأرضية ، وعلم الزلازل ، وعلم الجليد ، وعلم المحيطات ، وعلم تاريخ الأرض ، وعلم الأرض الهندسى ، بالإضافة إلى علوم الأرض المتولدة بالاشتراك مع علوم أخرى مثل علم « فيزياء الأرض » وعلم « كيمياء الأرض » ، وأخيرا ظهر علم « جيولوجيا الكواكب » نتيجة التقدم فى أبحاث الفضاء ، وهناك فروع أخرى من علوم الأرض ذات طابع خاص ، مثل مبحث « جيولوجيا النفط » ، وهو يعنى بدراسة كل ما يختص بالزيت الخام من حيث ظروف تكوينه وتجمعاته وأساليب استخراجه ، وكذا علم « قوى الأرض » الذى يهتم بدراسة طاقة الأرض والعوامل التى تؤثر فى بنائها ، كما ظهرت حديثا تقنيات مساعدة لعلوم الأرض تشمل المسح الجيولوجى ، والتصوير الفضائى للأرض بواسطة الأشعة الضوئية أو بطريقة « الاستشعار عن

(*) سورة الملك : ١ .

(٦) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ م .

بعد » ، وكذا استخدام الحاسبات الآلية فى دراسة علوم الأرض .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [٧] :

● تحوى التربة على العديد من الكائنات الحية التى تفيدها بطرائق متنوعة ، « فدود الأرض » على سبيل المثال - يشبه المحاريث الصغيرة ، حيث يستطيع تقليب ما يزيد على (٣,٥) طن فى المتوسط من التربة لكل هكتار من الأرض المغطاة بالحشائش خلال سنة واحدة .

● حيوانات « الخُلد » تقضى عمرها كله تقريبا تحت الأرض ، وهى تستخدم مخالبها الأمامية العريضة التى تشبه الجاروف للحفر فى التربة بحثا عن الغذاء . يستطيع « الخُلد » أن يشق طريقه فى التربة لمسافة تبلغ مائة متر فى اليوم .

● نشأت الجبال نتيجة لحركة ألواح (صفائح) الأرض بمعدل بطىء جدا يتراوح بين سنتيمتر واحد وعشرة سنتيمترات فى السنة ، وتعتبر جبال الألب أحدث جبال العالم عمرا ، فقد تكونت نتيجة لاندفاع القارة الإفريقية بقوة صوب أوروبا منذ نحو (٢٦) مليون سنة ، أما جبال « الأبلاش » فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد تكونت منذ نحو (٤٠٠) مليون سنة وتوقفت الآن عن النمو لأن الألواح الواقعة تحتها لم تعد تبذل أى قوة ضاغطة .[٨]

● عند رؤية الأرض من الفضاء ، تظهر ملونة بأربعة ألوان أكثرها انتشارا :

هو اللون الأزرق الذى يمثل الجزء المغطى بالمياه ، ثم البنى الذى يمثل الصحارى والجبال والهضاب ، ثم اللون الأخضر الذى يمثل المساحات المزروعة ، ويظهر الجليد فى المناطق القطبية وعلى قمم الجبال باللون الأبيض ، كما تُظهر الصور الفضائية للأرض دوامات السحب المعلقة فوق سطحها ، ولعل هذا يوضح السبب الذى من أجله يقسم العلماء البيئة الطبيعية للأرض إلى ثلاثة أجزاء رئيسية هى : غلاف الهواء المسمى بالغلاف الجوى ، والغلاف المائى أو الجزء المغطى بالمياه ، والغلاف الصخرى أو الجزء الصلب من الأرض .

وكم هناك من آيات أخرى عديدة فى كتاب الكون لا يتأملها إلا المؤمنون الذين يلاحظون يد الخالق الواحد سبحانه وتعالى فى كل ما خلق .

ففى كل شىء له آية .. تدل على أنه الواحد .

---

(٧) سورة الذاريات : ٢٠ .

(٨) جوان جيسوب ، كوكب الأرض ، ترجمة د. أحمد فؤاد باشا ، دار سعير للاعلام والنشر ، القاهرة ١٩٩٥ م .

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ

الأجرام السماوية تشهد للقيامة

نظرة عابرة على الإعجاز العلمي في القرآن

بقلم فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوى (*)

في ١٧ من يوليو ١٩٩٤ م ابتدأت سلسلة من الانفجارات العنيفة في العالم السماوى ، واستمرت إلى ٢٢ من يوليو ١٩٩٤ م ، وهذه السلسلة من الانفجارات حدثت بسبب تصادم المذنّب (شوميكر – ليفى) بالمشترى – أضخم الكواكب السيارة في نظامنا الشمسى . فإن إحدى وعشرين قطعة من المذنب المذكور ظلت تتصادم بين الفينة والفينة بسطح المشترى وتحدث انفجارات عنيفة في الفترة من ١٧ – ٢٢ من يوليو ١٩٩٤ م . وكانت القطعة الأولى التى سقطت على سطح المشترى مثل الكرة النارية الهائلة ، وسرعتها تقدر بمائتى ألف وتسعة آلاف كيلو متر في الساعة ؟ وقطرها يبلغ نحو ألف وتسعمائة وثلاثين كيلو متراً . وقد نجم عن هذا الانفجار قدر ضخم من الغازات الحارة تقدر طاقتها بمائتى ألف مليون طن من (ثالث نتريت التولين TNT) . كما أنه أسفر عن بقعة سوداء على سطح المشترى تعادل نصف قطر الكرة الأرضية ، ولا تزال هذه البقعة مشاهدة إلى سنة كاملة . وكانت هذه القطعة الأولى التى تسمى (A) أصغر بعشر مرات من القطع التى سقطت بعدها ، وكما صرح العالم الفلكى (ليوى) أن مثل هذه الحادثة تقع مرة واحدة في كل ألف سنة .

النسبة بين المشترى والأرض :

إن المشترى هو الكوكب الخامس في نظامنا الشمسى وأضخمها كذلك ، وهو أكبر من أرضنا بـ (٣١٨) مرة ، وقطره يبلغ نحو (١٤٢٠٠٠) كيلو متر ، بينما قطر الأرض لا يزيد عن (١٢٨٠٠) كيلو متر . وهو يكمل دورته حول محوره في عشر ساعات وحول الشمس في اثنتى عشرة سنة وفقاً للتقويم الجريجورى (ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA سنة ١٩٨٣ م ١٠ / ٣٤٦) .

(*) الأمين العام للأكاديمية القرآنية بنغلور (الهند)

نتائج التصادم :

ماذا كان الوضع فيمـــا إذا حدثت تلك الانفجارات على الأرض ؟ وماذا أسفرت عنه على الأرض ؟ هذه هي الأسئلة التي يتحاشى العلماء الإجابة عنها ، ولكن المنجمين يتنبئون بخصوص الانفجارات بأنها ربما تتسبب في التغير في الفصول وفي أمواج البحار ، كما أنهم يتوقعون كذلك أن الغلبة والسيطرة تحصل للاعتقاديين والمتدينين ، وما إلى ذلك .

هذا إلى أن كثيرا من الفلكيين كانوا يرفضون فكرة اصطدام المذنب بالمشترى ، وكانوا يعالجون الموضوع بالمماطلة والتخمينات . على أن العالم الفلكي (شوميكر) الذي ينسب إليه ذلك المذنب وأصحابه كانوا قد أبدوا تنبؤاتهم الصارمة حول التصادم ، كما أنهم كانوا قد حددوا ـ من قبل ـ مواعيد اصطدام القطع الحادية والعشرين للمذنب ، ثم كان التصادم على المواعيد المحددة .

حادثة مزعجة

وعلى كل ، فإن التصادم الأخير للمذنب (شوميكر ـ ليفى) حادث فلكي ذو بال خطير صار مركز التفات الناس واهتماماتهم في هذه الأيام ، وقد كثرت حوله الأسئلة والأجوبة في الأوساط المختلفة ، فإن بعض المتدينين يعتبرونه علامة لاقتراب الساعة ، كما أن الأوساط الحديثة لاتعير دعواهم أهمية إلا مثل ما تعيره لكلام من خبل عقله وفسد ذهنه . ولكن الحقيقة التي لابد من الاعتراف بها هي أن هذا الحادث الكوني قد أوقع البشر في قلق واضطراب ، وإن كانت الكارثة قد أخطأتنا للآن . ولكن الأسئلة التي تنتعش في أذهان الإنسان لابد من الإجابة عنها .

تصديق التصريحات القرآنية :

فهيا بنا لنقف عند الصحيفة السماوية الأخيرة ـ القرآن الكريم ـ لنستنبط منها المعارف التي تتعلق بهذا الخصوص ، ونلقى نظرة على توجيهاته التي تزودنا بها في هذا الصدد ، ونشاهد كيف تحل الألغاز الكونية ؟ وكيف تزيح القناع عن أسرار الحياة .

لكن علينا قبل أن نستعرض الحقائق القرآنية الأبدية أن نطل صوب أعيننا بعض الحقائق الكونية من الوجهة العلمية نفسها ، تلك التي انكشفت لنا بعد تجارب بشرية مرهقة ، ومشاهدات طويلة ، ودراسات مضنية . وهذه الحقائق هي نفس ما أنشأه القرآن الكريم من الفكرة العلمية والوجهة الكونية . فإن القرآن الكريم يدعونا إلى أن نقوم بإمعان النظر في النظام الكوني ، ويحثنا على دراسة الظواهر الكونية والنظم العاملة في تركيباتها لتتجلى لنا حقيقة إشاراته العلمية ، وتتبدى للعالم واقعيته وعظمته وعلى هذا فإن الاكتشافات الحديثة تساعد في إثبات صدق الدعاوى القرآنية وواقعيتها ، كما أنها تبرز أمامنا تصريحات القرآن واضحة جلية مثل وضح النهار .

العوامل الأربعة في فناء الكون :

نريد في هذه العجالة أن نستعرض سريعا بعض الحقائق القرآنية الأبدية التي تتعلق بالاصطدام بين الأجرام السماوية والأرض ، وظلام الشمس (انتهاء مادتها الوقودية) . ولهذه الظواهر الفلكية أهمية كبرى من حيث النظريات العلمية الحديثة . وبعبارة أخرى ، إن الإشارات العلمية القرآنية أصبحت متيسرة للفهم في ضوء الاكتشافات الحديثة أكثر من أى وقت مضى . فلذلك نريد أن

نناقش هنا أربعة أنواع من الاحتمالات التي يمكن أن تسبب وقوع القيامة .

١ ـ أن يكون هناك تصادم المذنبات والكويكبات بالكرة الأرضية الذى يسفر عن ارتطاف الكرة الأرضية وفنائها .

٢ ـ أن يكون هناك اصطدام بين النجوم نفسها يؤدى إلى دمار محيط شامل . وهذا الاحتمال يبدو مؤكدا فى ضوء نظرية الانفجار العنيف (BIG-BANG THEORY) .

٣ ـ أن يكون هناك زوال تدرجى فى أضواء الكواكب من أمثال الشمس يفضى إلى زوال النظام الشمسى بكامله . كما أن العالم الشهير (جورج جامو) ناقش هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابه:

(THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN)

٤ ـ أما الاحتمال الرابع فهو القانون الثانى للديناميكا الحرارية (THE SECOND LAW OF THERMODYNAMICS) من وجهة النظر الطبيعية ، الذى يشير إلى النهاية المحتمة لهذا الكون . وتسلك النهاية هى الأنتروبيا (ENTROPY) . فإن السرعة الهائلة التى يتم بها توزيع الحرارة فى هذا الكون ، يرجح العلماء أنها أن تنتهى إلى معادلة درجة الحرارة فى جميع مظاهر الكون ، وتلك الدرجة تكون منخفضة بحيث إن الحياة تصبح مستعصية فيها .

خطر اصطدام المذنبات

أما الاحتمال الأول فإنه مما يبدو عيانا أن الكرة الأرضية مهددة بالمذنبات وبعض الكويكبات المشردة التى يمكن أن تدمرها فى أى حين . فإن بعض المذنبات تدخل فى بعض الأحيان فى النظام الشمسى ثم تمر متاخمة للكرة الأرضية وبعض الكواكب الأخرى ، كما أن المذنب هيل (الذى سمى بهذا الاسم إثر مكتشفة العالم الفلكى هيل) يدخل فى نظامنا الشمسى مرة فى كل ستة وسبعين عاما وهو كوكب لامع يشاهد بدون واسطة المجهر ، وقد سجل نجومه ثلاثين مرة حتى الآن ، وقد شوهد لأول مرة فى ٢٤٠ ق.م وللمرة الأخيرة فى عام ١٩٨٦ م . (OXFORD ILLUSTRATED ENCYCLOPAEDIA ، سنة ١٩٩٣ م ، ٨ / ٦٣) .

وهناك مذنب آخر مرّ بمجرة مائة ألف وواحد وثلاثين ألف ميل بالقرب من الكرة الأرضية ، وذلك فى عام ١٩٤٦ م .

التصادم بين الأرض والكويكبات

وعلاوة على المذنبات فإن هناك بعضا من الكويكبات والشهب تتصادم حينا بعد حين بالكرة الأرضية وتحدث فى سطحها هوّات وفجوات . ففى عام ١٩٠٨ م سقط كويكب فى « سيبيريا » ، وكان الانفجار الناجم عنه يعادل قوة انفجار اثنى عشر من الميجاطن من القنبلة الهيدروجية أسفر عن تيارات مزعزعة سجلت فى « انكلترا » . هذا إلى أن الانفجار قد استأصل جميع الأشجار الموجودة فى المناطق المجاورة التى تمتد مساحتها إلى ثمانين كيلو مترا . وقد تناثرت أجزاء الغبار فى سائر أنحاء العالم . ومن المحتمل بنسبة ١٢ ٪ إلى ٤٠ ٪ أن تحدث حادثة أخرى من هذا القبيل فى بحر خمس وسبعين سنة الآتية . (READERS DIGEST ، يناير ، ١٩٨٩ م) .

كما أن هناك كويكبا آخر قطره (٢٥ مترا) يحمل قوة واحد من الميجاطن من القنبلة يدخل الكرة الفضائية لأرضنا كل ثلاثين عاما مرة واحدة . وفى عام ١٩٣٧ م توجه الكويكب

(هرمس) إلى الأرض بسرعة (٣٥٥٠٠) كيلو مترا فى ساعة واحدة . ولكنه انحرف عن الأرض وقد اقترب منها بقدر لم يبق بينه وبين الأرض إلا مثل مسافة القمر بمرتين وتلك ليست مسافة لا بأس بها من الوجهة الفلكية . وكان قطره كيلو مترا . ولو كان هناك تصادم بينه وبين الأرض لنجمت عنه قوة انفجار مائة ألف مثل قوة القنبلة . وإذا تصادم بالأرض كويكب أكبر بعشر مرات من كويكب (هرمس) فسيلقى ذلك كيان العالم إلى التهلكة . فإن الكويكبات التى تواصل دورانها بين المريخ والمشترى تشكل صورة قطاع يبلغ عددها حوالى عشرة آلاف من الملايين ، وهى تتراوح فى الحجم من ذرة صغيرة إلى أكوام جبلية . وأكبرها (سيرس) وتمتد مساحتها إلى ١٠٢٥ كيلو مترا . (نفس المرجع السابق) .

يظن علماء الفلك بصدد ذلك القطاع من الكوكبيات الذى يوجد بين المريخ والمشترى أنها قطع كوكب سيار تكسر وتناثر فى السماء .

إذا دكت الأرض دكا دكا :

ولو أصبحت هذه الجبال الطائرة متشردة وتصادمت بالأرض فى حين من الأحيان لتدمرت الأرض بجميع ما فيها من الموجودات . ومن المحتمل كذلك أن تتصادم الأجرام السماوية بعضها البعض فى موعد الساعة ، كما سنبين ذلك فيما بعد . وربما ينتزع الله - تبارك وتعالى - قوة التماسك والتجاذب من تلك الأجرام السماوية فى ذلك الوقت . وعلى كل ، فإننا إذا درسنا الآيات القرآنية الآتية فى ضوء التفصيلات المذكورة آنفا فسيتضح لنا معناها مثل فلق الصبح ، ولا تحتاج إلى تفسير أو شرح مزيد :

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة الحاقة)

وقال تعالى :

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الواقعة)

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ (المزمل : ١٤)

وقال تبارك وتعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (الزلزلة : ١)

وقال تعالى :

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ (الفجر)

الانفجار الكونى العنيف

أما الاحتمال الثانى أى التصادم فيما بين الأجرام السماوية (الكواكب والسيارات) ، فينبغى لنا - قبل كل شىء - أن نكون على إلمام بنظرية خلق الكون ، فإن القرآن والعلم كليهما يتفقان على أن الأجرام السماوية كلها كانت رتقا قبل أن تأتى إلى صورتها التى هى عليها الآن . فيقول العلم إن هذا الكون مع جميع أجرامه كان فى صورة كرة نارية أو غازية حارة ، ثم كان فيها انفجار عظيم فانتشرت الكرة النارية فى صورة قطع صغار تشكلت فيما بعد فى شكل الكواكب والسيارات . وهذا هو ما يطلق عليه فى مصطلح العلم (نظرية الانفجار العنيف) التى عرفت عام ١٩٢٧ م . فإن هذه النظرية تقول إن هذا الكون (عالم المجرات والنجوم) فى اتساع دائم . ثم إذا توصل هذا الاتساع إلى منتهاه ابتدأت عملية تقلص الكون بسبب التجاذب فيما بين الأجرام السماوية ، فتتقارب فيما بينها ، حتى إذا وصل

هذا التقارب إلى أقصاه وقع تصادم عنيف فيما بينها . وهكذا تطوى تلك الأجرام السماوية فى صورة حادثة عظيمة ، ثم تعود إلى وضعها القديم أى فى صورة كرة غازيـــــة .(انظـــــر : ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA ، سنة ١٩٨٣ م ، ٢ / ١٠)

الحقائق القرآنية

وهذه النظرية أكثر تداولا بين العلماء فى هذه الأيام ، والتفصيلات التى ذكرناها آنفا بخصوص نظرية العلم الحديث . إنما تدل على ثلاثة حقائق :

١ ـ كانت فى الماضى السحيق كرة غازية عظيمة وجد منها هذا الكون .

٢ ـ هذه الأجرام السماوية ظهرت بفضل انفجار عنيف .

٣ ـ أن هذا الكون آخذ فى الزيادة والاتساع .

هذه الحقائق كلها بعض ما أشار إليه القرآن الكريم من قديم ولكن هذا الانفجار العنيف لم يحصل بنفسه ، وإنما حصل بأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ وفق التصريحات القرآنية . فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء : ٣٠)

وكانت هذه المادة المشتركـــــة للأرض والسماوات فى صورة غازة ملتهبة ، يعبر عنها القرآن الكريم بلفظ (الدخان) وهو تعبير بليغ يضمر المعانى والحقائق :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت ١١)

ويقول الله تبارك وتعالى عن اتساع الكون :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات)

أما التصادم فيما بين الأجرام السماوية فهناك آيات كثيرة تدل على هذه الحقيقة بأساليب متنوعة ، ونورد هنا بعض الآيات القرآنية التى ليست بحاجة إلى تعليق :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٤)

وقال تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل : ١٢)

فإذا جاءت الساعة تدمرت الحياة ، وتمزق الكون ، وانتثرت الكواكب ، وانفطـــرت السماوات وبست الجبال :

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ (المرسلات)

ومن الواضح البين أن الذى يقدر على خلق شىء فهو أقدر على إفنائـــه وهـــذه الأرض والسماوات والحياة والكون جميعا فى قبضة قدرته ، فإذا شاء استبدل كونا جديداً بهذا الكون . وهذا ليس بمستحيل فى حقه تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج : ١)

النجوم : حياتها ومماتها

أما الاحتمال الثالث ، فإن النجوم من أمثال الشمس تفقد طاقاتها شيئا فشيئا على مر الأيام ، ولابد أن يأتى يوم تفقد فيه جميع طاقاتها وتصبح ميتة ومظلمة . ومن المعلوم أن موت نجم أو ظلامه

هو موت النظام الشمسى بأسره . إذ أن الحياة بجميع أنواعها تتوقف على ضوء الشمس وطاقاتها . فإذا انعدم ضوء الشمس فكيف تمطر السماء ، وكيف تنبت الأشجار المواد الغذائية . وبالتالى تستحيل حياة الانسان والحيوان والنبات والأشجار .

ومن المشاهد أن النجوم والكواكب أيضاً تحيا وتموت فى هذا الكون الهائل . كما أن الكشوف الحديثة قد أزالت القناع عن كثير من أسرار العالم السماوى . وإن كثيرا من العلماء قد كتبوا شيئا كثيرا حول هذا الموضوع وتركوا وراءهم أكداسا من المعارف .

موت الشمس

كذلك فإن العالم الشهير (جورج جامو) ألف كتابا أسماه ميلاد الشمس وموتها (THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN) ذكر فيه – وهو يبحث بحثا مبسوطا حول التركيبات الطبيعية للشمس والكواكب الأخرى وبنيتها الكيميائية – أن هذا الإشعاع الحاد والطاقات الهائلة التى توجد فى الشمس إنما ترجع إلى تفاعلها الحرارى النووى (THERMONUCLEAR REACTION) . فإن الجزء الأكبر من الشمس يتألف من غاز الهيدروجين كما أنها تحتوى على الدرجة الحرارية التى تقدر بخمسة عشر مليونا إلى عشرين مليونا . ومن أجل هذه الحرارة الزائدة تندمج جزئيات غاز الهيدروجين بسبب التفاعل الحرارى النووى وتتحول إلى (هليوم) ولابد أن يأتى يوم ينفذ فيه غاز الهيدروجين فتكون باردة كجسد ميت . وكلما اقتربت مادتها المحترقة من الانقضاء ازدادت الشمس تلهبا وسطوعا ، حتى أنها تكون أكثر تلهبا وضياء عند زوال مادتها مثل الشعلة الموشكة على الانطفاء ، فيكون اشعاعها أكثر بمائة مرة بالنسبة لاشعاعها الحالى . فلا يبقى هناك أى كائن حى على وجه الأرض بسبب الحرارة الشديدة المحرقة . وتتحول المحيطات والبحار إلى الأبخرة . فإذا أصبحت باردة صارت حرارتها أقل بمائة مرة من الحرارة الحالية ، فتكون قزما أبيض (WHITE DWARF) وهذا هو موت الشمس . (الملخص من THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN ، سنة ١٩٥٦ م ، نيويورك ، ص ١٤٠ ، وانظر كذلك : ENCYCLOPADIA BRITANNICA ، ١٧ / ٨٠٨)

المستعرات

ولكن (جورج جامو) والعلماء الآخرين يطمئنون الناس بأنه قد بقى الآن ألف مليون سنة من عمر الشمس ، فلا داعى إلى القلق والاضطراب . ولكنهم يقولون توا وفى النفس المباشر أن النجوم تنفجر عادة بانفجارات سرية ، وتنتثر مادتها فى الفضاء . وهذه الكواكب المنفجرة تسمى المستعرات (NOVA) وقد عجز العلماء حتى الآن من الوقوف على الأسباب الحتمية لهذه الانفجارات السرية . وعلى كل ، فإن سلسلة الحياة والممات مستمرة فى عالم النجوم والكواكب . وعلى هذا فإن الشمس التى هى الأخرى نجم من النجوم يمكن أن تنفجر بانفجار مذهل فى يوم من الأيام . وقد أورد (جورج غيمو) نفسه هذا الاحتمال ، فيقول :

إننا نشاهد أن آلاف الملايين من النجوم والكواكب منتشرة فى عرض السماء ، ومن بين

تلك النجوم تشاهد نجما هادئا مماثلا لغيره من النجوم ، ولكنه يتفرقع مفاجئة بانفجار عنيف فى بضع ساعات . فينتعش فى أذهاننا مباشرة سؤال هام وهو أنه يمكن أن يحدث مثل هذا الحادث بالشمس اليوم ... أو غدا ... أو فى السنة الآتية .
فإذا أصبحت الشمس مستسعرة (NOVA) فى يوم من الأيام ، فإن تلك الساعة تكون خافضة رافعة ، مهلكة مدمرة . ويحدث كل ذلك بسرعة هائلة حتى أن أحدا لا يكاد يشعر به . أما إذا كان العلماء الفلكيون موجودين فى النظام السيارى (الكوكبى) لكوكب آخر ، فإنهم يشاهدون أنه قد طلع نجم مستسعر THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN ، ص : ١٥٩) .
ثم يكتب المؤلف بمزيد من الإيضاح :
أن هناك احتمالات بينة لأن تصبح الشمس مستسعرة مرة واحدة فى يوم من الأيام ، والواقع أن عشرين نجما من نظامنا النجمى ينفجر كل سنة . فإذا كان عمر هذا الكون حوالى ألفى مليون سنة فإنه قد تم انفجار أربعين مليونا من النجوم عبر هذه المدة السحيقة . (نفس المرجع السابق)

الاكتشافات القرآنية

وهذه الحقائق المذكورة إن دلت على شىء فإنما تدل على إعجاز القرآن وحقانيته
فما أعظم صدق القرآن الذى قرر هذه الحقائق منذ نزوله قبل أربعة عشر قرنا :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ ﴾
سورة التكوير

فإن القرآن الكريم قد استخدم لفظ التكوير فى هذه المناسبة للشمس ، وهو يدل على معنيين : أحدهما اللف ، وثانيهما الرفع والإزالة ، والحقائق السالفة الذكر تؤيد كلا المعنيين . كما أنه استخدم لفظ الانكدار للنجوم ، وهو أيضاً يدل على معنيين : أحدهما الانحدار والتساقط ، وثانيهما الظلام وذهاب النور . (معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مصر)
ويقول الله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ ﴾
سورة الانفطار

وعلى كل فإن القرآن الكريم قد ألقى الضوء على وقوع القيامة وفناء الكون فى مقامات شتى بألفاظ مختلفة وأساليب متنوعة . وهذا التنوع فى الأساليب ليس عبثا ، وإنما جاء من قبل إبراز النواحى المختلفة لموت الأجرام السماوية وفنائها ، لتنبيه الإنسان من رقدة غفلته . والواقع أن حديث القرآن الكريم وتصريحاته كلها مطابقة للواقع وملائمة مع المشاهد . وأن أى تصريح من تصريحاته لا يجانب الحق والواقع ، لأن هذا الكلام ليس من جنس كلام البشر . وإنما هو كلام العليم الخبير الذى يعلم جميع أسرار الكون وعجائبه .
والحقيقة أن الله تعالى خلق هذا الكون وهذه السماوات لغاية كريمة وهدف نبيل . وهذه المستسعرات هى خير نموذج على كيفية وقوع القيامة ونهاية العالم السماوى . فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا انتزع قوة التماسك والتجاذب (GRAVITATION) من هذه الأجرام السماوية فإنها تتصادم بعضها البعض وتتمزق فى آن واحد .

وهذه هى بعض أسرار هذا الكون التى يكشف عن غطائها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذا إعجازه العلمي باهر في هذا العصر العلمي وهكذا يكتشف العلم الحديث جميع ما قرره القرآن الكريم قبل قرون . وسيكتشف مزيد من أسرار هذا الكتاب كلما يتقدم العلم ، لأنه قد أنزله الذى يعلم السر في السماوات والأرض .

تدبير الكون

وعلى كل ، فمن أى ناحية نفكر في هذا الكون فإن الأمر الذى يفاجئنا في كل مفترق هو نهايته المحتمة التى لا مفر منها . والحقيقة أن الله — تعالى — قد جعل لكل شىء ضابطة مرسومة وقدرا مقدورا ، وأن هذا الكون سائر وفق تلك الضابطة وذلك القدر ، كما قال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفرقان)

وقال تعالى :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأحزاب)

وقال تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (الأعلى : ١ — ٢)

وعلى كل فإن الله — تبارك وتعالى — هو الذى قدر لكل ما في العالم من الذرة الصغيرة إلى النظام الشمسى الهائل قدرا مقدورا ، وضابطة محكمة . وهو الذى يسير الكون المادى وفق تلك الضابطة . وهذا الكون المادى بجميع ما فيه مقيد بضوابطه المرسومة من الوجهة الطبيعيـــة . ولا يستطيع شىء أن ينحرف عن أوامره شيئا .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

متى تأتى الساعة

أما موعد الساعة فإنه لا يعلمها إلا الله لأنه هو الذى عالم بجميع ما في الكون من سرائر وخفايا ، ورموز وعجائب . ولكن الساعة لا تأتى إلا بغتة ، فلا تمهل أحدا شيئا ، ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . وقد ظهرت أمارات الساعة ، فما يدريك لعل الساعة تكون قريبا :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ سورة الأعراف ١٨٧

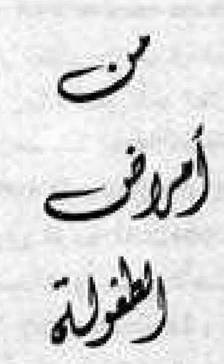
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة النحل

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (طه)

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

فالخلص أن دخول المذنبات والكويكبات في نظامنا الشمسى وتصادمها وانفجارها ، إنما هو إعلام من الله — تبارك وتعالى — وإنذار منه لكى يتعظ الإنسان فيتجه إلى خالقه ومالكه ، ويقوم من أخلاقه وأعماله ، وسلوكه وأفكاره . فإن الساعة إذا جاءت فلن يبق للعمـــل مجال ، ولا يكون لاستدراك ما فات مقال . وليس للإنسان بعد ذلك إلا أن يقلب كفيه على ما قدم ، ويبدى تحسره على ما فات ، ولات ساعة مندم :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ سورة الأنعام





١ ـ فقر الدم «الأنيميا»

الدكتورة/جيهان أحمد مصطفى (*)

مما لا شك فيه أن أمراض الدم واسعة الانتشار بين الأطفال ، ومعظمها شديد الخطورة ، لهذا يتعين علينا التبصير بهذه الأمراض الوبيلة ، للتعرف على أسبابها ، وكيفية تجنبها ــ إذا أمكن ــ ووسائل التشخيص والعلاج الأمثل المبكر لها ، إذا أصيب بها الطفل .

ولنبدأ الحديث عن أحد أمراض الدم الأكثر شيوعا بين الأطفال ، وهو مرض : فقر الدم (الأنيميا) .

● ما المقصود بفقر الدم Anemia:

المقصود به هو نقص نسبة الهيموجلوبين ، أو عدد كرات الدم الحمراء عن معدلهما الطبيعي ، (وفقاً لعمر وجنس الطفل) ، وينتج عن هذا نقص مزمن في كمية الأوكسجين ، التي تصل إلى خلايا الجسم ، مما يترتب عليه شعور الطفل بالتعب المستمر ، والإرهاق والنهجان ، عند بذل أقل مجهود ، وقلة شهيته للطعام ، مع توتره وعصبيته الزائدة ، وزيادة سرعة نبضات قلبه ، ويكون الطفل شاحب اللون .

ولكي نتعرف على أسباب فقر الدم ، يتعين علينا التبصير بالعوامل اللازمة لعملية تكوين كرات الدم الحمراء وهي :

Erythropoiesis

١ ــ توافر العناصر اللازمة لتكوين خلايا الدم الحمراء Hematinucs ، وتشمل :

(أ) الفيتامينات : Vitamines (خاصة فيتامين ب المركب ، حامض الفوليك ، فيتامين أ ، فيتامين هـ) .

(ب) المعادن : Minerals (خاصة الحديد والنحاس) .

(جـ) البروتينات : Proteins .

(د) الهرمونات : Hormones (خاصة هرمون الإيرثروبويتين وغيره) .

(*) ماجستير في طب الأطفال .

٢ ــ النخاع العظمى : Bone Marrow

وهو يُعد «المصنع» الذى تتم فيه عملية تكوين خلايا الدم .

● ما هى أسباب مرض فقر الدم وأنواعه ؟ ويتلخص هذا فى الآتى :

* نقص فى تكوين خلايا الدم الحمراء .
* زيادة فى معدل فقدان خلايا الدم الحمراء .

١ ــ أسباب نقص تكوين خلايا الدم الحمراء :

وينتج هذا عن أحد الأسباب التالية :

(أ) نقص أحد العناصر اللازمة لتكوين خلايا الدم الحمراء :

Dyshemopoietic Anemia مثل :

● نقص عنصر الحديد ويترتب عليه حدوث (أنيميا نقص الحديد Iron Deficiency Anemia

● نقص فيتامين ب المركب أو حامض الفوليك ويترتب عليه حدوث (أنيميا الخلايا الضخمة) Megaloblastic Anemia .

● نقص فيتامين جـ ويترتب عليه حدوث (أنيميا داء الإسقربوط) Anemia Due To Scurvy

● فقر الدم نتيجة لنقص البروتينات أو أحد الهرمونات اللازمة لتكوين كرات الدم الحمراء .

(ب) عدم مقدرة النخاع العظمى على تكوين كرات الدم الحمراء :

Hypoplastic or Aplastic Anemia

٢ ــ أسباب زيادة مُعدَّل فقدان خلايا الدم الحمراء :

(أ) حدوث نزف Haemorrhage حاد أو مزمن مثل :

* النزف من الجهاز الهضمى (نزف فى البراز أو تقىُّء دم) : فى حالة إصابة الطفل بأحد الطفيليات مثل : (البلهارسيا Bilhariziasis أو الأنكلوستوما Ancylostoma) ، أو إصابة الطفل بدوالى المرىء Oesophageal Varices أو بالتهابات وقُرَح الأمعاء Inflammatory bowel disease ، نتيجة لأسباب عديدة ، أو إصابة الطفل بالدوسنتاريا المزمنة Dyzentry وغيرها من الأسباب .

* النزف فى البول Haematuria : كما فى حالة إصابة الطفل ببلهارسيا المجارى البولية ، أو وجود حصوات متكررة فى مجرى البول ، أو فى حالة وجود ورم فى أى جزء من الجهاز البولى وغيرها من الأسباب .

* وأيضا النزف من الأنف Epistaxis أو من اللثة Bleeding Per gums كما فى حالة إصابة الطفل بأحد أمراض الدم ، التى قد تؤدى إلى حدوث النزف .

(ب) زيادة معدل تكسُّر كرات الدم الحمراء Hemolysis : ويؤدى إلى حدوث (أنيميا انحلال الدم) Hemolytic Anemia وسوف نتحدث عن أنواع فقر الدم بإسهاب ، ولنبدأ بأكثر الأنواع شيوعا ، وهى (أنيميا نقص الحديد) Iron Deficiency Anemia وهى تعد أكثر أنواع فقر الدم شيوعا فى السنتين الأوليين من عمر الطفل ، وإن كانت نادرة الحدوث فى الثلاثة شهور الأولى من عمر الطفل ــ إلا إذا كان الطفل مبتسراً (ناقص النمو) Premature أو فقد الكثير من الدم أثناء أو بعد ولادته Perinatal blood loss لأن كمية الحديد فى لبن الأم تكون

كافية لسد حاجات الطفل ، بالإضافة إلى ما لديه من الحديد المختزن فى جسمه .

● ما هى مصادر الحديد فى الطعام ؟

١ — مصدر حيوانى Animel Source : ويشمل كل أنواع اللحم الأحمر Red meat

٢ — مصدر نباتى Plant Source : فى أى نبات يَسْوَدُّ لونه عند التعرض للهواء مثل (السَّبانخ والتفاح والموز وغيرها) ويتم امتصاص الحديد من الإثنى عشر ، والجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة ، ويوجد فى الدم متحداً مع البروتين الخاص به : Transferrin ، فى صورة فيريتين Ferritin ويتم تخزين الحديد فى الكبد والنخاع العظمى ويوجد الحديد فى الجسم فى الصور الآتية :

١ — فى الهيموجلوبين (حيث يشارك فى تكوينه) ، ويمثل هذا حوالى ثلثى كمية الحديد الموجودة فى الجسم .

٢ — الجزء الموجود فى الأنسجة : Tissue Form وينقسم إلى :

(أ) جزء مخزون (يستخدم عند الحاجة) فى الكبد والنخاع العظمى .

(ب) جزء (لا يمكن استخدامه عند الحاجة) موجود فى :

● العضلات : Muscles حيث يشارك فى تكوين الميوجلوبين Myoglobin .

● الإنزيمات : مثل إنزيمات التنفس Cytochrome .

ومن الجدير بالذكر أن الطفل يحتاج إلى حوالى ١٠ — ١٥ ملجم من الحديد يوميا فى طعامه ويتم امتصاص ١٠ ٪ فقط من هذه الكمية (وهى الكمية التى يحتاجها الجسم) .

● ما هى أسباب أنيميا نقص الحديد ؟ :

تتلخص الأسباب فى الآتى :

١ — نزف الدم :

فى أى طفل مريض بأنيميا نقص الحديد لابد من البحث عن أحد الأسباب التى قد تؤدى إلى نزف الدم — كما سبق وذكرنا — وبخاصة إصابة الطفل بأحد الطفيليات مثل : البلهارسيا ، والأنكلوستوما .. ومن الجدير بالذكر أن كل دودة من ديدان الأنكلوستوما التى قد تصيب الطفل تقوم بالتهام حوالى ٠,٠٥ مليلتر من الدم يوميا .

٢ — قلة امتصاص الحديد الموجود فى طعام الطفل ويكون ذلك فى الحالات الآتية :

● تناول الحبوب Cereals بكثرة .

● تناول الشاى بكثرة وأيضا الأدوية المضادة للحموضة Antacids

● أمراض سوء الهضم والامتصاص Malabsorption Syndrome

● حدوث نزلات معوية متكررة .

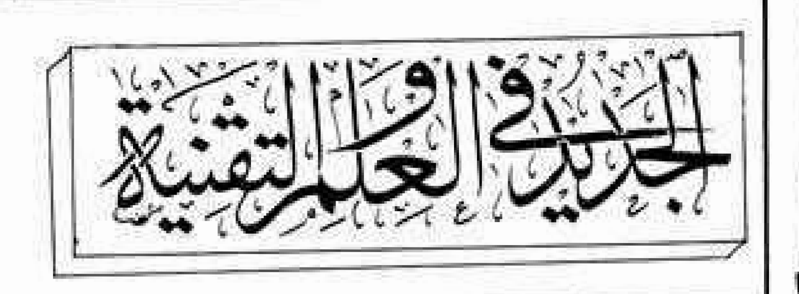
٣ — عدم تناول الحديد بكمية كافية ، (لأن كمية الحديد الموجودة فى لبن الأم بعد الشهر الرابع إلى الشهر السادس تكون غير كافية لسد حاجات الطفل منه ، ولهذا يجب إمداد الطفل به .

٤ — قلة كمية الحديد المختزن بجسم الطفل ، إذا كان الطفل مبتسرا (أى ناقص النمو) أو إذا كانت الأم تعانى من أنيميا نقص الحديد .

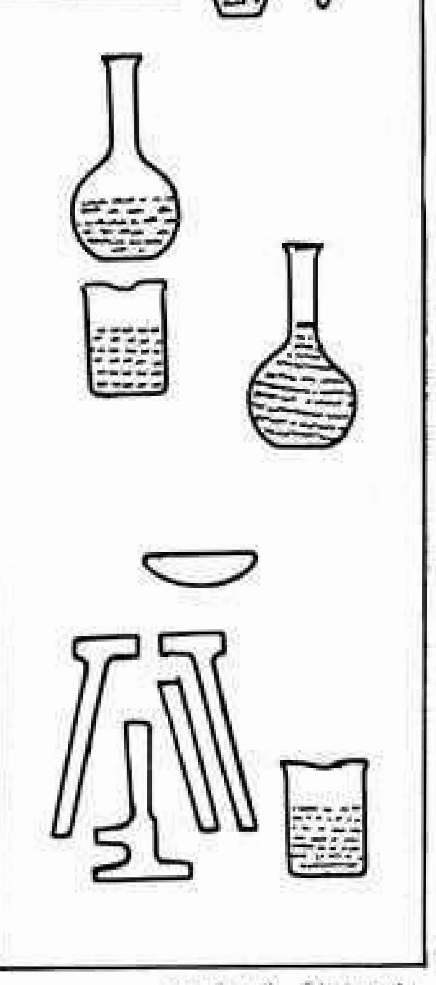
* * * *

وسوف نستأنف الحديث فى المقال التالى عن فقر الدم نتيجة نقص الحديد بإلقاء الضوء على أعراض المرض وتشخيصه وكيفية علاجه .









● جهاز متكامل للرصد الجوى فى المطارات :

قامت إحدى الشركات الفرنسية للإلكترونيات بإنتاج جهاز متكامل للرصد الجوى فى المطارات ، يمد المراقبين الجويين بالبيانات الخاصة بالأحوال الجوية ، ويمكن أن يستخدم فى مطار داخلى ومطار دولى ، ويتيح النظام التركيبى للجهاز فرصة تشكيله وتطويره حسب الطلب ، حتى يلبى أى احتياجات مطلوبة .

ويتكون الجهاز من أربع وحدات للقيام بوظائف الرصد الجوى وهى : أجهزة الالتقاط المتكاملة الموجودة على ممرات المطار ـ والتى تقدم المعلومات الأساسية فى صورة أرقام عن اتجاه الرياح وسرعتها ، ودرجة الحرارة والرطوبة والضغط ، ومدى الرؤية على الممر ـ وشبكة للربط بين أجهزة الالتقاط المختلفة ، وحاسب آلى للمراقبة ومعالجة المعلومات وحفظها وتكوين الصور التى ستعرض ، وشبكة عرض صور البيانات الجوية بالألوان .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

● **جهاز لمساعدة المكفوفين على قراءة الصحف :**

بدأت فى بريطانيا التجارب على جهاز جديد يساعد المكفوفين على قراءة الصحف اليومية بدون الاستعانة بقارىء ، ويقوم النظام الجديد على بث محتويات الصحف بثا رقميا عبر شبكات التليفزيون فيستقبلها المكفوف على شاشة حاسوبه الشخصى بمساعدة بطاقة الكترونية خاصة تفك رموز الإرسال الرقمى ، ويتولى جهاز تحويل الإشارات الرقمية إلى أصوات منطوقة أو إلى علامات برايل البارزة التى يقرأها المكفوف الأصم بطريقة اللمس .

● **تنبيه آلى لركاب القطار :**

قامت هيئة السكك الحديدية لشرق اليابان بتطوير جهاز لتنبيه الراكب إلى محطته ، ويمكن وضعه فى الجيب . وتقوم الهيئة بإرسال أطوال موجية مختلفة من موجات الراديو الضعيفة ذات التردد العالى على طول خط السكك الحديدية ويضبط الجهاز الذى مع الراكب بحيث يسمع الراكب تردد الراديو الذى يتطابق مع المحطة التى يريد النزول فيها ، ويلتقط الجهاز التردد المطلوب ـ سابقا ـ ثم يعمل الكترونيا لتنبيه الراكب حتى لو كان نائما .

● **طابعة إلكترونية جديدة :**

ابتكرت إحدى الشركات اليابانية طابعة رقمية جديدة ، هى عبارة عن قلم طابع سهل الاستعمال يمكن بواسطته طباعة نص معين أو أرقام أو رموز معينة فوق أى سطح من السطوح . ويتم إدخال النص أو الرموز المطلوبة إلى الجهاز بواسطة مفاتيح وبحدد الشكل والمقاس المطلوب ، ثم تثبت الطابعة فوق السطوح الملساء مثل : الورق والخشب والبلاستيك وغيرها ، حيث تقوم بطباعة النصوص بثمانية قياسات مختلفة ، كما أنها تعطى أشكالا مختلفة للأحرف .

● **وقود نقى من الغاز الطبيعى :**

نجح فريق من العلماء الأمريكيين فى تحضير نوع جديد من الوقود السائل النقى من الغاز الطبيعى ـ وتتفاعل معه تحت درجة حرارة منخفضة جدا ، ويتم بعد ذلك تغيير حجم جزء الغاز وتعديل مواصفاته بحيث يصبح فى حالة سائلة عند درجة الحرارة العادية ليستخدم كوقود للسيارات والآلات .

● **أحدث جهاز لقياس ضغط العين :**

قامت إحدى شركات الأجهزة الطبية بالولايات المتحدة الأمريكية بابتكار جهاز جديد لقياس حركة الدم فى العين بسرعة ودقة وسهولة . ويتميز هذا الجهاز بشدة حساسيته للتغيرات فى ضغط الدم فى العين والتى تنتقل عبر نظام « الكومبيوتر » المتصل به لتظهر هذه التغيرات فورا على شاشة الجهاز حيث يسجل نبضات الدم فى شرايين العين ، كما يسجل مقاومة الأوعية الدموية لسريان الدم فيها وكمية الدم الموجودة بهذه الأوعية ، وللجهاز القدرة على قياس حركة السائل الشفاف الموجود بالعين ، وسوف يساعد هذا الجهاز أطباء العيون على تعديل أنظمة العلاج الدوائى والجراحى المستخدمة لعلاج بعض أمراض العيون .

● طريقة جديدة لعلاج تشوهات الحروق :

نجح فريق من الأطباء الفرنسيين فى إنتاج جلد صناعى يتم نسجه من بقايا الجلد المحروق ويتم زرعه فى مزارع طبية خاصة ، ويستخدم فى علاج تشوهات الحروق . وتعتمد فكرة الإنتاج لهذا الجلد الصناعى على زراعة جزء من الجلد المحروق فى أنابيب معقمة ، فينتج جلد طبيعى يستخدم فى إنقاذ المصابين ، ويخضع المصاب لمجموعة فحوصات قبل زراعة جلد صناعى له ، حيث يتم أولا استئصال النسيج الجلدى المصاب ، ثم يغطى جسمه بجلد جديد بأساليب علمية متطورة فى زرع الجلد وتركيبه .

● تحذير من الإفراط فى تناول فيتامين « د » :

حذر أحد العلماء البريطانيين بجامعة « سيمون فريزر » من الإفراط فى تناول فيتامين « د » حيث يساهم فى الإصابة بأمراض القلب وتصلب الشرايين والتهاب المفاصل والشيخوخة المبكرة ، حيث إن الدراسة التى قام بها أوضحت أن الجرعة المناسبة للكبار هى (٢,٥) ميكروجرام يوميا ، وأن اللتر الواحد من اللبن يحتوى على (٨,٥) ميكروجرام من فيتامين « د » ، وأن الفيتامين يمكن إنتاجه داخل الجسم من خلال التعرض للأشعة فوق البنفسجية الموجودة بالشمس .

● البكتريا لتنقية الهواء :

نجح مجموعة من العلماء الروس بأكاديمية العلوم فى ابتكار جهاز جديد لتنقية الهواء ، وهو عبارة عن إناء مملوء بالبكتريا تستطيع أن تلتهم السموم الملوثة للهواء والتى تسمى المكونات العضوية الطيارة ، ويحتوى الجهاز على شاشة مصنوعة من الألياف الصناعية تحتوى على بكتريا تقوم بتحليل المواد العضوية الطيارة إلى ثانى أكسيد الكربون والماء ، ولا يحتاج تشغيل الجهاز لأى جهد حيث يعمل فى درجة الحرارة العادية للغرفة .

● جهاز يتنبأ بالضباب :

أنتجت شركة فرنسية جهازا يعمل بتكنولوجيا المغناطيسية الكهربائية لقياس درجة حرارة الهواء باستمرار ، والتنبؤ بالضباب حتى مدى الألف متر الأولى من الجو ، حيث يحدد ظواهر لانعكاس المسئولة عن تخزين التلوث فى الطبقات المرتفعة وحبسها فى الكتل الهوائية .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية فى تاريخها

أ . د / توفيق محمد شاهين

أولية اللغة الإنسانية ــ بعامة ــ شغلت الناس والمفكرين أحيانا وأزمانا وتشابكت أقوال العلماء والفلاسفة وتفارقت وتنوعت وتلونت ــ بلون ثقافاتهم ، وتاهت فى دنيا الخيال والقرب من الواقع أو المظنون ــ آراءهم .

وأدلينا بدلونا بين الدلاء فى ذلك فى أبحاث منشورة ومخطوطة ، علّ الحقيقة تسفر عن وجهها ، أو تطل برأسها فيهدأ المنقبون والباحثون ومحبو المعرفة وطلابها .

وأولوية اللغة العربية الحيية لا تقل حيرة وغرابة وضربا فى مجاهل التاريخ ، وذهابا فى وادى الظنون ، كأولية اللغة الإنسانية عامة سواء بسواء .

وبرغم ذلك ما زالت الأبحاث تتوالى ، والتنقيب يتلو بعضه ، والأبحاث تشد أزر بعضها ؛ لتضع شمعة على طريق المعرفة ، تنير الطريق للمقيمين والمقبلين .

والبحث فى أولية اللغة العربية كالبحث فى أولية اللغة الإنسانية يسير معتمدا على شقين أو على مدرستين : النصيّة والعقلية ، لترضى أصحاب العقول أو العقلانيين والنصيين فى نفس الوقت .

ويلاحظ بادىء ذى بدء : أن حيرة علماء اللغة وأصولها ــ أى لغة ــ أشد من حيرة غيرهم من العلماء والباحثين ؛ بسبب أن علماء اللغة لا يقع فى أيديهم دليل مادى من مكتوب بالذات إلا لماما ، ولا يشفى الغليل أحيانا لبتره ، أو غموضه ، وإمعانه فى التيه ووادى الظنون : فقد يكون ابن البيئة ، وقد يكون نقله عابر سبيل ، أو رحالة آثر أن يشاركه رحلته .

وقد يعسر أو يصعب تفسيره وقراءته على نحو يرضى ويقنع ، ويكـــون العـــود الى الحيرة والشتات . أمّا علماء المواد الأخرى فقد يقنعون بجمجمة يدرسونها ، وعظام يفحصونها ، وهياكل يعلقون عليها .. ولا يملك الناس إلا تصديقهم وشكر علماء الأجناس والأحياء .

وقد يعثر بعضهم على نوع من عملة قديمة ، فيصقونها ، ويعلقون على أهلها القدامى بما يفيد القارىء عن حضارتهم وثقافتهم .. وهلم جرًا .

أما علماء أصول اللغات فحظهم في هذا الجانب النذر اليسير من لافتة مغمورة أو نص غامض .

● وكما اختلف العلماء على أولية ونشأة اللغة العربية ، اختلفوا كذلك على نشأة الخط العربي أو الأبجدية العربية فلنستصحب الأبجدية العربية معنا ، زيادة في الأيضاح : متى نشأت ؟ وكيف تدرجت ؟ ومن أول من خطّ بها ؟ وهل وعى التاريخ لها نماذج ؟ وما تفسيرات العلماء لها ؟ وما نهاية خط مطافها ؟ .

والثابت للآن : أن اللغويين لا يعرفون من اللغات واللهجات ــ الشيء الكثير ــ إلّا ما تطور ، وترك خلفه تاريخا عريضا ، ونقوشا واضحة مدونة ، وألواحا ذات معنى متكامل ، أو يمثل جزءاً تشيع فيه الظاهرة اللغوية المدروسة .

اللغة العربية فرع السامية :

من المقرر : أن اللغة العربية هي عين أعيان اللغات السامية ، كما ذكر العلماء وكما سنبحث ذلك ونوثقه في حديث آت بفضل الله تعالى ، وإن كان كل ذلك للآن شيئا افتراضيا .

والعربية أيضا فرع جنوبي غربي من شجرة اللغات السامية .

وتنقسم ــ بعامة ــ إلى قسمين :

عربية جنوبية ، وعربية شمالية :

(أ) فالعربية الجنوبية تشمل : المعينية ، والسبئية ، والحضرمية ، والقتبانية ، والحبشية .

(ب) والعربية الشمالية تنقسم إلى قسمين :

١ ــ العربية البائدة ، ومنها : اللحيانية ، والثمودية ، والصفوية .

٢ ــ والعربية الباقية ، وتمثلها : الحجازية ، والتميمية[1] وتمثلها لغتنا الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر الجاهلي في أروع قصائده .

وإذا بادت البائدة ، وماتت الجنوبية ولفتها أكفان التاريخ ، فلنحيا الباقية والفيلسوف الألماني (فيتشه) يقول : (إن وجود أمة من الأمم بوجود (إنيتها) التـــى هي شخصيتها ، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين ، واللغة ، وحب الوطن .

ويقول : (إن اللغة هي رمز وجود الأمة ، وبقدر أصالة اللغة ، والمحافظة على اللغة الأصلية ، أو فقدانها .. تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا ، أو مجرد أشتات فحسب)[2] .

ومعنى هذا ان العناية باللغة شيء حيوي في حياة الأمم والشعوب .. وانسلاخها عنها أو إهمالهم لها ، أو إدخال ضرة عليها بلا موجب .. تبعية للسيد ، وتنكر للأصل ، وفرار من الهُوِيَّة .

ومعنى هذا بالتالي : وجوب العناية بلغتنا ، التي هي لسان مقدساتنا ، وعنوان مجدنا ، ورمز وجودنا وعزنا وجوب العناية بها رواية ودراية ، وبحثا ومعرفة ، واطلاعا وانطلاقا ، وخدمة وحبا وشوقا وهياما .

---

(١) راجع دراسة في فقه اللغة . د . صبحي الصالح ص ٧١ ط ثالثة بيروت ١٣٢٨ هـ ، وكذا (علم اللغة العام) ط مكتبة وهبه القاهرة ص ٩٧ .

(٢) من نداء وجهه « يوهان جوتليب فيخته » إلى الأمة الألمانية .

وقد ذكر الفيلسوف الألماني (فيتشة) أن الدين واللغة وحب الوطن رمز لوجود الأمة .. وأذكر في هذا الصدد — للتاريخ والذكرى — أن وزير الأزهر في الستينات وكان كمال رفعت من رجال الثورة ، حاضرنا في قاعة المحاضرات الكبرى لجامعة الأزهر — وكنت وقتها مديرا لها — حاضرنا عن القومية العربية وقرر أن الدين ليس من مقوماتها !! وعندما تصدى بالتعليق على المحاضرة أستاذنا المرحوم الدكتور محمد البهي ، وذكر أن الدين عامل مهم ، ومقوم أساسي ورابطة وشيجة بين أبناء الوطن الإسلامي الكبير ، والعرب المتعايشين في كل مكان ولهم دين يجمعهم .. قوبل تعليقه بعدم ارتياح .. ولو كان المحاضر يدرى كيف يرد لما سكت واكتفى بالتعليق المحلي غير المعروف ولا المقبول وهو : أن الدين ليس من مقومات القومية[٣] .

● ونعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى موضوعنا .. بعد أن نؤكد أن من الواجب الحتمي اليوم أن نعنى بلغتنا العربية ، عناية أجدادنا بها من قبل ؛ فعزوا وبدوا وسادوا وقادوا .

أولية اللغة العربية وحروفها :

حول أولية العربية وأبجديتها أتى النصيّون بشواهد ونصوص ، رقى إليها الطعن ، وتعاورتها الظنة والشبهة ، واعتورتها الاحتمالات ، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال كما يقول الأصوليون .

ومن العلماء من نبه على أنه لا اعتبار للكتابة وقواعدها في اللغة ، وإنما الاعتبار للفظ ، وانما هي عرض ورموز للغة ، التي هي مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، كما يقول العبقري ابن جنى رحمه الله .

وعلى كل فاللغة أقدم من الكتابة :

من النصيين من يحاول جعل أولية العربية ، بل والخط العربي منذ آدم ، عليه السلام ، باعتباره الإنسان الأول وخليفة الله على الأرض :

فالعلامة : أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، وابـــن جنـــي (٣٩٥ هـ) ، وابـــن فارس (٣٩٥ هـ) ، يرون فيما يرون : أن اللغة وحي وإلهام ، وإن أوحى الفارسي إلى ابن جنى بذلك فقد قوى في نفسه ذلك (اعتقادا) ، وإن رجع ابن جنى الاصطلاح حين يرد على معتزلي .. وإنما مال إلى ذلك لما وجد في العربية من دقة ورقة وإرهاف وسحر يستولى على المشاعر .

وابن فارس يقف مع الإلهام كلية في مقدمة كتابه (الصاحبي)[٤] .

وجاء عن كعب الأحبار أنه قال :

أول من كتب الكتاب العبري والسرياني ، وسائر الكتب ، آدم ، ﷺ ، قبل موته بثلاثمائة سنة . كتبها في طين ثم طبخه . فلما أغرق الله — جل وعز — الأرض أيام نوح بقى ذلك . فأصاب كل منهم كتابهم . وبقى الكتاب العربي إلى أن خص الله به اسماعيل فأصابها وتعلمها)[٥] .

ودليل التوقيفيين أيضا قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » — البقرة/٣١ .

والعلامة الجاحظ (٢٥٥) يرى أن الله القادر فتق لسان اسماعيل — عليه السلام — بالعربية دون سابق تمهيد أو تعليم ، وبلا تلقين ولا

---

(٣) وعلق المرحوم عيسى عبده ليلتها على التعليق قائلا : إنها رفعة كبيرة واضحة في وجه المحاضرة .

(٤) راجع الخصائص ١/ ٤٠ — ٤٦ ، والصاحبي ص ٥

(٥) اتجاهات حديثة في تعليم العربية د . على القاسمي .

تدريب ، وفطره على الفصاحة العجيبة ، على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طباعه من طبائع العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وركبه اختراعا على ذلك التركيب ، وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصيغة ....) (٦)

والجاحظ معتزلي ، وغريب ألا تعترض عليه المعتزلة فى عصره أو بعده ولعلها الحرية الفكرية الكريمة ، وغريب ألا تعترض عليه المعتزلة فى عصره أو بعده ، ولعلها الحرية الفكرية الكريمة التى عرف بها علماؤنا فى القديم .

والأديب القلقشندى ينقل عن عالم القراءات أبى عمرو الدانى أن الأبجدية العربية نزلت على هود عليه السلام .

وقيل : بل أول من وضع الخطـــوط هو أخنوخ ، أى إدريس * عليه السلام .

ويوفق القلقشندى بين الرأيين بقوله : (ولا تباين بين هذه الآراء بالجواز أن تنزل على آدم مرة ، وعلى هود مرة أخرى ، فربما نزلت الآية على نبى ، ثم نزلت على نبى آخر : كما أنزلت (البسملة) على سليمان ، ثم أنزلت على النبى محمد ـــ ﷺ ـــ أجمعين ، وكما أنزلت الفاتحة مرة بمكة ومرة أخرى بالمدينة ، كما قيل .

وجاء فى صبح الأعشى للقلقشندى حديث آخر ، يروى عن أبى ذر الغفارى ـــ رضى الله عنـــه ـــ جاء فيـــــه : (سألت رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقلت : يا رسول الله ، كل نبى مرسل ، بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل ، قلت : يا رسول الله ، أى كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج ح خ ... الخ .

قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين . فغضب رسول الله ـــ ﷺ ـــ حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحق نبياً ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام ؟ فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم فى صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم . ومن لم يعد لام ألف فهو برىء منى ، وأنا برىء منه . ومن لا يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون حرفا ، لا يخرج من النار أبدا)(٧).

وعند مناقشة ما سبق فى إيجاز نرى أن أدلتهم لا تقوى على إثبات شىء ولا تثبت أمام النقد :

فما الداعى لأن يتعلم آدم كل الألسنة ؟

ولعل المراد من الأسماء فى الآية الكريمة(٨) أسماء الموجودات التى عايشت آدم ، ولا دخل للكتابة وحروفها هنا .

والتاريخ يروى أن لسان إسماعيل ـــ ﷺ ـــ كان عبرانيا كأبيه إبراهيم عليه السلام ، وتعلم العربية من قبيلة ـــ جرهم حينما جاورهـــم وعاشرهم واختلط بهم ، وأصهر إليهم .. فالأمر طبيعى شأن أى نازح مهاجر .

---

(٦) علم اللغة العام للدكتور عبدالصبور شاهين ٢٩ ، نقلا عن مخطوطة .
راجع المنارة : عدد / ٢ السنة الثامنة محرم ١٤٠٣ هـ ـــ ص ١٦٠
من مقال للدكتور أحمد شوقى النجار ، نقلا عن صبح الأعشى القلقشندى ٣ / ٨ .

*) ليس هناك دليل علمى يقطع بأن إدريس هو أخنوخ .. المجلة .

(٧) صبح الأعشى ٣ / ٧ .

وما رواه القلقشندى لم يثبت تاريخيا بيقين ، بدليل أنه سيروى ما يقابل ذلك اصطلاحا لا إلهاما ، ولغة الحديث ليس فيها فصاحة البيان النبوى المعهودة ، وإنما فيها انفعالات وافتعالات وكيف يبرأ الرسول ممن لا يؤمن بأن الحروف تسعة وعشرون حرفا ، وأن لام ألف حرف واحد وليس ذلك من أساسيات الإسلام ، ولا على المسلم أن يلقى الله وهو يؤمن أو لا يؤمن بذلك ، وكيف يخلد فى النار من لا يؤمن بأن لام ألف حرف أو حرفان ؟

والرسول ــ عليه السلام ــ ما كان يغضب هذه الغضبة إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله.

● وقد وردت أخبار بأن من رتب الحروف على هذا النحو (ا . ب . ت) إنما هو نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدوانى ، فى عهد عبد الملك بن مروان ، فى العهد الأموى[9] كما روى حفنى ناصف .

وان الترتيب (الألف بائى) الذى كان معروفا فى أول عهد الإسلام هو : (أبجد هوز حطى كلمن) الخ وما جاء فى ترتيب الأبجدية العربية على نحو (ا ب ت ث ..) إنما قصد به ضم المتشابه الى بعض تسهيلا للتعلم[10].

وقد ذكر الدكتور شوقى النجار بأنه بحث عن الحديث المروى عن أبى ذر ، فما وجده فى كتب الحديث المعتمدة إطلاقا[11]. ومن ثم فقد رد الحديث ، وأكد بأنه موضوع ، لما فيه من افتعالات الغضب والتأكيدات التى تسارع إلى ردها ، والتى لا تليق بجلال موقف النبوة والحكمة : حين لا يكون الغضب والوعيد الشديد إلا لأمر عظيم ، أو مخالفة خطيرة .

قضية الكتابة

وكما دارت قضية نشأة اللغة بين الاصطلاح والتوقيف ، نرى قضية الكتابة والأبجدية العربية قد سارت فى هذا المضمار .

فهناك رواية تروى عن الفراء بأن العمرى حدثه أنه قيل ــ لابن عباس ــ رضى الله عنهما : من أين تعلمتم الكتابة والهجاء والشكل ؟ قال : من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال : من طارىء طرأ علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطارىء ؟ قال : من كاتب الوحى لهود عليه السلام[12].

على أن حفنى ناصف يضيف إلى هذا الخبر : أن حرب بن أمية تعلمها فى أسفاره من عدة أشخاص ، منهم بشر بن عبد الملك ، أخوة أكيدر صاحب دوقة الجندل[13].

وأما البلاذرى ، فيذكر : أن ثلاثة من طىء اجتمعوا فى بقعة ، وهم : مرامرة بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلم عنهم نفر من أهل الحيرة ، ثم انتقل الأمر إلى أهل المدينة المنورة فمكة المكرمة ، وتعلمه الكثير وتداولوه[14].

---

(٨) سورة البقرة ــ ٣١ .
(٩) تاريخ الأدب ٣٧١ .
(١٠) السابق .
(١١) مجلة الدارة السعودية العدد ٢ السنة ٨ محرم ١٤٠٣ هـ .
(١٢) صبح الأعشى ٣ / ١ .
(١٣) تاريخ الأدب ٥٧ .
(١٤) معجم البلدان ٣ / ٥٧٩ .

أو أن ستة أشخاص — كما ذكر القلقشندى عن الجوهرى — كانوا أول من اخترعه وألف حروفه ، وهم ستة نزلوا عند عدنان بن أدد ، وأسماؤهم كانت : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهى : ثخذ ضظغ[15] .

وقيل غير ذلك الكثير مما يؤيد أن الأبجدية العربية من وضع الإنسان واصطلاحه فى القبائل الأخر ، لأنها من جملة الصنائع المدنية التى تلزم الناس فى معاشهم ، كما ذكر العلامة ابن خلدون[16] .

وهذا هو القريب إلى الذهن والمعقول ، إذ لابد وأن الكتابة مرت بالطور الصوتى ، والرمزى ، ثم المقطعى والصوتى ثانية وأخيرا الهجائى[17] .

الخط العربى :

وينسب بعض الباحثين إلى الخط العربى أنه أول سلسلة فى الخط المصرى القديم وثانى الحلقات هو الخط الفينيقى ، وهى نسبة إلى (فينيقيا) أرض كنعان فى منطقة فلسطين وما جاورها ، وتعلم أهلها من المصريين لمجاورتهم لهم ..

قيل : وهى أول أبجدية عرفها البشر قبل (١٥٠٠) سنة من ميلاد المسيح ، عليه السلام

وتقول فرنسيس روجز : (والحق أن حروف الهجاء الفينيقية ليست هى الأصل الذى انحدرت منه الأبجديات اللاتينية فحسب ؛ بل إنها كذلك أصل الأبجديات العربية ، واليونانية ، والعبرية ، والروسية .

ومن الأبجدية الفينيقية اشتق الخط الآرامى فى الشمال ، والمسند فى اليمن ، وتولدت من الآرامى خطوط كثيرة ، ذكرها الدكتور أحمد شوقى النجار فى بحثه (١٨) .

هذه لمحة خاطفة عن الأبجدية العربية ، ومن ودّ مزيداً من البحث فليراجع دائرة المعارف البريطانية ٩/١ ، وقصة الكتابة العربية ، د. إبراهيم جمعة ، وأصل الخط العربى وتطوره حتى نهاية العصر الأموى ، للأستاذة سهيلة الجبورى ، وانتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى للأستاذ عبد الفتاح عباده ..

وسترى بعدئذ أن الأبجدية العربية إبداع سامى الأصل ، وعن الساميين عرفت الدنيا — كل الدنيا — حروف الكتابة لأول مرة ، ومنها أبجديتنا العربية ، كما نقل الدكتور أحمد شوقى النجار ، عن دائرة المعارف البريطانية ، وقصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ، فى ترجمة د. أحمد الصاوى .

---

(١٥) صبح الأعشى ٣ / ٩ .

(١٦) راجع المقدمة ٤١٩ ، تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٤٦ .

(١٧) تاريخ الأدب ٥٤ .

(١٨) الدارة العدد ٢ السنة ٨ محرم ١٤٠٣ هـ .



عرض وتقديم الأستاذ

عبد السلام إبراهيم ناصف

مؤلف الكتاب واحد من علماء الأزهر المهتمين بدراسة التراث الإسلامي ، والكتاب من القطع المتوسط ، ويقع في نحو مائة وخمسين صفحة ، ونشرته مطبعة الأنوار المحمدية .. صَدَّر الكتاب بالآية الكريمة * إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) * سورة الأحزاب

ثم بالحديث الشريف : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى »[1]

وببيتين للشاعر : أبى الطفيل عامر بن واثلة الذى يقول :

إن النبى هو النـور الـذى كشفت	به غمامـات باقينـا وماضينـا
ورهطـه عصمـة فى ديننـا ولهم	فضل علينـا وحـق واجب فينـا

ثم قدم لكتابه بمقدمة قصيرة بدأها بالحمد لله والصلاة على رسوله الأمين وأهل بيته الكرام من لهم فى النفوس منزلة رفيعة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى (٢٣) أى لا أسألكم أجراً إلا أن تودوا قرابتى .

لقد ضرب بعض أهل بيت رسول الله ﷺ فى الأرض إبان عصر الفتن والقلاقل والصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين ، فمنهم من قصد مصر : كنانة الله فى أرضه ، فبادلهم أهلها حبا بحب

(١) المعجم الكبير للطبرانى ١٠/٣٤٢ ـ إتحاف السادة المتقين ٩ ـ ٦٣٢

زادوهم وفاء وتكريماً ومنهم من ساح إلى بقاع أخرى من أرض الله ـ تعالى .

ولقد مهد المؤلف لكتابه بمقدمة تاريخية عن أصل الأسرة الهاشمية التى بعث منها سيدنا محمد ﷺ ، مبينا أن ابنته السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وزوجها الإمام على ـ رضى الله عنه ـ وابناهما ممن عرف عنهم أنهم يحملون صفة أهل البيت .

وقد استدل الكاتب فى هذا بحديث أم سلمة رضى الله عنها ـ التى قالت فيه : « جاءنى النبى ﷺ وقال : لاتأذن لأحد ، فجاءت فاطمة فلم أستطع ان أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسين فلم أستطع ان أحجبه ، وجاء الحسن فلم استطع أن أحجبه ، واجتمعوا حول النبى ﷺ على بساط فجللهم بكساء كان عليه ، وقال : هؤلاء أهل بيتى ـ فأذهب عنهم الـرجس ، وطهرهـم تطهيراً[1] .

كما أورد المؤلف رأيا آخر ـ مستقى من تفسير سورة الأحزاب يضم لأهل الكساء : بناته وأقرباءه وزوجاته[2] .

ويرجح المؤلف أن أهل البيت هم المنسوبون إلى النبى ﷺ من أولاد فاطمة وعلى ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال : « لكل بنى آدم عصبة إلا أبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم »[3] ، فهى إذن خاصية اختصهم بها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيثاراً منه وحبا لأمهم وأبيهم الإمام الذى قال له : أنت منى بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى فى الدنيا والآخرة »(١) ولقد كان يحلو للحسن والحسين أن يُناديا رسول الله : يا أبت .

ولأهل البيت أفضال لا تحصى فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن النبى ﷺ قال : « إنى أوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وسنتى . وأهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

وفى حديث آخر قال : « أحب أهل بيتى الحسن والحسين » وقد أخرج البخارى عن أبى بكر أنه قال : « أرقبوا محمداً فى أهل بيته » فحب الناس لأهل بيته امتداد لحبه ـ صلوات الله وسلامه عليه . فهو الذى قال يوما : (فاطمة أحب إلى من على وعلى أعز علىّ من فاطمة) كما جاء فى : « موسوعة أهل النبى » للدكتورة بنت الشاطىء (ص٥٩٥) .

رتب المؤلف أهل البيت حسب ترتيب مجيئهم أو هجرتهم إلى مصر إبان عصر الفتن وخلال اشتعال الحروب والمكايد ضدهم ــ وكانت أولى المهاجرات السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ بعد أن أمرت بمغادرة المدينة المنورة ؛ فاختارت مصر على غيرها من البلاد التى كانت تعج بالفتن والقلاقل .

ولقد استقبلها أهلها بحفاوة وتكريم يليقان بمقامها ، فأصبح مزاراً ومثاراً للذكرى ومهبطا للرحمة فى حياتها وبعد موتها ، ولقد استجاب الله لدعوتها فى أهل مصر : « يا أهل مصر نصرتمونا ،

---

(١) كتاب الضعفاء للعقيلى عن أبى سعيد الخدرى ٣ / ٣٠٤ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨ .

سنن الترمذى ـ كتاب التفسير ـ سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ، فضائل الصحابة ، مسند الإمام أحمد ١ / ١٧٩ ، ٣ / ٣٢ ، ٦ / ٣٦٩ ، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٩ .

نصركم الله ، وآويتمونا ... آواكم الله ، وأعنتمونا أعانكم الله » .

أما الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ فهو أبو الشهداء ، أبو عبد الله بن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ حفيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد فى الخامس من شعبان سنة أربع للهجرة ، وسماه جده « حسينا » وقال : حسين منى وأنا من الحسين ـ وكان يتألم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لبكائه ، فقد نشأ وتربى فى بيت النبوة ـ أريحيا وذا مروءة ، وكان شجاعاً وكان شاعرا متفقها فى أمور الدين والدنيا ، ولقد شارك فى موقعة الجمل ، وموقعة صفين إلى جوار أبيه ، ولقد رفض البيعة ليزيد ، واعتصم بالكعبة ، ثم استنجد بأهل العراق لكنهم خذلوه خوفا وجبنا ، فاستشهد فى كربلاء يوم عاشوراء سنة احدى وستين هجرية ـ وتعددت الآراء فى مدفن جثمانه الشريف ـ إلا أن المشهد الحسينى بالقاهرة يرمز إليه ، فقد عنى به الحكام وأوقف عليه العديد من الأوقاف للصرف عليه تيمنا بالاسم الكريم ، وفيه يقول ابن الأثير فى « أسد الغابة » .

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
بفقد حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكى السماء لفقده
وأنجمها ناحت عليه وصلت

والسيدة زينب ولدتها أمها فاطمة الزهراء بعد الهجرة بخمس سنوات ، وسماها جدها زينب باسم خالتها وتربت فى بيت النبوة ، وفيه حفظت القرآن وروت الأحاديث ، وتفقهت فى أمور الدين ـ زوجها أبوها من ابن عمها عبدالله بن جعفر بن عبدالمطلب ، ورزق منها خير بنين وخير بنات ـ وكانت عابدة متبتلة ، وخير ما يذكر لها أنها اعتنت بتربية ولد أخيها الحسين بعد اغتياله حيث تحملت مصابها فيه بشجاعة .

ولما أمرت بمغادرة المدينة المنورة اختارت مصر وعاشت مكرمة فيها حتى توفاها الله فى الخامس عشر من رجب عام الستين وستين للهجرة ، ودفنت حيث مسجدها الحالى ـ رضى الله عنها .

أما السيدة سكينة بنت الحسين من الرباب بنت امرىء القيس فقد كانت سيدة جليلة كريمة وكانت على خلق أهل البيت ـ ويقال : إنها اصطحبت السيدة زينب فى رحلتها الى مصر وعاشت معها ، وبعد موتها دفنت بقبرها القريب من مسجد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنهم أجمعين .

أما السيد حسن الأنور فهو ابن السيد زيد ابن الأبلج بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ الذى يوجد مشهده على يمين الداخل إلى مصر القديمة من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ حدثوا أنه كان مستجاب الدعوة ، وكان إماما عادلا تقيا ، قدم الى مصر عام مائة وثلاثة وتسعين للهجرة ، ومعه السيدة نفيسة ابنته التقية الورعة الحافظة للقرآن وراوية الحديث التى قيل : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا لها حيث قال : إننى راض عن نسل الحسن والحسين ـ وقد رأى والدها فى المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أنا راض عن ابنتك نفيسة ، والحق راض عنها برضائى عنها » ـ ولقد عرفت

بأنها نفيسة العلم والدين ، ومن يزر قبرها يحس بالراحة والطمأنينة من عند الله تؤكد صدق هذا الدعاء .

ويقول المقريزى فى خططه : (وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء فى مصر) .

توفيت ــ وهى صائمة ــ فى رمضان عام ثمانية ومائتين للهجرة ، ودفنت حيث يوجد مسجدها الحالى .

أما السيدة فاطمة بنت الحسين ــ رضى الله عنها ــ فأمها أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيدالله مدفونة بالدرب الأحمر بمصر كما يقول صاحب مشارق الأنوار ..

أما السيدة عائشة بنت جعفر الصادق ــ رضى الله عنها ــ فهى مدفونة فى المكان المعروف بـ (قره ــ ميدان) والمشهور باسمها قريبا من القلعة فى الطريق المؤدى إلى الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ .

إضافة إلى الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسين ابن على ــ كرم الله وجهه ــ والمدفون بالمطرية خارج القاهرة ــ حيث يقال : إن الخليفة المنصور قد أرسله إلى مصر فنصب فى المسجد الجامع العتيق بمصر سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة ــ ثم قيل : إن المنصور خشى بأس أبناء السبط فحبسه وقتله .

وأخيرا تحدث المؤلف عن محمد بن الحنفية ــ رضى الله عنه ــ وهو ابن على بن أبى طالب من خولة بنت إياس الحنفية التى نسب إليها ، والمسمى باسم سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمكنى بكنيته ــ والذى اتهم بأنه المهدى المنتظر وأنه ينادى للشيعة ، وقد توفى ودفن فى مقابر باب الوزير فى مواجهة تكية الميرغنى .

وقد اختتم المؤلف كتابه بذكر أولياء الله الصالحين من أمثال الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه المدفون بمسجده ــ وكذلك السيد أحمد البدوى وإبراهيم الدسوقى ــ رضى الله عنهم أجمعين .

وبعد

فإن هناك اختلافات حول وجود بعض آل البيت فى أضرحتهم ــ فمن منكر ومن مثبت ــ وحجة المنكر عدم وجود نص قاطع أو شاهد يدل على التنقل والارتحال فى بعض الأحيان ، أو وجود نصوص متعارضة مع ما هو شائع معروف .

والكتاب لا يكذب أحداث التاريخ ، لكنه يلقى الضوء على أصحاب هذه الأضرحة من السلالة الطاهرة باعتبار أنهم من ذكرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ وأثر من آثاره الشريفة .

فصاحب الضريح منسوب إلى المصطفى ومن حق المنسوب أن يحترم إجلالا للمنسوب إليه ، فلا عبرة بالاختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر مزارات فإذا كان صاحب الضريح غير موجود فيه ، فإحياء ذكراه فى أى مكان جائز ولا شىء فيه .

والذى نأخذ على هذا الكتاب الطيب أنه فى أكثر من موطن لم يهتم بالإسناد الذى يعطى توثيقا للمادة ويرتفع بها علميا .



العلم هو الخاصية المميزة للإنسان

د/ كارم السيد غنيم

يرفع الله ـ سبحانه ـ قدر العالمين بآياته ، فهمْ القادرون على فهم أوامره ، وهم الذين كلما ازدادت معرفتهم بها ازداد قربهم من ربهم وإدراكهم لمقاصد كلامه العزيز

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ العنكبوت/٤٣

والفضل في علمهم هو في الأصل راجع إلى مولاهم ـ عزّ وجلّ ـ فهو سبحانه الذى وهبهم القدرة على إدراك العلوم ، وفهم أسرار الآيات ، وقمة البشر هو رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ ، ومن ثم فإننا نجد الحق ـ تبارك وتعالى ـ يقول في شأنه :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة النساء

ويمنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ على عباده المؤمنين فيقول : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ سورة البقرة

ولقد كانت الخاصية التي ميز الله بها آدم وذريته هي « العلم » ، ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ... ﴾ (البقرة/ ٣٣) .

فأصبحت صفة العلم هي الخاصية المميزة للإنسان عن سواه ، وهكذا لا يتميز الإنسان إلا بما أوتى من علم ، وأما رسول الله ﷺ فسنته زاخرة بما يرفع أهل العلم ، ويُعلى قدرهم ، وفي نفس الوقت يحملهم مسئولية جسيمة ، تلك هي قيادة البشرية وريادة الإنسانية ، ومما ورد عن رسول الله ﷺ :

(من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين)(١) .

وإنه لمن المعلوم لدى العقلاء أن خير العلم ما

---

(١) الحديث أورده صاحب « كشف الخفاء » (٢/ ٣٠٨) برقم ٢٣٥٥ ولم يعلق عليه .

عمق صلة العبد بربه ، وبني جنسه ، وحدد له موقعه من الكون ، ونبه إلى آيات الله المنظورة ، كما أعانه على فهم آياته المسطورة .

إنّ كل معرفة صحيحة هي في الحقيقة معرفة قرآنية إسلامية .

ولقد فهم أسلافنا هذا ووعوه جيداً ، ومن ثمّ فقد حفظوا رسالة هذا الدين وأعلوا بذلك رسالة العلم ، وإذا كانت الأمة الإسلامية قد تعاقبت عليها أحقاب اختلفت بين القوة والضعف ، والتقدم والتأخر ، والنشاط والجمود ، إلّا أن هذه الأمة لمعدنها الأصيل وجوهرها النقي لا تخلو حقبة من حقباتها من علماء أفاضل حملوا مشاعل المعرفة ، وأدوات العلم عبر الأزمان ، وكان منهم رواد في كافة أرجاء العلوم ومجالات البحوث العلمية ، حتى لأضحى جليّاً أمام المنصفين من غير المسلمين أنّ (المنهج التجريبي) في البحث العلمي هو منهج علماء المسلمين الذين ساروا في العلم بكل دروبه فبرعوا وذاع صيتهم ، وتلقفت أوروبا مؤلفاتهم وآراءهم ونسجت عليها حضارتها ، صاغ علماء المسلمين هذا المنهج في وقت كان الظلام الدامس يخيم على أوروبا ، وكان العلم قبلهم ، والذي أخذوه من اليونان ، يحلق في أجواء الفلسفة أكثر مما يلجأ للتجريب ، وإنه لمن الواضح أن العلوم بكافة تخصصاتها ، وخاصة التطبيقية منها ، هي من أخطر أسلحة هذا العصر التي يفتقر إليها العالم العربي والإسلامي في مواجهة تحديات أعدائه وتفوقهم فيه بمسافة طويلة .

فالأمة الإسلامية – كما يرى بعض الكتّاب المحدثين من الغيورين على حياة الأمة – في أمسّ الحاجة إلى نوابغ متخصصين ، وخبراء عباقرة من خيرة أبنائها المسلمين ، من ذوى الغيرة على الدين والأمة ، بقدر حاجتها إلى دعاة مخلصين واسعي الثقافة .

إنّ المستعرض لتاريخ العلوم في حياة المسلمين يستطيع أن يضع ستة من الخلفاء على القمة في الحركة العلمية وريادتها هم : (المأمون) وهو الذي أنشأ بيت الحكمة ، ونظام الملك ، وهو الذي أسس المدارس النظامية ، و(نور الدين زنكى) ، وكان راعياً للعلوم في سوريا ، و(الحاكم بأمر الله) ، وهو الذي أنشأ دار الحكمة في القاهرة ، و(صلاح الدين الأيوبي) ، الذي حمى التراث العلمي من غوغاء التتار ، ثم (السلطان أولغ بيك) في سمرقند ، وهو مؤسس النهضة العلمية في الدولة التيمورية ونبغ في عصره (جمشيد غياث الدين الكاشي) وغيره ، كذلك كان الحال في الأندلس (غرب العالم الإسلامي) ، فقد أصبحت قرطبة في ظل عبدالرحمن الثاني (٨٢١ – ٨٥٢ م) ومن خلفوه (حتى ١٠٠٩ م) مركزاً هاماً للنشاط الفكرى والرخاء الاقتصادى ، وازدهار العلوم وإن لم ينضج العلم العربى هناك إلّا متأخراً عن نظيره في الشرق الإسلامي ، ويرجع ذلك حسب آراء أغلب المؤرخين إلى ظروف سياسية .

مما لاشك فيه أنه لابد للعلم من إيمان يحرسه ودين يرشده ، وذلك كله في الإسلام يُعدُّ من مبادئه ، وعلمٌ هذا شأنه وخطته وهدفه ، يجب أن تتوفر فيه سمات (أو قَسَمات) أساسية منها :

الإثراء الإيماني ، والنفع العام ، وعدم ابتغاء الإفساد به ، والوقوف به عند حدود معينة

فلا يحق له أن يلج الأمور الغيبية ، كما يجب على القائمين به أن يتميزوا بخصائص منها : الإخلاص فى العمل ، وابتغاء وجه الله ، وتحقيق الخلافة المنوطة بهم على هذا الكوكب الأرضى ، وأن تكون هويتهم الشخصية إسلامية ، وأن تقترن علومهم بأعمالهم وسلوكهم .

وأمّا (العقل) فخلاصة أقوال العلماء فيه أنه : القوة العاقلة المدركة ، وهو لم يرد فى القرآن بلفظه ، وإن وردت صفاته وتعددت أبعاد نشاطه ، أما أداة العقل فى القرآن الكريم فهى (القلب) ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (الحج/ ٤٦) .

والسرُّ - والله أعلم - فى إغفال ذكر (العقل) بلفظه كأداة لمستوى معين من الإدراك ، وإضافة ذلك الإدراك إلى (القلب) ، وهو ألا يُفْهَمْ أنّ المراد من عقل الأشياء مجرد الوقوف بها عند الجانب التجريبى والمعمل الجاف ، دون التجاوز إلى مجالى الانفعال والوجدان اللذين هما من الحركات القلبية ، إذْ أن الوقوف بالأشياء عند مرحلة المعرفة المجردة ليس مراد الدين ، وإنما يراد مع الادراك لها التعاطف معها ، وغمرها بدفء الاحساس ، وحرارة الوجدان ، بحسبان المُدْرِك فرداً من جملة المُدْرَكات التى تشكل فى مجموعها الكون الكبير ، والتعاطف مع المُدْرَكات شرطٌ لإدراكها إدراكاً صحيحاً وكاملا ، ذلك أن المُدْرِك إذا لم يكن ذا حسّ يعطفه إلى الأشياء كانت خبراته مفتقرة إلى الإجادة والإتقان ، أما إذا أحسَّ كونه الذى يعيش فيه بالمفهوم الذى ذكرناه ، استقر فى وجدانه أن ثمّة صلة تجمع بينه وبين الكون كله ، تلك الصلة هى العبودية لمعبودٍ فردٍ هو الله ، وهذه خصيصة انفرد بها الإسلام .

ولقد احتوى القرآن الكريم على آياتٍ كثيرة تحثُّ على استعمال العقل وعدم إهماله ، وتنعى على الذين يتركون عقولهم بدون نماء أو حتى استخدام ، ووصلت النصوص إلى (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسين نص أو يزيد ، وكلها تشير إلى العقل ومرادفاته ومعانيه المختلفة ، استخدم القرآن الكريم فيها كل الألفاظ كالتفكر ، والتدبر ، والتذكر ، والحكمة ، واللب ، والنظر ، والرشد ، والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب ، والفؤاد ، إلى غير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التى تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها ، مما يُعْتَبرُ إيحاءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للإنسان . وإذا كان العقل آلة التفكر فالعلم ثمرته ، وحسبنا دلالة على هذا أن رسولنا الكريم ﷺ حينما أرسله ربه بالرسالة لم يقدّم حُجّة لها إلّا ما كان طريقها ، العقل ، والنظر ، والتفكر .

ولم يشأ له ربُّه أن يحقق ما كانوا يطلبون من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة العنكبوت

وقد ارتفع القرآن بالعقل ، وسجل أن إهماله فى الدنيا سيكون سبباً فى عذاب الآخرة ، فقال حكاية لما يجرى على ألسنة الذين ضلوا ولم يستعملوا عقولهم فى معرفة الحق والعمل به :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

العقل الإنسانى له خصائص أعلاها : الرشد ، وهى وظيفة من وظائف العقل الوازع ، والعقل المدرك والعقل الحكيم ؛ لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف .

وللعقل أنواع ، وكذلك للإدراك أنواع منها العقلى ، ومنها القلبى ، كما أن للعقل مناطات عدّة هى المناط التكليفى والمناط الشرعى .

ولقد ذلّل الإسلام العوائق والعقبات التى اعترضت وتعترض طريق العقل وملكاته ، ومَنْ يستعرض الآيات القرآنية ويبحث فى الأحاديث النبوية يجد كيف حدث ذلك فى أجلى صورة ، وجاء القرآن الكريم فأرسى قواعد البحث وأصول التفكير وفى الوقت ذاته فإنه وضع لاستخدامات العقل ضوابط ترشده وتصون أعماله من الضلال والتيه فى الغى .

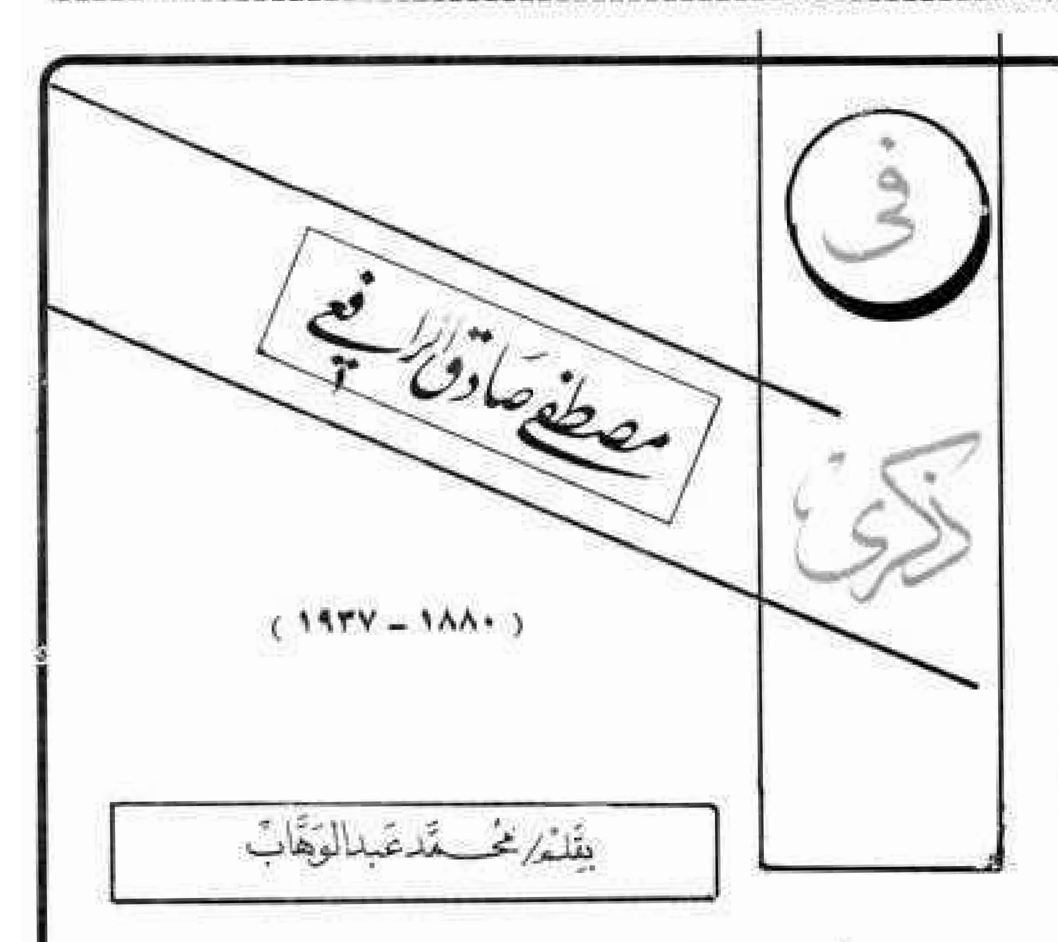
وإن المتقلب لما بين دفّتى القرآن الكريم ليجد أن المظاهر الكونية والظواهر الطبيعية فيه تشكل صفحات حية متطورة أمام العقل البشرى ، عليه أن يتصفحها وأن يعيها ، وأن يحاول الاهتداء إلى نواميسها وأسرارها التى تنطوى عليها ، وتكمن فى ثناياها ، والتعرف على ما ترمز إليه من دلالات على وجود قوة عليا ، موجدة ومسيطرة ، والعقل - دينياً - مطالب بالنظر فى الكون كله ، على رحابة آفاقه وبُعد أعماقه .

وأول أنواع التفكر هو : التفكر فى حكمة خلق الله للإنسان على ظهر هذه الأرض ، وقد سخر له كل ما حواه الكون وتضمنه ، وأمره بعمارته وعدم الخمول فيه حتى يمكنه تحقيق الهدف الأسمى من وجوده على ظهر هذه الأرض ألا وهو خلافة الله ، ونهاه عن الإخلاد فى الأرض والركون إلى متاعها وزخرفها ومباهجها ، وأمره بالاستعداد فى هذه الدار إلى المقر الأساسى والحياة الباقية السرمدية وهى الدار الآخرة بعد الموت والبعث والقيامة ، وتنتظم المنهجية الإسلامية فى التفكر والتأمل والتبحث ، والتبصر بالعالم المحيط بالإنسان وما يشتمل عليه من دقائق وما يحويه من تفصيلات ، خطوطاً عريضة شرحها العلماء ونُجْمِلُهَا فى ثلاثة هى : السببية ، القانونية التاريخية ، والمنهج التجريبى .

وختاماً ، فإن الإنسان يلمس الامتزاج الكامل بين المعطيات الدينية وبين البحوث والنتائج والحقائق العلمية حين تتوقف الشعائر الدينية فى الإسلام على الظواهر الكونية ، ويستمر اعتياد العادات العملية والأحكام الشرعية على تعاقب هذه الظواهر ، يستمر ذلك ويدوم بدوام الكون ووجود الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وإذا كان القرآن الكريم قد دعى بكل وضوح إلى التقلب فى أرجاء ما يحويه الكون من مخلوقات ، فإنَّ لهذه الدعوة (أو للعرض الذى قام به القرآن الكريم للكون) خصائص هى : الدعوة إلى الالتفات إلى الكون ، الشمول والإحاطة ، الديناميكية الدائبة ، الطواف من أشهر سنن الله الكونية ، نظام السببية ، وترشيد النظرة الإنسانية إلى الكون .

وفى النهاية نرجو أن نكون قد قدَّمنا فى هذه العجالة بياناً موجزاً لصفة العلم كخاصية مميزة للإنسان .



في كل عام تأتي ذكرى هذا الكاتب الإسلامي الكبير ، لتذكرنا بما كان له من أثر بعيد المدى ، في حقل الأدب العربي عامة ، والإسلامي بصفة خاصة ، فقد كتب صفحات خالدة مشرقة في الإشادة بتعاليم الدين الإسلامي السامية ، التي أطلَّتْ على العالم أجمع ، إطلال نور وهداية ، لتنشر في الأرض معنى التقوى والإنابة لفاطر السموات والأرض ، بمكارم الأخلاق ، والسير على النهج القويم ؛ وتصدَّى الرافعي - ببيانه الرفيع ، ومنطقه السديد - لمن حاولوا إشاعة المفاهيم الخاطئة ، بدعوى التحضُّر . وِفْقًا لما يفد من العالم الغربي ، من نظريات وآراء ، تتعارض مع قيمنا وتوجهاتنا الإسلامية النبيلة .

وعن « الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام » ، يقول الرافعي في مستهل الجزء الثاني من كتابه : « وحي القلم » : « كما تطلع الشمس بأنوارها ، فتفجِّر ينبوع الضوء المُسمَّى النهار ، يُولد النبي فيُوجد في الإنسانية ينبوع النور المُسمَّى بالدين .. وليس النور إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس

الذين إلا بقظة النفس تحقق فضائلها ... إلى أن يقول بروعة تشبيه ودقة تصوير ، يُجمل أثر هذا « الإشراق الإلهى » العظيم :

« ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون ، فى كلام من نور . وأشعة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لإنسان الكون ، فى نور من الكلام .. والعامل الإلهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض ، بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل : من الرسل والأنبياء » .

وهكذا ظل الرافعى يُطلع على الناس بآثاره القلمية البليغة الفذة ، التى تصور بأجمل قالب من البيان سوانح فكره وسُبحاته ، وما يدور فى خلده ويتجلّى فى جوانحه من جوامع الكَلِم ، ليكشف عن بدائع مَلكته الأدبية المتوهجة السامقة ، بعد أن زكَتْ الخاطرةُ فى إطارها اللغوى الرصين ، وقياسها البلاغى الرفيع ، فى مواقفه الإسلامية ، وتوجيهاته الإصلاحية .

وقد عزف الرافعى على قيثارة الشعر فى مستهل حياته وبواكير عمره ، بنزعة تأملية إيمانية ، فيقول مثلاً عن غِنَى النفس بقنوعها بما قُسم لها :

لست أدرى أىّ المنى تقنع النفـــــس ، ونفس الإنسان تأبى الصوابا
الأمانى مثل الصحائف والدهـــــر يُرينا فى كل يوم كتابا
أينا قانع وأىّ امرىء شـــــب ، وأرضاه أنه قد شابا ؟
كأنما يسأل الزمان متى يا دهـــــرُ ؟.. حتى يرى الممات جوابا

ويقول من قصيدة أخرى يصف مَنْ جَعَلَ جَمْعَ المال غاية ما يصبو إليه فى حياته الدنيا :

عجبت لمن سعى للمال حتى أضاع بأصغريه الأيمنين
يرى فى قلبه عينا فيفقئها ويرى الظواهر بالتين
وما بين الغنى والفقر إلا مسافة حُفْرة : فى خطوتين

ويستخرج المغزى الإيمانى من ذلك كله بقوله :

النفس قوس والعزيمة سهمها ... فازم الرجا من هذه الأقواس
وأضيء حياتك بالمعارف ، إنما ... هي في ظلام العمر كالنبراس
واجعل أساس النفس حبّ الله ... (م) إذ لا خير في بيت بغير أساس

ويزيد هذا المعنى إشباعاً وإقناعاً ، حين يقول :

أرى الإنسان يطغى حين يغنى ... وما أدنى الهبوط من الصعود
متى كانت جُيوبك من (نضار) ... فقد صارتْ جُنوبك من حديد
ومن عجب يكون المال تاجاً ... وحب المال أشبه بالقيود

* * *

وفي ختام هذه الكلمة العجلى ، نقول : ما أحوجنا في هذا المنعطف التاريخي الذي يمر به عالمنا الإسلامي في شتى بقاع الأرض ، أن نذكر أوابد الرافعي التي يحذرنا فيها من أمور كثيرة ، يتعين أن ننتبه لها ونأخذ حذرنا منها بتبصر وحُسْن إدراك ، ونسوق فيما يلي بعضاً من رؤاه النافذة ، التي لا تنفك ترسم لنا الطريق نحو العزّة والمجد والفضيلة :

« زجاجة الخمر تعمل في هذا الشرق المسكين عمل جندي أجنبي فاتح » .

« أول السياسة في استعباد أمم الشرق ، أن يُترك لهم الاستقلال التام : في حرية الرذيلة ! » .

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية . إنْ لم يُقتل فيها الهزل ، قُتِلَ فيها الواجب ! » .

« إنّ هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب إنما ، ﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ (الحج) . لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشير إذا جاء برذائله وأطماعه » .

يا شباب العرب ، لم يكن العسير يَعْسر على أسلافهم الأوّلين ، كان في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها ..

غلبوا على الدنيا ، لَمَّا غَلَبوا في أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخوف ، والمعنى الأرضي ، وعلّمهم الدينُ كيف يعيشون باللذات السماوية التي وضعت في كل قلب عظمته وكبرياءه . واخترعهم الإيمان اختراعاً نفسيّاً ، علامته المسجّلة على كل منهم ، هذه هي الكلمة : لا تذل ! »

« غريزة الكفاح يا شباب ، هي التي جعلت الأسد لا يسمّن كما تسمّن الشاة للذبح . وإذا انكسرت يوماً ، فالحجر الصلد إذا تَرَضْرَضَتْ منه قطعة ، كانت دليلاً يكشف للعين : أنّ جميعه حجر صلد » .

رحم الله الرافعي رحمة واسعة .

الأثر العربي في الأدب السواحيلي

بقلم الأستاذ/ عادل فاعي خفاجة

إن الآداب على اختلافها تعبر عن معتقدات شعوبها وطرق معيشتهم . وتقدم فيما تقدم ـ من خلال نسيجها الأدبي وأعمالها الفنية المتميزة ـ صورا متألقة لتاريخ هذه الشعوب ، وتطور حضارتها .

وإن تناولنا لأنماط الأدب السواحيلي ينبع من إيماننا العميق بانصهار هذه الأنماط في البوتقة الإسلامية ، وخروجها متأثرة إلى حد كبير بالثقافة الإسلامية .

وسنحاول في السطور التالية ـ استقراء أنماط هذا الأدب ؛ لنرى مدى تأثره بالأدب العربي ، بالإضافة إلى أننا نقدم للقارىء ـ في الوقت ذاته ـ صوراً من الأدب السواحيلي ماوسعنا المقام لإيماننا بضرورة إبراز تأثير الإسلام والثقافة العربية في هذا الأدب .

الأدب السواحيلي أدب غني بموضوعاته التي يستقيها من البيئة الإفريقية الخصبة ، وهو يعالج كل ماتعالجه الآداب الأخرى بثراء .

وإذا كان الشعر قد احتل مكانة مرموقة سامقة في الأدب السواحيلي ؛ نظراً لما تمتاز به اللغة السواحيلية من جَرْس موسيقي متميز ، إلا أننا نجد للنثر فيه مكانة غير منكورة وحقا غير مهضوم ، ففيه القصة والأسطورة والخطبة والحكم والأمثال الشعبية والألغاز .

أولا : القصة :

تتناول القصة العديد من الموضوعات التي يكون محورها شخصية إسلامية مثل : الخلفاء الراشدين ، عبد المطلب جد الرسول ﷺ وزوجات الرسول ﷺ وأمه السيدة آمنة بنت وهب ...... إلخ .

كما نجد ـ أيضاً ـ قصص الأنبياء ـ على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ـ وبرغم وصول الديانات الأخرى إلى المنطقة منذ زمن بعيد إلا أننا لانجد لها تأثيراً في هذا الأدب يماثل ما نجده لقصص القرآن الكريم والحديث الشريف والآداب الإسلامية .

كما تتناول القصة أيضاً الأحداث الإسلامية الشهيرة مثل : غزوات الرسول ﷺ والإسراء والمعراج ..... إلخ .

وفي كل هذا تكون القصة نقلا أمينا يستعين فيه الراوي بالمراجع العربية .

وقد يحدث - أحيانا - أن يمزج بعض القصاص بين الأحداث حين إلقائه فيروي أحداث قصة مع قصة أخرى .

« كما نجد أن دور المخادع والفكاهي المحتال الذي يرتبط بشخصية (جحا) في التراث الشعبي يصبح من نصيب (أبي نواس) في التراث السواحيلي »[1] .

والرواية السواحيلية فن شعبي أقرب إلى الحياة اليومية ، والراوي الماهر هو الممثل الماهر ، حيث يقوم بإبراز كل شخصية في قصته ، فيلعب دورها ، والرمزية في القصة واضحة ، واستخدام شخوص الحيوانات فيها مفرط للغاية ، وهي في كثير من جوانبها تحتوي على النصيحة والموعظة والإرشاد ، وبخاصة للأطفال فتوضح لهم : « شرور الدنيا التي سيقابلها الطفل إذا عصى والديه أو خالف أمر الله »[2] .

ويبدو الأثر الأفريقي واضحاً في القصة أو الحكاية الشعبية من حيث استخدام الرمز واستعمال شخوص الحيوانات ، ونورد هنا تلخيصاً لبعضها :

١ - حكاية « الواكاماي » :

وهي قصة تحكي عن جماعة من الرعاة الذين كانوا يعيشون على الساحل - لهم أعرافهم وعلاقاتهم - قد حزموا أمرهم على الرحيل ، والتوغل إلى الداخل ، ولكن رجلاً تقياً جاءهم ، وحذرهم قائلاً : إذا سرتم إلى الداخل تتحولون سوداً [أي أنهم سينسون وطنهم الأصلي ، ويندمجون في الوطن الجديد] لكن زعيمهم رفض النصيحة قائلاً : كيف يغير الرجل لونه ؟ وضرب له مثلاً بحبة الأرز ، تزرع في الطين الأسود فتنبت أرزاً أبيض ويظل أبيض [أي فهم الكناية فهماً حرفياً] ، ولم يقل الرجل الحكيم شيئاً ، وتوغل الزعيم بقومه ؛ فصاروا سوداً[3]

٢ - حكاية الثعبان والكنكوت :

وهي حكاية قصيرة ملخصها أن ثعباناً يقوم بالدخول والخروج من جسم (الكنكوت) ، ثم يأتي دور الكنكوت ليدخل جسم الثعبان فدخل فلم يجد له مخرجاً . وهنا الموعظة : « لا تدع الثعبان يتدخل في شئونك »[4] .

٣ - « سيودا » :

وهي قصة تحكي أن أحد الصيادين أعد حفرة كبيرة ؛ ليصطاد فيلا ، وذهب ولداه لرؤية الحفرة ، فوجدا فيها فيلا يستنجد بالابن الأكبر قائلاً : « ساعدني يا سيودا » ، فساعده وأطلقه على الرغم من تهديد أخيه الأصغر وعندئذ استمر الأخ الأصغر يأخذ طعام أخيه الأكبر مقابل سكوته ، حتى أصيب سيودا بالهزال ، ولكن الأب اختبأ أثناء تناولهما الطعام فعرف السر . فاصطحب سيودا إلى الغابة لجمع العسل ، ودق أوتاداً في شجرة وصعدا عليها ، وحينما أرادا الهبوط نزل الوالد على الأوتاد ، وكلما هبط على وتد

---

(١) د . سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية - دار الجيل ص١١١ .

(٢) حمدي السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ج٢ ص٥٢٨ .

(٣) د . عبدالله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحيلي ص١٥٨ مكتبة النهضة المصرية .

(٤) المرجع السابق ص١٥٩ .

خلفه ، ولما سأله الابن : كيف أهبط ؟ قال الأب : اعتمد على جبلتك التى أطلقت بها سراح فيل ؟!

وتتوالى الأحداث وتوضح أن الفيل أنقذ « سيبودا » وذهب به إلى مكان بعيد حيث الخصب ، فكثرت لديه الأبقار ، وتزوج ، وكثر أولاده ، ثم عاد إلى والديه بعد عناء كبير فى البحث عنهم والتأم شمل الأسرة[5].

ثانياً : الأساطير التاريخية والدينية :

هناك العديد من الأساطير التاريخية مثل : قصة « تشاتشا بن منجورى » وقصة « الأربعة صانعى العجائب » ... وغيرها .

وهى تحكى للأطفال ، وهدفها البعد عن التكبر والكذب والغش والخداع وكل ماهو مرذول ، وتحضّ على العمل والنشاط وحب الأهل والأصدقاء والمسارعة إلى معاونتهم ، وهى فى مجملها ذات هدف تعليمى .

« وثمة أساطير ترتبط بالطرق الصوفية ، وتحكى عن الأولياء وعن دورهم فى نشر الإسلام وكراماتهم ... إلخ ﷺ . وهذه الأساطير تتفق فى مضمونها العام مع الواقع التاريخى فى تلك المنطقة ، غير أنها تختلف عنــه فى كثير من تفاصيلها ، ومايهمنا أنها صدى المؤثرات العربية الإسلامية فى تلك المنطقة[6]

ثالثاً : الألغاز

والألغاز فى مجملها نابعة من البيئة الإفريقية والثقافة الأصلية لموطنها ، ويقصد منها دفع الأبناء إلى التفكير ، لذلك كان من الأنسب استخدام تشبيهات قريبة من نظر الأبناء ، ويكون محورها غير بعيد عن تلك الأشياء التى يرونها دائماً .

ومن هذه الألغاز :

1) Kuku wanga akazalia miibani.

وترجمته : « دجاجتى باضت بين الأشواك » .

وعلى الأولاد أن يبحثوا فى ذاكرتهم عن شىء يشبه البيضة وسط الأشواك . ويكون المقصود : ثمرة الأناناس (Nanasi) .

2) Nimepanda konde yangu kubwa, nimeevuna haujai mkono.

وترجمته : زرعت حقلى الكبير ، ولما حصدته لم تمتلىء يدى .

وعلى الأبناء أن يبحثوا عن شىء يمكن أن يملأ الأرض فإذا جمع لايملأ اليد . ويكون المقصود : الشعر (Nywele) .

3) Nyumba yangu haina mlango.

والتى تعنى : منزل ليس له باب .

ويكون المقصود البيضة . (Yai) .

ثالثاً : الخطبة :

الخطبة ـ الدينية بالتحديد ـ تبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وتتضمن العديد من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر وأغلبها للوعظ .

بالإضافة إلى الخطبة السياسية والوطنية .

رابعاً : الحكم والأمثال الشعبية :

إن الحكم والأمثال الشعبية تعد من أنسب الأشكال الأدبية التى يمكن للقارىء أن يستشف منها شكل الحياة الاجتماعية التى يحياها المجتمع

(٥) المرجع السابق ص٥٠ .

(٦) د. سيد حامد حريز : مرجع سابق ص١١١ .

السواحيل ، لما تمتاز به من إيجاز واضح وشيوع كبير بين الأفراد ، فهى مرآة صادقة للعُرْف والشعور والوجدان ، وترسم بشكل دقيق الأسلوب العام الذى يُتّبع فى التفكير . وهى من الفنون التى يهتم بها السواحيل ويحرص على أن يوشح أعماله بها ، وتكاد لا تخلو قصة أو قصيدة من مثل أو حكمة .

من هذه الحكم والأمثال نذكر على سبيل المثال :

1) Nani angurumaye kama simba !

أى : من يزأر مثل الأسد !؟ .

2) Kidogo, kidogo, kamba hukata jiwe.

أى : شيئاً فشيئاً ، الحبل يقطع الحجر .

وهناك العديد من الأمثال الشعبية التى يظهر فيها الأثر العربى واضحاً جلياً ، نذكر منها :

1) Haraka, haraka, haina baraka.

أى : لا بركة فى العجلة .

ويقابلها فى العربية : فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة

2) Mwenye kujitahidi hufuzu.

وتعنى : من يجتهد يفز .

ويقابلها فى العربية : من جدَّ وجد .

3) Afudhali ya mchawi kuliko mtu fitina.

وتعنى : الساحر أفضل من الفتّان .

ويقابلها من القرآن الكريم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

[سورة البقرة آية ١٩١] .

4) Mtu hafi illa kwa mzishi wake.

الانسان لا يموت إلا عندما تأتى نهايته .

ويقابلها من القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾

[سورة آل عمران آية ١٤٥] .

5) Saa haioji mfalme.

وتعنى : ساعة الموت لا تتأخر عن أحد ولو كان ملكاً .

ويقابلها من القرآن الكريم :

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة الأعراف آية ٣٤] .

6) Ahadi ni deni.

وتعنى : العهد دين .

ويقابلها فى العربية : وعد الحر دين .

7) Fulani funga ameji kwa ulimi wake.

وتعنى : آفة الإنسان فى لسانه .

وهو يذكرنا بحديث رسول الله ﷺ الذى يخاطب فيه معاذاً : « .... ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُبُّ الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم »[7] .

8) Baada ya dhiki faraji.

وتعنى : بعد الضيق يأتى الفرج .

ويقابلها من القرآن الكريم :

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح آية ٦] .

---

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٥ ص٢٣١ .

9) Heri kufa macho kuliko kufa moyo.

وتعنى : موت العين خير من موت القلب .

ويقابلها من القرآن الكريم : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج آية ٤٦] .

10) Ulimi hauna mifuba.

وتعنى « اللسان ليس به عظام » .

والمقصود به أنه يجب ألا يؤذى .

11) Mchimba kaburi huji chimbia mwenyewe.

وتعنى : من يحفر القبر ، يحفره لنفسه .

ويقابله فى العربية : « من حفر لأخية حفرة وقع فيها » .

والأمثال الشعبية كثيرة ، والتشابه الكبير بينها وبين الأمثال الشعبية العربية يغرى بالاسترسال ، وهو ما جعلنا نقدمها بنصها .

وهذه الأمثال تكفينا شاهداً على التأثير العربى الواضح فى هذا الأدب ، ليس هذا فحسب ، بل إن بعض هذه الأمثال يكاد يكون مستخلصاً مباشرة من معانى القرآن العظيم ، ومن هدى الرسول الكريم ﷺ .

وبعد ، فهذا بعض ما بدا لنا من أثر عربى فى الأدب السواحيلى فى شقه النثرى ، ونأمل أن يوفقنا الله ـ تعالى ـ إلى إظهار هذا الأثر فى الشق الأكبر الذى يشغله الشعر فى مقال لاحق بإذن الله تعالى .

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى عدد رجب ١٤١٥ هـ بالبيتين الأخيرين من قصيدة ، تحية للأزهر ، للشاعر / صالح محمد سيد على ، إمام مسجد (الرياض) بمدينة (لاموكيبا) وصحته :

نحن فى ظلـه نباهـى ونفـدى بـه فداء لا تعـرف الارتيابـا

بل ونفـدى ، كنانـة الله ، حتـى تورث المجد شيبا والشبابـا



● « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان »

صحيح عن أبي هريرة ، رواه أحمد .

● « في ليلة النصف من شعبان يغفر الله لأهل الأرض إلا لمشرك أو مشاحن »

صحيح عن كثير بن مرة الحضرمي مرفوعاً .

● « كان أحب الشهور إليه أن يصومه شعبان ، ثم يصله برمضان »

صحيح عن عائشة .

● « شعبان بين رجب وشهر رمضان ، تغفل الناس عنه ، ترفع فيه أعمال العباد فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم »

حسن عن أسامة .

● « إن الله تعالى ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه ، إلا لمشرك أو مشاحن »

حسن عن أبي موسى الأشعري .

● « إذا كان ليلة النصف من شعبان أطلع الله إلى خلقه ، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه »

حسن عن أبي ثعلبة الخشني .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

هذا الباب في عامه الثالث

أذكر أنني توجهت إليك ـ عزيزى القارىء ـ بدعوتك إلى المشاركة في تحرير هذا الباب بعدد رجب ١٤١٣هـ ليكون منك وإليك ، فقلت :

« ولكم نرجو أن يشاركنا القارىء بجهده في الميدان إذا لزمه تعليق أو استفسار أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها في سبيل تلبية رغبته » .

كانت سعادتنا غامرة بتلك الاستجابة السريعة من قراء المجلة وكتابها الذين أسهموا بنتاج أقلامهم في إثراء تلك الزاوية من مجلة الأزهر بالمعاني المفيدة والأفكار الطيبة ، وهاهي تلك الزاوية تستكمل مقوماتها وتصبح باباً ـ ذا زوايا عدة ـ له ذاتيته الخاصة بفضل جهود قرائه وإقبالهم عليه .

هذا .. وقد حرصت من جانبي على تنويعه بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والملاحظات والإبداعات ، فضلاً عن الردود والتعليقات على رسائل القراء، الكرام والإجابة على استفساراتهم ، كما كان ـ ولا يزال ـ الحرص شديداً على عدم تأخير أية رسالة ترد إلى الباب بقدر الإمكان لاسيما ممن يوجهون مراسلاتهم باسم الباب مباشرة .

وأمام كثرة الرسائل وقلة المساحة المخصصة نضطر إلى تأجيل الرد على بعض الرسائل ، على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة ، عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها ؛ فهذا مايسعدنا ويثلج صدورنا ، والله تعالى من وراء القصد .

المحرر



تعقيب على رأى

كتب إلينا الأستاذ/ سيد ضوى سيد .. وكيل بمدرسة أسوان الثانوية الزخرفية هذا التعقيب :

قرأت فى كتاب من إصدارات كتاب « أخبار اليوم » عدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ هذا النص للمؤلف « ..... » يقول ربنا : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة آية ١٣] هكذا يصف ربنا اليهود (الأكثرية الغالبة منهم) وكلمة « لاتزال » تعنى أن خياناتهم مستمرة ... وكلمة خائنة فى الآية تأتى منصوبة رغم حرف الجر مما يعنى أنها صفة لموصوف محذوف سلوكيات خائنة ومعاهدات خائنة ومواثيق خائنة إلى آخره والله أعلم بهم منّا فهو الذى خلقهم » ..

والحقيقة أن كلمة « خائنة » جاءت فى الآية الكريمة مجرورة لا منصوبة ، وحتـــى لو أن موصوفها محذوف لجاءت مجرورة أيضاً لوجود حرف الجر (على) فى الآية ثم إن الصفة تتبع الموصوف .

من فضائل شهر رمضان

كتب الأستاذ/ رمضان الأقرع .. خطيب باخناواى .. طنطا ــ بعض ماتميز به شهر الصوم عن غيره من الشهور :

اختص الله تعالى شهر رمضان من بين سائر الشهور بفضائل عدة فى آياته الكريمة ، فقد روى عن الإمام على ــ كرم الله وجهه ــ أنه كان لايستشرف هلال إلا هلال رمضان ، وكان إذا نظر إليه قال : « اللهم أدخله علينا بالسلامة من الأسقام والفراغ من الأشغال ورضّنا فيه باليسير من النوم » .

فإذا دخل الشهر أو شاهد أحد الهلال فيستحب أن يقول : الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله . أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى .

ورمضان قد خص الله به هذه الأمة ووفر به حظها من الرحمة والنعمة عند القسمة .

روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : « قال رسول الله ﷺ : أعطيت أمتى فى رمضان خمس خصال : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك .

وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصفد مردة الشياطين فلا يصلون فيه إلى ماكانوا يصلون إليه ، ويزين الله جنته فى كل يوم فيقول : يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم فى آخر ليلة من رمضان . فقالوا : يارسول الله ، هى ليلة القدر ؟ قال : لا ولكن العامل إنما يوفى أجره عند انقضاء عمله »[1] .

(١) إرشاد الزراع فى مسالك الصيام للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلانى .

أسبقية العلم

كتب الأستاذ/ نجاح عبد القادر سرور – المدرس الثانوى بكفر بولين – بحيرة .. عن أهمية العلم ، وقال :

روى الطبرانى عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر برسول الله ﷺ فقال له : « كيف أصبحت ياحارث ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : انظر ماتقول ، فإن لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عرفت نفسى عن الدنيا ، **فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى** عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار **يتضاغون فيها . فقال : ياحارث : عرفت** فالزم .. ثلاثاً » .

فالحارث – رضى الله عنه – علم وآمن .. وأوصله إيمانه المبنى على أساس العلم إلى درجة اليقين الكامل بزوال الدنيا وفنائها .. وحقيقة الآخرة وخلودها .. وفى هذا يقول الله – جل وعلا – : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (٥٦) ﴾ سورة الروم

الإسلام دين المستقبل

وكتب الأستاذ/ إسماعيل أحمد نصر من سهواج – أشمون – منوفية .. بعض الحقائق التى تبشر بانتشار الإسلام ، وأنه دين المستقبل ، ومما جاء فى ذلك :

هناك بشائر إلهية ، وبشائر نبوية بنصرة الإسلام :

أما البشائر الإلهية فى كتاب الله – سبحانه – فكثيرة ، ويتمثل بعضها فى وعده بنصرة المسلمين العاملين ، وإنذاره بإهلاك المفسدين ، ومن ذلك قوله – تعالى – فى سورة الأنبياء/ ١٠٥ : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩) ﴾ سورة الصف

كما أن البشائر النبوية متعددة فى هذا المجال :

فعن تميم الدارى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولايترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر » .

رواه أحمد والطبرانى وصححه الحاكم .

وعن أنس أن النبى ﷺ قال : « مثل أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره » .

رواه أحمد والترمذى وابن حبان وأبو يعلى .

شريعة الإسلام وحقوق الإنسان

وكتب الأستاذ/ محمد حامد مصطفى حامد ـ من الفيوم ـ ابشواى .. هذه الكلمة عن شريعة الإسلام :

القرآن الكريم كلام الله المُنزل على عبده محمد ﷺ باللفظ العربى المعجز المُتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر ، فالقرآن الكريم دستور سماوى أنزله خالق الكون وصانعه ليكون منهج حكم، ودستور حياة لأمة سيدنا محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبدهى أن صانع الشىء عالم به وبما ينفعه وما يضره .

ولما كان القرآن الكريم دستوراً إلهياً من الخالق لخلقه فإنه لابد أن يكون فى إعجازه فوق مستوى البشر لا يرقى إليه الخلق مهما تعالت قدراتهم وتسامت عقولهم وارتفعت درجة ذكائهم .

نزل القرآن من عند الله جامعاً شاملاً لكل ما يهم الإنسان من أمور متعلقة بدنياه وآخرته ، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، وعندما هلل كثير من الناس لإقرار حقوق الناس فى الأربعينيات من هذا القرن ، بميثاق الأمم المتحدة ، لم يعلموا كم كان الإسلام سباقاً إلى إقرار هذه الحقوق .

عشرة تنفع وأخرى تضر

أما العشرة النافعة فهى :

الإخلاص فى الطاعة ، وموافقة العمل للسنة ، والتوسط فى العبادة ، والمداومة عليها ، والازدياد منها ، والمبادرة إليها ، والحث عليها ، والتعاون من أجلها ، وتعظيم الأوامر والنواهى ، ورجاء القبول .

أما العشرة الأخرى فهى :

علم لا يعمل به ، وعمل لا إخلاص فيه ، ومال لا ينفق منه ، وقلب غافل ، وبدن صحيح معطل ، ووقت ضائع ، وفكر مشتت ، وخدمة غير الله ـ عز وجل ـ والرجاء فيه والخوف منه .

أسامة أبو حسيبة محمد ـ منفلوط ـ أسيوط

دور الإعلام الإسلامى

بات على الإعلام العربى الإسلامى أن يشارك فى تحقيق الارتقاء المتوازن الذى لا تطغى فيه الماديات على المعنويات لاسيما أن الإسلام دين الوسط .. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] ، وهو دعوة لبناء الأمة بناءاً متكاملاً ، وعلى الأمة أن تدبر واقعها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد آية ١١] .

وليس من شك فى صعوبة هذه المهمة على الدعاة وعلماء الأمة للأخذ من الفكر الإسلامى والعمل بتطبيقاته وتوضيح الرؤية لحماية الأمة من كافة أساليب الغزو الفكرى .

يحيى السيد النجار الخزاوى ـ دمياط

من نواهي سورة ... القلم ...

قال الله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾ سورة القلم

تفيد هذه الآيات نهى الله ـ سبحانه ـ عن مصاحبة من لا خلاق لهم من الناس ، ومجانبة مجالستهم وعدم طاعتهم ، لاسيما من اجتمعت فيه هذه الصفات الذميمة .

ـ حلاف : كثير الحلف سواء فى الحق أو فى الضلال .

ـ مهين : حقير فى الرأى والتمييز .

ـ همّاز : عيّاب أو مغتاب للناس .

ـ مشاء بنميم : بالسعاية والإفساد بين الناس .

ـ عُتُلّ : فاحش لئيم ، أو غليظ جاف .

ـ زنيم : دَعِىّ مُلْصَق بقومه أو شرير .

عماد ميزاد عبد العظيم
الفيوم ـ قرية الأعلام

أربع لا أبالى بعدها

قال حاتم الأصم : اخترت أن أعرف أربعة أشياء لا أبالى بعدها إن جهلت ماعداها :

الأول : علمت أن دَيْنى لله ـ تعالى ـ لا يقوم به غيرى ، لذلك أنا مشغول بأدائه .

الثانية : علمت أن رزق مقسوم لى فلا يزيد ولا ينقص ، لذلك تركت أمر تدبيره .

والثالثة : علمت أن الموت يطلبنى ولا مفر منه فاستعددت له .

والرابعة : علمت أن الله ـ تعالى مطلع علىّ ، لذلك أستحى أن أعصيه .

محمد إبراهيم محمد الدمرداش
بركة السبع ـ منوفية

الأخلاق فى ظل القرآن

إن القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والأخلاق فى القرآن تبين لنا كيفية السير فى الحياة الدنيا ، فالأخلاق وهى : الفضائل المكتسبة نمارسها على أساس أنها مبادىء إسلامية سبق أن أرساها رسول الله ﷺ ، حيث يقول ـ موضحاً الهدف والغاية من بعثته ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » سنن البيهقى ١٩٢/١٠ ، كشف الخفاء ٢٤٤/١ .

والمتتبع لأسلوب القرآن وهو يتناول قضية الأخلاق يجد أنه عرضها بصفة كاملة شاملة .

محمد على البلجبى
أويش الحجر ـ المنصورة

الإسلام دين السلام

إن الإسلام دين السلام والرحمة والمودة ، ولذا فإن رايته تُظلُّ جميع من يحيا على أرض الوطن لا فرق بين مسلم وغير مسلم فقد وقف الإسلام حيال الأديان الأخرى جميعها وحيال أهلها موقفاً إنسانياً كريماً يتسم بالسلام والتسامح ، فقرر من القواعد وسنَّ من المبادىء ماينظم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين .

ومن أهم هذه المبادىء عدمُ إكراه أحد على ترك دينه ، واعتناق الإسلام . وفي هذا يقول المولى - عز وجل - مخاطباً الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ سورة يونس

ويقول تعالى : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

[سورة الغاشية آية ٢٢] .

وفي ظل الإسلام يحس الناس بنعمة الأمن والسلام والتراحم ، لما فيه من العمل على جمع القوى المتنافرة والقلوب المتنافرة في ظل أخوة تعلو على حدود الأجناس والأوطان .

روى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس أن رجلاً من بني سالم بن عوف يُقال له (الحُصَيْن) كان له ولدان مسيحيان ، وهو مسلم ، فسأل الرسول - عليه الصلاة والسلام - عما إذا كان يجوز له إكراههما على اعتناق الإسلام فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك ونزل قوله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

[سورة البقرة آية ٢٥٦] .

خيرى محمد أبو الروس
كلية الدعوة - جامعة الأزهر

من إبداعات القراء

إلهى

أطلْتُ الغوْصَ في أعماق نفسى	لأظفر بالتعزِّى والتأسِّى
إلهى قد سئمتُ ضلال عيشى	وتاقت للهُدى آفاق نفسى
فأرْشِدْنى إلى خير وتقوى	قبيل الشيب في قلبى ، ورأسى
فلا أدرى .. متى حان التلاقى	مصيرى .. هل لفوْزٍ أو .. لتعس ؟
فأطمع أن تبصِّرنى إلهى	لكى أحظى بإخباتٍ .. وأُنسِ
فأبقى في هناء وارتقاء	طوال العمر .. أو من بعد .. رمسى

شعر/ عماد عبد المنعم
دار طباعة النقد

ردود وتعليقات

* القارىء/ رجب فرويز محمد حسن

بمدرسة بدر للغات ـ أسيوط

أوردتم فى كلمتكم عن « الابتلاء » حديثاً نبوياً صحيحاً يعتبر بشرى لكل مؤمن ابتلى فى بدنه أو ماله أو ولده ، وهو الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقول رسول الله ﷺ : « إن الرجل تكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك » فشكراً لكم وفى انتظار إبداعاتكم .

* القارىء/رمضان ابراهيم الأقرع .. الخطيب بطنطا ..

عسى أن نتمكن من نشر كلمتكم « فضل يوم الجمعة » فى وقت لاحق .

* القارىء/ عصام حسن إمام ـ شبرا الخيمة ـ

عسى أن تكون رغبتكم قد تحققت فى هدايا المجلة التى نشرت بالفعل من ناحية التمهيد والتوافق مع مناسبة شهر رمضان المبارك .

* القارىء/ عبد العال فؤاد أحمد ـ ساحل روض الفرج ـ القاهرة.

يمكنكم الحضور إلى مكتب المجلة بالجامع الأزهر لأخذ الهدية الناقصة لديكم .

* القارىء/ ا . م . م ـ رشيد ـ البحيرة .

دورة تدريس اللغة الإنجليزية للمتفوقين من أبناء كلية أصول الدين كانت فى الفترة من (ـ١٤١٠ ـ ١٤١٢) بعد ذلك تم التوسع فى هذا الاتجاه بكلية اللغات والترجمة .

* القارىء/ شوقى السيد حماد ـ المطرية ـ دقهلية ..

كلمتكم عن « عقوق الوالدين » كلمة طيبة ونرجو الاهتمام ـ مستقبلاً ـ بتخريج الأحاديث النبوية التى تستشهدون إليها .

* القارىء/ محمد فخر الدين محيى الدين ـ أشمون منوفية ..

لاشك أن استيراد الأفكار والقيم الغربية غير النافعة مما يعود علينا بأسوأ العواقب وذلك لعدم ارتباطها بواقعنا الإسلامى واحتياجاتنا فى المجتمعات العربية ، وهذا يقودنا إلى توكيد دور الإعلام الإسلامى فى مواجهة هذه القضية .

* القارىء/ أحمد عبد الستار طه ـ مناوهله ـ الباجور ـ منوفية ..

نرحب بك صديقاً للمجلة وفى انتظار إسهاماتك الفكرية .

* السادة الشعراء قراء مجلة الأزهر .

تلقينا رسائلكم وما تتضمنه من أشعار ، وقد أحلناها على الأستاذ رشاد يوسف المشرف على باب الشعر لإبداء الرأى بشأنها ، مع تمنياتنا بالتوفيق .

بمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة أمريكان باسفيك

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته وفد « جامعة أمريكان باسفيك الدولية » فى لوس انجلوس .. بالولايات المتحدة الأمريكية برياسة الدكتور أحمد حسن عبده رئيس الجامعة الذى عرض على فضيلته الخطوات التى تمت فى مشروع إنشاء الجامعة معرباً عن تفاؤله بنجاحها فى مهمة إعداد الدعاه لنشر الدعوة الإسلامية فى الأمريكتين بأسلوب علمى معاصر .

وقد قدم رئيس الجامعة لفضيلة الإمام الأكبر المناهج الدارسية لأقسام الجامعة لمراجعتها والتصديق عليها بالموافقة النهائية واعتمادها ، مشيراً إلى أن مهمة هذه الجامعة ستشمل منح الدرجات العلمية المختلفة العالية لا سيما الإسلامية / الماجستير / الدكتوراه فى كافة العلوم ومن بينها الدراسات الإسلامية .

وقد وجه الوفد الدعوة لحضور وفد من الأزهر الشريف مراسم افتتاح الجامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية بحضور السادة الوزراء فى الحكومة الأمريكية والسفراء للدول الإسلامية والعربية ومندوبى التليفزيون والاذاعة فى مختلف دول العالم وقد اثنى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا المشروع وتمنى فضيلته للقائمين عليه التوفيق . كما وعد بمشاركة الأزهر فى حفل الافتتاح .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد السفير / طفيل كريم حيدر سفير بنجلاديش بالقاهرة ، حيث أعرب السيد السفير عن سعادته الغامرة بزيارة الأزهر قلعة العلم والإسلام فى شتى بقاع الأرض .

وقد وجه سعادته لفضيلة الإمام الدعوة لزيارة بنجلاديش للوقوف على أحوال المسلمين هناك ، وقد وعد فضيلته بتلبيتها فى وقت قريب .

الإمام الأكبر يلتقى بلجنة التعليم والبحث العلمى بمجلس الشعب

التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته بلجنة التعليم والبحث العلمى بمجلس الشعب برياسة الأستاذ / أحمد فؤاد عبد العزيز رئيس اللجنة والسيد المستشار أحمد حمادى وكيل المجلس .

تم خلال اللقاء بحث احتياجات المعاهد الأزهرية التى أضيرت بالزلزال عام ١٩٩٢ والسيول عام ١٩٩٤ ، وذلك لتدبير الاعتمادات المالية اللازمة لإعادة إصلاحها ، كذلك تم بحث المساواة التامة بين العاملين بالمعاهد الأزهرية مع أقرانهم بوزارة التعليم فى مكافآت الامتحانات والحوافز نظراً لوجود فرق كبير بينهما وهما أبناء وطن واحد ويؤدون رسالة واحدة .

وتم بحث رفع بدل الانتقال والحوافز لعلماء الدعوة بالأزهر الشريف أسوة بزملائهم فى وزارة الأوقاف ، ودعم مجمع البحوث الإسلامية بالاعتمادات المالية التى تساعده على القيام بمهامه نحو نشر الثقافة الإسلامية وحفظ التراث .

وقد أبدى أعضاء اللجنة استعداداً طيباً فى تلبية احتياجات الأزهر الشريف تقديراً له ودعماً لدوره الرائد فى الداخل والخارج .

الإمام الأكبر يستقبل
السيد سفير جيبوتى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بمكتب فضيلته السيد آدم شيخ حسن سفير جيبوتى فى القاهرة ، وقد تناول اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والتعليمية بين الأزهر وجيبوتى ، حيث قدم السيد السفير شكر وتقدير بلاده شعبا وحكومة لفضيلته على ما يقدمه الأزهر لجيبوتى فى هذين المجالين ، وكذلك إسهام الأزهر فى إشرافه على إنشاء معهد أزهرى فى جيبوتى لخدمة أبناء المسلمين هناك .

تم فى نهاية اللقاء إهداء السيد السفير مجموعة من الفتاوى الصادرة لفضيلة الإمام الأكبر والكتب الدينية بمناسبة إنتهاء بعثة السيد السفير فى مصر .

الإمام الأكبر يستقبل
السيد سفير الجزائر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد السفير د/ مصطفى الشريف سفير جمهورية الجزائر بالقاهرة ، أعرب السيد السفير فى بداية اللقاء عن شكره وتقديره لدور الأزهر المعتدل فى نشر الثقافة العربية والإسلامية وخدمة القضايا الدينية .

وقد وجه سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الجزائر خلال عام ١٩٩٥م ، وتمنى فضيلته للشعب الجزائرى أن يشمله الله بعنايته ورعايته .

داعيا الله ـ عز وجل ـ أن يخلص العالم الإسلامى من القلاقل والفتن مشيرا إلى ما يجب على المسلمين من الاعتصام بحبل الله كما أمرهم المولى ـ عز وجل ـ بذلك .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع الإسلامي ببور فؤاد

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ــ بمرافقة فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية والسيد اللواء فخر الدين خالد محافظ بور سعيد وقيادات الأزهر الشريف بالقاهرة وبور سعيد والقيادات الشعبية والتنفيذية ببورسعيد ــ المجمع الإسلامي ببور فؤاد ، والذى يضم مسجداً كبيراً ومعهداً دينياً وداراً لتحفيظ القرآن الكريم ، ومركزا طبيا ، أقيم المسجد على مساحة ٢٥٥٠ متراً مربعاً بتكلفة إجمالية بلغت ٨ مليون جنيه ، واستمر العمل فى إنشائه سبعة عشر عاما . جاء ذلك فى إطار احتفالات محافظة بور سعيد بعيدها القومى فى الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٩٤ .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى دولة سنغافورة

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه سماحة الشيخ/ سيد عيسى بن محمد مفتى سنغافورة والوفد المرافق له ، وقد تناول اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى سنغافورة ونشاطاتهم التعليمية والدينية .

وقد طلب فضيلة مفتى سنغافورة زيادة عدد المبعوثين من قبل الأزهر الشريف كما طالب بسرعة إنهاء إجراءات معادلة شهادات الدارس المدارس العربية الإسلامية هناك بشهادة الأزهر حتى يتمكن أصحابها من الالتحاق بجامعة الأزهر ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة احتياجات سنغافورة التى تقدم بها سماحة المفتى .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مديرى عموم الوعظ بالأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر مديرى عموم الوعظ بالأزهر الشريف ، تم خلال اللقاء مناقشة خطط الدعوة الإسلامية فى المرحلة المقبلة ، والعمل على إزالة المعوقات التى تعترض سبيلها ، وتوفير الإمكانات المطلوبة للنهوض بالدعوة ورجالها .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف الأمين العام المساعد للدعوة بالأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ السيد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر ، ومدير مكتب الإمام الأكبر .

الإمام الأكبر يستقبل المستشار الثقافى لكوريا

استقبل فضيلة الإمام بمكتبه السيد/ جون كوان كيم .. المستشار الثقافى لسفارة كوريا الجنوبية بالقاهرة ، وقد أعرب الضيف عن امتنانه وسعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية فى قلوب ووجدان المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها .

أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لإيفاد بعثة من علماء الأزهر إلى كوريا على نفقة الأزهر لتبصير الكوريين بمبادىء الدين الإسلامى الحنيف إذا ماطالبت الجهات الرسمية ذلك .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير



ترفض مصر التوقيع على معاهدة « منع انتشار الأسلحة النووية » ما لم توقع اسرائيل عليها .

وردا على محاولة المسئول الأمريكى إقناع مصر بالتوقيع على المعاهدة المقرر تجديدها فى إبريل القادم .

قالت مصر إنها ترفض التوقيع على المعاهدة ما لم توقع عليها اسرائيل .

من ناحية أخرى تصر اسرائيل على رفض التوقيع على المعاهدة مادامت - تتعرض - فى زعمها - للخطر من دول فى الشرق الأوسط .

قال مراسل هيئة الاذاعة البريطانية لشئون الدفاع : أنه مع الايمان الجازم بأن اسرائيل تمتلك أسلحة نووية فإن عدة دول عربية ستنضم لمصر فى عدم التوقيع على المعاهدة .

هذا وفى حديث لنفس الإذاعة مؤخرا أكد أحد كبار الصحفيين المصريين أن لاسرائيل مخزونا نوويا لا يقل عن مائتى قنبلة نووية دائما ما تلوح به اسرائيل فى تفاوضها مع أى من الدول العربية .

وهو أمر يجعل من التوقيع على المعاهدة أمرا لا مغزى له ولا معنى بل يجعله مسألة شكلية بحتة غير ذات قيمة .

البوسنة :

قام الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش بزيارة لمصر استمرت أربعة أيام استقبله فيها الرئيس حسنى مبارك وقد تمت مناقشة العلاقات الثنائية والوضع هناك حيث توصل البوسنيون والصرب إلى اتفاق جديد لاعادة فتح طرق التموين حول العاصمة (سراييفو) أول الشهر القادم مما يؤدى إلى تماسك اتفاق وقف إطلاق النار لمدة أربعة أشهر الذى وقع أول هذا العام .



على طريق الوفاق تم تشكيل فريق عمل سعودى يمنى عقد جلسة عمل فى الرياض مساء الاثنين ٢٢ شعبان الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥ لمناقشة تصورات الشقيقتين العربيتين حول سبل التوصل إلى اتفاق نهائى بينهما ينهى المشاكل الحدودية ويعيد العلاقات بينهما إلى سابق عهدها .

وأعلن الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب اليمنى الاتفاق على تشكيل فريق عمل مشترك أثناء اللقاء الذى عقد مع الأمير سلطان بن

عبدالعزيز النائب الثانى ووزير الدفاع والطيران السعودى .

ومن بين ما يتم الترتيب له زيارة الرئيس اليمنى للسعودية والهدف من كل هذا هو نزع فتيل التوتر الذى ساد الحدود السعودية اليمنية وهو أمر ممكن كما قال « الأحمر » ما دامت النيات حسنة .

الشيشـــان :

فى حديث مؤثر ومشاعر جياشة اعترف الرئيس الشيشانى جوهر داود بأن قواته منيت بالهزيمة على أيدى القوات الروسية الغاشمة التى شنت حملة تدخل عسكرى مشين الشهر الماضى لاستعادة سيطرة موسكو على الجمهوريـــة الإسلامية الوليدة التى أعلنت استقلالها عما يسمى بالاتحاد الروسى منذ ثلاث سنوات .

قال المجاهد الكبير فى كلمة مسجلة أذيعت من محطة موسكو : إنه أخفق فى حماية شعبه من روسيا التى وصفها بالأمبراطورية الشريرة .

وأشار فى حزم عميق الى ابنه الأكبر « أبكور جاور » الذى ذكرت المصادر الروسية أنه قتل فى إحدى المعارك .

قال الرئيس : إن لديه أشياء أخرى عليه التفكير فيها غير مقتل ولده ، وأن قلبه حزين لأبناء الآخرين الذين قتلوا وكذلك لأجل الضحايا من المدنيين الأبرياء .

وأفادت الأنباء بأن القتال المتقطع مستمر فى ضواحى العاصمة الصامدة « جروزنى » حتى الآن .

وفى لعبة سياسية مفضوحة دعى الاتحاد الأوربى روسيا إلى التفاوض لوضع حد لما أسموه « النزاع الشيشانى » ومما يؤكد أنها مناورة سياسية مفلوطة امتناع أوربا عن فرض أى عقوبات على روسيا المعتدية من جهة ، والسكوت حتى انتهى الأمر الى هذا الوضع الأليم .

الأردن :

اتفق المسئولون الفلسطينيون والأردنيون على مسودة اتفاق للتعاون فى إزالة الخلافات بين الدولتين . وقال نائب رئيس الوزراء الأردنى فى تصريحات بعد المحادثات فى عمان : أن الاتفاق يشمل العلاقات الاقتصادية كما يشمل مجال التربية والتعليم والمواصلات السكانيـــة السلكيـــة واللاسلكية ويوقع الاتفاق العاهـــل الأردنى والرئيس الفلسطينى ويعتبر ذلك أول اتفاق لحل مشاكل نشأت بين الشقيقتين بخصوص القدس .

أمـــريكـا :

قال محامو (شركة بانام الأمريكية) أنهم اكتشفوا وثيقة تؤيد ما زعموه من تورط إيران فى نسف طائرة الركاب الأمريكية فى أجواء بلدة « لوكيربى » الاسكتلندية عام ١٩٨٨م .

وأضافوا أن الوثيقة التى وضعها مسئولون فى وزارة الدفاع الأمريكية فى متناول المحامين تتهم أحد كبار رجال الدين الإيرانيين بدفع عشرة ملايين دولار لنسف الطائرة .

وكانت السلطات القضائية فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة قد أصرت على اتهام ليبيين بتفجير تلك القنبلة .

ورفضت السلطات الليبية هذا الاتهام ويؤكد هذا التحول أن الأمر فى حاجة الى دقة أكثر تظهر ــ بعدها ــ البلاد الاسلامية ــ أبعد وأطهر ماتكون عن الارهاب وقتل الأبرياء .

17 Ramadân pour mettre à exécution leur dessein; tous les trois en même temps. Ibn Maljim, accompagné de deux autres "Kharijites" attaqua le calife Ali alors qu'il se rendait à la prière du matin. L'Imam Ali mortellement blessé, survécut jusqu'à la nuit du 21 Ramadân avant de rendre le dernier soupir. Quant aux deux autres individus qui s'étaient chargés de tuer Mo'awiya et Amr, leur conspiration échoua et ils furent exécutés.

Après la mort de Ali, les gens voulurent prêter serment d'allégeance à son fils Hassan (a.s.l.) mais celui-ci se désista en faveur de Mo'awiya pour mettre fin aux différends et à l'effusion de sang entre musulmans. Par cette sage décision Hassan mettait fin au désordre qui régnait dans la communauté musulmane. Les musulmans prêtèrent serment d'allégeance à Mo'awiya: on appela cette année l'armée du consensus communautaire "âm al jamâ'a" Mo'awiya fut reconnu officiellement calife des musulmans au mois de Rabî'Ier de l'an 42 de l'Hégire.

L'ère des quatre califes prit ainsi fin pour laisser place à partir de cette date à l'ère des "Ommeyades" dont le pionnierr fut Mo'awiya.

Ali mourut après un califat de courte durée qui ne lui valut que les peines. Le but principal du quatrième calife fut de sauvegarder l'unité de la communauté musulmane et il a accompli sa mission selon ce qu'il jugeait bon pour l'intérêt des musulmans. Nous prions Allah de combler de Ses bienfaits le quatrième et dernier calife Ali Ibn Abou Talib, qu'Il honore sa face et soit satisfait de lui.



Le compagnon du prophète (b.s), Ammar Ibn Yâssir (a.s.l.), était du parti du calife Ali. Or, de son vivant, le prophète (b.s) lui avait prédit qu'il serait tué par un groupe de rebelles et d'hommes injustes. Les musulmans des deux camps connaissant ce hadith du prophète (b.s) concernant ceux qui tueraient Ammar avaient les yeux fixés sur lui et suivaient ses moindres pas. Ainsi, lorsque Ammar fut tué par les soldats de Mo'awiya au cours de la bataille de Siffin, il y eut un mouvement de panique et de désarroi dans le camp d'Al Châm, et le cours de la bataille tourna en faveur du calife Ali. C'est alors que Amr Ibn Al-As -allié de Mo'awiya - conseilla à ce dernier d'ordonner à ses hommes de placer chacun son exemplaire du Coran au bout de sa lance pour demander qu'on cesse le combat et que l'on aie recours à l'arbitrage du Livre d'Allah. Cette attitude de l'armée de Mo'awiya toucha les musulmans qui étaient du parti de Ali et obligèrent le calife à accepter l'arbitrage. Ali rentra à Koufa avec ses hommes et Mo'awiya retourna de son côté à Al-Châm, en attendant l'arbitrage. Les arbitres se réunirent et se séparèrent sans aboutir à un accord.

Une des conséquences de la bataille de Siffin fut l'apparition du mouvement des "Kharijites" (c.à.d. les dissidents). C'étaient les alliés de l'Imam Ali qui avaient refusé l'arbitrage.

Au début l'opposition des "Kharijites" à l'Imam Ali était verbale: ils refusèrent d'entrer à Koufa avec lui. Ils lui reprochaient d'avoir admis le principe de l'arbitrage, en proclamant: "Lâ hokma illâ lillahi" (seul Allah est juge). A quoi l'Imam Ali avait répliqué: "C'est une parole véridique, mais par laquelle ils ne cherchent que l'égarement! Sinon, comment peuvent-ils dirent que le commandement revient à Allah, et que la communauté a besoin d'un chef, mais sans se soucier qu'il soit un chef pieux ou libertin?".

Les Kharijites que leur fanatisme rendait aveugles, ne se limitèrent pas à refuser l'arbitrage, mais allèrent jusqu'à accuser le calife d'être un incroyant et complotèrent pour l'assassiner. Trois d'entre eux s'associèrent dans ce projet macabre. Il faut dire que, pour exécuter leur projet, il fallait être trois, puisqu'ils ne voulaient pas seulement la mort de Ali, mais ils avaient aussi décidé d'éliminer en même temps Mo'awiya et Amr Ibn Al'As: ainsi pensaient-ils libérer la communauté de tous ceux qui étaient la cause de la division des musulmans! Ils fixèrent la date du

L'assassinat de Ali Ibn Abou Talib Qu'Allah honore sa face et qu'Il soit satisfait de lui

Par Hoda Hussein Cha'raoui

Nous sommes à Koufa en l'an 36 de l'Hégire. Le calife Ali est à Koufa et il fait appel aux différentes provinces musulmanes pour lui envoyer des renforts de guerre tout en encourageant les gens de Médine à partir en guerre avec lui et à l'appuyer dans sa démarche. Mais qui veut-il combattre? Il veut combattre Mo'awiya, le gouverneur d'Al Châm[1], qui refuse de reconnaître l'autorité du calife Ali. Il résulta de cette situation que les musulmans avaient deux chefs, qu'ils étaient donc divisés en deux camps et, parsuite, les terres d'Islam étaient morcelées. Mais pourquoi ne lui a-t-il pas envoyé d'émissaires? En fait, le calife envoya à Mo'awiya des émissaires mais tous échouèrent dans leur mission. En autre, Al Châm devint un essaim de conspirateurs contre le calife, alors qu'Ali à Koufa demandait à ses compagnons de se calmer de ne pas insulter leur fréres, et de prier Allah pour qu'Il réconcilie les musulmans et élimine leurs différends. De jour en jour, la situation alla en s'aggravant, car certains extrémistes commencèrent à propager la rumeur de la responsabilité de Ali dans l'assassinat de Othman (a.s.l.)

En voyant les préparatifs de guerre, Hassan - le fils de Ali - (a.s.l.) tenta de persuader son pére de revenir sur sa décision afin d'éviter une effusion de sang entre les musulmans. Mais l'Imam Ali, partant du principe de la légitimité de l'Etat, et de son souci de réaliser l'unité musulmane, ne voulut pas renoncer à cela. C'est alors qu'au mois de Moharram en l'an 37. De l'Hégire, l'armée de Ali entra en contact avec celle d'Al-Châm à Siffin (une plaine située sur la rive de l'Euphrate).

(1) Al Châm est la region qui est devenue aujourd'hui le Liban et la Syrie

"Les sacrifices mènent au Paradis et les passions mènent en Enfer".

Le jeûne est une abstinence; c'est donc une affaire personnelle, un secret caché que seul connaît l'Omniscient. C'est pourquoi Allah a dit que le jeûne lui est destiné exclusivement.

Selon Abou Horaira - qu'Allah soit satisfait de lui - le Messager d'Allah (b.s.), a dit : "Le jeûne est un préservatif. Si l'un d'entre vous jeûne, qu'il maîtrise sa colère et ne tienne pas de propos indécents. Si quelqu'un l'insulte ou le provoque, qu'il dise: "Allah est témoin que je jeûne". Je jure par Celui qui détient la vie de Mohammad entre Ses mains que l'haleine du jeûneur est plus agréable pour Allah que le parfum du musc. Celui qui jeûne éprouve deux joies: il est heureux lorsqu'il rompt son jeûne et il se réjouit d'avoir jeûné lorsqu'il comparaîtra devant son Seigneur et sera rétribué pour son jeûne".

Il existe de même un autre Hadith rapporté par Abou Horaira -qu'Allah soit satisfait de lui - et où le prophète dit: Il y a trois personnes dont l'invocation est exaucée: le jeûneur jusqu'à la rupture de son jeûne, l'opprimé jusqu'à la récupération de ses droits et le voyageur jusqu'à son retour.

Rappelons enfin le climat purificateur que crée le jeûne dans les âmes des croyants. Il est une occasion de purifier le corps durant le jour en vue de préparer le musulman à recevoir les enseignements du Coran dans les prières nocturnes.

Cette purification, cette illumination du coeur - comme l'affirment ceux qui ont sondé les profondeurs de l'âme humaine - permettent aux musulmans de gagner l'approbation et le pardon divins comme le prouve le Hadith suivant rapporté par Abdallah Ibn Omar - qu'Allah soit satisfait de lui - et où le Messager d'Allah (b.s.) a dit: "Le jeûne et le Coran intercèderont en faveur du serviteur d'Allah le jour du jugement dernier. Le jeûne dira: "O, mon seigneur, je l'ai privé de nourriture et de la satisfaction de ses instincts; accepte mon intercession en sa faveur". Le Coran dira: "Je l'ai privé de sommeil, la nuit, accepte donc mon intercession en sa faveur". Et leur intercession sera agréée.

Or, dans les activités de l'existence, les actions méritoires ne peuvent être ni dénombrées ni délimitées. Toutefois, en toutes ses actions, le musulman doit toujours exprimer sa gratitude et sa soumission à Allah et aussi rechercher la perfection dans tout travail qu'il accomplit.

Quant aux actes de dévotion spécifiques à l'Islam ils sont multiples mais bien déterminés. Ce sont des pratiques culturelles dont la forme et le fond, les conditions et le temps, sont fixés.

Le prophète (à lui bénédiction et salut) avait coutume de les illustrer par des exemples dans ses Hadiths.

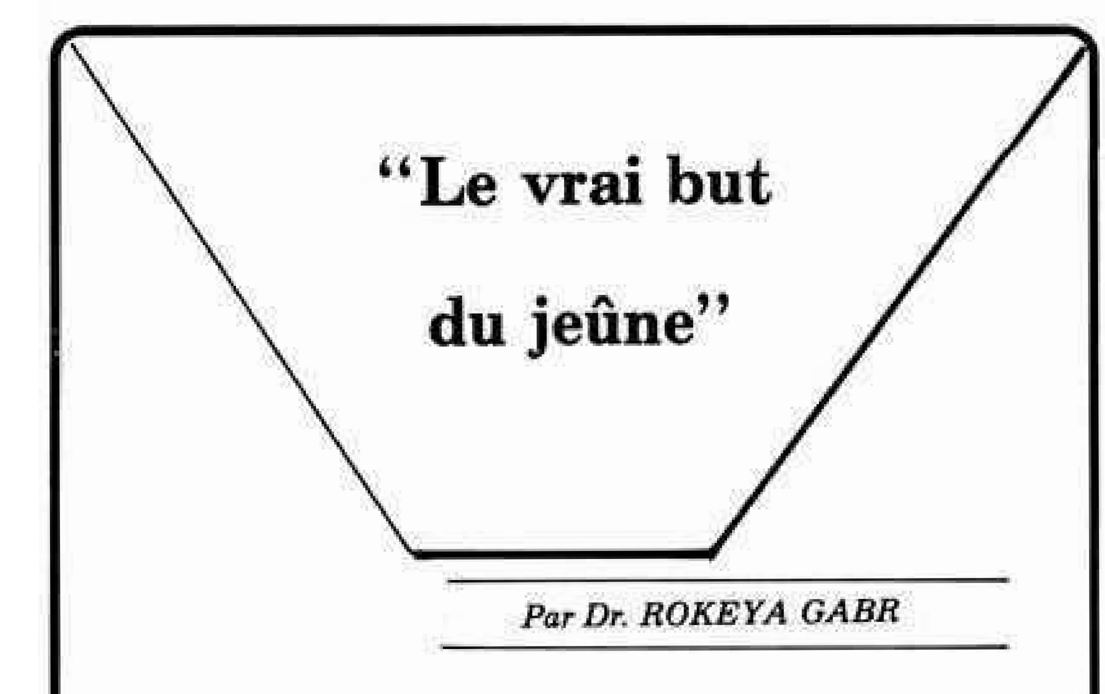
Parmi les Hadiths les plus célèbres du prophète (b.s.) on cite celui-ci: "L'Islam a cinq piliers : l'attestation qu'il n'y a d'awtre dieu qu'Allah et que Mohammad est Son prophète, l'accomplissement de la prière, le versement de l'aumône prescrite (Al Zakât), le jeûne du mois de Ramadan et le pélerinage à la Mecque (Al Hadj) pour celui qui en possède les moyens".

(Hadith rapporté par Al Bokhâri)

Or, ces actes de dévotion imposés au musulman ne sont pas nombreux au point d'exiger du musulman un effort au-dessus de ses possibilités, ni une fatigue insontenable. Bien au contraire, ils sont semblables à une nourriture qui aide à bâtir le corps et à conserver la santé. Le jeûne du musulman est à la fois un exercice physique et une discipline morale.

L'effort fourni dans le jeûne est limité dans la mesure où il n'exige pas de l'être humain ce qui est au-dessus de ses forces. Il vise en outre à entraîner les hommes à purifier leur corps et leur âme en s'efforçant de rechercher l'approbation d'Allah et d'éviter Sa colère. Loin d'être une privation physique gratuite, et une répression fortuite des instincts, il vise un but précis : purifier le coeur et consolider la foi tout en aspirant à la rétribution d'Allah dans la vie future.

C'est dans cette optique que les croyants doivent s'abstenir de satisfaire leurs instincts depuis l'aube et jusqu'au coucher du soleil. Ils doivent donc s'exercer à la privation corporelle et à la mise en pratique du célèbre Hadith :



"Le vrai but du jeûne"

Par Dr. ROKEYA GABR

On désigne par culte ou acte de dévotion deux sortes d'actions :

L'une d'elles a été établie dans le fond et la forme par le législateur; ce sont la prière, le jeune, le pélerinage, etc...

L'autre englobe les différentes activités humaines, toutes les fois qu'elles sont conçues dans une bonne intention et un but louable.

Ainsi comprise, la religion pouvait se confondre avec certaines philosophies morales ou sociales qui traitent de la condition humaine et des différentes activités de l'homme:

Toutefois, la différence entre le comportement d'un musulman et celui d'un non (musulman) c'est que le premier attribue à tout ce qui lui arrive un caractère sacré; ses actions, d'une manière générale, et son comportement coutumier sont toujours empreints d'une certaine intention et d'un but précis dont il aura à rendre compte à son Créateur.

[Celui qui s'est soumis à Allah et qui fait le bien aura sa récompense auprès de son Seigneur]

Sourate "Al Baqara (La Vache) le sens du verset 112)

الفهـرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

المؤمن وتقلب فى السعادة

من أولى مراحل السعادة فى قلب المؤمن أن يتخلص - تماماً - من أسباب التعاسة ، ليس يتخلص منها - عن طريق مقاومتها فحسب ؛ فإن المقاومة تقتضى منه مجهوداً ومراقبة لكل ما نسميه سبباً للتعاسة ، ومن ثم يخوض معركة نفسية لمطاردتها ، لذا كان الأهم فى تحصيل السعادة ليس هو منازلة التعاسة ، بل القضاء عليها فلا تجد طريقاً إلى قلبه ، ومن ثم تتمثل فى نفسه مشاعر البهجة والاستمتاع وطمأنينة النفس ، وتحقيق الذات فيتم له « الرضا الشامل » فى هذا الوجود وتتحقق له السعادة .

والسؤال البديهى الذى يملى نفسه علينا بصورة أولية . هو نفسه الذى يضعنا - وجهاً لوجه - مع أولى أسباب التعاسة فى نفوس الناس ، وذلك عندما نتساءل :

من هو هذا الذى يفسد على الناس سعادتهم ، ويطارد تفاؤلهم ، ويقذف بهم إلى الهَم والغم ، ويغرقهم فى يَمّ الكآبة فالضيق ، ويسلب منهم مشاعر الغبطة والسرور . إنه الشيطان عدو الإنسان المبين الذى أقسم لرب العزة أن يطيح بالناس إلى جهنم فبئس كونه مصيره ، أليس أبوهم آدم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ كان هو بوجه ما ـ سبب طرده من رحمة الله ؟! فبات لا يرضيه إلا أن يشتفى من بنى آدم فيلقيهم فى النار ، تلك هى عقيدته .

حكى المولى ـ عز وجل ـ هذا الموقف كله فى قصة الملأ الأعلى ، إذ أقسم (إبليس) كما حكى المولى ـ عز وجل : « قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » ولأنه ـ أى إبليس ـ يعلم أن من عباد الله ـ تعالى ـ من هم أشد منه قوة وأعزُّ مَنَعَةً بإخلاصه لله ـ وَحْدَهُ ـ قال : « إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » ص : ٨٢ ـ ٨٣ إذن هناك من عباد الله ـ تعالى ـ من لا يستطيع الشيطان أن ينال منهم ، وهم هؤلاء (الرَّاضُون) عن الله ـ سبحانه ـ الذين امتلأت أفئدتهم ودماؤهم وأنفسهم جميعا بالإخلاص لله ، وبالرضا الشامل عن قَدَره ـ تعالى ـ فسدوا ـ فى نفوسهم ـ مسالك الشيطان ، فقضَوْا على أسباب التعاسة ، وَسَدُّوا فى أنفسهم ـ ثقوب الشيطان .

وما ثقوب الشيطان إلى المؤمن إلا صفات إنْ لم تتم له السيطرة عليها صارت مسالك فى نفسه، ما أسهل أن تكون مدارج الشيطان إلى روحه فيجرى فيها مجرى الدم من العروق . صفات إذا خفى على الإنسان أمرها استحكمت فبوأت للشيطان فى نفسه حصنا حصينا ينتهى به إلى جهنم وبئس المصير ، نعوذ بالله .

تلك الصفات ـ أو الثقوب ـ هى : الحرص وسوء الظن ، والاستخفاف بالناس وقلة احترامهم ، والعُجْبُ بالنفس ، والكِبْرُ وغَمْطُ الحق ، وحب الحياة على أى وجه تكون وطول الأمل وطلبُ الراحة والنعمة ، والطمع ، والحَسَد ، والبُخل ، والرياء .

صفات ما أسوأ أن يتمتع بها إنسان ، ثم يطلب السعادة .. ؟! وأنَّى تكون .. ؟!

إن السعادة نعمة يُحققها الرضا عن الله ـ تعالى ـ .. عن قدره .. ثم هى التزام ما يحبه ـ سبحانه ـ وما يحب رسوله ﷺ .

وإنما يحب الله ورسوله : الثقة والقناعة ليس الحرص وسوء الظن ، ومعرفة حق الناس وحرمتهم لا قلة احترامهم والاستخفاف بهم ، وحَمْدَ الله على نعمته لا العُجب ، والتواضع لا الكبر ، وحَذَرَ الموت لا حب الحياة وطول الأمل ، والممارسة الشريفة مع واقع الحياة لا طلب الراحة والنعمة ، والثقة بما عند الله لا الطمع فيما فى أيدى الناس ، والقناعة لا الحسد ، والإخلاص لله ، ثم للحق لا الرياء ومدح الناس .

تلك سدود الثقوب لطهارة الروح من عبث الشيطان يقدمها الإسلام لمن شاء سعادة دائمة ونعيما لا يزول .

د. على أحمد الخطيب



جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر



يوم المودة والمحبة والتواصل

عيد الفطر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهـــر

هذا يوم من أيام الله المباركة ، قد أتم الله به النعمة على المسلمين حيث وفقهم لصيام شهر رمضان ، وقيام ليله بتلاوة القرآن ومدارسته وبالصلاة ، وبذكر الله بما شرعه الله وأوصى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

هذا يوم عيد الفطر من السنَّة أن نبدأه بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

العيد في الإسلام له مظهران :
أحدهما : الاعتداد بقيم الأمة الإسلامية .
والمظهر الآخر : الجهر بالاعتداد بهذه القيم وإعلاناً .. وتعليمها للناس ..
في عيد الفطر من السنة .. افتتاح التكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد .

ومن السنَّة العناية بالمظهر بأن يتزين الناس بأحسن ثيابهم وأنظفها .. فقد زينوا باطنهم بالصوم وطهروا به قلوبهم من الغل والحقد والحسد .

والأعياد فرصة لتجديد الحياة في نطاق ما أحل الله ، فرصة لتقوية الصلات الأسرية والاجتماعية بالصلح بين المتخاصمين .. والصفح بين المتقاطعين .

إن المجتمع الإسلامي لم تتميز حياته على غيره بالأطعمة وألوانها وأسلوب تناولها ، وبالتقدم أو

بالتأخر فى الحضارة وما يتبعها من فنون الصناعة وما أشبه ذلك مما يعرض لجماعات عديدة أو يشترك فيه أكثر من جماعة إنسانية ، لكن حياة المسلمين امتازت بالإيمان بالله الواحد ، وبالاحتفاظ بالوحدة فى الشعار وفى العلاقة بينهم ، تلك الوحدة التى توحى بها العبادات : الصلاة والزكاة والصوم، كما امتازت حياة المسلمين وصار سمة لهم ، ذلك النداء الذى يبدأون به يوم عيدهم ،وكل صلواتهم، الله أكبر : تزيد عليها فى يوم العيد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

يوم العيد يوم تجدد فيه العهد على الاحتفاظ والمحافظة على عناصر الوحدة التى قامت عليها أمة الإسلام وربطت بين شعوبها على اختلاف ألسنتها وألوانها ..

إن عيد الفطر يعقب صوم شهر رمضان ، وهذا الصوم قد أيقظ فى نفس كل صائم الإخلاص لله فى السر والعلن ، مستشعراً أن الله قريب : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ ..
هذا العيد مودة ومحبة ومسرة وشكر لله سبحانه .. أن أتم النعمة ..

ولقد سن رسول الله ﷺ صلاة العيد ، وأمر أن يخرج إليها الولدان والرجال والنساء فرحين مستبشرين يتبادلون التهانى ، متعاطفين ، متعاونين على البر والتقوى، فى يوم العيد تستيقظ العلاقات الإنسانية بين الأفراد والأسر حتى تشمل المجتمع كله فتزول الجفوة وتحل المودة والمحبة . ذلك لأن غاية الصوم فى رمضان لم تكن مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وسائر الشهوات، وعن لغو الحديث فحسب . وإنما مع هذا إمساك عن الغضب مع تحمل للأذى ، فالصوم كان إمساكاً نفسياً ومادياً مما هيأ الصائم للتدريب على مواجهة ما يعترض حياته الإنسانية سواء فيما يتصل ببدنه أو نفسه على حد سواء ..

وقد هيأه الصوم للتماسك والصفاء مع غيره وفى نهاية الصوم يأتى العيد وقد تكاملت فى النفس عوامل التجديد والترشيد للسلوك الخاص والعام .

عيد الفطر شكر لله على توفيقه للانتصار على الشيطان وحزبه ، فليكن الشكر مزيداً من طاعة الله بأداء فرائضه، والامتناع عما نهى الله عنه وتوثيقاً للصلات الإنسانية مع المجتمع، وإصلاحاً وتهذيباً للطباع، واستقامة على الطريق المستقيم ..

وليس العيد كبتاً وتزمتاً ، كما أنه ليس موسماً للخروج على قيم الإسلام وآدابه فروحوا فيه عن أنفسكم وأهليكم بما أباحه الله ، ودون تجاوز لحدود الله أو تعد على الناس ..

ونحن -المسلمين- نحتفى بعيد الفطر المبارك علينا أن نذكر ما تتعرض له بعض شعوب الأمة الإسلامية من انتهاك لحرماتها ولحقوق الإنسان بوجه عام، وأن على الأمة أن تعين هذه الشعوب على مقاومة العدوان على كيانها البشرى وعلى أرضها ودورها ، وأن تمد المستضعفين من المسلمين بما يثبت

منهم الأقدام فى مواجهة أعدائهم الذين لم يدخروا جهداً فى العدوان والإذلال والله من ورائهم محيط ..

ونحن – المسلمين – نذكر فى تاريخ الإسلام واحدة من أعتى هذه العواصف التى تعرض لها المسلمون ..

ذلكم يوم تجمعت أحزاب الشرك وتنادت إلى حصار المدينة المنورة وسبقت إلى المسلمين أخبار هذه الجموع الحاشدة : عشرة آلاف مقاتل من قريش وأحلافها بعتادهم وأسلحتهم جاءوا مصرين على ارهاب المسلمين وإبادتهم فماذا كان من المسلمين وهم قلة فى العدد والعدة ، هل نال منهم الإرهاب والتهديد والكثرة الكاثرة والشرر المتطاير. لقد فكروا وقدروا فرتبوا أمكنة لحماية النساء والولدان وحفروا الخندق لأول مرة فى بلاد العرب ، أى أنهم بلغة العصر أقاموا التحصينات والتدريب للمقاتلين ، واستعدوا للقاء أعدائهم ، لكنهم مع هذا صبروا وصابروا مقدرين لكل خطوة موقعها وآثارها ، استثارهم العدو المهاجم المحاصر لهم ، فثبتوا فى مواقعهم وخلف خندقهم يحرسون مدينتهم ، وحين نشبت المناوشات الفردية بين المقاتلين كانت الغلبة لمن دخل الحلبة من المسلمين ..

هذا الثبات والصدق مع الله ومع النفس دفاعاً عن الأرض وعن العرض دون تهور ، بل مع تقدير كل الظروف والقدر للفريقين وكانت العاقبة ما وصف الله فى قوله سبحانه فى سورة الأحزاب ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝ ﴾

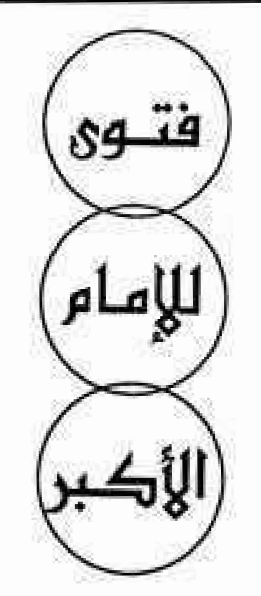
ونحن – المسلمين – نواجه العاصفة أو الإعصار والحصار من كل اتجاه وفى عديد من المجالات فعلى الشعوب الإسلامية أن توحد خطها وتواجه أزمتها بشجاعة جند غزوة الأحزاب دون اندفاع تتثلم به وحدة الصف .

فلتأخذ الأمة الإسلامية كافة ، شعوباً وحكومات وزعماء حذرها ولتصد ولتواجه التحدى بالحكمة المقرونة بالعدة ، ولتثق الأمة بنفسها وبزعمائها حتى تجتاز هذه المحن المترادفة المتواكبة ولتحذر الخلاف فإنه اتلاف للقوة وتمهيد للنكبة ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾

ولقد أوضح القرآن عناصر النصر فخذوا بها ولا يكن أمركم عليكم غمة .... ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ .

أهنىء أمة الإسلام – شعوباً وحكومات وزعماء – بعيد الفطر ، وأدعو الله سبحانه أن يتقبل منا جميعاً صوالح أعمالنا ، وأن يغفر لنا ما فرطنا أو فرط منا أو نسينا وأن يوفقنا للعمل بالإسلام وأن يعيد أمثال هذا العيد على الأمة الإسلامية جميعاً وقد تكاملت صفوفها وتوثقت صلاتها ..

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾



في بيان حكم حلق اللحية وسماع الأغانى مع آلات العزف والموسيقى والنظر إلى التلفاز وما يعرض عليه ، وبيان زكاة الحلى سواء أكان للزينة أو للتجارة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب جاء فيه :

أسأل فضيلتكم عن بعض الأحكام الفقهية ألا وهى :

أولا : ما حكم حلق اللحية ؟ أو أخذ شىء منها ؟

ثانيا : ما حكم سماع الأغانى المصحوبة بآلات العزف ؟

ثالثا : ما حكم النظر إلى التلفاز وخصوصا المسلسلات بأنواعها ؟

رابعا : ما حكم زكاة الحلى للذهب المأخوذ للبس فقط وليس للتجارة ؟

وأرجو منكم الكتابة إلى بالتفصيل مع بيان الاختلاف بين العلماء إن وجد، و ذلك على العنوان التالى : (مستودعات صحة الطائف ــ المملكة العربية السعودية ــ مدينة الطائف ــ تسلم ليد/محمد بن حامد بن على الغامدى

والجــواب

أولا : اللحية وما يتعلق بها :

من المسائل الفقهية الفرعية ، موضوع اللحية حيث تكاثر الخلاف حولها بين الإعفاء والحلق حتى اتخذ بعض الناس إعفاء اللحية شعارا يعرف به المؤمن من غيره .

والحق أن الفقهاء اتفقوا على أن إعفاء اللحية وعدم حلقها مأثور عن النبى ﷺ فقد كانت له لحية يعتنى بتنظيفها وتخليلها وتمشيطها وتهذيبها لتكون متناسبة مع تقاسيم الوجه والهيئة العامة .

وقد تابع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الرسول ﷺ فيما كان يفعله وما يختاره .

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة ترغب فى الإبقاء على اللحية والعناية بنظافتها وعدم حلقها ، كالأحاديث المرغبة فى السواك وقص الأظافر واستنشاق الماء .

ومما اتفق الفقهاء عليه أيضا أن إعفاء اللحية مطلوب ، لكنهم اختلفوا فى تكييف هذا الإعفاء ، هل يكون من الواجبات أو من المندوبات ، وقد اختار فريق منهم الوجوب وأقوى ما تمسكوا به ماورواه البخارى فى صحيحه[1] عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال :

« خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب » .

وما رواه مسلم[2] فى صحيحه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » حيث قالوا : إن توفيرها مأمور به والأصل فى الأمر أن يكون للوجوب إلا لصارف يصرفه عنه ، ولا يوجد هذا الصارف ، كما أن مخالفة المشركين واجبة والنتيجة أن توفير اللحية أى إعفائها واجب .

قال الإمام النووى[3] فى شرحه حديث « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » أنه وردت روايات خمس فى ترك اللحية ، وكلها على اختلافها فى ألفاظها تدل على تركها على حالها .

ومما رتبوه على القول بوجوب إعفاء اللحية ما نقله ابن قدامة الحنبلى[4] فى المغنى أن الدية تجب فى شعر اللحية عند أحمد وأبى حنيفة والثورى ، وقال الشافعى ومالك فيه حكومة عدل وهذا يشير إلى أن الفقهاء قد اعتبروا إتلاف شعر اللحية حتى لا ينبت جناية من الجنايات التى تستوجب المساءلة إما بالدية الكاملة ، كما قال الأئمة : أبو حنيفة وأحمد والثورى ، أو دية يقدرها الخبراء كما قال الإمامان مالك والشافعى .

وذهب فريق آخر إلى القول بأن إعفاء اللحية سنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها وحلقها مكروه وليس بحرام ولا يعد من الكبائر وقد استندوا فى ذلك إلى ما رواه مسلم[5] فى صحيحه عن عائشة عن النبى ﷺ قال :

« عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم[6] ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء[7] قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة .

حيث أفاد هذا الحديث أن إعفاء اللحية من السنن والمندوبات والمرغوب فيها إذ كلُّ ما نص عليه من السنن العادية .

وقد عقب القائلون بوجوب إعفاء اللحية ـ على القائلين بأنه من سنن الإسلام ومندوباته ـ بأن إعفاء اللحية جاء فيه نص خاص أخرجها عن الندب الى الوجوب وهو الحديث المذكور سابقا « خالفوا المشركين » .

ورد أصحاب الرأى القائل بالسنة والندب بأن الأمر بمخالفة المشركين لا يتعين أن يكون

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ٣٤٩ ط مكتبة الغزالى بدمشق ـ مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ط دار الكتب العلمية .

(٣) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٤) جـ ٨ ص ٤٣٣ باب التعزير فى الإسلام .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٤٧ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٦) البراجم : مفاصل الأصابع من ظهر الكف (بتصرف : مختار الصحاح) .

(٧) انتقاص الماء : يعنى الاستنجاء .

للوجوب ، فلو كانت كل مخالفة لهم محتمة لتحتم صبغ الشعر الذى ورد فيه حديث الجماعة « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم »[8] مع إجماع السلف على عدم وجوب صبغ الشعر فقد صبغ بعض الصحابة ولم يصبغ البعض الآخر كما قال ابن حجر فى فتح البارى ، وعززوا رأيهم بما جاء فى كتاب نهج البلاغة :[9] سئل على كرم الله وجهه عن قول الرسول ﷺ « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » فقال : إنما قال النبى ذلك والدين قل فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما يختار .

من أجل هذا قال بعض العلماء : لو قيل فى اللحية ما قيل فى الصبغ من عدم الخروج على عرف أهل البلد لكان أولى بل لو تركت هذه المسألة وما أشبهها لظروف الشخص وتقديره لما كان فى ذلك بأس .

وقد قيل لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة — وقد رؤى لابسا نعلين مخصوفين بمسامير — إن فلانا وفلانا من العلماء كرها ذلك ، لأن فيه تشبها بالرهبان فقال : كان رسول الله ﷺ يلبس النعال التى لها شعر وأنها من لبس الرهبان .

وقد جرى على لسان العلماء القول : بأن كثيرا مما ورد عن الرسول ﷺ فى مثل هذه الخصال يفيد ان الأمر كما يكون للوجوب يكون لمجرد الإرشاد إلى ما هو الأفضل وأن مشابهة المخالفين فى الدين إنما تحرم فيما يقصد فيه الشبه بشىء من خصائصهم الدينية أما مجرد المشابهة فيما تجرى به العادات والأعراف العامة فإنه لا بأس بها ولا كراهة فيها ولا حرمة[10]

لما كان ذلك كان القول بأن إعفاء اللحية أمر مرغوب فيه وأنه من سنن الإسلام[11] التى ينبغى المحافظة عليها مقبولا وكان من أعفى لحيته مثابا ويؤجر على ذلك ومن حلقها فقد فعل مكروها لا يأثم بفعله هذا اعتبارا لأدلة هذا الفريق .

● ● ●

ثانيا : سماع الأغانى المصحوبة بآلات العزف :

موضوع الأغانى المصحوبة بآلات العزف كثر الحديث عنها ووقع الخلاف فى حكمها ما بين تحريم وكراهة إلى إباحة واستحسان بإطلاق أو بقيد وشرط على النحو التالى :

---

(8) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى — التاج الجامع للأصول جـ ٣ ص ١٧٤ .

(9) جـ ٢ ص ١٤١ .

(10) يراجع كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكانى ط أولى ١٣٢٧ هـ ص ٩١ فى المقصد الرابع فى الأوامر والنواهى حيث قال : قال الرازى فى المحصول : قال الأصوليون . صيغة أفعل مستعملة فى خمسة عشر وجهاً منها : الإيجاب والإلتماس ، والتكذيب والمشورة والندب والإرشاد .

ومثل ذلك فى كتاب كشف الأسرار للبزدوى فى أصول الفقه طبع ١٣٠٧ هـ فى المجلد الأول باب موجب الأمر ص ١٠٦ وما بعدها حيث قال : إن صيغة الأمر استعملت لوجوه والمشهور منها ثمانية عشر وجهاً منها : الوجوب ، والندب ، والإرشاد ، والاباحة والاكرام ، والامتنان ، والتسوية ، والتعجب ، والإهانة ، والتكوين والتأديب ، والتسخير والتمنى .

وفى أصول الفقه للدكتور / محمد أبو النور زهير جـ ٢ ص ١٣٣ وما بعدها ان صيغة أفعل قد ورد استعمالها فى معان كثيرة ذكر البيضاوى منها ستة عشر معنى وهى : الوجوب ، والندب ، والارشاد ، والاباحة ، والتهديد ، والامتنان ، والإكرام ، والتسخير ، والتعجيز ، والإهانة ، والتسوية ، والدعاء ، والتمنى ، والتكوين ، والخبر ، وأن الخبر قد يستعمل فى الأمر ، وقد يستعمل فى النهى .

(11) بيان للناس جـ ٢ ص ٢٢٨ ، الفتاوى الإسلامية جـ ١٠ ص ٣٤٧٨ ، جـ ٩ ص ٣٠٨٢ .

(أ) الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى حالات معينة .

(ب) سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ما لم تكن محركة للغرائز ، باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفسق والفجور أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات .

ونشير بإيجاز إلى ما سبق صدوره[12] فى هذا الصدد بما يلى :

نقل ابن القيسرانى فى كتابه[13] السماع قول الإمام الشافعى : الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، واذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد فيه فهو سنة والإجماع أكبر من خبر المنفرد . والحديث على ظاهره واذا احتمل الحديث معانى فما أشبه منها ظاهرة أولاها به فإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن المسيب .

وفى كتاب السماع[14] أيضا : وأما القول فى استماع القضيب والأوتار ويقال له التغبير ، ويقال له : الطقطقة أيضا ، فلا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم نجد فى إباحته وتحريمه أثرا ، لا صحيحا ولا سقيما ، وإنما استباح المتقدمون استماعه ، لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ، فكان أصله الإباحة ، وأما الأوتار فالقول فيها كالقول فى القضيب لم يرد الشرع بتحريمها ولا بتحليلها وكل ماأورده فى التحريم فغير ثابت عن رسول الله ﷺ وقد صار هذا مذهبا لأهل المدينة لا خلاف بينهم فى إباحة استماعه وكذلك أهل الظاهر بنوا الأمر فيه على مسألة الحظر والإباحة .

وأما القول فى المزامير والملاهى[15] فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها ، ويشير إلى هذا أيضا قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[16]

وبيان هذا من الأثر ما أخرجه مسلم فى باب الجمعة عن : جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما ، فمن نبأك بأنه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة . وعن جابر بن عبدالله أنه كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا فأنزلت هذه الآية . وأخرج الطبرى هذا الحديث عن جابر وفيه أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب لهم الجوارى بالمزامير فيشتد الناس اليهم ويدعون رسول الله ﷺ قائما ، فهذا عتاب الله عز وجل بهذه الآية .

ثم قال ابن القيسرانى : والله عز وجل عطف اللهو على التجارة ، وحكم المعطوف حكم المعطوف عليه ، وبالإجماع تحل التجارة ، فثبت أن هذا الحكم مما أبقاه الشرع على ما كان عليه فى الجاهلية ، لأنه غير محتمل أن يكون النبى ﷺ

---

(12) الإجابة من فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٤٥٩ - ٣٤٦٨ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وقد نقل كتاب بيان للناس الفتوى بتلخيص جـ ٢ ص ٣١٩ .

(13) ص ٣١ .

(14) ص ٦٢ .

(15) كتاب السماع ص ٧٢ .

(16) سورة الجمعة آية رقم ١١ .

جرمه ثم يُمَرّ به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسوله قائما ، وخرج ينظر إليه ويستمع ، ولم ينزل فى تحريمه آية ، ولا سن رسول الله ﷺ فيه سنة فعلمنا بذلك بقاءه على حاله .

ويزيد ذلك بيانا ووضوحا ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة من الأنصار إلى رجل من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : « أما كان معكن من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو »[17]

والغزالى فى « الإحياء » خصص كتابا للسماع جاء فيه : أن الآلة إذا كانت من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والأوتار ، وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة ، وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة ، كالدف وإن كان فيه الجلاجل ، وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

ونقل القرطبى قول القشيرى[18] : ضرب بين يدى النبى ﷺ يوم دخل المدينة فهم أبوبكر بالزجر فقال رسول الله ﷺ :

« دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » فكن يضربن ويقلن :

نحـــن بنـــات النجـــار
حبـــذا محمـــــد من جار

ثم قال القرطبى : وقد قيل إن الطبل فى النكاح كالدف ، وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفثا .

ونقل الشوكانى فى « نيل الأوطار »[19] أقوال المحرمين والمبيحين وأشار الى أدلـــة كل من الفريقين ، ثم عقب على حديث « **كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه** »[20]

يقول الغزالى : قلنا قوله ﷺ « فهو باطل » لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة ثم قال الشوكانى وهو جواب صحيح لأن مالا فائدة فيه من قسم المباح ، وساق أدلة أخرى فى هذا الصدد ، من بينها حديث من نذرت أن تضرب بالدف بين يدى رسول الله ﷺ إن رده الله سالما من إحدى الغزوات ، وقد أذن لها بالوفاء بالنذر والضرب بالدف ، فالإذن منه يدل على أن ما فعلته ليس بمعصية فى مثل هذا الموطن ، وأشار الشوكانى إلى رسالة عنوانها « إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع » .

وفى المحلى لابن حزم[21] أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » فمن نوى استماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شىء غير الغناء ، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله ــ عز وجل ــ وينشط نفسه بذلك على البر فهو

---

(١٧) رواه البخارى فى كتاب النكاح
(١٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٥٤ .
(١٩) جـ ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢٠) رواه أصحاب السنن ، وقال العراقى فيه اضطراب .
(٢١) جـ ٩ ص ٦٠ .

مطيع محسن وفعله هذا من الحق ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وقعوده أمام بيته متفرجا .

وعقد البخاري في صحيحه[22] بابا بعنوان « كل لهو إذا شغله عن طاعة الله » وعقب في إرشاد السارى على هذا العنوان بقوله : ولو كان مأذونا فيه كمن اشتغل بصلاة نافلة أو تلاوة أو ذكر أو تفكر في معاني القرآن حتى خرج وقت المفروضة عمدا .

وفي الفقه الحنفي : جاء في كتاب البدائع للكاساني[23] : فيمن تقبل شهادته ومن لا تقبل ؟ : وأما الذى يضرب شيئا من الملاهي فإنه ينظر إن لم يكن مستشنعا كالقضيب والدف ونحوه لا بأس به ولا تسقط عدالته وإن كان مستشنعا كالعود ونحوه سقطت عدالته لأنه لا يحل بوجه من الوجوه .

وفي مجمـــع الأنهر[24] في ذات الموضع : أويلعب بالطنبور لكونه من اللهو ، والمراد بالطنبور كل لهو يكون شنيعا بين الناس احترازا عما لم يكن شنيعاً كضرب القضيب ، فإنه لا يمنع قبولها الا أن يتفاحش بأن يرقصوا به فيدخل في حد الكبائر ، وجاء مثل هذا في كتاب الدر للحصكفي[25] وحاشية رد المحتار لابن عابدين .

وفي المغنى لابن قدامة[26] : الملاهى على ثلاثة أضرب :

* محرم : وهو ضرب الأوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها ، فمن أدام استماعها ردت شهادته .

وضرب مباح وهو الدف فإن النبى ﷺ قال : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف » أخرجه مسلم . وذكر أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه مكروه في غير النكاح ، وهو مكروه للرجال على كل حال .

وأما الضرب بالقضيب فمكروه إذا انضم إليه محرم أو مكروه كالتصفيق والغناء والرقص ، وإن خلا عن ذلك لم يكره لأنه ليس آلة طرب ولا يطرب ، ولا يسمع منفردا بخلاف الملاهى ومذهب الشافعى في هذا كمذهبنا .

وفي لسان العرب : اللهو مالهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما ـــ والملاهى آلات اللهو ، وفيه القضيب كل نبات ذى أنابيب ، والقاصب الزامر ، والقصاب الزمار .

وفي المصباح المنير : وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة ، وألهاني الشيء شغلني ..

وقد اتفق الفقهاء على إباحة السماع في إثارة الشوق إلى الحج ، وفي تحريض الغـــزاة على القتال ، وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد ، والعرس وقدوم الغائب وما إليها .

وهم فيما وراء ذلك على رأيين ، يقرر أحدهما الحرمة ، ويستند إلى أحاديث وآثار ، ويقرر الآخر الحل ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار ، وكان من قول القائلين بالحل (أنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ، ما يقـــتضى تحريم مجرد سماع

---

(22) جـ 9 ص 171 في آخر كتاب الاستئذان .
(23) ج 6 ص 269 .
(24) جـ 2 ص 198 .
(25) جـ 4 ص 398 .
(26) جـ 10 ص 240 ، 242 .

الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات) وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا : إنه لم يصح منها شيء .

وقد كتب فى هذا الموضوع أحد فقهاء القرن الحادى عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالة هى (إيضاح الدلالات فى سماع الآلات) للشيخ عبد الغنى النابلسى الحنفى ، قرر فيها أن الأحاديث التى استدل بها القائلون بالتحريم على فرض صحتها ، مقيدة بذكر الملاهى ، وبذكر الخمر والقينات ، والفسوق والفجور ، ولايكاد حديث يخلو من ذلك .

وعليه كان الحكم عنده فى سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشىء من المحرمات ، أو اتخذ وسيلة للمحرمات ، أو أوقع فى المحرمات كان حراماً ، وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحاً ، فى حضوره وسماعه وتعلمه .

وقد نقل عن النبى ﷺ ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم .

وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء ، وهو يوافق تماماً فى المغزى والنتيجة الأصل الذى قررناه فى موقف الشريعة بالنسبة للغرائز الطبيعية .

ويستخلص من هذا أن سماع الآلات ذات النغمات أو الأصوات الجميلة ، لايمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة ، أو صوت إنسان ، أو صوت حيوان وإنما يحرم إذا استعين به على محرم أو اتخذ وسيلة إلى محرم أو ألهى عن واجب .

ذلك أن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التى يجد لها أثراً فى نفسه ، به يهدأ وبه يرتاح ، وبه ينشط وتسكن جوارحه فتراه ينشرح بالمناظر الجميلة كالخضرة المنسقة والماء الصافى والوجه الحسن والروائح الذكية ، وأن الشرائع لاتقضى على الغرائز بل تنظمها والتوسط فى الإسلام أصل عظيم أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الجزئيات : منها قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ سورة الأعراف ٣١

وبهذا كانت شريعة الإسلام موجهة للإنسان فى مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط ، فلم تعمد إلى المنع طلباً لانتزاع الغريزة فى حب المناظر الطيبة ، ولا المسموعات المستلذة ، وإنما جاءت بتهذيبها وتعديلها إلى ما لاضرر فيه ولا شر .

ومن ثم فإن الضرب بالدف وغيره من آلالات مباح فى الحداء وفى تحريض الجند على القتال ، وفى العرس ، وفى العيد ، وقدوم الغائب ، والتنشيط على الأعمال الهامة ، وأن الاختلاف الذى ثار بين الفقهاء وجرى فى كتبهم كان فى حل أو عدم حل الاشتغال بالموسيقى سماعاً وحضوراً وتعلماً إذا صاحبها محرم كشرب خمر أو غناء ماجن أو رقص أو غزل ، أو كانت الموسيقى مما يحرك الغرائز ويحث على الهوى والفسوق ، كتلك التى تستثير فى سامعها الرقص والخلاعة ، والتى تستعمل فى المنكرات المحرمات كالزار وأمثاله ، أو فوتت واجبا .

وهذا ظاهر مما قاله فقهاء المذهب الحنفى من أن الضرب غير المستشنع لا بأس به ولا يسقط العدالة ، وفسروا المستشنع بأن يرقصوا به فيدخل فى حد الكبائر .

وظاهر أيضاً مما قال به ابن العربى المالكى فى أحكام القرآن من أن الطبل فى النكاح ، كالدف

وكذلك الالات المشهرة .. للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفثاً .

ومن جملة ماقال به ابن قدامة فى المغنى نقلاً لمذهب الإمامين الشافعى وأحمد فى هذا الموطن يتضح أنه لايخالف أو يختلف مع ما قال به الفقه الحنفى والمالكى وأورده من قيود .

ثم إن ما جاء فى عبارات الفقهاء من إجازة الضرب ببعض الآلات دون بعض ، يبدو أن المنع فى بعضها إنما هو للآلات التى تدفع سماعها لفحش القول أو الرقص وليس لذات الالات كما يدل على هذا قول فقهاء الحنفية الذى سبق نقله ، وماقال به الفقه الحنبلى والشافعى من انضمام المحرم أو المكروه كالتصفيق والرقص هو المحرم ، وما قال به ابن العربى المالكى ولم يكن معه رفث .

وهذه القضية قد واجهها الفقه الإسلامى وتصدى لها بتحقيق نصوصها : محمد بن طاهر بن على بن أحمد بن أبى الحسن الشيبانى أبو الفضل المقدسى المعروف بابن القيسرانى ، من رجال الحديث ، وتصدى لها النابلسى وجعلها ابن حزم مرتبطة بالنية ، والغزالى والشوكانى قالا :

إن بطلان اللهو لا يدل على التحريم ..

وعليه فالقول بالتحريم على وجه الإطلاق خال من السند الصحيح قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾

[سورة النحل الآية ١١٦]

وكذلك القول ـ هنا ـ بأن التحريم من باب سد الذرائع أو من باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ليس مقبولا فالموسيقى ليس الشأن فيها دائماً أن يصحبها الخمر وغيره من المنكرات فمثلها كمثل الجلوس على الطريق يجوز عند الخلو من المنكرات ، ففى صحيح مسلم قال النبى ﷺ :

« إياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، فقالوا وماحق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ومن هذا نأخذ أن من المباحات مايحرم إذا اقترن به محرم ، وعندئذ تكون الحرمة طارئة ، بمعنى أنها ليست حكماً أصلياً به

ووقوفاً عند الوسط من الأقوال نميل إلى القول بأن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أياً كانت آلاتها من المباحات مالم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفجور والفسوق أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الأعراف الآية ٣٢] .

ومن معانى زينة الله : جمال الدنيا فى نيلها وحسن النظرة فى ملابسها وملذاتها كما قال ابن العربى[٢٧] ، والطيبات فى الآية تشمل كل طيب ، والطيب يطلق بإزاء الطاهر والحلال ، وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعانى الثلاثة كلها ، ولو قصرنا

(٢٧) أحكام القرآن جـ ٢ ص ٧٨٢ .

العام على بعض أفراده لكان قصره على المتبادر وهو الظاهر .

وقد صرح ابن عبد السلام فى دلائل الأحكام أن المراد فى الآية بالطيبات المستلذات ذكر كذلك الشوكانى فى « نيل الأوطار »[28] .

هذا وقد عقد الغزالى فصلاً للرد على حجج المحرمين للسماع على الإطلاق فى كتابه « إحياء علوم الدين »[29] نوجزه فيما يلى :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [سورة لقمان الآية ٦] وهو الحديث هو الغناء ، والجواب : شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل عن سبيل الله حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلاً عن الدين مشترى به ومضلاً عن سبيل الله ، فلو قرأ القرآن ليضل عن سبيل الله به لكان حراماً ، كما روى أن عمر هم بقتل منافق كان يؤم الناس فى الصلاة ، ويحرص على قراءة (عبس) لما فيها من عتاب الرسول ...

٢ ـ قال الرسول ﷺ : « إن الله تعالى حرم القينة وثمنها وتعليمها » قال العراق حديث ضعيف ليس بمحفوظ ، والجواب : إن القينة هى الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب ، وغناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، أما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ماروى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها .

٣ ـ حديث « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » فقد جمع بين النياحة والغناء ، قال العراق لم أجد له أصلاً عن جابر ، والجواب : ليست كل نياحة محرمة ، إذ من المباح نياحة دواد عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم ومن الغناء المباح مايحرك السرور والشوق إلى الحلال ، فقد سمعه النبى ﷺ فى يوم العيد وعند قدومه إلى المدينة ..

٤ ـ حديث : « مارفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » قال العراق حديث ضعيف ، والجواب : إن ذلك فى بعض الغناء لا فى جميعه ..

٥ ـ قول ابن مسعود : (الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رفعه بعضهم إلى النبى ﷺ وهو غير صحيح .

٦ ـ كان ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ولم ينزعهما حتى بعد عن الطريق وقال : (هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع) قال العراق حديث منكر ، والجواب : أن امتناع ابن عمر عن السماع لايدل على حرمته بل يدل على أن الأولى تركه ، والمباحات إذا أثرت فى القلب كان الأولى تركها ، كما خلع الرسول ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابن جهم ، إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه ، فهل يدل ذلك على حرمة الأعلام على الثوب ؟

وأضاف الغزالى أن اللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال فينبغى أن يكون مباحاً ، ولكن .

---

(٢٨) جـ ٨ ص ١٠٥ .

(٢٩) جـ ٢ ص ٢٤٠ وما بعدها .

لاينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، ثم قال ومن أحاط بعدم علاج القلوب ووجوب التلطف بها لسياقتها إلى علم الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه[٣٠] ..

● ● ●

ثالثاً : حكم النظر إلى التلفاز وخصوصاً المسلسلات بأنواعها :

التلفاز جهاز ناقل للصوت والصورة وهو من الأجهزة الحديثة التى اخترعها الإنسان ، فمارس صنعها وتوجيهها والإفادة منها ..

وقد عم هذا الجهاز العالم أجمع فلا تكاد تجد دولة من الدول أو قطر من الأقطار يخلو منه ، وأصبح الناس يتسابقون لاقتنائه وحيازته فى بيوتهم ونواديهم ومؤسساتهم ومكاتبهم ودور تعليمهم ، بل قد يتكرر وجود التلفاز فى المنزل الواحد لكل حجرة جهاز حسب الإمكانات .

ولا شك أن جهاز التلفاز له من الفوائد مالا يمكن إنكاره أو إهماله بالسكوت عنه ، وهو لذلك مطلوب الجماهير ، وأفراد كل أسرة حريصون على تملكه من أجل ما تحقق لديهم من مردود نافع يسمعونه ويرونه فى البرامج الثقافية والتوعية الدينية وفى مقدمتها : القرآن الكريم والآذان والأحاديث النبوية الشريفة ، غير ذلك من بث الوعى الصحى والاجتماعى والاقتصادى ، والوقوف على أخبار العالم من خلال نشرات الأخبار العالمية والمحلية ، والتعرف على حلقات من التاريخ الإسلامى وغيره من تاريخ الأمم لربط الحاضر بالماضى وإلقاء الضوء على المستقبل وما يرتجى فيه .

وبجانب ما تقدم يبث التلفاز مسلسلات وتمثيليات وبرامج مختلفة لها متنظرون يحرصون على رؤيتها والاستماع إليها ، وفيها مايفيد ، كما أن بها مايضر السذج الذين لايفقهون ماترمى إليه ، وتستهويهم الأغانى والموسيقى ومناظر الممثلين والممثلات ، وبعضهن على حال تخدش الحياء وتخالف الدين وتحرك فى قلوب الشباب والشابات شهوات منكرة تؤثر بالسلب على عواطفهم ووجدانهم وتخالف أدب الإسلام وسلوكياته وأخلاقه .

فالتلفاز ـ بهذا ـ كسلاح ذو حدين ، خيره خير ، وشره شر ، من رأى واستمع إلى مالا يتعارض مع الفضائل ولم ينشغل بذلك عن أداء الحقوق والواجبات سواء كانت دينية أو

(٣٠) ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى :
- إحياء علوم الدين للإمام الغزالى .
- مدارج السالكين لابن القيم .
- عوارف المعارف للسهروردى .
- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيثمى .
- تحريم السماع لأبى الطيب الطبرى .
- السماع لابن القيسرانى .
- الفتاوى الإسلامية المجلد العاشر ص ٣٤٥٩ .
- المواهب اللدنية للقسطلانى جـ ٢ ص ٣٥٨ .

اجتماعية ، شخصية أو أسرية ، فإن الأصل فى ذلك على الإباحة ، ومن شغل نفسه بمرائى التلفاز المتعارضة مع أصل الإيمان فقد تجاوز وأغفل ما هو مسئول عنه لصالحه أو لصالح وطنه ودينه وأسرته ، واتخذ التلفاز ملهاة مستمرة فإنه - عندئذ - ملوم ومسئول عن ضياع وقته فيما لاينفعه أو ينفع غيره ويعرض نفسه للمسئولية أمام الله - عز وجل - القائل :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
[سورة الإسراء الآية ٣٦] .

ولا جدال فى أن المسلسلات المشتملة والمتضمنة أقوالاً وأفعالاً تناقض سلوكيات الإسلام وأخلاقياته يكون الأجدر بالمسلمين إهمالها ، والالتفات عنها ، وبخاصة حين تكون الأقوال والأفعال وسيلة للمحرمات ، موقعة فى المنكرات ، ملهية عن الحقوق والواجبات ، محركة للغرائز باعثة على الشهوات والغواية والغزل والمجون والفجور والفسق .

وذلك طلباً لاكتساب الصفات التى امتدح الله بها المؤمنين فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ﴾ سورة المؤمنون

وذكرهم فقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ ﴾ سورة الإسراء

وإذا كان شأن المسلم أن يكون كيساً فطناً كان عليه أن يقبل على النافع من الأمور ، ويعرض عن اللغو قولاً وعملاً ، وأن يسعى لما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته ، وبذلك يكون موفقاً وسعيه مشكوراً .

● ● ●

رابعاً : حكم زكاة الحلى من الذهب المأخوذ للبس فقط وليس للتجارة :

اختلف أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وفقه الأئمة الأربعة فى زكاة ماتتحلى به المرأة على ماجرى به العرف من الذهب ، وبالنظر فى أقوال هؤلاء وضح أنها تؤول إلى رأيين .

الرأى الأول : وجوب زكاة الحلى المتخذ زينة للبس المرأة ، وهذا رأى جمهور الصحابة والتابعين وسفيان الثورى والأحناف إذ قالوا :

إن حلى المرأة متى بلغ نصاباً ، وحال عليه الحول يزكى ، وبلوغ النصاب يكون بالوزن لا بالقيمة والنصاب فى زماننا وزنه خمسة وثمانون جراماً من الذهب عيار (٢١) وهو مايقابل العشرين مثقالاً التى رويت فى نصاب الذهب عن رسول الله ﷺ ..

وحجة القائلين بهذا مارواه أصحاب السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن امرأة أتت النبى ﷺ ومعها بنت لها وفى يد بنتها مسكتان(٣١) غليظتان من ذهب فقال لها : أتعطين زكاة هذا قالت : لا قال : أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟ قال فخلعتهما فألقتهما إلى النبى ﷺ وقالت : هما لله ورسوله .. ولفظ الترمذى : (رأى النبى ﷺ فى أيديهما سوارين من ذهب فقال أتؤديان زكاته قالتا : لا ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أتحبان أن

(٣١) مسكتان : تثنية مسكة والمراد بها الأسورة .

بسور كما الله بسوارين من نار ، قالتا : لا . قال : فأديا زكاته ..

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنه ـ قالت كنت ألبس أوضاحاً[32] من ذهب فقلت يارسول الله أكنز هو ؟ فقال : مابلغ أن تؤدى زكاته فزكى فليس بكنز)[33] .

الرأى الثانى : عدم وجوب زكاة الحلى ، وهو رأى بعض الصحابة والتابعين وجمهور الفقهاء ودليلهم ماروى عن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان يحلى بناته وجواريه بالذهب ثم لايخرج منه الزكاة)[34] .

وعن عمرو بن دينار ـ رضى الله عنهما ـ قال سمعت رجلاً يسأل جابر بن عبد الله عن الحلى، أفيه زكاة ؟ قال : لا قال : وإن كان يبلغ ألف دينار ، قال : وإن كثر)[35] .

ومعلوم ورع ابن عمر وشدة تمسكه بالدين وعدم إخرجه الزكاة لابد أن يكون على علم به ، كما أن جواب جابر هذا لابد أن يكون عن علم .

ومن هذا حديث مالك : (أن عائشة كانت تلى بنات أخيها يتامى فى حجرها ولهن الحلى فلا تخرج عنه الزكاة) .

وللدارقطنى أن أسماء بنت الصديق كانت تحلى بناتها الذهب نحو الخمسين ألفا ولا تزكيه .

قال الخطابى الحيطة فى أداء زكاة الحلى للأحاديث الصحيحة التى استند عليها أصحاب الرأى الأول ، ولاقيمة للإيثار معها ، وقد رُد على هذا بأن الأحاديث الواردة بالوجوب كانت قبل حل الذهب للنساء أو هى من باب التزهيد فى الزينة[36] ..

وما سبق حكم الحلى المباح ، أما حلى الرجال والأوانى ففيها الزكاة باتفاق والله أعلم ..

وقد ابتنى على هذين الرأيين الخلاف بين أئمة فقهاء المذاهب الأربعة على النحو التالى :

١ ـ المذهب الحنفى : الزكاة واجبة فى الحلى سواء كان للرجال أو النساء تبرا كان أو سبيكة ، آنية كان أو غيرها ويعتبر فى زكاته الوزن لا القيمة ...

٢ ـ المذهب المالكى : الحلى المباح كالسوار للمرأة ، وقبضة السيف المعد للجهاد ، والسن ، والأنف للرجل لازكاة فيه إلا فى الأحوال الآتية :

أولاً : أن يتكسر بحيث لايرجى عوده إلى ما كان عليه إلا بسبكه مرة أخرى .

ثانياً : أن يتكسر بحيث يمكن عوده بدون السبك مرة أخرى ولكن لم ينو صاحبه إصلاحه .

ثالثاً : أن يكون معداً لنوائب الدهر وحوادثه لا للاستعمال .

رابعاً : أن يكون معداً لمن سيوجد للمالك من زوجة وبنت مثلاً .

---

(٣٢) الأوضاح جمع وضح بالتحريك وهو خلخال .

(٣٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه .

(٣٤) رواه مالك والشافعى .

(٣٥) رواه الشافعى والبيهقى .

(٣٦) هذه الأحاديث والآثار واردة فى الجزء الثانى ص ٢٣ ، ٢٤ من كتاب التاج الجامع للأصول .

خامساً : أن يكون معداً لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجها لولده .
سادساً : أن ينوى به التجارة .
ففى جميع الأحوال تجب فيه الزكاة .
وأما الحلى المحرم كالأواق والمرود والمكحلة فتجب فيه الزكاة بلا تفصيل ، والمعتبر فى زكاة الحلى الوزن لا القيمة .
٣ ـ المذهب الشافعى : لاتجب الزكاة فى الحلى المباح الذى حال عليه الحول مع مالكه العالم به ، أما إذا لم يعلم بملكه كأن يرث حلياً يبلغ نصاباً ومضى عليه الحول بدون أن يعلم الملك إليه فإنه تجب عليه زكاته ، أما الحلى المحرم كالذهب للرجل فإنه تجب فيه الزكاة ، ومثله حلى المرأة إن كان فيه إسراف كخلخال المرأة إذا بلغ مائتى مثقال ، فإنه تجب فيه الزكاة أيضاً ، كما تجب فى آنية الذهب والفضة ، وتجب الزكاة فى قلادة المرأة المأخوذة من الذهب إذا لم تكن لها عروة من ذهب أو نحاس فإن كان لها عروة منهما فلا زكاة فيها ، ويعتبر فى زكاة الحلى الوزن لا القيمة ، وإذا انكسر الحلى لم تجب زكاته إذا قصد إصلاحه ، وكان إصلاحه ممكناً بلا صياغة وإلا وجبت ..
٤ ـ المذهب الحنبلى : لازكاة فى الحلى المباح المعد للاستعمال أو الإعارة لمن يباح له استعماله ، فإن كان غير معد للاستعمال فتجب زكاته إذا بلغ النصاب من جهة الوزن ، فإذا بلغ النصاب من جهة القيمة لا الوزن لاتجب فيه الزكاة .. أما الحلى المحرم فتجب فيه الزكاة كما تجب فى آنية الذهب والفضة البالغة نصاباً ووزناً ، وإذا انكسر الحلى فإن أمكن لبسه مع الكسر فهو كالصحيح لايجب فيه الزكاة ، وإن لم يمكن فإن كان يحتاج فى إصلاحه صوغ وجبت فيه الزكاة ، وأن لم يحتج إلى صوغ ونوى إصلاحه فلا زكاة فيه[٣٧] ..
ومما سبق يعلم الجواب عن كل سؤال مع أسانيده ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

---

(٣٧) الجزء الأول من الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الزكاة ـ زكاة الذهب والفضة ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

شيخ الأزهر فى ملتقــى إسلامى بالشرقيـــة: ليس من الإســلام القتــل والإرهـــاب

صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .. شيخ الأزهر فى اللقاء الذى نظمته « لجنة الدعوة الإسلامية » بمحافظة الشرقية ، بأهمية التمسك بالقيم الرفيعة والمبادىء الأخلاقية السليمة النابعة من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقال فضيلته : إن توحيد كلمة الأمة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ضرورة حتمية ، وإن الترابط والتكاتف بين الشعوب المسلمة تتطلبه الظروف الراهنة التى تجتاح أوطان المسلمين نتيجة الفتنة وبذور الخلاف التى وضعها المغرضون بهدف إحداث الشقاق فى صفوف المسلمين وتفتيت وحدتهم .

وقال شيخ الأزهر فى لقاء إسلامى بمحافظة الشرقية إن الإسلام دين يقوم على مبدأ التعاون والتماسك لتحقيق الخير للناس كافة ، وينهى عن العدوان وارتكاب الجرائم والآثام عملاً بقول الله ـ تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الآثم والعدوان » .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن مرتكبى حوادث القتل والإرهاب ليسوا بمسلمين ، ولا يصح أن نطلق عليهم تسمية « جماعات إسلامية » أو « متطرفين إسلاميين » ، لأن الإسلام برىء من كل هذه الأفعال .. وأن هؤلاء الأشخاص ليسوا سوى دعاة فتنة وضلالة بين المسلمين .

وقال فضيلته : إن الله تعالى طالبنا بمواجهتهم فقال ـ تعالى : ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ . سورة البقرة ـ ١٩٣

إلى الملأ الأعلى مع فيض من رحمة الله وبركاته



● د. عبد الجليل شلبي
الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية

أستاذى فضيلة الدكتور عبدالجليل عبده شلبى

تنعاك - على رضا من قضاء الله - سبحانه - قطراتٌ ندَت عن كلماتك الطيبات على صفحات بيض تقاطرت تحمل تفسيرا لكتاب الله العزيز ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وفقها يهدى إلى الحق وطريق مستقيم .

حلت « مجلة الأزهر » وصحف ، و « إذاعة موجهة » كنت تسطر لها جميعا من علم الله - تعالى - فيضا من هدى ورحمة ينزل على قلوب قرائك ومستمعيك سكينة ورشاداً .

ينعاك رجال ونساء ، شيب وشباب ، حملوا همومهم ، وجاءوك بها فى « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف ، بتلك القاعة التى عرفت الفتوى خالصة لوجه الله - وحده - فألقيت عن ظهورهم - جميعا - أثقالها - وخرجوا بفتواك على هدى مستقيم مستبشرين .

وعنك استمعت الكلمة التى كانت أقوم زاد لى أثناء عملى رئيسا لتحرير هذه المجلة حين قلت : « مجلة الأزهر تعيش - الآن - عصرها الذهبى » . كم كان لهذه الكلمة من تأثير حىّ نشيط حين تمر بى لحظات من كَبَد الناس ، أو كيدهم ، فتدفعنى إلى استمرار متين .

لقد عرفتك ، وأنا أدرج طالبا بمعهد الإسكندرية الدينى فى منتصف الأربعينات وأنت أستاذ ، لك شأنك الرفيع ، وكرامتك الحقة ، تلك الكرامة التى قدرها شيخنا الجليل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مأمون الشناوى شيخ الأزهر الأسبق (رحمه الله) فكان إلى جانبك ، فظللت شامخا بكرامتك ، عظيما بتواضعك ، رمزا فذا لهذا الأزهر العتيق .

عليك رحمة الله ، فإن ذخائره - تعالى - لا تنفد ، وعطاءه غير مجذوذ رحمة عليك داخل مثواك ، وعلى ألسنة ذاكريك ، وفى الملأ الأعلى .

صلاة وسلاما وتحية ورحمة وبركة كل حين ..

د/ على أحمد الخطيب

آداب الاستئذان في «سورة النور»

للأستاذ الدكتور / حسن أيك*

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمما لمكارم الأخلاق ، وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـد :

فمن المعلوم أن سورة النور مستوعبة للكثير من الآداب الاجتماعية ، وذلك لصالح الفرد والمجتمع منها : « آداب الاستئذان » أى : آداب دخول البيوت . وما يقوم مقامها مما له حرمة الاختصاص لا العموم .

الاستئذان أدب إسلامى اجتماعى هام ، اهتم به الإسلام اهتماما بالغا ، وشرع له الآداب المنظمة والكيفية الحسنة التى يؤدى بها ، وقد حوت سورة النور عدة آداب فى هذا الأدب الرفيع قبل أربعة عشر قرنا فى حين كان الناس يعيشون فى الخيام ، مما يؤكد أهمية الاستئذان . واستمر الحال على ذلك إلى يومنا هذا غير فاقد أهميته ؛ لأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ؛ ولأنه منهاج الحياة البشرية ، وهذا المنهج لا يهدف إلا إلى إسعاد البشر ، وذلك بحفظ ما يهمهم من صيانة النفس والمال والعرض والسكن إلى غير ذلك بإرشادهم إلى الطريق الأقوم .

(*) الكاتب : أستاذ بجامعة مرمرة ـ كلية الإلهيات ـ استنبول ـ تركيا .

ونحن نتناول في بحثنا هذا ضرورة حفظ وصيانة البيوت وما في حكمها بوسيلة تسمى : « الاستئذان » حسب ما جاء في « سورة النور » .

وبتتبعنا للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في الاستئذان يتبين لنا أنه يتنوع إلى نوعين :

الأول : الاستئذان من خارج البيوت : إذا أراد إنسان الدخول سواء أكان قريبا أو غريبا .

الثاني : الاستئذان من داخل البيوت : كأن يستأذن الابن على أمه ، والزوج على زوجته ، والمماليك على سادتهم وهكذا .

ولنبدأ بالنوع الأول : الاستئذان من خارج البيوت ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

معنى الاستئذان :

الاستئذان لغة : طلب الإذن ، أى لرفع الحرج ، قال الجوهرى : ويقال : ائذن لى على الأمير ، أى : خذ لى منه إذنا[1] .

واصطلاحا : هو طلب الإذن في الدخول على غيره .

قال ابن حجر : (الاستئذان طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[2] .

آيات الاستئذان :

قال ـ عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[3]

أدّب الله ـ تعالى ـ عباده المؤمنين بالآداب الجليلة ، ودعاهم إلى التخلق بكل أدب رفيع ؛ فأمرهم بالاستئذان عند إرادة الدخول إلى بيوت الغير ، والسلام على أهل هذه البيوت ، ونهاهم عن الدخول بغير إذن كي لا تقع أعينهم على عورات الناس وإذا لم يكن في البيوت أحد أو لم يؤذن له بالدخول فعليه الرجوع دون الوقوف على الأبواب ؛ لأن في ذلك أبذاء لصاحب البيت ، أما البيوت التي ليس بها ساكن أو البيوت التي فيها أمتعة ، فلا مانع من دخولها .

وقال المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ :

أولا : أنها الخانات والبيوت المبنية للسابلة ليأووا إليها بأمتعتهم . هذا قول قتادة .

ثانيا : أنها البيوت الخربة ، هذا قول عطاء .

ثالثا : أنها بيوت مكة ، قاله : محمد بن الحنفية .

رابعا : حوانيت التجار التي بالأسواق ، قاله : ابن زيد .

خامسا : أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها . هذا قول ابن جريج[4] . ورجح هذا القول ابن جرير الطبرى[5] .

---

(1) تاج العروس : ٩ / ١٢٠ .
(2) فتح البارى : ١١ / ١ .
(3) سورة النور : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(4) انظر هذه الأقوال : زاد المسير لابن الجوزى : ٦ / ٢٩ .
(5) تفسير الطبرى : ١٨ / ١١٥ .

واختلف المفسرون فى معنى « المتاع » على ثلاثة أقوال :

أحدها : الأمتعة التى تباع وتشترى .

والثانى : إلقاء الأذى من الغائط والبول .

والثالث : الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد[6] .

فالاستئذان شرط فى البيوت المسكونة ، أما البيوت التى ليس بها ساكن فلا مانع من دخولها بغير إذن كما نفصله فى محله بتوفيق الله .

سبب النزول :

روى عن عدى بن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد ، لا والد ولا ولد ، فيأتى الأب فيدخل علىّ ، وأنه لا يزال يدخل علىّ رجل من أهلى وأنا على تلك الحال فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[7]

ولما نزلت هذه الآية قال أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ : يا رسول الله : أفرأيت الخانات والمساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن ، فأنزل الله تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾[8]

ضرورة الاستئذان وحكمة تشريعه :

إن الإنسان قد يكون فى بيته مستورا بعيدا عن الأعين يتصرف بحرية ، وقد يكون فى حالات وأوضاع لا يرغب أن يراه فيها أحد ، ولذلك كانت مشروعية الاستئذان فى إطار هذه الرغبة الفطرية ، حتى يكون اللقاء وديا لزيادة المودة والمحبة .

وإذا كان المفروض من الزيارة توثيق المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامى ، أو لقضاء مصالحهم الفردية ، أو الجماعية الدينية أو الدنيوية ، فعلينا أن نختار لها أنسب الأوقات وأحسنها إلى نفس صاحب البيت الذى نريد زيارته ، لكى تحقق الزيارة أهدافها المطلوبة والمرجوة دون إلحاق أى إزعاج أو حرج بصاحب البيت مثل : الزيارة فى الظهيرة ، أو وقت الراحة ، أو فى الليل بعد منتصفه .

أما إذا كان الدخول بغير إذن ، فإنه يؤدى إلى الإيذاء وإلى النفرة والكراهية ، ويرسب فى النفس خواطر مؤلمة ولقد كان من عادة العرب فى الجاهلية دخول بيوت الناس قائلين : « حييتم صباحا ، حييتم مساء »[9] ، وبدون استئذان من أهلها ، وتقع أنظارهم على نسائهم ـ وهن فى حالة غير جديرة بالنظر ـ وكان ذلك يؤذى أو يحرج ، ويحرم البيوت من أمنها وسكينتها ، كما أن فى دخول بيوت الغير بدون استئذان من أهلها وقوعا للتهمة ، وعلى المؤمن أن يتقى مواقع التهم .

---

(6) زاد المسير : 6 / 30 .

وقال ابن قتيبة : المتاع : المنفعة . أى يمتعكم ، ويقيكم من الحر والبرد .

تفسير غريب القرآن : 303 ، تأويل مشكل القرآن ص : 512 .

(7) أسباب النزول للواحدى : ص 186 .

تفسير الطبرى : 18 / 111 .

تفسير ابن كثير : 6 / 40 .

الدر المنثور : 5 / 38 .

(8) أسباب النزول : ص : 186 ، الدر المنثور 5 / 38 .

(9) ذكره السيوطى فى الدر : 5 / 40 ؛ وذكره الألوسى فى تفسيره : 18 / 136 ؛ والرازى فى الكبير : 23 / 197 .

قال المفسرون : إن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة : فصارت كأنها طريق للتهمة . فأوجب الله - تعالى - أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام ؛ لأن فى الدخول على هذا الوجه إيقاع للتهمة ، وفى ذلك من المضرة مالا يخفى[10] .

حكمة الاستئذان :

ويتبين لنا فى هذا البحث أن حكمة الاستئذان هى : لتنبيه أهل البيت حتى يهيئوا لاستقبال الزائر ، وحتى لا يقع نظره على عورة من عورات المسلمين ، تكون سببا فى الوقوع فى جريمة الزنا ومفاسده أو غيرها من الجرائم كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « إنما الاستئذان من النظر »[11] .

والاستئذان خير للمستأذن وأهل البيت كما قال - تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[12] .

قال الزمخشرى : « ذلكم » أى : الاستئذان والتسليم ، «وخير لكم» من تحية الجاهلية و (الدُّمُورُ) - وهو الدخول بغير إذن - واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب[13] .

يقول المودودى : « لقد كان الغرض من الأحكام المذكورة فى بدء السورة أن يتدارك ما يظهر فى المجتمع من المفاسد . وها أن الله تعالى يبدأ فى هذه الآيات سرداً لأحكام ، المقصود من ورائها الحيلولة دون نشوء المفاسد فى المجتمع أصلا واستئصال الأسباب التى تظهر لأجلها مثل هذه المفاسد . وذلك بإصلاح طرق المدنية ، والحياة الاجتماعية .

ويجب أن نكون على ذُكْرٍ من أمرين قبل دراسة هذه الأحكام :

الأول : أن بيان هذه الأحكام بعد ذكر (حادثة الإفك) على الفور يدل على أن نفوذ بهتان سافر على شخصية عالية كزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المجتمع ما كان إلا نتيجة لوجود وسط شهوانى - بين المنافقين - .

والله تعالى قد اختار أحسن طريق لتغيير هذا الوسط الشهوانى وهو : أن ينهى الناس عن دخول بعضهم بيوت بعض بغير استئناس أهلها ...»[14] .

ويقول سيد قطب فى حكمة تشريع الاستئذان :

لقد جعل الله البيوت سكنا ، يفىء إليها الناس ، فتسكن أرواحهم ، وتطمئن نفوسهم ، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ، ويلقون أعباء الحذر والحرّ المرهقة للأعصاب ، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون أمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنه ، وفى الوقت الذى يريدون ، وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا عليها الناس .

ولقد كانوا فى الجاهلية يهجمون هجوما ، فيدخل الزائر البيت ثم يقول : لقد دخلت ! وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله فى الحالة التى لا يجوز أن يراهما عليها أحد ، وكان أن يقع أن تكون

---

(10) البحر المحيط : لأبى حيان ٦ / ٤٤٥ .
التفسير الكبير : للرازى ٢٣ / ١٩٦ .
(11) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الاستئذان ، الحديث : ٥١٧٤ ، ٤ / ٣٤٤ .
(12) سورة النور : ٢٧ .
(13) تفسير الكشاف : ٣ / ٥٩ .
(14) تفسير سورة النور : ١٤٢ .

المرأة عارية أو مكشوفة العورة هي أو الرجل ، وكان ذلك يؤذي ويحرج ، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها ، كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة ، حين تقع العين على ما يثير .

من أجل هذا وذاك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي : أدب الاستئذان على البيوت ، والسلام على أهلها لإيناسهم ، وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول »[15]

إن القرآن منهاج حياة فهو ينظم الحياة كلياً وجزئياً ، فالاستئذان جزء هام من الحياة الاجتماعية ، إن الله ـ تعالى ـ قد جعل البيوت حرماً آمنا ، وليس لأحد أي حق أن يستبيح هذه الحرمات .

وعلى المسلم أن يتجنب الاطلاع على عورات البيوت وأهلها ، وهذا لا يمكن إلا باتباع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من آداب الاستئذان وكيفية الدخول للبيوت .

ولقد رعاها الذين آمنوا يوم خوطبوا بها أول مرة عند نزول آيات الاستئذان ، وبدأ بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد نجد اليوم الرجل يهجم على بيت صديقه بدون رعاية الوقت المناسب للزيارة مثل وقت الظهيرة أو في الليل بعد منتصف الليل أو في موعد الطعام . ولا يتبع آداب الاستئذان ويظل يطرق الباب مراراً ولا ينصرف أبدا ويزعج أهل البيت حتى يفتح له الباب وقد يكون ـ مع عمله ذلك ـ في البيت هاتف يمكن أن يستأذن عن طريقه .

يقول أحد العلماء : وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة ، قد تركوا العمل به ، وباب الاستئذان من ذلك ، وليس هناك أي علاج للتخلص من هذا المرض الاجتماعي إلا بالتأدب بآداب الإسلام .

كيفيـة الاستـئذان :

الأعمال المندوبة عند الاستئذان :

من عظمة الشريعة الإسلامية وضبطها للقضايا الإنسانية وإحكامها للمسائل الاجتماعية التي هي بطبيعة الحال صلات قربى ووشائج محبة بين أفراد النوع الإنساني ، ولن يتحقق هذا أو ذاك إلا بالالتزام بما جاء به خاتم المرسلين فاتباع أولئك يظلل المسلمين بظل الاحترام والصفاء والتقدير ، ويكفل لهم وحدتهم وتآخيهم ، ويؤكد ترابطهم وتعاونهم على البر والتقوى .

ومن هنا يلزمنا في هذا البحث أن نذكر أهم الأعمال المشروعة حين الاستئذان .

١ ـ استقبال الباب من أحد ركنيه :

فينبغي على المستأذن أيا كان وضع الباب الذي يقصد دخوله ، مفتوحا أو مغلقا ، مكشوفا أو مستورا ، أن يأخذ بأحد ركنيه الأيمن أو الأيسر كيلا يقع بصره من النظرة الأولى على العورات فيؤذي من غيره .

قال ابن كثير : ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره[16] ، فعن عبدالله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السلام عليكم ! السلام عليكم ! »[17] .

---

(١٥) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٥٠٧ ، ٢٥٠٨ .

(١٦) تفسير ابن كثير : ٦ / ٣٧ .

(١٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب رقم الحديث ٥١٨٦ ، ٤ / ٤٣٨ .

هذا ندب التجنب والأخذ بأحد ركنى الباب خيفة وقوع النظر على ما يؤثمه أو يحرجه فيقابل بما يسوؤه .

وهذا الأدب الإلهى ينبغى أن نلتزم به فى زماننا هذا ؛ فإن الدُّورَ ولو كانت مغلقة الأبواب ، ولها ستور ، فإن الطارق إذا استقبلها من تلقاء وجهه فإنه قد يقع نظره عند فتح الباب على ما لا يجوز ، أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه . فعن هزيل : « جاء سعد فوقف على باب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستأذن فقام على الباب ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هكذا عنك ؟ فإنما الاستئذان من النظر »[18] .

وفى هذا الحديث دلالة على ما ذكرنا من أن المستأذن لا يقف مستقبل الباب خوفا أن يفتح له الباب ، فيرى من أهل المنزل ما لا يحبون أن يراه ، بخلاف ما لو كان الباب عن يمينه أو يساره فإنه وقت فتح الباب لا يرى ما فى داخل البيت .

٢ ـ رعاية حرمات البيوت :

اهتم الإسلام بحفظ حرمات البيوت وصونها عن أن تنتهك بالأبصار ؛ لهذا تراه يحول دون وقوع جريمة الزنا بتحريم النظر إلى محارم الغير وذلك استدامة لرعايتها وحمايتها ممن لا يرون بأسا أو حرجا فى كشفها أو استطلاعها بأى أسلوب يروق لهم .

قال الله ـ تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ .[19]

لا يجوز لأحد أن يطلع على دار غيره ، أو يدخل فيها النظر ، بل ولا أن يقرأ رسالته بدون إذنه كما روى عن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار »[20] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا دخل البصر فلا إذن له »[21] أى : أن الله ـ تعالى ـ إنما أمر بالاستئذان لئلا ينظر الناس بعضهم فى بيوت بعض .

٣ ـ تعريف المستأذن بنفسه :

يجدر بالمستأذن حين يدق بيت الغير ، ويسأل : من بالباب ؟ أو من الطارق ؟ أن يصرح بما اشتهر به بين الناس من اسم أو كنية .

ويكره أن يكنى عن نفسه بما يشمله وغيره كأن يقول : « أنا » ومن المسلم به لغة أن الضمير ـ مع كونه أعرف المعارف ، إلا أنه يقال على كثيرين ، فكلمة « أنا » صالحة لكل متكلم . لهذا كره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الذى أجابه بالتكنية عن نفسه بضمير المتكلم « أنا » .

وعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال : أتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دين كان على أبى فدققت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال : « أنا أنا » كأنه كرهها .[22] .

---

(١٨) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الاستئذان ، الحديث ٥١٧٤ ، ٤ / ٣٤٤ .

(١٩) النور : ٣٠ .

(٢٠) سنن أبى داود ، كتاب الوتر ، باب النظر فى الدور ، رقم الحديث : ١٠٨٩ ، ٢ / ٥٢٣ .

(٢١) الأدب المفرد : ٢ / ٥٢٣ .

(٢٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب إذا قيل : من ذا فقال : أنا ، ٨ / ٦٨ ؛ صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب كراهة قول المستأذن : أنا إذا قيل : من هذا؟ : ك٣٨ ، باب ٨ ، ح : ٢١٥٥ ، ٣ / ١٦٩٧ .

وذكر الخطيب ـ في جامعه ـ عن علي بن عاصم الواسطي قال : قدمت البصرة فأتيت منزل شعبة ، فدققت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أنا ، فقال : يا هذا : ما لي صديق يقال له أنا »[23] .

وذكر عن عمر بن شبة ، حدثنا محمد بن سلام عن أبيه قال : « دققت الباب على عمر بن عبيد فقال لي : من هذا ؟ فقلت : أنا ، قال : لا يعلم الغيب إلا الله[24] .

إذن فالطريق الصحيح للاستئذان أن يصرح المستأذن باسمه أو كنيته المشهورة كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . روى أبو داود في سننه أنه إذا أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليكم ، أيدخل عمر ؟ »[25] .

٤ ـ عدد مرات الاستئذان : (الاستئذان ثلاث) :

لم يترك الإسلام شأن الاستئذان مغفلا في عدده ؛ بل حدد له مرات ثلاث ، فإذا استنفدها المستأذن ، فلم يؤذن له لزمه الرجوع ، أما إذا أذن له فقد حق له الدخول كما قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله : « وهذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان ، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا حتى يستأنسوا أي : يستأذنوا قبل الدخول ، ويسلموا بعده ، وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له ، وإلا انصرف . »[26] .

وهذا العدد يؤكد فعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أنس ـ رضي الله عنه : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا سلم سلم ثلاثا ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا »[27] .

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم ثلاثا ، فلم يؤذن له فليرجع »[28] .

وحكمة ذلك : أن المرة الأولى ربما يكون المانع فيها انشغال أهل البيت ، أو من فيه بمهام حياته ، وأما المرة الثانية ربما يكون هناك من الأمور التي تلهي الإنسان وتصم آذانه ، وأما المرة الثالثة ، إذا لم يؤذن فيها فلعل المستأذن ممن لا يسمح له ولا يرتضيه من في البيت نزيلا أو ضيفا ، فقد روى عن قتادة ـ في قوله ـ تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾

قال : « هو الاستئذان ، والاستئذان ثلاث ، فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع . أما الأولى : فيسمع الحي ، وأما الثانية : فيأخذوا حذرهم ، وأما الثالثة : فإن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردوه »[29] .

وقال الإمام الرازي ـ في حكمة الاستئذان ثلاثا : « واعلم أن هذا من محاسن الآداب ، لأن في أول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الإذن ، وفي المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضي المنع ،

---

(٢٣) انظر تفسير ابن كثير ٦ / ٣٨ .

(٢٤) تفسير القرطبي ٦ / ٤٦٠٩ .

(٢٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الرجل يفارق الرجل ، رقم الحديث : ٥٢٠١ ، ٤ / ٣٥١ .

(٢٦) تفسير ابن كثير ٦ / ٣٦ .

(٢٧) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاث ، ٨ / ٦٧ .

(٢٨) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاث ، ٨ / ٦٧ ؛ وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب الاستئذان ، ٣ / ١٦٩٤ .

(٢٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور ، ٥ / ٣٩ .

فإذا لم يجب فى الثالثة يستدل بعدم الإذن . ولذلك يجب فى الاستئذان ثلاثا أن لا يكون متصلا ، بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت »[30] .

وقال أبو حيان : « أنه لا يزيد على ثلاث ، إلا أن يتحقق أن من فى البيت لم يسمع »[31] .

وهذا الذى صرح به أبوحيان ، قد يخالف فى ظاهره ، النصوص الواردة فى تحديد المرات كما أسلفت ، إلا أنه من حيث مضمونه حيث يترتب تحصيل منفعة أو دفع مضرة يحمل إليه فيه نصيحة أو تحذير فهو من القبول بمكان إذ ربما يكون أهل البيت فى شغل شاغل ألهاهم عن طارق أتاهم بأمر هام أو بلاغ لزمه ، وهذا البلاغ متعين عليه إبلاغه إليهم ، وحينئذ يجوز له الزيادة على الثلاث .

وبعد : فالسنة المطهرة شرعت المرات الثلاث بالنصوص ــ التى سبق أن عرضت لها . **كما وأنه بعد انتهاء المرات الثلاث يحسن الرجوع كما فعل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين لم يسمع كلام سعد**[32] وهــذا لون من الآداب الإسلامية الرفيعة التى من شأنها حماية المستأذن والمستأذن عليه مما ينتقص من كليهما أو أحدهما . وسترا للعورات ، واحتراما للحقوق ، وحفظا للناس بالغيب ، توثيقا للصلات ، وتأكيدا للمودات ، ورعاية للحرمات .

٥ ــ الرجوع عند عدم الإذن :

لا يجوز أن يلح الزائر فى الاستئذان ، أو يلتزم باب الدار إن لم يجد الإذن من صاحبها ، بل عليه أن يستأذن ثلاثا ، فإن لم يؤذن له فعليه الرجوع .

فربما كان فى البيت صاحبه ولم يرد عليه ، أو لم يأذن له أو لم يكن فيها أحد ، وعلى الحالين لا يجوز للزائر أن يدخل ولا أن ينتظر ، ولا يجوز لأحد أن يدخل إلى بيت لا يوجد فيه صاحبه ولو كان الباب مفتوحا كما أشار إليه الإمام القرطبى قائلا : « سواء كان الباب مغلقا أو مفتوحا ؛ لأن الشرع قد أغلقه بالتحريم بالدخول حتى يفتحه الإذن من ربه »[33] .

وقال ابن العربى فى هذا الصدد : « هذا تبيان من الله لإشكال يلوح فى الخاطر ، وهو أن يأتى الرجل إلى منزل لا يجد فيه أحدا فيقول فى نفسه : إذا كانت المنازل خالية فلا إذن ؛ لأنه ليس هنالك محجب . فيقال له : إن الإذن يفيد معنيين : أحدهما : الدخول على أهل البيت ، والثانى : كشف البيت واطلاعه ، فإن لم يكن هنالك أحد محتجا فالبيت محجوب لما فيه وبما فيه إلا بإذن من ربه »[34] . وهذا مصداق قوله ــ تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[35] .

أى : ارجعوا دون أن تجدوا فى أنفسكم غضاضة ، ودون أن تستشعروا من أهل البيت إساءة لكم أو نفرة منكم .

قال قتادة : « قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها ، أن أستأذن على بعض إخوانى فيقول لى : ارجع ! أرجع وأنا مغتبط لقوله ــ تعالى :

---

(٣٠) التفسير الكبير للرازى ، ٢٣ / ١٩٨ .
(٣١) البحر المحيط ، ٦ / ٤٤٦ .
(٣٢) مسند أحمد ، ٣ / ١٣٨ .
(٣٣) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦١٢ .
(٣٤) أحكام القرآن : ٣ / ١٣٦٢ .
(٣٥) النور : ٢٨ .

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾(٣٦)

فإن من حق كل إنسان إذا كان لا يريد مقابلة أحد أن يأبى مقابلته أو يعتذر إليه إن كان مشتغلا بأمر يمنعه من الفراغ لمقابلته . ونفهم من قوله تعالى : ﴿ فَٱرْجِعُواْ ﴾ أنه لا يجوز لأحد أن يقف على باب غيره إذا لم يؤذن له بدخوله بيته ؛ بل عليه أن ينصرف ، وليس من حقه أن يكرهه على المقابلة ، أو يزعجه بالوقوف على بابه ؛ لأن رب البيت قد يتأذى بوقوف غيره على بابه .

قال الزمخشرى : « فإذا نهى الزائر عن الإلحاح لأنه يؤدى إلى الكراهية وجب الانتهاء من كل ما يؤدى إليه من قرع الباب بعنف ، والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من الناس . »(٣٧) .

وإنما الأدب فى صفة الدق أو ضرب الجرس أن يكون خفيفا قليلا بالقدر الكافى فى الإعلام . وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٣٨)

تأويل هذا الأدب العالى الذى يطهر نفوسنا مما فيها من روثات الجاهلية ليتطهروا ، ويحفظ للبيوت حرمتها ، ويجنب أهلها من الحرج الذى كثيرا ما يقعون فيه بسبب عدم التزام كثير من الناس فى أيامنا هذه بآداب الزيارة والاستئذان .

قال الزمخشرى : « وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك »(٣٩) .

فلو عرضنا أخلاقنا الاجتماعية على هذا الميزان لمالت الكفة ولعلمنا علم اليقين كم أوغلنا فى تقاليد الجاهلية ، فكثيرا ما يزورك زائر ثقيل الدم فى أحرج الأوقات ، فيضع يده على جرس المنزل ولا يرفعها حتى تصل أنت بنفسك ، وتفتح له الباب فيقابلك بضحكة عريضة لا تدل إلا على سوء الأدب ، وهو بهذا لا يزعجك وحدك بل يزعج أهل الدار ؛ فإذا دخل أطال الزيارة وعطل عليك عملا كنت قد حبست نفسك لأجله ، أو موعد زيارة كنت تنوى الخروج من أجله أو ..... إلخ .

ومن هنا يأتى الشرع الحكيم فيضع الحرج عن صاحب الدار الذى لا يريد مقابلة أحد ، أو لا يستطيع أن يقول للزائر بصريح العبارة : « ارجع ! » ولكن على الزائر أن يتقى الله ربه ، وأن ينصرف فى الحال دون أن يجد فى نفسه غضاضة ، أو يستشعر من أهل البيت إساءة أو نفرة منهم ودون أن يعاتبهم ، أو يقطع صلاته بهم ؛ لأن الرجوع أزكى له « وكان بعض أهل العلم يتمنى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا له : ارجع ! ارجع ، فيحصل له فضل الرجوع المذكور فى قوله ـ تعالى : ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ . لأن ما قال الله أنه أزكى لنا . لا شك أن لنا فيه خيرا وأجرا . »(٤٠) .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(٣٦) تفسير الطبرى : ٨ / ١١٣ .

(٣٧) تفسير الكشاف : ٣ / ٦٠ .

(٣٨) الحجرات : ٤ .

(٣٩) الكشاف : ٣ / ٥٩ .

(٤٠) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : ٦ / ١٨٠ .



التجويد بين العامة والخاصة

لفضيلة الشيخ / عبدالعظيم الخياط *

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .... وبعد

فيظن كثير من عامة الناس (ومعهم بعض المثقفين ثقافة غربية حديثة النائين بأنفسهم عن الثقافة الإسلامية وهم أحوج ما يكون إليها . يظن هؤلاء جميعاً) أن المقصود بتجويد القرآن الكريم هو الترنم به وتوقيعه على أصول الألحان من غير نظر إلى أحكام تلاوته التي أخذت من صفة قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي رويت عنه بالسند الصحيح والطريق المتواتر ، ولا شك أن هذا ظن خاطىء لمفهوم التجويد ناشىء عن أمرين كلاهما بعيد عما يجب أن تكون عليه تلاوة القرآن الكريم .

أولهما : عدم العلم بسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته الصحيحة . ومنها صفة قراءته للقرآن الكريم التي نقلها عنه صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وقرءوا بها وأقرءوا التابعين بها كما سمعوها من فيه الشريف ، وقرأ بها التابعون ، وأقرءوا بها من بعدهم كما سمعوها من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهكذا قرىء بها وأقرأ بها جيل بعد جيل حتى وصلت إلينا مجودة محكمة محفوظة من التحريف والتغيير كحفظ القرآن الكريم نفسه .

ثانيهما : عدم العلم باللغة العربية الفصحى ؛ لأن التجويد معناه في اللغة : التحسين ، يقال : جود الشيء إذا حسنه وأتى به على أكمل ما يكون من الجودة والحسن .

وليست قراءة القرآن الكريم بالنغمات الغنائية ـ المجردة من أحكام التلاوة الصحيحة أو الخارجة عنها ـ ليست مثل هذه القراءة تحسيناً للقرآن الكريم ، بل هي على العكس من ذلك : مسخ وتشويه له وذهاب بقدسيته وجلاله ، ونزول به من أعلى منازل الرفعة والإجلال إلى مستوى الغناء والألحان التي تلهي عن ذكر الله تعالى ـ وعن الصلاة ، وتبعث في النفس نوازع النزوات والشهوات .. التي من شأنها أن تقسي القلب فلا ينتفع بنور القرآن الكريم ولا يتدبر في أحكامه ولا

* شيخ مقرأة سيدي أحمد الدرديري .

يتعظ بعظاته ، وبالجملة فهي تبعد الإنسان عن ساحة الرحمن وتجعله مرتعا خصبا لوساوس الشيطان وحاشا للقرآن الكريم - المتعبد بتلاوته ، والذى أنزله الله نورا ورحمة وهداية للعالمين - أن تكون قراءته داعية لمثل ذلك اللهو واللعب والمجون .

إن الصوت الحسن نعمة جليلة من نعم الله لا ينكرها إلا جاحد فإذا استعملها صاحبها فيما خلقت له مما يرضى الله ورسوله فقد أدى شكرها ، واستحق رضى الله - تعالى - والفوز بسعادتى الدنيا والآخرة .

ومن أهم استعمالها فى ذلك قراءة القرآن على الوجه الصحيح الذى يحفظ للقرآن الكريم جلاله ، ويدعو السامع إلى الإنصات والتدبر والتأثر بالقرآن الكريم والانتفاع به .

نعم ، إذا كان حسن الصوت والترنم بالقرآن الكريم محاطا إحاطة تامة بأحكام التلاوة الصحيحة لا يخرج عنها فى قليل أو كثير ولا ينحدر بها إلى حركات تلحينية ماجنة لا تتفق وجلال القرآن الكريم وقدسيته وتخرج بالقارىء عن مراعاة الأدب والخشوع .

أقول : نعم إذا كانت القراءة بالصوت الحسن بهذه الصفة المذكورة فنعمت القراءة إذن ، ونعم القارىء بها ، ونعم السامع لها . فالكل متأدب وصفهم الله بقوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الأنفال

وقد ثبت فى السنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ حث على قراءة القرآن الكريم بالصوت الحسن . فقد ورد فى سنن النسائى وأبى داود عن البراء أن رسول الله ﷺ قال (زينوا القرآن بأصواتكم) وقد علمت مما سبق كيف يكون تزيين القرآن وتحسينه ، كذلك ورد فى سنن أبى داود - أيضا - أن رسول الله ﷺ استمع إلى أبى موسى الأشعرى - وهو يقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت ، ولا يعلم أن النبى يستمع إليه - فلما أبلغه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بذلك وقال له : (لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود) قال - رضى الله عنه : (لو أعلم أنك تستمع إلى قراءتى لحبرتها لك تحبيرا) أى لبالغت فى تزيينها وتحسينها . وسكت الرسول ﷺ فكان ذلك دليلا على إقراره .

أما إذا كان صاحب الصوت الحسن الذى يقرأ به القرآن الكريم لا يتقيد بأحكام التلاوة الصحيحة ولا يخشع قلبه لذكر الله ولا يتدبر فى معانى القرآن الكريم وكل همه هو الإعجاب بنفسه وإظهار مقدرته الفنية فى الألحان وإرضاء نفسه وهواه وسامعيه ممن لا يهتمون مثله إلا بالاستماع إلى الصوت الحسن والموسيقى أقول : إذا كان هذا القارىء كذلك فهو - والمعجبون به - من المغضوب عليهم الذين حذرنا رسول الله ﷺ من أن نقرأ بقراءتهم ونلحن القرآن ، فقال فى حديثه الشريف (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق ، ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) نوادر الأصول عن حذيفة وأبى داود .

ومثل هؤلاء القراء الذين لم يستعملوا نعمة الله

من حسن الصوت فيما خلقت من أجله ، وفيما يرضى الله — تعالى — بل قابلوا النعمة بالجحود ، ومحاربة المنعم . أقول : مثل هؤلاء معرضون فى الدنيا لسلب هذه النعمة وغيرها ، وأمرهم فى الآخرة موكول إلى ربهم : إن شاء عذبهم ، وإن شاء عفا عنهم نعوذ بالله — تعالى — ونبرأ إليه من كل شر .

هذا هو مفهوم التجويد عند العامة ومن يوافقهم وقد علمت خطأ هذا المفهوم وما يترتب عليه من فتنة وفساد كبير .

أما مفهومه عند الخاصة — وأقصد بهم العلماء الذين درسوا الشريعة الإسلامية ، وأحاطوا بالسنة الشريفة ، وعرفوا للقرآن الكريم قدره وفهموا قول الله — تعالى — : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) ﴾ سورة البقرة .

وعرفوا كذلك صفة قراءة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما رويت عنه بالسند الصحيح ، والطريق المتواتر . أقول : إن مفهوم التجويد عند هؤلاء يختلف اختلافا جذريا عن مفهومه عند سابقيهم . إذ هو عندهم المبالغة فى تحسين لفظ القرآن الكريم لفظا عربيا غير ذى عوج وإيصاله إلى السامع بطريقة تقرع سمعه ، وتنبه عقله ، وتؤثر فى قلبه ، وتصفى روحه ، وتزكى نفسه فيقبل على الله بقلب خاشع ، ونفس مطمئنة وروح صافية شفافة وعند ذلك يزداد إيمانا إلى إيمانه ، ويسعد بنعيم الله ورضوانه . هذه هى الطريقة المثلى لقراءة القرآن الكريم : إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه من الصفات الثابتة له كالاستعلاء والاستفال ، وإعطاؤه مستحقه من الصفات الناشئة عن هذه الصفات الثابتة كتفخيم المستعلى ، وترقيق المستفل ، وغنُّ ما يجب غنُّه ، ومد ما يجب مده ، وقصر ما يجب قصره وإظهار ما يجب إظهاره ، وإدغام ما يجب إدغامه ، وإخفاء ما يجب إخفاؤه .. إلى غير ذلك من أحكام التلاوة الصحيحة المدونة فى كتب التجويد والقراءات ، والمنتشرة فى جميع أقطار البلاد الإسلامية . ولابد من أن يصحب هذه الصناعة اللفظية للقراءة بالنسبة للقارىء نفسه قلب خاشع متأثر بالقرآن الكريم حتى تكون فى قراءته (مغناطيسية روحية) تنتقل منه إلى السامع فتجذبه جذبا قويا إلى القرآن الكريم ، وتفعل فيه فعل النور فى الظلام . فلا ينتقل من مكانه إلا وقد هداه الله — سبحانه — بعد الضلال إن كان ممن أغواهم الشيطان وأبعدهم عن ساحة الرحمن ، أو ازداد إيمانه إيمانا إن كان ممن هداهم الله ، وأسبغ عليهم من نعمته وتوفيقه ورضوانه .

هذا هو مفهوم التجويد للقرآن الكريم عند الخاصة وهو المفهوم الذى يتفق مع قراءة رسول الله ﷺ الثابتة عنه بالسند الصحيح والطريق المتواتر كما ذكرت سابقا . وهو كذلك المفهوم الذى يتفق مع المعنى اللغوى العربى للتجويد .

أما مفهومه عند العامة ومن يوافقهم فهو مفهوم خاطىء لا تقره سنة صحيحة ، ولا يسنده معنى لغوى عربى .

ولعلى فى هذه العجالة أكون قد أوضحت أمرا هاما كان يفهمه كثير من الناس على غير وجهه الصحيح ، وأسأل الله العلى القدير أن يجعلنا ممن يتلون كتابه حق تلاوته . وممن إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . هذا وبالله التوفيق .

قبس من أنوار النبوة

ظلم النفس أو الغير .. ظلمات

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضادّ الله ـ عز وجل ـ ومن خاصم فى الباطل ـ وهو يعلم ـ لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال .. » .

رواه أحمد وأبو داود .

المفردات :

حالت : منعت ـ الشفاعة : التوسل والوساطة فى الخير ، وهى هنا فى الشر ـ حد : عقوبة واجبة ـ ضاد الله : عاداه ـ ينزع : يترك ـ الردغة : الوحل الكثير ـ الخبال : صديد أهل النار ـ يخرج مما قال : يتخلص منه .

البيـــان :

إن الإسلام الذى ارتضاه الله ـ سبحانه ـ دينا لعباده يهدى للتى هى أقوم ، ويعمل على تحقيق الخير والاستقرار فى حياة المجتمع ، ويحرص كل الحرص على تصحيح خط سير الإنسان فى هذه الحياة ليجعلها حياة مثمرة ، آمنة مستقرة ، ويقف بالمرصاد لانحراف الناس عن هذه القاعدة ، واندفاعهم وراء شهواتهم وأغراضهم ، وما يجره ذلك على الفرد والمجتمع من اختلال الأعمال وضياع المصالح والأوقات .

بل نجد فى تعاليم هذا الدين الدعوة الصريحة إلى تحقيق مجتمع الحق والعدل والكفاءة فى كل ما يقررون أو يعملون . ليطمئن النــاس على حقوقهم ، وينصرفوا إلى أعمالهم ، ويستريحوا من كثرة الشفاعات والوساطات التى تنافى

العدل ، وتصد العقاب عن الجانى حتى تتحقق سيادة العدل ، وقد علمنا ذلك أمراً واقعاً فى حادثة أيام الرسول ﷺ وتركت لنا إنذارا وتوجيها وقدوة نحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيها جميعا : فقد سرقت امرأة تنتسب إلى إحدى القبائل العريقة ، فتجمَّع كبار رجالها ، يفكرون فى مصيرها حين يطبق الرسول - ﷺ - أمر الله عليها ، وما يلحقهم من عار . وهداهم تفكيرهم - وهم يبحثون عن وسيط يشفع لها عند رسول الله ، كى يعفيها من قانون الله - إلى شاب حبيب إلى الرسول - ﷺ - وهو أسامة بن زيد ابن حارثة حب رسول الله وابن حب رسول الله - ﷺ - وذهب أسامة بحسن نية يشفع عند الرسول عليه الصلاة والسلام ، فغضب الرسول غضبا شديدا وقال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » ثم يأتى بعد هذا الإنذار الحاسم لإقامة الحق والعدل حيث يقول الرسول ﷺ : « والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . قول فصل لا يترك مجالا لأحد أن يفتح فمه بشفاعة فيها تعطيل لقانون الله - تعالى - ، إذ معنى تعطيله إزهاق الحق وتأكيد للظلم ، وفى ذلك ما يصيب المجتمع بالتفكك ويشيع اليأس والإحباط .

من أجل هذا كان التشفيع الذى يحمى المجرم عدواً لله فى ملكه .

كذلك من صور الظلم ما يتمثل فى الاعتداء على حقوق العباد والمخاصمة بالباطل لسلبهم ما يملكون .

إن من يخاصم فى باطل عامدا مع علمه بأنه باطل يستحق غضب الله حتى يترك ما هو فيه ، لأن المجتمع الذى لا يطمئن فيه الإنسان على حقه ، ولا يسود فيه الأمن ولا تنتشر فيه الثقة يتفكك وتنتشر فيه الريبة والفشل . وفوق هذا غضب الله تعالى وسخطه - نعوذ بالله .

ثم تأتى قضية ثالثة فى حديث الباب وهى تتمثل فى تلويث الشرف وتجريح الأعراض ، وتشويه سيرة الناس بالباطل . ومن كان كذلك استحق غضب الله الذى ينزله الدرك الأسفل من النار حيث صديد جهنم يلوثه ، كما كان يلوث شرف المؤمنين بالباطل وفى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هذا هو الإسلام فى تعاليمه لإقامة الحق والعدل ، وحفظ الحقوق وصيانة الأعراض ، والحفاظ على مكارم الأخلاق . حتى تسود المحبة والمودة بين المسلمين .

إن من يشفع فى حد أو يخاصم فى باطل أو يقول فى مؤمن ما ليس فيه ظالم لنفسه بتعريضها لغضب الله ، وظالم لغيره بضياع حقه ، وظالم للمجتمع بتعريضه للضياع والتفكك والانحلال ، ونشر العداوة والتفرق والبغضاء .

وصدق رسول الله ﷺ : حيث يقول - فيما رواه الطبرانى فى الأوسط - عن أبى هريرة قال:قال رسول الله - ﷺ « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه ، ومن أعان على خصومة لا يعلم أحق أو باطل فهو فى سخط الله حتى ينزع ، ومن مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو كشاهد زور ، ومن يحكم كاذبا كلف أن يعقد بين طرفى شعرة ، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر . هدانا الله سواء السبيل .



لفضيلة الشيخ / مصطفى الشيخ*

الصحبة والرفقة : معاشرة وخلطة وامتزاج ، وهى ضرورة من ضرورات الإنسان ، ولازمة من لوازم إنسانيته ، بها ينتظم فى سلك أفراد نوعه انتظاماً جِبِلّياً يرتكز على فطرته ، ويقوم على ماطُبع عليه ، وماركِّب فيه ، وما قُدِّر له . قال ـ تعالى ـ فى سورة الحجرات :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾

والإنسان ـ فرداً ـ لايستطيع الحياة ـ منعزلاً ـ ، بل لابد لبقائه واستمرار حياته من الاجتماع بأفراد نوعه ؛ يتعلّم منهم ويعلمهم ، يخدمونه ويخدمهم ، يأنسون به ويأنس بهم .

الناس للناس من بدوٍ وحاضرة
بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا ـ خدم

والإنسان مجبول بطبعه على طلب الرفيق والصاحب ؛ تدفعه إليه حاجته من جميع أقطارها : النفسية والعقلية والقلبية ، والعضوية المادية ، يطلبه ويُلحُّ فى طلبه مضطراً ؛ لتحصيل أموره وتوفير شئونه يقضيها ، أو يفكر معه فيها ، يشاوره فيما يُهِمّ وفيما يُلِمّ ، والصديق ينعطف إلى الصديق ؛ يأتمنه على السِّرّ ، ويطلب منه الرأى ويفاوضه فيه ، ويشكو إليه حاله ، ويجد عنده عزاءه وسلوانه ، كما يجد عنده هناءه وبشره ، ويسترشد به دليلاً إلى أقرب السبل وأيسرها

(*) مفتش العلوم العربية بالأزهر

وصولاً إلى غاية أو إفضاء إلى نهاية تجلب خيراً أو تدفع ضراً .

والمرء يطلب في الصديق أصولاً من الأخلاق سداها الحب ولحمتها الود يطلب فيه المكارم من الشيم ، وهي مجامع الإحسان وجوامع الاطمئنان والأمان ، يطلب الصدق والوفاء والشهامة والنبل والنجدة والأمانة ، والبصر بالأمور ورؤية عواقبها .

وإذا حصل المرء على مطلوبه ـ خلقاً وسلوكاً ـ في رفيقه وصديقه فقد خفّ حمله ، وهانت عليه أموره ، وانكشفت وحشته ، وذهب خوفه ، واطمأنت نفسه : يقوى بعد ضعف ، ويعلم بعد جهل ، ويُقدم بعد إحجام ، ويقبل ـ مستأنفاً حياته ـ راضياً غير ساخط ، مستيقناً غير متردد ولا شاك .

وقد عرفت الحياة العربية قيمة الرفيق ومنزلة الصديق ؛ فوجّهت النظر إلى انتخابه ، وجاءت حكمتهم : « الرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار » وارتضته كريماً لايترع إلى دناءة شريفاً لا يُلمّ بصغار ، ولا يتعاطى من الطباع إلا ما هو كريم شريف ـ عرفت ذلك فرفعت لواء النجدة والشهامة والكرم واستجابت الصريخ للصريخ ، وهتفت في كل ناد بالمروءة والإحسان ، ورفيع الأخلاق ، وذمت وأنكرت النكوص عما يجلب العز ويحصّل الهيبة والوقار ، وانطبعت علائق الأفراد في القبيلة ، والقبيلة مع القبائل على إعلاء الشرف والكرامة دربا مسلوكاً وناموساً متبعاً متواضعاً عليه من الجميع تتغنى به النوادي وتقضى به الحكومات فصلاً في الأقضية ودعوة إلى الحق ، ونشراً للفضيلة وإقراراً للأمان .

كان ذلك في الحياة العربية ـ قبل الإسلام ـ قانوناً ونظاماً وعرفاً مألوفاً يعصم من التفكك ويصون من الضياع والتبدد ، وأصلاً تنهض به مظاهر الهيبة وعلائم التقدير ، من تخلف عنها فقد حكم على نفسه بالنبذ والطرد والهوان ، ورضي لها زوايا النسيان .

وبزغت شمس الإسلام في البيئة العربية ترسل أشعتها على الأخلاق الطيبة الكريمة تؤكد حسنها وتدعو إلى التحلي بها موضحة وكاشفة ثمارها ونفعها في الدنيا والآخرة ، تربط بينها وبين الإيمان .

فليس مؤمناً من بات شبعان وجاره جائع .

وليس مؤمناً من استبقى الحياة ـ جبناً ـ فتولى يوم الزحف .

وليس مؤمناً من لم ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً .

وليس مؤمناً من ظلم الغير أو ضيّع الحق .

وليس مؤمناً من خان أمانة أو غدر في عهد ؛ إذ ليس من الإيمان الإفساد في الأرض .

وصارت الأخلاق العربية الكريمة ـ بالإسلام ـ ديناً يثاب المسلم عليه ، ويُسأل أمام الله ـ تعالى ـ عنه .

وكما ارتبطت المكارم بالإيمان فقد ارتبطت كذلك بالعبادة .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

[سورة فاطر الآية ١٠]

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[سورة العنكبوت الآية ٤٥]

وجميع العبادات من شهادة العبد لله بالتوحيد ولمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة ومن صلاة وزكاة وصيام وحج لا تلقى القبول عند الله ـ تعالى ـ إلا إذا طهرت العابدين وأدوها ـ وهم طاهرون من الآفات القلبية والرذائل الخلقية جاء ذلك في الكثير من الآيات القرآنية والسنة النبوية .

ومكارم الأخلاق عند المسلمين من مظاهر الثمرات الطيبة للعبادة المخلصة لله رب العالمين .

وارتبط الأمن في المجتمع الإسلامي بالمكارم ؛ فلا ينتشر الأمن ولا يستقر السلام إلا حيث يكون العدل والنصفة والإيثار والعفاف والعفو والصفح ، وإلا إذا وضع كل شيء في موضعه بحكمة ، ولا اطمئنان ، ولا استقرار إلا إذا ضُرِبَتْ أيدى المفسدين ، وضُيِّقت الأرض بمنافذها ومسالكها على المجرمين ، وإلا إذا أخذ بخناق الماكرين من العابثين .

وفي جو التقوى لله ـ تعالى ـ والخوف منه تظهر بركات المكارم في المعاملات فلا غش ولا خداع ولا تلبيس ولا تدليس ؛ لأن الله ـ تعالى ـ مطلع وهو الرقيب ، وهنا يطمئن الناس ويسعدون وتهون المتاعب وتسهل المصاعب ، وييسر الله كل عسير ، ويقوّم كل معوج ، ويلين كل عصى ، ويطوّع كل أبيّ ، وتنهض الحياة وتعمر الأرض ببركات الله في دائرة الحب فيه ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

سورة آل عمران

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « ألا أخبركم بخيركم من شركم ؟ : خيركم من يُرْجَى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يُرجى خيره ولا يُؤْمَنُ شره »[1] .

والأحاسنُ من الناس أخلاقاً الموطئون أكنافاً الخافضون أجنحتهم من الذل رحمة وشفقة وتواضعاً ؛ كبراء عند الله ـ تعالى ـ وأحبهم إلى رسوله محمد ﷺ وأقربهم منه مجالس يوم القيامة مرضياً عنهم ومنعماً عليهم .

لقد اهتم الإسلام بأخلاق وآداب الصحبة ، وأولاها العناية البالغة من حيث التأثير والتأثر ، ومن حيث النتائج والثمرات ، وأقامها على دعائم الإيمان ثابتة باقية ؛ لأنها من أعمال الجنة في الآخرة وجعل عناصرها وأفرادها دائرة في فلك الحب في الله ـ تعالى ـ وحب رسوله محمد ﷺ بطاعة الله فيما بلَّغ عنه رسوله مع الامتثال لأمر الله ونهيه فيما يتعلق بها ، وجعل الإحسان وهو : البِرُّ البالغ والرحمة العامة ـ مطلوباً للشرع ومقصوداً للدين يتمكن به الود ـ ويثبت به الحب بين المسلمين ـ جعله دائراً مع الحياة في كل نواحيها وجوانبها ودائراً مع العلاقات الإنسانية العامة والخاصة ، ونفّر من الإصابة بالميل إلى الهوى واتباع الشهوات ـ نفّر من الخيلاء والعُجب والكبر والآفات الخلقية من حسد وحقد وبخل وطمع وعدوان وغير ذلك من بضاعات الشيطان

(١) رواه أحمد في مسنده والترمذى وابن حبان وهو حديث حسن .

الرخيصة ووسائله الخسيسة يروّجها ويضل بها الناس عن طريق الهدى والحق ، ويخرجهم بها من النور إلى الظلمات يفسد ذات بينهم فيلوث الصحبة ويهتك اللحمة فيحصل النفار ، ويجرى فى الناس الخراب والبوار .

قال تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) ﴾

سورة النساء

وقال ـ سبحانه :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾

سورة الإسراء

وقال فى سورة فاطر الآية (٦) :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

فلينظر الناظر فى هذه الآيات وأمثالها من كتاب الله ـ تعالى ، ليكون على بصيرة ، فقد أمر الله ـ تعالى ـ العباد أمراً مؤكداً بالإحسان ـ على إطلاق وشمول ـ بعد أمره بعبادته وحده لاشريك له ، أمرهم بالإحسان لمن وجبت نفقته ولمن لم تجب ، فمن لزمت نفقته وجب بره بالإحسان إليه وعدم المنّ عليه وتجنب إيذائه ، ومن لم تلزم نفقته حسُنَ برُّه كذلك بالإحسان إليه بخفض الجناح والتواضع له ومواساته وإيناسه :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾

سورة البقرة

ونبه ـ سبحانه وتعالى ـ إلى السبب فى فساد الفطر مع تنبيه إلى سخطه وبغضه ـ تعالى ـ لمن تلبس به وتخلق بقوله :

﴿ إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً ﴾

ليعلم أن الإحسان مفتاحه كمال الإيمان مع التواضع والانكسار ، وأن الأذى والإساءة فى معيّة الاختيال والافتخار والسبب : عفونة الطبع وارتكاس الجبلّة ، والمختال المفاخر حريص على استبقاء خيلائه وفخره ؛ لأنه شيطان فى النفس يستبقى عناصر وجوده فيها ـ يحرص على المال يشح به عن المروءات وتبسط به فيما يكون فيه الظهور والخيلاء ، إنه لا يعرف الطريق إلى وصل الأرحام ولا الرحمة بالأيتام ولا يُغيث ملهوفاً ولا يعين بائساً ولايرحم فقيراً ـ لا خير فيه ولا مروءة عنده تحجّر قلبه وماتت إنسانيته وتخاذلت همته وامتطاه الشيطان ، فسقطت عند الله وعند الخلق كرامته وهيبته ، يكتم فضل الله ونعمته ويعيش أسير هواه عبداً لذاته ـ والله غنى حليم ، ولو كان عاقلاً لبسط يده بالخير من رزق الله على عباد الله ،

لكنه المحجوب المحروم من هذا الفضل ، والله به وبأمثاله عليم ، والله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وكريم يحب كل كريم ، والمراءون بصدقاتهم يبتغون بها الثناء والمدح عند الناس بطلت صدقاتهم وحبطت أعمالهم لارتكابهم إلى الخالق يصرفون وجوههم إليهم وهم لاينفعون ولايضرون ، والشيطان يزين لهم فيهم النفع والضر ، وقد اتخذوه قرينا وساء قرينا ، إن صحبته تفضى إلى دمار وتسحب صاحبه إلى النار وبئس القرار .

إن الإحسان محبوب إلى القلوب حبّب فيه الإسلام على كل حال وكتبه الله فى كل شىء وإلى كل شىء حتى فى الذبح والقتل الذى هو إنهاء الحياة فما بالك به مع وجود الحياة .

أحْسِنْ إلى الناس تستعبْد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

يقول ﷺ فيما يرويه عنه ابن مسعود - رضى الله عنه - : « جُبِلَت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها »(٢) .

ارحمْ أخىَّ عباد الله كلهم
وانظرْ إليهم بعين العطف والشفقة
وقرْ كبيرهم وارحمْ صغيرهم
وراع فى كل ذى حق حقه من خلقه

وإحسان الصحبة فى الله عصمة من الشيطان ، وعون على طاعة الرحمن ، وسبيل الود بين المؤمنين :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة مريم]

والصحبة فى الله توجب - إحساناً - على الصاحب أن : يستر العورة ويسد الخلة ويغفر الزلة ويرعى الحقوق ويلزم الأدب ويفيض بالرحمة : يبسط اليد ويبذل النفس ، ينأى عن التنفير والتكدير يجتنب الأذى والعدوان رعاية لحق الله فى الصاحب لايستحل حرمة ، ولايجترىء على اقتراف مأثمة - قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

سورة الأحزاب

وبعد : فإن الأدب الإسلامى فى الصحبة ركيزة الطهر فى النفوس وأساس لعصمة الأمن فى المجتمع وقوام الطريق إلى النهوض والتقدم دنيا وأخرى ، لاتعرف فيه عفونة ولاخبث ولا دهاء ولا مكر ولارياء ولا تقعيّة مقيتة - إنه الوفاء لايغدر ، والأمانة لاتخون ، والصدق لايكذب .

وقد وجب أن ينتبه المسلمون إلى ما كلّفهم به دينهم من أدب الصحبة وأن يطهروا أخلاقهم وأخلاق ذويهم وأهليهم وأن يرفعوا راية الفضيلة فى بيوتهم ونواديهم ومجالسهم وأسواقهم وجميع مجالات أعمالهم ، وأن يجتنبوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وأن يستصحبوا الأدب الإسلامى فى تعاملهم ومنافعهم وأن يذكروا الله فى نعمه - وكم لله من نعم - حتى تدوم .

إذا كنت فى نعمة فارعها
فإن المعاصى تزيل النعم

---

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان - الجامع الصغير .

وداوم عليها بذكـــر الإلـــــه
فإن الإلـــه سريـــع النقـــم

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ربّى صغيراً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله » رواه الطبراني .

وقال ﷺ : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » . رواه ابن ماجه .

فهل للمسلمين ـ في هذا العصر ـ وقد نصب الشيطان شباكه في كل طريق يصطاد المرضى في قلوبهم والمهزومين بشهواتهم ، وافتتن الناس بألوان الفتن فخانوا وغدروا وكذبوا وظلموا واتبعوا أهواءهم ..

هل لهم أن يعودوا فيسلكوا درب السلامة ، وبأيديهم أن يرتقوا وينهضوا إذا طبعوا حياتهم بأساليب المحامد المحمدية لأنفسهم وأهليهم والناشىء من بناتهم وبنيهم على مكارم الأخلاق والآداب فيعرف المسلم طريقه إلى من يصاحب ويخالل ومن يجانب ويفارق وتعرف الأمة من تخالط وتمازج ومن تهجر وتباعد .

هل لنا ـ ياقومنا ـ والشيطان ـ هكذا سبيله ـ يتربص بنا ، يغزل ويفتل وينسج من حبائله لنا .

هل لنا أن نصطحب الهدى والخير والنور وأن نعود إلى ماكان عليه أسلافنا وأجدادنا من أدب شريف ، وطبع كريم ، ودين عاصم وغيرة على الفضيلة ؟!

إن التجارة في الأغذية الفاسدة مرفوضة محظورة ؛ لأنها تدمر الأجساد وتنشر الأوبئة والأمراض التي تفزع الناس ، ومن أجلها تقوم حملات التفتيش تقبض على أصحابها وتحكم بإعدامها لعدم صلاحيتها .

فهل أغذية قلوبنا وعقولنا وتربيتنا وآدابنا أهون علينا من أغذية بطوننا وأقوات أجسادنا حتى تُترك بلا فحص ، وتُعرض بلا تنقية ومراجعة ، ولا تنهض لها حملات تفتيش تحكم بإعدام الفاسد منها وتحاكم المروّج لها والمتعاطي لتجارتها .

إن الواجب الإسلامي والعربي والقومي والوطني يحتم على كل المسلمين في الأرض أن يميزوا الخبيث من الطيب والغث من السمين من هذه الأغذية حماية للدين ورعاية للوطن ودفعاً للأمة إلى أسباب النصر والقوة . عليهم أن يفتشوا وسائل الإعلام بكل ألوانها وأن يفتشوا الوافد من أخلاق الآخرين وعوائدهم وعقائدهم .

هل من رقيب غيور في كل وطن إسلامي يحمي الشرف والفضيلة بإصدار أحكام تكبت الضلال ، وتحبس الشر ، وتقبّح الفواحش .

هل لهم في رقيب غيور يواجه من غمز أو لمز قدساً من أقداسنا ، أومسّ أساس حياتنا وحيائنا .

إن المقدّم المعروض في الأسواق من هذه الأغذية كثير رائج وهو سم قاتل فليكن الرقيب يقظاً ، وليضرب على أيدي العابثين والخلعاء من الشياطين ، وليعمل عملاً صالحاً تسلم به أرواحنا وتصح به أخلاقنا وتأمن به معايشنا ونلقى به عند الله في الآخرة القبول .

يا بارىء الــذوات والصفـــات
يارب سلِّمنـــا من الآفات

اللهم إنك أنت المأمول ، وأنت أكرم مسئول .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

خطاب الرئيس عزت بيجوفيتش في احتفال توزيع جائزة فيصل بالقاهـــرة

(٢٠ شعبان ١٤١٥هـ - ٢١/١/١٩٩٥)

فخامة الرئيس مبارك .... السادة الضيوف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنه لمن دواعي فخرى وسعادتى أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لفخامة الرئيس مبارك لاستضافته هذا المؤتمر على أرض الكنانة التي حباها الله - سبحانه وتعالى - بأزهرها الشريف ، منارة العلم والمعرفة الإسلامية ، ومصدر اعتزاز المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على مدار أكثر من ألف عام ، وأتقدم بعظيم شكرى وتقديرى لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد رئيس جائزة الملك فيصل العالمية .

وأنتهز تلك المناسبة السعيدة لأنقل إليكم تحيات شعب البوسنة والهرسك ، هذا الشعب المسالم الذى يتعرض لحملة تصفية وإبادة عرقية لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، وعلى الرغم من شدة المصاب إلا أننى لن أتكلم عن هذه الجراح التى تنزف بغزارة ، ولكننى أكتفى بالقول فقط أن بفضل المولى - عز وجل - استطاع هذا الشعب المناضل - عن دينه وعرضه - الصمود الأسطورى أمام قوى البغى العالمية لأكثر من ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التى تكبدناها في الممتلكات والأرواح ، إلا أن الأعداء لم يتمكنوا من إخماد روح المقاومة في نفوس ووجدان هذا الشعب البطل الذى تأججت روح المقاومة فى نفسه دفاعاً عن تراب وطنه وعرضه ، أو استشهاداً فى سبيل الله .

وأفضل أن أتكلم اليوم عن الإسلام والحضارة العربية ، ومع أننى لست متخصصاً فى هذا الميدان إلا أننى أود أن أدلى بخواطرى فى هذا الصدد .

وأستهل هذا الموضوع بإلقاء نظرة تاريخية موجزة : فعقب وفاة الرسول ﷺ فى عام ٦٢٣م ، قام الخلفاء الراشدون من بعده بنشر رسالة الإسلام من الحدود المطلة على المحيط الأطلنطى حتى حدود الصين فى غضون مائة عام فقط ؛ فمثلا تم فتح سوريا فى عام ٦٣٤م ،

ومصر والهند في عام ٦٤١م ، وغرناطة في عام ٦٤٧م ، وسمرقند ٦٧٦م ، وأسبانيا (الأندلس) ٧١٠م ، واسطنبول ٧١٧م ، وجنوب فرنسا في ٧٢٠م وفي عام ٨٣٠ دخل الإسلام منطقة جاوه .

وكان من نتيجة هذا الاتساع الهائل للأمبراطورية الإسلامية ، أن انبثق عنها العديد من مراكز العلم والمعرفة في منطقة الشرق الأدنى وأسبانيا والهند وامتدت لما يقرب من ألف عام تقريباً .

ويجدر بنا في هذا المقام الاستشهاد بقول أحد المؤرخين الغرب : أنه بالرغم من بداوة العرب في القرن السابع الميلادى إلا أنهم تمكنوا من التفوق على العديد من الحضارات الأخرى مثل الحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والهندية سواء من الناحية العسكرية أو الثقافية أيضاً .

ومنذ ذلك الوقت والعبقرية العربية في إبداع مستمر حتى بلغوا أسمى درجات الحضارة والتقدم في الوقت الذى عاشت فيه أوربا في عصور الظلام والتخلف ، حتى أصابها التصدع وتوقفت تلك العبقرية عن إبداعاتها .

وللأسف لم تستطع الأجيال المتعاقبة أن تواكب نهج أسلافها مما أدى إلى تخلفهم بينما نهض الآخرون من سباتهم ، ووثبوا في نهضتهم على أكتاف المسلمين ، مما دفع بعض المحللين الغربيين أن يسألوا : لماذا لم يستيقظ المسلمون من غفوتهم لاستعادة مجد أسلافهم ؟

ونظراً لتعدد الإجابات وتشابكها في هذا الصدد ، أكتفى بإثارة بعض الأسئلة :

ـ هل من الضرورة بمكان ، اقتباس كافة مزايا ومساوىء الحضارة الغربية لمواكبة التقدم في عالمنا المعاصر ؟ وفي نفس الوقت يجب ألا يغيب عن بالنا مآسى بعض الدول التى فقدت هويتها عندما سلكت هذا المنهج .

ومما هو معلوم للجميع ، أن العالم الإسلامى يعتمد في وقتنا الراهن على العالم الغربى في تنمية صناعته ، مما يستتبعه حتماً الاعتماد عليه أيضاً في النواحى السياسية .

وطبقاً لتقديرات هيئة اليونسكو فإنه ينبغى توفير (١٤٠٠) عالم ومهندس لكل مليون نسمة لتحقيق التنمية في دول العالم الثالث ، بينما لاتتوفر هذه النسبة إلا في القليل من الدول بينما تعانى معظم الدول الأخرى في هذا الصدد ،حيث لايتوفر لديها إلا النذر اليسير من العلماء .

والحقيقة المفجعة التى تدمى القلب ، أنه من بين ثلاثة ملايين عالم يشتغلون في قضايا الأبحاث والتنمية في العالم تتركز نسبة ٩٥٪ منهم في اليابان وأوروبا وشمال أمريكا وروسيا ، بينما تتوزع نسبة ٥٪ الباقية على مختلف دول العالم ومن بينهم دول العالم الإسلامى .

وفي الوقت الذى يطالب فيه برنامج التنمية الأوربى دول العالم الثالث تخصيص نسبة ١٪ من إجمالى إنتاجها القومى لقضايا الأبحاث والتنمية ، لانجد سوى القليل من تلك الدول التى رصدت نسبة ½ ٪ من إنتاجها القومى لهذا الغرض في العام الماضى .

وبدلاً من مشاركة العالم الإسلامى كمنتج فعال على الساحة الدولية أصبح مستهلكاً سلبياً لايستطيع الوفاء باحتياجاته الأساسية ، مما جعل القلة النادرة من خيرة علمائه يهاجرون إلى الدول المتقدمة .

وعلى الرغم من ميزة الموقع الجغرافى للأمة الإسلامية ، وما حباها ـ سبحانه وتعالى ـ من موارد بشرية ومادية هائلة من : بترول ومواد خام أخرى لاتتوفر للأمم الأخرى ، فإنها لم تستغل تلك الإمكانيات الهائلة للنهوض من كبوتها .

ولذا فالسؤال الملح الآن ، هل سنقبل العلم والتكنولوجيا طريقاً للحياة أم لا ؟ وإذا قبلنا ذلك فهل سيكون على حساب كرامتنا وقيمنا وحضارتنا ؟

وعلى ضوء ذلك ، أريد أن أطرح بعض الأسئلة التالية :

أولاً : هل عالمنا الإسلامى يستطيع مواكبة التقدم العلمى الهائل وهو غير منظم ؟

ثانياً : هل تدنّى مستوى النظافة فى مدننا وفى مختلف أنشطة الحياة يتوافق مع مبادىء شريعتنا الإسلامية ؟

ثالثاً : كيف نستطيع تنقية الفكر الإسلامى من الخزعبلات والخرافات التى علقت بوجدانه ؟

رابعاً : كيف السبيل لِلَمّ شمل جميع المسلمين على كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؟

فإذا استطاع أحد الإجابة على تلك الأسئلة ، فهو المستحق الفعلى لجائزة الملك فيصل العالمية .

وشكراً

رئيس البوسنة

على عزت بوجوفيتش

وقعت كلمة أثناء الطبع من حديث قدسى فى هدية عدد شعبان ١٤١٥ هـ «بداية الهداية، وصحة العبارة» :

« ... ولا يزال عبدى يتقرّبُ إلىّ بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ... » لذا لزم التصحيح لوضعه فى موضعه



إن من أجل نعم الله ـ عز وجل ـ على عباده في هذا الوجود : نعمة الأمن ، ففي ظلاله يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وفي رحابه ينصرفون إلى شئونهم ومصالحهم في غير خوف ولا ذعر .

وفي رحاب الأمن : تؤدى الأعمال ، وتتحقق الآمال ، ويسود النظام وتسعد الأمة ، وتحلو الحياة .

إن السعادة تنشر على الناس أجنحتها ، حيث يحل الأمن والأمان ، ويكثر الخير ، وينمو الرزق ، ويزيد الإنتاج ، والله ـ تعالى ـ إذا أحب قوما رزقهم حب الطمأنينة والسلامة ، ودفعهم إلى طريق الخير والرشد والاستقامة ، وباعد بينهم وبين الشرور والمآثم ، وحال بينهم وبين إحداث الجرائم : التي تنذر بالخطر ، وتطلق الشرر ، وتجلب المتاعب ، وتخلق المصائب ، وتلقى الرعب في القلوب .

فالأمن : ضروري للإنسان : كضرورة الطعام والشراب والعافية للأبدان ، ولعظم شأنه في إسعاد العباد ، مَنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ به ؛ وجعله عديلا للطعام : الذي تُدفَعُ به ثورة الجوع فقال تعالى :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ سورة قريش

فالطعام وإن كان غذاء للأجسام والأشباح[1] .. فالأمن حصن للقلوب والأرواح ..

وإن مما تكفل الله ـ تبارك وتعالى ـ به : الأمن والطمأنينة بين الناس ، فقال جل شأنه :

﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[2] ..

ومع حفظه ـ تعالى : ضَلَّ من ضل : من أتباع إبليس ، وبحفظه : سَلِمَ من سَلِمَ : من

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

(1) الأشباح : جمع شبح : وهو الشخص .

(2) سورة سبأ : 21 .

المؤمنين الصادقين . أتباع الأنبياء والمرسلين .

وقال - عز من قائل - :

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٣) .

فمن حاول الإخلال بالأمن ، أو حدثته نفسه بإحداث القلق بين عباد الله ، بطريق من طرق الإرهاب ، أو الترويع ، أو التخويف ، أو سفك الدماء ، فقد تحدّى الله - تعالى : في سلطانه ، ونازعه في جبروته وقدرته ، ولا يغلب الله غالب ، قال - جل شأنه - :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۝ ﴾ (٤)

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري - رضي الله عنه - أنه قال : « لما رجعت مُهاجِرَةُ الحبشة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة ؟ فقال فتية - وكان منهم - بلى يا رسول الله . بينما نحن جلوس إذ مَرَّت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلّة ماء ، فمرت بفتى من فتيانهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرت المرأة على ركبتيها ، وانكسرت قلتها !! ، فلما قامت التفتت إليه ، ثم قالت : سوف تعلم يا غدّار ، إذا وضع الله الكرسي ، لفصل القضاء ، فجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، سوف تعلم : ما أمري وأمرك عنده غداً ؟» .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كيف يُقَدِّسُ الله قوما ، لا يؤخذ من قويهم لضعيفهم » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث معاذاً - رضي الله عنه - إلى اليمن ، فقال : اتق دعوة المظلوم ؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » (٥) .

وفي معرض التنفير والتحذير من إزعاج المسلم وتخويفه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا تروعوا المسلم ، روعة المسلم ظلم عظيم » ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يحل لمسلم : أن يروع مسلما » (٦) .. وقال - عليه الصلاة والسلام - « من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ، ألا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة » وقال الله - تعالى - :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٧)

وقد جعل الله - تعالى : عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ويهددون أمنهم ، أو ينهبون أموالهم أو ينهكون أعراضهم ، أو يسفكون دماءهم : من أقسى العقوبات ، التي تنخلع من هولها القلوب ، وتطير من هولها الأفئدة ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

---

(٣) سورة هود : ٥٧ .

(٤) سورة إبراهيم ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

(٦) أخرجه أحمد وأبوداود والطبراني : من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى .

(٧) سورة الأحزاب ٥٨ .

﴿ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٨)

وعن أنس ـ رضى الله عنه : « أن ناسا من عرينة ، قدموا المدينة ، فاجتووها ، فبعثهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فى إبل الصدقة ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، ففعلوا فصحوا ، فارتدُّوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعى ، وساقوا الإبل ، فأرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى آثارهم ، فجىء بهم : فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمر أعينهم(٩) .. وألقاهم فى الحرة(١٠) » ، قال أنس : فلقد رأيت أحدهم : يكدم الأرض ، بفيه عطشا حتى ماتوا »(١١) ونزلت :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(١٢)

وقد ذهب جمهور الفقهاء : إلى أن القتل فى الآية : للقاتل ، والصلب مع القتل : لمن أخذ المال وقتل ، وقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى : لمن أخذ المال وأخاف ، والنفى : لمن أخاف ـ ولم يقتل ـ ولم يأخذ مالا .

واختلف الفقهاء بالنسبة للصلب : هل يصلب حيا ، ويترك حتى يموت ، بمنعه من الطعام والشراب ، أو يُقْتَلُ برمح أو نحوه ، أو يقتل أولا ، ثم يصلب ، تنكيلا ، وزجرا وتشديدا ، لغيره من المفسدين ؟ والمراد بالنفى : أن يُخْرَجَ من بلده إلى بلد آخر : فَيُسْجَنُ فيه ، وقال الإمام الأعظم : أبو حنيفة النعمان ـ رضى الله عنه ـ : المراد بالنفى هنا : السجن .

واشترط بعض العلماء لإقامة الحد على قطاع الطريق ، ومن حذا حذوهم ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون معهم سلاح يعتمدون عليه .

الثانى : أن يكون ذلك فى صحراء ، أو فى مكان لا تنفع فيه الاستغاثة .

الثالث : أن يأتوا مجاهرين ، يعتمدون على القوة والغلبة لا على الخفية واللصوصية .

فالدين الإسلامى يحرص أشد الحرص على حقن الدماء ، وصيانة أرواح الناس ، ويعتبر القتل ظلما جريمة كبرى من اشنع الجرائم وأفظعها ، لأنها سَلْبٌ لحياة المجنى عليه ، بغير حق ، وحرمان له من حظه فى الحياة ، وترميل لزوجته ، وتيتيم لأطفاله ، وحرمان لأهله وذويه ومجتمعه منه ، وهى اعتداء صارخ على حق الحياة وزعزعة لما يرجوه المجتمع الإنسانى من أمن وهدوء واستقرار .

وقد توعد الله ـ تبارك وتعالى ـ : قاتل النفس باللعنة والغضب ، وسوء المصير فى الآخرة ، فقال تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(١٣)

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يحلُّ دم امرىء مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه ، المفارق

---

(٨) سورة المائدة ٣٣ .

(٩) كحلها بمسمار محمى فى النار .

(١٠) أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(١١) رواه أبوداود والنسائى والترمذى .

(١٢) سورة المائدة ـ ٣٣ .

(١٣) سورة النساء ٩٣ .

للجماعة »(١٤) .. وعنه ـ رضوان الله عليه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة : فى الدماء »(١٥) .

وعن أبى بكرة بن الحارث الثقفى قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما : فالقاتل والمقتول فى النار ، فقلت : يا رسول الله : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه »(١٦) .. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة : جاء يوم القيامة ، مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة ، آخذا رأسه بيده الأخرى ، فيقول : « يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لك ، فيقول : فإنها لى ، ويجيء آخر متعلقا بقاتله ، فيقول : رب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فيقول : قتلته ، لتكون العزة لفلان ، قال : فإنها ليست له ، بإثمه ، قال : فيهوى فى النار سبعين خريفا » .

هذا : وقد جاء فى فضله لنعمة الأمن : ما روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أصبحت آمنا فى سربك(١٧) ، معافىً : فى بدنك ، عندك قوت يومك : فعلى الدنيا العفاء(١٨) »(١٩) ، فقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أصبحت آمنا فى سربك » أى فى نفسك ، أو فى مسلكك من أنواع البلاء وصنوف الرزايا « عندك قوت يومك » وطريقك .. « مُعافىً فى بدنك » أى مؤنتك ، ومؤنة من تلزمك نفقته ، ذلك اليوم ، فعلى الدنيا العفاء « الدُّرُوسُ وذهاب الأثر ، وفيه التزهيد فى الدنيا ، مع بيان فضل نعمة الأمن .

ومن طريف ما يروى ، « أن الحجاج بن يوسف الثقفى : سأل الجوهرى : ما النعمة ؟ قال : الأمن ؛ فإنى رأيت الخائف ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : الصحة ؛ فإنى رأيت السقيم ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : الشباب ؛ فإنى رأيت الشيخ ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : لا أجد مزيدا » .

وجاء فى بعض الكتب المنزلة : « إن عبدا أغنيته عن ثلاثة : لقد أتممت عليه النعمة عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى يد أخيه » .

فجدير بنا : أن نُقدِّر نعمة الأمن ، وألا نُدَّخِر وسْعاً : فى المحافظة عليها : إن مقاومة المفسدين ، والضرب على أيدى العابثين ، بأمن الناس وسلامتهم ، واجب لإسعاد المجتمع ، إننا لو فعلنا ذلك : سلمنا من أذاهم ، وعاش الكل فى صفاء وهناءة ، وراحة بال : وصلاح حال ، يُؤَدُّونَ واجبهم فى هدوء واطمئنان ، فيكثر الخير ، ويعم الرخاء .

---

(١٤) أخرجه البخارى ومسلم .

(١٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(١٦) أخرجه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى .

(١٧) أى ارجع بإثمه ..

(١٨) أخرجه أحمد والنسائى ..

(١٩) السرب : النفس .

(٢٠) العفاء : التراب .

(٢١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .



الجزء الأخير

بقلم : د/ محمد سعاد جلال

سوء استغلال اللغة في موضوع النسخ :

٢ ـ لكننا نجد في هذا الموضع أمراً كبير الأهمية يجب التنبه إليه وهو راجع إلى طبيعة اللغة ، وطريق النظر فيها .

فإن اللغة العربية كما اختبرنا أساليبها وألفاظها ووجوه البيان بنصوصها ، لغة شديدة المرونة قابلة للمط إلى أمد بعيد ، ومن المحتمل أن يكون هذا شأن اللغات بصفة عامة على درجات متفاوتة ، وقد كان من هذه الطبيعة اللغوية الشديدة المرونة الكثيرة الكثيرة التصاريف فيما يقع عليه اللفظ الواحد ، والجملة الواحدة أن أعطت مجالاً فسيحاً ، ومكنة واسعة لمن يذهب مذاهب التأويل والتخريج في نصوص هذه اللغة : مجازاتها وكناياتها وألفاظها العامة والخاصة ، وما كان منها مطلقاً ، أو مجملاً ، أو مشتركاً ، وما سوى ذلك مما يظهر خطره بالذات في نصوص الكتاب الكريم ، حتى لا يكاد يوجد صاحب رأي من الآراء الصحيحة أو الفاسدة إلا حاول أن يستشهد على رأيه بنص من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، وأظهر مثل على ذلك ، صنيع الإسماعيلية ، والشيعة ، والباطنية ، والمتصوفة ، من أصحاب القول بالحلول ، ومذهب وحدة الوجود ، فإن هؤلاء جميعاً ، ومن إليهم من فرق المعتزلة والخوارج ، وكل ذي نحلة إسلامية ظهرت في تاريخ الفكر الإسلامي لم تعجز أن تجد لها من تلك المرونة اللغوية الملابسة لكيان القرآن والسنة ـ فضلاً عن عمل الإعجاز البلاغي في فنية الأداء عن أساليب القرآن ، ولم تعجز أن تجد لها سبيلاً لتعزيز بعض آرائها بما شاءت من التكلف أو الاصطناع وشد الألفاظ والجمل ، وإساءة استغلال الاستعارة والمجاز .

وليس الأمر كذلك ، فإن للغة حدوداً تقف عند هذه الحدود دلالاتها ولا تجاوزها معاني الألفاظ والجمل ، والتبادر هو الحد الفاصل بين ما تدل عليه اللغة دلالة سهلة فطرية ، وما يستكره للدلالة عليه بالتكلف والقسر .

ولعل الفرس بذات اللغة ، والنفوذ فى معانيها والإلف الفعلى لما جرت عليه استعمالاتها عند أصحابها مما يهدى إلى معانيها القريبة ، وأسرارها المقصودة .

عنينا بأن نكتب لكم هذا الاستطراد لنصل منه إلى أن المانعين للنسخ فى القرآن ـ وهم أبو مسلم الأصفهانى فى القرن الرابع ، وبضعة نفر فى العصر الحاضر ، عمدوا إلى التوفيق بين الآيات الناسخة والآيات المنسوخة بوجوه من التأويل البعيد ، والتكلف الشديد لا يهدى إليها التبادر ، ولا تحتملها معطيات اللغة القريبة ، وأيضاً لا يتفق والمنقول إلينا من أسباب النزول ، والمأثور الصحيح من أقوال الصحابة وشواهد السنة .

ولو ذهبنا نجيز فهم القرآن على هذا الوجه من التكلف وبعد التأويل ما ساغ لنا أن نخطىء أحداً من أصحاب المذاهب الفاسدة فى شاهد على مذهبه من آيات القرآن أو النصوص للسنة ، لكن الأمر على غير ذلك .

حصر الآيات المنسوخة والناسخة :

حيثما يمكن وجود اختلاف بين العلماء فى نسخ بعض الآيات أو عدم نسخها ، لا يمكن الجزم بحصر الآيات المنسوخة والآيات الناسخة غير أن لبعض العلماء ترجيحات واختيارات للآيات التى صح وقوع النسخ فيها ، ومن ذلك ما ذهب إليه السيوطى فى (الإتقـان) من حصر الآيات المنسوخة فيما يبلغ عشرين آية تقريباً عددها بأعيانها فى كتابه هناك .

وتبعه على ذلك المرحوم الأستاذ الخضرى فى كتابه (أصول الفقه) ، وحاول أن يوجد توفيقات متكلفة مستمداً ذلك مما كتبه غيره ، كأبى مسلم ، بين كثير من هذه الآيات ، لإخراجها من حيز النسخ .

على أن الأمر ذا البال الذى يجب التنبيه إليه أن الشيخ الخضرى ، ليس من المنكرين للنسخ ، بل هو معترف بجواز النسخ فى الشريعة ووقوعه فى القرآن ، وقد وافق على وقوع النسخ فى آية (المزمل) كما سنورد فيما بعد .

وإنما عمد إلى التوفيقات المشار إليها ـ لأنه يحاول أن ينهج منهج ابن العربى والشاطبى ، فى تضييق دائرة النسخ فى مقابلة عمل أناس أكثروا من ذكر الناسخ والمنسوخ ، وتساهلوا فى الحكم بذلك تساهلاً لا يحتمله البرهان ، ولا يتفق مع واقع القرآن .

ونحن من أصحاب هذا الرأى ـ نرى أنه يلزم منتهى التدقيق وسعة العلم ، وشدة الاحتياط ، والتركيز على الموضوعية الخالصة ، فى الحكم بوجود ناسخ ومنسوخ مما يؤدى حتماً إلى الحد من تلك المجالات الواسعة التى يعمل فيها من ألف فى خصوص الناسخ والمنسوخ كابن النحاس وغيره .

وإنما اهتممنا بتحرير رأى المرحوم الشيخ الخضرى ، لأن بعض الناس تسب إليه جزافاً بسبب تلك التأويلات المشار إليها ـ القول بإنكار النسخ وليس بصحيح .

ولا نستطيع الآن فى هذه العجالة أن نعرض هذه الآيات العشرين بالدرس والتحليل ، وإنما حسبنا أن نقدم لكم بعض نماذج وأمثلة يتبين منها اختلاف وجهات النظر بين متجاذبيها إلى النسخ أو الإحكام ، وتكون مادة حية لتحقق وقوع النسخ فى القرآن ، وهو الدليل الثالث .

المثال الأول :

قال ـ تعالى ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ سورة الأنفال ٦٥

قال السلف إن هذه الآية منسوخة بقوله ـ تعالى : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ سورة الأنفال ٦٦

ولم يصل إلينا تشكيك فى صحة هذا النسخ عن أحد من العلماء من عهد الصحابة إلى أواخر القرن الثالث إذ ظهر أبو مسلم فى خلال هذه الفترة ، فكان أول من شكك فى نسخها ، لا دليل على أن أحداً سبقه من علماء الأمة إلى هذه المقالة ، حتى ليوشك أن يكون نسخ هذه الآية إجماعاً من كافة العلماء .

ووجه استدلالنا بمثل هذه الاتفاقات من آراء العلماء ليس هو استحالة أن يفتح الله على عالم بمسألة فى العلم لم يسبق إليها ، كلا ، ولكنا نتخذ منها قرينة قوية على تخطئة الرأى المصادم لها ، لأنه يستبعد فى العادة أن تكون مسائل الشريعة مبسوطة للناظرين ، ويتقلب على بحثها والنظر فيها مئات العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة الراسخين واضعى المذاهب ، وقد استفرغوا فى البحث جهدهم ، وبلغوا فى إجادة النظر كل مبلغ ، ثم غاب عنهم جميعاً ـ ما فطن إليه عالم واحد ، لا يبلغ مثل درجة كثير منهم ، أمانة وعلماً ، وحياطة لدين الله .

ألا يصح بعد هذا التوضيح أن يكون اتفاق العلماء الأئمة المستمر إلى أواخر القرن الثالث على إثبات مسألة فى الشريعة دليلاً على صحتها وخطأ خلافها ، فكيف مع هذا إذا كان البحث الموضوعى المجود لا يسعف القول بصحة هذه المسألة على غير ما ذهب إليه الأئمة والصحابة .

ظاهر من منطوق الاثنين معاً ، أن الآية الأولى القاضية بوجوب ثبات المسلم الواحد لعشرة من الكفار فى الجهاد كانت تمثل تجربة شقت على المسلمين فى أول الأمر ، وأن الله قد خفف عنهم هذه التجربة فرفع عنهم الدخول فيها ، ونقلهم إلى تجربة أيسر منها ، وذلك بالاكتفاء منهم بثبات الاثنين فقط بدل العشرة .

وفى أسباب النزول ما يشير إلى ذلك ..

روى أن المهاجرين قالوا : لما نزلت الآية الأولى ، « نحن جياع وعدونا شباع ، ونحن فى غربة وعدونا فى أهليهم » ، وكذلك قال الأنصار مثل قولهم فنزلت الآية الثانية بالتخفيف عليهم ناسخة لحكم الآية الأولى .

وبيانه ـ أكثر ـ من الوجهة الأصولية الفنية أن مقتضى الآية الأولى أنه يحرم على المسلم الواحد إذا التقى بعشرة من الكفار أن يفر منهم ، فإن فعل ذلك كان آثماً قد باء بغضب من الله ورسوله[1] ، ثم نسخ الله هذا الحكم بالآية الثانية ، ومقتضاها رفع هذا التحريم ، فإذا فر المسلم الواحد أمام عشرة من الكافرين ، لا يكون آثماً ، لأن الواجب فى حقه بمقتضى التخفيف الوارد فى الآية أن يثبت أمام رجلين فقط ، ولا يلحقه إثم الفرار من الزحف إذا كانوا عشرة .

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ﴾

لكن الشيخ الخضرى - يعارض بعد تردد - هذا الوضوح فى نسخ الآية ، ويحكم بأن التفاعل بين الآيتين من قبيل العلاقة بين العزيمة والرخصة فى الأحكام كمشروعية التيمم مع مشروعية الوضوء ، وهو حكم خطأ للفرق البين ، بين المنسوخ والناسخ ، والرخصة مع العزيمة .

إن مقتضى النسخ رفع الحكم مطلقا عن المكلف فلا يأثم بتركه ، ولا يطالب بفعله فى حال أبداً ، أما الحكم الثابت عزيمة فهو الحكم المبنى على غير أعذار العباد ، ولا يرتفع الطلب به عن المكلف ، إلا رفعاً موقوتا فى حال الأعذار التى اعتبرها الشارع ، وأذن فيها للمكلف أن ينتقل من موضع العزيمة إلى موضع الرخصة فإذا زال العذر المبيح للرخصة ، رد المكلف إلى العمل بالعزيمة وهو الحكم الأصلى الذى شرع أولا ، غير منظور فيه إلى استثناءات الأحوال .

فنسأل صاحب هذا القول عن مسلم واحد يلتقى فى المعركة بعشرة من الكافرين فيفر منهم ، هل يكون بفراره آثما ، أم يكون بريئا من الإثم ؟ فإن زعم أنه يكون آثما عاصيا بفراره فقد خالف إجماع المسلمين إلى اليوم ، وإن اعترف بخروجه من الإثم بإعمال الآية الثانية فقد التزم القول بالنسخ .

وإن تمادى فزعم أن هذه هى حال الرخصة التى قدرها قلنا له : فأين حال العزيمة على مذهبك ؟ دلنا على الموضع الواحد الذى يكون فيه الحكم عزيمة لا رخصة ، ويحرم فيه فرار الواحد من العشرة بإعمال الآية التى تنازعنا فيها بالنسخ ، فإن لم نجد موضعاً واحدا لإعمال هذه الآية ، ولن نجد ، فليس ذلك إلا لأن الآية منسوخة البتة .

المثال الثانى :

قال - تعالى :

﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

قال أهل العلم من السلف : نسخت هذه الآية بقوله - تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

النسخ فى هذه الآية ظاهر لأمرين :

- أولهما سبب النزول : روى عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية ، جاء أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ ، وناس إلى النبى - صلى الله عليه وسلم . وقالوا يارسول الله :

« كلفنا من الأمر ما لا نطيق ، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه ، وأن له الدنيا ، فمكثوا فى ذلك حولا ، فأنزل الله » :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وثانيهما الموجب اللغوى ، للفظ « ما » ، فإنها من صيغ العموم التى تفيد ثبوت الحكم لجميع ما تدل عليه ثبوتا قطعيا ، فتفيد فى هذا الموضع ثبوت محاسبة الله للمخاطبين بها على كل شيء يبدونه من الأقوال ، والنيات والمشاعر ، وكل شيء يخفونه من النيات والمشاعر ، والخواطر العارضة والمبيتة لا يخرج عن ذلك شيء قل أو كثر ، عظم أو صغر : ذلك بحسب قضية العموم اللغوى المستفاد من لفظة « ما » كما فهمه الصحابة فإذا جاءت آية متأخرة حولا عن هذه - الآية ، تقول :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

نسختها لأنها أخرجت من دائرة ما سيحاسب عليه المكلف : الخواطر والهواجس ، والتمنيات السيئة ، وأحاديث الشر الباطنة ، التى قد ينساق فيها كثير من الناس وهم عاجزون عن دفعها ، وهذاأمر لا ينكر حصوله أى إنسان من نفسه .

وقد عارض الإمام الشاطبى ، كما عارض الشيخ الخضرى ، فى ثبوت النسخ فى هذه الآية ، بأسلوبين مختلفين ..

قال الشاطبى : إن الآية متعلقة بكتمان الشهادة ، والمعنى : إن تظهروا ما فى أنفسكم من الشهادة بأن تقولوا لصاحب الحق نعلمه ولا نشهد به ، أو تخفوه بألا تطلعوا صاحب الحق عليكم يحاسبكم به الله .

ولكن هذا ضعيف لأنه تكلف بعيد ، وقصر لعموم الآية على بعض أفراد العام من غير دليل ، وكأنما أحس الشاطبى نفسه بقلق هذا التأويل ، وعدم ثباته فلجأ إلى وجه آخر وهو أن يكون انفعال الآية الأولى بالآية الثانية من قبيل التخصيص لا النسخ ، وهو وجه غير مسلم له عند المذهب الحنفى ، لأن النص المخرج لبعض ما تناوله العام ـ إذا كان متأخراً عن العام كان عمله نسخا بيقين ولا يجعل تخصيصا ، فلم تتم محاولة الشاطبى فى رد هذا المنسوخ .

وكما لم تفلح محاولة الإمام الشاطبى ـ رضى الله عنه ـ لم تفلح أيضا محاولة ـ الشيخ الخضرى ـ رحمه الله ـ ، إذ قال :

﴿ إن الله يحاسب الناس على ما أظهروه من الأقوال والأعمال ، وما أضمروه ، وهو مع ذلك لا يكلفهم إلا ما فى وسعهم ، وليس فى ذلك محال ، لأن فى وسع الإنسان ألا يضمر شراً ، وليس من ذلك خطرات النفس العارضة ﴾ .

هذا كلام الشيخ الخضرى بنصه ، وهو كلام إذا تجاوزنا ظاهره ، ألفيناه ينطوى على التناقض ، والغلط ، والتحكم فى النص العام .

أولا : فما دام يسلم لنا بأن الله يحاسب الناس على جميع ما يظهرونه وما يخفونه من الأفعال ، والأقوال والنيات ، والخواطر التى يمكن مدافعتها والتى لايمكن مدافعتها ، كما هو حكم العموم اللغوى الذى فهمه الصحابة من الآية ، والذى يتعين فهمه لكل عارف باللغة ، فليس له أن يعقب على هذا التسليم بقوله وهو مع ذلك لا يكلفهم إلا بما فى وسعهم .

فكيف يأتى هذا مع أن من جملة المكلف به فى عموم الآية من التصورات السيئة ، والأحاسيس الخبيثة ، والخواطر الشريرة ما لا يمكن مدافعته حقا وواقعا وهو خارج عن وسع المكلف بلا شك ، وقد أقر هو هذا العموم ، أليس هذا تناقضا ملحوظا :

ثانيا : يقول الكاتب وفى وسع الإنسان ألا يضمر شرا وليس من ذلك الخواطر السيئة التى تعرض وتزول وهذا خطأ ثان ـ فليس النزاع فى إضمار الشر الذى يخضع لإرادة الإنسان ، ولكن موضوعه الشر الذى يهجم على قلب الإنسان وتصوراته من غير استجلاب له ، وذلك حاصل قطعا ، ومن ذلك ما دل عليه حديث مسلم أن الصحابة قالوا يارسول الله : (إنا لنجد فى أنفسنا ما نتعاظم أن نقوله) .

فما هذا الشيء الذى كان يجده الصحابة فى أنفسهم : الشيء الذى يجدونه تلقائيا ، ولا يوجدونه باختيارهم ، فيتعاظمون أن تنطق به ألسنتهم ؟ أليس هو شرا ، ثم أليس هو شرا رهيبا ؟ .

ثالثا : ثم يقول : (وليس من ذلك العوارض التى تعرض وتزول) يعنى أن الخواطر العارضة ليست داخلة فى عموم التكليف بحكم الآية الأولى .

وهذا خطأ ثالث ، لأن هذه الخواطر اللاإرادية التى تعرض وتزول ، هى مشمولة بعموم النص لغة وإخراجها منه ، إذا كان بالآية اللاحقة وهى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ . فهذا هو النسخ بعينه وإن كان بدليل متأخر لا نعرفه فهو النسخ أيضا ، وإن كان بدليل مستقل مقارن – فهو التخصيص ولم يذكره أيضا ، وإن كان غير بغير دليل فهو التحكم الذى وصفناه به .

المثال الثالث :

قوله – تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ .

ذهب السلف إلى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

سورة المجادلة

والنسخ فيها واضح ، ويؤيده النقل عن الصحابة والتابعين ، لا أقصد أن مناط الحكم بالنسخ محض رأى الصحابى ، لأن ذلك قد يكون عن اجتهاد منه ، وحجية اجتهاده فى تفسير النص أو نسخه محل خلاف بين أهل العلم ، ولكن أقصد أن حكايته لظروف الآيتين ، وتاريخهما هو مكان الحجة المعتبرة لاسيما إذا كان مؤيدا من دلالتيهما اللغوية .

أوجبت الآية الأولى على من يتلقى من المسلمين شرف مناجاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يسبق ذلك بتقديم صدقة ، وماهو المتبادر للظاهر من كلمة « صدقة » أليس مالا يصل ليد فقير ؟ .

وأبانت الآية الثانية أنهم أشفقوا من تقديم هذه الصدقة ، فلم يفعلها إلا الإمام على – رضى الله عنه – وأنهم لما أشفقوا من تقديم الصدقة كذلك ولم يفعلوا ، رفع الله عنهم التكليف بالفعل ، وتاب عليهم – بمعنى أنه عاملهم معاملة التائبين فى رفع التبعة عنهم – ثم استحثهم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة واكتفى منهم بذلك ، وأذن لهم فى المناجاة من غير تقديم صدقة ، وحصلت المناجاة من غير تقديم الصدقة فعلا ، واستمر العمل على ذلك .

فانظر بعد ذلك تكلف الشيخ الخضرى والنفر الآخذين برأيه ، قال بالنص : (وهذه الآية – يقصد الآية الثانية – بيان من الله أن الصدقة لا يلزم أن تكون مالية زائدة عن الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهذا صدقة) .

فكأنه يقول : إن الصدقة موضوع التكليف قبل المناجاة لا تزال باقية لم تنسخ وأنها تحولت إلى

الزكاة الواجبة ، والصلاة المفروضة .

نقول حتى - ولو سلم هذا الشطط فى التأويل - فإنها تكون قد نسخت بهذا التحول أيضا ، لأن الحكم قد رفع بهذا التحول من واجب متميز بكيان مستقل ، وزمان معين ، وغرض خاص ، وموضوع على اختيار المكلف إلى واجب اندمج فى غيره ، وذهبت مشخصاته ، وخرج التزامه عن اختيار المكلف أو أقيم غيره بدلا عنه .

أليس ذلك هو النسخ بعينه !!

ثم إذا جاز أن تسمى الزكاة صدقة ، فكيف تسمى الصلاة صدقة ، إذن يكون ذلك مجازا قطعا ، والأصل فى إطلاق الكلام الحقيقة لا المجاز .

ولو انتقلنا من صحة التسمية إلى صحة الاعتبار - وقلنا إن المقصود هو اعتبار صدقة المناجاة - نوعا من الخير تشمله الصلاة أو تغنى عنه الصلاة ، والزكاة ، لعدنا مرة ثانية إلى عين النسخ ، فمن كل وجه نرى أن الاعتساف مهما بلغ فى التأويل ، يردنا إلى صحة القول بنسخ الآية .

المثال الرابع :

قوله - تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ ﴾ .

سورة المزمل

كان من قضاء هذه الآية أول الإسلام إيجاب قيام الليل على النبى - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين معه ، فروى أحمد ومسلم وغيرهما أن المسلمين فعلوا ذلك سنة حتى تورمت سوقهم وأقدامهم . ثم نسخ ذلك بالآية الثانية ، وهى قوله - تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾

سورة المزمل

ويتعلق بهذا المثال ملاحظتان على جانب من الأهمية :

إحداهما أن الشيخ الخضرى ، اعترف فى هذا المثال بالنسخ صريحا فقال : (والظاهر أن الآية الثانية تخفيف فهى رفع للحكم الأول ، وهو طلب قيام أكثر الليل) .

وثانيهما ، أن الشيخ الخضرى - كما قلنا مرة قبل الآن - لايقدم على القول بإنكار النسخ ، لأنه على كل حال رجل عالم وأمين على دين الله .

وأما الذين يقلدونه فربما كانوا أقل منه احتياطا وتحرجا ، لأنهم يجترءون على إنكار النسخ فى القرآن جملة بغير برهان مبين .

و﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه أجمعين .



الدكتور/عبدالله مبروك النجار (*)

تمهيد :

يحتاج أى مجتمع إنسانى إلى نوعين من البناء لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا يستغنى عن واحد منهما لحفظ مقومات حياته ، وأساس وجوده ، وهما : البناء المادى ، والبناء الفكرى .

والنوع الأول ، هو الذى يختص باحتضان المظاهر المادية للوجود الإنسانى بما يحفظ له قوام ذلك الوجود .

أما الثانى فإنه يمثل شريان الحياة للجانب الروحى فى المجتمع . ويكاد هذان الجانبان يمثلان جناحى الحياة السوية للناس ، ومن خلالهما معا تتكامل كل مظاهر الوجود الإنسانى بصورة متوازنة .

.. ولما كان هذان الجانبان على درجة واحدة من الأهمية ، كان من اللازم ؛ بل ومن الواجب أن يلقيا اهتماما إنسانيا متساويا ، فلا يستأثر أحدهما بما يزيد عن الآخر ، حتى لا يحدث خلل فى التوازن المطلوب بين هذين الجانبين ، وقد يقع فى الحياة ما يخالف ذلك ، فيلقى البناء المادى اهتماما خاصا ، وعناية فائقة ونظاما حاسما ، لا يسمح لشخص بالخروج على حدود التنظيم المقررة له فى شكله وتصميمه ، بل والذوق الجمالى والبيئى الذى يجب أن يكون عليه ، وإذا حدث مخالف لذلك يكون الجزاء باترا وسريعا وحاسما ، يبدأ بإزالة مقدار التجاوز ونوعه ، ويتصاعد للغرامة

(*) الكاتب : أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون ــ القانون الخاص ــ جامعة الأزهر .

الباهظة ، وربما ينتهى أمر المخالف إلى السجن ؛ بل إن الناس من فرط اهتمامهم به لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من أمره إلا جعلوها موضع تنظيم بغرض احترام حدوده على المستويين : الخاص والعام فلا يسمح لشخص أن يجور بالبناء على ملك غيره ، كما لا يجوز له أن يخرج ببنائه إلى الطريق العام أو يعتدى به على ملكية الجماعة .

أما البناء الفكرى ، وهو الذى لا يقل أهمية عن نظيره المادى بإقرار الجميع ، فإنه مازال رغم ذلك خلوا من مثل هذا الجزاء الفعال ، أو نصفه أو ربعه أو أقل من ذلك ؛ بل إن الضوابط التى تنظمه فى معظم جوانبه مازالت مبهمة ، وما يوجد من معالم تلك الضوابط فى بعض القوانين المتفرقة كقانون حماية حق المؤلف بصفة خاصة ، والنصوص التى تحمى الملكية الفكرية بصفة عامة ، لا تحمى سوى الجانب الخاص من البنيان الفكرى ، دون اهتمام ملحوظ بالجانب العام الذى يستهدف المحافظة على قيم الجماعة ومصالحها العليا ، ومن ثم كان التجاوز فى مجاله كثيرا . وكانت أعداد المخالفات فيه أكثر ، ووجد البعض فى ظل تلك الظروف التنظيمية الهشة فرصة يقولون فيها ما لا يصح أن يقال ، وطرقوا بكتاباتهم المناطق المحرمة ، بعد أن فهموا خطأ مبدأ حرية التعبير عن الرأى على إطلاقه ، دون مراعاة للمبادىء السماوية ، أو اعتبار لقيم المجتمع وتقاليده ، وأصبحنا من فرط الخروج على خط التنظيم فى هذا البناء أمام ظاهرة خطيرة ، هى ظاهـــرة التجـــاوز فى بعض الكتابات[1] ، التى أصبحت تحدث بكثرة ولا تجد للأسف « بلدوزر » ، أو جى فأسا ، أو منقارا يزيلها ، مما شجع الكثير على التمادى فيها ، ونحن من خلال تلك الدراسة نطرق هذه الظاهرة بما يوجه الأنظار إليها ، ويكشف عن خطرها ، ويضع العلاج لها من مدخل إسلامى ، وذلك من خلال عنصرين :

أولهما : حدود التنظيم فى البناء الفكرى .

ثانيهما : مظاهر التجاوز فى البناء الفكرى .

أولا : حدود التنظيم فى البناء الفكرى

تعد نعمة البيان من أعظم نعم الله على الإنسان ، حيث تعتبر تلك النعمة أداة لرقيه ونهضته ، ووسيلة لتقدمه وتفوقه فى سبيل تحقيق الغايات الكريمة فى الحياة ، والوصول به إلى شرف العبودية لله – عز وجل – وليقوم بواجب الخلافة لله – عز وجل – فى أرض الله خير قيام ، فلا يسعى فيها فسادا ، ولا ينقلب على أساس وجوده هدما وتخريبا ، وقد بين الله – عز وجل – فى كتابه الكريم الأساس الذى خلق من أجله الخلق من الجن والإنس بقوله – تعالى – :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[2]

---

(١) يبدو أن تلك الظاهرة موجودة منذ فترة طويلة – بدليل ما وجد لها من أثر فى شعر حافظ إبراهيم شاعر النيل – حيث جاء فى قصيدته عن دور العلماء والمفكرين التى دافع فيها عن إنشاء الجامعة المصرية ونشرت بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٠٧ م :

كم عالم مد العلوم حبائلا لو قيعة وقطيعة وفراق
فى كفه قلم يمج لعابه سما وينفثه على الأوراق
يرد الحقائق وهى بيض نصع قدسية علوية الإشراق
فيردها سودا على جنباتها من ظلمة التمويه ألف نطاق

راجع : ديوان حافظ إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(٢) سورة الذاريات – آية ٥٦ – ٥٨ .

فمهمة الإنسان فى الحياة كما حددها له ربه فى كتابه : هى أن يقوم بواجب العبودية لله ـ عز وجل ـ خير قيام ، وأعظم تطبيق للقيام بهذا الواجب أن يمتثل العبد أوامر ربه ونواهيه ، وأن يحتكم إلى شرعه فى كل شئون حياته . فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ، وأن يكون رائده فى ذلك التطبيق قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(٣) .

وقوله ـ عز من قائل :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٤)

والآيتان الكريمتان تدلان على أن كل مؤمن ومؤمنة يجب عليه الامتثال الكامل لما قضى به الله ورسوله ، وهذا الامتثال يجب أن يرق فى قلب المؤمن وضميره درجة من القوة والثبات تدحض هوى النفس ، وتبدد موارد الزيغ ، وتضع اختيار الإنسان على ذلك الطريق المستقيم بحيث لا يرضى عنه بديلا ولو كان ذلك البديل مما يمكن أن يكون لعمل الشيطان فيه مدخل كبير ، حين يلبس عليه الحق بالباطل ، ويهون عليه أمر الانفلات من قيود الدين وأحكام الشريعة تحكيما لما يركن إليه العقل ، أو اتباعا لما يؤذن به الهوى ، فكل تلك التعليلات فى نظر المؤمن عليلة ، وآثارها فى قلبه هزيلة ، وجميع تلك الوساوس إذا وزنها العقل المؤمن بميزان الإيمان ، فلن يكون لها من تفكيره نصيب ؛ لأن ما عند الله فى ذاكرته خير وأبقى ، وأن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق ، وأن كل مظاهر الحياة الدنيا ومباهجها وتطلعاتها لا تساوى فى ميزان ذلك العقل المؤمن شيئا ، إذا ما جاءت على حساب دين الله ـ عز وجل ـ ، لأن الدنيا ـ إن جاءت على حساب الدين فإن الخسارة ستكون جسيمة ، وسيكون متاعها شرا ، ونعيمها شقاء ، وأداة النجاة من ذلك هى الامتثال الصادق لأحكام الله ـ عز وجل ـ فلا يرضى الإنسان عنه بديلا ، ولا يختار سواه ، ولا يستشعر فى نفسه حرجا من الاحتكام لتوجيهه وهداه .

معطيات نعمة البيان :

ولئن كانت نعمة البيان على هذا القدر من الأهمية فى توجيه الإنسان نحو الوجهة الصحيحة فى الحياة وإمداده بالمقومات التى يحقق من خلالها كيانه الإيمانى الممثل لمنهج الدين ، والتحكم إلى تعاليم الشريعة فى كل ما تقضى به ، وتنتشر بسببه العدالة والمحبة والتعاون على البر والتقوى ؛ فإنها مع ذلك تعتبر أداة التفاهم والتواصل بين بنى الإنسان على مختلف مشاربهم وأجناسهم ، كما أنها تعد همزة الوصل بين الأجيال المتعاقبة ، ومنذ الماضى البعيد إلى وقتنا الحاضر ، وسيمتد ذلك التواصل إلى المستقبل ، لتجد الأجيال القادمة من ثمار ذلك البيان زادا يمهد لها طريق الخير ، ونورا يبدد من حياتها ظلمات الجهل والطيش والهوى ، ومن خلالها تنعم البشرية جمعاء وعلى توالى أجيالها المتعاقبة بمبادىء النور والخير التى تكتنفها تلك النعمة العظيمة نعمة البيان .

---

(٣) سورة الأحزاب ـ آية ٣٦

(٤) سورة النساء ـ آية ٦٥

ولعل فى هذا ما يبرز جانبا من جوانب عظمة تلك النعمة وأهميتها فى حياة الناس جميعا، وخطورتها فى تشكيل سلوك الأجيال على طريق الخير، ودروب الرشاد، بل لعل ذلك يمثل جانبا من الجوانب التى تكشف عن حكمة امتنان الله - تعالى - بها على خلقه فى قوله - تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾[5]

والقسم بالقلم وما يسطر فى قوله - عز وجل:

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[6].

ضوابط نعمة البيان:

ونعمة لها هذا التأثير الإيمانى فى حياة الناس جميعا، لابد أن تستأثر باهتمام الشارع الحكيم - سبحانه - حتى لا تستغل تلك النعمة العظيمة فى حياة الناس على غير ما يوده الشارع، وتكون أداة للهدم بدل البناء، وللتشكيك بدل التثبيت، وللانحراف بدل الاستقامة، وللإلحاد بدل الإيمان، فحدد للبيان غايات، وأوجب على أهل البيان أن يلتزموا فى عملهم معالم تلك الغايات حتى لا ينحرفوا بنعمة البيان عما رسمه الشارع بسببها للإنسانية من خير وفلاح، كما نظم له الوسيلة التى يجب أن يظهر بها فى دنيا الناس، حتى لا تنفصل غاية البيان عن وسيلته، وحتى لا يكون الخير المرجو منه قاصرا على مرحلة من مراحله بل يجىء ثمرة للبيان فى موضوعه وشكله، فى وسيلته وغايته. فما غاية البيان؟

(١) غاية البيان:

غاية البيان - وفقا لما يرشد إليه خطاب الشارع تتمثل فى:

احترام مبادىء الإيمان وأحكام الإسلام، فلا يخرج البيان عن مقتضى تلك المبادىء ولا يخالف مدلول تلك الأحكام، فإنه - إن فعل ذلك - يكون قد خرج عن خطه، وانحرف عن مساره، وأصبح أداة هدم وتخريب فى حياة الناس والمجتمعات، فالإيمان بالله، هو الأصل الذى تستقيم فى ظله كل شئون الحياة، وإذا اختل ذلك الأصل أو حجبت ثماره عن دنيا الناس اضطربت شئون حياتهم، وتفشى الباطل والظلم بينهم، وأصبحت الحياة هجيرا لا يطاق، وجحيما لا يحتمل.

● وإذا الإيمان ضاع فلا أمان:

وسيتجاسر الناس على الحرمات، فتنتهك الأعراض وتسلب الأموال، وتضيع الأنفس، وتستباح القيم، فالإيمان سياج الحماية لذلك كله، وبدلا من أن يكون الحكم فى أمور الحياة لله بالحق والعدل، سيكون للناس بعقولهم التى يوجهها الهوى، وتحركها الأهواء والأغراض، وتسيرها المصالح الشخصية الضيقة، والنظرة الذاتية المحدودة، ولما كانت عقول الناس مختلفة، وأفكارهم متباينة، ومصالحهم متعارضة، ونظرتهم الذاتية متناقضة فإن حياة شأنها كذلك ستأكل نفسها بنفسها، وستعيش شقاء لا فكاك منه، ونزاعا لا مخرج من إطاره، وهلاكا لا شك فى حلوله.

---

(٥) سورة الرحمن - الآيات من ١ - ٤.
(٦) سورة القلم - الآية الأولى.

ومن يتأمل آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الفكر والبيان ، يجد أن تلك الآيات قد جعلت للبيان غاية ، وأن تلك الغاية محددة بالمحافظة على قيم الإيمان وأحكام الإسلام ، والبعد بالناس عن طريق الانحراف والضلال . ليكون البيان سببا للهداية :

من ذلك قول الله ـ تعالى :

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧).

حيث جعل الحق ـ سبحانه ـ البيان سياجا يحول بين الإنسان وضلال العقيدة .

ويقول الله ـ تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٨).

ويقول ـ عز من قائل :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٩)

ويقول ـ عز من قائل :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠)

ولا يخفى ما تدل عليه تلك الآيات الكريمة من المقاصد والغايات التى تحكم البيان ، وهى غايات تتمثل فى تحقيق التقوى فى قلوب الناس ، وتحصيل الهداية والإيمان ، وشكر الله ـ تبارك وتعالى ـ على نعمائه التى أعظمها نعمة : الإيمان به ، وإذا كانت تلك المقاصد قد وردت فى صورة إخبار من الله ـ عز وجل ـ إلا أنها إخبار فى معنى الطلب ، حيث يجب أن يكون البيان فى دنيا الناس مقيدا بالغايات التى شرعها الله ـ عز وجل ـ ، وشرع الله واجب الاتباع ، فيجب اتباع تلك المقاصد والتقيد بها ، وقد جمع كل تلك المقاصد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى »(١١) ، حيث جعل هذا الحديث الغاية من اتباع الكتاب والسنة هى : الإيمان بالله والبعد عن الضلال والانحراف .. وتلك هى الغاية الكبرى التى يجب على كل مشتغل بالكتابة والبيان مراعاتها .

وسيلة البيان :

وأما وسيلة البيان فإنها يجب أن تكون متوائمة مع تلك الغاية السامية له ، فلا تتضمن فى ذاتها سوءا ، قال ـ تعالى :

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (١٢)

ولا تنطوى على ما يخدش الحياء ويثير الفاحشة فى الذين آمنوا ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣).

كما يجب أن لا تتضمن تلك الوسيلة فى بنائها اللفظى ما يمس حق الناس فى حماية أعراضهم وسمعتهم ، وكل ما يشكل المعانى التى يقوم عليها كيانهم الأدبى فى المجتمع ، يدل على ذلك قول الله ـ تعالى :

---

(٧) سورة النساء ـ آية ١٧٦ .

(٨) سورة البقرة ـ آية ١٨٧ .

(٩) سورة المائدة ـ آية ٨٩ .

(١٠) سورة آل عمران ـ آية ١٠٣ .

(١١) رواه الحاكم عن ابن عباس .. وقال صحيح الاسناد ، راجع الترغيب والترهيب للمنذرى ـ جـ ١ ـ ص ٤١ ـ دار الحديث .

(١٢) سورة النساء ـ آية ١٤٨ .

(١٣) سورة النور ـ آية ١٩ .

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (14)

وقول الله ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (15)

ولهذا حرم الغيبة ونهى عنها بقوله :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (16) .

كما يجب ـ وذلك هو الأهم ـ ألا ينطوى على ما يمس مشاعر الناس الدينية ؛ فإن المساس بتلك المشاعر مؤلم ووقعه على نفوس المؤمنين مر ، وربما يحتمل الإنسان طيش غيره في أبيه أو جده ، لكنه لا يحتمل أدنى ذرة مما يمكن أن يكون ماسا بدينه وعقيدته ، ولهذا حرم الشارع الوسائل التى تؤدى إلى ذلك المساس ، وسد الذرائع الموصلة إليه بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (17) .

حيث نهى عن سب أولئك الذين يدعون من دون الله مع ملاءمته لسوء مسلكهم حتى لا يؤدى ذلك إلى ما يمكن أن يصدر منهم مسيئا للدين الحق ، وماسا بالعقيدة الصحيحة لله ـ عز وجل ـ ظلما .

ويجب أن تكون وسيلة البيان واضحة لا عوج فيها ولا التواء ، ليكون الوصول إلى الحق سهلا ميسرا . فإن الحق أبلج ، والباطل لجلج أعوج ، وليس مما يتواءم مع تلك الخاصة فى البيان من جهة أسلوبه أن يعمد الكاتب إلى المراوغة ، واللف والدوران والغموض ، ويسلك مسلكا معوجا فى أسلوبه ، ليستدرج الناس إلى قبول أفكاره العليلة ، وقراءة كتاباته المغرضة ، فذلك أسلوب غير سوى كما أنه غير مستقيم .

ويدل على وجوب الصدق فى أسلوب البيان .

أنه وسيلة لغاية يرسمها الشارع وهى الهداية والتقوى والشكر والاستقامة على منهاج الله ـ عز وجل ـ وهذه أمور تدخل فى نطاق الواجبات الشرعية ، ومن ثم وجب أن تكون الوسيلة إليها على نحو من الوضوح واليسر والاستقامة بما يلائم تلك الغاية ، ويكون وضوح الأسلوب من الواجبات التى تمليها صنعة البيان ، يدرك هذا من يتأمل قول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (18)

وقوله :

﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (19)

وقوله :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (20)

وقوله ـ تعالى :

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (21) .

---

(14) سورة الحجرات ـ آية 11 .
(15) سورة الأحزاب ـ آية 58 .
(16) سورة الحجرات ـ آية 12 .
(17) سورة الأنعام ـ آية 108 .
(18) سورة الأنعام ـ آية 97 .
(19) سورة يونس ـ آية 24 .
(20) سورة الرعد ـ آية 2 .
(21) سورة الأنعام ـ آية 98 .

حيث جعلت تلك الآيات الكريمة تفصيل أسلوب البيان ووضوحه أداة للعلم والتعقل والفقه والتفكر ، والوصول بالمخاطب إلى درجة اليقين بالله ـ عز وجل ، وهو ما يشير إلى أهمية الوضوح فى أسلوب البيان . وقد أبرز كل تلك المعانى مارواه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخيف من منى ، فقال : « نضّر الله امرءاً سمع مقالتى فحفظها ووعاها ، وبلغها من لم يسمعها ، ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[22] حيث يشير الحديث إلى أهمية الوضوح فى بيان الحكمة والعلم النافع من خلال الحفظ الجيد والوعْى الكامل فى سماع المقال ليبلغه لغيره بما يسهل عليه فهمه ، كما روى أنس ـ رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ ـ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه »[23] وهو مايدل على أهمية وضوح الأسلوب فى البيان بما يستقيم معه فهم المطلوب منه ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن (الأغلوطات)[24] وهى المسائل الغامضة التى لا يستقيم فهمها للناس ، وتثير شراً وفتنة وهى لا تنفع فى الدين ولا الدنيا[25] ولذلك تدخل تحت باب العلم الضار الذى يحرم نشره .

---

(22) رواه الطبرانى فى الأوسط ، راجع ، الترغيب والترهيب للمنذرى ـ جـ ١ ـ ص ٦٤ ، وقد روى عن طريق ابن مسعود ، راجع : شرح السنة للبغوى ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٦ ـ طبعة مجمع البحوث ـ ومسند الإمام أحمد ـ جـ ١ ص ٩٦ ـ طبعة شاكر .

(23) رواه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم ، باب تكرار الحديث ـ جـ ٣ ـ ص ٤٣٦ ، وراجع : شرح السنة للبغوى ـ السابق ـ ص ٢٩٨ .

(24) رواه أبو داود من حديث معاوية فى كتاب العلم ، باب التوقى فى الفتيا ـ جـ ٣ ـ ص ٤٧٣ ـ راجع مسند أحمد ـ جـ ٤ ـ ص ٤٧٥ .

(25) شرح السنة للبغوى ـ جـ ١ ـ ص ٣٠٤ هامش .

ليس التبرج قرين الحضارة

لفضيلة الشيخ/
عبد العزيز أحمد رضوان (*)

يشيع بين بعض المغرضين أن الإسلام ظلم المرأة ولم يعطها حقها في الانطلاق والحرية . ثم يرددون ، ويرددون : ما بال الفتى يلهو كما يشاء ، ويعبث أنى شاء ولا يحاسبه أحد ، بينما الفتاة لو غابت عن البيت حوسبت ، وهاج وماج أهلوها وذوو قرباها ؟!! أليست تلك تفرقة عنصرية بينما الإسلام دين المساواة ؟!!

ولماذا يعاب على المرأة أن تبدو أنيقة ذات هندام جميل ؟ أليس الله جميلا يحب الجمال ؟ ولماذا إقرار مظاهر الكآبة والحبس في البيوت وتعطيل نصف المجتمع من العمل والإنتاج ؟ أليس هذا ظلماً وأى ظلم ؟!!

وهل هذا الذى تدعون الناس إليه إسلام ؟ إلخ هذه الافتراءات .

وهذا الكلام وأمثاله ـ مما يشاع عن الإسلام فيه خلط وطمس للحقيقة ، وجهل بحقائق الإسلام الذى جعل المرأة صنو الرجل من حيث الثواب والعقاب ، فالإيمان والتقوى هما اللذان يرفعان أو يخفضان بصرف النظر عن النوع والجنس . قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (1) .

وقال ـ سبحانه ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (2)

---

(1) سورة آل عمران : من الآية ١٩٥ .

(2) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(*) الكاتب : المدير العام لمعاهد السودان الأزهرية للتعليم والدعوة .

وليست قوامة الرجل على المرأة ، وجعل عصمة الزواج بيد الرجل - على سبيل المثال - من باب التحيز للرجل ، وإنما مرد ذلك للخلقة التكوينية للرجل والوظائف التى فطره الله عليها لينهض بعبئه ، فهى من قبيل التكليف لا التشريف ، وهذه نماذج من خلط هؤلاء المغرضين :

إذا ما تباطأ القضاء فى إصدار حكم ينصف امرأة مظلومة ، قالوا : هذا هو الإسلام !!

وهذا رأى الناس : « أريد حلا » .

وإذا ما حدث فى بيئة غاشمة أن أجبرت الفتاة ظلماً على الزواج بمن تكره ، قالوا : هذا هو الإسلام .

وإذا سيقت المرأة كارهة إلى زوج لا تريده ، أو إلى ما كان يسمى (بيت الطاعة) يوماً ما ، قالوا : هذا هو الإسلام !! ورأى الناس فيلم (بيت الطاعة) .

وإذا جار جائر فى قضية وكان قد رفع شعار الولاء للإسلام قالوا : هذا هو الإسلام !!

وإذا ما صدرت فتوى شاذة لا يقرها الإسلام ولا جمهرة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، كتحريم ارتداء ربطة العنق ، أو قيادة المرأة للسيارة ، أو بطلان صلاة غير الملتحى ، أو اعتبار صوت المرأة عورة ، قالوا : هذا هو الإسلام !! وهكذا .

أولئك كارهون للإسلام ، عازفون عن النظر فى نصوصه ومن يكن كارهاً حقوداً فإنه لا يصلح لريادة أمة ، ولا يصلح به عمل ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3]

إن هؤلاء لا يعيشون إلا مسارعين فى الإثم والعدوان ، صيادين للشبهات ، عاملين لخلخلة بنيان المجتمع ، داعين لهدم الوحدة والتقارب بين المسلمين ، متغنين بأمجاد المذاهب الهدامة .

ومــــن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الــــــــزلالا

إن الفتيات الآن يتلقين التعليم فى أنحاء العالم الإسلامى وفى أعرق جامعات الدنيا كلها « الأزهر الشريف » فكيف ينسب للإسلام انه حبس المرأة فى البيت ومنعها من التعليم ؟

وكيف ينسب للإسلام أنه أباح للفتيات الانطلاق الفارغ واللهو الماجن فى حين منع الفتيات هذا (الحق) ؟

إن الإسلام يحرم العبث والمجون على الجنسين ، والقرآن الكريم ملىء بمثل هذه المعانى ، ومنها دعاء عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4]

وقال - تعالى - عن المؤمنين :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[5] وقال آمراً المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[6]

والله - سبحانه - يصف الكافرين بأنهم

(٣) سورة محمد : الآية ٩ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧٤ .

(٥) سورة الطور من الآية ٢١ .

(٦) سورة التحريم من الآية ٦ .

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾[7] .

ثم إن الإسلام لم يحرم على المرأة أن تخرج من بيتها لضرورة العمل أو البيع والشراء والتعلم والتعليم وغير ذلك من الضرورات الشرعية ما دامت ملتزمة بلباس الوقار وآداب الإسلام ، مصداقاً لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[8] .

﴿ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴾[9] الآيات ويقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[10] .

ويحذر رسول الله ﷺ هؤلاء النساء اللواتى يتبخترن فى مشيتهن ويتسكعن فى الطرقات دون ما خجل أو حياء فيقول : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »[11] . والإسلام لا يعيب على المرأة التزين لزوجها وإشاعة جو الجمال والحس المرهف إلى جانب المودة والرحمة والسكينة فى بيت الزوجية ، وإعفاف زوجها عن النظر إلى غيرها .

ولكن الأوضاع الآن انعكست . فالبيت فى كثير من البيوت مهمل ، والزوج مضيع الحقوق ، تهجره الزوجة وتحتقره وتعصيه ، فإذا ما خرجت إلى الطريق تعطرت وتكسرت إغراء ، وغيرت خلقة الله لها بألوان شتى ، فإذا ما أهيب بها أن تتقى الله وأن تعود إلى آداب الإسلام ، صاح أعداء الإسلام هذا جمود ، هذا تحجر ، هذه رجعية !!!

إن الحبس فى البيت جعل عقوبة للواتى يأتين الفاحشة كما قال القرآن الكريم :

﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾[12]

أما بنات الهوى وطالبات المتع المحرمة فإنه لا ينبغى أن ينطلقن فى بؤر الفساد ومواطن اللهو والفجور غير عابئات بدين ولا مستمسكات بأخلاق . وصدق شاعر النيل إذ يقول :

أنا لا أقول : دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن ، لا من وازع
يحذرن رقبته ، ولا من واق
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا
فالشر فى التقييد والإطلاق
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

---

(7) سورة الأعراف من الآية 51 .

(8) سورة الأحزاب : من الآية 32 ، 33 .

(9) سورة النور : الآية 31 .

(10) سورة الأحزاب من الآية 59 .

(11) رواه مسلم .

(12) سورة النساء آية : 15 .

إن المذاهب الهدامة ـ جعلت من المرأة سلعة للتجارة بها ، ويتناولها رجال ليجعلوها واجهة الإغراء فى المحال التجارية ، وفى الإعلانات وحرضوها على ترك البيت والزوج لترقص وتغنى وما إلى ذلك فماذا أخذت وماذا أخذوا ؟

أبهذه السخافات نصف حضارة القرن الحادى والعشرين ؟!!!

إن التكريم الحقيقى للمرأة هو الذى أعطاه لها الإسلام بعد أن كانت تورث ولا ترث . وبعد أن كانت تقاسى من ظلم الرجل فى العادات الجاهليـة ، من (وأد) ، (وإيـلاء) ، (وظهار) ، فحرم أن تورث وقرر لها ميراثاً وحكم لها بالطلاق رغم أنف زوجها إذا أساء عشرتها ، وتعدى حدود الله معها ثم استخلص لها حقها منه ، وقرر لها أن تخلع من زوجها لو كرهته حتى ولو لم يسىء إليها بشروط الخلع المقررة فى القرآن والسنة ، وأعطاها حقها بنتاً وزوجاً وأماً ، وأوصى بها وبالصبر عليها ، والأدلة على ذلك من آيات القرآن والسنة أكثر من أن تحصى .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[١٣] .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٤]

وسؤال خولة بنت ثعلبة لرسول الله ﷺ وسماع الله ـ عز وجل ـ لها من فوق سبع سموات ، ونزول صدر سورة المجادلة لأجلها معروف مشهور .

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ مستهجنا ما كان عليه العرب ـ أو بعبارة أصح بعضهم ـ من وأدهم للبنات : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[١٥] .

وها هو رسول الله ﷺ يقول من خطبته فى حجة الوداع : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا »[١٦] .

وبعـد :

فليعلم اعداء الإسلام مهما زاد عددهم وكثرت افتراءاتهم ، وساندتهم شياطين الإنس والجن أن دين الله « الإسلام » الذى ارتضاه لعباده باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[١٧] .

---

(١٣) سورة النساء : الآيات من ١٩ ـ ٢١ .

(١٤) سورة البقرة : الآيتان ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١٥) سورة التكوير : الآيتان ٨ ، ٩ .

(١٦) رواه الترمذى وحسنه وصححه .

(١٧) سورة غافر : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .





تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

منعنى المرض من صيام شهر رمضان ١٤١٤هـ (أى العام الماضى) وأدى هذا المرض إلى منعى القضاء حتى رمضان القادم بأمر الأطباء .

فهل يجوز أن أصوم رمضان القادم ١٤١٥هـ وأقضى صيام رمضان ١٤١٤هـ بعد رمضان ١٤١٥هـ وذلك لعذر المرض ورأى الأطباء .

أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فبالاطلاع على السؤال المبين بصدر هذا نفيد :

بأنه مادام هذا المريض قد استمر مرضه إلى حلول شهر رمضان لعام ١٤١٥هـ فعليه إذا استطاع صوم شهر رمضان الحالى أن يصومه ، ثم يقضى صوم شهر رمضان الذى فاته صيامه بسبب المرض سنة ١٤١٤هـ متى استطاع ذلك ، ولا يشترط فى قضاء صيام ما فاته التتابع .. هذا والله الموفق

●●●

السؤال موجه من مسجد هالتون بولاية تورنتو بكندا عن كيفية وضع الميت فى القبر وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فنفيد بأنه يسن أن يوضع الميت فى قبره على جنبه الأيمن ورأسه متجهه الى جهة القبلة ، وأن يوضع تحت رأسه قطعة من الطوب اللبن سواء كان بكفنه أو موضوعا فى صندوق ، ويوضع فى حفرة ويهال عليه التراب لقوله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ولا مانع من وضع شاهد مذكور عليه اسمه والله تعالى أعلم .

سؤال من السيد/إيهاب فخر الدين هندى .

يسأل عن الحكم الشرعي لطفل الأنابيب بوضع الحيوان المنوى للزوج وبويضة الزوجة للإخصاب فى (أنابيب) بدون تدخل أىّ بويضة أو حيوان منوى آخر ، بل خاص بالزوج والزوجة فقط وذلك لظروف مرضية خاصة بالزوجة أو الزوج .

أفيدونا أفادكم الله

الجواب : فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من كتاب « الفقه الاسلامى مرونته وتطوره » لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من ص ٢٦٩ إلى ص ٢٧٣ ، وكتاب « بيان للناس » ص ٢٤٠ إلى ص ٢٥٤ .

عن السؤال المقدم :

١ ـــ وصورته أن تؤخذ بويضة الزوجة التى لا تحمل وتلقح بمنى زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة (أنابيب) وأعيدت البويضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى إنسان آخر أو حيوان ، وكان هناك ضرورة طبية داعية لهذا الإجراء كمرض للزوجة يمنع الاتصال العضوى مع زوجها ، أو به هو قام المانع ، ونصح طبيب مسلم حاذق مجرب بأن الزوجة لا تحمل إلا بهذا الطريق ، ولم تستبدل الأنبوبة التى تحضن فيها بويضة ومنى الزوجين بعد تلقيحهما ، كان الإجراء المسئول عنه فى هذه الصورة جائزا شرعا ، لأن الأولاد نعمة وزينة وعدم الحمل لعائق وإمكان علاجه أمر جائز شرعا ، بل قد يصير واجبا فى بعض المواطن «فقد جاء أعرابى»[1] فقال : يارسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فان الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله . رواه أحمد ، فهذه الصورة والصورة فى السؤال الأول من باب التداوى مما يمنع الحمل والتداوى بغير المحرم جائز شرعا ، بل يكون التداوى واجبا اذا ترتب عليه حفظ النفس أو علاج العقم فى واحد من الزوجين ولا يجوز أن تحل مكان الأنابيب حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة أى تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها إلى رحم ذات الزوجة .

والله تعالى أعلم

---

(١) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص ٢٠٠ فى أبواب الطب .



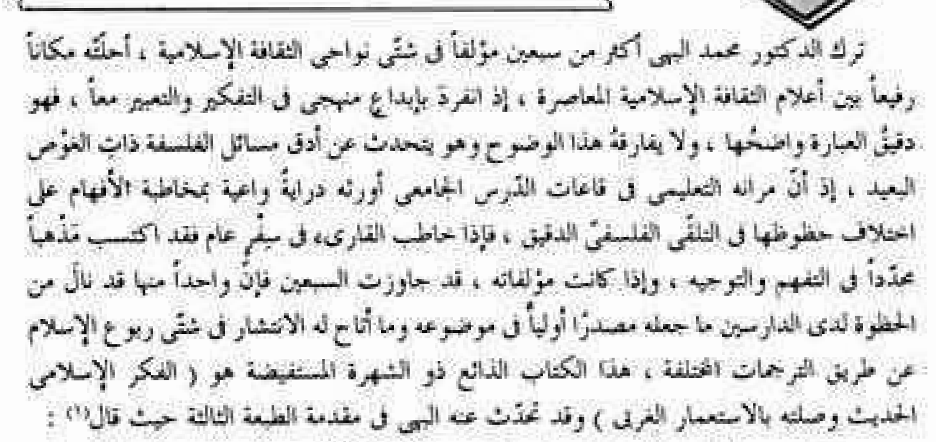
من أعلام الأزهر

الدكتور محمد البهي

مفكراً ومصلحاً

٢

أ.د/ محمد رجب البيومي



ترك الدكتور محمد البهى أكثر من سبعين مؤلفاً فى شتّى نواحى الثقافة الإسلامية ، أحلّته مكاناً رفيعاً بين أعلام الثقافة الإسلامية المعاصرة ، إذ انفرد بإبداع منهجى فى التفكير والتعبير معاً ، فهو دقيقُ العبارة واضحُها ، ولا يفارقهُ هذا الوضوح وهو يتحدث عن أدق مسائل الفلسفة ذاتِ الغَوْص البعيد ، إذ أنّ مرانه التعليمى فى قاعات الدّرس الجامعى أورثه درايةً واعية بمخاطبة الأفهام على اختلاف حظوظها فى التلقّى الفلسفىّ الدقيق ، فإذا خاطب القارىء فى سِفْرٍ عام فقد اكتسب مَذْهباً محدّداً فى التفهيم والتوجيه ، وإذا كانت مؤلفاته ، قد جاوزت السبعين فإنّ واحداً منها قد نالَ من الحظوة لدى الدارسين ما جعله مصدرًا أولياً فى موضوعه وما أتاح له الانتشار فى شتّى ربوع الإسلام عن طريق الترجمات المختلفة ، هذا الكتاب الذائع ذو الشهرة المستفيضة هو (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) وقد تحدّث عنه البهى فى مقدمة الطبعة الثالثة حيث قال[1] :

« فبالرغم من أنّ له كتباً وكتابات غير كتاب (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) فقد كنتُ أُعرّف به فى رحلاتى المختلفة فى المشرق والمغرب التى قمتُ بها منذ عام ١٩٦٠ إلى آخر عام ١٩٦١ سواء فى الباكستان أو الملايو أو أندونسيا أو الفلبين أو فى شمال أفريقيا فى ليبيا والمغرب أو فى غرب أفريقيا فى نيجيريا ، فما ذُكرتُ فى مرّةٍ من المرات أثناء هذه الرحلات ، وما عُرّفت عند إلقاء محاضرة أو حديث إلّا بأنّى مؤلف (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) .

(١) مقدمة الطبعة الثالثة .

فإذا أراد القارىء أن يعرف الدافع الذى بعث المؤلف إلى تسطير كتابه ، فإنه سيقف على حقائق مؤلمة حين يعلم أنّ الدراسات الإسلامية فى جامعات أوربا وأمريكا تتخذُ وسيلة للطعن فى الإسلام تحت شعار البحث العلمى ، وقد كان الدكتور البهى أستاذاً بمونتريال الأمريكية فشاهد من غرائب الاحتيال العلمى والتدليس البشرى ما أشار الدكتور إليه فى قوله(٢) ـ ببعض التصرف اليسير ـ .

لقد أشفقت على نفسى فى هذا العام أن أموت حزناً على ما ينشره المستشرقون ضدّ الإسلام فى الغرب والشرق على السواء ، فما يُسمّى « معهد الدراسات الإسلامية بمونتريال » عبارة عن مسرح تمثل عليه (خرافة) الإسلام ! وتناقضات المبادىء فى القرآن ! واللاإنسانية واللاحضارة فى المجتمع الإسلامى ! ويجلب إليه الطلبة من البلاد الإسلامية ، ويُختارون من أصحاب النفوذ فى المستقبل ، كما يُدعَى المدرسون والأساتذة ، وهم ثلاثة أنواع ، نوعٌ من الانجليز والأمريكان ممن يثيرون الشبة ضد الإسلام ، ونوعٌ من المسلمين ضعاف الشخصيّة تستهويهم الإقامة فى الحياة الأمريكية ، وهى حياةٌ مملوءةٌ بالإغراءات المادية ، ونوعٌ آخر من المسلمين عرف بشخصيته القوية ، ويُرادُ له عن طريق مثل هذه الدعوات أن يتعاطف يوماً مع ما يكتبه المستشرقون ، كان هناك تركى مسلم اسماً ، يدرس علم الاجتماع الإسلامى فى كتاب ألفه يهودى نمساوى ، ينكر فيه أن يكون الإسلام صاحب اتجاه حضارى فى تكوين الأمة والمجتمع ، وهناك باكستانى يقوم بتدريس التناقض فى آيات القرآن ، وقد تنصر هو وزوجته فكتب له عقد طويل الأمد ، وفى قاعات البحث تطرح الشكوك من قبل الطلاب والطالبات الأمريكيات كطرف مواجه للمسلمين ، ويقوم بالرد مثل هذا التركى وذلك الباكستانى » !

فى هذا المجتمع الحاقد بدأ الدكتور البهى يخطّ كتابه عن الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ليدحض كل مايتردد فى هذه الدوائر التبشيرية من افتراءات ، وليبين أن للإسلام حضارته واستقلاله وإنسانيته ، وكلّها تفوق بالدليل المادى ما يزعم الغربُ لنفسه من دعاوى الحرية والإخاء والمساواة ، وقد ابتدأ بفاتحة موجزة تتحدّث عن تسلل الاستعمار الغربى إلى العالم الإسلامى ، ووسائله المُريبة فى تحطيم الكيان الإسلامى ، ثم يلى ذلك حديثٌ مركّز عن دواهى الاستشراق وما يبثّه من سموم ذات أثر قاتل يؤكّد على تمجيد القيم الغربية وتوهين التعاليم الإسلامية مفترياً ومضللاً .

وإذا كان جمالُ الدين الأفغانى ومحمد عبده قد قاوما الاستعمار مقاومةً واعية يسندها الدليل الملزم ؛ فقد بسط الدكتور البهيّ جهوده فى النطاق ، فارقاً بينهما وبين جماعة من المسلمين عرفوا بالإصلاح الدينى على مذهب الغرب ، فتخلوا عن تعاليم أصيلة فى مبادىء الإسلام زعمًا بأنها لا تصلح للبقاء ، فكسبوا الشهرة والمال وخسروا الشرف والكرامة ... وحين انتهى المؤلف من ذلك بسط الحديث الشاق عن اتجاه الفكر الإسلامى منذ القرن العشرين ، وأثر الحملة الصليبية فى تشويه الإسلام ومبادئه ، وعن المجددين فى مصر ، وقد فضح أساليب التجديد المنحرف حين أفاض فى

(٢) حياتى فى رحاب الأزهر للدكتور البهى ص ١٢٧ .

تحليل ماكتبه المستشرق (جب) عن « بشرية القرآن » وما تورط فيه الدكتور « طه حسين » من أغاليط فى كتاب الشعر الجاهلى لها أصولها الواضحة فى كُتُب الاستشراق ، واطّرد البحث فشمل كتاب « الإسلام وأصول الحكم.» ومادار حوله ، وما أعقبهُ من تأثير ضار ، أما ما كتبه البهى فى تفنيد الشيوعية فقد كان شجى فى حلوق ذيولها فى مصر ، فعملوا على مطاردة الكتاب ، وحاربوا إعادة طبعه فى « الدار القومية للنشر » بعد أن تعاقدت على نشره ، ثم خُتِم الكتابُ ببحث واف عن الدكتور محمد إقبال ومنحاه التجديدى موازنًا بفلاسفة الغرب ، ولعلّى بعد هذا العرض الموجز أكون قد دفعت من لم يقرأ هذا الكتاب إلى ضرورة مطالعته واتخاذه درعاً واقياً من الأراجيف ، ولا أكتم الحقيقة حين أقول إن كثيراً ممن أعقبوا الدكتور البهى فى الخوض فى هذه المسائل قد اقتفوه ، وانتفعوا بما قدم ، أشاروا إليه أم سكتوا عنه ، وليس أقر لعين الكاتب من أن يرى أفكاره تمتدّ وتستفيض ، وأن يلمس تلاميذ . من الناشئة فى غير جامعته يعتنقونها ، ثم تصبح مصدراً من مصادرهم العلمية حين يتجهون إلى التأليف بعد حين ..

ومن بين ما أنتج الدكتور البهى سلسلته القرآنية التى سماها « من التفسير الموضوعى » حيث حملتْ ثنتَيْن وعشرين سورةً من كتاب الله ـ تعالى ـ غير جزء عم المتمم لها ، وقد كُنتُ أفهم أن يكون التفسير الموضوعى عاماً لا يخص بسورة واحدة ، أم أن يكون التفسير الموضوعى خاصًّا بسورة معينة فهذا ما لم تتضحْ لى وجهته السديدة إلى الآن ، وأذكُر أنى بسطت هذا الرأى فى كتابى (التفسير القرآنى) حيث قلت[٣] :

« لقد أصدر الدكتور محمد البهى أكثر من عشرين جزءًا لطيفاً ، يضم كلّ جزء تفسير سورة خاصة من كتاب الله ، وكلها تحت عنوان « التفسير الموضوعى للقرآن الكريم » ومن هذه الأجزاء ما يَشْملُ سور « الأنعام ويونس ويوسف والرعد والنحل والكهف وطه والمؤمنون والشعراء والقصص والصافات والأعراف وهود وإبراهيم والحجر والإسراء ومريم والأنبياء والفرقان والنمل والعنكبوت والجن » حيث مضى فى التفسير آيةً آية وفق السرد المعهود فى المصحف الشريف ، وزاد عليه أن بدأ كل سورة بملخص لعناصرها العامة التى تدور حولها الجزئيات ، إذ أنّ أصحاب هذا الاتجاه يروْن أن كلّ سورة قرآنية ذاتُ وحدة موضوعية يلتمّسون لها الأسباب بذكر العناصر التى يهتدون إليها ، لتكون بمثابة دوائر يجتمع فيها جزيئاتٌ تنتهى إليها .

وأرى أن معنى التفسير الموضوعى فى هذا الاتجاه يَسْقُط سقوطا تاما عند الوقوف لدى عناصر السورة الواحدة ، لأنّ كلّ سورة من سُور الكتاب لا تستقلّ بموضوع خاصّ لا تشمله السُّور الأخرى ، فإذا أردنا ـ مثلا ـ أن نفسّر سورة النور جعلناها من أمثلة التفسير الموضوعى ، فإننا نترك ما يدورُ حول أغراضها مما جاء فى سُور « النساء والطلاق والأحزاب » ، لأن جميع هذه السور

(٣) التفسير القرآنى ص ٧٧ وما بعدها للدكتور رجب البيومى .

تتحدث عن المرأة في القرآن ، فكيف تكون السورة الواحدة من هذه السور المشار إليها مما يندرج تحت التفسير الموضوعي ، وهى لا تشملُ الموضوعَ بأكمله ؟ نحن لا نمنع أن تُفرد السورة الواحدة بتفسير خاص ، ولكننا نمنع أن يكون هذا الإفراد من قبيل التفسير الموضوعي » وهو منه بعيد »

نعم قد يكونُ من قبيل التفسير الموضوعي ما أخرجه الدكتور البهى تحت عنوان (المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم) حيثُ عقد فصلَين هامَّين يتحدثُ أولهما عن مظهر الوحدة فى القرآن ، إذ يشير إلى وحدة المعبود ، وإلى الوحدة فى ذات الإنسان ، وإلى الوحدة فى اتجاه المجتمع وإلى الوحدة باعتبارها مظهرا حضارياً ، أما الفصل الثانى فيتحدّث عن تحديات المجتمع الحضارى فى القديم والحديث متعرّضا إلى المذاهب الضالة من قديمة ووافدة ، وفى كلا الفصلين جمعٌ شافٍ لآياتٍ مختارة من القرآن تعطى مدلولا متكاملا لما يعنيه الباحث من التوجيه الهادى إلى ذخائر القرآن الكريم ، إننا نعتبر كتاب « المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم »محاولةً لتفسير موضوعى يضمّ النظير إلى النظير من آيات الكتاب العزيز ، أما أن تكون السّورةُ الواحدة مثلاً للتفسير الموضوعى فهذا ما لم يتضحْ لى وجهُه على نحو مقنع ، وقد أكون مخطئاً ولكنّى أبسطُ ما يخالجنى من ملاحظات .

وبعد ، أترانى أُنهى الحديثَ عن الدكتور البهى دون أن أُشير إلى دَوْره القيادى فيما يُسمّى بحركة التطوير فى التعليم الأزهرى معهدًا وجامعةً ، إنّ كثيراً من الناس يَرْجُمون بأخطاء التطبيق إلى ما وافق عليه من نظامٍ نقْلِ كليّات الأزهر من وضع إلى وضع ، كذلك جعل المعاهد الدينية تُقاسمُ المدارس فى علومها المدنيّة ، ولم تكنْ فكرةُ هذا التطوير جديدةً على فكر البهى وقد اختير لتنفيذها فجأةً كما يُحاولُ بعض الناس أن يقول ، ولكنّ فكرةَ التطوير لديه قد بَدتْ فى ذهنه من يوم أن رَجع من ألمانيا وقام بتدريس الفلسفة فى كلية أصول الدين ، حيثُ رأى كليّات الأزهر بعامة تأخذُ مظهر التعليم الجامعى شكلاً لا موضوعا ، فالتعليمُ الجامعىّ فى لبابه الأصيل ـ ودعْكَ من مسألة المذكّرات المنْتشرة الآن فى شتى الجامعات بالجمهورية فهى دخيلة على المنهج الجامعى كما يدخل العلَق فى جسم المريض يمتص دمه ، ويهن قوّته ـ هذا التعليمُ الجامعىّ فى لبابه الأصيلُ لا يعتمدُ على كتابٍ قديم تُشرح ألفاظهُ وعباراته كل عام ولا يتعدّاه الأستاذ إلى سواه كما عرَفْنا ذلك أيّام الطلب ولمسناهُ عن يقين ، بل يعتمدُ على موضوع تجمعُ له المصادر المختلفة وينسجهُ الأستاذُ نسجًا جديدا ، تظهر فيه روحُه العلمية مناقشةً ونقداً وإضافة ، والطالبُ من ورائه يتتبع المصادر ويولى الخطوات فى شتّى الأسفار المختلفة ، حتى يعرف كيف اهتدى أستاذه بتوجيهه الخاص ـ إلى ما قرّر من الحقائق !! لقد بحث الدكتور البهى عن الكتاب الجامعى الجديد ، فلم يجده ، كذلك بحث عن الأستاذ الجامعىّ الذى يستطيع القيامَ بالتأليف المنهجى على وجْهه الصحيح ، فوجدَ القلّةَ المبْدعة تضيعُ بين الكثرة المقلدة حتى ما يكاد يسمعُ لها صوت ! وقد كتبَ فى الأهرام مرّاتٍ عديدة مقالاتٍ تربويّة تنقد الاتجاه السائد ، ومنها ما أذكُر عنوانه « الأزهر بيْن مبدأيْن متنافرين » ولا أعرفُ الآن تاريخ صُدوره لبعد

الزمن ، وإنْ كانت حقائقُه تشغلُ ذهني منذ قرأته ، كما أذكرُ مقالاً نشره بمجلة الرسالة تحت عنوان (الأزهر وبعثاته العلمية[٤]) ضمنَ بعض آرائه فى الكتاب والأستاذ ، قال فيه :

كما أنّ مبدأ قداسة بعض المواد دُون بعضٍ يسودُ التعليمَ فى الأزهر . كذلك مبدأ الكتابة ، إذ أن مدرّس الموضوع لم يَخلُق بعدُ فى الأزهر ، وإذا كان فى طريق الخلْق والتكوين ، فالحقائق العلمية فى مادةٍ من المواد مصدرُها كتابٌ معيّن بالذات ، والتمكينُ فى الخلافات العلمية ، ومشاكل البحث لم يزلْ إلى كتاب مخصوص » .

فإذا تركنا التعليم الجامعى إلى المعاهد الأزهرية من إعدادية وثانوية ، فإننا نجدُ ما أُضيف من المواد الحديثة « كان ردّاً على صيْحات متكررة قام بها من يُنادون بوحدة التعليم الابتدائى والثانوى فى مصر ، دون تفريق بين التعليم المدنىّ والتعليم الدينى ، وهى دعوةٌ نادى بها الأستاذ إسماعيل القبانى قبل أن يفكّر فيها الدكتور طه حسين بعدّة سنوات ، ثم تلقفها الدكتور ليسجلها فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) ولما تجد صدىً لدعوته ، ارتقب عدّة سنوات حتى حانت له الفرصة ، فصاح بما سماه (الخطوة الثانية) فإذا أُضيفت هذه العلومُ إلى الدراية الأزهرية فقد قطعت ألسنة الناقدين ، ولا أنكر أن المنهج قد أصبح متخماً إتخاما يتطلب التعديل الجزئى ، وهذا ما ندعو إليه مخلصين ، على أن تراعى الفروق بين طلاب القسم العلمى وطلاب القسم الأدبى مراعاةً جوهرية تنفذ إلى الصميم .

وقد ولى الدكتور البهى وزارة الأوقاف ليقدم النموذج الممتاز للوزير المسئول ، فقد شاء أن يرعى إدارات الأوقاف . ومساجد الدولة بنفسه ، فكان يذهب إلى المسجد منفرداً[٥] فى أقاصى الجمهورية ليرى الوضع فى مشهده الطبيعى ، وقد شاهد من مظاهر الإهمال ما دفعه إلى المؤاخذة الجادة ، وأذكر أنه فى بعض جولاته الميدانية شاهد أرملةً فقيرة تطلب المعاش المتأخر منذ شهور فلمْ تجد غير الطّرد والغضب المفزع ، فساءه أن تشهد هذا الخزى المنكر ، وقد ذهب متنكراً ليرى ما يسوءه ، فعاقب المهمل المستخف ، وثارت عليه الثوائر فى الأوقاف لأنه يسلك مسلك الجد الصارم كما ثار عليه بعض أساتذة الجامعة لأنه ألزمهم بكتابة بحوث للترقية ، بعد أن ألفوا مجىء الترقية ، بالأقدمية المطلقة ، أو بغير الأقدمية لمن يُجيد الاتصال بذوى الأمر ، هذا النهج الحازم صار مدعاة لغط لا مبرر له ، وقد مضى الزمن فانكشفت الحقائق على وجهها الصريح ، وأنا الآن أؤرخ لعالمٍ مصلح مجتهد ، ونابغةٍ بحاثة مبتكر ، فما علّى غير أن أسجل ما اعتقد ، مؤكداً أنى لم أحظ بلقائه ، وإخاله لم يسمع لى ، وإنما أدْرس وأسجل ، لأعلن ما اعتقد أنه الصواب ، وهذا حسبى .

---

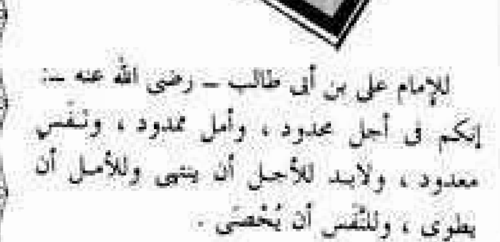
(٤) الرسالة : ١٩٤١/١/٦ .

(٥) فى مذكراته التى نشرتها مكتبة وهبة بعد وفاته ما يشير إلى وقائع مشابهة ، فليرجع إليها القارىء إذا أراد ، وقد جاءت تحت عنوان (حياتى فى رحاب الأزهر طالباً وأستاذاً ووزيراً) .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« نصائح »


للإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –:
إنكم في أجل محدود، وأمل ممدود، ونفس معدود، ولابد للأجل أن ينتهي وللأمل أن يطوى، وللنفس أن تُحصى.

« كم سن القاضي ؟ »

لما وَلّى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكانت سِنُّه نحو نيف وعشرين سنة، أراد بعض أهل البصرة أن يعيره بذلك، ويضع منه؛ فقال: كم سن القاضي؟ فقال: سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ مكة، فجعل جوابه احتجاجاً.

« نصيحة »

إذا آنست من خل جفاء
فلا أجفو وإن هو قد جفاني
ولكني أداريه برفق
وأمسك عن تناوله لساني

« بلغني أنك تغتابني »

قال رجل للحسن البصري: بلغني أنك تغتابني، فقال: لم يبلغ من مقامك عندي أن أحكمك في حسناتي.



رأيت النفس تكره ما لديها
وتطلب كل ممتنع عليها



شر الجلساء: ثلاثة: عالم لا يمكنك من أن تقول، وجاهل لايفهم عنك ماتقول، وبين بين ذو فضول.

« ليأمنك الأبرار ويخفك الفجار »

قيل : قال عمر بن الخطاب قبل أن يستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة : « ماتقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مشدد ؟! » .

فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك ، وأما القوى المشدد فإن شِداده لنفسه ، وقوته للمسلمين ..

قال عمر : « فإنا باعثوك يامغيرة » فكان المغيرة عليها حتى مات عمر ـ رضى الله عنه ـ وذلك نحواً من سنتين وزيادة ، فلما ودعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة قال له : « يامغيرة ليأمنك الأبرار ، وليخفك الفجار » .



فيم تكذبان ؟

نظر رجل إلى اثنين يتحدثان ، فقال : فيم تكذبان ؟
فقالا : فى مدحك .





قال بعضهم لبشار بن برد : ما أذهب الله كسر عينى مؤمن إلا عوضه خيراً منها فبم عوضك ؟ قال : بعدم رؤية الثقلاء مثلك .



حكى الأصمعى قال : مرّ بى أعرابى سائلاً فقلت له : كيف حالك ؟ ، قال : أسأل الناس إلحافاً فيعطونى كرهاً فلا يؤجرون على مايعطونى ، ولا يبارك لى فيما آخذ .

« إنها .. لا تعرف الشر »

ذُكرت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين ـ رضى الله عنهما ـ عند الخليفة عمر عبد العزيز ، وكان لها معظما . فقيل : إنها لا تعرف الشر . فقال عمر : عدم معرفتها للشر جنّبها الشر ـ رضى الله عن الجميع » .



« اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك ، وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك ، وعملاً بكتابك » .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

العالم الذى نوه الدين بذكره وخطأ الناس فى ذلك

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

من العالم الذى يطلق عليه لفظ : عالم ـــ حقا وصدقا ؟

وما العلم الذى يؤهل صاحبه لتسنم هذه المكانة السامية ؟

أما العالم ، فذلكم الذى يتغلغل العلم فى شغاف قلبه ، وحسه فيملك عليه كيانه ووجدانه فيعيش بالعلم وللعلم حتى يصل إلى روح اليقين ، عالما أنه مع ذلك لم يبلغ درجة الكمال ؛ ولذلك لا تجده يحبر نفسه عالما .

وأما العلم ، فهو العلم الدينى والدنيوى على اعتبار أنهما مكملان لبعضهما وعليهما وبهما تقوم سعادة البشرية فى شتى مراحلها .

وما أنزل الله رسالاته السماوية إلا لإسعاد البشرية ولن تصل البشرية إلى تلك السعادة إلا بالعلم بشقيه السابقين ، فليتنا نعرف حدودنا وحجمنا وإمكاناتنا فنقف عندها .

قال الأستاذ ـــ رحمه الله .

يعتقد كثير من أهل العلم أنه ممن وردت فيه الآيات والأحاديث ، اغترارا بما معه من شهادة ما أنزل الله بها من سلطان ، أو تصنيف فى الفقه أو النحو أو البلاغة أو الأصول أو نحو ذلك ، باهلا أن ما افتخر به من ذلك قد يوجد فى غير المسلمين ، وها هى ذى كتب مدارسهم التى ألفها آباؤهم وعلماؤهم يشهد لها الناظر ويعترف بفضلها المنصف ، وما تسمعه عن مستشرق أوربا أعجب وأغرب فهم شركاؤك فيما علمت ، فلا بد أن يكونوا شركاءك فى خاصة ذلك العلم ، وإلا وجد الشىء بدون خاصته وهو محال ، فإذا يجب أن يكون سر تفضيل العالم والثناء عليه من الله ورسوله راجعا إلى شىء آخر ، وأن تكون هذه العلوم التى ترفعنا بها على الجهلاء ، وامتلأنا بها

عجبا وكبرا وغرورا ، وزالت بها سلامة فطرتنا وطهارة قلوبنا بما أورثتنا من الصفات المهلكة ، ونخشى أن نكون ممن قال الله فيهم : « وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » أشبه شيء بالصنائع التى يتعلمها المسلم واليهودى والنصرانى ، ولا يرجع بها الفاسق عن فسقه ، ولا يتميز بها عن بنى نوعه ، إلا على قدر ما يتميز العالم بصنعة من الصنائع عن الجاهل بها

نعم يجب أن يكون سر التفضيل أمرا وراء ذلك كله ، وهو الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وجعل خشية الله خاصة من خواصهم « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » وكان مجلس واحد من مجالس العالم خيرا من عبادة ستين سنة ، ذلك العلم الذى يبلغ بك تلك الغاية ، ويحلك تلك المنزلة الرفيعة ، ومن أجله احترمك الجهلاء وعظمك الكبراء ، معتقدين أنك عرفت ما لم يعرفوه ، ووصلت إلى مالم يصلوا إليه ، والقلوب الإنسانية تحس بشرف العلم الأعلى ومكانة ذويه ، وتجل الروحانيين الربانيين إجلالها للملائكة المقربين ، وتنظر إليهم نظر أهل الأرض لأهل السماء على موجب ذلك الإحساس الذى لايكاد يخلو منه إنسان فيه روح الإنسانية .

ذلك العلم يجل عن أن يكون هو العلم بأحكام الفاعل والمفعول ، والتصغير والتكسير والمسند والمسند إليه ، والحقيقة والمجاز ، وتناقض الموجهات ، وأحكام المختلعات وفروع الطلاق ، والبيع والجنايات ، إلى آخر ما اشرأبت به الأعناق ، وعظم فيه السباق ، وتبجحت به النفوس ، وارتفعت به الرءوس ، بل يجب أن يكون هو العلم بجلال الله تعالى وعظمته وبديع آياته وعظيم أسراره فى خلقه ، مع معرفة خفايا النفوس ودقائق مكرها ، وتلبيسها وكثرة دسائسها وسرعة طيرانها نحو شهواتها ، فتراهم يتهمونها فى كل شيء ويعاملونها معاملة العدو المحتال ، باحثين وراءها فى كل ما تشير به ، خائفين من أن يكون لها فيه هوى دفين وشهوة خفية ، مجاهدين لها ما عاشوا ، ذائقين لقوله تعالى : « وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ » قائلين : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وجلين من أن يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، فكانوا ممن عرفوا نفوسهم فعرفوا ربهم ، فامتثلوا قوله ـ تعالى : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ » فعزلوها عن منصب الرياسة فتخلصوا من غوائلها كلها ، فلم يتحركوا إلا لله ولم يسكنوا إلا لله ، ولم ينطقوا إلا لله ، ولم يسكتوا إلا لله، متحققين أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فصبروا على بلائه ، وشكروا على نعمائه ، بل رضوا بقضائه وسارعوا إلى رضائه ، فلم يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضى وقدر ، بل سلموا له تسليما ، شأن العبد الصادق فى العبودية مع مولاه ، فرقين أن يندرجوا فى سلك من قال الله فيهم : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ » سائرين فى الدنيا على قدم الأنبياء يتجرعون فى سبيل الحق شدة الأذى ، كاظمين غيظهم ، صابرين على ما أصابهم ، بل عافين عن الناس محسنين إليهم مشفقين عليهم على نهج من قال الله ـ تعالى ـ فى وصفه الكريم « حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن

لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة ، مقبلين على الله - تعالى - بكليتهم ، داعين إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، عالمين أنها محل المحن ودار الفتن ، فلا يحبونها إلا على ما رسم الشرع لهم ، مشفقين من قوله - تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ مستبصرين فيها بما بصرهم سيدهم ، موقنين بما وعدهم من نعيم وملك عظيم ، عالمين أنها سريعة الفناء وشيكة الانقضاء ، يرون قريبا ما يراه الناس بعيدا .

أرى الموت يغتال النفوس ولا أرى
بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غدا

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ مقتفين أثر من قيل له : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى » واصلين إلى روح قوله - تعالى : « سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » محبين للمرشد الأعظم والنبى الأكرم الذى هداهم الصراط المستقيم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور محبة تزيد على محبة الوالد لولده ، والولد لوالده ، متحققين بما جاء فى حديث البخارى من قوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وما ورد فى حديث البخارى أيضا « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فوصلوا بذلك إلى روح اليقين ، حتى صارت مظان ثوابه ومواقع مرضاته - تعالى - مما تنشرح له صدورهم وتلتذ به نفوسهم ، عالمين أنهم لا يبلغون درجة الكمال ، وينتفى عنهم الحرج والمشقة ، ويصلون إلى محل الأمن ، إلا إذا تخلل ذلك جميع أجزائهم ، ورسخ فى كل ذراتهم ، فيميلون إليه ميلا طبيعيا يتقاضى منهم المسارعة إليه والعكوف عليه ، إذ هو محل الأنس وحضرة القدس ، مجتلين فى تلك الحضرات من عرائس الجمال الإلهى ما يفوق كل نعيم ، ويحتقر معه كل لذة سوة ، حتى قال قائلهم : « نحن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » فكادوا يهيمون بما يشاهدون من سبحات هذا الجمال ، ويذوبون عندما يوغلون فى سرادقات ذلك الجلال ، مدهوشين مما يذوقونه فى تلك الحضرات من مناجاة وإلهامات وملاطفات وأنوار وأسرار ، فكانوا من قوم « يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » يتيهون على ملوك الدنيا استغناء وعزة ، على حين أنهم يتواضعون للفقراء ويخضعون للضعفاء ، ولكن أبى لهم مقامهم الذى يعرفونه من أنفسهم ، وعزتهم التى يحسون بها من أعماق قلوبهم ، أن يتواضعوا لأهل العظمة والكبرياء ، وقد قال - تعالى : « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » إلى آخر ما يطول شرحه ولا يمكننا الآن أن نأتى عليه .

وبالجملة فقد التصقوا بكل فضيلة ، وتخلصوا من كل رذيلة ، وأدركوا من شريف الأحوال ورفيع المقامات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ،

ولا خطر على قلب بشر ، فكانوا بذلك ورثة الرسل وقادة الأمم ودواء العلل وكـواكب الظلمات ، وسرج المشكلات ، بهم تحل العقد وتنفرج الكرب « وراثة نبوية وخلافة إلهية » ولذلك كانوا مرجع الأمراء والكبراء حتى قال القائل قديما :

إن الأكابر يحكمون على الـورى
وعلى الأكابـر تحكـم العلمـاء

وقد قالوا : إن الأمة تفسد بفساد الأمراء والأمراء يفسدون بفساد العلماء . فانظر أين أنت من تلك المقامات ، وإلى أي حد وصلت من البعد عن تلك الصفات أيها المتبجح بعلمك ، المترفع على بنى نوعك ، الغافل عن كون الإنسان لا يزال متعلما طالبا من العلم ما يكون وراء ما علم ، وكلما ازداد منه رياً ازداد عطشا وكلما زاد فضله ، بأن له جهله ، وقد قال ـ تعالى ـ لأعلم العلماء وأعظم العظماء : « وقل رب زدنى علما » وقال : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وقال : « ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ »

وإن العالم حقا ليستحى من الله أن يتبجح بعلمه وهو يعلم أنه جعله محل الضعف والجهل والنقص والغفلة والنسيان ويرى أن العلم أمامه مسبع الفجاج متلاطم الأمواج ، وهو بساحله يرجو أن يتطاير عليه من بحره رشاش ينقع به مزيد غلته ، ويشفى به بعض علته ، وإن لم يعرف ذلك فهو من الجهلاء لا من العلماء .

انظر الى ذلك كله ثم قل لى بعيشك هل أحببت النبى ﷺ حبا وجدانيا يزيد على محبتك للناس أجمعين ؟ وهل صار هواك تبعا لما جاء به ؟ بل هل سعيت إلى ذلك سعيه يوما من الأيام ، وآلمك من أجله ضميرك ، وعاتبك عليـه نفسك ؟ أم هل أحسست بحب الله تعالى من أعماق قلبك حبا يهون عليك قضاءه ويخفف عنك بلاءه ؟ أم هل صدقت فى بيع نفسك لله تعالى وقد جعل ذلك من صفات المؤمنين فضلا عن العلماء منهم ، فخلصت أعمالك من الأغراض والشوائب حتى صارت كلها لله فلم تتكالب على أمورك الشخصية ولم تتهالك على شهواتك النفسية ولم تذل لأهل الدنيا ذل العبيد ولم تنافق لهم نفاق صغار النفوس لئام الطباع ؟ وهل ذقت لعزة المؤمنين طعما ، أو عرفت لها معنى ؟ وهل أنت ممن قال الله فيهم : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ؟ أومن قال فيهم : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وهل أنت ممن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟ وهل أنت ممن يقول لأخيه عندما يقابله : اجلس بنا ساعة نؤمن ، كما كان يقول ذلك أصحاب النبى ﷺ بعضهم لبعض ؟ وهل أنت ممن « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » ؟ وهل وهل الخ ؟ أم أنت ممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، وقد أحاط به الشره واستعبده حب الدنيا ، فليس يهمه إلا شيء يعود عليه ودرهم يصل إليه ، ففاتته عزة العلماء وثروة الأغنياء ، فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهو بالجهلاء أشبه منه بالعلماء ؟

نعم يوشك أن تكون من العلماء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « أول من تسعر به النار يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه فيطيف به أهل النار فيقولون له مالك وقد كنت تأمرنا وتنهانا فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنها كم عن المنكر

وآتيه ، كما يوشك أن تكون ممن قال الله فيهم : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ » وقد أوحى الله إلى بعض أنبيائه « قل لعلماء السوء ألسنتكم أحلى من العسل وقلوبكم أمر من الصبر فبي يستهزءون وإياي يخادعون فوعزتي وجلالي لأتيحن لهم من الفتنة ما يدع الحليم حيران » وفي الأثر « لا تجالسوا من العلماء إلا من يأخذ بكم عن محبة الدنيا إلى محبة الله وعن الكبر إلى التواضع ، وعن التباغض إلى التحابب » ولا قدر للدنيا حتى تبيع بها السعادة الأبدية ، وقد قال بعض الملوك عندما حضرته الوفاة : كنت أظن أني ملكت كل شيء فإذا كل شيء لا شيء وقال بعض الحكماء : « أعظم الناس ندامة صانع المعروف عند من لا يشكره ، وعالم فرط في علمه فلم يعمل به حتى حضره الموت » .

وقد سقت لك ذلك عسى أن يحرك مني ومنك شوقا إلى العمل بالعلم وندما على ذلك العمر العزيز وخوفا من أن يخاطبنا الله ــ عز وجل يوم القيامة بقوله : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » ورجاء أن نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا :

تجب الأيـام بنـا تثب
ما أسرع ما تصل السحب
والشمس تطير بأجنحـة
والليـل تطايـره الشهب
والدهر يجد بفعل الجـ
ـد فليس يليق بك اللعب
ما القصد سواك فخل هوا
ك وكن رجـلا فلك الطلب
سل دهرك أين قرون الأر
ض يجبـك بأنهم ذهبـوا
ساروا عنـا سيرا عجـلا
فكـأن مسيرهـم الخبب
ما أفصحهم ولقد صمتوا
ما أبعدهـم ولقـد قربـوا
يا لاعب جد بفعـل الجد
فلـيس الأمـر به لعب
واحذر دنيـاك وزخرفهـا
فجميـع مناصبها نصب
فكـأنك والأيـام وقـد
فتحت بابا فيـه النـوب
وبقيت غريب الدار فلا
رسل تأتيـك ولا كتب
وسلاك الأهل ومل الصحـ
ـب كأنهمو لك ما صحبوا
فإذا نقـر الناقـور جثـو
ت ويومئـذ يـوم عجب
فيصيخ السمع ويجثو الجمـ
ـع ويجرى الدمع وينسكب
وجميع الناس قد اجتمعـوا
ثم افترقـوا ولهم رتب
ذا مرتفـع ذا منخـفض
ذا منجـزم ذا منتصـب
فهنـاك المكسب والخسرا
ن وثم الراحـة والتعـب

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء



تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف



ألحان بلا أوتار

شعر : إبراهيم عيسى

غُيُورنَ .. أجلْ .. لكن لنا بالشوق أتابْ
فإنْ مالت بنا الدنيا .. وأهلُ الفضلِ ما آبوا

* * *

وإنْ غلِّقت الأبوابُ .. أو أُغمِضَ سردابْ
فإنّا في مآكيها لنا بالعشقِ أبوابْ

* * *

نُفتّحها على أملٍ له في الرُّوحِ محرابْ
وفي المحرابِ لا ليلٌ .. ولا ويلٌ .. ولا غابْ

* * *

لنعثرَ دمعةً أنْتْ .. فإنَّ الدمعَ هيّابْ
يخافك ياسخيَّ العفوِ .. والحنّانُ وهّابْ

* * *

ويا بُشراى لما قيل غفّارٌ وتوّابْ
ويا بشراى لما فُتِّحتْ للنورِ أبوابْ

* * *

وتنفسُ حينما ارتجفتْ .. فَفيضُ الصفحِ سكّابْ
وقيل لها : ادخلِ الصّرحَ .. فعرشُ الحبِّ غلّابْ

يا عيد أقبل

للشاعر
رشاد محمد يوسف

أقبل فللأرواح شوق . أقبل فللأعماق توْق
أقبل بكل البشريات . خطاك إيمان وصدق
أقبل كما وعد الكريم . ووعده نور وحق
يا عيد أنت ـ بفضل ربك ـ من لظى النيران عتق
وهدية للمسلمين وفيض رضوان ورزق
يلقاك وجدان التقاة ، ومن لهم في الخير سبق
تأتي مكافأة لمن صاموا وقاموا واستحقوا
فالصوم وجدان يذوب هدى ، وجارحة ترق
ومشاعر يزكو بها في القلب بالأنوار عمق
فاطرق على سمع الحياة عسى يفيق اليوم خلق
يا عيد قد عاد العداة . بهم على الإسلام حنق
عادوا بأغلال التعصب ، وهي ظلماء ورق
يستهدفون المسلمين وخطوهم محق وسحق
زرعوا المفاسد بيننا فانقاد أقوام وشقوا
وتنازعوا ما بينهم والخلف مأساة وحمق
والأدعياء المارقون علا لهم صوت وطرق
يا عيد واشفع عند ربك ما سرى في الأفق برْق
فالله وحّد خطونا والدين آصرةٌ وعرق
تسمو به شيم النفوس ، يضيء بالتسبيح نطق
يا عيد جمِّع شملنا كي لا يرى في الصف خرق
تاهت سفينتنا مع التيار. غام اليوم أفق
غابت عن الشط الأمين ولفها رعد وبرق
ومحمد طوق النجاة وما لنا إلاه طوق
يحنو ويهدي للصواب وخطوه نور ورفق
يدعو شتات العالمين فليس في الإسلام فرق
والجرح في عمق البلاد وما نجا غرب وشرق



يا حياة ..

شعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

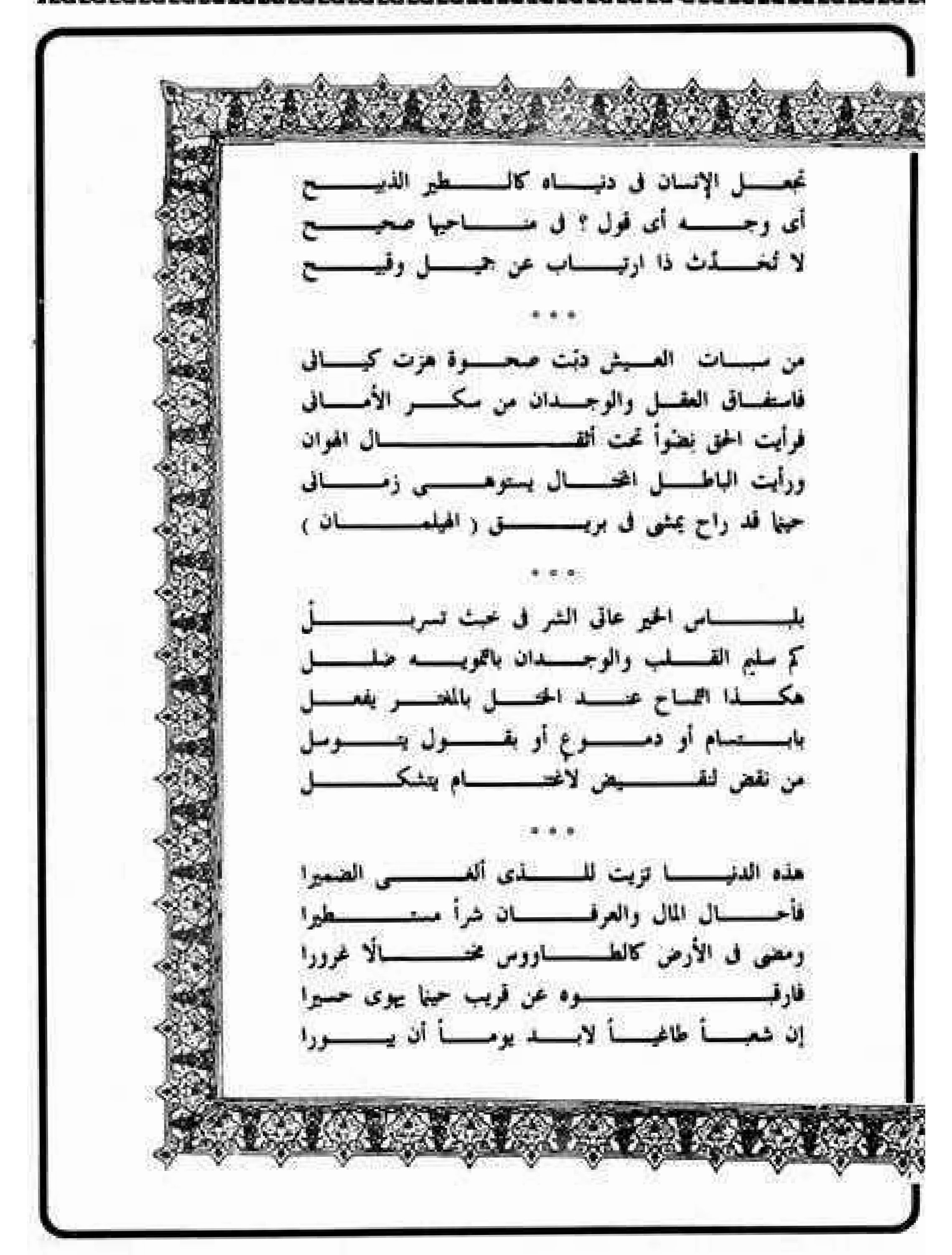
خففى الإيقاع فالإنسان فى دنياه يعتو
خائف مستوحش حتى وإن ألهاه لهو
لاهث الأنفاس قد أضناه فى البيداء عدوٌ
ماعلى الغبراء قلب من هموم العيش خِلو
والذى يدمى فؤاد الحر بالتجديف صِنو

* * *

أنتِ آناً تبهرين العين حسناً وجمالا
وتحيلين الكئيب الجهم أنساً وجلالا
ثم آناً تفعمين النفس يأساً وملالا
أو يصير الحسن قبحاً والرياحين نصالا
يا حياة فاقت الحرباء ألواناً وحالا

* * *

ذات وجه واحد يبدو لراء فى وضوح
أم وجوه ليس يحصى من كئيب وصبوح



تجعل الإنسان في دنياه كالطير الذبيح
أي وجه أي قول ؟ في مناحيها صحيح
لا تحدث ذا ارتياب عن جميل وقبيح

* * *

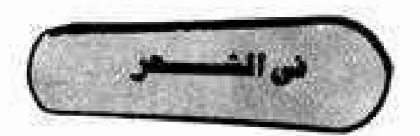
من سبات العيش دبت صحوة هزت كياني
فاستفاق العقل والوجدان من سكر الأماني
فرأيت الحق يغفو تحت أثقال الهوان
ورأيت الباطل المختال يستوحي زماني
حينما قد راح يمشي في بريق (الهيلمان)

* * *

بلباس الخير عاث الشر في خبث تسربلْ
كم سليم القلب والوجدان بالتمويه ضلل
هكذا التاج عند الختل بالمغتر يفعل
بابتسام أو دموع أو بقول يتوسل
من نقيض لنقيض لاغتنام يتشكل

* * *

هذه الدنيا تربت للذي ألغى الضميرا
فأحال المال والعرفان شراً مستطيرا
ومضى في الأرض كالطاووس مختالاً غرورا
فارقبوه عن قريب حينما يهوى حسيرا
إن شعباً طاغياً لابد يوماً أن يثورا



تحريك المياه الساكنة !

بقلم الشاعرة . جليلة رضا

سعدت بقراءة مقال الأستاذ الشاعر محمد عبدالوهاب عن ديوانى : « العودة إلى المحارة » . واستوقفنى منه عدم اقتصاره على الحديث عن ديوانى الذى جعله عنوانا لمقاله ، ليكون العنوان دالا على المضمون .. ومهما يكن من شئ فإننى أشكر له إشادته بديوانى سالف الذكر ، و للكثير من قصائده ، وتعاطفه معها .

أما عن ملاحظاته على قولى فى قصيدة « جاء الخريف » :

كأنك لم تعد تشكو على الدنيا .

وأن الشكوى لا تكون « على » فهى لا تكون إلا « من » أو « إلى » ، .. فهو شاعر يدرك ـ بطبيعة الحال ـ عملية التكثيف الشعورى والإيجاز التعبيرى ؛ فإن المعنى الذى قصدته أن الشكوى على مدى الدنيات من الناس .. وهذا هو المعنى الذى يدركه القارىء المتمعن فى كلمات وعبارات النص الشعرى .

* * *

وعندما يتحدث عن قصيدتى : « عصفورة وعملاق » و « الروائى الحالمة » ـ وهما من أحسن ما كتبت فى تقديرى ـ أجده يقول ـ عنهما : إنهما من تداعيات الخاطر ، وأنهما تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر !؟

وهذا الحكم المتعجل يفتقر إلى التدليل عليه ، وذكر أبعاده ، فضلاً عن التحليل والتعليل ، والموازنة التى لا بد منها .. وهل الشعر فى أحسن حالاته إلا « تداعيات الخاطر » فى لحظة التجلّى ؟ والتعبير

عن التجربة الشعورية بعمق وإحساس .. هل يدُلّني الشاعر المجيد على بديل آخر لتداعيات الخواطر أثناء الإبداع الفنى ، من واقع تجربته الذاتية ، أو من واقع تجارب غيره من الشعراء .؟

هل يدون الشاعر قصيدته من غير تيارات الوعى الباطن ـ والظاهر أيضاً ـ ومحاولة المواءمة بينهما ، كسوانح تعرض بأفقه الشاعرى ، بين الحين والحين ، يقتنص منها المُتاح ، للتعبير عن المعنى الذى يقصده ، وإذا كان موفقاً محظوظاً .. فقد تنبثق من أعماقه الشوارد والسوانح ـ على حد تعبير الشاعر الكبير محمد عبد الرحمن صان الدين ـ التى لا تخطر على بال سواه .

* * *

ثم أراه يقول أيضاً : أن القصيدتين تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر !! وهذا قول غير محدد ، ومرسل غامض ، فلا أدرى ما يقصده بتعبير « الجوهر المتألق » وكذلك تعبير « مكنون الشعر » لماذا لم يفصّل القول ويأتى لنا بالشواهد والشروح ، ويضرب لنا المثل للتوكيد على ما يقول ، بدلاً من هذا الأسلوب « التلغرافىّ » ؟!

وإذا أراد أن يعطى النقدَ حقه ـ كما يقول ـ فكان يتعين عليه أن يُعلِّمنا ويعرّفنا ـ على كَبَر بمكنون الشعر من وجهة نظره ، وكيف يراه ؟..

ويصف لنا أيضاً « الجوهر المتألق » الذى افتقده فى القصيدتين المشار إليهما .. ولماذا لم يقدم لنا الموازنة أو الحيثيات الضرورية لتوضيح غرضه والإبانة عن طبيعة هذا الجوهر .. وما مداه وما أبعاده ؟ وكذلك مكنون الشعر .. ما علاماته وشواهده ، وكيفية إدراكه والنزول بساحته .

* * *

ثم ينتقل إلى قصيدتى : « الضيف الدائم » فيذكر أننى قد تلاعبت بأعصابه أمام « لغز » ضيفى الدائم ، ولم أكشف له عن هويته إلا فى آخر كلمات القصيدة المذكورة ، إذ اتضح ـ كما يقول ـ أننى أعنى : « القلق » ؟..

فهل مطلوب من الشاعر المباشرة والتقليد ، ليفصح عن غرض قصيدته منذ بدايتها حتى نهايتها ؟ أليس لكل شاعرة أو شاعر منّا خصائصه فى التعبير والتصوير ؟

* * *

وبالنسبة لوصفه لقصيدتى : « الحلم المنتصر » وأنها ذات جَرْس عالٍ ، فإننى لا أوافقه على هذا الرأى ، إذ أن القصيدة المذكورة حافلة بالرموز والإيحاءات ، وهى أقرب إلى الهمس والنجوى .

ومهما يكن من أمر فلا يسعنى إلا إزجاء الشكر للأستاذ الشاعر الوجدانى الرقيق محمد عبدالوهاب على ما يقوم به من تقويم ـ لشعر الشعراء، وإزجاء موفور الشكر لمجلة «الأزهر» الغراء لنشرها مثل هذه الدراسات الجادة ، مما يثرى النقد ، ويحرك المياه الساكنة .

وكم نتمنى للشاعر الناقد أن يواصل تقديمه ونقده للشاعرات والشعراء على السواء .

والله ولىّ التوفيق .



تصنيف علوم الطب فى تراث المسلمين

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

كانت الحضارة الإسلامية مصدر الإشعاع الوحيد الذى غمر بنوره كل أنحاء الدنيا فى العصور الوسطى ، ولا تزال مؤلفات علماء المسلمين خير شاهد على ما أنجزوه من تقدم فى مختلف فروع العلم . وفى مجال الطب كان لهؤلاء العلماء القدح المعلى ، سواء فى فن الترجمة والتأليف ، أو فى اتباع المنهج العلمى السليم ، أو فى السبق إلى العديد من الاكتشافات التى لا يزال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى اليوم . ويمكن تصنيف التراث الطبى الإسلامى بلغة العلم المعاصرة إلى علوم فرعية تشمل التشريح والجراحة والطب السريرى وطب الفم والأسنان وطب النساء والتوليد والطب النفسانى وغيرها .

أولا : علم التشريح

حظى علم التشريح ، والتشريح المقارن باهتمام خاص لدى علماء الحضارة الإسلامية ، حيث جعلوا دراسته أساسا لكل فروع الطب ، واعتبروا ممارسته ضرورية لفهم وظائف الأعضاء ، وإتقانه ضمانا لسلامة التشخيص والعلاج . ولم تكن مؤلفات اليونان فى التشريح هى المصدر الوحيد لمعلومات علماء المسلمين كما يدعى بعض المؤرخين غير المنصفين ، ولكن الإبداع الحقيقى فى هذا العلم بدأ فى عصر النهضة الإسلامية حيث كانت النتائج تُستخلص بناء على المشاهدات والتجارب ، وليس على ما قاله الأقدمون من آراء نظرية وفلسفية . وكان الحكم فى أى قضية علمية للعقل والمنطق والخبرة والتجربة ، بصرف النظر هل وافق هذا الحكم رأى السابقين أو خالفهم .

ويعتبر أبو بكر الرازى من أوائل الأطباء المسلمين الذين ألموا فى علم التشريح عن دراية واقتدار ، فقد ذكر أن رجلا سقط عن دابته فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه ، ولما علم أنه سقط على آخر فقار فى الرقبة قام بمداواة ما بين كتفيه لأنه كما يقول - كان يعلم من التشريح أن العصب الذى يخرج من أول خرزة بين الكتفين يصير إلى الأصبعين الخنصر والبنصر ويتفرق فى الجلد المحيط بهما وفى النصف من جلد الوسطى .

وعندما علم عبد اللطيف البغدادى ، أحد أصفياء صلاح الدين الأيوبى ، بوجود تل كبير من الهياكل العظمية البشرية فى مكان ما بالقاهرة ، سافر إلى هناك وفحص الآلاف من هذه الهياكل فحصا دقيقا ، وشاهد - كما يقول - من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفاده علما لم يكن ليجده بين دفات الكتب ، وكان من بين ما توصل إليه أن الفك الأسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل وليس مؤلفا من عظمتين يجمع بينهما مفصل أو تدريز كما قال « جالينوس » .

وقد أوصى ابن النفيس بأهمية دراسة التشريح المقارن لما رأى من تباين فى تركيب أجسام الحيوانات المختلفة ، وتوصل من ذلك - قبل « هارف » الإنجليزى بعدة قرون - إلى كشف الدورة الدموية الصغرى بعد أن عرف تشريح الشرايين والأوردة فى الرئة ، وضمّـــن هذا الاكتشاف الرائد كتابه الشهير المعروف باسم « شرح تشريح القانون » كذلك توصل ابن النفيس من تشريح عيون الحيوانات إلى أن منفعة العين كآلة للإبصار لا تتم إلا بعصب يأتى من المخ ويميز المرئيات ، وهو العصب النورى أو العصب البصرى الذى يعرفه العلم الحديث ويقوم بنقل المرئيات التى تنطبع على الغشاء العصبى لشبكية العين إلى مركز الإبصار بالمخ ، حيث يتم تفسيرها وتحليلها والرد عليها بأجوبة وأفعال فورية ، فليست العين فى حقيقة الأمر سوى جهاز يرى به المخ كل شىء .

كذلك كتب ابن سينا وعلى بن عيسى الكحال وغيرهما فى علم التشريح الوصفى عن تشريح العين وطبقاتها ورطوبتها وأعصابها ومصدر غذائها وعلامات أمراضها ، وعرفوا أن حركة المقلة تحدث نتيجة لانقباض عضلات العين ، وأن حركة الحدقة تتم بانقباض القزحية وانبساطها .

وبينما كان علم التشريح يشهد أزهى مراحل تطوره فى عصر النهضة الإسلامية ، ويدفع فى ركابه كل فروع الطب الأخرى لتحرز الكثير من الاكتشافات العلمية الأصيلة ، كانت أوروبا فى العصور الوسطى تعتبر مهنة الطب بصفة عامة ، وممارسة التشريح والجراحة بصفة خاصة من الأعمال المشينة التى تنال من جلال الروح والجسم وتزيد الآلام أكثر مما تعمل على تخفيف وطأتها . ولم يؤخذ بالتشريح كعلم أساسى فى كليات الطب فى أوروبا إلا فى القرن السادس عشر الميلادى بعد أن تعلم الغربيون أصوله واقتبسوا فنونه من المؤلفات العربية لعلماء الحضارة الإسلامية .

ثانيا : علم الجراحة

تقدم علم الجراحة وعلا شأنه بين فروع الطب على أيدى العديد من علماء المسلمين الذين برعوا فى إجراء العمليات الجراحية بآلات وأدوات مناسبة ، واستخدموا الأوتار الجلدية وأمعاء القطط والحيوانات الأخرى فى تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية ، وأظهروا دراية فائقة بجراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان والفتق وشق القصبة الهوائيةوتفتيت الحصاة داخل المثانة واستئصال الأورام الليفية فى الأغشية المخاطية واستئصال الأورام الخبيثة وغيرها .

وقد وصف أبو بكر الرازى فى كتابه « الحاوى » عملية جراحية فى الأعضاء الآتية بقوله : « يجب أن تكون عالما بالعصب الذى يأتى إلى كل واحد من الأعضاء ، وما منها عصب الحس وما منها عصب الحركة ، وفعل العصب يبطله إما بتره البتة فى العرض ، أو رضه ، أو سده ، أو لورم يحدث فيه أو لبرد شديد يصيبه ، إلا أن الورم والسدة والبرد قد يمكن أن يرجع فعله إذا ارتفعت علله ، وإن حدث فى نصف العصب عرْضاً قطع استرخت الأعضاء التى فى تلك الناحية ، وإن شُقَّ العصب بالطول لم ينل الأعضاء ضرر البتة ، فاقصد أبداً عند بطلان حس عضو أو حركة إلى أصل العصب الجائى إليها » .

وللرازى وصف جيد لعملية إزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها ، واستخدامه الماء البارد فى علاج الحروق ، وهى طريقة حديثة جدا وتستعمل فى الوقت الحاضر كإجراء إسعاف أولى لحروق الأطراف ، حيث يوضع الذراع أو الساق فى ماء بارد لمدة دقيقتين ، وقد ثبت أن هذا يؤدى إلى تخفيف الألم وتقليل فقدان البلازما . وللرازى كتاب آخر اسمه « المنصورى » ، أفرد فيه المقالة السابعة للجراحة ، وجعلها من تسعة عشر فصلا ، وهى تعنى بجمل من صناعة الجبائر والجراحات والقروح وعلاجاتها .

أما أبو القاسم الزهراوى ـ الملقب بفخر الجراحة العربية ـ فيعتبر كتابه « التصديق لمن عجز عن التأليف » موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءا ومزودة بأكثر من مائتى شكل للأدوات والآلات الجراحية التى كان يستخدمهـــا ، ومعظمها من ابتكاره . ولقد حظى هذا الكتاب باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا وبقى مرجعا تدريسيا معتمدا فى الجامعات الأوربية لعدة قرون . وأول لغة ترجم إليها هذا الكتاب عقب ظهوره كانت اللغة العبرية ، ثم ترجم إلى اللاتينية « بالبندقية » عام ١٤٩٥ م « وفينيسيا » عام ١٤٩٧ م « واستراسبـــورج » عام ١٥٣٢ م « وبال » عام ١٥٤١ م . ونشر الجزء الخاص بالجراحة من هذا الكتاب مرتين : إحداهما للنص العربى مع ترجمته اللاتينية فى مجلدين بلندن عام ١٧٧٨ م ، والثانية للنص العربى فقـــط فى « لكنو » بالهند عام ١٩٠٨ م .

ولقد عرف علماء الحضارة الإسلامية نظام الفريق فى إجراء العمليات الجراحية الكبيرة ، حيث يشرف أحد الأطباء على التخدير ويراقب آخر حالة النبض ، بينما يقوم الثالث بإجراء العملية يعاونه مساعد يمسك له موضع الجرح بآلة ذات شقين . ويأتى وصف على بن العباس لإحدى عمليات استئصال الورم دليلا على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الجراحة فى عصر النهضة الإسلامية ، فيقول مُعلّماً تلاميذه : « عليك أن تقصّ بهدوء وتروّ ، فتفصل الورم عما حواليه واحرص على ألا تقطع أى شريان أو أن تقطع أى عصب فإذا فعلت فينبغى لك أن تسرع وتلحم الشريان حتى لا يحدث أى نزيف مكان العملية فيضايقك فى عملك ويعوقك عن الرؤية . فإذا ما انتزعت الورم ، أدخل إصبعك فى التجويف وتحسسه لعل هناك بقايا منه ... وإذا ما انتزعت الورم كله وتأكد لك زوال بقاياه المترسبة ، اجمع الجلد واقطع منه الزائد واستعمل فى التخييط نسيلاً من الأمعاء ... وأما السرطان فهو حقل لم يفلح فيه

الطب والتطبيب إلا نادرا ، لذلك عليك أن تقلع الورم من جذوره حتى لا تبقى منه بقايا أو رواسب ، ثم تضع فى التجويف خرقة (مطهرة) لئلا يحصل أى تعفن أو التهاب .

وإدراكا من علماء الحضارة الإسلامية لأهمية الجراحة ، فإنهم أدخلوا نظام الامتحانات وإعطاء الإجازات ، وفيما يلى نص شهادة حصل عليها طبيب عربى مختص بالجراحة الصغيرة « بسم الله الرحمن الرحيم » . بإذن البارى العظيم نسمح له بممارسة فن الجراحة لما يعلمه حق العلم ويتقنه حق الإتقان حتى يبقى ناجحا وموفقا فى عمله ، وبناء على ذلك فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى ، واستئصال البواسير ، وقلع الأسنان وفتح الشرايين ، وتخييط الجروح ، وتطهير الأطفال ... وعليه أيضاً أن يتشاور دوما مع رؤسائه ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم .

ثالثا : علم الطب النفسانى

اهتم علماء الحضارة الإسلامية لأول مرة فى تاريخ الطب بالأمراض العصبية وأثر الوهم والعوامل النفسية فى إحداث الأمراض العضوية ، ويعتبر أبو بكر الرازى أول من وضع أصول علم الطب النفسانى ، وألف فيه كتابا أسماه الطب الروحانى ليكون — كما قال — قرينا وعديلا لكتاب « المنصورى » الذى ألفه فى الطب الجسمانى ، فقال فى هذا الموضوع : « قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والهموم النفسية » ، ففى هذه الحالة قد يكون المرض جسمانيا والسبب نفسانيا وهو ما يعنى به أحدث فروع الطب المعروف باسم « الطب النفسانى » .

كذلك درس ابن سينا النبض وحالاته دراسة وافية وبيّن أثر العوامل النفسية فى اضطرابه ، وتوسع فى دراسة الأمراض العصبية والاضطرابات النفسية وعالجها عن فهم ودراية ، وقال « علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجعها هى العلاجات التى تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه وأسماعه بما عذب من الموسيقى ، وجمْعه بالناس الذين يحبهم » .

وكان الكندى — فيلسوف العرب وعالم الرياضيات والفلسفة والموسيقى — يتخذ من الألحان وسيلة لعلاج مرضاه وردّ طبيعتهم الخارجة عن الاعتدال إلى التوازن النفسى والعقلى الذى يعيد الصحة . كذلك كان ابن الهيثم يكتب عن تأثير الموسيقى فى الإنسان والحيوان وكان يُخَصَّصُ فى كل مستشفى كبير قسم لعلاج الأمراض العصبية والعقلية بطرق إنسانية مبتكرة .

وبينما كان هذا هو مفهوم الطب النفسانى فى عصر النهضة الإسلامية ، فإن مرضى الأعصاب فى أوروبا كانوا يعاملون كمجرمين ، فيُسجنون ويُعذّبون اعتقادا بأن هذا المرض لعنة من السماء حلت بصاحبها عقاباً له على إثم زعموا أنه ارتكبه ، أو أن شيطانا دخل فى نفسه ولا سبيل إلى طرده إلا بالقوة وبقيت هذه الخرافات شائعة فى الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر عندما تجرأت بعض الأصوات وبدأت تنادى بضرورة تحرير المجانين السجناء وتسليمهم لعناية الأطباء . ولا زال للموضوع بقية فى العدد القادم .

إن شاء الله .

من أمراض الطفولة



(أ) فقر الدم الناتج عن نقص الحديد

ـ ٢ ـ

للدكتورة/جيهان أحمد مصطفى (*)

في مقالنا السابق تطرقنا إلى الحديث عن أسباب فقر الدم عند الأطفال وبدأنا الحديث ـ بإسهاب ـ عن (مرض فقر الدم) الناتج عن نقص الحديد ، وذلك بذكر أسبابه ، ونختم الحديث عن المرض بذكر أعراضه ، ووسائل تشخيصه ، وطرق علاجه .

أعراض فقر الدم الناتج عن نقص الحديد :

١ ـ أعراض عامة General symptoms ، تبدو على المريض مثل :

الشحوب Pallor مع قلة تركيز الطفل (ذهول الطفل) وإصابته بالنسيان Amnesia ، والأرق Insomnia والصداع Headache والعصبية الزائدة Nervousness ، وغشيان البصر (الزغللة) Blurring of vision ، كذلك تقل شهية الطفل للطعام Anorexia ، ويصاب بـ (نهج التنفس[1] ـ اضطراد التنفس وتتابعه Dyspnea ، وسرعة الشعور بالتعب (إنهاك بدني وحيوي) Easy Fatigability عند بذل أدنى مجهود .

٢ ـ إصابة الجهاز الهضمي Gastro intestinal التهاب اللسان Glossitis مع ضمور في حُلَيْمات اللسان[2] Atrophy of tongue papillae .

● التهابات في جوانب الفم Angular stomatitis :

وإصابة الطفل بالإسهال Diarrhae في أغلب الأحيان .

وسوء الهضم Maldigestion وقلة الشهية للطعام Anorexia .

٣ ـ إصابة أظفار الطفل The Nails :

* الكاتبة : ماجستير في طب الأطفال .

(١) يطلق عليه العامة في مصر النهجان . (٢) السطح الأعلى الخشن من اللسان .

فتصير هشة سهلة الكسر brittle مع طمس لمعانها Loss of Luster وتقعرها Spooning ووجود خطوط طولية بها Longitudinal riding .

٤ ـ إصابة القلب

Cardiovascular symptoms :

فيشعر الطفل بالخفقان Palpitation نتيجة لزيادة سرعة نبضات القلب Tachycardia .

وقد يشعر بآلام فى صدره anging أو فى بطن ساقه claudication عند بذل أدنى مجهود .

كذلك يزداد حجم القلب (بتضخم القلب) ، وقد يُسمع به لغط Murmur نتيجة للزيادة فى سرعة الدورة الدموية

Hyper dynamic circulation .

وفى الحالات الشديدة يصاب الطفل بهبوط فى القلب Heart Failure .

٥ ـ وتصاب الكلى Renal symptoms :

فيزداد عدد مرات التبول ، كما تزداد نسبة الزلال فى البول ، وقد يصابُ ـ فى الحالات الشديدة ـ بتورم فى الكاحل (عرقوب[1] القدمين) ankle oedema نتيجة لهبوط القلب وقلة نسبة الزلال فى الدم .

٦ ـ تضخم الطحال Spleenomegally بنسبة تتراوح بين ١٠ ٪ إلى ١٥ ٪ من الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأعراض تتجلى بوضوح عندما تقل نسبة الهيموجلوبين فى الدم عن ٦ جم ٪ .

● كيفية تشخيص مرض فقر الدم الناتج عن نقص الحديد :

١ ـ يُؤخذ تاريخ المرض بدقة عن طريق الاستفسار عن وجود أعراضه ، وفحص المريض جيداً .

٢ ـ ثم القيام بعمل صورة دم كاملة Complete blood picture مع التأكيد على بيان جزئيات ومكونات الدم حيث تقل نسبة الهيموجلوبين وعدد كرات الدم الحمراء . وتكون كرات الدم الحمراء صغيرة الحجم ، وتقل نسبة الهيموجلوبين بها Hypochromic microcytic ويكون هناك اختلاف فى حجم كرات الدم الحمراء anisocytosis . وتقل نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ولكنها تزداد أثناء العلاج بالحديد أو إذا كان سبب المرض هو إصابة الطفل بالنزف .

٣ ـ قياس نسبة الحديد فى مصل الطفل Serum iron حيث تكون أقل من معدلها الطبيعى وأيضاً تقل نسبة البروتين الذى يتحد مع الحديد (الفيريتين) . فى مصل الطفل Serum ferrtin .

٤ ـ عمل بزل[2] للنخاع العظمى

Bone marrow aspiration :

وبالفحص المجهرى يكون النخاع العظمى كثير الخلايا Hypercellular مع زيادة عدد وحجم الخلايا الأم المكونة لكرات الدم الحمراء ، وتحول النخاع العظمى الأصفر (فى الأطفال الكبار) إلى نخاع عظمى أحمر نشط لتكوين كرات الدم الحمراء . ومن الجدير بالذكر أنه نادر جداً ما نحتاج إلى عمل بذل للنخاع العظمى لتشخيص المرض .

---

(١) العرقوب : عصب موتر خلف الكعبين .

(٢) أى سحب .

٥ ـ القيام بعمل فحوص لمعرفة سبب المرض حتى يتم علاجه ، وأهم هذه الفحوص القيام بعمل تحليل براز كامل للبحث عن وجود طفيليات مثل بويضات البلهارسيا والإنكلوستوما ، وأيضاً وجـــــود دم غير مرئى فى البراز occult blood in stools وعمل صورة دم لقياس نسبة الكُرَيَّا البيضاء المتحمضة Eosinophils بالدم حيث تزداد إذا كان الطفل يعانى من الإصابة بأحد الأمراض الطفيلية .

٦ ـ القيام بعمل فحوص ـ لتبين وجود مضاعفات للمرض مثل القيام بإجراء أشعة على الصدر ورسم قلب ـ قد تثبت وجود تضخم بالقلب .

● علاج مرض فقر الدم الناتج عن نقص الحديد :

١ ـ علاج سبب المرض ـ إذا تم تشخيصه ـ مثل علاج الإنكلستوما أو البلهارسيا أو الاسكارس إذا كان الطفل مصاباً بها ، وعلاج السبب شديد الأهمية ؛ لأنه إذا عولجت (الأنيميا) ولم يعالج سبب المرض فسوف يتكرر حدوثه .

يجب أن يتم إعطاء الطفل غذاءً وفيراً غنياً بالحديد مثل : اللحم الأحمر ، والخضروات كالإسفاناخ ـ والفواكه (كالتفاح والموز) وينبغى إعطاء الطفل كمية وفيرة من فيتامين (ج) لأنه يساعد على امتصاص الحديد .

٣ ـ العلاج بالحديد :

ويتم إعطاؤه عن طريق الفم أو الحلق (حوالى ٦ ملجم / كجم يومياً) .

(أ) العلاج بالحديد عن طريق الفم :

يتم إعطاؤه فى صورة (سلفات أو جلوكونات أو فيومارات) الحديد iron sulfate or iron gluconate or iron fumarate ولكنه قد يؤدى إلى حدوث المضاعفات الآتية :

● إمساك Constipation

● تهيـــج الجهـــاز الهضمـــى Gastrointestinal irrritation ويؤدى هذا إلى حدوث قىء ، وإسهال وألم بالبطن ، ولهذا يجب إعطاء الحديد بعد الطعام .

● قد يصبـــح لسان الطفــــل أسود اللون black tongue ولكى يكون العـــلاج ناجحاًلابد من زيادة نسبة الهيموجلوبين بمعدل ٠,٣ جم ٪ يومياً .

(ب) العلاج بالحديد عن طريق الحقن :

ويتم إعطاؤه فى صورة(دكستران أوسوربتول الحديد) iron dextran or iron sorbitol ويتم حقنه فى العضل بعمق أو فى الوريد فى الحالات الآتية :

١ ـ عدم مقدرة الطفل أو رفضه لتناول الحديد عن طريق الفم .

---

(١) هى سفى عامية مصر ـ السباخ .

٢ ـ فقدان الحديد بسرعة وبنسبة كبيرة (كما في حالات النزف) بحيث يصعب تعويضه عن طريق الفم .

٣ ـ إصابة الطفل بسوء الهضم ، أو حدوث تهيج في الأمعاء نتيجة لتناول الحديد عن طريق الفم .

وقد يؤدى الحقن بالحديد إلى الأعراض الجانبية الآتية :

١ ـ صداع وهبوط في الضغط الدموى .

٢ ـ ألم شديد وحدوث خراج في مكان الحقن .

٣ ـ ارتفاع درجة حرارة الجسد وظهور طفح جلدى urticaria .

٤ ـ حدوث ضيق في الشعب الهوائية bronchospasm .

مدةالعلاج بالحديد ؟

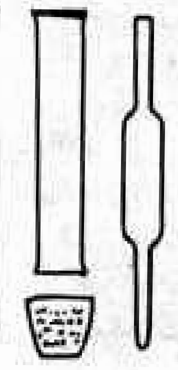
يجب أن يستمر العلاج بالحديد لمدة تتراوح بين شهرين إلى ثلاثة بعد شفاء الطفل ، وذلك حتى يتم تخزين كمية كافية من الحديد في الكبد .

٤ ـ قد يحتاج الطفل في الحالات الشديدة إلى نقل دم blood transpusion إذا كانت نسبة الهيوجلوبين أقل من (٦ جم ٪) ويتم إعطاء كرات الدم الحمراء فقط Packed red cells وليس الدم كله whole blood لمنع حدوث هبوط في القلب .

٥ ـ علاج مضاعفات المرض إذا حدثت مثل هبوط القلب .

ومن الجدير بالذكر أنه يجب منع حدوث المرض بإعطاء الحديد بكميات كافية (١ ملجم / كجم يومياً) لكل الأطفال بعد الشهر الرابع أوالشهر الثانى إذا كان الطفل مبتر أو ناقص النمو .



الجديد في العلم والتقنية

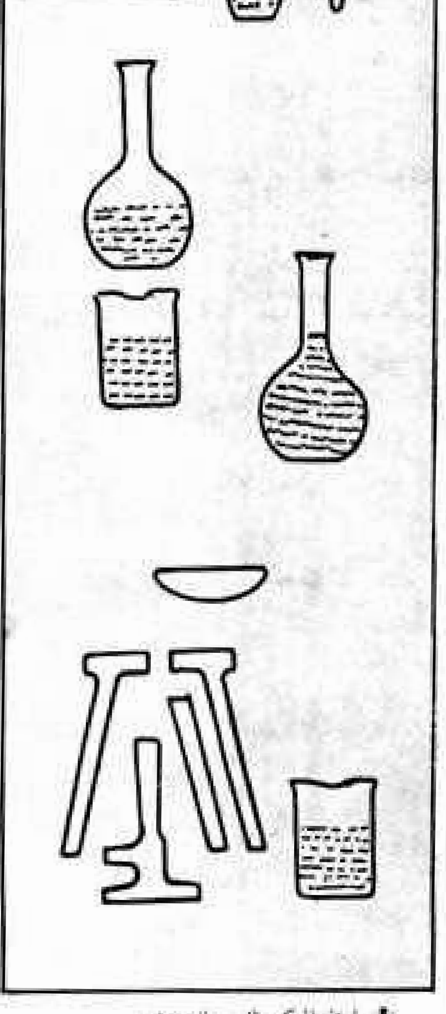
إعداد د/ مجدي السيد أحمد

١ ـ سيارة توجه آليا بالأقمار الصناعية

نجحت التقنية اليابانية فى إنتاج سيارة مجهزة برادار الموقع الأرضى الذى يحدد الموقع بدقة آليا بفضل إشارات يتلقاها من قمر صناعي ، وجهاز الرادار الذى تزود به السيارة يتألف من هوائى ومستقبل للإشارات الرادارية وشاشة تعمل بالبلورات السائلة وقارىء للأقراص المدمجة التى تحتوى على خريطة شاملة لكل طرقات وشوارع اليابان لتحديد مكان ومنطقة السيارة مع لائحة إضافية بأسماء وعناوين المطاعم والفنادق ومكاتب السياحة فى أى منطقة تعبرها السيارة .

٢ ـ ساعة يد لمراقبة نبضات القلب :

قامت احدى الشركات اليابانية بإنتاج ساعة يد لمراقبة سرعة نبضات القلب بعد قيام الإنسان بأى مجهود أو نشاط رياضى أو أثناءه ، ويقوم جهاز إرسال موجود فى حزام مطاطى بتحديد سرعة نبضات القلب ويرسلها إلى مستقبل موجود



(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

فى ساعة اليد ، وبالضغط على زر معين فى الساعة يمكن معرفة عدد نبضات القلب فى الدقيقة ، وهذه الساعة مقاومة للماء وتحتوى على منبه وساعة إيقاف ، وتعمل بواسطة بطارية صغيرة .

٣ ـ الأشعة الشمسية لتعقيم المياه الملوثة

فى ولاية « نيو مكسيكو » الأمريكية ـ حيث ترتفع درجات الحرارة إلى مستويات قياسية لشدة أشعة الشمس ـ أقيمت أول منشأة نموذجية تجريبية لتطهير المياه وتعقيمها بواسطة أشعة الشمس ، وتسقط هذه الأشعة الحادة على مجرى يتألف من عدد من السطوح المعدنية العاكسة ، بشكل قطع مكافىء ، والمتلاصقة فيما بينها ، ويمر فى وسط المجرى أنبوب شفاف يحتوى على



الماء العكر فى بداية الأنبوب وبمروره فى الأنبوب يفقد ما فيه من شوائب ومواد سامة حتى ينسكب فى نهايته نقيا تماما وشفافا كالماء المقطر ، وتستغرق هذه العملية حوالى ٥ دقائق ولا تكلف شيئا لأنها تعتمد على فاعلية أشعة الشمس .

٤ ـ لمبة جديدة تعمل بالموجات الراديوية

صنعت شركة أمريكية لمبة مميزة تشكل تحديا فى مجال الإنارة ، لأنها تستهلك طاقة أقل بأربع مرات من اللمبة العادية وبالتالى تطول مدة إنارتها إلى حوالى عشر سنوات ، وتعمل اللمبة الجديدة بالموجات الراديوية حيث تثير إشارة عالية التردد إلكترونات الذرات للزئبق الغازى والتى تصدر بدورها « فوتونات » ضوئية فى المجال فوق البنفسجى غير المرئى ، ثم تقوم طبقة فسفورية تغطى داخل اللمبة بامتصاص هذه الفوتونات وتحوله إلى ضوء مرئى .

٥ ـ مادة صلبة جديدة أخف من الهواء

نجح مجموعة من الباحثين فى أحد المختبرات الأمريكية فى اختراع مادة جديدة من أصل طبيعى صلبة ، أخف من الهواء ولا يتعدى وزنها أجزاء الجرام لدرجة أنها قد تطير لولا الهواء الذى يملأ مساماتها الدقيقة ، وهذه المادة هشة عند إنتاجها بصيغة خفيفة وصلدة عند إنتاجها بكثافات عالية ، تماما مثل خشب « البلزا » الذى يستخدم فى بناء نماذج الطائرات ، وتستعمل هذه المادة الجديدة فى تعبئة الرغاوى وكبسولات العقاقير وعزل البرادات ، كما أنها قابلة للانحلال البيولوجى ولا تشكل أى خطر على الإنسان .

٦ ـ مترجم مصغر الكترونى متعدد اللغات

قامت احدى الشركات الفرنسية بتصنيع آلة صغيرة إلكترونية تترجم ٢٦ لغة مختلفة ويستطيع أى شخص أن يحملها إلى أى بلد يزوره ، والمترجم الصغير بحجم البطاقة العادية ، وذاكرته تستوعب ألف كلمة من كل لغة ، ولوحة مفاتيحه وضعت عليها أعلام الدول المعنية ، ويكفى إدخال حرفين فقط من كل كلمة يراد ترجمتها ، فتظهر على شاشة بلورية الترجمة الفورية للغة المطلوبة .

٧ ـ تقنية حديثة فى مجال التشخيص بالأشعة

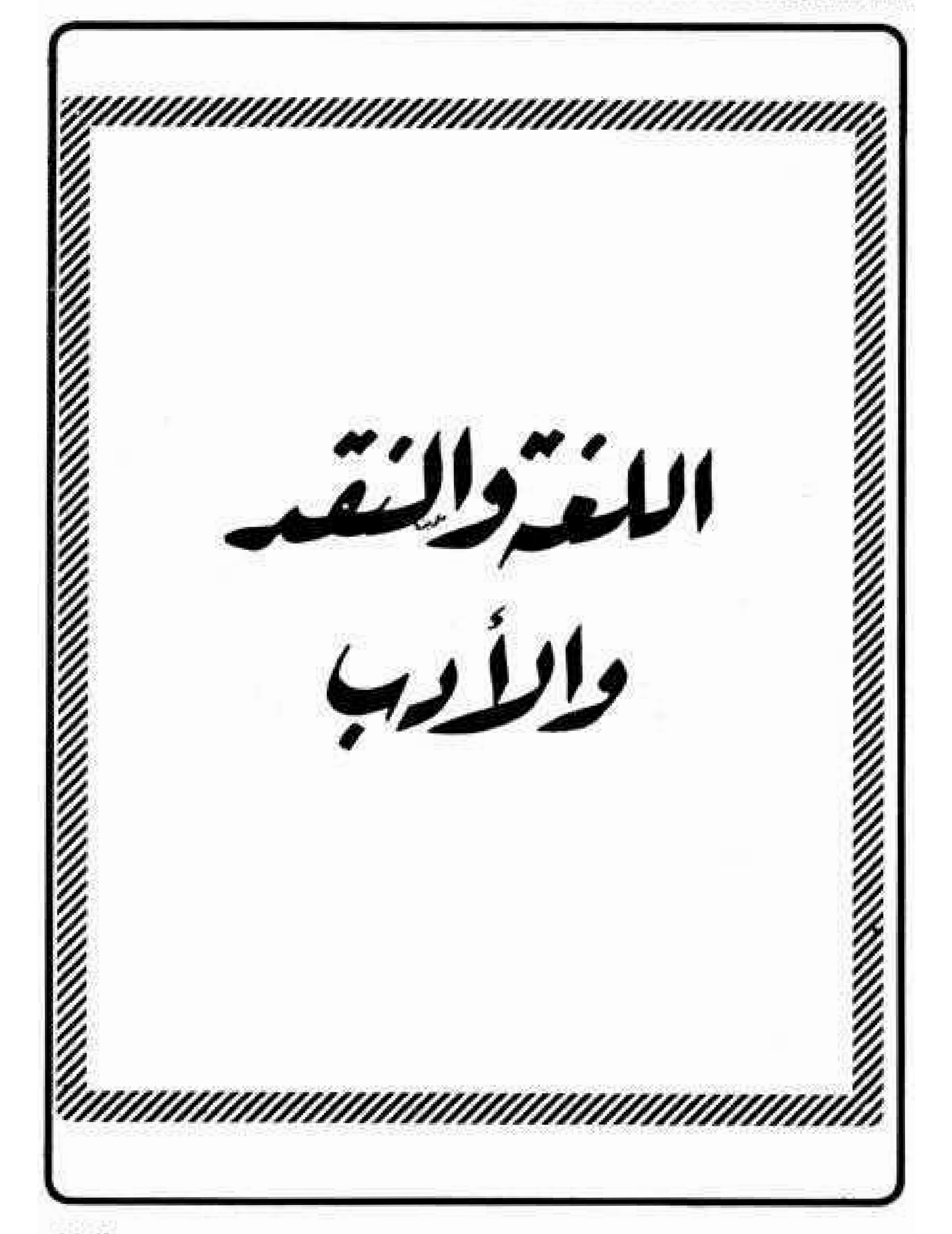
تم انتاج جهاز إلكترونى عبارة عن هاتف ذى شاشة ملونة يستطيع الأطباء من خلالها إرسال الصور « الفيديوية » لنتائج التصوير الإشعاعى السينى والمقطعى المدعوم بالحاسوب ، أو حتى الصور نفسها ، إلى الاخصائيين أو الأطباء الاستشاريين بواسطة الخطوط الهاتفية فى خلال ١٥ ثانية ، وهذا الجهاز متوفر بألوانه المختلفة وهو متصل بالحاسوب الشخصى ويتألف من وحدة مُستقبلة وآلة لمسح الوثائق .

٨ ـ حاسب إلكترونى للمكفوفين

يتميز هذا الحاسب الإلكترونى بلوحة « برايل » ويسمح بتخزين المعطيات فى ذاكرة شبه ناقلة ، ويستقبل كمية الدخل بواسطة مركب الكلام وخلية « برايل » التى تعمل إلكترونيا ، كما يمكنه تخزين حتى ١٢٨ صفحة وذاكراته قابلة للتوسيع بواسطة بطاقات ذاكرة يمكن توصيلها به ، ويتم الحصول على نص كامل ، بعد إدخال المعلومات على شكل مختصرات « برايل » ويمكن إعادة ترجمة المادة المخزونة إلى نص كامل يظهر على طابعة عادية أو على مطبوعة برايل البارزة .

٩ ـ ارتفاع ضغط الدم وعلاقته بفترة الطفولة

أظهر مسح للأطفال بين الخامسة والسابعة من العمر ـ أجرى فى بريطانيا ونشرت نتائجه فى « المجلة الطبية البريطانية » ـ وجود علاقة بين عوامل فى طفولة الإنسان ومستويات ضغط الدم عنده بعد أن يكبر ، وأكدت النتائج للمسح الذى أجرى على حوالى ٣٥٠٠ طفل بأن الأطفال الأكبر وزنا والذين يولدون بوزن أقل من المعدل الطبيعى أو الأطفال الذين يولدون لأمهات فوق سن الخامسة والعشرين من العمر معرضون لارتفاع ضغط الدم عند الكبر ، كما أن الأطفال الذين يولدون بوزن أقل يكونوا أكثر تعرضا للأمراض القلبية عندما يكبرون .


اللغة والنقد والأدب

اللغة العربية في تاريخها



أ. د/ توفيق محمد شاهين

العربية والساميات ومهدها

صنف علماء أصول اللغة لغتنا العربية تحت مجموعة اللغات السامية .

وقد أطلق العالم الألماني (شلوتزر SCHLöZER) سنة ١٧٨١ م اصطلاح (اللغات السامية) على مجموعة من لغات الشعوب القديمة ، بعد ما قام بدراسة وأبحاث على هذه الشعوب ولغاتها ، للدلالة على ما بين لغات الشعوب ــ التي ذكرت التوراة أنها من نسل سام بن نوح عليه السلام ــ من قرابة لغوية ، على ما جاء في (سفر التكوين : الإصحاح العاشر) .

وعارض كثير من الباحثين المحدثين والمعاصرين هذا الاصطلاح ، لأنه بعيد عن الدقة والاصطلاح في نظرهم ، لأسباب منها :

ــ أن الدراسات اللغوية أثبتت فيما بعد : أن التوراة ذكرت أسماء شعوب لها لغات ، ولكن هذه اللغات لا تمت الى لغات شعوب الجزيرة العربية بصلة ، مثل الشعبين : العيلامى والليدى .

وأنه أغفل ذكر الشعب الكنعانى بين أبناء هذه السلالة ، ولكن الدراسات اللغوية والعرقية أثبتت أنه ينتمى الى السلالة نفسها ، وأن لغته تعد من أهم لغات شعوب الجزيرة العربية ــ وأن لغات كثيرة في وقت شلوتزر ــ وخاصة اللغات الجنوبية ــ لم تكن قد اكتشفت بعد .

* واضح أن « شلوتزر » يطلق لفظ (التوراة) على المتداول بأيدى أهلها ، أو ما يسمى بـ (العهد القديم) وهى شيء غير ما أنزل على موسى ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

(فشلوتزر) كان متسرعا فى نظر الباحثين فى إطلاق هذه التسمية ، والواجب بعد أن تقدمت الدراسات اللغوية (وعلم اللغة المقارن ، وجَدَّتْ نتائج علمية دقيقة) أن نبحث عن تسمية أخرى أكثر دقة ووضوحا ، وخاصة لما ثبت أن اللهجات البدائية لشعوب الجزيرة العربية كانت مرتبطة بروابط تجعل منها وحدة لغوية إلى جانب الوحدة العرقية ، وبحكم البيئة والنشأة ، جعلت من مجموعهم فروع أصل واحد (شعب) ، ومن لغاتهم لهجات (لغة) واحدة ، واللوم يقع على علماء العرب إذا لم يجدوا اليوم تسمية أخرى دقيقة .

ومن ثم اطمأن الباحثون إلى اليوم بأنه توجد — على وجه التأكيد — صلات لغوية وثيقة وقديمة بين لغات أو لهجات تلك القبائل القديمة ، تكون أصلا واحدا لفروع هذه الأسرة اللغوية الواحدة فى السمات والملامح والخطوط العريضة .

والذى روج لانتشار هذه التسمية وبقائها حتى اليوم : أن دراسة لغات الشعوب قديما كانت من التوراة ، وأن علماء اليهود قد تنبهوا إلى وجود صلات قوية بين العبرية وبين لغات شعوب الجزيرة العربية الأخرى ، وجاء اسم (سام) فى التوراة مشجعا ومسعفا للمستشرقين — وجلهم من اليهود — فنسبوا المجموعة اللغوية كلها إلى السامية ، واضفوا بالتالى على لغة التوراة قدسية الدين ، وجلال العلم ، وكمال المعرفة[1] .

وقد دلت الدراسات التى أجريت على قواعد جميع لغات الجزيرة العربية : المندثرة والحية ، كالبابلية ، والأشورية ، والأكدية ، والفينيقية ، والكنعانية ، والعربية والعبرية ، والآرامية منذ أكثر من قرنين ولغات جنوب الجزيرة وغربها منذ مطلع هذا القرن : كالأوغاريتية ، والمعينية ، والسبئية ، والحضرمية ، والقتبانية ، واللحيانية ، والثمودية ، والصفوية ... الخ

دلت الدراسات على أن هذه اللغات جميعها : قديمها وحديثها ، وشرقيها وغربيها وجنوبيها كانت قد نشأت فى بيئة جغرافية واحدة ، ونمت فى ظروف مناخية (وحياتية) واحدة ، بل وفى موطن معين رجح العلماء أنه جنوب الجزيرة نفسها ، كما ذكرت (الدكتورة باكزة حلمى) فى بحثها[2] .

وقد أثبتت كل الدراسات التاريخية والبشرية واللغوية أن الجزيرة العربية كانت موطنا لقبائل بدائية لا حصر لها ، تتصف جميعا بخصائص عرقية متشابهة ، تجعل منها فروعا لأصل واحد . ومن لغاتها أثبتت الدراسات اللغوية المقارنة وجود صلات وثيقة وقديمة بين قواعدها وأصولها لهجات لغة واحدة ، الأمر الذى دفع العلماء الى تصنيفها فى : (أسرة لغوية واحدة) وجعل (شلوتزر) يختار لها (السامية) علما ، وتصبح كذلك فى دراسات علماء أصول اللغة وكتاباتهم .

---

(١) راجع تاريخ اللغات السامية . د. إسرائيل ولفنسون ص ٢ و ٣ وتاريخ العرب قبل الاسلام د. جواد على ص ١١٦ . ولغات الجزيرة العربية د. باكزه رفيق حلمى فى بحث بمجلة المجمع العلمى العراقى مجلد/٢٤ سنة ١٣٩٤ هـ . وغيرها .

(٢) لغات الجزيرة العربية ، مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٢٤ سنة ١٣٩٤هـ ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

وعلماء اللغات يقسمون لغات الجزيرة العربية إلى ثلاث مجاميع ، هي :ـــ

(ا) المجموعة الشرقية ، وتشمل البابلية والأشورية .

(ب) والغربية أو الشمالية الغربية ، وتشمل : الكنعانية ، والعبرية والآرامية .

(جـ) والجنوبية ، أو الجنوبية الغربية ، وهي : العربية والحبشية .

وهذا التقسيم جغرافي ، وبعض الباحثين لا يرتضيه ، ويفضل تقسيم الدراسة التاريخية السابقة ، لبيان المراحل التي مرت في البحث وما حملت من لغات ، وبالتالي لمجانسة القرابة فيما بينها ، والسمات المشتركة التي تربط بينها قربا أو بعدا .

العربية والحفائر الأثرية :

تاريخ لغة ما والعلم بها يبدأ من أقدم مدوناتها ويدلنا على بدئها ونشأتها وليس قبل ذلك وقد كشف المنقبون في الجزيرة العربية عن حفائر أثرية ، أزاحت غموض جوانب من اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة .

وحاول علماء اليهود استغلال الكشوف الأثرية ـــ كالعادة ـــ لصالحهم ، وادعاء أن العبرية أقدم وأكمل اللغات السامية ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك ، كما سترى فيما بعد :

ففي صيف عام سنة ١٩٤٧ م عثر أحد الرعاة على سبع لفائف من النصوص المدونة بالعبرية القديمة بالقرب من البحر الميت ، داخل أحد الكهوف المهجورة

وواصل الحفائر من اليهود في المنطقة (الأركيلجيون) ، بقيادة عالم الساميات (جون الليجرو) ، وأجروا الأبحاث ، وفك رموز الكتابات والمحتوى بواسطة المختصين[٣]

وتوفرت النصوص بعدئذ ، وعكف المختصون على دراستها في كثير من العواصم العربية منها اكتشافات (بيبلوس ، أو جبيل الفينيقية بلبنان) ، واكتشافات (راس الشمرا) بالقرب من اللاذقية عام سنة ١٩٢٩ ، والتي ترجع نصوصها ووثائقها الى الألف الثاني قبل الميلاد .

كما تم اكتشاف حفائر ونصوص (إيبلا السورية) في السنوات الأخيرة ، بمدينة إيبلا ، أو القبل القديمة ، والتي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، وعثر في هذا الاكتشاف عما يزيد على (١٦,٥٠٠) لوحة مسمارية (وهي كتابات في الطين تشبه الأسفين) ، وقد كشفت أوجها كثيرة من الحياة في ذلك الوقت في تلك المنطقة .

وذكر عالم فقه اللغة (جيوفاني بتيناتو) خلاصة دراسة هذه الألواح بأنها تصف إيبلا[٤] بأنها كانت دولة صناعية في المقام الأول وإلى حد

(٣) مقال للدكتور شوقي عبد الحكيم ، بصحيفة (العرب) التي تصدر بلندن ، بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٠ .

(٤) مجلة (استيقظ) التي تصدرها جماعة شهود يهوه ، والتي تطبع قرابة التسع ملايين نسخة من كل عدد ، مجلد/٦٥ عدد سنة ١٩٨٤ ، وتصدر ب ٥٢ لغة .

بعيد ، وأن اقتصادها اعتمد على المنتوجات الصناعية والتجارة الدولية ، قبل أن يعتمد على الزراعة وتربية الحيوان ، وأنهم كانوا على دراية بالشئون الإدارية .

كما أشارت المكتشفات إلى نصوص أسطورية و(فلكلورية) ، وحروب شبت في المنطقة قديما .

والظريف أن هذه الكشوف تعتبر حِفْظُ حريق تاريخي هائل ، أضرمه أحد ملوك العراق المغيرين منذ خمسة آلاف عام في قصر ملكي ، فدمر الحريق القصر ، ولكنه شوى ـ في نفس الوقت ـ اللوحات ، وحفظ كتاباتها ، ونصوصها ، وأحالها إلى لوحات ارتوازية أو فخارية متينة ، تحدت الزمن والكوارث ، وأصبحت تعد اليوم من أهم مكتشفات الجذور السامية الأولى لحضارتنا العربية .

كما حفظ لنا كنزاً تاريخياً أثرياً ، تضمن الأصول الأولى للغة العربية وآدابها وأساطيرها ، وملاحمها ، وسيرها محفوظة بالخط المسمارى على ألواح من الطين ـ حولها الحريق إلى فخار ـ شبيهة بألواح تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في كتاتيبنا إلى اليوم . وقد وصل عددها إلى أكثر من سبعة عشر ألف نص ، والبقية تحت الدراسة والبحث[٥] .

وقد أحدثت هذه الكشوف ضجة علمية في القرن العشرين ، وألقت أضواء على مملكة (إيبلا) أو قبلة ، نسبة إلى تقديس هذه المدينة أو هذه المدن .

وقد أطلق العلماء على المخطوطات المسمارية : البابلية والأشورية بلغات بابل وآشور اسم (اللغة الأكدية) .

وفهم من هذه الكشوفات كثير من النصوص الأدبية ، والأسطورية ، وأصول المعتقدات والمقدسات ، والجغرافيا والتنظيمات الإدارية ، والمراسلات بين الملوك والحكام في تاريخ الشرق الأوسط منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، وهى الفترة التى تعاصر أواخر الدولة القديمة ، وعصر بناة الأهرام في مصر .

كما كشفت عن الحياة الاجتماعية والطبقية والتعليمية ، ومحو الأمية ، ونظم المدارس والتربية .

وتضمنت بعض اللوحات قوائم معجمية لمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية في أيامنا ، وما نسميه بالمعاجم المزدوجة ؛ فقد تألفت من مفردات سومرية ، مع ما يقابلها في لغة (إيبلا) من مفردات سامية تطورت إلى اللغة الكنعانية ، التى جاءت منها العبرية القديمة ، وكذلك الأبجدية الفينيقية ...

* ومن اللافت للنظر : أنّ الكثير من مفردات لغة أهل (إيبلا) (٢٢٥٠) قبل الميلاد ، لا تزل حية في لغتنا العربية حتى الآن ، مثل :

كتب ، ملك ، يد ، حية ، كلب ، رأس ، حنش ، مسمار ، بل ، عين جور ، ضلع ، شعر ، أنثى ..... إلخ[٦] .

---

(٥) صحيفة العرب في ١٩٨٣/١٢/٢٠ بتصرف .

(٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د. محمود فهمى حجازى ص ٥٣ .

كما تضمنت هذه اللوحات أفكاراً رئيسية عن خلق الإنسان ، وخلق المرأة من الضلع ، وذكر الحية ، والطرد من الفردوس ... إلخ .

وتضمنت أسماء المئات من المدن ، مع بعض تحريفات فيما تتداوله وتنطقه منها اليوم ، مثل : (أرمان) أو أرمينيا ، فى روسيا اليوم ، و (إيما) أى حمص فى سوريا ، و (إيماء) فى حماة .. و (ديمشكى) أى دمشق ، وجبيل أو بيلوس بلبنان ، وقطنة ، وأوغاريت أو رأس الشمرا بالقرب من اللاذقية الحالية الساحلية فى سوريا[٧] .

* وأفادتنا (كشوف رأس الشمرا) التى كشفت عام ١٩٢٩م كثيراً من النصوص التى بينت جوانب كثيرة من جوانب الحضارة ، والمعتقدات للشرق الأدنى القديم ، لقبائل وممالك العرب البائدة ، مثـــل : عاد ، وثمود (أو سدوم وعمورة) وأسدود ، والعماليق ، وعرفات ، وجرهم ، وكذلك الكثير عن التراث الأسطورى السامى ، والعبرى والعربى .

إلاّ أن كشوف (إيبـــــلا) فاقت هذه الكشوف ، وكذلك ما عثر عليه فى حفائر (تل مردوخ) ، وفاقت أيضاً ما عثر عليه من نصوص البحر الميت باللغة العبرية ، والتى يعدها اليهود من أهم وأقدم الوثائق التاريخية الإسرائيلية .

وترجع ميزات كشوف (إيبلا) على ما عداها ؛ بكثرة نصوصها التفصيلية ، التى ألقت الضوء على حضارة المنطقة ، وكذلك المنازعات والحروب التى كانت بين مملكة إيبلا وجيرانها ، وسبب الصراع يرجع إلى التنافس على التجارة ، والحصول على المعـــادن المستخرجـــــة من الأناضول ، وتجارة الخشب من غابات الساحل السورى ...

وعلى الجملة نجد أن استقراء نصوص (إيبلا) دلت على حضارة عامة ، وحضارة إنسانية رفيعة لهذه الدولة التى كانت تأوى الغريب وتحميه ، وتهبه كل حقوق المواطن . ودلت على السمات الأساسية لتراثنا العربى ، والمعتقدات السابقة .. والشيء الكثير عن الأساطير (والفولكلور) والأفكار التى لم نتوصل إليها إلى اليوم على مستوى العالم العربى .

ذكر العرب والعربية فى اللغات الساحلية :

فى الخمسين سنة الأخيرة ، التى أجرى فيها علماء اللغات أبحاثهم ومقارناتهم على لغات الجزيرة العربية القديمة .. توصل الباحثون إلى أن اللغة العربية لا العبرية هى أقدم هذه اللغات تاريخها ، وأكثرها احتفاظاً بكل الخصائص اللغوية القديمة التى فقدت معظمها لغات الجزيرة الأخرى ، فى المرحلة التاريخية الثانية ، على أثر تطورها وتأثرها باللغات المجاورة الغربية .

ويرجع الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ أن العربية هى أصل الساميات ، وأن ما نعده من الساميات كان لهجات للأم والأصل الواحد وهو اللغة العربية ، يقول :

« أما الذى نؤثره ، ونستند فى إيثاره على الأصول المعقولة ، فهو تغليب كلمة « العربية » على كلمة « الفينيقية » أو كلمة « السامية » على

---

(٧) صحيفة العرب بتاريخ ٢٠/١٢/ ٨٣.

اختلاف مدلولاتها ؛ حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديم ، أو على الأصح من تاريخ اللهجات ـ كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين ـ ؛ لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرناً لهجات تتفرع على أصل واحد قديم »[٨] .

فربما كانت اللغات السامية المندرجة تحت هذا الاسم لهجات للغة العربية القديمة ، لأن ما اكتشف من لغات في جنوب الجزيرة العربية ـ ، وفي غربها الشمالي ، ودراسة المقارنات دلت على ذلك ، وتقول الدكتورة باكزة حلمي : بأن ذلك ثبت بالدليل القاطع[٩] .

ويرجع ذلك إلى حيوية العربية ومرونتها ومقدرتها على استيعاب وهضم ما يدخلها من طارىء ، وما يصادفها من غريب ، تخضعه لقواعدها دون أن يصيبها خلل أو فساد ، لعراقتها .

بل إن التاريخ يثبت اسم العربية وأرضها منذ أقدم العصور لقبائل البادية الغربية المتاخمة لحدود بلاد آشور :

(فيذكر نص أشوري (٨٥٤ سنة قبل الميلاد) في عهد الملك شلمناصر الثاني ، أن مشيخة للعرب (AREBI) كانت مصدر قلق دائم لهم على الحدود الغربية) . وتاريخ هذا النص يسبق تاريخ تدوين التوراة ، الذي بدأ في القرن الثامن ق.م. واستغرق انجازه ثلاثة قرون .

ـ وجاء في نص بابلي : (ماتو ـ أربي) في أرض العرب ، ويلاحظ أن الهمزة قامت مقام (العين ، والغين ، والحاء والهاء والخاء) في تلك اللغات أو اللهجات القديمة ، كما دلت الكتابة المسمارية على ذلك .

وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، في عهد (الاخامنشيين الفرس) ، جاء في نصوصهم (عربايه) و(أربايه) ، نقلاً عن المصادر الكدانية المعاصرة لهم .

مما يدل على اتصال العرب بالفرس .

كما ان اليونان عرفوا الجزيرة العربية ، وحين درسوا طبيعتها ومناخها وشعوبها قسموها إلى ثلاثة أقسام ، كما يذكر الدكتور جواد علي .

١ ـ العربية السعيدة ، وهي أرض اليمن والحجاز .

٢ ـ والعربية الحجرية ، وهي أرض الأنباط وكنعان .

٣ ـ والعربية الصحراوية ، وهي أرض البادية الفاصلة بين العراق والشام[١٠] .

وفي التوراة جاء ذكر العرب في أسفار أشعيا ، وأرميا :ـ

فقد جاء نص يقول : (ولا يخيم هناك أعرابي)[١١] وآخر يقول : (وكل ملوك

---

(٨) أشتات مجتمعات ، للأستاذ العقاد ص ٢٤

(٩) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢٤ سنة ١٩٧٤ م

(١٠) تاريخ العرب قبل الاسلام ١١٨/١

(١١) سفر اشعيا ٢٠/١٣

العرب)[١٢] .

كما جاء ذكر العرب وموطنهم فى جميع اللغات العربية : (AREBI) فى الأكدية . و (العرب)

فى العربية ، و (عبريم) فى العبرية ، و (أربايا) فى الآرامية ، علما للعرب .

ومعنى هذا أن العربية والعرب وموطن العرب ذكر بكل اللغات أو اللهجات الأخرى على مختلف اللغات وعند المؤرخين ، وفى الكتب المقدسة أيضا .. فهى قديمة قدم القائلين بذلك .

ومن هنا ترى الدكتورة باكزة حلمى بأنه يجب علينا — كعرب — تسمية اللغات القديمة فى موطنها باسم : لغات شعوب الجزيرة العربية لا اللغات السامية ؛ لأن أقدم لغاتها هى العربية ، التى احتفظت بالقواعد والأسس اللغوية التى تمثل كل المراحل التاريخية التى مرت بها ، وأوضحها تاريخا ، وما عداها كانت لهجات بدائية لقبائل بادت والتحمت لهجاتهم مع العربية فى الشمال والجنوب ، وكونت حضارة وتراثا فكريا مذكورا وثابتا .

وأثبتت الدكتورة باكزة — أيضا — أن اللغات الأكدية والأوغاريتية والمعينية أكثرها اتصافا بالخصائص الأولى للأسرة اللغوية التى تسمى اللغات (السامية) ، والتى دلت الدراسات المقارنة الأخيرة على أن (العربية) اليوم ، هى أكثر لغات هذه الأسرة الحية احتفاظا بتلك الخصائص ، بالرغم من تطورها الواسع فى مرحلتها التاريخية الحديثة ، الأمر الذى يدعو — بالضرورة — إلى إطلاق اسمها على الأسرة للدلالة على تلك الحقائق[١٣] .

وقد حددت المخطوطات تاريخ أقدم لهجات هذه الأسرة العريقة بالألف الثالث ق . م وهو تاريخ سبق تاريخ جميع لغات العالم فى التدوين ، ومن المؤكد أن وجود هذه اللغات قد سبق التدوين بها بزمن طويل ؛ لأن التدوين لاحق لوجود اللغة ونشأتها واستعمالها طبعا .

كما أنه ليس بمستبعد أن تكون اللهجات البابلية والآشورية قد حلت بأرض بابل وأشور قبل تاريخ التدوين بها بقرون . وعند الحديث عن الأبجدية العربية فيما بعد سنبين ذلك بفضل الله تعالى .

---

(١٢) سفر أرميا ٢٥/٢٤

(١٣) مجلة المجمع العلمى العراق ، مجلد/٢٤ سنة ١٩٧٤ م ص ١٧٧ بتصرف .

تداعيات الصلة الوجدانية

بين

الدكتور / عبد الوهاب عزام

وشاعر الباكستان إقبال



★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

كفى بالمرء أجراً ، وكفاه نبلاً .. أن يقدمْ لحياته أعمالاً جليلة ، تعيش من بعده ، ويرقى بها إلى الذُرى .. بصفاء نفس ، وطهارة سريرة ، وعمق فكر وعقيدة .. وهذا ما اتفق للأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ فحيثما جال المرء بين صفحات كتبه ومقالاته ، يجد فيها الزاد الإسلامي الرفيع ، حيث لم يقتصر جهده فيه على القول الحصيف الرصين فحسب ،بل تعداه إلى السلوك العملي في الحياة ، إلى حرص على تحقيق الأخوّة الإسلامية بين المؤمنين ، شرقاً وغرباً ، أثناء رحلاته العديدة ، هادياً ومرشداً إلى الطريق التي هي أقوم .. ولتوثيق الصلات بين رجالات الأمة الإسلامية لتعبئة القوى والمواهب لترسيخ العمل بالعقيدة الإسلامية ،حتى تصبح أساساً ومنهاجاً ، لخير أمة أخرجت للناس .

وقد اتصل ـ وجدانياً في أول الأمر ـ بعبقرية إقبال ـ شاعر (باكستان) الكبير ـ بعد إتقانه للغات الشرقية : الأوردية والفارسية والتركية ، بجانب الإنجليزية والفرنسية ـ وأثمر ذلك قيام عزام بترجمة بعض دواوين إقبال شعراً إلى العربية ، وذلك ـ كما يقول ـ :

« استجابة لما في نفسي من عشق وإكبار لهذا الشاعر الفيلسوف المؤمن »[1]

ونقف على طريقة الدكتور عزام في الترجمة ، من قوله في مقدمة لديوان (پيام مشرق) لإقبال :

« وطريقتي في الترجمة أن أحافظ على المعاني الأصلية ، والصور التي تبرز فيها ، بل على أوزان الشعر ، وأسلوب التقفية ، جهد الطاقة ... ولا ريب أن بعض العبارات المألوفة في لغة ، تُعد

(1) أنظر كتابه (محمد إقبال ـ سيرته وفلسفته وشعره) ص ٦ .

مستغربة ، بل مضحكة ، إن نقلت كما هي إلى لغة أخرى .. وعلى المترجم أن يتصرف في هذه العبارات .. وخير طريقة في الترجمة – كما هدتني التجربة – أن يُقدِّر المترجم أن المعاني التي يعالجها قد أُلهمها هو ، ثم ينظر إلى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم ، وطرائق التعبير في اللغة التي يترجم إليها ، فيتخذ الصور التي اختارها المؤلف ، إلا أن تقتضي لغة الترجمة تغييرا أو تبديلا .. ولا بأس أن يتصرف كذلك بالإطناب أو الإيجاز ، استجابة لمقتضى الحال ، في اللغة التي يترجم إليها ، والناس الذين يترجم لهم . ومقياس التصرف في هذا أن يتبين المترجم أن تصرُّفه ليس بعيداً مما عُرف من مذهب المؤلف ، ومن مقصده في موضع التصرّف ، وأن المؤلف لو عرض له هذا التصرف – حين التأليف ، أو عرض عليه بعد التأليف – لم ينفر منه . »[2] .

ومن واقع معالجتنا لترجمة الشعر الأجنبي – شعرا – إلى العربية ، نشهد بأن طريقة الدكتور عزام في ترجمة الشعر هي الطريقة المثلى ، التي أخذنا بها وسرنا عليها .

وإن كان هذا لا يمنع من أن الدكتور عزام قد لجأ إلى ترجمة بعض آثار إقبال – نثراً – إلى العربية ، كما اقتضت الضرورة ذلك ، حينما يكون النثر مواتيا بدرجة أدق ، لإبراز المعاني التي تحتاج للسرد والتفاصيل ، ومن ذلك القصة التي نظمها إقبال في كتاب (رموز بيخودى) ، وترجمها عزام فيما يلي نثراً :

« سائل كالقضاء المبرم .. طرق بابنا طرْقا متواليا ، فثرت غضبا ، وضربتهُ بعصًا على رأسه ، فتبعثر ما جمعه بسؤاله . والعقل أيام الشباب ، لا يفرِّق بين ضلال وصواب .. ورآني والدى ، فاغتمّ ، وأربدّ وجهه وتأوّه ، وسال الدمع من عينيه .. واضطربت روحي الغافلة ، وطار لُبّي ..

قال أبي :– تجتمع غدا أُمّة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ، ويُحشر غزاة الملة البيضاء وحكماؤها والشهداء – وهم حُجّة الدين ، وأنجم هذه الأمة ، والزهاد والواقفون ، والعلماء والعُصاة .

ويأتي هذا السائل المسكين صائحا في المحشر ، شاكيا . فماذا أقول ، إذا قال النبي ﷺ :

« إن الله أودعك شابا مسلما ، فلم تؤدّبه بأدبي ، بل لم تستطع أن تجعله إنسانا .. »

فتمثّل عتاب النبي الكريم ، ومقامي في خجلي ، بين الخوف والرجاء . تفكّر قليلا يا بني . اذكر اجتماع أمة خير البشر . انظر يا بني إلى شَيْبي ، واضطرابي وقلقي ، ولا تقْسُ على أبيك ، ولا تفضحْه أمام مولاه .. إنك كمٌّ في غُصْن المصطفى ، فكُنْ وردةً من نسيم ربيعه ، خُذْ من ربيعه نصيبا من الريح واللون ، لابد لك أن تظفر من خُلقه بنصيب . »[3] .

ويحدثنا الدكتور عبد الوهاب عزام ، عن رؤيته لإقبال لأول مرة ، حينما احتفلت بمقدمه جمعية الشبان المسلمين ، يقول الدكتور عزام :

---

(2) أنظر عدد مجلة الثقافة الصادر في ديسمبر سنة ١٩٨٢ من مقال للأستاذ محمد عبد الغني حسن بعنوان : (منهج الترجمة عند الدكتور عبد الوهاب عزام) ص ١١ .

(3) أنظر كتاب (محمد إقبال – سيرته وفلسفته وشعره) للدكتور عزام ص ٢٤ – ٢٥ .

« ودعانى أستاذى الشيخ عبدالوهاب النجار ـ رحمه الله ـ وكان وكيل الجمعية ـ إلى أن أعرّف الحاضرين بالضيف العظيم ، فتكلمت على قدر معرفتى بإقبال يومئذ ، وأنشدت ما تذكرت من شعره ... وأذكر أنى أنشدت أبياتا من ديوانه : (رسالةالمشرق) ...

وأذكر أنى كنت فى درس التاريخ الإسلامى فى كلية اللغة العربية من الجامع الأزهر ، فدخل هو وجماعة معه ، وأنا أتكلم فى أنساب العرب ، ثم برح القاهرة ،وكان هذا آخر عهدى به .. توجّه تلقاء بيت المقدس ، فشهد المؤتمر الإسلامى ، وتكلم هناك ، ولو سُجّلتْ كلمة إقبال فى المسجد الأقصى ، لوجدنافيهاللمسلمين خيراً كثيراً . » .

ويقول : « وفى السنة التالية شهد مؤتمر الطاولة المستديرة الثالث ، وفى عودته مَرَّ بإسبانيا ، ورأى آثار المسلمين فيها ، فأوحت إليه شعرا ، منه قصيدته الخالدة فى (جامع قرطبة) .. وقد استأذن حكومة إسبانيا فى أن يصلى بالجامع .. ولعلها أول صلاة فيه ، منذ غابت شمس الإسلام عن قرطبة . » .

ويستطرد الدكتور عزام ، قائلا :

« والذى يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور ، مُصلّيًا فى جامع قرطبة ، يقرأ قصيدة بليغة ، ويتخيّل ما جال فى فكر شاعر الإسلام ، فى هذا المقام الهائل ، والمشهد الرائع .

لقد نظم إقبال نفسه هذه القصيدة ، فى ديوان (بال جبريل) ، وهى إحدى بدائعه ، لا يفوق شاعر إقبالا فيما نظم فى جامع قرطبة ، ولكن أرى فى صلاته قصيدة : تروع نفسى معانيها ، ويكاد قلمى يخط ألفاظها ، وعسى أن أخطها يوما ..

ماذا جال فى نفس شاعر الإسلام ، وهو فى محراب الجامع ؟ والجامع عُطّل من الصلاة والأذان ؟

وهو ـ كما قال البحترى ـ فى إيوان كسرى :

فهـو يبـدى تجلـدا وعليـه ... كلكـلٌ من كلاكل الدهـر مُرْسِ

بل كما قلت ـ أنا فيه [أى عزام] ـ من شعر الصبا :

فهـو قلب من الأمـان خلـىٌّ ... حائـر فى بلاه ليس بسال

كادَ يمْلى على عقائـده الشك : ... زوالَ التسبيـح والإهـلال

فهـو لولا الإيمان هدّمـه اليـأ ... سُ ، فيخـوى على الـذرى والقـلال

كيـف آىٌ أضاءهـا فى جدار ... قلـمٌ مُدّ من مداد الجمـال

.. هل لها قارىء هنـاك عليم ... بمعـانى الهدى وسر الجلال

سُوَر تشكـو الجِـدار كما غا ... ض بِرَمْـلٍ نبـعُ الهجير الـزلال

ومرايـا الزمـان تصدأ كالمـرْ ... آة طال عهدهـا بالصقـال

ثم يعقب الدكتور عزام على ما تقدم متسائلا :

ليت شعرى أاستطاع إقبال أن يسمع ـ من وراء الأجيال ـ الأذان ، تردده مآذن جامع قرطبة ؟

أم أنصت إلى القرآن يرتله الأئمة فى محرابه ؟

أم انطلقت آيات القرآن ـ التى لا تزال تنير فى جدران المسجد ـ ترتيلا فى أذنه ، ووحيا فى قلبه ؟ أى قصيدة هذه ؟

أى شاعر ينظم القصيدة التى عنوانها : (إقبال .. فى محراب قرطبة)[4] .

* * *

ومن خميلة الشعر لدى إقبال ، يقدم لنا عزام هذه الباقة ، ونبدأها بالأبيات التالية (فى التوحيد المطلق الذى ينفى عن النفس الوهن) :

مَنْ يمْسِكْ بعَصَا مِنْ :	(لا إلَـهَ) طِلَسْمُ الخوف تَخطفُـه يداه
كل من بالحق أحيـــا نفْسَهُ	ليس للباطـــل يحْنِـــى رأسَهُ

* * *

ويقول فى حقيقة المسلم :

إيـــه يا فارسَ طِرْ فى الزمـــن	إيــــه يا نورًا بعين المُمْكِـــن
قم فكُـــنْ من ضجيـــج الأمم	وامْـــلإ الآذان خُلــدَ النغـــم
جَدِّدَنْ فى النـــاس قانـــونَ الإخـاء	وأدِرْهـــا كأس حب وصفـــاء
أرْجِعَــنْ فى الأرض أيـــام الوئـــام	أبلِـــغ النـــاس رسالات السلام
لبنـــى الإنسان أنت الأمـــلُ	أنت من رَكْبِ الحيـــاة المنـــزلُ
أذبلَـتْ كفُّ الخريـــف الشجـــرا	فاغـــدُ فى الـــروض ربيعـــا نضرا

ويصف الفرق بين المؤمن والكافر ، بقوله :

إنما الكافــــــــــــر حيرانٌ	له الآفاقُ تِيـــــــــــــهُ
وأرى المؤمـــــــــنَ كوْنـــــا	تاهتْ الآفاق فيـــــــــــهْ

وهكذا نجد أن الدكتور عزام قد رأى فى شعر إقبال وفلسفته : « رسالة الأمل والجهاد للمسلمين ، فأحب أن ينقلها إلى اللغة العربية ، مشاركا فى إذاعة هذا التراث الضخم ، الذى كان

(٤) المصدر السابق ص ٥٦ ـ ٥٩ .

بوجه الدعوة إلى الحياة العزيزة ، ونقد المدنية الحاضرة ، والكشف عن أمجاد تاريخنا وتراثنا ، من صور إنسانية رائعة » كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندى بكتابه (الكتاب المعاصرون)[٥] .

وبلغ من شدة التأثر الفنى بين عزام وإقبال ، بالتقاء روح بروح ، وامتزاج وجدان بوجدان ، لكل منهما قدر ونصيب فى مَرَاقى السمو ـ بلغ من ذلك أن قال العقاد فى تقديمه لديوان : (المثانى) للدكتور عبد الوهاب عزام :

« كان أول ما قرأت من شعر الدكتور عزام ، ديوانا لطيفا جمع بين طائفة من مترجماته للشاعر المتصوف محمد إقبال ، الملقب (بشاعر الإسلام) ، وطائفة من مبتكرات عزام فى المعانى الصوفية ، أو المعانى الروحية ، وتشابه النسق فى الشعرين ؛ لأنهما ـ فى العربية ـ من كلام ناظم واحد .. وتشابه الجوّان ، ولا أقول تشابه المعنيان ، حتى لقرأت مثنوية لعزام ، حسبتُها من كلام إقبال ، ولم أصحح هذا السهو ، إلا بعدم مراجعة وتحقيق .. »

ثم يعلل العقاد لهذا الأمر بقوله مستطردا : « لا يتشابه الجوّان الروحيان هذا التشابه ؛ لأن الدكتور عزام يعجب بإقبال ويترجم كلامه إلى العربية ، فلابد من سليقة صوفية فى روح شاعرنا العرق ، توحى إليه معانيه وخواطره ، ولاشك أن الأصح من القولين ، أن هذه السليقة الروحية فى نفس عزام ، هى التى حببت إليه إقبالا ، ومالت به إلى الإعجاب بشعره ، فهذه السليقة هى مصدر الإعجاب بإقبال ، وليس إقبال مصدرها الأول ، وباعثها الأصيل .. »[٦] .

يتبع



(٥) أنظر ص ١٦١ من الكتاب المذكور .

(٦) أنظر ص ٧ ـ ٨ تقدمة (المثانى) للدكتور عزام .



الأثر العربي في الأدب السواحيلي

الشعر

«أ»

بقلم الأستاذ/ عادل فهمي غنامة

تناولنا بتوفيق الله في العدد السابق الجانب النثري من الأدب السواحيلي ومدى تأثره بالأدب العربي .وكنا قد طوّفنا في بستان الأدب بين القصة والخطبة والحكم والأمثال ..الخ وبان لنا الأثر العربي واضحا في كل ذلك وبخاصة في الحكم والأمثال الشعبية .

وسنحاول في هذه السطور التالية ـ بعون الله ـ تجلية ذلك الأثر في الشق الشعري ، وهو بستان الأديب .

يسجل الشعر جُلَّ مناسبات السواحيلي من أفراح وأتراح وأنشطة من (الصيد) إلى (الحصاد) ..الخ ، بالإضافة إلى الملاحم التاريخية والدينية ، وهي في الغالب من نوع القصائد الطويلة التي تربو أبياتها على المائة بيت ، ومنها ما يصل إلى عدة آلاف ، ومعظم هذه القصائد مخطوطات محفوظة بمكتبات لندن ودار السلام وغيرهما ، ومن هذه القصائد[1] :

١ ـ قصائد تذكر أسماء الله ونعمائه مثل : (طيب الأسماء) و(ظل العرش) .

٢ ـ قصائد تقص سيرة المصطفى ﷺ :

(أ) منها ما يتحدث عن مولده ﷺ مثل : مولد البرزنجي .

(ب) ومنها ما يتحدث عن معجزاته ﷺ مثل : (المعراج) و(انشقاق القمر) و(حديث الجمل والغزال) .

(جـ) ومنها ما يتحدث عن جهاده ﷺ مثل : (غزوة بدر) و(غزوة أحد) و(غزوة خيبر) .

---

(١) د. محمد إبراهيم أبو عجل : مصادر القصائد السواحيلية الطويلة ومحتوياتها ـ مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر ـ العدد (١٧) ص ١١ : ١٩ .

(د) ومنها ما يتناول هجرته ﷺ مثل : قصيدة (الهجرة) .

(هـ) وبعضها عن زوجاته ﷺ مثل : (خديجة) و (عائشة) .

(و) ومنها ما يروى عن أهل البيت مثل : (فاطمة بنت محمد) و (حديث على وفاطمة) و (الحسن بن على) و (الحسين) رضوان الله عليهم .

(ز) ومنها ما يعدد مناقبه ﷺ مثل : (البردة)(*) و (كتاب المديح) و (بانت سعاد) و (خلق الرسول) و (مدح الرسول) و (الهمزية) .

(ح) ثم ما يروى عن وفاته ﷺ مثل قصيدة : (وفاة الرسول ﷺ) .

٣ ـ قصائد تتحدث عن الدين الإسلامى وأركانه مثل :

قصيدة (الدين) و (أركان الإسلام) و (الصوم وفوائده) و (وداع رمضان) .

ومنها ما يتحدث عن اليوم الآخر كقصيدتى : (القيامة) و (النشور) .

٤ ـ قصائد تمجد الشخصيات الإسلامية مثل : (أهل بدر) ـ (ابن مسعود) (المقداد بن عمرو) .

٥ ـ قصائد تتحدث عن الأنبياء مثل : (آدم عليه السلام وزوجته حواء) و (نوح عليه السلام) و (أيوب عليه السلام) و (عيسى عليه السلام) و (محمد ﷺ) .

ويذهب الدكتور محمد إبراهيم ـ أستاذ الأدب السواحيلى بجامعة الأزهر ـ إلى أن هذه القصيدة (محمد ﷺ) هى أطول قصيدة فى الأدب السواحيلى حيث قوامها ٦٣٨٤ (ستة آلاف وثلاثمائة وأربعة وثمانون بيتا)(٢) .

إلى جانب الشعر الذى يغنى فى المناسبات الشعبية كاحتفالات العرس ويستخدم المعانى الإفريقية المحلية . وكذلك شعر المنازلات وعادة ما ينبرى شاعران كل منهما ينازل أخاه مستخدما المتقعر من الكلمات والغامض من المعانى ليضمن الفوز على أخيه .

أوزان الشعر السواحيلى :

إن طبيعة اللغة السواحيلية جعلت أوزان الشعر تأخذ نمطا قوامه عدد المقاطع لا عدد التفعيلات ، فالوزن Mizani : هو عدد المقاطع Silabi فى السطر ، وعلى سبيل المثال : نجد أن وزن كلمة مثل (Bahati) هو ba-ha-ti أى ثلاثة مقاطع ومن هذه المقاطع تتكون وتتشكل أوزان الشعر السواحيلى ، وفيما يلى نذكر أشهر هذه الأوزان :

١ ـ وزن Utenzi :

هو أكثر الأوزان استعمالا فى الشعر الدينى ، وخاصة القصص والملاحم وهو يتكون من أربعة أسطر ، يحتوى كل سطر ـ فى أشهر أنواعها ـ على ثمانية مقاطع ، تتفق الأسطر الثلاث الأول فى المقطع الأخير ، أما السطر الرابع فينتهى بمقطع آخر ، يتكرر فى السطر الرابع من الأبيات التالية ، مُشكلا قافية القصيدة .

(*) هذه البردة اسم لقصيدة استوحاها شاعر من قصيدة نهج البردة للإمام البوصيرى .

(٢) المرجع السابق .

٢ ـ وزن Shairi :

ويتكون السطر في هذا النوع من الشعر من ستة عشر مقطعا ، تقسمه (وقفة) بعد المقطع الثامن ، أي أن هذا النوع يحتوي على قافيتين : إحداهما في منتصف السطر ، والأخرى في آخره .

وهذا النوع يستخدم فيما يستخدم في « منازلات الشعراء » حيث يبدأ أحد الشعراء بإلقاء بيتين ثم يرد عليه الآخر ببيتين آخرين من نفس القافية والوزن ، وكثيرا ما يحمل هذا النوع من الشعر قدراً من الحكمة والأمثال الشعبية .

٣ ـ وزن Ukawafi :

وهو وزن شائع ، وأكثر استخدامه في الشعر الديني ، ويتكون البيت من أربعة أسطر ، كل سطر خمسة عشر مقطعا ، ويعتبر هذا النوع من أقدم أشكال الشعر السواحيلي .

٤ ـ وزن Kisaramba :

وهو من الأوزان القديمة ، ويتكون البيت من أربعة أسطر ، كل سطر يحوي أحد عشر مقطعا ، وله وقفتان ، إحداهما تمثل المقطع السادس والأخرى مع نهاية السطر .

٥ ـ وزن Gungu :

ويتكون هذا الوزن من أحد عشر مقطعا في السطر ، ويستخدم في الأغاني المرحة والأغراض التعليمية : كتحفيظ أصول الدين .

٦ ـ وزن Wimbo :

ويتكون البيت ـ في الغالب ـ من ثلاثة أسطر أو اثنين كلّ يحتوي على اثنى عشر مقطعا ، وله (وقفة) بعد المقطع الرابع أو السادس .

٧ ـ وزن Utembuizi :

ويتكون البيت من سطرين كل سطر أربعة عشر مقطعا مع (وقفة) تقسم السطر إلى شطرين ، أحدهما : ثمانية مقاطع والآخر : ستة مقاطع .

٨ ـ وزن Tahamisa :

ويتكون فيه البيت من خمسة أسطر ، كل سطر يحوي خمسة عشر مقطعا مع (وقفة) داخلية في المقطع السادس ؛ فتأتي الأسطر الأربع الأولى على قافية واحدة ، ثم تأتي قافية أخرى في البيت الخامس لتشكل قافية القصيدة .

٩ ـ وزن Tarabu :

ويتكون البيت من ثلاثة أسطر ، كل سطر يحتوي على ستة عشر مقطعا ، ويشكل المقطع الثامن قافية الوسط .

ولعل المتأمل لهذه الأوزان وخاصة التي تتكون من أربعة أسطر يجد أنها تتشابه مع ذلك النوع المعروف في الأدب العربي بالرباعيات ، بل هي بمثابة صدى للمؤثرات العربية الإسلامية ، ومما يؤيد هذا الرأي أنها ارتبطت بقصائد ترجمها السواحيليون من العربية إلى السواحيلية واتخذوها نموذجاً لأشعارهم . ومن بين هذه القصائد قصيدة « نهج البردة » للبوصيري وقصيدة « الانكشاف » للشيخ عبد الله بن علي بن ناصر وقصيدة الهمزية للشيخ عيدروس بن عثمان بن علي[٣] .

(٣) د. حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق افريقيا ص ١١٣ دار الجيل ـ بيروت .

مما سبق يتضح الأثر العربي الواضح من ذلك الكم من القصائد ذات الأسماء الإسلامية التي تعالج مضامين إسلامية ، وهو الأمر الذي لا يدع مجالا للشك أن الأدب العربي أثر تأثيراً واضحا ملموسا في الأدب السواحيلي .

وفيما يلي نقدم بعض نماذج الشعر الديني ونتبعه بنماذج أخرى من الشعر الذي يُعالج موضوعات اجتماعية .

أولا الشعر الديني :

لاقت قضايا خلق السموات والأرض وخلق الملائكة وخلق الإنسان اهتمام الشاعر السواحيلي ، فنظم القصائد الطوال التي تتحدث عن تلك الموضوعات ، فقدم بشعره هذا مرآة صادقة تعكس قوة ذلك الأثر العربي .

وما المقتطفات التي نقدمها إلا أبيات من قصائد عدة لأكثر من شاعر .

يقول الشاعر :

Ndiye wa tangu na tangu
Kabula ya ulimwengu
Muumba nti na mbingu
Milele ataabakiya

كان (الله) موجوداً منذ الأزل
قبل العالم
فهو خالق الأرض والسموات
وللأبد يبقى

وهذا المعنى نجده في قوله ــ تعالى ــ

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

Si muhitaji wa Kitu
Cha kwima Mola Watu
Si muhitaji wa mtu
Wa Kupata Kumuzuwa

الله ليس محتاجا لشيء
ليعتمد عليه ، فهو مولانا
وليس محتاجا لأي إنسان
لكي يتعرف عليه

وهو مستقى من قوله ــ تعالى :

﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٥)

ولننتقل إلى موضع آخر .

ثم لنتأمل قول هذا الشاعر الذي يقول :

Na mbingu Akazikita
bila viguzo na Ku'uta
Akaweka nyingi nyota
hisabuye yamwelea

ورفع السموات
بلا عمد ولا جدر
وجعل فيها نجوما كثيرة
وعددها معلوم لديه

وهو معنى قد جمعه الشاعر من قوله ــ تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٦)

ومن قوله ــ تعالى :

﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ (٧)

---

(٤) الحديد / ٣ .
(٥) إبراهيم / ٨ .
(٦) الرعد / ٢ .
(٧) فصلت / ١٢ .

ويقول :

Akaumba na viumbe
Wa masikio na pembe
mbuzi ngamia na ng'ombe
na nyama Walosalia

وكذلك خلق المخلوقات
ذات الآذان وذات القرون
الماعز والجمال والأبقار
وخلق كل الحيوانات الأخرى

ونجد الشاعر يستطرد فى سرد ووصف الكثير مما يرى من مخلوقات الله ، وما أكثرها وما أكثر تباينها لونا وشكلا وحجما وخفة وسرعة نجد هذه الكثرة التى تلائم خصوبة الغابة الإفريقية قد أثرت خيال الشاعر السواحيلى وأيقظت إحساسه الجمالى فشرع يعد الكثير من هذه المخلوقات فى سياق جميل بديع لاتعوزه القافية المتقنة أو الوزن الدقيق .

وهذه أبيات أخرى عن خلق الملائكة :

يقول الشاعر :

Kaumba na malaika
Laki laki Kawaweka
Wakipanda na Kushuka
na wangine wa Kukaa

خلق (الله) الملائكة
بمئات مئات الألوف
يصعدون وينزلون
وآخرين يمكثون فى مكان واحد

Malaika wa mbinguni
na wangine aridhini
akawaweka Dayyani
Kusudi Kutwangalia

ملائكة للسماء
وآخرين للأرض
جعلهم الديّان
لمراقبتنا

Na Kazi yao hakika
Walopawa malaika
ni ibada Kuishika
na Kushukuru Jaliya

وحقيقة عملهم
المناط بهم
هو المثابرة على العبادة
والشكر لله الجليل

ويواصل الشاعر ذكر صفات الملائكة ، غير مبتعد عن قول الله ــ تعالى :

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ »[٨] .

وقوله ــ تعالى :

« وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »[٩] .

وبعد ، فالشعر السواحيلى لديه ذخيرة فى هذا الباب . وتبقى تلك القصائد ذات الموضوع الاجتماعى التى نسأل الله ــ تعالى ــ أن يوفقنا إلى أن نفرد لها حديثا فى عدد قادم .

---

(٨) فاطر /١ .
(٩) الزمر /٧٥ .



عرض وتحليل الأستاذ *
مصطفى دسوقي كسبة



تناولنا في عدد شعبان ١٤١٥ ص ١١٣٤ عرضاً وتحليلاً للباب الأول من الكتاب حيث تبينا أموراً هامة ، مثل :

- الأكذوبة القائلة : بَشر أكثر مما يجب وأرض أقل مما يجب .
- هل البشر عقبة أم مورد ؟
- حديث عن تحديد النسل ، وتحديد الثروة .
- ضغط السكان على البيئة ، وأسبابه الحقيقية .
- رعب الأسعار .
- الغذاء مقابل السموم .

وهذا عرض وتحليل للبابين : الثاني والثالث :

لوم الطبيعة

وهو الباب الثاني ، وفيه يلقي المؤلفان ضوءاً على المجاعات والتاريخ لدحض آراء الذين يرون أن هناك ارتباطاً بين المجاعات وكوارث الطقس حيث يسوق الكثير الحجة القائلة أنه (كانت هناك مجاعات دورية طوال تاريخ البشرية) وأن هذه المجاعات ترتبط بكوارث الطقس التي لا نستطيع التحكم فيها بالتأكيد لكن المجاعات ــ في الواقع ــ لا تحدث بسبب الطقس ، بل تحدث نتيجة تصرفات البشر .

* رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي ــ جامعة الأزهر

ذلك أن البشر عاشوا على هذا الكوكب مدة تكفى ليعرفوا أن تقلبات الطقس المعاكسة متوقعة . وتطور الحضارة الإنسانية يمكن تعريفه بدرجة كبيرة بأنه عملية ابتكار طرق بارعة عديدة لحماية أنفسنا من تقلبات الطبيعة . ومن ثم فعندما تسمع عن مجاعة واسعة الانتشار يجب ألا يكون السؤال الأول الذى نسأله هو ما الحدث الطبيعى المفزع الذى سببها ؟ بل لماذا لم يكن ذلك المجتمع قادراً على التوافق مع الحظ السيء ؟ لماذ يحدث أن يعانى بلد من الكوارث الطبيعية ولا تحدث فيه وفيات بينما يموت فى بلد آخر مليون شخص ؟

وفى فصل الجفاف فى الساحل الأفريقى يرجع إلى الاستخدام السيء للأرض حيث يفترض الكثير خطأ ، أن جفاف الساحل الأفريقى الذى بدأ عام ١٩٦٩م كان هو الجفاف الساحلى الإفريقى . لكن علماء المناخ يعتبرون الجفاف جزءاً متكاملاً من مناخ المنطقة . وعبر القرون ، طور صغار الزراع فى الساحل الأفريقى ـ فهماً عميقاً لبيئتهم ـ عرفوا ضرورة ترك الأرض للراحة لفترات تمتد إلى عشرين سنة ، وكانوا يزرعون تشكيلة واسعة من المحاصيل ، كل منها يلائم بيئة مصغرة مختلفة لكنها معاً تتيح تكاملاً غذائياً . وعادة ماكان الزراع والرعاة يقيمون علاقات نفع متبادلة فيقدم الزراع للرعاة ، أرضاً للرعى فى موسم الجفاف وغلالاً مقابل اللبن والروث للحقول ، والحمير للحرث .

ويتساءل المؤلفان : ماذا حدث لنظام تطوّر عبر قرون لمواجهة الجفاف الدورى ؟

ويحاول المؤلفان الإجابة عنه بأنه قبل الغزو الفرنسى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت هذه الحضارات قد تعرضت بالفعل لتدمير شديد بفعل قرنين من التفريغ السكانى القسرى حيث كان ملايين من أكثر أفرادها شباباً وقوة يؤخذون كعبيد إلى العالم الجديد ، ثم جاء الفرنسيون وجاءت سنوات من القتال الدامى .. وحين أقام الفرنسيون وجوداً متمكناً لأنفسهم أخذوا يبحثون عن وسائل يجعلون بها رعيتهم الجديدة تدفع التكاليف الإدارية للاحتلال .

وكان حل الفرنسيين لمشكلتهم هو إجبار الفلاحين على زراعة المحاصيل للتصدير . وأساليب الاستعمار وتأثيرها المدمر على الأرض والبشر لم تنته حتى بعد أن حصلت دول الساحل الأفريقى على استقلال شكلى فى الستينات ؛ فقد كانت الحكومات التالية تفوق الفرنسيين عادة فى فرض إنتاج محاصيل التصدير ، وكانت الضرائب المتزايدة وكذلك انخفاض أسعار التصدير تجبر الفلاحين على زيادة إنتاج محاصيل التصدير ، وأدى هذا التوسع فى إنتاج محاصيل التصدير إلى أن الأرض التى كان يسمح لها بالراحة لعدد من السنين وتسمدها قطعان الرعاة مجبرة على زراعة لاتكاد تنقطع ، والزراعة المتصلة تستنزف الأرض بسرعة .

إن كل من يعرف الساحل الإفريقى يعلم أنه بالإمكان إنتاج كميات أكبر بكثير ـ بلا شك مما هو كائن ، لكن سيطرة مجموعات النخبة الحكومية والشركات المتعددة الجنسية على ذلك الإنتاج تؤدى إلى أن غالبية السكان لا تستفيد من هذا الإنتاج .

أى أن التنظيمات السياسية والاقتصادية هى السبب الحقيقى لتلك الإنتاجية المنخفضة وذلك

الحرمان البشرى أكثر من تغيرات المطر والمناخ .

الحركة الاستعمارية

وهى موضوع الباب الثالث ، ويطالعنا فيه هذا السؤال :

لماذا لا تستطيع الأمم إطعام نفسها ؟

للإجابة عن هذا السؤال قام المؤلفان بتجلية وتوضيح البعد التاريخى للتخلف الاقتصادى فى دول العالم الثالث ومنها دول العالم الإسلامى . مع شرح أهم الإستراتيجيات التى اتبعها الاستعمار لتدمير الزراعة فيها .

كان المستعمر ينظر إلى الزراعة فى البلدان الخاضعة باعتبارها بدائية ومتخلفة ، وهذا الاعتبار كان يدعم مبرر المستعمر فى تدميرها مما أدى إلى أن تصير الزراعة مجرد وسيلة لاستخلاص الثروة (مثل الذهب من منجم) لصالح القوة الاستعمارية . ولم تعد الزراعة مصدراً لغذاء السكان المحليين واستراتيجيات القوى الاستعمارية فى فرض إنتاج المحاصيل النقدية هى :

الأولى : استخدام القوى المادية أو الاقتصادية لإجبار السكان المحليين على زرع محاصيل التصدير بدل الغذاء على أراضيهم ، ثم تسليمها إلى المستعمر للتصدير .

الثانية : الاستيلاء المباشر على الأرض بالمزارع الكبير التى تزرع المحاصيل للتصدير . وكان إدخال نظام المزارع الضخمة يعنى (الطلاق) بين الزراعة والتغذية ، إذ ضاع مفهوم القيمة الغذائية أمام القوة المتزايدة (للقيمة المسوقية) فى التجارة الدولية .

واختيرت محاصيل مثل السكر والتبغ والبن — ليس على أساس أطعامها للبشر — بل من أجل قيمة أثمانها العالية بالنسبة لوزنها وحجمها بحيث يمكن الاحتفاظ بهوامش الربح حتى بعد نفقات شحنها لأوربا .

الثالثة : إبقاء أسعار الغذاء المستورد منخفضة ؛ لتحقيق هدفين :

١ — إخبار الفلاحين أنهم لايحتاجون إلى زراعة الغذاء ؛ لأن بإمكانهم دائماً أن يشتروه رخيصاً بأجورهم من المزارع .

٢ — تدمير سوق الغذاء المحلى ، وبالتالى إفقار منتجى الغذاء المحليين .

رابعاً : منع الفلاحين من زراعة المحاصيل النقدية بصورة مستقلة ، حتى لاينافسوا المصالح الاستعمارية التى تزرع نفس المحصول ؛ إذ أثبت الفلاحون أنهم قادرون على التفوق فى الإنتاج على المزارع الضخمة سواء فى كمية الناتج لكل وحدة من الأرض ، أم فى التكلفة الرأسمالية لكل وحدة منتجة .

وترتب على هذه الاستراتيجية :

١ — منع المنافسة المباشرة من جانب المنتجين المحليين الأكثر كفاءة لنفس المحصول .

٢ — ضمان توافر قوى عاملة تعمل فى المزارع التى يملكها الأجانب .

ونحن — أبناء العالم الإسلامى — إزاء هذه الاستراتيجيات علينا أن نتفحصها جيداً لكى نستطيع فهم البعد التاريخى لمشكلة الأمن الغذائى ، هذا فضلاً عن استخلاص الدروس والعبر للاستفادة منها فى تبنى مفاهيم وأساليب جديدة فى عمارة الأرض وخصوصاً فى مجال الزراعة ترتكز على توفير الطعام أولاً ، ثم استخدام الفائض من الموارد البشرية والموارد الطبيعية للمحاصيل النقدية مع الإحاطة بأن المستفيد

الأكبر من عوائد المحاصيل النقدية هم الوسطاء وليس المنتجون .

وفى فصل : ميراث الاستعمار .

تناول المؤلفات سرد الميراث الذى خلفه الاستعمار فى الدول المستعمرة حتى بعد استقلالها . لم يكن من الممكن محو تأثيرات الاستعمار ببساطة بمجرد إعلان استقلال المستعمرات حيث أن فرض الاستعمار لزراعة التصدير أعجز التطور اللاحق بتوجيه هياكل الإنتاج والتجارة المحلية لخدمة مصالح التصدير الضيقة .. وترتب على ذلك :

١ ـ تدمير التجارة الداخلية التى كانت تفيد كوسيلة للتطور المستقل .

٢ ـ تدمير الصناعات المزدهرة التى تخدم الأسواق المحلية .

ونظام المزارع الضخمة الاستعمارى قام عبر أجيال بتجريد شعوب كاملة من مهارات الزراعة الأساسية بالإضافة إلى أنه من الصعب اليوم أن يعود الناس مرة أخرى إلى زراعة الغذاء الذى يحتاجونه ؛ لأن الزراعة أصبحت مرتبطة فى أذهانهم بالبؤس والانحطاط .

كما كان نقل الأفراد من جنس وثقافة معينة إلى العمل فى المزارع فى بلد آخر استراتيجية أساسية للاستعمار فى كل أجزاء العالم ، فى ظروف شديدة القسوة ، بالإضافة إلى استغلال العداوات والخلافات العرقية للسيطرة على قوة العمل . وخلّف هذا الاختلاط القسرى للأجناس والثقافات ميراثاً من التوترات الاجتماعية يجعل التعاون والوحدة الاقتصادية شبه مستحيلين .

كذلك دمر الاستعمار البنية الأخلاقية للمجتمعات التقليدية . فالمجتمعات التقليدية يكون فيها للزعيم أو أمير الحرب أو رئيس القرية سلطة غير محدودة . وفى هذه المجتمعات كان الفلاحون مضطرين لخدمة حكامهم فى معظم المجتمعات التقليدية .

وكان ثمة نخبة مميزة ملتزمة بالعمل لحماية غالبية الفلاحين ورفاهيتهم أوجدت درجة من الثقة والتعاطف فى العلاقات الإنسانية، لكن الاستعمار دمر أساس هذا النظام الأخلاق التقليدى . إذ أفقد الحكام التقليديين الكثير من مكانتهم فى أعين الفلاحين الذين أثبتوا عجزهم عن حماية أراضيهم فى مواجهة الغازى الاستعمارى ، وتمّ إدخال نظام إنتاج تجارى ، استبدل بالالتزامات التقليدية روابط تقوم على النقود . كما تم الاستعاضة عن الاعتقاد بأن الحاكم والمحكوم كل منهما مسئول عن الآخر بمفهوم أن إجمالى الناتج القومى المتزايد سوف يكفى الجميع .

ومن الجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى دمر فيه الاستعمار الاحترام التقليدى لطبقة النخبة منح هذه الطبقة قوة حقيقية أكبر ، وذلك بتركيز ملكية الأرض فى أيدى القلة مما أدى إلى حرمان الكثير من الأرض ، وهذه التركة هى التى تعمل تشكل عقبة ضخمة أمام التنمية الزراعية الحقيقية اليوم .

إن معرفتنا بالماضى أساسية لفهمنا للحاضر .. ويجب أن يكون تاريخ الفترة الاستعمارية معروفاً لأى منا ، وأن تكون محصلته متوقعة من أى منا : إنتاج متناقص من الغذاء ، واستيراد متزايد للغذاء ، إفقار متزايد ، تعرض متزايد للخطر نتيجة التقلبات المستمرة فى السوق الدولية ، ونمو غير متساو داخلياً

وضع الأطفال
فى العالم عام ١٩٩٥م

عرض وتقديم الأستاذ
عبد السلام إبراهيم ناصف

تلقت مجلة الأزهر كتيباً بهذا العنوان صادراً عن رئاسة (اليونيسف) إحدى منظمات الأمم المتحدة . ولسنا نشك فى أنه يعطى بعض المعلومات المفيدة إلى جانب ما تعوده العالم الثالث من طنطنة الإعلام الخاوية الوفاض .

على أن ما قدم الكتيب من معلومات مفيدة يمكن أن يكون إعلاماً بما عليه وضع الأطفال ، وبخاصة فى العالم الثالث ، من حيث حاجتهم إلى : الاهتمام بالمستوى الصحى ، وتوفير المياه النقية ، والاهتمام بالصرف الصحى ، ومقاومة أمراض الطفولة ، والاهتمام بالتعليم فى جو تربوى تماماً .

وكذلك من حيث المحن التى يتعرضون لها فى : البوسنة والهرسك وأفغانستان والسودان وأنجولا والصومال .. حيث تتواصل سلسلة المآسى فى أعماقها الفتاكة بأجساد اثنى عشر مليون طفل بين قتيل ومصاب ومعوّق ومشرّد إلى جانب ما يترتب على أوضاعهم من أحوال سيئة تعم أوطانهم .

احتوى الكتاب ـ ما أسماه تحقيقات تتعلق بموضوعات اجتماعية ، منها :

الإيدز .. مأساة الأطفال ،

المساعدة الحقيقية للتنمية الحقيقية .

دوامة الفقر والسكان والبيئة ... وغيرها .

أعد الكتاب « جيمس . ب . جرانت » المدير

التنفيذى لليونيسف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) والكتاب بين فقرة وأخرى تبدو منه إلحاحة شديدة على ما تريد الأمم المتحدة تحقيقه فى العالم الثالث ، أعنى :

(أ) تخفيض معدّلات الخصوبة (تحديد النسل) .

(ب) الربط بين زيادة النسل وانخفاض مستوى المعيشة .

وكلتاهما قضية باطلة .

لكن - إلى جانب ذلك - نجد فى الكتيب - مطالب لها أهميتها بالنسبة للأطفال نادى بها مؤتمر نيويورك فى سبتمبر ١٩٩٠ الذى صدرت قراراته تنشد تخفيض نسبة وفيات الأطفال بمكافحة أمراضهم القاتلة ، وتحصينهم ضدها ، وتوفير الأمصال والدواء والغذاء والماء والعيش الكريم والتعليم المجانى لهم .

وهذا المؤتمر حضره أكثر من مائة وخمسين دولة كما حضره واحد وسبعون من رؤساء الدول ، وبعد أربعة أعوام من هذا المؤتمر لم يتحقق له كل ما يصبو إليه .

فقد وضع المؤتمر العالمى أهدافاً اجتماعية يمكن أن تتحقق بنهاية عام ١٩٩٥ يجملها التقرير فى النقاط التالية :

١ - رفع مستوى تحصين الأطفال ضد الأمراض المعوّقة والقاتلة .

٢ - الاهتمام بالرضاعة الطبيعية والكف عن بدائلها .

٣ - القضاء على نقص فيتامين (أ) ونقص معدن الحديد .

٤ - اضافة اليود إلى ملح الطعام .

٥ - القضاء على أمراض الجفاف والاسهال .

ويرغم نقص الاحصائيات وعدم دقتها ، فإن تقرير منظمة (اليونيسيف) يؤكد تحقيق هذه الأهداف أو بعضها أو جزء منها - اعتماداً على ما يرد إليها من تقارير أو ما تسجله لجانها خلال زياراتهم لهذه البلاد .

وقد جاء بالتقرير تفصيل ما اعتبرته المنظمة إحراز تقدم نجمله فيما يلى :

١ - إضافة اليود إلى ملح الطعام الذى يدخل فى مكونات التغذية ويؤكد التقرير أن أكثر من نصف عدد الدول قد التزمت بتنفيذ هذه التوصية .

٢ - تحسين مستوى التغذية صحياً باضافة فيتامين (ا) ومعدن الحديد إلى الغذاء أو تناولها مباشرة على هيئة أقراص .

٣ - التزمت أغلب الدول بتحصين أطفالها بمساعدة المنظمة ضد الأمراض المعوقة والقاتلة وإمدادها بجرعات الأمصال ضد شلل الأطفال وكزّاز المواليد والحصبة والجدرى والنزلات الرئوية والمعوية والإسهال وغيرها .

٤ - التزمت كل بلاد العالم بالرضاعة الطبيعية عدا دولة أو اثنين - وامتنعت عن تقديم الألبان البديلة والمجففة للأطفال .

٥ - تحققت نسبة مطمئنة من إمداد المساكن بالمياه النقية والصرف الصحى فى نحو أربعين بلداً على مستوى العالم الثالث .

٦ - ارتفعت نسبة الحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية .

ولم تلتزم الدول الصناعية بوعودها فى تقديم المعونات لتحقيق قدر من الرعاية لأطفال العالم

الثالث النامى – إلا أن الأمل لازال معقوداً على أن تفى بوعدها – خاصة بعد انتهاء عصر الحروب الباردة .

ولقد وضعت المنظمة عدداً من وسائل (ترجمة الأقوال إلى أفعال) أجملها فيما يلى :

١ – تجزئة الأهداف الكلية إلى مقترحات عملية يسهل إنجازها وقياس ما ينجز منها .

٢ – تدعيم الأهداف بموافقة رؤساء الدول والإصرار على توقيعهم على قرارات المؤتمر ليتحقق لها التنفيذ .

٣ – تسخير وسائل الإعـــلام لنشر هذه الأهداف .

٤ – حشد قنوات الاتصال بالمجتمع لشرح مفاهيم هذه الأهداف .

٥ – الاستفادة من خبرات وإمكانيات الأمم المتحدة لتحقيق هذه الأهداف .

وأخذ التقرير مثالا عملياً كهدف (الصحة للجميع) – ورتب أولوياته كما يلى :

مراقبة النمو – معالجة الجفاف – الرضاعة الطبيعية – التحصين – .

ثم جاهدت لأن يوقع رؤساء الدول على هذا الهدف وتم لها ما أرادت حين وقع عليها أكثر من مائة رئيس دولة .

وتركز المنظمة على مؤتمر (كوبنهاجن) الذى سوف يعقد فى منتصف هذا العقد لتخفيض نسبة الفقراء وإيجاد فرص عمل للعاطلين لرفع مستوى معيشتهم وتخفيض اتساع الفوارق الطبيعية .

لذلك تريد أن توصى بتخصيص نسبة ٢٠٪ من ميزانية كل دولة للمساعدات الأساسية كالغذاء والماء النقى والرعاية الصحية والالتزام بالتعليم – وعلى أن تلتزم بخطة زمنية فى التنفيذ إضافة إلى تخفيض نفقاتها العسكرية ؟

وجاء الموضوع الأخير فى هذا التقرير تحت عنوان (آلام الحاضر وآمال المستقبل) تقترح فيه المنظمة عدة اقتراحات أو أهداف لتحقيق مستقبل أفضل – نجمله فيما يلى :

١ – إعادة توزيع وسائل الإنتاج خاصة الرقعة الزراعية وتحسين وسائل الرىّ والصرف والالتزام بتسويق منتجاتها .

٢ – تخفيض النفقات العسكرية وتحويلها إلى الاستثمارات الاجتماعية .

٣ – خلق فرص عمل للمتعطلين – لزيادة دخولهم .

إلى جانب ما يخصص لهم من منح هيئات الأمم المتحدة .

وقد يلقى هذا معارضة من الطبقات الأعلى – إذ أن الأصل فى تطبيق (الديمقراطية) .. كذا فى هذه الدول كفيل بتحقيق التنمية – التى تهيء بدورها مناخ الديمقراطية – فالطبقات الدنيا بعيدة عن مركز إصدار القرار – وتأثيرها منعدم فى هذا المجال لصالح أنفسهم .

وانتهى التقرير بتأكيد مبدأ وجود هوة سحيقة بين الحاكم والمحكومين الذين يرزحون تحت خط الفقر لديكتاتورية الحكام ورغبتهم فى البقاء فى السلطة مهما كلفهم ذلك من جهد لعل أقصاه يتمثل فى تضخيم الميزانية العسكرية على حساب التنمية .

ومن ثم ظهرت الحركات التحريرية والمنظمات الأهلية تنادى بفكرة إعادة رسم حدود الممكن ليجد الناس تضامناً جديداً وثقة عريضة فى

حقوقهم وقدراتهم على المشاركـــة فى إدارة شئونهم .

فإذا ما تحققت أهداف هذه الجماعات وتلك المنظمات ـ فإن المستقبل سوف يحمل اهتماماً بحقوق واحتياجات الأطفال ـ وهى الغاية للتنمية الشاملة .

وبعـد :

فقد صور التقرير العالم الثالث النامى على أنه غابة مخيفة يرزح سكانها تحت وطأة المرض والجهل والفقر ، هذا الثالوث الرهيب الذى أرادنا الاستعمار على التسليم بأنه قدرنا .

وتحاول منظمات وهيئات الأمم المتحدة أن تؤكده ، وهى لا ترى لذلك من علاج سوى تخفيض معدل الخصوبة بشتى الوسائل الممكنة ـ وتنتهز الفرصة لنشر هذا الاعتقاد عن طريق المؤتمرات والندوات وحشد وسائل الإعلام المختلفة والتى هيمنت على كل دول العالم لنشر ما تعتقد به ـ ضاربة بأى قيم أو مثل عرض الحائط .

ولولا أن قيض الله لمصرنا من دفع عنها هذا الأذى لكانت توصيات مؤتمر القاهرة مليئة بما يؤذى الشعور .

فأما إن كان الهدف هو حماية الأطفال ـ فمرحباً بهذا الهدف وأهلاً به والله يرعى من يرعى فلذات الأكباد .

وبنظرة ثانية على المتاح زراعة فى عالمنا العربى نجده يجاوز المائة والستين مليون هكتار فى حين أن ما يتم زراعته لا يزيد على خمسين مليوناً منها .. وإذا ما تضافرت الجهود واستثمرت الموارد لأمكن استزراع المتاح فى كل الدول العربية وتحسين تربتها وإمدادها بالوسائل الحديثة فى الرىّ والصرف .

وبذا يجد كل فرد فرصة كريمة للعيش ـ فيزداد دخله ويرتفع مستوى معيشته ويعم الاستقرار والأمن والأمان وتنتشر العدالة وتتوفر لكل طفل بيئة كريمة تحقق له الرفاهية والحياة الهانئة فينشأ سليماً معافى محصناً ضد كل ما يعوّقه أو يؤلمه ويجد مكاناً ملائماً له فى دور التربية والتعليم والتثقيف فيشب على حب وطنه يركز دعائمه ويحمى حدوده ويزود عنه ويصبح لبنة قوية فى مجتمعه يزيد من دخله ، ويرفع من مستوى معيشته ـ فيصبح مصدر عطاء لتنمية موارده وليس عبأ عليه .



دعاء

« اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى إيمانا ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة ؛

اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إنى أنزل بك حاجتى ، فإن قصر رأيى وضعف عملى افتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا قاضى الأمور ، ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رأيى ولم تبلغه نيتى ، ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإنى أرغب إليك فيه .

وأسألك برحمتك يارب العالمين ؛ اللهم يا ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، الركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك ؛ اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ، وعليك التكلان .

اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ، ونورا فى قبرى ، ونورا بين يدىّ ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ، ونورا من تحتى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى .

اللهم أعظم لى نورا ، وأعطنى نورا ، واجعل لى نورا .

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى المجد والكرم ، سبحان ذى الجلال والإكرام »

(*) تخريج السيوطى (ت محمد بن نصر ، فى الصلاة ، طب ، هق فى الدعوات) عن ابن عباس — رضى الله عنه — .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

لا يزال الحرص قائما على تنويع هذا الباب بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والملاحظات والإبداعات التى يتلقاها الباب ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة تضطر إلى تأجيل الرد على بعضها أملا فى أن تأخذ دورها - تباعا - مع الأعداد القادمة « عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها .

وفى هذا العدد يضم الباب كلمات عدة من الأهمية بمكان ، فتجد كلمة عن الإمام « البخارى » الذى قال العلماء عن كتابه « صحيح البخارى » : إنه أصح كتاب بعد كتاب الله - تعالى - وهو الكتاب الذى أصبح « البخارى » به أمير المؤمنين فى الحديث

وهى كلمة تبين فى منطوقها أهمية « السنة » كمصدر ثان للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، وتحذر من الانسياق وراء الدعاوى الفاسدة التى تدعو إلى الاكتفاء بالقرآن ، حيث يمثل « القرآن » النصوص الأساسية للأحكام ، وتمثل « السنة » المواد التفسيرية التى تفصل ما أجمل القرآن وتشرح تفاصيل ما يجب على المسلمين أن يفعلوه ، مما يبرز لنا أهمية « السنة » ودور أئمة الحديث .

كما تجد - عزيزى القارئ - كلمة أخرى عن خطبة الجمعة وشكلها الأمثل ، وذلك نظرا لأهميتها فى ربط المخلوق بخالقه وإعداده لحمل الأمانة وتحقيق الخلافة فى الأرض ، وتجد كلمة ثالثة عن « أدب النصيحة » ورابعة عن فضل « العفو عند المقدرة » وخامسة عن « خامس الخلفاء الراشدين » ، وذلك فضلا عن زاوية الإبداعات للشعر ، وزاوية الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات ، والله - تعالى - من وراء القصد ..

المحرر

أمير المؤمنين فى الحديث

كتب الأستاذ/ محمد إبراهيم الدمرداش ـ بمجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية ـ كلمة عن « الإمام البخارى » الذى تألقت شخصيته فى علم الحديث النبوى ، وفى سماء المجد العلمى لشدة شرطه فى كتابه « الجامع الصحيح » .

ورد فى تاريخ بغداد للحافظ أبى بكر ـ ج ٢ ـ قال ابن عدى : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، ودفعوها إلى عشرة رجال لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على « البخارى »

وأخذوا منه موعداً فحضر ، وحضر جماعة أصحاب الحديث من أهل خراسان وغيرها من البغداديين . فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه . وما زال يلقى عليه واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرته وهكذا فعل بقية العشرة حتى فرغوا جميعاً من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على : لا أعرفه .

فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على التوالى حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، فأقر له الجميع بالحفظ وأذعنوا له بالفضل ،ومن ثم لُقِّبَ « البخارى » « بأمير المؤمنين فى حديث سيد المرسلين » .

نحو خطبة جمعة أفضل

كتب الأستاذ / حبشى حسن حسين ـ الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف ـ كلمة يركز فيها تجربته وخبرته فى مجال الدعوة وخطبة الجمعة ـ لتكون نبراسا لزملاء مهنته أينما وجدوا .

« من منطلق خبرتى بالخطابة التى أحبها وأقوم بأدائها ـ منذ ثلاثين عاما ـ فى المساجد والمناسبات ، أتقدم بهذه الخبرة لجميع إخوانى العاملين فى هذا المجال آملا الاهتمام بدراستها والعمل بها ، ويمكن تلخيصها فى هذه النقاط :

١ ـ أن تكون الخطبة باللغة العربية المبسطة وليس بالعامية كما يحلو للبعض استخدامها بحجة التبسيط والشرح[1] .

---

(١) مجلة الأزهر : اللغة الباشرة فى مستواها العملى الاجتماعى والتى تستخدمها الصحافة هى الأولى فى لغة الخطابة .

٢ ـ أن تكون الخطبة فى موضوع واحد لا يخرج الخطيب عنه ، فتعدد الموضوعات يجعل المستمع يخرج من الخطبة متسائلا عما قاله الخطيب .

٣ ـ أن لا تزيد مدة إلقاء الخطبة عن ربع الساعة ، فخير الكلام ما قل ودل ، وقد كان سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، أما سيدنا أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فقد كان يطالب الخطباء بالإيجاز ، ومن ذلك قوله « إذا وعظت فأوجز فإن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضا » .

٤ ـ أن تحتوى خطبة الجمعة على الدلائل القرآنية والنبوية وبعض المواقف مما يحدث للناس والمجتمعات

٥ ـ أن يكون صوت الخطيب وسطا ومتغيرا حسب المواقف التى يتحدث فيها

٦ ـ أن يكون الخطيب ملما عارفا بما يجرى فى مجتمعه من حوادث ، ملما بعصره ، وبما ينشر فى الإعلام .

٧ ـ أن يبتعد الخطيب كل البعد ـ عن الغمز واللمز للمصلين خاصة إذا كان بينه وبين بعضهم عداء كالذى يحدث فى القرى وفى المناطق الشعبية بالمدن الصغيرة .

٨ ـ أن يكون الخطيب ـ خاصة فى القرى والمناطق الشعبية ـ قدوة حسنة وأسوة صالحة يقول ما يفعل

٩ـ أن تكون موضوعات الخطبة مناسبة لحل مشكلاتنا المعاصرة .

أدب النصح فى الإسلام

كذلك كتب الأستاذ / كال عبدالمنعم محمد خليل ـ من الكوم الأحمر ببنى سويف ـ عن آداب النصح فى الإسلام والمحاذير التى ينبغى على الناصح مراعاتها حتى تؤتى نصيحته ثمارها .

لقدذكر الله ـ تعالى ـ النصح فى القرآن الكريم فقال ـ تعالى ـ إخباراً عن نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف : ٦٢

وعن هود ـ عليه السلام ـ :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٦٨

وبين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن النصيحة أمر شأنه كبير فى الإسلام ، ففى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن تميم بن أوس الدارى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

إن الذى ينصح أخاه بإخلاص إنما ينصحه نتيجة حب له وخوف عليه ، ولكن النصيحة أحيانا إنما تتحول إلى تشهير وتنقلب بهذا الشكل إلى كشف العورات وهذا ما نهى عنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بستر عورة المسلم فقال : « ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » متفق عليه ورواه ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ .

فإذا أراد المسلم أن ينصح أخاه المسلم فليكن ذلك فى السر وبعيدا عن أعين الناس حتى لا يكشف ستره ، قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ « المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويُعَيِّر » .

خامس الخلفاء الراشدين

وكتب الأستاذ / عبدالحميد فتحى محمد ـ بالبنك الأهلى المصرى فرع كفر الدوار ـ تلك الكلمة عن عدل خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبدالعزيز وورعه :

اجتمع لهذا الخليفة الراشد من مكارم الأخلاق وشريف الآداب ما لم يجتمع فى كثير من بعده ، وكان أبرز ما فيه رعايته للحق وزوده عنه وإقراره العدل بين الرعية ورفعه المظالم عن كواهلهم . كما كان ـ رضى الله عنه ـ لا يحابى فى الحق قريبا لقرابته ولا عظيما لعظمته ، بل يحق الحق للحق ولا يخشى فيه لومة لائم .

ومما ورد عنه فى مقام الزهد أنه بلغه أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فتختم به فكتب إليه عمر : عزيمة منى عليك أن تبيع الفص الذى اشتريته بألف درهم وتتصدق بثمنه وتشترى فصا بدرهم تنقش عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

ولما مات عمر بن عبدالعزيز رثاه « جرير » بقوله :

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا
يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرا عظيما فاصطلعت به
وسرت فيه بحكم الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

العفو عند المقدرة

وكتب الأستاذ / خيرى إبراهيم أبوالروس ـ أحد خطباء الجرايدة بكفر الشيخ ، هذه الكلمة عن صفة « العفو » وأهميتها :

مدح الله ـ تعالى ـ العافين عن الناس مع القدرة على أخذ الحق منهم فقال ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٣٤

ورغب الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى مقابلة السيئة بالحسنة فى قوله :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

سورة فصلت ـ آية : ٣٤

وفى التاريخ الإسلامى نماذج عظيمة تحتذى فى إيثار العفو وكظم الغيظ ، نذكر منها : أن عبدالله بن طاهر وزير الخليفة العباسى المأمون ـ قال : كنت عند المأمون يوما فنادى : يا غلام فلم يجبه أحد ، فكرر النداء فلم يجبه أحد ، فنادى الثالثة فدخل غلام تركى ثائر ، فقال للخليفة : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجت من عندك تصيح يا غلام يا غلام !! .

قال عبدالله بن طاهر : فما شككت أن المأمون قاتله ، لكنه سكت مليا ثم قال لى : « إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا » .

من إبداعات القراء

« مأســاة القــدس »

للشاعر/ عبد العزيز أحمد رضوان

مسرى الــرسول أسير ، والعــدو به
يجوس ، منفــخ الأوداج مجنونـــاً
مسرى الــرسول يناديـنـا ، يهيب بنـا
فهــل نجيب ؟ نلبــى من ينادينـا ؟
تلك المصائب قد راحت تراوحـنـا
وبالمذلــة قد جاءت تغادينـا
لم يُلقهـا قدرٌ عفـــوا ليظلمنـا
نحن الذيــن صنعناهـا بأيدينـا !!
يامسلمــون ثقــوا فى الله مقتــدراً
كونـــوا بدينكمــو طراً منادينـا
لا تنصروا الــزور والفــحشاء واطرحــوا
فكــراً لعلمنــة بالشر تغزونـا
تريــد دينــاً له لهو وتسليـة
لا شرع ، لا حق ، لا إخــلاص لا دينـا
ما جاء (تنويرهـــم) إلا ليُعتمنـا
ولا سعـــادتهم إلا لتشقينـا

« الدب الروسى .. يزحف »

للشاعر/ مصطفى محمود مصطفى

بالأمس قد زحفــوا إلى الأفغـــان
والـيــوم قد زحفــوا على (الشيشان)
و(الــدب) مالم يقتنص سيدوسنـا
ويجوس فى الأرجـــاء كالغيـلان
يا أمــة الإسلام ، هبــى ، واجهـى
خطــراً ، يطاردنـــا ، بدون توان
أعداؤنـا ، نصبــوا فخاخـا حولنـا
رصدوا الخطـا منـا بكـل مكـان
فاستجمعــوا يا مسلمــون شتاتكـم
حتــى نصدَّ جحافــل الطغيـان

ردود وتعليقات

● القارىء/

عماد عبد العال ..

مدرس العلوم بأبى تيج .

تلقيت رسالتيك عن « الله عز وجل – والأحدية » وانشرحت لما انطويتا عليه من تسبيح وفيض .

● القـــارىء/ عادل على على إسماعيـــل – قورص – أشمون – منوفية .

مرحباً بك وبإبداعاتك وفى انتظار رسائلك .

● القارىء/ محمد عباس محمد – أسيوط – الواسطى .

لاتزال هذه البحوث بأيدى الأساتذة الذين يقرأونها ، ولم تنته بعد مهمتهم .

● القارىء/ محمد محمود الغيمى العطار – بلقينة المحلة الكبرى – غربية .

نتمنى مثلك – تماماً – إعادة طبع الأعداد الماضية من « جمع الجوامع » للسيوطى لمساعدة العلماء الذين لم يواكبوا إصدار هذه الموسوعة ، ويبدو أن الفكرة ليست بعيدة عن المسئولين فى الأزهر .

● القارىء/ محمد فتحى حسنى محمد – كلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر .

● القارىء/ وسيم عبد العليم عزب – شمال سيناء – العريش .

● القارىء/ محسن سعد أحمد – كلية أصول الدين – جامعة الأزهر .

هذه المراجع ليست تحت أيدينا .. نأسف لعدم استطاعتنا تحقيق الرغبة .

● القارىء/ حسام فتحى عبد الجواد عيسى – الإدارة الهندسية بالإسكندرية .

نأمل أن تكون معالجة المجلة لقضية « الختان » جاءت فى حينها ، وفيها الغنى والكفاية ، تم ذلك بعدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ بقلم فضيلة الإمام الأكبر/ شيخ الأزهر ، ومن خلاله عرف الناس حكم الختان .

● القارىء/ مصطفى على محمد الخميس – البرية – مركز الرياض – كفر الشيخ .

الدين الذى ندين الله – تعالى – عليه أن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالقدس على دابة البراق .

● القارىء/ عاطف كريم عبد الله – بولاق الدكرور – جيزة .

الحقيقة أن ملاحقة الحوادث والكشف عما لم يسبق نشره من كنوز التراث لايدعان للمجلة فرصة إعادة طبع « الهدايا » مرة أخرى ، وعلى كل يمكنكم الحصول على رسالة « الختان » لفضيلة الإمام الأكبر – مجاناً – من مدير مكتب فضيلته بإدارة الأزهر بالقاهرة .

● القارىء/ أسامة أبو حسيبة محمد – نزة قرار بمنفلوط – أسيوط .

● القارىء/ طاهر فائق الغرباوى – ملوى – المنيا .

وصلت كلماتكم متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارىء/ عبد الله عبد العزيز ـ كلية التربية .**

« التبرج والسفور » سبق للمجلة معالجته فى أكثر من مقال ، وصدر عنه كتيب هدية للدكتور عبد الودود شلبى ، وقد يمكن إعادة طرحه مستقبلاً .

● **القارىء/ سعيد على البرقسانى ـ بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر .**

أبرزتم فى كلمتكم عن « التبرج » أهمية الحشمة لدى المرأة ؛ لأن أعز ما تملكه هو الشرف والعفاف ، ومحافظتها على الفضائل .. محافظة على إنسانيتها فى أسمى صورها ، وليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع تخليها عن ذلك ، وهذه حقائق لا ينكرها إلا دعاة الفساد .

● **القارىء/ حسن أحمد مكرم ـ بمعهد إعداد الدعاة ـ بأسيوط .**

نشكركم على تحيتكم الرقيقة وبإذن الله ـ تعالى ـ تتسع المجلة لإسهاماتكم الطيبة مستقبلاً .

● **الأستاذ/ صابر حسن عبد العاطى ـ بمعهد فتيات ساقلته ـ سوهاج .**

تناولتم فى كلمتكم جانباً من الحكمة التشريعية لتعدد زوجات النبى ﷺ ، ولعل أقواها هى الإكثار ممن يشاهد وينقل أخلاقه وأحواله وأحكام الدين التى يطلع عليها أزواجه ﷺ حيث كانت بيوته ﷺ مدارس لأمته رجالاً ونساء .

● **القارىء/ عماد الدين عبد المنعم ـ بدار طباعة النقد بالبنك المركزى .**

فى كلمة « مواكب النصر » ركزتم على حقيقة تاريخية فى حياة المسلمين وهى اقتران الشدة بالفرج والعسر باليسر ، ذلك أن أكثر عصور أمتنا مرت بفترات عصيبة نتيجة الصراع الأبدى بين الحق والباطل ، وكانت نهايتها ـ كما أشرتم ـ هى انتصار الحق وزهوق الباطل ، ولعل هذا يبشر ـ فى واقعنا المعاصر ـ بهزيمة الجمع المعادى للإسلام من حيث لم يحتسبوا .

● **القارىء/ السيد محمد القزاز ـ بكالوريس علوم .**

● **القارىء/ محمد رمضان عبد الباسط ـ كلية الحقوق ـ جامعة الأسكندرية .**

● **القارىء/ عبد العزيز فرج اسماعيل عزو ـ عين شمس ـ الزهراء ـ القاهرة .**

نشكركم على هذا الاهتمام بمجلة الأزهر وبمشيئة الله تعالى ـ ترون مبلغ الاهتمام بها يتزايد ـ مع كل عدد ـ فى خدمة الإسلام والمسلمين .

● **الكاتب/ محمد مصطفى الغمرى ـ من أسنيت ـ مركز كفر شكر .**

تلقى ببالغ التقدير رسائلكم وما تحتوى عليه من انتقادات واقتراحات هى محل عناية إدارة المجلة ، وسبق أن أرسلتم تقريظاً موضوعياً لكتابى « مقدمة قبل الهجرة .. الحلف والإيلاف والحوار » لفضيلة الدكتور/ على الخطيب رئيس التحرير ، غير أنه رأى فى نشره كأنه يزكى عمله ، وأنه ليحمل لكم خالص الشكر والتقدير .



إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى الثانى من شهر رمضان المعظم ملتقى الفكر الإسلامى بالسرادق الذى تقيمه رئاسة الجمهورية بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف كل عام بميدان الإمام الحسين.

وقد ألقى فضيلته كلمة جامعة طالب فيها المسلمين أن ينتهزوا فرصة شهر رمضان المعظم لإعادة ترتيب البيت المسلم فى الداخل والخارج بما يحقق المصلحة العامة للإسلام والمسلمين مؤكداً على أنه على كل مسلم أن يراجع نفسه ويحاسبها عما قدم لدينه ولنفسه ولوطنه مشيراً إلى أنه ينبغى أن يكون سلوك المسلمين بعيداً عن التسويف واللامبالاة.

حضر اللقاء د. محمد على محجوب وزير الأوقاف والسيد محافظ القاهرة، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف وسفراء الدول العربية والإسلامية بالقاهرة.

الإمام الأكبر وجائزة الملك فيصل

تلقى فضيلة الإمام الأكبر رسالة من سمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية: هذا نصها

سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد ـ

يسرنى أن أفيد سماحتكم بأن لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية قد اختارتكم فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ١٤١٥هـ .. كما يسعدنى أن أقدم التهانى الخالصة لكم بهذه المناسبة السعيدة، وأفيدكم بأن الجائزة ستمنح فى حفل رسمى كبير تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وسنوافيكم مستقبلاً بالموعد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية

خالد الفيصل بن عبد العزيز

الإمام وتكريم المشاركين فى حفظ القرآن بمدينة طنطا

● أقامت محافظة الغربية احتفالاً كبيراً بجوار المسجد الأحمدى بـ « طنطا » عاصمة محافظة الغربية مساء ٢١ من رمضان ١٤١٥ ـ تكريماً للمشاركين فى مسابقة حفظ القرآن الكريم من أنحاء العالم الإسلامى الذين بلغ عددهم (١٧٠) سبعين ومائة حافظ ، قدموا مصر من خمس وعشرين ومائة دولة ، فكانت وفود خير تجمعت فى ليلة مباركة ترتل من آى الذكر الحكيم ما غمرا القلوب رحمة وحبا ، وغزا النفوس إحساناً وعطفاً .

تقدم الحفل الكريم فضيلة الإمام الأكبر الذى ترتبط رسالته برعاية العالم الإسلامى أجمع ، ومعه السيد محافظ الغربية ، والسيد وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ وكيل الأزهر ، وأصحاب الفضيلة : الشيخ محمد بشير رئيس المعاهد الأزهرية ، والشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الإدارة المركزية للإمام الأكبر .

● كان وجود فضيلة الإمام الأكبر فرصة أمام الشباب لطرح أسئلة عدة أجاب عنها فضيلته ، فقال ـ بصدد تهديد أمن المواطنين ، والعدوان عليهم تحت أى مسمى :

الأمة بحمد الله مسلمة والحريات محفوظة ، والذين يكفرون الأمة ، إنما هم خارجون لأنهم يحاربون الله ورسوله ، وجزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا ، وتقطع أيديهم وأرجلهم ، وعلى المجتمع أن يقف فى وجه هؤلاء . وأن يمنعهم عن بغيهم .

● **وعن القدس أكد فضيلته :**

أن القدس قضية المسلمين أرضاً وعرضاً ، فهو ثالث الحرمين ومسرى رسول الله والقبلة الأولى التى صلى إليها رسول الله والمسلمون معه . وعلى كل مسلم أن يدافع عنها ويعمل على تحريرها .

● **وأجاب عما تردد عن الزيارة لإسرائيل بقوله :**

إذا كنا مطالبين بحسن الجوار فعلى هؤلاء الذين يطالبوننا به أن يحسنوا جوارنا .. ولكن إسرائيل لا تحسن الجوار وإذا كانت لم ترتدع بما كان فى حرب رمضان مع مصر وبالهزيمة الساحقة التى حاقت بها فإن أى مسلم لا يرغب إطلاقا ، فضلا عن شيخ الأزهر فى أن يزور إسرائيل ، أو يلبى لها طلباً مادامت على هذا المنوال لا تعرف عهداً ولا وعداً ولا حسن جوار .

وفى حفل إفطار الأوقاف مساء اليوم التالى الذى يعتبر رمزاً للوحدة الوطنية ـ تحدث فضيلته فتناول الحكمة من الصيام ؛ فبين فضيلته :

إن الصوم اختبار من الله تعالى للإنسان على تحمله الأمانة ، ولأن نكون صفاً واحداً لصالح وطننا .

وبشأن واجب المصريين قال :

على كل انسان بأرض مصر أن يغير رأيه فى بعض السلوكيات التى بدأت تطفو على السطح فتفرق الصف بدلا من أن توحده . وأكد ضرورة الابتعاد عن التنابز بسيىء اللفظ والعادات المرذولة حتى لا نشكو من وجود بعض المنبوذين بيننا .. ولا نقول المتطرفين ـ لأن مصر بلدنا براء من ذلك وأن نعيد نشر الخير والحق بين أجيالنا من الصغار ، وأن يراجع الكل نفسه وتنشىء بيننا من يقول للمخطىء توقف لأن الدين النصيحة .

الإمام الأكبر يضع حجر الأساس لترميم الجامع الأزهر الشريف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوضع حجر الأساس لبدء إعمار وترميم الجامع الأزهر الشريف ، وتطوير المنطقة المحيطة به نظراً لما يمثله الجامع الأزهر من منارة العلم والمعرفة ، ولكي يظل دائماً مؤدياً لدوره ورسالته قامت وزارة المجتمعات العمرانية الجديدة بوضع خطة متكاملة لإعمار وترميم المسجد وتطوير مشروعات البنية الأساسية للمنطقة المحيطة به وقد صرح د . محمد ابراهيم سليمان وزير المجتمعات العمرانية الجديدة بأن مشروع الترميم يشمل ترميم الأسقف والحوائط والأعمدة والأساسات وقد روعى فيه أن يكون مطابقاً لما كان عليه الجامع بالإضافة إلى الاهتمام بالنسيج العمرانى للمنطقة المحيطة بالمسجد

شارك فى الاحتفال السادة محافظ القاهرة ووزير التعليم ووزير العدل وسفراء الدول الإسلامية والعربية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ، وتتكلف هذه الأعمال مايقارب المائة مليون جنيه ويستغرق التنفيذ حوالى خمس سنوات .

وقد صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الرئيس حسنى مبارك مهتم ببدء إعمار وترميم وتجميل الجامع الأزهر والمنطقة المحيطة به كما أن الدولة تقدم كل ما تستطيع لتحقيق هذا الهدف النبيل وقال : إن من حسن الطالع أن يفتتح باب التبرع لهذا العمل الجليل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث تبرع بـ ١٠ ملايين جنيه كما تبرعت بى نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان خلال زيارتها للأزهر بمائة ألف دولار .

الإمام الأكبر يكرم الأئمة والدعاة الوافدين

وزع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر شهادات التفوق على الأئمة والدعاة الوافدين من دول العالم المشاركين فى الدورة السابعة والعشرين وذلك فى إطار رسالة الأزهر الشريف التى بدأت منذ عشر سنوات تم خلالها تخريج ١٧٠٠ داعية يمثلون العديد من دول العالم وقاراته المختلفة .

وقد انتظم فى هذه الدورة أربعون إماماً وداعية يمثلون دول كينيا وألبانيا وأوزبكستان والكاميرون وأثيوبيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين ونيبال والكونغو برازافيل وبلجيكا ونيجيريا .. وقد ألقى فضيلته كلمة أشار فيها إلى أن هذه الدورات وضعت لدراسة أحكام الدين وتعاليمه لتبليغها للناس ، وأن على الأئمة والدعاة أن يبذلوا قصارى جهدهم لتقديم هذه الأحكام والهداية للناس ، وأن يلموا بالأساليب المعاصرة لهذا وأن يكون الأئمة قد استفادوا من محاضراتهم وحواراتهم مع الأساتذة .

وأشار فضيلته إلى أننا نحن المسلمين فى هذه الظروف الحالية فى حاجة إلى أن نجمع شمل شعوبنا وأن نوحد صفوفنا وكلمتنا وأن نحافظ على أن يكون عملنا وسلوكنا فى نطاق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الذى أخبرنا : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » وفى نهاية اللقاء قال فضيلته .

أرجو لكم عوداً حميداً وأن تبلغوا شعوبكم وإخوتكم بأننا هنا فى مصر حريصون على العلم وتعليمه وأننا نأمل أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى ونعمل على جمع كلمة الأمة وأن نبتعد عن الخلافات .





إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

صرح إسحق رابين بأن قواته احتجزت مؤخرا ما لا يقل عن ألفين ممن زعمتهم متطرفين إسلاميين ، فى الوقت الذى تشتبك فيه قوات الصهيونيين مع الفلسطينيين فى مدينة الخليل التى شهدت إضرابات فى مناسبة مجزرة الحرم الإبراهيمى التى حدثت فى منتصف رمضان من العام الماضى والتى فتح فيها مستوطن يهودى النار على المصلين وهم سجود ، فقتل ما لا يقل عن ثلاثين وأصاب العشرات بجراح دون أن يتحرك جندى صهيونى لوضع حد لهذه المجزرة .

وقد حملت الأنباء تصريحاً لبعض رجال الدين الذين اعتقلهم الصهاينة بتهمة تهريب السلاح للفدائيين نذكر منها :

إنه إذا كانت العملية السلمية ـ وهى خطوة متواضعة جداً ـ المسرى الأول على طريق الألف كيلو متر لكوننا سنصل فى النهاية إلى ما نصبوا إليه من عزة وكرامة وإقامة الدولة الفلسطينية التى ضحينا فى سبيلها بآلاف الشهداء ، وتحملنا كل ألوان التعذيب والاضطهاد فأهلا وسهلا بها .

أما إذا كان اتفاق (غزة ـ أريحا) هو أمر مؤداه حكم ذاتى لا تتعدى صلاحياته العناية بالماء والكهرباء والطرقات وجباية الرسوم على المعابر وتصريف الأمور اليومية الحياتية العادية فهذا أمر مرفوض كليا .

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية تصريحا جاء فيه : إن القدس محاصرة منذ عام ونصف ومغلقة فى وجه الفلسطينيين ، وسكان الضفة ممنوع عليهم دخولها حتى للصلاة إلا بإذن مسبق يصعب الحصول عليه .

لقد احتكر الصهاينة القدس وأعلنوها عاصمة أبدية لهم متحدين العالم أجمع ظانين أنهم يضعونه أمام الأمر الواقع ، فلابد ـ إذن ـ من التحرك المباشر والتضامن عربيا وإسلاميا ، فبقاء هذا الحال من المحال ، واعتبار القدس عاصمة لليهود مرفوض شكلا وموضوعا ، فالقدس مهد الديانات السماوية الثلاث ولايمكن لأى قوة فى العالم مهما عظمت أن تحتكرها .



يحاول المفاوضون الروس والشيشان ترسيخ الاتفاق الهش الخاص بوقف إطلاق النار بين الجانبين وذلك بتبادل قوائم بأسرى الحرب لدى الطرفين تمهيدا للإفراج عنهم قريبا .

وقد اتفق الطرفان في محادثات جرت في جمهورية الأنجوش المجاورة للشيشان على مدّ فترة العمل بوقف النار حتى الأحد ٢/١٩ لكن القائد العسكري الشيشاني (أصلان سخادوف) قال : إن الطرفين لم يتفقا بعد على الإجراءات الخاصة بالتبادل الفعلي لأسرى الحرب وكرّر الدعوة لإجراء محادثات مع الروس مؤكدا أن القادة العسكريين لايمكنهم أبدا حسم الأزمة القائمة في الشيشان .

هذا وقد بدأ وقف إطلاق النار منذ الأربعاء ٢/١٥ الماضي لكنه اتفاق هش تم انتهاكه عدة مرات حيث لاتزال الانفجارات تهز مواقع حية من أرض الشيشان .

أفغانستان

قال الرئيس الأفغاني برهان الدين رباني إنه يود إعادة التفاوض على شروط نقل السلطة إلى هيئة مؤقتة .

وأكد متحدث باسمه أن هناك حاجة ماسة إلى إجراء مزيد من المباحثات ، ذلك لأن فصائل جديدة قد برزت بينما أخفقت فصائل أخرى في العاصمة كابول فثمة حرب أهلية يستعر أوارها منذ ثلاث سنوات وهي إشارة إلى الحركة الإسلامية الطلابية المعروفة باسم (طالبان) التي وصلت الميليشيات التابعة لها إلى مشارف كابول وباتت تهدد بالزحف على العاصمة الأفغانية كلها .

وإلى أفغانستان وصل الجمعة ٢/١٧ محمود المستيري مبعوث الأمم المتحدة لأفغانستان للإشراف على عملية نقل السلطة خلال يومين من وصوله لكنه صرح بأن نقل السلطة قد يتأخر بسبب إجراء مزيد من المباحثات بشأن عضوية الأطراف المشاركة .

وتواجه تلك العملية عقبة تتمثل في فتور حماس الحركة الإسلامية الطلابية القوية في الانضمام إلى عضوية المجلس المؤقت .

والمعروف أن الحركة المذكورة هي التي تمكنت من قلب موازين القوى في أفغانستان حيث دحرت قوات حكمتيار كما قضت على قوات عبدالرشيد ـ سيّم فيما بعد انفراجا في الأزمة الأفغانية .

استدراك

بعد طبع الملزمة الأولى من المجلة لوحظ وقوع خطأ مطبعي بالعنوان الفرعي الوارد في صفحة (١٣٢٠) وصحته .

ثالثاً . حكم النظر إلى التلفاز

compagnons entendant ce compliment de la part du Messager (b.s.) souhaitaient chacun être cet homme, pour jouir de cette dignité!

Omar Ibn Al-Khattab dit: "Je n'ai jamais souhaité devenir gouverneur autant que ce jour-là avec l'espoir de remplir cette fonction. Je me rendis tôt à la prière du midi. Une fois la prière achevée, comme le Messager (b.s.) fit la salutation finale en tournant la tête à droite et à gauche j'allongeai le cou afin qu'il m'aperçoive". Le Prophète regardait toujours jusqu'à ce qu'il vit Abou Obaida Ibn Al-Garrah; il l'appela et lui dit: "accompagne-les, juge leur différend en toute justice". Abou Obaida partit pour remplir cette mission...!! Ce fait ne signifie pas que Abou Obaida jouissait seul de cette confiance et de l'estime du Messager (b.s.) mais cela signifiait qu'il était parmi ceux qui jouissaient de la confiance et de l'estime du Messager (b.s.). Mais il était le seul dont les cironstances permettaient de quitter Médine et d'accomplir cette mission.

(à suivre)

Hoda Hussein Cha'arawy

ses yeux épiaient le Messager avec précaution et inquiétude. Quand il s'apercevait qu'un danger menaçait le Prophète (b.s.), il quittait sa place et accourait en sautant sur l'ennemi d'Allah en le faisant reculer sur ses pas avant qu'il ait pu atteindre le Messager.

Soudain une flèche tirée par un polythéiste atteignit le visage du Prophète, le sang coula sur son visage et deux mailles de son casque s'enfoncèrent dans sa joue. Le Messager essuya le sang de sa main droite et dit: "Comment un peuple peut-il être juste en blessant le visage de son Prophète alors que celui-ci les appelle à la fois en leur Seigneur? Abou Bakr accourut alors vers le Prophète (b.s.) tandis qu'un autre homme s'approchait à toute vitesse en venant du côté de l'Est: c'était Abou Obaida qui dit à Abou Bakr: "Je te demande par Allah Ô Abou Bakr de me laisser ôter la maille du visage du Messager. Abou Obaida avec son incisive tira l'un des mailles, son incisive s'arracha et tomba par terre. Puis il prit la seconde maille et la seconde incisive s'arracha aussi, si bien qu'il parut comme édenté.

Quand les responsabilités des compagnons se multiplièrent, Abou Obaida était toujours à la hauteur de ces responsabilités par sa sincérité et sa fidélité.

Quand le Prophète (b.s.) l'envoya pour l'expédition "d'Alkhabat", il commandait 300 hommes qui n'avaient comme provisions qu'un sac de dattes. La mission était difficile et le voyage était long. Abou Obaida remplit son devoir avec dévotion et gaieté, il traversa avec ses hommes les distances, ne mangeant durant toute la journée qu'une poignée de dattes. Comment les provisions diminuaient, la portion de chaque soldat était réduite à une seule datte par jour. Une fois, les dattes consommées, ils frappèrent les arbres pour faire tomber les feuilles, les ramassèrent, les écrasèrent et les mangèrent, puis burent de l'eau. Pour cela cette expédition fut nommée "Alkhabat" (feuilles d'arbres). Ils ne se souciaient ni de leur faim ni de la privation, leur seul souci était d'accomplir avec leur chef la mission pour laquelle le Messager les avait choisis !

Un jour, à Médine, une délégation de Najrane au Yémen vint pour embrasser l'Islam et demander d'envoyer quelqu'un avec eux pour leur enseigner le Coran, la Sunna et l'Islam. Le Messager (b.s.) leur dit: "Je vais vous envoyer un homme de confiance... de grande confiance". Les

Abou Obaida Ibn Al-Garrah qu'Allah soit satisfait de lui L'homme de confiance de cette communauté

par Hoda Hussein Cha'araoui

Nous avons l'honneur d'accueillir sur ces pages Abou Obaida Ibn Al-Garrah. Le compagnon que le messager (b.s.) a pris par la main droite en le présentant ainsi: "Chaque nation a un homme de confiance, et celui de cette communauté est "Abou Obaida Ibn Al-Garrah". L'homme que le Prophète (b.s.) a envoyé pour l'expédition de "Zat-Al-Salassel" en le mettant à la tête d'une armée où se trouvaient Abou-Bakr et Omar. L'homme grand de taille et élancé, à la barbe légère était le compagnon à qui on a donné le surnom de "le prince des princes". Cet homme robuste et loyal était l'un des dix promis pour le paradis. "Omar Ibn Al-Khattab a dit de lui sur son lit de mort "Si Abou Obaida Ibn Al-Garrah était vivant, je l'aurais désigné comme calife des Musulmans. Si Allah me demanderait pourquoi? Je lui dirai: j'ai désigné l'homme de confiance d'Allah et de son envoyé".

Abou Obaida, à l'âge de 27 ans s'est converti grâce à Abou Bakr à l'aube de l'Islam. Il émigra en Ethiopie puis en retourna pour être aux côtés du Messager d'Allah (b.s.) dans tous les combats. Sa conduite, son comportement et sa fidélité vis-à-vis de ses responsabilités l'ennoblirent au point qu'il mérita le titre que le Messager lui a donné: "L'homme de confiance de cette communauté".

Examinons de près ce que fit Abou Obaida le jour de la bataille de "Ohod". Le jour de la bataille de "Ohod", alors que les polythéistes étaient déterminés à vaincre et à tuer le Messager d'Allah (b.s.) Abou Obaida frappait courageusement de son épée l'armée hostile alors que

De l'Orient à l'Occident, tous les musulmans du monde éprouvent les uns envers les autres la même compassion et la même miséricorde qu'ils soient riches ou pauvres. Cette miséricorde est le fruit de la privation que ressent le musulman lorsqu'il jeûne: c'est là un des buts sociaux du jeûne, car, à partir du moment où le riche éprouve de la compassion envers le nécessiteux qui a faim, il essaie d'alléger la peine de ce dernier dont il a éprouvé la souffrance par le jeûne; ainsi un noble but social est atteint.

Le jour où les musulmans quittent le mois de Ramadan pour accueillir la fête, ils doivent se poser la question suivante; en quittant ce mois sont-ils devenus meilleurs qu'ils n'étaient en l'accueillant ?

Vous, les musulmans, êtes-vous certains de vous être acquittés de ce culte comme il se doit? Vos âmes se sont-elles purifiées, votre nature s'est-elle adoucie et vos sentiments se sont-ils ennoblis? Le jeûne vous a-t-il rendus plus proches d'Allah et a-t-il réveillé vos consciences? Vos relations avec les autres sont-elles plus solides et vos coeurs se sont-ils remplis de compassion et d'endurance ?

Il est souhaitable que le musulman, pendant tous les mois de l'année, n'oublie pas les profits qu'il a tirés du mois de Ramadan; qu'il évite de commettre le mal, de nuire aux autres, de dire du mal d'autrui, qu'il purifie son âme de toute envie, de toute jalousie et de toute rancune.

Comme nous avons réussi à dompter nos instincts durant ce mois, nous devons préserver dans cette voie.

La joie de la fête, si elle est mêlée aux fruits du jeûne, devient un

bagage de dévotion pour le coeur et l'âme, à la fois une force physique et un remède moral.

Allah — qu'Il soit exalté — a dit dans le Saint Coran :

[Ô vous les croyants, soyez patients et endurants (face à vos adversaires). Craignez Allah, peut-être obtiendrez-vous le succès] Sourate "Al Imran, le sens du verset 200.

Rokeya Gabr

Al'Id vise essentiellement à se développer dans la communauté l'esprit du bon voisinage de sorte que tout pays musulmans forme avec ses voisins un état musulman unique où l'on trouve la mise en applicatin du vrai sens de la fraternité, où la fidélité est la règle et où les gens échangent les cadeaux malgré l'éloignement de leurs habitations et les différences de leurs situations.

Par là, la fête devient une occasion pour mettre en évidencve l'authencité et les particularités sociales de la nation islamique qui la distinguent des autres nations: C'est du produit du travail de ses mains qu'elle s'habille et se nourrit, fière de son industrie et de tous ses produits, gardant l'espoir en l'avenir, respectant les vieillards et compâtissante envers les enfants.

Dans cette société, les qualités humaines se complètent mutuellement pou former un édifice solide. Ainsi la vraie fête c'est de sentir qu'on a réussi à se dénuer de toute jalousie, de toute envie, de toute rancune et à se parer de nobles qualités.

Grâce au jeûne, les âmes se sont élevées au-dessus de tous les instincts et de toutes les bassesses. Les gens qui ont enduré avec patience jusqu'à l'expiration du mois de Ramadan, éprouvent la joie d'avoir accomplir ce devoir religieux comme il se doit; car la règle en Islam c'est d'endurer les difficultés avec courage et patience afin de jouir un jour de la joie du triomphe sur autrui et sur ses propres faiblesses.

Le jeûne est un exercice où le musulman éprouve sa force de volonté. Cette épreuve est particulièrement profitable lorsque nous savons en tirer une leçon et une règle de conduite dans notre vie. C'est alors que la fête devient l'expression de la force d'une communauté et un jour de triomphe où la société goûte les fruits du jeûne: l'éducation, l'enseignement et l'épreuve.

Ce jour-là tous les musulmans sentent qu'ils ne forment qu'un seul être, d'une même nature, qu'ils éprouvent les mêmes sentiments. Ce jeûne est couronné par la force de volonté du musulman et sa soumission totale à Allah.

Le vrai sens de la fête *(Al'Id)* pour les Musulmans

par ROKEYA GABR

Combien nous avons besoin, nous les musulmans de l'époque actuelle, de comprendre le vrai sens de nos fêtes afin de savoir nous y préparer et de faire en sorte que les jours de fêtes soient à la fois joyeux, raisonnables et laborieux et qu'ils éveillent nos âmes aux valeurs prioritaires de l'existence.

Que notre principale souci, durant les jours de fête, ne soit point l'achat de vêtements neufs ni l'occupation des loisirs.

En effet, l'importance de ce jours n'est pas en lui-même, mais elle réside dans le sens social et humain que ce jour renferme.

La fête (Al'Id) en Islam vise en premier à faire sentir à toute la communauté musulmane qu'elle est capable de changer son état. Ainsi, il est dit dans le Coran :

[Allah ne change l'état des gens, que s'ils se changent eux-mêmes]
Sourate Al Ra'd, le sens du verset 11.

C'est pourquoi le jour de la fête est celui où la communauté veille à se parer des beautés de son système social. C'est le jour où tous les membres de la société éprouvent un sentiment partagé et s'unissent autour d'une parole unique.

REVUE AL-AZHAR

Vol. 67 Part X

Shawal 1415 Higrah

Section Française

during Ramadan's nights. We should not forget that we are seeking more and more spirituality to curb the excessive materialistic tendencies of the modern age. In recent days, it has been discovered that there is a direct correlation between the central nervous system and the immunity system through the action of glands and hormones. On the one hand, when a believer fasts he becomes more calm and self-disciplined and, thus, develops a strong immunity system.

Furthermore, when a less believing person fasts, he becomes unsatisfied and depressed because of his deprivation from eating and drinking, and therefore he can easily catch diseases starting from headaches.

Muslims have to watch out their conduct during Ramadan. Prophet Muhammad (MPBUH) encouraged Muslims to fast Ramadan. He persuaded them by his saying to his wife, mother of the faithful, "Aaisha" may Allah be pleased with her; "Keep knocking on Heavens door." She then asked him "How can this happen ?" He answered her : "By Fasting."

Bearing hunger is only one aim of fasting as there are others which are very important too, such as ethical and virtuous conduct, nourishment of the spiritual, needs putting aside all the materialsistic demands of life. Prophet Muhammad (MPBUH) used to seclude himself for worship during the last ten days of Ramadan. The prophet has asked Muslims to have their last meal (sahur) just before dawn and not earlier may be to encourage them to spend the night in worship and then have the sahur meal. He said : "My 'Umma will remain in good condition so long as they early begin breaking their fast and keep the last meal before daybreak toward the end of the night."

There are other desirable habits in Ramadan such as the frequent reading of the Holy Quran and providing the poor with money donations "Zakah". It is also important to assert the intention to fast. According to Prophet Muhammad's (MPBUH) saying : "The one who will not assert the intention to fast in the previous night, will not be considered fasting."

Finally, to sum up, the aim of fasting in Ramadan is to consolidate the Muslims spiritual conditions by learning endurance, patience, wisdom and abstaining from anger and hatred. Prophet Muhammad, (MPBUH) taught Muslims to improve their conduct especially in Ramadan by saying :

"If someone is to fast, he must not do any bad deeds nor mention bad words, he must not be angry and if someone tempts him by insulting or beating, he should have to say : "I am fasting."

In conclusion, Ramadan is the real practical examination of individual faith. It is therefore, the annual chance provided from Allah the Greatest to permit believers to rise to higher status.

In one of the sacred sayings Allah, the Most Gracious and Most Merciful says : All human deeds are for themselves, except fasting, it is for Me and I reward them for it."

Reference : An Interpretation of THE HOLY QURAN with full Arabic Text. By Abdallah Yusuf Ali.

Sh. Muhammad Ashraf - Kashmiri Bazar Lahore.

preceded by the governor on his white horse, followed by a group of detachments riding their horses too. Moreover, the procession included the police orchestra wearing their formal uniforms. Also, all manual workers sects were to follow the procession preceded by their "Sheikhs". For example, the tinmen sect was to move on a carriage loaded with lanterns to distribute to children all the way through. "Konafa" maker was to be also on another cart with an oven and utensils to distribute warm and fresh "Konafa" to the children. Carpenters and the rest used to do the same. The procession used to end where the legislative court was located. There, a big tent was to be held for the great number of ministers, scientists and notable men who waited for the announcement of Ramadan's moon confirmation. When it had been confirmed, all mosques were to be lighted and people would start to congratulate each other.

There is a consensus among researchers that to-day's customs and traditions of celebrating Ramadan's "Moon Vision" don't differ so much from those of the Fatimid's state. The only difference relates to to-day's materialistic civilization which employs mass media for such celebration and prophet Muhammad tradition and sayings which are focused on more during Ramadan in television and radio.

Ramadan has its special rank among the rest of the months. It is associated with kindness and generosity. Prophet Muhammad (MPBUH) said : "If people were to know the degree of goodness specified to Ramadan, they would with the whole year be Ramadan."

The most important values of goodness in Ramadan are as follows :

First, the revelation of the Quran -- the greatest eternal goodness to all human beings. In addition, it has been cited from Prophet Muhammad traditions that Prophet Ibrahim's papers were revealed in the first, 1st of Ramadan, the Torah in the sixth, 6th of Ramadan and the Bible in the thirteenth, 13th of Ramadan.

Second, Fasting is the purest spiritual worship because it is a secret confinement between Allah and His slaves.

Third, Allah, the most merciful and most generous, has indicated his kindness and compasis equivalent to seventy prayers during the other months.

Fourth, during Ramadan, Paradise's doors are open and Hell's doors are locked and devils are imprisoned.

Fifth, the true fasting prevents one from committing sins and ingrains righteousness and truthfulness in sayings and deeds. Prophet Muhammad, peace be upon him, said : "The one who doesn't refrain from lying in his speech and deeds doesn't need to refrain from eating and drinking."

In addition to all what previously mentioned, fasting enhances the body immunity. Abstainment from eating and bearing hunger and thirst educate oneself to behave well and to be moderate in eating and drinking habits. We have to preserve such advantage and not to spoil it by over-eating after sunset. This is because if one eats much, one feels heavy and blood goes from the head to the stomach to help in the process of digestion. As a result, one becomes unable to carry out his spiritual duty

WHAT IS SO SPECIAL ABOUT RAMADAN

Presentation : Wiaam Kamal Gabr

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

"Ramadan is the (month)
In which was sent down
The Quran, as a Guide
To mankind, also clear (signs)
For guidance and judgement
(Between right and wrong).
So everyone of you
Who is present (at his home)
During that month
Should spend it in fasting,
But if anyone is ill,
Or on a journey,
The prescribed period
(should be made up)
By days latter" Sura II, Verse 185

شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ

In the old days, in the 8th century of Hijra, Muslims used to celebrate the appearance of Ramadan's new moon in the following manner :

The Judge and the notable men in the country used to gather in the 29th day of Sha'ban. then, they were to go out of the city followed by ordinary people and children to watch the moon from a high place. After the sunset prayer, they return carrying lighted candles, blazes and lanterns. That was an indication that Ramadan's moon was born.

If the moon did not show up due to weather problems or clouds gatherings, or if it appeared in one place and not in the other; then, the testimony of two men witnesses was considered enough. After the confirmation of the seeing of Ramadan's moon, merchants used to light candles in their firms and everywhere else, particularly in mosques.

In the 1920's, it was the duty of the legislative court to announce the appearance of Ramadan's new moon and the beginning of fasting in Egypt. After the announcement, the so-called "moon appearance procession" was to start from the governorate place

areas is to be considered a violation of the sanctity of Al Aqsa mosque as well as an aggression against its holiness. The Fatwa (religious rule) stated as well that the Hebron mosque is a sacred Islamic mosque and any aggression against it should be considered a violation of its sanctity and sacredness.

In fact, his eminence the Grand Sheikh of Al Azhar Jad Al Haq Ali Jad Al Haq has condemned the statements announced lately by president Bill Clinton, namely considering the united Jerusalem the capital of Israel and not referring to it as being a part of the occupied Arab lands.

His reverent has expressed his surprise and astonishment regarding these statements that coincide with the efforts currently exerted to resume peace talks concerning the Arab lands among which is Jerusalem. His reverent has asked the senior influential politicians to have a say and a clear stance if it has been proved that such statements were declared by the American President.

Al Azhar has asways and is still supporting the Arabs of Palestine in their independence, in practicing self rule, and in stopping the building of Israeli settlements in the occupied territories. It calls upon the World Public opinion and the international organizations to take a serious positive action in order to implement the international resolutions that stipulate the return of the occupied lands to their owners, i.e. the Arabs of Palestine, and these lands should include Jerusalem in its united form as it used to be because it is the city of peace.

But even the Israeli side should assert its desire in peace and the Israeli government should stop claiming rights in holy Jerusalem and to stop its aggression against the Arabs all over Palestine.

Thus, if calling for peace has become the language of the age in which we are living, and the language which the international community aspires, them we want it to be a real peace which is not based an aggression. Maybe, hopefully, conveying our message of peace to the international community would impede the schemes of Israel and isolate it from the wold public opinion which provides it with all needs and backs its existence and continuation. It is hoped that the international community would understand that the Muslims are the ones who call for peace based on justice, equality, security, safety and human rights all over the world. It is also hoped that the international community would not listen to what is reiterated by some media that wish to tarnish the image of Muslims and present them in a way that contradicts their true nature and their real image.

Let the international community remember that this city is a sacred, holy city and that it contains the sanctities of the three religions :Judaism, Christianity and Islam.

Henceforth, we would like to know isn't it the duty of this international community to respect and preserve the holiness and sacredness of this city and the heavenly messages ?

In fact, the issue of holy Jerusalem is not only an issue of inhabitants and sacred or holy places but it is also a living symbol of achieving peace called upon by heavenly teachings.

In conclusion, I would like to assure you that this is the message of Al Azhar which we have pledged never to give up until Doomsday.

The Jewish explorer Isacc Ben Yusuf had frankly admitted that in the 14th century AD (8th century A.H.J.) the Jews had lived in peace and happiness in Jerusalem. He had attributed this fact to the justice of the Islamic governments.

Here is another British writer (Thubron Coplin) who asserts that in the early centuries, Muslims had been tolerant with the Jews and they lived together in peace. Meanwhile, Europe had been extremely suffering oppression. Muslims had been also so keen to safeguard the Christian sanctities in the same way they safeguarded Muslim sanctities in Jerusalem, in particular, and all over Palestine, in general. Muslims, in so doing, were reviving the history of their good ancestors and were following, in application, the steps of the wise Caliph Omar (MGBWH) who had given the pledge of safety to the patriarch of Jerusalem in 15AH/636A.D.

I think we are in no need for any further assertion that Islam has recommended the kind treatment of the people of the Book, i.e. the Jews and the Christians. We needn't as well to be distracted from our basic topic by being completely preoccupied by reviewing historic events that are well known throughout our Islamic history that covers 14 centuries. Consequently, we hope that the current events would be dealt with from the present prespective which we are now experiencing.

Hence, if Al Azhar Al Sharif supports the Palestinians' free will to determine what they want regarding the continuation of negotiation for the sake of peace, yet it believes that Israel's insistence on carrying out its schemes to judaize Jerusalem is something that cannot be accepted from both the Islamic and the Arab point of view.

It is quite evident that the procedures taken day after day by Israel regarding the status of Jerusalem, are, in fact, a kind of forging history and a sufficient reason for the continuation of struggle in the area.

In this context, Al Azhar condemns openly the resolution issued by the highest court in Israel on 23/9/1993 which puts Al Aqsa mosque in Jerusalem under Israel's sovereignty, the consequence of which was the authorizing of the group so called (The Sons of the Temple) to control this holy site.

Thus, Al Azhar affirms the illegality of this court in imposing such a mandate on the Aqsa mosque. In addition, this resolution embodies a flagrant violation of the religious, historic and legal rights of the Arabs in Palestine. It obviously contradicts the claims made by the Israeli authorities from time to time in which they declare that they are honestly seeking peace.

Again, Al Azhar is reiterating what it had previously announced in Ragab 1388AH September 1968 AD, namely affairming the religious Fatwa (religious rule) issued by the Muslim Ulamas and Muftis in the west bank in Jordan on the 17th Gumadi First 1387 AH / 22nd August 1969. This Fatwa (religious rule) stated that the blessed Al Aqsa mosque, from the religion point of view, includes Al Aqsa, the Sacred Rock and all the areas surrounding them, and that any act of aggression against any of these

THE HOLY JERUSALEM IN THE CONSCIENCE OF AL AZHAR AL SHARIF[1]

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

No doubt that Jerusalem is the main axis of Islamic solidarity because of its sublime status in the conscience of all Muslims, because of its holiness being the homeland of all prophets and messengers and being the land of peace which is called upon by all heavenly teachings.

The first thing that should be taken into consideration is that Al Azhar as a mosque, as a university and as an institutin has honestly expressed its extreme sorrow and its strong refusal of the terrible massacre that took place in the mid of Ramadan 1993 at the hands of one of the Israeli settlers against the peaceful prostrating Muslims in the Hebron mosque. Certainly, this aggression completely contradicts the peace called upon by all three heavenly religions.

Undoubtedly hole Jerusalem is entirely qualified to be considered by the believers of all three religions : Judaism, Christianity and Islam as the symbol of peace, justice and tolerance.

If the history of Jerusalem affirms that it is an Arab country in origin we should not forged that under the rule of Islam it had been a model of peace, religious tolerance and peaceful co-existence among all communities in the shadow of the sublime principles that were characterised by justice and mercy.

Any study of the history of Jerusalem will show that peaceful co-existence under the Islamic rule was not a temporary thing, but it was based on fixed pillars well established by Islamic teachings. These teachings recognized all human rights and granted the people of the Book complete freedom not only to practice their religious rituals but also to practice their economic, social and cultural activities.

We have, here, to assert to the international community that Muslims, believing in and being convinced of the sublime principles of Islam, had opened their country to the Jews, allowed them to enter it peacefully, and even entrusted them to perform many things. Hence, some of them become merchants, others physicians and even ministers.

---

(1) The information included herein is based on the article published by Al Azhar Magazine in May 1994 under the title "The holy Jerusalem in the conscience of Al-Azhar Al Sharif."

AN APOLOGY

This section due to out-of-hand technical reason was not published in the month of Ramadan.

AL AZHAR MAGAZINE

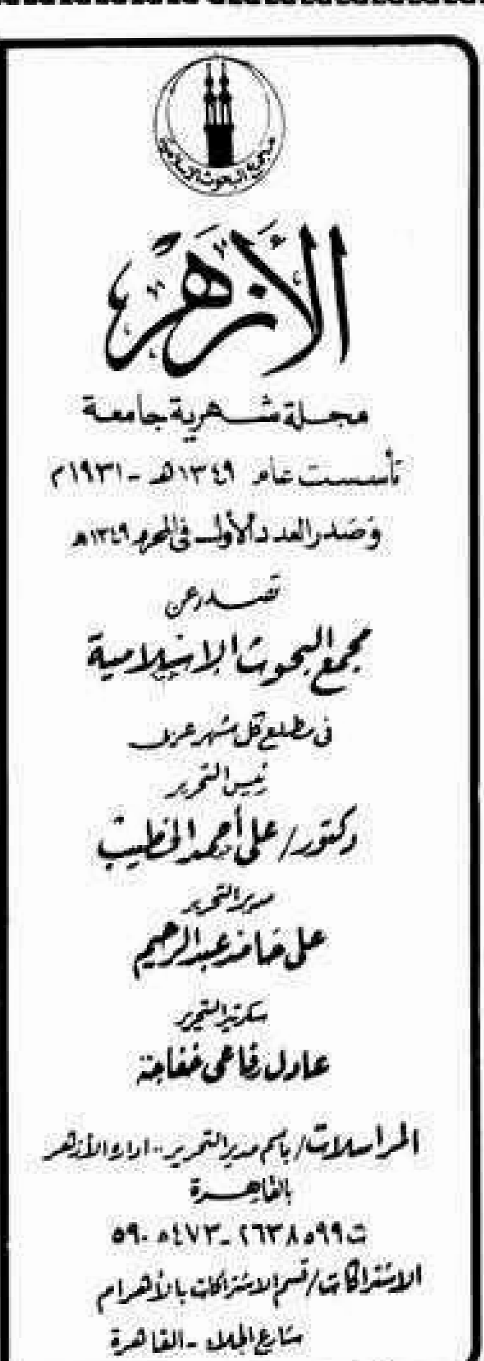
ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part X
Shawal 1415 Higrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

أين التناقض ؟!

الأستاذ الدكتور رشاد عبد الله الشامى ، أستاذ الدراسات العبرية بجامعة عين شمس . هو صاحب البحث رفيع المستوى الذى جعل عنوانه : « الشخصية اليهودية فى أدب إحسان عبد القدوس »[1] .

هذا البحث بحق ينبغى أن يكون من مصادر المتخصصين فى « الأدب والنقد » ، لأنه يقدم خصائص الشخصية اليهودية عامة ، ثم العملية خاصة ، من خلال قصص الأستاذ إحسان - رحمه الله - ويحيط المتخصصين علماً دقيقاً بما بهذه الشخصية من ممارسات دينية فى مصر ، ثم ينتقل إلى حديث عن طوائفهم فيها ، ومذهبيتهم وأعيادهم وشعائرهم ، مسلطاً الضوء بقوة على محاولاتهم طمس ما عرف عن شخصيتهم إبان القرون الماضية إلى يومنا هذا كى تظهر لهم شخصية أخرى طيبة وصلت إلى قمتها فى « مسرحية كمبرلاند » ثم لترتفع - بعد - إلى (الملائكية) ... كذا أرادوا .. !!

(١) سلسلة الهلال - الكتاب رقم ٤٩٦ .

ولولا أن رواسب الشخصية هي صاحبة التوجيه الأول في دوافع السلوك لصدّق كثير من الناس شيئا من هذا السمو المختلق الذي تأثر به الفاتيكان نفسه ؛ فإنه ما ارتفعت من بينهم صيحة : « آخر يهودي وأول عربي » مع أهداف الصهيونية حتى أعادت الصورة إلى ما كانت عليه من حقيقة .

إن البحث يجعلنا أمام أستاذ عالم متخصص ، لقلمه قيَمٌ علمية رفيعة ، وهذا ما دعانا إلى العتب عليه في أشياء آثرت السكوت عنها إلا فيما جاء بكتابه ص (٨٦) فصل :

« صورة اليهودي على النحو الذي وردت به في القرآن الكريم » حيث قال :

« وقد وقف الإسلام من اليهود ، أو من بني إسرائيل ـ منذ البداية ـ موقفين متناقضين ، أو هكذا يبدوان ، نراهما معا في كتابه الكريم » .

دهشت ، كيف لهذا القلم الذي جرى في محيط الدراسات العبرية شوطا عالميا نقب خلاله عما كتب عن اليهود ثم عاد بحصيلته الضخمة من المعارف يقول هذا عن القرآن ..

أليس كان القرآن الكريم يتطلب منه وقتا يستجلي فيه تفاصيل الكتاب العزيز فيما أُنزل على رسول الله محمد ﷺ عن اليهود ، عن بني إسرائيل : أصولا ، وفروعا ، ثم ذراريّ : كان منهم من آمن وظل مستقيم الدين مستمسكا بشريعته ، ومنهم من تجنبها ، بل منهم فريق الصدوقيين الذي أنكر اليوم الآخر ، وألقى أمره دَبْرَ أذنيه .. !؟[٢] .

وانتظرت أن يُلحق المؤلف الفاضل طبعة أخرى لكتابه تصحح هذه العبارة .. فلم يحدث . وظلت دراسته تحمل هذه الكلمة . فكان ـ واجبا ـ بيان موقف القرآن الكريم من هؤلاء الناس .

أئذا تحدث القرآن الكريم عن أصول بني إسرائيل ، وهي أصول نبوية كريمة فمدحها ، كما مدح من استمسك منهم بدينه ، وعكف عليه ؛ فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ـ ١٥٩) .

ثم قسّمهُمْ ـ في وضوح ـ إلى فريقين ، فقال : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ (الصف ـ ١٤) .

ثم مدح مُؤْمنيهم التابعين خطَّ الإيمان معتصمين به مُسْتَلْهِمِين ، فقال :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة آل عمران

ثم عرج فذم عصاتهم الفجرة فقال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ

(٢) سلسلة الهلال ـ عباس محمود العقاد ـ حياة المسيح ص ٤٣ العدد ٢٠٦ .

﴿... لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ سورة المائدة

أفذا سلك القرآن الكريم هذا السبيل الموضح للواقع يكون متناقضا .. ؟

حاش لله .

هذا ـ أستاذنا الفاضل ـ موقف القرآن الكريم من بنى إسرائيل .. وهو موقف سبقه ميثاق مَنْ عَمِلَ به استحق المدح ، ومن خرج عليه استحق السخط ، وهو ـ أى الميثاق ـ فى الكتاب العزيز واضح حيث يقول المولى ـ عز وجل ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ سورة البقرة

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ سورة المائدة

ميثاق أقروه ولم يمارسوا العمل به .

أستاذنا الفاضل :

إنما التناقض أن أقول عن إنسان فى لحظة واحدة : هو قائم قاعد ، أو يقول القرآن فى صالحى بنى إسرائيل : مفسدون ، أو فى مفسديهم : صالحون .

وإنى ـ والله ـ والنقد والأدب تخصصى : أضِنُّ بموسوعتك أن تحمل هذه العبارة فتنزل بها عن مكانتها . لاسيما ، والعتب عليك ـ أستاذنا ـ قائم ؛ فإن تخصصك الرفيع جعلك على علم بكتاب اليهود المتداول « العهد القديم » وأنتم ـ أستاذنا ـ أعلم : كم من نص فيه ذم بنى إسرائيل ، غلاظ الرقبة بكفرهم ، بل وباستقبالهم فى الهيكل مشرق الشمس وصلاتهم إليه تاركين قبلتهم ، كما أن ـ فى العهد ـ مدحا لصالحيهم ... !

وعتبى ـ أيضا ـ أستاذنا ـ على مرورك على ما كُتِبَ عن أم المؤمنين صفية ـ رضى الله عنها ـ بالسكوت[3] ، وهذا تاريخها فى قومها ، ثم فى حياة رسول الله ﷺ .

أما كانت اليهودية ، ولها قوامها بين العرب المعتنقين لها ، تستحق نظرة .. وبعد : فإن لقلمك عليك حقا ـ أستاذنا الكريم .

د. على أحمد الخطيب

(٣) ص ٣٥٨ .

مضامين كلمة الرئيس في الاحتفال بليلة القدر

إعداد ٢/ محمود الفقشني

● في الاحتفال «بليلة القدر» الذي أقيم بجامعة الأزهر الشريف في رحاب هذه الذكرى الخالدة التي انبثقت من فجر الإسلام لكي تبدد ظلام الجاهلية . في هذا العام حضر المسلمون من كل فج ؛ ليشاهدوا نور القرآن الكريم ، ونفحات هذه الذكرى العطرة على أرض مصر والتفوا ينصتون لحديث عذب في لحظة صفاء بكلمات تلاها القائد «الرئيس مبارك» يرثي فيها أحوال المسلمين ويحثهم على التقارب والتآلف والود بينهم .

● **مراجعة أحوال المسلمين في الحاضر الذي يعيشون فيه ، والمستقبل الذي يتطلعون إليه :**

في البداية تحدث سيادته عن مضمون أحوال المسلمين قائلا :

«لعل أعظم احتفال بهذه المناسبة هو أن ننتهزها فرصة لمراجعة أحوال أمتنا في حاضرها الذي تعيشه ومستقبلها الذي تتطلع إليه ، ولرصد صورتنا وصورة العالم من حولنا ، ولنرى واقعنا في داخلنا ، ونعرف موقعنا من المتغيرات والتحديات التي تحيط بنا .

ثم نسلك الطريق الذي فيه صلاحنا ونجاحنا ، وفيه ضمان عزتنا ونهضتنا ، وخير طريق نسلكه هو الطريق الذي أضاءه القرآن الكريم الذي « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ... » ؛ لأنه « تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » .

فالقرآن الكريم لم ينزل لنتغنى بعباراته ونطرب لبلاغاته ، وإنما نزل لنهتدي به ونسير على نهجه ونأخذ أنفسنا بتعاليمه وقيمه ، وأن نتدبر أحوالنا في ضوئه ونتصدى لمشاكلنا ونواجه التحديات المتزايدة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ العالم » .

● **الظواهر السلبية التي تسيء إلى الإسلام في كل مكان :**

ثم أشار إلى مضمون الظواهر قائلا : « إذا تأملنا أحوال عالمنا الإسلامي اليوم لوجدنا أن واجب المصارحة والصدق مع النفس يتطلب منا أن نقرر أن هناك ظواهر سلبية لا سبيل إلى تجاهلها والسكوت عليها فهي تسيء إلى المصالح الأساسية للأمة الإسلامية بل إنها تسيء إلى الإسلام وصورته

فى كل مكان ، وهو برىء من تلك السلبيات التى يتورط فيها بعض من ينتسبون إليه .

إن ما يؤلم كل غيور هو أن هذه الظواهر السلبية برغم فرديتها وبعدها عن صحيح الإسلام تضر أمتنا أبلغ الضرر ، وتضع فى طريقها المعوقات ، وتضاعف أمامها المشكلات فى الوقت الذى تواجه فيه تحديات خطيرة بسبب المتغيرات الدولية الأخيرة . تلك المتغيرات التى جعلت مستقبل الأمة فى الميزان ، ووضعتها فى مفترق طرق وعرضها لاختبار بالغ الصعوبة وتحد غير مسبوق » .

● العالم أصبح عالم الكيانات الكبيرة والتجمعات القوية :

ثم استطرد قائلا : « العالم من حولنا قد أصبح بعد المتغيرات الأخيرة عالم الكيانات الكبيرة والتجمعات القوية ، الذى لا مكان فيه للكيانات الهزيلة ، ولا تستطيع فيه الدول الصغيرة أن تؤسس موقفها على المنافسة بين محورين متنافرين ، تعتمد على مساندة أحدهما فى مواجهة الآخر .

عالم اليوم هو عالم الاعتماد على الذات ، عالم التقدم والنظرة المستقبلية الطامحة ، الذى لا موضع فيه للتوقف ، فضلا عن التخلف والارتداد إلى الوراء .

● بعض الظواهر السلبية التى يتورط فيها البعض وتسىء إلينا كمسلمين موحدين :

وقد حرص على إبراز أهم المضامين لعرضه لبعض الظواهر السلبية فى حياتنا مؤكدا ما قاله مرارا من قبل « بأنه يعرض كل هذا من منطلق الشعور بالمسئولية أمام الله ثم أمام الشعوب وفى مواجهة التاريخ .

وتلك الظواهر هى :

أولا : إهدار القوة الذاتية :
ثانيا : إغفال الروابط الأخوية :
ثالثا : إهمال الحقوق الإنسانية :
رابعا : تشويه صورة الإسلام :

● أولا : إهدار القوة الذاتية :

« ظاهرة تتضح عند كثير فى عدم اهتمامهم بالتسلح بالعلم النافع والاستنارة بالفكر الصحيح والوصول إلى جوهر الدين الحق .

كثير من أبناء الأمة لا يزالون على أميتهم وبعض من تعلموا خلطوا فكرهم بما ضللهم فاندفعوا إلى التشبث بأفكار لا تتفق مع جوهر الإيمان والدين الصحيح ولا تمت بصلة إلى روح الإسلام الحق .

● النتائج المترتبة على إهدار القوة الذاتية :

« وقد أبرز هذه النتائج فى تعدد الفصائل الفكرية المتنازعة .. وتباين الجماعات الإسلامية المتصارعة واتجاه هؤلاء وهؤلاء إلى التصادم فيما بينهم أحيانا ، وفيما بينهم وبين مجتمعهم أحيانا أخرى كانت المحصلة من كل هذا ضعف الجميع وإهدار القوة الذاتية لكل المتناحرين ، حيث فرق النزاع الشمل وشتت الجمع ، وكثيرا ما أسال

الدماء وهدم البناء ، وغرس العداوة والبغضاء فى قلوب الأشقاء » .

● **إهدار القوة الذاتية يتنافى مع ما دعا إليه ديننا الحنيف من الأخذ بكل أسباب القوة معنوية كانت أو مادية :**

دعا الإسلام إلى القوة معنويا بالعلم النافع وبالفكر الصحيح .

أما القوة فى الجانب المادى الذى أساسه الترابط والتجمع . فكثير من النصوص تدعو إليه وتحث عليه فقول المولى – عز وجل – : « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ » وقوله – تعالى – : « وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » .

من هذه الآيات نرى أن إهدار القوة الذاتية فى جانبها المعنوى بالجهل المظلم أو بالفكر المنحرف هو من الظواهر السلبية المنافية لتعاليم القرآن الكريم والمتعارضة مع رسالة الإسلام كما نراها من جانبها المادى بالتفرق والتمزق والنزاع والصراع » .

● **ثانيا : إغفال الروابط الأخوية :**

« ظاهرة تتجاوز ما يحدث بين أبناء البلد الواحد من منازعات وصراعات إلى العدوان من بلد إسلامى على بلد إسلامى آخر ، يماثله فى الدين ، ويجاوره فى الأرض ، ويقاسمه فى الماضى ، ويشاركه فى الحاضر والمستقبل .

ويأتى هذا العدوان بدافع الطمع فى التوسع أو الرغبة فى السيطرة والتسلط ، أو بسبب الرغبة فى فرض مذهب مرفوض أو تصدير فكر مشبوه ، أو من أجل تصفية حسابات قديمة عفا عليها الزمن أو إيقاظ نزعة عرقية لفظتها ذاكرة التاريخ .

إن ما حدث من هذا العدوان فى السنوات الأخيرة وفى أكثر من موضع على خريطة أمتنا بسبب إغفال الروابط الأخوية قد جلب على الأمة خسائر مادية ومعنوية وبشرية لا تعوض إلا بعد عشرات السنين ، وقد لا تعوض على الإطلاق . فالإسلام لم يقف عند الدعوة إلى عدم العدوان وإلى كف الأذى عن الجار ، بل دعا إلى الترابط والتعاون والتكافل والبر بين الأخوة المسلمين أجمعين » .

● **ثالثا : إهمال الحقوق الإنسانية :**

قال السيد الرئيس : « توهم البعض أن موقفنا من أصحاب الديانات الأخرى هو موقف عدائى يتطلب الكراهية والمواجهة والصدام ، وليس موقفا إنسانيا يقتضى التسامح والتعاون والسلام . من هنا ركزت بعض الجماعات نشاطها فى معاداتها الآخرين لمجرد أنهم مخالفون فى الدين ، وتجاوز البعض الآخر هذا إلى العدوان على هؤلاء المخالفين معتقدا أنه يجاهد فى سبيل الله وأنه بعدوانه يوسع رقعة الاسلام ويكسب أرضا جديدة للمسلمين ، ولم يقتصر هذا على التصرفات المحلية إنما تعدى خطر هذا الفكر إلى المواجهة مع بعض البلاد الأجنبية من منطلق مفهوم خاطىء للدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

كانت النتيجة أن ساعد هذا الفكر المنحرف على خلق جبهات مضادة فى تلك البلاد راحت تنظر للإسلام من خلال التصرفات الفردية غير المسئولة ، على أنه الخطر الجديد المهدد للآخرين وأنه المذهب المصادر للحرية الذى حل فى ذلك محل المذاهب المنهارة .

لقد جهلوا أن ديننا الحنيف قد أكد حرية العقيدة ضمن ما أكده من المبادىء الإسلامية

الأساسية وأنه قرر لغير المسلمين حق الحياة الكريمة تماما كإخوانهم المسلمين بل أقر الحق لغير المسلمين فى أن يحتفظوا فى بلادهم ما يشاءون ، وليس لأحد أن يفرض عليهم العقيدة بالقوة ، أو يغرس فى قلوبهم الإيمان بحد السيف فقد تناسوا قول الله — تعالى — « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ » وقوله : « فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » وقوله : **« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا »** .

● الدين الحنيف يدعوا إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أسس إنسانية تحقق التعاون :

« ليس من مقـــاصد الإسلام صراع بين الأديان . وليس من قيمه أن يعادى المسلمون غير المسلمين مادام هؤلاء مسالمين غير معتدين ، والنصوص واضحة فى ذلك بقوله — تعالى — :

« وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ »

وقوله — تعالى —

« لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » .

إن العداء يجر إلى القطيعة ، والقطيعة تؤدى إلى التصادم والتصادم معوق للمسيرة بل مخرب للحياة مناف لحكمة المولى من استخلاف الإنسان فى الأرض ليعمرها بالنماء والاستقرار والازدهار » .

● رابعا : تشويه الصورة الإسلامية :

وفى نهاية حديثه أوضح آثار السلبيات وبين ما حدث للمسلمين فى العالم ، فأشار قائلا : « هذه السلبية تمثل النتيجة الحتمية لكل السلبيات فنظرا لإهدار القوة الذاتية ، وإغفال الروابط الأخوية وإهمال الحقوق الإنسانية ، اهتزت صورة الإسلام والمسلمين فى عيون الكثير .

أصبح الإسلام مرتبطا فى أذهان هؤلاء القوم بالفكر الهادم والخطر القادم ، وإذا ذكر المسلمون تداعى إلى أذهانهم التخلف والجمود والنزاع والصراع والتطرف والإرهاب .

وعلى الرغم من أنها سلبيات فردية منافية للإسلام والمسلمين فى حقيقتها ، فإنها نجحت بكل أسف فى رسم تلك الصورة الظالمة للإسلام والمسلمين فى أذهان كثير من أبناء الحضارات غير الإسلامية بالإضافة إلى أن هذه الصورة قد أسهمت فى فقدان القضايا الإسلامية ما تستحقه من مساندة ومؤازرة ، بل شاركت فى الحرب التى تشن من بعض قوى البغى على المسلمين .

وهكذا كانت سلبيات بعضنا عونا لأعدائنا علينا . وأسلحة ضمن أسلحتهم ضدنا وتعددت أخيرا مظاهر العدوان على المسلمين .. حيث حصدت الأرواح وانتهكت الأعراض وهدمت المدن ، وأريقت دماء الأبرياء ثم أسلم الملايين من الأشقاء للضياع والشقاء ، وبهذا تكون السلبيات قد أضعفت أمتنا فى الداخل ، وأوهنت موقفها فى الخارج »..

علينا أن نتصدى للسلبيات وأن نعقد العزم الصادق على أن نبدأ بالعمل النافع لأمتنا ومستقبل أجيالنا :

« علينا أن نعمل بكل ما نستطيع من قوة وعزم على أن تحافظ كل دولة إسلامية على قواها الذاتية ،

وأن يكون ذلك فى الجانب المعنوى والجانب المادى على السواء .

الجانب المعنوى بالعلم النافع والفكر الصحيح والخلق الكريم .

والجانب المادى بنبذ الصراع وتنحية النزاع والأخذ بأسباب الوئام والترابط والاعتصام بحبل الله .

علينا أن نحافظ على الروابط الأخوية بين البلاد الإسلامية من منطلق ما يجمع بيننا من دين وعقيدة وما يقرب بين أوطاننا من جوار فى الأرض والحدود .

إذا ما نشب خلاف أو نزاع بين الاخوة الأشقاء فالاعتماد لابد أن يكون على التفاهم الأخوى والحضارى والتحاور الهادى الموصل إلى إحقاق الحق وإعلاء راية العدل .

وفى هذا الجانب حثنا الرئيس على المحافظة على الحقوق الإنسانية للآخرين ما داموا غير معتدين فلا نفرض علاقة عداء بيننا وبينهم لمجرد مخالفتهم فى دينهم ، لا شك أن بيننا وبين الأمم الأخرى مصالح مشتركة ، ومنافع متبادلة ، ومن الخير لنا ولهم أن تقوم علاقاتنا بهم على التعاون والتواصل ومراعاة المصالح .

علينا أن نعمل على تصحيح صورتنا فى عيون غيرنا :

ويتحقق ذلك تلقائيا إذا ما تجنبناتلك المظاهر السلبية التى يتورط فيها بعض أبناء أمتنا .

أمة قوية بالعلم ، وناضجة بالفكر ومتآزرة بالوحدة .

أمة متقدمة بالعمل النافع والإنتاج الجيد والعطاء الوفير .

أمة تسامح ومحبة ، وتعايش وسلام ؛ تقوم العلاقات بين أفرادها على الروابط الأسرية .. وتتأسس الصلات بين أقاليمها على الأخوة الحقيقية وتنطلق نظرة أبنائها نحو الآخرين من مبادىء الإسلام الداعية إلى رعاية الحقوق الإنسانية لغيرهم من الأمم والشعوب ؛ فأمتنا قد أرسى دينها قواعد الحق والعدل والحرية والديمقراطية .

هذا واجبنا جميعا فى هذه المرحلة من تاريخنا . أن نعمل على تحقيق هذه الغاية الكريمة ، وأن يقوم كل بدوره فى موقعه وحسب قدرته . فالمسئولية عامة والقضية مشتركة ، وأمتنا جميعا فى سفينة واحدة ، وان نسعى جميعا وبكل الجهد لكى تحترم الدول الأخرى مشاعر أمتنا ، وأن تتجنب سياسة التعصب ضدنا ، وممارسة العدوان على بعض إخواننا وتوجيه الاتهام الظالم لمجموعنا بسبب تصرفات رعناء لبعض من ينتسبون إلينا » .

نبدأ بأنفسنا دون حساسية أو تردد فى نقد الذات :

ثم قال : « لكننا فى الوقت نفسه لا نجامل غيرنا على حساب حقوقنا وسمعة أمتنا وديننا فنحن إذ نطالب أنفسنا بالإصلاح ومراعاة الحقوق الإنسانية نطالب الآخرين بالعدل والحق والحفاظ على الحقوق الاسلامية » .

هذه هى مضامين كلمة الرئيس مبارك فى أعظم احتفال تشهده الأمة الإسلامية مجتمعين منصتين لكل ما هو رسالة أخوية ينبض بها قلب كل مسلم غيور على دينه محبّ لأمته لتسترد عافيتها وتستعيد عزها ونهضتها نهضة خير أمة أخرجت للناس .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى الاحتفال بليلة القدر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك « رئيس الجمهورية »

الحفل الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

فإذا كنا نحتفى الليلة بذكرى نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر فإن السيد الرئيس معنا فى هذا الحفل يحتفى « بأهل القرآن » ، ولعل إضافة « ليلة أهل القرآن » أمر حتمى مع هذا المهرجان الدولى الإسلامى العالمى .

نشكر السيد الرئيس على هذه الحفاوة وعلى هذا الإقبال على الاحتفاء بأهل القرآن وتكريمهم ، فقد كرم الله القرآن كتابه ، فذكره فى آيات عديدة ، وأفرد له سورة معدودة الآيات كانت خاصة بإعلاء ذكره ، وذكر ليلته ، وبالرد على من جحد القرآن وأنكر نزوله من عند الله ، أكدت هذه السورة أن القرآن كتاب الله ، وأنه كلامه سبحانه أنزله على رسوله ﷺ فى ليلة مباركة ، ليلة تساوى ألف شهر ، تلك ليلة القدر ، قال عنها : « وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ » ، ليرفع ذكرها وليعلى أمرها إعلاء لمحتواها وهو نزول القرآن الكريم .

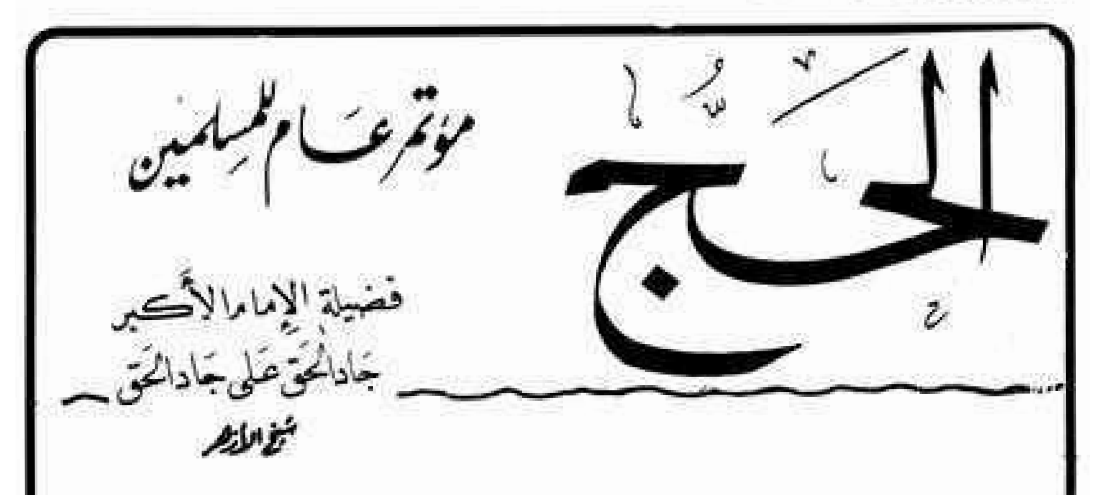
إذا كان هذا شأن هذه الليلة ، وشأن ما أنزل فيها ، فإن القرآن أمانة بين يدى هذه الأمة عليها دائما أن تحفظه وتحافظ عليه .

وإن مصر فى المرتبة الأولى ذات مسئولية فى هذا المقام ــ وبحمد الله ــ ونحن على ذلك من الشاهدين بهذا الجمع ــ تقوم بهذا الواجب برجالها وبعلمائها وبأبنائها ، وبما انضموا إليها من أبناء الأمة الإسلامية .

إن القرآن يبشر المؤمنين دائما بأن تكون لهم الحياة الفاضلة فى الدين والدنيا إذا هم التزموا بهذا الكتاب ، وأقاموا أحكامه وحفظوه وصانوه واحتفظوا له بما يليق به من الوقار والاحترام الذى حفظه الله ــ سبحانه وتعالى ــ له .

سيادة الرئيس كرمك الله كما كرمت أهل القرآن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « يا أيها الناس ـ قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ماتركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » . رواه البخارى ومسلم .

الحج أحد فرائض الإسلام التى بينها رسول الله ﷺ فى قوله : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

الحج فى واقعه هجرة إلى الله ، وتلبية لدعوته ، وهو مدة من الزمن يتجرد فيها المرء من زينة الحياة وزخرفها ، سعيدا بالطواف بالبيت العتيق ، وبرؤية مهبط الوحى ومسرى رسول الله ﷺ ومكان تنزيل القرآن .

الحج قصد إلى بيت الله الذى عمره آدم ـ عليه السلام ـ ثم عمره من بعده الأنبياء حتى انتهى إلى أبى الأنبياء : إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد أمره الله سبحانه برفع قواعد البيت وتشييد بنائه فكان إبراهيم الخليل إمام أهل البيت وأتباعه ، وقد ورثه الله عز وجل من بعده لنبيه محمد ـ ﷺ وعلى آله وصحبه ـ ومازال هذا البيت معظما مهابا يزداد حجاجه وعماره تشريفا من الله وتكريما وتعظيما ومهابة ورفعة .

ولقد سجل القرآن الكريم فضل هذا البيت ومكانته عند الله ، فهذا قوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

والحج مؤتمر عام للمسلمين يجمعهم من كافة نواحي الأرض ، يلتقون جميعا على صعيد واحد ، في يوم واحد على عرفات ، ذاكرين الله شاكرين فضله أن هداهم للإيمان بالله ورسوله وأعانهم على الاستجابة لندائه ، فلبوا سراعا ، تاركين الأهل والولد والمال هاجرين الدنيا وزخرفها ، متجردين من كل زينة شعثا ، غبرا ، متشابهين ، رافعين أكف الضراعة لربهم الذى خلق فسوى ، خاضعة جباههم ، خاشعة قلوبهم ومنادين ربهم « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، بهذا النداء الذى يستسلم به المرء لربه ، ويهاجر إليه ، لايبتغى به سوى رضائه ، بهذا الهتاف الجماعي تتوحد المشاعر وتذهب الهواجس ، من قلوب هذا الجمع الحاشد الذى لم يأت طلبا للمال وإنما ابتغاء وجه الله وطاعة له واستجابة لندائه .

إنهم يتعارفون ويتحاورون ويتداولون في أمورهم فتتقارب العادات وتتبادل المنافع والثقافات ، وتذوب الفوارق ومن ثم فهم أمة واحدة يتجهون إلى قبلة واحدة ، ويحجون إلى بيت واحد ويصومون شهرا واحدا ، إمامهم واحد هو القرآن ، ونبيهم واحد هو محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

والحج من بواعث الإصلاح الاجتماعي وسبل التهذيب والتقويم ، ففيه صقل للنفوس ، وهداية للقلوب ، وتهذيب للمشاعر ، مما يضفى على جماعة المسلمين استقامة السلوك ورفق التعامل وبذلك تبتهج بهم الحياة وتسعد ، أليسوا قد اجتمعوا في رحاب الله وتلبية لندائه ، فصفت القلوب ، وزكت الأرواح ، وساروا في ركب الإخلاص والمخلصين ، ومشوا في مواكب العاملين الذين يدعون ربهم خوفا وطمعا ، يتعبون أجسادهم أملا في رضوان الله ورحمته وطمعا في جناته ، يتوبون إلى الله مخلصين ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ . (سورة البينة)

والحج من أفضل الأعمال فقد سئل رسول الله ﷺ عن أى الأعمال أفضل ؟ قال : « **إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور** » والحج المبرور هنا هو : الذى لا يخالطه إثم .

وقد روى مرفوعا ـ بسند حسن ـ أن برّه : إطعام الطعام ولين الكلام ، وهو ماحق للذنوب ، فقد قال رسول الله ﷺ فيمارواه أبو هريرة :

« **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** »

والحجاج وفد الله وضيفه ، فقد روى أبو هريرة قول رسول ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله إذا دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » .

وثوابه الجنة فقد روى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة** » .

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر



الطرق الشرعية للذبح

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ رسالة من السيد / يعقوب إسماعيل القاضي ـ رئيس مجلس التحقيقات الشرعية « ببريطانيا » ـ هذا نصها :

إن في بلاد الغرب ذبح الحيوان له طرق مختلفة حسب التفاصيل الآتية ؛ وإني أرجو من فضيلتكم أن تبينوا لي أي طرق يجوز أكل ذبيحتها للمسلم :

١ ـ طريقة ذبـح « الخروف » : الخروف يضرب بصدمة كهربائية خفيفة تجعله مغمى عليه ، ثم يذبحه مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ ، وفي وقت الذبح يكون الحيوان حياً ، وعلامة الحياة هي : حركة اليدين والرجلين ، وتنفسه وخروج الدم .

٢ ـ طريقة ذبح « البقرة » : البقرة تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله ، وتكون البقرة حية وقت الذبح وعلامتها : حركة اليدين ، والرجلين ، والعينين ، وخروج الدم .

٣ ـ طريقة ذبح « الدجاجة » : الدجاجة تعلق برجلها ثم إنها تسير في ماء مكهرب يجعلها مغمى عليها ، ومن ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ وتكون الدجاجة حية عند الذبح .

٤ ـ (أ) « الدجاجة » تمر بماء كهربائي معلقة برجلها ثم إنها تذبح بسكين ميكانيكي الذي يعمله مسلم بضغط زراره مع تسمية الله ـ تعالى ـ ، وأنه لا يسم الله إلا مرة واحدة فقط حين يبدىء السكين ثم يستمر السكين يذبح الدجاج والسكين

تارة يقطع أربعة عروق أو ثلاثة أو اثنين وتارة واحداً ، فهل هذه الذبيحة حلال أو حرام للمسلم ؟

(ب) إذا كان رجل مسلم قائماً عند السكين الميكانيكي حين تمر « الدجاجة » أمام السكين هو يقول : « بسم الله تعالى » فهل يكفي هذه التسمية لحل الذبيحة أم لا مع العلم بأن الرجل لا يُعمل السكين ؟

٥ ـ هل يجوز أن يقاس الذبح الميكانيكي بالذبح الاضطراري ؟

٦ ـ هل التسمية شرط للذبح أو شرط للمذبوح ؟ لأنه لو كانت شرطاً للمذبوح فإنه بتعدده تتعدد التسمية وإلا فلا تتعدد التسمية .

٧ ـ إن مواطني أمريكا وأوربا الذين يسمون أنفسهم « يهود » ، « ونصارى » وما ذلك إلا رسمياً منهم هل يجوز أكل ذبيحتهم للمسلم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا ؟

٨ ـ المسلم يترك التسمية عمداً عند الذبح ، على حرمته إجماع السلف أو فيه اختلاف ؟

وأخيراً أتمنى لكم أطيب التمنيات وأزكى التحيات مع الرجاء بسرعة الإجابة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توقيع يعقوب إسماعيل القاسمي

(رئيس مجلس التحقيقات الشرعية)

والجواب

تمهيد :

أولا : معنى الذبح شرعاً :

الذبح شرعاً : « إسالة الدم مما يؤكل من حيوان أو طير من محله بمحدد غير السن والظفر بيد مسلم أو كتابي » .

ثانيا : اشترط الفقهاء في حل الذبيحة شروطاً منها :

(أ) ما يتعلق بآلة الذبح وهي : أن تكون محددة تقطع أو تخرق بحدها لا بثقلها وألا تكون سناً ولا ظفراً .

فإذا اجتمع هذان الشرطان في شيء حل الذبح به ـ سواء أكان حديداً أم حجراً أم خشباً أم غير ذلك ـ كما جاء في الحديث الشريف : عن رافع بن خديج قال : قلت يا رسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى ؟ فقال النبي ﷺ : « ما أنهر الدم ، وذُكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً ، وسأحدثكم عن ذلك : أما السن : فعظم وأما الظفر : فمدى الحبشة »[1].

وإن كان يسن الذبح بسكين حاد لأنه من باب إحسان الذبح المأمور به شرعاً كما جاء في الحديث النبوي الشريف في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[2].

(١) رواه الجماعة ـ نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص١٤١ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجة ـ نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص١٤١ ط دار الحديث .

(ب) وما يتعلق بالذابح نفسه وهو : أن يكون قادراً على الذبح ، عاقلاً ، مميزاً ، وأن يكون مسلماً أو من أهل الكتب السماوية (اليهود والنصارى) لقوله تعالى فى « سورة المائدة » :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾(٣)

أى ذبائحهم .

أما تسمية الذابح (باسم الله) على الذبيحة حين ذبحها فقد اختلف فيه الفقهاء فى اشتراطها :

فعن الإمام أحمد أنها غير واجبة فى عمد ولا سهو ، وبه قال الإمام الشافعى ، والمشهور من مذهب الإمام أحمد وغيره من أئمة المذاهب : أنها شرط مع التذكر وتسقط بالسهو والنسيان .

وأما ذكر اسم غير الله تعالى على الحيوان حين ذبحه فهو محرم شرعاً عند الجمهور إذا علم ذلك أو شوهد ــ سواء أكان الذابح مسلماً أم كتابياً ــ لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾(٤)

ولقوله ــ سبحانه ــ :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾(٥)

ونقل عن بعض الفقهاء : عطاء ، والزهرى ، وربيعة ، والشعبى ، ومكحول ، حل أكله إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين : أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت ــ رضى الله عنهم ــ أجمعين .

لكن العمل بقول ــ الجمهور ــ أولى وأحق لموافقته النص القرآنى المحرم لما أهل لغير الله به .

ثالثاً : طريقة الذبح الشرعية :

(أ) فيما قُدر عليه : تكون بين الحلق والصدر مع ضرورة قطع الحلقوم (مجرى النفس) والمرىء (مجرى الطعام والشراب) وأحد الودجين وهما (عرقان فى صفحتى العنق) يندفع منهما أو من أحدهما الدم بقطعهما أو قطع أحدهما وذلك عند « الحنفية » .

وقال المالكية : لابد من قطع الحلقوم ، والودجين ولا يشترط قطع المرىء .

وقال الشافعية والحنابلة : لابد من قطع الحلقوم والمرىء ولا يشترط قطع الودجين بل يسن ذلك .

وما قال به الحنفية والمالكية أولى وأحق ــ إذا اقتصر الذابح على قطع ما لابد منه فى الذبح فقط ــ لأن المراد من الذبح هو إنهار الدم أى تدفقه وخروجه انفصالاً عن اللحم ليطيب آكله لقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « **ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا** »(٦) .

(ب) وفى غير المقدور على ذبحه بين الحلق والصدر كبعير نفر ، أو صال عليه ، أو وقع فى بئر فذكاته عقره بجرح مزهق لروحه فى أى موضع من بدنه .

---

(٣) من الآية رقم ٥ .

(٤) من الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة .

(٥) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

(٦) سبق تخريجه .

لما كان ذلك كان الجواب على ما ورد بورقة السائل كما يلى :

أولا : عن الأسئلة الثلاثة الأولى :

بأن ذبح المسلم (الخروف) مع تسميته الله - تعالى - بعد أن يضرب بصدمة كهربائية تجعله مغمى عليه وكذا (البقرة) بعد أن تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها و (الدجاجة) بعد سيرها وهى معلقة من رجلها بماء مكهرب يعتبر ذبحاً شرعياً يحل معه أكل المذبوح شرعاً - باتفاق الفقهاء - إذا كان الذبح بآلة غير « السن » ، « والظفر » تقطع بحدها ما يجب قطعه فى محل الذبح - السابق بيانه - وكان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص ، وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب ، لا يؤثر على حياة كل منها بمعنى أنه تبقى فى كل منها - بعدما فعل به ذلك - حياة مستقرة بحيث لو ترك من غير ذبح عاد إلى حياته الطبيعية ولو ذبح تفجر منه الدم ، أو تحرك المذبوح بشدة .

وتكفى أية حياة - وإن قلت - فى مذهب الإمام « أبى حنيفة » .

أما إذا كان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية ، وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب يؤثر فى حياة كل منها بحيث لو ترك كل منها من غير ذبح فقد حياته ، ولو ذبح لم يتفجر منه الدم ، أو لم يتحرك بشدة فإن الذبح - حينئذ - لا يفيد حله ولا جواز أكله شرعاً لأنه يكون وارداً - وقتئذ - على ميتة موقوذة أو منخنقة إذ يحتمل موت كل منها « بالصدمة الكهربائية » « وبالرصاص الخاص » « وبالسير فى الماء المكهرب » أو « بالتخدير » قبل ذبحه .

ونصوص فقه الشريعة الإسلامية تقضى بأنه إذا اجتمع فى الذبيحة سبب محرم ، وآخر مبيح غلب المحرم على المبيح احتياطاً فتكون محرمة كما إذا رمى شخص طائراً بسهم فجرحه فسقط فى الماء فانتشله الصائد ميتاً فإنه لا يحل أكله لاحتمال موته بالغرق ، لا بجرح السهم ، يدل لهذا ما روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ قال : « **إذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع فى ماء فإنك لا تدرى الماء قتله أو سهمك** » .

ثانيا : وعن السؤال الرابع بقسميه أ ، ب :

إن ذبح (الدجاجة) أو غيرها بعد مرورها بماء مكهرب - معلقاً من رجلها - بسكين ميكانيكية يديرها مسلم بضغط زرارها مع تسمية الله - تعالى - يعتبر ذبحاً شرعياً يحل معه أكلها إذا كانت السكين تقطع بحدها ما يجب قطعه فى موضع الذبح - المبين سابقاً - وكان مدير السكين الميكانيكية - بضغط زرارها - ممن توافرت فيه شروط الذابح السابق بيانه باعتبار تلك السكين الميكانيكية كالسكين التى فى يد الذابح ، وحل أكل ذبيحتها التى ذكر اسم الله عليها - مديرها بنفسه حين ضغطه على زرارها .

أما إذا ذكر - اسم الله تعالى - على (الدجاجة) أو غيرها - حين الذبح - غير الذابح بسكين فى يده أو غير مدير السكين الميكانيكية فلا تحل - حينئذ - الذبيحة عند من يشترط من الفقهاء ذكر اسم الله عليها حين

ذبحها – إذ التسمية – عندهم – شرط فى الذابح نفسه لحل ذبيحته ، ومثله فى ذلك مدير السكين الميكانيكية حين ضغطه على زرارها كما هى شرط فى الصائد حين إرساله الجارحة أو السهم للصيد فلا تكفى تسمية غيرهم ممن ليس له دخل فى الذبح أو الصيد .

والأصل فى هذا قول الله – تعالى – :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (7)

وقول الرسول ﷺ لأبى ثعلبة الخشنى : « **ما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل** ..... »(8)

وقوله لعدى بن حاتم : « **إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك فإن أكل منه فلا تأكل** »(9)

فالمأمورون فى الآية السابقة بذكر الله على المعلم من الجوارح حين إرساله للصيد « **واذكروا اسم الله عليه** » هم أنفسهم المرسلون لهذه الجوارح المعلمة لغرض الصيد دون غيرهم .

والمخاطب فى الحديث الشريف بذكر اسم الله على القوس حين رميه بقصد الصيد « **وذكرت اسم الله عليه فكل** » هو نفسه الصائد بقوسه دون غيره

وكذا المخاطب فى الحديث الثانى – بذكر اسم الله تعالى – على الكلب المعلم حين إرساله للصيد « **وذكرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك** » هو نفس مرسل الكلب ، فدل ذلك على أن التسمية – عند من يشترطها من الفقهاء – شرط فى الصائد نفسه حين إرساله الجارحة المعلمة أو السلاح الجارح « كالقوس » « والسهم » ونحوهما لغرض الصيد حتى يحل أكل المصيد ومثله فى ذلك الذابح بيده ومدير السكين الميكانيكية التى تعتبر كالسكين فى يد الذابح .

ثالثاً : وعن السؤال الخامس ونصه :

(هل يجوز أن يقاس الذبح الميكانيكى بالذبح الاضطرارى ؟) .

إنه لا يجوز قياس الذبح الميكانيكى على الذبح الاضطرارى لأن الذبح الاضطرارى إنما يكون فيما لم يقدر على ذبحه بين الحلق والصدر كحيوان نفر أو صال عليه ، أو وقع فى بئر فذكاته – حينئذ – عقره بجرح مزهق لروحه فى أى موضع من بدنه – كما بينا سابقاً .

أما الحيوان فى الذبح الميكانيكى فهو مقدور على ذكاته بين الحلق والصدر فلابد من ذكاته – ليحل أكله شرعاً – من قطع الحلقوم والمرىء ، وأحد الودجين كما هو عند « الحنفية » أو قطع الحلقوم والودجين ، ولا يشترط قطع المرىء كما هو عند « المالكية » أو قطع الحلقوم والمرىء ،

---

(7) الآية رقم 4 من سورة المائدة .

(8) من حديث متفق عليه – نيل الأوطار للشوكانى جـ8 ص130 ط دار الحديث .

(9) رواه أصحاب السنن .

ولا يشترط الودجين بل يسن ذلك كما هو عند « الشافعية » « والحنابلة » .

وقد سبق بيان ذلك فى طريقة الذبح الشرعية فيما قدر عليه .

فعلّة جواز الذبح الاضطرارى فى أى مكان من جسد الحيوان وهى عدم القدرة على ذبح الحيوان فيما بين الحلق والصدر التى تسوغ القياس أى إلحاق شىء بشىء فى حكمه لعلّة مشتركة جامعة بينهما ، غير موجودة فى الحيوان الذى يذبح ميكانيكياً إذ هو مقدور على ذكاته بين الحلق والصدر ، وما دامت علّة المقيس عليه (الذبح الاضرارى) غير موجودة فى المقيس (الذبح الميكانيكى) فلا يصح قياسه على الذبح الاضرارى لفقدان العلّة التى تسوغ ذلك .

رابعا : وعن السؤال السادس :

هل التسمية شرط للذبح أو شرط للمذبوح ؟

إن التسمية من الذابح شرط عند بعض الفقهاء حين الذبح لحل ذبيحته شرعاً فتتعدد وتتكرر ـ عندهم ـ بتعدد الحيوان أو الطير الذى يراد ذبحه ـ بآلة فى اليد أو بآلة ميكانيكية ـ لأنه إذا تعدد الحيوان أو الطير الذى يراد ذبحه وسمى الذابح حين الذبح على واحد فقط صدق على ما لم يسم عليه منها أنه لم يذكر عليه (اسم الله) فيكون داخلاً تحت قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[10]

وعلى هذا : فيحل شرعاً ـ عند من يشترط التسمية لحل الذبيحة ـ أكل ما سمى عليه منها دون ما لم يسم عليه عمداً .

أما عند من لم يشترط التسمية من الفقهاء حين الذبح ـ فالكل عنده ـ ما سمى عليه وما لم يسم عليه حلال شرعاً مادام لم يذكر اسم غير الله ـ تعالى ـ عليه لأن التسمية ـ وقت الذبح ـ سنة عنده وليست شرطاً لحل المذبوح .

وبهذا يعلم جواب الفقرة (أ) من السؤال الرابع ونصها : (وأنه لا يسمى الله إلا مرة واحدة فقط حين يديره السكين ، ثم يستمر السكين يذبح الدجاج ..) .

إذ يجوز أن تعتبر التسمية عند الضغط على زرار إدارة السكين دوراناً متصلا دون توقف تسمية على كل الدورة ، وما يحدث فيها من ذبح باعتباره عملاً غير منفصل فكأن الذبح لكل ما مر به السكين قد ذكر اسم الله عليه وعندئذ يصير المذبوح حلالاً إذا قطع السكين العروق الأربعة أو ثلاثة أو اثنين منها ـ على ما سبق بيانه ـ أما إذا قطع واحداً فقط فلا يحل .

خامسا : وعن السؤال السابع ونصه :

إن مواطنى « أمريكا » « وأوربا » الذين يسمون أنفسهم يهوداً ونصارى وما ذلك إلا رسمياً منهم فهل يجوز للمسلم أكل ذبيحتهم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا ؟

فإنه يجوز للمسلم الأكل من ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) مما أحله الله ـ سبحانه ـ

(10) من الآية رقم 121 من سورة الأنعام .

من الماشية والطيور – بأية طريقة من الطرق السابقة – إذا توافرت الشروط التى سبق ذكرها فى ذبائح المسلم بأى طريقة منها لقوله تعالى :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾(١١)

أى ذبائحهم أو لحومهم لأنها هى التى كانت موضع الشك ، أما باقى أنواع المأكولات فقد كانت حلالا بحكم أن الأصل فى الأشياء الإباحة لقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(١٢)

فإن ذكروا على ذبائحهم حين الذبح بسكين فى اليد أو حين الضغط على زرار السكين الميكانيكية غير اسم الله تعالى ، وعلم ذلك أو شوهد لم تحل ذبائحهم عند جمهور الفقهاء حيث أهل لغير الله به ويدل لهذا قول الله – تعالى – ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾(١٣)

وقوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾(١٤).

وروى عن بعض الفقهاء : عطاء ، والزهرى ، وربيعة ، والشعبى ، ومكحول ، حل أكلها إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين : أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت – رضى الله عنهم – أجمعين .

لكن العمل بقول الجمهور أولى وأحق لأنه الموافق للنص القرآنى المحرم لما أهل به لغير الله .

أما من لم يعلم ، ولم ير مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها فإنه يحل له الأكل من ذبائحهم لإطلاق قوله – تعالى – :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾(١٥)

وللحديث الذى رواه البخارى والنسائى وابن ماجة عن عائشة : « **إن قوماً قالوا : يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سموا عليه أنتم وكلوا ...** »(١٦).

وجاء فى الخبر المشهور عن طريق شعبة عن هشام بن زيد عن أنس(١٧) بن مالك : أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة أو ذراعاً فأكل منها ، ولم يثبت أنه – صلى الله عليه وسلم – سأل عن كيفية ذبحها .

وقد أشار إلى ذلك ابن رشد فى كتابه : (بداية المجتهد) وابن حزم فى كتابه : (المحلى) فقالا :

« كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق أو جاهل أو كتابى فحلال أكله »

وعليه : فمن علم أو شاهد مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها حسبما تقدم حرم عليه أكل شىء منها لأنها حينئذ ميتة .

---

(١١) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(١٢) من الآية رقم ٢٩ من سورة البقرة .

(١٣) من الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة .

(١٤) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

(١٥) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(١٦) نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٣٩ .

(١٧) الروض النضير جـ٣ ص١٦٧ وما بعدها .

أما من لم يعلم ولم ير مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها فإنه يحل له الأكل منها لإطلاق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾[18]

ولأن الحرام ما ثبتت حرمته بيقين .

ولأن الدين يسر ولن يشاد أحد إلا غلبه :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[19]

وإذا كان ذلك :

فإنه يجوز للمسلمين في غير بلاد الإسلام ـ إذا لم يتيسر لهم مباشرة الذبح لأنفسهم أو زادت تكلفته ـ أن يأكلوا من ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من الماشية أو الطيور التي أباحها الإسلام بعد التأكد ـ قدر الاستطاعة ـ من توافر شروط الذبح الحلال المتفق عليها ، وهذا إذا لم يتيسر لهم الحصول على لحوم من ذبائح المسلمين .

سادسا : وعن السؤال الثامن :

لم ينقل إجماع من السلف الصالح على حرمة الأكل من الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمداً ، وقد سبقت الإشارة إلى الخلاف بين الفقهاء في لزوم التسمية أو عدم لزومها ، وبالتالي حرمة الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح أو حلها باعتبار ذلك من السنن لا من الفروض .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بورقة السؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم

٦ من شوال سنة ١٤١٥هـ

٧ من مارس سنة ١٩٩٥م

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق علي جاد الحق

---

(١٨) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(١٩) من الآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة .

تعريف بما جاءت به سورة النور



٣

للأستاذ الدكتور / حسن أليك*

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمماً لمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : إن آداب صيانة العرض من الآداب الاجتماعية التى تضمنتها « سورة النور » ، والحقيقة أن « الزنا » يعتبر فى نظر الشريعة الإسلامية جريمة كبيرة ومنكرا من أخبث المنكرات ، ومن مقاصد الشريعة الغراء ، حفظ الضروريات ، وهى حفظ : العقل والنسل والنفس ، والدين والمال .

وقد حرم الإسلام فاحشة الزنا ودواعيها وما يقرّب إليها ، وذلك حفظا للأعراض ، وصيانة للأنساب من الضياع ، وقد وضع الإسلام آدابا وقائية لصيانة المجتمع الإسلامى من مضارها ، هذا وقد أقمت بحثى فى دراسة هذه القضية « آداب صيانة العرض » حسب الترتيب الذى جاءت به هذه الآداب فى سورة النور ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ غض البصر .

٢ ـ عدم إبداء الزينة .

٣ ـ تشريع الحجاب .

٤ ـ الترغيب فى النكاح والدعوة إلى الاستعفاف .

أولا : غض البصر

حرم الإسلام الزنا ودواعيه وقاية للمجتمع الإسلامى ، وحفظا لأعراض المسلمين ، وصيانة للذرية من الضياع ، وإبقاء على الأخوة والمودة بين المسلمين . والشريعة الإسلامية عندما تحرم الجريمة ، فإنها تحرم أسبابها ودواعيها ، وكل ما يقرب إليها ، يقول الله تعالى :

---

* الكاتب أستاذ بجامعة مرمرة ـ كلية الإلهيات باستنبول ـ تركيا .
وقد سبق نشر بحثين من دراسته عن سورة النور فى مجلة الأزهر بعددى ، ذى الحجة ١٤١٤ هـ ، شوال ١٤١٥ هـ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[1] أى : لا تفعلوا ما يقرب من الزنا ، كالنظرة الفاحشة واللمس وما إليها .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا ، أن يقول لا تدنوا من الزنا »[2] فهــذه الآية تنهى عن مقدمات الزنى ، وإذا كانت مقدماته محرمة فهو محرم من باب أولى . والأسباب الداعية إلى الزنا كثيرة ، وقد وضع الإسلام لها من الآداب ما يعد وقاية منها ، ومن أهم هذه الآداب : غض البصر ، حيث قيد الإسلام النظر إلى الأجنبيات دفعا لإثارة الشهوات ومنعا من الوقوع فى الويلات ، لأن النظر خائنة نفسية ، ولأنه رسول الشهوة وبريد الزنا ورائد الفجور .

ويقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[3] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : « هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم »[4] .

وليس المقصود من غض البصر[5] منع النظر مطلقا ، بل المقصود سد ذريعة الفتنة بما لا تدعو إليه حاجة ولا منفعة ، والاجتناب ما قد عبر عنه فى الحديث من زنى النظر ، والتلذذ برؤية جمال الأجنبيات وزينتهن ، وبتعبير آخر : أن لا ينظر إلى شىء بملء العين وأن يكف النظر عما لا يحل إليه . ويدل على هذا المعنى كلمة « من » لأنها للتبعيض .

يقول الزمخشرى : « والمراد : غض البصر عما يحرم ، والاقتصار على ما يحل .

فإن قلت كيف دخلت « من » فى « غض البصر » دون « حفظ الفرج ؟ » .

قلت : دلالة على أن أمر النظر أوسع ، وأما أمر الفرج فمضيق ، وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه ، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه »[6] .

فبهذا الاعتبار نستطيع أن نقول : إن الله ـ تعالى ـ لا يمنع من أن تنظروا بملء عيونكم إلى كل شىء ، وإنما يريد أن يقيد نظركم فى دائرة مخصوصة تمنع النظر إلى ما يحرم من النساء ، والأمر الذى يأمر الله تعالى بكف العين عن النظر إليه هو : نظر الرجال إلى النساء ، أو إلى عورات غيرهن ولو من الرجال ، أو إلى مناظر الفاحشة ، وهذا هو المراد بغض النظر .

وأما نظر الفجأة المجرد من قصد السوء لا ضير فيه ولا إثم منه كما جاء فى الحديث ، قال رسول الله

---

(1) الإسراء : ٣٢.

(2) تفسير القرطبى : ٥ / ٣٨٦٩.

(3) النور : ٣٠.

(4) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٣.

(5) معنى غض البصر لغة : النقص والخفض والوضع. فيقال : غض الشىء أى : خفضه ، ومنه نقص ووضع قدره. وغض البصر : أى : كسره.

(6) القاموس المحيط : ٢ / ٦٠ .

(7) سنن أبى داود : كتاب النكاح ، باب ما يؤمر به من غض البصر ، الحديث رقم ٢١٤٩ ، ٢ / ٢٤٦. وروى الترمذى بلفظ مشترك وقال : هذا حديث حسن غريب. أبواب الاستئذان ، باب ما جاء فى نظر الفجأة ، الحديث : ٢٩٢٧ و ٤ / ١٩١ ، والبيهقى : ٧ / ٩٠.

ـ صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : « **يا على لا تتبع النظرة النظرة . فإن لك الأولى وليست لك الآخرة** » . يقـول الشوكانى فى شرح هذا الحديث : « فيه دليل على نظرة الواقع فجأة ، من دون قصد ولا تعمد ، فإنه لا يوجب أثم الناظر ، لأن التكليف به خارج عن الاستطاعة »[8] .

وقال النووى : « ومعنى نظر الفجأة : أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد ، فلا إثم عليه فى أول ذلك ، ويجب عليه أن يصرف بصره فى الحال ، فإن صرف فى الحال ، فلا إثم عليه ، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث ، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[9]

فالإسلام يحض المؤمنين على الـغض من أبصارهم لما يترتب على النظر من العواقب الوخيمة التى تنهى بالمرء إلى سوء العواقب ووخيم النتائج فى الدنيا والآخرة ، بما لا قبل للإنسان عليـه ولا هرب له من عقابها . قال الغزالى : « من لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفـظ فرجه »[10] .

ولعل هذا هو السر فى تقديم غض البصر على حفظ الفرج ، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج ، والوسيلة مقدمة على المرسل إليه ، ولأن النظر مقدمة الزنا ، ورائد القلب ، كما أن الحمى رائد الموت .

يقول ابن القيم : « ولما كان مبدأ الخطر من قبل البصر ، جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فإن كل الحوادث مبدؤها من البصر ، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر . ثم تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ، ثم تكون خطوة ، ثم تكون خطيئة . ولهذا قيل : **من حفظ الأربعة أحرز دينه : اللحظــات ، والخطـرات ، واللفظات ، والخطوات** .

والنظرة أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان ، فإن النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولابد ، ما لم يمنع منه مانع .

وفى هذا قيل : « الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ما بعده »[11] .

إذن فالعلاج الوحيد فى الوصول إلى قمة العفة والتسامى هو غض البصر عن المحرمات .

وفى هذا الصدد يقول الإمام ابن كثير : « النظر داعية إلى فساد القلب » كما قال بعض السلف : النظر سهم إلى القلب ، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التى هى بواعث إلى ذلك »[12] .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعة لغض البصر ، أو هو الخطوة التالية لتحكم الإرادة ، ويقظة الرقابة ، والاستعلاء على الرغبة فى مراحلها الأولى ، ولأجل ذلك يجمع بين غض البصر

---

(8) نيل الأوطار : ٦ / ١٢٧ .
(9) شرح النووى : ١٤ / ١٣٩ .
(10) إحياء علوم الدين ، ٣ / ١٠٢ .
(11) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، المسمى (الداء والدواء) ص : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، بتصرف .
(12) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٤ .

وحفظ الفرج في آية واحدة ، بوصفها سببا ونتيجة ، أو باعتبارهما خطوتين متواليتين في عالم الضمير وعالم الواقع ، والمراد بحفظ الفرج : أي حفظه عما لا يحل لهم على رأي جمهور العلماء »[13] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا » كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[14]

وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ، كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك »[15]

وقد وعد الإسلام النظر إلى ما لا يحل لك من خيانة الأعين ، قال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[16]

قال ابن عباس : « هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها ، وعنه أيضاً : هو الرجل ينظر إلى المرأة ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره ، فإذا رأى منهم غفلة تلبس بالنظر ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره ، وقد علم الله ــ عز وجل ــ منه أنه يود لو نظر إلى عورتها »[17] .

وروى عنه أيضاً « هو الرجل ينظر إلى المرأة الحسناء تمر به ، أو يدخل بيتا هي فيه ، فإذا فطن له غض بصره وقد علم الله ــ تعالى ــ أنه يود لو اطلع على فرجها ، وإن قدر عليها زنى »[18] .

وقال مجاهد عن خائنة الأعين : « هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه »[19] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[20] ، أي : يسأل كل واحد منهم عما اكتسب ، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع[21] .

وقد روى في سبب نزول هذه الآية التي تأمر بغض البصر « مر رجل على عهد رسول الله عليه وسلم في طريق من طرقات المدينة ، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه ، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به ، فبينما الرجل يمشي إلى جنب حائط ينظر إليها ، إذ استقبله الحائط فشق أنفه .

فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأعلمه أمري ، فأتاه ، فقص عليه قصته ، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا عقوبة ذنبك . وأنزل الله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[22]

وقد عبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن النظر الخائن بزنا العين ، لأنه قد يؤدي إلى الزنا : حيث قال : « زنا العين النظر ، وزنا اللسان

---

(13) انظر زاد المسير : 6 / 30.

(14) المؤمنون : 5 ــ 6.

(15) تفسير ابن كثير : 7 / 44 ، وانظر للحديث : مسند أحمد : 5 / 3 ــ 4 ، سنن أبي داود : كتاب الحمام ، باب ما جاء في التعري ، رقم الحديث : 4018 / 40 ــ 41 ، تحفة الأحوذي : أبواب الاستئذان ، باب ما جاء في حفظ العورة الحديث : 2946 / 77 ــ 78 ، قال الترمذي : هذا حديث حسن

(16) المؤمن : 19.

(17) تفسير القرطبي : 7 / 7 / 5747.

(18) فتح الباري : 11 / 9.

(19) تفسير القرطبي : 7 / 5747.

(20) الإسراء : 36.

(21) تفسير القرطبي : 5 / 3875.

(22) الدر المنثور : 5 / 40.

النطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه »[٢٣] يقول الغزالى : « وزنا العين من كبائر الصغائر وهو يؤدى إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج »[٢٤] .

غض البصر للنساء :

فحكم غض البصر موجه إلى الرجال والنساء على حد سواء لقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٢٥] .

يقول القرطبى : « فقد خص الله سبحانه هنا الإناث بالخطاب على طريق التأكيد ، فإن قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين ﴾ يكفى ، لأنه عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين حسب كل خطاب عام فى القرآن »[٢٦] .

كما حرم الإسلام نظر الرجال إلى النساء الأجنبيات ، كذلك حرم على المرأة النظر عمدا إلى الرجال الأجانب .

وهناك مواقف قد يباح فيها للرجل أن ينظر إلى المرأة إذا دعت إليه الحاجة أو الضرورة ، ولا يتأثم فيها الرجل والمرأة ، فإذا أراد مثلا : أن ينكح امرأة فإن النظر إليها مستحب كما جاء فى الأحاديث الشريفة ، أو النظرة إلى امرأة مشتبهة عند تحقيق الجرائم ، أو عند الشهادة ، أو نظر الطبيب للمعالجة . ولا يسعنا تفصيلها .

وقد رغب الإسلام فى غض البصر وجعل ثوابه الجنة . عن سهل بن سعد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة »[٢٧] .

ثانياً – عدم إبداء الزينة :

وهنا نعرض للون آخر من الآداب الاجتماعية التى شرعها الإسلام لتساهم فى حفظ العرض ، ووقاية المجتمع من الفاحشة وهو : أدب « عدم إبداء الزينة » .

فالله سبحانه لا يحرم على المرأة زينتها وثيابها الجميلة ، كما لا يحرم عليها طعامها وشرابها ، ولكنه سبحانه يحرم ما يكون فيه الفتنة وينتشر به الفساد فى المجتمع ، وهى الزينة التى تريد بها المرأة أن تحلو فى أعين الرجال الأجانب . وهذا يعتبر فى الإسلام تبرج الجاهلية يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[٢٨] وهى إظهار المرأة من زينتها ما يجب إخفاؤه[٢٩] .

ومن جهة أخرى حض النبى – صلى الله عليه وسلم – النساء على التزين والتطيب لأزواجهن فى حدود الاعتدال بل يجب على المرأة أن تبدى زينتها لزوجها إظهاراً لحبه . إذن فالقسطاس هنا أن الزينة إذا كانت بعيدة عن كل نية فاسدة ولا يترتب عليها فتنة ولا فساداً ، فهى الزينة المرغوبة فيها ، وإلا فهى زينة الجاهلية التى نهى الإسلام عنها .

وقبل أن نعرض للمسائل المنوطة بعدم إبداء الزينة وآراء العلماء فيما يعتبر زينة ، فإنه يجدر بنا

---

(٢٣) صحيح البخارى : كتاب الاستئذان ، باب : زنى الجوارح دون الفرج ، ٤ / ٨٨ ، صحيح مسلم : كتاب القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، الحديث ٢٦٥٧ ، ك : ٤٦ ، باب ، ٥ ، ٤٠٥ / ٢٠٤٦ ، وسنن أبى داود : بنفس اللفظ ماعدا : (كله) ، كتاب النكاح ، باب ، ماؤمر به من غض البصر ، الحديث : ٢١٥٢ ، ٢ / ٢٤٦ – ٢٤٧ ، وروى الإمام أحمد بلفظ أبى داود وكلمة النطق عنده (المنطق) ، ٢ / ٢٧٦ ، واللفظ للبخارى .

(٢٤) إحياء علوم الدين : ٣ / ١٠٢ .

(٢٥) النور : ٣١ . (٢٦) تفسير القرطبى : ٦/٤٦١٨ .

(٢٧) صحيح البخارى : كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ٤ / ١٢٥ بحاشية السندى . (٢٨) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٩) مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٢ / ٦٩ .

أن نقدم هنا كلمة مجملة عن معنى الزينة .

الزينة : إسم لكل ما يتزين به ويتجمل[30] .

قال الراغب : قال :زانه كذا وكذا ، وزينه : إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول[31] .

والزينة إما أن تكون :

سماوية : مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[32]

أو أرضية : كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[33] أو حياتية مثل : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[34] أو بشرية مثل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[35] .

أو خاصة بالنساء : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[36] . ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[37]

والمراد بزينة المرأة : كل ما يزينها ويجملها ويجعلها مقبولة مستحسنة في العين والخاطر[38] .

وهي على قسمين :

الأول : أمور معنوية : وهي الزينة الخلقية .

والثاني : أمور حسية : وهي على نوعين :

أ ــ الزينة الخَلْقِيَّة : مثل : الوجه فهو أصل الزينة وجمال الخلقة ومجمع المحاسن .

ب ــ الزينة المكتسبة : وهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالوضع ، مثل : الملابس الجميلة[39] والحلي وغير ذلك من أنواع الزينة الحديثة والمعروفة بما يعبر عنها في زماننا هذا بالتجميل .

وقد أنكر بعض العلماء وقوع اسم الزينة على الخلقة ، لأنه لا يقال في الخلقة أنها من زينتها وإنما يقال فيما اكتسبته من كحل وخضاب وغيره[40] ولكن الأقرب أن الخلقة داخله في الزينة لأن الوجه أصل الزينة وجمال الخلقة .

وكما قال القرطبي : « الزينة » على قسمين : خلقية ، ومكتسبة :

فالخلقية : وجهها فإنها أصل الزينة وجمال الخلقة .

وأما الزينة المكتسبة : فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل ، والخضاب . ومنه قوله تعالى :

﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[41]

وقال أبو حيان : في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[42] دليل على أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها ، منعهن من إظهار محاسن خلقهن ، وأوجب سترها بالخمار[43] .

ويؤيد هذا الرأى ما قاله الراغب والفيروز آبادى :

الزينة بالقول المجمل ثلاث :

زينة نفسية : كالعلم والاعتقادات الحسنة .

زينة بدنية : كالقوة وطول القامة .

وزينة خارجية : كالمال والجاه[44] .

---

(30) تاج العروس : 9 / 239 ، المفردات : 319 ، وقيل : تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة ، تاج العروس : 9 / 239.

(31) المفردات : 319. (32) الصافات :6. (33) الكهف : 7

(34) الكهف : 46. (35) الأعراف : 31.

(36) النور : 31. (37) النور : 31.

(38) زينة المرأة بين التشريع الإسلامى والواقع الإنسانى ص 15. (39) نفس المرجع :15.

(40) نفس المرجع : 15 ــ 16

(41) تفسير القرطبي : 6 / 4621. وانظر : أحكام القرآن لابن العربي 3 / 1368. (42) النور : 31.

(43) البحر المحيط : 6 / 448. (44) المفردات : 319.

ويفهم من هذا الأقوال والآراء أن ما يطلق عليه زينة لاحقة بالنساء ، سواء أكانت خلقية أم مكتسبة-صناعية-وكانت مجلبة لإثارة الرجال وافتتانهم يعد حراما وممنوعا .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن إبداء الزينة ، بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[45] .

فدلت الآية الكريمة على حرمة إبداء المرأة زينتها أمام الأجانب ، وليس لها أن تظهر أى شيء من زينتها خارج بيتها أبدا حسب النهى الإلهى . أما الزينة الظاهرة التى لا يمكن إخفاؤها وهو ما يظهر بدون قصد أو تعمد فلا إثم ولا حرج من إبدائه كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ونفهم من هذه الآية أن النساء لا يجوز لهن أن يظهرن زينتهن عمدا ، بمعنى أن المرأة إن كشفت شيئا من نفسها إظهارا لحسنها وجمالها فهو إثم ، وأن ظهر منها شيء بنفسه بدون أن تتعمد إظهاره فلا جناح عليها[46] .

وهنا نجد أن العلماء قد اختلفوا حول تحديد معنى (ما ظهر منها) . على النحو الآتى :

(١) ما ظهر منها هو : الوجه والكفان ، وهذا هو المشهور عند الجمهور[47] .

(٢) الثياب[48] .

(٣) الكحل والخاتم .

(٤) الكف والخاتم والوجه ، رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس[49] .

(٥) القلبان ــ وهما السواران ــ والخاتم والكحل قاله المسور بن مخرمة .

(٦) الخاتم والسوار قاله الحسن .

(٧) الكحل والخاتم ، والخضاب ، قاله مجاهد[50] .

قال ابن جرير الطبرى : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عين بذلك الوجه والكفان ، يدخل فى ذلك إذا كان كذلك الكحل والخاتم ، والسوار والخضاب[51] .

وبعد تتبع النصوص والإطلاع على آراء العلماء يبدو أن المرأة لا يجوز لها أن تبدى زينتها للأجانب إلا ما ظهر منها ، وهو الزينة الظاهرة التى ذكرنا آراء العلماء فيها ، وأما الأشخاص الذين سماهم الله فى الآية ، ومن فى حكمهم كالعم والخال والأقارب من الرضاع فلا إثم ولا حرج على المرأة من إظهار بعض زينتها أمامهم .

يقول القرطبى : « من الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر منها فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب ، وأما ما بطن ، فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى فى هذه الآية »[52]

أبيح للمرأة أن تظهر زينتها الظاهرة للأجانب بعد النهى العام لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ لأن سترها فيه حرج ، وسمح لها أن تظهر زينتها الخفية لمحارمها مما قد تشتد الحاجة إلى كشفه وذلك لقوله تعالى :

---

(٤٥) النور : ٣١ .

(٤٦) انظر : الحجاب للمودودى ص ٢٩٤ بتصرف .

(٤٧) انظر : تفسير ابن كثير : ٦ / ٤١ ، تفسير النسفى : ٣ / ١٤١ ، والكشاف : ٣ / ٦١ ، أحكام القرآن : ٣ / ١٣٦٩ ، تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٢ .

(٤٨) زاد المسير : ٦ / ٣١ ، والطبرى : ١٨ / ١١٧ ـ ١١٩ .

(٤٩) زاد المسير : ٦ / ٣١ .

(٥٠) أنظر هذه الأقوال : زاد المسير : ٦ / ٣١ .

(٥١) تفسير الطبرى : ١٨ / ١١٨ .

(٥٢) تفسير القرطبى : ٦ / ٢ .

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾[٥٣]

يقول أبو السعود : « كرر النهى باستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر ، بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور »[٥٤] .

والعلة فى ذلك هى ضرورة الداعية إلى المداخلة ، والمخالطة ، والمعاشرة ، ولأن هذا تقتضيه ضرورة الحياة فى بيت واحد حيث يكثر الدخول عليهن والنظر اليهن بسبب القرابة ، والفتنة مأمونة من جهتهم « ذلك لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وكذلك قلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن ممارسة القرائب »[٥٥] .

وهكذا يجمع الإسلام بين الحرص على صيانة المجتمع من الفاحشة وأسبابها وإزالة الحرج والمشقة . وهذا من مزايا الإسلام وتكريمه للمؤمنين .

بقى علينا أن نقول :

إن المرأة مع الرجال الأجانب يحرم عليها إبداء الزينة متى كان فى ذلك فتنة وإثارة لهم ، أما مع زوجها فمباح لها ، ولها أن تضع ما تشاء فهى لباس له وهو لباس لها . وكذلك مع الأصناف الباقية التى عرضت لها الآية الكريمة لها أن تبدى زينتها معهم .

من الأشخاص الذين تبدى المرأة أمامهم زينتها ؟

استثنى القرآن الكريم من الرجال الذين منعت أن تظهر المرأة أمامهم زينتها الخفية الآتى :

١ ـ **الزوج** :بدليل قوله تعالى : (إلا لبعولتهن) ، البعل هو الزوج والسيد فى لسان العرب[٥٦] فالزوج يرى الزينة من المرأة وما هو أكثر من الزينة ، لأن كل بدنها حلال له لذة ونظرا .

٢ ـ **الآباء** : لقوله تعالى : (آبائهن) ، فكلمة الآباء والأجداد ، سواء أكان من جهة الوالد أو الأم .

٣ ـ **آباء الأزواج** : لقوله تعالى (أو آباء بعولتهن) .

٤ ـ **الأبناء** : لقوله تعالى : (أو أبنائهن) ويدخل فيه أولاد الأولاد ، وإن نزلوا .

٥ ـ **أبناء الأزواج** : لقوله تعالى : (أو أبناء بعولتهن) ، وذلك لنزولهم منزلة الأبناء فى المحرمية ، وأيضا يدخل فيه أولاد الأولاد وإن نزلوا .

٦ ـ **الإخوة** : لقوله تعالى : (أو إخوانهن) سواء كانوا أشقاء أو لأب ، أو لأم .

٧ ـ **أبناء الإخوة** : لقوله تعالى : (أو بنى إخوانهن) لأنهم فى حكم الإخوة .

٨ ـ **أبناء الأخوات** : لقوله تعالى : (أو بنى أخواتهن) .

وهؤلاء كلهم من المحارم يحرم عليهم نكاحهن ، ويجوز للمرأة إبداء الزينة أمامهم من

---

(٥٣) سورة النور : ٣١ .
(٥٤) تفسير أبى السعود : ٦ / ١٧٠ .
(٥٥) نفس المرجع : ٦ ـ ١٧٠ .

(٥٦) قال أبو عبيدة : بعولتهن : جمع بعل وهو أزواجهن ، مجاز القرآن ، ٢ / ٦٥ .

غير إثارة لهم أو استدعاء لشهواتهم ، وأبيح للمرأة أن تظهر زينتها أمام هؤلاء المذكورين فى الآية لكثرة المخالطة وضرورات الحياة .

ولم تذكر الآية الأعمام ، والأخوال ، وهم من المحارم كما هو معروف . ولم تذكر المحارم من الرضاع أيضاً ، إلا أن العلماء أكثرهم على أن حكم هؤلاء كحكم سائر المحارم المذكورين فى الآية ، كما قال القرطبى : « والجمهور على أن العم والخال كسائر المحارم فى جواز النظر لهما إلى ما يجوز لهم ، وليس فى الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب »[٥٧] .

وقيل : لم يذكرهم سبحانه لأن الأحوط أن يسترن عنهم حذرا من أن يصفوهن لأبنائهم فيؤدى ذلك إلى نظر الأبناء إليهن[٥٨] .

ويحسن بنا هنا أن نشير إلى نقطة هامة وهى : أن المحارم الذين ذكروا فى الآية تختلف مراتبهم حسب ما فى نفوس البشر . أجمعت الأمة على أنه لا يلحق غير الزوج بالزوج فى النظر ، وإن كان قد شورك بينهم فى لفظ العطف الذى يقتضى التشريك فى ذلك كله[٥٩] .

يقول القرطبى : « ولما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوى المحارم ، وسوى بينهم فى إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر ، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها ، وتختلف مراتب ما يُبدى لهم فيُبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج »[٦٠] .

فعلى أى صورة ينبغى أن يكون لباس المرأة وسلوكها معهم ؟

هذا مما لم يذكر تحديده فى الشريعة ، لأن التحديد لا يمكن لاختلاف حدوده ويختلف ذلك باختلاف الأقارب حسب اختلاف قرابتهم وسنهم ، وسن المرأة ، وأحوالهم ، وأحوال المرأة ، كسكناهم مع المرأة ، من الروابط الأسرية .

بقى علينا أن نذكر الأنواع الباقية التى ذكرتها الآية الكريمة فهى :

١ ـ النساء : لقوله تعالى : (أو نسائهن) ، اختلف العلماء فى المراد من قوله تعالى : (أو نسائهن) .

فقال بعضهم : المراد بهن المسلمات اللاتى هن على دينهن ، وهذا قول أكثر السلف .[٦١]

يقول ابن كثير : (أو نسائهن) يعنى : للمرأة المسلمة أن تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة ، لئلا يصفنها لرجالهن ، وذلك وإن كان محذورا فى جميع النساء ، إلا أنه فى نساء أهل الذمة أشد ، فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع ، أما المسلمة فتعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه[٦٢] .

وقال بعضهم : المراد بقوله تعالى : (أو نسائهن) جميع النساء فيدخل فى ذلك المسلمة والكافرة ، وقد ذهب إلى هذا الرأى الإمام الفخر الرازى ، وغيره .

---

(٥٧) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٥ .

(٥٨) انظر : تفسير أبى السعود : ٦ / ١٧٠ ، وروح المعانى : ١٨ / ١٤٣ ، والتفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٧ .

(٥٩) انظر : أحكام القرآن : ٣ / ١٣٧٠ .

(٦٠) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٤ .

(٦١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٧ .

(٦٢) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٩ .

وقال الرازي : « المراد بنسائهن : جميع النساء وهذا هو المذهب وقول السلف محمول على الاستحباب والأولى »[63] ، وتابعه الألوسي على هذا بقوله : « وهذا القول أرفق بالناس اليوم فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذميات »[64] ، وقال ابن العربي : « والصحيح عندي أن ذلك جائز لجميع النساء ، وإنما جاء بالضمير للاتباع ، فإنها آية الضمائر ، إذ فيها خمسة وعشرون ضميرا لم يروا في القرآن لها نظير ، هذا للاتباع »[65] .

يقول المودودي : « إن المراد (بنسائهن) النساء المختصات لهن بالصحبة والخدمة والتعارف ، سواء أكن مسلمات ، أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية : أن تخرج من دائرة النساء الأجنبيات اللاتي لا يعرفن شيئا عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن . فليست العبرة بالاختلاف الديني ، بل هي بالاختلاف الخلقي . فلنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولا تحرج للنساء الكريمات الفاضلات ولو غير مسلمات . وأما الفاسقات اللاتي لا حياء عندهن ، ولا يعتمد على أخلاقهن وآدبهن فيجب أن تحتجب عنهن كل إمرأة مؤمنة صالحة ولو كن مسلمات . لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال ضررا على أخلاقها »[66] .

ويبدو لي بعد سرد آراء العلماء ، رجحان هذا الرأي الأخير الذي يعتمد على الأخلاق والعادات ، ويهتم بالفضيلة ولا يكتفي بمجرد ذكر « اسم المسلمة » بل يلزمهن بعد ذلك بالأخلاق الفاضلة ، والصلاح للصحبة والمعاشرة ، هذا أحوط الآراء . وبخاصة بعد فساد النساء وشيوع الأخلاق السيئة ، وانتشار الإباحية . ومع ترجيحي لهذا الرأي فإن الواجب يدفعني إلى تقرير حقيقة ، وهي : أن الفضليات من النساء أكثرهن من المسلمات المؤمنات ، مما يعطي للرأي الثاني وجاهته .

٢ ــ **المماليك** : لقوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن)

إن ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ، المسلمات والكتابيات[67] ، وبهذا قال بعض العلماء ، وهو مذهب الشافعية ، فقد نص ابن حجر في « المنهاج » على نظر العبد إلى سيدته كالنظر إلى محرم ، فينظر منها ما عدا بين السرة والركبة[68] ، وقال ابن عباس : « لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته »[69] .

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة وهو قول الشافعي أيضاً إلى أن العبد كالأجنبي ، فلا يحل نظره إلى سيدته لأنه ليس محرما[70] ، وتأولوا الآية بأنها في حق الإماء فقط دون العبيد . واستدلوا بما روي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال : « لا تغنيكم هذه الآية (أو ما ملكت أيمانهن) إنما عنى بها الإماء ، ولم يعن بها العبيد »[71] ، وقال القاضي أبو يعلى : « إنما ذكر الإماء في الآية لأنه قد

---

(٦٣) التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٧ .
(٦٤) روح المعاني : ١٨ / ١٤٣ .
(٦٥) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٣٧٢ .
(٦٦) تفسير سورة النور للمودودي : ١٦٤ ــ ١٦٦ .
(٦٧) تفسير القرطبي : ٩ / ٤٦٢٥ .
(٦٨) المنهاج : ص : ٥٩ .
(٦٩) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٣٧٣ تفسير القرطبي : ٦ / ٤٦٢٥ .
(٧٠) وقال مالك : هو كالمحرم وهو أحد قول الشافعي ، لقوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن) ولأن الحاجة متحققة لدخوله عليها من غير استئذان .
(٧١) ذكره السيوطي في الدر : ٥ / ٤٣ ، والقرطبي : ٦ / ٤٦٢٦ .

يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدى زينتها للإماء ، لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار ، فلما ذكر الإماء زال الأشكال »[72] .

والرأى الثانى هو الأولى بالإتباع لما فى المماليك والإماء من دوافع بشرية فطرية لا تقصرهم عن الأحرار أبدا ولأن الواقع قد أثبت أن كثيرا من الفساد ظهر من قبل المماليك والخدم بسبب اختلاطهم ، واطلاعهم على عورات سادتهم ومخدوميهم ، وعلى هذا فالأخذ بالرأى الثانى أحوط سدا للذرائع ومنعا من عموم البلاء وانتشاره .

٣ ـ التابعين غير أولى الإربة من الرجال :

يباح للمرأة أن تبدى زينتها أمامهم لقوله تعالى : (أو التابعين غير أولى الإربـــة من الرجال) ، الإربة : الحاجة ، والجمع مآرب ، قال تعالى : (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)[73] أى : حوائج[74] والمعنى : الأتباع الذين ليست لهم إربة فى النساء ، أى : حاجة ، مثــــل الخصى ، والخنثى ، والشيخ الهرم[75] ومنهم الرجال البله المغفلون الذين لا يعرفون من أمور النساء شيئا ، وليس لهم ميل نحو النساء ، أو اشتهاء لهن بسبب عجزهم الجسدى ، أو ضعفهم العقلى ، أو ما عدا ذلك . لكن التابع (غير أولى الإربة) يخشى منه الفتنة ولا يؤمن جانبه مثل (أولى الإربة) ومن ثم لا يسمح له بالدخول على النساء .

٤ ـ الأطفال : استثنت الآية الكريمة الأطفال ، فسمحت للمرأة أن تبدى زينتها أمامهم ، بدليل قوله تعالى : (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) ، والطفل : اسم جنس بمعنى الجمع ، والدليل على ذلك نعته بـ (الذين) ، هكذا قال القرطبى[76]، وقال ابن قتيبة : « أو الطفل : أى يريد الأطفال ، بدليل قوله (لم يظهروا على عورات النساء)[77]، وقال الزمخشرى : « وضع الواحد موضع الجمع ، لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه : (يخرجكم طفلا)[78] »[79] .

قال بعض العلماء : المراد بالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أى : لم يبلغوا احد الشهوة للجماع .

وقال البعض : بل المراد الذين لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم ، قال ابن قتيبة : « لم يظهروا : أى : لم يعرفوها ولم يفهموها »[80]، وقال أبو حيان : « لم يظهروا : إما من قولهم : ظهر على الشيء إذا اطلع عليه ، أى : لا يعرفون ما العورة ، ولا يميزون بينها وبين غيرها ، وأما من : ظهر على فلان ، إذا قوى عليه ، فأصبحوا ظاهرين[81] أى : غالبين قادرين عليه . فالمعنى : لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء »[82].

---

(٧٢) زاد المسير لابن الجوزى : ٦ / ٣٣ .
(٧٣) سورة طه : ١٨ ع
(٧٤) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٦ .
(٧٥) تفسير غريب القرآن : ص : ٣٠٣ وانظر : هذه المعانى بالتفصيل : زاد المسير : ٦ / ٣٣ ـ ٣٤ ، مختصر تفسير ابن كثير : ٢ / ٦٠١ ، تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٦ ، تفسير الطبرى : ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٧٦) تفسير القرطبى : ٣٠٤ .
(٧٧) تفسير غريب القرآن : ٦٧ .
(٧٨) سورة المؤمن : ٦٧ .
(٧٩) تفسير الكشاف : ٣ / ٦٢ .
(٨٠) تفسير غريب القرآن : ٣٠٤ .
(٨١) الصف : ١٤ .
(٨٢) البحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ .

وقال القرطبي : « يظهروا » معناه : يطلعوا بالوطء ، أى : لم يكشفوا عن عوراتهم للجماع لصغرهن ، وقيل : لم يبلغوا أن يطيقوا النساء »[83]، وغير الأشخاص المذكورين فى الآية الذين شرحناهم ، وبينا آراء العلماء فى كل منهم ، وأشرنا إلى مواضع الاختلاف بينهم ، لا يباح للمرأة المسلمة الصالحة أن تظهر أمامهم بزينتها .

زينة الخلخال وأشباهه :

ومن الزينة ما هو لا يعرف إلا بضرب الرجلين ، كما أشارت الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق وفى رجلها خلخال صامت لا يسمع صوتها ، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شىء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما خفى ، دخل هذا فى النهى »[84] .

ومن هنا نعلم أن إبداء الزينة إما أن يكون بالفعل كالسفور ، وإما أن يكون بالحركة ، أو الإشارة ، أو الصوت وما إلى ذلك .

فكل فعل من أفعال المرأة إذا كان يثير حواس الرجال ، ومشاعرهم بأى طريق كان ، فهو حرام . لأن الجوهر هنا هو المنع عن التلذذ والشهوات وإثارة الفتنة والمفسدة سواء أكانت بالفعل أم بالقول ، أم بأى حركة أخرى ، فصوت الخلخال أو السوار إذا كان مثيرا لانتباه الرجال حرّم ، وعد من إبداء الزينة ، إذ ربما سكت اللسان ونابت منابه حركات أخرى .

قال أبو السعود : « ولا يضربن بأرجلهن الأرض ليقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال ، فإن ذلك يورث الرجال ميلا إليهن ويوهم أن لهن ميلا إليهم . وفى النهى عن إبداء صوت الحلى بعد النهى عن إبداء زينتها من المبالغة فى الزجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى »[85] .

يتبع بالقسم الأخير

---

(٨٣) تفسير القرطبي : ٦ / ٤٦٢٨ .
(٨٤) تفسير ابن كثير : ٦ / ٥٢ .
(٨٥) تفسير أبو السعود : ٦ / ١٧١ .

قبس من أنوار النبوة



لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة . وما من مؤمن يظل محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه » .

رواه الترمذى ـ وقال حسن صحيح

وليس فى بعض نسخ الترمذى « وما من مؤمن .. الخ » . وكذا رواه النسائى وابن خزيمة .

وزاد (رزين) فيه « وما من مؤمن يلبى لله بالحج إلا شهد له ما على يمينه وشماله إلى منقطع الأرض »

المنذرى : الترغيب والترهيب .

عبادات الإسلام وأركان الدين وفرائضه وشعائره كلها تهدف إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والحج إلى بيت الله الحرام عبادة يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم ، فرضه الله على القادر ، إحياء لذكرى رسالة الهدى وتوضيح السبيل الحق التى جاء بها إبراهيم ـ عليه السلام ـ توجه إلى التوحيد فى عبادة الله ، وعدم الشرك به ، وحملها من بعده جميع رسل الله فى الأرض . ثم أكدتها رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ محمد ﷺ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ سورة الأنبياء

وقال – جل وعلا :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾ سورة النحل

ومن هنا كانت شعائر الحج صورة صادقة لهذه الذكرى التي تحكي ما وقع في عهد نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل من بعده – عليهما السلام – حيث قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) ﴾ سورة الحج

فعن أبي ذر – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « إن داود النبي – ﷺ – قال : إلهي ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك ؟ قال : إن لكل زائر حقاً على المزور .

يا داود : لهم عليّ حق أن أعافيهم في الدنيا ، وأغفر لهم إذا لقيتهم » الطبراني في الأوسط .

إن المؤمنين بالله حقاً حين يؤدون مناسك الحج والزيارة بين البيت الحرام بمكة ، وجبل عرفات – بالقرب من مكة – من الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس اليوم التاسع من ذي الحجة ، والنزول إلى « المشعر الحرام » – جبل المزدلفة بين عرفة ومنى – ورمي الجمار . حيث تتأكد الأخوة بين المسلمين في وحدة القلوب ووحدة الدعاء ، ووحدة المظهر فتنصهر الفوارق بين أجناس المسلمين وقبائلهم ، وموطنهم ولغاتهم وألوانهم وثقافتهم ، ومنازلهم الاجتماعية .

هتافهم جميعاً « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك » . فتصفو نفوسهم وتشف قلوبهم في مشارق الفيوضات ، وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا التي تتفتح بها معاني الطهر العطرات ، ويلتقون على المودة ، تربط بينهم أواصر المحبة على تباعد الأقطار ، واختلاف الديار من كل فج عميق .

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ سورة البقرة ١٩٧

يعيشون في جو من العفاف والأدب العالي ، فلا تدلي إلى رفث ، ولا ميل إلى فسوق ، ولا نطق بطائشة ، ولا نظرة فاحشة ، فيعودون إلى أوطانهم أطهاراً . روى البخاري ومسلم ، أن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : كنت جالساً مع النبي – ﷺ – في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه ، فعلت . وإن شئتما أن أمسك وتسألاني ، فعلت ؟ فقالا أخبرنا يارسول الله ، فقال الثقفي للأنصاري : سل ، فقال : أخبرني يا رسول الله فقال : جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه ؟ وعن ركعتيك بعد الطواف ، ومالك فيهما ؟ وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك

فيه ؟ وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه ؟ وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ؟ وعن نحرك ، ومالك فيه مع الإفاضة ، فقال : والذى بعثك بالحق . لعَنْ هذا جئت أسألك ؟

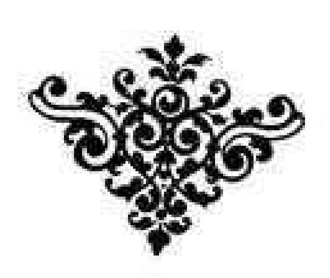
قال : فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم ـ تقصد ـ البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً ، ولا ترفعه إلا كتب الله لك حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف ، كعتق رقبة من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأما طوافك بين الصفا والمروة كعتق سبعين رقبة .

وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط ـ تنزل رحمته ـ إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة ، يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج ـ طريق واسع ـ عميق ، يرجون جنتى ؛ فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها . أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات .

وأما نحرك فمذخور لك عند ربك . وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنةٌ ، ويمحى عنك بها خطيئة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك ؛ فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى » .

قال ﷺ ـ فيما رواه البيهقى ـ « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل ـ قاصدو الله ، وطالبو إحسانه ، وعباده الصالحون .. يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم ما دعوا ، ويخلف عليهم ما أنفقوا ، الدرهم ألفُ ألفٍ » .

اللهم وفقنا لأداء الحج والعمرة ، وأنلنا المغفرة والرحمة .. آمين .





شكل (١)
مئذنة مسجد الجيوشي بجبل المقطم
لا يعلوها هلال (٧٨٤ هـ)

الهلال فوق المئذنة

أحمد رجب محمد علي (*)

من الظواهر اللافتة للنظر أن أغلب مآذن مصر الإسلامية يعلوها هلال صغير ، وفى هذا البحث نناقش سبب وجود الهلال فوق المئذنة ومدلولاته ونماذج من أشهر المآذن التى توجت بهلال .

أسباب وجود الهلال فوق المئذنة

نستطيع أن نرجع وجود الهلال فوق المآذن إلى عدة أسباب

١ ـ أن الهلال هو المعول عليه فى إثبات الشهور الشرعية لاعتماد الحساب القمري[١]

٢ ـ وأن ارتباط الهلال بمناسبات لها أهميتها عند المسلمين أهمها : شهر رمضان يليه عيد الفطر وشهر ذى الحجة . وقد جرت العادة فى العصور الإسلامية المتعاقبة بإقامة الاحتفالات وسير المواكب لاستطلاع الهلال[٢]

وكانت المآذن هى الأماكن التى يستطلع من فوقها الهلال على أساس ارتفاعها ، ويؤكد ذلك ماذكره المؤرخون من أن مئذنة مدرسة السلطان قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمى (٦٨٤ هـ ١٢٨٤ م) كان يستطلع من فوقها الهلال .

(*) الكاتب مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة .

(١) أحمد رجب محمد علي : حوليات مآذن مصر الإسلامية ، بحث بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٤هـ يوليو ١٩٩٣م ، ص ١٠٤

وهناك تعليل آخر لوجود الهلال فوق المآذن حيث إن بعض المآذن قامت بوظيفة المئذنة ووظيفة (الفنار)[3] فى وقت واحد ، وكانت تضاء قمتها ليلا على السواحل لهداية السفن ، ومن هنا أطلق على بعض المآذن اسم المنـارات [4] لالمشابهتها لأبراج (الفنارات) وإنما لأن من وظائف المئذنة إرسال الإشارات للمراقبة والهداية[5] وأيضا داخل القاهرة كان يوجد مصباح (قنديل) أعلى المئذنة للإعلان عن دخول (وقت) صلاتى العشاء والفجر ، وللاعلان عن المناسبات الهامة كليلة (أول) رمضان وليلة عيد الفطر ... الخ . وهو ماتؤكده وثيقة مدرسة السلطان برقوق (٧٨٨هـ ١٣٨٦م) حيث جاء فيها : إن الناظر (أى ناظر المدرسة) كان يرتب شخصين من الصوفية يتوليان تعمير القناديل أعلى المئذنة فى شهر رمضان ، وفى ليلة النصف من شعبان ، وفى ليلة الفطر[6]

كما جاء بوثيقة الجمال يوسف أن خوذة مئذنة مدرسة الجمـال يوسف بـ (الحمـزاوى)(*) بالأزهر ، وترجع إلى عصر المماليك الجراكسة . وكان يعلوها هلال نحاسى وثلاثة صوارى برسم المصابيح[7] وهذا هو السبب الذى دعا بعض العلماء إلى القول بأن بعض مآذن مصر الإسلامية قد اقتبست فى تكوينها من (فنار) الأسكندرية

شكل (٢)

مئذنة خانقاة

بيبرس الجاشنكير

لايعلوها هلال

(٧٠٩ هـ)

حيث كانت تتكون من قاعدة مربعة الشكل يعلوها بَدَن مثمن مستدير يعلوه مصباح[8] وهو رأى ضعيف حيث إن إشعال النيران فوق الأماكن المرتفعة للهداية والإرشاد موجود منذ قديم الزمان ، وهو ظاهرة لاحقة على تكوين المئذنة ، وإن المعمارى المسلم قد قفزت الى ذهنه فكرة وضع القناديل فوق المآذن بعد أن لاحظ ارتفاعها

(٢) نفس المرجع : ص ١٠٤

(٣) الفنار : مصباح قوى الضوء ينصب على سارية عالية ، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن إلى طرق السير وتجنب مواطن الخطر (وهو المنار عرفا) المعجم الوسيط

(٤) ... بل كان اسم المنار هو أول اسم أطلق على المئذنة ، ثم سميت مئذنة فيما بعد . راجع د/ حسين مؤنس : المساجد ص ١٢٩ ــ ١٣٦ عالم المعرفة

(٥) د/ السيد عبدالعزيز سالم : المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها من الفتح العربى حتى العصر العثمانى ــ الأسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ص ٦

(٦) د/ عبدالله كامل موسى : تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى . دراسة معمارية زخرفية . رسالة دكتوراه غير منشورة ــ كلية الآثار ــ جامعة القاهرة ١٩٩١م ــ ص ٦٠٩

● الحمزاوى : مكان بالقاهرة

(٧) د/ محمد عبدالستار : نظرية الوظيفة فى العمارة الإسلامية ص ٢٥٥

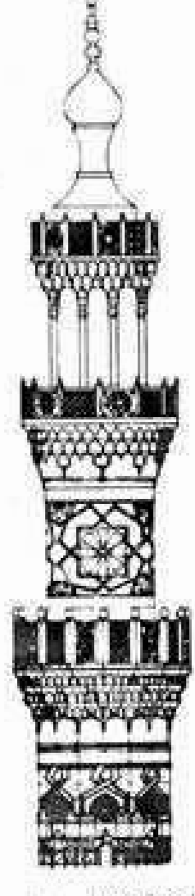
(٨) Butler: The Arab Conquest of Egypt- Cairo 1922 - p - 345

بالنسبة لما حولها وتوسطها للمدينة ، فقد كانت تقام المساجد الجامعة وسط المدن . ولم يكن على أساس اقتباس من الفنارات القديمة ودليل ذلك أن المآذن الأولى القريبة العهد من (فنار) الاسكندرية لم يكن يوجد فوقها قناديل للإضاءة .

وأخيراً وطبقا لهذه الأقوال ففى اعتقادى أن وجود الهلال فوق المئذنة حيث تثبت المصابيح أو تشعل النيران للهداية أو للإعلان عن دخول وقت الصلوات أو ثبوت رؤية هلال رمضان وهلال الفطر وهلال ذى الحجة هو من قبيل التشابه المعنوى بين ظهور الهلال الذى لم يلبث أن يصير قمرا ينير فى ظلمات الليل وبين المآذن التى تضاء ليلا لهداية الناس وللإنارة ظلمات الليل ، فكأن المآذن برؤوسها المضاءة ليلاً أقماراً تضيء السماء فى ظلمات الليل . ومن الأسباب التى يمكن أن نذكرها أيضاً : السبب الجمالى حيث جرت العادة فى المبانى المرتفعة أن تنتهى بقمة جمالية تعد نهاية ، ومن قبيل ذلك الأبراج والبنايات المرتفعة التى تنهض بقمة مخروطية أو بأشكال أعلام ورايات .. ولما كان المعمارى المسلم حريص على الشكل الجمالى للمئذنة فلقد تخير الهلال قمة جمالية يتوج بها المآذن للاعتبارات التى ذكرناها آنفا .

تاريخ وجود الهلال فوق المآذن

فى الواقع يصعب تحديد تاريخ دقيق لوجود الهلال فوق المآذن حيث إن أغلب المآذن سواء فى مصر ، أو فى العالم الإسلامى قد جددت خوذاتها فى عصور تالية على عصر إنشائها : ففى القاهرة مثلا تعد قمة مئذنة الجيوش فوق جبل المقطم ـ والتى ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية ٤٨٧هـ ـ



شكل (٣)
مئذنة مدرسة السلطان قايتباى بقرافة المماليك بالقاهرة يعلوها هلال نحاسى (٨٧٧ هـ)

أقدم قمة وصلتنا فى عمارة المئذنة المصرية فى مدينة القاهرة [٩] وهى متوجة بقبة لايعلوها هلال أما عصر انتشار الأهلة فوق المآذن فهو العصر المملوكى ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ حيث توجد الأهلة فوق المآذن فى المدارس المملوكية مثل مئذنة مدرسة السلطان حسن بالقلعة (٧٥٧هـ ـ ١٣٥٦م) ومئذنة مدرسة السلطان قلاوون ٦٨٤هـ ١٢٨٤م) ومئذنة مدرسة الناصر محمد بشارع المعز (٦٩٤هـ ١٢٩٥م) ... الخ

(٩) د/ عبدالله كامل . المرجع السابق ص ٦٠٥

ومن الجدير بالذكر أننا قد وصلتنا نماذج لأهلة على شكل سفن في مصر كما في قبة الإمام الشافعي بالقاهرة سنة ٦٠٨هـ ، وفي مئذنة الجامع الطولوني حيث ذكر المؤرخون أمثال المقريزي وابن دقماق أن مئذنة الجامع الطولوني كان لها هلال على شكل سفينة يرجع إلى عصر السلطان لاجين السيفي سنة ٦٩٦ هـ(١١) سقط سنة ١١٠٥ هـ ١٦٩٣ م .

أما الهلال فوق المئذنة بالشكل الذي نعرفه الآن فلم ينتشر إلا في العصر المملوكي «٦٤٨ ـ ٩٢٣» ومن الجدير بالذكر أن انتشار الهلال فوق المئذنة لم يقتصر على مصر وحدها في ذلك الوقت بل شاع استخدامه في مآذن العالم . ففي بلاد المغرب توج الهلال أغلب مآذن المغرب بأهلة صغيرة من النحاس ومثال ذلك مآذن مسجد سيدى أبو الحسن في الجزائر(١٢)

كما كانت بعض المآذن في المغرب تعلوها عمد حديدية مثبت بها بعض الكرات المختلفة الأحجام وكان يثبت في قمة المئذنة المغربية صارى من حديد يعلق عليه راية بيضاء في أوقات الصلاة(١٣) .

أما في شرق العالم الإسلامي فقد تميزت المآذن في الهند بأن أغلبها لا يعلوها هلال وإنما يعلوها عمود من المعدن عبارة عن أشكال كرات مختلفة الأحجام يعلوها قمة تشبه الحربة (مدببة)(١٤)

شكل (٤)
مئذنة مدرسة أبوبكر مزهر بالحسينية بالقاهرة يعلوها هلال نحاسي (٨٩٣ هـ)

وقبل العصر المملوكي بنحو أربعين عاما فقط كانت مئذنة الجامع الكبير ـ في صنعاء باليمن التي أعيد بناءها في عهد الأمير علم الدين بن وردسار (٦٠٩هـ) كان تعلوها سفينة صغيرة(١٠)

---

(١٠) د/ محمود إبراهيم حسين ـ المآذن اليمنية ـ دراسة أثرية فنية ص ١٦ القاهرة ١٩٩١

(١١) د/ كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر . القاهرة ١٩٨٧ . ص ٢١ .

(١٢) Rachid Bourpia: Art Religieux Muslman En Elgerie, Elgerie 1973 - p - 152

(١٣) د/ محمد محمد الكحلاوي : العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي ـ عمائر الموحدين الدينية في المغرب . رسالة دكتوراه غير منشورة ـ جامعة القاهرة ١٩٨٦م ص ٤٣٧

(١٤) Waltkuluren Und Baukunst: islamisches indian. Berlin 1969 - p - 102: 12



ظاهرة التجاوز في بناء الفكر

الجزء الأخير

الدكتور/ عبد الله مبروك النجار (*)

ثانياً ـ مظاهر التجاوز في البناء الفكري :

ولنا بعد بيان تلك المبادىء العامة ، أن نتساءل عن مدى التزام بعض الكتاب بها ؟ ومدى تطابق ما يكتب على الساحة معها ؟. وما مدى خروج بعض الكتاب على مقتضياتها من واقع ما ينشر ؟

.. إن الإجابة على تلك التساؤلات هي التي سوف تجلي تلك الظاهرة التي لفتت الانتباه في الوقت الحاضر ، من خلال بعض الكتابات التي تنشر على الناس هنا أو هناك ، والتي بلغت من شدة خروجها على قيم الكتابة ومبادئها درجة تجعلها حرية بمسمى « الانفلات » فهي في واقع الأمر انفلات من الضوابط التي تجسد أمانة الكلمة ، بل هي شرود عن القيم التي يجب أن تحترمها صناعة البيان ومهنة الكتابة ، فإذا ما استباح كاتب لنفسه أن يتناول بالتشويه أو التحريف تعاليم الدين ، أو أن يكتب كلاماً يستحث في فهم من يقرؤه التحرر من الالتزام بتلك الأحكام أو يشجعه على تركها ، والاحتكام لغيرها مما يروج له بعض أولئك الكتاب من أفكار تجافي جوهر الدين وتناقض أحكامه ؛ يكون بهذا المسلك قد خالف القيم والمواثيق التي تحكم شرف الكلمة بصفة عامة ، والمعدة للنشر بصفة خاصة .

التعامل مع الأفكار لا مع الأشخاص :

ونحن إذ نستعرض من خلال بعض الكتابات التي نشرت في بعض وسائل النشر الدورية المكتوبة . ملامح ظاهرة التجاوز التي نتحدث عنها . فإننا لا نتعامل مع أشخاص أصحاب تلك المقالات ، وإنما نتعامل مع الفكرة مجردة عن أصحابها ، ليكون نقاشنا لتلك الأفكار ، ونقدنا لهذه الآراء ، لاسيما

(*) الكاتب أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون القانون الخاص ـ جامعة الأزهر .

التي تتضمن أفكاراً تمس جماعة أو فئة . أو قطاعاً من الناس ، في مصالحها أو حقوقها أو مشاعرها .

وقد استقر الفهم القانوني ، وأيده التطبيق القضائي - وهو لا يخرج عما قررته الشريعة الإسلامية الغراء في هذا الصدد - على أن أفكار الإنسان ملك له ، ما لم يعبر عنها ، مصداقاً لحديث النبي ﷺ : « **إن الله - سبحانه وتعالى - تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به** »[1] فإذا عبر عنها ، فإنها تنفصل عن شخصه ، وتخرج من نطاق الحماية المكفولة له ، فلا يمتنع نقده ، ومناقشة رأيه بغية إبراز ما فيه من عيب وخطأ ، بحيث يجوز نقد أفكاره وردها ، بل ورفضها ، دون أن يعني ذلك أي مساس بشخص صاحبها ، أو سبًّا له ، أو نيلًا من منزلته بين قومه ، ولهذا أباحت الشريعة الإسلامية ذم الوضاعين والكذابين على رسول الله - ﷺ - وفضح أمرهم حتى لا يغتر الناس بأقوالهم ، حماية للدين وحفظاً للسنة المطهرة ، ورعاية لحرمة العلم الشرعي ، ولم يعتبر ذلك من قبيل الغيبة المحرمة ، بل من باب الدفاع عن الشريعة الإسلامية المكرمة[2].

قانون تنظيم الأزهر يوجب التصحيح والرد :

ومن هذا المنطلق الشرعي السليم ، أوجب القرار الجمهوري رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ ، الصادر باللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، بشأن إعادة تنظيم الأزهر ، والهيئات التي يشملها : « على الأزهر بحكم اختصاصه - ومن خلال مجمع البحوث الإسلامية - أن يتتبع كل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي من بحوث ودراسات للانتفـــاع بما فيها من رأي صحيح ، أو مواجهتها بالتصحيح والرد ، وقد قررت ذلك المادة (١٧ ، فقرة ٧) من القرار الجمهوري المذكور »[3].

محكمة النقض تحدد موجبات النقد العلمي :

كما يجيء في هذا الإطار أيضاً ما قررته محكمة النقض في عدد من أحكامها ، انتهت فيها إلى أن نقد أفكار الإنسان من المباحات التي يقتضيها الارتقاء بالمستوى العلمي ، وأن نقد أفكار الإنسان وكتاباته لا يعد مكوناً لواقعة (السب) طالما التزم الناقد حدود الرأي المنشور ولم يتطرق إلى شخص صاحبه[4]..

.. ونحن بدورنا ومن هذا المنطلق القانوني ، والقضائي ، وما يقتضيه الواجب الشرعي ، نتناول تلك الظاهرة - ظاهرة التجاوز في البناء الفكري - بالرصد والتحليل والرد بغية كشف أبعادها ، وتحذير القارئ من مخاطرها ، وفي

(١) صحيح البخاري - جـ ٥ - ص ١١٦ كتاب العتق ، والحديث متفق على صحته ، وراجع : شرح السنة للبغوي ص ١١٦ .

(٢) سبل السلام - للصنعاني - جـ ٤ - ص ٣٨٢ .

(٣) جاء هذا النص تطبيقاً للمادة ٢٥ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، والتي تقضي باختصاص مجمع البحوث الإسلامية في نطاق أغراض الأزهر ، بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والتأليف .. الخ .

(٤) حكم محكمة النقض بتاريخ ١٩٣٢/١/٤ ، مجموعة أحكام النقض س ٢ ق ٣١١ ، ص ٣٧٩ ، وبتاريخ ١٩٦٥/١١/٢ ، المجموعة ، س ١٦ ، ق ١٤٩ ، ٧٨٧

النهاية تقويمها فى اطار البحث العلمى المجرد وعلى ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ، والكتابات التى تجسد تلك الظاهرة كثيرة .. لكننا نختار منها أنموذجاً نجد فيه الكفاية لإبراز ملامح تلك الدراسة .

سلطة النص فى مواجهة العقل :

وفى هذا الصدد يجيء بحث لكاتب فى إحدى المجلات عن « التراث بين الاستخدام النفعى والقراءة العلمية وسلطة النص فى مواجهة العقل » ، والكلام الوارد تحت هذا المسمى ، لا يستقيم من الناحية العلمية المجردة تسميته « بحثاً علمياً » لأن البحث العلمى يجب أن يكون محكوماً بغاية مشروعة ونبيلة يتوخى الوصول إليها فى موضوعية وتجرد ، وهذا ما لا يمكن إدراكه بسهولة من خلال ما كتبه الكاتب ، حيث لا يعدو أن يكون مجرد أفكار له .. أو خواطر خاصة به ، تعبر عن موقفه من النصوص الدينية بصفة عامة ، والتراث الإسلامى بصفة خاصة ، كما يكشف عن ولاء فكرى للغرب وما حققه من تقدم فى مجال العلم والصناعة ، وينعى ـ بعد أن هجر النصوص الدينية ـ على « ترك العنان للعقل ليقرر ما يراه » وهو غاضب على المجتمعات الإسلامية لأنها لم تنح منحى الغرب فى ترك النقول الدينية التى اعتبرها عائقاً دون التقدم ، ولا تتفق فى نظره مع الحضارة ، وقرر أن ذلك سبب تخلفها وتبعيتها للغرب . ومجمل ما قرره الكاتب يمكن أن يفهم منه القارئ بسهولة .. أنه يمثل دعوة للتحرر من أحكام التشريع ، وطمس الهوية الإسلامية والعربية ، وتسهيل تبريرات التبعية للغرب ، وذلك بالإضافة إلى ما يعكسه ذلك المفهوم من مساس بالمشاعر الدينية . وقيم الإيمان بما يمثلانه من قوة فى بناء الأمة ورفعة شأنها وبقاء وجودها ، ذلك ما يمكن فهمه من بحث الكاتب إجمالاً ، أما تفصيلاً فيمكن استجلاؤها فيما يلى . مع الأخذ فى الاعتبار أننا سنسميه فى ثنايا تلك الدراسة بحثاً مع افتقاره لمقومات البحث فى شكله ومضمونه ، وذلك على سبيل التجوز . وتغليباً لجانب حسن النية فى قصده مما كتب .

(١) الكاتب يفترض تناقضاً بين الدين والحياة :

وقد جاء هذا الافتراض المتوهم فى بحث الكاتب من خلال ربطه بين التراث والإسلام من وجهة نظره ، وقوله إنهما ضد المستقبل ، فيقول : « إذا كان التقدم يشير إلى المستقبل ، فإن التراث يشير إلى الماضى ويدل على السكون والجمود . كأن العربى قد كتب عليه دون البشر عامة أن تسير قدماه إلى الأمام بينما تلتفت رأسه إلى الخلف ، فلا هو يحقق التقدم ، ولا هو يقنع بالحياة التى ورثها عن الأسلاف » ، ثم يقول : « لقد تحول التراث الذى تم اختزاله فى الإسلام إلى هوية يمثل التخلى عنها وقوعاً فى العدمية ، وتعرضاً للضياع ، وصار معبراً عن عراقتنا وأصالتنا فى تاريخ الوجود الإنسانى ، فى حين أصبح التقدم مرتهناً بالعلم وما أنجزه العقل البشرى فى مجال العلوم ، وهو ما يعنى أن نتعلم من غيرنا الذين سبقونا ، وعرفناهم غازين محتلين لأوطاننا » .

وهذا القول ينطوى على مغالطات واضحة ، ويتضمن أخطاء جسيمة ، فالتناقض بين دين الله

والحياة لا يتصور وجوده فى تفكير معتدل ، وهو بعيد عن الحقيقة تماماً ، لأن من له أدنى إلمام بمبادىء دين الله يمكن أن يلمس مدى اهتمام الإسلام بالحياة والمستقبل دون أن يجعل ذلك على حساب الدين ، وإنما يسير على النحو الذى يحقق سعادة الدنيا والآخرة ، يدرك هذا من يتأمل قول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٥) ، حيث نجد الموازنة عادلة بين الدنيا والآخرة ، ومن يفهم أن الدين ضد الدنيا لا يفهم الإسلام على وجهه الصحيح ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٦) فالآية الكريمة لا تمنع من الاستمتاع بطيبات الحياة ، واتخاذ الأسباب المشروعة التى توصل إلى ذلك الاستمتاع بالعلم والعمل ، وموقف الإسلام من الاهتمام بالعلم لا ينكره إلا جاحد ، وقد فهم ابن عمر هذا المزج بين الدنيا والدين فى التشريع ، فجاء الأثر عنه معبراً فى قوله : « **احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** »(٧).

ثم إن الكاتب يعاير المسلمين بتفوق الأوروبيين فى مجال العلوم ، ويبرر تقدمهم ببعدهم عن الدين ، ويدعو المسلمين ليحذوا حذوهم ، متناسياً أن أوربا لم تصل إلى ما وصلت إليه الآن إلا بفضل علماء المسلمين فى مجال العلوم الطبيعية والدنيوية ، وقد كان الأولى به أن يستنهض فى قومه أحكام الإسلام التى تدعو إلى الأخذ بأسباب العزة والتقدم .

(٢) التشكيك فى أصالة التشريع الإسلامى :

ثم يقول الكاتب عن القرآن الكريم « إنه قد استوعب النصوص السابقة ويطرح نفسه نصاً شاملاً » ، ولا يخفى ما ينطوى عليه ذلك القول من مغالطة تصوير الإسلام على أنه مجرد ثقافة شأنها شأن أى ثقافة وضعية يمكن التعامل معها قبولاً ورفضاً ، ومن ثم يمكن تجريده مما هو عليه من القداسة .

(٣) الادعاء بمقولة « المرحلة التاريخية » :

ولعل أخطر ما يمكن أن يفهم مما كتبه ، ادعاءه بأن الإسلام مجرد مرحلة تاريخية أضيفت لرصيد الحضارة الإنسانية ، وينبغى فهمها فى سياقها الزمانى والمكانى كمرحلة مسبوقة يمكن أن يرد عليها ما ورد على ما سبقها .

وهذا كلام يرمى إلى عزل الإسلام عن قدسية العقيدة ليسهل ترك الانقياد له والعمل بأحكامه ، كما قد يفهم أنه يعارض ماهو معلوم من الدين بالضرورة ؟ إن الإسلام خاتم الأديان ، وإن نبى الإسلام ـ محمد ﷺ ـ هو خاتم النبيين . وهو فكر ينقضه القرآن ، قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٨) . وقال

---

(٥) سورة القصص ـ آية ٧٧ .

(٦) سورة الأعراف ـ آية ٣٢ .

(٧) نقله القرطبى فى تفسيره ، راجع : جـ ١٣ ـ ص ٣١٤ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٨) سورة الأحزاب ـ آية ٤٠ .

صلى الله عليه وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً ، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فيها ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء** »[9] . وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا العاقب فلا نبي بعدي »[10] . وهذا الهدى النبوى يدل على خلود التشريع الإسلامي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه لن يأتي بعده دين ، ولن يكون بعد هذا النبي - ﷺ - رسول بشرع ، فقد أكمل الله به الدين وأتم النعمة .

(٤) إنكار دور السنة في التشريع :

وفي الوقت الذي ينص فيه ذلك الكاتب على أن الدين هو ما يراه الناس أسلوباً لحياتهم في الحاضر ، (يُعرِّف) السُّنَّة النبوية : بما يجعلها تؤدي هذا الدور ، ولكن في سياق الماضي كسنن الأولين ، أي سيرتهم الماضية .

وهو بهذا المفهوم الخاطىء يسعى إلى تهميش دور « السنة النبوية » ويقطع صلتها بالحاضر ، بل ويقطع صلتها بالتشريع الإسلامي كمصدر أساسي من مصادره المقطوع بحجيتها .

.. كما يحاول في موضع آخر مما كتبه أن يقسم السنة النبوية إلى ما أسماه بسنة الوحي وسنة العادات : « التي تندرج سنة في سياق الوجود الاجتماعي للشخص التاريخي » ، فمن هو الشخص التاريخي الذي تندرج سنة العادات في سياق وجوده الاجتماعي ؟ ، ثم يقول : « وقد تم توسيع نطاق السنة ليشمل الأقوال كلها والأفعال كلها والمواقعات كلها الصريحة والضمنية على أنماط السلوك والممارسات الحياتية في عصر النبوة وذلك بفضل الشافعي » ، والبحث هنا يحاول إفهام القارىء بأن السنة ليست كلها ذات حجية ، لأن جزءاً منها . لم يكتسب تلك السمة بالوحي وإنما بفضل جهد فقيه ، هو الإمام الشافعي ، ومن ثم فلا حرج من تنحية هذا الجزء من السنة عند الاحتكام إليه . إذ ليس كل مسلم ملزم بما يراه فقيه معين .

وغني عن البيان ما في ذلك الزعم من مخالفة الفقهاء والأصوليين في تعريف السنة النبوية بأنها « ما أثر عن النبي - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير »[11] .

(٥) زعم الصراع بين النقل والعقل :

كذلك يزعم الكاتب وجود صراع مستمر بين النقل والعقل . حيث يقول : « ومنذ عصر التدوين صارت النصوص هي المسيطرة ، وهو ما يعني أن الماضي هو الذي يصوغ الحاضر دائماً لأن الحاضر يتجه إلى الأسوأ .. وهذا ينافي العقل الذي يهتم بالواقع والحركة والصيرورة ، وقد حسم الصراع لصالح النقل ضد العقل » .

وليس من شك في أن العقل السوي المجرد عن الهوى والغرض لا يصادم الدين أبداً ، لأن العقل أداة الإيمان بالله - عز وجل - ولا يكون الإيمان إلا بالنظر العقلي الصحيح .

---

(٩) أخرجه الطيالسي ورواه البخاري ومسلم والترمذي بنحوه ، راجع ابن كثير مختصر التفسير ، جـ٣ ، ص ٦٠٠ .

(١٠) أخرجه البخاري ومسلم عن طريق الزهري .. ابن كثير المرجع نفسه .

(١١) مبادىء الفقه الإسلامي للدكتور يوسف قاسم ، دار النهضة العربية ، ص ١٨٩ .

والذين تصور عقولهم مثل هذا الصراع لا يريدون الاحتكام إلى قوانين السماء ، وإنما يريدون أن يكون لهم عالمهم الخاص الذى تسود فيه أفكارهم ويتصرفون فيه على هواهم دون ضابط من حكم أو رابط من تشريع .

(٦) الطعن فى مبدأ الشورى :

ولم يسلم مبدأ الشورى فى الإسلام من تحامل فكر الكاتب ، بما يُفهم منه التشكيك فى قواعد الإسلام ومبادئه ، وبذلك تكتمل دائرة التشكيك لديه لتشمل المبدأ والذين طبقوه .

ثم يقول عن القاعدة الفقهية المشهورة : « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » إنها مبدأ إسلامى يقرر الركود الاجتماعى مهما كان الثمن ، ويجعل الانقلاب العسكـرى أساس تداول السلطة ، وظلت كل سلطة انقلابية جديدة تحاول تعزيز مشروعيتها بالاستناد إلى التراث والماضى» وهذا فهم خاطىء ، لأن القاعدة الفقهية ، لا تعدو أن تكون تأصيلًا يندرج تحته فروع فقهية كثيرة ، وليس منها ذلك المثل الذى فهمه الكاتب ، بل وليس لها صلة بالركود الاجتماعى والانقلاب العسكرى الذى يقوله .

(٧) ترديد إساءات المستشرقين :

كذلك ينقل عن المستشرقين نقلًا غير واع ، ويقتبس من أقوالهم ما يُسيىء إلى مشاعر المسلمين الدينية ، دون أن يعنى بنقدها أو بيان الكذب الذى تتضمنه ، بل الأدهى والأمر أنه يتعجب لعدم تقبل المسلمين لتلك المقولات الكاذبة الضالة ، ولا يخفى ما ينطوى على ذلك المسلك من الإساءة للإسلام والتجنى عليه .

(٨) أخطاء ومغالطات بالجملة :

وفيما ذهب الكاتب يبلغ التعصب ضد الإسلام مداه ، حين يستعـدى على الإسلام خصومه ويعيب عليهم أسلوب المهادنة فى مواجهته ، والحق إن التجاوز الفكرى ضد الإسلام يعد بالجملة فى بحثه ، ولولا ضيق المقام لأفردنا فى الرد عليه الصفحات الطوال .

إذ أن عظمة الإسلام أنه لا يضيق ذرعاً بالمعاندين بل يشتد ويقوى إذا أثير أو اعتدى عليه ، وكم من متربص بالإسلام سعى ـ منذ القدم ـ للقضاء عليه فذهب مع الذاهبين ، والإسلام قائم ـ بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ينشر تعاليمه وترتفع ألويته خفاقة فى ربوع الدنيا ، لأنه جاء ليعايش حركة الإنسان ولا يعزل عنها ، جاء ليحقق عزة الإنسان وأمنه فى الدنيا والآخرة .

وبعد ، فقد كانت تلك الدراسة العلمية رصْداً موضوعياً لظاهرة التجاوز التى بدأت تظهر على صفحات بعض قنوات النشر ، وبالرجوع إلى ما استهلت به ، نجد أن تلك الظاهرة تمثل خروجاً سافراً على الضوابط التى يجب على كل صاحب قلم أن يلتزم حدودها خاصة ، وأن تلك الحدود ، لم تكن وضعية فنشكك فى جدواها أو فائدتها للناس جميعاً . ولكنها من وضع الواحد الأحد الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، والذى أحاط بكل شيء علماً ، والذى لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، ومن ثم فإن جميع أحكامه لا تخرج عن نطاق المصلحة الحقة التى تثمر الخير للناس أجمعين ، وما أحرانا باستلهـام تلك المبادىء ، لتصحيح تلك التجاوزات ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



ابن عطية بين التفسير والتأويل

بقلم
د/عبدالفتاح أبو سنة(*)

ابن عطية : عبدالحق بن غالب الغرناطي أبومحمد، مفسر فقيه أندلسي عارف بالأحكام والحديث، وله تفسير بعنوان : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » مطبوع في خمسة عشر مجلدا بدولة قطر .

يقول العلامة ابن تيمية : « تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصحُّ نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع ، بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير » .

أما ابن خلدون فيقول عنه : لما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، جاء أبومحمد عبدالحق بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها .

أما من يقرأ عبارة ابن تيمية بتمامها التي جاءت في كتابه « مقدمة في أصول التفسير » ص ٢٣ يدرك أنه يغمز ابن عطية بالاعتزال، لكنه يخفف اعتزاله، ويجعله أقرب إلى أهل السنة بالنسبة إلى الزمخشري ، فهو قرب نسبي ، لكن شيخ الإسلام ابن حجر المتوفى سنة ٩٧٣ هـ حين سئل : هل في تفسير ابن عطية اعتزال ؟ فكان جوابه : نعم فيه شيء كثير « انظر فتاوى ابن حجر » .

فاصلة بين التفسير والتأويل

التفسير : كشف المغلق من المراد باللفظ، وقد استعمل القرآن الكريم مادة التفسير بهذا المعنى من الكشف والإبانة فقال:

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » الفرقان ـــ ٣٣ فهو إذن كشف وبيان عن مراد الله تعالى ، وهو لا يكون إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه ـــ رضوان الله عليهم ـــ الذين شهدوا نزول الوحي عليه، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا

(*) الكاتب : عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معانيه .

ويفصل « التهانوى » تعريف التفسير بقوله : إنه علم نزول الآيات وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها[1] .

قلت : ولا يفوتك أيها القارئ الكريم أن علم الرسم وعلم القراءات داخلان في التعريف. وكيف يخرجان عنه وعلم الرسم توقيفي .

أما القراءات فهى : ألفاظ القرآن الكريم فمن أمثلة علم الرسم ترى في سورة الحاقة عند قوله تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » كتبت **(طغا)** بالألف وفي سورة طه : « اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » كتبت « **طغى** » بالياء، وما يترتب على ذلك من الإمالة وعدمها عند أئمة القراءة، والفرق بين طغيان الماء الذى لا عقل له، وطغيان الإنسان المكلف بمقتضى العقل، وحساب هذا والتجاوز عن ذاك عند الله ـ تعالى .

ومن أمثلة القراءات : قوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ » البقرة ٢٢٢ بالتخفيف والتشديد وما يترتب على القراءتين من أحكام فقهية .

● أما لفظ التأويل فيدور استعماله بين معنيين لا ثالث لهما . فاشتقاقه إما من « الأول » بمعنى الرجوع والعودة والعاقبة ، وإما من تفسير الكلام وتبين معناه . يقول البغوى : التأويل هو صرف الآية « يعنى من معناها الظاهر القريب الى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط[2] .

ويضع الراغب الأصفهانى التأويل في دائرة التفسير فيقول : والتفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعانى .

ويقول العلامة الخروفى صاحب تفسير « رياض الأزهار وكنز الأسرار » :

وكما أن للتأويل أصلا أصيلا في القرآن، فقد أقرته السنة النبوية الشريفة أيضا .

ثم يورد حديثا للنبى ﷺ : « **للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع** »[3] ثم يعلق الخروفى على ذلك قائلا : وقد يكون الظهر هو اللفظ ، والبطن التأويل ... وقد يكون الظهر ما ظهر لأهل العلم من المعانى، والبطن ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق[4] .

ويؤكد الخروفى أن الصحابة قد فسروا القرآن تفسيرا إشاريا ، لأنهم فهموا من الكتاب ما لم يدركه غيرهم، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وعايشوا الرسول، واللغة لغتهم، واللسان لسانهم،

---

(١) الإتقان للسيوطى : ٢/٢٢٢

(٢) راجع تفسير البغوى : ١/١٨ ط المنار

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه .

(٤) رسالة دكتوراه بقسم أصول الدين بكلية الدراسات . د. عبدالفتاح أبوسنة

وفقهوا فى دين الله كل الفقه حتى جعلوا للقرآن وجوها .

كما جاء فى الأثر عن ابن عباس — رضى الله عنهما : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » وقوله : ذو وجوه يعنى أنه يحتمل من التفسير والمعانى بسبب إعجاز عبارته واتساعها، وتوجه آياته للبشرية جميعها فى كل عصر ومصر، أما حمله على أحسن وجوهه فيراد به تفسيره وتأويله على أحسن المعانى المحتملة .

ويلخص البرهان الزركشى معنى التفسير والتأويل فى عبارة موجزة بليغة فيقول : التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية .

المنهج العلمى فى تفسير ابن عطية

تفسير ابن عطية ذو منهج علمى قويم يسرد فيه التفسير حسب رتبة اللفظ القرآنى من حكم شرعى أو شاهد نحوى أو لغة أو معنى أو قراءة، مورداً جميع القراءات : متواترها وشاذها قدر استطاعته، ويكاد يتلخص منهجه فى مقولة لابن حيان الأندلسى النحوى فى كتابه « البحر المحيط » :

« كتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص »

ويقول عنه العلامة ابن تيمية : « وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة » .

ويقول عنه العلامة الخروبى : « وأعتمد فى التفسير على كتاب ابن عطية — رحمة الله تعالى — والقاعدة فى كتابى أن أجعل العين المهملة رمزاً للإمام ابن عطية » أهـ .

كما يقول الثعالبى صاحب التفسير الموسوم : بالجواهر الحسان فى تفسير القرآن فى مقدمة كتابه : فإنى جمعت لنفسى ولك فى هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عينى وعينك. فقد ضمنته بحمدالله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية .

قلت : ومن منهج ابن عطية **أنه ينأى بتفسيره عن الاسرائيليات** بذكاء شديد فهو يسقط القصص التى ملأت كتب المفسرين قبله . وتلك نقطة تحسب له دون من سبقوه، وهى نقطة جديرة بالنظر والتقدير فإذا ذكر قصة منها رواها بصيغة التضعيف، وقد يُظهر ما فيها من زيف، وقد عرف العلماء لابن عطية هذا الفضل وقدروه حق قدره . **نعم هو ينقل آراء السابقين، ويعتمد على المأثور فى التفسير . وأول الآثار التى ينقلها هى الأحاديث النبوية، ثم أقوال الصحابة والتابعين وكبار العلماء المعروفين . ثم يبدى رأيه فى كثير من المواقف معتمدا على جهده وعلمه فى الاختيار أو الترجيح أو التوفيق بين الآراء المختلفة، ويظهر ذلك جليا فى اعتماده على اللغة والمنطق والعقل، كما يتجلى جهده وعلمه فى الرأى الجديد الذى يخرج به مخالفا للمفسرين قبله .**

ومن منهج ابن عطية أنه يميل إلى تضييق المجاز فى القرآن ويحرص على التزام الحقيقة فى كل لفظة يمكن حملها عليها . فلا داعى عنده لإخراجها عن ذلك إلى ميدان التجوز . مع أنه يلجأ للاستعارة والتشبيه كثيرا مع خلطه بينهما أحيانا .

كما أنه يكثر — رحمه الله تعالى — من ذكر الاحتمالات التى يمكن حمل الآية عليها، فيكون تفسيره جامعا بين المأثور والرأى إلا أن الرأى الذى

فى تفسيره ليس رأيا مطلقا، بل هو رأى مقيد بدائرة المأثور .

ومن أجمل ما قرأت له محاولاته الناجحة حين يذكر الأقوال المختلفة عند تفسير الآية : محاولة التوفيق بين هذه الأقوال : إما بُرجعها إلى معنى واحد للإشارة إلى أن الاختلاف بينها من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، وإما بقوله : ان هذه الأقوال ذكرت فى الآية على سبيل المثال لا الحصر .

وينحو ابن عطية منحى يتجه فيه إلى إعلان الحرب على التفسير الإشارى والقول بالرمز، ويعتبر هذا اللون من التفسير خروجا على قواعد اللغة وأصولها. وبذلك يكون قد أغلق الباب على المتأولين بحجة أنه يؤدى بهم إلى تحريف الكلم عن مواضعه، مع علمه بما لهم من الأسانيد القائمة على الكتاب والسنة والإجماع . ذلك ما حدا بى إلى أن أقول فى موضع من « رسالة الدكتوراه » : إن غلق باب التأويل عند ابن عطية ومن جرى على نهجه بحجة أن ذلك يجر إلى « التحريف » بنوا رأيهم على قاعدة : « سد الذرائع » وهى من الأصول المقررة عند جميع الأئمة وأن الذريعة تعطى حكم ما هى ذريعة إليه . قلت : من الذرائع ما ألغى الشرع اعتباره، وما ألغاه الشرع فلا يصح للناس اعتباره، فإن ذلك يكون تشريعا لما لم يشرعه الله ــ تعالى ــ إذ ليس لأحد أن يقول : يحرم زرع العنب والنخيل وسائر ما يتخذ منه من الأشربة المحرمة سداً لذريعة اتخاذها ، فإن ذلك يكون تحريما لما أحل الله من زرع هذه الأشياء .
وعليه فليس لابن عطية ومن شايعه أن يحظر التأويل .

لان « التحريف » من معانيه، فإن ذلك من غلبة الوهـم ... الذى يتنزه عنه العلمـــاء المنصفون .أهـ .

وما انتهيت من عبارتى حتى انبرى أحد أعضاء لجنة المناقشة الفضلاء ــ مشكوراً ــ فأوضح لى أن ابن عطية يقول بالرأى ويقر بالتأويل فى محرره الوجيز وقلت : لعل الشيخ ابن عطية لم تسعفه العبارة التى أراد أن يوضح بها فكرته أو أننى أسأت فهم مقصده . فعدت أقلب صفحات تفسيره لأكتب بحثا بالعنوان الذى صدرت به هذا المقال على أن أدعم ما كتبته ببعض الأمثلة التى جاءت فى تفسيره .

ــ عند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾
أورد رحمه الله ــ تعالى ــ معظم أقوال المفسرين من الصحابة والتابـــعين ثم قال : والصواب ما قاله الجمهور أن تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التأويل، لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التى الحروف منها كقول الشاعر :

قلت لها : قفى فقالت : قاف . أراد قالت : وقفت وكقول القائل :

بالخير خيرات وإن شرا (فـــا)
ولا أريــد الشر إلا أن (تـــا)

أراد : وإن شرا فشر، وأراد : إلا أن تشاء والشواهد فى هذا كثيرة فليس كونها فى القرآن مما تنكره العرب فى لغتها، فينبغى إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه .
ــ وعند قوله تعالى : « يخادعون الله » .

ذكر أقوال المفسرين وسماهم بالمتأولين، واستعار لفظ المتأولين للمفسرين في معظم تفسيره لكنه عند قوله تعالى :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ ﴾

سورة البقرة

يقول ابن عطية : المرض عبارة مستعارة للفساد الذى فى عقائد هؤلاء المنافقين ، وذلك إما أن يكون شكا ، وإما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون . وبنحو هذا فسر المتأولون .

وكان ابن عطية كثيرا ما يحكم عقله فى ترجيح بعض الأقوال على بعض فعند قوله — تعالى — « **الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها** » يرجح ابن عطية أن السموات لا عمد لها ، ويستدل على ذلك بالدليل العقلى فيقول : والضمير فى قوله تعالى : « ترونها » قالت فرقة : هو عائد على السموات . فترونه — على هذا — فى موضع الحال . وقال جمهور الناس : لا عمد للسموات البتة . وقالت فرقة : الضمير عائد على العمد . فترونها — على هذا — صفة للعمد وقالت هذه الفرقة : للسموات عمد غير مرئية . قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس : وما يدريك أنها بعمد لا ترى ؟

قال أبو محمد : (يعنى نفسه) : وهذا كله ضعيف والحق أنه لا عمد جملة إذا العمد تحتاج إلى عمد ويتسلسل الأمر ، فلابد من وقوفه على القدرة وهذا هو الظاهر من قوله تعالى :

« ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ » الحج — ٦٥ ونحو هذا من الآيات[٥]

كما نرى ابن عطية يخرج أحيانا برأى جديد مخالف لأقوال المفسرين فعند قوله تعالى :

« ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ﴾ » آل عمران

يقول : القول عندى فى ذلك أن مريم أمرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة، وهما : طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما فى أركان الصلاة ولأن العبد يقرب فى وقت سجوده من الله تعالى ، وهذان يختصان بصلاتها مفردة، وإلا فمن يصلى وراء إمام فليس يقال له : أطل قيامك .

قلت : وهذا يقتضى أن من يؤم الناس فى الصلاة فليخفف .. للحديث ... ومن صلى وحده فليطول ما شاء .

واكتفى بهذا القدر المتواضع من الأمثلة للتدليل على أن ابن عطية كان مفسرا ومؤولا ، وأن (محرره الوجيز) يفيض بالكثير من هذا اللون الذى وضع له شروطا تكون فى نظره على مراد الله قدر استطاعته . رحمه الله تعالى . ووفقنا جميعا للعمل بكتابه ولفهم محكمه والإيمان بمتشابهه، ووفقنا لاتباع سنة نبيه المصطفى ورسوله المجتبى والحمد لله أولا وآخرا .

---

(٥) منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم د. عبدالوهاب فايد



صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / محمد زين العابدين الغزازى

لم يجمع الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد جاء اسمه (محمد) ـ صلى الله عليه وسلّم ـ صريحا فى مواضع عدة من القرآن الكريم فى كل من : (آل عمران ، والأحزاب ومحمد) ـ صلى الله عليه وسلم ـ وورد اسمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ (أحمد) بلفظه الكريم فى سورة (الصف) وكم من مدح له فى الكتاب العزيز ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

سورة التوبة

لقد امتن الله على المؤمنين بهذا النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبرسالته الغراء إلى الناس كافة ، إنسهم وجنهم ، هذه الرسالة التى ستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هذا الامتنان والفضل العميم قوله سبحانـــه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . أى من جنسكم ونسبكم عربى قرشى مثلكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، فليس غريبا عنكم ، ولا من جنس آخر لا تعرفونه ـ يقول المولى ـ سبحانه :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

من سورة آل عمران ـ وفى قراءة ـ (من أنفَسكم) بفتح الفاء وهى : النفاسة ، أى من أشرفكم نسبا وأفضلكم حسبا ، وقد روى الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وفى رواية أخرى قوله : « فأنا خيار من خيار » .

وقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين

أهله وقومه قبل بعثته محبوبا سديد الرأى مرموقا ، حتى أطلقوا عليه « الأمين » لأمانته وعفته .

ويذكر المؤرخون أن عمه أبا طالب لما ذهب ليخطب السيدة خديجة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فيما قال : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معَدّ ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ـ وإن ابنى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن فتى إلا رجح .. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل » .

وقد وصفه ربه ـ سبحانه وتعالى ـ « بالرءوف الرحيم » ، لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلغ الدرجة القصوى فى الرأفة والرحمة ، حتى إن المشركين فى مكة لما آذوه بأنواع الإيذاء المختلفة ، ونالوا منه الكثير ، وضعوا سلا الجذور على ظهره الشريف وهو يصلى ، وألقوا القاذورات فى طريقه وعلى بابه ، وحاولوا خنقه وقتله ، كان عليه ـ أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ يقول : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون »[1] .

وحينما ذهب إلى الطائف ، وشكا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ضعفه وقلة حيلته ، وهوانه على الناس ، قال : « إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فى تلك اللحظات العصيبة أرسل الله جبريل ـ عليه السلام ـ ومعه الملك الموكل بالجبال . فقال له جبريل : « إن الله تعالى أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما تريده وقال له ملك الجبال : (إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) ـ والأخشبان هما جبلا مكة المحيطان بها ـ فماذا قال نبى الرحمة وسيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه لملك الجبال ؟ قال : لا .. إنى لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به أحدا .. عند ذلك قال ملك الجبال (صدق من سمّاك الرءوف الرحيم)[2] ...

ومن مظاهر رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ما رواه عكرمة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأله فأعطاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى : لا ولا أجملت ، فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ كُفّوا فلما قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغ منزله دعا الأعرابى إلى البيت فقال : إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت : ما قلت ، فزاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا وقال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى نفس أصحابى عليك من ذلك شىء . فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ذلك من صدورهم فقال : نعم . فلما جاء الأعرابى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال . وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى كذلك

---

(1) السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهبة .

(2) السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهبة .

يا أعرابي ؟ . فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل له ناقة فشردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال ـ لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأعلم . فتوجه إليها ، وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها فاستجابت وشد عليها ، وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار[٣] .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة لجميع الخلق .

يقول ابن كثير : فمن قبل هذه الرحمة ، وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة . ومن جحدها خسر الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس في هذا : « من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه ابتلى بما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف »[٤]

ولم تقتصر رحمته على الإنسان بل كان رحيما بالحيوان ، فكان يميل بيده الشريفة الإناء للهرة لتشرب ، ونهى نهيا شديدا عن تعذيب الحيوان ، بل لعن من اتخذ الحيوان غرضا .

فقال عليه السلام في ذلك :« دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » ـ رواه الشيخان ـ .

وهكذا كان الرسول الكريم والنبي الرحيم ، رءوفا رحيما حتى بالمشركين . ومن ذلك ما روى أن زيد بن سعنة جاءه قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه وأغلظ له في القول ثم قال : إنكم يابني عبد المطلب « مطل »[٥] فانتهره سيدنا عمر وشدد له في القول ، وسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبتسم ، ثم قال : « أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي » ، ثم أمر عمر أن يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعا لما روعه ، وقد كان هذا الموقف الفريد سببا في إسلامه ، وبينما هو جالس مع أصحابه في المسجد ، إذ دخل أعرابي فبال في المسجد ، فغضب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقاموا إليه فقال لهم النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه : « دعوه حتى يتم ، وأهريقوا عليه ذنوبا من ماء »[٦] مرجع .

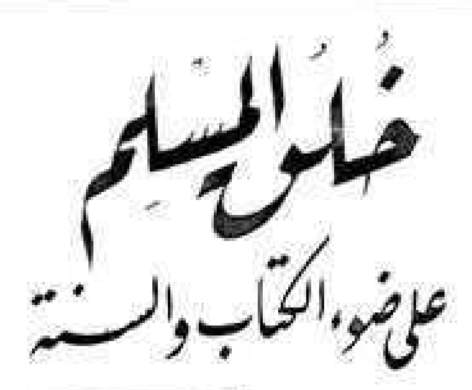
ومن رحمته بأمته تخفيفه وتسهيله ، وكراهته المواظبة على بعض السنن كالتراويح مخافة أن تفرض عليهم كما أنه عليه السلام كان يكره كثرة سؤالهم حتى لا يكون سببا في تحريم ما سكت الله ـ تعالى ـ عنه رحمة بهم فصلوات ربي وتسليماته ورحمته وبركاته على هذا النبي العظيم ، الرءوف الرحيم ، نبي الرحمة وهادي الأمة ، وكاشف الغمة ، ونسأله ـ سبحانه ـ أن يملأ قلوبنا بأنوار عظمته وبجلال قدرته ، وأن ينير نفوسنا بمحبة سيد أنبيائه وأن يوفقنا إلى الاقتداء به ، والسير على منهاجه وسنته . فهو وحده الموفق والهادي إلى السبيل .

---

(٣) ـ (٤) ابن كثير

(٥) بضم الميم وسكون الطاء ، والمطل بفتح الميم : التسويف في الدين .

(٦) السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة .



خلق المسلم على ضوء الكتاب والسنة

بقلم الدكتورة / فاطمة عمر نصيف (*)

مقدمة (**)

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، (وهديناه النجدين) ، أكبرَ الخلق الكريم وأعظمَ أمره ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ سورة الشمس

والصلاة والسلام على من بعثه ربه ليكون الأسوة الحسنى للإنسانية ، والقدوة العظمى لأهل الإيمان والإحسان ، وليكون الترجمة الصادقة لأخلاق القرآن ، فحوّل الإيمان إلى عمل ، والفكرة إلى حركة ، والمبادىء إلى سلوك ، فأدى رسالة ربه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . فكان للأخلاق وبالأخلاق ، مستحقاً ثناء ربه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) !! .

وبعد : فيتساءل كثير ممن يهمهم صلاح الأمة عن السبب فى أن الفساد يتزايد ، وأن الأخلاق الفاضلة تنهار ، مع كثرة الوعظ والإرشاد ، وكثرة الحديث عن الفضيلة ، وازدياد نشاط الدعاة إلى الخير من أفراد وجماعات !! .

وهذا الذى دعانى للبحث عن « الأخلاق » على ضوء الكتاب والسنة ، لأتعرف على حقيقة المنهج الأخلاقى فى الإسلام الذى يختلف عن المناهج الوضعية لأنه من الله خالق الخلق ، العليم الخبير بما فيه صلاحهم وفلاحهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ سورة الملك ؟! .

ومن هنا ، عقدت العزم أن أعكف على دراسة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالتأمل والتدبر ، بعيداً عن الدراسات الأخلاقية للفلاسفة الإسلاميين وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم ، رجاء أن أصل إلى تصور حقيقى صاف من النبع الأصيل : (الكتاب الكريم والسنة النبوية) دون سواهما .

---

* الكاتبة : أستاذ مشارك ـ قسم الدراسات الإسلامية ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

** اضطر التحرير بالمجلة إلى اختصار المقدمة فقط ليمكن القارىء من قراءة فصل كامل من البحث مع الإلمام بخطة الباحثة بدقة .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أمهد له ، بتعريف عام لمفهوم الأخلاق وتمييز الأخلاق عن غيرها من المسميات التى تداخلت معها حتى لا يختلط علينا ما ليس من قبيل الأخلاق بما هو منها ، ثم انتقلت إلى بيان مكانة الأخلاق فى الكتاب والسنة . فاستعرضت كتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستنطقت هذا الكم الهائل من النصوص التى شغلت الأخلاق فيها حيزاً عظيماً حتى إن سُوَراً بأكملها تكاد تكون حديثاً متصلاً عن الأخلاق ، ولا تكاد تخلو سورة واحدة من الحديث عنها والحث عليها والالتزام بها ، فجاءت الأخلاق متصلة اتصالاً وثيقاً بكل ما جاء فى القرآن من عقائد وعبادات ومعاملات وسائر جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وكذلك أوضحت الفرق بين المنهج الأخلاق الإسلامى ، والمنهج الأخلاق الوضعى ، فإن المنهج الإسلامى يقوم على أساس الإيمان بفضيلة الخلق الكريم ، من حيث هو كمال روحى للإنسان فى الدنيا ، وموجب لسعادته فى الآخرة ، فهو منهج روحى فى حقيقته ومقاصده ، لأن قيامه على أساس الإيمان ، يوجه الآخرين بآدابه ومبادئه إلى طلب الكمال النفسى والرقى الروحى ، ويمنعهم من الاتجاه إلى طلب المنافع المادية والمآرب الشخصية ، ويطبعهم على الإيمان بفضائل هذه الأخلاق فى ذاتها .

وفى فصل مستقل تناولت أهم القيم التى تنهض عليها دعائم المجتمع الإسلامى مثل : « الإخاء » وما يتفرع عنه ، وما يحققه من ثمرات فى واقع الناس وحياتهم .

كذلك هناك قيمة لا غنى عنها لبناء أى مجتمع سليم ، تلك هى « الإنفاق والإيثار والبذل والتضحية » التى تضمن التكافل والتضامن الاجتماعى ، إلى غير ذلك من القيم الثابتة ، وما تفرع من قيم ومبادىء عظيمة لابد منها لقيام المجتمع الفاضل .

ثم جاء دور الحديث عن « ضوابط هذا المنهاج وآثاره » . ذلك أن الشريعة تعتبر « الأخلاق الفاضلة » أولى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع ، ولهذا وضعت من النظم والعقوبات الصارمة ما يكفل حمايتها وعدم المساس بها ، وإن الأساس الذى قامت عليه العقوبات الشرعية هو حماية الفضيلة ومحاربة الرذيلة .

ثم ختمت بحثى بعرض الخطوات العملية لاكتساب مكارم الأخلاق لعلها تكون مشاعل على طريق المسلم للتخلق بأخلاق القرآن ، وهى فى جملتها غيض من فيض من بحر التوجيهات القرآنية والنبوية ، وإن كان أهمها فى نظرى هو التربية الخلقية بالقدوة فقد عُنِيَ القرآن الكريم أيما عناية بالتربية عن طريق القدوة الحسنة ، ذلك أن المبادىء السامية الرفيعة مهما كانت باهرة جذابة ، لا يكون لها تأثيرها الفعال إلا إذا تحولت إلى حقيقة تتحرك ، أو إلى بشر يترجم عنها بأفعاله ، وتتجسم فى تصرفاته وسلوكه ، ومشاعره وأفكاره . ومن أجل ذلك كان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ القدوة الدائمة المتجددة على مر العصور وكر الأعوام ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب

هذه معالم البحث الذى أقدمت على دراسته

دراسة علمية توصل الموضوعات بالأدلة بعد تحقيقها وسبر أغوارها ومناقشتها .

وبعد فلعل أكون قد شاركت في مجال الدراسات الإسلامية ببحث متواضع ينفع الله به أبناء الأمة الإسلامية .

والله ولى التوفيق ،،،

الفصل الأول: مفهوم الأخلاق

تعريف الأخلاق :

الأخلاق لغة : جمع خُلُق . والخُلْـق - بسكون اللام وضمها : السجية . وفلان يتخلّق بغير خلقه أي يتكلفه[1] .

والخلق : حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية . وفي التنزيل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] . والخُلْق والخُلُق : السجية وهو الدين والطبع . وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه - صلى الله عليه وسلم - قالت[3] : كان خلقه القرآن ، أي كان متمسكاً به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف[4] .

والخَلْقُ والخُلْق في الأصل واحد كالشَّرْب والشُّرْب لكن خص الْخَلْق بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر . وخص الخُلْق بالهيئات والأشكال المدركة بالبصيرة . والخلاق بضبط ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[5] . قال تعالى ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[6] .

قال مقداد يالجن[7] : (الخلق في الأساس هو الخلق بحسن التقدير والحكمة . ويشمل الخلق على هيئة جميلة . ومن هنا استعمل للسلوك على نهج مستقيم جميل) .

ومما تقدم يظهر واضحا أن الخلق في اللغة هو : الطبع والسجية ، وهذا يدل على أنه من الصفات الطبيعية للإنسان على هيئة صحيحة مستقيمة متناسقة .

---

(١) الرازي ، محمد بن أبي بكر عبد القادر مختار الصحاح ، مادة خلق . دار الكتاب العربي ، بيروت دمشق ١٩٦٧ م .

(٢) سورة القلم ، آية ٤ .

(٣) الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج ٢ ، ص ٦١٣ ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، (د . ت) .

(٤) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ، مادة خلق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

(٥) الراغب الأصفهاني ، القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن ، ص ١٥٨ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٠٠ .

(٧) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ص ٣٤ ، مكتبة الخانجي ، ط ١ القاهرة ، ١٩٧٣ م .

معنى الخلق عند العلماء الإسلام :

ومن السلف[8] من يعد الدين هو الأخلاق الكريمة ، لقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أى على دين عظيم .

والخُلق قد يكون غريزة ، وقد يكون تخلُقاً ، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية[9] .

وقد قسم ابن مسكويه[10] الأخلاق إلى قسمين [منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذى يحركه أدنى شىء ، نحو غضب . ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ، وربما يكون مبدؤه الفكر ، ثم يستمر عليه أولاً فأول حتى يصير ملكة أو خلقاً] .

يتضح من كل هذا تحديد معنى الأخلاق ، حتى نميز بين الأخلاق وغيرها من صفات النفس البشرية ، وبين الأخلاق التى هى مستقرة فى النفس « فطرية » وبين الأخلاق المكتسبة . فالأولى « خُلق » والثانية « تخلق » . والأولى تصدر عن السجايا والطبائع والغرائز الأصيلة الثابتة فى قرارة النفس ، ولكن ليس كل ما يصدر عن النفس يعد من الأخلاق الفطرية ، بل إن منها غرائز ودوافع نفسية لا صلة لها بالأخلاق على الإطلاق . فليست الغرائز التى تعارف عليها علماء النفس كالأكل والشرب والميل للجنس الآخر ، والخوف من قبيل الأخلاق ، بل هى غرائز ودوافع مع أنها تصدر عن النفس استجابة لحاجة الجسم ، أو غرائز النفس الفطرية ، والذى يميزها عن الأخلاق هو آثارها فى السلوك للمدح أو الذم ، وبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية . ونستطيع قياس مستوى الخلق النفسى عن طريق آثاره فى سلوك الإنسان فالصفة الخلقية المستقرة فى النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة ، وأن كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة[11] .

فالغرائز والدوافع النفسية لا تدخل فى باب الأخلاق ، ومن هنا خلط كثير من الباحثين بين مظاهر السلوك الإنسانى ، وبين السلوك الأخلاقى ، وذلك لأنهم لا يملكون تحديداً واضحاً للأخلاق . ومن هنا اخطأ كثير من

---

(٨) القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ، الجامع لأحكام القرآن ، م ٩ ، ص ٢٢٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

ابن كثير الحافظ عماد الدين ابن الفداء إسماعيل ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

(٩) ابن حجر أحمد بن على العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٥٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ت) .

(١٠) أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ٥١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٨ م .

(١١) حبنكة عبد الرحمن الميدانى ، الأخلاق الإسلامية ، ج ١ ، ص ٧ وما بعدها ، دار القلم ، دمشق ط ١ ، ١٩٧٩ م .

الباحثين أخطاء فادحة حين وضعوا السلوك الإنسانى فى باب الأخلاق ، بسبب عدم قدرتهم على التمييز الدقيق بين الأمرين .

ومن هنا اتضح لنا مدى أهمية التحديد الدقيق لمعنى الأخلاق ، حتى نميز بين الخلق والتخلق ، وبين الخلق المحمود والخلق المذموم ، وبين الغرائز والدوافع النفسية ، وبين الصفات الخلقية ، وبين الحكمة التى تضبط السلوك وتوجهه وفق مقتضى العقل السليم والدين القويم ، وبين الذكاء الذى يعنى القدرة على التكيف والتواؤم ، فلابد للباحث المدقق أن يميز بين هذه الأمور حتى لايقع فى أخطاء فادحة فى موضوع الأخلاق .

وخلاصة القول من كل ما سبق أن للأخلاق ثلاثة معان بارزة :

الأول : الخلق : يدل على الصفات الطبيعية فى خلقه الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة . وهذه هى الأخلاق الفطرية الطبيعية .

الثانى : تدل الأخلاق على الصفات التى اكتسبت ، وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته وهذه هى الأخلاق المكتسبة .

الثالث : إن للأخلاق جانبين : جانباً نفسياً باطنياً .

وجانباً سلوكياً ظاهراً .

فكل خلق فطرى أو مكتسب ، له ظواهر فى السلوك تدل عليه ، ولكنها دلالة ضمنية وليست قطعية ، فقد يمارس الإنسان سلوكاً ليس من طبيعته ، ولا من خلقه كما يفعل المنافقون ، وقد يكون تخلقاً وتطويعاً للنفس وترويضاً لها على مكارم الأخلاق ، فالعلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر .

إنه قد يجود الشحيح لغاية فى نفسه ، فيسمى العمل عطاء كريماً ، ولكن يظل صاحب هذا العطاء الكريم غير متصف بخلق الجود ، لأن خلقه الأصيل فى نفسه هو خلق الشح ، ويظل كذلك حتى يتحول بالتدريب والعادة فيكون جواداً فى نفسه ، وحتى يكتسب خلق الجود فيحل على خلق الشح[12] .

مفهوم الأخلاق فى التصور الإسلامى :

إن مفهوم الأخلاق فى التصور الإسلامى ، والذى يقوم على مصادر المعرفة الإسلامية ـ وهى القرآن والسنة والمصادر التشريعية الأخرى ـ يتضح منها اتساع دائرة الأخلاق وشمولها ، ويبرز هذا الشمول فى ميدان الأخلاق والفضائل ، فالأخلاق الإسلامية ليست هى التى تعرف عند بعض الناس بالأخلاق الدينية التى تتمثل فى أداء الشعائر التعبدية واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ونحو ذلك لا غير .

إنها أخلاق تسع الحياة بكل جوانبها وكافة مجالاتها .

إن الأخلاق فى الإسلام لم تدع جانباً ـ من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو اجتماعية ـ

(١٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣ .

إلا ورسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع ، فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع قد ضمه القانون الأخلاق فى الإسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه[13] :

(أ) إن الإسلام وسط فى الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملكاً أو شبه ملك ، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له ، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان . فالإنسان فى الإسلام مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة قد هُدِىَ النجدين فيه استعداده للفجور كاستعداده للتقوى ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى . قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[14]

(ب) وهو وسط - كذلك - فى نظرته إلى حقيقة الإنسان بين النحل والمذاهب التى تقوم على اعتباره روحاً علوياً سجن فى جسد أرضى ، وبين المذاهب المادية التى تعتبر الإنسان جسداً محضاً ، وكياناً مادياً صرفاً ، أما الإنسان فى الإسلام فهو كيان روحى ومادى ، كما يشير إلى ذلك القرآن فى قوله - عز وجل ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[15] .

(ج) وهو وسط فى النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا هى كل شىء وقالوا ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[16] وبين الذين رفضوا هذه الحياة فحرموا على أنفسهم طيباتها وزينتها وفرضوا على أنفسهم العزلة عن أهلها والانقطاع عن عمارتها والإنتاج لها . فالإسلام يعتبر الحياتين ، ويجمع بين الحسنيين ، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة ، ويرى العمل فى عمارتها عبادة لله وأداء لرسالة الإنسان ، وينكر على الذين يحرمون الزينة والطيبات قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[17] كما ينكر على الآخرين انهما كهم فى الترف والشهوات ، يقول الله فى كتابه العزيز ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[18] بل يعتبر القرآن السعادة والحياة الطيبة فى الدنيا من مثوبة الله لعباده المؤمنين[19] .

فيقول . ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[20]

الغاية من الالتزام بالأخلاق :

إن من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الفرد الصالح ، والمجتمع الفاضل وفق المنهج الربانى . بالتحلية بالفضائل والتخلية من الرذائل لإيجاد الإنسان الخليفة والأمة الربانية المتآلفة المتآخية

---

(13) القرضاوى يوسف ، الخصائص العامة فى الإسلام ، دار المعرفة الدار البيضاء ١٩٧٧ م ص ١١٧ .

(14) سورة الشمس ، الآيات (٧ - ١٠) .

(15) سورة الحجر ، آية ٢٩ .

(16) سورة الأنعام ، آية ٢٩ .

(17) سورة الأعراف ، آية ٣٢ .

(18) سورة محمد ، آية ١٢ .

(19) القرضاوى ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(20) سورة آل عمران ، آية ١٤٨ .

المتوادة التى يعمل فيها الفرد لمصلحة الجماعة ، والجماعة لمصلحة الفرد ، فى توازن وتناسق وتكامل إلى إيجاد المجتمع الفاضل والأمة الفاضلة ، والإنسانية السعيدة التى طالما راودت أحلام الفلاسفة والمصلحين والمفكرين عبر السنين ، وظلت فى عالم الخيال ، ولم تتحقق فى عالم الواقع إلا فى ظل التربية القرآنية والقيادة النبوية .

إنها الأمة العالمية التى اصطفاها الله لتكون المثل الأعلى للإنسانية ، إنها الأمة المسلمة التى اصطفاها الله من بين سائر الأمم لتحمل رسالة الإسلام العالمية ، وتكون الشاهدة والهادية والقائدة للبشرية . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[21]

ليست الأمة المسلمة تكتلاً أو حشداً أو كياناً عدائياً ، تقيم علاقاتها بالآخرين على أساس الهيمنة والقهر العقائدى ، بل هى – فى المفهوم الإسلامى – مشروع راق للحضارة الإنسانية التى تجسم معنى الاستخلاف فى الأرض ، وهذا هو معنى « الخيرية » التى هى مضمون حضارى يحقق ، وليست لقباً يعطى ، أو صفة تضفى . لقد أرسل الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – هادياً ، ومعلماً ومربياً للبشرية كلها استجابة لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم – عليه السلام . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[22] .

فجاءت الرسالة المحمدية تربية وتعليماً وتهذيباً ، وتزكية للإنسانية ، كما حددتها هذه الآية الكريمة بكل دقة وصراحة ووضوح . لقد حددت الآية هدف البعثة النبوية بأمرين – بلبان توضيح العقيدة الإسلامية وحكم اعتناقها :

(أ) التربية والتعليم ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ والكتاب هو القرآن . والحكمة هى السنة والسيرة . تربية تقوم على العقيدة والمبادىء والقيم والمُثل العليا ، التى هى حلم الإنسانية التى طال شوقها ، وانتظارها له . تربية شاملة متناسقة متوازنة تحقق للفرد حريته وكرامته وإنسانيته . فلا تطغى الماديات على الروحانيات ، ولا تطغى الجماعة على الفرد ، ولا ينفلت الفرد بأنانيته القاتلة التى تشل حركة الجماعة وتسخرها لإشباع رغباته وشهواته .. بل الكل يعمل فى اتجاه واحد لتحقيق هدف واحد هو صياغة الفرد الصالح والمجتمع الفاضل المتآخى المتكافل والمتراحم . إنه المنهج الربانى الذى وضعه خالق البشر لإصلاح البشر .

(ب) التربية والتزكية .. ولقد لخص الرسول المعلم – صلى الله عليه وسلم – رسالته وحددها تحديداً دقيقاً واضحاً « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[23] .

فقوله ، إنما أداة قصر وحصر ، وكأن رسالته محصورة ومقصورة على التهذيب والتزكية ليكون الأسوة الحسنى والقدوة العظمى ، والتطبيق العملى للمنهج الربانى (القرآن) .

---

(21) سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(22) سورة البقرة ، آية ١٢٩ .

(23) البخارى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ص ٤٢ ط مكتبة الآداب – درب الجماميز .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ م . س . عبدالخالق

توفيت امرأة عن زوج ، أم ، ابن ، اخوة وتركت منقولاتها الزوجية ولها مؤخر صداق/ من يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد بأن على الزوج دفع مؤخر الصداق ويضاف إلى المنقولات ويُعدُّ تركة للزوج منه الربع فرضا وللأم السدس فرضا والباقي للابن تعصيبا ولاشيء للأخوة لحجبهم بالفرع الوارث الذكر والله تعالى أعلم ،،،،،

السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرجو الفتوى في المسألة الآتية

قال رجل لو اشتريت هذه القطعة من الأرض سأبنيها مسجداً فاشتراها واحتاج لثمنها فهل يجوز له أن يتبرع بثمنها وبتكاليف بناء المسجد لبناء مسجد آخر . أو لا يجوز ؟

محمود عبدالفتاح

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه مادام المسجد لم يبن ولم يصل فيه يجوز لمالك الأرض أن يتصرف فيها ، ويتبرع بثمنها وقيمة تكاليف المسجد لبناء مسجد آخر والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ صبحي عثمان شمس الدين

ماحكم الشرع في رجل طلق زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها « أنت طالق » فما الحكم .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأنه إذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها « أنت طالق » فإنه بالطلاق الثالث بانت منه بينونة كبرى لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فإذا طلقها الثانى أو مات عنها ، وانقضت عدتها حلت للأول بعقد ومهر جديد وبرضاها ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ الشيخ حامد عبدالفتاح

هل يجوز ترجمة خطبة الجمعة إلى أى لغة بعد الانتهاء من إلقائها بالعربية وهل يجوز للخطيب أن ينتظر المترجم حتى ينتهى من ترجمته قبل صلاتها ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :ـ بأنه لا مانع شرعا من ترجمة الخطبة إلى أى لغة ، كما أنه لامانع من أن ينتظر الخطيب حتى ينتهى المترجم من الترجمة لأنها موالية لما سبق : إما على سبيل الموعظة وإما على أن فاصل الترجمة نفسه لا يعد فاصلا أجنبيا عن الخطبة ، بل إن فيه فائدة كبرى لمن يستمع بلغة الترجمة مع مراعاة أن تقرأ الآيات القرآنية التى وردت بالخطبة بلغتها العربية ولا مانع من ترجمة معانيها بلغة الترجمة ، وبعد الانتهاء من الترجمة تقام الصلاة ويؤم الخطيب المصلين

هذا وبالله التوفيق والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد/ تامر م. ع :

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ومهراً حسب المتفق عليه والمشروط وبعد فترة قام الخاطب بفسخ الخطبة . علماً بأنه لم يعقد عليها فما الحكم فيما قدمه الخاطب لمخطوبته من شبكة ومهر وهدايا ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فنفيد بأن الشبكة المشروطة والمتفق عليها جزء من المهر ، والمهر لاتستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، وحيث إن الشاب قام بفسخ الخطبة قبل العقد عليها فإن الشبكة والمهر يردان إلى الخاطب وكذلك الهدايا غير المستهلكة وليس للمخطوبة حق فيها ، لأنها أجنبية . أما الهدايا المستهلكة فهى من حق المخطوبة وليس للخاطب حق فيها ، حيث جاء الفسخ من قبله هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر



من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور الشيخ

عبد الجليل شلبي

- رحمه الله -

للأستاذ / محمود عبد العظيم طمان (*)

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(1) كأنَّ القدر قد خبأ له هذا الطريق..! فلقد كان والده يتمنى له أن يكون من أهل العلم، إذ كان يأنس لهم ويعيش معهم ـ ويحيطون به ـ في مجلسه أو مجلس أحدهم، قراءة أو سماعا حتى يستفيد منهم، فهم يخالطون شغاف قلبه حباً .. وكانت إرادة الله غالبة، فكان ما تمنى الوالد لولده وتحققت رغبته ..

نشأ الشيخ ـ رحمه الله ـ في أسرة كريمة تنهج منهج أهل العلم والمتصوفين، برغم اشتغالها بفلاحة الأرض، فوالده الشيخ عبده شلبي كان له مجلس يؤمه الأصدقاء والرواد من أهل الطريق والعلماء في قريته « غرب الوقف » مركز مطوبس حالياً بكفر الشيخ « إدارياً » ولكنها بالانتماء الأصيل تميل إلى رشيد، لأنها مقابلة لها على الجانب الشرقي من فرع النيل، وكان من أصدقاء والده الكبار الشيخ عبدالحميد عنتر أستاذ النحو في كلية اللغة العربية، الذى كان شريك والده في قراءة كتب العلم والتصوف، والتي ترك منها بعض الكتب الأمهات منها: شرح الخرشي على خليل في الفقه وهو من أمهات كتب المالكية، فقد كان الشيخ مالكي المذهب، وكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي وغيرها، مما يدل على أنه كان مقدراً للعلم وأهله.

(*) الكاتب: صحفي بالأهرام.

(1) النور: ٣٥.

توفى والده وهو فى السادسة من عمره فاهتم به أخوه الأكبر، وكان به حفياً لنبوغه الباكر، فدخل كتاب القرية وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وبعض مبادىء الحساب على ما كان شائعاً فى تلك الأيام فى ريف مصر كلها، ودخل مدرسة رشيد الابتدائية، وبعد أن أتم تعليمه فيها تقدم لمعهد الإسكندرية الدينى التابع للأزهر فنجح بتفوق فى المسابقة فأدخلته اللجنة الصف الثانى مباشرة، وبعد ذلك ظل فى تقدمه الدراسى حتى نال الشهادة الثانوية الأزهرية، وتقدم لكلية اللغة العربية التى تناسب ميوله، وفيها ظهر نبوغه وتفوقه فى موادها، لاسيما الأدب والبلاغة والنقد، وكان يقرض الشعر وينظمه ويلقى أشعاره فى المناسبات بين إخوانه من الطلاب والأساتذة، فيقدرونه كل التقدير.

ولما أنهى دراسته فى الكلية تقدم لنيل درجة تخصص التدريس فنالها بعد سنتين، وفى هذه الأثناء عين كاتباً فى معهد الإسكندرية فى الفترة التى كان يرأسه فيها فضيلة الشيخ محمود أبو العيون (رحمه الله) فكان به حفياً لنبوغه وجودة خطه الذى كان يتميز به، ولما أقيمت (مسابقة للتدريس) تقدم لها فنجح فيها وعين فى نفس المعهد مدرساً للبلاغة والأدب، وساعده الشيخ أبو العيون حتى نال حقه وبرز فى التدريس مما لفت إليه أنظار الطلاب والأساتذة، وألف كتاباً فى البلاغة ذلل للطلبة فيه (عبارات السعد) وقربه إلى قلوبهم بأسلوبه الناضج المشوق فى عرض المادة. ثم نقل إلى معهد قنا، فقبل النقل بسماحة نفس ورضا، وظل يعمل هناك برغم العثرات التى كانت توضع فى طريقه حتى أعيد إلى معهد الإسكندرية، وكان فى تلك الأثناء ينتسب إلى المدارس الليلية ويذاكر بجد حتى نال الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة، فكان متقدماً فى دراسته فيها على أبنائها المتفرغين للدراسة بها. ونال منها درجة الليسانس ثم سافر إلى السودان أستاذاً للغة العربية فى (مدرسة الأحفاد)، فكان له نشاطه واجتهاده فى الأخذ بيد الطلاب وتعليمهم بطرق تربوية ناجحة مما حدا بمدير المدرسة أن يتمسك به أشد التمسك، وكان الدكتور محمود حب الله (رحمه الله) يقدره تقديراً خاصاً، ويقدمه فى المركز الإسلامى بـ(لندن)، ثم سافر إلى لندن رئيساً للمركز الإسلامى هناك وظل ثلاثة عشر عاماً، كان فيها قمة النشاط والعمل.

وكان معجباً بحرص الإنجليز على الدراسة والتحصيل ويقول: العلم فى إنجلترا يحتاج لمن يجنيه كالثمرة الناضجة؛ وكان برغم عمل المركز الإسلامى ومسئولياته: من الإمامة والمحاضرات والرد على استفسارات السائلين من كل الجاليات الإسلامية وغير الإسلامية مثابراً على النشاط والدراسة حتى نال (الدكتوراه) من جامعة لندن ثم أنهى البعثة بمحض اختياره وعاد للعمل فى مجمع البحوث الإسلامية خبيراً فنياً ثم أميناً مساعداً ثم أميناً عاماً للمجمع إلى أن أنهى حياته الوظيفية فى المجمع، ثم سافر أستاذاً بجامعة أم القرى بالسعودية وظل هناك عدة سنوات ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فعمل بها مدة عام واحد عاد بعده إلى القاهرة ثم تعاقد للعمل مع (جامعة قطر) فى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية واستمر هناك عدة سنوات لقى فيها

الإعجاب والإكبار من الأساتذة والطلاب بل ومن من الشعب القطرى بكل فئاته .

رأيت ذلك بعينى وشاهدته لسنوات وقت أن كنت أعمل هناك صحفياً بجريدة (الراية) القطرية ، وكان يلتقى بالوفود الإسلامية والطلاب الآسيويين والأفارقة ويحاضرهم بلغتهم فيكبر فى نظرهم كل الإكبار ويقبلون على علمه بشغف وإعجاب ، ويلقى أحاديثه فى الإذاعة والتليفزيون ويخطب فى المساجد أيام الجمع ويحاضر فى النوادى الأدبية والجمعيات النسائية ، ويرد على استفسارات السائلين ومفتريات المبشرين ضد الإسلام ، وهو فى كل هذا موضع الإجلال والتقدير .

وفى جانب التأليف : ألف فى بداية حياته العملية بمعهد الإسكندرية كتاباً فى البلاغة . سبق أن أشرنا إليه .

وألف بإشارة من فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود (رحمه الله) شيخ الأزهر كتاباً عن الشيوعية والشيوعيين ، وكان الشيوعيون المصريون قد علا صوتهم فى ذلك الوقت بغوغائية وإسفاف ضد شيخ الأزهر .

وألف كتاباً عن المبشرين وافترائهم على الإسلام فأبطل حججهم ، أما المكابرون وهم كثير فيصمتون إلى حين ، ثم يبدأون الهجوم من جديد ، وهذا شأن الحاقدين على الإسلام فى كل زمان ومكان .

وألف فى الخطابة وإعداد الخطيب متمثلا أمامه الجاحظ إمام الخطابة فى العربية ، لاسيما فى كتابه البيان والتبيين فجاء كتابه مستوعباً شاملا لكل ما يهم الخطيب والواعظ ، ونجاح الداعية عنده أو فشله يرجع إلى أمرين رئيسين :

- جودة المعلومات التى يقدمها أو ضحالتها .
- وحسن إلقائه أو ضعفه .

وألف فى الفقه الإسلامى كتاباً فى فقه العبادات أوفى بالمطلوب فى أسلوب سهل ، خال من المصطلحات الفنية التى لا تهم غير المتخصصين فى ذلك الفن من العلوم الإسلامية .

وألف فى علم أصول الفقه كتاباً لطلاب المعهد العالى للدراسات الإسلامية الذى كان يرأسه الشيخ الباقورى (رحمه الله) ولثقته فى جهود الشيخ شلبى أسند إليه تدريس مادة أصول الفقه فألف كتاباً فى المادة جاء فذاً فى بابه شهد له المتخصصون فى هذه المادة ـ وهى ماهى بين علوم الشريعة الإسلامية ـ سلك فيه منهجاً وسطاً يقربه إلى الأذهان ، وهو المادة الجدلية التى تكسب العقل متعة، وفيه هداية وتبصرة بمناحى الاجتهاد ، تهب دارسه كثيراً من سعة الأفق الفكرى فى استنباط الأحكام وتعليلها حتى يصل إلى مناط الحكم الذى يريد .

وحقق فى علم التصوف كتيباً صغيراً لا يعدو الورقات للإمام أبى حامد الغزالى فجعل منه كتاباً معدوداً بتعليقاته وإشاراته القيمة هو كتاب (بداية الهداية) .

وفى النحو حقق كتاباً ضخماً هو كتاب (معانى القرآن وإعرابه) للإمام الزجاج وكان فى حقيقة الأمر رسالته المتممة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن ؛ لأن الشيخ كانت دراسته فى تلك الجامعة مقارنة الأديان ، ولكن اللجنة طلبت منه رسالة باللغة العربية فكان عمله هذا جاهزاً فقدمه لها فنال الإعجاب والثناء ، وقدمت له لجنة التحكيم التقدير الذى يليق به .

وكتب كتاباً كبيراً عن قادة الأديان ترجمه عن الإنجليزية التي يجيدها ، يحوى صوراً حية لجهاد اثنين وعشرين قائداً دينياً من مختلف الأديان والمذاهب .

ولم تنحصر جهوده في هذا اللون من العمل ، بل كان يشترك في التدريس في مختلف الكليات : اللغة العربية وأصول الدين والدعوة ويشترك في مناقشة الرسائل العلمية والتحكيم في لجان الترقيات للأساتذة ويحضر المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في جميع بقاع الأرض وكان عضواً مؤسساً في جامعة البحر الإسلامية وعميداً لمعهد إعداد الدعاة بالقاهرة . وكان حتى آخر أيامه يأتي له الطلاب الأفارقة للدرس والإفادة فيخصص لهم من أوقاته الكثير ـ دروساً في كتب النحو والفقه والبحوث الإسلامية ويحتسب ذلك عند الله ، ويقول : هؤلاء رسل بلادهم ، فلابد أن نزودهم بالعلم النافع حتى يعودوا لبلادهم جنوداً في وجه التنصير والاستعمار الذي يمتص دماءهم ويتركهم كالسوائم . وحينما كان ينتدب للتدريب في الدورات التدريبية لغير الناطقين بالعربية في مدينة البعوث كان لا يتأخر مهما كانت الظروف .

وليى طلب صحيفة الجمهورية لكتابة عمود يومي بعنوان : (قرآن وسنة) منذ ثلاثة عشر عاماً إلى أن وافاه الأجل ، برغم ما في الكتابة اليومية من مشقة وجهد ، ومن الردود على الاستفسارات التي ترد إلى الجريدة ، واحتسب ذلك جهاداً في سبيل الله ، وكذلك لبى طلب مجلة الأزهر لكتابة مقال في تفسير القرآن الكريم كل شهر أنهى فيه تفسير سورة الأنفال وانتقل لسورة المجادلة وقد لبى نداء ربه ـ عز وجل ـ قبل أن ينتهي منها وكان لآخر لحظة من حياته وهو على فراش المرض ـ الذى رقد فيه ثلاثة أيام ـ تأتى له الاستفسارات والأسئلة من الصحافة والأفراد فلا يرد طلباً يوجه إليه ، ويتابع أخبار المسلمين وشئونهم ، ويوافيني بالجديد قبل أن أتكلم ، كلما ذهبت إليه صباحاً أو مساء ، فما أن أسلم حتى يقول : إليك الآتى إن لم تكن قد عرفت ، ويسرد لى أخباراً جديدة على سمعى .

لقد عشت بالقرب منه وبجواره وخالطته زمناً كبيراً في الحل والترحال هنا وهناك في الداخل والخارج ، فما لاحظت عليه إساءة لأحد أو غمزاً في إنسان ، بل كان عف اللسان سليم الطوية ، يبتسم أو يضحك في براءة الأطفال ، لا يمل جليسه حديثه الحلو الممتع ، دائم الذكر لله والتألم للمسلمين لما يلقونه من العذاب والويلات من الحاقدين على الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض . فجزاه الله عن ما قدم لدينه وعقيدته ، وأنزله منازل الشهداء مع النبيين والصديقين والأبرار .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من آداب القضاء »

كتب سيدنا عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ إلى سيدنا معاوية كتابا فى القضاء يقول فيه :

إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة . أو اليمين القاطعة ، وإدناء الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعاهد الغريب فإنك إن لم تتعاهده ترك حقه ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بين الناس فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء .

« توجيهكم فراشى »

اشتد وجع « سعيد بن المسيب » ، فدخل عليه « نافع بن جبير » يعوده فأغمى عليه .

فقال نافع : وجهوه ، ففعلوا ، فأفاق ، فقال : من أمركم أن تحولوا فراشى إلى القبلة ، « أنافع » ؟

قالوا : نعم ، قال « سعيد » : لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعنى توجيهكم فراشى .

« فراسة »

طاف سائل مكفوف البصر بشوارع « أصبهان » يسأل الناس على حسب عادته .

فأعطاه رجل رغيفا ، فدعا له السائل ، وقال : رد الله غربتك ، فقال المتصدق :

وكيف عرفت أنى غريب وأنت أعمى .

فقال الرجل : لأنى أسأل الناس فى هذه المدينة منذ ثلاثين سنة ما أعطانى أحد رغيفا صحيحا .

« تَنْبيه عَلى خطأ »

سأل الحجاج بن يوسف الثقفى « الشعبى » كم عطاءك ؟ قال ألفين .

فقال الحجاج : ويحك ، كم عطاؤك ، قال ألفان .

قال الحجاج : كيف لحنت أولا ؟

فقال الشعبى : لحن الأمير فلحنت ثم أعرب الأمير فأعربت ، وما يليق بى أن يلحن الأمير وأعرب أنا .

« من أخبث السرائر الرياء »

كان الناس يراءون بما يفعلون لا بما يقولون ، فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون .



قال الأصمعي : مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق[1] ، ثم رجعت ورأيت في يدها قدح سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت واريناه ، فقلت : فما هذا السويق ؟ فقالت :

على كل حال يأكل القـــوم زادهـــم
على البؤس والبلـــوى وفي الحدثـــان



قال الشعبي : تعايش الناس زمانا بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة ، وأظنه ، سيجيء ما هو أشد من هذا .

«حقيقة»

لا ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل الذي يظن بنفسه العقل أصلا ؛ لأنه إن خاطبه على مقتضى عقله كان مضيعا للعقل ومستهينا بفضله .

وإن خاطبه بحسب جهله كان متشبها به ومعدودا مثله ؛ قال الله ــ تعالى ــ لنبيه صلى الله عليه وسلم :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

(١) السياق : النزع والاحتضار .

«إذا كان مشويا»

سأل رجل آخر : هل الظبي معرفة أم نكرة ؟ فأجاب : إذا كان مشويا على المائدة فهو معرفة ، وإذا كان في الصحراء يعدو فهو نكرة .



سمع قيس بن عباده يقول في دعائه : «اللهم ارزقني حمدا ومجدا ؛ فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال ؛ اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه» أشار في هذا إلى قول الشاعر :

ولا مجد في الدنيا لمن قل مالـــه
ولا مال في الدنيـــا لم قل مجده

«من حسرات يوم القيامة»

للإمام علي ــ رضي الله عنه ــ :

إن اعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله ؛ فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله ــ سبحانه ــ فدخل به الجنة ودخل الأول به النار .

«دعـــاء»

«اللهم لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرة ، ولا تجعلني من الغافلين» .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

رسالة الأستاذ الأكبر إلى شعوب العالم الإسلامي

لفضيلة الإمام شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبدالمجيد سليم

— رحمه الله —

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

من قديم الزمان ، وإلى وقتنا هذا ، سيظل الأزهر ، قادة وشيوخاً ، معقد الآمال وموئل الرجاء في تبصير الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها في الدين والدنيا ، وعالمنا اليوم تكتنفه الغيوم من كل جانب ، وتحوطه النزعات والنزاعات من كل اتجاه ، وتتناوشه سهام الفرقة والتفريق صباح مساء .

والإسلام دين اليقظة والتبصير ، مما جعل أعداءه يقفون له ولأهله بالمرصاد ، يزرعون بذور الفرقة والشتات بينهم ، ويغرسون غرس الشك والريبة في نفوسهم ، حتى يظلوا دائما وأبداً في تنافر وتناحر وقلق واضطراب وحتى تكون الغلبة لهؤلاء الحاقدين .

فكان هذا النداء يوقظ شعور المسلمين ويبصرهم بمواطن الخطر المحدق بهم .

إنها رسالة وأمانة ، لن يضطلع بهما إلا أصحاب النفوس الكبيرة والهمة العالية والرأى الصائب ، والكلمة السديدة والغيرة على الدين

قال الأستاذ : رحمه الله .

إنى ، وقد توليت منصبي هذا ، أعد نفسي قد حملت أمانة غالية دقيقة لا شك أنى مسئول عنها أمام ربي ، وأسأله تعالى أن يهبني من لدنه عوناً ييسر صعابها ، ويذلل عقابها ، إن ربي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .

لقد عشت طول حياتي معنيا بأمر المسلمين ، مفكراً فيما يصلحهم ، وينقذهم مما تورطوا فيه من الضعف والتخاذل والانحراف عن الصراط

السوى فى العلم والعمل ، فوجدت أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأمرين :

أولهما : أن يؤمنوا إيمانا عن بينة وبصيرة بأنه لا صلاح لهم إلا بهذا الدين الذى صلح به أولهم ، وأنهم على حسب مايتحرفون عن تعاليمه ومبادئه يصابون فى بلادهم وأنفسهم وسائر أحوالهم بالضراء وألوان الشقاء .

وثانيهما : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم الذى أورثتهم إياه عوامل الضعف ، وعهود الذلة والخوف وتسلط الأعداء ، فيعودوا كما تركهم رسول الله ـ ﷺ ـ أمة واحدة عزيزة كريمة تشعر بعزتها وكرامتها ، ولا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا .

***

إن المسلمين إذا آمنوا حق الإيمان بالأمر الأول ، استقر فى قلوبهم حب دينهم ، وحرصوا على أن يسلكوا سبيله فى حياتهم ، وأن يسيروا على خطته ومنهاجه السديد فى كل شؤونهم . فإن الإيمان بشىء ما ؛ هو أساس حبه وتوجه الرغبة إليه ، والحب الصادق يملك على صاحبه جوارحه وأعماله كما يملك قلبه وعواطفه ، وعلى هذا الأساس انتصر الإسلام فى أوله ، فقد شرى المؤمنون أنفسهم وأموالهم لله ، وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما من المال والولد والنعمة والمتاع ، ولولا ذلك ما استقام لهم أمر ولاتمكنوا ـ وهم القلة الضئيلة الهزيلة المستضعفة ـ من السيطرة على أكبر الأمم فى أقصر زمن عرفه التاريخ لأمة ناشئة ناهضة .

وقد سجل الله ـ تعالى ـ هذه الحقيقة فى قوله جل شأنه :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . سورة التوبة

فبين بهذا القول الصريح ، أن أساس الإيمان هو إيثار الله ورسوله على كل ماسواهما بالمحبة الخالصة الصادقة ، وأن إيثار شىء عليهما فسق وخروج على أمر الله ، لايهدى الله أصحابه ، بل يجعلهم فى موضع المتربص المتوقع للبلاء حتى ينزل به ويأتى عليه .

والمسلمون ـ مع الأسف الشديد ـ فى هذا الموضع منذ زمن طويل ، فقلما تجد منهم من يؤثر الله ورسوله على شىء من متاعه الفانى ولو كان زهيدا ، ولذلك كانت حالهم هى تلك الحال التى تسر العدو ، وتسوء الصديق .

والسبيل إلى إصلاح هذه الحال ، أن يتعاون أهل العلم والرأى فى كل شعب على تعليم المسلمين دينهم تعليما نافعاً ، وأن يظهروهم على مافى الدين من محاسن ، ويقنعوهم بما يكفله لأهله من سعادة وقوة ، وينفوا عنهم ما أدخل عليهم من خرافات وأوهام ، كان الركون إليه سبب ضعفهم واستكانتهم .

ولاشك أن على الأزهر فى ذلك أكبر قسط ، فإنه الجامعة الدينية التى تهوى إليها أفئدة المسلمين من كل صوب ، والتى تضم طلابا من مختلف

أحناسهم نفروا إليها ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد أخذت على عاتقى وشرعت ـ والله المستعان ـ فى توجيه هذه الجامعة الكبرى إلى ذلك توجيها عمليا صالحا ، أرجو أن يكون مبارك الثمرات على الإسلام والمسلمين ـ إن شاء الله ـ

وسوف لا أدخر وسعا فى إمداد المسلمين داخل الأزهر وخارجه بعلماء صالحين مصلحين يكونون رسل الثقفة الإسلامية الصحيحة حيثما حلوا ، وأساة الأرواح والقلوب أينما سلكوا ، حتى ترى أمة جديدة شبيهة بالأمة الأولى التى فتح الله بها مشارق الأرض ومغاربها .

وإذا كنت أعلن ما اعتزمته وبدأته فى ذلك . وأدعو إليه أبنائى الأزهريين أن يأخذوه بقوة فإنى أدعو كذلك سائر أهل العلم فى مختلف الشعوب والطوائف الإسلامية أن يقوموا بما عليهم فى ذلك ، وأن يبثوا الدعوة للدين والعلم به فى أقطارهم ويحثوا على الأخذ بها أبناء وطنهم ، حتى يكون الإصلاح عاما ، والتوجيه كاملا .

أما الأمر الثانى ، وهو أمر الاتحاد وائتلاف القلوب ، والغض عن كل مايثير الأحقاد ، وينكأ الجروح ، فذلك أمر له فائدته الكبرى فى التعجيل بالقضاء على الضعف ، والتفرغ لما ينفع المسلمين ويصلح شأنهم .

إن مثل المسلمين ، إذا احتفظوا بخلافاتهم ، وأنصتوا لداعى الفرقة والقطيعة ، كمثل شعب قامت فيه حرب أهلية طاحنة ، فهى تشغل أبناءه . وتستنفد قواهم ، وتضيع جهودهم ، وتلهيهم عن إصلاح أحـوالهم ، وتقـويم معوجهم ، وتعين عليهم أعداءهم ، وتكون سبباً دائماً فى إثقال كواهلهم بمالا يحتملون من الأعباء ، وفى إلباسهم لباس الذل والخوف والشقاء .

لقد ألحت هذه الحروب الأهلية الضروس على الأمة الإسلامية منذ قرون ، فقطعت ذات بينها ، وأفسدت كثيراً من خطط الإصلاح على واضعيها الداعين إليها ، وما علمت حربا كهذه نيرانها حامية ، وأسبابها واهية .

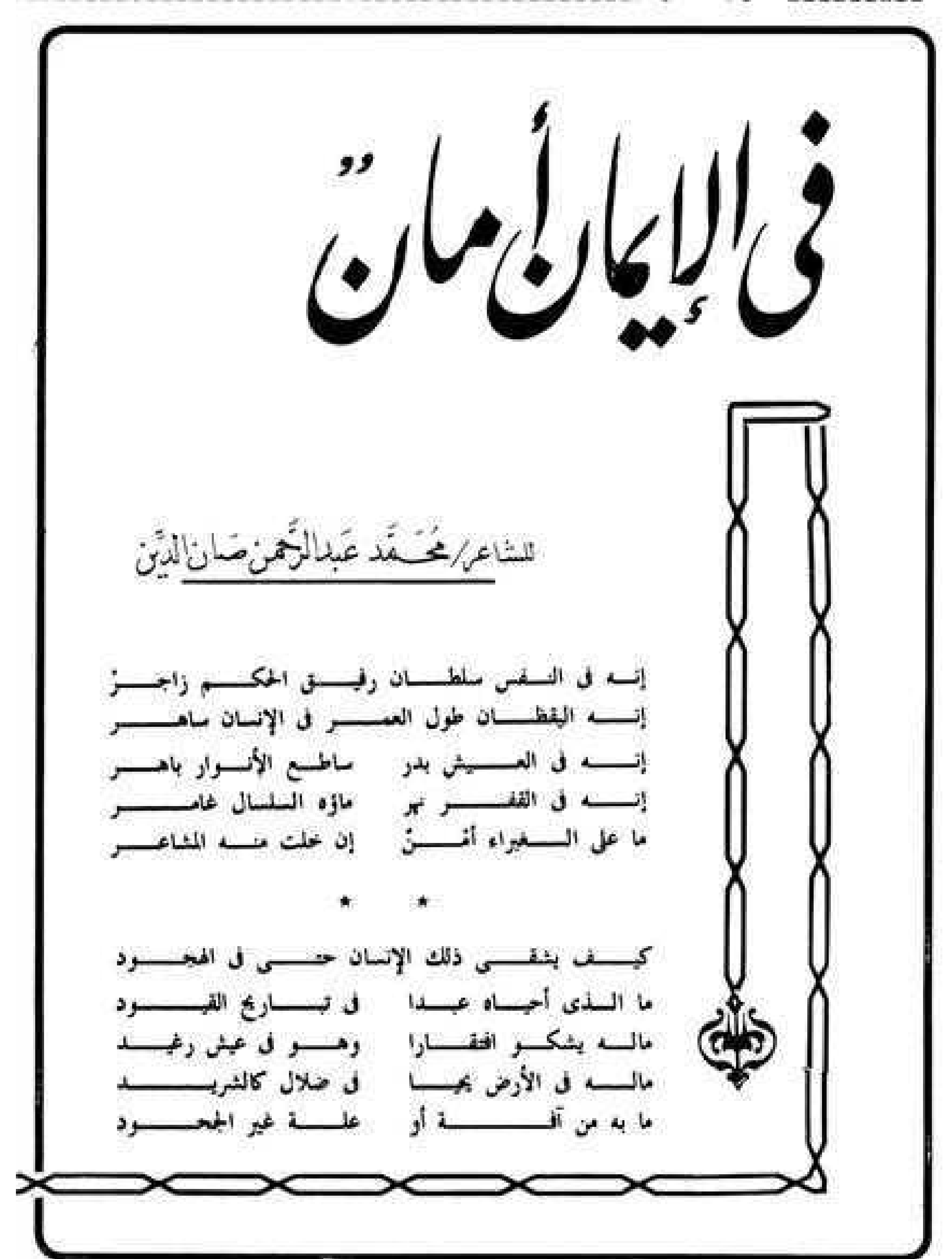
فليتدبر المسلمون موقفهم ، ـ ولاسيما ـ فى هذا الوقت العصيب ، الذى فغرت فيه المطامع أفواهها لابتلاعهم ، والذى أصبحت القوة فيه والتكتل هى لغة التخاطب السائدة ، وأسلوب التفاهم المفيد ، ولينسوا ما بينهم من الخلافات التى أوهنتهم ، وثبطت من عزائمهم ، وليقفوا صفا واحدا لإنقاذ أنفسهم ودينهم ، بل لإنقاذ العالم من المطامع الفاسدة ، والمبادىء الخطرة ، فإنهم أهل فكرة ، ووارثو رسالة ، وإن الله سائلهم عما أورثهم .

إنى لأعلم أن أحسن ماتطفأ به هذه الحرب الأهلية التى ظلت مستعرة بين المسلمين قرونا طويلة : هو التفاهم ، وأن يدرك كل شعب ماعند الآخر ، ويومئذ يظهر للجميع أن أمة الإسلام متضافرة على كل مايكون به المسلم مسلماً ، وأن ماوراء ذلك لايضر بالدين ، ولاينبغى أن يكون سبباً فى قطع حبل الأخوة والائتلاف

أسأل الله أن يهىء للمسلمين من أمرهم رشدا ، وأن يوفق قادتهم وزعماءهم إلى النجاة بهم من العواصف والأنواء «إنه سميع مجيب» .



تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف



في الإيمان أمانٌ

للشاعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

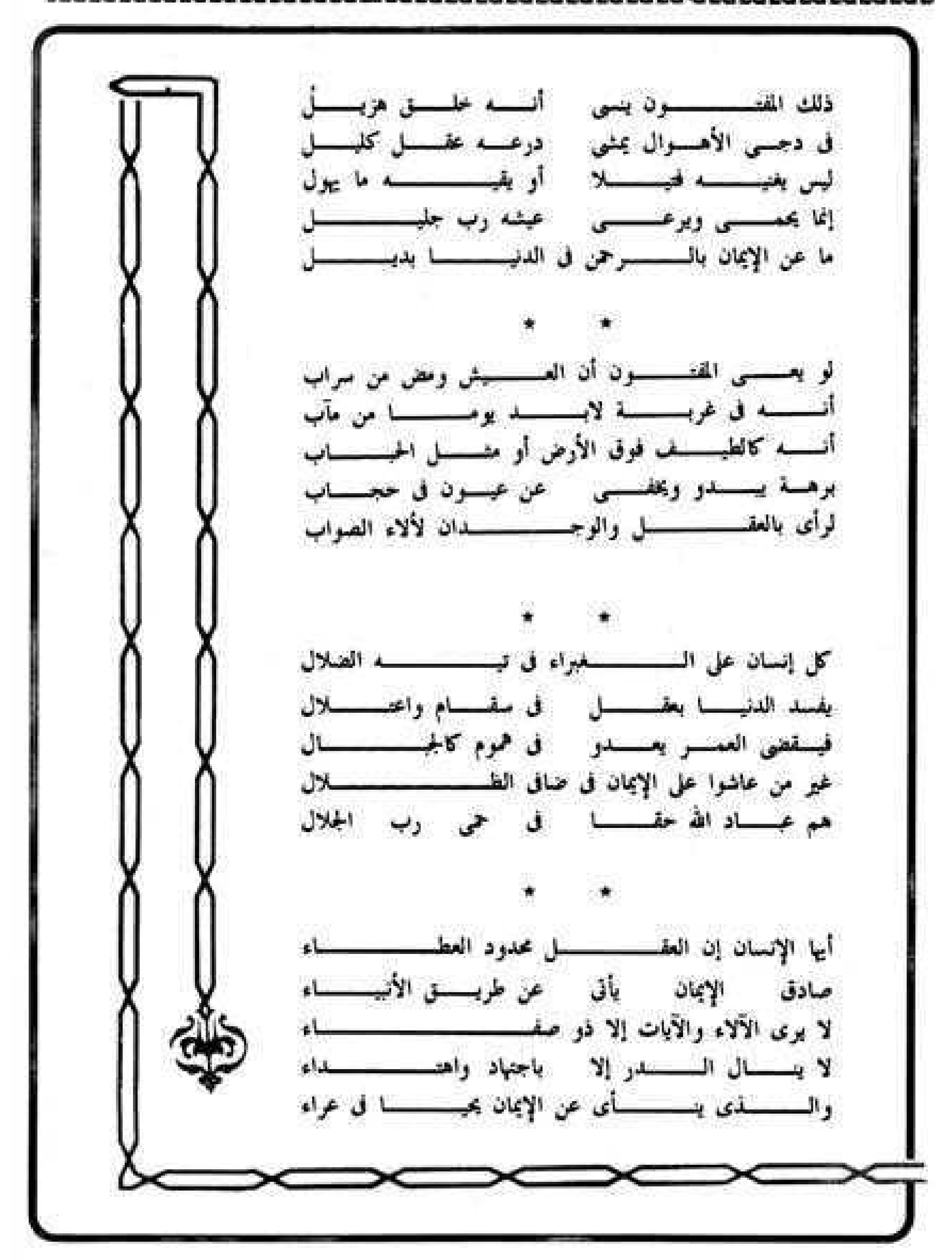
إنه في النفس سلطان رفيق الحكم زاجرْ
إنه اليقظان طول العمر في الإنسان ساهر

إنه في العيش بدر ... ساطع الأنوار باهر
إنه في القفر نهر ... ماؤه السلسال غامر
ما على الغبراء أمنٌ ... إن خلت منه المشاعر

* *

كيف يشقى ذلك الإنسان حتى في الهجود

ما الذي أحياه عبدا ... في تباريح القيود
ماله يشكو افتقارا ... وهو في عيش رغيد
ماله في الأرض يحيا ... في ضلال كالشريد
ما به من آفة أو ... علة غير الجحود



ذلك المفتون ينسى أنه خلق هزيل
في دجى الأهوال يمشي درعه عقل كليل
ليس يغنيه فتيلا أو يقيه ما يهول
إنما يحمي ويرعى عيشه رب جليل
ما عن الإيمان بالرحمن في الدنيا بديل

* *

لو يعي المفتون أن العيش ومض من سراب
أنه في غربة لابد يوما من مآب
أنه كالطيف فوق الأرض أو مثل الحباب
برهة يبدو ويخفى عن عيون في حجاب
لرأى بالعقل والوجدان لألاء الصواب

* *

كل إنسان على الغبراء في تيه الضلال
يفسد الدنيا بعقل في سقام واعتلال
فيقضي العمر يعدو في هموم كالجبال
غير من عاشوا على الإيمان في ضافي الظلال
هم عباد الله حقا في حمى رب الجلال

* *

أيها الإنسان إن العقل محدود العطاء
صادق الإيمان يأتي عن طريق الأنبياء
لا يرى الآلاء والآيات إلا ذو صفاء
لا ينال البدر إلا باجتهاد واهتداء
والذي ينأى عن الإيمان يحيا في عراء

إلى حفيدى مهند

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

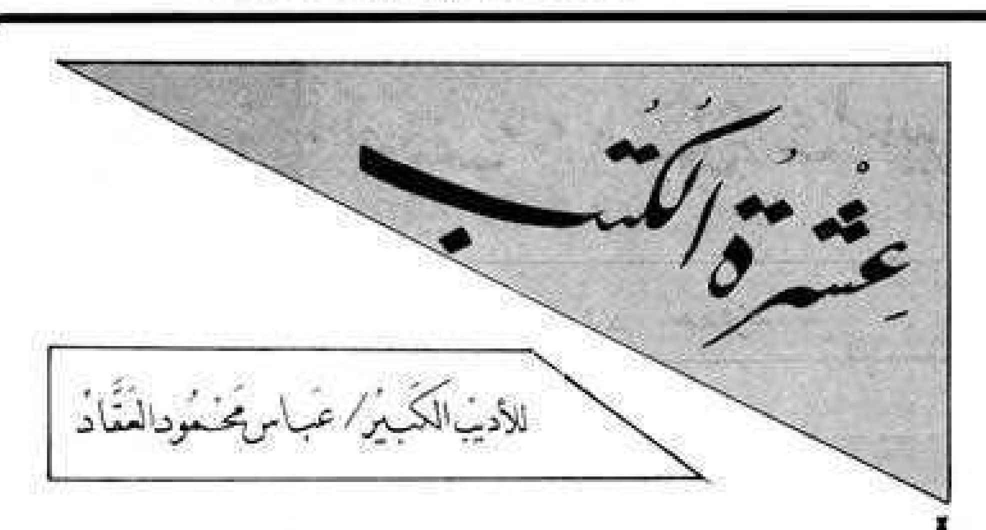
كحل عينيه من نور الحرم ... والندى فى سمعه أزكى نغم
أرضعيه عزة النفس فما ... ساد فى القوم سوى عالى الهمم
واسقه من زمزم الرى الذى ... يحفظ البرعم من شر السقم
حصنى المهد بآيات الهدى ... وانشرى عطر التسامى والقيم
أسمعيه قصة الأرض التى ... باركت لقياه فى حضن الحرم
فهنا اختار أسمى قدوة ... هو فى عليائها الفرد العلم
ورسولا تسعد الدنيا به ... ومنارا قاد وجدان الأمم
وهنا أصحابه الغر الأولى ... بددوا غيم الدياجى والظلم
وهنا القرآن يسرى نوره ... من « حراء » النور بالنور الأعم

هذبى وجدانه إن الفتى ... من يُرَى فى القوم محمود الشيم
علميه يزدرى السفح حتى ... ويخوض الصعب سعياً للقمم
علميه لغة الضاد التى ... أقسم الله بها نعم القسم
علميه الحب حتى يرتوى ... قلبه الغض حناناً ونغم

ذكريه قومه قولى له : ... مسلم أنت ومن أرض الحرم
جدك النيل ومن أعطافه ... سمرة الهام وعلياء الشمم
سلسلا ينساب ما بين الربا ... حاملا خيراته منذ القدم
وبنو قومك فى مصر العلا ... هم خيار الناس أرباب الكرم
سيرة تنضح كالعطر شذى ... لا غوى فكرٌ ولازلت قدم

هو سيف الله قد أسميته ... وجناح الحق سيف وقلم
فاسألى الرحمن يُثرى عمره ... من حنان ويقين ونعم

عطرى دنياه من هذا السنا
كحلى عينيه من نور الحرم



يا كتبى أشكو ولا أغضب ... ما أنت من يسمع أو يعتب

يا كتبى أورثتنى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب

يا كتبى ألبست جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهب

كم ليلة سوداء قضيتها ... سهران حتى أدبر الكوكب

ينتفع المرء بما يقتنى ... وأنت لا جدوى ولا مأرب

إلا الأحاديث وإلا المنى ... وخبرة صاحبها تعب

أنفقت منى ما يضن الورى ... به على الله ولم يذنبوا

من ضوء عينى ومن صحتى ... سدى ومن وقتى وما أكسب

ومن شباب فيك ضيعته ... فما أنا إلا الفتى الأشيب

شكوتها والعمر فى فجره ... فكيف بى لما دنا المغرب

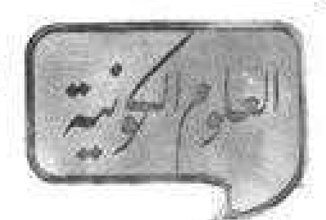
لما دنا المغرب صاحبتها ... تلك التى تشكو ولا تغضب

غدا ستمضى كلنا مالنا ... فى العيش إلا ذمك المترب

فليت لى إذ أنا تحت الثرى ... جمجمة ثرثارة تخطب

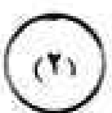
رهطاً من القراء يرضوننى ... رضاى عن بلواك إذ أغضب

يا كتبى ما شئت فلتحسبى ... أو شاء قرائى فليحسبوا



تصنيف علوم الطب في تراث المسلمين

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا



رابعاً : علم الطب السريرى :

من المعروف فى مجال العلوم الطبية أن الطب السريرى (الإكلينيكى) يعتبر من المعارف الضرورية التى لايستغنى عنها أى طبيب فى أمور التشخيص والعلاج .

وقد كان أطباء الحضارة الإسلامية سباقين إلى تأصيل علم الطب السريرى وتقنينه ، حيث أدركوا أهمية التعرف على تاريخ المرض والمرضى وتسجيل الملاحظات السريرية (الإكلينيكية) ونتائج الفحوص والمعاينة ومراقبة تغيراتها .

وقد عرف عن أبى بكر الرازى أنه كان بارعاً ودقيقاً فى دراسة الحالات المرضية دراسة تحليلية تتضمن تاريخ الإصابة وتطور حالة المريض ، كما كان يصف مزاج المريض ومهنته وعمره وجنسه ويستفسر منه عن بيئته وحياته وأحوال معيشته والأمراض التى أصابته سابقاً والأمراض المتوارثة فى أهل بيته وعائلته وينصت إليه وهو يعرض شكواه ويعطى أهمية كبرى لفحص القلب والنبض والتنفس والبراز عند مراقبة تطور المرض ، ويسجل ذلك كله لكى يقف على مايطرأ من تحسن أو تدهور فى الحالة الصحية للمريض .

يصف الرازى بنفسه منهجه فى هذا المجال بقوله :

« كان يأتى عبدالله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غبا ومرة ربعا ومرة كل يوم ، ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات عديدة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خُرَّاج فى كُلاه . فلم يلبث إلا مُدة حتى بال مِدّة أعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك . وإن ما صرفنى فى أول الأمر عن أن أبتّ القول بأن به خُرّاج فى كلاه أنه كان يحمّ قبل ذلك حُمى غبّ وحميات أُخر .. وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضا ضعيف المثانة ويعتريه هذا الداء ، وهو أيضا قد كان يعتريه فى صحته ، فينبغى ألا نغفل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله ... » .

وتدل هذه الفقرة على سبق « الرازى » إلى إدراك أصول الطب السريرى ، فهو يلوم نفسه على عدم معرفة المرض لأول وهلة ، وكان يستطيع ـ لو تقصّى الحالة ـ أن يصل إلى البت فيها ... ثم يلوم نفسه على أنه لم يسأل المريض عن حالته قبل ذلك وعن حالة أبيه .

ويبدأ فهم علوم الطب السريرية عند المسلمين بما يسمونه الاستدلالات ، فيقرر « الرازى » فى كتاب المرشد أو الفصول أن استدراك على الأعضاء الباطنة يحتاج « إلى العلم بجواهرها أولاً بأن تكون شوهدت بالتشريح ، لكن إذا برز منها شىء عرف مثال ذلك : أنه متى خرج بالنفث شىء من جوهر الرئة لم يعرف ذلك إلا من قد شاهد ذلك الجوهر فى الرئة مرات ، » « ويحتاج إلى العلم بمواضعها فإن من علم موضع الكبد لم يظن إذا رأى وجعاً فى الجانب الأيسر من البطن أنه فى الكبد » ، « ويحتاج إلى العلم بأفعالها ، فإن من علم أن الحس والحركة تكون بالعصب والنخاع والدماغ ، لم يقصد عند بطلانها علاج أعضاء أخر » ، ويحتاج « إلى العلم بأشكالها ، فإنه قد تستدرك من ذلك أيضا العلة بأى عضو هى ، مثال ذلك أن الورم الهلالى الشكل فى الجانب الأيمن مادون الشراسيف[2] يدل على الورم فى الكبد ، إذ شكل الكبد كذلك » ، ويحتاج إلى العلم بأعظامها ، ومثاله أن الحصاة التى تعظم عن مقدار بطون الكلى لا يمكن تولدها فى الكلى » . ومن أبلغ ماذكر الرازى فى هذا المجال قوله : « على الأحشاء ونحوها من الأعضاء المستترة عن البصر أصعب تعرفا لتواريها عن الحس ، والحاجة فى ذلك إلى استدلالات كثيرة »[1] .

ويورد ابن أبى أصيبعة فى كتابه « طبقات الأطباء » كلاما للطبيب المصرى « على بن رضوان » ـ طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله ـ يقول فيه : « تعرف العيوب بأن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تنادى به من بعيد فتختبر بذلك حال سمعه ، وأن تختبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بحمل الثقل والمسك والضبط والمشى ، وأنحاء ذلك مثل أن تنظر مشيه مقبلا ومدبراً ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفّهما ، وتختبر بذلك حال أحشائه . وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط . وتختبر عقله بأن يسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء ... » ، وقد علقت المستشرقة الألمانية « سيجريد هونكه » على ذلك فى كتابه المعروف « شمس العرب تسطع على الغرب » ـ بقولها ، يخيل إلينا ونحن نسمع ما قاله « ابن رضوان » أننا أمام أستاذ فى الطب فى عصرنا الحاضر » .

وحقيقة الأمر أن اهتمام أطباء المسلمين « بالطب السريرى » كان جزءاً من اهتمامهم الأكيد بأهمية المنهج التجريبى فى العلوم الطبية ، حيث يتضح من المؤلفات الطبية العديدة التى وصلتنا من تراث الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبى فى أدق تفاصيله المعروفة لنا حاليا كان هو أسلوب الأطباء فى ممارسة الطب وتعليمه ، ويقسّم مؤرخ العلم المعاصر « جورج سارتون » أطباء المسلمين من هذه الزاوية إلى مجموعتين : الأولى تضم فريق الأطباء الممارسين

(١) د. محمد كامل حسين ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بدون تاريخ النشر)

(٢) الشرسوف : الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن (ج) شراسيف .

الذين اهتموا فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج معتمدين على المشاهدات والملاحظات ، وكانت الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية ، ويمثل هذا الاتجاه أبو بكر الرازى الطبيب الفيلسوف . أما المجموعة الثانية فتضم فريق الأطباء المدرسين الذين درسوا الطب باعتباره جزءاً من المعرفة لا غنى عنه ، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقى ، ولهذا أطلق عليهم الفلاسفة الأطباء ، ويمثلهم ابن سينا . وجلىّ أن كلا الفريقين يتبع المنهج التجريبى ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية .

وكان لهذا الاتجاه التجريبى أثره البالغ فى محاربة الشعوذة وتجار الطب ومكافحة المشعوذين الذين كانوا يدّعون معرفة المرض والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ، ويستعينون على ذلك بإرسال الجواسيس لاستكشاف أخبار مرضاهم البسطاء والتقاط أسرارهم ، حتى إذا جاء هؤلاء المرضى إليهم أسرّوا لهم بما عرفوه مدّعين أن البول فضاح الأسرار .

خامساً : طب النساء والتوليد :

تحققت على أيدى علماء الحضارة الإسلامية اكتشافات رائدة وتجديدات هامة فى مجال « طب النساء والتوليد وطب الأطفال » ، فقد درس « ابن سينا » أحوال العقم ، وعرف أن حالاً منها تنشأ من فقدان الوفاق النفسى والطبيعى بين الزوجين ، ولايكون الإنجاب ممكنا إلا إذا افترق الزوجان العقيمان لهذا السبب ثم تزوج كل واحد منهما زوجاً جديداً .

واهتم ابن سينا وغيره بالأمراض المختلفة التى تصيب النساء خاصة ، وذلك على أساس من علم التشريح والجراحة ودراسة الأعراض التى تطرأ على الصحة ، فتحدثوا عن تشريح الرحم وخصائص الطمث واحتباسه ، كما تحدثوا عن أورام الرحم بشىء من التفصيل ، على نحو مايقول أبو بكر الرازى : « الورم فى الرحم ربما كان فى الرحم كلها ، وربما كان فى فمها ، وقد يكون فى نواحيها ، والعلامات الدالة على الورم على الإطلاق وجع فى المفاصل وحرارة وتمدد وثقل فى الصلب والفخذين والعانة وعسر البول واحتباس البراز » . ويضيف « على بن عباس » مزيدا من الإيضاح عن تكوين ألياف الرحم وإصابتها بالسرطان فيقول : « فمنها ليف ذاهب الطول وهذا الليف أقل ما فيه وليف ذاهب وارباً وليف ذاهب بالعرض .. وحدوث السرطان ربما كان مع تقرح أو من غير تقرح ، فما كان من غير تقرح فيستدل عليه بالوجع الشديد أسفل البطن والعانة . أما إذا كان مع تقرح فتعرض نفس الأعراض السابقة وكثيراً ما يسيل منها رطوبة مائية » . ويقول ابن سينا : « السرطان ورم صلب غير مستوى الشكل متفرع منه كالدوالى يؤلمه اللمس ردىء اللون ويزداد الألم » .

أما فيما يتعلق بالتوليد فقد وضع « على بن عباس » صاحب كتاب « كامل الصناعة » أول نظرية علمية فى التوليد تقضى بأن حركة الرحم المولدة هى التى تدفع بالثمرة إلى الخروج نتيجة لانقباض العضلات . وبهذا يكون « على بن عباس » قد أثبت خطأ نظرية « أبقراط » القديمة عن خروج الجنين بنفسه من رحم أمه نتيجة حركته التلقائية .

ويعترف المنصفون من مؤرخى علوم الطب بفضل

« أبي القاسم الزهراوي » الملقب بأمير الجراحة وفخرها في عصر النهضة الإسلامية ، وذلك لما أسهم في تطوير طرق التوليد وإدخال آلات حديثة وعلاجات جديدة ، فدرس طرق توليد الجنين في حالة تقدم الأرجل على الرأس من باب الرحم ، وفي حالة تقدم الوجه على غيره من الأعضاء . كذلك أوصى أبو بكر الرازي بولادة الحوض ، ولكنها نسبت فيما بعد إلى غيره وعرفت في كتب الطب الحديثة باسم « طريقة فالشر » .

على أن أفضل وصف لوضع الجنين الطبيعي في جوف أمه يعزى إلى ابن القف الذي ذكر في كتابه « العمدة في الجراحة » مانصه : « أما قعوده في جوف أمه فإنه يكون معتمداً بوجهه على رجليه وبراحتيه على ركبتيه وأنفه بين ذلك وساقه على فخذيه وهما على بطنه ووجهه إلى ظهر أمه » .

واهتم أطباء المسلمين كثيراً بطب الأطفال ، وخصوصاً ما يتعلق بالأطفال المولودين لسبعة أشهر والأطفال حديثي الولادة ، من حيث استقبالهم حين الولادة وكيفية تدثيرهم وتغذيتهم ، وأجمعوا على أن رضاعة لبن الأم أفضل طرق التغذية للطفل ، وحذروا من الفطام في الصيف الحار أو الشتاء القارس ، وهي أمور يؤيدها الطب الحديث بعد بحث طويل ، وكتبوا كلاما مفيداً غير مسبوق عن معالجة الأمراض التي تصيب الأطفال كالاسهال والربو والبول في الفراش والتشنجات والحول والحميات وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أن النساء العرب كُنّ يخجلن أن يفحصهن الرجال في أمراضهن الخاصة ، وفي حالات التوليد كان أكثر الأطباء العرب يأبون أن يفحصوا النساء ، فكانوا يعلمون القوابل طرق الفحص وكيف ينقلن المعلومات التي يدل عليها الفحص إلى الأطباء ، فيعرفون بذلك الكثير عن هذه الأمراض . وتشهد المؤلفات التراثية في تاريخ الطب أن « الزهراوي » كان يقف خلف ستار خفيف ويعطي إرشاداته المناسبة للقابلات في الحالات العسرة ، كما تذكر هذه المؤلفات قول الرازي : « إذا رأيت احتباس الطمث فقل للقابلة أن تجس عنق الرحم » . بل إن « الزهراوي » صنف مؤلفاً خاصاً في « تعليم القوابل كيف يعالجن الأجنة الحية إذا خرجت على غير الشكل الطبيعي » .

ومع ما في هذه الطريقة غير المباشرة في علاج النساء من صعوبة فقد استطاع أطباء المسلمين أن يجمعوا معلومات قيمة عن أمراض النساء والقبالة (التوليد » وطب الأطفال ، ودوّنوا في ذلك العديد من المؤلفات القيمة .

يتبع





- ٣ -

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

أنيميا كرات الدم الحمراء كبيرة الحجم (أنيميا الخلايا الضخمة)

تحدثنا فى المقالين السابقين عن ماهية مرض فقر الدم ، وتحدثنا بإسهاب عن أكثر أنواعه شيوعاً بين الأطفال ، وهو فقر الدم الناجم عن نقص عنصر الحديد ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض الوبيل ، بإلقاء الضوء على نوع آخر من فقر الدم ، نتيجة نقص أحد العناصر اللازمة لعملية تكوين كرات الدم الحمراء ، وهى : أنيميا كرات الدم الحمراء ، كبيرة الحجم .

فما المقصود بأنيميا كرات الدم الحمراء الضخمة ؟ : Megaloblastic Anemia .

هى فقر دم ناجم عن نقص حامض الفوليك : Folic Acid أو فيتامين (ب ١٢ B12) Vitamin ، وكلاهما فيتامين ضرورى لتكوين الحامض النووى : (د ن ا) DNA فى خلايا النخاع العظمى ، ولأن تكوين هذا الحامض النووى مهم لنضوج نواة الخلية Nuclear Maturation وتحويل الخلية غير الناضجة لأخرى ناضجة ، يؤدى نقص أى من (الفيتامينين) إلى عدم نضوج نوايا خلايا النخاع العظمى ، ويؤدى هذا إلى حدوث التغيرات الآتية :

(١) تتجمع الخلايا غير الناضجة المكونة لكرات الدم الحمراء Megaloblast فى النخاع العظمى ، وتتميز بأنها كبيرة الحجم Macrocytic وتحتوى على نسبة كبيرة من الهيموجلوبين Hyperchromic على الرغم من توقف نمو ونضوج نواة الخلية ، ومعظم هذه الخلايا يتم تكسرها داخل النخاع العظمى :

(*) الكاتبة : ماجستير فى طب الأطفال .

intramedullary hemolysis

ويؤدى هذا إلى زيادة نسبة (مادة البيليروبين) فى دم الطفل ، وترسُّب مادة (الهيموسيدرين) فى النخاع العظمى .

***

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الخلايا قد يحدث بها بعض النضوج النووى ، وتخرج هذه الخلايا غير مكتملة النضوج - إلى الدَّورة الدموية ، وتتميز بأنها خلايا كبيرة الحجم ، وتحتوى على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وبها بعض بقايا من النواة ، وهذه الخلايا قصيرة العمر - مُقارنة بخلايا الدم الحمراء المكتملة النضوج ، وسرعان ما يتم تكسرها فى طحال الطفل ، ويؤدى هذا أيضاً إلى زيادة نسبة مادة (البيليروبين) فى دم الطفل .

(ب) وقد يحدث أيضاً توقف فى نضوج الخلايا غير الناضجة ، المكونة لكرات الدم البيضاء White blood cells والصفائح الدموية Platelets مما يترتب عليه نقصان فى عدد خلايا الدم البيضاء Granulocytopenia ، والصفائح الدموية Thrombocytopenia .

***

● ونتحدث أولا عن : أنيميا الخلايا الضخمة الناجمة عن نقص حامض الفوليك Folic Acid Deficincy Megaloblastic Anemia

حامض (الفوليك) هو فيتامين قليل الذوبان فى الماء ، متواجد فى الخضروات الخضراء اللون Greem Vegetables وفى الكبد Liver ، وفى الحبوب Cereals ، وفى جوز الهند Nuts وفى الجبن Cheese ويتم تخزينه فى الكبد .

ويحتاج الطفل إلى هذا (الفيتامين) بكمية ضئيلة ، تتراوح بين ٢٠ إلى ٥٠ ميكروجرام يوميا وهو متواجد بكمية كافية فى لبن الأم ، ولبن البقر ، ولكن لبن الماعز لا يحتوى على نسبة كافية من هذا (الفيتامين) لسد حاجة الطفل .

***أسباب نقصان حامض الفوليك :**

١ - قلة نسبة الفيتامين فى غذاء الطفل بحيث لا يفى بحاجته وخير مثال لهذا : الأطفال الذين يتغذون على لبن الماعز Goatmilk ، حيث إن نسبة حامض الفوليك به ضئيلة .

٢ - قلة امتصاص (حامض الفوليك) نتيجة لإصابة الطفل بأحد أمراض سوء الامتصاص Malabsorption Syndromes ، وبخاصة إذا كانت الإصابة فى الجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة .

٣ - قلة المخزون من (الفيتامين) فى كبد الطفل إذا كان الطفل مبتسراً (أى ناقص النمو) ، أو إذا كانت الأم تعانى من نقصان هذا (الفيتامين) أثناء الحمل والرضاعة ، مع عدم إمداد الطفل به ، وأيضاً إذا أصيب الطفل بأحد أمراض الكبد الشديدة والمزمنة مثل مرض تليف الكبد : Liver Cirrhosis .

٤ - زيادة حاجة الطفل (للفيتامين) ، ويحدث هذا إذا كان الطفل مبتسراً ، أو إذا كان يعانى من أحد أنواع فقر الدم ، الناجم عن زيادة معدل تكسر كرات الدم الحمراء : Hemolytic anemia أو إذا كان الطفل يعانى من إصابته بأحد الأورام الخبيثة .

٥ ـ تناول الطفل لبعض العقاقير مثل :

* الأدوية المستخدمة لمنع حدوث التشنجات ، مثل عقار (الإيبانيوتين) ، لأنه يؤدى إلى قلة امتصاص (الفيتامين) عن طريق تقليل نشاط (الإنزيم) الذى يحول الحامض إلى صورة سهلة الامتصاص ، وأيضاً .. يتنافس هذا العقار مع الفيتامين على الاتحاد بـ (البروتين) الخاص الحامل للفيتامين Proteim Carrier فيتحد بهذا (البروتين) بدلاً من الفيتامين .

* بعض الأدوية المستخدمة فى العلاج الكيميائى فى حالة إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة .

٦ ـ عدم قدرة خلايا النخاع العظمى على استخدام الفيتامين فى حالة إصابة الطفل بمرض (الاسقربوط) Scurvy نتيجة لنقص (فيتامين « ج ») أو قلة نشاط الغدة الدرقية Itypothyroidism .

● أعراض المرض :

١ ـ أعراض عامة مثل بهتة الطفل مع سرعة شعوره بالتعب عند بذل أقل مجهود .

٢ ـ قد يُصاب الطفل بالنزف bleeding ، إما تحت الجلد Purpura ، أو من الفتحات : (مثل الأنف أو الفم أو الشرج) ، وذلك نتيجة لقلة عدد الصفائح الدموية .

٣ ـ قد يُصاب الطفل بالالتهابات الحادة المتكررة ، نتيجة لقلة عدد كرات الدم البيضاء .

٤ ـ قد يصفرُّ لون الطفل (الجلد والأغشية المخاطية وبياض العين) ، نتيجة لزيادة نسبة (مادة البيليروبين) ، نظراً لزيادة معدل تكسر خلايا الدم الحمراء .

● تشخيص المرض :

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة :

Complete blood picture (CBC)

ويتجلى فيها الآتى :

* تكون خلايا الدم الحمراء قليلة العدد ، وكبيرة الحجم ومُحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وتظهر بها بقايا من نواة الخلايا .

* تزداد نسبة متوسط حجم خلايا الدم الحمراء Mean Corpuscular Volume (MCV) وأيضا تزداد نسبة متوسط كمية (الهيموجلوبين) فى خلايا الدم الحمراء Mean corpuscular Hemoglbim (MCH) .

* تقل نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ، وهى خلايا الدم الحمراء ، غير مكتملة النضوج ، والتى تسبق مباشرة خلايا الدم الحمراء المكتملة النضوج .

* فى بعض الأحيان قد تقل نسبة كرات الدم البيضاء والصفائح الدموية .

٢ ـ التحاليل الكيميائية بالدم : Blood Chemistry

* تقل نسبة (حامض الفوليك) فى مصل الطفل ، وفى خلايا الدم الحمراء

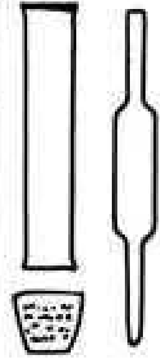
* نتيجة لزيادة معدل تكسر كرات الدم الحمراء وقد تزداد نسبة (مادة البيليروبين) غير المباشرة indirect bilirubin وأيضا نسبة الحديد iron فى مصل الطفل .

٣ ـ القيام بعمل بذل للنخاع العظمى Bone Marrow Aspiration .

البقية ص ١٥٤١

«ويخلق ما لا تعلمون...»





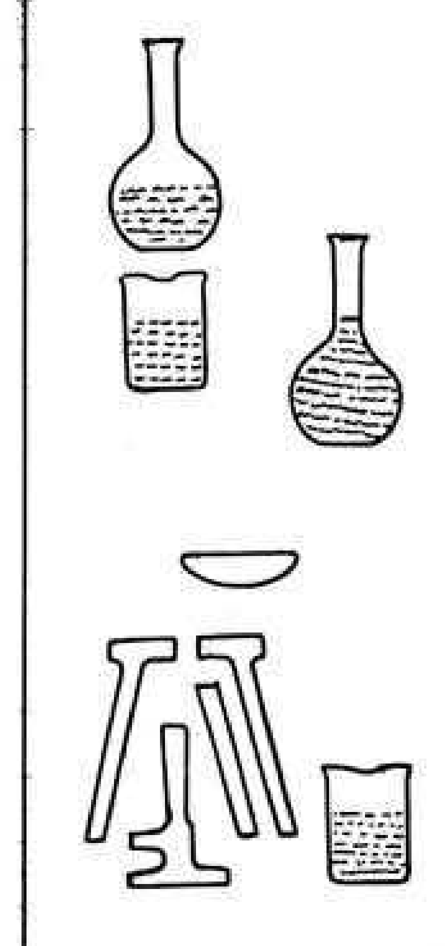
إعداد د/ محمود السيد أحمد

(١) الهندسة الوراثية لإنتاج خيوط العنكبوت

نجح فريق من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية في نقل المورثات «الجينات» المسؤولة عن إنتاج خيوط العنكبوت إلى بعض سلالات البكتريا حيث تتولى التكاثر وإنتاج بروتين نسيج العنكبوت ، بدون الحاجة إلى العنكبوت نفسه . وتتميز هذه الخيوط بأنها أقوى من حرير دود القز وأصلب من الفولاذ . ويُتوقع أن تستعمل الخيوط الجديدة في صنع «السترات» الواقية من الرصاص وحبال المظلات والخيم بل وربما الألياف البصرية .

(٢) جزيء تركيبي جديد يوقف تكاثر فيروس الإنفلونزا

أعلن فريق أبحاث أسترالي أنه نجح في تركيب جزيء بسيط من البروتينات السكرية يوقف تكاثر فيروس «الإنفلونزا» في فأر المختبر مما يخفف من حدة الإصابة ، وذلك بعد عدة سنوات قضاها الفريق في دراسة بنية فيروس الإنفلونزا ، وهو مايشكل خطوة إلى الأمام على طريق معالجة



(*) باحثة بالمركز القومي للبحوث .

«الإنفلونزا» عند الإنسان . والبنية الجزيئية للبروتين الذى يوجد على سطح فيروس الإنفلونزا على شكل تجويف جيبى تبقى ثابتة بينما يتغير الخيط الجزيئى للبروتين من سلالة من الفيروس إلى أخرى ، والجزىء الجديد يستطيع أن يتداخل ويلتصق بالبروتين على سطح الفيروس ، ويعرقل التصاقه بالخلايا المضيفة التى تغطى سطح القناة التنفسية ويوقف تكاثر فيروس «الإنفلونزا» بينما تتعامل الاستجابة المناعية الطبيعية مع العدوى للتخفيف منها .

(٣)«تكنولوجيا» جديدة لتحسين العديد من الأنظمة البصرية .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة العدسات العينية عدسة جديدة تزرع للمرضى الذين أزيلت عدسات عيونهم الطبيعية وتمكنهم من أن يركزوا بصرهم على الأشياء القريبة والبعيدة كما لو كانوا يضعون عدسات مزدوجة البؤرة ، فى حين أن العدسات البلاستيكية التى تزرع عادة لا تركز إلا على الأشياء البعيدة مما يضطر المريض إلى استعمال النظارات لرؤية الأشياء القريبة ، حيث قامت الشركة بتجنب ذلك بتغطية نصف العدسة المعدة للزرع بسلسلة من الحروف المتدرجة والتى لايزيد ارتفاعها عن ٢ ميكرومتر وتنضم هذه البنية إلى قوة الانكسار الخاصة بالعدسة لتركيز الضوء الآتى من الأجسام على الشبكية ، أما المناطق الأخرى غير المغطاه من العدسة فتركز الضوء الآتى من الأجسام البعيدة .

(٤) أصغر «مرشح» لتنقية الماء .

قامت إحدى الشركات الإنجليزية بتصميم وإنتاج جهاز ترشيح «فلتر» بسيط يسهل حمله إلى أى مكان لمعالجة المياه الملوثة بإزالة الطفيليات والبكتريا والفيروسات خلال أقل من أربع دقائق . يزن «الفلتر» الجديد حوالى نصف كيلو جرام وقطره ٩ سنتميرات وارتفاعه ١٨ سنتيمتر ، ومصنوع من مواد بلاستيكية تتحمل الضغط الشديد ، ويمر الماء عبر ثلاث مراحل تصفية ومرحلتين للتعقيم ، مما ينتج عنه ماء نقى لا لون له ولا رائحة ، حيث يتم فصل المواد الصلبة أولا ثم إزالة المواد العضوية والروائح وتحسين الطعم بواسطة مصفاه مشربة بالفضة ، منشطة بالكربون وبعد هذه المعالجة الجزئية يمر الماء فى مركب من الرانتج والأيودين معدّ خصيصا للتطهير وبذلك نحصل على مياه نظيفة ومعقمة .

(٥) الصحف القديمة لتخضير الأرض .

ابتكرت شركة أسترالية طريقة جديدة لتخضير المساحات الصناعية المهملة مثل المحاجر أو المساحات المحيطة بالمصانع ، تقوم هذه الطريقة على استعمال الخليط الناتج عن عجين أوراق الصحف القديمة بالماء ومزيج من الأسمدة وبذور النبات ، ثم نشر هذا الخليط السائل على الأراضى المذكورة باستعمال صهاريج رشاشة .

(٦) تربة صناعية جديدة لاستعادة خصوبة الأراضى الزراعية .

اكتشف مجموعة من العلماء فى أحد مراكز الأبحاث الروسية طريقة جديدة فعالة وبسيطة لحل مشكلة إرهاق التربة من جراء كثرة الزراعة وعدم اكتمال الدورة الطبيعية للمـ . المغذية للنبات ، وترتكز هذه "شريـ: عا خلط الفحم الحجرى البنى مع كائنات عضوية أنتجوها باستعمال تقنيات الهندسة الوراثية فى خزان فولازى مملوء

بالماء ؛ ليسرعوا من عملية التحلل ، إذ أن هذا المحلول يتحول بعد ست ساعات تقريبا إلى مادة سائلة لزجة داكنة اللون تعرف باسم «التربة السوداء» وتتميز بخصوبتها الشديدة وتسرع فى نمو النباتات وتزيد من كمية المحصول .

(٧) اكتشاف منابع راديوية متزاوجة .

عثر علماء الفلك فى استراليا على منبعين راديويّين نابضين يدوران بسرعة كبيرة حول نفسيهما فى حشد نجمى عملاق واحد ، وكل منهما فى مدار حول نجم خاص به ، ويؤكد هذان الاكتشافان النظريات القائلة بأن المنابع الراديوية النابضة تدور حول نفسها بهذه السرعة نتيجة لتأثير عمل النجوم المرافقة ، وأن حالة هذين النجمين المتزاوجين لابد وأن تكون أكثر شيوعا فى الحشود النجمية ، وهذا ناجم عن أن الاحتمال الأكبر للنجم المفرد هو أن يمر على مسافة قريبة جدا من نجم آخر فينتهيان إلى أن يصبحا نجمين متزاوجين .

(٨) حاسب آلى يقرأ ويكتب خط اليد

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا حاسب آلى جديد يقدم خدمات غير معتادة ، والجهاز بحجم الكتاب وبدلا من لوحة المفاتيح والفأر الإليكترونى ، هناك شاشة بلورات سائلة كبيرة وقلم إلكترونى صغير ويستطيع الشخص أن يكتب مباشرة على الشاشة الزجاجية مثل الكتابة على الورق وتتحول الكتابة فورا إلى أحرف تظهر داخل الشاشة ، ويتميز هذا الجهاز ببساطة القلم وقوة الحاسوب مع إمكانية التنقل به واستخدامه أينما كان .

(٩) أجهزة راديو جديدة مرئية .

بدأت بعض الشركات اليابانية للإلكترونيات فى إنتاج أجهزة راديو مرئية يمكن مشاهدتها والاستماع إليها فى نفس الوقت ، فهى مزودة بشاشة لاستقبال الإرسال المرئى على موجات « FM » لبث معلومات مكتوبة على قناة فرعية مع الصوت . والراديو الجديد صغير فى حجم كف اليد وسيكون بديلا للجريدة لراكبى السيارات والقطارات ويمكن استخدامه فى استدعاء الكثير من المعلومات المطلوبة عن الطقس والمرور والأخبار والبرامج المتنوعة .

بقية صـــ ١٥٣٨

ويتجلى فيه الآتى :

* يكون النخاع العظمى كثير الخلايا Hypercellular وتكون الخلايا المكونة لكرات الدم الحمراء Megaloblast ، كبيرة الحجم ومحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وأيضا يزداد حجم (سيتوبلازم) الخلية ، وتكون النواة غير ناضجة ، مقارنة بالنضوج (السيتوبرومى) .

● **علاج المرض :**

١ ـ يتم هذا بإعطاء الطفل حامض الفوليك (٢ ـ ٥ مليجرام) يوميا ، عن طريق الحقن لمدة ثلاثة أيام ، ثم يستأنف العلاج عن طريق الفم (حوالى ٥٠ ميكروجرام) يوميا لمد (٣ ـ ٤ أسابيع) .

٢ ـ فى حالات فقر الدم الشديد قد يحتاج الطفل إلى نقل دم إليه .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية في تاريخها

الجزء الأخير

أ. د/ توفيق محمد شاهين

المعاجم والقواعد والأصوات فى العربية :

بعض الباحثات فى الحقل اللغوى تعتقد : « أن الأمة العربية أول من عنى بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يسبقها – بحسب اعتقادها – إلى مثل هذا النوع من التأليف اللغوى إلا ما ظهر مؤخراً من ألواح المعاجم وجدت فى مدينة (إيبلا) السورية ، والتى يقال فيها : إنها معاجمٌ ، وأنها معاجم ثنائية الأصول ، تعود إلى إسماعيل جد العرب – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – ويبدو أن اليونان أخذوا عن العرب هذا النوع من التأليف »(1) .

فقد أرجعت نشأة تأليف المعاجم العربية إلى مرتبة تالية لمكتشفات (إيبلا) ، والتى قيل : إنها معاجم سامية وثنائية الأصول ، وأرجعتها إلى عهد جدنا إسماعيل – صلى الله عليه وسلم – وظنوا أن اليونان عرفت المعاجم عن العرب .. وهذه ظنون فى الواقع ما زالت بحاجة إلى أدلة .. وما كتب عن المعاجم العربية خاصة واللغوية عامة يجعلنا مترددين فى قبول هذا القول على علاته بغير سند أو دليل .

وإن كنت أميل إلى تأييد ثنائية الأصول فى هذه الفصيلة اللغوية السامية ، لما لمسته إبان بحثى ومعايشتى فى هذا الجانب ، وأكثر من ذلك وجدت أن للحرف قيمة تعبيرية ، كما فى الجدول الفينيقى الذى تحدث عنه الشيخ عبدالله العلايلى فى مقدمته(2) .

---

(1) علم المفردات فى إرثنا اللغوى ، للدكتورة نشأة محمد رضا ظبيان ص ٩٩ .

(2) أنظر كتابنا (أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية) مكتبة وهبة – القاهرة .

ولا ينكر أحد أن اكتشاف (اللغة الأوغاريتية) وكتاباتها ، وفك رموزها في نصف القرن الماضي أدى بالعلماء إلى إعادة النظر في كل ما قاموا به من دراسات عن الجزيرة العربية ولغاتها .

كما عرفوا بعض مراحل من تاريخ تطور الكتابة المسمارية المقطعية وأبجديتها ، وصوتياتها ، والصلات الكبيرة بينها وبين لغات الجزيرة العربية - الجنوبية (المعينية والسبئية) ، فأزالت غموضاً كان يخيم على الصلات اللغوية في الشمال والجنوب .

ويذكر الدكتور جواد علي : أن الفضل في اكتشاف ألواح (الأوغاريتية) في الربع الأول من هذا القرن يرجع إلى العالم M. Claude Schaeffer وقد وجد على هذه الألواح الأبجدية المسمارية بكاملها مدونة بخط جلي واضح[3] وعند قراءتها تبين أنها تتألف من ثلاثين رمزاً صوتياً ، لكل صوت صحيح في اللغة رمز مستقل واضح[3] ، لا ترافقه حركة كما كان الأمر في المسمارية المقطعية ، فيما عدا صوت الهمزة الذي بقي كما كان في المسمارية المقطعية بثلاث صور مع حركة تلحقها : هي الفتحة والضمة والكسرة .

ويرى الدكتور (س. جوردون) في كتابه : (قواعد الأوغاريتية) ، كما نقلته عنه الدكتورة باكزة حلمي : أن الأوغاريتية تشترك - أيضاً - مع العربية القديمة والحديثة في أمور كثيرة ، مثل : الأصوات الصحيحة ، واللينة ، وكذلك القواعد ، مما يدل على قوة الصلة بين الأوغاريتية والعربية أكثر من غيرهما من لغات الجزيرة ، تتمثل فيما يلي :

١ - أبجديتهما تحتوي على الأصوات الصحيحة الموجودة اليوم في العربية ، بما في ذلك حرفي (الضاد ، والظاء) اللذين تفتقر إليهما معظم لغات الجزيرة العربية . وعدد الأصوات الصحيحة واحدة فيهما ومتماثلة ، وكذلك الأبجديات للغات الأخرى فتتألف من اثنين وعشرين حرفاً .

٢ - وأصوات الحركة واللين (الألف ، والواو ، والياء) ، يضاف إليها الرموز الحركية ، أو أنصاف هذه الحركات - كما يعبر ابن جني - في اللغتين واحدة .

٣ - وكما اتفقت اللغتان في الأبجدية واللفظ اتفقتا في النطق كذلك بخلاف اللغات الأخرى حيث اتسعت مسافة الخلف فيما بينها وبين العربية .

٤ - واشتركتا كذلك في الإعراب بالحروف والحركات ، بينما اختفت ظاهرة الإعراب في اللغات الأخرى أو لغات المرحلة الثانية (العبرية والآرامية) وإن بقي من الظاهرة شيء لا يذكر .

واشتركت الأوغاريتية والعربية كذلك في تقسيم الاسم إلى مفرد ومثنى وجمع ، وعلامات الجمع والتثنية ، سوى أن النون في الأوغاريتية تقلب إلى (الميم) .

بينما تنعدم التثنية في لغات المرحلة الثانية .

٥ - وقواعد الاشتقاق والتصريف تكاد تكون واحدة فيهما[4] .

ومعنى هذا أن الأوغاريتية تعد أقرب اللغات إلى العربية القديمة والحديثة ، وأقوى صلة بها ،

---

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٠٦/١ .

(٤) قواعد الأوغاريتية - د. جوردون - ص ٣ - ٥ .

للتشابه القوى والذى يقرب أن يكون تاماً بينهما .

وإذا كانت الأوغاريتية أقدم تاريخاً ـ أيضاً ـ فإن العربية قديمة ضاربة فى أعماق التاريخ أكثر من غيرها من لغات الجزيرة العربية .

وتدل الدراسات اللغوية على أن هناك لغات أخرى فى الجنوب (اليمن) ، والغرب (نجد والحجاز) عاصرت البابلية والأشورية فى الشرق ، والأوغاريتية فى الشمال الغربى (رأس شمرا) .

ومع أهمية لغات الجنوب والغرب ، إلا أن الحفريات لم تسفر للآن عن مراحل تطور تدوينها ، حتى يمكن إرجاعها إلى تاريخ بدء التدوين بلغات الجزيرة ، أى الألف الثالث ق.م ولم توضح ملامح الكتابة فى جنوب الجزيرة وغربها .

أما دراسة لغات جنوب الجزيرة العربية وغربها ، فلم يكشف النقاب عنها إلا فى أواخر القـرن الماضى ، حيث توالت الكشوفـات والدراسات التى أماطت اللثام ، وحلت الرموز التى عثر عليها ، فتم للعلماء معرفة كبيرة أكيدة بمعرفة مراحل اللغة العربية ، وشقيقاتها الحية والمندثرة ، وتكاملت الدراسات بالمقارنة لتثبت الملامح والصلات وتكشف المجهول . وعرف العلماء بذلك قواعد لغات الجزيرة العربية كلها : الحية والمندثرة على السواء .

فقد عثر المستشرق الفرنسى (هاليفى) على ستمائة وخمسة وستين نقشاً مكتوباً بخط المسند ـ ولم يعرفه العلماء قبل ذلك ـ فحل رموزها ونشرها فيما بين سنتى (١٨٦٩ ـ ١٨٧١)

وتابع العلماء الكشوف بعد (هاليفى)، ، ودرسوا قواعد ما عثروا عليه ، وأجروا مقارنات أفادت البحوث اللغوية كثيراً .

فوضع المستشرق (إينوليتمان) أينوليتامـان دراسة موجزة لقواعد الصفوية ، والثمودية ، من لغات غرب وشمال الجزيرة العربية .

ثم وضع الأستاذ اغناطيوس جويدى سنة ١٩٣٠م كتاباً مختصراً بالعربية فى قواعد لغات الجزيرة العربية الجنوبية (لغة حمير) .

وأعاد (إينوليتمان) نشر بحوثه ودراساته مفصلة سنة ١٩٤٠م .

وقامت تلميذته (ماريا هوفنر Maria Hofner) بدراسة قواعد اللغة العربية الجنوبية سنـة ١٩٤٣م .

وتبع هؤلاء باحثون فى هذا الجانب أيضاً ، مثـل : العـالم (كلازر) و (هومـــل) و (روسى) وأخيراً محمد توفيق ، والدكتور خليل يحيى نامى من كلية آداب القاهرة .

ومن هذه الدراسات : (أصبح لدى العلماء تاريخ كامل للغة العربية بمراحلها الثلاث ، منذ أقدم عهد لهذه الأسرة اللغوية حتى الآن بغير انقطاع أو ثغرة ، واستفادت منها دراسة البحوث المقارنة لهذه المنطقة كلها ما هى إلا « لهجات لغة واحدة » . تفرعت عنها وانتشرت فى أنحاء الجزيرة وأطرافها ، لتكون بدورها لغات مستقلة ، انفـردت كل منها باسم خاص عرفت به ، وخصائص لغوية جديدة ميزتها عن أخواتها عبر الزمن)(٥) .

(٥) مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٢٤ سنة ١٣٩٤ هـ .

والعربية تنتمى إلى أسرة الساميات ، وتدخل فيها المجموعة الأكادية ، التى كانت فى العراق القديم . ويدخل فيها أيضاً المجموعة الكنعانية التى تضم الأجريتية والفينيقية والعبرية ، وكذلك اللهجات الآرامية المختلفة ، التى سادت العراق والشام فى الجاهلية .

ويدخل كذلك فى إطار اللغات السامية عدد من اللغات فى الحبشة .

والعربية التى نعرفها اليوم هى العربية الشمالية ، وهى لغة متميزة عن العربية الجنوبية ، التى حملت لنا حضارة اليمن القديمة ، كما يرى الدكتور محمود فهمى حجازى وغيره من علماء أصول اللغة قديماً وحديثاً(٦) .

وتكون العربية الشمالية والعربية الجنوبية ، واللغات السامية فى الحبشة : الفرع الجنوبى ، من أسرة اللغات السامية .

ويحاول المتخصصون فى اللغات السامية منذ القرن الماضى ـ إعادة تكوين اللغة السامية الأم ، أو السامية الأولى ، التى يفترض أنها كانت الأصل المشترك ، الذى خرجت عنه اللغات السامية المختلفة .

والأمر كذلك بالنسبة لفرع اللغات الهندية الأوربية ، إذا حاول بعض الباحثين إعادة تكوين هذه اللغة الأولى ، والتى يفترض أنها سبقت ـ كما يرى بعض العلماء ـ فى الوجود كل لغات هذه الأسرة اللغوية .

وجاءت كل الافتراضات ظنوناً فى الواقع ؛ لأن البحث ـ مع وصوله إلى مرحلة مبكرة فى التاريخ اللغوى للإنسانية ـ لم يقم على واقع مدون ، أو بمنهج علمى يقينى . ومن ثم توقفت الأبحاث فى المراحل التى ندرت فيها النقوش أو انعدمت ؛ لأن علم اللغة يبدأ حيث يوجد نقش قديم أو نص مدون فقط . وليس من الممكن أن يمضى الباحث فى تاريخه للأسرة اللغوية إلى المراحل السابقة على تدوين أقدم النقوش المكتوبة : فنشأة اللغة تخرج تماماً عن مجال البحث فى اللغة . وعلم اللغة يشبه فى هذا الصدد علم التاريخ ، فى أن كليهما يبدأ من أقدم الكتابات والنقوش ، تاركاً لعلم ما قبل التاريخ بحث المراحل السابقة على الكتابة .

وعن أقدمية العربية بين أخواتها الساميات ، بعد دراسات طويلة ومستفيضة ، تقول الدكتورة باكزة حلمى : « دلت الدراسات التى أجريت حتى الآن فى قواعد لغات الجزيرة الجنوبية على أنها تمثل أقدم صور اللغة العربية الحديثة .

ودلت على أن المعينية ـ التى تعد من أقدم تلك اللغات ـ هى أيضاً أكثرها صلة بأقدم لغة عرفت فى التاريخ من أسرة « لغات الجزيرة العربية ـ العربية » كما تفضل الدكتورة تسميتها البابلية الأولى ؛ فقد كانت معاصرة لها أو أقدم منها على الأغلب .

وتعلل الدكتورة ذلك ؛ بأن البابلية ـ التى تعد بإجماع آراء علماء اللغة ـ إحدى أهم لغات هذه الأسرة وأقدمها ، انتقلت من موطنها الأول فى جنوب الجزيرة قبل بدء التدوين ، وحملت معها بلا شك تلك الصفات اللغوية التى رأيناها تشترك

---

(٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ١٦ ـ ١٨ بتصرف .

فيها مع المعينية العربية ، بل وتنفرد معها بكثير من تلك الصفات دون سائر لغات الأسرة الأخرى : الأمر الذى يدل على أنهما كانتا فى مرحلة واحدة من التطور حين افتراقهما .

وقد اندثرت البابلية قبل نهاية هذه المرحلة لتحل محلها لغات أخرى من الأسرة نفسها .

أما المعينية : فقد استمرت مع لهجات الجنوب الأخرى ، حية متطورة إلى جانب لهجات العربية الشمالية ، لتدخلا مرحلة جديدة من التاريخ بلهجات عربية الجاهلية الأولى ، ثم لتتبلور من بينها لغة متكاملة فصحى هى لغة التنزيل ، وأخيراً لتستقر فى هذه اللغة العربية الفصحى الحديثة العامة ، وفى هذه اللهجات المحلية التى لا حصر لها ، والتى تعود كل منها إلى إحدى اللغات القديمة التى اندثرت أسماؤها وبقيت حية فى لغات اليوم بأسماء جديدة[7] .

وبعد :

فإنه من العجيب والغريب ، أن يعتنى المستشرقون وتلاميذهم فى البحث عن تاريخنا القديم ، والتنقيب عنه فى أماكنه المظنونة ، ثم حل رموزه ، والعناية بطبعه ونشره ، ثم تدريسه بعدئذ فى معاهدهم ومعاهدنا العلمية حين يدعون أساتذة زائرين ومحاضرين .. بينما نظل نحن أبناء العروبة عازفين عن دراسة وبحث وطبع هذه الجوانب الأكاديمية الحضارية .. فلعل إثارتنا لهذا الموضوع تثير شاكلة انتباه عند أبناء العروبة بالذات : علمائهم وحكامهم ؛ لأن الأمر يخصنا ويشرفنا فى المقام الأول .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(٧) مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد/ ٢٤ سنة ١٣٩٤هـ ص ١٨٩



بقلم الأستاذ/
عادل فاعى خفاجة

الشعر «ب»

تناولنا فى الأعداد السابقة الأثر العربى فى اللغة والأدب السواحيلى ، ورأينا الكثير من الألفاظ العربية التى دخلت السواحيلية فى أكثر من مجال .

كما ذكرنا أسماء عديدة لقصائد إسلامية يذخر بها الأدب السواحيلى ، وقدمنا نماذج منها ، كما أوضحنا أن أطول قصيدة ظهرت فى الأدب السواحيلى هى : قصيدة بعنوان : « محمد ﷺ » وتزيد أبياتها على ستة آلاف بيت .

وفى هذا العدد نشير — بعون الله — إلى تلك القصائد التى تتناول الموضوعات الاجتماعية بصفة عامة وسوف نلاحظ أن الاسلام كان إماما مقدما فى علاج هذه الموضوعات .

من فحول الشعراء السواحيليين الشاعر « موياكا بن حاجى » وهو شاعر كينى عاش فى « ممباسا » فى الفترة ما بين النصف الثانى من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر . ونقدم له نموذجين : الأول موجه إلى حاكم مستبد — كما يرى الشاعر — والثانى يخاطب فيه ابنه .

أما الأول بعنوان : من بنى بيتا لا يبيت فيه .

يروى أن حاكما لمدينة « لامو » شرع فى بناء حائط للمدينة لكى يحتمى من هجمات أهل « ممباسا » ولكن الشاعر من أهل ممباسا يرسل إليه رسالة تفيد أن الأسوار لا تحمى الحاكم الظالم .

من هذه القصيدة نقدم ترجمة لبعض أبياتها .

يقول الشاعر :

كم من الحوادث مضت وانقضت
خبرناها كبيرها وصغيرها
فأين كنتم ؟ ولم وتظاهرتم بالإقدام
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

***

لو كنتم تعلمون لأدركتم ذلك
ولما سئمتم وتجنبتمونا تجنب الداء
فالخالق هو الخالق ، وهذا أمر لا ينسى
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

***

أى أمر يصيبك أيها المخلوق حتى تتعظ
إلى متى تصر على السير فى طريق الضلال
كفاك عناداً واترك قسوة الفؤاد
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

فلتنظر أني لست بجوارك فيما يصيبك ، وكذلك أنت

فالتمس آخرين يسعفونك

واحذر الندامة التي تأتي فيما بعد

من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

والقصيدة تفيض ألما واستنكارا لوقوع الظلم عليه من بنى جلدته ، وفيها تحذير لكل ظالم ، كما تحمل دعوة لتأمل نتائج هذه البغضاء التي جعلت كلا من الحاكم والشاعر بعيدا عن الآخر ، وفي نهاية قصيدته يقول : « لن تسلَّ تهديداتكم إلى قلبي » ، « فتصيبه بالمرض » .

إن الشاعر وهو يتناول موضوعا اجتماعيا كهذا ينظر إلى الدنيا نظرة لا تخلو من تأمل ، فهو من خلال ترديده المستمر لعبارة « من بنى بيتا لا يبيت فيه بل يبيت خارجه » يريد أن يؤكد أن الدنيا بأسرها ليست بيتاً نبيت فيه بل نبيت خارجه ، وعلينا أن نترابط ونتحابّ ؛ لنظفر بما هو أبقى .

وكأنه يدعوه ألا يكون قصير النظر ، وأن عليه أن ينظر إلى ما بعد هذه الحياة إلى الآخرة التي هي خير وأبقى ، فالسور الذي بناه لن يمنعه من الخروج من هذه الدنيا ، ولابد أن يأتي يوم يبيت خارجه .

النموذج الثاني : « ليس هنـــاك ما هو مستحيل » .

يعتزم الشاعر الرحيل — لما ضاق به العيش — إلى أرض أكثر رخاء ، وهو لا يستطيع أن يخفي مشاعر الخوف من السفر باستخدام ذلك الزورق البدائي المصنوع من أخشاب تضمها الحبال ، أو الخوف من هياج البحر ، إلا أنه يتسلح بإيمان قوي بالله الرزاق ، ويقرر ألا يتراجع ، ويطلب من ابنه الدعاء .

يقول الشاعر :

وداعا ولدى وداعا

فإنني عزمت ركوب الرياح الجنوبية

ولو كان البحر هائجا ، سأعتمد على الرزاق

إن مع العسر يسرا ، وليس هناك مستحيل

***

أسأل الله المجيب ياولدى

أن يعطينا ما نرجوه

أسأل من لا يعجزه عطاء أن يمنحنا القوت

ويرفع عنا الذل ، فليس هناك مستحيل

***

أسأله أن يرفع الذل عن عباده المكروبين

فلا نعاني جور الفقر

وتنعم القلوب بالسكينة وتنجو من الشهوات

كل شيء بيد الله ، ليس هناك مستحيل

والملاحظ أن هذه القصيدة وإن كانت لم تنظم لغرض ديني إلا أنها تقطر إيمانا ، وتشف عن يقين كبير .

أما أمير شعراء السواحيليين « شعبـــان روبرت » فيرى أن اللون الأسود للإفريقيين إنما هو هبة من الله الوهاب ، وزينة من الله وليس دليل ذنب أو نقصان ، فالله الخالق جعل في السماء مصابيح وجعل في الأرض الأبيض والأسود والأحمر ؛ لتعلو وتتجلى كلمة الله في السماء والأرض يقول في تلك القصيدة التي سماها « ألواننا » Rangi Zetu :

إن الله زين السمـــاء بالنجـــوم

وزيَّـــن الـــورود والزهـــور

فالألــوان من عظمــة الخالــق
وليــت دليــل مــرارة
وليـــت ذنبــا
أو علامــــة نقصان
الألــوان هبــة الله
الخالـــق ذى الكمــال
***

فالله زيّـــن السمــاء
والمخلوقــات والأمم
وكل صنعتــــه
تم بحكمــة ومعرفــة
يــدل العــالمين
بعض يموت وبــعض يولــد
فالألــوان منــة الله
وليــت دليــل مهــانة

***

وفى قصيدة أخرى يتوجه الشاعر إلى ابنته يوصيها بالصلاة ، لأنها ستبقى لها ذخراً بعد أن تفنى الدنيا ، ويوصيها بطاعة زوجها ، لأن طاعته واجبة .

وتموت زوجته الأولى « أمينة » فيرثيها بقصيدة تحمل اسمها ، يقول فيها :

أمينة ، لقد وقع الاختيار عليك لترحلى
ياحبيبتى الغالية ، لتكن الجنة مثواك
فالحب الذى ربط بيننا
لا يفصمه شىء

إلى جانب ذلك نجد الكثير ممن ينظمون الشعر باللغة العربية مثل الشيخ صالح محمد سيد إمام مسجد الرياض بمدينة « لامو ــ كينيا » الذى يقول قصيدة[1] يحيى فيها الأزهر ويثنى على دورة الأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف يقول فيها :

قل لمن بالأسفار يطوى الرحابــا
حط بالأزهــر الشريــف الركابــا
واغتنم فى « مصر العروبة » علماً
فهــى بالعلــم فاقت الأترابــا
كعبة المجد فى ثراها وأضحى الــ
مجد من برجها يباهــى السحابــا

وللشيخ أويس محمد البراوى[1] قصيدة بعنوان « حادية الأنام إلى قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام » يقول فى مطلعها :

إذا ما شئت تيسير المراد
فصلّ على رسولك خير هادى
وقــل متحــدا فى كل ناد
صلاة الله ما نادى المنــادى
على المختار مولانا الحمّاد

حبيــب الله أفضل من ترقى
وقبره فاق كرسيــا ومرقــى

(١) يمكن الرجوع إلى نص القصيدة بمجلة الأزهر ــ عدد رجب ١٤١٥ هـ ص ٩٥٨ .

وكل مواضع الخيرات صدقـــا
يفوح المسك والـــريحان حقـــا
لقبر محمد نور الفؤاد

ويختم قصديته بقوله :

ورحمتـــا ونعمتـــا وبشرى
وعصمتـا بذى الدنيا وأخـرى
وتسليم عليـــــه يفك عسرا
وخص الآل والأصحـــاب طرا
مع الأتباع ما نادى المنادى .

هكذا يبدو الأثر الإسلامى والعربى فى الأدب السواحيلى ، ومعه يفيض حب غامر للغة العربية والإسلام ، ويعتبر هذا الأدب « من أصدق مصادر التاريخ إذا عرفنا كيف نقرؤه ونفهمه وندرسه على ضوء مناهج البحث العلمى ، فهو يصور لنا حياة الأفراد والجماعات فى أزمنتها المختلفة ، وهو بهذا ييسر لنا الموازنة والمقارنة واستخلاص ما يجمع بين الناس من صلة ، وما يفصل بينهم من فروق[٣] » .

وبعد ، فإن هذه المعمورة لم تُعْرَف منطقة منها لم تتعرض لتأثيرات بين جيرانها أو من غزاة اقتحموها ، فتأخذ وتعطى ، وتطور فيما أخذت ، وتترك ما لا يتناسب مع قيمها وأعرافها ، ومع مرور الزمان يصبح ما أخذته أو طورته قليلا لا يثير انتباها إلا إذا كان له صلة بالعقيدة فإنه يبقى ويرسخ .

ومنطقة شرق إفريقيا تعرضت لتأثيرات ، ولكن ما أخذته ــ عن اقتناع ــ كان عقيدة صحيحة غراء ، رضوها لأنفسهم دينا وأبى المُتَنصّرون ذلك ، فشنوا حربا على ذلك الأثر العربى الذى يحتضنه هذا الدين ؛ ليهدموا ركنا هاما للإسلام فى نفوس الإفريقيين وهو هدف بعيد المنال .

وإذا كان ذلك هو ما يفعله المتصرون ، فعلى العرب أن يمدوا أيديهم لإخوانهم فى إفريقيا ، فيتعاونوا جميعا على دراسة المخطوطات والتراث العربى الإسلامى الموجود فى شرق إفريقيا ، حتى يعود التقارب الفكرى والوجدانى إلى جذوره فتلتحم الأمشاج ويقوى الترابط ، فتصل ما انفصم من عُرى ثقافية وتجارية .

وليس ذلك على الله بعيد .

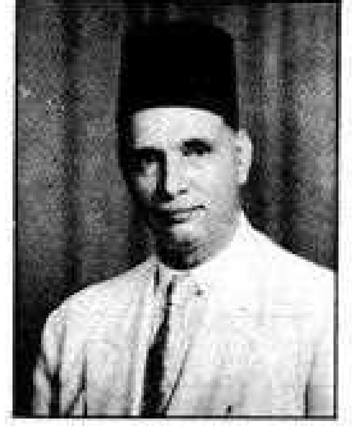
---

(٢) أحد شعراء (برتوة) بالصومال .

(٣) راجع د. السيد تقى الدين : الأدب ماهية وفائدة ص ٣٠ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ــ القاهرة ١٩٨٤م .







★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

في بدائعه وروائعه، وذكرى حياته

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

مازال أدب الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ بحاجة إلى بحوث ضافية، ومقالات طوال .. لتبرز بدائعه، وتظهر روائعه ..

ولزام على من يتصدى للكتابة عنه ، أن يتغلغل في ثنايا شخصيته، بعد أن تغاضى جُلُّ نُقاد ومؤرخي الأدب عن مكانه ومكانته بين أدبائنا الكبار المعاصرين، لسبب أو لآخر .

وفي حوار لي مع فضيلة الدكتور علي الخطيب، عن الميزة التي يتفرد بها الدكتور عبدالوهاب عزام ،عن سواه من الأفذاذ ،ذكر فضيلته أن عزاما ،هو الأديب الكبير الوحيد بينهم ،الذي استقى العلوم العربية والشرعية من الأزهر .. استقاها بطريقة منظمة في دراسته به لفترة طويلة .. حاز بعدها أرق الإجازات العلمية، ولم يحد بعد ذلك قيد أنملة عن سواء السبيل ، في كل ما أبدع من آثار قلمية .. في إطار الفضيلة والأصالة ، والنهج المستقيم .

ومن ثمَّ كان الدكتور عزام في صفائه الدائم ، كشجرة السرو .. لكنه زاد عليها بكونه مثمراً دائما رائع العطاء في سموق وصفاء .

وقد أشرنا فى مقالنا عنه بالعدد الماضى ، إلى قصيدة (إقبال) الرائعة، التى نظمها وهو يزور مسجد قرطبة، ونضيف اليوم أن عزاما ــ رحمه الله ــ قد قام بترجمة هذه القصيدة ــ شعرا ــ إلى العربية ، وقدم للترجمة بقوله : « نظر إقبال إلى مسجد قرطبة، فلم يصف بناءه ولكن وصف الإيمان والعشق والجهاد، وغيرها من المعانى التى حملها المسلمون فى أرجاء العالم، وأقامت هذا البناء الخالد »

ثم يستهل عزام الترجمة الشعرية بقوله :

أمسجــــد قرطبـــــة للوجـــــودْ ... من الـعشق جئت فـــلت الخلـــودْ

سواء .. نشيــــد ونــــقش ونحت ... بديع الفنون : دمـــاء الكُبـــود

فللقـــلب من قطْـــرةٍ مرمـــر ... ومـــن قطـــرة : آنـــة أونشيـــد

فضاؤك نورٌ وحنـــــــــــىَّ نار ... هما للقلـــوب : الهُـدى والصمـــود

● ● ●

ومن روائع شعر عزام، هذا الحوار اللطيف :

قيل : لـيـل مظلـم، قلت : اذكـروا ... ــ فى ظلام الليـل ــ إشراق الصباح

قيـل : غيم مطبـق ــ قلت انظـروا ... رُبَّ نجم من وراء الـــــغيم لاح

قيـــل : شُهْبٌ طمست أعلامـــه ... قلت : لكـنْ فيــه آيـاتٌ صحـاح

● ● ●

وقوله فى رثاء صديقه عبدالحميد العبادى :

راعنـــى فى العـــاد نعـــىُ صديـــق ... كان فى غمـــرة الحيـــاة رفيقـــى

علمتــــى مصيبـــة الموت فيـــه : ... أن نصفَ الممـات : موت صديـــق

● ● ●

ونعر الدكتور عزام يذكِّرنا بقول موريس هيوليت عن المقال الأدبى بأنه كسارية الربيع : « ذلك العمود الذى يتخذه الإنجليز رمزاً لعيد الربيع، يزينونه بالزهور البديعة من كل صِبْغ،

والورود الجميلة من كل لون، فتبدو السارية وكأنها العروس فى جلوتها .. هذا ويرمز هيبوليت للمقال الصحفى بالعمود فقط، أى العمود العارى من جميع هذه الزينة[1].

والنوع الأول يمثل مقالات الدكتور عزام البليغة فى الرسالة والثقافة وغيرهما.. خُذْ مثلا قوله الذى ينضح العَبق من أردانه، فى وصف الصبح إذا تنفّس :

تجلى عن جمال الصبح ستر الظلام، وهبت من مهاجعها الناس والأنعام، وملأت الآفاق من الطير والأنغام، وموسيقى تملأ الأرض والسماء، كأن أوتارها أشعة الضياء، ومضرابها خفقات الهواء .. ثم يخلص من هذا الشعر المنثور، إلى الشعر المنظوم، بيسر وسلاسة، فيقول :

وإذا قلبى ينشد هذه الأبيات :

فالــق الإصبــاح ربُّ المشرقين	**باسط الليـــل ورب المغـــربين**
ناشر الشمس خِضمًّــا من ضيــاء	**طاوىَ الــذرة شمسا فى خفـــاء**
ياجليًّـــا فى دجـــى أستـــاره	**ياخفيًّـــا فى ضحــى أنـــواره**
ناظــم الكـــون البليـــغ المبدعـــا	**مُحْسنـــا مطلعـــه والمقطعـــا**
كل لفــظ فيـــه نظّـــارٌ إليـــك	**كل معنــى فيـــه برهـــان عليـــك**
جاوز الأفـــلاك يسعـــى نحوكا	**يكشف الأستـــار يبغـــى وجهكـــا**

● ● ●

منك هذا القـــلب هذا الخافـــق	**فى الدياجـــى منك نور دافـــق**
ذاكـــرٌ إيــــاك راج كل حين	**خفقـــه ذكـــرٌ وشوقٌ وحـــنين**
اجعلـــنْ قلبـــى شهابـــا ثاقبـــا	**يصْدع الباطـــل حقـــا صائبـــا**
وامـــلأنْ قلبـــى بحُبٍّ وصفـــاء	**واجْتَنِبَنْـــهُ كلَّ بُغض ومـــراء**
اجْعلـــنْ وجـــهك قصدى لا سواه	**هوّنـــنْ فى عين قلبـــى ما عداه**

● ● ●

وفى ذكرى الدكتور عبدالوهاب عزام ــ بعد ربع قرن من رحيله ــ كتب تلميذه الأستاذ عبدالمنعم خميس يقول عنه فى حديث الذكريات، راويا هذه الواقعة، التى تدل على عمق إيمانه : « كان ــ غفر الله له ــ لا يخاصم أحدا، ولا يجادل إلا بالتى هى أحسن، وكان مهذبا رقيق الحاشية،

---

(1) أنظر كتاب الدكتور عبداللطيف حمزة : « المدخل فى فن التحرير الصحفى » ص ١٧٣ .

لا يغضب إلا حين يُستغضب .. وقد حدث أن أستاذا مستشرقا كان يجلس معه فى غرفته بكلية الآداب، وتحدث هذا المستشرق عن النبى ﷺ حديثا فيه سوء فردّه الدكتور عزام عن قوله، ولم يرتدع هذا المارق عن غيّه تحت ستار حرية العلم، فقال له الدكتور عزام :

ـــ اعتذر عن قولك عن رسول الله ﷺ، وإلا ضربتك بهذه العصا حتى تتعلم الأدب .

وجاء له الذى فى نفسه شر، وهو الدكتور باول كراوس اليهودى . وقال له الدكتور عزام :

ـــ أنذرتك .. وقد أعذر من أنذر .. وأنت تناولت مقام النبى ﷺ بما قلت .. وإن لم تعتذر عن سفاهتك وجهلك فهذه هى عصاى .

ولم يعتذر باول كراوس، واستمر فى استهتاره، فهبَّ الدكتور عزام ـــ وهو الحليم الغضوب ، وضربه بالعصا، حتى أدركناه وهدَّأنا ثورة غضبه .. ثم اعتذر الدكتور كراوس عن كلماته الشائنة فى حق سيد المرسلين .

وعندما هدأت ثورة الدكتور عبدالوهاب عزام، سألناه :

ـ لماذا غضبت وأنت الحليم ؟ .

فقال لنا : أنا لم أغضب لنفسى ، ولو أن هذا الرجل سبَّنى، لقلتُ له : سامحك الله .. ولكنه أساء إلى محمد ﷺ .. وأمة محمد ، فكيف أسكت ؟ ولو كان الأمر بيدى ، لأهدرت دمه .

ويختم الأستاذ خميس قوله عن أستاذه : « وفى نهاية رحلة حياته، بعد أن ترك خدمة الحكومة سفيرا، انصرف إلى العبادة على طريقته فأقام لنفسه مسجدا فى حلوان ، وجلس للناس يفسِّر القرآن ، ويروى حديث رسول الله ﷺ .. وكان يريد أن يجدِّد بطريقته ما عرفه المسلمون الأولون من عقد مجالس العلم ، واستطاع ـــ بأسلوبه العصرى المتجدد ـــ إحياء رسالة المسجد ، كان عبدالوهاب عزام ـ فى مسجده ـ يلقى الدرس ، وكأنه فى الجامعة .. يُسأل فيجيب : فى الشعر ، والأدب ، والفقه ، والتفسير .. وجعل المسجد جامعة ، حتى تحين الصلاة ، فيقوم الناس للصلاة .

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ توفى عبدالوهاب عزام فى مدينة الرياض ، حيث كان مديرا للجامعة ، وكان بين يديه آخر بحث كتبه عن « المقارنة بين إقبال والمتنبى » ثم حمل جثمانه شقيقه عبدالرحمن عزام على طائرة خاصة ، ودُفن فى ركن من أركان مسجده فى حلوان[1] »

يرحمه الله

---

(١) أنظر عدد مجلة (الفيصل) رقم ٨٧ الصادر فى يونيو سنة ١٩٨٤م .

نظرات فى كتاب

«شرح ومعانى جزء عم» للأستاذ / محمد عتريس

بقلم فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

إن من يقرأ فى القرآن الكريم ، تتبادر إلى ذهنه فى كل مرة ـ أفكار ومعان جديدة ، وإيحاءات تختلف عن كل مرة سابقة ، وتختلف عنها كل لاحقة ؛ ذلك ، لأن القرآن «لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه» ولأن اللغة العربية التى نزل بها القرآن أكثر اللغات اتساعاً وانتشاراً ، ولهجات العرب المختلفة جعلت العلماء يوجهون جهودهم لدراسة تلك اللهجات ؛ ليكون ذلك عوناً على تفهم قراءات القرآن ، وقد أعانت تلك الجهود النحويين واللغويين على وضع الكتب التى تيسر الفهم وتساعد على جلاء المعانى . فالنحويون درسوا القرآن لاستنباط قواعدهم وتطبيقها ، وأعربوا القرآن إعراباً دقيقاً ساعد على التفسير السليم .

وجاء اللغويون فألفوا كتباً فى غريب القرآن ـ كما فعل أبو عبيدة ـ واتجهت عنايتهم إلى تأليف كتب أسموها «معانى القرآن» كما فعل الكسائى ويونس بن حبيب ، وقطرب ، والفراء ، والمفضل الضبى ، وخلف النحوى ، وغيرهم .

ورغم اتفاقهم فى اسم الموضوع ، إلا أن المضمون كان مختلفاً ؛ فمنهم من عنى بمشكلات القرآن وما يوهم الاختلاف ، فتوقفوا عند الآيات التى يوحى ظاهرها بوجوب التنبيه إليها كما فعل قطرب فى مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠١) مع قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (الصافات ٢٧) .

ومنهم من عكف على دراسة مجازات القرآن من مثل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد ٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ (العلق ١٧) .

ومنهم من وجه اهتمامه للمسائل النحوية من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ طه ٦٣) وقوله تبارك وتعالى : ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ (النساء ١٦٢) وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (المائدة ٦٩) .

من هنا كان حث رسول الله ـ ﷺ ، وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ على التماس الأسباب التى تعين على فهم القرآن .

قال أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما : «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه» وقال الشعبى : قال عمر ـ رضى الله عنه ـ «من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد» .

ولقد بوأ الراغب الأصفهانى «ألفاظ القرآن» أعلى مقام ، وأسمى مراتب الشرف والرفعة التى يتشوف إليها المسلم .. حيث قال فى كتابه «المفردات فى غريب القرآن» : «ألفاظ القرآن هى لب

كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فى أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء فى نظمهم ونثرهم ، وما عداها وماعدا المتفرعات عنها والمشتقة منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة » . ولا يزال القرآن بحراً زخاراً بأنواع العلوم يتحدى أساطين العلماء والبلغاء فإنه الكتاب المعجز المنزل على النبى الأمى شاهدا على صدقه يحمل بين دفتيه برهان كماله وإعجازه

وعلى كثرة ما سطر العلماء من أسفار ، وما دونوا من نفائس يبقى القرآن زاخرا بالعجائب ، مملوءاً بالدرر والجواهر ، يحتاج إلى من يغوص فى أعماقه لاستخراج بعض كنوزه الثمينة ، واستنباط روائعه وأسراره وها هو الأستاذ الفاضل/ محمد محمد عتريس . يقدم لنا سفراً فى جهد مشكور حول (جزء عم) ــ لتيسير فهم آيات القرآن الكريم بأسلوب واضح وبيان ناصع ، لا حشو فيه ولا تطويل ، ولا تعقيد ولا تكلف ، مبرزاً فيه روعة الإعجاز والبيان بما يتفق وروح العصر ويلبى حاجة الشباب المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن ، حيث يغوص المؤلف فى معانى الكلمات كما وردت فى معاجم اللغة وكتب التفسير ، وعلوم البيان والإعراب ، والقراءات وغيرها. مما يقرب المعانى جلية أمام القارىء حيث سلك فى كتابه الذى يضم ثلاثة أجزاء تشتمل على اثنين وأربعين وأربعمائة صفحة متتبعاً بعض الكلمات من كل آية بالشرح والتوضيح ، فهو يرد الكلمة إلى أصولها ومصادرها لبيان اشتقاقها مبرزاً لمعانيها فى إيجاز غير مخل ، بعيداً عن تطويل ممل .

حيث يأتى بالكلمة كعنوان ثم الآية التى توجد فيها هذه الكلمة ورقمها فى السورة ، فيردها إلى أصلها ومصادها ، مبيناً معانيها مستعيناً بكل ما يلقى الضوء ، ويزيد المعانى لمعاناً ووضوحاً يعلق بالأذهان ويخاطب الوجدان ، ويغرس فى القلوب ناصع الإيمان .

وإلى القارىء نفحة من فقرات الكتاب :

﴿ **مقام ربه** ﴾ ويأتى بنص الآية ورقمها .

ويقول : مقام ربه : أى عظمته وجلاله ، أو قيامه بين يدى ربه ــ عز وجل للحساب ، يوم الطامة الكبرى ....

﴿ **نهى النفس** ﴾ نهى النفس : زجرها عن الميل إلى الشهوات ... وضبطها بالصبر ولم يغتر بزهرة الدنيا وزينتها .

والخوف من الله هو : الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة

﴿ **الهوى** ﴾ : مطلق الميل ، وشاع فى الميل بالشهوات ،وسمى هوى : لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية وفى الآخرة إلى الهاوية .

لقد تيسر لى ما تيسر من الاطلاع على هذا الكتاب الذى أثنى على الله أن يوفق صاحبه إلى المزيد من هذا الجهد الذى يذكر فيشكر ، كما أن لى بعض الملاحظات التى أرجو أن يوفقنى الله لإبرازها عند قراءة بقية الكتاب . وأن يتسع لها صدر الكاتب ــ خاصة من ناحية طباعته ــ حتى يظهر العمل فى ثوب أجمل .. وما أردت إلا الخير . والله الموفق .

دعاء

« اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثي ، وتصلح بها غائبي ، وترفع بها شاهدى ، وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدى ، وترد بها ألفتي ، وتعصمني بها من كل سوء .

اللهم أعطني إيمانا ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ؛ اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إني أنزل بك حاجتي ، فإن قصر رأيي وضعف عملي افتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا قاضي الأمور ، ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيتي ، ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإني أرغب إليك فيه .

وأسألك برحمتك يارب العالمين ؛ اللهم يا ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، الركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك ؛ اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ، وعليك التكلان .

اللهم اجعل لي نورا في قلبي ، ونورا في قبرى ، ونورا بين يدىّ ، ونورا من خلفي ، ونورا عن يميني ، ونورا عن شمالي ، ونورا من فوقي ، ونورا من تحتي ، ونورا في سمعي ، ونورا في بصرى ، ونورا في شعرى ، ونورا في بشرى ، ونورا في لحمي ، ونورا في دمي ، ونورا في عظامي .

اللهم أعظم لي نورا ، وأعطني نورا ، واجعل لي نورا .

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغي التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى المجد والكرم ، سبحان ذى الجلال والإكرام »

(*) تخريج السيوطي (ت محمد بن نصر ، في الصلاة ، طب ، هق في الدعوات) عن ابن عباس — رضي الله عنه — .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

لا يزال الحرص قائما على تنويع الباب بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والإبداعات التى يتلقاها ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل الرد على بعضها أملاً فى أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة ، عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها .

وهذا العدد يضم كلمات عدة بأقلام القراء فى مقدمتها كلمة عن « إحياء القوميات » والقصد الخبيث من وراء إحيائها ، ذلك أن الاستعمار قد أراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الإسلامى ، فإنه اللقمة التى يسيل لها لعابه ، فلما خشى أن يغص بها بث ببراعة مدهشة نزعة القوميات لتقضى على الوحدة الإسلامية وتصدعها .

كما تجد عزيزى القارىء ــ كلمات أخرى بأقلام القراء ، فضلاً عن التنويه بأحد الإصدارات المهمة ، وزاوية الإبداعات للشعر والردود والتعليقات ، والإجابة عن الاستفسارات ، والله تعالى ــ من وراء القصد .

المحرر

خطر القوميات !!

كتب الأستاذ/رمضان محمد عبدالله بخيت ـ الطالب بمعهد قراءات دمنهور الأزهرى ـ بحثا عن إحياء النعرات القومية كفكرة غربية تستهدف ضرب الوحدة الإسلامية فقال :

لا يشك مخلص مسلم فى أنه لا سبيل إلى الوحدة الإسلامية إلا بالترابط والتماسك بين المسلمين ، وسقوط كل النزعات القومية والدعوات العرقية والعصبية ، فهذا هو الطريق الذى ترتفع به راية التوحيد وتتوارى به مادونها من الرايات .

والحقيقة أن أعداء الإسلام ما عملوا على إحياء القوميات والعصبيات الجاهلية بين شعوب العالم الإسلامى إلا لإدراكهم هذه الحقيقة ، فكانت الدعوة إلى « القومية العربية » بين العرب ، وإلى « الكردية » فى العراق ، و« الطورانية » فى تركيا ، وغير ذلك من القوميات والإقليميات التى تستهدف عزل المسلمين عن هويتهم الإسلامية ، فضلا عن تمزيقهم وتفتيتهم كى لا يكون لهم صوت فى عالم تحكمه الكيانات الكبيرة والتكتلات الكبرى التى نلمسها بأوربا وأمريكا .

وعلى الرغم من خطر ما ترمى إليه هذه الدعوات على مجتمعاتنا الإسلامية ، إلا أننا نجد قلة من بنى جلدتنا متأثرة بهذه الأفكار الغربية ، بل وتدعو إليها مخدوعة أو مأجورة ، متناسية فضل الإسلام بعلمائه وتراثه على حضارة أوربا العلمية ، وليتهم يرجعون إلى المستشرقين المنصفين فيما كتبوه عن الإسلام مثل « د.زيجريد هونكه » وكتابها « شمس الله تشرق على الغرب » ،وغيرها من المنصفين مثل : « رجاء جارودى » و« ناصر دينيه » ، والألمانى « د.مراد هوفمان » سفير ألمانيا فى المغرب ، وغيرهم ممن تدل بحوثهم وأفكارهم على أن الإسلام بوحدته هو الأجدر بالتوجه إليه والدعوة له .

من صفات أهل الجنة

من صفات أهل الجنة فى الدنيا أن يكون العبد « أوابا ، حفيظا ، يخشى ربه بالغيب ، يحمل قلبا سليما» جاء ذلك فى قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة ق

فالأولى : أن يكون «أوابا» أى رجاعا الى الله من معصيته إلى طاعته ، ومن الغفلة عنه إلى ذكره .

وقال سعيد بن المسيب : « سيد فقهاء التابعين » : هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم

يتوب .

والثانية : أن يكون « حفيظا » وقال ابن عباس : لما ائتمنه الله عليه وافترضه . وقال قتادة « أحفظ أهل البصرة » : حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته .

والثالثة : قوله سبحانه : ﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ وهذا يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفاصيل أحوال العبد . ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله وأمره ونهيه ويتضمن ، الإقرار بوعده ووعيده ولقائه . فلا تصح خشية الرحمٰن بالغيب إلا بعد هذا كله .

الرابعة : قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ قال ابن عباس : راجع عن معاصى الله ، مقبل على طاعة الله . ثم ذكر ـ سبحانه ـ جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [1]

حسن أحمد مكرم ـ معهد إعداد الدعاه بأسيوط

موقف الدين من الشعر

وكتب الأستاذ/**أحمد مصطفى عبدالحميد مرسى** ـ ماجستير فى الأدب العربى الحديث ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق ـ عن قضية موقف الدين من الشعر ، مستهديا بمناقشات عدة دارت ـ قديما وحديثا ـ حول هذا الموضوع وقد تباينت فيها الآراء بين مؤيد ومعارض ومحايد ، وقد استند الكاتب إلى آيات سورة الشعراء (٢٢٤ ـ ٢٢٧) فى حسمه هذا الموضوع ، ثم خلص إلى حقيقتين :

الأولى : أن الرسول ﷺ كان يستهجن الشعر الذى يخرج عن خط الإسلام بالدعوة إلى وثنية بائدة ، أو إشاعة فوضى بين الناس ، أو الإشادة برذيلة ، لما يترتب عليه من سوء العاقبة ، ومثل هذا الشعر ينبغى مقاومته والتصدى له .

الثانية : إذا تناول الشعر طبيعة النفس البشرية وأشواقها فى حدود مقبولة ، أو تأمل فى الكون والطبيعة وفى مخلوقات الله ـ عز وجل ـ دون أن يحلل محرّما أو يحرم حلالا ، فإنه يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته التى جُبل عليها « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » سورة الروم

الحب فى الله عز وجل

من النعم التى أنعم الله بها على عباده المؤمنين الحب فى الله تعالى أى لغير هدف دنيوى استغلالى يقول تعالى « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ » سورة الأنفال

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الفوائد لابن القيم .

فأولى بالمسلم أن يحب فى الله ويبغض فى الله ، لأن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : وعد من السبعة (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) متفق عليه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ،ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم .

رأفت أحمد الصغير — قطور — غربية

منهج نقد الحديث النبوى

كتب الأستاذ/بدر عبدالحميد ابراهيم — مدرس أول — لغة عربية بإيتاى البارود — البحيرة تلك الكلمة عن منهج نقد الحديث سندا ومتناً :

(١) نقد الحديث سندا .

وضع العلماء المسلمون أصولا وخطوات لنقد السند ، قامت هذه الأصول على معرفة الرواة ، ودراسة حياتهم ، ولقد صور الشافعى الله عنه — أهمية هذا الإسناد فقال : « مثل الذى يطلب الحديث بلا إسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة من حطب فيها أفعى تلدغه » ولذا وضع العلماء شروطا فى الرواة منها : العدالة والضبط .

(٢) نقد الحديث متناً

ومن المقاييس التى وضعها علماء الحديث فى نقد المتن :

١ — عرض متن الحديث على القرآن الكريم .

٢ — عرض الحديث على عمل الصحابة وفتاواهم .

ولقد علم هؤلاء بأن الحديث قد يكون صحيحا سندا ، ولكنه واه ضعيف من ناحية المتن ، فقواعد الصحة والاعتلال كما تنطبق على السند ، فإنها تنطبق على المتن أيضا .

فالراوى قد يكون متروك الحديث ومنكره ، وكذلك المتن فيه المتروك والمنكر والمعلل والمدرج والمقلوب ، والمضطرب ، فسارت خطوات نقد السند والمتن متزامنة متتابعة لتشكل فى النهاية منهجا راسخا من أعظم مناهج البحث العلمى .

الشرك الخفى

الشرك الخفى مذموم وقد يحبط أجر فاعله دون ما يدرى ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده : « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول : « اللهم أنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه » فالإسلام الحنيف يحرص كل الحرص على أن تظل علاقة المسلم بخالقه — عز وجل — قوية لا تشوبها شائبة من ضعف أو رياء .

فالأعمال تقاس عند الله بالإخلاص لوجهه تعالى ، وكم من أعمال قليلة قبلها الله ورضى عن فاعلها ، وكم من أعمال كثيرة ردت ولم تقبل لأن أصحابها أرادوا بها غيره ـ عز وجل ـ .

يقول تعالى : « فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » من الآية (١١٠) من سورة الكهف .

ويقول الله فى الحديث القدسى :

« من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله ، وأنا منه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك »

محمد على البلجيهى أوبس الحجر ـ المنصورة

فى مواجهة « الدش »

عندما أصدر أحد المحافظين قرارا بإلغاء ممارسة (الدش) فى المقاهى والأندية العامة .. خرجت الأقلام العلمانية تعادى الاتجاه الأخلاق وروح الإسلام ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الشورى ـ ١٠

ومع ظاهرة (الدش) وآفاق التسعينات أقول « لليسار » و« العلمانية » ما رأيكم فى قرار دولة الصين وهى بلد شيوعى ذو نمو سكانى يصل إلى نحو مليار ومائتى مليون نسمة أى مثل عدد سكان العالم الإسلامى .. ألغت الصين تركيب (الدش) لماذا ؟؟ لأنه بواسطة البث المباشر يغرس فى النفوس العديد من الصور والقيم والنماذج التى لا تتفق مع الأخلاق .

فما بالنا وأمتنا إسلامية .. هل الأبواق العلمانية تصر على أنها حرية ؟؟ أى حرية تلك ؟؟ والقيم السائدة داخل المجتمع الغربى هدفها إشباع الجسد بكافة الصور .. بينما الإسلام هو النور الذى يهدى الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور قال ـ تعالى :

﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الشورى ـ ٥٢ وواجب الإعلام العربى والإسلامى أن يتحرك نحو الخطة الآتية :

١ ـ توجيه الإعلام حسب المراحل السنية والأخذ من التراث وجذور الحضارة الإسلامية .

٢ ـ عدم إسقاط اللغة العربية بالإنكفاء نحو التعريب .

٣ ـ إحياء التاريخ الاسلامى ، وإبراز المثل العليا لدين الإسلام والتعريف بأمجاد الإسلام ، وسير قادته وابطاله .

٤ ـ تشجيع تبادل الانتاج الثقافى الإعلامى العربى والإسلامى .

ان الوعى الإسلامى أصبح ضرورة فى مواجهة ثقافة (الدش) وثماره الخبيثة ، والوعى يتأتى بتبصير المسلمين بعقيدتهم ومصادرها من كتاب الله الكريم ، وسنة الرسول ﷺ حتى تعود للأمة عزتها لقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧) سورة النحل

يحيى السيد النجار
دمياط ـ شارع الحزاوى

توحيد اللسان في قراءة القرآن

«توحيد اللسان في قراءة القرآن» هو عنوان أحد الكتيبات المهمة التي تلقاها الباب من مؤلفه الأستاذ/نبيل محمد عبدالخالق ، وترجع أهميته إلى حرص المؤلف على تعليم الإنجليزي كيفية نطق «أسماء الله الحسنى» بطريقة لالكنة فيها ، فينطقها نطقاً عربياً سليماً ، ومن ثم وضع تحديداً للحرف الذي تقع صعوبة النطق فيه ، بأن نبه على صوت الحرف بالدلالة على صوت يماثله مستخدم فعلا لدى الأجنبي .

لعل من فوائد هذا العمل .

الحفاظ التام على سلامة معاني الأسماء الحسنى لدى الشعوب الناطقة بالإنجليزية ـ بدون معلم ـ وبالتالي تيسير نطق القرآن الكريم عليهم دون تحريف لألفاظه عند النطق ، فيسهل بذلك فهمه لأن الألفاظ أوعية للمعاني .

والكتاب مجاز من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وكذلك من وزارة الأوقاف(٢) وتأمل من جانبنا نشر وتداول هذا العمل المبارك .

من إبداعات القراء في الشعر

محمد «صلى الله عليه وسلم»

للشاعر : على أبو القاسم

قمر على من الحجاز ويرتقي ... قمم الحياة بعزة وإباء

هيهات أن ترقى البرية مثله ... هو مفرد في الحسن والعلياء

هو من يفوح الصدق من أعطافه ... وتضوع منه سماحة الفضلاء

أنا يا محمد في الشفاعة طامع ... هل لي بحبك شفعة الكرماء

أنت الذي شرع الفضيلة دولة ... تهدى القلوب حقيقة الأشياء

الحق فيها لا يخالطه الهوى ... كالسيف يطوى سطوة الجبناء

داويت سقم الجاهلية بالهدى ... وجدعت أنف الكبر والظلماء

شهدت لك الأعداء أنك قائد ... قاد الحياة بحكمة العظماء

صلى عليك الله يا خير الورى ... ترقى الوسيلة قدرك الوضاء

---

(٢) يطلب من الموزع N.R للفنون الحديثة بالقاهرة ـ هاتف : ٩٢٦٧٣٤ .



● **القارىء/ شريف مرشدى خليفة ــ جامعة الأزهر .**

لابد من التأكيد على قيم الإسلام وأهدافه ومعاييره ــ ونحن بصدد مقاومة الغزو الثقافى ــ ومن حشد الطاقات من أجل التنمية والتطور إلى الأفضل والعمل على مضاعفة الإنتاج ونحن بصدد مقاومة الغزو الصناعى ، وبذلك لايكون « للمستورد » علينا سبيل .

● **القارئة/ أم هاشم حسين يوسف على ــ**

● **القارىء/ أبو الحسن محمد رمضان ــ معهد إسنا الدينى ــ قنا .**

● **القارىء/ محمدحسين يوسف على ــ قنا**

دائماً نذكر قراءنا الكرام بأهمية الإسناد العلمى فيما يودون نشره بمجلة الأزهر .

● **القارىء/محمد أحمد مكرم ــ كلية الشريعة ــ جامعة الأزهر ــ فرع أسيوط .**

مرحبا بكم صديقاً دائما للمجلة وسوف ترون على صفحات المجلة بحثا وافيا يتناول الأخلاق وأهميتها من منظور إسلامى .

● **القارىء/أحمد رجب غزال ــ كفر الشيخ .**

فى كلمتكم عن «التدخين» كشفتم أثره على صحة المدخن وبنيانه الاجتماعى ، ونتفق معكم فى أن ضرره متحقق فيمن يمارسه ، بل فيمن يمارسه ويخالطه ، لكننا لم نتلق إجماعا على تحريمه .

● **القارىء/خيرى محمد أبوالروس ــ خطيب مسجد بالجرايدة ــ كفر الشيخ .**

فى كلمتكم عن «المنهج الإسلامى فى التربية» تبينم كيف أفرز ذلك المنهج من الرعيل الأول : الخلفاء الراشدين ، ومن والاهم ، وسار على نهجهم مثل «سيدنا أسامة بن زيد ، وسيدنا عبدالله بن عباس ، وسيدنا عقبة بن نافع» وغيرهم والحق أن هؤلاء ــ فوق ماذكرتم ــ قد ضربوا أروع المثل فى صدق الايمان وطهارة النفوس والاستمساك بمبادىء الوفاء والفداء ، فكانوا خير أنموذج للأمة العاقلة الفاضلة المناضلة ، رضى الله عنهم أجمعين .

● **القارىء/عبداللطيف مصطفى عبداللطيف ــ معهد بنها الأزهرى .**

لا شك أن الإعلام الإسلامى معنىّ بخدمة المجتمع الاسلامى وقيمه وأهدافه ، ويمكن توسيع مساحته ببذل المزيد من التعاون بين (الأكاديميين) فى هذا المجال والمؤسسات الإعلامية المهنية فى العالم العربى والإسلامى .

● **السيد فخر الدين حسين ــ إجازة التدريس من كلية الشريعة :**

دأبت مجلة الأزهر على الاهتمام بالإسناد العلمى فيما تنشره على صفحاتها ، وكثيرا ما يكون افتقار الكلمة إلى هذا المنهج البحثى سببا فى عدم نشرها .

● **القارىء/كمال عبدالمنعم محمد خليل ــ الكوم الأحمر ــ بنى سويف .**

نتفق معكم فى حاجة التاريخ الإسلامى الى من ينصفه ويرفع عنه الافتراءات التى ألصقها به المغرضون ، والحق أن ذلك ممكن متى توفرت الأمانة العلمية وحسن العقيدة لمن يقومون بهذا العمل كما تفضلتم .

● **وبمشيئة الله ــ تعالى ــ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى نتلقاها ونتلقاها تباعا .**



إعداد الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل أمير ويلز ولي عهد بريطانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته صاحب السمو الملكي الأمير « تشارلز » أمير « ويلز » وولي عهد بريطانيا وقد عبر صاحب السمو الملكي عن بالغ سروره لوجوده في رحاب الأزهر الشريف ، هذا الصرح الإسلامي الشامخ على مر العصور والأزمان الذي يحمل لواء الدعوة الإسلامية ونور المعرفة والإنسانية إلى ربوع العالم أجمع . فكان محط قبلة العلماء الذين يفدون إليه لينهلوا من فيض علومه ومعارفه ، كما عبر الأمير عن بالغ سروره بلقاء الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية في قلوب ووجدان المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد أوضح صاحب الفضيلة الإمام الأكبر في لقائه مع صاحب السمو الملكي عن سماحة الإسلام وسمو تعاليمه التي تحث على مبدأ الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً ؛ إذ لا إكراه في الدين ، فكان السلام مبدءا أصيلا في تعاليمه ، وقد ساد هذا المبدأ الكريم بين المصريين جميعاً لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، وتطرق اللقاء إلى بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والجامعات البريطانية والهيئات العلمية ، وبخاصة المركز الإسلامي بجامعة أكسفورد ؛ لتوضيح التعاليم السامية التي تجمع بين الديانات السماوية الإسلام والنصرانية واليهودية .

كذلك نبه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى ما ينبغي لوسائل الإعلام الغربية من وجوب الدقة والإنصاف في كتاباتهم وإذاعاتهم عن الإسلام .

وقد اقترح في هذا اللقاء :

١ - التعاون بين الأزهر والمؤسسات الأكاديمية والمعاهد الدينية البريطانية في إطار الانفتاح والتعاون بين المؤسسات الدينية وتعزيز الاحترام المتبادل .

٢ ـ التعاون فى تنقية البرامج الدراسية مما يسىء إلى الإسلام .

٣ ـ تبادل الأساتذة بين جامعة الأزهر الشريف والجامعات البريطانية .

٤ ـ التشويه الذى تتعرض له صورة الإسلام وبخاصة فى الغرب .

٥ ـ خطر إصدار تعميمات ضد الإسلام نتيجة لتصرفات مجموعات منحرفة لا يقرها الإسلام ذاته .

٦ ـ إبراز دور الأزهر الإسلامى عالميا وتقنيا ودوره ـ كذلك ـ فى نشر المعلومات والآراء الصحيحة .

وفى نهاية اللقاء وجه سمو الأمير الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة المركز الإسلامى بجامعة أكسفورد ، ورحب فضيلة الإمام الأكبر بهذه الدعوة ، وقام فضيلته بإهداء الأمير ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وعدد من الكتب الإسلامية ونسخ عدة من مجلة الأزهر وبعض الهدايا الأخرى .

بين شيخ الأزهر الشريف وطلبة كلية اللاهوت الأمريكية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف وفداً من طلبة كلية اللاهوت بمدينة « ريد شيموند بولاية فرجينيا الأمريكية » ضم الوفد خمسة وثلاثين طالباً وطالبة برئاسة القس « د . مايكل شيلى » الأستاذ بالكلية .

دار حوار طويل بين أعضاء الوفد وفضيلة الإمام الأكبر تضمن نشأة الأزهر ورسالته فى مصر والعالم الإسلامى ، وامتدادها إلى المسلمين فى الدول غير الإسلامية كما تضمن دستور الحياة الاجتماعية فى مصر بين المسلمين وغير المسلمين ، وكذلك المواقف السياسية تجاه الدول الإسلامية .

قال شيخ الأزهر : إن الإسلام دين المحبة والسلام لجميع الناس لا يكره أحداً على الدخول فيه ، وإنما يبلغه علماؤه إلى البشرية جميعاً بصفته خاتم الأديان ، ثم يترك لكل فرد حرية الاعتقاد .

وقال فضيلته : إن الإسلام دين ودنيا بمعنى أنه ينظم كافة شئون العبادة فى الحياة ، ويعمل من أجل السلام مع الله ومع النفس ومع الناس جميعاً .

وضرب فضيلته مثلا بالحياة فى مصر ذات الأغلبية المسلمة فقال : إن المسلمين والمسيحيين واليهود يعيشون فى وئام وسلام وتعاون ، فالكل مصريون يعملون من أجل مصر ، ولا يوجد أدنى خلاف بينهم بسبب العقيدة ، فالمسلم يؤدى أمور عبادته بحرية تامة فى مسجده ، وكذلك المسيحى يؤدى أمور عبادته بحرية تامة فى كنيسته ، وعلى كل منهم واجب يؤديه نحو وطنه .

وأوضح فضيلته للوفد أن الإسلام دين السلام للبشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وخير مثال على ذلك أننا لم نجد فى عصرنا الراهن مسلمين اعتدوا على الآخرين بسبب الدين ، بينما نجد أن من غير المسلمين من يعتدى على المسلمين بسبب

الدين والمثال واضح فى الشيشان ، وفى البوسنة والهرسك وفى غيرهما ؛ ولذا : ناشد فضيلته كافة الدول العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تتخذ موقفاً عادلاً ضد الاضطهاد والإبادة التى يتعرض لها الشعب الشيشانى وشعب البوسنة والهرسك وغيرهما من الأماكن الأخرى ، حتى تسود مظلة العدل والسلام بين الشعوب جميعاً وألا تلتزم تلك الدول بموقف الصمت فى مواجهة تلك الاعتداءات الصارخة .

شيخ الأزهر يكرم أوائل الشهادات الأزهرية

طالب فضيلة الإمام الأكبر وسائل الإعلام المختلفة بعدم المساس بالعقائد الدينية أو نشر أفكار المشككين فى العقائد والمحرفين للكلم عن مواضعه ، وحذر من خطورة تلك الحملات فى إحداث البلبلة الفكرية والإساءة لمعتقدات شعب مصر المعروف بتدينه الشديد على مر العصور .

جاء ذلك فى الكلمة التى ألقاها فضيلته فى حفل تكريم أوائل الشهادات للمعاهد الدينية الأزهرية الذى نظمته «عقيدتى» .

وقد أشاد فضيلته بفكرة تكريم المجدين والمتازين من أبناء الأزهر الشريف ووصفها بأنها تقليد جيد فكر فيه المخلصون ، وأنه تقدير للأزهر الشريف الذى يحمل عبء الدعوة والتعليم فى مصر والعالم الإسلامى بكل ثقة واقتدار ، وأعرب عن أمله فى أن يمتد التكريم لجنود الأزهر المجهولين فى كل مكان من أرض مصر ؛ لنشر العلم والتوعية الدينية بالفكر الإسلامى الصحيح .

وقال فضيلته نحن سعداء أن يكون هذا التكريم والتقدير من رجال الإعلام ومن جريدة عقيدتى بصفة خاصة ، وهو ما يوجب علينا تقديم الشكر لمؤسسة دار التحرير وقياداتها لمثل هذا الاتجاه .

وقال فضيلته : إنه قد آن الأوان أن تكف وسائل الإعلام الأخرى عن منهجها فى النظرة إلى أبناء الأزهر الشريف ، وتقديمهم فى الصحافة بصورة غير مقبولة وبما يقلل ويهون من الجهد الذى يبذلونه لخدمة دينهم ووطنهم .

وأضاف : أن علماء الأزهر قاموا بواجبهم ولا يزالون ــ فى القرى والنجوع وفى كل مكان فى الداخل والخارج ، دون انتظار لكلمة شكر من أحد ، وهم يواجهون الأفكار الضالة والمنحرفة انطلاقاً من وعيهم بأهمية دورهم فى الحفاظ على الدين وحماية المجتمع واستقراره ، ولكن للأسف فإن أعين الإعلام غائبة عنهم مع أن الواجب يقتضى أن تقول للمحسن : « أحسنت » .

وحث فضيلته وسائل الإعلام بعدم التعرض للعقيدة الدينية للمسلمين أو المسيحيين على السواء لأن فى هذا إساءة لشعب مصر .

وقد أشاد الكاتب الصحفى سمير رجب بجهود فضيلة شيخ الأزهر ومواقفه الجريئة والصريحة حيث أدان فيها كل ما هو دخيل على الإسلام من إرهاب وتطرف ، ووصفها بأنها كان لها أبلغ الأثر فى نفوس المسلمين جميعاً ، وقرر استضافة أوائل

الشهادات الأزهرية فى رحلة أوائل الطلبة التى تنظمها جريدة عقيدتى سنوياً لزيارة الدول الأوربية .

وقد سلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ سمير رجب رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر الجوائز وشهادات التقدير للفائزين من الطلاب ومن شيوخ المعاهد الأزهرية المتميزة على مستوى الجمهورية .

جائــزة الملـك فيصـل

جائزة الملك فيصل العالمية فرع هام من فروع المؤسسة الفيصلية التى تقوم على دعم العلم والعلماء ، وهى بهذا أسهمت فى أن يظل العالم العربى والإسلامى موضع التقدير علمياً وأدبياً حيث تشجع العلماء المجدين والمجيدين بسخاء فى هذه الفروع التى اتخذتها مناراً للعلوم العربية والإسلامية والطب والعلوم .

والجائزة ـ بحمد الله ـ تنافس غيرها من الجوائز التى تقدمتها فى عمر الزمن ، وإن كانت جائزة الملك فيصل العالمية أقدم وأروع بانتسابها إلى الإسلام والعرب .

والجائزة بهذا الوصف سمة من سمات عناية المملكة العربية السعودية بنشر العلم والدعوة إلى الاجتهاد فى تطوير العلوم المتنوعة وتقديمها للأجيال المعاصرة والقادمة فى لغة قريبة المنال رفيعة المستوى وللمملكة ـ مع هذا ومن قبله ـ قصب السبق فى نشر العلوم العربية والإسلامية على مستوى العالم ، ولها جهودها ، ولمطبوعاتها فضل كبير فى تنمية الرغبة والإقبال على الدراسات العربية والإسلامية ، والأمل أن تتواصل هذه الجهود وتتنامى وتزداد قوة وتعاونا مع غيرها من الشعوب الشقيقة حتى تتحدث هذه الشعوب لغة واحدة ، وتتميز عن غيرها من الشعوب بإسلامها وبقرآنها .

دعاؤنا إلى الله أن يبارك هذه الجهود حتى تثمر الثمرة المرجوة ، وهى تعاون الشعوب والحكومات الإسلامية على استعادة الشخصية الإسلامية كنوع متفرد فى هذا العالم الذى طغت عليه المادية ، وصار ميدانا للصراع وهضم حقوق الإنسان ، وإن كان الآخرون مازالوا يتنادون بأنهم حماة هذه الحقوق التى ضيعوها فعلا والأمثلة الواقعية فى العالم كثيرة .

أما نحن المسلمين فلا نقول إلا الحق ولاننطق إلا بالصدق ، قلوبنا مملوءة بالرحمة لبنى الإنسان ، ليس فيما بين المسلمين فحسب وإنما بالوصف الإنسانى ، والخلق الإسلامى الذى أرشدنا إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان** ﴾ .



إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

القدس مدينة السلام

انتهت ظهر ١٣ من شوال الماضى ١٤ من مارس أعمال الندوة التى عُقدت بالجامعة العربية بالقاهرة تحت عنوان (القدس مدينة السلام) واستمرت ثلاثة أيام تم خلالها مناقشة عدد من الموضوعات المتعلقة بمدينة القدس الشريف .

وقد أصدرت الندوة بيانها الختامى الذى ألقاه الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية والمسئول عن شئون فلسطين بالجامعة .

البوسنة والهرسك

رفض نائب الرئيس البوسنى طلب الرئيس الأمريكى بتجديد فترة وقف إطلاق النار فى البوسنه والذى ينتهى آخر شهر مارس .

قال أيوب جانتش فى واشنطن : إن المستفيد من ذلك هم الصرب الذين لايحترمون هدنة الأربعة أشهر فى إقليم (بيهاتش) المسلم . ويأتى تصريح نائب الرئيس البوسنى إثر رفض على عزت بيجوفتش ـ رئيس البوسنة الذى يقوم بزيارة لألمانيا ـ وقف إطلاق النار ما لم يكن ذلك مصحوبا بضغط دولى على الصرب لإجبارهم على تنفيذ خطة التقسيم التى قبلتها حكومة البوسنة لإنهاء صراع عرق ودينى تجاوز الثلاث سنوات .

القاهــــرة

عُقد الاثنين ١٩ من شوال ٢٠ من مارس الماضى المؤتمر العلمى الدولى الأول لكلية العلوم جامعة الأزهر وذلك تحت شعار (العلوم والتنمية) .

وشارك فيه ١٢٠٠ باحث من الجامعات المصرية ومراكز البحوث العالمية ، وصرح السيد عميد الكلية بأن المؤتمر ناقش ٣٢٥ بحثاً فى العلوم الأساسية والتطبيقية التى من أهمها الأمان النووى واستخدام الحواسب الآلية (الكمبيوتر) .

وشارك فى افتتاح المؤتمر وزراء الزراعة والبيئة والبحث العلمى والبترول والطاقة والصحة

ورؤساء الجامعات وعمداء كليات العلوم فى جامعات مصر المختلفة .

نــــدوة هامـــة

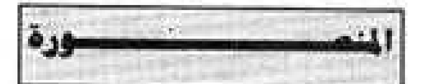
أقامت كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى العشرين من الشهر الماضى ندوة بعنوان البث المباشر بالأقمار الصناعية وتأثيره على المجتمع الإسلامى . وصرح الدكتور طه أبو كريشة عميد الكلية بأن الندوة حاضر فيها كل من : الأمين العام السابق للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والدكتور كرم شلبى رئيس قسم الصحافة والإعلام والمستشار الإعلامى بجامعة الأزهر وشخصيات أخرى .

القاهـــــــرة

أعلن وكيل وزارة الأوقاف لشئون الأزهر أنه يتم شرح دروس مناسك الحج بالمساجد الكبرى بالقاهرة والمحافظات توضيحاً لتلك الشعائر وأكد وكيل مديريات أوقاف العاصمة اختيار مائة مسجد لإلقاء هذه الدروس ويتم هذا العام ولأول مرة شرح المناسك عن طريق نماذج مجسمة للكعبة المشرفة ولكل المشاعر المقدسة حتى يمكن للحاج استيعاب شرح العلماء الأفاضل .

من اخبـــــار الحـــج

قررت هيئة موانىء السويس والبحر الأحمر بدء موسم سفر حجاج القرعة والسياحة اعتباراً من ١٢ ابريل ١٩٩٥ من ميناء سفاجا لحجاج الوجه القبلى و ١٦ ابريل من السويس لباقى المحافظات . وصرح رئيس هيئة موانىء السويس والبحر الأحمر بأنه تم الاتفاق مع أصحاب ووكلاء البواخر على إعداد جداول زمنية لسفر الحجاج والالتزام بالمواعيد المقررة بالجداول .



المنصــــــــــورة

بدأت يوم السبت ١٧ من شوال ١٨ من مارس الماضى بمراكز الدراسات والاستشارات القانونية بجامعة المنصورة الدورة المتقدمة الثانية للأئمة والدعاة وتستمر ٤ أسابيع ، وشملت الدورة محاضرات لأساتذة الجامعة وقيادات الأوقاف بالدقهلية حول الجوانب الأساسية للتنمية ودور الإعلام فى التوعية بالقيم الأخلاقيــة والدينية ، كما كانت هناك محاضرات فى فن الخطابة والإلقاء وحضر افتتاح المؤتمر كل من محافظ الدقهلية ورئيس جامعة المنصورة .

lui répondit: "Je n'ai pas voulu interrompre ton combat et nous ne convoitons ni le pouvoir ni les biens de la vie d'ici-bas, nous sommes tous des frères dans l'Islam". Puis Abou Obaida fut surnommé "Le prince des princes" à Damas où il commanda les plus grandes armées de l'Islam en nombre et en équipement. Les gens admiraient sa force, sa grandeur et sa fidélité. Lorsqu'il entendit ce que les habitants de Damas disaient de lui, il les rassembla et les sermonna en ces termes: "Ô hommes! Je suis un musulman de Qaraïch, aucun de vous, qu'il ait la peau rouge ou noire n'est meilleur que moi par sa piété sans que je désire être tout près de lui! "Un jour, le prince des croyants décida de visiter Damas. A son arrivée, il demanda:"Où est mon frère?" On lui demanda: "Qui?" Il leur répondit: "Abou Obaida Ibl Al-Garrah" Abou Obaida, le prince des croyants l'entoura de ses bras puis l'accompagna chez lui où il ne trouva comme meubles que son épée, son bouclier et sa selle. Omar lui demanda "Pourquoi ne recherches-tu pas plus du confort pour toi-même. Abou Obaida lui répondit: "Ô prince des croyants cela me poussera à la paresse et à faire la sieste". Un jour, alors que le prince des croyants expédiait les affaires des musulmans à Médine, on lui fit part de la mort de Abou-Obaida affecté par la peste. Omar ferma ses paupières sur des yeux pleins de larmes, invoqua Allah pour qu'Il accueille son compagnon dans Sa miséricorde. Puis, évoquant ses souvenirs avec lui, il dit: "Si je pouvais souhaiter, je ne souhaiterais qu'une maison pleine d'hommes comparables à Abou Obaida". L'homme de confiance est mort sur une terre qu'il a purifiée du panthéisme des Perses et de la persécution des Romains. Aujourd'hui, en terre de Jordanie, reposent les restes d'un homme noble, dans une place de repos pour une âme charitable et un esprit apaisé. Celui qui visitera la Jordanie n'aura pas besoin de guide pour reconnaître l'endroit où se trouve la tombe de Abou Obaida, car le parfum émanant de ses cendres suffira pour lui en indiquer le chemin.

Qu'Allah te salue Ô Abou Obaida pour ta fidélité et qu'Allah soit satisfait de toi. Qu'Allah salue la religion qui t'a engendré et le Messager qui t'a servi de guide et de modèle.

HODA HUSSEIN CHAARAOUI

«ABOU OBAIDA IBN AL-GARRAH»
qu'Allah soit satisfait de lui
L'homme de confiance, de cette communauté

par HUDA HUSSEIN CHAARAOUI

2

ABOU OBAIDA vécut fidèle au Messager (b.s.) et cette loyauté dura même après la mort du Prophète (b.s.) en assumant sa responsabilité avec une fidélité qui aurait suffi à tous les habitants de la terre s'ils venaient y puiser. Il marcha sous le drapeau de l'Islam, en soldat et par bravour pareil à un prince.

Lorsque Omar Ibn Al-Khattab fut nommé Calife, Khaled Ibn Al-Walid commandait les armées musulmans dans l'une des grandes batailles décisives. Le prince des croyants, Omar, craignant que les gens ne soient séduits par les victoires de Khaled débuta son califat en désignant Abou Obaida à la place de Khaled. Le prince des croyants savait bien que la victoire vient d'Allah et il craignait que les gens attribuent la victoire à Khaled. Mais que fit Abou Obaida lorsqu'il reçut la lettre en plein combat? Il dissimula l'ordre avec intelligence et loyauté, refusant ainsi de prendre la tête de l'armée avant Khaled eut terminé sa grande conquête. Une fois la bataille terminée Abou Obaida, avec une grande politesse, présenta à Khaled la lettre du prince des croyants. Khaled lui demanda: "Qu'Allah te bénisse — Ô Abou Obaida — qu'est-ce qui t'a empêché de me remettre cette lettre?". L'homme de confiance

(Allah ne pardonne pas qu'on Lui associe un autre dieu, et Il pardonne ce qui est moins que cela à qui Il veut). Allah nous renseigne sur le repentir véritable dans la Sourate "Taha" (le sens du Verset)

: (Je suis en vérité Celui qui pardonne sans cesse à celui qui se repentit, qui croit (en Moi), qui fait le bien, puis qui suit le Droit Chemin)

— On trouve ainsi que le repentir est suivi de la fois sincère, de l'accomplissement des actions vertueuses et du comportement de celui qui est bien guidé. C'est par tout cela que l'on prouve la sincérité du repentir. Allah - qu'Il soit exalté - nous montre dans la Sourate "Al-Tahrim" (La Prohibition) quelle sera la rétribution des repentants: (Ô vous qui croyez, revenez vers Allah, dans un repentir sincère. Il se peut que votre Seigneur pardonne vos fautes et vous introduise dans des jardins sous lesquels coulent les rivières, le Jour où Allah ne couvrira de honte ni le Prophète ni ceux qui auront cru que lui. Leur lumière les précédera et sera à leur droite. Ils diront : Ô notre Seigneur! parachève pour nous notre lumière et pardonne-nous; Tu es l'Omnipotent) (le sens du verset 8).

à suivre

«Le Mérite du Repentir»

par "Dr. Rokeya Gabr"

— 1 —

— Les trois lettres "Ta - Wa - Ba" format le terme "Tawba" signifiant "repartir" ainsi que ses divers déclinaisons ont été mentionnées 88 fois dans le Coran.

Or, si nous réfléchissons sur les versets coraniques où ce terme est mentionné, nous découvrons qu'ils renferment une invitation au repentir adressé par Allah - le Très - à Ses serviteurs.

— Allah ouvre les portes du repentir aussi bien aux insoumis, qu'aux pêcheurs. Allah a créé en l'homme à la fois le bien et le mal: l'être humain est à mi-chemin entre la spiritualité des anges et la bassesse des démons. Allah - le Très Haut-nous apprend que les anges (ne désobéissent point à Allah et exécutent Ses ordres): ce sont des créatures de lumière.

Quant aux démons, Allah nous dit à leur sujet: (Satan est un ennemi déclaré de l'homme) On trouve également cette recommandation dans la Sourate "Al Nour" (la Lumière), (Ô, vous qui croyez, ne suivez pas les traces du démon. Celui-ci ordonne d'accomplir des actions immorales et réprouvées à celui qui suit ses traces) (le sens du verset 21).

L'être humain, par sa nature primitive, est un "ange"; toutefois, dès qu'il se laisse aller à ses instincts et aux instigations de Satan, il se transforme en démon sous une apparence humaine.

Dans la Sourate "Al An'Am" "(les Troupeaux) Allah - gloire à Lui - dit: (De même, Nous avons suscité pour chaque prophète un ennemi parmi les hommes démoniaques et les Djins qui s'inspirent mutuellement des paroles trompeuses) le sens du Verset X 112

— EN QUOI CONSISTE LE REPENTIR.?

C'est à la fois le regret d'avoir commis la faute ou le péché, quel qu'il soit, et la ferme décision de ne plus commettre cette faute, qu'elle soit grande ou petite. Car Allah accepte le repentir de tous les péchés à l'exclusion de celui du polythéisme:

REVUE AL-AZHAR

Vol. 67 Part XI
Zil Kei'da, 1415 Hijrah

Section Française

are to be treated in a manner similar to thatwith which these countries treat Muslim subjects. Islam commands Muslims to establish friendly, compassionate and co-operative relations with them in our countries. They are to enjoy their religious rights and to be granted protection for their souls, money and honour.

It is "Ahl-u-l Zimmah" who occupy the greatest position of all in Islam. The word "Zimmah" means that Allah Al-mighty is the consience, protection, security and guardian.

It was stated in the Prophet's (MPBUH) Hadith that ; is legally pumished with fire loshes on the Day of Judgement." Al Khatib El Boghdady — a great Imam and preserver of Sunah (Prophet Tradition) — relates that of Abdullahi Ibn Massud the companion of the Prophet (MPBUH), the Prophet (MPBUH) said: "He who inflicts harm on a Zimny I will be his adversary. He whom I become his adversary, I will be also his opponent on the Day of Judgement on the basis of these Prophet sayings, Emir Al Noeminin (The Leader of the Believers) Omar Ibn El Khatab gave his orders to Amr Ibn Al Aas, the higher commander of Egypt's conquering Army and the First Waly (Governor) of the Nile valley. He wrote to Amr Ibn Al Aas saying: "Beware Amr of becoming an adversary of the Prophet (MPBUH). He who shows enemity towards him shall become his adversary". In the peace treaty he wrote up to the people of Jerusalem upon conquering it, Omar Ibn Al Khattab, undertook upon himself to "grant them security of Soul, properties, churches, all religious sects, not to dwell in their churches, not to decrease them, not to take away any of its profits (its waqfs or charities), their crosses, not to be coerced into embracing Islam, and not to inflict harm on them".

Fuqahaa (Islamic Jurists) have inferred certain legislative rulings from a man (Muslim) should not under his brother or engage his brother pormer the saying that : "a man should not undercut his brother or getengaged to his brother's partner". This undercuting on a non-Muslim enjoying the protection of Islam is like undercutting a Muslim, and the getting engaged to a woman engaged to a non-Muslim is like getting engaged to a Muslim woman. Both are unlawful and are prohibited".

In the disciplines of Soual Relations, Fuqaha highlighted the rights of Anl-ul-Zimmah called for treating them kindly and for enduring harm for their sake of their heighbourhook, protecting their reputation from defamation, and fighting back those who harm them.

In his Al Forouq (The Differences) Al Shehab Al Qarrafi, a great Imam of Islamic legislation — points out that "contracts of Al Zimmah stipulates for their rights, because they are our under neighbours, our protection, safety and under the Guandianship of Allah the Almighty, the Prophet (M. PBUH) and Islam. He who assaults them even verbally with a bad word or defamed their honour or inflicted upon them any harm or helped to inflict it upon them is considered as having forfeited the protection of Allah the Almighty, the Prophet (M. PBUH) and that of the religion of Islam!

In describing the graduation of consensus Imam Ibn Hazm said "Those who are in our (Zimmah) Protection and fighters attack us (with the purpose of inflicting harm on those who are under our protection), then it is obligatory that we should go out to fight them with horses and weaponry and die for this cause. Giving them up without a right would entail a forfeiting of the Zimmah contract!

Tolerance in Islam has illuminated the path for Muslims. They have learned from it the ethics to treat people of other religions favourably, provided that those people do not plot against them, or support others against them. Islam has guided Muslims to coexist with non-Muslims in peace and to cooperate with them. Those who deviate from these rulings and ethics are those who diviate from their religion — may Allah forbid.

Islam's Tolerance In Dealing With Non-Muslims* Part II

by : Dalal Mahmoud El Gemei

Islam, illustrating the kindness upon which military policy was based, has forbidden inflicting harm on those who have not taken part in war against Muslims; including: monks, farmers, women, children, the aged, the hireling, the mentally disturbed, the blind and those with chronic diseases. In fact, some Fuqahaa (Sheyoukhs) with thorough and deep knowledge of Islamic Jurisprudence (Fiqh) and Shariah (Legislation) — have prohibitted the killing of the blind and those with chronic diseases even if the were the masterminds behind the war against Muslims.

Books, rather than a journalistic article, would suffice for an in depth discussion of the supreme humanistic principles of military rulings in Islam.

The second category is that of the mutahidun (those who have peace treaty with Muslims). Muslims should fully honour their treaty and be straight and correct with them as long as they are correct with Muslims. The prophet (MPBUH) recommended his nation to treat kindly. Those who have atrecity with Muslims. In this respect it was related that the prophet said : "He who wrongs of overtaxes those with whom a treaty, his enemy on Doom's Day". Even when Muslims anticipate treachery and deceit from the enemy who has concluded a peace treaty with them, they should not rush into fighting them except after giving them an ultimatum and declaring the end of the state of peace with them. Allah, the Almighty, says in this respect in Surah Al Anfal : "And if thou fearest treachery from and folk, then throw back to them (their treaty) fairly. Lo! Allah loveth not the tracherous" (Surah Al Anfal (The Spoils of war — ayah: 58). Then, Allah, the Almighty, continues this issue saying in the Surah Al Tawabah: "Excepting those of the idolaters with whom ye (Muslims) have a treaty, and who have since abated nothing of your right nor have supported anyone against you. (As for these), fulfill their treaty to them till their term. Lo! Allah loveth those who keep their duty (unto him) (Surah of Repentance — ayah: 4). In the same Surah Allah, the Almight, adds saying "And if anyone of the idolaters seeketh they protection (O Muhammad), then protect him so that he may hear the words of Allah, and afterward convey him to his place of safety. That is because they are a folk who know not." (Surah of Repentance — ayah: 6). M. Pikthal

Most rulings that dedcribe ways of treating those who have peace treaty with Muslims are based first on fulfillment of the peace treaty, and second on the principle of reciprocity. Subjects of countries with which Muslims have concluded a peace treaty

* This essay is based on an essay Writen by Grand Imam Sheikh El Khedr Hussein

The feast day sermon starts by Allahu Akbar (Allah the Greatest) the first sermon by nine exclamations and the second by seven . Such sermons end by Allah's words : "

سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

Glorified be thy Lord , the Lord of Majesty from that which they attribute (Unto Him), and peace be unto those sent (to warn) . And praise be to Allah , Lord of the worlds ! "
(verse 180 - 182 . Those who set the Ranks) .

Praise be to Allahwho revealed this guidance to us , and without Him we not be guided .

Finally , feast prayer must be offered in congregation. The wisdom that latents behind this fact is that praying in congregation creates among the Muslims a bond of love and mutual understanding . It gives them the feeling of collective unity and strengthen among them national fraternity . Undoubtedly , saying prayers in congregation establishes a deep feeling of brotherhood , and equality for the rich and the poor , the low and the high , the ruler and the ruled , the black and the white , all stand in one row and prostrate in humiliation before their Creator AllahAlmighty .

manner as the two prostrations of the usual prayer except that seven exclamations (Takbeers) Allahu Akbar (Allah the Greatest) should be added in the first prostration. Each two exclamation (Takbeers) are separated by ٣٠ seconds during which one recites : " Glorified be thy Lord , praise be to Allah , Allah is Great, there is no power , and no might Save in Almighty , glorified be His name . " As for the second prostration one should add after the first exclamation (Takbeer) of Allahu Akbar , five more exclamations . With each extra exclamation (Takbeera) the hands should be raised up to the shoulder level , with fingers stretching to the earlobes as in the (Takbeer Tahrim) , i.e. the first Allahu Akbar after which every common and wordy action , talk or movement is forbidden All extra exclamations (Takbeers) should be pronounced before starting the recitation of the Qur 'an . Jabir bin Muhammad reported : " No doubt , prophet Muhammad

(MPBUH), Abu Bakar (May AllahBe pleased with him) ، and umar (May AllahBe pleased with him) said seven extra ' takbeers in the first prostration (rakah) of their feast (Eid) and Rain prayer and five extra ' Takbeers ' in the second prostration (rakah) of their feast (Eid) or Rain prayer . Prophet Muhammad (MPBUH) offered feast (Eid) prayer before(khutbah) speech and recited aloud . " .
It is recommendable that one goes to the place of the feast prayer on foot and starts pronouncing the exclamation of glorification till the Imam starts the prayer . After the prayer the Imam goes to the tribune and delivers two cancise sermons indicating the behaviour to be followed on such a day , like being cheerful , calm , sociable , friendly , forgiving , tolerant etc. ..

The appointed time for the fast prayer is after the sun rise, when it reaches the height of the two poles in the lesser Bairam (Al- Fitr feast) . In other words, it should be offered when the sun can be seen clearly above the horizon In fact , the prayer of the lesser Bairam (Al . Fitr feast) was delayed to all Muslim to give alms (Zakah) before it . It is related that Ibn Abbass (May AllahBe pleased with them) said : " The prophet (MPBUH) imposed the alms - giving of Al - Fitr (Zakat) as a purification for the fastened from folish talk and sèxual intercourse, and to help the poor . If this charity is given before the prayer , it is an accepted Zakat , but if given after the prayer it is a simple charity " . Contray to the Lesser Bairam (Al - Fitr) prayer , the appointed time for the Greater Bairam (Al - Adıa) prayer is after the sunrise when it reaches the height of ðn pole , i.e. the prayer of Al - Adha is performed early to leave time for immolation : " So pray unto thy Lord and Sacrifice . "

The feast prayer consists of two prostrations (rakahs) with no call to prayer (Azan) or second call to prayer (Iqamah) . The prevailing opinion is that no extra (Nafl) prayer should be offered before or after the feast prayer . Jaber (May Allah Be pleased with him) said : " I participated with the prophet (MPBUH) to the feast prayer , which started before the speech with no call to prayer nor a second call . " Ibn Abbass (May AllahBe pleased with him) said : " The prophet (MPBUH) went out on the Adha and Al - Fitr feast and prayed making two prostrations with no other prayers before or after it " .

The feast prayer does not differ from any obligatory (Fard) or supererogatory prayer . The two prostrations (rakahs) of the feast prayer should be offered in the same

(2) Optional (Ghair Mu'akadah) prayers . There are prayers offered occasionally by prophet Muhammad (MPBUH) .
It is noteworthy to mention that extra (Nafl) prayer is not to be offered after dawn (Fajr) prayer until the sun rise , or after the afternoon (Ars) prayer until the sun set , though a missed obligatory (Fard) prayer can be offered at these times for prophet Muhammad (MPBUH) said :

" Who has forgotten the prayer should pray it whenever he remembers it ." (Bukhari and Muslim) . Moreover , the extra (Nafl) prayer cannot be offered once the second call to prayer (Iqamat) for obligatory (Fard) prayer has been said . Abu Hurairah (May Allah be pleased with him) narrated that the Messenger of Allah (MPBUH) said :
" When the Iqamat has been said , there is no prayer valid (Nafl or Sunnat) except the obligatory (Fard) prayer for which the Iqamat was said . " (Ahmd and Muslim) .

Feasts are important social events known in every human society . In Islam , Allah established two feasts related to major religious practices : the Lesser Bairam (Al - Fitr feast) following the fasting of Ramadan , and the Greater Bairam (Al - Adha feast) following the most important ritual of the pilgrimage which is going to Arafat.

The feast (Eid) prayer is a Sunnah for all those who can pray . It should be offered outdoor in the open , e.g. in a park , field , or a desert , etc. . If it is wet or not possible to find a suitable outdoor place it can be prayed in a mosque, as Abu Hurairah (May Allah Be pleased with him) said : " It rained on the feast day and therefore the prophet (MPBUH) led the prayer in the mosque . "

The Feast Prayer

by; Nahed Mohamed wasfi Ph. D.

It is a well known fact that prayer is one of the five basic pillars of Islam . It is the most important and most primary pillar on which the edifice of Islam rests . There is no doubt that prayer strengthens the foundations of one's faith and it prepares the believer for the observance of life of virtue and obedience to Allah . It refreshes that belief from which springs , courage , sencerity , purity of heart and the advancement of the soul .

There are two types of prayers : the obligatory (Fard) prayer and the extra (Nafl) prayer . The obligatory (Fard) prayers are the five daily prayers : dawn (Fajr) prayer , noon (Zuhr) prayer , afternoon (Asr) prayer , sunset (Maghrib) prayer , and night (Isha) prayer . Each of these daily prayers must be offered at or during its proper time . No prayer of the daily prayers can be offered before its time .

Nafl prayer is an extra prayer . There is a reward for praying it and no sin for leaving it . It can be offered at any isolated instance according to the time and capacity of the believer . Prophet Muhammad (MPBUH) encouraged Muslims to pray these extra (Nafl) prayers to help to make up for any minor omissions or other defects in the obligatory prayer .

Extra (Nafl) prayers are divided into two categories :

(1) Compulsory extra prayers (Sunnah Mu'akadah) and these are those prayers which are emphasized by the holy prophet (MPBUH) and offered regularly by him before or after the obligatory (Fard) prayer .

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part XI
Zil Kei'da, 1415 Hijrah — April, 1995

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

سلامة المؤمن

لتان تدمّران سلامة الحياة الروحية للنفس المسلمة : اليأس من رَوْح الله - تعالى - أى فرجه ورحمته ، والأمن من عقابه ، أى الطمأنينة وركون الإنسان إلى عدم الخوف من الله - عز وجل .

وفى كلتيهما الهلاك المبين ؛ ففى اليأس من رَوْح الله وفرجه ورحمته كُفْرٌ ، وفى الأمن من سطوته - جل وعلا - خسران .

وما حياة المرء بين كفر وخسران .. ؟!

جاء فى القرآن الكريم قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّهُ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

يوسف - ٨٧

وقال - سبحانه :

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٩٩)

سورة الأعراف

يعني المكر ـ في الآية ـ أي استدراجه ـ سبحانه ـ للضالين المستكبرين عن طاعته ـ بما أنعم عليهم من نعمه ، وهم متمادون في طغيانهم وشهواتهم ، فيأتيهم عذابُهُ وهم لاهون .

لكن المؤمن والمؤمنة بين الاثنتين ، حيث لا يأس من رحمة الله ، بل أمل ورجاء في فرجه ورحمته ، ولا استهتار بعقوبة ، بل حذر شديد من بطشه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ سورة الفجر

فهو ـ سبحانه ـ يُحْصِي ويجازي .

قال علماؤنا ـ رحمهم الله ـ :

« والنجاة في هذه الوسطية دون أن يغلب الرجاءُ الخوف » .

وهنا يكمن حُسْنُ الظن بالله ـ ربنا ـ الرءوف الرحيم ـ أي توقع الخير على يديه ـ تعالى .

« دخل النبي ﷺ على شاب ـ وهو في الموت ـ فقال : كيف تجدك ..؟

قال : أرجو الله ـ يا رسول الله ـ وإني أخاف ذنوبي .!

فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمَّنَهُ مما يخاف . » رواه الترمذي .

قال حَيَّان بن النضر :

خرجت عائدًا ليزيد بن الأسود ؛ فلقيت واثلة بن الأسقع ـ وهو يريد عيادته ـ فدخلنا عليه ، فلما رأى واثلة بسط يده ، وجعل يشير إليه ؛ فأقبل واثلةُ حتى جلس ، فأخذ يزيدُ بكفَّيْ واثلة ، فجعلهما على وجهه ، فقال له واثلة :

كيف ظنُّك بالله ؟

قال : ظنّي بالله ـ والله ـ حسن .

قال : فأبشر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله ـ جل وعلا ـ :

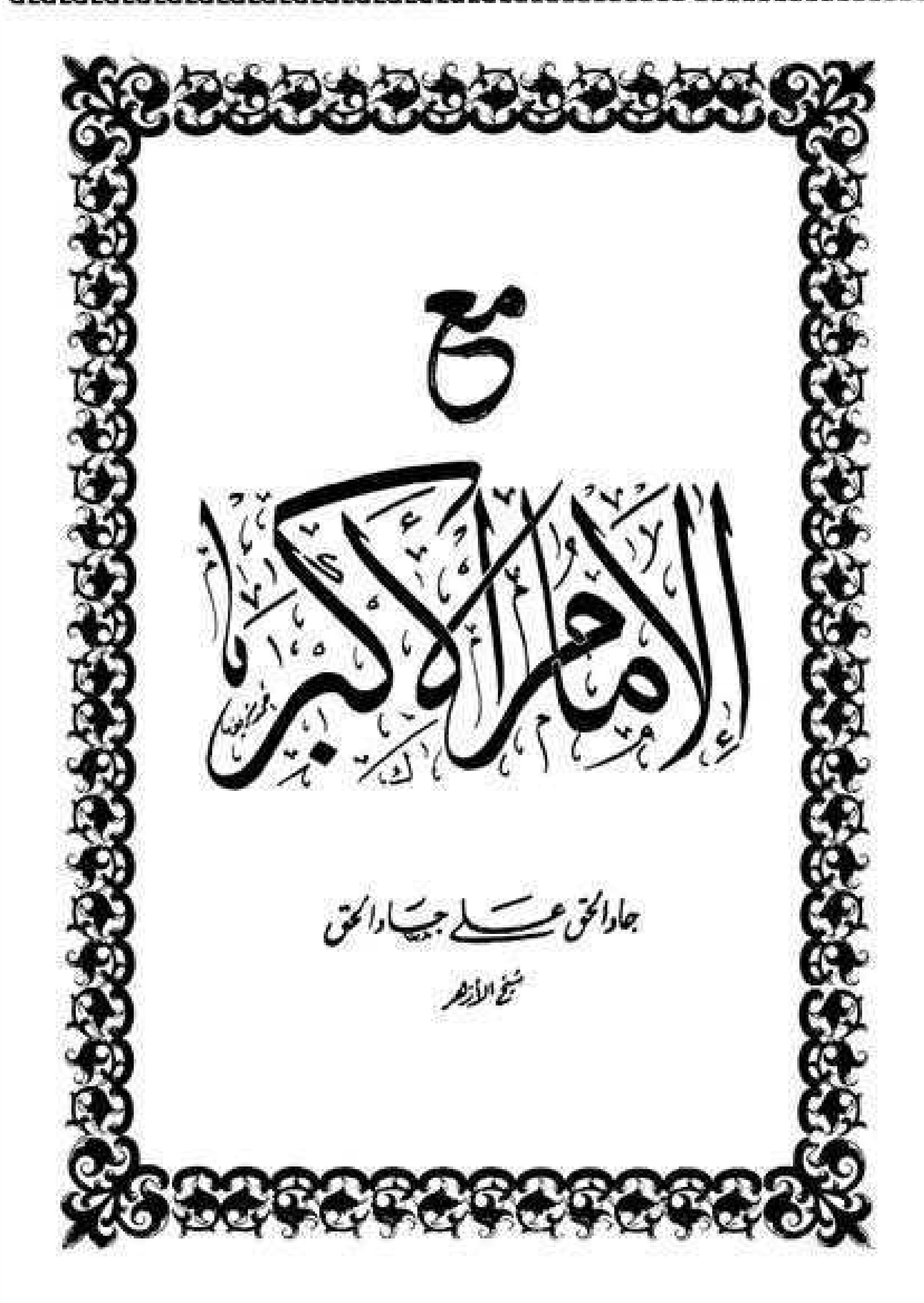
« أنا عند ظن عبدي بي ، إن ظن خيرًا فله ، وإن ظن شرا فله »

رواه أحمد وابن حبان والبيهقي

إن حسن الظن بالله دافع إلى طاعته ، واستصحاب جلاله ، وإن قومــا تركـوا الطاعات ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، كذبُوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

نسأل الله ـ سبحانه ـ دوام طاعته وحسن الظن به .

د. علي أحمد الخطيب


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر



كلما أهل علينا العيد وجه مشاعرنا إلى الله، والجد في طاعته والتسليم له – سبحانه –، والثقة بنصره، واليقين بتمام النعمة وكمال الدين؛ فلا حاجة بنا إلا إلى الإسلام، ولا عاصم لنا من الشر الذى أحاط بالعالم إلا بالاعتصام بهدى الله وحبله المتين.

وإن لنا فى إبراهيم – عليه السلام – أبينا وأبى الأنبياء، وأول من شرع له الفداء فى مثل هذا الموسم – لنا فيه أسوة حسنة؛ فقد كان على بصيرة من أمره، فلما كاد له قومه رغب عنهم:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(١)

سلام على إبراهيم.

لقد امتحنه الله بما لا يُمتحن به إلا النبيون. واختبره فيما يمس ابنه، ثمرة فؤاده، وشغاف قلبه، فاستسلم لأمر الله ولم يتخل عن الأمل فى رحمته – سبحانه.

عندئذ تولى الله أمره، وأكرم أمله، وجزاه إحساناً لإحسانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا

---

(١) الآيات من ٩٩ حتى ١١٠ من سورة الصافات.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ﴾(٢)

كان إبراهيم إماما جامعا للخير ، وكان حنيفا ثابتا على الحق ، وكان قانتا مطيعا لربه ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣)

من أجل هذا أمرنا أن نتبع إبراهيم ، وأن نتراءى عظمة الإمامة فيه ، ونلتمس سمت القنوت والطاعة لديه ـ عليه السلام ـ :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)

لقد شرع هذا العيد جائزة على الطاعة ، وهو مرتبط بها ارتباطه بمناسك الحج ، إنه يوم الحج الأكبر ، وهو يوم أغر ينبغي أن نتذكر فيه أن رحمة الله ونعمته لا تنزل إلا لطاعته ، وأنه كلما أخلص الناس في الطاعة والسعي لها كانت جائزتهم من ربهم أكبر وأرضى ، وأعظم . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ ﴾(٥)

إن هذا اليوم يوم تحقق فيه وعد الله ؛ من هنا كان عيدا .

وقد كان نبينا محمد ﷺ ـ في كل أحواله ـ على يقين من وعد الله ، وأن الله مظهر دينه ، مبم نوره ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾(٦)

إنه يوم بشر الله المسلمين فيه بتمام النعمة وكمال الدين ، ونزل فيه قول الله ـ تعالى :

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(٧)

وإنه مما ينبغي أن نكون على بينة منه اليوم أن الله الذي أتم لنا الشريعة ، وأكمل الدين لم يدع لنا حاجة إلى شرع آخر ، ولا إصلاحا فيما عدا دين الله .

وإنه ـ سبحانه ـ وهو الغفور الرحيم ـ لا يأذن لنا أن نظلم أنفسنا فنتجاوز في شأن ولو هين من شئون هذا الدين إلا في حال من الاضطرار والمخمصة ، حسية كانت المخمصة أو معنوية .

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٨) .

---

(٢) من سورة النحل .

(٣) الآية ١٣١ من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٢٣ من سورة النحل .

(٥) الآيات من ٢٠٠ ـ ٢٠٢ من سورة البقرة .

(٦) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الصف .

(٧) الآية ٤ من سورة المائدة . (٨) الآية ٣ من سورة المائدة .

وإنه إذا كان المسلمون يمرون اليوم بشيء من الضوائق والمحن فإن هذه الضوائق تابعة لسنة الله في الخلق ، تابعة من طبيعة البشر إذا حادوا عن المنهج الأمين .

ولعل هذه الضوائق مؤذنة بالعودة إلى الله ، وإصلاح الأمر والاعتصام بحبل الله المتين ، يقول ـ سبحانه : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٩)

إننا في هذا اليوم الكريم لنستمسك بأهداب الأمل ؛ إيمانا بوعد الله في حفظ هذا الدين ، وبقاء الأمة وافرة الإيمان ، قوية اليقين ، باقية على الحق حتى يأتي وعد الله .

وإنني أوصي المسلمين في هذا اليوم الكريم أن يلتزموا شعائرهم النقية النبيلة ، برا وتواصلا ، وإحسانا ورحمة .

وأن يستمسكوا في عامة أمرهم بالطاعة والصبر والرضا والأمل ، واليقين بالله ، والاعتصام بحبله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

إن يوم عيد الأضحى يوم له موقع هام في شعائر الإسلام ، إذ يعقب يوم وقفة عرفات .. اليوم والمكان الذي يجتمع فيه الحجاج من كافة شعوب المسلمين يلبون ويدعون الله ويستغيثون برحمته .

ومن مقاصد هذا الجمع الكبير في الإسلام أن يتشاوروا ويتحاوروا في أمور المسلمين ، ويجمعوا كلمتهم على ما يصلح أمورهم ، حيث يعودون بعده إلى أوطانهم بعزم شديد على وحدة الصف ، والأخوة في الله في ظل الإسلام .

فهل استفدنا من هذا المؤتمر العام السنوي للإسلام والمسلمين فتجاوزنا خلافاتنا ، وقومنا المعوج من أمرنا ، واستشعرنا الأخطار المحدقة بالمسلمين في كل مكان ؟

إن الآخرين في هذا العالم قد وحدوا صفوفهم على باطل أمرهم يظاهر بعضهم بعضا ، وقد تفرقنا وتنازعنا مع أننا على الحق ، ولم نحذر مغبة الشقاق والنزاع ، والله يقول ـ مذكرا وآمرا : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(١٠)

لقد عاش المسلمون قرونا عديدة أخوة مع تعدد المذاهب ؛ لأنهم عرفوا أن مرجعها جميعا إلى أصلين ثابتين : القرآن والسنة .

أما الآن فقد شاعت بيننا الخلافات المذهبية والعرقية ، ووقعت الفتنة واشتدت المحنة ، ولا عاصم لنا إلا رحمة الله ، ورحمة الله قريب من المحسنين .

---

(٩) الآية ١٦٨ من سورة الأعراف .　　(١٠) الآية ٤٦ من سورة الأنفال .

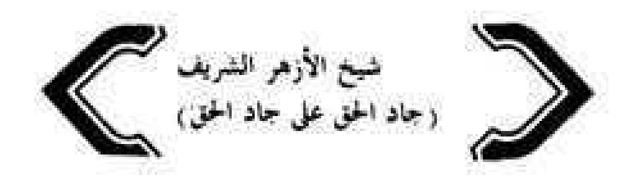
باسم الأزهر الشريف ـ طلابه وعلمائه ـ أدعو أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين . وأدعو علماء الأمة أن يعملوا جاهدين على إزالة أسباب الاختلاف ، حتى تتوحد الصفوف ، وتواجه الأمة الأخطار المحدقة بها ، وتحمى أرضها التى تنتقص من تحت أقدامها . ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

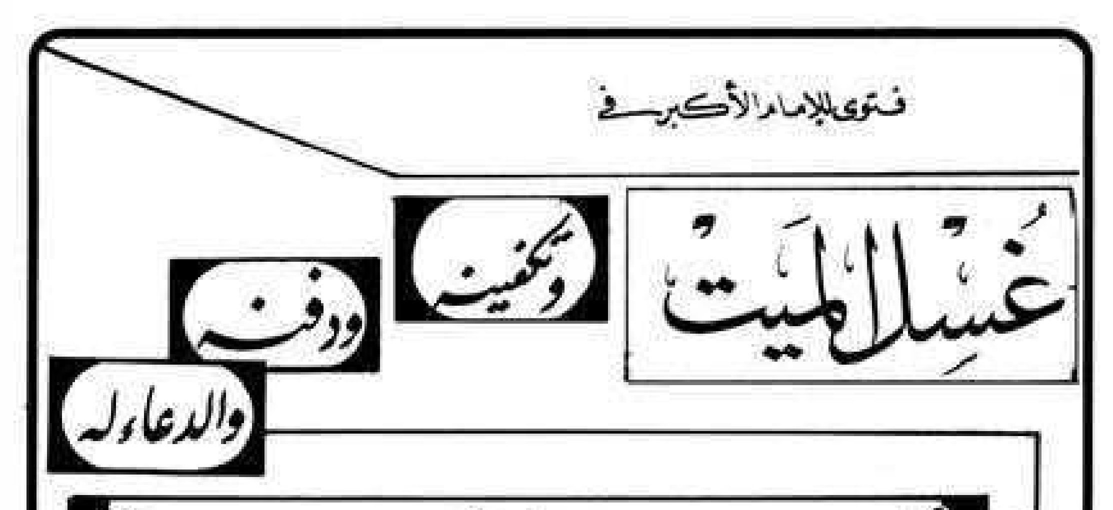
فى عيد الأضحى المبارك أهنىء المسلمين فى أرجاء الأرض شعوبا وملوكا ورؤساء وأمراء وقادة .

وأخص بالتهنئة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، وأسأل الله أن يجرى الخير والصلاح والإصلاح على يديه .

وأهنىء شعب مصر والمسلمين فى كل مكان على أرض الله .. ربنا اجعل هذا اليوم مباركا طيبا ، بشيرا بالخير والأمن والأمان والوحدة والاستقرار والانتصار ، والسلام للمسلمين ولسائر خلق الله أجمعين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .









الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (فاكس) من السيد / صلاح الدين البعفراوى - رئيس المجلس الإسلامى فى ألمانيا جاء فيها الأسئلة الآتية :

١ - وجوب غسل الميت وكيفية غسله ؟

٢ - هل هناك فروق بين غسل المرأة والرجل وهل يمكن لرجل أن يغسل إمرأة أو العكس ؟

٣ - كيف يكفن الميت وبأية ثياب وكم كفنا يلبس الرجل وكم كفنا تلبس المرأة ؟

٤ - ما هو الدعاء الذى يقرأ على الميت وهل يصلى عليه وهل تعتبر الصلاة على الميت واجبة ؟

٥ - كيف تكون صلاة الجنازة وأين تتم ؟

٦ - هل يجوز أن يقتطع أى عضو فى الميت للتبرع به ؟

٧ - هل هناك قواعد تراعى فى القبر كالطول أو العرض أو العمق أو الجهة ؟

٨ - كيف يجب أن يظهر القبر فوق الأرض ؟ الحجم أو الإحاطة بالجدران .

٩ - كيف يوضع الميت المسلم فى القبر من حيث الجهة ووضع الرأس وهل يمكن أن يدفن ميت فى قبر ميت آخر ؟

١٠ - هل هناك وقت محدد لا يمكن تجاوزه عند دفن الميت وكم يمكن أن يبقى الميت دون دفن ؟

١١ - هل يجوز دفن الميت فى تابوت خشبى أو حديدى ؟

١٢ - هل هناك معلومات عن مشاكل يسببها الدفن دون تابوت (كالتأثير على المياه الجوفية أو البيئة ..) ؟

السؤال الأول :

وجوب غسل الميت ، وكيفية غسله ؟

الإجابة :

غسل الميت فرض كفاية على الأحياء ، والمفروض غسله مرة واحدة بحيث يعم بها جميع

بدنه .

وكيفية الغسل أن يوضع على شيء مرتفع (منضدة ذات فتحات) ويلف الغاسل على يده خرقة (قطعة قماش طاهرة) يأخذ بها الماء ، ويغسل قبله ، ودبره ، ـ الاستنجاء ـ ثم يوضأ ، ويبدأ بوجهه ثم يضجع الميت على يساره ليبدأ بغسل يمينه ، فيصب الماء على شقه الأيمن من رأسه إلى رجليه ثلاث مرات حتى يعم الماء الجانب الأسفل ، ولا يجوز كب الميت[1] على وجهه لغسل ظهره ، وإنما يحرك من جانبه حتى يعمه الماء ثم يصب الماء على شقه الأيسر بالكيفية المتقدمة فإذا استوعبت جميع بدنه حصل بها فرض الكفاية ، ومن السنة أن يزاد على هذه الغسلة غسلتان أخريان في إحداهما بطنه برفق ، ويغسل ما يخرج ، ولا بأس من استعمال المنظفات كالصابون وغيره ، وكذلك تدفئة الماء ، وبعد ذلك يجفف الميت ويوضع عليه الطيب[2] إن وجد .

السؤال الثاني :

هل هناك فروق بين غسل المرأة والرجل ، وهل يمكن لرجل أن يغسل امرأة ، أو العكس ؟

الإجابـــة :

ليس هناك فرق بين غسل الرجل والمرأة ، ولا يحل للرجال تغسيل النساء وبالعكس إلا الزوجين ، وإذا ماتت امرأة بين رجال ليس معهم امرأة غيرها أو زوج لها ، وتعذر احضار امرأة تغسلها فعلى الغاسل الأجنبي أن يضع خرقة على يده وييممها[3] مع غض بصره عن ذراعيها .. أما إذا مات رجل بين نساء ليس معهن رجل ولا زوجة فإن كان معهن قاصرة لا تشتهى علمتها الغسل وغسلته ، وإن لم توجد قاصرة ييممنه إلى مرفقيه مع غض بصرهن عن عورته ، ولكن إذا غسل الميت مع مخالفة شيء من ذلك صح غسله مع الإثم .

وإذا كان الميت صغيراً جاز للنساء تغسيله ، وإن كانت صغيرة جاز للرجال تغسيلها .

السؤال الثالث :

كيف يكفن الميت ؟ وبأية ثياب ؟ وكم كفناً يلبس الرجل ، وكم كفناً تلبس المرأة ؟

الإجـــابة :

تكفين الميت فرض كفاية ، وأقله ما يستر جميع بدن الميت ذكراً كان أم أنثى ، والكفن ثلاثة أنواع : كفن السنة ، وكفن الكفاية ، وكفن الضرورة .

وكفن السنة للرجال والنساء : قميص ، وإزار ، ولفافة ، والقميص من أصل العنق إلى القدم ، والإزار من قرن الرأس إلى القدم ومثله اللفافة ، ويزاد للمرأة على ذلك خمار يستر وجهها ، وقطعة قماش تربط ثدييها ، ولا تعمل للقميص أكمام ولا فتحات في ذيله ، وتزاد اللفافة عند رأسه وقدمه حتى يمكن ربط أعلاها وأسفلها فلا يظهر من الميت شيء .

---

(١) بأن يكون ظهره أعلى وبطنه ووجهه إلى أسفل .

(٢) يقصد به ما كان طيب الرائحة ، المتداولة .

(٣) والتيمم ضربتان على تراب طاهر جاف ، يمسح بأولهما وجه المتوفى أو المتوفاة ويمسح بالأخرى اليدان إلى المرفقين بحيث تمسح اليد اليمنى على اليد اليسرى ، وهذه على تلك على نحو غسل كل منهما في الوضوء .

وأحب الأكفان أن تكون بالثياب البيض سواء كانت جديدة أو مستعملة نظيفة وكل ما يباح للرجال لبسه فى حال الحياة يباح التكفين به بعد الوفاة .

وينظر فى كفن المرأة إلى مثل ثيابها عند زيارة أبويها ، وإلى الرجل إلى مثل ثيابه لخروجه لصلاة العيدين .

كفن السنة للرجال والنساء ثلاثة أثواب على الوجه التالى : قميص ، وإزار ، ولفافة .

فالقميص عبارة عن ثوب من القماش الأبيض العادى يلبس بحيث يلتف حول الجسم من العنق إلى القدم ، يلبس للميت بحيث يكون ساتراً لجميع الجسد من أصل العنق إلى القـــدم ، ولا يعمل له أكمام ولا فتحات فى ذيله .

والمقصود بالإزار فى التكفين أن يستر الجسم من قرن الرأس إلى القدم ، ويــوضع فوق القميص ، واللفافة مثل الإزار وتكون زائدة عن الإزار بحيث يمكن ربط أعلاها وأسفلها فلا يظهر من الميت شىء ، ويجوز ربط أوسطها بشريط من قماش الكفن إذا خيف انفراجها ، ويلف فيه المتوفى فوق القطعتين السابقتين ، ويزاد للمرأة على ذلك خمار يستر وجهها ورأسها وقطعة قماش يشد بها الثديان .

وأما كفن الكفاية فهو الاقتصار على الإزار واللفافة مع الخمار وخرقة الثديين للنساء ، ويترك القميص فيهما ، فيكفى هذا بدون كراهة .

وأما كفن الضرورة فهو ما يُوجـد حال الضرورة ولو بقدر ما يستر العورة ، وإن لم يوجد شىء يغسل ويجعل عليه أى شىء من النبات ويصلى عليه على قبره وإذا كان للمرأة ضفائر وضعت على صدرها بين القميص والإزار .

السؤال الرابع :

ما هو الدعاء الذى يقرأ على الميت ، وهل يصلى عليه وهل تعتبر الصلاة على الميت واجبة ؟

الإجـــابة :

الأمر المشروع هو صلاة الجنازة وهى فى حقيقتها دعاء للميت وهى فرض كفاية على الأحياء ، وهى أربع تكبيرات ، والدعاء يكون بعد التكبيرة الثالثة ، ولا يجب الدعاء بصيغة خاصة بل المطلوب الدعاء بأمور الآخرة ، والأحسن أن يدعو بالمأثور فى حديث عوف بن مالك وهو : « اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ، وعذاب النار » ، فإن كان أنثى يبدل ضمير المذكر بضمير الأنثى ولا يقول : « وزوجاً خيراً من زوجها » .

وإن كان طفلاً يقول : اللهم اجعله لنا فرطاً ، اللهم اجعله لنا ذخراً وأجراً ، اللهم اجعله لنا شافعاً مشفعاً ، ويمكن للمصلى أن يدعو بما شاء .

السؤال الخامس :

كيف تكون صلاة الجنازة ؟ وأين تتم ؟

الإجابة :

صلاة الجنازة ، أربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام ، وصفتها أن يقوم المصلى بحذاء صدر الميت ، ثم ينوى أداء فريضة صلاة الجنازة ، عبادة لله تعالى ، ثم يكبر للإحرام مع رفع يديه

حين التكبير ، ثم يقرأ الثناء ـ سبحانك الله وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ثم سورة الفاتحة ـ ثم يكبر تكبيرة أخرى بدون أن يرفع يديه ثم يصلى على النبى ﷺ بالصيغة التى تلك فى آخر التشهد ، ثم يكبر ثالثة بدون رفع يديه أيضاً ، ثم يسلم تسليمتين إحداهما عن يمينه وثانيهما عن يساره ولا ينوى السلام على الميت فى التسليمتين ويسر فى الكل إلا فى التكبير .

وعند المالكية يقف المصلى عند وسط الميت إن كان رجلاً وعند منكبيه إن كان امرأة وعند الشافعية يقف المصلى عند رأس الميت إن كان ذكراً وعند عجزه إن كان أنثى .

وتجوز صلاة الجنازة فى أى مكان ، وفى صلاتها بالمسجد مكروهة عند الحنفية والمالكية وأباحها الحنابلة إذا لم يخش تلويث المسجد ، وقال الشافعية : يندب الصلاة على الميت فى المسجد .

السؤال السادس :

هل يجوز أن يقتطع أى عضو من الميت للتبرع به ؟

الإجابة :

يجوز شق بطن الإنسان الميت وأخذ عضو منه أو جزء من عضو لنقله إلى جسم إنسان حى آخر يغلب على ظن الطبيب استفادة الأخير بالجزء المنقول إليه ـ رعاية للمصلحة الراجحة التى ارتآها الفقهاء القائلون بشق بطن التى ماتت حاملاً والجنين يتحرك فى أحشائها وترجى حياته بعد إخراجه وإعمالاً لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[1] .

وهذا إذا وجدت وصية من المتوفى قبل وفاته بإباحة جزء من جسده أو عرضه لطلاب الطب للتشريح كوسيلة تعلم أو بإذن من ولى المتوفى كالأب والجد لأب والإبن أو إبن الإبن أو الأخ الشقيق أو لأب ، فإذا لم يوجد أحد من هؤلاء عرض الأمر على جهة قضائية (النيابة العامة) ولها إذا رأت ضرورة لأخذ جزء من المتوفى لنفع إنسان آخر بطريق العلاج أذنت بذلك .

السؤال السابع :

هل هناك قواعد تراعى فى القبر ، كالطول أو العرض ، أو العمق ، أو الجهة ؟

الإجابة :

دفن الميت فرض كفاية إن أمكن ، فإن لم يمكن : كما إذا مات فى سفينة بعيدة عن الشاطىء ويتعسر أن ترسو على مكان يمكن دفنه به قبل تغير رائحته فإنه يربط بمثقل ويلقى فى الماء .

وعند إمكان دفن الميت يجب أن يحفر له حفرة فى الأرض وأقلها عمقاً ما يمنع ظهور الرائحة ، ونبش السباع ، وأقلها طولاً وعرضاً ما يسع الميت ومن يتولى دفنه ثم إذا كانت الأرض صلبة فيسن فيها اللحد وهو أن يحفر أسفل القبر من جهة القبلة حفرة تسع الميت ، وإن كانت الأرض رخوة فيباح فيها الشق وهو أن يحفر فى وسط أسفل القبر حفرة كالنهر ثم يبنى جانباه بالطوب اللبن .

السؤال الثامن :

كيف يجب أن يظهر القبر فوق الأرض ؟ الحجم أو الإحاطة بالجدران أو البناء عليه ؟

---

(1) بتصرف عن كتابنا : « الفقه الإسلامى » مرونته وتطوره ص ٢٥٢ .

الإجابـــة :

يظهر القبر فوق الأرض بارتفاع التراب فوقه بقدر شبر ويجعل كسنام البعير ، ويكره أن توضع أحجار أو خشب أو نحو ذلك إلا إذا خيف ذهاب معالم القبر ؛ فيجوز وضع ذلك للتمييز كما يكره أن تبنى على القبر حيطان تحدق به إذا لم يقصد بها الزينة والتفاخر وإلا كان حراماً ، كره الحنابلة البناء مطلقاً ، وبذلك فإن ما يفعله الناس هذه الأيام ولما ابتدعوه من التفاخر فى البنيان على القبور أمر لا تقره الشريعة إلا إذا تعذر الحفر بالأرض والدفن فى باطنها لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض ـ فمثلا ـ عندئذ ـ يباح الدفن بوضع الميت على سطح الأرض داخل مقبرة محاطة بجدران وسقف يسع لوضع الميت ومن يقوم بدفنه .

السؤال التاسع :

كيف يوضع الميت المسلم فى القبر من حيث الجهة ، ووضع الرأس ، وهل يمكن أن يدفن ميت فى قبر ميت آخر .

الإجـابة :

يجب وضع الميت فى قبره مستقبلًا القبلة بوجهه (قبلة الصلاة ـ الكعبة) ، ويسن أن يوضع على جنبه الأيمن ، ويستحب أن يسند رأسه ورجلاه بشىء من التراب أو الطوب اللبن ، ويكره وضع وسادة أو فراش أو نحو ذلك فى قبره ويمكن دفن أكثر من ميت فى قبر واحد وكره الحنفية ذلك إلا للحاجة ، والشافعية والمالكية قالوا : يحرم ذلك إلا لضرورة ككثرة الموتى أو لحاجة كمشقة على الأحياء .

السؤال العاشر :

هل هناك وقت محدد لا يمكن تجاوزه عند دفن الميت وكم يمكن أن يبقى الميت بدون دفن ؟

الإجـــابة :

من السنة التعجيل بتجهيز الميت ودفنه ، وفى حالة الضرورة التى تحول دون ذلك يمكن تأخير الدفن ، وأقصى ما يمتد ذلك إلى ما قبيل أن تفوح رائحته ، وقد استحدثت هذه الأيام عقاقير وأدوية مختلفة بواسطتها يمكن احتفاظ جسد الميت بتماسكه وعدم تحلله لفترة طويلة ـ ولكن تأخير دفن الميت بلا ضرورة محرم على كل حال .

وإذا دعت ضرورة للتأخير فيحسن أن تتخذ إجراءات تبريده سواء بوضعه فى الثلاجات المعدة لذلك أو وضع الثلج على جسده إلى أن يوضع فى قبره .

السؤال الحادى عشر :

هل يجوز دفن الميت فى تابوت خشبى أو حديدى ؟

الإجـابة :

لا يجوز أن يوضع الميت فى صندوق إلا لحاجة كنداوة الأرض ورخاوتها فعند ذلك يجوز وضعه فى صندوق .

السؤال الثانى عشر :

هل هناك معلومات عن مشاكل يسببها الدفن دون تابوت ، كالتأثير على المياه الجوفية أو البيئة ؟

الإجـابة :

لا يوجد هناك أى دليل على أن الدفن فى الأرض بدون تابوت قد أحدث تلوثاً فى البيئة ، أو تأثيراً على المياه الجوفية ، فنحن نعلم أن الغابات والصحارى والقيعان والقفار وغير ذلك من أرض الله تذخر بالحيوانات البرية التى تنفق أعداد كبيرة منها وتأكلها الأرض بدون أن يحدث أى تلوث أو تأثير على امتداد التاريخ الطويل .

تعريف بما جاءت به سورة النور





تشريع الحجاب :

ميز الله الإنسان عن سواه من الكائنات وخصه بخصائص لاتوجد لغيره ، من تلك الخصائص مشروعية لبس الثياب لستر عورته ، تكريماً له ورفعة لشأنه ، وهذه فطرة فطر الله الإنسان عليها منذ بدء الخليقة .

وهذا من أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوانات ، ولقد أحاط الله المرأة بسياج من المنعة والنقية حيث أمرها بما يحفظ عليها كرامتها ويصون عرضها وشرفها ، ويحول بينها وبين عدوان الفسقة والذين لا يرقبون فيها إلا ولا ذمة .

ولهذه كانت المرأة المحجبة بمنأى عن العدوان عليها فلا يتسلط عليها أحد ، ولايلتفت إليها إنسان ، كما نشاهد فى زماننا المعاصر .

والحجاب لغة : هو المنع من الوصول(٨٦) .

والمراد هنا : الستر الشرعى(٨٧) ، كما دلت عليه الآية الكريمة : ﴿ فاسئلوهن من وراء حجاب ﴾(٨٨) .

وللحجاب الشرعي شروط ، وهي :

---

* الكاتب : أستاذ بكلية الإلهيات ـ جامعة مرمره باستنبول ـ تركيا .

(٨٦) المفردات : ١/١٥٥ .

(٨٧) « بصائر ذوى التمييز » : ٢/٤٣٣ ؛ يقول الفيروز آبادى : بعد ما بين الحجاب لغة : وقد ورد الحجاب فى القرآن على أوجه : الأول : بمعنى الحبل الذى تحتجب به الشمس آخر النهار (حتى توارت بالحجاب) سورة ص ، الآية : ٣٢ .

الثانى : بمعنى الستر الشرعى : (فاسئلوهن من وراء حجاب) الأحزاب : ٥٣ .

والثالث : بمعنى الأعراف للسور الذى بين الجنة والنار (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال) الأعراف : ٤٦ .

وقيل : ليس المراد بالحجاب ما يحجب النظر ، وإنما المراد ما يمنع وصول لذة الجنة إلى أهل النار ، وأذية أهل النار إلى أهل الجنة كقوله ـ تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب) الحديد : ١٣ :

انظر : « بصائر ذوى التمييز » : ٢/٤٣٣ .

(٨٨) الأحزاب : ٥٣ .

أولاً : أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن إلا ما استثنى بدليل قوله ـ تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٨٩) .

وهذه الآية تدل بكل صراحة على وجوب ستر الزينة كلها وعدم إظهار شيء منها بغير تعمد(٩٠) .

قال ابن كثير : « الخمر جمع خمار وهو ما يخمر به ، أى يغطى به الرأس وهى التى يسميها الناس المقانع »(٩١) .

والمعنى :

وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن .

والجيوب : النحور والصدور .

فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن : أى يغطين رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة ، وهذا يخالف ما كانت عليه نساء الجاهلية . يقول الزمخشرى : « ويجوز أن يراد بالجيوب : الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ، والجيوب جمع جيب »(٩٢) .

قال القرطبى : « والجيب هو موضع القطع من الدرع والقميص ، وهو من الجوب بمعنى القطع »(٩٣) .

يقول الإمام ابن كثير : « ولقد كانت المرأة منهن ، من نساء الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن »(٩٤) .

يقول الزمخشرى : « كانت جيوب نساء أهل الجاهلية واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن ، فتبقى مكشوفة ، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها »(٩٥) .

ويقول أبو السعود : فى تفسير هذه الآية : « إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن إبدائها ، وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن ، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها ، فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترا لما يبدو منها »(٩٦) .

وهذه الأقوال جميعا تشير إلى ضرورة ستر ما أمر الله بستره .

وعلى المرأة المؤمنة أن تتجنب من السلوك المؤدى إلى طريق أهل الجاهلية كما خالفت المؤمنات السابقات لنساء أهل الجاهلية بعد نزول هذه الآية الكريمة .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها : « يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله : (وليضربن

---

(٨٩) النور : ٣١ .

(٩٠) سأعقد بحثا خاصا عن الجزء المستثنى من الحجاب نظرا لطول الاختلاف فيه .

(٩١) تفسير مختصر ابن كثير : ٦٠/٢ ؛ وفى لسان العرب : الخمر : جمع خمار ، وهو : ما تغطى به المرأة رأسها ، كل مغطى خمر ٢٥٨/٤ .

(٩٢) الكشاف : ٦٢/٣ .

(٩٣) تفسير القرطبى : ٤٦٢٢/٦ .

(٩٤) تفسير ابن كثير : ٢٨٤/٣ ، طبع الحلبى .

(٩٥) تفسير الكشاف : ٦٢/٣ .

(٩٦) تفسير أبو السعود : ١٧٠/٦ .

(*) سبق نشر البحوث السابقة لهذا البحث ، بأعداد ذى الحجة ١٤١٤هـ ، وشوال ١٤١٥هـ ، وذى القعدة ١٤١٥هـ .

بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن به»[97] .

وعن صفية بنت شيبة[98] ، قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرنا نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها : إن لنساء قريش لفضلا ، وإنى ـ والله ـ ما رأيت أفضل من الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله ، ولا إيمانا بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل[99] فاعتجرت به[100] ، تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأنهن على رؤوسهن الغربان»[101] .

أمر الإسلام المرأة أن تخفي في بيتها فلا تبدى من زينتها عند وجود الأجانب إلا ما استثنى ، كما دلت عليه الآية التى ذكرناها[102] .

لكن نراه يطالبها بمضاعفة الثياب الكثيفة زيادة على ما كانت عليه داخل البيت إن هي خرجت من بيتها حتى لا تشف تلك الثياب عن جسمها ولا تظهر من زينتها ضمانا لكرامتها وصونا لشرفها .

وهذه الثياب التى يطالب المرأة بلبسها هى الجلباب كما جاءت في الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ﴾[103]

يدنين عليهن : أى يسدلن ويرخين .

قال القاضى بيضاوى : « يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة »[104] .

وهذا لا يحصل إلا بالجلباب ، والجلباب : هو الثوب الذى يستر جميع البدن .

يقول ابن كثير : هو (الجلباب) الرداء فوق الخمار ، وهو بمنزلة الإزار اليوم »[105] .

وعلى المرأة المؤمنة أن تلبس جلبابها الكثيف والواسع إذا خرجت من دارها كما فعله نساء الأنصار بعد نزول هذه الآية فورا .

لأن الجلباب أستر لها وأنسب لسيرتها ، وبذلك تعرف المؤمنات العفيفات عن غيرهن من النساء كما دل عليه قوله ـ تعالى :

(ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ) .

ذهب جمهور المفسرين[106] إلى المراد من قوله ـ تعالى : (أن يعرفن) أى : يعرفن أنهن حرائر ويميزن عن الإماء ، وعلى هذا يكون الأمر بالحجاب موجها إلى الحرائر لا إلى الإماء .

أما أبو حيان فقد اختار وجها آخر غير الوجه الذى ذهب إليه الجمهور ، وهو يجعل الأمر

---

(97) صحيح البخارى : تفسير سورة النور 13/6 ؛ وروى أبو داود بنحوه : كتاب اللباس ، رقم الحديث : 4102 ، 61/4 ، والطبرى : 18/120 واللفظ للبخارى .

(98) وفي رواية عن صفية بنت شيبة عن عائشة ... « أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها » صحيح البخارى : تفسير سورة النور 13/6 .

(99) مروط مرحل : نقش فيه تصاوير الرحال .

(100) واعتجرت المرأة : لبست المعجر ، وهو الثوب ، الذى تشده على رأسها .

(101) تفسير ابن كثير : 48/6 ـ 49 ؛ رواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة ، كتاب اللباس ، باب في قوله ـ تعالى : (يدنين عليهن من جلابيبهن) الحديث : 4101 ، 61/4 .

(102) النور : 31 .

(103) الأحزاب : 59 .

(104) تفسير البيضاوى : 184/7 ، حاشية الشهاب .

(105) تفسير ابن كثير : 470/6 .

(106) انظر : تفسير القرطبى : 5326/9 ؛ زاد المسير : 422/6 ؛ تفسير البغوى : 277/5 مطبوع مع الخازن ؛ الخازن : 277/5 .

بالحجاب موجها لجميع النساء سواء منهن الحرائر والإماء .

وعلى رأى أبى حيان : يكون معنى قوله ـ تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

أى يعرفن بالعفة والستر والصيانة ، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد بما لا يليق من الكلام وغيره .

يقول : « والظاهر أن قوله ـ تعالى : (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر ، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح .

وقوله : (أدنى أن يعرفن) أى : يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن ؛ لأن المرأة إذا كانت فى غاية التستر والاحتشام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة ؛ فإنها مطموع فيها »[107] .

ويبدو لنا أن هذا الرأى يتفق مع أهداف الدين الإسلامى ، وعموم تعاليمه ولذلك فهو الأولى بالقبول .

وسبب نزول الآية : كما ذكره الواحدى وغيره : أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا : هذه حرة ، وإذا رأوها بغير قناع قالوا : أمة فآذوها فنزلت الآية[108] .

يقول ابن حزم : « أما الفرق بين الحرة والأمة ، فدين الله واحد والخلقة واحدة ، كل ذلك فى الحرائر والإماء سواء حتى يأتى نص فى الفرق بينهما فى شىء فوقف عنده »[109] .

ثانياً : أن لا يكون الثوب زينة فى نفسه أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة تلفت الأنظار ، يقول الله ـ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) ؛ لأن الآية تنهى عن إبداء الزينة ، فلا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب أو الرداء ، نفسه زينة ، والستر بهذا الثوب لا يسمى حجابا ؛ لأن الحجاب الشرعى هو الذى يمنع ظهور الزينة .

ثالثاً : أن يكون الثوب كثيفا غير رقيق لا يشف ، ويراد بالكثيف الثوب السميك الذى لا يظهر ما تحته ليكون ساترا كما شرع له ؛ لأن الغرض من الحجاب الشرعى هو الستر ، والثوب الشفاف لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر ، بل يزيد المرأة فتنة وزينة وجاذبية .

رابعاً : وأن يكون الثوب فضفاضا غير ضيق ، لا يجسم ولا يصف حجم الجسم .

حكم القواعد من النساء :

كل ما جاء من أحكام الستر واللباس الذى ذكرناه مفصلا ، هو للمرأة الشابة ، فإذا جاوزت المرأة هذه السن ، وتقدمت فيها ، فإنه يخفف فى شأنها لقوله ـ تعالى :

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾[110] .

والعلة فى التخفيف هى عدم الرجاء فى النكاح ، كما صرحت الآية وهو أن تبلغ المرأة سناً تقل فيها الشهوة الجنسية التى لا تشتهى ولا يرغب فيها عادة .

يقول أبو عبيدة : « والقواعد : جمع قاعد :

---

(107) البحر المحيط : 7/250 .

(108) أسباب النزول للواحدى : ص428 ؛ ذكره السيوطى فى الدر : 5/222 .

(109) المحلى : 3/218 ـ 219 .

(110) النور : 60 .

هن اللواتى قد قعدن عن الولد ولا يحضن »[١١١] ، والمراد بهن العجائز اللواتى لم يبق لهن مطمع فى الزواج لكبر سنهن ، ولا يرغب فيهن الرجال بسبب عجزهن ، فأما المرأة التى كانت فيها بقية من جمال ، وعندها رغبة فى الزوج ، فلا تدخل فى هذا الحكم .

رخص الله ـ تعالى ـ للقواعد من النساء أن يضعن بعض ثيابهن بعد النهى عن إبداء زينتهن ، قال بعض العلماء فى ذلك : نسخت قوله ـ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) بقوله ـ تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة .....) .

ولكن القول بالنسخ ليس بصحيح كما بينه العلماء .

قال مكى بن أبى طالب : وقد يكون قوله ـ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) مخصوصا فى غير القواعد ، وتكون آية القواعد خصصتها ، وبينت أنها فى غير القواعد من النساء ، ودليل ذلك : أن حكم الأول لم يزل بكليته إنما زال بعضه ، وأكثر النسخ وبابه وأصله إنما هو بزوال الحكم الأول وحلول الثانى محله ، وباب التخصيص معناه : زوال بعض حكم الأول وبقاء ما بقى على حكمه ، فهذا بالتخصيص أشبه منه بالنسخ »[١١٢] .

وقال أبو منصور فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » : « قال ابن عباس ثم نسخ منها ـ أى : من قوله ـ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) ، القواعد من النساء بقوله : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) ، وقال أكثر العلماء : هما محكمتان[١١٣] .

ولعل هذا هو الصواب ، لأن الآية الأولى ، وهى قوله ـ تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ حرمت على كل مؤمنة إبداء زينتها إلا ما ظهر منها وهى : الوجه والكفان على رأى الجمهور كما بينا فى محله ، وهذا كما يشمل القواعد من النساء اللاتى قعدن من الحيض والولد ، يشمل أيضا غيرهن ، فجاءت هذه الآية (والقواعد من النساء اللاتى) فأباحت للقواعد وضع الثياب ، وهو الجلابيب على الرأى العام ، بشرط أن لا يكون القصد من ذلك التبرج وإبداء الزينة .

إذن فهذه الآية ، رفعت بعض حكم الأولى ، ولم ترفعه كله ، وهذا تخصيص وليس بنسخ .

وليس المراد من وضع الثياب أن تخلع المرأة ما عليها من الثياب ، لأن ذلك لا يجوز للعجوز أمام محارمها ، فكيف يكون عند الأجانب ؟ بل المراد بالثياب فى هذه الآية : هو الجلباب والرداء ، وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء[١١٤] .

---

(١١١) « مجاز القرآن » : ٦٩/٢ ، قال صاحب القاموس : إنها التى قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزواج ، وقال ابن قتيبة : والقواعد : يعنى العجز ، واحدها : قاعد ، ويقال : إنما قيل لها قاعد ، لقعودها عن الحيض والولد ، تفسير غريب القرآن ، ص : ٣٠٧ .

(١١٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ص : ٣١٩ .

(١١٣) الناسخ والمنسوخ : بتحقيق حلمى كامل أسعد .

(١١٤) ذكره الطبرى فى تفسيره : ١٦٥/١٨ ـ ١٦٧ ، عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ، انظر القرطبى : ٤٧٠٠/٦ ، تفسير غريب القرآن ، ص : ٣٠٧ ، قال أبو حيان : فى قوله ـ تعالى : (أن يضعن ثيابهن) : الجلباب والرداء والقناع الذى فوق الخمار ، البحر المحيط ٤٧٣/٦ وقال ابن زيد : المراد به ، الخمار ، تفسير الطبرى ١٦٦/١٨ .

بينت الآية الكريمة بعد الرخصة للعجائز أن يضعن الجلباب، أن الاستعفاف: أى: طلب العفة بلبس الجلباب والرداء[115] خير لهن؛ لأن المرأة ولو كانت عجوزاً، لا تشتهى، ولا يرغب فيها إلا أن بعض النفوس قد تميل إليها وتشتهيها، والإسلام ما منع من إبداء الزينة إلا قطعا للشهوات، وخوفاً من هذه الفتنة جعل الإسلام الاستعفاف خيراً، وسلكت المؤمنات العفيفات هذا الطريق.

روى عن عاصم أنه قال: «كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به، فنقول لها: رحمك الله، قال ـ تعالى: (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة)، هو الجلباب، قال: فتقول لنا: أى شىء بعد ذلك؟ فنقول: (وأن يستعففن خير لهن) فتقول: هو إثبات الجلباب»[116].

فإذا كان استعفاف العجائز ـ التى لا تشتهى ولا يرغب فيها ـ عن وضع الثياب الخارجية خيراً لهن، فما بالك بالشابات ذوات الزينة؟

والإسلام رخص للقواعد فى وضع الجلباب والرداء، والتخفيف فى سترهن بشرط أن لا يكون القصد من هذا إبداء الزينة والتبرج، كما أشارت إليه الآية الكريمة، بقوله ـ تعالى: (غير متبرجات بزينة)، وجاء فى آية أخرى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[117].

والتبرج: هو التكلف فى إظهار ما يجب إخفاؤه، ثم استعمل فى خروج المرأة من الحشمة بإبداء مفاتنها ومحاسنها.

يقول أبو عبيدة: فى قوله ـ تعالى: (غير متبرجات).

التبرج: أن يظهرن محاسنهن مما لا ينبغى لهن أن يظهرنها[118].

ويقول الزمخشرى: «فإن قلت ما حقيقة التبرج؟ قلت: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه، من قولهم، سفينة بارج، أى: لا غطاء لها، والتبرج: سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله، لا يغيب منه شىء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها»[119].

يقول الشيخ سيد سابق: «[120] إن أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان اتخاذ الملابس وأدوات الزينة.

يقول الله ـ تعالى: (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)[121].

الملابس والزينة هما مظهران من مظاهر المدنية والحضارة، والتجرد عنهما إنما هو عودة إلى الحياة البدائية.

وإذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الإنسان الراقى، فإنه بالنسبة للمرأة ألزم؛ لأنه الحفاظ الذى يحفظ عليها دينها وشرفها وعفتها وحياءها،

(115) قال ابن قتيبة: وأن يستعففن: فلا يلقين الرداء، تفسير غريب القرآن: ص: 308.

(116) أخرجه البيهقى: فى السنن الكبرى: 93/7.

(117) سورة الأحزاب: 33.

(118) مجاز القرآن: 69/2.

(119) الكشاف: 76/3.

(120) فقه السنة: 209/2 ـ 211.

(121) الأعراف: 26.

وهذه الصفات ألصق بالمرأة وأولى بها من الرجال ومن ثم كانت الحشمة أولى بها وأحق، إن أعز ما تملكه المرأة، الشرف والحياء والعفاف، والمحافظة على هذه الفضائل، محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها.

٤ - الترغيب في النكاح والدعوة إلى الاستعفاف:

أمر - سبحانه وتعالى - بغض البصر وحفظ الفروج وحذر من مقارفة الفواحش، وارتكاب الموبقات، فنهى عن الزنى ودواعيه من النظر وكشف العورات، وإبداء الزينة على النحو الذى أشرت إليه. وبعد ذلك أرشد - سبحانه وتعالى - إلى ما يحل للعباد من النكاح[١٢٢].

فقال - تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٢٣].

يقول أبو السعود: «بعد ما زجر الله - تعالى - عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة، أمر بالنكاح، فإنه مع كونه مناطاً لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك»[١٢٤].

وفي الآيات نرى أن الله - تعالى - يأمر بإعفاف الشباب وتحصين الأحرار والإماء من الرجال والنساء وحيث كان الأمر بتزويج من لا زوج له مطلقا من أحرار الرجال والنساء، ومن أهل الصلاح والتقى من العبيد والموالى، والمراد بالصلاح هنا الإيمان[١٢٥].

وإن كان هؤلاء الذين تزوجونهم فقراء، فإن الله - تعالى - سيغنيهم من فضله، فهو واسع الفضل، كريم العطاء والسعة.

والخطاب هنا للأولياء على القول الصحيح بدلالة الخطاب المتلفظ به في الآية.

يقول القرطبي: «والخطاب للأولياء، وقيل للأزواج، والصحيح الأول. إذ لو أراد الأزواج لقال: «وانكحوا» بغير همز، وكانت الألف للوصل»[١٢٦].

والمراد بالأيامى هو من لا زوج له مطلقاً من الرجال والنساء[١٢٧].

---

(١٢٢) اختلف الفقهاء واللغويون في معنى النكاح، فقيل النكاح في اللغة الضم. ومن قولهم: «تناكحت الأشجار» إذا انضم بعضها إلى بعض. وعلى هذا المعنى فاستعماله في العقد والوطء، مجاز لما فيهما من الضم. وقيل حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، لأنه سببه. وقيل: بالعكس لأنه لم يستعمل في القرآن إلا بمعنى التزوج، والوطء مسبب عنه. انظر: تهذيب اللغة: ٤/١٠٢ - ١٠٣، الصحاح: ١/١٩٩، المصباح المنير: ٢/٩٦٥.
والنكاح في الشرع: هو عقد يفيد ملك المتعة قصدا، أي: يفيد حل استمتاع الرجل بالمرأة على سبيل الاختصاص. انظر: الفتاوى الهندية: ١/٢٦٧، حاشية الطحاوى: ١/٣١، مجمع الأنهر: ١/٣١٦.

(١٢٣) النور: ٣٢ - ٣٣.

(١٢٤) تفسير أبو السعود: ٦/١٧١.

(١٢٥) زاد المسير: ٦/٣٦.

(١٢٦) تفسير القرطبي: ٦/٤٦٣١، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣/١٣٧٦.

(١٢٧) قال أبو عبيدة: من الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم ولهن، ويقال: رجل أيم وامرأة أيمة وأيم أيضا. مجاز القرآن: ٢/٦٥. وقال ابن قتيبة: والأيامى من الرجال والنساء هم الذين لا أزواج لهم. يقال رجل أيم وامرأة أيم، ورجل أرمل وامرأة أرملة، ورجل بكر وامرأة بكر، إذا لم يتزوجا. ورجل ثيب وامرأة ثيب إذا كانا قد تزوجا. تفسير غريب القرآن: ٣٠٤.

والعباد تعني العبيد[128].

وقد اختلف العلماء في دلالة الأمر في الآية على الحكم الشرعي للنكاح . فذهب بعض العلماء إلى أن الأمر للندب[129]، وذهب البعض الآخر إلى أنه للوجوب[130].

يقول القرطبي : « واختلف العلماء في هذا الأمر على ثلاثة أقوال : فقال علماؤنا : يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت ، ومن عدم صبره ، ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه ، وإذا خاف الهلاك في الدين أو الدنيا أو فيهما فالنكاح واجب ، وإن لم يخش شيئاً ، وكانت الحال مطلقة ، فإن الشافعي يرى أن النكاح مباح ، وقال مالك وأبو حنيفة هو مستحب[131].

حث ديننا الحنيف على الزواج ورغب فيه عند الاستطاعة ؛ لأنه أسلم طريقة لتصريف الدوافع الحسية والفطرية بصورة شرعية صحية كريمة ، وهو الوسيلة المثلى لإخراج النسل وبقاء النوع وتكثير الأمة وبه تعزز عواطف الحب والود والشفقة والرحمة في نفس الزوج والزوجة والأبناء وما يحيط بهم من أهل وأقارب .

وقد يتردد المرء في قبول الزواج فيتركه خوفاً من ثقل التكاليف وهرباً من مشقة الأعباء وقوتها ، وبخاصة في عصرنا الحديث التي تشابكت فيه الأمور وتعقدت مسائل الحياة ، وفي هذه الحالة يأتي الإسلام ويبدل الخوف أمناً والهرب إقبالاً ، ويجعل الزواج أمراً دينياً يتصل مباشرة بطاعة الله ورسوله ، ويؤكد أن الله – تعالى – سيجعل الزواج سبيلاً إلى الغنى ، فهو وحده الرزاق ذو القوة المتين .

---

(128) من عبادكم : أي : من عبيدكم يقال : عبد وعباد وعبيد ، تفسير غريب القرآن : ص : 304 .

(129) زاد المسير : 6/36 ، والكشاف : 3/63 .

(130) تفسير ابن كثير : 6/53 ، جاء فعل الأمر في القرآن للوجوب : أقم الصلاة » الإسراء » : 78 ، للندب : فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا » النور 33 » ، للإباحة : وإذا حللتم فاصطادوا » المائدة 2 » ، للإكرام : ادخلوها بسلام آمنين » الحجر 46 » ، للتهديد : اعملوا ما شئتم » فصلت : 40 » ، للتعجيز : فادرؤوا عن أنفسكم الموت » آل عمران 168 » .

(131) تفسير القرطبي : 9/4631 ، وانظر : أحكام القرآن لابن العربي : 3/1377 .

قال الزيلعي : وأما في حالة الاعتدال اختلف مشايخنا ، فقيل : فرض كفاية ، وقيل : واجب على الكفاية ، وقيل : مستحب ، وقيل : سنة مؤكدة ، وهو الأصح . تبيين الحقائق ، شرح كنز الدقائق : 2/95 ، قال = الشيرازي : من جاز له النكاح من الرجال وهو جائز التصرف ، فإن كان غير محتاج إليه كره له أن يتزوج ، وإن كان محتاجه استحب له أن يتزوج . التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ص : 102 . وفي بلغة السالك : فالراغب إن خشي العنت وجب عليه ولو مع إنفاق عليها من حرام أو مع وجود مقتضى التحريم غير ذلك . فإن لم يخش ندب له ، وغير الراغب إن خاف به قطعه عن العبادة فغير واجب ، وإن لم يخش ورجى النسل ندب ، فإن لم يرج أبيح . انظر : « بلغة السالك لأقرب المسالك » إلى مذهب الإمام مالك : 1/373 – 374 .

قال ابن قدامة : والناس في النكاح على ثلاثة أضرب منهم : من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء .

والثاني : من يستحب له : وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور . فهذا الاشتغال به أولى من التخلي بنوافل العبادة ، وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة – رضوان الله عليهم .

القسم الثالث : من لا شهوة له ، إما لأنه لم تخلق له شهوة كالعنين ، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ، ففيه وجهان :

أحدهما : يستحب له النكاح لعموم ما ذكرنا .

والثاني : التخلي له أفضل .

المغني : 7/4 – 6 ، تحقيق : محمود عبدالوهاب فايد ، عبدالقادر أحمد عطاء ، مكتبة القاهرة الطبعة الأولى 1969م .

وقد أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن هذه الحقيقة فقال : ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ حيث جعل ـ سبحانه ـ النكاح سببا لنفي الفقر وحدوث الغنى . وتجارب الواقع خير شاهد على ما يحققه الزواج للناس وبخاصة الفقراء منهم . ومعنى الآية : لا تمتنعوا عن التزوج بسبب فقر الرجل والمرأة أو أحدهما .

يقول الإمام القرطبي : هذا وعد بالغنى للمتزوجين ، طلب رضا الله واعتصاما من معاصيه .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه : التمسوا الغنى في النكاح ، ثم تلا هذه الآية [132] .

وقال عمر ـ رضي الله عنه : عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح .

وقد قال الله ـ تعالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾[133] .

وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف »[134] .

فإن قيل : فنحن نرى كثيراً من الفقراء يتزوجون ويستمر فقرهم ولا يستغنون ؟ فالجواب : إن هذا الوعد مشروط بالمشيئة كما في قوله ـ تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾[135] .

كما أن هذا الغنى متعلق بصدق الأزواج في إيمانهم وقصدهم القرب إلى الله من اقترانهم بالزواج .

يقول الشوكاني في معنى هذا : « حث الله على النكاح ، وأعلن أنه سبب في نفي الفقر ، ولا يلزم أن يكون هذا حاصلا لكل فقير إذا تزوج ، فإن ذلك مقيد بالمشيئة ، وقد يوجد كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغنى إذا تزوجوا »[136] .

سلك الإسلام طرقاً متعددة في توجيه الناس وجهة سليمة لحياة فضلى وشريفة ، تقوم على الكرامة والخلق الرفيع ، وعلى صيانة الحقوق والحرمات . فبغض في الزنا ورغب في النكاح ، وكان ترغيبه في ذلك يأتي على صور متعددة ، فلقد جعله سببا للغنى ونفيا للفقر كما مر ، وأيضا فقد جعله الله ـ تعالى ـ في سنن الأنبياء وهدى المرسلين ، إذ هم القادة الذين يتحتم علينا أن نقتدي بهم ، يقول الله ـ تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[137] ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[138]

وأيضا ، فقد جعل الله الزواج منة ونعمة أنعم بها على عباده ؛ حيث يقول :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾[139] .

---

(132) تفسير القرطبي : 4633/6 .

(133) نفس المرجع .

(134) سنن الترمذي : أبواب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح وعون الله إياهم الحديث : 1706 ، 103/3 ، واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن ، ومسند أحمد : 251/2 ، والنسائي : كتاب النكاح ، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف : 61/6 ، وسنن ابن ماجه : كتاب العتق ، باب : المكاتب ، الحديث 2518 ، 841/2 ـ 842 .

(135) التوبة : 28 .

(136) فتح القدير : 28/4 .

(137) الأحزاب : 21 .

(138) الرعد : 38 .

(139) النحل : 72 .

وفى النكاح ترويح وإيناس للنفس بالمجالسة والنظر والملاعبة وإراحة للقلب ، وتقوية له على العبادة ؛ فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور ؛ لأنه على خلاف طبعها ، فلو كانت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ، ولذلك قال الله ــ تعالى : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[١٤٠] ، [١٤١] وهكذا يجد كل واحد من الزوج والزوجة فى ظل الآخر سكينة النفس ، وسعادته الزوجية .

ونرى الإسلام قد وقف من الذين سلكوا طريق الرهبانية تبتلا وعبادة لله عازفين عن كل شأن من شئون الحياة ، قائمين الليل ، صائمين النهار ، معتزلين النساء . وقف منهم الإسلام موقفا إيجابيا ، حيث وجدهم يقيمون الحياة على السلبية التى لا يقرها الإسلام ولا يعترف بها أبداً .

فبين لهم أن مسلكهم هذا وطريقتهم تلك منافية لفطرة الله ومغايرة لدينه ، لأن خاتم الأنبياء ، وسيدهم وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له ، كان يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، وأن من خرج من هديه فليس منه ، كما أشار إلى ذلك ﷺ بقوله الذى رواه أنس ــ رضى الله عنه ــ إذ قال : « إن نفرا من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى عن عمله فى السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[١٤٢] .

نرى من هذا الحديث وغيره أن شريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ، ويزهد فيه بنية الرهبانية ، والتفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولاسيما إن كان المسلم قادراً عليه متيسراً له أسبابه ووسائله .

والزواج عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه ، ويلقى بها ربه على أحسن حال ، فالزوجة ولاسيما إذا كانت صالحة إنما هى فيض من السعادة تغمر البيت وتملؤه سروراً وبهجة .

فعن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى »[١٤٣] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[١٤٤] .

ومن هنا يتبين أن الزواج هو أحسن وضع طبيعى وأسلم طريقة لإرواء الغريزة وإشباعها ليهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع ويكف النظر عن التطلع عن الحرام وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله ويرضى . وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقى ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعى . ولا يخفى على كل

(١٤٠) الأعراف : ١٨٩ .

(١٤١) انظر إحياء علوم الدين : ٣٠/٢ .

(١٤٢) صحيح البخارى : كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح : ١١٦/٦ ــ طبع استانبول : ١٩٨١م ؛ صحيح مسلم : باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، ١٧٥/٩ بشرح النووى ، واللفظ لمسلم .

(١٤٣) المستدرك : كتاب النكاح ، ١٦١/٢ ؛ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(١٤٤) صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب : خير متاع الدنيا المرأة الصالحة : الحديث : ١٤٦٧ ، ١٠٩٠/٢ .

ذى إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع والاتصال الحلال ، تتحلى الأمة – أفراداً وجماعـات – بأفضل الآداب ، وأحسن الأخلاق ، وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسئولية على الوجه الذى يريد الله منها(١٤٥) .

وقال – عز من قائل :

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١٤٦) ، فالمودة الكاملة والألفـة الشاملة ، والسعادة الباقية لن تتحقق مطلقاً بين الزانى والزانية ؛ لأن محضنهما الأصلى هو الزواج الشرعى الذى يجمع بين الطرفين الحنان والعطف والحب والإخلاص والمودة .

وليس ذلك فقط ، بل الزواج أيضاً وسيلة لإنجاب الأولاد وتكثير النسل وعمران الأرض بالذرية الصالحة واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التى يوليها الإسلام عناية فائقة ، فالزواج يستمر بقاء النسل الإنسانى ويتكاثر ، ويتسلسل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقول الغزالى : « الولد هو الأصل وله وضع النكاح ، والمقصود إبقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الأنس » .

والزواج أيضاً معوان على رعاية الطفولة ومراقبتها ، بتحسين شأنها وتوجيهها وجهة سليمة صحيحة ، كما أن عاطفة الأبوة والأمومة لن تتكامل إلا فى ظلال الطفولة ، فترى فيهم مشاعر العطف والود والحنان .

ومن فوائد النكاح مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الزوجات والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربية أولاده ، فكل هذه عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعيته وفضل الرعاية عظيم »(١٤٧) .

إن الطفل فى إطار الأبوين يحاط بالرعاية الكاملة ، فتتوفر له الرضاعة والحضانة والتربية وفق النظم الشرعية ، حيث يتحمل كل واحد من الأبوين مسئوليته المحدودة تجاه ولده ، وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة ، وتحمل المسئولية ، فكل منهما يكمل عمل الآخر .

خلاصة البحث :

وأخيرا ، نقول بحول الله : إن للزواج فوائد عامة ، ومصالح اجتماعية ، كالمحافظة على النوع الإنسانى ، وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقى ، وسلامته من الأمراض السارية ، والتعاون بين الزوجين فى بناء الأسرة وتربية الأولاد . والزواج سنة الله منذ بدء الخليقة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يهتم الإسلام بحفظ العرض ويضع له من التوجيهات الأخلاقية والآداب التشريعية ما يصونه ويحفظه . ومن ذلك طلبه من المسلم الالتزام بالعفة ، بقوله – تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ .

---

(١٤٥) انظر : تربية الأولاد للأستاذ عبدالله ناصح علوان ٣٠/١ .

(١٤٦) الروم : ٢١ .

(١٤٧) انظر : إحياء علوم الدين : ٢٤/٢ بتصرف .

(١٤٨) يقال : عف عن المحارم ، يعف عفة وعفافا وامرأة عفيفة أى : عفيفة الفرج ، لسان العرب ، ٢٥٣/٩ .

والعفة : هي الكف عمـــا لا يحل[148] ، والقصد هنا في هذه الآية العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة .

يأمر الله ـ تعالى ـ الرجال الذين لا يتيسر لهم سبل الزواج لعدم قدرتهم المالية بالعفة عن الفواحش ، والابتعاد عما حرم الله ، حتى يوسع الله عليهم ويسهل لهم أمر الزواج ، لأن العبد إذا اتقى الله جعل له من أمره مخرجا ، كما قال ـ جل شاؤه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[149]

ومن علامات العفة في المجتمع المسلم أن يلتزم الأفراد بالآداب التالية :

الأول : غض البصر عن العورات والحرمات .

الثاني : الالتزام بآداب الطريق والاستئذان .

الثالث : شعور بأن المؤمنين أخوة ، والكل مطالب بعدم العدوان على عرض أخيه ، والمحافظة عليه كأنه عرضه هو ، وقد رسم القرآن الكريم المنهج الأمثل لتحقيق العفة : فحرم النظر إلا الفجأة وأمر المرأة بعدم التبرج وإبداء الزينة وعدم التلين في القول والحركة لكي تبقى النفس على فطرتها وحتى يستمر العفاف المطلوب بين المسلم والمسلمة وهذه الأمور كلها ذكرتها مفصلة في محلها من البحث .

وهنا نذكر لوناً من هذه الآداب التي وضعها النبي ﷺ للعفة وهو الصوم . وقد شرع النبي ﷺ الصوم ليكون وجاء للشباب الذين لا يجدون قدرة على النكاح حتى يغنيهم الله من فضله .

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الشبـــاب[150] من استطاع منكم الباءة[151] فليتزوج فإنه أغضّ للبصر[152] ، وأحصن للفرج[153] ، ومـن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[154، 155]

والحكمة في أمر الرسول ﷺ بالصوم أن الإنسان الصائم يعيش في ضيافة الله ـ تعالى ـ ويشعر بالمعية الدائمة ، ولذلك تجده لا يشتم ولا يخاصم ، وإنما يعلن لكل من شتمه أو خاصمه أنه صائم . وهذا يتضح من كلام النبي ﷺ . وعلى هذا فإن الشاب حين يقصد الصوم لعجزه عن الزواج إنما يضع نفسه تحت الإحساس بالرقابة الإلهية ، وبذلك تسكن الشهوة ويقوى الروح ، ويعيش إنساناً بعيداً عن التفكر في المرأة كأنه قطع شهوته ويكون الصوم له وجاء حينئذ .

وعلى الجملة كذلك فإن من أهم الآداب المستفادة من «سورة النور» موضوع البحث «أدب العفة» وصيانة العرض ، وإحاطة هذا الأدب بكل العوامل المحققة على النحو المشار إليه .

---

(149) الطلاق : 4 .

(150) المعشر : الطائفة ، والذين يشملهم وصف واحد ، فالشباب معشر ، والشيوخ معشر ، والأنبياء معشر ، والنساء معشر .

(151) الباءة : الجماع ، من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنته فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنته فعليه بالصيام ، ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء .

(152) أغض للبصر : أشد غضا للبصر .

(153) أحصن للفرج : أشد حصنا للفرج .

(154) الوجاء : بكسر الواو بالمد ، والمراد هنا : أن الصوم يقطع الشهوة ، ويقطع المني كما يفعله الوجاء . النووي : 9/173 .

(155) انظر للحديث : صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب : من لم يستطع الباءة فليصم 9/117 ، صحيح مسلم : كتاب النكاح ، باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه 9/175 .



لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان*

يقول الله تعالى : [إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾] سورة الأنبياء

ويقول : [وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾] سورة المؤمنون

المسلمون أمة واحدة : وإن اختلفت الألوان والأوطان : ربهم واحد لا شريك له ، وكتابهم واحد وليس بعد كتاب الله كتاب ، ورسولهم واحد وليس بعده رسول ، وقبلتهم واحدة ، وملتهم واحدة :

[شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾] « سورة الشورى » .

ولقد علمنا ديننا الإسلامي أن الإسلام تقوم عقيدته كما تقوم دولته على التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان : وذلك لأن النفس الأبية الطيبة البريئة من كل ما يرديها تأبى على المسلمين إلا أن يكونوا أجلاء بجلال الحق أعزاء بعزة الإسلام أقوياء بقوة الإيمان الذى يحيى القلوب ويعلى الهمم ، ويزكى الأعمال ، ويحقق الآمال ، ويبارك الآجال ، كما حدث في أيام الإسلام الأولى التى صنعت بالإسلام من بين سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، وهذه صورة الأمة المحمدية مرسومة على صفحات القرآن الكريم والله يقول :

[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ

* المدير العام للوعظ والإرشاد سابقا .

فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا]

« آخر سورة الفتح آية ٢٩ » .

لأن الإسلام يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه ، ويحفظ للأمة وحدتها وقوتها ويصون لها هيبتها وهيبتها التى يريدها لها ربها دائما .

والحج مدرسة التوابين ومؤتمر المصلحين

فى جميع العبادات عقيدة ونظام : فقد فرض الله الصلاة لتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفرض الزكاة لتطهير المال وتزكيته وتنميته ، وهى حق معلوم للسائل والمحروم ليدخل الإحسان كل دار ، وفرض الصوم ليكون فرصة لتربية النفس وترقية الحس وموسما للعطاء والسخاء ، وفيه تنمو عاطفة حب الخير للغير والإحسان إلى البائس الفقير فلا يستجيب المؤمن للشح الكريه ، ولكن يحسن طمعا فى الأجر الكبير والثواب الكثير فلا يتحكم سلطان الشيطان عدو الإنسان لأنه يحبس فى شهر رمضان ، ولا يبخل فى شهر رمضان إلا من سفه نفسه وأحاطت به خطيئته !!

وأما الحج فهو امتثال لأمر الله تعالى : وتلبية لدعوة الله تعالى حيث يحرم الحاج بالحج ثم يهتف قائلا ضارعا خاشعا ملبيا قائلا :

جئناك يارب نسعى إليك ، ووقفنا ضارعين بين يديك ولبينا بقولنا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .

المؤتمر الإسلامى السنوى

وفى يوم الحج الأكبر يلتقى المسلمون الوافدون من جميع بلاد الدنيا يطيعون ربهم ويتدبرون أمرهم ويؤدون فرضهم ويستغفرون الله ويحمدونه والله يقول :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)]

سورة الحج

وفى الحج ذكريات تتوافد وتتزاحم وتتواكب لتربط ماضى المسلمين بحاضرهم ، وليأخذوا أنفسهم بما يأمرهم به ربهم الذى بين لهم صراطه المستقيم ومناهجه القويم الذى يبنى المجتمعات برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه على الإيمان الراسخ واليقين الثابت الذى جرب فى أيام الإسلام الأولى على يد أقوام كرام بررة قد شادوا به ألوية المجد وبنوا على أسسه صروح البر فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، واليوم نجد أن الإسلام هو الإسلام (لا تبديل لكلمات الله) ولكن المسلمين اليوم يوشك أن تتداعى عليهم الأمم بسبب هذا التمزق والتفكك وكأنهم لم يدركوا قول الله ـ تعالى ـ :

[وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)]

سورة الأنفال

وذلك لأن هذا الدين القيم القوى لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ولا ينظر إليهم لا حول لهم ولا طول ، ولكن يريدهم أولى قوة وأولى بأس شديد وإعداد المستطاع من القوة وهذا ما يسمى : « بالسلم المسلح » والله ـ تبارك وتعالى ـ يريدهم كذلك فيقول :

[وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..]

« من الآية — ٦٠ — من سورة الأنفال » .

والآخرون من دونهم الذين يعلمهم الله هم الذين يمدون الأعداء بالمعونة والمؤونة سرا وبوسائل القوة التى تستخدم ضد المسلمين كما يحدث فى شتى الدهور والعصور ؟! والله — تعالى — لم يخلق مخلوقا مهما كان ضعيفا بغير سلاح يدافع به عن نفسه ، والجهاد مشروع للدفاع عن الأمن والسلام ، وعن الأهل والأوطان ، والله — عز وجل — يقول :

[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]

« الآية ١٣٩ من سورة آل عمران »

[ويقول — جل جلاله — :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .. ﴾

«الآية ١٠٣ من سورة آل عمران»

ويقول — عز وجل — : [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]

« الآية ١٠٥ من سورة آل عمران»

وتعاونوا على البر والتقوى

والأنانى من الناس من لا يشعر بغيره قط ولكنه يعيش لذاته ولملذاته وأهوائه وشهواته ، « تقوده بطنه لا عقله » وتسوقه مطامعه ومنافعه بوسيلة مشروعة وغير مشروعة ، ولكن المؤمن يعيش لنفسه ولولده وليلده وللأقربين وللناس أجمعين ، وبهذا يحيا حياة طيبة مباركة تسعده وتسعد أمرته والله يقول :

[وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]

«من الآية ٢ من سورة المائدة»

وحينما يلتقى المسلمون عند أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين — والقلوب صافية والنفوس راضية يكون الوقت قد حان للتصالح والتسامح ومطاردة الشيطان والهوى ومحاربة السلبية والأنانية والمصالح الذاتية ، والمآرب الشخصية ؟ لتتعاون الأمة المحمدية على بناء الوحدة الإسلامية التى ترفعها فى سماء المجد مكانا عليًّا ، ولتصبح ولتظل كما قال لها ربنا .

[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ]

« من الآية — ١١٠ — من سورة آل عمران »

الحج ومحاسبة النفس

النفس البشرية لابد لها من وازع يربيها ويهذبها ويرقيها ويعاتبها ويحاسبها على ما قدمت وأخرت من قول أو فعل : ولو صلحت النفوس — بمراقبة الله سرا وعلانية — لاستقام السلوك وساد العدل وتحققت المساواة : لأن هدف الحج تطهير القلب وتزكية النفس من أدران الذنوب والعيوب بالتوبة إلى الله غافر الذنب وقابل التوب لمن تاب وأناب وعمل صالحا ، وسلك سبيل المؤمنين وطريق المتقين والله يقول :

[وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ]

« سورة طه — ٨٢ — » .

وبتلاوة القرآن فى كل مكان وزمان تشرق النفوس بنور ربها لأن القرآن ذكر وبذكر الله تطمئن القلوب : فالقرآن أعظم ما يقرب العبد من ربه :

[اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]

« الآية – ٢٣ – سورة الزمر » .

الحج المبرور

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة : فهو طاعة وطاقة : وهو عطاء إلهى وفيض روحى وقبس نورانى يضىء جوانب النفس المطمئنة الراضية المرضية فلا تتبع الهوى المضل عن سبيل الله ولكنها تقيم من نفسها واعظا لنفسها .

[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا]

« الآيات ٧ – ١٠ – سورة الشمس »

والنفس الزكية هى القائلة :

يا نفس قد بعت القـــرب من إلهك
بثمـــــن بخس حقير هـــــــالك

وصاحب النفس الذكية يكون صورة حية صادقة للإسلام وللمسلم الذى ينأى بنفسه عن الدنايا والخطايا والزيغ والزلل يمشى فى الحياة سويا على صراط مستقيم ابتغاء مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة صابرة صادقة جادة .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطـــم

والله يقول :

[وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]

« الآيتان ١٣ ، ١٤ سورة الملك » .

والحج غاية نبيلة وحكمة سامية لو تيقظ المسلمون لذلك وأحسوا بحاجتهم إلى وحدتهم وطاعة ربهم ليرحمهم برحمته الواسعة فيصرف عنهم كيد الأعداء ومكر الخادعين ، ولؤم الأفاكين الكذابين لكيلا يبتعد المسلمون عن حقيقة إيمانهم بالله وينزلقوا إلى مستنقع الشيطان الذى يوقع بينهم العداوة والبغضاء لأنه للإنسان عدو مبين يحرص أتباعه على الشر ويصدهم عن سبيل الله وعن الصلاة .

الرسول يحذر من الوهن

يقول رسول الله – صلوات وسلامه عليه – (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

(رواه أبو داود عن ثوبان)

وإذا كان الوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت فهل يكون الضعف إلا بالتمزق والأنانية وحب الذات ، والكذب والنفاق ، وحب الاستعلاء وعداء المصلحين والناجحين من المخلصين لله رب العالمين الذين تعمر بهم الدنيا فى كل وقت وحين ؟!!!

وهذا الإسلام قد نشأ عزيزا لا يقبل الضيم كريما لا يتحمل الذل والاستكانة والضعف والمهانة ، وهو يأبى استغلال الأفراد للأفراد واستعمار الشعوب للشعوب كما يحرم سرقة الأوطان بالقوة والنار والحرب والدمار ، لأنه دين الأمن والسلام وهو يعرض فضائله على الناس بحكمة ويخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح لأنه قد جاء بالهدى ودين الحق ، وفي كلمة لا إله إلا الله » تكمن قوته وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) : والله ـ جل جلاله ـ يقول :

[وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾] سورة الأنبياء » .

الإسلام نظام إلهي

الإسلام هو نظام إلهي في تشريعه ، اجتماعي في بناء أمته بناء يؤسس على بناء الأفراد أولا فلا مفر من الاعتراف بقيمة الإنسان الذي كرمه ربه في القرآن الكريم : يقول رب العالمين : (ولقد كرمنا بني آدم) وقد منحه ربه الفطرة السليمة والعواطف النبيلة التي لم تلوثها نفس شريرة شاردة تجب مجاهدتها : للتغلب بهداها على هواها والله يقول :

[وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ]

« سورة ص ٢٦ »

[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

سورة النازعات

بنـــاء الإنسان

ـ ورحم الله ـ القائل :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة
وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما
هواها عدو والخلاف صديق

وقال آخر ـ رحمة الله عليه ـ :

إني بليت بأربع ما سلطوا
إلا لأجل شقاوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائي

ولنتأمل قول الله ـ عز وجل ـ :

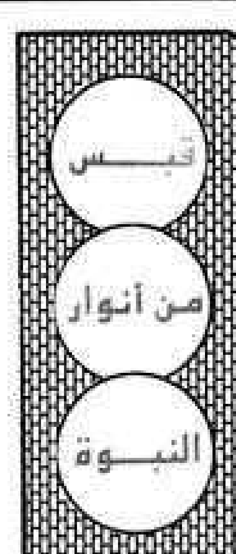
[وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ]

« ١٣ ، ١٤ سورة النساء »

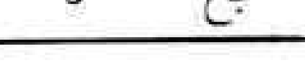
إن طاعة الله ورسوله قوة كبرى يدركها رجال صدقوا ما عاهدوا الله فانتفعوا بأعمارهم وسعدوا بجميل أفعالهم وحميد أقوالهم ، وببناء شخصياتهم التي تأبى عليهم أن يكون أحدهم إمعة ، ولكن الإسلام يريده إنسانا فاضلا يطهر نفسه ويزكيها ويمنحها عزتها وعفتها لأن الله يقول :

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ]

« الآية ١٦ من سورة ق »







لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
« من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له » .

(ابن ماجه ، جامع الأحاديث للسيوطى رقم ٢١١٢٧)

وعن طارق بن أشيم ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال :
« نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى رضى ربه ، وبئست الدار الدنيا لمن صدته عن آخرته ، وقصّرت به عن رضى ربه ، وإذا قال العبد قبح الله الدنيا ، قالت الدنيا : قبح الله أعصانا لربه » .

(الحاكم ، جامع الأحاديث للسيوطى رقم ٢٣٨٦٥) .

الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، ومن أبرز صور التوازن فى هذا الدين نظرته إلى الحياة الدنيا حيث يصورها فى صورتين مختلفتين عند من لا يمعن النظر ، ولا يدرك ما فيهما من العبر :

الصورة الأولى : فيها ذم للدنيا ، وتهوين لشأنها ، وتحذير من غرورها وخداعها ، وأنها دار لعب ولهو وتفاخر ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، وأن من اطمأن إلى زخرفها ؛ حرمته السعادة الدائمة . نجد هذا فى كثير من آيات القرآن الكريم ، من مثل قوله ـ تعالى :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

سورة الحديد _ آية : ٢٠

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

سورة النساء _ آية : ٧٧

كما نجد ذمها والتنفير منها فى كثير من الأحاديث النبوية : من ذلك قوله _ صلى الله عليه وسلم _ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

رواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى

« الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » .

(رواه الترمذى ومسلم)

وعن على بن أبى طالب _ فيما أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق « ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا » .

أما الصورة الثانية : للحياة الدنيا فتبرز قيمتها ، وتؤكد الرغبة فى الانتفاع بها ..

نجد ذلك فى كتاب الله من مثل قولـــه _ تعالى _ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .

النحل _ آية : ٩٧

وقوله تبارك _ وتعالى :

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

سورة القصص _ آية : ٧٧

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ .

سورة البقرة _ آية : ١٩٥

وقال الرسول الكريم _ صلى الله عليه وسلم _ حين سئل عن خير الناس ، فقال : من طال عمره وحسن عمله » رواه الترمذى .

وقوله _ صلى الله عليه وسلم _ : « **إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها** » _ أحمد وغيره _ .

إلى غير ذلك من النصوص التى تعلى من قيمة ما ينتفع به رصيدا للآخرة من هذه الحياة .

إن الإسلام حين يصور الحياة الدنيا فى صورتين متقابلتين إنما يسلك بأهل الإيمان طريقا لبيان المعرفة الصحيحة بما ينتفع به المؤمن من دنياه .

فالدنيا دار اختبار وابتلاء ، والشر والخير فتنة وامتحان لجوهر الإنسان ، ليظهر تمسكه بتعاليم دينه حين يقوم بدوره فى أداء تلك الأمانة التى أنيطت بعهدته من عمارة الكون ؛ فلو وقف الإنسان عند حد إبراز تفاهة الدنيا لهانت عليه وزهد فى حياته ، وحاول التخلص منها بكل سبب من الأسباب ومن هنا نبه الإسلام إلى جانب تأخذ فيه الحياة مكانة وشأنا فتصبح ذات حرمة ، لا يجوز الاعتداء عليها ولا الزج بها فى المخاطر ، بل يجعل منها مزرعة للآخرة بعمل الصالحات ، والمؤمن يوقن أن المزرعة تحتاج إلى

عمل وسعى ، والثمرة إنما تقطف فى الآخرة كاملة ، وإن أدرك بعضها فى الدنيا .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

سورة الاعراف ـ آية : ٣٢

هكذا المؤمن يسخر الدنيا لنفسه ولا يسخر نفسه للدنيا ، المؤمن لا يتخذ الدنيا ربا فتتخذه الدنيا عبدا .

والحياة الآخرة لا ينالها الإنسان إلا بعمل الصالحات فى حياته الدنيا تلك هى مطية للآخرة .

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله ـ إنك لتحب الدنيا ، فقال يحيى للرجل : أخبرنى عن الآخرة أبالطاعة تنال أم بالمعصية ؟ قال الرجل : لا بل بالطاعة . قال الرازى : فأخبرنى عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات ؟ قال الرجل : لا . بل بالحياة . قال : فأخبرنى عن الحياة أبالقوت تنال أم بغير القوت ؟ قال : لا . بل بالقوت .

قال الرازى : فأخبرنى عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة ؟ قال : لا . بل من الدنيا . قال الرازى : فكيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت اكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة ..

فقال الرجل أشهد أن ذلك من كلام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد أوصى لقمان الحكيم ولده وهو يعظه :

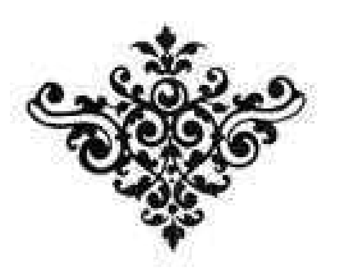
« يا بنى إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله ـ عز وجل ـ ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا ؟ .

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ :

« رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا » .

وقال : « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فاجعلها فى نحره » .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ..



اليهود وبيت المقدس

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « تقاتِلون اليهود حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر ، فيقول : يا عبد الله هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُلْه »[١].

جبل بنو إسرائيل على المكر والخديعة ، وطبعوا على الغدر والخيانة ، ومردوا على الظلم والبغي ، وكثيراً ما كانوا يقتلون النبيين بغير حق ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، وكان يدفعهم حرصهم على الحياة ، وحبهم للمال إلى أكل السحت والربا ، كما كانوا في نزاع دائم ، وعدوان مستمر ، بدافع البغي المتأصل في أعماق نفوسهم ، والرغبة الملحة في سبيل الحصول على المال من أى طريق ، إرضاء لشهواتهم الجامحة إلى الشر ، وإشباعاً لنهمهم الجائع إلى العز ، وهم أينما كانوا ، وفي أى زمان وجدوا : طابعهم الخسة والنذالة ، والعداوة المتغلغلة في صدورهم للمؤمنين ، قال الله تعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٢]

ولهذا وقف اليهود من النبي ـ ﷺ ـ مواقف غير إنسانية ، وحاولوا الغدر به : أكثر من مرة ، والنيل من المسلمين في الخفاء ، ولكن محاولاتهم الدنيئة : كانت تذهب سدى ، وتكشف نواياهم الخبيثة العدوانية : للنبي ـ ﷺ ـ مما أوغر صدور المسلمين عليهم ..

إن المعركة بين اليهود والمسلمين قديمة ، إنها معركة ذات جذور عميقة ، فهى صراع بين العدل والظلم ، بين الحق والباطل ، معركة بدأها المجاهد الأعظم محمد ـ ﷺ ـ : فقد حارب اليهود ، وكان له معهم غزوات ، حارب يهود خيبر ، وحارب بني النضير ، وحارب بني قينقاع ، وحارب بني قريظة ، حارب أولئك القوم لا لمجرد الحرب ، ولكن لما لمسه فيهم من

(١) رواه البخاري ..
(٢) المائدة : ٨٢ .

كتب ، من غدر وبغي ، وظلم وخيانة ، ودس ووقيعة ، ونقض للعهود ، وتحالف مع المشركين ، رغبة في إلحاق الضرر بالمسلمين ..

إن اليهود على ما عرفه المسلمون عنهم في حروبهم عبر التاريخ ، يكرهون اللقاء في الميادين المكشوفة ، ولا يعتمدون على تسيير جيوشهم في العراء ، اللهم إلا إذا كانت معهم قوة استعمارية تؤيدهم وتشد أزرهم وتساندهم ، لقد ورثوا عن أجدادهم ، الجبن والحذر ، وضعف العزيمة ، كما ورثوا عنهم ـ أيضاً ـ القتال ، من وراء الجدر والحصون ، وفيهم يقول الله تعالى :

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٣)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ »(٤).

فهذا الحديث : يتنبأ بمقتلة عظيمة تجرى بين اليهود والمسلمين ، ويتنبأ بكراهية معظم شعوب العالم لليهود ، كما يتنبأ بأن النصر سيكون للمسلمين ، والخذلان لليهود أعداء الدين ، ولا عجب . فالله تعالى يقول :

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٥).

ويقول جل شأنه :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٦)

إن اليهود قوم ينبىء تاريخهم الأسود : الملطخ بدماء الأنبياء والأبرياء عن أصالتهم في الشدة وعراقتهم في السوء ، وأنه لا أمل في استقامتهم ، مالم تكسر قناتهم ، وتقلم أظفارهم ، ويحطم كبرياؤهم ، ويقضى على صلفهم وغرورهم !!

إن اليهود : هم خلفاء إبليس في الأرض ، وهم أداته التي يستخدمها لإغواء بني آدم ، وهم الطغمة الفاسدة : التي يتخذ منها حزبه وأعوانه ، يحادُّون أهل الخير ودعاته ، وإنهم في كل بلد دُخلاءُ فيه ، لا ينتمون إليه ، بل لهم رباط يربطهم ، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين !!

وقد اشتمل التلمود ـ وهو أفضل عندهم من التوراة ـ على أوامر في منتهى الخطورة على الأديان السماوية كلها . بل على البشرية جمعاء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر . إن أي شريعة غير الشريعة اليهودية فاسدة ، إن كل شعب غير الشعب اليهودي يكون قابضاً على السلطة فهو شعب غاصب ، ولا عجب فهم لا يعرفون إلى الثقة والرحمة طريقاً ، لتجردهم منها ، إن الكتب الدينية التي وضعها الأحبار والحاخامات ، واعتنقها اليهود دون التوراة تقول لهم ما نصه :

(٣) الحشر : ١٣ ، ١٤ .
(٤) رواه مسلم ..
(٥) المائدة : ٦٤ ..
(٦) الأعراف : ١٦٧

« اهدم كل شيء قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر ، كي تنفع يهوديا بفلس ».. « اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة ، وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم بحد السيف ».. « العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات في اليوم »..

ويقول التلمود : « إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في السماء » .

ويقول : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ، ولا تغييرها ، ولو بأمر الله » تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .. ولقد كان نبي الله موسى عليه السلام : يصف بني اسرائيل بالشعب الغليظ الرقبة المتمرد على الله ورسله ، الكافر بأنعمه وفضله » .. وكان عيسى عليه السلام يقول لهم : « يا أولاد الأفاعي » .. وكان نبينا محمد ﷺ يقول لهم : « يا اخوة القردة والخنازير » وسجل عليهم اللعنة الأبدية فيما قرأه عليهم : من كلام الله المجيد حيث يقول :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[7].

إن اليهود هم الشعب الوحيد الذي بعث الله إليه رسلاً كثيراً ؛ لأن الخديعة والمكر والضلال مركوز في طباعهم ، وكان كل رسول لا يأتي إليهم بما تشتهيه أنفسهم يقتلونه .

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[8].

هذا القتل ، وهذا المكر ، وهذا الضلال شأنهم منذ الأزل ، وسبيلهم منذ القدم ، وهم لا يقنعون ، ولا يريدون أن يقنعوا ، بل يريدون أن يطبقوا على الأرض شريعة الغاب ..

إنهم بعد أن احتلوا فلسطين ، الأرض المقدسة : التي خطا على ثراها جبريل عليه السلام برسالات ربه : إلى أنبياء الله ورسله : يريدون السيطرة على الأرض بما فيها ومن عليها !! وإنما يؤديها ويردعها ، شيء واحد هو القوة : التي لا تعرف إسرائيل لغة غيرها ، وما أخذ بالقوة .. لا يسترد إلا بالقوة !!

وإذا كانت بعض الدول الاستعمارية قد شدت من أزر إسرائيل ، وأمدتها بالأسلحة والمال والرجال فإن العاقبة ستكون لنا معشر الأمة الإسلامية ، متى تآلفنا واتحدنا واستقمنا وتضامنا ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يُقَاتِلُكُمْ يَهُودُ ، فَتَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَالشَّجَرُ : يَا عَبْدَاللهِ ، يَاعَبْدَ الرَّحْمٰنِ ، يَا مُسْلِمُ ، هٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي : يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَمَا حَوْلَهُ لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ : إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ » .

---

(٧) المائدة .

(٨) البقرة : ٨٧ .

إن مما يدمي قلب كل مسلم : أن يحتل اليهود فلسطين ، وأن تقع مدينة القدس ، وفيها المسجد الأقصى ، وغيره من المقدسات الإسلامية في أيدى شذاذ الآفاق ، وقتلة الأنبياء ، وتجار الحروب ، ومُوقدي نار العداوة بين الشعوب !!

وإن مما يفتت الأكباد ، ويمزق نياط القلوب أن تقع هذه الأرض المقدسة ، فلسطين الحبيبة ، في أيدى العصابات الصهيونية ، التي أوجدها الاستعمار في قلب الوطن العربي ، وأمدها بجميع الإمكانات لتظل رأس رمح ، يُمَزِّق وحدة العرب ، ونُقطة ارتكاز له ، يبث منها ، إلى كل بلد عربي حُرٍّ أَبِيٍّ لتحقيق أغراضه وأطماعه .

لقد وقع المسجد الأقصى بيد اليهود الذين استباحوا حرمته ومشوا في رحابه بالرجس والفجور ، كما سبق أن امتدت أيديهم الآثمة إلى محاولة إحراق ، وإلى إجراء حفريات تحت جدرانه ، وبالقرب منها !! إنهم يزعمون ، أن بيت المقدس لهم بمثابة الروح من الجسد ، وأن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وأقيما فوق هيكل سليمان بن داود عليهما السلام .. وقد عبَّر عن ذلك بعض ساستهم بقوله : « لا إسرائيل بغير القدس ، ولا قدس بغير الهيكل » وكأنهم نسوا أو تناسوا ، أن المسجد الأقصى ، يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التي عنى الإسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها ، ونوَّه القرآن الكريم بسُمُوّ منزلته ، وعلو مكانته في قوله جل شأنه :

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[9].

وأشادت السنة النبوية الصحيحة بعظيم فضله ، واعتبرته أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تقاتلون اليهود »[10] الخطاب وإن كان موجها للمسلمين المعاصرين لرسول الله ﷺ ولكن المراد غيرهم من أمته ، وهم الذين سيكونون وقت وقوع الحادث ، لأنه من المعلوم أن الوقت الذى أشار إليه النبي ﷺ لم يكن قد خلق بعد ، بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ »[11].

وهذا على حد قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[12].

فالخطاب للموجودين : وقت نزول الوحي ، وإن كانت النجاة لمن قبلهم من أجدادهم ..

فواجب على الأمة الإسلامية أن تقلم أظفار الاستعمار والصهيونية بجميع الأسلحة الروحية والمادية ، وأن تكون على يقظة تامة من مكرهم وألاعيبهم وخداعهم ، حتى ينصر الله جنده ، ويُعلى كلمته ، ويعز بيته ، ويعود الإسلام الحقيقي إلى مدينة السلام ..

---

(٩) الإسراء : ١ .
(١٠) أخرجه البخاري ومسلم ..
(١١) رواه البخاري ..
(١٢) البقرة : ٤٩ ..

إسهام الإسلام في بناء السلام العالمي *

إعداد أ.د/ محمود حمدي زقزوق *

١ ـ تمهيد : مفهوم السلام في التصور الإسلامي :

لقد أرسل الله منذ بدء الخليقة رسله وأنبياءه بالوحي إلى الناس لهدايتهم إلى طريق الحق والرشاد ، وإبعادهم عن طريق الغواية والضلال . والإسلام يعترف بكل أنبياء الله الذين حملوا رسالته إلى الناس على مر العصور . والرسالات الإلهية جميعها تتضمن محبة الله لخلقه بدعوتهم إلى اتباع تعاليمه الأخلاقية والدينية من أجل مصلحتهم ، وتهدف هذه التعاليم كلها إلى جعل الناس يتجهون إلى طريق السلام ، وهو الطريق ذاته الموصل إلى مصدر السلام وهو الله .

ويمكن تلخيص التصور الإسلامي للسلام في صورة ثلاث دوائر متداخلة .

أما الدائرة الأولى فإنها تتمثل في السلام النفسي الذي يحظى به الإنسان في داخله ، وهذا السلام النفسي يكون ممكنا عن طريق الدائرة الثانية وهي السلام مع الله ، كما يتمثل ذلك في العقيدة الدينية ، وكلتا الدائرتين يجعلان الدائرة الثالثة ممكنة وهي التي تتمثل في السلام مع الآخرين ومع العالم الذي يحيط بنا .

والعقيدة الدينية الإسلامية تهيء للإنسان المناخ الذي يستطيع فيه أن يتواءم مع ذاته ومع العالم الذي يعيش فيه ، فالإسلام في حقيقته

---

* ورقة مقدمة إلى مؤتمر حوار الأديان من أجل السلام الذي نظمته هيئة الإونسكو الدولية وفرعها بقطالونيا ، كتالونيا بأسبانيا ، حول موضوع « مكانة السلام في الأديان والحضارات » برشلونة ـ أسبانيا ١٢ ـ ١٨ ديسمبر ١٩٩٤

* عميد كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة

يعنى إسلام المرء وجهه إلى الله ، وبهذا التوجه يكون المسلم قادرا على أن يسلك الطريق إلى تحمل مسئولياته وأداء واجبه الحقيقـــى ، والعقيدة الدينية تجعله واثقا من العون الإلهى ، ومن هنا يكون قادرا على تذليل الصعاب والانتصار على كل العقبات ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى بناء السلام .

والإسلام يعلمنا أن الطريق إلى السلام طريق مستقيم لا اعوجاج فيه . وكل إنسان يسعى إلى السلام لا يستطيع أن يفعل ذلك فى حقيقة الأمر إلا إذا هيأ المناخ المناسب للسلام ، بمعنى أن يجعل له مكانا فى حياته ، وهذا يعنى أنه يتحتم عليه أن يسمح للآخرين المشاركين له فى الإنسانية أن يكـــون لهم نفس الهدف وأن يساعدهم على ذلك ، فإذا لم يفعل فإنه يكون قد تخلى عن طريق السلام .

وهذه الفكرة توضح لنا أن السلام ليس فقط هدفا مشتركا لكل الناس ، وإنما هو فى الوقت نفسه أيضاً ـ فى التصور الإسلامى ـ الطريق الوحيد لبلوغ السلام ، فهو هدف وطريق فى الوقت نفسه .

والسلام طبقا للتصور الإسلامى يعد عملا من أعمال الإنسان ، وفى الوقت نفسه يعد نعمة من نعم الله على البشر ، وقد وصف الله نفسه فى القرآن الكريم بأنه « السلام » . والمصطلح العربى للسلام مشتق من الأصل ذاته الذى اشتق منه لفظ الإسلام . فهناك تطابق تام بين الإسلام والسلام . وتحية المسلمين فيما بينهم هى : « السلام عليكم » ، كما أن المسلمين يتجهون فى نهاية كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بنفس التحية يمينا وشمالا ، الأمر الذى يرمز إلى نصف العالم يمينا ونصفه الآخر شمالا ، ويعبر عن أمنية المسلمين بالسلام للعالم كله .

٢ ـ نقطة الانطلاق نحو السلام :

ونقطة الانطلاق نحو السلام ـ فى نظر الإسلام ـ تتمثل فى الإنسان الفرد الساعى إلى السلام ، ليس لنفسه فحسب ، بل للعالم من حوله أيضا ، معتمدا على الثقة فى أن مصدر كل السلام وهو الله سيمنحه القدرة الروحية على الكفاح من أجل السلام ، والعقل الإنسانى الذى هو منحة من الله يمثل أكبر عون للإنسان فى تحمل مسئولية هذه المهمة الكبرى ، إذا ما أتاح الإنسان لهذا العقل الفرصة فى ممارسة دوره كاملا فى الحياة وقد وصف الفيلسوف والصوفى المسلم « الغزالى » العقل الإنسانى بأنه « أنموذج من نور الله »[1] .

وقد طلب القرآن من الإنسان أن يستخدم عقله فى التفكير فى ذاته وفى العالم من حوله وفى تاريخ الإنسانية وفى هدف الإنسانية .

والقرآن الكريم يبين لنا أن الله عندما خلق الإنسان نفخ فيه من روحه . (٣٢ / ٩) . ومن هنا فإن الإنسان الذى يتبع هذا الروح فى داخله يكون سائرا على طريق الله ، وذلك لأن هذا الروح حينئذ يدفعه إلى إقرار مبدأى العدل والرحمة ،

(١) « مشكاة الأنوار » للغزالى : ص ٤٤ ـ القاهرة ١٩٦٤ .

وكلاهما من صفات الله . وليس الأمر أمر إقرار قولى فحسب وإنما لابد أن يظهر أثر ذلك فى الأعمال الصالحة من أجل الدفاع عن المظلومين والمضطهدين من البشر ، ومن أجل العالم من حولنا ، إذ بدون ذلك لا تستطيع البشرية أن تستمر فى الوجود .

وفى هذا الصدد يرشدنا القرآن الكريم إلى خطة الخلق ، ويشير إلى أن الناس جميعا قد خلقوا فى الأساس من نفس واحدة (٤ / ١) ، وأن الإنسان الذى يقدم الخير لإنسان آخر فانه بفعله ذلك كأنه قدم الخير لجزء من نفسه . ومن هنا يبين القرآن أن من قتل إنسانا آخر دون حق فكأنه قتل الناس جميعا ، وفى المقابل من يقدم الخير لفرد واحد فكأنه يقدم الخير للبشرية كلها ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٥ / ٣٢) . والتعاليم الأخلاقية الرئيسية ـ والتى يشتمل عليها كل دين من الأديان فى أى شكل من الأشكال ، والتى تتضمن حماية الحقوق الأساسية للإنسان ـ تعد شرطا ضروريا لإنسانية الإنسان ، وتنمية روحانيته ، وتنمية جهوده من أجل السلام .

وقد أكد نبى الإسلام على ضرورة أن يحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه ، واعتبر ذلك أساسا لإسلام المسلم[٢] . كما أنه قد لخص رسالته كلها فى عبارة واحدة حين قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٣] .

وإذا كان الإنسان مطالبا بتحمل مسئوليته عن كل ما يفعله داخل دائرة مسئولياته فإن ذلك لا يعنى أنه معزول عما يشعر بأنه خارج عن دائرة هذه المسئوليات . ومن هنا فإننا عندما نرى ظلما واقعا على فرد أو جماعة أو شعب من الشعوب ، يجب علينا أن نحاول منع هذا الظلم بطريقة عملية ، فإذا لم نستطع فبطريقة قولية ، فإذا لم نستطع فعلى الأقل نستنكره بالقلب . وهذه الصورة الأخيرة يعبر عنها نبى الإسلام بأنها « أضعف الإيمان »[٤] .

وهكذا نرى أن النبى يعبر عن الكفاح ضد الشر وضد الظلم فى كل صوره وأشكاله إما بالفعل أو بالقول أو بالاستنكار القلبى حسب طاقة كل إنسان ، ويجعل هذه الصور الثلاثة صورا للإيمان ، فالإيمان مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل الصالح . وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم تأكيدا واضحا لا غموض فيه . فالإيمان والعمل الصالح كلاهما يمثل الطريق السليم المؤدى إلى السلام .

٣ ـ السلام بوصفه هدفا :

وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان الذى يؤمن إيمانا قلبيا مخلصا لا يمكن أن يكون هدفه النهائى فى هذه الحياة متمثلا فى ماديات هذا العالم . إنه يتطلع

---

(٢) راجع صحيح البخارى ١ / ٥٧ (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٠ هـ) .

(٣) البخارى : كتاب الأدب المفرد ص ٨٤ . مكتبة الأدب ـ القاهرة (دون تاريخ) .

(٤) صحيح مسلم : ١ / ٦٩

إلى ما فوق ذلك . فإيمانه بالله العادل الرحيم يجعله متطلعا إلى سيادة مبدأى الرحمة والعدل فى هذا العالم وصولا إلى السلام المنشود المتمثل فى الدوائر الثلاثة التى سبقت الإشارة إليها . والهدف النهائى للمسلم فى حياته ومماته وصلاته وأعماله كلها هو الله رب الخلق جميعا (٦ / ١٦٢) ومصدر كل السلام .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

وفى هذا الصدد يدعو القرآن الكريم أتباع الأديان أن يتحدوا فى الإيمان بالله وحـــده وألا يشركوا معه أحدا وألا يقبلوا ربوبية أحد غير الله (٣ / ٦٤) .

ويقرر القرآن فى وضوح مبدأ حرية العقيدة ، وفى ذلك يقول : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٢ / ٢٥٦) .

فالدين هو توجه الإنسان بكل كيانه وإرادته الحرة إلى الله والتسليم لإرادته ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(*) الكهف ٢٩ .

وهدف الدين هو بناء مجتمع يسوده السلام والعدل ، وإن عالمنا المعاصر قد أصبح الآن أكثر وعيا بضرورة إقامة السلام من أجل خير هذا العالم ، وحضارة السلام تبنى على إرادة السلام ، وإرادة السلام ينبغى أن تكون هدف التربية لدى كل الأديان ، وعلى الأديان أن توحد جهودها من أجل الهدف المشترك وهو السلام ، ولا يعنى ذلك بأى حال من الأحوال توحيد الأديان أو تذويب ذاتية كل منها ، فهذا أمر غير وارد ، بل هو مستحيل . والأمر الواقعى هو توحيد الجهود فى سباق من أجل عمل الخير . وإذا ما تم ذلك فسيكون تحقيق الهدف المتمثل فى بناء السلام أمرا قريب المنال . وهذا أمر لا يمكن تحقيقه إلا فى مجتمع يتيح الفرص لدوافع الخير الفطرية الكامنة لدى كل الناس وبالتالى لحرياتهم ، وبذلك يمكنهم من المشاركة الفعالة فى تشييد صرح السلام ، ويصف القرآن الكريم مثل هذا المجتمع بأنه هو الذى يأمـــر بالمعـــروف وينهى عن المنكـــر لقوله ـ تعالى :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ آل عمران

٤ ـ الطريق إلى السلام :

والقرآن الكريم يبين لنا أن وجود جماعات كثيرة وشعوب متعددة ينبغى أن يكون دافعا للتنافس فى سبيل الخير والقيم الأخلاقية . وفى ذلك يقول القرآن :

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ المائدة ٤٨ .

فاختلاف الناس فى أديانهم وحضاراتهم ينبغى ألا يكون سببا للصراعات فيما بينهم ، إنه ينبغى على العكس من ذلك أن يكون دافعا إيجابيا ومحركا لتنمية الإنسانية ، تلك التنمية التى تعبر عن نفسها فى قيم التسامح والاحترام وحب الخير لكل الناس ،

(*) تمام الإيمان يتمثل فى قول الله ـ تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » البقرة / ٢٨٥ .

وأن بذل الجهد من أجل فهم الآخرين يؤدى إلى التدريب على الصبر مع الذات ومع الآخرين ، ويوسع من آفاقنا الروحية ، ويقربنا من هدفنا فى إقامة السلام الذى لا يمكن أن يبنى إلا على أساس من الإنسانية ، لأن السلام لا يتوصل إليه إلا بطريق سلمى ، وهذا الطريق السلمى يتطلب بذل كل القوى والجهود .

والقرآن الكريم يقدم لنا مثالا واقعيا يوضح فيه الفرق بين السلوك السلبى الذى لا يفيد السلام فى شىء والسلوك الإيجابى الذى يمكن أن يكون له دوره الفعال فى بناء السلام ، وذلك من خلال عقد مقارنة بين شخصين من حيث سلوكهما الأساسى ، فأحدهما سلبى وعاجز عن تحمل المسئولية فهو لا ينجز شيئا . أما الآخر فهو على العكس من ذلك إيجابى جدا ، ويبذل قصارى جهده بلا كلل فى كفاحه من أجل إقرار العدل ودعوة الآخرين لذلك أيضاً ، ويكرس نفسه تماما على طريق الله الذى يمنحه السكينة التى هى راحة الضمير واطمئنان النفس (٤٨ / ٤) سورة الفتح . وهذه السكينة بدورها تجعله أكثر قدرة فى كفاحه من أجل السلام .

ويؤكد القرآن على ضرورة تطابق الأقوال مع الأفعال (٦١ / ٢ ، ٣) سورة الصف ٢ ، ٣ . فلا يكفى أن يعلم المرء شيئا من الناحية النظرية ، على الرغم من أن العلم فى حد ذاته أمر جدير بالحرص عليه والسعى إليه ، ولكن على المرء أن يعمل طبقا لما يعلمه ، وإلا فإن علمه يكون عديم القيمة ، وإن الروحانية – ونعنى بها التدين الحقيقى – لا يصل إليها الإنسان إلا عن طريق الأعمال الصالحة ، فلا يصبح المرء متدينا حاصلا على الروحانية لمجرد الإعلان عن شعارات أو قيم دينية أو غيرها من القيم . والقرآن الكريم إذ يؤكد على أن التقوى هى معيار التفاضل بين الناس عند الله (٤٩ / ١٣ ، ١٥) فإن نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – يبين أن « التقوى حسن الخلق »[6] . وفى المقابل يتمثل الشر فيما يقلق النفس وما يكره الإنسان أن يطلع عليه الآخرون ، كما يقول النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – أيضاً[7] .

وقد أوصى الإسلام المسلمين بالتسامح إزاء كل الناس بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم/طالما أن هؤلاء لم يعتدوا على المسلمين ، وهذا ما يعبر عنه القرآن بقوله :

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٦٠ / ٨) .

وفى هذه الآية يرتفع التسامح ليكون صنوا للعدل ، فالتسامح ثمرة الرحمة التى تعد الجانب الآخر للعدل ، والتسامح والعدل شرطان أساسيان لبناء صرح السلام .

وربما يرى البعض أنه من الصعب فهم الآخرين من أصحاب الديانات والحضارات المختلفة وطرائق التفكير الأخرى ، ولكن بذل الجهد فى هذا السبيل أمر مطلوب ، بل أصبح يمثل ضرورة حياتية فى عالم اليوم الذى صار مثل قرية كونية كبيرة ، فليس هناك خيار آخر أمام الشعوب المختلفة من أن يفهم كل منها الآخر حتى يمكن التعامل والتعايش والتعاون بين شعوب الأرض .

---

(٦) راجع على سبيل المثال : سنن « ابن ماجه » ٢ / ١٤١٨ ، القاهرة ١٩٥٣ .

(٧) « صحيح مسلم » : ٤ / ١٩٨٠ .

وقد أكد القرآن الكريم على ذلك لدرجة أنه جعل هدف الخلق مشتملا على ضرورة تعرف كل شعب أو جماعة على الآخرين ، وفى ذلك يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ سورة الحجرات

، هذا التعرف على الآخرين يتعلق بصفة خاصة بطرائق الآخرين فى الفكر وفى الاعتقاد نظرا لأن سلوكهم العملى ينبنى على ذلك ، والتعرف على الآخرين من مختلف الأجناس والحضارات والأديان يوسع من أفق معارفنا ، ويصل بنا إلى فهم سليم لوجودنا الإنسانى ، وهذا يؤدى إلى فهم متبادل ، واحترام متبادل ، وتعاون مشترك من أجل سلام هذا العالم .

وإرادة السلام لا تعرف الحدود ولا القيود ، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يحث المسلمين على الرد الإيجابى على كل عرض للسلام من جانب أعدائهم :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (٨ / ٦١) .

وحتى فى الوقت الذى لا يبدى فيه الأعداء رغبة فى السلام ، ويصبح الكفاح من أجل الدفاع عن الحقوق أمرا ضروريا فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتجاوزوا فى كفاحهم القيم الأخلاقية (٢ / ١٩٠) ، فالطريق إلى السلام لا يسمح إلا بالفعل الأخلاقى ، ومن هنا وجدنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرم على المسلمين فى الحرب التمثيل بالقتلى أو سوء معاملة الأسرى أو قتل غير المحاربين من الشيوخ والنساء والأطفال[٨] .

وإذا كان الإسلام أباح للمسلمين أن يدافعوا عن حقوقهم عندما تفرض عليهم الحرب ، فإن الحرب الدفاعية ضد العدو ليست هى نهاية الحرب ، فالهدف الأسمى للمسلمين هو محاربة العداوة والكراهية فى قلوب الأعداء ، ومن هنا لا يجوز للمسلمين أن يفقدوا الأمل فى ذلك ، لأن الأمل هو ملاذ السلام ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ (٦٠ / ٧) .

ويضع القرآن أمام المسلمين درجة عالية من التعامل مع الأعداء لا يستطيع أن يصل إليها إلا أصحاب المنزلة العالية فى الصبر والثبات والشجاعة ، وتتمثل هذه الدرجة فى مقابلة الإساءة بالإحسان ومقابلة الشر بالخير من أجل كسر سلسلة العداوة والبغضاء فى نفوس المسيئين . ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٤١ / ٣٥) .

والنتيجة لهذه المعاملة أن ينقلب العدو إلى صديق حميم . ولكن الإسلام لا يطلب من أى إنسان أكثر مما تتحمله طاقته . فالله لا يكلف أحدا فوق طاقته ، ولكن أقل أعمال الخير لا ينبغى أن يحتقرها الإنسان مهما ضؤلت . ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »[٩] فكل رحلة مهما بعدت مسافاتها تبدأ بخطوة كما هو معروف .

---

(٨) راجع : « سنن أبى داود » ٢ / ٣٦ كتاب « الجهاد » ، باب فى « دعاء المشركين » ، (طبع مصطفى الحلبى) .

(٩) راجع : صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٢٦ .

٤ ـ كلمة ختامية :

وفى نهاية كلمتى أود أن أؤكد على أن الإسلام دين السلام ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال الخلط بينه وبين الظواهر السلبية التى ظهرت فى العالم فى كل مكان فى عصرنا الراهن مثل ظواهر الإرهاب والتعصب والتى ظهرت ـ أيضا ـ فى العالم الإسلامى .

إن الإسلام دين لا يعرف التعصب ، بل يدعو إلى احترام الأديان وإقرار حقوق الإنسان الأساسية التى تتمثل فى حماية حياته ودينه وعقله وأسرته وممتلكاته[١٠] ، ويدعو إلى إقرار أسس العدل والرحمة بين كل الناس ، والتعايش فى سلام مع كل البشر ، وهذه المطالب يؤسسها الإسلام على وحدة الإنسانية ووحدة أهدافها .

والإسلام نفسه يعد إسهاما حقيقيا فى بناء صرح السلام فى العالم . والنظرة الموضوعية للإسلام من شأنها أن تبرز الوجه الحقيقى للإسلام ، وتزيل ما علق بالأذهان من مقولات خاطئة ومفاهيم مغلوطة ، ولابد لنا من التفريق تفرقة واضحة بين التدين من جانب والتعصب والإرهاب من جانب آخر .

إن إقامة نظام عالمى عادل لا يمكن أن يحدث عن طريق القهر والإرهاب واضطهاد الشعوب الضعيفة وتشريد أبنائها وممارسة التطهير العرقى ، لأن ذلك كله لن يؤدى إلا إلى فقدان الثقة فى إقامة العدل وبالتالى إلى إضعاف إرادة السلام .

والمشكلة الرئيسية فى المجتمع العالمى الراهن تتمثل فى كيفية ممارسة القوة دون عنف ، نظرا لأن أى عنف سيرتد علينا جميعا من حيث إننا جميعا نجلس فى زورق واحد ، وبالتالى فإن كل عنف سوف ينعكس علينا بشكل أو بآخر إن عاجلا أو آجلا .

وقد لفت نبى الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظرنا إلى ضرورة أن يقوم الناس بتطوير أسلوب للتضامن فيما بينهم إذا أرادوا ألا يكونوا عرضة للهلاك . وقد صور الإنسانية كلها كأنها تتجمع فى سفينة واحدة ، وقد استقر البعض فى أسفلها والبعض الآخر فى أعلاها ، وكان الذين فى أسفل السفينة إذا احتاجوا ماء صعدوا إلى أعلى السفينة ومروا على من فوقهم ، وقد تعبوا من هذا الصعود والهبوط وإزعاج الركاب فى أعلى السفينة ، وقرروا إحداث خرق فى أسفل السفينة يأخذون منه حاجتهم من الماء . ويقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما معناه : إنه إذا ترك الناس هؤلاء يفعلون ما أرادوا هلك الجميع ، وإن منعوهم مما أرادوا نجا الجميع من غرق محقق[١١] .

وعالمنا الذى نعيش فيه فى أشد الحاجة إلى يقظة حقيقية تقودها الأديان فى العالم ، لإنقاذ البشرية من المحن التى تحيط بها من كل جانب ، وللأخذ بيد العالم إلى شاطىء السلام .

وإذا أردنا أن نقيم السلام فى العالم فلا يجوز لنا أن نعيد الحياة من جديد إلى عداوات الماضى السحيق أو القريب وما سببته من عقد مختلفة وعواقب وخيمة ، وبدلا من ذلك ينبغى أن نتجه إلى بناء المستقبل بفكر إيجابى من أجل العثور على فرص جديدة لإحلال السلام فى العالم .

---

(١٠) راجع : الموافقات للشاطبى ج ٢ ص٨ ـ ١٠ . دار المعرفة بيروت . دون تاريخ .

(١١) راجع : «فتح البارى بشرح صحيح البخارى» ج ٥ ص١٣٢ .

الأهلة والنجوم في الفن الإسلامي

أ. أحمد رجب محمد علي (*)

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم في الفن الإسلامي وخصوصاً في العصر العثماني على معظم الفنون التطبيقية سواء كانت منسوجات أو سجاد أو أخشاب أو خزف أو أحجار .. الخ كعناصر زخرفية جمالية ولم يكن لها أي مدلول ديني ، أو عقائدي ، وهو ما سناقشه في هذا البحث

رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية ، خصوصا في العصر العثماني .. ومن أمثلة المنسوجات التي اشتملت على رسوم نجوم وأهلة : قطعة من النسيج محفوظة «بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة» (رقم سجل ٨٢٠٢) من القطن المطبوع عليها أشكال نجوم بداخلها نسور[1] وقطعة أخرى من النسيج الإسلامي بالأندلس محفوظة «بمتحف الفنون التطبيقية ببولين»[2] عليها أشكال نجوم بالإضافة لأشكال نمور وزراف ، وزخارف نباتية مختلفة مما يدل على أن رسوم النجوم هنا جزء من التكوين الجمالي لزخرفة النسيج شأنها في ذلك شأن رسوم الحيوانات ورسوم النباتات ، حيث لم تميز رسوم النجوم عن باقي الرسوم في هذه القطعة سواء من حيث العدد أو الموقع أو الحجم وإنما ساهمت مع باقي العناصر في تكوين الشكل الجمالي للقطعة النسجية .

ومن أمثلة المنسوجات في العصر العثماني ، قميص طفل من العصر العثماني عليه رسوم أهلة ونجوم وسحب[3] وقفطان السلطان محمد الثالث ، وهو مصنوع من القطيفة وعليه رسوم

---

* الباحث مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار - جامعة القاهرة .

(١) د/ سعاد ماهر محمد : «النسيج الإسلامي» . القاهرة ١٩٧٧ - لوحة ١٠٠ .

(٢) نفس المرجع : لوحة ١٤٥ .

(٣) د/ محمد عبدالعزيز مرزوق : «الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني» القاهرة ١٩٨٧ - شكل ٣٣

أهلة ونجوم وأزهار[4] وفى متحف (طوب قابوسراى - استانبول) سروال ينسب إلى (السلطان العثمانى سليمان القانونى (١٥٢٠ : ١٥٦٦ م) مصنوع من الديباج ومزخرف برسوم أهلة ونجوم[5] .

وأخيرا نستطيع القول بأن رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية لم يكن لها أى مدلول دينى ، وذلك للأسباب الآتية :

١) قلة رسوم الأهلة والنجوم فى العصور الإسلامية الأولى ، ولم تنتشر بكثرة إلا فى العصر العثمانى .

٢) عدم تمييز أشكال الأهلة والنجوم عن باقى العناصر الزخرفية على المنسوجات ، حيث ساهمت جنبا إلى جنب مع رسوم الأزهار والنباتات والرسوم الهندسية وغيرها فى تكوين الشكل الجمالى ولم تميز عنها .

٣) وجود أهلة ونجوم على منسوجات لايمكن أن يرسم عليها رسوم ذات طابع دينى مثال ذلك : السراويل مما يدل على أنها ليس لها أى قيمة دينية ، بل وأكثر من ذلك لم تشتمل كسوة الكعبة على رسوم أهلة ونجوم فى أى عصر من العصور ، وهذا دليل آخر على أن الأهلة والنجوم ماهى إلا عناصر زخرفية ليس لها أى مدلول دينى ولو كان لها مدلول دينى لوجدت على كسوة الكعبة وليس على السراويل .

رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار .

وجدت رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار سواء فى مصر أو خارجها ففى مصر وجدت رسوم النجوم على الرخام الذى يزين أرضيات المنازل العثمانية بمدينة القاهرة ، ومثال ذلك أرضية قاعة الاحتفالات ببيت الكريدلية بمنطقة ابن طولون بالقاهرة والذى يرجع إلى القرن ١١ هـ ١٧ م .

وفى خارج مصر انتشرت رسوم النجوم على أرضيات المنشآت التركية[6] كما وجدت رسوم نجوم على جدران مسجد الجمعة فى هراة بإيران[7] .

وأخيرا نستطيع أن نقول إن رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار لم يكن لها أى مدلول دينى حيث وجدت على أرضيات المنشآت فى مصر وتركيا ، ووجودها على هذا النحو الذى يجعلها تداس بالأقدام ، وفى أماكن لا يتوفر فيها طابع القداسة مثل قاعات الاحتفالات بالبيوت العثمانية ينفى عنها أى طابع دينى .

رسوم الأهلة والنجوم على السجاد .

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم على السجاد ومن أمثلة ذلك سجادة فى مسجد علاء الدين فى (قونية بتركيا) ترجع للقرن ٧ هـ ١٣ م . وسجادة أخرى فى (متحف جلال الدين الرومى) فى (قونية) ترجع للعصر السلجوقى عليها رسوم

---

(٤) نفس المرجع : لوحة ٣٦ .
(٥) نفس المرجع ص ١١٤ ، لوحة ٣٢ .
(٦) ثروت عكاشة : الفن الإسلامى - قراءة تأملية فى فلسفته وخصائصه الجمالية ، بيروت ١٩٨٨ م ص ١١٤
(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣ .

نجوم[8] كما وجدت رسوم أهلة ونجوم على السجاد الإيرانى ومن أمثلة ذلك سجادة من (هراة) ترجع للقرن ١٢ هـ/١٨ م فى مجموعة الدكتور على باشا إبراهيم محفوظة «بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة» الآن[9] .

وأخيراً فما قلنا عن رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار يمكن أن يقال على السجاد حيث إن وجود هذه الرسوم على الأرض وتعرضها لأن توطأ بالأقدام ينفى عنها أى طابع للقداسة ويدل على أنها فقط مجرد عناصر زخرفية جمالية مستوحاة من الطبيعة شأنها شأن الأزهار والنباتات .

رسوم الأهلة والنجوم على الخزف

شاع استخدام رسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى سواء فى مصر أو خارجها . ففى مصر وجدت رسوم أهلة على قدْرٍ من العصر الفاطمى يرجع للقرن الخامس الهجرى[10] وعلى الخزف التركى وجدت أشكال النجوم على طبق محفوظ الآن (بمتحف اللوفر) بباريس يرجع للقرن ٩ هـ/١٥ م[11] وعلى الأطباق الخزفية الإيرانية وجدت رسوم نجوم على طبق من (مدينة قاشان) محفوظ الآن بمتحف فكتوريا والبرت ـ لندن يرجع للقرن ٧هـ/ ١٣ م[12] كما وجدت رسوم نجوم على طبق من الخزف من مدينة جرجان[13] وعلى الخزف الصينى وجدت أيضا أشكال نجوم على الأطباق الخزفية[14] .

وأخيراً فمن العرض السابق لرسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى نستطيع أن نقول أن رسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى لم يكن لها مدلول دينى حيث إن هذه الرسوم قد وجدت فى أغلب الأحيان على الأطباق والقدر ، وهى أشياء تمتهن أحيانا بما يوضع فيها وتتعرض للكسر أحيانا أخرى ووجود رسوم الأهلة والنجوم عليها ينفى عنها أى طابع للقداسة .

رسوم الأهلة والنجوم على الأخشاب

وجدت رسوم الأهلة والنجوم على الأخشاب خصوصا فى العصر المملوكى والعصر العثمانى حيث كانت الأشكال النجمية هى العنصر الزخرفى الأول على الأخشاب ، سواء التى توضع فى المنشآت الدينية أو المنشآت المدنية . فى المساجد والقصور والزوايا بل وفى الحمامات العامة وهو ماينفى عن هذه الرسوم أى طابع للقداسة .

خاتمة

وأخيراً وختاماً لهذا العرض الموجز لرسوم الأهلة والنجوم على الفنون التطبيقية الإسلامية

---

(٨) أو قطاى أصلان آبا : «فنون الترك وعمائرهم» ترجمة أحمد عيسى ـ استانبول ١٩٨٧ ـ لوحة ١٣ ص ٢٧٤ ، ولوحة ١٧ ص ٢٧٥ وانظر د/ زكى محمد حسن : «أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الهندسية» شكل ٦٨٥ .

(٩) د/ زكى محمد حسن : «الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى» القاهرة ١٩٤٠ ـ شكل ٧١ .

(10) Butler : Islamic Potteris, a study mainly historical, London 1926, Plate XXX.

(11) Arther Lane : Later Islamic Pottery, persia, Syria, Egypt, Turkey, London, PL 17.

(12) Arthur Pope : A survey of Persian Art volume V, Bowls black painted, PL 6.

(13) Dr. Mehdi Bahrani : Gurgan Faiences - Ceramic, 1949, PL LXIX, LIV, XXX III.

(14) William Bonyer Honey : The ceramic art of China and other countries of the Far East, London, PL 23.

يتضح لنا أن رسوم الأهلة والنجوم لم يكن لها أى قدسية فى الإسلام ، حيث وجدت كما سبق أن ذكرنا فى أماكن لايتوفر لها طابع القداسة سواء الأرضيات الرخامية أو السجاجيد أو على السراويل وهو مايدل على أنها مجرد عناصر زخرفية مستوحاة من الطبيعة حيث لاحظ الفنان المسلم شكل الهلال والنجوم فى السماء خصوصا مع ارتباط هذا العنصر بأحداث عزيزة عليه ، مثل شهر رمضان ، وعيد الفطر إلا أنه لم يكن له أى قدسية لديه . ولم تكن الأهلة والنجوم هى العناصر الوحيدة التى رسمها الفنان بعد أن تأمل السماء بل نجده أيضاً يرسم قرص الشمس ، والسحب ، والأقمار .. فهى مجرد عناصر استوحاها الفنان من الطبيعة شأنها شأن الورود والأزهار والنباتات والأشجار .. الخ .

ومن الجدير بالذكر أن الفنان المسلم لم يكن أول من استخدم الأهلة والنجوم كعناصر زخرفية ، بل وجدت فى حضارات أخرى من قديم الزمان حيث وجدت فى الفن الفرعونى . كما وجدت أشكال النجوم على العملات الرومانية[15] لذلك وجدت فى الفن القبطى فى مصر رسوم الأهلة والنجوم فى نفس الوقت الذى انتشر فيه الفن الإسلامى ، ومن أمثلة ذلك (نافذة جصية) موجودة بكنيسة الأنبا شنودة عليها رسوم نجوم ترجع لعصر الناصر محمد بن قلاوون خلال فترة بطريركية (بنيامين الثانى ١٣١٩ ــ ١٣٢٢م)[16] كما وجدت رسوم أطباق نجمية بالكنيسة المعلقة وكنيسة أبو سرجة (ق ٥ هـ ١١ م)[17] وعلى الفنون التطبيقية القبطية وجدت رسوم أهلة ونجوم ، ومثال ذلك مسرجة معدنية من البرونز لها مقبض على هيئة هلال بداخله صليب يرجع للقرن ٧هـ ١٣ م[18] ومسرجة أخرى لها قمة على هيئة هلال بداخله صليب[19] وعلى المنسوجات وجد رسم الهلال على ستارة من الكتان ترجع للقرن ٧هـ ١٣ م[20] ووجود الأهلة والنجوم فى الفن القبطى سواء فى العمارة أو الفنون التطبيقية ــ فى نفس الوقت الذى انتشرت فيه الأهلة والنجوم فى الفن الإسلامى ــ يثبت بما لايدع مجالا للشك أنه مجرد عنصر زخرفى نابع من فكر الفنان وروح العصر ، وليس رمزا دينيا حيث إنه لم يكن قاصراً على الفن الإسلامى فحسب ، بل وجد فى الفنون الأخرى .

---

(15) Richard Reece : Roman Coins, London 1970 PL 5 N106, PL 62 N966.

(١٦) د/ مصطفى عبدالله شيحة «دراسات فى العمارة والفنون القبطية» ــ سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ــ مشروع المائة كتاب ــ هيئة الآثار المصرية ــ وزارة الثقافة ــ القاهرة ١٩٨٨ ــ لوحة (١١) .

(١٧) ألفريد بتلر «الكنائس القبطية القديمة فى مصر» ، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ــ مراجعة وتقديم نيافة الأنبا غريغوريوس ــ الجزء الأول ــ القاهرة ــ ١٩٩٣ ص ١٨٦ شكل ١٤ ، ص ١٦١ وانظر د/ مصطفى عبدالله شيحة : المرجع لوحة ٢٦ ، لوحة ٢٨ .

(١٨) مخطوطة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل ٥١٨٠ معادن .

(١٩) مخطوطة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل ٩١٢٣ معادن .

(٢٠) مخطوطة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل ٨٤٥٣ نسيج .



صناعة الجوع
(خرافة الندرة)

تأليف: فرانسيس مورلابيه
جوزيف كولينز
ترجمة: أحمد حسان
مراجعة: د. فؤاد زكريا

عرض وتحليل الأستاذ
مصطفى دسوقي كسبة



(٣)

تناولنا في عددى (شعبان ١٤١٥هـ، ص ١١٣٤، وشوال ١٤١٥هـ، ص ١٤٢١) الجزءين الأول والثاني. وفيهما تم عرض وتحليل الأبواب الثلاثة الأولى من الكتاب. وفي هذا الجزء الثالث والأخير نتناول الأبواب الباقية من الكتاب ونبدأ بـ:

الباب الرابع: تحديث الجوع

وفيه يكشف المؤلفان عن سخافة التركيز الضيق على المزيد من إنتاج الغذاء.

فيقرر المؤلفان في هذا الفصل أن الحقائق البسيطة لإنتاج الغذاء في العالم توضح أن اعتبار الازدحام السكاني سبباً في ندرة الغذاء ليس صحيحاً. فإنتاج الغلال العالمي الآن وحده يمكن أن يزود كل شخص على الأرض بأكثر من ٣ آلاف سعر حراري يومياً.

وفي حديثهما عن نتائج الثورة الخضراء تبين أنه:

في عديد من البلدان أدت الاستثمارات الرأسمالية الضخمة التي خصصت لتحديث الإنتاج إلى زيادة فعلية في محاصيل كثير من الزراع الميسورين. لكن ماذا حدث لأغلبية الإنتاج الزائد؟

- جزء ذهب إلى المجموعات الحضرية ذات الدخل المتوسط والمرتفع.

- جزء يحول إلى منتجات ترفيه لايقدر على شرائها الفقراء.

- جزء يستخدم غذاء للماشية لإنتاج اللحم الذى لاتقدر على شرائه أغلبية السكان المحليين.

- بعض الإنتاج الزائد يصدر .

- بعض الإنتاج الزائد يلقى ببساطة في القمامة .

وعن تقويض أمن العالم الغذائي ، يرى المؤلفان أنه لن يكون هناك أمن غذائي حقيقي ، مهما بلغ الإنتاج ، مادامت موارد إنتاج الغذاء يسيطر عليها أقلية ضئيلة ، وتستخدم فقط لإثرائها . ففي مثل هذا النظام سيتحقق الربح الأكبر دائما من تلبية مطالب أولئك الذين يمكنهم دفع أكبر ثمن وليس الجوعى .

هذا وفي حديثهما عن ميكنة الزراعة يريان أن مايهم هو «الإنتاجية» لكل فدان ، وزيادة إنتاجية الفدان عادة مالاتكون مسألة آلة حديثة ، بل مسألة زراعة كثيفة وحرص من جانب أفراد تعتمد حياتهم على الإنتاج .

وفي الحديث عنه : عدم فاعلية اللامساواة - بدءاً بالاهتمام بـ : إنتاجية المزارع الكبيرة والصغيرة ؟ وهنا يقرر المؤلفان أنه على عكس الاعتقاد الشائع ، تبين الدراسات من كل أنحاء العالم أن الزارع الصغير في معظم الأحيان ينتج لكل وحدة أرض أكثر ماينتجه الزارع الكبير . وتفسير ذلك عندهما هو حاجة الزراع إلى البقاء اعتماداً على مواردهم الهزيلة المسموح لهم بها . والزراعة بالنسبة للعائلة ليست حساباً مجرداً للربح ليوازن الاستثمارات الأخرى ؛ بل هي مسألة حياة أو موت .

وصغار الزراع لايستطيعون عادة أن يحققوا مزيدا من التقدم لأن مبادراتهم يعوقها نشاط النخبة المالكة للأرض ، التي يهددها أي تقدم قد يجعل صغار زراع القرية أقل اعتماداً عليهم . كما أن ضرورات مثل : السماد والماء لاتصل إلى صغار الزراع لأنهم لايملكون لاالنقود ولاالقروض لشرائها .

وغالباً ما تشترط القروض من البنوك الحكومية حداً أدنى للحيازة يستبعد صغار الزراع . فالزارع الصغير يفتقر إلى أية وثيقة مسجلة تثبت ملكيته للأرض مع أنه بدونها لايستطيع الحصول على قروض المحصول من مؤسسات الإقراض . والأهم أن صغار الزراع يحجمون عن استخدام أرضهم كضمانة للقروض على أية حال . فالزارع الصغير يقرر عن صواب تماماً أنه لايريد المخاطرة بفقدان أرضه . هذا وباستبعاد صغار الملاك عن مجال القروض الرسمية يتركون للاعتماد على مقرضي النقود والتجار الأفراد الذين يفرضون فوائد ربوية عالية .

وبالإضافة إلى ذلك يمكن للتجار المقرضين زيادة الفائدة ببخس قيمة المنتجات الزراعية المستخدمة في دفع الديون وبالمبالغة في قيمة البضائع التي يشتريها منهم المدينون وعلى النقيض من ذلك قد لايدفع المقترض الكبير أية فائدة ، أو حتى يربح باقتراض النقود وحين يتم حساب معدلات الفائدة الاسمية على القروض المتاحة لكبار الزراع من المؤسسات التجارية بالنسبة إلى التضخم يكون معدل الفائدة الحقيقي سالبا في العادة .

ورابطة الدَّيْن قد استخدمت لربط الفلاحين بالأرض ليضمن الملاك توفر قوة العمل خصوصاً في الاقتصاديات التي تتسم بندرة العمالة . وهذا الأمر يقتل الحافز على زيادة الإنتاج ؛ لأن الزراع المتورطين يعرفون أن زيادة الإنتاج لن تفيدهم أبداً ؛ بل تفيد مالك الأرض أو مقرض النقود . كما أن عمل الفلاح وفاءً لدينه ، يجعله يعجز عن العمل

فى أرضه بصورة مناسبة ، ولايجد خياراً سوى التخلى عنها .

وبدون حد أدنى معين من ملكية الأرض ، وضمان الحيازة ، والقروض بفائدة معقولة ، والسيطرة على الناتج ، يتوصل الزراع إلى النتيجة الواقعية القائلة : إنه ليس من مصلحتهم شراء معدات لزيادة الإنتاج ، أو اتخاذ خطوات للحفاظ على خصوبة التربة . وهكذا فليس (التأخر) المزعوم للفلاحين هو ما يمنعهم من شراء السماد والمعدات الحديثة الأخرى بل الحس الاقتصادى الصرف .

ويقرر المؤلفان أن تركيز الأرباح الناتجة عن التحديث الزراعى فى أيدى فئة قليلة كان يعنى أن جزءاً كبيراً مما كان يمكن أن يعاد استخدامه فى التحسينات الزراعية يذهب بدلاً من ذلك إلى بضائع ترفيه لإشباع الحافز الاستهلاكى المفرط للأغنياء الجدد الريفيين وفى كل أنحاء العالم يمكن أن نجد المقاولين الزراعيين الجدد (يستثمرون) الأرباح الفائضة فى المنتجعات السياحية ، والبارات بأساطيل التاكسى ، ودور السينما ، ووكالات السفر .

ويرى المؤلفان أن حفز الناس على التعاون باتجاه هدف مشترك هو ماتعتمد عليه كل تنمية فى نهاية الأمر . لكن نظاماً اجتماعياً يمنح ميزات تفضيلية فى الحصول على الأرض ، والمعدات الزراعية والبرامج الحكومية لقلة يحد من أية إمكانية للتعاون والتعلم المشترك .

ويرى المؤلفان أن الإيحاء بأننا ببساطة لانملك تحقيق مساواة أكبر إذا أردنا زيادة الإنتاج يتجاهل أهم معوقات الإنتاج فى إطار نظام السوق ، أى أن نقص المشترين الذين يملكون النقود لدفع ثمن زيادة الإنتاج . هذا الإيحاء يتضمن أن (القليل من اللامساواة شيء حسن) أو على الأقل شر لابد منه .

وفى تساؤلهما : هل الإصلاح الزراعى ضد الإنتاج ؟

يرى المؤلفان أنه ـ تاريخياً ـ أدت الإصلاحات الزراعية الحقيقية إلى إنتاج زراعى أكبر لأنها عالجت (أوجه النقص الناجمة عن اللامساواة) والتى تعوق الإنتاج .

ويطرح المؤلفان السؤال التالى . لماذا يعتقد الكثير أن الإصلاح الزراعى يخفض الإنتاج ؟ ويجيبان عن هذا السؤال بمايلى :

أولاً : لأن قوانين الإصلاح الزراعى فى بعض البلدان لم تكن كُفئاً وصالحة لإحداث التغيير المطلوب .

ثانياً : لأن معظم المعايير الرسمية للإنتاج تقتصر عادة على الغلال التى تدخل السوق ولاتدخل الجزء المستهلك ذاتياً من قبل الأفراد الذين استفادوا من الإصلاح الزراعى .

ثالثاً : إن التقدم يقاس عادة بإنتاج الغلال وحده ، ويهمل التحسن الغذائى الناتج من استهلاك الخضروات والفواكه .

ويخص المؤلفان باباً للحديث عن : لعبة التبادل التجارى فيبيان : أنه من أكثر الخرافات الغذائية ظلماً ، تلك التى تقول : إن البلدان المتخلفة لايمكنها أن تزرع سوى (محاصيل مدارية) ، ولابد لها من استغلال هذه الميزة الطبيعية بأن تصدرها . وفى الحقيقة فإن بإمكان هذه البلدان أن تزرع مجموعة شديدة التنوع من

المحاصيل : (العلال ، والبقول عالية البروتين ، والخضروات والفواكه) .

معظم البلدان النامية تعتمد ـ وقت تأليف الكتاب ـ في الحصول على ما بين ٥٠ و ٩٠ في المائة من حصيلة تصديرها على محصول واحد أو محصولين ـ والتركيز على عدد محدود من المحاصيل يولد حالة من ضعف البنية الاقتصادية تتميز بها البلدان النامية وضعف البنية هنا يعنى عدم القدرة على السيطرة على مصيرها .

فبالإضافة إلى سهولة التأثر بتقلبات السوق ، الناجمة عن الاعتماد على محاصيل قليلة جداً هناك المشكلة الكبرى للانخفاض الكلى في قيمة السلع الغذائية التى تصدرها معظم البلدان النامية ؛ فضلاً عن أن أسعار المحاصيل التى تبيعها الدول الصناعية أساساً (الغلال) قد ارتفعت أسرع بكثير من أسعار السلع التى تصدرها البلدان النامية . وخلاصة القول : إن زراعة التصدير التى تسود اقتصاديات البلدان النامية تخدم المصالح الأجنبية بنفس الطريقة التى ظلت تخدمها بها مئات السنين .

ومن هنا أفرد فصلا بعنوان : (الخاسرون)

إعطاء الأولوية لمحاصيل التصدير يعنى اعتماد العائلة الزراعية على النقود التى تأتى مرة أو مرتين فقط في السنة وقت الحصاد . لكن تلك المدفوعات المجمدة تحول الفلاحين إلى أهداف مكشوفة أمام التجار المستغلين الذين يتاجرون بالأدوات والأغذية الباهظة الثمن . وهكذا ؛ فإن تنوع المحاصيل الغذائية هو الضمان الوحيد للأمن الغذائى على مدار العام للعائلة الريفية .

ثم الرابحون :

ويرى المؤلفان أن الخرافة القائلة : إن زراعة التصدير هى الطريق إلى التنمية تخدم فقط ملاك المزارع الضخمة ، والشركات المتعددة الجنسية ، وشركات التسويق الحكومية في البلدان النامية وتعمل على تخفيض أجور العمال الزراعيين حتى يمكن لمنتجاتها أن تدخل مجال المنافسة في الأسواق الدولية .

الفصل العشرون : تغيير اللعبة

ـ زراعة التصدير تمكن النخبة أن تربح في كل الأحوال لوجود مشترين في أسواق أجنبية مجزية تزود مجموعات النخبة المحلية والأجنبية بالحافز على تشديد سيطرتها على الموارد الناتجة عن أرباح التصدير ، وعلى المقاومة الحازمة لأية محاولات لإعادة توزيع السيطرة على الأصول الإنتاجية .

ـ البلدان المتخلفة لا تستطيع المنافسة في أسواق التصدير إلا باستغلال قوة العمل ، وخصوصاً النساء والأطفال ولن يقف الملاك والحكومات الخاضعة للتصدير عند حد لسحق جهود العمال لتنظيم أنفسهم .

ثم كان ضرورياً أن يتساءل المؤلفان عن :

الولايات المتحدة .. هل هى سلة غذاء العالم ؟ فيقولان : الولايات المتحدة الأمريكية واحدة من أكبر البلاد المصدرة للغذاء ، بحيث شبهها البعض بسلة غذاء للعالم . والانطباع العام هو أن جزءاً كبيراً من الذهب يذهب إلى البلدان الجائعة في (برنامج معونة) متميز بكرمه . لكن هناك فجوات واسعة في هذه الصورة التى تسود العالم الثالث خاصة محلياً وأهمها :

١ ـ أن ما يصدر من الغذاء على أساس

المعونة (أى بتمويل طويل الأجل ، منخفض الفائدة) هو مجرد نسبة ضئيلة من الصادرات التجارية .

٢ ـ أقل من (٣٠) بالمائة من الصادرات الزراعية يذهب إلى البلدان الأقل تطوراً .

٣ ـ رغم أن الولايات المتحدة هى أكبر مصدرى الغذاء فى العالم ، فإنها كذلك واحدة من أكبر مستوردى الغذاء فى العالم .

ثم يرى المؤلفان أننا نعيش عصراً تتغلل الشركات المتعددة الجنسية الزراعية فى العالم بأسره ، وتربط مزارع البلدان النامية بأسواق الغذاء العالمية . وبقدر ما تتحدث الشركات الزراعية عن إنتاج الغذاء فى البلدان النامية ، فإنها لاتتحدث عن الأغذية الأساسية التى يحتاجها الجياع ؛ بل تركز على المحاصيل الترفيهية : كالفراولة ، والطماطم والمانجو ، والدجاج ، والأزهار .

هذا فضلاً عن أن خبرة الشركات الزراعية ليست فى الإنتاج بقدر ماهى فى التسويق .

ثم يتساءلان :

صدقات المساعدة : المعونة لمن ؟

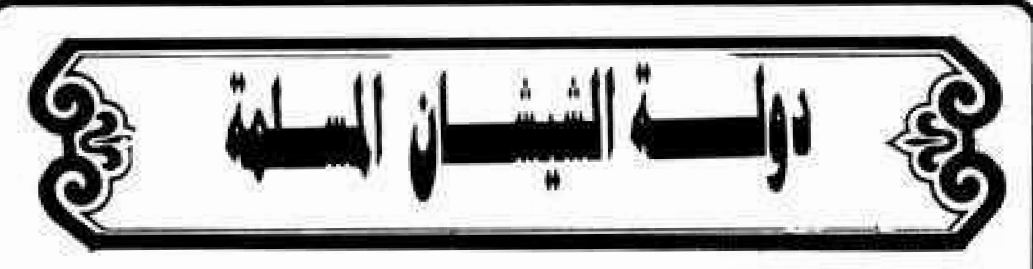
فيورد المؤلفان فى هذا الباب وهو الأخير فى هذا الكتاب . أن هذا الكتاب بأكمله إنما هو رد على نظرية الثالوث .

١ ـ أن المعونة الخارجية شديدة الانتقاء بالفعل ، وتذهب لخدمة المصالح السياسية والاقتصادية الضيقة لمجموعات معينة فى الغرب . وليس بدوافع إنسانية كما تفترض نظرية ثالوث المعونة .

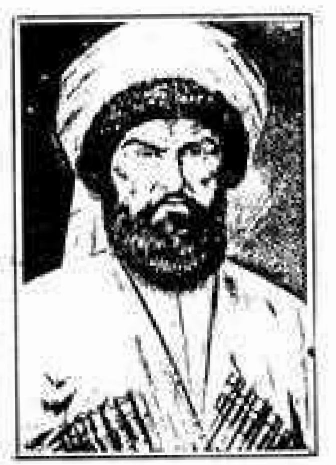
٢ ـ يفترض الثالوث أن البلدان النامية من الطرف المتلقى للمعونة فقط ، بينما الحقيقة أن عديداً من البلدان النامية مصدرة للغذاء ، خصوصاً للأغذية عالية البروتين مثل : اللحوم ، والأغذية البحرية والبقول ، وهو يؤكد فكرة أن هذه البلدان هى العبء الأكبر .

٣ ـ أن الثالوث يقوم على أساس (مقولة الرعب القائلة : بأننا ندخل عصر الندرة المطلقة) وبناء على هذه النظرية ، يجب توزيع الغذاء بحرص لضمان بقاء أنفسنا لكن العالم لم يبلغ هذه النقطة وذلك يرجع «لعدم كفاءة اللامساواة» أى أن الضغط الرئيسى على إنتاج الغذاء هو التفاوتات الكبيرة فى السيطرة على موارد إنتاج الغذاء فى العالم . إذ تتناقص باستمرار سيطرة الجياع على عملية الإنتاج ، والنتيجة : تبديد هائل متمثل فى قلة استخدام الأرض ، وتوسع فى محاصيل الترفيه والمحاصيل غير الغذائية لإطعام (الشبعانين) فعلاً وإطعام أكثر من ثلث إجمالى قمح العالم ومالايقل عن ربع صيد العالم من الأسماك للماشية ، وطالما ظل لدينا نظام يقوم بنشاط (بخلق الندرة من قلب الوفرة) ؛ فإن القول بأننا نبلغ الحدود القصوى للطبيعة ، من مجرد التضليل فالإيحاء بذلك يسمح للنظام الحالى الذى يولد الندرة بالاستمرار دون أن يفهم حقيقته .

وفى نفس الوقت يجرى خداع الناس بصورة مرعبة عن (النقص) ، (والانفجار السكانى) لصالح قلة من الأفراد استولوا على السلطة والثروة لأنفسهم ؛ وهى القوى التى تخرب باستمرار رفاهية الناس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى البلدان النامية .



الشعب الأبى وحقد الحكام فى روسيا وراء حروبهم لها طيلة ثلاثة قرون



الإمام منصور الشيشانى
قائد الشيشان فى القرن الثامن عشر

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

دولة الشيشان أو الشيشين عريقة فى التراث الحضارى منذ العصور القديمة ، وامتد سلطانها حتى القرن السادس قبل الميلاد ، قامت نشأتها الأولى جنوبى البحر الأسود وشرقه ، وامتد نفوذها حتى شمال بلاد الشام وإقليم العراق وإن لم يطل عمرها ، وربما كانت أقدم دول المنطقة المحيطة بها ، ولقد عاصرتها وعمرت بعدها دولة المصريين القدماء التى بلغت أوجها فى عصر الملك رمسيس الثالث فرعون مصر المتوفى ١١٦٠ قبل الميلاد .

لذلك كان شعب الشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت فى القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون واحداً من الشعوب الأصيلة لمنطقة القوقاز التى تشمل أيضاً شعوب الشراكسة والداغستان والأجوش وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب « الكارتفيل » وهو العرق الأصل للشعب الجورجى ، وقد انكمشت دولة الشيشان فى زماننا المعاصر فأصبحت مساحتها ١٩,٣٠٠ كيلو متر مربعاً[١] .

---

(١) موسوعة أطلس تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسين مؤنس نشر دار الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٩٥ م

حدودها :

تحدها من الشمال منطقة «ستافروبول» الروسية ، ومن الجنوب «جورجيا» ومن الشرق «داغستان» ومن الغرب «أوستيا» الشمالية ، وهي مقسمة إلى (١٢) مقاطعة وعدد سكانها لا يتعدى مليون ، ٢٣٥ ألف نسمة ، يشكل الشيشان فيها (٧٣٥) ألف نسمة «والأنجوش» (١٦٤) ألف نسمة «والروس» (٢٩٤) ألف نسمة «والأرمن» (١٥) ألف نسمة «والأوكرانيون» (٢٧) ألف نسمة .

منتجاتها :

إنتاجها الاقتصادى يشمل الصناعات البترولية والمعدات الثقيلة والفواكه والخضروات والذرة والأرز وقصب السكر وتربية الماشية[٢] .

الأصل الذى ينحدر منه الشيشان :

تشير الروايات القديمة إلى أن شعب الشيشان ينحدر من سلالة بطل وطنى قديم اسمه (توربالو ـ تختشو) وأن هذا الرجل عاش فى جبال القوقاز ، وكان يتصف بالشجاعة التى جعلته يعيش مع الذئاب الجبلية ، وهذا ما يفسر وجود الذئب على علم جمهورية الشيشان الإسلامية ذى اللونين : الأخضر والأبيض ، كما أن النشيد الوطنى لهذه الجمهورية يشير إلى انحدار شعبها من جدهم « توربالو تختشو » وبالإضافة إلى الشجاعة التى يتميزون بها يتصفون بالذكاء والمرح وإشاعة المساواة فيما بينهم[٣] .

كيف وصل الإسلام إلى بلاد الشيشان ؟

برغم أن الفتوحات الإسلامية امتدت إلى «أذربيجان» والأجزاء الشرقية منها وهى «داغستان» «وجورجيا» «وأرمينيا» منذ القرن السابع الميلادى إلا أن انتشار الإسلام فى القوقاز كان بطيئا بسبب الطبيعة الجبلية لبلاد القوقاز التى لم تكن مألوفة للمسلمين ، ولوجود دولة « الخزر » ذات الأصول اليهودية فى منطقة أذربيجان وبحر قزوين وكانت تقاوم الفتوحات الإسلامية فى الداغستان وأذربيجان ، كما أن دولة جورجيا المسيحية فى المنطقة ـ وكانت تسمى دولة الكرج ـ قاومت هى الأخرى المد الإسلامى فى منطقة القوقاز .

وبعد فإن الإسلام وجد طريقه للشيشان فى القرن السابع عشر للميلاد من خلال الدعاة والمبشرين المسلمين من أهل السنة الوافدين من جمهورية الداغستان ومن مدينة « بخارى » ومن شبه جزيرة القرم .

باعتناق شعب الشيشان للإسلام أصبح قوة كبرى فى منطقة شمال القوقاز حيث صارت جموع هذا الشعب الصلب حماة هذا الدين ، وأكثر شعوب شمال القوقاز تمسكاً به والصخرة الصلبة التى تحطمت عليها الدعوات الهدامة فلا قياصرة الروس النصارى استطاعوا تنصيرهم ، ولا الشيوعية الملحدة بعد القياصرة أفلحت فى

---

(٢) فى بحث (الشيشان وكبرياء المواجهة) إعداد مركز الدراسات والأبحاث لروسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى بدولة الكويت ، نشر بمجلة « الوعى الإسلامى » شهر رمضان ١٤١٥ هـ ، فبراير ١٩٩٥ م .

(٣) ملف (الشيشان عبر التاريخ) بحث بقلم الدكتور أحمد موسى عادل الشيشانى ، نشر فى مجلة الحرس الوطنى السعودى فى شهر رمضان ١٤١٥ هـ ، فبراير ١٩٩٥ م .

إبعادهم عن الإسلام برغم منع طغاة الشيوعيين لهم من ارتياد المساجد أو الصلاة فيها ؛ مما اضطر شعب الشيشان أن يجعل فى بيوته المساجد التى يتعبد ويقيم الصلاة فيها[٤] .

قدم عداء الروس للشيشان

داعبت حكومة القياصرة فى روسيا منذ القرن الثامن عشر أحلامها فى حماية حدودها الجنوبية من غزو الإيرانيين ومن غزو الأتراك العثمانيين ، وذلك لا يكون إلا باحتلال القوقاز وجعله خط الحماية الأول ، كما طمعت فى احتلال الهند وفتح طرق التجارة إليها عبر القوقاز ، وتطلعت أيضاً إلى استرجاع مدينة القسطنطينية من العثمانيين الذين أسموها (إسلام بول) أى مدينة الإسلام كما تطلعت إلى تخليص مدينة القدس من حكم المسلمين حيث كانت روسيا القيصرية فى عهد الإمبراطورة « كاترينا الثانية » وابنها « بول » وحفيدها « القيصر الكسندر الأول » متعصبين بشدة للكنيسة الأرثوذكسية ، ويعتبرون أنفسهم حماة النصرانية فى العالم .

ساعد فى تحقيق بعض أحلام هؤلاء الطغاة أن القيصر بطرس الأكبر زوج الإمبراطورة كاترين السابق الإشارة إليها قبل وفاته مهد الطريق لخلفائه فى غزو القوقــاز من خلال بنائـه القــلاع والمستوطنات على امتداد نهر «التيرك» الفاصل بين روسيا والقوقاز ثم قام بنقل شعوب القوزاق النصرانية التى كانت تسكن حول «موسكو» وفى «أوكرانيا» «وبولندا» ، إلى تلك المستوطنات بعد إخضاعها لحكمه ، وبعد أن قاد بنفسه حملة عسكرية ١٧٢٢ ميلادية إلى نهر قزوين واحتل بها مدينة « دربند » أو «باب الأبواب» إلا أن بعض قواته ضلت الطريق عند رجوعها فدخلت بلاد الشيشان ، فهاجمها الشيشانيون وكادوا يبيدونها عن آخرها لولا وصول قوات روسية كبيرة أفلحت فى إنقاذها وتخليصها والنجاة بها[٥] .

الحملات العسكرية التى وجهتها الحكومات الروسية إلى بلاد الشيشان :

أولى هذه الحملات العسكرية قامت بها الإمبراطورة « كاترينا الثانية » قيصرة روسيا فعملت أولا على طرد الأتــراك من أقــاليم « جورجيا » و «أبخازيا» وشبه «جزيرة القرم» ثم وجهت القوات الروسية لاحتلال بلاد الشيشان وبلاد الأنجوش «والقبارطاى» ولكن جيوشها التى وصلت بلاد الشيشان ١٧٨٥ م منيت بهزائم متكررة ساحقة على يد قوات الإمام المسلم منصور الشيشانى الذى تلقى علومه الدينية فى مدينة « بخارى » ، وكان يدعو قومه إلى التمسك بشريعة الإسلام ، لأن فيها خلاص المسلم فى الدنيا والآخرة .

وقد استغاث السلطان العثمانى ١٧٩١ م بالإمام منصور الشيشانى لنجدة الجيوش التركية المحاصرة من قبل القوات الروسية فى « ميناء أنابا» على ساحل البحر الأسود فتوجـه الإمــام « منصور » على رأس قوة من الشيشان وهاجم القوات الروسية من الخلف واستطاع بذلك فك الحصار عن «ميناء أنابا» مما أتاح للعثمانيين إرسال قواتهم العسكرية لدعم صمود ذلك الميناء لكن الإمام منصور سقط جريحا وهو يحارب الروس فى إحدى القلاع ، فتمكنوا بذلك من أسره ونقله مقيدا بالسلاسل إلى مدينة بطرسبرج عاصمة القياصرة وقتئذ ، وهناك طلبت الإمبراطورة

(٤) (٥) المرجع السابق .

مشاهدة ذلك البطل أسيرا وهو الذى ألحق جيوشها الهزائم المتكررة فى شمال القوقاز ثم أمرت بعد ذلك بسجنه فى جزيرة نائية وهناك تم قتله عام ١٧٩٤ م .

ومع ذلك لم يتمكن الروس فى عهد امبراطورتهم المشار إليها من احتلال القوقاز الشمالى لذلك عملت على زيادة القلاع والمستوطنات لرعاياها القوزاق النصارى على طول امتداد نهر التيرك ونهر الكوبان حتى اكتمل فى عهدها بناء ما يسمى خط القوزاق العظيم الذى امتد من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأسود غربا[٦] .

انسحاب الجيش الروسى بعد وفاة الإمبراطورة كاترينا الثانية

لما تولى حكم روسيا القيصر بول ابن الإمبراطورة كاترينا الثانية أمر بسحب الجيوش الروسية من شبه جزيرة القرم ومن أذربيجان ومن داغستان الشرقية ، لكن هذا القيصر لم يعمر طويلا لأنه قتل خنقا نتيجة مؤامرة داخلية ضده إذ كان ينوى التحالف مع نابليون امبراطور فرنسا وقتئذ ضد انجلترا حتى يقوم الاثنان بغزو الهند وانتزاعها من قبضة الانجليز ، ثم غزو تركيا العثمانية لاستعادة مدينة القسطنطينية من الأتراك المسلمين ليقدمها نابليون هدية منه للقيصر بول .

ولما تولى حكم روسيا القيصر الكسندر الأول خلفا لوالده بول كان يحلم هو الآخر مثل جدته كاترينا باستعادة مدينة القدس من المسلمين وإحياء الكنيسة فى القسطنطينية بعد استعادتها من العثمانيين لكن بدون التحالف مع نابليون الذى قام حينئذ بمهاجمة روسيا والاستيلاء على موسكو ، وفى انشغال حكومة روسيا بحرب نابليون أصبح القوقاز الشمالى والجنوبى خارج السيطرة الروسية .

لكن بعد هزيمة نابليون ١٨١٤ م وانتصار الحلفاء ، أصبحت روسيا القيصرية أقوى دولة عسكرية فى أوروبا[٧] .

أطماع الروس تراودهم مرة أخرى لغزو الشيشان

بعد خلو الساحة الأوروبية من نابليون ومعاركه العسكرية قام القيصر الكسندر الأول بتعيين قائد حربه الحديدى (برملوف) ١٨١٨ م ليعاود الحرب ضد الشيشان بوصفهم ألد أعداء روسيا فى شمال القوقاز ، وقد استخدم ذلك القائد فى حربه سياسة غير إنسانية وهى أسلوب (الأرض المحروقة) فكان يدك القرى والبيوت بالمدفعية مما مكنه من إخضاع أجزاء السهول فى تلك البلاد فهرب السكان إلى الجبال التى تشكل الجزء الأكبر من بلاد الشيشان ، ومن هناك شنوا حرب العصابات بقيادة (تيمى بيبولت) ويدعونه صاعقة القوقاز فأنهك بهجماته الخاطفة (برملوف) وقواته الروسية ، وكبدها الخسائر الفادحة ، فتآمر الروس ضده وأفلحوا فى اغتياله ، ومع ذلك استمر الشيشان فى مقاومتهم الباسلة دون أن يستطيع « برملوف » إخضاعهم مما دعا « القيصر نيقولا » الثانى ١٨٢٧ م إلى عزله مكتفيا بما سبق احتلاله من السهول دون باقى بلاد الشيشان وحول ذلك القيصر المشار إليه اهتمامه إلى طرد الإيرانيين والأتراك العثمانيين من أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وشبه جزيرة القرم ، وتم له كل ذلك عام ١٨٢٩ م ، وبسقوط جنوب القوقاز بأكمله فى

أيدى الروس أصبحت جميع منطقة القوقاز الشمالى والجنوبى تحت الحكم الروسى فيما عدا الأجزاء الجبلية فى الداغستان ، وبالتحديد «منطقة أفاريا» التى فى الجزء الغربى منها ، وكذلك الأجزاء الجبلية من بلاد الشيشان[٨] .

اصطدام الروس مع الشيشان فى حرب القوقاز الأولى

اعتقد الروس بعد نجاحهم فى طرد الإيرانيين والأتراك من القوقاز الجنوبى وشبه جزيرة القرم أنهم سيطروا على جميع القوقاز ، وحاولوا بعد ذلك الاستيلاء على «أفاريا» وباقى بلاد الشيشان الجبلية تمهيداً لقيامهم بغزو الهند لكنهم لم يفلحوا فى إخضاع « أفاريا » وبـاقى بلاد الشيشان واستمرت المقاومة منهم طيلة ثلاثين سنة فقد الروس فيها أكثر من نصف مليون جندى وضابط وجنرال ، وقد سُمِّيت هذه الحرب فى كتب التاريخ الروسية والأوربية بحرب القوقاز الأولى ، وأعلن فيها الشيشان والداغستان الجهاد المقدس ، بقيادة (الإمام غازى محمد وتلميذه الإمام شامل) وقد ألحقا بالقوات الروسية العديد من الهزائم إلا أن الروس تمكنوا ١٨٣٢ م من محاصرة قرية (غمرى) معقل المقاومة حيث دارت معركة رهيبة من بيت لبيت نجح الروس بنهايتها فى القضاء على جميع سكان تلك القرية واستشهد فى هذه المعركة الإمام غازى محمد لكن تلميذه الإمام شامل تمكن من الفرار رغم إصابته بجرح بالغ .

بعد شفاء الإمام شامل قاد المقاومة الوطنية فى الداغستان واستمر فى حرب الروس ، إلا أن الروس أفلحوا فى إلحاق الهزيمة به ١٨٣٩ م ومع ذلك لم يستسلم بل توجه إلى بلاد الشيشان فنادوا به زعيما وإماما عليهم ، ونزلوا من الجبال بأعداد كبيرة بحيث تجمع للإمام شامل جيش كبير من المحاربين الشيشان الأشداء ، وبهذا الجيش ألحق الهزيمة بالجيوش الروسية واسترجع جميع بلاد الداغستان ، وحَرَّرَ الأجزاء السهلية من بلاد الشيشان ، وبذلك طرد الروس من معظم شمال القوقاز .

شجعت انتصارات « الإمـام شامـل » الشراكسة فى الغرب على سواحل البحر الأسود على مقاومة الروس فقاموا بمهاجمة القلاع الروسية ، وأبادوا جميع من فيها من قوات واستمر الإمام شامل فى حربه ضد الروس فى شمال القوقاز حتى عام ١٨٥٩ م إذ جمع الروس جموعهم الكثيرة وتقابلوا معه فى معركة (غونيت) فتمت الغلبة لهم ، واستسلم الإمام شامل لكن الشيشان لم يخضعوا للهزيمة ولجئوا مرة أخرى للجبال وعادوا لحرب العصابات بقيادة (بويسقـر الشيشانى) واستمروا فى المقاومة حتـى عام ١٨٦٤ م حيث تمكن الروس من أسره وقتله مع رجاله وبهذه النهاية المؤسفة انتهت حرب القوقاز الأولى التى كان شعب الشيشان ضحيتها إذ دمرت بلادهم وقتل الكثير منهم وهبط تعدادهم من جراء هذه الحرب إلى النصف فى الجبال وإلى الربع فى السهول[٩] .

استمرار مقاومة الشيشان للروس بعد ذلك

برغم تلك الخسائر الباهظة فى صفوف الشيشان من جراء حرب القوقاز الأولى التى تمت الإشارة إليها فيما سبق فإنهم كانوا دائما وكلما أتيحت لهم الفرصة وتوفرت لهم القوة يقومون بمقاومة الحكم الروسى ، وأشهر حركات المقاومة تلك التى قادها الشيشانى (علباك حجا) ١٨٧٧ م

واستمرت عاما واحدا لكن الروس قضوا عليها وأعدموا قائدها وجميع رجاله .

كما قامت حركات للمقاومــة الشيشانيــة ١٩٠١ م وكذلك ١٩٠٥ م لكنها فشلت جميعها إذ قام الروس بقمعها بمنتهى الشدة وأعدموا كل من شارك فيها[١٠] .

مظاهر الحقد والتعصب الروسي ضد شعب الشيشان في زماننا المعاصر

١ ـ عندما اندلعت الثورة الشيوعية في ١٩١٧ م قام المستوطنون الروس باحتلال السهول الشمالية لبلاد الشيشان لاسيما بعد اكتشاف النفط في منطقة العاصمة «جروزني» وجذب ذلك أيضاً عدداً كبيراً من عمال الروس إلى هناك .

٢ ـ وفي عام ١٩٣٦ م قرر الاتحاد السوفيتي اعتبار بلاد الشيشان جزءاً من الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، لكن بعد انتصاره مع الحلفاء أصدر ستالين رئيس الاتحاد السوفيتي ١٩٤٦ م قراراً بالغاء جمهورية الشيشان من الوجود وتشتيت شعبها وإبعادهم عن وطنهم إلى مناطق التعمير الخاصة في أواسط آسيا ، وقد هلك ثلث شعب الشيشان في تلك الرحلة المشؤومة .

٣ ـ بعد هلاك الطاغية ستالين أعيد شعب الشيشان إلى بلاده وكان ذلك في عام ١٩٥٧ م ، وفي عام ١٩٦٠ م تمت إعادة ذلك الشعب إلى إرضه على مرحلتين[١١] .

٤ ـ لما انفرط عقد الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ م أعلنت جمهورية الشيشان استقلالها الكامل عن الاتحاد الروسي الجديد ورفض زعيمها (جوهر دودايف) التوقيع على المعاهدة الاتحادية مع الروس ، كما تقدم بمشروع خاص للإصلاح الدستوري في بلاده نص فيه على إعلان (الإسلام دين الدولة) وأدخل نظام المحاكم الشرعية إلى جنب المحاكم المدنية ، وفتح جميع المساجد التي أغلقها الشيوعيون .

٥ ـ إزاء فشل الروس في حمل زعيم الشيشان على الإذعان لأوامرهم قاموا مؤخرا في ١١ ديسمبر ١٩٩٤ م بالهجوم الضاري بجيوشهم على بلاد الشيشان فرد عليهم الجنرال « جوهر دودايف » بتعبئة مقاتلي الشيشان وطرد أعوان الحكومة الروسية من بلاده وكشف في وقت سابق يوم ١٦ نوفمبر ١٩٩٤ م عن وثيقة روسية قذرة وضعها أمام الرأى العام العالمي وتقضي صراحة بتعاون كافة الأجهزة والمؤسسات الروسية المختلفة لتهجير جميع شعب الشيشان تهجيرا إجباريا من أرضه وتوزيعه على مختلف أرجــاء الأراضي الروسية .

٦ ـ وبرغم أن حجم دولة الشيشان ضئيل إذا قورن بحجم الدولة الروسية المعتدية إلا أن رجال الشيشان قاتلوا قوات الروس قتالا أذهل العالم بشجاعتهم ومازالت المعارك مستمرة سجالا بين الطرفين حتى الآن بين مليون شيشاني يقفون أمام ٢٠٠ مليون روسي[١٢] .

(٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) المرجع السابق .

(١١) (الشيشان وهل يعيد التاريخ نفسه) مقال بقلم الدكتور عبد الحميد صالح حمدان أستاذ سابق لمادة التاريخ الإسلامي ، نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ شعبان ١٤١٥ هـ ـ ٩ يناير ١٩٩٥ م .

(١٢) (الشيشان : لماذا الدفاع عن الذات) مقال بقلم الدكتور محمد حرب رئيس المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان ، نشر بجريدة الأهرام في ٢٢ رمضان ١٤١٥ هـ ـ ٢٢ فبراير ١٩٩٥ م .

وبعد ، فإنه إذا كان من المؤسف أن المسئولين فى النظام العالمى الجديد وعلى قمته الولايات المتحدة الأمريكية يغضون الطرف عما يجرى فى بلاد المسلمين عامة ، وفى بلاد الشيشان بما حشدته روسيا من قوات وطائرات ودبابات ومدفعية لسحق السكان المسلمين وإبادتهم وتدمير المرافق هناك دون أن ترحم فى ذلك طفلا أو امرأة أو عجوزا ، ولم تفرق بين مستشفى أو مسجد أو مخبز أو مصنع وبين الأهداف العسكرية ، ودون احترام لأبسط مبادىء حقوق الإنسان فى القانون الدولى .

بل إن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت على لسان رئيسها (كما ذكرته وسائل الإعلام المختلفة فى حينه) أن ما يحدث فى الشيشان مسألة داخلية برغم أنه لا يوجد بين شعب الشيشان وبين الشعب الروسى أى عناصر مشتركة فى اللغة والجنس والدين والتقاليد والتاريخ ، أو غير ذلك من العناصر ، بل بين الشعبين تدابر روحى وتنافر جسدى ، إذا كان ذلك مؤسفا فإن من المؤلم ، بل من المخجل حقا أن يُطبق الصمت الثقيل على جميع الدول الإسلامية والدول التى تزعم أنها محبة للسلام فلا تتحرك أى منها بإدانة العدوان الروسى ، أو بقطع العلاقات السياسية أو الاقتصادية أو حتى بمجرد الاحتجاج ، وهو أضعف الإيمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وإذا رجعنا إلى قواعد القانون الدولى الإنسانى المطبق فى المنازعات المسلحة الواردة باتفاقيات جنيف ١٩٤٩ م والملحقين أى (البروتوكولين) الإضافيين الموقعين فى جنيف ١٩٧٧ م والتى اشتركت فى إعدادها وتوقيعها دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، نجد الملحق الثانى قد أسهب فى شرح أوجه الحماية الواجبة للسكان المدنيين من أخطار مثل هذه الحروب ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ إنه لا يجوز أن يكون السكان المدنيون محلا للهجوم .

٢ ــ حظر أعمال العنف وبث الذعر بين السكان .

٣ ــ يحظر تجويع المدنيين .

٤ ــ يحظر مهاجمة أو تدمير مصادر الغذاء ومياه الشرب وأشغال الرى .

٥ ــ ألا تكون المنشآت التى تحوى قوى خطيرة محلا للهجوم حتى لو كانت أهدافا عسكرية حتى لا يعرض تدميرها السكان للخطر .

وقد انتهك الروس كل هذه القواعد ولم يراعوا احترامها على الإطلاق فى عدوانهم الآثم على بلاد الشيشان[١٣] .

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

الشعراء ــ ٢٢٧ .

(١٣) من مقال (حرب الإبادة فى الشيشان والبوسنة والقانون الدولى الإنسانى) بقلم الدكتور سمير محمد فاضل خبير القانون الدولى ، نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٩٥ م .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد ع . س . ح

أرغب في الزواج من إحدى قريباتي ولكني قد علمت أنها رضعت من أمي مع أختي وقد سألت أمي عن عدد الرضعات ولكنها لا تتذكر عدد الرضعات .

فهل يجوز لي التزوج منها أو إحدى أخواتها ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأنه برضاع هذه الفتاة من أم الفتى خمس رضعات متفرقات أصبحت أختا لهذا الفتى وبنتاً لهذه المرضعة وحرمت على كل أبنائها وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الفتى أن يتزوج من هذه الفتاة والله ـ تعالى ـ أعلم .

السؤال من السيد ع . ع . م

من المعلوم أن الرسل الذين يجب الإيمان بهم هم خمسة وعشرون كما ورد ذكرهم في القرآن الكريم ولكن الكتب السماوية نزلت على أربعة منهم فقط .

فالزبور على سيدنا داود ، والتوراة على سيدنا موسى ، والإنجيل على سيدنا عيسى ، والقرآن على سيدنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

فما بال بقية الرسل فعلى أي شيء يعتمدون في إبلاغ دعوتهم إلى أقوامهم ؟

وما المقصود بالصحف التي نزلت على سيدنا إبراهيم وعلى سيدنا موسى ؟

وما الفرق بينها وبين الكتب ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الإجابة :

جميع الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي منهم المرسلون بالوحي شفاهاً ثلاثمائة وخمسة عشر نبياً ، وجميع ما أنزل الله ـ تعالى ـ من الكتب مائة كتاب وأربعة كتب ، من ذلك مائة صحيفة أنزلها الله ـ تعالى ـ فيما بين آدم وموسى .. فأول كتاب منها أنزله الله اسمه صحف آدم ـ عليه السلام ـ وهي إحدى وعشرون

صحيفة ، والكتاب الثانى أنزله الله على شيث ـ عليه السلام ـ وهو تسع وعشرون صحيفة ، والكتاب الثالث الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على أخنوخ وهو إدريس ـ عليه السلام ـ وهو ثلاثون صحيفة ، والكتاب الرابع أنزله الله على إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو عشر صحائف ، والكتاب الخامس أنزله على موسى وهو عشر صحائف فذلك خمسة كتب ومائة صحيفة ثم أنزل الله ـ تعالى ـ التوراة على موسى بعد الصحف بزمان فى عشرة ألواح .

وأساس دعوة الأنبياء والرسل جميعاً افعل ولا تفعل أمر ونهى وألا يعبد الإنسان إلا الله ـ تعالى ـ وكل ما سواه فهو باطل .

السؤال من السيد أ . أ . ح من السبلاوين ـ الدقهلية :

يقول رسول الله ﷺ : « ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة ، وليس فيما دون خمس أواق ، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة .

(أ) ١ ـ مانصاب الزرع والحبوب بالكيلو جرام : من :
القمح ـ القطن ـ البرسيم ـ المواخ ـ الزبيب ـ التمر .

ومتى يخرج الزكاة ، وماقيمة الزكاة إذا كانت الأرض بالإيجار أو ملك ، وهل يخرج قيمة الإيجار من المحصول أولا ، ثم يخرج الزكاة من الباقى إذا بلغ النصاب .

٢ ـ البرسيم يحش أربع مرات أو أقل فما تكون قيمة الزكاة ، وهل تكون زكاة البرسيم على كل (حشة) أم آخر حشة .

(ب) ١ ـ ما نصاب المواشى من :
الجاموس ـ البقر ـ الجمال ـ البغال ـ الحمير ـ الخيل .

وما قيمة الزكاة ومتى تخرج ، وهل يجوز إخراجها لطلاب العلم ؟

٢ ـ هل على الجاموس زكاة ؟

(جـ) ١ ـ ما نصاب الفلوس والأوراق النقدية والذهب والفضة ؟

٢ ـ هل على فلوس البنك زكاة ، أم البنك يخرج الزكاة عنها من أسهم ـ ودائع ـ أمانات ـ أرباح ؟

(د) ١ ـ اتفق جمهور العلماء والفقهاء على أن مسافة القصر (٤) برد أو (٤٨) ميل نرجو المسافة بالكيلو مترات ، ومتى يبدأ وينتهى ؟

٢ ـ هل على طلاب المرحلة الثانوية القصر فى الصلاة والجمع والتقديم علماً بأن الدراسة فى الفترة المسائية وتبعد المدرسة عن هذا البلد عدة كيلو مترات ، علماً بأن الظهر يؤذن وطلاب المدرسة بداخل المدرسة والعصر أيضاً وليس فى المدرسة مسجد ، هل يصلون الظهر قبل آذان الظهر ، أم يصلون الظهر مع العصر فى وقت العصر ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الإجابة :

السؤال الأول :

ماهو نصاب الزرع والحبوب بالكليو جرام .

الجواب :

زكاة الزرع والثمار ثبتت فرضيتها بالدليل العام للزكاة وزيادة على ذلك بدليل خاص من الكتاب

والسنة قال ـ تعالى : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ وقال ﷺ : « ما سقت السماء ففيه العشر وماسقت غرب (دلو) ففيه نصف العشر » وشروطها شروط الزكاة العامة ـ العقل والبلوغ ولكن هذين الشرطين غير معتبرين فى زكاة الزرع والثمار فتجب فى مال الصبى والمجنون ، ولا يشترط فيها نصاب ولا حولان الحول وهذا أنفع للفقير وعند من رأى أنها تجب فيما يقتات اختياراً كالبر والشعير فقد جعل نصاب ذلك بالكيل المصرى أربعة أرادب وكيلتين وبذلك يكون نصاب الكيلو جرام ٦٢٤ كيلو ويخرج زكاتها يوم الحصاد فى كل ما أخرجته الأرض سواء كانت الأرض ملكاً أو إيجاراً ويخرج الزكاة بصرف النظر عن دفع قيمة الإيجار مقدمًا وبدون أن تخصم منه النفقات .

السؤال الثانى :

البرسيم يحش أربع مرات أو أقل فما يكون قيمة الزكاة وهل تكون زكاة البرسيم على كل حشة أم آخر حشة ؟

الجواب :

الواجب فى ذلك تطبيقاً للقاعدة السابقة التى قال بها الحنفية أن الواجب إخراجه من البرسيم عند كل حشة العشر إذا كان يسقى بغير آلة ونصف العشر إن كان يسقى بآلة .

السؤال الثالث :

ماهو نصاب المواشى من : الجاموس ـ البقر ـ الجمال ـ البغال ـ الحمير الخيل .

الجواب :

نصاب البقر والجاموس ثلاثون وليس فيما دون ذلك زكاة ونصاب الجمال خمسة وليس فيما دون ذلك زكاة .

ولاتجب الزكاة فى البغال والحمير والخيل .

السؤال الرابع :

ماهو نصاب الفلوس والأوراق النقدية والذهب والفضة ؟

الجواب :

جمهور العلماء يرون وجوب الزكاة فى الأوراق المالية لأنها حلت محل الذهب والفضة فى التعامل ولم يخالف فى ذلك إلا الحنابلة وقالوا لا تجب زكاة الورق النقدى إلا إذا صرف ذهباً أو فضة ووجبت فيه شروط الزكاة .

والنصاب من الذهب عشرون مثقالاً وهذا يساوى ٨٤,٤ جراماً يضرب فى سعر يوم إخراج الزكاة .

ونصاب الفضة مائتا درهم ، ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة مضروبين أو غير مضروبين ، وهذا فى غير الحلى ، أما الحلى ففى زكاته تفصيل .

السؤال ٢ ـ جـ

هل على فلوس البنك زكاة ؟ إلخ ..

الجواب :

نعم فالأوراق المالية من قبيل الدين القوى الذى تجب فيه الزكاة .

السؤال ١ مجموعة (د)

اتفق جمهور العلماء والفقهاء على أن مسافة القصر (٤) برد أو (٤٨) ميل نرجو توضيح المسافة بالكيلومترات ومتى يبدأ ومتى ينتهى ؟

الجواب :

المسافة التي تشترط لصحة قصر الصلاة بالكيلو مترات هي ثمانون كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعون متراً ، ويقصر الصلاة متى جاوز العمران من موضع إقامته وينتهي عند وصوله إلى المكان الذى ينوى الإقامة فيه .

السؤال ٢ من المجموعة (د)

هل على طلاب المرحلة الثانوية القصر فى الصلاة والجمع والتقديم علماً بأن الدراسة فى الفترة المسائية وتبعد المدرسة عن هذه البلد عدة كيلو مترات علماً بأن الظهر يؤذن له والطلاب بداخل المدرسة والعصر أيضاً وليس فى المدرسة مسجد هل يصلون الظهر قبل الأذان أم يصلون الظهر مع العصر فى وقت واحد ؟

الإجابة :

إجابة على هذا السؤال نقول إن شروط قصر الصلاة الرباعية فى هذه المسألة لا تنطبق عليها وبالتالى لايجوز القصر ولا الجمع ، كما لايجوز الصلاة قبل الأذان والعلم بدخول الوقت ـ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ـ وعلى طلاب مثل هذه المدارس أن يغتنموا أدنى فاصل زمنى بين فترات الدراسة لأداء الصلاة .

السؤال من السيد : ح . ع . أ

ما حكم الحروف المقطعة فى القرآن الكريم وماعددها ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

عدد الحروف المقطعة التى ابتدأت بها سور القرآن الكريم ٢٩ وحكمها التوقف فى بيان معانيها وإن كان المفسرون قد اجتهدوا كثيراً فى ذلك ولهم آراء وأقوال فى بيان ماتشير إليه وتجدها مذكورة فى كتب التفاسير .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

آثار الحسنة ... وآثار السيئة

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما:

إن للحسنة لنوراً فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وزيادة فى الرزق ، ومحبة من الخلق .

وإن للسيئة : لغبَرة فى الوجه ، ووهنا فى البدن ، ونقصاً فى الرزق وبغضا من الخلق .

هى أحسنت إلى ... وأنت أسأت

غضب أعرابى على ولده ، فقال له : أتعصانى وتشمخ بأنفك يا ابن الأمة ؟

فأجاب الولد : يا أبت هى والله خيرٌ لى .

فقال الوالد : وكيف يكون هذا ، وهى أمة وأنا حر ؟

فأجاب الولد : ذلك لأنها أحسنت إلى فولدتنى من حر ، وأنت أسأت إلى وأخطأت لاختيار فولدتنى من أمة .

فى طلب الرزق

دعا أعرابى ربه فقال : اللهم إن كان رزق نائيا فقربه أو قريبا فيسره ، أو ميسرا فعجله أو قليلا فكثره أو كثيرا فثمره .



قال على بن الجهم :

كم من عليل قد تخطاه الردى

فنجا ومات طبيبه والعُوَّدُ

ماتركت لى موضعا

قال شاعر لعبد الملك بن مروان :

إنى أريد أن أسر إليك شيئا ؟

فقال عبدالملك لأصحابه : انهضوا ، وأخلى المجلس ، وقال للشاعر :

قل ماشئت فأنت فى حل .

قال الشاعر :

والله إنى أريد أن أمدحك ؟

فقال عبدالملك :

قف لاتمدحنى ، فأنا أعلم بنفسى منك ولاتكذبنى فإنه لا رأى للكذوب ولا تغتب عندى أحدا ، فإن المغتاب عبد الله ذميم .

فقال الشاعر : والله ماتركت لى موضعا للكلمة .

«ميـــل»

الطرب : خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو شدة الجزع ، وليس فى الفرح فقط كما تظنه العامة

قال النابغة :

وأراني طربا فى إثرهم

طرب الواله أو كالمختبل

«بين أمير وصاحب حاجة»

دخل رجل من الفصحاء صاحب حاجة على أمير فقال : السلام على الأمير ورحمة الله .

فرد الأمير السلام ، وقال : خيرا يا أعرابى إن شاء الله ، هل لك حاجة ؟

فقال الأعرابى : إن حاجتى بين يديك

قال الأمير : قل وأوجز .

فقال الأعرابى : أيها الأمير ، لو أردت أن استشفع إليك ببعض مايثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ، ولكنى استشفعت إليك بقدرك واستعنت عليك بفضلك ، فإن أردت أن تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل ، فإنى لم أكرم وجهى عن مسألتك فأكرم وجهك عن ردى .

بين أبى العيناء وشاعرة

عرضت على المتوكل جارية شاعرة ، فأمر أبو العيناء الشاعر ليختبرها .

فقال أبو العيناء للشاعرة :

أتقولين الشعر كما يقولون ؟

فقالت الجارية : نعم أقوله وأجيده .

فقال أبو العيناء : إليك شطرا واحدا من بيت واحد فأكمليه :

الحمد لله كثيرا

فقالت الجارية :

حيث أنشاك ضريرا

على البديهة

قال رجل « لصالح بن عبدالقدوس » أسألك على البديهة :

الموت باب وكل الناس داخله

فليت شعرى بعد الباب : ماالدار

فقال صالح بن عبدالقدوس :

وأنا بدورى أرد عليك على البديهة :

الدار جنات عدن إن عملت بما

يرضى الإله وإن خالفت فالنار



قال أبو الأسود الدؤلى لابنه :

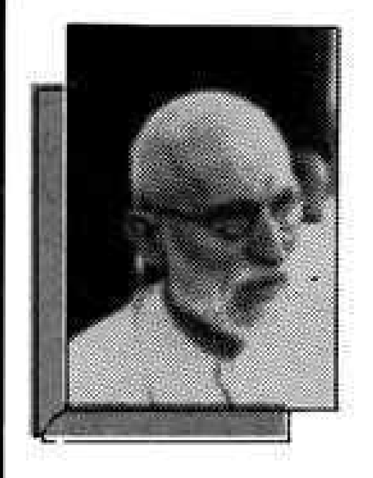
يابنى ، إن كنت فى قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك .

ولا بكلام من هو دونك فيزدروك .

«دعـــاء»

اللهم إنى أعوذ بك من شر الخلق وهم الرزق ، وسوء الخلق ياأرحم الراحمين ، ويارب العالمين .

من الأعلام المعاصرين







الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

حين كتبت بحثى المتواضع عن الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية « بتركيا » ، كتب إليّ بعض الفضلاء من المخلصين يرجون كتابة بحث تالٍ عن الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى دولة « آل عثمان » ، ويعلم الله أن الرجل الكبير لم يكن غائباً عن ذهنى ، ولكنى أشفقت من الحديث عنه لتشعّب ميادينه ، واستعصاء ساحاتها الرحيبة على أن أحيط بها خُبراً ، على أنّ فى الاجتزاء بالخطوط الواضحة مايشفع فى إغفال الملامح الدقيقة ، والغضون الناحلة التى تلوح وتختفى فى الجبين العريض .

إنّى ما ذكرتُ الشيخ الكبير إلا توافد على ذهنى هذا الوصف العربى القديم لصاحب الصيحة المجلجلة فى المأزق الضائق وهو (النذير العريان) إذ كان من عادة الأسلاف حين تلوح بوادر الخطر ويتنبه لها ذو بصر سديد أن يخلع ثيابه ، ويقف صائحا فوق مرتفع من الأرض ، ويقول مشيراً إلى ثوبه المخلوع وقد جعل يحركه عن يمين وشمال : « لقد حانت الكارثة ، أنا النذير العريان » ، فيعلم السامعون أن الأمر جدّ ، ويسرعون للتأهب العاجل دون انتظار .

لقد انتصر مصطفى كمال فى موقعة « أزمير » ، فضج العالم الإسلامى بالفرحة ، ولم يدْرِ أنّ الرجل بتاريخه الماضى المريب سينقلب على تعاليم الإسلام انقلابة الكاره الجحود ، فرنت

القصائد مادحة للمنتصر ، وتوالت المقالات مقرظة مهنئة ، وغرق مصطفى صبرى وحده ماستأتى به الأيام من كوارث ماحقة ، فوقف موقف النذير العريان ؛ ليعلن ما يتوقعه من الخطر الماحق ، ويحدد أبعاد الكارثة المنتظرة ، فكان النذير العريان حقاً مع فارق فاجع هو أن النذير القديم كان يجد المستمع المؤيد ، والمستجيب المتحمس ، أما شيخ الإسلام فلم يجد غير التراب يلقى فى وجهه ، إذ وقف المخدوعون يحصبونه فى غير هوادة ، ويلجون إلى الضمائر فيتهمونه بالغرض اللئيم » والحقد المتأجج » ويكيلون الأمداح للذئب الأغبر المتربص فى « أنقره » ، وفيهم من يجعل الشيخ باكيا على مجده العابر ، وحزيناً على مشيخة الإسلام التى فارقها باختياره ؛ كانت الحرب ضروساً زبوناً لاتعرف الهوادة ولا وقود لها غير كرامة الرجل وسمعته وماضيه ، فلم ينثن عن عزمه ، وواجه الجموع المتراضة فى عدة جرائد يومية مواجهة المؤمن بحقه ، الواثق برأيه ، ولاتسل عن الحدارات الأقلام فى صحائف استعمارية لا تكن للإسلام قدراً ضئيلا من الإنصاف ! فقد هبت جميعها تلعن من قالت عنه : (الشيخ الهارب) ووجدت من القراء من وافق وأيد ؛ لأن مصطفى كمال قد خدع الألباء حيناً من الدهر ، فكيف بالدهماء ؟ ، خدع شعراء الصف الأول من أمثال : أحمد شوقى ،وأحمد محرم ، وأحمد الكاشف ، وخدع شيوخاً لم يعرفوا تاريخ الذئب الأغبر وصدقوا الإعلام التركى السفيه ، حتى إذا وقعت الكارثة ، وسقطت الخلافة ، وحوربت الشريعة وامتهنت الحدود الإسلامية ، رجع التائهون إلى عقولهم الغائبة وعضوا بنان الندم على ما أسلفوه ، وكان شوقى أبرع من صور هذه الرجعة الحميدة حين قال عن الزعيم الخادع فى غضب واستنكار .

أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح	إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه	كيف احتيالك فى صريع الراح ؟
تركته كالشبح المؤله أمة	لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو	حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة	وجد السواد لها هوى المرتاح
مالى أطوقه الملام وطالما	قلدته المأثور من أمداحى
الحق أولى من وليك حرمة	وأحق منك بنصرة وكفاح

ولد شيخ الإسلام فى (توقاد) من بلاد الأناضول سنة ١٨٦٩م ، ونشأ نشأة علمية فى كنف والد حريص على أن يكون ابنه من كبار الفقهاء فى المذهب الحنفى ، فأبدى نبوغاً مبكراً اجتاز به دور الطلب سريعاً ؛ حيث صار مدرساً بجامع السلطان محمد الفاتح فى سن الثانية والعشرين من عمره ، وقد كان متيقظاً لأحداث عصره السياسية ، مشاركاً بقلمه فى إيضاح الرأى الإسلامى ، ومكافحاً مايراه من دلائل الظلم والنفاق والمروق ، وقد بدأ عمله السياسى

بعد إعلان الدستور العثماني الثاني سنة ١٩٠٨ حيث انتخب نائباً عن بلدته (توقاد) وكانت لمقدرته الخطابية آثار هامة في اجتذاب فريق من النواب إلى رأيه المعارض في مجلس النواب، لأن القائمين على سياسة الدولة حينئذ من الاتحاديين قد عملوا على محاربة من دون الترك من تابعي الدولة، وأذكوا نار العصبية للطورانية وحدها، وهو ماينكره علماء الإسلام، وظهرت مؤلفات تهاجم العرب والأروام والكرد والألبان من المسلمين وتعدهم في الدرجة الثانية التي لاتلحق بالطورانيين هذا إلى السيطرة البالغة على أدوات الإعلام من صحافة وكتب وأندية تلقى بها المحاضرات، وقد خدع المسلمون في العالم الإسلامي مما يتشدق به الاتحاديون من مبادىء الحرية والاستقلال، تشدقا ينتسب إلى القول وحده، دون الواقع المرير، حتى رأينا مؤلفات مستقلة تتحدث عن شوكت ونيازى وأنور من زعماء الاتحاديين، وكأنهم معجزة الانقاذ للكون كله لاتركيا والعالم الإسلامي، وظهر من كتاب الأتراك فلاسفة يؤصلون النزعة الطورانية، ويحتفلون بذكرى «جنكيزخان» و«تيمورلنك» و«هولاكو» ناسين خلفاء الدولة العظام الذين سيطروا على نصف أوربا حيناً من الدهر، والسبب في ذلك أنهم خلفاء يعتزون بالإسلام، وفي صحف مصر ـ حينئذ ـ قصائد رنانة خدع أصحابها بالاتحاديين، فكانوا يمجدونهم في كل مناسبة على نحو ما قال حافظ إبراهيم كمثل مما قيل:

إذا «شوكت» الفاروق قام مناديا ... إلى الحق لباه «نيازى» وصاحبه[1]

ثلاثــة آساد يجانبها الــردى ... وإن هي لاقاها الردى لاتجانبه

رجال من الإيمان ملأى نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه

وإذا كان مصطفى صبرى قد كشف نيات هؤلاء العُنْصريين، ووقف على ما يُدبّرون لمن عداهم من المسلمين، فقد بات مهدداً بالاغتيال، ففرّ إلى مصر سنة ١٩١٣م. وكتَبَ في الصحف ما يكشف سوءات هؤلاء، ولكن بعض الغافلين قد ناقضوه وأقلقوا مقامه، فسافر إلى أوروبا دون أن يترك صيحاته المحذرة، وجاء إعدام الشهداء في سوريا على يد جمال السفاح مؤكداً لما قاله شيخ الإسلام، ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى فتسرع الاتحاديون إلى الانضمام إلى ألمانيا عن نزق عجول، لم يزن الواقع السياسي بميزان الاتئاد المطمئن، لأن إعلان الحرب ليس ملهاة يقوم بها ثلاثة أو أربعة ممن يلون الزمام انخداعاً بأوهام يلفقها سفير محنك ليضم البلهاء إلى صفه! وكانت الكارثة محققة حين هزمت تركيا وفر زعماء الاتحاديين من البلاد مكللين بالعار، ومن مضحكات الزمن أن يكتب علماني جهول عن الخلافة العثمانية فيدعى أنها جرت الهزيمة على تركيا! مع أن الذى أعلن الحرب هم الاتحاديون ذوو الأمر والنهى، إذ نزعوا السلطة من الخليفة، وأصبح معزولاً لا يقوم بغير صلاة الجمعة كل أسبوع!! وهكذا صدقت فراسة مصطفى صبرى في هؤلاء الأغرار، ورأى ببصيرته الجو صالحاً لعودته بعد فرار الاتحاديين، فرجع سريعاً ليزاول نشاطه السياسي في الأستانة،

(١) «شوكت» و«نيازى» كانا من ضباط جمعية الاتحاد والترقى التركية، ويريد بالصاحب: أنور باشا القائد المعروف.

وسارت له إذ ذاك سمعة ممتازة بين عارفي فضله ، ومقدري كفاحه ، فعين عضواً في مجلس الشيوخ ثم اختير شيخاً للإسلام والمسلمين وناب عن (الصدر الأعظم) في رياسة الوزارة حين سافر إلى المفاوضات ! وتصدره في هذه المجالات الساطعة المرموقة لم يأت من فراغ ، فبين علماء الإسلام في تركيا من كانوا في مرتبة أساتذته ، ولكنهم عكفوا دائبين على دروسهم العلمية في المساجد فانحصرت جدواهم في الدائرة العلمية وحدها ، أما السياسة فلها من نوابغ العلماء من عايشوا العصر معايشة الخبير الدارس ، وقد يكتوون بنار السياسة ، ولكنهم فرحون بما يلقون كل آية من عناء ، لأنهم ـ حقيقة ـ ورثة الأنبياء .

توارى الاتحاديون ، وجاء الكماليون ، وشيخ الإسلام يعرف جيداً تاريخ مصطفى كمال ، ويعلم أنه مغامر منتهز ، وقد أرضى بريطانيا وفرنسا بما بذله من وعود تحقق آمال أوروبا كلها في إسقاط الخلافة ! حيث لم ير الأوروبيون أن يكتفوا بعزل الخليفة دون قرار رسمي عن شئون الدولة ، واختصاره على المظاهر الدينية وحدها ، بل آثروا البتر النهائي للخلافة !! تلك التي تجمع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب ، ولئن ضعفت الآن فقد تأتي الأيام بما يعيد لها القوة والنفوذ فتكون شجى في الحلوق ، ووقراً في الآذان ، ولم يطل الوقت ، حيث خطا مصطفى كمال الخطوة الأولى إذ أعلن رسمياً فصل السلطة عن الخلافة ، مدعياً أن مجلس الأمة هو الذى سيدير دفة الحكم ، فلا تصير بذلك في يد واحدة ، وهنا عرف مصطفى صبرى أنه لا يستطيع المعارضة في أنقرة ، فاتجه إلى مصر ليواصل جهاده الطويل .

هاجر شيخ الإسلام مصطفى صبرى إلى مصر لا ليجد الراحة بعد العناء ، بل ليرى الإرهاق المتواصل ، والكد المتشعب ، فقد كان عام ١٩٢٣ م الذى سبق إلغاء الخلافة ، ومهد للأذهان بقبول هذا الإفك الصارخ ، أشق الأعوام بأساً في حياته النضالية ، لأنه أتى إلى مصر ليفضح ستائر التمويه التي أسدلها الكماليون على ضغائنهم المستترة ، فرأى الجو مسمماً بالتهريج السطحي الهاتف بأعمال كمال أتاتورك ، فالملاحدة من ذيول الغرب يرون فيه المثل الأعلى للإنقاذ العاجل من سنوات التقهقر والانحدار ، كما يرون معارضيه أمثلة متخلفة للرجعية والجمود ومناوءة التقدم ، ولهم جرائدهم الذائعة ، وجاههم الممتد في المناصب والمحافل والندوات ، وإذا كتب المهاجر المخلص ردوده على مزاعم هؤلاء لم تنشر على وجهها الصحيح ، وإذا نشر بعضها دون بعض تلقفها الشتامون المتخرصون لينتقلوا من الموضوعية إلى الذاتية فيقول قائلهم : إن شيخ الإسلام التركي يبكي سلطانه الجائر حين كان أداة الطغيان في أيدى الظلمة من السلاطين ، وهو يحن إلى عهود السيطرة الغاشمة ليكون صاحب الكلمة المسموعة ونائب الصدر الأعظم ! وقد رأى الشيخ المهاجر أن يترك الرد الصحفي حيث لا يتاح له أن يقول كل ما لديه ، إلى تأليف كتاب مستقل تحت عنوان : (النكير على منكرى النعمة ، من الدين والخلافة والأمة) وإذا استنكر ذوو الغرض صدور هذه الصيحة الجريئة بين نهيق المتأفين ، وصراخ الوصوليين ، فإن ذوى الغيرة من أنصار الحق قد احتضنوا الكتاب

الرائع على قلتهم القليلة ! ولعلنا نذكر بالخير الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ حين أفرد فصلاً هاماً عن هذا الكتاب ، ليقع في الجزء الثاني من كتابه[1] (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) كما نذكر بالإعجاب الدكتور مصطفى حلمي حين خص هذا الكتاب بتحليل كاشف في مؤلف مستقل تحت عنوان : (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية)[2] ثم أتبع تحليله الذكي بنص تام للكتاب محاطاً بمزيد من الشروح والتعليقات ، وضحت كثيراً من الغوامض الخافية ، وقد أحسن الدكتور محمد محمد حسين حين حدد أغراض الكتاب في مسائل أربع هي :

١ ـ الكلام على فساد الدين لدى الكماليين .

٢ ـ الكلام على عصبيتهم للجنس التركي ، ومحاربتهم للعصبية الإسلامية .

٣ ـ إيضاح أن الكماليين والأعادين اسمان مختلفان لشيء واحد .

٤ ـ صلة اليهود بالكماليين من ناحية وتواطؤهم مع الإنجليز من ناحية ثانية ، وجميع هذه النقاط قد أوضحها شيخ الإسلام إيضاحاً كاشفاً في جرأة بالغة لا تعرف الإغضاء ، فقد أكد شيخ الإسلام أن الذين نصحوه بالإغضاء عن مثالب مصطفى كمال لتعلق العامة به مخطئون ، لأن من وظيفة العلماء إيضاح الحق ، وكشف المثالب ، وليس من وظيفتهم محاباة العامة ، ومجاراة الدهماء ! والمسألة هنا ليست مسألة الدهماء فقط ، فإن أبواق أتاتورك في مصر كانوا من صفوة المرموقين في الصحافة والمجتمع والمناصب ، ولهم أحاديثهم الرنانة ذات البريق الأخاذ ، كما أفاض المؤلف في إيضاح الاحتذاء السافر لدى الكماليين للغرب في التخلص من السلطان الديني لأنه في رأيهم عامل التقهقر والجمود ، حيث جعلوا لرجال الإسلام وعلمائه سلطة جبارة لسلطة الكنيسة التي كانت ماثلة في أوروبا ، والإسلام بريء من تسلط العلماء ، واستبداد الخلفاء ، وإذا وقع ذلك في عهد ما ، فهو مخالف لمنطق الإسلام ، ولا يمكن أن يؤاخذ به ، أما تحريم ما أحل الله من تعدد الزوجات مع إباحة الاختلاط السافر بين الرجال والنساء في أحقر مشاهد التبرج والابتذال فليس الغرب هو المثل المحتذى في ذلك حتى ينقل عنه الكماليون كل انحدار ، وقد قال مصطفى كمال : إن الخلافة الإسلامية سبب شقاء الأتراك ، وأن نبي الإسلام أمر تلاميذه أن يدعوا الأمم إلى الإسلام ، ولم يأمرهم أن يتولوا حكومتهم ، وقد أفسد الشيخ هذا المنطق بأدلته ، وقال : إن التعبير عن صحابة رسول الله بالتلاميذ يدل على أن الرجل يعد سيد الخلق مدرساً في مدرسة وليس صاحب دعوة لإنقاذ البرية من الضلال إلى الهداية ، وما كتبه الشيخ عن عداوة الكماليين للإسلام باعتباره ديناً عربياً حق لا مرية فيه ، حيث انطلقت أبواقه لتحيي العقائد الوثنية التركية القديمة ، وكأنها وحدها بديل يمحو تاريخ الإسلام ! وأغرب شيء

---

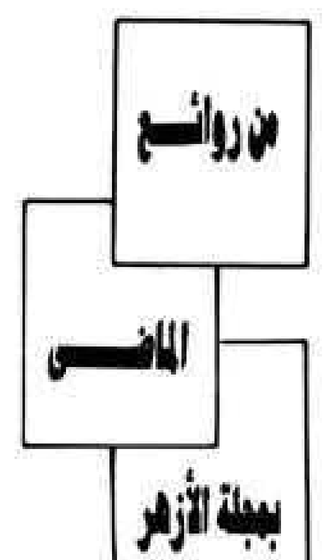
(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ط ٢ من ص ٦٩ إلى ص ٨٠ .

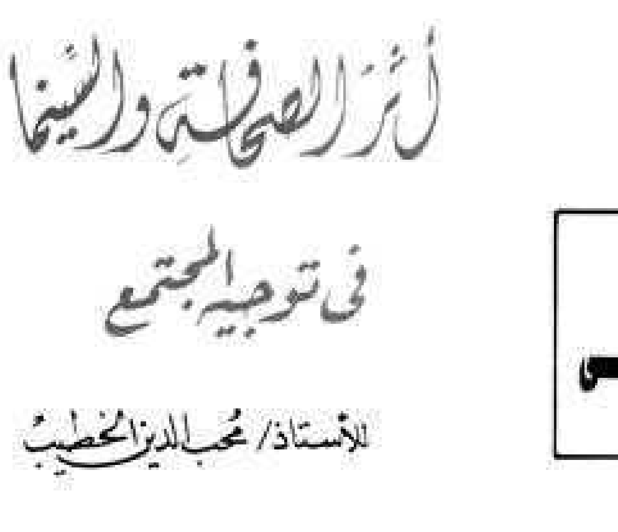
(٢) الأسرار الخفية للدكتور مصطفى حلمي ، دار الدعوة للطبع والنشر سنة ١٩٨٥م .

فى هذا المضمار أن «أتاتورك» قد ألف معجماً لتنقية اللغة التركية من مختلف الألفاظ العربية والفارسية!! مع الاستعانة بالألفاظ الانجليزية والفرنسية !! فلو كانت الدعوة إلى التخلص من العربية والفارسية تأصيلاً للغة التركية وحدها ! فكيف استساغ أن تملأ الألفاظ الإنجليزية والفرنسية اللغة الجديدة التى ارتضاها أتاتورك ! بحيث أصبح هناك فارق بين اللغة التركية العثمانية ، واللغة التركية الكمالية ! فالأولى تشمل ألفاظاً من العربية والفارسية ، الثانية تشمل ألفاظاً أوروبية ، وليست المسألة فى ذلك مسألة مصطلحات علمية حتى يقال : إنه يضم ألفاظ الحضارة المزدهرة فى هذه الآونة ، فالأسماء العلمية لا خلاف عليها ، ولكنها المحاولة الجريئة للتنكر الصارخ لكل ما هو إسلامى ، ومما أوضحه المؤلف تقريره الجازم بصلة الكماليين ومن قبلهم الاتحاديون باليهود ، حيث عمل مصطفى كمال على مصادقة اليهود وحدهم دون الأجناس التى كانت تندرج تحت راية الخلافة الإسلامية ، وقد رجع فيما أكد إلى ما كتبه أنصار أتاتورك ، لا إلى ما كتبه خصومه ، وفى مقدمة هؤلاء الأنصار (آرمسترونج) فى كتابه (الذئب الأغبر) الذى يتضمن سيرة الزعيم بإطراء لايقف عند حد ، فقد أكد هذا المؤلف أن جماعة الاتحاد والترقى كانت تعقد اجتماعاتها فى بيوت اليهود المتسمين للجنسية الإيطالية ، وقد كان وزير ماليتهم (جاقيد) يهودياً ، أما وزيرة المعارف فى عهد الكماليين فهى من أصل يهودى، ولها اهتمامات ثقافية ـ فى مؤلفاتها ـ المنتشرة بالفكر اليهودى، ويقول الشيخ بعد ما قدم:

« ولم يسلم من اعتدائهم ـ يريد الكماليين ـ فى تركيا ما بين ألبانها وعربها وكردها وأرمنها وأروامها وشراكستها وأتراكها إلا اليهود » فما مدلول هذا الواقع المشاهد ؟!

أما فصل الدين عن الدولة فقد كان المجال الفقهى الرائع الذى دحضه الشيخ مصطفى صبرى بأدلة نافذة ، وإذا كانت هذه المسألة الآن من الوضوح السافر بحيث لا تتحمل النقاش ، بعد أن صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فى مصر ، وأوضح الناقدون خطأه الجرىء ، فإن الحديث عن هذا الفصل قبل سقوط الخلافة كان جديداً مفيداً ، وكان الشيخ أول من أبطل ادعاءات ذوى الإصلاح الموهوم ، وله فى ذلك سبقه المشكور ، وجهاده المدخر ثوابه عند ربه ، فهو لا يضيع أجر المحسنين .





إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

الفن رسالة سامية ، وهدف تسعى إليه كل أمة فى سبيل تربية أبنائها ، وتنشئتهم النشأة القويمة القائمة على الخلق والدين والفن بأنواعه المختلفة ، معظمه أداء ، ونتاج عمل ، يخضع بالدرجة الأولى ، لنفسية وخلق صاحبه ، ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال ، فالإناء لا ينضح إلا بما فيه ـ هذه حقيقة لكن البعض ، قد يجمح به الخيال ، ويشط به الهوى ، ويتراقص شيطان الغواية أمامه ، مزينا له ارتياد بعض المحارم ، واجتياز الخط الأحمر ، تحت دعاوى الحرية ، والإبداع ، والفن للفن ، ولأن الكلمة المقروءة أو المسموعة أشد تأثيرا فى النفس سرعان ما تنساق وراء هذه الدعاوى فئة ثم فئات ، وهلم جرا .

إن الدين لا يصادم الحرية ولا يعاديها ، ولكنه يضبطها ويهذبها ويرعاها ، ويدافع عنها ، مادامت لا تخرج عن تعاليمه وقيمه ومثله .

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

يلقبون الصحافة « بذات الجلالة » منذ رأوا أثرها الظاهر فى تكوين المجتمع وتوجيهه ، فهى تغشى المنازل فتتداولها أيدى الرجال والنساء والبنين والبنات ، ويقرأها الناس وهم فى عربات

الترام والسيارات الخاصة والعامة وفى قطارات السكة الحديدية التى تجرى بين الشمال والجنوب . وتراها فى أيديهم وهم فى الأندية والمدارس والمقاهى ، والمتنزهات وفى كل مكان .

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب العالمية الأولى تطبع الواحدة منها عشرة آلاف نسخة فى المتوسط ، فوثبت بعد الحرب العالمية الثانية إلى عشرة أضعاف هذا العدد بل أكثر .

كنت فى زيارة الأستاذ أميل زيدان بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت « دار الهلال » يومئذ مجاورة لدار « جمعية الشبان المسيحية » فى شارع إبراهيم باشا ، فحدثنى عن الخطوة الصحفية التى يود أن يخطوها ، وقال : إن إصدار صحيفة يومية فى بيروت أو دمشق ميسور لمن شاء لأنه سينافس صحفا ذات رأس مال متواضع ، أما الذى يريد إصدارها فى مصر إلى جانب صحيفة « الأهرام » وأمثالها فإنه يحتاج إلى رأس مال ضخم وإلى استعداد أضخم ، ثم رأينا صاحبى « دار الهلال » يزوران بلاد الغرب وينقلان منها إلى مصر هذا النوع الجديد المصور من الطباعة ويصدران مجلاتهما الواحدة بعد الأخرى ، وتخطو الصحف اليومية – الأهرام ثم زميلاتها – هذه الخطوات السريعة فى الطباعة والتصوير واستيراد أخبار العالم من مصادرها . وتقوم فى القاهرة دور أخرى للنشر تنافس مجلات « دار الهلال » فى الأناقة والتصوير ، وتلقى الناس ذلك على أنه تقدم فى مهنة الصحافة . والواقع أنه تقدم فى الشكل والمظهر ، لكن التنافس المادى دفع أهل هذه المهنة إلى التسابق فى كسب العدد الأكبر من القراء ومجاراتهم فى أهوائهم ، فتحولت الصحافة عن وظيفة الإرشاد والتوجيه نحو الأصلح إلى الاهتمام بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق وإن كانت هزيلة النفع ، ومن صور لنجوم وكواكب السينما وللمصطافين والمصطافات على كورنيش الاسكندرية إلى غير ذلك مما يجرىء الشبان والشابات على الاستخفاف بالقيم الخلقية والاندفاع نحو الرغبة فى الملذات ، أضف إلى ذلك ما ينشر من القصص الغرامى الذى تمليه على الأقلام الفاجرة نفوس لا تخاف الله ولا ترعى فى الشباب حقوق الإنسانية والوطن ، فيتلقى عنها الشباب من الجنسين دروسا يستقر منها فى النفوس أن العفاف والصون خرافة من الخرافات ، وأن طلب الملذات هو أمنية الجميع المسلم بها حتى من حملة الأقلام الذين يوجهون الناس ويعلمونهم ما يحسن بهم فى طريق الحياة .

وإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تمثله شاشة السينما فى الليل والنهار ، وتمليه على طبقات الأمة من سوء القدوة والأسوة ، تبين لنا سبب هذه الحوادث المخجلة التى تكشفها المصادفة بين الحين والحين ، فنعرف منها أى داء دوى ، وأى مرض وبيل أصاب المجتمع من طريق الصحافة والسينما بين الحربين العالميتين وبعدهما .

هذه آنسة من كلية التجارة فى جامعة الإسكندرية ترسل على الناس صيحة من الأهرام تصفها الأهرام بأنها قد اختلطت فيها الحسرة والألم بالنظرة الفاحصة الواعية ، والكلمة المصلحة الصادقة ، فهى تتحسر لما ترى وتسمع كل يوم من إجرام نصف المجتمع فى حق نصفه الآخر ، بل فى حق نفسه أيضاً ، فهى تقول :

« إن سيدات كثيرات أكثر مما يمكن تصوره يخن أسرهن بهذه الطريقة المجرمة ، نرى الخيانة من زوجة ثرية تزوجت بمن تريد وأنجبت منه أطفالا ، ثم تعشق غير زوجها ، وتغيب عن بيتها ، وتبوء بجرمها .. أو زوجة مدرس تخونه مع تلميذه .. وهن يقدمن على هذه الخيانة الدنيئة بكل سهولة » .

وتتساءل الآنسة : « إلى متى تلعب أولئك الزوجات بالنار التى تحرق مجتمعنا ؟ إلى متى يستمر شبابنا فى الإضراب عن الزواج ؟ إلى متى يظل أولئك الأزواج نائمين فى هدوء ؟ .

« أكتب إليكم جميعاً .. أكتب إلى الأزواج ليفتحوا عيونهم ويرعوا أسرهم ، ويتجنبوا هدم مجتمعهم . لتكن حملة شديدة لعلاج هذه الحالة الوبيلة ... لينبه كل شخص الزوج النائم الذى تخونه امرأته حتى تخاف .. ليتكلم ـ الراديو ـ إلى الزوجات فى توجيهات وتمثيليات عن مصير الزوجات الخائنات .. وليكن فى القانون عقاب صارم لكل زوجة مجرمة .. » .

« إن مجتمعنا مريض ، وسيودى به مرضه إلى هاوية إن لم نتداركه بالعلاج ، ونمحو منه هذا الجرم الفظيع » .

أجل يا آنسة : إن مجتمعنا مريض ، ولكن ليس المهم تدارك الموبوئين من أفراده بالعلاج وحسب ، فإن هؤلاء الموبوئين ضحية لغيرهم ، ولم يكن مجتمعنا مريضا بسببهم ، بل لأن وراءهم أقلاماً نقلت إليهم جراثيم المرض ، بما أيقظت فى النساء والشباب من غرائز ، وبما هونت عليهم من أمر العفة والصون ، ففى كل دقيقة تقع الأنظار على صور للقبلات الفاضحة ، والعورات التى أمرت الشرائع بسترها . إن كل أنواع اللحوم ارتفعت أثمانها بعد الحرب ، إلا لحوم النساء فإنها ابتذلت بعد ارتقاء الطباعة ، وبعد أن صارت صور السيقان ومفاتن النسوان مادة أصلية من مواد النشر والكسب بالعرض على الأنظار . وهذا فى الصحافة فما بالك بالسينما !

إنهم أفنعوا النساء ، وأشباه النساء من الرجال ، إن استنكارنا لهذا الفاحش الفاجر رجعية وتأخر وغباء ، فمضت الجماهير فى الإقبال على هذه الصحافة المهيجة للشهوات والغرائـــز واندفعت وداد وأشجان وعشرات الألوف من مثيلاتهما فى السبيل التى دفعهن إليها تجار لا يخافون الله ، ولا يرعون هذا الوطن فى بنيه وبناته وفى رجاله ونسائه ، فكان ما تسميه ـ يا آنسة ـ لعباً بالنار التى تحرق المجتمع ..

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب كاتب متوثب مقالاً فى إحدى مجلات « دار الهلال » وكان يعمل فيها قبل أن يعينه أهل المقدرة على إنشاء دار للنشر تنافس « دار الهلال » ـ كتب هذا الكاتب فى تلك المجلة من صحف « دار الهلال » يحرض المجتمع على استقبال عهد السلم بعد انتهاء الحرب بالتحلل من الأفكار الرجعية وأخذ الحضارة الغربية بحذافيرها ، ودفع المرأة إلى خوض لجج التحرر من قيود الرجعية ... الخ . فرد عليه الدكتور يحى أحمد الدرديرى « المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين » ، ونصح له بأن يتقى الله فى هذه الأمة ، فقابله بشواظ من نار السلاطة

والسخرية والاستهزاء ، مما لا يمكن أن يجاريه فيه رجل يحترم نفسه ، ثم رأينا تحقيق تلك الدعوة على صفحات صحف ملئوا بها الأسواق والبيوت والمجامع ، وتطوع فيها عدد من حملة الأقلام الذين لا يعرفون الحياة الزوجية ، فكانت نفثات أقلامهم سموما تعمل عملها في نفوس عشرات الألوف من أمثال وداد « وأشجان » ، وكان أثر ذلك يفتك في هذا المجتمع المريض فيختفى عن الناس حينا وتفضحه المصادفات حينا .

وإذا افتضح – بطريق المصادفة – شيء من هذه الجرائم بادر دعاة الفاحشة والتحلل إلى تهوين ذلك على المجتمع والتخفيف من وقعه في النفوس الجريحة ، كما رأينا في يوميات إحدى صحف الصباح التي يقول كاتبها : لا يجوز أن نعتبر حادثاً واحداً دليلا على انهيار جيل كامل ، فهذه الجرائم البشعة لا تصور الجيل ، وإنما تصور شخصيات منحلة في مجتمع صحيح . بل يقول لمن يشكون من انحطاط الأخلاق كلما وقعت حادثة مثل حادثة مقتل زوجة مأمور الضرائب : إن هذا الاشمئزاز الذى تشعر به وأنت تقرأ أخبار هذه الجرائم دليل على أن المجتمع غدا ملوثا ويضيف إلى ذلك أن الذى يقرأ صحف العالم بانتظام يجد أضعاف هذه الجرائم في بلاد أخرى يقولون إنها متمدينة ، ثم يصرف أذهان الناس عن الموقف الحقيقى للصحف من هذه الجرائم ، خشية أن ينتبهوا إلى دور التحريض الذى تمثله بعناية وانتظام ، فيتكلم عن الدور الآخر للصحف وهو نشر أخبار هذه الجرائم بعد وقوعها فيسوق الأدلة على أن الصحف معذورة في ذلك .

أن الذى نؤاخذ به الصحف ليس نشر أخبار الجرائم الجنسية بعد وقوعها ، وإنما نؤاخذها بما كانت تبثه قبل وقوع الجريمة من أفكار تهون على الناس أمر الأعراض ، ومن صور وفقرات تهيج الغرائز في الأحداث والشباب وفي العامة الذين ليس لهم من عقولهم ودينهم وازع يعصمهم من التأثر بهذه الدعايات الخبيثة المتواصلة بحذق وبراعة وتصميم ، حتى صار أمر الأعراض هيناً على الجماهير ، وحتى صارت الغرائز في حالة انتباه مستمر ، ومن هنا كان ما تسميه الآنسة التى كتبت في الأهرام « لعباً بالنار سيحرق المجتمع »، و« مرضا وبيلا سيؤدى بالمجتمع إلى الهاوية ، إن لم يتداركه العقلاء بالعلاج » .

ولا يكاد القراء ينتهون من مقال « اليوميات » حتى تطلع عليهم تلك الصحيفة في اليوم التالي بمقال : « من فكرة إلى فكرة » زاعما كاتبه بأن النشر لا ذنب له فيما يقع من هذه الجرائم ، لأن هذه الجرائم ليست في مصر وحدها ، ومنشأها في السنوات الأخيرة انهيار الأعصاب ، والمسئول عن انهيار الأعصاب هو الحرب ، فإنها حطمت أعصاب الناس وهزت اتزانهم وزعزعت إيمانهم فدفعتهم إلى هذه الجرائم .

هذه قطرة من القطرات في سبيل تهوين أمر الحياء والعفة والدين على صغار العقول من النساء وأشباه النساء من الرجال ، ومجموع هذه القطرات بين الحربين وبعد الحربين طغى بهذا السيل الجارف من الفاحشة التى أدت إلى ما نرى من إجرام ، وإلى ما يشكو الناس من عواقبه .

كتب لهم الأستاذ السيد صبرى كلمة في

الأهرام عنوانها « اتقوا الله ... وكفى » وتابعه الأستاذ جمال العطيفى المحامى فى اليوم التالى بكلمة أخرى بنفس العنوان يقول فيها عن الأستاذ السيد صبرى : « لا شك أن سيادته يعبر بهذه الكلمة عما يجول بخاطر معظم المواطنين الذين لا يقل استنكارهم للحادث ودوافعه وأسبابه ، عن أسفهم للآثار التى تترتب على هذا (النشر) من الناحية الاجتماعية والخلقية » .

وقد اعترف الأستاذ محمد زكى عبدالقادر فى إحدى فقرات : « نحو النور » بأن من المؤكد أنه لولا وقوع جريمة « فندق شارع عماد الدين » لاستمر الوضع الذى كان قائما على ما هو عليه . ومن يدرى لعل هناك حالات كثيرة مشابهة ـ وربما أسوأ وأشد فحشا ـ غير معروفة . فالمسألة لا ينبغى أن تؤخذ فقط للتسلية أو التعجب أو إبداء الأسف والاشمئزاز ، ولكن لابد من أن يتدخل لبحثها رجال التربية وعلماء النفس والإجرام .

فلعل الأمر يرتد فى أساسه إلى أشياء كثيرة تتعلق بالوسط والمجتمع ، ولعل بحثها يؤدى إلى إصلاح عميق ، أو دعوة إلى تعديل فى أساليب التربية وطريقة التناول والتعريف للعلاقات الجنسية بالنسبة للأولاد والبنات فى سن المراهقة .

ومن العجيب أن تذهب الأفكار فى تعليل هذه الجرائم إلى كثير من الأسباب ، وأن يبقى السبب الحقيقى الأول مسكوتاً عنه ، وهو الدور الذى يمثله القائمون على دور النشر بما ينشرونه من صور تهيج الغرائز ، ومقالات وفقرات وقصص تهون أمر الأعراض ، وتدفع الأحداث وصغار العقول نحو الشهوات الجنسية دفعاً ؛ يضاف إلى ذلك سوء استعمال شاشة السينما فى هذا الوطن المظلوم ، وما تقدمه لأبناء الجيل القائم والجيل الآتى من قدوة سيئة ليس عجيباً أن يكون لها فى مجتمعنا هذا الأثر المحزن الذى أقام البلاد وأقعدها .

إن شاشة السينما كان يمكن أن تقود الأمة إلى ميادين الرجولة ، وأن تنهض بالبنين والبنات إلى مستوى رفيع من ميادين العمل لإنهاض الوطن ، ولكن انهيار الصحافة إلى المستوى الذى يشكو منه الناس جعل القائمين على السينما يسابقون صاحبة الجلالة فى غزو السوق ، واستمالة الجماهير بمجاراة أهوائها ، حتى بلغنا هذه الدركة من الاستهتار والتحلل ، ونحن نحسب أننا نحسن صنعاً .

قبل إعلان الدستور العثمانى فى سنة (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) كان الأستاذ محمد كرد على مقيماً فى مصر يشارك فى تحرير جريدة « المؤيد » ، فبادر عند إعلان الدستور بالسفر إلى « دمشق » وأصدر فيها جريدة يومية اسمها (المقتبس) ، فكتب إليه شيخنا طاهر الجزائرى ـ رحمه الله ـ ينصح له بتصغير حجم الجريدة ودعوة زملائه إلى تصغير أحجام جرائدهم ليضطروا إلى الإيجاز فى لغو الكلام ، وإلى أن لا ينشروا إلا الصحيح النافع من الأخبار والأفكار ، وقال لهم : إن ذلك هو عنوان الترقى والتقدم فى الصحافة ، فهل ما عليه صحافتنا الآن يعد ارتقاء أم انحطاطاً ؟

هذا سؤال جدير بأن تمتحن به أنظار الناس وأفهامهم ..



تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

الملك لله وحده

للشاعر: عبد الستار محمد سليم

الملك لله وحده ... أحصى مداه .. و.. عدّه
إن شاء أعطاك منه ... أو شاء .. منك استردّه
فهو القدر فينا ... صاب المعاش وشهده
كل له مقدار ... فى ثابت اللوح عنده

* *

ما من مليك عزيز ... ألرى وكثر جنده
وعظمته الموالى ... وحاذرته الأشده
أو جال فى الأرض تيها ... علا .. وصعّر خده
أو حاز فى العمر نُعمى ... يغشى من العيش رغده
إلا يحول سرابا ... قد أخطأ الركب ورده

* *

وصرف هذى الليالى ... أباح فى الخلق أسده
قد راش للناس سهما ... وقلما جاز قصده
ما من شباب قشيب ... قد رصّع الحسن عقده
إلا سقته الليالى ... حر الشراب وبرده
لكل عمر كتاب ... ولن يؤخر بعده
وعد المهيمن حق ... ولن يخلف وعده
سبحانه وتعالى ... لاشىء يدرك جده

تحية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تسلمه

جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام

شعر : شوقي محمود أبوناجي

اجهر بصوتك فوق عود المنبر ... يسري ضياء في ظلام الأعصر
هل يجري الصمت المصفّد أنْ يُرى ... بفم يعفّ عن الفضول مُطهّر
لسان بينهما توارث مضغةً ... ما فوّهت باللفظ غير معطر
الصدق ديدنه ولو حفّت به ... نارٌ تؤجج من ظلوم مُفتر
في نهجه أن الذي يرجو الهدى ... لا بدّ من طرح الخنا والمنكر
فإذا ارتمى الظمآن عطزُ الجنى ... وهفا الفؤاد إلى رحيق الكوثر
نبعان - ليس سواهما يروي الصدى : ... هديُ الكتاب وسنّةُ المدّثر

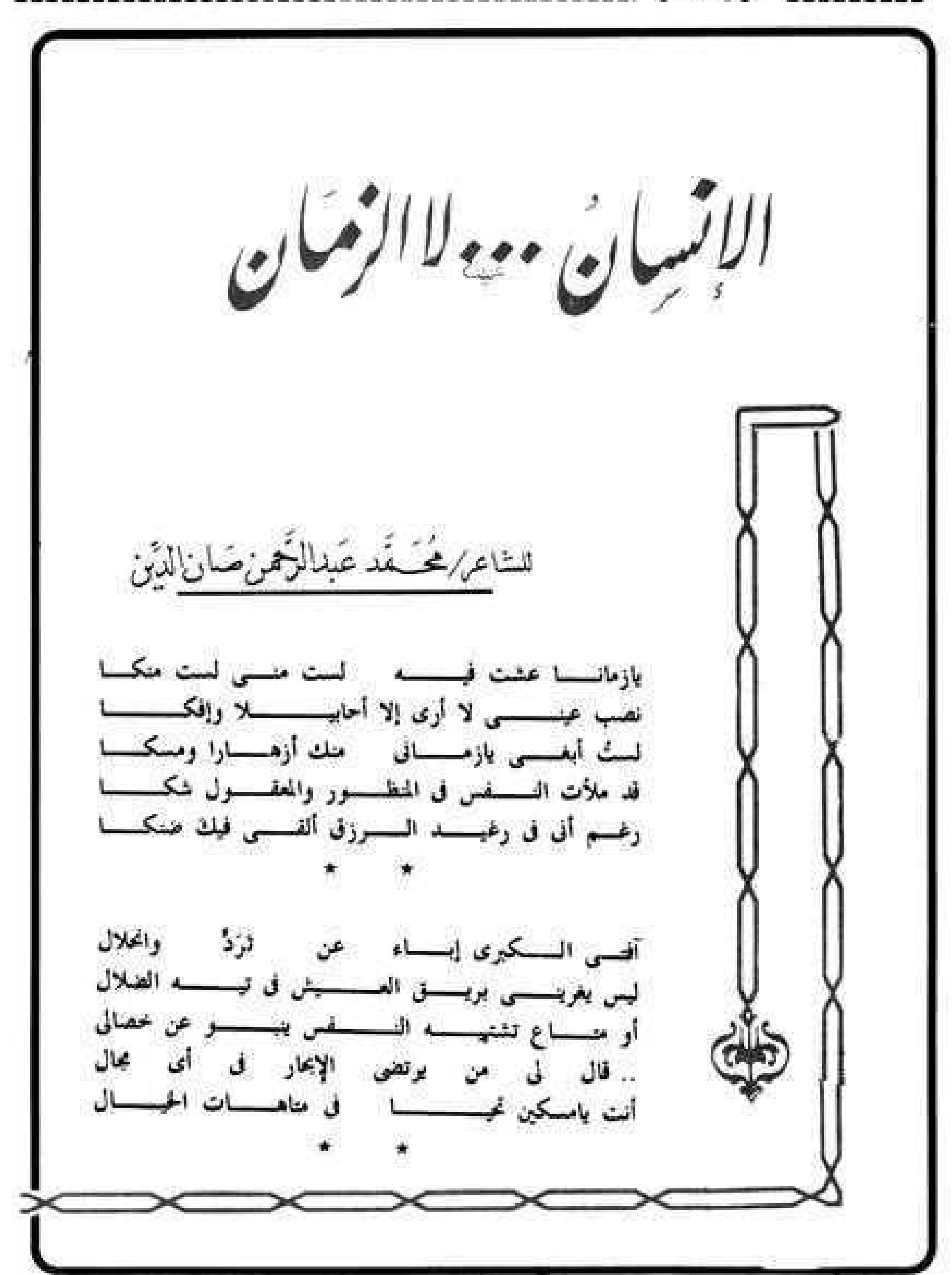
• • •

مَنْ ذلك الداعي الذي بيمينه ... نثر الهداية في الظلام المقفر
مَنْ ذلك الساعي على درب الهدى ... هو حامل المصباح شيخ الأزهر
يا للفقيه وقد سما بوقاره ... ويرقّ حاشيةً بلطف المعشر
أمّا إذا اجترأت بذاءة فاسق ... فهو السهام تصوبت للمنحر
ذلق اللسان إذا أطلت ريبةٌ ... لا بدّ من دحض الهوى المتجبر

• • •

يا قوم جاد الحقّ بالرجل الذي ... قد يلتقي بالأمر غير مُيسّر
فإذا بحكمته تذلل ما قسا ... وتعيد كلَّ مضلَّل متحير
أسموْه « جاد الحق » نِعْم اسماً على ... نِعَمَ المسمى للإمام الأكبر
فلئن دنت ترجو الجوائز قربَه ... لم يسعَ نحو دعاية أو مظهر
وهو التقيُّ ويرتجي من ربّه ... خير الجوائز عند يوم المحشر

• • •



الإنسان ... لا الزمان

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

يازمانا عشت فيه   لست منى لست منكا
نصب عينى لا أرى إلا أحابيلا وإفكا
لست أبغى يازمانى   منك أزهارا ومسكا
قد ملأت النفس فى المنظور والمعقول شكا
رغم أنى فى رغيد الرزق ألقى فيك ضنكا

* *

آبى الكبرى إباء   عن تردٍ والخلال
ليس يغرينى بريق العيش فى تيه الضلال
أو متاع تشتهيه النفس ينبو عن خصالى
.. قال لى من يرتضى الإبحار فى أى مجال
أنت يامسكين تحيا   فى متاهات الخيال

* *

هل تظن الأرض يحيا فوقها أهل الخلاق
فى سلام وأمان فى انفتاح وانغلاق
مثل غفل الناس يمضى دون شد .. للوثاق
أو بلا كيد وطعن فى الكل أو فى التراق
فى اتجاه الريح يبز وابسح بمجداف النفاق

* *

ليس ميزانى نسيج العقل فى عيشى ودربى
إنما الميزان عندى فى سلوكى وحى ربى
إن نسج الناس يحوى من قصور .. كل عيب
كان هذا عند جُلّ الأهل والأتراب ذنبى
فقضيت العمر أمشى فوق أشواكٍ وجدب

* *

إن يكن قد صدّ عنى ذاك أو هذا ومالا
ورمانى من رمانى بسهام واستطالا
فاعتصامى بخلاق كان أنسا وجلالا
ومعينا أستقى من فيضه ماء زلالا
إن فى الإيمان والأخلاق روحا وظلالا

* *

مُدّعى نصحى وإرشادى بفكر منك أعوج
ياغوىّ الوعظ دعنى أنت للتقويم أحوج
فى وعور ووهاد هل يقود الركب أعرج ؟
أو سليط أزعن التفكير والمنطق أهوج
ألف كلا ، مايظل التائه الحران غوسج



بقلم العربي - يحيى عبد الله المعلمي (*)

اسم ديوان جديد أصدره الأستاذ الشاعر « محمد التهامي » ، وقد أعرب الشاعر في هذا الديوان عن عواطفه المحتدمة نحو إخوته العرب وعبر فيه عن أرومته العربية الأصيلة وحماسته المتدفقة .. ولاغرو ولا عجب فالشاعر التهامي قد عانق العربية إيمانا وعقيدة وتطلعا ، وعايش بعض الأحداث والعمل العربي ثلاثين عاما في الجامعة العربية وشارك في اللقاءات والمؤتمرات والمهرجانات الأدبية على طول البلاد العربية وعرضها ، وهو كما قال عن نفسه :

«يحلم بالوحدة العربية ويتشوق إليها ويغني لها بكل طاقة الموهبة وانطلاق الإبداع » .

وقصائد هذا الديوان كلها عواطف جياشة ومشاعر فياضة بحب العرب والمسلمين والعروبة والإسلام ، ويكفي أن نلقي نظرة على عناوين القصائد لنرى أي إحساس كريم يغمر الشاعر التهامي نحو إخوانه العرب والمسلمين .

ويطير الشاعر « محمد التهامي » إلى سوريا ويحط رحاله في (حلب) و(الفيحاء) ويهتف (هنا إخوتي) عندما يلقاهم (في مهرجان الوحدة) ويقف على باب العروبة ليتبرأ من (عار الانفصال) ثم يروح في (تأملات) لايخرجه منها إلا صوت (الشاعر القروي) الذي يدعوه إلى منتدى السيدة « ثريا الحافظ » صاحبة «منتدى سكينة» فيخاطب (ربة المنتدى) قائلا :

وقفت في صدره تلقين من وفدوا	وحولك الحب وثاب ومنطلـــق
قد ضقت بالظلم كذابا ومختلقا	يا «ربة المنتدى» ياخير من صدقوا
عند الصباح يعود الحق منتصرا	ويرجع «المنتدى» حرا وينطلـــق

ثم طار الشاعر إلى الجزائر فحيا (بطل الجزائر) المقاتل الشهيد وحيا بطلة الجزائر المناضلة (جميلة بوحريد) ورأى (فرحة النصر) تنطلق من (أوراس) لتغمر الجزائر بل الأرض العربية كلها فقال :

(*) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

تنفس الصبح فى (الأوراس) وابتسما ... وقبّل الأرض لما أن رأى العلما
لما رآه قد امتدت غلائله ... وظللت بحماها السفح والقمما
وكبرت فى سماء المجد صائحة ... فيه الجزائر قد أرست لها قدما

وجاء الشاعر إلى السعودية : (البلد الأمين) وصودف أن دخلت الطائرة التى كانت تقله فى عاصفة ولكن الحب الكبير الذى كان يملأ قلبه لهذه البلاد الطاهرة قد أضفى عليه شعوراً بالأمان والأطمئنان فهبطت الطائرة فى سلام ، وحيا الشاعر (رسول الحب) .

وقد عبر الشاعر عن أحاسيسه فى أثناء العاصفة فقال مخاطباً صديقه ورفيقه فى الرحلة الأستاذ إمام عبدالمجيد قائلا :

ودعا إماما : ياإمامُ عيون ربك ساهرة
فدع التشاؤم ، أنت فى أرض النبى الطاهرة
أولا تشم العطر فى هذى السماء العاطرة
الوحى ضمخها وفاح على الروابى الزاهرة

ومالبثت الطائرة أن هدأت واستقرت ..

وتربعت فى الجو فوق الثائرات الهادرة
ومضت على غول العواصف فى المسالك ظافرة
مهما تقلب فهى من فوق التقلب قادرة
ومشى بساط الريح تحمله أكف ساحرة
وتديره فوق الرياح الهوج كف قادرة

إن الشاعر « محمد التهامى » ليستحق بجدارة أن يسمى (شاعر العروبة) فقد غنت قصائده للأقطار العربية وأنشدتها مدن العرب وعواصمهم الكبرى ، وحفظها تلامذة المدارس فالشباب الفلسطينى يحفظ قصيدته عن (العودة) التى مطلعها :

ان الذى زيفوه كله كذب ... ما لليهود بدار أهلها عرب

وشباب الجزائر يحفظون قصيدته عن (بطل الجزائر) التى مطلعها :

إلى متى نعظم البلوى ونحتمل ... «أوراس» لم يبق إلا أنت والأمل

وشباب سوريا يحفظون قصيدته (أخى فى سوريا) التى مطلعها :

أخى فى ربى الشام والغوطة ... فديتك بالروح والمهجة

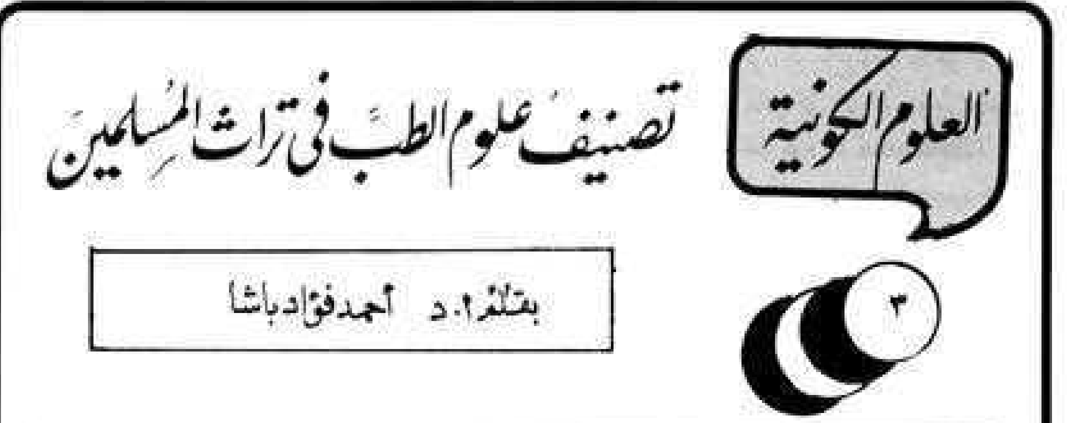
ولغة الشاعر جزلة فخمة ، وقوافيه محكمة ، مع أن بعضها من القوافى الصعبة ، ولكن قدرة الشاعر وتمكنه من اللغة وتدفق الشعر على لسانه يروض ماصعب من القوافى ويسلس فى يده قياد ماتمنى منها ..

فهاهو ينظم قصيدة على روى الياء المشددة المضمومة يبلغ عدد أبياتها ستين بيتاً فلا نرى فى قصيدته كلمة جافة عن موضعها أو مستكرهه على الحلول فى مكانها .

يقول من قصيدة : (فى وهج الذكرى) :

نداؤك لا يغـــيب له دوى (كـأنك) بعـد مادفـوك حيُّ
ومادفـــرا سوى جسد كريم وماأجسادنا فى الذكـرى شىٌ
لقـد خلـقت عملاقــاً كبيراً ومالضخامـة العمـلاق طىٌّ
لك الروح التى بلغت مداهـا وحـق لها الخلـود السرمـديُّ
أراك وقد وقفت هنـا حيـالى جليـلاً ، قد أضاء بك النـديُّ
كأنك قد دعوت النـاس فيـه فأنت بكـل من تلقـى حفـيُّ
فتحت رحاب صدرك فى اشتياق كما يتهلـل الخل الوفـيُّ
ويكفـى كل من توليـه حبـا إذا انتسب انتماء يعربـيُّ

وهكذا تمضى القصيدة على هذه النغمة الموسيقية الجميلة ليس فيها قافية قلقة ولاروى مضطرب ولاكلمة معتسفة ولانبرة ناشزة ولامعنى مستغلق ، وإنما هو الجمال والوضوح .. بل هو الشعر وكفى ..



سادسا : طب العيون :

أخذ أطباء الحضارة الإسلامية بنظام التخصص وعدم السماح بممارسة الطب إلا بعد اجتياز امتحان دقيق فى كتب التخصص المعروفة للتأكد من المستوى العلمى المطلوب للدارسين نظريا وعمليا وللوثوق من مهاراتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج قبل تأديتهم القسم وحصولهم على شهادة مكتوبة تحدد لهم الأمراض والعمليات الجراحية التى يمكنهم التصدى لها ، فكان هناك الجراح والفاصد والخاتن والخافض والحجام والكواء والمجبّر ، وكان هناك من تخصص فى أمراض النساء والتوليد وطب الأطفال وطب الأسنان والأمراض الباطنية والجلدية والأمراض العصبية والعقلية ، وكان هناك الكحال ، أى طبيب العيون . كذلك اشتهرت المؤلفات المتخصصة فى مختلف فنون الطب ، وكان من بينها فى مجال طب العيون كتاب « المنتخب فى علاج أمراض العين » لعمار بن على الموصلى و« تذكرة الكحالين » لعلى بن عيسى الكحال .

وتميز طب العيون شأنه شأن باقى فروع الطب الإسلامى بأنه لا يختلف عن أسلوب الطب الحديث من حيث المنهجية التى يتبعها الأطباء المعاصرون فقد كان الرازى على سبيل المثال يرى أن الطبيب يحتاج فى استدلال على الأعضاء الباطنة الى العلم بجواهرها أولا بأن تكون شوهدت بالتشريح ، وإلى العلم بمواضعها من البدن وإلى العلم بأفعالها (أى الفسيولوجيا أو وظائف الأعضاء) وإلى العلم بأعظامها وما تحتوى عليه (أى المورفولوجيا) وإلى العلم بفضولها التى تدفع عنها (أى الباثولوجيا أو علم طبائع الأمراض) لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب .

ولقد رفض الرازى نفسه أن تجرى له عملية جراحية فى عينيه عندما فقد بصره فى أواخر أيامه وذلك لأنه سأل الجراح قبل أن يشرع فى عمليته عن عدد طبقات أنسجة العين فلما اضطرب الطبيب وصمت قال له الرازى : «إن من يجهل جواب هذا السؤال عليه ألا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عينى» .

من ناحية أخرى كان أطباء الحضارة الإسلامية يخضعون لرقابة الدولة وفقا للائحة خاصة تنظم أسلوب تعاملهم مع الناس ، فكان المحتسب وهو

من أرق الموظفين فى الدولة مكلف بتحليفهم قسم «أبقراط» ويحرص على التأكد من حيازتهم الآلات المفروضة لصناعتهم واجتيازهم الامتحانات المفروضة عليهم وعلى ألا يسلموا آلاتهم إلى الدخالين غير المرخصين .

وكان أطباء المسلمين فى علاجهم لأمراض العين يميزون بين العلاجات العامة والعلاجات الموضعية ويصفون الراحة والسكون فى الحالات الشديدة ويعنون بغذاء المريض فيجعلونه خفيفا لطيفا ، ويستعملون الأشياء القابضة والمحللة والمنضجة والمخدرة ، فهذا هو على بن عباس يقول فى كتابه «كامل الصناعة» الذى صنفه للملك عضد الدولة : « .. إلا أن العين لما كانت عضوا زكى الحس لم يجز أن تستعمل فيها أدوية قوية ، ولا تورد عليها أدوية كثيرة دفعة ، أنظر فإذا كان السبب باديا أعنى من حر الشمس والغبار والدخان فإن برءه يكــون أولا بزوال تلك الأسباب واستعمال الأدوية المبردة المقوية للعين كالضماد بخرق مبلولة بماء ورد وشىء يسير من الكافور .. »

ولم يترك أطباء المسلمين مرضا من أمراض العين إلا وصفوا أعراضه والطرق الناجعة لعلاجه فتحدثوا عن الانتفاخ والحكة والقروح والبثر والنتوء والشعيرة والالتزاق والشعر الزائد والرمد بأنواعه وغير ذلك . وتحتوى كتب الكحالين «أطباء العيون» على شروح تفصيلية للعلاج والعمليات الجراحية من ذلك وصفهم لماء العين وأنواعه ومضاعفاته : فمنه ما لونه شبيه بلون الهواء ومنه ما يشبه لون الزجاج ومنه ما هو أبيض ومنه أخضر ومنه مائل الى الزرقة «وهى العلة المعروفة باسم «الجلوكوما» Glaucoma .. والماء منه ما إذا قدح أنجب ومنه مالا ينجب عند القدح ، وامتحان ذلك بأن تضع يدك على إحدى العينين فإن رأيت ثقب العين الأخرى يتسع فاعلم أنه متى قدحت أنجب القدح فيها وأبصر الانسان وان لم يتسع فإنها اذا قدحت لم ينجب ولم يبصر الإنسان وتمتحنه أيضا بأن تقيم العليل فى الشمس وتأمره أن ينظر اليك جيدا وتضع ابهامك على جفنه الأعلى وتحرك بها العين وتنحيها بسرعة ثم تفتح العين وتنظر فإن تحرك الماء حين تنحى إبهامك عنه فتفرق فإن ذلك الماء لا ينجب فيه القدح وإن بقى مجتمعا لا يتفرق فإن الماء قد استحكم والقدح قد ينجب فيه . وعلامة أخرى أجود من ذلك أنك متى رأيت لون الماء كلون الحديد المجلى أو كلون الرصاص فاعلم ان الماء قد استحكم والقدح ينجب فيه أما ما كان لونه لون الجص فإنه جامد جدا ولا يصلح القدح فيه[1] .

سابعا : طب الفم والأسنان :

بدأ طب الفم والأسنان عند العرب فى عصر الحضارة الاسلامية ـ كما بدأت فروع الطب الأخرى بل وفروع العلوم الكونية كلها عندهم ـ من تراث ضئيل وصل إليهم نتيجة انفتاحهم على دول كثيرة ذات حضارات موروثة وبالرغم من أن طب الفم والأسنان كان واحدا من العلوم الطبية التى خصها القدماء بمزيد من الاهتمام إلا أنه لم

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بدون تاريخ للنشر) .

يصل إلى مرحلة متقدمة من التطور إلا فى عصر الازدهار العلمى للحضارة الإسلامية بدءاً من القرن التاسع الميلادى .

وقد برز أبوالقاسم الزهراوى فى العلاج الجراحى لأمراض الفم فهو يتحدث عن قطع اللحم الزائد فى اللثة فيقول : «كثيرا ما ينبت على اللثة لحم زائد .. فينبغى أن تعلقه بصنارة أو تمسكه بمنقاش وتقطعه عند أصله وتترك المادة تسيل والدم ثم تضع على الموضع زاجا مسحوقا أو الذرورات القابضة المجففة فإن عاد بعد ذلك اللحم وكثيرا ما يعود فاقطع باقية واكْوِه فإنه لا يعود بعد الكيّ إن شاء الله تعالى .

وتكلم الزهراوى فى موضع آخر من كتابه القيم «التصريف لمن عجز عن التأليف» عن الأورام تحت اللسان فقال : «قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعله الطبيعى .. وربما عظم حتى يملأ الفم والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس وتنظر من الورم فإن رأيته كمد اللون وأسود صلبا ولم يجد له العليل حسًا فلا تعرض له فإنه سرطان ، وإن كان مائلا الى البياض فيه رطوبة فألق فيه الصنارة وشقّه بمبضع لطيف من كل جهة فإن غلبك الدم حين عملك فضع عليه زاجا مسحوقا حتى ينقطع الدم ، ثم عد الى عملك حتى تخرجه بكماله ثم يتمضمض بالخل والملح ثم تعالجه بسائر العلاج الموافق لذلك حتى يبرأ إن شاء الله تعالى .

وقدم الزهراوى وصفا تفصيليا لعلاج أمراض أخرى تعرض فى الفم مثل تحرير اللسان المعقود وكيف يقطع الشكال الرابط له تحته حتى يعود طبيعيا ويصف ما يتبع ذلك من دواء . ومثل إخراج العقد التى تعرض فى الشفتين على هيئة أورام صغار يشبه بعضها حب الكرسنة وبعضها أصغر ، ويصف ذلك بأن «تقلب الشفة وتشق على كل عقدة وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم ثم يتمضمض بالخل وتعالج الموضع بما فيه قبض الى أن يبرأ الجرح إن شاء الله تعالى . ومثل جبْر الفك الأسفل إذا انكسر ، وخلع الأسنان وغير ذلك ويصف لكل عملية الآلات الجراحية اللازمة لها ويصورها صورا واضحة ومفصلة بما يقربها للدارسين أو القارئين ضاربا بذلك المثل فى السبق الى استخدام الأشكال والرسوم التوضيحية على نحو ما نجد فى كتب الطب الحديثة .

ومن الجدير بالذكر أن الزهراوى عرض لأول مرة فى التاريخ الطبى لوصف الألم المتنقل وخطره ، مما يضعه على مستوى متقدم بين علماء الطب حتى العصر الحاضر ، فهو يقول : « إنه ينبغى أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة ... وكثيراً ما يخدع العليل المرض ويظن أنه فى الضرس الصحيح فيقلعها ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض » .

ويبدو الزهراوى بارعاً دقيقاً فى وصفه لعملية القلع ذاتها ، وهو يستعمل لذلك الكلاليب والجفوت والروافع والمباضع ، وهو يشرح فى ذلك كل خطوة وكل آلة ، ويقول على سبيل المثال : « فإذا صحّ عندك الضرس الوجع بنفسه فحينئذ ينبغى أن يشرط حول السن بمبضع فيه قوة حتى يحل اللثة من كل جهة ، ثم تحركه بأصبعك أو بالكلاليب اللطاف أولاً قليلاً حتى تزعزعه ، ثم تمكّن حينئذ فيه الكُلبتين الكبار تمكينا جيداً

ورأس العليل بين ركبتيك قد تعقبه لا يتحرك ، ثم تجذب الضرس على استقامته لئلا تكسره ، فإن لم يخرج وإلا تتخذ أحد تلك الآلات ، فادخل تحته من كل جهة برفق ودُم تحريكه كما فعلت أولاً ». ثم يذكر أنه بعد القلع : « إن كان العظم به عفن فاجرده من عفنه واسوداده حتى ينقى ثم تعالجه حتى يبرأ » ، وهو فى ذلك يشير إشارة واضحة إلى كيفية معالجة العفن مع القلع أو بعده . ومثل ذلك يشير ابن سينا أيضاً ويركز على أهمية التشخيص وخطر القلع إذا كان هناك عفن فى الفك ، فذلك يهيج الوجع الشديد ، وربما هيج وجع العين والحمى .

ولا يفوت الزهراوى ــ فخر الجراحة فى العصر الإسلامى ــ أن يحذر من : « أن تصنع ما يصنع جهال الكلابين فى جسرهم وإقدامهم على قلعه (أى الضرس) من غير أن يستعملوا ما وصفنا ، وكثيراً ما يجلبون على الناس بلايا عظيمة ، وأيسرها أن ينكسر الضرس ويبقى أصولها كلها أو بعضها ، وإما أن تقلعه بعض عظام الفك ... » .

كذلك عرض أطباء المسلمين لعلاج الأضراس واللهاة المسترخية بالكيّ ، استناداً إلى قاعدة « آخر الدواء الكيّ » . وكان من الطبيعى أن يتحدثوا أيضاً على التخدير والتسكين ، فقد عرفوا فى ميدان الجراحة ما يسمى « المرقد » ، وهو المخدر العام ، وكان ذلك يقوم على استعمال ما أسموه « بالاسفنجة المخدرة » التى توضع على أنف المريض فتمتص الأنسجة المخاطية موادها المخدرة ويدخل المريض فى سبات عميق . كما عُرف التخدير بالبرودة ، وقد وصفه ابن سينا بقوله : « ومن جملة ما يخدر من غير أذى الماء المبرد بالثلج تبريداً بالغاً ، أخذاً بعد أخذ حتى يخدر السن فيسكن الوجع البتة ، وإن كان ربما زاد فى الابتداء » .

وتزخر كتب الطب الإسلامى بتفاصيل أخرى كثيرة تتناول ترميم الأسنان المصابة بالسوس وحشوها ، وعلاج القرحة فى جلدة الفم واللسان ، وعلاج كثرة البصاق واللعاب وسيلانه فى النوم ، وإزالة الرواسب عن الأسنان ، وتعويض الأسنان المفقودة ، ورد الأسنان وتقويمها إذا ما نبتت فى غير مجراها الطبيعى . ولم يفت علماء المسلمين أن يتحدثوا عن طب الأسنان الوقائى ويفردوا فى مؤلفاتهم فصولا فى حفظ صحة الفم والأسنان .

خاتمة :

إن ما عرضناه يمثل قليلا جداً من كثير مما حققه علماء المسلمين فى عصر الحضارة العربية الإسلامية التى غمرت بنورها كل أنحاء الدنيا . وليس هناك من شك فى أنّ تكثيف عمليات البحث والتنقيب فى تراث المسلمين وتحقيق مخطوطاته بلغة العصر ومصطلحاته ، سوف يساعد على اكتشاف المزيد من كنوز هذا التراث وأسراره ، ويعمل على إسقاط كل المحاولات الفاشلة للنيل من قيمة هذا التراث وأصالته ، ويظهر للأجيال والباحثين عن الحقيقة ومدى ما وصلت إليه الحركة العلمية فى عصر النهضة الإسلامية من تقدم وتطور ونضج وعمق وازدهار .

مراجع للاستزادة :

* الطب العربي ، أمين أسعد خير الله ، بيروت ١٩٤٦م .

* قطوف من تاريخ الطب ، بول غليونجي ، القاهرة ١٩٧٩م .

* في الطب والأقربازين ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٧٠م .

* في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، د. عامر النجار ، دار المعارف ١٩٩٤م .

* التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، د. أحمد فؤاد باشا ، القاهرة ١٩٨٣م .

* تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، د. سامي حمارنة ، القاهرة ١٩٦٧م .

* تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، د. عبدالحليم منتصر ، دار المعارف ١٩٨٠م .

* شمس العرب تسطع على الغرب ـ سيجريد هونكه ـ الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١م .





تطرقنا فى المقال السابق إلى الحديث عن (أنيميا) الخلايا الضخمة الناجمة عن نقص (حامض الفوليك)، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم، بإلقاء الضوء على نوعه الآخر، وهو: (أنيميا) الخلايا الضخمة، الناجمة عن نقص (فيتامين ب١٢).

● ماهية فيتامين ب١٢ :

هو (فيتامين) قابل قليلا للذوبان فى الماء، يوجد فى اللحوم واللبن، والبيض والسمك، والجبن.. وتقوم المعدة بإفراز عامل هام لامتصاص هذا الفيتامين، يسمى بالعامل الداخلى : Intrinsic Factor حيث يتحد مع (الفيتامين) : ليتم امتصاصه فى الجزء الأخير من اللفائف Terminal ileum (وهو الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة).

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الفيتامين، يعد عاملا أساسيا للنضوج النووى، وأيضا.. لتصنيع غشاء (الميلين Myelin Sheath) المحيط بالأعصاب وأيضا لحيوية الغشاء المخاطى المبطن للمعدة والأمعاء.

● أسباب فقر الدم الناجم عن نقص (فيتامين ب١٢) :

(١) (الأنيميا الخبيثة) لدى الأطفال Juvenile Pernicous Anemia : وتصيب الأطفال الصغار، ما بين سن ٩ شهور و١٠ سنوات وتكون نتيجة عدم مقدرة معدة الطفل على إفراز العامل الداخلى اللازم لامتصاص الفيتامين، ويعد هذا مرضاً وراثياً؛ لأن غالبية الأطفال المصابين يكون لدى والديهم صلة قرابة، ويختلف هذا المرض عن مثيله لدى البالغين، والأطفال الكبار، بأن المعدة تقوم بإفراز كمية طبيعية من حامض (الهيدروكلوريك) :

(٢) نقص فيتامين ب١٢ عند الأطفال الكبار :
Vitamim B 12 Deficiency in older

Children:

ويحدث هذا نظراً لوجود أجسام مناعية مضادة فى أمصال ما يقرب من ٩٠٪ من هؤلاء الأطفال ضد الخلايا المبطنة لجدار المعدة ، التى تفرز العامل الداخلى اللازم لامتصاص الفيتامين .. وأيضاً أجسام مناعية مضادة ، لمنع ارتباط الفيتامين بهذا العامل فى حوالى ٥٠٪ من أمصال هؤلاء الأطفال .

وبعض هؤلاء الأطفال يكون لديهم ضمور فى الغشاء المعدى Atrophy of gastric mucosa يؤدى إلى قلة إفراز حامض (الهيدروكلوريك) ، وقد يصاحب هذا المرض إصابة الطفل بفطريات الجلد Cutaneous Candidosis ونقصان فى نشاط بعض الغدد الصماء .

(٣) نقص فيتامين ب١٢ فى طعام الطفل :

ويعد هذا نادر الحدوث ، نظراً لتوافر الفيتامين المذكور فى كثير من الأغذية ، ويحدث هذا بين الأشخاص المعتمدين على البروتين النباتى فقط ، كمصدر للبروتين : Vegetarians ، وعند الأطفال المصابين بمرض سوء التغذية ، أو كانت الأم تعانى من نقص هذا الفيتامين ، ويكون الطفل معتمداً كلياً على الرضاعة من ثدى الأم .

(٤) قلة امتصاص الفيتامين من اللفائفى (الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة) :

ويحدث هذا فى الحالات الآتية :

(ا) إصابة هذا الجزء من الأمعاء ، بالالتهابات مثل : إصابته بميكروب الدرن .

(ب) وإذا تم استئصال هذا الجزء من الأمعاء .

(جـ) وفى حالة إصابة هذا الجزء بمرض وراثى يحدث فيه قلة عدد المستقبلات Receptors الموجودة فى جداره ، التى يتحد معها الفيتامين ؛ ليتم امتصاصه .

(د) وزيادة نمو البكتريا فى أمعاء الطفل Blind Loop syndrome حيث تتغذى على هذا الفيتامين . ويعالج الطفل فى هذه الحالة بواسطة عقار التراسيكلين Tetracycline :

(٥) إصابة الطفل بأحد أنواع الديدان الشريطية المسماة بالدودة ذات الورقتين المحورتين Diphyllobothrium Latum حيث تحدث هذه الأنيميا فى حوالى ½٪ فقط من الأطفال المصابين بهذه الدودة .

(٦) نقص البروتين الذى يتحد مع الفيتامين ، واللازم لامتصاصه ونقله . Trans Cobalamin .

● أعراض المرض :

(١) أعراض عامة : مثل إصابة الطفل بـ(الشحوب) وفقدان الشهية والخفقان وسرعة شعوره بالتعب وصعوبة التنفس عند بذل أقل مجهود .

(٢) إصابة الجهاز الهضمى مثل :

أن يكون لسان الطفل أحمر اللون وناعم الملمس red smooth نظراً لضمور حُلَيمات اللسان .

– قد يصاب الطفل بإسهال ، وسوء هضم مع تناقص الوزن .

– قد يصاب الطفل بالتهاب الفم Stomatitis .

– وفى حالات قليلة قد يتضخم الكبد والطحال Hepato Spleenomegaly .

(٣) إصابة الجهاز العصبي المركزي كالآتي :

قد يصاب الطفل بالتهاب أعصاب الطرفين Peripheral neuropathy ويؤدي هذا إلى فقدان الإحساس في أطرافه .

حدوث مرض « الترنــح المخيخــي » Cerebellar ataxia حيث يصاب الطفل بعدم القدرة على حفظ توازن جسده مع صعوبة وترنح في المشي .

قد يحدث ضعــف في عضلات الجسد Muscle weakness نتيجة الإصابة الحزمة الهرمية العصبية Pyramidal tract .

(٤) قد يصاب الطفل بالنزف (من الفتحات أو تحت الجلد) نتيجة لقلة عدد الصفائح الدموية ، وتكرر إصابته بالالتهابات نظراً لقلة عدد كُرات الدم البيضاء .

● كيفية تشخيص المرض :

(١) القيام بعمل (صورة) دم كاملة كي يتجلى فيها الآتي :

(أ) قلة نسبة (الهيموجلوبين) وعدد كرات الدم الحمراء وتكون كبيرة الحجم ومحتوية على نسبة كبيرة من الهيموجلوبين .

(ب) قلة نسبة فيتامين ب١٢ في مصل الطفل المريض عن (١٠٠ بيكوجرام) في (المليليتر) .

(٢) القيام بعمل (بزل ـ سحب) للنخاع العظمي :

وتكون الخلايا الحمراء كبيرة الحجم مع زيادة نسبة (السيتوبلازم) وقلة نضوج نوى الخلايا مع زيادة نسبة الخلايا غير الناضجة .

(٣) القيام بعمل اختبار « شيلنج » Schilling Test :

حيث يتم إعطاء الطفل كمية كبيرة من (فيتامين ب١٢) عن طريق الحقن وفي نفس الوقت يعطى الطفل كمية صغيرة من الفيتامين المتحد مع مادة مشعة Radiolabelled عن طريق الفم وإذا كان الطفل غير مصاب بهذا المرض فإن (١٠ ـ ٣٠٪) من هذا الفيتامين المتحد مع المادة المشعة يتم إفرازها في بول الطفل ، أما إذا كان الطفل يعاني من قلة امتصاص الفيتامين فإنه سيتم إفراز كمية ضئيلة منه في بول الطفل .

ولمعرفة سبب قلة امتصاص الفيتامين يتم إعادة الاختبار مع إعطاء الطفل العامل الداخلي اللازم لامتصاص الفيتامين مع الفيتامين المتحد مع المادة المشعة فإذا زادت كمية الفيتامين في البول يكون سبب المرض قلة إفراز هذا العامل الداخلي ، أما إذا لم يزد إفرازه في البول ، يكون سبب المرض إصابة اللفائف (الجزء الأخير من الأمعــاء الدقيقة) .

● العلاج :

يتم علاج الطفل المريض عن طريق حقنه ـ في العضل ـ بفيتامين ب١٢ كالآتي :

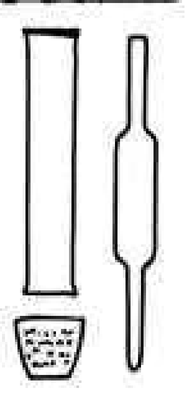
(١) في الأسبوعين الأولين يتم حقن الطفل بالفيتــامين بكميــة تــراوح بين ١ : ٥ (ميكروجرام) يومياً ، إذا كان الجهاز العصبي المركزي غير مصاب ، أما في حالة إصابة الجهاز العصبي المركزي يتم حقن الطفل بـ (١ ملجم) يومياً .

(٢) ثم يتم حقن الطفل بالفيتامين شهريــاً بـ ١ ملجم من الفيتامين .

وبالله التوفيق







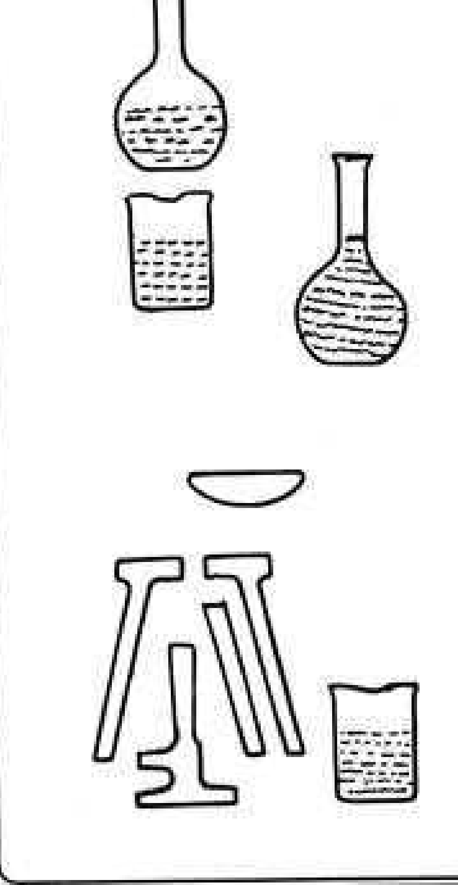
إعداد د / مجدي السيد أحمد *

آلة قياس متعددة الوظائف

أنتجت إحدى الشركات اليابانية آلة قياس جديدة متعددة الوظائف ، وهى عبارة عن مسطرة مرقمة طولها ٣٠ سنتيمتر مزودة بآلة حاسبة وذراع زالق يدور بزاوية ١٨٠ درجة حول محور ثابت في وسط المسطرة ، يساعد هذا الذراع على رسم الدوائر والأشكال الهندسية الأخرى . أما حساب الدوال المثلثية فيتم على لوحة ملامس مجهزة بشاشة تظهر عليها النتائج وتستعمل هذه الآلة في الملاحة البحرية والجوية .

ماكينة تصوير مستندات حديثة

طورت إحدى الشركات اليابانية ماكينة لتصوير المستندات وعرفت باسم « الطابعة البارعة » ، وتتميز بأنها اقتصادية وتقلل تكاليف النسخ إلى الحد الأدنى وسهولة استعمالها وإمكانية استبدال قاطع الاستنسل برأس حرارى ، كما أنها



* باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

تتميز بسرعتها وطباعتها ذات القيمة العالية وقدرتها على استخراج صور فائقة الوضوح من مستندات ذات أصول غير واضحة ، وانتاج داخل حتى ١٢٠ صفحة فى الدقيقة ، وطاقة استيعاب علبة ادخال الورق حتى ١٠٠٠ ورقة بالإضافة إلى جميع وظائف الحذف والتظليل وعمليات قلب الورق والتصغير والتكبير « الأتوماتيكى » .

آلة حاسبة مصرفية

نجحت إحدى الشركات الأمريكية فى إنتاج آلة حاسبة صغيرة يستفاد منها فى أمور مصرفية كثيرة ولا يتطلب استخدامها أيـة معرفـة متخصصة ، وبفضل بطاقات دليلية مدمجة فى الآلة يمكن للشخص الذى يستخدمها اجراء حساباته الاستثمارية بسهولة وتحديد القروض والمدخرات والقيام بالمقارنــات بين عروض الاعتمادات واختيار الأفضل منها وتعمل هذه الآلة بالخلايا الشمسية .

الجمال لإزالة الأعشاب الضارة

قامت أحد المراعى فى ولاية « نيومكسيكو » فى الولايات المتحدة الأمريكية باستيراد عدد من الجمال للقيام بوظيفة نافعة جدا فى خدمة المراعى ، حيث تقوم هذه الجمال بتنظيف أراضى رعى الأبقار من الأعشاب الضارة مثل أشواك المسكيت والأعشاب الثعبانية التى لا تأكلها الأبقار والواقع أن هذه الأعشاب قد غزت خلال السنوات الأخيرة أراضى المراعى فى تلك المنطقة وطغت على أعشاب رعى الأبقار . ويعتقد هؤلاء الخبراء أنه إذا ما قضت الجمال على الأعشاب الضارة التى غطت المراعى ، فإن أعشاب رعى الأبقار ستستعيد قوتها ووفرتها السابقة .

معدن من الهيدروجين المضغوط

توصل الفيزيائيون الأمريكيون ـ للمــرة الأولى ـ إلى دليل قوى ومفصل يؤكـد أن الهيدروجين عبارة عن معدن عندما يكون خاضعاً لضغوط عالية ، حيث وجدوا أن ضغطا ثابتا مساويا لـ ٢,٥ مليون مرة قوة الضغط الجوى يمكنه أن يحول الهيدروجين إلى مادة سوداء صلبة ، ويمكن لهذا البحث أن يساعد فى حل بعض مشكلات الفيزيــاء النظريــة وعلــم الكواكب .

تقنيات جديدة لصناعة الورق وحفظه

معظم الكتب التى طبعت خلال السنوات الماضية سيكون مصيرها التلاشى بسبب الحموضة الموجودة فى ورقها والتى تؤدى إلى تدميرها تدريجيا . وقد صمم عالم كندى طريقة جديدة تقوم على أساس تجفيف الكتب ثم اغراقها بمركب معين من مركبات المغنسيوم الذى يعمل على تحييد الحمض ، وهذه الطريقة لا تشكل خطرا يذكر على الحبر أو على التغليف فضلا عن أنها تساعد فى إنقاذ ملايين الكتب والصحف المهددة بالفناء بسبب ورقها الحمضى .

أصغر مقياس شخصى لسرعة الرياح

ابتكرت إحدى الشركات الفلكية الفرنسية مقياساً صغيراً لسرعة الرياح معد للاستعمال

الفردى بوضعه على سطح المنزل أو على الشرفة . وهذا الجهاز مجهز بدوارة هواء ومسبار حرارى يوضعان فى الخارج ويتصلان مع الداخل بسلك ينتهى بصندوق القراءة الذى يحول المعلومات إلى ذبذبات سريعة ويرسلها إلى لوحة التحكم حيث تدون سرعة الرياح واتجاهها ودرجة الحرارة على شاشة بلورية .

رادار يتخطى الأفق

نجح فريق من العلماء الروس فى تطوير رادار يتخطى الأفق ويصل مداه إلى أضعاف المدى الذى تغطيه الرادارات الأخرى ، حيث يرسل هذا النوع من الرادارات حزماً راديوية إلى الغلاف « الأيونى » Iono sphere (وهو طبقة من الغلاف الجوى تحتوى على ذرات مشحونة وتبعد حوالى ٧٥ كيلومترا عن سطح الأرض) تنعكس الاشارات بواسطقت ؟ طلغنغ (وهو طبقة من الغلاف الجوى تحتوى على ذرات مشحونة وتبعد حوالى ٧٥ كيلومترا عن سطح الأرض) تنعكس الاشارات بواسطة الغلاف الأيونى عبر الأفق ، وعندما تصطدم بأجسام ترتد ثانية إلى الرادار المزود بحاسوب يسمح بتسجيل شدة الغلاف الأيونى وسماكته وظروف الطقس ويحدد أنسب تردد راديوى يجب استخدامه للحصول على أفضل أداء له .

نيون متعدد الأضواء

أنتجت شركة يابانية لصناعة الأدوات الكهربائية أنابيب « نيون » متعدد الأضواء بواسطة تغيير التيار الكهربى ، حيث يولد هذا النظام خمسة تداخلات لونية فى الأنبوب «النيونى» الواحد ، ويتألف من محول ومحكام يعمل آلياً وأنابيب يستخدم فيها بخار الزئبق بدلا من غاز الأرجون التقليدى .

الورق لصناعة أقلام الرصاص

استخدمت شركة أمريكية لصناعة أقلام الرصاص الورق وألواح الكرتون المعاد معالجته فى صنع أقلام الرصاص بدلا من الخشب ، وهو ابتكار فريد فى مجال هذه الصناعة ، ويتألف قلب القلم من الجرافيت والشمع والطباشير .

الشَّوَاهِدُ النَّحْوِيَّة

بين الأدلة اللغوية والمتعة الأدبية

لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

كنا ونحن طلاب نقرأ كتب النحو ونستوعبها ، وتمر بنا الشواهد النحوية التي تدور حول القاعدة النحوية مثبتة أو مناقضة ، فلا نعيرها اهتمامًا إلا بالقدر الذى يتعلق بالقاعدة التى جاء الشاهد من أجلها ، وكان سؤال الامتحان لا يطلب منا إلا أن نذكر موطن الشاهد وسبب الاستدلال ، وكنا نستظهر ذلك استظهاراً ، ولا يحدث أن يتأمل الكثير منا فى مفهوم الشاهد ، ولا مايدعو إليه من فكر ، وما يحتوى عليه من إشارات أدبية أو فنية .

والذى أغفلنا عن ذلك أن أسئلة الامتحانات فى آخر العام لا تعنى بالنواحى الفكرية فى الشاهد ، ولا تطلب من الطلاب مثلًا الإجابة عن صاحب النص إن كان شعراً ، ولا مناسبته ، ولامفهومه ، ولا ما يتصل به من معنى طريف ، أو حكمة رائعة ، أو إشارة أدبية ممتعة ، أو غير ذلك مما ينبغى أن يكون ليخفف من جفاف القواعد النحوية ، ويلفت الأذهان إلى الصور الجميلة والمعانى الرائعة التى تحفل بها هذه الشواهد.

ولكن حين أقبلنا على قراءة كتب النحو بعد تخرجنا قرأناها بروح جديد وفكر جديد ، والتفتنا إلى هذه الشواهد الرائعة التى هى من « القرآن الكريم » أو « الحديث الشريف » أو من « عيون الشعر » ، و « الحكم والأمثال » .

ولكنه ـ والحق يقال ـ حاول بعض أساتذتنا الأفاضل وعلمائنا الأجلاء من أمثال : الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ أن يلفت أنظار الطلاب إلى أهمية الشواهد النحوية من الناحية الأدبية ، وإلى ما فيها من دلالات فكرية ، فقام بتحقيق كتب النحو المقررة على طلاب المعاهد الدينية فى الأزهر الشريف ، تحقيقاً يقوم على إلقاء الضوء على هذه الشواهد ، فيشير إلى رقم الآية من السورة إن كان الشاهد من القرآن الكريم ، ليحفز الطالب على تطلب الآية فى سياقها فيستخرج منها عبرة روحية إلى جانب دلالتها اللغوية .

وإن كان الشاهد حديثاً شريفاً خرَّجه ، وإن كان بيتاً من الشعر أشار إلى قائله ، ومناسبته ، وشرحه لغوياً وفكرياً .

وقد قام بهذه المهمة خير قيام بالنسبة لكثير من كتب النحو مثل : « قطر الندى » ، « وشذور

الذهب » ، « ومنار السالك » ، « وشرح ابن عقيل » ، وغيرها .

ولايخفى أثره الطيب الذى قام به ، والذى مازال يثير طيب الـ ، والترحم عليه جزاء ماقدم من علم نافع وجهد مشكور .

جهود الأئمة السابقين :

وقد سبق هذا العالم الجليل أئمة أجلاء قدامى : كجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ والشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى نزيل مصر سنة ١٠٩٣هـ ، وغيرهما ممن توفروا على شرح الشواهد النحوية فى كتب مستقلة ، والتعليق عليها بما حوّلها إلى كتب أدبية جديرة بالقراءة والاطلاع والاقتناء أيضاً ، للرجوع إليها طلباً للمتعة الأدبية وترويحاً للنفس والذهن من عناء الكد .

ولنتقدم إلى قرائنا الكرام بنموذج لذلك من كتاب شرح شواهد « المغنى » لجلال الدين السيوطى .. يشير إلى غزارة علم السيوطى وسعة ثقافته ، وكثرة اطلاعه .

وكتاب « المغنى » الذى نعنيه : هو كتاب : « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب فى النحو » ومؤلفه الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦٢هـ .

قال حاجى خليفة فى كتابه الحافل : « كشف الظنون » فى سبب تأليف هذا الكتاب : كان ابن هشام قد أنشأ فى سنة ٧٤٩هـ بمكة المكرمة كتاباً فى الإعراب ، فأصيب به فى منصرفه إلى مصر ، ثم لما عاد إلى الحرم بعد ذلك بسبع سنوات صنف هذا الكتاب على أحسن إحكام .

وهذا الكتاب قائم على شرح الحروف المستعملة فى النحو ، وهو حافل بالاستشهادات على هذه الاستعمالات .

وهو كتاب جليل الشأن باهر البرهان ، اشتهر فى حياة صاحبه ، وأقبل عليه الناس .. .

أما السيوطى شارحه فهو الإمام الحجة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ، صاحب المؤلفات الرائعة فى مختلف الفنون والعلوم ، ولقد ترك من المصنفات مايزيد على خمسمائة مؤلف ـ فيما يحكيه صاحب : « درة الحجال فى أسماء الرجال » .

لقد ألف السيوطى كتاباً شرح فيه شواهد « المغنى » وسماه بهذا الاسم . وأشار إلى منهجه فقال : كنت قد وضعت أولا شرحاً مبسوطاً أوردت فيه عند كل بيت القصيدة بتمامها ، واتبعتها بفوائد ولطائف يبهج الناظر حسن نظامها ، فرأيت الأمر فى ذلك يطول ، فعدلت إلى طريقة وسطى ، فأورد البيت المستشهد به ، ثم أتبعه بتسمية قائله ، وسببه ، ثم أورد من القصيدة أبياتاً أستحسنها ، إما لكونها مستشهداً بها فى مواضع أخر من الكتاب ، أو فى غيره من كتب العربية ، أو لكونها مستعذبة النظم مستحسنة المعنى لاشتمالها على حكمة أو مثل أو نادرة ، ثم أتبع ماأورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغرائب والمشكل وبيان ماتضمنته من الاستشهادات العربية ، ثم أتبع ذلك بالتعريف بقائلها وترجمته .. ثم قال : أرجو أن يكون جامعاً فى هذا الباب ، مغنياً للطلاب

عن التطلاب .

وقد رجع السيوطي في كتابه هذا إلى مراجع وكتب لا حصر لها ذكرها في مقدمة كتابه .

مثال :

ولنقدم للقارىء الكريم شاهداً يشير إلى صدق ماذكره ..

قال : أنشد ابن هشام في باب الهمزة قول الشاعر :

أفاطم مهلًا بعض هذا التدلل

ـ والشاهد في هذا الشطر أنّ من معانى الهمزة أن تكون للنداء ـ

قال السيوطى في شرحه :

هذا صدر بيت لامرىء القيس بن حجر الكندى ، من معلقته المشهورة ، وتمامه :

وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

وبعده :

وإن كنت قد ساءتك منـــي خليقـــة فسُلّــي ثيــابى من ثيــابك تنسل
أغـــرك منـــــي أن حبك قاتلى وأنك مهمـــا تأمـــرى القـــلب يفعـــل

قال : وقد استشهد المصنف من هذه المعلقة بنحو من عشرين بيتاً تأتى في محالها ، وسيأتى ذكر مطلعها في باب الفاء .

من فاطم ؟

وفاطم بالفتح منادى مرخم على لغة الانتظار ، وهى : فاطمة بنت العُبيد بن ثعلبة العذرية ..

ثم قال : عن الأصبغ بن عبد العزيز قال : سألت نصيباً الشاعر : أى بيت قالت العرب أنسب ؟

فقال : قول امرىء القيس : أفاطم مهلا ..

التعريف بامرىء القيس

قال : وامرؤ القيس هذا هو ابن حجر ـ بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة ـ ابن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار .... ثم ذكر بقية نسبه .

قال : ويكنى أبا يزيد ، ويقال : أبو وهب ، ويقال : أبو الحارث ، وبه جزم ابن دريد في « الوشاح » .

ومن الطرائف التى ذكرها حول امرىء القيس :

قال : ويقال : إن اسمه مليكة ، وكنيته أبو كبشة ، وأن أباه كان ينهاه عن قول الشعر ، ويرفع نفسه وولده عن ذلك ، وأنه سمع منه شعراً ، فأمر غلاماً له بقتله ، وأن يأتيه بعينيه .

فانطلق الغلام فاستودعه جبلا منيفا ، وعلم أن أباه سيندم على قتله ،وعمد إلى جؤذر كان عنده فنحره ، واقتلع عينيه ، فأتى بهما حُجْراً ـ حتى هم بقتل الغلام ، فقال له : أبيت اللعن ، إنى لم أقتله .

قال : أين هو ؟

قال : استودعته جبل كذا .

قال : فائتني به .

فأتاه به . فلم يقل بعدها شعراً حتى مات أبوه .

قال الأصمعي : وكان يقال لامرئ القيس : الملك الضِّلِّيل ، ولجده عمرو : الملك المقصور ، لأنه اقتصر على ملك أبيه .

ثم استطرد السيوطي إلى قصته بعد مقتل أبيه وطلبه بثأره وموته غريباً طريداً ..

قال : ومن الأقوال في اسم امرئ القيس : حندج .

وفي النسب إلى امرئ القيس : مرقسي .

وأشعر المراقسة ـ يعني الشعراء المسمين بامرئ القيس ـ ابن حُجْر ، وبعده امرؤ القيس الذائد . وهو أول من تكلم في نقد الشعر .

أشعر الشعراء

قال : واتفقوا على أن أشعر الشعراء امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى .

فامرؤ القيس من اليمن ، والنابغة وزهير من مُضَر ، والأعشى من ربيعة .

قال ـ والكلام للمرزباني الذي نقل عنه ـ : وأشعر الأربعة امرؤ القيس ، ثم النابغة ، ثم زهير ، ثم الأعشى ، ثم بعدهم جرير والفرزدق والأخطل .

ونسب إلى يونس قوله : كان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس ، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى ، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة .

وقال ابن سلام : مر لبيد بالكوفة ـ في بني نهد ـ فسألوه : من أشعر الشعراء ؟ فقال : الملك الضليل ـ قيل : ثم من ؟ قال : الغلام القتيل ـ يعني طرفة بن العبد ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل الجليل ـ يعني نفسه .

ثم استطرد السيوطي إلى ذكر امرئ القيس وموقف الإسلام منه .

فقال : أخرج ابن عساكر في « تاريخه » من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار ؛ لأنه أول من أحكم قوافيه .

قال السيوطي : وأصل الحديث في الصحيح بدون آخره . بلفظ : حامل لواء الشعر إلى النار .

وقال ابن أبي شيبة في « المصنف » : « حدثنا أبو أسامة عن أبي سرواعة عن عبادة ابن نسي قال : ذكر الشعراء عند النبي ﷺ فذكروا امرأ القيس ، فقال النبي ﷺ : مذكور في الدنيا منكور في الآخرة ، حامل لواء الشعراء إلى جهنم يوم القيامة » .

ومن الفوائد التي ذكرها

قال : المسمون بامرئ القيس غير هذا جماعة ، منهم امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة وسيأتي

الاستشهاد بشعره فى (لو) .

وامرؤ القيس بن همام بن عبيدة بن هبل بن أبى زهير بن جناب ، وكلاهما جاهلى .

وامرؤ القيس بن عمرو بن معاوية بن السمط .

وامرؤ القيس بن النعمان بن الشقيقة .

وامرؤ القيس بن عابس الكندى ـ أدرك الإسلام وله صحبة .

وامرؤ القيس بن الأصبغ الكلبى ـ صحابى أيضاً .

وامرؤ القيس بن بكر الذائد بن كندة ـ جاهلى .

وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى ـ صحابى .

وامرؤ القيس الكندى الملقب بالجشيش ـ بالجيم ، ويقال بالحاء ، ويقال بالخاء ـ له صحبة .

وامرؤ القيس بن عدى من بنى عليم ـ أسلم فى زمن عمر .

وامرؤ القيس بن جبلة السكونى .

وامرؤ القيس بن عمرو السكونى .

وامرؤ القيس بن بحر الزهيرى .

وامرؤ القيس بن كلام بن رزام العقلى .

وامرؤ القيس بن مالك الحميرى .

فانظر إلى هذا الاستقصاء الذى يدل على دراية وعلم .

طبقات الشعراء :

قال السيوطى ـ قال الجاحظ : كان الشاعر من العرب يمكث فى القصيدة الحول ، ويسمون تلك القصائد الحوليات ، والمنقحات ، والمحكمات . يصير قائلها فحلاً خنذيذا ، وشاعراً مفلقا .

قال : وفى بيوت الشعراء الأوابد ، والأمثال ، ومنها الشواهد والشوارد .

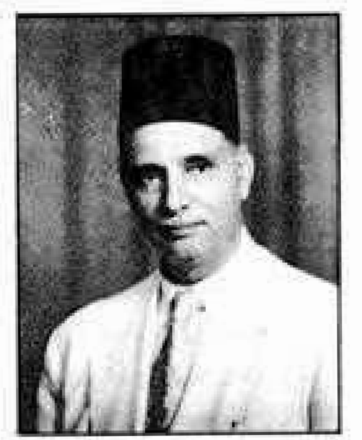
والشعراء عندهم أربع طبقات : أولهم الفحل الخنذيذ وهو التام ، ودون الخنذيذ الشاعر المفلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور .

هذا الاستطراد الذى اختصرناه حول شطر بيت ذكره ابن هشام فى المغنى ، يدل على غزارة علم السيوطى ، وكثرة مادته ، وسعة ثقافته .

وإن دراسة الشواهد بهذه الصورة يخرج بالقارىء إلى دائرة معارف واسعة تنمى عقله ، وتثرى ثقافته ، وتربى موهبته ، وتوقظ ملكته ، وتخرج به من تلك الدائرة الضيقة المحدودة ، دائرة الاستشهاد النحوى إلى محيط واسع لاحد له من المعارف الأدبية التى ترضى الذوق والوجدان ، وتملأ النفس بهجة وانشراحاً ..

وأرجو أن يكون لنا لقاء آخر مع البغدادى وكتابه الممتع « خزانة الأدب فى شرح شواهد الرضى » .

وبالله التوفيق .



أدب الرحلة

في تراث الدكتور عبد الوهاب عزام

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

أدب الرحلة أصيل في الآداب العالمية ، وله سماته وخصائصه المتميزة .. وقد حفل التاريخ الأدبي بأسماء الكثير من أعلام هذا الأدب ورواده ، الذين قاموا برحلات متعددة خارج ديارهم ، وطافوا فيها بأنحاء شتى من العالم .. من أمثال الرحالة العرب ابن بطوطة ، وابن جبير الأندلسي ، ومن الغرب : كريستوفر كولومبس وماركو بولو وغيرهم .

وللعلامة (الإدريسي) كتاب مشهور يحمل عنوان : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وهو من أهم كتب الرحلات .

ولسنا في معرض الحديث ، بإفاضة ، عن أدب الرحلة اليوم . ولذا نقتصر على ذكر إسهام بعض كبار أدبائنا المعاصرين بمؤلفات لهم في هذا الأدب . فللدكتور هيكل : (ولدى) و (في منزل الوحي) ، وللمازني : (رحلة الحجاز) وللدكتور زكي مبارك : (ذكريات بغداد) و (ذكريات باريس) ، وللدكتور حسين فوزي : (السندباد البحري) ، وللدكتور عبد الوهاب عزام : (رحلات عبد الوهاب عزام).

هذا ؛ وينفرد الأستاذ العقاد برأى مخالف في (أدب الرحلة) ، حين يقول :

« أعتقد أن ملكة الرحلة غالبة على الرحالين وغير الرحالين ، ولكنها تظهر في صور كثيرة ، غير صورة الرحلة الخارجية ، ومنها الرحلة إلى داخل النفس ، أو في عالم الخيال ... والظاهر - لا ، بل المحقق - إنني أنا أحد الرحالين بغير انتقال .. ومع هذا ، يحلو لى أن أقول : إنني طفت العالم من مكاني الذى لا أبرحه ؛ لأنني رأيت من هذا المكان ما لايراه الرحالة المتنقلون » .

ولعل العقاد ، فى قوله هذا ، يحاول أن يبرز إيثاره للعزلة والانفراد ـ مع أقلامه وأوراقه ـ على القيام برحلات للعالم الخارجى ، فمن قرأ ، ليس كمن رأى وسمع ، والفعل ، ومزج كل شىء حوله ، بمشاعره وتأملاته وخواطره ..

ومن هذا المنطلق ، نحاول أن نلج إلى العالم الرحيب ، للدكتور عبد الوهاب عزام ، وفى رحلاته ، بعد أن تمحّص للخير والحق والجمال ، بالمعنى السماوى السامى ، للجمال والجلال ..

* * *

يقول الدكتور عزام بمستهل كتابه (رحلات عبد الوهاب عزام) : « بدأت أسفارى فى البلاد الإسلامية ... من سنة ١٣٥٨ للهجرة ، إذ سافرت إلى اسطنبول ١٩٣٩ ، وتتابعت الأسفار من بعد ، فسافرت إلى الشام بعد سنة ، وإلى العراق السنة التالية ، ثم سافرت إلى إيران ١٩٣٤ ؛ للمشاركة فى حفلات الفردوسى ، وإلى العراق السنة التالية ، فأقمت فيها سبعة أشهر ، ثم عاودت السفر إلى تركيا ١٩٣٧ ، وجُلْتُ فى أرجاء الأناضول .. وكان طريق الذهاب والإياب إلى الشام ، فلبثْتُ فيها قليلا ، كما حرصت على المرور بها ، فى كل أسفارى : إلى العراق وإيران .

وشرُفْتُ بالسفر إلى الحجاز عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) ، وعدت إلى العراق فى العام نفسه ، للمشاركة فى تأبين الملك غازى رحمه الله .

« أما أسفارى إلى أوربا ، فقد تكررت بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٧ ، ثم كانت سفرتى إلى بروكسل ـ لحضور مؤتمر المستشرقين ـ صيف عام ١٩٣٨م » .

* * *

حرص عزام على تدوين تفاصيل أسفاره ، وانطباعاته وانفعالاته فى أسفاره الشرقية ، بصفة خاصة ، بدقة الوصف وبلاغة التعبير ، مع التعريف بالبلاد الإسلامية وآثارها ـ والمُقدَّسة منها بصفة أخصّ ـ وأحوالها عامة ، وما مرت به من انتصارات وانكسارات .. خُذْ مثلًا قوله فى وصف أحاسيسه ومشاعره ، بعد أن صار قاب قوسين أو أدنى من دمشق : « .... وغربت الشمس ، وأظلم الأفق .. فلاح على بُعْد نور دمشق ، ثم دخلناها ، والنفس مقسمة بين عين تجهد لترى دمشق ، وقلب يخفق لرؤية دمشق ، وفكر يبحث فى ثنايا التاريخ عن دمشق وحظّها من غِيَر الزمان .. وها هو ذا بَرَدَى ، حقيقة لا خيالا ...»(١) .

وهكذا نرى أن الدكتور عزام لم يكن يعمد فى تدوين خواطره ، أثناء رحلاته ، على مجرد السرد السطحى ، بل كان يغوص إلى الأعماق والأغوار ، حيث تمتزج المشاهد بوجدانه ، فيصوغها بلواعجه واختلاجاته .. ولأن الشعر ـ كما يقول سومرست موم ـ يُعدُّ من الآداب جميعها ـ قمتها الباهرة ، وتاجها المتلألىء .. لأنه منها بمثابة الهدف والغاية ، فهو أسمى مايرق إليه

---

(١) رحلات عبد الوهاب عزام ص ١٢ طبعة ١٩٥٠م .

الذهن البشرى ، من ضروب الإبداع .. هذا كله ، عمد عزام إلى سكب خواطره وانفعالاته ، فى عيون قصائده أثناء رحلاته ومن ذلك قوله فى قصيدته عن (دمشق) ، بدفقة شعورية حارة :

هذى دمشق فحلّ القلبَ عثارُ طالت على القلب أشواق وأسفار
حُطَّ الرحال ، فهذا جهــرةً : بَرَدى وذى دمشق هناك الأهل والدار
وَرَدْتُ (جِلِّق) مُلتاعا .. ومُغتبطا تطفو بنفسى آمالٌ وأفكار
دمشق مجمع الأغصار قد زخرت فيها .. كما اندفقت فى البحر .. أنهارُ
وكان مجلسنا أيكًا على بَرَدى تجاوبت فيه أفنان وأطيار

وفى خضم رحلاته ، نراه يقول عن العرب والعروبة :

« ذاك ماض مجيد ، يجد حاضرًا مجيداً » .

وذاك تاريخ يتدفق من قمم المجد الشاهقة ، فى مجرى العزمات الماضية ، إلى المستقبل الوضاء ..

ومن ذا يصدُّ السيل إذا هدر ، أو من ذا يرد على الله القدر ..؟

بل مَن يُسَلْسِل البحر بأمواجه ، أو يردُّ الحُرَّ عن منهاجه ؟

دار السلام لأعدائك المجدُ
وارفة ظلاله .. ممتدُّ
ولا حدا نجمك إلا السعدُ
موصولة الآجال ، بالأجيال

وأريد هنا أن أقف قليلًا ، أمام البيت الثانى من قصيدته (الدمشقية) ، الذى يقول فيه :

حُطَّ الرحال ، فهذا ــ جهرةً ــ بَرَدى وذى دمشق .. هناك الأهل والدار

ففى هذا البيت الفريد ، جُماع خصائص وأفانين أدب الرحلة ، ومُعطياته ، وتميزه فى تقديرى ؛ فرؤية الدكتور لنهر بَرَدَى : جهرةً ، هو الذى أَوْحى له بهذه الفلتة الشعورية العميقة ، بعد أن تحقق الأمل الذى كان يهفو له ، بتوق ووَجْد ، يتمثلان فى قوله ، قبيل وصوله إلى دمشق :

« وكان القلب يخفق كلما سألنا السائق ، فأخبر أن المدينة قد اقتربت .. » .

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رَدِّه تعليلُ ، كما يقول المتنبى ..

فرحلته تلك لم تكن لمجرد النزهة ، أو الترفيه عن النفس ، أو محاولة الهروب من شىء يرغب فى نسيانه ، والبُعد عن مواطن التذكير به .. بل كانت هذه الرحلة ليرى خلالها بلداً عزيزاً عليه ، يحرص على رؤيته رأى العين ، عن كثب ، ليعيش فيه مع عزيز الذكريات .. وهكذا يرتفع الدكتور عزام ، برحلته تلك ، فوق إيقاع الحياة العادية ، ويُشبع توقه إلى الاستزادة من العلم والمعرفة ، بطريقة عملية واقعية ..

والانتقال من مواطن إلى آخر ، فى العالم الذى نعيش فيه يُعطى للرحّالة بهجة تفوق بكثير ما يمكن أن يحصل عليه من معلومات وأوصاف عن البلاد والأماكن الأثرية ، والرحاب المقدسة .. مهما وصف الواصفون ، وأبدع المصورون .

فكل منا ، على سبيل المثال ، يرى الوردة فى صورة تكاد تنطق بالجمال والروعة ، ولكنه ـ مهما أمعن النظر لها ـ فلن يتسلل منها ، إلى حاسة الشم لديه ، أى قدر من رفيف الوردة فى بستانها ، وهى تُفعم ما حولها ، بعبيرها وشذاها .

وكذلك قد نشاهد فى صور بديعة ، مساقط المياه والشلالات ، فى لوحات نادرة خالدة ، ولكن يبقى ماعجزت هذه الصور عن توصيله إلى أسماعنا ، من هدير وخرير ، وجيشان .. وحياة .

وقد نرى صورة رائعة لفراشة تستقر فوق أوراق زهرة ، ولكن الصورة لن تُغنى عن الأصل ، والأروع للفراشة .. وهى تلتف وتتحرك مزهوة فوق الزهرة ، وكأنهما معاً ـ الفراشة والزهرة ـ تتباريان فى منافسة ، أمام العين ، وتريد كل منهما أن تظهر أنها الأجمل ، فى التحبير والزركشة والبهاء .

ومهما يكن من أمر ، فلعل الدكتور عزام ـ برحلاته ـ لم يكن يقنع بصحبة أصدقائه ، فى وطنه فحسب ، لطموحه إلى صداقات الرجال ـ والأعلام منهم بصفة خاصة[٢] ـ فى كل صقع من أصقاع الأمة الإسلامية ـ للترابط والتضافر ، ولاسترجاع المجد الغابر ، بالتعارف وتبادل الآراء واكتساب الخبرات وترشيد المسار وتقويمه ..

بل لعل الدكتور عزام ، كان يهدف إلى التجديد والتحليق فى شتى الآفاق ، وإدمان التفكير ـ فى عزلة بعيدة فيما مضى ، لتطوير وتشذيب ماهو آت ، وتحسينه ، بعد ازدياد النضج والبحث المُتاح ، فى شتى المصادر ، والنأى ـ ما أمكن ـ عن كل ما هو مألوف ومعروف فى مكان واحد ، يُحاصر الأعمار ، ويحدُّ من الطموح والقدرات والوثبات .. ولله در الإمام الشافعى حين يقول :

سأضرب فى طول البلاد وعرضها	**أنال مُرادى ، أو أمـوت غريبا**
فإنْ تلِفتْ نفسى ، فللـه درُّهـا	**وإن سلمتْ .. كان الرجوع قريبا**

وقوله المشهور فى تفصيل ما أوجزه هذان البيتان :

سافـر تجد عوضاً عمـن تفارقـه	وانصب .. فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقـوف الماء يفسده	إن سال طاب .. وإن لم يجر .. لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب .. ما افترست	والسهم لولا فراق القوس .. لم يُصب
والتِّبر كالتُّرب .. ملقى فى أماكنه	والعـود فى أرضه .. نوعٌ من الحطب
فإن تغـرَّب هذا .. عزَّ مطلبـه	وإن تغـرب ذاك .. عز .. كالذهب

---

(٢) وهذا هو الذى عناه الأستاذ عبد المنعم خلاف ، أن يقول فى رثائه « عزام » : إنه كان قلب العرب والعروبة ، والحركة والقصد ، فكانت داره دارهم ، ومرآته مرآتهم ... وترجمان التعارف والأخوة بينهم ، كأنه صلة الوصل الموحشة فيهم ... والفكرة والعقيدة الموحدة لهم ، فى زمن أصبح المسلمون فيه دار الأقوام : من النعرات القومية ، والوثنية الإقليمية ، والمنافرات الشعوبية .

كان يصل الصلات المقطوعة بين أرض العروبة ، ويوقظ الغافلين ، ويعلم الراغبين ، ويأخذ نفسه وإخوانه من الفرقة والأخوة ، لم يُعطه لأمته : دروساً ومقالات ، وخطباً ، وقصائد... » .





عرض وتقديم/ أحمد عبد الهادي الأبيض

يقع الكتاب في ١٣٤ صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على تقديم ، وتمهيد ، وفصلين ، ثم خلاصة له .

في المقدمة يتحدث المؤلف عن خيرية الأمة الإسلامية وتميزها وقوامها وكيانها وخلودها، مبيناً أن ذلك منوط بقيامها بالحق والدعوة إليه والدفاع عنه . حيث لم يرض الله لها . وهي الأمة الخاتمة أن تكون صالحة في ذاتها لذاتها ، بل لابد أن تكون صالحة في ذاتها مصلحة لغيرها ، مضحية في سبيل تمكين الحق والدفاع عنه .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

آل عمران الآية ١١٠

وخيرية الأمة نابعة من تحرير علاقة الإنسان بالله ، ـ تعالى ـ والإنسان والسلطة ، فعلاقة المسلم بربه علاقة عبودية ، وعلاقته بالسلطة علاقة مساواة ، وهو الدرس الذى فهمه ووضحه الخليفة الأول فى الإسلام أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بقوله «وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأطيعونى ، وإن أسأت فقوموني ، أطيعونى ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» والإسلام لم يكتف بإباحة عملية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنما أوجبها ، وإنما تكون ألزم بالحاكم المسلم ، وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قائماً على هذه الفكرة حفياً بها وملتفاً حولها .

والأمة الإسلامية تعتمد على تقويم سلوكها على هدايات الوحى وأخذ العبرة واستنباط العلل والظواهر التى حكمت السقوط والنهوض الحضارى حتى تأخذ حذرها .

ومانتعرض له الأمة الإسلامية فى هذه الأيام من هزيمة نفسية وتراجع يرجع إلى تهميش الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وأصبح القائم على الحق غريبا ومستغربا ومتشددا ومتطرفا وأصوليا .. الخ .. هذه المصطلحات التى لاعلاقة لها بنا ولعل هذا هو أخطر مانتعرض له الأمة .

والأمة الإسلامية تدرك أهمية «حسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» فهى قائمة وإن تضافرت ضدها الجهود لأنها مستمدة من الوحى الألهى الثابت المحفوظ ، ولكن مايخشى عليه هو أن يتحول المسلم من منتج إلى مستهلك فتتسلط عليه الأمم لتعوق نهوضه وتقدمه ، لذا يرى الكاتب .

أن حسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تعنى امتداد مرحلة الروح وفاعلية الفكرة واستمرارها وتجديدها وعدم انقطاعها ، فقد تضعف الأمة زمناً ، لكن روحها الإسلامية تظل آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ، وفى هذا حياتها من جديد .

تمهيد :

وفى التمهيد يوضح الكاتب أن «تغيير المنكر» مهمة عظيمة والقيام بها يحتاج إلى الفقه والحكمة ، ومن ثم كان «تغيير المنكر» غاية ووسيلة فى ضوء الكتاب والسنة ، المسلم لايسلم بشىء أو يرده إلا بعد عرضه على القرآن الكريم والسنة النبوية فما كان متفقا معهما أخذه والتزم به ، وما خالفهما تركه .

الفصل الأول : التغيير ضرورة وغاية .

يرى المؤلف أن منهج الإسلام فى بناء المسلم يكون عقيدة وسلوكا : لايرمى من وراء ذلك أن يجعل المسلم صالحا فى نفسه فقط . بل يجعله صالحا فى نفسه مصلحا لغيره ، يقول تعالى

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

سورة التوبة

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» .

(أحمد ٦/٤٣٢)

ويقول الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

« آل عمران آية ١١٠ »

الفصل الثانى : التغيير وسيلة ومنهاجا

فى هذا الفصل يبين الكاتب أن وجود المنكر فى المجتمع أمر طبيعى لايخلو منه أى مجتمع فى أى حقبة من حقب التاريخ ، ولكن ليس من الطبيعى أن يرى أبناء المجتمع المنكر فلا يسعون لتغييره ، لأن فى التغيير حياة للأمة على النحو الذى يحبه الله ويرضاه ، وتغيير المنكر يُبقى الأمة على المحجة البيضاء .

يقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم ٦٩/١ والترمذى والنسائى وغيرهم .

مفهوم المنكر :

المنكر ماخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مخالفة قاطعة فكل ما أنكره الشرع يجب تغييره ، وهو ماظهر ووقع ، أما ماخفى ولم يطلع عليه أحد كالذى يقترفه بعض الناس سرا فلا يفتش عنه لقول رسول الله ﷺ : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته » (سنن أبى داود فى الأدب باب الغيبة) .

وحقيقة التغيير : استبدال شىء مرغوب فيه بشىء غير مرغوب فيه .

ضرورة تغيير المنكر :

يشبه الرسول ـ ﷺ ـ القائم على حدود الله والواقع فيها بحال راكبى سفينة فعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وماأرادوا هلكوا جميعا ، وإن يأخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا (البخارى ـ الشركة يقرع فى القسمة) وذلك بيان واضح فى نوع التغيير المطلوب ، ولكن حينما يكون فى ذلك خروجا على حدود الله أو تجاوزا فى استعمال الحق ، فإن الإسلام يضع القيود التى تصحح ذلك ، فعن سمرة بن جندب أنه كانت له عضد من نخلة فى حائط رجل من الأنصار ، ـ قال ومع الرجل أهله ـ قال : فكان سمرة يدخل إلى نخلته فيتأذى به ويشق عليه ، فطلب إليه أن يبيعه ، فأبى فطلب إليه أن يناقله فأبى ، فأتى النبى ـ ﷺ ـ فذكر ذلك له ، فطلب إليه النبى ـ ﷺ ـ أن يبيعه فأبى ، فطلب إليه أن يناقله ، فأبى ، قال : فهبه له ، ولك كذا وكذا ـ أمرا رغبه فيه ـ فأبى فقال : «أنت مضار» فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للأنصارى : اذهب فاقلع نخله .

(أخرجه أبو داود ـ الأقضية ـ أبواب من القضاء) .

ويرى الكاتب فى شروط التغيير أن يكون إيمانا واحتسابا وابتغاء مرضاة الله وبالحكمة وبالموعظة الحسنة وإخلاص النية وموافقة الشرع .

أما القائم بالتغيير فلابد أن يكون مسلما ، بالغا عاقلا ، غير مرتكب للمنكر ، عملا بقول الله تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

البقرة ـ ٤٤

والواقع فى المنكر لايشترط فيه التكليف فالصبى ممنوع من إتلاف ماله ونفسه ، ووسائل التغيير : اليد واللسان والقلب ، ومراتب التغيير : الحكمة والموعظة الحسنة ، ثم ينتقل إلى ماهو أشد كالأعراض وإظهار التجهم .

التغيير باليد :

يكون لمن له ولاية خاصة كالأب على أولاده ، أو من له ولاية عامة كالحاكم .. يقول رسول الله ـ ﷺ ـ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته .. (البخارى ومسلم) .

وإن كان الواقع فى المنكر صاحب الولاية العامة كالحاكم ، فالعلماء مطالبون بتقديم النصح له وتوضيح خطأه .

والتغيير باللسان :

يكون بالتعليم والنصح والدعوة إلى الخير بالحسنى وهذا يختلف من شخص إلى شخص ، فالحاكم ومن مثله من أصحاب الولاية ـ الخاصة أو العامة ـ وكذا العلماء لا يحتاجون إلى إذن خاص فى التغيير ، أما غير هؤلاء فلابد من إذن حتى لا يحدث الانتشار للفوضى والتنافر بين أفراد المجتمع .

التغيير بالقلب :

يكون بالإعراض عن المنكر وأصحابه والاعتصام عن الاختلاط بالواقع فى المنكر ، واحتقاره مادام على حاله ، ولا سيما إذا كان مجاهراً بالمنكر .

وهذا أمر يسير لايعجز عنه أحد أبدا وبه يفسر (أضعف الإيمان) أى أيسر ، فمن عجز عن التكليف بالأعلى « التغيير باليد أو باللسان » ، وقام بالتكليف الأدنى « التغيير بالقلب » لا يُسمى ولايوصف بأنه ضعيف الإيمان ؛ لأنه أتى بما هو أيسر له فهو أضعف اجرا ، وإذا عجز المسلم عن تغيير المنكر باليد أو اللسان ووجد الصبر على ذلك أولى وأصلح له ولأمته فعليه بالصبر والتغيير بالقلب واللجوء إلى الله ـ عز وجل ـ بتخليص الأمة من المنكر والواقعين فيه .



عرض وتقديم الأستاذ
عادل قاسم خفاجة

تقع جمهورية الشيشان في الشمال الشرقي من القوقاز، وتبلغ مساحاتها ١٣،٣٠٠ كم٢ وعدد سكانها ـ حسب إحصاء ١٩٩١ ـ ١،٤٥٠،٠٠٠ نسمة، والبلاد المجاورة لها والمحيطة بها هي: «داغستان» في الشمال وفي الشرق، و«جمهورية الأنجوش» و«أوسيتيا» الشمالية في الغرب، و«جورجيا» في الجنوب[1]. و«الشيشانيون من الشعوب القديمة التي سكنت القوقاز منذ آلاف السنين، ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز، ويمتاز الشيشانيون بطول القامة، والنحافة، وقوة البنية والوسامة، ويتمتعون ببديهة حاضرة وشجاعة نادرة، وكان كرم الضيافة ولازال واجباً يتمسكون به، وسلوكياتهم تتسم بالشرف إلى درجة لم تعرف لدى الشعوب المتمدنة[2]» والشيشانيون مسلمون سنيون يتبعون المذهب الشافعي.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ تمت انتخابات برلمانية جديدة كما تم انتخاب رئيس للجمهورية بوجود مراقبين من جمهوريات (لتفيا) و(روسيا) و(الدانمارك)، وفاز الجنرال (داوديف) بمنصب الرئاسة بنسبة ٨٠٪ وأقسم اليمين القانونية في ١٩٩١/١١/٢م.

وعلى إثر ذلك قام الرئيس الروسي (يلتسن) بإنزال ألفين من قوات أمن وزارة الداخلية في أراضي (الشيشان) في ١٩٩١/١١/٨م لينفجر بذلك الأزمة الشيشانية.

من هنا كان اختيارنا لكتاب «أزمة الشيشان والخطر المحدق بمسلمي آسيا» للواء أ. ح. د. فوزي محمد طايل..

---

(١) د/ محمد حرب: معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية ـ مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٥ هـ ص ١٠٧٥.

(٢) مصطفى كسبة: الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين ملحق مجلة الأزهر العدد ذي القعدة ١٤١٥هـ.

المؤلف :

مؤلف هذا الكتاب هو اللواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر العسكرية . تخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٦٠ وكلية حقوق القاهرة سنة ١٩٧٨ ، وحصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٦ وعلى درجة الزمالة بكلية الدفاع (أكاديمية ناصر العسكرية العليا) سنة ١٩٨٧ من مؤلفاته :

- أهداف ومجالات السلطة فى الدولة الإسلامية .
- النظام السياسى فى اسرائيل .
- البوسنة والهرسك أندلس جديدة فى أوروبا .
- آثار حرب الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا .
- آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية .
- ثقافتنا فى إطار النظام العالمى الجديد .
- وهذا الكتاب الذى نعرض له .
- أزمة شيشان والخطر المحدق بمسلمى آسيا .

وله ترجمات منها :

- البعد الإسلامى فى حرب الخليج (عن الفرنسية) .
- الجواسيس غير الكاملين ـ تاريخ مجتمع الاستخبارات الإسرائيلى (عن الإنجليزية) .

بالإضافة إلى العديد من المقالات فى الصحف والمجلات .

الكتاب :

يقع الكتاب فى سبع وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، وقد صدر عن مركز الإعلام العربى ، ويُعد استكمالاً لبحث سابق للمؤلف بعنوان « آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية » الذى تقدمت دراسة عنه بمجلة الأزهر ـ شهر صفر ١٤١٥هـ .

وهذا الكتاب عن أزمة الشيشان يعد بمثابة متابعة لبحثه هذا السابق ومكملا له .

قسم المؤلف كتابة إلى مقدمة ومبحثين :

الأول : التدخل والتنافس الدولى فى الجمهوريات والأقاليم الإسلامية بالاتحاد السوفيتى (السابق) .

والثانى : أزمة شيشيا

تناول المؤلف فى المبحث الأول الظروف الدولية التى نشأت عن تفكك الرابطة الاتحادية السوفيتية ، وعلاقة هذا بكل من العلو الصهيونى العالمى ، وتزايد الرغبة فى استعادة مجد الأمة الإسلامية ؛ فقدم ملاحظات عدة جوهرية بين يدى بحثه ، ولعل أهم تلك الملاحظات قوله :

● برغم أن اسرائيل دولة غربية إلا أننا نلاحظ قدراً من التنسيق بينها وبين الغرب بصفة عامة ، وأمريكا بصفة خاصة فى نفس الوقت الذى يصدق فيه عليهم جميعاً قول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾
الحشر / ١٤

فلكل منهم أهدافه التى يسعى لتحقيقها .. وهم جميعاً يركبون سفينة النظام العالمى الجديد التى يقودها النظام الصهيونى العالمى .

ويحلل الكاتب الأوضاع العالمية على النحو التالى :

● أوروبا الغربية فى حالة قد تؤدى بها إلى التوحد أو إلى فوضى عارمة .

● الأمم المتحدة قد تحولت إلى منتدى يسير أعضاؤه على مقتضى تعليمات من الولايات المتحدة

الأمريكية .. أو بقول أدق .. من الصهيونية العالمية .

● إسرائيل توشك أن تفرض هيمنتها على الشرق الأوسط الذى أصبح يضم - بالمفهوم الصهيونى - الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتى (سابقاً) .

● هناك تحالف غير مقدس بين الصهيونية العالمية والصليبية الغربية لضرب الإسلام ضربات حاسمة فى المجالات الاقتصادية والثقافية والبشرية والسياسية ، فضلاً عن انتزاع أحد مقدساته (المسجد الأقصى) .

ثم هو يدلف بعد ذلك - فى شىء من التفصيل - إلى الظروف التى يجرى فى ظلها التدخل والتنافس ، فيذكر منها :

١ - تفكك الرابطة الاتحادية السوفيتية ، وأسباب هذا التفكك الذى لم يأت نتيجة حرب نووية أو تقليدية أو حتى حرب أهلية بل جاء بطريقة قانونية هادئة فيما سمى باتفاقية « مينسك » Minsk (عاصمة روسيا البيضاء) .

٢ - تمزق الأمة الإسلامية :

إذ لازالت الرغبة فى النهضة واستعادة المجد الإسلامى مستقرة فى القاعدة الشعبية لاتلقى التأييد أو الترحيب من جل القيادات السياسية فى الأمة الإسلامية ؛ لذا تجد هذه الرغبة صعوبة واضحة فى الانتقال إلى مرحلة النهضة والتأثير الحقيقى فى مجريات الأمور ؛ بل هى مازالت قاصرة - حتى الآن - عن دفع العدوان الذى يحيق بها من كل جانب : فى البوسنه وفلسطين والعراق والخليج والقرن الإفريقى والقوقاز وآسيا الوسطى .

فأدى ذلك إلى تعرض معظم أراضى الأمة الإسلامية للاحتلال فى شكله الجديد (الاحتلال المهذب) .

٣ - محاولة فرض النظام العالمى الجديد :

وذلك كى تحقق الولايات المتحدة قيادتها لهذا الكوكب الأرضى من خلال محورين :

الأول : فتح الأسواق العالمية أمام المنتجات والشركات الأمريكية كى تحوز أمريكا لنفسها القوة التصديرية العالمية العظمى .

الثانى : حمل العالم كله على السير وفقا للقيم الأمريكية (بالولايات المتحدة) .

ثم يتناول طبيعة الصراع ، والتحالف الأمريكى - الأوروبى - الإسرائيلى الذى يسعى إلى هدم روسيا الاتحادية استكمالا لعملية تفكيك الاتحاد السوفيتى ، والوصول بـ (روسيا الاتحادية) إلى جعلها دولة حارسة تسيطر على الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز والقرم لصالح الغرب اقتصاديا وثقافيا ، وتحول دون أن يملأ الإسلام الفراغ العقائدى و (الأيديولوجى) الذى خلفه انهيار الماركسية .

ثم ينهى هذا الجزء الأول من الكتاب بأن شعوب الأقاليم والجمهوريات الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى فى حاجة إلى دعم ثقافى مركز ، ودعم مادى يسير فى قنوات آمنة ، وإن العمل على عودة هذه البلاد إلى أمتها هو نوع من الإعداد وابتغاء القوة التى أمرنا الله تعالى بها .

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

الأنفال/ ٦٠

وفى القسم الثانى من الكتاب الذى خصصه المؤلف للحديث عن شيشينيا يوضح عدة نقاط هى :

١ ـ لماذا شيشينيا ؟

٢ ـ لماذا الآن ؟

٣ ـ الأطراف الظاهرة للأزمة الشيشانية ومحركوها الحقيقيون .

٤ ـ احتمالات تطوير أزمة شيشينيا .

وبعد عرض مستفيض يخلص المؤلف إلى أن هذه أزمة قد اصطنعت فى (شيشينيا) بالذات لأسباب عقدية ثقافية ـ جيوستراتيجية فى آن واحد ، وأن الأزمة تدخل فى إطار إدارة الصراع الدولى ؛ لاستكمال إقامة مايسمى بالنظام العالمى الجديد .

وفى إجابته عن « لماذا الآن » ، استعرض المؤلف خمسة أبعاد هى : البعد السياسى (داخليا وخارجيا) ـ البعد الاقتصادى ـ البعد الزمنى ـ البعد المناخى ، ثم البعد العسكرى .

وبعد الكلام عن طرفى الأزمة الظاهرين وهما : (جمهورية شيشينيا ، وجمهورية روسيا الاتحادية) يوضح الأطراف الضالعة فى هذه الأزمة .

● فيؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت غطرسة وجهل القيادة الروسية ؛ لتدفع بها إلى أزمة ثم تتولى الولايات المتحدة معالجتها فى مرحلة لاحقة بما يحقق لها التدخل الكامل فى منطقة القوقاز .

● أما الاتحاد الأوروبى فيحبذ قيام حرب طويلة المدى فى القوقاز بين الروس والمسلمين ، يمكنهم من خلالها :

أ ـ التدخل العسكرى وغير العسكرى هناك .

ب ـ التخلص من التزامهم بتقديم العون الاقتصادى الذى تعهدوا به .

جـ ـ أن ينجح الشيشان فى الانفصال عن روسيا ليصبح هذا بمثابة سابقة تؤدى إلى تفكك الاتحاد الروسى .

● ثم يلقى المؤلف بالائمة على الأمة الإسلامية ويجعلها ثالثة الأطراف الضالعة فى هذه الأزمة ، فهى مازالت فى غفلة من أمرها ؛ حيث اكتفت (منظمة المؤتمر الإسلامى) ـ بعد مرور أسبوعين ـ على بدء اقتحام القوات الروسية لجمهورية شيشينيا ـ بمناشدة المجتمع الدولى بأن يمارس نفوذه السياسى لوضع حد للنزاع وتسوية الأزمة .

● أما إسرائيل فهو يرى أنها استغلت هذه الظروف لإعادة ترتيب الأوضاع واستكمال تهويد القدس .

● أما الأمم المتحدة فإنها تدعو بصوت خفيض إلى سحق الشيشان بتأييدها وحدة روسيا .

وخلاصة القول : أن (السلاف) وجدوا أنفسهم يقومون بقتال المسلمين ـ سواء أرادوا ذلك أو دفعوا إليه ـ بالوكالة عن النظام الصهيونى الصليبى فى أمريكا وأوروبا .

أما عن احتمالات تطور أزمة شيشينيا فيقول المؤلف بعد عرض سريع لاستراتيجية تعامل الغرب مع روسيا فى المرحلة القادمة والتى تعتمد على إثارة الحروب من النوع منخفض المستوى أو الحروب الصغيرة (Minor Wars) يقول :

وجماع هذا كله أن أزمة شيشينيا تعد بمثابة بداية الانهيار الوشيك للاتحاد الروسى ، الذى لن يقوى اقتصاديا ولا اجتماعيا على مواصلة التورط فى

أزمة قد تستمر عدة أسابيع[3] ، وربما عدة أشهر وغالب ظنى أنها ستستمر عدة سنوات حتى يتفكك الاتحاد الروسي ، ويعود الشيشانيون إلى بلادهم .

فإذا ما انهار الاتحاد الروسي فإن المواجهة ستكون مباشرة بين الأمة الإسلامية وبين التحالف الصهيوني ـ الصليبي الغربي .

ثم يختم المؤلف كتابه بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

المائدة الآية ٥٤

ويرجو أن يكون هؤلاء القوم هم شعوب الترك ومسلمو أوروبا ، ومن أخلص الإيمان لله تعالى من غيرهم .

ويقدم للمسلمين نصيحة متمثلة فى قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾

المائدة الآية ٥٧

وبعد ، فالكتاب يعد من الكتب التى تضع المواطن وجها لوجه أما المعلومات الجادة ليكون له منها موقف مصيب ، وقد ساق له المعلومات فى إطار من بساطة التناول وسهولة العرض ، فجمع إلى جانب البعد الأكاديمى بعدا جماهيريا هاما .

(٣) قدم هذا البحث فى يناير ١٩٩٥ م ـ فى ندوة حول أزمة شيشينا ـ بجامعة الأزهر .



إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

أليست المجلة علامة بارزة فى هذا الاتجاه؟....

تلقى الباب من الأستاذ / يحيى السيد النجار - من دمياط - اقتراحاً بتخصيص باب ثابت بعنوان « اعرف عدوك » هدفه إعطاء الواقع حقه بما يتطلبه منا كتاب الله الكريم وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو اقتراح طيب أعتقد أنه يستحق هذه الوقفة :

فالحق أنه كثيراً ما تنشر « مجلة الأزهر » فى مادتها - بالمقالة والخبر والتقرير - ما يبصر المسلمين بأعدائهم ويكشف لهم عن خططهم وأساليبهم ليأخذوا حذرهم .

لكنه قد راعها أولئك الذين يتاجرون بالإسلام - من بنى جلدته - يشوهون صورته حينا ، ويعلنون حينا آخر - فى وقاحة - معاداتهم له ولقيمه وتعاليمه .

من هنا كان واجب « مجلة الأزهر » فى مناوئة هذه التيارات المنحرفة تبصيرا لأمتنا ، وتحصينا لشبابنا من زيف الشعارات البراقة التى يروجها أعداؤه .

ومجلة الأزهر إنما تسهم بهذا الدور موصلا برؤية العلماء وقادة العمل الإسلامى ؛ حتى تظل قائمة برسالتها التى صدرت من أجلها عام ١٣٤٩ هـ - منذ أكثر من خمسة وستين عاما - ، وهى أن تكون « الحارس الأمين على تعاليم الإسلام من أعداء الإسلام » تلك الرسالة التى لا تزال « مجلة الأزهر » - بفضل من الله تعالى - تفرض وجودها بها على الساحة الفكرية والثقافية فى مصر والعالم الإسلامى ، ويتزايد عليها الطلب من أجله .

ومن ثم نرى أن تخصيص باب ثابت عن « أعداء الإسلام » يُعَدُّ قيدا يخرج عنه بقية مواد المجلة المتضافرة فى خدمة هذا الاتجاه .

كذلك تلقى الباب كلمات عدة ، تجد - عزيزى القارىء - صدىً لها فيما يقبل من صفحات ، فتجد كلمات عن : جمال الحق - عز وجل - ودور الإعلام والتعليم فى خدمة المجتمع الإسلامى ، ومكانة العقل فى الإسلام ، وأصناف الناس فى إنفاق المال ، وآداب الترويح عن النفس ، وأخرى عن أنواع القلوب ، إلى غير ذلك من إبداعات القراء فى الشعر ، وزاوية الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات والله - تعالى - من وراء القصد ..

المحـــرر

جمال الحق - عز وجل -

وكتب الأستاذ/ حسن أحمد مكرم - معهد إعداد الدعاه بأسيوط - هذه الكلمة عن جمال رب العالمين ، جاء فيها :

من أعز أنواع المعرفة معرفة الرب - سبحانه وتعالى - بالجمال ، وهى معرفة خواص الخلق ، وكلهم عرفه بصفة من صفاته ، وأتمهم معرفة : من عرفه بكماله وجلاله وجماله ، سبحانه ، ليس كمثله شيء فى سائر صفاته .

ويكفى فى جماله أن كل جمال ظاهر وباطن فى الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته ، فما الظن بمن صدر منه هذا الجمال .

ويكفى فى جماله أنه له العزة جميعا ، والقوة جميعا ، والجود كله والإحسان كله ، والعلم كله ، والفضل كله ، ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبى - صلى الله عليه وسلم - فى دعاء الطائف :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة »(١) .

قال عبدالله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه ، فهو سبحانه نور السموات والأرض ، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره .

وفى الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - **« إن الله جميل يحب الجمال »** رواه مسلم ، وابن ماجه ، وأحمد بن حنبل .

وجماله سبحانه : جمال الذات ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء . فأسماؤه كلها حُسنى ، وصفاته كلها صفات كمال ، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة .

---

(١) الحديث مشهور فى الأعلام وكتب السيرة النبوية كالسيرة النبوية لابن كثير - رحمه الله - وغيره .

دور الإعلام والتعليم

وكتب الأستاذ/ كمال عبدالمنعم محمد خليل هذه الكلمة عن دور الإعلام والتعليم فى خدمة الإسلام .

لا شك فى أن التعليم والإعلام من أهم ركائز المجتمع المسلم ، فبالنسبة للتعليم فإن الله تعالى ميز العلماء ورفع منزلتهم فقال سبحانه .

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

المجادلة آية ١١

والعلم الذى يجب تعلمه وتعليمه لأجيال المسلمين هو العلم النافع للدنيا والآخرة ، والذى يصل بصاحبه إلى مرتبة العبودية الحقة لله تعالى ، وأفضل مايجب تعلمه هو كتاب الله تعالى وهدى نبيه ﷺ حتى ينشأ العبد على طاعة الله عز وجل ، وحتى يكون ذا عقيدة راسخة لاتزعزعها أراجيف المبطلين والعلمانيين ويجب على العالم الإسلامى أن يخطو خطوات متقدمة تجاه العلوم الكونية والتجريبية فى إطار من القواعد والأسس الإسلامية التى تحكم هذا الأمر وأهمية تجنب التقليد الأعمى للغرب .

أما بالنسبة للإعلام فهو الذى يشكل عقلية المجتمعات ويؤثر فيها سلبا وإيجابا ، فهو سلاح ذو حدين ، ومن ثم نجد فيه النفع والفائدة إن استعملت مساحته فى خدمة الإسلام ورفع شأن المسلمين .

● نرجو أن يعلم حضرات الكتاب لهذا الباب أن ذكرهم لأحاديث شريفة دون ذكر مصدرها يكون سببا فى عدم النشر ، كما أن كتابة الكلمات بخط غير واضح ويحتاج إلى من يفك رموزه مما يحول ـ أيضا ـ دون قراءته وبالتالى دون نشره .

التسبيح فى القرآن والسنة

كتب الأستاذ/ رمضان الأقرع ـ الخطيب بطنطا ـ هذه الكلمة الموجزة عن مكانة التسبيح فى الكتاب والسنة :

«روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : «من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثـاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسع وتسعون ، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم .

وقال النبى ﷺ : «التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه» رواه الترمذى عن ابن عمر .

وقد ورد لفظ التسبيح فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة .. منها قوله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن

لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ الإسراء : ٤٤

وقوله تعالى :

﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناي الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ سورة طه

مكانة العقل في الإسلام

وكتب الأستاذ/ محمد على البلجيبى – من أويش الحجر بالمنصورة – تلك الكلمة عن مكانة العقل فى التشريع الإسلامى :

« خلق الله الإنسان ، وأنعم عليه بالعقل ، فهو نعمة كبرى ، يعرف به الإنسان الخير ، وينكر به الشر ، ويميز به بين الصحيح والسقيم ، والحسن والقبيح – ولقد أشار القرآن الكريم إلى العقل بمعان مختلفة منها الحكمة ، الذكر ، أولو الألباب . وغيرها .

قال الله تعالى :

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾

الآية ٢٦٩ من سورة البقرة

وقد أوجب الإسلام حفظ العقل لأنه لا يستقيم الكون ولا يزدهر إلا به ، ولذلك فقد حرم الإسلام كل ما يعطل وظيفة العقل ، فحرم شرب الخمر ، وتعاطى المخدرات ، كذلك منع المسكرات التى تذهب العقل وتضعفه .

صنفان فى إنفاق المال

كذلك كتب الأستاذ/ عماد ميزار عبدالعظيم جابر – من قرية الاعلام بالفيوم – هذه الكلمة :

١ – صنف ينفق المال فيما لا يجب أن ينفق فيه وهؤلاء المبذرون .. يقول تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾

[سورة الإسراء – الآية ٢٧] .

٢ – صنف ينفق المال فيما يجب ويحبسه عما لا يجب ، فينفق حيث يجب الإنفاق ويمسك حيث يجب الإمساك وهذا هو حد الاعتدال المطلوب . يقول تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ سورة الفرقان

ويقول تعالى :

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ سورة الإسراء

من أدب الترويح عن النفس

كتب الأستاذ/ أحمد محمد محمد سلام – الحاصل على ليسانس الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر – هذه الكلمة عن أدب الإسلام فى الترويح عن النفس ، بالمزاح والضحك والتبسم ، والقدر اللازم فى كل :

١ – المزاح :

• الملاطفة بالقول فى المزاح ، ومداعبة الإخوان والخلان ، مما يضفى على الحياة الاجتماعية روحا

شفافة ، تستمتع النفوس بجمالها ، وتتذوق معنى السعادة فى ظلالها ، وشرط ذلك فى أدب الإسلام أن لايجافى الحقيقة ، وأن يكون بقدر . قالوا يارسول الله ، إنك تداعبنا ، قال : **إنى لا أقول إلا حقا**[1] .

وأتى رجل إليه - ﷺ - فقال : يارسول الله ، احملنى ، فقال - ﷺ - « **إنا حاملوك على ولد ناقة** » . قال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال - ﷺ - « **وهل تلد الإبل إلا النوق ؟** »[2] .

وهكذا أجاب - ﷺ - الرجل إلى طلبه ، ومزح معه فى الجواب ، حتى تساءل الرجل - ماذا أصنع بولد الناقة ؟ أى لايقوى على حمل ، فكان الجواب لطيفا صادقا « **وهل تلد الإبل إلا النوق ؟** »

وكــذلك قال - ﷺ - لأنس : « **ياذا الأذنين** »[3] فهذا مزح ، ولكنه مزح لايدخله الكذب ، فكل إنسان له أذنان ، ورسول الله ﷺ صادق فى وصفه إياه بذلك[4] .

وأتت امرأة عجوز إلى الرسول - ﷺ - فقالت : يارسول الله ، أدع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال : « يا أم فلان ، إن الجنة لاتدخلها عجوز ، فولت تبكى ، فقال : - أخبروها إنها لاتدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول « إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا »[5] .

والرسول - ﷺ - فى هذا كله لم يقل إلا حقا ، فمثل هذا المزاح تطيب به نفس المخاطب ، وتكون المؤانسة .

ولايجوز الإفراط فى المزاح والمداومة عليه ، لأنه يشغل عن مهمات الحياة ، دنيا وأخرى ، ويؤذى الناس ويسقط المهابة والوقار . وهذا هو الذى ورد فيه النبى « لاتمــار أخــاك ولا تمازحه »[6] .

ب - التبسم :

الابتسامة العذبة التى تعلو الوجه فى لقاء الأحباب ، ومعاشرة الإخوان تضفى على الحياة مرحا طيبا ، فى أنس الأخ لأخيه وسروره بلقائه ، وهى أمر مشروع يذهب بالجفاء ، ويروح عن النفس فأما التجهم فإنه يورث الناس وحشة تباعد بين قلوبهم ، وتفسد ذات بينهم وكان رسول الله - ﷺ - فى لقائه مع صحابته ، يبتسم فى وجوههم ، يقول ابن عبدالله البجلى ؟ « مارآنى رسول الله - ﷺ - منذ أسلمت إلا تبسم فى وجهى »[7] .

الضحك :

الضحك فوق التبسم ودون القهقهة ، فالتبسم انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور دون صوت ، وهو أول مبادىء الضحك ، والضحك مايكون بصوت لايسمعــه إلا القريب[8] .

والضحك - وكذا البكاء - من الفطرة[8] « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ »[9] .

---

(1) أخرجه الترمذى .
(2) أخرجه أبو داود والترمذى .
(3) أخرجه أبو داود والترمذى كذلك .
(4) راجع كتاب الحديث والثقافة الإسلامية .
(5) الآيات ٣٥ - ٣٧/ الواقعة ، والحديث رواه الترمذى فى الشمائل .
(6) أخرجه الترمذى .
(7) متفق عليه .
(8) والحيوانات تضحك أيضا وذلك بأن تصدر أصواتا مختلفة ، وتحريك الآذان واهتزاز الذيل كالكلب ، وانتفاض الأجنحة كالطيور ، وضرب الأرض كالأرانب ، والضبع يصدر أصواتا عند الضحك تشبه صوت الإنسان ، ويضحك الطفل مابين الشهر الأول والثالث ، راجع كتاب «سيكلوجية الضحك» .
(9) آية ٤٣/ النجم .

وللضحك أسباب مختلفة كالتعجب أو الاحتجاب، أو الملاطفة بطلاقة الوجه.

ولا بأس بالضحك عند توافر دواعيه ودون إفراط بما لا يصل إلى القهقهة ودون أذى من سخرية أو غيرها فقد ضحك ـ ﷺ ـ عندما دخل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والنسوة يسألن رسول الله ـ ﷺ ـ ويكثرن من المسألة، فاحتجبن[10] وضحك ـ ﷺ ـ عندما كان بالطائف وقال لأصحابه إنا راجعون غدا للقتال إن شاء الله، فسكتوا[11].

وعندما جبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة أثرت في عنقه، فالتفت إليه ـ ﷺ ـ وضحك[12] ثم أمر له بعطاء، والذي يظهر من الأحاديث أن النبي ـ ﷺ ـ كان في معظم أحواله لا يزيد عن التبسم، وربما ضحك أحيانا.

أما الاكثار من الضحك والإفراط فيه فإنه يذهب الوقار، وهو ماورد النهي عنه «ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[13]

أنواع القلوب

وكتب إلينا الشيخ/ خيري محمد أبو الروس من كفر الشيخ ـ كفر الجرايدة/ بيلا ـ بعض اجتهادات العلماء في تقسيم القلوب:

إن القلوب ثلاثة أنواع: القلب السليم، والقلب المريض، والقلب الميت.. وإليك بيانا بهذه الأنواع:

النوع الأول: «القلب السليم» هو القلب الذي امتلأ بالرضى والطمأنينة والسكينة فلا يعرف غلا ولا حسدا ولا حقدا ولا أنانية.

وهو الذي يقول فيه الله ـ عز وجل ـ على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الشعراء

النوع الثاني: «القلب المريض» وهو إما أن يكون مرضه مرض شهوة وإما أن يكون مرضه شبهة. أعاذنا الله منهما، أما مرض الشهوة فيفهم من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٣٢]، وأما مرض الشبهة، فهو مرض النفاق، وهو الذي لا يجعل القلب ثابتا على معرفة الله وطاعته، وفي هؤلاء يقول القرآن الكريم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة البقرة

النوع الثالث: فهو القلب الميت، وهو الذي ختم الله عليه فأظلم وأصبح في حكم الميت، يقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة ٦، ٧]. نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعل قلوبنا نقية متصلة به حتى نأتيه يوم القيامة بقلب سليم.

(10) روى هذا الحديث في الصحيحين.
(11) رواه البخاري.
(12) مخرج في الصحيحين.
(13) رواه البخاري في الأدب المفرد وكذلك ابن ماجه.

من إبداعات القراء

من قصيدة

نافخ الكير

للشاعر/ جابر محمد الكردى

أقصد المخلوق الشرير الذى ينفث الشر والفتنه فيتقرب منه ضعاف الإيمان على حساب دينهم ..

يا نافخ الكير إنَّ الكير يلفحنا ... بحرُّ نارك والنيران ترمينا
هلَّا سكنت بقفر ليس يقطنه ... غيرُ الأراقم . فارحل عن أراضينا
إنا ابتلينا بشرٍّ منك تنفثه ... مثل الأفاعى تريد السمَّ يفنينا
توبوا إلى الله كى تعلو مكانتكم ... ويسعد الخلقُ والأرزاق تأتينا
بطانة السوء لا تعلو مكانتهم ... عند الإله ولو فى الناس أعلينا
فالكير أضحى ولوداً كم يؤرِّقنا ... وينشر السوء ، فى الأخلاق يؤذينا

من قصيدة



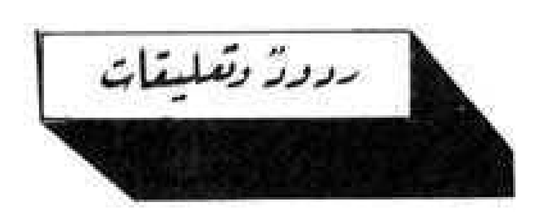
للشاعر/ محمدى حسن الشافعى

أنا مسلم عفُّ اللسان عن البذىء من الكلم
.. بالعدل والإحسان فى كل المواقف ألتزم
وإلى كتاب الله فى شتى أمورى أحتكم
.. أنا مسلمٌ ـ بالله ربى أستعين وأعتصم
وعلى طريق الحق أخطو واثقاً .. لا أنهزم ..
.. أنا مسلم ألقى الشدائد فى خشوع ، أبتسم
فإذا السعادة فى فؤادى تستقر وتنسجم
وإذا السرور على جبينى* فى هدوء يرتسم
فأقول : حمداً للإله الحق .. وهو المنتقم ..
وبنصره سبحانه .. دوماً جراحى تلتئم

استدراك

نشرت المجلة فى العدد الماضى ـ ضمن محتوى هذا الباب ـ تنويهاً عن كتيب « توحيد اللسان فى قراءة القرآن » لمؤلفه الأستاذ/ نبيل محمد عبد الخالق ، وكعادة نهج المجلة ـ مع مثل هذه الإصدارات أن تشير إلى دار الطبع والنشر ليس غير ؛ فأما ما عدا ذلك فإنه يدخل فى (الإعلان) ومجلة الأزهر لا تقدم إعلاناً .

لذا تأسف لطلب السيد المؤلف . ونرجو أن يلتقى وخطة المجلة .. وشكراً .



● القارىء محمد عبد الحكيم حسن ـ قرية مهدية ـ محافظة المنيا .

نرجو أن تتسع لنا مستقبلاً مساحة النشر لشتى الأجناس الأدبية ذات الطابع الذى يتفق ومجلة الأزهر ، فنحن ندرك مدى أهميتها وقيمتها ، ولكن ضغط المادة المقالية مع قلة المساحة مما يحول دون ذلك .

● القارىء محمد أحمد ضيف ـ بمنشية ناصر ـ القاهرة .

يمكنكم الحضور إلى مقر مكتب مجلة الأزهر بالجامع الأزهر لبحث مطلبكم .

● القارىء أسامة عبد المولى سند ـ بالمعهد العالى للتعاون الزراعى بشبرا الخيمة .

« هذا بيان للناس » كتاب من جزأين ويمكنكم شراؤه بثمانية جنيهات من قسم بيع الكتب بالإدارة العامة للتوريدات خلف مدينة البعوث بالقاهرة ـ بجوار مصنع تاكى .

● السادة قراء المجلة من هواة الشعر ونظمه .

أفاد الأستاذ « رشاد محمد يوسف » مقدمُ باب « الشعر والشعراء » بالمجلة أنه اطلع على كل التجارب الشعرية التى تلقاها من هذا الباب ، وأبدى إعجابه بها كمحاولات جادة على هذا الدرب ، غير أنه ينصح زملاء المستقبل بحكم خبرته الطويلة فى نظم الشعر وقراءته ، بأهمية البعد عن المعانى المستهلكة والابتعاد عن التقليد والتكرار ، مع أهمية الاهتمام بالأوزان وحفظ الكثير من الشعر العربى قديمه وحديثه .

● القارىء فهمى أحمد سلطان ـ كلية اللغة العربية ـ أسيوط .

معهد الدراسات الإسلامية ـ مقره : مبنى عقبة بالزمالك ـ يمنح الدبلوم والماجستير بمصروفات ، ويشترط الحصول على مؤهل عال من إحدى الجامعات أو المعاهد العليا .

● القارىء محمود عبد العزيز عبد المجيد من دار البلدية بكفر الشيخ .

تلقيت قصيدتكم التى مطلعها « لن يطفىء النار من زاد اللظى حطباً » وقد أعجبت بمعانيها الفياضة ، وفى انتظار إبداعاتكم .



تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى ، مصطفى عبد المجيد

شيخ الأزهر تسلم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

تسلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م وذلك فى حفل كبير أقيم فى الرياض بالمملكة العربية السعودية بمناسبة تسليم جائزة الملك فيصل للفائزين بها .

حضره الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، وعدد من الأمراء والوزراء والمسئولين .

وقد قام الأمير سلطان بتسليم الجائزة لفضيلته والتى جاءت تقديراً لجهوده البارزة والرائدة ولتعدد مجالات عمله فى خدمة الإسلام والمسلمين ثم ألقى فضيلته كلمة أكد فيها على ضرورة قيام العلماء بدورهم المنشود فى التبشير بمنهج الإسلام الإصلاحى فى المجتمع .

كما ألقى الأمير خالد الفيصل مدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ورئيس هيئة الجائزة كلمة عبر فيها عن شكره وتقديره للعلماء الفائزين بالجائزة الذين أثروا العلم وقدموا خدمات جليلة للإنسانية جمعاء ، وجوائز الملك فيصل العالمية تمنح للشخصيات البارزة والعلماء الذين لهم إسهامات غير مسبوقة فى مجال تخصصهم ، ويتم التقدم لها بترشيح من جهة علمية معترف بها : كالجامعات والهيئات العلمية .

رسالة شكر من أمير «ويلز» لشيخ الأزهر الشريف

بعث الأمير تشارلز أمير (ويلز) وولى عهد بريطانيا برسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف يشكر فضيلته على حفاوة اللقاء به أثناء زيارته للقاهرة وللأزهر الشريف مبينا أنه قد أسعده فرصة اللقاء بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ومناقشة الموضوعات المشتركة الهامة التى تهم الإسلام والعالم الغربى ، ويأمل بشدة أن يتولى

فضيلة الإمام الأكبر شخصياً تقوية الروابط بين مصر ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية التى دار الحديث حولها ، وأكد أنه يشعر بمزيد من الامتنان على الهدايا الكريمة والجميلة التى مُنِحت لسيادته من شيخ الأزهر الشريف إذ ستبقى ذكرى تُذَكِّره بهذه المناسبة الهامة التى لا تنسى كما بعث بخالص تحياته وتمنياته الشخصية وشكره العميق على كرم اللقاء به .

شيخ الأزهر الشريف افتتح المؤتمر الدولى للعلوم والتنمية

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بضرورة الأخذ بكل وسائل التقدم العلمى ، وحث العلماء على مسايرة التقدم العلمى فى العالم وذلك من أجل النهوض بالمجتمعات الإسلامية ، ودفع عجلة التنمية ، وزيادة الإنتاج حتى لاتظل مجتمعاتنا معتمدة على غيرها مؤكدا : أن الإسلام يحث على طلب العلم والأخذ بسبل التقدم .

جاء ذلك فى افتتاح المؤتمر العلمى الدولى الأول بكلية العلوم بنين – جامعة الأزهر .

وقد شارك فيه ١١٠٠ عالم وباحث من ٣٢ دولة ، والموضوعات التى ناقشها المؤتمر ترتبط باحتياجات المجتمع ، وتؤكد التواصل بين البحث العلمى وقضايا الوطن ، ويناقش ٣٢٥ بحثاً تتناول أمراض السكر وتأثير العوامل الوراثية على المعدة ، والأمراض الناتجة عن تلوث الهواء والأصباغ وتأثير الإشعاعات على دودة القطن ،واستخدام الرنين النووى المغناطيسى فى التسخين والتبريد ، وتأثير المناخ على النمو الزراعى والعوامل التى تساعد على الاكتشاف المبكر لأمراض الكبد واستمر ثلاثة أيام .

وقال الدكتور جميل أبوالعلا «نائب رئيس جامعة الأزهر» : إن انعقاد المؤتمر يؤكد استمرار عطاء الأزهر العلمى والثقافى مشيراً إلى أن الإسلام يدعو إلى تعلم مختلف العلوم على أن تكون

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد السفير طفيل حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة، وقد أعرب السيد السفير عن شكره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على ما يقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين وعن شعوره بالراحة النفسية والغذاء الروحى فى زيارته لفضيلة الإمام الأكبر .

وعرض السيد السفير إمكانية إرسال عدد من المدرسين لتدريس العلوم العربية والدينية لفترة عام دراسى كامل ، وذلك للعمل مع المدارس التى تشرف عليها وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى بنجلاديش .

وقد استجاب فضيلة الإمام الأكبر ووعد بدراسة هذا الموضوع وقال : إن الأزهر يعاون على إرسال المدرسين لخدمة اللغة العربية وعلوم الدين فى كل مكان .

كما تم التباحث فى موضوع المنح الدراسية لطلاب بنجلاديش ، وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة الأوراق تمهيدا لاتخاذ ما يلزم .

تطبيقاتها فى صالح البشرية ، وحذر من أن تتحول بلدان العالم الثالث إلى معمل للتجارب .

وفى ختام المؤتمر احتفلت الكلية بمرور ٢٥ عاما على إنشائها وأطلق على هذا الاحتفال «يوم الوفاء» وتم تكريم عمداء ووكلاء ورؤساء الأقسام والأساتذة البارزين فى مختلف الأنشطة ، وتم تكريم خريجى أوائل الدفعة الأولى ، وأوائل خريجى دفعة ٦٤ وتم توزيع الجوائز وشهادات التقدير عليهم وستنظم الكلية للمؤتمر الدولى الثانى تحت شعار العلوم والتنمية عام ١٩٧٧م .

الإمام الأكبر يستقبل وفد جمهورية أزربيجان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفد جمهورية (أذربيجان) برئاسة السفير اسرافيل فاليكوف سفير (أرذبيجان) بالقاهرة وبمصاحبة الأستاذ زينى العجيبى نائب رئيس لجنة مسلمى آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية .

وقد تناول اللقاء بحث إنشاء جامعة إسلامية فى مدينة (باكو)عاصمة أذربيجان لتكون إشعاعاً ثقافياً إسلامياً لمنطقة القوقاز وما حولها من جمهوريات إسلامية على أن تبدأ هذه الجامعة بمعهد لإعداد الدعاة والمعلمين لخدمة آلاف المساجد المفتتحة حديثاً ، ولسد النقص الكبير فى مجال الدعوة الإسلامية الصحيحة ، ثم يبدأ بعدها إقامة فرع للتعليم الأزهرى تحت إشراف الأزهـــر الشريف ليكون نواة للوصول إلى الجامعـــة المرجوة .

هذا وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إمداد المعهد عند إتمام بنائه وتجهيزه بالمدرسين والكتب الدراسية على نفقة الأزهر الشريف .

كتاب جديد لفضيلة الإمام الأكبر

صدر بحمد الله وتوفيقه الجزء الرابع من سلسلة (بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة) لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ويتضمن إجابة فضيلته على الأسئلة التى ترد إلى مكتب فضيلته من جهات وهيئات مختلفة داخل مصر وخارجها حول القضايا المعاصرة التى تواجه المسلمين فى مختلف بلاد العالم .

يقع الكتاب فى أكثر من ٧٠٠ صفحة وهو بحق موسوعة إسلامية كاملة ، وهو جزء من حصيلة فتاويه التى كتبها وأجاب عنها منذ ولى مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٨٢ .

قام بجمع مادته العلمية وترتيبها ومراجعتها « الادارة العامة للشئون الفنية بمكتب فضيلته » وأشرفت على طبعه « الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف » ، ويتم الآن إعداد وتجميع ومراجعة الجزء الخامس من هذه الموسوعة ليكون تحت الطبع قريباً إن شاء الله

على هامش زيارة الإمام الأكبر لجمهورية السنغال

للأستاذ/ عمر البسطويسي

● في مساء الخميس السادس من ذي القعدة ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥/٤/٦م زار فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السنغال بدعوة كريمة من السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال يصاحبه وفد من العلماء والسيد السفير نبيل محمد بدر، وذلك لدراسة النظم التعليمية للغة العربية والدراسات الإسلامية في السنغال ولإبداء المشورة في ذلك وتوثيق أواصر العلاقات الممتدة بين مصر والسنغال.

● هذا وقد قلد الرئيس السنغالي فضيلة شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وسام السنغال من طبقة أسد. وهو وسام يمنح لكبار الشخصيات بوصفه أكبر رمز إسلامي.

وقد أشاد الرئيس السنغالي خلال المقابلة بالرئيس حسني مبارك وجهوده على الصعيدين الافريقي والإسلامي ودوره في منظمة المؤتمر الإسلامي لنشر الإسلام وحل النزاعات.

● وقد تم في لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر: والسيد الرئيس عبده ضيوف بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والسنغال والاتفاق على:

١ ـ زيادة المنح الدراسية مع العلم بأنه يدرس في الأزهر من السنغال ٢٠ ألف طالب.

٢ ـ إنشاء معهد أزهري والأزهر على استعداد لإمداده بالمدرسين والمناهج والكتب الدراسية ورحب الرئيس بهذه الفكرة ووافق عليها.

٣ ـ معادلة الشهادات للمعاهد التي تعتبر نظامية أو شبه نظامية، التي تسير على نسق الأزهر.

٤ ـ التعاون على دعم تعليم اللغة العربية، وأن تأخذ حظها من التعليم العام.

٥ ـ توثيق التعاون بين جامعة الأزهر وجامعة داكار من حيث تبادل الأساتذة والتعاون في إنشاء قسم دراسات إسلامية/ قسم لغة عربية/ ومعادلة الشهادات.

٦ ـ تجربة إيفاد الأطباء والخبراء الزراعيين من جامعة الأزهر، وذلك بالاتفاق مع الصندوق الفني والأزهر على أن يشمل ذلك التخصصات التالية:

ـ أطباء/ أسنان/ أمراض نساء/ إلى جانب التثقيف الحرفي/ الهندسة/ والمهندسين الزراعيين.

٧ ـ عرض عمل معرض فني يشمل: ـ خطوطا عربية وصوراً للفنون الإسلامية وزخارف إسلامية.

٨ ـ يتحمل الأزهر نفقات المدرسين والكتب ويقوم بتعديل مواعيد الأجازات بحيث تتفق والاجازة بـ (السنغال).

٩ ـ مواصلة تدريب الأئمة والدعاة بالأزهر الشريف في دورات اللجنة العليا للدعوة.

وقد أشاد السيد الرئيس عبده ضيوف بدور الأزهر الشريف ممثلا في فضيلة الإمام الأكبر وشكر فضيلته على ما أداه الأزهر للسنغال من خدمات إسلامية صادقة.



إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

مجازر فى الشيشان

تواصل القوات الروسية عدوانها البربرى على جمهورية الشيشان الإسلامية ، وحسبما نقلته هيئة الإذاعة البريطانية فإن الجيش الروسى قد داهم قريتى : (شالى وقرشى) حيث سوى المنازل فيها بالأرض ، **كما أن الجنود الروس أخذوا يلقون بجثث الشيشان من الطائرات بعد أن غلفوها بالأكياس البلاستيكية .**

هذا فى الوقت الذى كانوا قد أنهوا مذابح وفظائع فى قرية (سماشكى) بعد أن فشلت المفاوضات مع وجهاء القرية ، آل المقاتلون الشيشان على أنفسهم الدفاع عنها حتى الموت ، هذا ، وقد فشلت القوات الروسية فى اقتحام قرية (باموث) أمام قوة المقاومة الشيشانية ، مما اضطر الأهالى من النساء والأطفال إلى النزوح لجمهوريتى : داغستـــان والأنجوش المجاورتين فى الوقت الذى صعد فيها الآخرون قمم جبال يصل ارتفاعها إلى ٤٠٠٠ آلاف متر مخاطرين بحياتهم فى طرق وعرة زرعت بالألغام .

وقد صرح الرئيس الشيشانى جوهر داوود الذى نجا من محاولة اغتيال بأن قواته لن تستسلم أبدا حتى آخر رجل .

١ ـ أمريكا

أخذ الإسلام طريقه إلى البيت الأبيض حيث صرح الرئيس الأمريكى كلينتون أن ابنته « شيلى » البالغة من العمر سبعة عشر عاما تدرس تاريخ الإسلام وتقرأ القرآن الكريم ، وقد تجلى ذلك واضحا فى لقائه برئيسة الوزراء الباكستانية « بى نظير بوتو » أثناء زيارتها مؤخرا لواشنطن حيث أبدت إعجابها الشديد بهذا التوجه .

٢ ـ جامعة الأزهـــر

وافق رئيس جامعة الأزهر على تخصيص مقر مدينة نصر للمركز الإقليمى للفطريات ، وصرح الدكتور عبدالرازق أبوسعدة مدير المركز والأستاذ بعلوم الأزهر بأن المركز سينظم دورات تدريبية ويقبل التسجيل لمرحلة الدراسات العليا .

٣ ـ ومن أخبار جامعة الأزهر أيضا

صرح رئيس جامعة الأزهر بأنه سيتم خلال ذى القعدة/إبريل الحالى افتتاح أحدث مستشفى تعليمى بسعة ٤٠٠ سرير وبتكلفة خمسين مليون جنيه ، وتضم كافة التخصصات الطبية لتدريب طلبة طب الأزهر .

جاء ذلك خلال حفل علوم الأزهر بمرور ربع قرن على إنشائها ، وكان الاحتفال تحت شعار يوم الوفاء وعيد الخريجين ، حضره رئيس الجامعة ونوابه وعميد علوم الأزهر .

Dans certains versets, le verbe "Tomber prosterné" acquiert le sens d'une obéissance totale et immédiate à l'ordre d'Allah. On constate là une très grande différence entre la prosternation des obéissants et celle des désobéissants.

Voici des versets où est mentionnée la prosternation des vrais croyants :

"Le Prophète David comprit que nous avions seulement voulu l'éprouver. Il demanda pardon-à son Seigneur, il tomba prosterné et se refugia auprès d'Allah" Sourate "Çad" le sens du verset 24 "Il fit montrer son père et sa mère sur le trône et ses frères tombèrent prosternés devant lui "Sourate Yussuf" le sens du verset 100. Ils tombaient prosternés en pleurant quand les versets du Miséricordieux leur étaient récités" Sourate "Mariam" (Marie) le sens du verset 58 "Seuls croient en Nos Signes ceux qui tombent prosternés lorsqu'on les leur rappelle" Sourate "Al Sagda" la Prosternation" le sens du verset 15.

Ainsi les vrais adorateurs du Miséricordieux sont ceux qui se soumettent avec humilité à Allah. C'est cette soumission absolue à leur Créateur qui est la raison même de leur noblesse morale.

Ceci n'est possible que grâce à une perception complète au moyen des sens de l'ouie et de la vue, car toute chose perçue par ces deux sens nous est, en fait, acceptable, et laisse une plus grande impression sur l'âme. L'utilisation du terme "El Kerour" (ou l'écroulement) dans le verset, nous met en garde contre les défauts des ignorants, des incroyants et de tous ceux qui ne respectent pas les ordres d'Allah.

S'écrouler, c'est faire une chute désordonnée d'un lieu élevé, ce qui signifie l'anéantissement, pour mieux souligner les conséquences funestes de la désobéissance.

Ceux qui s'exposent à l'écroulement d'un plafond perdent la vie, car ils sont exposés à la chute brusque et inattendue d'un corps lourd sur eux, ce qui les empêche d'y échapper ou de s'en préserver.

C'est en effet une image réussie pour montrer ceux qui, lorsque les pieux attirent leur attention sur les Signes d'Allah, s'en détournent comme s'ils ne les voyaient pas ni ne les entendaient. Or ce refus très grave et maladroit les mènera à leur perte.

Les adorateurs du Miséricordieux se comportent différemment lorsqu'on leur rappelle les versets de leur Seigneur. Ils font preuve de raison lucide et d'optimisme, dans l'espoir de recevoir la miséricorde d'Allah en récompense pour leur obéissance.

Ce sont là des qualités particulières à la personne elle-même; cependant, elles ont d'importantes répercussions sur la société.

Le comportement des adorateurs du Miséricordieux est un modèle à suivre pour les autres; ils instituent ainsi une discipline de vertu qui régit la vie de tous les hommes.

renoncement au gaspillage et à l'avarice, l'éloignement du polythéisme, l'éloignement de tout ce qui peut amener à l'adultère et au meurtre, le repentir sincère, le pardon, l'offense, l'acceptation des exhortations, et enfin l'invocation d'Allah.

Ces qualités semblent en apparence particulières aux personnes elles-même, mais en fait, elles ont des répercussions sociales.

Ceux qui, lorsque les ignorants leur adressent la parole, leur répondent par le salut, invitent, en fait, à sauver la société des maux des ignorants, ou encore de ceux qui savent et renient. De même, ceux qui ne commettent pas l'adultère ne font, qu'assurer la protection de la famille et de la société de la déchéance morale.

Ainsi on n'a point de générations qui ne connaissent pas leur père, pour que ces derniers les prennent en charge.

Ces bâtards envient certes ceux qui connaissent leur origine. Or cela détruit la stabilité de la société et son progrès. On voit donc que chacune des qualités propres aux adorateurs du Miséricordieux, réparties précisément en trois cagétories, a d'importantes répercussions sur la société.

On trouve des signes explicites dans cette troisième catégorie des qualités des adorateurs du Miséricordieux visant une plus grande noblesse morale de l'humanité. Les preuves d'Allah sont Ses signes dans cet univers, et Ses enseignements mentionnés dans le Saint Coran, qui, lorsqu'ils sont suivis, signifient la mise en pratique du système établi par Allah dans l'univers, car ces enseignements poussent littéralement les croyants à obéir à Allah dans l'ensemble de Ses ordres et de Ses interdictions.

Les adorateurs du Miséricordieux

par Rania Nabil Al Moghazy

Certains sont saisis de terreur lorsqu'ils sont atteints d'un mal quelconque, cependant les croyants supportent cela de bonne grâce, car il se peut que cela leur soit utile.

Les qualités des adorateurs du Miséricordieux sont mentionnées dans les derniers versets de la Sourate "Al Forqan" (ou: "La Loi", et l'on peut répartir ces qualités en trois groupes :

La première catégorie est celle des qualités propres aux personnes elles-même qui se comportent avec modestie et, lorsque les ignorants tentent de troubler leur vie calme, ils demandent à Allah de les protéger contre ce mal qu'ils renient, et ils tentent de remettre ces ignorants sur la bonne voie.

La seconde catégorie concerne leur relation avec leur Seigneur: ces personnes passent, en effet, leur nuit en prières et en prosternations, ce qui montre qu'ils obéissent à Allah et qu'ils évoquent en toute circonstance.

La troisième catégorie recouvre des qualités multiples, visant une plus grande noblesse morale de l'humanité.

De multiples versets concernant les qualités des adorateurs du Miséricordieux mentionnent cette dernière catégorie. Certains ulémas ont dénombré les qualités des adorateurs du Miséricordieux telles qu'elles apparaissent dans les derniers versets de la Sourate "Al Forqan". Elles sont au nombre de onze, à savoir: la modestie, la tolérance, l'invocation d'Allah en pleine nuit, la crainte du supplice de la géhenne, le

— Nous voyons ainsi que les insoumis et les incroyants se valent, au cas où les premiers ne se repentent pas de leurs péchés. Dans un Hadith divin, Allah — Le Très-Haut dit : "Qui donc est venu à Notre porte et que Nous avons renvoyé? Qui s'est refugié auprès des Nous et que Nous avons refusé d'accepter? Je suis Celui qui pardonne les péchés et qui cache les défauts, et Je connais parfaitement ce qui est secret".

— Ô vous les musulmans, empressez-vous de vous repentir avant qu'il ne soit trop tard! Que diriez-vous si vous saviez que le Prophète Mohammad (b.s.) qui représente le musulman le plus parfait, recommandait aux hommes de se repentir en leur disant: "Quant à moi, je reviens à Allah repentant, soixante-dix fois dans la journée" !

Hâte-toi, Ô musulman, de te repentir avant que vienne le Jour du Jugement où tu te présenteras devant ton Seigneur, le Maître du Royaume. Certains viendront le Jour du Jugement Dernier en ayant fait de bonnes actions aussi hautes que les montagnes mais qui ont insulté les uns, commis une injustice envers d'autres ou encore se sont emparés injustement des biens d'autrui. Ce jour-là, prendra les bonnes actions qu'il a accomplies pour les ajouter à ceux qu'il a opprimés; et il est même possible que les péchés de ses victimes lui soient attribués! Ainsi celui qui ne se repent pas durant sa vie n'aura pas fait le compte de la vie future !

Voici une invocation qui, selon le Messager d'Allah (b.s.) renferme la meilleure formule du repentir :

Ô Allah! Tu es mon Seigneur. Tu m'a créé et je suis ton serviteur. Je respecte mes engagements et ma promesse envers toi autant que je le peux. Je cherche une protection auprès de toi contre les mauvaises choses que j'ai pu faire. Je reconnais Tes bienfaits envers moi et je recommais ma faute. Paradonne-moi, car Toi seul pardonnes les péchés.

Ô Allah fais que nous soyons parmi les repentants et parmi les purs. Accorde-nous un repentir sincère avant la fin de notre vie!

Qu'Allah accorde Sa bénédiction et Son salut à Son Prophète, ainsi qu'aux membres de sa famille et à ses compagnons.

«Le Mérite du Repentir»

par "Dr. Rokeya Gabr"

— 2 —

Allah, par Sa grande miséricorde, transforme les péchés du repentant sincère en bonnes actions; ainsi, Il nous apprend dans le Saint Coran :

[Sauf celui qui se repent, qui a la foi et qui fait le bien, ceux-là, Allah transformera leurs mauvaises actions en bonnes actions; car Allah est Celui qui pardonne; Il est infiniment miséricordieux] **Sourate "Al Furquan" (La Loi), le sens du verset 70.**

Le repentir n'est sincère que lorsque celui qui se repentit accomplit des actions vertueuses et non lorsqu'il persiste dans le péché. Allah confirme cela dans le verset suivant de la même sourate !

[Celui qui se repent et accomplit des oeuvres bonnes revient vers Allah en se repentant] **Sourate "Al Furquan, les sens du verset 71].**

Allah s'est engagé lui-même à accepter le repentir de ceux qui reviennent à Lui si ces derniers sont sincères dans leur repentir avant leur mort. Il dit [gloire à Lui] : [Mais Allah ne s'engage à pardonner qu'à ceux qui font le mal par ignorance puis qui s'en repentant aussitôt. A ceux-là, Allah pardonne leurs péchés [Allah est l'Omiscient et le Sage] Sourate "Al Nissa" Les Femmes, le sens du verset 17.

Allah accepte le repentir si ce dernier a lieu avant l'agonie; quant à celui qui attend le moment de mourir pour se repentir, celui-là son repentir ne servira à rien. Allah le Très Haut nous apprend :

[Mais le pardon n'est point accordé à ceux qui font le mal, jusqu'au moment où l'un d'entre eux voit venir la mort alors il dit : "Maintenant je me repens!" ni à ceux qui meurent en étant incroyants. Pour ceux-là, nous avons prévu un supplice douleurieux] **Sourate "Al Nissa" le sens du verset 18.**

REVUE AL-AZHAR

VOL. 67 PART XII
ZUL HEJAH, 1415 HIJRAH

such an abolition — a situation such as we meet with in the countries where divorce is not permissible.

Let the critics, who want to withdraw the right of divorce from the husband, first consult the conditions laid down by Islam in respect of divorce. Certainly they will find convincing answers to their misconceptions. The court of law has every right to revoke divorce if it does not conform Islamic Law. The Prophet himself revoked divorce which had not agreed with the rules of Islam.

According to Bukhari and Muslim, Abdullah Ibn Umar was reported to have divorced his wife while she was in her menses; and the matter was referred to the Prophet (PBUH) who exasperated at the levity of the man's conduct, said :

> *"Let him take her back and retain her till she be pure and again have her courses and afterwards gets pure. Then, if he thinks it prudent, he may divorce her, but he should do so when she is clean and has not been approached."*

Islam holds that if a man trespasses on a woman's rights by divorcing her without cause, he is abusing his power and is therfore liable to be held responsible for committing a breach of duty. Islamic courts are allowed to censure and fine the man for misusing the right of divorce.

From this talk about divorce we come to the conclusion that divorce is prescribed as a remedy to cure the family from an unavoidable breach that may develop into a crime. On sound authority, the Prophet was reported to have said :

> *"Of all things allowed to man, divorce is most hated by Allah."*

mic Law has impressed upon her that she cannot achieve perfection without a comprehensive knowledge of both her rights and obligations.

What has previously been said is sufficient to refute the allegation that Islam accords woman only a secondary status or that she is treated as subservient to man or that her role in life is, in the eyes of Islam, of no importance at all. Had it been so, Islam would not have attached so great an importance to the acquisition of knowledge by women. It is, therefore, understood that most of the woman's rights and obligations are balanced with similar rights and obligations which man has to enjoy or discharge with respect to her. The woman's status in married life is equal to that of her husband. Both are fully responsible for the house, the children and for each other.

Some people, who are not fully aware of the regulations laid down by Islam in respect to divorce, wonder why the husband's right to pronounce divorce should not be abolished ? Isn't it, they say, then, desirable that this dangerous weapon which man may play with recklessly and wreck the life of a peaceful, patient woman — besides darkening the future prospects of his young innocent children, should be taken from him ?

We admit that divorce does lie at the root of the family suffering, but we should not overlook the fact that every member of the family takes his or her share of suffering, the wife, the children and the husband. In societies where people are aware of the Islamic Law, no such miseries take place. Therefore, the problem is not the man's right to pronounce divorce, it is, in fact, man's ignorance of Islamic Law. Suppose we withdraw the right of divorce from man, how are we to meet the Principal situation that might as well result from

The husband is forbidden to take back from her anything he has already given her for herself. The wisdom behind all these merits is to protect the woman from financial embarrassment as a result of divorce. Moreover, the husband, by supporting and providing lodging for her during her waiting term, may ease the tension of the breach, and perhaps both parties may get reconciled to each other again and revoke divorce.

Even if the reunion does not take place, faithfulness to the sacred tie of marriage requires the husband to keep supporting his divorcee up to the last moment of the term. Had Islam not imposed this obligation on a husband, conjugal lives would have been deteriorated to a temporary realtionship (between huband and wife) that could be terminated at any time by the mere pronouncement of repuddiation of divorce. Married life, according to the concepts of Islam, is perpetual bond of relatinship based on intrinsic and mutual love, sympathy and tolerance.

Before the advent of Islam, woman had to adopt many a subterfuge to free herself from her husband who held her in a state of perfect bondage, for neither the law of the land nor the common law gave her the right to relinquish her husband by securing a separation. Islam gave her this right in clear and unequivocal terms and thus she could have recourse to it whenever she needed it. Not content with this, Islam even went a step further. It gave the woman the right to propose her marriage to any man she found him suitable to her.

It should be understood that at a period when the entire world was lost in ignorance and darkness, it was Islam that stressed the importance of knowledge for mankind, not as a special privilege of a particular class or sex but as an essential and unavoidable need for each and every person. To acknowledge a separate and independant status for woman, Isla-

REASONABLE PROVISION FOR THE DIVORCEE

By :
MOHAMMED HIGAB

It is clearly understood that Islam does not allow the husband to kick his wife out as soon as divorce is resorted to. In fact, Islam had made it obligatory to the husband to maintain his wife in the marital home during her waiting term: and even the term is over and it is time for her to go, the Qur'an commands him to be generous to her and provide her with financial help According to his position :

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ سورة البقرة

"Reasonable provision should be made for divorced women. That is incumbent on righteous men." **(Sura 2:241)**

The Muslim legislator has not ignored the necessity of supporting the divorced woman during her pregnancy and of paying all her costs of required suckling and nursing of the child or children :

وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ

"If they are with child, maintain them until the end of their confinement: and if, after that, they give such to their children, give them their pay and consult together in all reasonablencess." **(Sura 65:6)**

that has been held in Copenhagen in March to be sincer and honest in their endeavours to eradicate poverty all over the world. We hope that this Summit would be a Zenith point in the history of development and that it would mark the beginning of new era of people — centered development and true development cooperation. We hope, as well, that this Summit would help bridge the growing divide between rich and poor as the world is stumbling towards the 21st century and that it would be a clear message of hope for the dispossessed.

A final say in this context is that now and more than any other time, the people of the world are asked to join their hands and to cooperate so as to spread peace, justice, interdependency and mercifulness among all humanbeings; otherwise the entire world is going to face its complete downfall. Allah, Almighty, says :



"Verily Allah will not deal
Unjustly with man in aught :
It is man that wrongs
His own soul !"

"Surah : Yunus, verse : 44"

(Yusuf Ali, P. 492)

وَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً

"When angels take
The souls of those who die in sin
Against their souls,
They say : "In what (plight) were ye?"
They reply : "Weak and oppressed
Were we in the earth."
They says : "Was not the earth of Allah
Spacious enough for you
To move yourselves away (from evil)?" Such men
Will find their abode
In hell — What an evil
Refuge!
Except those who are
(Really). weak and oppressed –
Men, women, and children
Who have no means
In their power, nor (a guide post)
To direct their way
For these, there is hope
That Allah will forgive :
For Allah doth blot out (sins)
And forgive again and again
He who forsakes his home
In the cause of Allah
Finds in the earth
Many a refuge, wide and spacious.

"Surah : Al Nisa, Verses 97-100"
(Yusuf Ali, PP. 217-218)

As the issue of poverty is a thorny issue we, thus, call upon those who have taken part in the World Social Summit

because eloquent words and speeches did not either feed them or solve their problems. Likewise, the recommendations made and the resolutions taken did not improve the worsening conditions of those wretched miserable poor people. In the meantime, it is quite evident that philosophers and politicians are still receiving prizes and words of praise while this disgusting reality is not altered and these shocking sad facts are not vieled. Furthermore, no one should even forget that Allah the creater of this Universe and the All Knowing of all that happened in the past, happens in the present, and will happen in the future, knows the true facts and all that the hearts hide. He says, through Moses words to his people :

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

"Said Moses to his people :
"Pray for help from Allah."
And (wait) in patience and constancy :
For the earth is Allah's,
To give as a heritage
To such of His servants
As He pleaseth; and and the end
Is (best) for the righteous."
"Surah : Al A'raf, verse . 128"
(Yusuf Ali, P. 379)

As for those migrants who cannot find anywhere to shelter them in spite of the wide earth that Allah has created, Allah says about them :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾
إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾

rable, disgusting reality is not due to the narrowness of the earth area or the decrease of resources, but because man everywhere began to build his relations with the others according to his own interest, his own benefits and his own whimps. Allah, Almighty, say :

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

"If the truth had been
In accord with their desires
Truly the heavens and the earth,
And all beings therein
would have been in confusion
And corruption."

"Surah : Al Mu'minun, verse 71"
(Yusuf Ali, P. 855)

Though the countries of the North and those of the South have met many times to discuss the relation between the two worlds, that of the poor and that of the rich, and though many years have passed since this time, yet the world is still witnessing mutual deterioration in their relations.

At the time in which Rome has foretold the emergence of a Fourth World that comprises 31 poor countries, 21 of which are in Africa, 8 in Asia, and 1 in America; yet this foretelling and this classification did not solve the problems of these countries. They are still deteriorating and most of them are still depending on the relief startegy, foriegn aid, and exporting emigrants and refugees to the Northern World.

Hundreds of meetings, seminars, and conferences have been held, in the United Nations and other organizations, to discuss human rights as well as the issues and tragedies of the poor people of the world whether children or women, whether emigrants or refugees. However, still the children of the world, the refugees, the emigrants, and the victims of disasters, discrimination and war, are suffering from hunger

obviously means that poverty and human deprivation in the Third World are no longer issues of national concern; they have become a global issue of human security world-wide.

In this context, it is noteworthy to mention that at the time in which millions of people, nearly 30 million according to the estimations of the international organizations, are facing death because of hunger; yet the world is spending billions of dollars on buying distructive weapons, and many countries are getting rid of their excess in crops and products. For example, Italy gets rid of a quarter (1/4) of its peach crop, France excutes a fifth (1/5) of its apple crop, whereas the Netherlands spoils thousands of tons of cheese and millions of liters of milk and the United States throws into the ocean nearly one sixth (1/6) of its wheat crop. Moreover, some wealthy rich people in the Islamic World spend millions on their parties and their deceiving worldly life. Amidst these tragic, contradicting conditions, thousands of people die daily because of hunger which is due to starvation. This starvation, in fact, might have resulted because of economic or political conditions, or because of the vicissitudes of nature such as drought, or because many people flee from their countries to escape the scourages of war which in different parts of the world yearly harvests the lives of tens of thousands.

During the elapsing 20 years, millions of people because of hunger, social injustice and religious discrimination, were forced to abandon their homes in search for a secure peaceful place and good livelihood. During this period, the doors of Allah's huge earth were widely open for those miserable creatures and the entire world was exerting its utmost efforts to lessen their sufferings, alleviate their pain and heal their wounds. However, nowadays and for the first time in history, the doors of Allah's wide spacious earth are shut infront of those who have nowhere to go. In fact, this degrading, mise-

The Widening gap between the world of the poor and the world of the rich

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D

At the time in which millions of people, like their ancestors, decide to immigrate leaving their homes and resorting to other places, whether willingly or unwillingly, the world has changed, everything has altered, and today has differed from yesterday. In other words, many countries began to narrow and tighten the inlets to their borders and to increase their restriction so as to prevent and curb the entrance of new comers as well as to send back the old emigrants to their countries. Taking such measures, certainly, reveals but one important fact, namely, that the wide earth of Allah is now seriously becoming narrower, i.e. it cannot afford any more to provide the essential, vital means needed by its inhabitants to lead a happy, easy and comfortable life. In fact, this prevailing trend is not due to lack of wealth or resources but due to the policies, resolutions, and options made by man upon whom Allah has bestowed this vicegerency on earth.

No doubt, because of man's mismanagement of natural, human and environmental resources, the greatest part of our world, now, comprises many poor people. Henceforth, talking about a poor Third World is no more of interest when talking about the existence of a fourth world that contains 300 million people who are the poorest of the world population, i.e. they live below the poverty line. This number, in fact, represents one eighth (1/8) of the Third World population. This

---

The infarmation included herein is mainly based on the article written by Dr. Farid Yassin Qurashi under the title "The Spacious earch of Allah between the World of the poor and the weak and the World of the rich and the powerful".

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 67 PART XII
ZUL HEJAH, 1415 HIJRAH — MAY 1995

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس السنوى
للمجلد السابع والستين
١٤١٥هـ - ١٩٩٤ - ١٩٩٥م

إعداد الأساتذة
ا. محمود الفشنى
ا. أيمن سعد زغلول
ا. عز الرجال المرسى

حرف الألف

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

هدايا صدرت مع المجلة عام ١٤١٥ هـ

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الإصدار
١ ـ مقدمة بين يدى الهجرة (الخلف والإيلاف)	فضيلة الدكتور ـ على أحمد الخطيب	المحرم
٢ ـ مقدمة بين يدى الهجرة (الحوار)	فضيلة الدكتور ـ على أحمد الخطيب	صفر
٣ ـ الإخاء فى الإسلام	الأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى	ربيع الأول
٤ ـ العلمانية والإسلام	الأستاذ الدكتور/ محمد البهى	ربيع الآخر
٥ ـ الختان	فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق	جمادى الأولى
٦ ـ من سجل الخالدين	الأستاذ الدكتور/ مصطفى مجاهد عبد الرحمن	جمادى الآخرة
٧ ـ العقيدة الدينية	الأستاذ الدكتور/محمود حمدى زقزوق	رجب
٨ ـ بداية الهداية	للإمام أبى حامد الغزالى ـ تحقيق الشيخ/ أحمد عبدالهادى الأبيض	شعبان
٩ ـ السياسة الشرعية والفقه الإسلامى جـ ١	فضيلة الشيخ/عبد الرحمن تاج	رمضان
١٠ ـ السياسة الشرعية والفقه الإسلامى جـ ٢	فضيلة الشيخ/عبد الرحمن تاج	شوال
١١ ـ الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين	الأستاذ/ مصطفى دسوقى كسبة	ذو القعدة
١٢ ـ الحسبة ودور الفرد فيها فى ظل التطبيقات القانونية المعاصرة	الدكتور/ عبد الله مبروك النجار	ذو الحجة

الفهـــرس